

لِلْمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



المعجم

وَفِيهِ تَرْغِيمُ الْقُرْآنِ وَسَبْرُ الْأَعْيُنِ

الْمَجْلَدُ الثَّامِنُ

تَأليف و تجميع

فَسْرُ الْقُرْآنِ بِمَجْمَعِ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بإشراف

مدير القسمة

هو المولى محمد باقر المجلسي



المعجم

في فتح رغبته القرآن وسر بلاغته

المجلد الثامن

تأليف وتحقيق

فَسَمِ الْقُرْآنِ يَجْمَعُ الْبُحُوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بإشراف وإشراف
مدير الفسمة

الأسنان محمد وعظوة لده الحجازي

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

المعجم في فقه لغة القرآن و سر بلاغته / تأليف و تحقيق قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية: بإرشاد و إشراف محمد واعظزاده الحراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٩ هـ. = ١٣٨٧ ش.

ISBN set 978-964-444-179-0

ISBN 978-964-444-731-0 (ج ٨)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما.

مرد.

١. قرآن - - - - - واهنامه. ٢. قرآن - - - - - دایرةالمعارف. الف. واعظزاده حراسانی، محمد، ١٣٠٤ - - - - - بنیاد پژوهشهای اسلامی.

١٣/٢٩٧

BP ٦٦ / ٤ / ٥٧

م ٧٨-٨٦٩٧

کتابخانه ملی ایران

کتابخانه
برگه تحقیقات کتاب و تری - علوم اسلامی
شماره ثبت: ٠٢٥٦٦٧
تاریخ ثبت:



المعجم في فقه لغة القرآن و سر بلاغته

المجلد الثامن

تأليف و تحقيق: قسم القرآن في مجمع البحوث الإسلامية
إشراف: الأستاذ محمد واعظزاده الحراساني

الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ / ١٣٨٧ ش
٢٠٠٠ نسخة / قيمة الدورة (١٣ جزء): ١٤٣٠٠٠٠ ريال
الطباع: فروغ

مجمع البحوث الإسلامية، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبعثات في مجمع البحوث الإسلامية: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم) ٧٧٣٣٠٢٩
شركة بهنشر، (مشهد) ٨٥١١١٣٦-٧، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠

Web Site: www.islamic-ri.ir

E-mail: info@islamic-ri.ir

حقوق الطبع محفوظة للناس

این کتاب با تسهیلات حمایتی مطبوعات امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی چاپ شده است.

المؤلفون

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراسانيّ

ناصر النجفيّ

قاسم الثوريّ

محمد حسن مؤمن زاده

حسين خاكشور

السيد عبد الحميد عظيمي

السيد جواد سيدي

السيد حسين رضويان

علي رضا غفراني

محمد رضا نوري

السيد علي صباغ دارابي

وقد فُوض عرض الآيات وضبطها إلى أبي الحسن الملكيّ و محمد الملكوتي و مقابلة النصوص إلى محمد جواد الحويزيّ و عبد الكريم الرّحيميّ وأبي القاسم حسن پور و تنضيد الحروف إلى حسين الطائيّ في قسم الكمبيوتر.

المحتويات

المقدمة.....	٩	ث ل ل.....	٥١٥
ت م م.....	١١	ث م ر.....	٥٢٩
ت ن و ر.....	٥٣	ث م م.....	٥٦٣
ت و ب.....	٦٣	ث م ن.....	٥٧٥
ت و ر.....	٢٠١	ث م و د.....	٥٩١
ت و ر اة.....	٢٠٧	ث ن ي.....	٦٠٩
ت ي ن.....	٢١٧	ث و ب.....	٦٨٧
ت ي ه.....	٢٢٧	ث و ر.....	٧٣٣
حرف الثاء.....	٢٤١	ث و ي.....	٧٤٩
ث ب ت.....	٢٤٣	ث ي ب.....	٧٦٣
ث ب ر.....	٢٧٣	حرف الجيم.....	٧٦٩
ث ب ط.....	٢٨٩	جالوت.....	٧٧١
ث ب ي.....	٢٩٥	ج أ ر.....	٧٧٥
ث ج ج.....	٣٠٣	ج ب ب.....	٧٨١
ث خ ن.....	٣٠٩	ج ب ت.....	٧٩٣
ث ر ب.....	٣١٩	ج ب ر.....	٧٩٩
ث ر ي.....	٣٢٧	جنريل.....	٨٣٧
ث ع ب.....	٣٣٧	ج ب ل.....	٨٤٥
ث ق ب.....	٣٥٥	الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة	
ث ق ف.....	٣٦٥	و اسماء كتبهم.....	٩٠٩
ث ق ل.....	٣٧٥	الأعلام المنقول عنهم	
ث ل ث.....	٤٣٧	بالواسطة.....	٩١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

نحمد الله تعالى على نعمائه كلها، ونصلي ونسلم على رسوله المصطفى نبينا محمداً وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

ثم نشكره تعالى على أن وفقنا لتأليف المجلد الثامن من موسوعتنا القرآنية: «المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته»، وتقديمه إلى رواد العلوم القرآنية، والمختصين بمعرفة لغاته، وأسرار بلاغته، ورموز إعجازه، وطرائف تفسيره.

وقد اشتمل هذا الجزء على شرح (٣٧) مفردة قرآنية من حرف الباء، ابتداء من (ت م م) وانتهاء بـ (ج ب ل) من حرف الجيم، وأوسع الكلمات فيه بحثاً وتنقيحاً هي (ت و ب).

نسأله تعالى، ونبتهل إليه أن يتم علينا نعمته ويكمل لنا رحمته ويساعدنا ويأخذ بأيدينا، ويسدّ خطانا بما يضارع الأمل في استمرار العمل، إنه خير ظهير، وبالإجابة جدير.

محمّد واعظ زاده الغراساني

مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

ت م م

١٣ لفظاً، ٢٢ مرة: ١٠ مكّية، ١٢ مدنية

في ١٢ سورة: ٦ مكّية، ٦ مدنية

أَتَى تُمَلَّقِي فِي أَعْنَاقِ الصَّبِيَّانِ. [نَمْ اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ]	أَقَمْتُ ١: ١	نَمْ ١: ١
وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِنَّ التَّسَاهِيمَ وَالرَّأْيَ وَالْتَوَلَّةَ	أَقَمْنَاهَا ١: ١	نَمَّتْ ٣: ٣
مِنَ الشَّرْكِ».	يُنَمَّ ٦: ٢ - ٤	نَمَاتَا ١: ١
وَأَقَمَّتْهُ إِتْمَانًا: عَلَقَتْ عَلَيْهِ التَّمِيمَةَ.	لَأُنَمَّ ١: ١	أَقَمَّهَا ١: ١
وَاسْتَمَّتْ نِعْمَةً اللَّهِ بِالشُّكْرِ.	أُنَمِّمُ ١: ١	أَنْتَمَّهْنَّ ١: ١
وَالْتُمَمَّتْ فِي الْكَلَامِ: أَلَا يُبَيِّنُ اللِّسَانُ، يُخَطِّئُ مَوْضِعَ	أَنْتَمَّوْا ٣: ٣	أَقَمْتُ ١: ١
الْحَرْفِ فَيَرْجِعُ إِلَى لَفْظٍ، كَأَنَّهُ التَّاءُ وَالْمِيمُ. وَرَجُلٌ تَمَّتَامٌ.		نُمَّتَ ١: ١
وَنَمَّ الرَّجُلُ، إِذَا حَارَ تَمِيمِي الرَّأْيِ وَالْهَوَى.		
وَالنَّامُ: أَطْوَلُ لَيْلَةٍ فِي السَّنَةِ. وَيُقَالُ: لَيْلَةُ النَّامِ		
ثَلَاثٌ، لِإِسْتِبَانِ فِيهَا نَقْصَانٍ مِنْ زِيَادَةِ.		

وقيل: بل ليلة أربع عشرة، وهي ليلة البدر، وهي
الليلة التي يَنَمُّ فيها القمر فيصير بدراً.
والتَّعِيمُ فِي لَفْظِ: النَّامِ. [نَمْ اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ]
والتَّعِيمُ: الشَّدِيدُ.
ويقال: أَبَى قَاتِلُهُ إِلَّا نَمًّا، أَي أَبَى إِلَّا أَنْ يُنَمَّ عَلَى

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْخَلِيلُ: نَمْ الشَّيْءُ نَمًّا، وَنَعْمَ اللَّهُ تَعِيمًا
وَنَيْتَةً.
وَنَيْتَةٌ كُلُّ شَيْءٍ مَا يَكُونُ نَمًّا لِمَا يَتْبَعُهُ، كَقَوْلِكَ:
هَذِهِ الدَّرَاهِمُ نَمَامٌ هَذِهِ الْمَنَّةُ، وَنَيْتَةُ هَذِهِ الْمَنَّةِ.
وَالنَّمُّ: الشَّيْءُ النَّامُ، يَقَالُ: جَعَلْتُهُ نَمًّا، أَيِ بِنَامِهِ.
وَالتَّعِيمَةُ: قِلَادَةٌ مِنْ سُبُورٍ، وَرَبْمَا جُعِلَتْ «الشُّوَذَةُ»

أبو زيد: التَّمام: هو الذي يجعل في الكلام، ولا يكاد يفهمك. (الأزهرى ١٤: ٢٦١)
تمام الشيء: ما تم به، بالفتح لا غير.

(ابن سيدة ٩: ٤٦٩)
الأصمعي: ليل التَّمام في الشتاء: أطول ما يكون من الليل. وطول ليل التَّمام حين تطلع فيه النجوم كلها، وهي ليلة ميلاد عيسى عليه السلام، والتَّصاري تظنها وتقوم فيها. (الأزهرى ١٤: ٢٦٢)
ولذته التَّمام بالألف واللام، ولا يجيء نكرة إلا في الشر. (ابن منظور ١٢: ٦٨)
اللَّحْياني: التَّميم في الأيسار: أن ينقص الأيسار في المزور، فيأخذ رجل ما بقي حتى يُتَمَّ الأضواء.

(الأزهرى ١٤: ٢٦٣)
أبو عبيد: في حديث عبد الله: «إن التَّمام والرُّقى والقولة من الشرك» إنما أراد بالرُّقى والتَّمام عندي: ما كان بغير لسان العربيِّ مما لا يدري ما هو، فأما الذي يُحبُّ المرأة إلى زوجها فهو عندنا من التَّحر.

(٢: ١٩٠)
التَّميم: الصُّلب. [ثم استشهد بشعر]
وُلد فلان لتَّمام وتمام، وليل التَّمام بالكسر لا غير. (الأزهرى ١٤: ٢٦١)
التَّميم: الشديد.

والتميمة: عودَةٌ تُعلَّق على الإنسان. (الجوهري ٥: ١٨٧٨)
ابن الأعرابي: ثم، إذا كُسر، وتم، إذا بلغ. (الأزهرى ١٤: ٢٦١)

(٨: ١١١)
سببويه: وأما تَقَيَّسَ وتَنَزَّرَ وتَمَّتْ، فإنَّما يجري على نحو: كثرته فتكسر، كأنه قال: ثُمَّ فَتَمَّتْ، وقُيِّسَ فَتَقَيَّسَ، كما قالوا: نَزَّزَهُمْ فَتَنَزَّزُوا. (٤: ٦٦)
من العرب من يقول: هذه تميم، يجعل اسمًا للأب ويصرف، ومنهم من يجعل اسمًا للقبيلة فلا يصرف. قالوا: تميم بنت مرٍّ، فأَتَوْا، ولم يقولوا: ابن.

(ابن منظور ١٢: ٧١)
الضَّبِّي: أبى قائلها إِنْجًا وَجَمًّا وَجَمًّا، ثلاث لغات، يعني تمام الكلام. (إصلاح المطلق: ٨٦)
أبو عمرو الشَّيباني: ليلُ تَمَامٍ، إذا كان الليل ثلاث عشرة ساعة إلى خمس عشرة ساعة.

(الأزهرى ١٤: ٢٦٢)
ليل التَّمام: ستة أشهر: ثلاثة أشهر حين تزيد على ثنتي عشرة ساعة، وثلاثة أشهر حين ترجع. (الأزهرى ١٤: ٢٦٢)
باب «فُصال وفُعال» بمعنى واحد، ألقت ولذها لغير تمام وتمام، ولنير تم. (إصلاح المطلق: ١٠٤)

ابن شُمَيْل: ليل التَّمام في الشتاء: أطول ما يكون الليل، ويكون لكل نجم هَوِيٍّ من الليل يطلع فيه حتى تطلع كلها فيه، فهذا ليل التَّمام. (الأزهرى ١٤: ٢٦٢)
مثله ابن السكيت. (٤١٤)
ليلة السَّواء: ليلة ثلاث عشرة، وفيها يستوي القمر، وهي ليلة التَّمام.

وليلة تمام القمر هذا بفتح التاء، والأوَّل بالكسر. (الأزهرى ١٤: ٢٦٣)

وامرأة حُبلى: مُتِمَّةٌ. ووُلِدَ الغلام لَيْمًا وقَامَ.
ويدْرُ قَامَ بالكسر، وكذلك لَيْمًا قَامَ. وكلُّ شيءٍ بعد
هذا فهو قَامَ، يفتح التاء. (٤٢: ١)
ليل الشَّام: أطول ليلة في السنة، وهو السَّابعُ عَشَرَ
من كانون الأوَّل، ويقال: ليل الشَّام: ليل القُومِ.
(١: ٢٣٠)

ناقعة مُتِمَّةٌ، وكذلك المرأة، إذا نَمَتْ أَيْامَ حملها.
(٣: ٤٤٥)
ليل الشَّام بالكسر لا غير، ولا تُنزع منه الألف
واللَّام فيقال: لَيْمًا قَامَ.

فأما في الولد فيجوز الكسر والفتح ونزع الألف
واللَّام، فيقال: وُلِدَ الولدُ لَيْمًا ولشَّامَ.
وأنا ماسواها فلا يكون فيه إلَّا الفتح. يقال: خُذْ
قَامَ حَقِّكَ وبلغ الشيء قَامَهُ.

فأما المثل فيالكسر، وهو قولهم: «أبى قائلها إلَّا لَيْمًا».
(ذيل الأمل: ٦)
الأزهرى: في حديث ابن مسعود: «إنَّ الشَّامَ
والزُّقَّ والتَّوَلَّةَ من الشَّرِكِ».

قلت: الشَّام: واحدة تَجِمة، وهي خُرَازات كانت
الأعراب يعلّقونها على أولادهم، يتقنون بها النفس
والعين يزعمهم، وهو باطل. [ثم استشهد بشعر]
وجعلها ابن مسعود: «من الشَّرِكِ» لأنهم جعلوها

واقية من المقادير والموت، فكأتمهم جعلوا له شريكًا فيما
قَدَّرَ وكتب من آجال العباد والأعراض أتى نصيبهم.

كلُّ ليلة طالت عليك فلم تَنَمْ فهي ليلة الشَّام، أو
هي كليلة الشَّام. (الأزهرى: ١٤: ٢٦٢)
إذا فاز قُدْحُ الرّجلِ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ فأطعمهم لحمة
المساكين، سَمِيَّ مُتَمَمًا. [ثم استشهد بشعر]
(الأزهرى: ١٤: ٢٦٣)

الشَّم: النَّاسُ^(١)، وجمعه: تَمَمَةٌ.
والتَّحِيم: الطَّوِيل، والتَّحِيم: العُود، واحدها: تَحِيمَةٌ.
(الأزهرى: ١٤: ٢٦٣)
وتَمَمَهم: أطعمهم نصيب قُدْحِهِ. [ثم استشهد بشعر]
(ابن سيده: ٩: ٤٧٠)

ابن السَّكَيْتِ: قالوا: تَمَمَتِ الكسر تنميتها،
وذلك إذا كان عَيْتًا فأبنته.
(١٢٨)
مثله القَالِي: (٢: ٣٠)

وليلة ثلاث عشرة عفرًا، وهي ليلة الشَّوَاءِ فيها
يستوي القمر، وهي ليلة الشَّام. يقال: هذه ليلة قَامَ
القمر وليلة الشَّام، وهو وفاة ثلاث عشرة.
(٣٩٧)
الزِّيَّاشِي: نهار نَحَبٍ، مثل ليل قَامَ: أطول ما يكون.
(الأزهرى: ١٤: ٢٦٢)

الشُّبُود: [في حكاية] «فرجعا عنه وأتم إلى قومه»
يُروى أتم بألف وتَمَّ بغير ألف وتَمَّ بالتون، ومعنى «تَمَّ إلى
قومه» أي نفذ. (١: ٣٥٩)

فَعَلَبَ: تَمَّتْ المولود: حَلَقَتْ عليه الشَّامُ.
(ابن سيده: ٩: ٤٧٠)
الرَّجَاج: يقال: تَمَّ الله عليه التَّمة وأتمَّ عليه، إذا
أسبغها. (فعلت وأفعلت: ٦)

ابن دُرَيْد: تَمَّ يَتِمُّ قَامًا.

(١) هكذا في الأصل، والظاهر فالنَّاسُ كسا جَاءَ في
المحيط (٩: ٤١٧) واللَّسان والقاموس.

والثَّمَّة والثَّمَى: ما طلبه المرأة من صُوف أو شعر
لثَمِّ به نسجها، وهي المُسْتَمَّة. ويقولون: أتمونا من
جزاز غنيمكم. ويسمى الجزاز: الثَّمَمِي والثَّمِيمَةُ.
وَتَمَى: اسم امرأة سميت بذلك.

والمُتَمِّ في البطن: منقطع جرق الثَّرة.
والصَّالغ من الثَّناء يقال له: التَّم، وجمعه: أتمام.
وهو في الخيل: بعد القروح.

والمُتَمِّم: الذي يُتَمُّ للقوم ثمن جُزُورهم. وهو
أيضاً أن يُعلم فوز قدجه تأمًا. (٤١٧: ٩)

الغَطَابِي: في حديث سليمان أنه قال: «الْبَسْذَعُ
التَّامُ التَّمُّ مَجْزِي».

التَّم: التَّام، وأصله: تمّ، فأظهروا الميمين لما ردّوه
إلى الأصل. يقال: تَامَ وتَمَّ بمعنى واحد. (٥٢: ٣)
ابن جَنِّي: والتَّمِيمَةُ: خَزَرَةٌ رَهْطَاءُ تُنْظَمُ فِي السَّيْرِ.
ثمَّ تُعْقَدُ فِي العُنُقِ، وهي التَّسَامُ والتَّمِيمُ.

(ابن سيده ٩: ٤٧٠)

الجَوْهَرِيُّ: تَمَّ النِّسَاءُ تَمًّا، وأَتَمَّهُ غيره، وتَمَّه
واستتمه بمعنى.

وأَتَمَّتِ الْمُبَلَّ فِيهِ مِثْرَةً، إِذَا تَمَّتْ أَيَّامَ حَمْلِهَا.
وَوَلَدَتْ لِنِسَامٍ وَتَمَّامٍ، وَوُلِدَ الْمَوْلُودُ لِنِسَامٍ وَتَمَّامٍ. وَفَرَّ
تَمَّامٌ وَتَمَّامٌ، إِذَا تَمَّ لَيْلَةُ الْبَدْرِ.

وليل النِّسَامِ مَكْسُورٌ لِأَخِيرِ، وَهُوَ أَطْوَلُ لَيْلَةٍ فِي
السَّنَةِ. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: أُنِي قَاتِلَهَا إِلَّا تَمًّا وَتَمًّا وَتَمًّا، ثلاث
لغات، أي تَمًّا، ومضى على قوله ولم يرجع عنه،
والكسر أفصح. [ثم استشهد بشعر]

ولادافع لما قضى، ولاخسرك له عزوجلّ فيما قدر.

قلت: ومن جعل التَّسَامَ سيورًا ضيق مصيب. وأما
قول الفرزدق:

وكيف يضلّ السَّعْبِي ببلدة

بها طُحمت عنه سيور التَّسَامِ
فإنه أضاف السَّيُورَ إِلَى التَّسَامِ، لِأَنَّ التَّسَامَ خَزَزَ
يُتَقَبُّ وَيُجْعَلُ فِيهَا سَيُورٌ وَخِيُوطٌ تُعْلَقُ بِهَا، وَلَمْ أَرِ بَيْنَ
الأعراب خلافًا أَنَّ التَّمِيمَةَ هِيَ الْخَزَزَةُ نَفْسُهَا. [إلى أن
قال:]

وروي عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ
يقوم الليلة النَّسَامَ فيقرأ سورة البقرة وآل عمران وسورة
النساء، ولا يبرأ به إِلَّا دعا الله فيها.

ويقال: سافروا شهرنا لَيْلَ النَّسَامِ لِأَمْرٍ سَ.
وهذه ليالي النَّسَامِ، أي شهرًا في ذلك الزَّمان.
ويقال: لَيْلُ النَّسَامِ، وَلَيْلُ تَمَامِي أَيْضًا.

(١٤: ٢٦٠)

الصَّاحِبُ: [قال نحو ما تقدّم عن الخليل وأضاف:]
والتَّم: التَّامُ الْخَلْقُ، وكذلك التَّمِيمُ، وهو الشَّدِيدُ
الْخَلْقُ أَيْضًا.

وحَمَلَتْهُ الْمَرْأَةُ لِنِسَامٍ وَلِنِسَامٍ.
والمُتَمِّ: الَّتِي تَمَّتْ أَيَّامَ حَمْلِهَا، أَمَّتْ إِتْمَامًا.
وَتَنَاعَتْ الشَّيْءَ أَتَنَاسَهُ، إِذَا رَجَبَتْهُ وَتَبَلَّغَتْ بِهِ.
وَبَقِيَتْ فِيهِ تَمَامَةٌ وَتَمَّةٌ.

والتَّم: الْمِسْحَاةُ. وَقِيلَ: الْفَأْسُ، وَجَمْعُهُ تَمَّةٌ.
وَتَمَّ الشَّيْءُ: أَيُّ كَبُرَ. وَالتَّمُّ: التَّكْثُرُ.
وَتَمَّ عَلَى الْمَرْجِ، إِذَا أَجْهَرَ عَلَيْهِ.

ليلة السَّواء: هي ليلة أربع عشرة من الشهر، أو ثلاث عشرة، فيها يستوي القمر ويكمل؛ وذلك إذا اتَّسق، واتَّساقه: استواءه.

وقيل: لأنَّه يستوي في ليلاها ونهارها، وأسويتا: صرنا في ليلة السَّواء.

ليلة النَّسَم: ليلة السَّواء. (الإفصاح ٢: ٩١٨) الطُّوسِيّ: والنَّسَم والكمال والوفاء نظائر.

وخذ النَّسَم: النِّفْسان. يقال: تَمَّ تَمَامًا، وأتمَّ إتمامًا، واستتمَّ استتمامًا، وتَمَّ تَمِيمًا وتَمَتَّ.

وتَمَتَّ كلُّ شيء: ما يكون تَمَامه بغايته، كقولك: هذه الدَّراهم تمام هذه المنة، وتَمَتَّ هذه المنة.

التَّم: الشيء السَّام، تقول: جعلته لك تَمَاشًا، أي بتمامه. [إلى أن قال:]

وأصل الباب: النَّسَم وهو الكمال. (١: ٤٤٦) نحوه الطُّبْرَسِيّ. (١: ١٩٩)

الرَّغِيب: تَمَّ الشيء: انتهاه إلى حدٍّ لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والنَّاقص: ما يحتاج إلى شيء خارج عنه. ويقال ذلك للممدود والممسوح، تقول: عدد تَامَ، وليلٌ تَامَ. [ثم ذكر آيات]

الرَّمْزُفُضْرِيّ: سليمان بن يسار رضي الله عنه: «الجدِّع النَّاسُ التَّامَ التَّامَ يُجْزئُ في الصدقة»، أراد بآلتام: الذي استوفى الوقت الذي يسمَّى فيه جدِّعًا كلَّه، وبلغ أن يَسَى شيئًا. وبالنَّسَم: النَّاسُ الخلق. ومثله في الصفات خلق عَمَّ وبطل وحسن يُجْزئ، أي يقضي في الأُضحية. (الفائق ١: ١٥٥)

تَمَّ تَمَامًا، وأتمَّه وتَمَّه، واستتمَّه، واستتمَّه الله

وقالوا: أبى قائلها إلا تَمَّ، وتَمَّ، وتَمَّ.

والنَّسَم: النَّاسُ الخلق.

والنَّسَم: الشَّدِيد. [ثم استشهد بشعر]

وقيل: النَّسَم: النَّاسُ الخلق الشَّدِيد، من النَّاسِ والخَيْل.

وقيل: هي [النَّسَمَة] فلانةٌ يُجَمَلُ فيها سُيُورٌ وُؤُودٌ.

والمَتَمُّ: مُنْقَطِعُ عِرْقِ الشَّجرة.

والتَّسَمُّ والتَّسَمُّ من الشَّعر والوَبَرِ والصُّوفِ كالجُرَزِ.

الواحدة: تُسَمَّةٌ. فأما التَّسَمُّ فأراه اسمًا للجمع.

واشتقَّتْهُ: طَلَبَ منه التَّسَمُّ.

وأتمَّه: أعطاه إتمامًا.

والتَّامُّ من الشَّعر: ما يمكن أن يدخله الرَّحافُ فيَسَلَّمَ

منه. وقد تَمَّ الجزء تَمَامًا.

وقيل: المُتَمَّمُ: كلُّ ما زِدَتْ عليه بعد اعتدال اليَتِيَتِ

حرفين، وكانا من الجزء الذي زِدَتْه عليه، نحو:

«فاعلاثن» في حَرْبِ الرَّمْلِ، سَمِي مُتَمِّمًا لأنَّك تَجُمَعُ أصلَ الجزء.

ورجل مُتَمَّمٌ، إذا فازَ قِدْحُهُ مرَّةً بعد مرَّةٍ، فأطعم

لَحْمَهُ المساكين.

وتَمَّ الرَّجُلُ: صارَ هواه تَمِيمًا. وتَمَّ: انتسب إلى

تَمِيم. [ثم استشهد بشعر]

والتَّسَمُّةُ: رَدُّ الكلام إلى النَّاءِ والميم، وقيل: هو أن

يَجْعَلَ بكلامه فلا يكاد يَفْهَمُك وقيل: هو أن يَجْعَلَ

بكلامه، وقيل: هو أن تُسَبِّقَ كلمته إلى حنكته الأعلى.

ورَجُلٌ تَمَامٌ، والأُنثى: تَمَامَةٌ. (٩: ٤٦٩)

وصف كلامه تبارك وتعالى بالشام، لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب، كما يكون في كلام الآدميين.

وجه آخر: وهو أن كل كلمة كانت على حرفين فهي عند العرب ناقصة. والثالثة: ما كانت في الأصل على ثلاثة أحرف. وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه: ﴿إِذَا أَرَادَ نَبِيُّكَ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَقُولُ﴾ يس: ٨٢، وكلمة (كُنْ) ناقصة في الهجاء، فني **نقص** عن كلمات الله تعالى قطعاً للأوهام، وإعلاماً أن حكم كلامه خلاف كلام الآدميين، وإن نقص هجاءه في الكتابة لا يلبس به صفة الشام والكال.

وقيل: معنى الشام هاهنا أنها تنفع المستعز بها وتشفيه وتغفله من الآفات وتكفيه. وكان أحمد بن حنبل: يستدل به على أن القرآن غير مخلوق، لأنه ما من مخلوق إلا وفيه نقص.

وفي حديث الدعاء عند الأذان: «اللهم رب هذه الدعوة الثالثة». إنما وصفها بالشام، لأنها أيضاً ذكر الله عز وجل، يُدعى بها إلى عبادة الله تعالى، وهذه الأشياء هي التي تستحق صفة الكمال والشام، وما سواها من أمور الدنيا يمرض له النقص والفساد.

في الحديث: «فتأملت إليه قرش» أي توافرت. ومن حديث معاوية: «إن تأملت على ما تريد» مخفف. يقال: تم على الأمر، أي استمر عليه وقمه.

(١: ٢٤٦)

ابن الأثير: في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة الشَّام» هي ليلة أربع

بالشكر. وذهبت فلانة إلى جاريتها تستنمها، أي تطلب منها نومة وهي مأثمة به يسجها من صوف أو شعر أو وبر. [ثم استشهد بشر]

وهذه الذراهم تمام المنة وتتمتها. وقد تمت المنة تنمة.

ورجل تميم، وامرأة تميمية: تاماً المخلوق وثيقاه. واجتمعوا فنتأوا عشرة. وجعلته لك نماً، أي بجامه. [ثم استشهد بشر]

وأبي قائلها إلا نماً، أي تاماً ومضياً فيها. وأحياناً ليلة الشَّام والشام، وهو أطول ليلة في السنة. [ثم استشهد بشر]

وهذه ليلة الشَّام والشام: لليلة تمام القمر. وولدت تمام وقام. وألفت ولدها لنير تمام وقام. وقد أتمت فهي متمم، كما تقول: مُغْرِبٌ ومُدْنِيٌّ للشيء إذا نتاجها. [ثم استشهد بشر]

وصبي متمم: علقت عليه الشَّام. وتَمَّتْ عنه العين أتمها نكحاً، أي دفعها عنه بطلاق التحيمة عليه. وفي الحديث: «من علّق قيمة فلا تأثم الله له».

ومن المجاز: تم على المرح، إذا أجهز عليه. وتم على أمره: مضى عليه. وتم على أمرك، وتم إلى مقصدك. وتم تمامه. (أساس البلاغة: ٣٩)

الضديني: في حديث أسماء: «خرجت وأنا متمم». المتمم: من ذوات الحسفل: التي تمت مدة حملها وشارفت الوضع، والشَّام بالكسر فيها، وفي ليلة الشَّام، فأما سائرهما فتنام بالفتح.

وفي الحديث: «أعوذ بكلمات الله التامات». إنما

عشرة من الشهر، لأن القمر يترّ فيها نوره. وتفتح ثاوّه وتُكسر.

وقيل: ليل التّسام بالكسر، أطول ليلة في السنة. [ثم ذكر أحاديث وقال:]

والحديث الآخر: «من علّق تيمّةً فلا تَمُّ الله له». كأنّهم كانوا يعتقدون أنّها تمام الدّواء والشّفاء، وإنّما جعلها شركاً، لأنّهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه. (١: ١٩٧)

الفَيّوميّ: تمّ الشّيء يَتِمُّ بالكسر: تكلّمت أجزأوه، وتمّ الشهر: كملت عدّة أيّامه ثلاثين فهو تامّ. ويُعدّى بالهزّة والتضعيف، فيقال: أتمّته وتَمّمته، والاسم: التّسام بالفتح.

وتَمّة كلّ شيء بالفتح: تمام غايته. واستتمّه مثل أمّه، وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ البقرة: ١٩٦، قال ابن فارس: معناه اتّوا بفروضها.

وإذا تمّ القمر يقال: ليلة التّسام بالكسر وقد يفتح، ووُلد الولد لتسام الحمل بالفتح والكسر. وألقت المرأة الولد لنبر تمام بالوجهين.

وتمّ الشّيء يَتِمُّ، إذا استند وصلّب فهو تميم، وبه سمي الرّجل.

وتَمَّ الرّجل تَمَمَةً، إذا ترّدّد في النّاء، فهو تسمام بالفتح. وقال أبو زيد: هو الذي يَمَجَل في الكلام ولا يفهمك. (١: ٧٧)

الغبروز إباديّ: تمّ يَتِمُّ نَسًا وتَمَامًا مثلّتين نامة

ويُكسر.

وأَتَمّه وتَمّمه واستتمّه وتمّ به وعليه: جعله تامّاً، وتمّ الشّيء وتَمّت وتستّه: ما يَتِمُّ به.

وليل التّسام كتاب وليل تسماميّ: أطول ليالي الشّتاء، أو هي ثلاث لا يثبتان نقصانها، أو هي إذا بلغت اثنتي عشرة ساعة فصاعداً.

وولَدَتْه لَيْمٌ وتَمّام ويُمّتح الثّاني، أي تمام الخلق. وأتَمّت فهي مُتِمّة: دنا ولادها، والتّبت: اكتمل، والقمر: امتلأ فبه، فهو بدرٌ تَمّام، ويُكسر ويوصف به. واستتمّ التّعة: سأل إتمامها. وتمّ الكسر: انصدع ولم يَبْنِ، أو انصدع ثمّ بَانَ، كتمّ^(١) فيها.

وعلى الجرج: أجهز، والقوم: أعطاهم نصيب قدّحه، وصار هواه أو رأيه أو محلّته تميميّاً، كتتمّ. والشّيء: أهلكه وبلغه أجله.

والتّميم: التّام الخلق، والشّديد، وجمع تميمية كالتّسائم، لحزّة وقطّاء تُنظّم في السير، ثمّ يُعقد في العنق. وتمّ المولود تميميّاً، علّقها عليه.

والمتّمّ يفتح التّاء: منقطع عِرْق الشّرة. والتّثمّ كهُدر وعَنَب: الجِرْزُ من الشّعر والوتر والصّوف، الواحدة: تَمّة.

والتّمّ بالفتح: اسم الجمع: وبالكسر: الفأس والمِسْحاة.

واستتمّه: طلبها منه، فأتمّه: أعطاه إتماماً. والتّثمة والتّثى بضمتها ذلك الموهوب.

صفاتها.

وقيل: «ثم» يُشعر بمحصل نقص قبله، و«كَمْ» لا يُشعر بذلك.

وقال العسكري: الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، والتَّسام: اسم للجزء الذي يتم به الموصوف، ولهذا يقال: القافية تمام البيت، ولا يقال: كماله، ويقولون: البيت بكمال، أي باجتماعه. [لاحظ كدمل] (٢: ٣٦٧)

الطُّرَيْحِي: فيه: «اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الثَّامَّةُ» أي دعوة إلى الصلاة ثامّة، في إلام الحسنة وإيجاب الإجابة. أو الثامّة التي لا يدخلها تغيير بل باقية إلى يوم التَّشور.

وقيل: وصفها بالتَّسام لأنّها ذكر الله، ويدعى بها إلى عبادته؛ وذلك هو الذي يستحق صفات الكمال والتَّسام.

وفي حديث الكفن: «المفروض ثلاثة أنواب تامّ لأقلّ منه». قوله: «تامّ» خبر مبتدأ محذوف، أي وهو تامّ، والضَّمير للكفن.

وفي حديث عبدالله بن جعفر الجعفري: «قال لما نهرتُ من مِقي نويت المقام بمكة فأتيت الصلاة، ثم جاءني خبر من المنزل فلم أدر أتمُّ أم أقصر؟ فقصصت القصة على أبي الحسن عليه السلام، قال: ارجع إلى التَّقصير» هكذا صحّ الحديث. ولا يخفى منافاته لما اشتهر به الفتوى. وحمل الشيخ [الطُّوسِي]: الإتمام فيه على صلاة الثافلة، وبعض المتأخرين «فأتمّ» بقرينة قوله: «لما نهرتُ من مِقي نويت المقام» والنَّيَّة في ذلك الوقت ليس

وكسحاب: ثلاثة صحابيون...

ومن العروض: ما استوفى نصفه نصف الدائرة، وكان نصفه الأخير بمنزلة الحشو يجوز فيه ما جاز فيه، أو ما يمكن أن يدخله الرَّحاف فيشملهم منه.

والتَّمُّ كَمَطَّم: كلٌّ ما زِدَتْ عليه بعد اعتدال. وكَمَحَدَّث: من فاز قِدْحُهُ مرّة بعد مرّة، فأطعم لحمه المساكين، أو نقص أيسار جزور الميسر فأخذ ما بقي حتى يُتِمَّ الأَنْصَاء.

والتمتمة: ردّ الكلام إلى التاء والميم، أو أن تسبق كلمته إلى حينه الأعلى، فهو تمام وهي تمّامة، وكُتْسَامَة: البَقِيَّة.

والتَّمتام لقب محمد بن غالب الصَّيِّ التَّسَّار، وكشّاد: جماعة.

وتتأثروا، أي جاؤوا كلّهم وقَّروا. والتَّتَمُّ بالضمّ: من كان به كسر يمشي به ثمَّ أثبت فتتم.

والتَّمَمُّ: التَّسْمَانِي. (٤: ٨٥)

الشُّيُوطِي: قاعدة في الألفاظ يُلْظَن بها التَّرادف، وليس منه؛ ومن ذلك: التَّسام والكمال، وقد اجتماعا في قوله: «أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» المائدة: ٣.

ف قيل: الإتمام: نقصان لإزالة نقصان الأصل، والإكمال: لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل، ولهذا كان قوله «تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» البقرة: ١٦٦، أحسن من «تامّة»، فإنَّ التَّسام من العدد قد حُلِم، من «تامّة»، فإنَّ التَّسام من العدد قد حُلِم، وإنَّما نفى احتمال نقص في

وأيضاً: أَنْ التَّامَّ يصدق حيث كملت الأجزاء،
والكمال إذا أُضيف إليها خصوصيات أخرى، يزيدها
حسناً وبهاءً وتأملاً على تمام. (١: ٣٧٦)

النصوص التفسيرية

تَمَّ

وَوَاعَدْنَا مُوسَى قَلْبَيْنِ لَيْلَةٍ وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَسَمٍ
مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ... الأعراف: ١٤٢

ابن جُزَيْج: فبلغ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.

(الطَّبْرِيُّ ٩: ٤٨)

الطَّبْرِيُّ: فكل الوقت الَّذِي واعد الله موسى
أربعين ليلة وبلغها. (٨: ٩)
الماوُزِدِي: يعني أَنَّ اجتماع الأجلين تمام أربعين
ليلة، ليدلَّ بذلك على أَنَّ العشر هي ليلال وليست
ساعات.

فإن قيل: فعلوم أَنَّ العشر مع الثلاثين مستحكمة
أربعين، فامعنى قوله: «فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»؟
فمن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أَنَّهُ تأكيد في الذكر فلم يمتنع.

والثاني: كان وعده إلى الجبل الَّذِي كَلَّمَهُ فيه.

والثالث: ليني تمام الثلاثين بالمرء أن يكون من
جملة الثلاثين، لأنَّ تمام الشَّيْءِ بعض منه. (٢: ٢٥٦)
الطُّوسِي: ومعناه فتمَّ المِيقَاتِ أربعين ليلة.

ولمَّا قال ذلك، مع أَنَّ ما تقدّم دلَّ على هذا العدد،
لأنّه لو لم يورد الجملة بعد التفصيل - وهو الَّذِي يَسْتَبِي

إِلَّا لِلتَّامِّ، انتهى، وهو قريب. (٦: ٢٢)

القُدْنَانِي: في تمام السَّاعَةِ التَّامَّةِ والتَّصَفِّ.

ويضطرون من يقول: جاء في تمام السَّاعَةِ التَّامَّةِ
والتَّصَفِّ، ويقولون: إِنَّ كلمة «تَمَّ» لا تستعمل إِلَّا مع
العدد الصحيح، ولم أعثر على المصدر المقول، والسبب
المطغني الَّذَيْنِ اعتمدوا عليها في تخطئهم هذه.

فتام الشَّيْءُ لغةً، هو ما يَتِمُّ به الشَّيْءُ، ومثله: تَمَّامَتُهُ،
وتَمَّامَتُهُ، وتَمَّتَتْهُ. فنصف السَّاعَةِ تمامه الدَّقيقَةُ الثلاثون،
والدَّقيقَةُ نفسها تمامها الثانية السَّتون.

وهذا يجعلني عاجزاً عن إيجاد مسوِّغ لتضييغهم
هذا، ولا أرى بأشأ في قولنا:

١- سيزورني في تمام السَّاعَةِ التَّامَّةِ.

أو: ٢- سيزورني في تمام السَّاعَةِ التَّامَّةِ والرَّبيع.

أو: ٣- سيزورني في تمام السَّاعَةِ التَّامَّةِ والتَّصَفِّ.

أو: ٤- سيزورني في تمام السَّاعَةِ التَّامَّةِ والدَّقيقَةِ
العاشرَةِ.

فا هو رأيي بما يميننا؟ (١٠٠)

محمَّد إسماعيل إبراهيم: تَمَّ الشَّيْءُ، تَمَّامًا:
كملت أجزاؤه، وتَمَّ الأمر: تحقَّق ونفَّذ، وأتمَّ العمل
وتَمَّمه: جملة تامًّا، وتَمَّامًا، أي إتمامًا للمراد، أو زيادة.

(١: ٩٢)

نحوه: تَمَّتْ اللَّفَّةُ.

(١: ١٦٦)

المُصْطَفَوِيُّ: فالتَّامَّ: ما كملت أجزاؤه،

ولا يحتاج إلى شيء خارج في اكتماله، ويقابله الناقص،
وهو ما لم يَتَمَّ. وأغلب استعمال التَّامَّ في الكميَّات، كما
أَنَّ أغلب استعمال الكمال في الكميَّات.

جيه بذلك.

وقيل: إِنَّ الإِتِمَامَ بعشر مطلق يحتمل أن يكون
تعيينها بتعين الله تعالى أو بإرادة موسى عليه السلام، فجيه بما
ذكر ليفيد أن المراد الأول.

وقيل: جيه به رمزاً إلى أنه لم يقع في تلك العشر
ما يوجب الجبر. (٤٣: ٩)

تَعَتَّ

١- وَتَعَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ حِدْقًا وَعَدْلًا لَمْ تُبَدَّلْ
لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. الأقسام: ١١٥
الطَّبْرِي: يقول تعالى ذكره: وكملت كلمة ربك،
يعني القرآن. (٩: ٨)

الهُزَوِيُّ: أي حَقَّتْ ووجبت. (٢٦٢: ١)
مثله الطَّبْرِي: (٦: ٢١)

الماوردي: يعني القرآن، وفي تمامه أربعة أوجه
محتملة:

أحدها: تمام حُجْجِهِ ودلائله.

والثاني: تمام أحكامه وأوامره.

والثالث: تمام إنذاره بالوعد والوعيد.

والرابع: تمام كلامه واستكمال صورته. (١٦٠: ٢)
الطَّبْرِي: ومعنى «وَتَعَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ» أنها بتمامها
موافقة لما توجه المصلحة، من غير زيادة ولا نقصان.

والسَّام والكمال والاستيفاء نظرًا، وأنَّ جميعه
صدق لا كذب فيه، كما يقال: كمل فلان إذا تمت محاسبته.
وفي الآية دلالة على أن كلام الله محدث، لأنه وصفه
بالتمام والعدل؛ وذلك لا يكون إلا حادثًا. [إلى أن قال:]

الكتاب الفضلك - فلنَّ قوله: «وَأَتَمَّنَاهَا بِعَشْرِ» أي

كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين، كما يقال: تَمَّتْ
العشرة بدرهين وسَلَّمَهَا إليه. (٤: ٥٦٥)

نحوه الطَّبْرِي: (٢: ٤٧٣)

الفَخْرُ الرَّازِي: [طرح سؤالين: الأول: ما الحكمة

في ذكر الثلاثين ثم إتمامها بعشر؟ وأجاب عنه بوجوه:

١- أمر الله بصوم ثلاثين يومًا من ذي القعدة، فلما
أتمها أنكر خلوف فيه فاستاك، فقالت له الملائكة: كَتَا
نَشَمَ من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله
بعشرة أيام أخرى.

٢- أنزل التوراة بعد إتمام الثلاثين فزاده عشرة
أخرى.

٣- إنَّه يادر إلى ميقات ربِّه قبل قومه، فلما أعلمه الله
خير السامري رجوع إلى قومه، تمَّ عاد في عشرة أخرى.

٤- الوعد الأول حضره موسى وحده، والثاني مع
قومه.

والثاني: قوله: «فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» كلام

عار عن الفائدة؟ وأجاب عنه بأنَّه إزالة لتوهم أنَّ
العشرة من تمام الثلاثين هذا ملخص كلامه.]

(١٤: ٢٢٦)

الآلوسي: من قبيل الفضلك لما تقدَّم، وكانَّ التكتة
في ذلك أنَّ إتمام الثلاثين بعشر يحتمل المعنى المتبادر،
وهو ضمُّ عشرة إلى ثلاثين لتصبح بذلك أربعين.

ويحتمل أنها كانت عشرين فتعتَّ بعشرة ثلاثين،

كما يقال: أتممت العشرة بدرهين، على معنى لولا
الدَّرهان لم تصر عشرة؛ فلدفَع توهم الاحتمال الثاني

من حيث كونها خبراً. وأما تمامها عدلاً فن حيث كونها جزاءً للكافرين المعاندين للحق بما يستحقون، وللمؤمنين المهتدين بما يستحقون، وإن كانوا بمقتضى الفضل يزدادون.

وإذا كانت هذه الآية نزلت بمكة قبل نصر الله تعالى نبيه على طغاة قومه في بدر وغيرها فالفعل الماضي فيها (تَشَتَّتَ) بمعنى المستقبل، فهو لتحقق وقوعه كأنه وقع. وهذا من ضروب المبالغة البليغة.

وفيه وجه آخر: وهو أن المراد بالخبر هنا لازمه، وهو تأكيد ما تضمنته هذه الآيات من تسلية النبي ﷺ عن كفر هؤلاء المعاندين، وإيذائهم له ولأصحابه، وإيثاق الطامعين من المسلمين في إيمانهم بإيمانهم الآيات المقترحة، كأنه يقول: كما أن سني مضت بأن يكون للرسول أعداء من شياطين الإنس والجن قد تمت كلمتي بنصر المرسلين، وخذلان هؤلاء الأعداء الطغاة المفسدين. (٨: ١٢)

القراءتي: وتام الشيء، كما قال الزاغب: انتباهه إلى حد لا يحتاج معه إلى شيء خارج عنه، وتامها هنا: أنها كافية وافية في الإعجاز والدلالة على صدق الرسول ﷺ. (٨: ٨)

مثله المجازي. (٨: ٥) الطبائبي: [بعد بيان المراد من الكلمة قال:] فالمراد بتمام الكلمة - والله أعلم - بلوغ هذه الكلمة، أعني ظهور الدعوة الإسلامية بنوّة محمد ﷺ، ونزول الكتاب المهيم على جميع الكتب، مرتبة النبوت واستقرارها في مستقر التحقق، بعد ما كانت تسير دهرًا

ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أنها أتت شيئاً بعد شيء حتى كملت. (٤: ٢٦٧) ابن عطية: (تَمَّتْ) في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت في الأزل صدقاً وعدلاً، وليس بتمام من نقص، ومثله ما وقع في كتاب السيرة من قولهم: وتم حمزة على إسلامه، في الحديث مع أبي جهل. (٢: ٣٣٧) الطبرسي: أي كملت على وجه لا يمكن أحداً الزيادة فيه والتقصان منه. (٢: ٣٥٤) الفخر الرازي: اعلم أن هذه الآية تدل على أن كلمة الله تعالى موصوفة بصفات كثيرة:

الصفة الأولى: كونها تامة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾. وفي تفسير هذا التمام وجوه: الأول: ما ذكرنا أنها كافية وافية، بكونها معجزة دالة على صدق محمد عليه الصلاة والسلام. والثاني: أنها كافية في بيان ما يحتاج المكلفون إليه إلى قيام القيامة، عملاً وعلماً.

والثالث: أن حكم الله تعالى هو الذي حصل في الأزل، ولا يحدث بعد ذلك شيء، فذلك الذي يحصل في الأزل هو التمام، والزيادة عليه متممة.

وهذا الوجه هو المراد من قوله ﷺ: «جفت القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة». (١٣: ١٦٠)

نحوه الثيسابوري (٨: ٩)، والبروسوي (٣: ٩٠). البَيْضَاوِيُّ: سلفت النباة أخباره وأحكامه ومواعيده. (١١: ٣٢٨)

مثله الشربيني. (١: ٤٤٦) رشيد رضا: أما تمامها صدقاً فهو وقوع مضمونها

﴿جِدْقًا وَعَدْلًا﴾. (٧: ٣٢٩)

محمد حسنين مخلوف: أي كمل كلامه تعالى وهو القرآن. وبلغ الغاية، صادقًا في أخباره، عادلًا في أحكامه. (١١: ٢٣٨)

٢-...وَقَدْ كَلِمَتْ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا ضَبَرُوا...
الأعراف: ١٣٧

مجاهد: المعنى ماسبق لهم في علمه وكلامه في الأزل، من التجارة من عدوهم والظهور عليه.

(أَبُو حَيَّانَ ٤: ٣٧٦)

الماوردي: فيها قولان:

أحدهما: أن تمام كلمة الحسنى: ما وعدهم من هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، بقوله: ﴿وَعَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ الأعراف: ١٢٩، وسماها (الحسنى) لأنه وعد بما يمجون.

والثاني: وهو قوله تعالى: ﴿وَتَبَرُّدُ أَنْ تَسْمُرَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَافَلَهُمْ إِمْنَةً وَ...﴾
القصص: ٥. (٢: ٢٥٤)

الطوسي: وقوله: ﴿وَقَدْ كَلِمَتْ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعني صح كلامه بإنجاز الوعد الذي تقدم بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، وإنما كان الإنجاز تام للكلام تمام التعمه به. (٤: ٥٥٩)
مثله الطبرسي. (٢: ٤٧٠)

الرؤمخشري: ومعنى تمت على بني إسرائيل: مضت عليهم واستمرت، من قولك: تم على الأمر. إذا مضى عليه. (٢: ١٠٩)

طويلاً في مدارج التدرج بنبوة بعد نبوة وشريعة بعد شريعة، فإن الآيات الكريمة دالة على أن الشريعة الإسلامية تتضمن جل ما تقدمت عليه من الشرائع، وتريد عليها بما ليس فيها، بقوله تعالى: ﴿وَشَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ الشورى: ١٣.

وبذلك يظهر معنى «تمام الكلمة» وأن المراد به انتهاء تدرج الشرائع من مراحل التقص إلى مرحلة الكمال، ومصداقه الذين هم المحدثي، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُبْدِئُ سُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» الصف: ٨، ٩.

وتام هذه الكلمة الإلهية (جِدْقًا) هو أن يصدق القول بتحقيقها في الخارج، بالصفة التي بين بها، (وَعَدْلًا) أن تتصف بالتبسيط على سواء، فلا يتخلف بعض أجزائه عن بعض، وتزن الأشياء على النحو الذي من شأنها أن توزن به من غير إغسار أو حيف وظلم، ولذلك بين هذين القيدين، أعني (جِدْقًا وَعَدْلًا) بقوله: ﴿لَا مَبْدَأَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

فإن الكلمة الإلهية إذا لم تقبل تبديلاً من مبدل سواء كان المبدل هو نفسه تعالى، كأن ينقض ما قضى بتبدل إرادة، أو يخلف ميعاده، أو كان المبدل غيره تعالى، كأن يعجزه غيره ويفهره على خلاف ما يريد، كانت كلمته (جِدْقًا) تقع كما قال، (وَعَدْلًا) لانتحرف عن حالها التي كانت عليها وصفاً للذي وصف به؛ فالجملة أعني قوله: ﴿لَا مَبْدَأَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بمنزلة التعليل يعلل بها قوله:

مثلته الشَّيْءُ (٢: ٧٣)، وأبو حيان (٤: ٣٧٦).

الفَخْرُ الرَّازِي: [نحو ما تقدم عن الرُّعْشَرِيِّ
والطُّوسِي] (١٤: ١٢٢)

مثلته النِّسَابُورِيُّ (٩: ٣٧)، والشَّرْبِينِيُّ (١: ٥١٠).

البُرُوسِيُّ: وتماها [الكلمة]: مضتها وانتهأها
إلى الإجماز، لأنَّ العدة بالشيء التزام لإيقاعه بالعبارة
واللسان، وتماها لا يكون إلا بوقوع الموعود في الخارج
والعيان. (٣: ٢٢٤)

الآلُوسِيُّ: أي مضت عليهم واستمرت من قولهم:
مضى على الأمر، إذا استمر. [إلى أن قال:]

وقيل: المراد بها علمه تعالى الأزلي، والمعنى مضى
واستمرت عليهم ما كان مقدراً من إهلاك عدوهم
وتوريثهم الأرض. (٩: ٣٨)

رشيد رضا: تمام الشيء: وصوله إلى آخر حده.
وكلمة الله: وعده لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم
واستخلافهم في الأرض.

وفي مجاز «الأساس»: وتمَّ على أمر: مضى عليه،
وتمَّ على أمرك، وتمَّ إلى مقصدك.

والمعنى نفذت كلمة الله ومضت على بني إسرائيل
تامة كاملة، بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها
من فرعون وقومه، إذ كان وعد الله تعالى إيتائهم بما
وعدهم مقروناً بأمرهم بالصبر والاستعانة به والتقوى
له، كما أمرهم نبيهم ﷺ تليفاً عنه تعالى. (٩: ١٠٠)

الطَّبَاطِبَائِيُّ: يريد به ما قضاه في حقهم أنه
سيورثهم الأرض ويملك عدوهم، وإليه إشارة
موسى ﷺ في قوله لهم وهو يسلمهم ويؤكد رجاءهم:

﴿عَلَىٰ ذِكْكُمْ أَن يُبَلِّغَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي
الْأَرْضِ﴾ الأعراف: ١٢٩، ويشير سبحانه إليه في قوله:
﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ...﴾
القصاص: ٥.

وتام الكلمة: خروجها من مرحلة القوة إلى مرحلة
الفعالية، وعُلِّل ذلك بصبرهم. (٨: ٢٢٨)

٣- إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

هود: ١١٩

ابن عباس: وجب قول ربك. (الطَّبْرِسِيُّ ٣: ٢٠٤)
نحو البُرُوسِيِّ.

الحسن: مضى حكم ربك. (الطَّبْرِسِيُّ ٣: ٢٠٤)
الشَّريف الرُّضِيُّ: وهذه استعارة، والمراد هاهنا
بتام كلمة الله سبحانه: صدق وعيده الذي تقدم الخبر به،
وتام وقوع خبره مطابقاً لخبره. (تلخيص البيان ١٦٨)

ابن عَطِيَّة: أي نفذ قضاؤه وحقَّ أمره. (٣: ٢١٦)
الطَّبْرِسِيُّ: أي وصل وحيه ووعيده الذي لاخلف
فيه بتامه إلى عبادته. (٣: ٢٠٤)

الْقُرْطُبِيُّ: معنى (تَمَّتْ) ثبت ذلك كما أخبر وقدَّر
في أزله، وتام الكلمة: امتناعها عن قبول التخيير
والتبديل. (٩: ١١٥)

الآلُوسِيُّ: أي أحكمت وأبرمت. (١٢: ١٦٩)
نحو القاسمي.

معتمد حسنين مغلوف: وجب حكمه وقضاؤه
الأزلي. (١: ٣٧٧)

إبراهيم ونصب ربه. [إلى أن قال:]

والمستكن في (فَأَتَشَهُنَّ) في إحدى القراءتين
لـ(الزَّهِيمِ) بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن
التأدية، من غير تقييد وتوان، ونحوه: ﴿وَالزَّهِيمِ الَّذِي
وَقَى﴾ التجم: ٣٧، وفي الأخرى لله تعالى، بمعنى فأعطاه
ماطلبه لم ينقص منه شيئاً. (٣٠٩: ١)

مثله الضَّحَاكُ الرَّازِي (٤: ٤٣)، والتَّسْنِي (١: ٧٣)،
والتَّيْسَابُورِي (١: ٤٣٧)، ونحوه التَّيْسَابُورِي (١: ٨٠)،
والمُحَازَن (١: ٨٩)، وأبو السُّعُود (١: ١٩٣)، والبرُّوسِي (١: ٢٢١).

أَبُو حَتَّى: (فَأَتَشَهُنَّ) الضمير المستكن في
﴿فَأَتَشَهُنَّ﴾ يظهر أنه يعود إلى الله تعالى، لأنه هو
المسند إليه الفعل قبله، على طريق الفاعلية،
(فَأَتَشَهُنَّ) مطوف على (أَتَشَهُنَّ) فالمناسب التطابق
في الضمير.

وعلى هذا فالمعنى، أي أكلهن له من غير نقص، أو
يتبنين، والبيان به يتم المعنى ويظهر، أو يتر له العمل
بهن، وقوّاه على إقامتهن، أو أتم له أجورهن، أو أدامهن
شنة فيه وفي عقبه إلى يوم الدين، أقوال خمسة.

ويحتمل أن يعود الضمير المستكن على (الزَّهِيمِ)،
فالمعنى على هذا: أدامهن أو أقام بهن قاله الضَّحَاكُ، أو
عمل بهن قاله يان، أو وقى بهن قاله الزبيح، أو أداهن
قاله قتادة. خمسة أقوال تقرب من الترادف، إذ محصلها
أنه أتى بهن على الوجه المأمور به. (٣٧٦: ١)

الآلُوسِي: الضمير المنسوب للكلمات لا غير،
والمرفوع المستكن يحتمل أن يعود لـ(الزَّهِيمِ) وأن يعود

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَشَهُنَّ قَالَ إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا... البقرة: ١٢٤

ابن عباس: أي فأداهن. (الطَّبْرِي: ١: ٥٢٩)
مثله قَتَادَةُ.

الضَّحَاكُ: أقام بهن. (أَبُو حَتَّى: ١: ٣٧٦)
الحسن: وقى بهن. (الطُّوسِي: ١: ٤٤٦)

مثله الزبيح. (أَبُو حَتَّى: ١: ٣٧٦)
قَتَادَةُ: أي عمل بهن فأتتهن. (الطَّبْرِي: ١: ٥٢٩)

مثله الزبيح (الطُّوسِي: ١: ٤٤٦)، وابن أبي اليان
(أَبُو حَتَّى: ١: ٣٧٦)، والفراء (١: ٧٦)، وابن قُتَيْبَةَ (١: ٦٣).

الطَّبْرِي: فَأَتَمَّ إِبْرَاهِيمَ الْكَلِمَاتِ، وإقامه إِيَّاهُنَّ:

إكمال إِيَّاهُنَّ بالقيام به بما أوجب عليه فيهن، وهو الوفاء
الذي قال الله جل ثناؤه: ﴿وَالزَّهِيمِ الَّذِي وَقَى﴾ التجم:

٣٧، يعني وقى بما عهد إليه بالكلمات، فأمره به من
فرائض وعنه فيها. (١: ٥٢٨)

الطُّوسِي: قال البلخي: الضمير في (أَتَشَهُنَّ)

راجع إلى الله، وهو اختيار الحسين بن علي المغربي.

قال البلخي: الكلمات هي الإمامة على ما قال

جُحَايد: قال: لأنَّ الكلام متصل، ولم يفصل بين قوله:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ البقرة: ١٢٤، وبين

ما تقدمه به (واو)، فَأَتَمَّتْهُنَّ اللهُ أَنْ أَوْجِبَ بِهَا الْإِمَامَةَ لَهُ
بطاعته، واخطأه، ومنع أن ينال العهد الظالمين من
فَرْيَتِهِ.

الزَّمَخْشَرِيُّ: وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه، وهي
قراءة ابن عباس رضي الله عنها: (الزَّهِيمِ رَبُّهُ) ورفع

(١: ٤٦)

الَّذِي وَثَّقَ التَّجْم: ٣٧.

لِذِيهِ) عَلَى كُلِّ مَنْ قَرَأَ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصَبِ، فَهَذَا أَرْبَعَةُ
احْتِمَالَاتٍ:

أَتَمَّمْتُ

...أَتَمَّمْتُ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا. المائدة: ٣

ابن عباس: إتمام النعمة: منع المشركين من الحج.

مثله ابن جُبَيْرٍ وَفَتَاةٌ. (أَبُو حَتَّى ٣: ٤٢٦)

السُّدِّيُّ: هُوَ الْإِظْهَارُ عَلَى الْعَدُوِّ. (أَبُو حَتَّى ٣: ٤٢٦)

ابن زَيْدٍ: بِالْمَدَائِدِ إِلَى الْإِسْلَامِ. (أَبُو حَتَّى ٣: ٤٢٦)

الطُّوسِيُّ: خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ أَتَمَّ

نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمُ الْمُشْرِكِينَ، وَنَفَيْهِمْ

عَنْ بِلَادِهِمْ، وَقَطْعَهُ طَهُمَهُمْ مِنْ رَجُوعِ الْمُؤْمِنِينَ،

وَعُودِهِمْ إِلَى مِلَّةِ الْكُفْرِ، وَانْفِرَادِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَجِّ وَالْبَلَدِ

الْحَرَامِ. (٣: ٤٢٦)

الرُّمَّحُشَرِيُّ: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بِفَتْحِ

مَكَّةَ، وَدَخُولِهَا أَمْنِينَ ظَاهِرِينَ، وَهَدْمِ مَنَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَمَنَاسِكِهِمْ، وَأَنْ لَمْ يَحْجَّ مَعَكُمْ مَشْرُوكٌ، وَلَمْ يَلْجَأْ بِالْبَيْتِ

عَرِيَانٍ، وَأَقَمَّتْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِإِكْمَالِ أَمْرِ الَّذِينَ

وَالشَّرَائِعِ، كَأَنَّهُ قَالَ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقَمْتُ

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا نِعْمَةَ أَتَمَّ مِنْ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ.

(١: ٥٩٣)

نَحْوُهُ التَّنَوُّيُّ (١: ٢٧٠)، وَالتَّيْسَابُورِيُّ (٦: ٤٠)

الطُّوسِيُّ: [نَحْوُ الطُّوسِيِّ وَأَضَافَ:]

قِيلَ: مِنْهَا أَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بِأَنْ أُعْطِيْتُمْ مِنْ

الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ يَطْعُ قَبْلَكُمْ نَبِيٌّ وَلَا أُمَّةٌ. وَقِيلَ: إِنَّ تَامَ

النِّعْمَةُ دَخُولُ الْجَنَّةِ. (٢: ١٥٩)

الأَوَّلُ: عُدُّهُ عَلَى (الْإِزْهِيمِ) مَنْصُوبًا، وَمَعْنَى

(أَتَمَّمْتُ) حَيْثُ: أَتَى بَيْنَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَخْتَمِ، وَأَدَاكَ كَمَا
يَلِيقُ.

الثَّانِي: عُدُّهُ عَلَى (رَبِّهِ) مَرْفُوعًا، وَالْمَعْنَى حَيْثُ:

يَسَّرَ لَهُ الْعَمَلَ بَيْنَ وَقَوَاهُ عَلَى إِيْقَامِهِمْ أَوْ أَتَمَّ لَهُ أَجُورَهُنَّ،

أَوْ أَدَامَهُنَّ سَنَةً فِيهِ وَلِي عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الثَّالِثُ: عُدُّهُ عَلَى (الْإِزْهِيمِ) مَرْفُوعًا، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ:

أَتَمَّ إِبْرَاهِيمَ الْكَلِمَاتِ الْمَدْعُوبَةِ، بِأَنْ رَاعَى شُرُوطَ

الْإِجَابَةِ فِيهَا، وَلَمْ يَأْتْ بِعَدَا بِمَا يَضِيحُهَا.

الرَّابِعُ: عُدُّهُ إِلَى (رَبِّهِ) مَنْصُوبًا، وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ

فَاعْطَى سُبْحَانَهُ (الْإِزْهِيمِ) جَمِيعَ مَا عَادَهُ.

وَأَظْهَرَ الْاحْتِمَالَاتِ الْأَوَّلَ وَالرَّابِعَ: إِذِ التَّمَدُّحُ غَيْرُ

ظَاهِرٍ فِي الثَّانِي، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ حَذْفِ الْمُضَافِ عَلَى أَحَدِ

مَحْتَمَلَاتِهِ، وَالِاسْتِعْمَالُ الْمَأْلُوفُ غَيْرُ مُتَّبِعٍ فِي الثَّالِثِ، لِأَنَّ

الْفِعْلَ الْوَاقِعَ فِي مَقَابِلَةِ الْاِخْتِبَارِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِعْلُ

الْمُخْتَبَرِ اسْمَ مَفْعُولٍ. (١: ٣٧٤)

الْعُبَّاطِيَّيْنِ: [بَعْدَ بَيَانِ الْمُرَادِ مِنَ الْكَلِمَاتِ قَالَ:]

وَأَمَّا إِيْقَامُهُمْ فَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

(فَأَتَمَّمْتُ) رَاجِعًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، كَانَ مَعْنَى إِيْقَامَهُمْ

إِيْقَامَتَهُمْ مَا أُرِيدَ مِنْهُ، وَامْتِنَالُهُ لِمَا أُمِرَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ

الضَّمِيرُ رَاجِعًا إِلَيْهِ تَعَالَى - كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ - كَانَ الْمُرَادُ

تَوْفِيقَهُ لِمَا أُرِيدَ مِنْهُ، وَمُسَاعَدَتَهُ عَلَى ذَلِكَ. (١: ٢٧٠)

مُحَمَّدٌ حَسَنِينَ مَخْلُوفٌ: أَتَى بَيْنَ عَلَى الْوَجْهِ

الْأَكْمَلِ، وَأَدَاكَ كَمَا يَلِيقُ بِهِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِزْهِيمَ

تمام الشيء: انتهؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، والثاقص: ما يحتاج إلى شيء خارج عنه.

ولك أن تحصل على تشخيص معنى اللفظين من طريق آخر، وهو أن آثار الأشياء التي لها آثار على ضربين: فضرب منها ما يترتب على الشيء عند وجود جميع أجزائه - إن كان له أجزاء - بحيث لو فقد شيئاً من أجزائه أو شرائطه لم يترتب عليه ذلك الأمر، كالصوم فإنه يفسد إذا أخل بالإمساك في بعض النهار، ويستوى كون الشيء على هذا الوصف بالتمام، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ آمَنُوا الْقِسْمُ إِلَى الثَّلَاثِ﴾ البقرة: ١٨٧، وقال: ﴿وَوَقَّتْ لِكَلِمَةٍ زَكَرَكَ جِدْقًا وَعَذْلًا﴾ الأنعام: ١١٥.

وضرب آخر: الأثر الذي يترتب على الشيء من غير توقف على حصول جميع أجزائه، بل أثر المجموع كجميع آثار الأجزاء، فكلما وجد جزء ترتب عليه من الأثر ما هو بحسبه، ولو وجد الجميع ترتب عليه كل الأثر المطلوب منه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِسْمًا فَلَقَهُ آثَامٌ فِي الْحَجِّ وَسَبْقَةٌ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى عَشْرَةِ تِمَالِكَةٍ﴾ البقرة: ١٩٦، وقال: ﴿وَلْيُكْلُوا ذُرِّيَّةً﴾ البقرة: ١٨٥، فإن هذا العدد يترتب الأثر على بعضه كما يترتب على كله، ويقال: تم لفلان أمره وكمل عقله، ولا يقال: تم عقله وكمل أمره.

وأما الفرق بين الإكمال والتكامل، وكذا بين الإتمام والتشميم، فإنما هو الفرق بين بابي الإفعال والتفصيل، وهو أن «الإفعال» بحسب الأصل يدل [على] الذقة، و«التفصيل» على التدرج وإن كان التوسع الكلامي أو التطور اللغوي ربما يتصرف في البابين، بتحويلها إلى

الفخر الرازي: ومعنى ﴿وَوَقَّتْ عَلَيْكُمْ نَفْسِي﴾ بإكمال أمر الدين والسرعة، كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بسبب ذلك الإكمال، لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام. [إلى أن قال:] فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد بإتمام النعمة جعلهم قاهرين لأعدائهم، أو المراد به جعل هذا الشرع بحيث لا يطرأ إليه نسخ؟

قلنا: أما الأول: فقد عرفت بقوله: ﴿وَالْيَوْمَ يَنْشُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ المائدة: ٣، فحمل هذه الآية عليه أيضاً يكون تكريراً.

وأما الثاني: فلأن إبقاء هذا الدين لما كان إتماماً للنعمة وجب أن يكون أصل هذا الدين نعمة لا محالة، فثبت أن دين الإسلام نعمة. (١١: ١٣٩)

القرطبي: أي بإكمال الشرائع والأحكام وإظهار دين الإسلام كما وعدتكم؛ إذ قلت: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ نَفْسِي﴾ عَلَيْكُمْ البقرة: ١٥٠، وهي دخول مكة آمنتين مطمئنتين، وغير ذلك مما انتظمت هذه الملة الحنيفية إلى دخول الجنة، في رحمة الله تعالى. (٦٢: ٦)

نحوه أبو حيان.

الأوسمي: [نحو الرُّعَشَرِيِّ وأضاف:]

وقيل: بإتمام الهداية، والتوفيق بإتمام سببها.

وقيل: بإكمال الدين.

وقيل: معنى ﴿وَوَقَّتْ عَلَيْكُمْ نَفْسِي﴾ أعجزت لكم وعدي. (٦١: ٦)

الطُّبَّاطِبَائِي: الإكمال والإتمام متقارباً المعنى، قال الزَّائِب: كمال الشيء: حصول ما هو الغرض منه. وقال:

مايمد من مجري الجرد أو من أصلها، كالإحسان والتحسين، والإصداق والتصدق، والإمداد والتמיד، والإفراط والتفريط، وغير ذلك. فإنما هي معان طرأت بحسب خصوصيات الموارد، ثم تمكنت في اللفظ بالاستعمال.

وينتج ما تقدم أن قوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وأنعمت عليكم يعني، يفيد أن المراد بالدين هو مجموع المعارف والأحكام المشرفة، وقد أضيف إلى عددها اليوم شيء، وأن النعمة أيًا ما كانت أمر معنوي واحد، كأنه كان ناقصًا غير ذي أثر فتتم، وترقب عليه الآخر المتوقع منه.

المُصْطَفَوِيُّ: فالذين كان تمامًا قبل الولاية، وبها كمل وزيد له نور على نور، ولم يكن مستحسنًا أن يبق الذين ناقصًا.

وأما النعم الإلهية الموجبة للتتم، والدخلية في النعمة في الحياة، فالقدر اللازم منها في عيشهم وحياتهم كان موجودًا؛ وبالولاية قد تم العيش والسعادة ظاهرًا ومبنيًا، كما قال تعالى: ﴿وَبِئْرَبِّكَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَغُوبٍ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ﴾ يوسف: ٦، ﴿وَلَا نُمِرُّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٠، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُظْهِرَكُمْ وَيُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ٦، يريد إتمام النعمة المتعلقة عليهم، أي بالنسبة إلى اقتضاء استعداداتهم وظرفية وجودهم.

يُسَمَّى
١... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُفْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ

لِيُظْهِرَكُمْ وَيُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. المائدة: ٦
الطُّوسِي: ويريد الله مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه، فيما فرض عليكم من الوضوء والتَّسْلُّ إذا قُتِرَ إلى الصَّلَاةِ مع وجود الماء، والتَّيَمُّ مع عدمه، أن يتم نعمته بإباحته لكم التَّيَمُّ، وتصييره لكم الصَّعِيد الطَّيِّب طهورًا، رخصة منه لكم في ذلك، مع سوابغ نعمه التي أنعم بها عليكم.

الرَّمْضَشَرِيُّ: وليتم برخصه إنعامه عليكم بزمائه.

الفَخْرُ الرَّازِي: ففيه وجهان:

الأوَّل: أن الكلام متعلق بما ذكر من أوَّل السُّورة إلى هنا؛ وذلك لأنَّه تعالى أنعم في أوَّل السُّورة بإباحة الطَّيِّبَات من المطاعم والمناكح، ثم إنَّه تعالى ذكر بعده كيفية فرض الوضوء، فكأنَّه قال: إنما ذكرت ذلك لتتم النعمة المذكورة أوَّلًا وهي نعمة الدنيا، والنعمة المذكورة ثانيًا وهي نعمة الدين.

الثَّاني: أن المراد وليتم نعمته عليكم أي بالترخص في التَّيَمُّ والتَّخْفِيف في حال السُّفر والمرض، فاستدلوا بذلك على أنه تعالى يخفف عنكم يوم القيامة، بأن يغفر عن ذنوبكم ويتجاوز عن سيئاتكم.

أَبُو حَيَّان: [نحو الرَّمْضَشَرِيِّ والفَخْرُ الرَّازِي] وأضاف:

وقيل: تبيين الشرائع وأحكامها، فيكون مؤكدًا لقوله: ﴿وَأَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ المائدة: ٣، وقيل: بغفران ذنوبهم.

وفي الخبر تمام النعمة: بدخول الجنة، والتَّجَاة من

التار.

(٤٣٩: ٣)

الطوسي: فإقام النعمة هو أن يحكم بدوامها على إخلاصها من شائب بها، فهذه النعمة الثامنة بخلوصها مما يُفحصها، ولا تطلب إلا من الله تعالى، لأنه لا يقدر عليها سواه.

البزوصوي: بشرحه ماهو مُطهرة لأبدانكم ومُكررة لذنوبكم (يُثَمِّنُهُ عَلَيْكُمْ) في الدين.

أو ليتهم برخصته إنعامه عليكم بهزائه. والرخصة: ما شرع بناء على الأعذار، والزمية: ما شرع أصالة.

(٣٥٧: ٢)

وقوله: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ﴾ إخبار من يعقوب ليوسف أن الله تعالى يديم عليه هذه النعمة، كما أدامها على أبويه قبله إبراهيم وإسحاق، واصطفاه إياهما وجعله لهما نبين رسولين إلى خلقه.

(٨٢: ٦)

مثله الآكوسي.

الزمخشري: ومعنى إتمام النعمة عليهم: أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات السُلى في الجنة.

٢... وَيُثَمِّنُهُ يَفْعَلُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَلِ يَفْقُوبُ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ يوسف: ٦

وقيل: أتمها على إبراهيم بالخلعة والإحجام من النار وعن ذبح الولد، وعلى إسحاق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم، وإخراج يعقوب والأسباط من صلبه.

عِكْرَمَة: فنعمة على إبراهيم أن نجّاه من النار، وعلى إسحاق أن نجّاه من الذبح. (الطبري: ١٢: ١٥٤) الحسن: هذا شيء أعلمه الله يعقوب من أنه سيُعطي يوسف النبوة. (أبو حيان: ٥: ٢٨١)

(٣٠٣: ٢)

مُقَاتِل: بإعلاء كلمتك وتحقيق رؤياك.

نحوه البضاوي (١: ٤٨٧)، والنسفي (٢: ٢١٣).

(المازدي: ٣: ٨)

الطبري: بالنبوة، لأنها منتهى نعم الدنيا [ثم ذكر مثل الطوسي وأضاف:]

الطبري: باجتنابه إياك، واختياره وتعليمه إياك تأويل الأحاديث ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ﴾ بالتحاذه هذا خليلاً، وتجنّبه من النار، وفدية هذا بذبح عظيم.

(١٢: ١٥٤)

وقيل: معناه ويتم نعمته عليك بأن يمجج إخوانك إليك حتى تتم عليهم، بعد إساءتهم إليك.

المازدي: فيه وجهان:

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ﴾ أي كما أتم النعمة على إبراهيم بالخلعة والنبوة والتجاة من النار، وعلى إسحاق بأن فداه عن الذبح بذبح عظيم، عن عِكْرَمَة، وقال: إنه الذبيح.

أحدها: باختيارك للنبوة. الثاني: [قول مُقَاتِل وقد تقدّم]

وفيه وجه ثالث: أن أخرج إخوانه إليه حتى أنعم عليهم بعد إساءتهم إليه.

(٣: ٨)

وقيل: بإخراج يعقوب وأولاده من صلبه عن أكثر

المفسرين، قالوا: وليس هو الذَّبِيح، وإنما الذَّبِيح إسماعيل. (٣: ٢١)

الفَخْرُ الرَّازِي: واعلم أنَّ من فسر الاجتباء بالنبوة لا يمكنه أن يفسر إقام النعمة هاهنا بالنبوة أيضاً، وإلا لزم التكرار، بل يفسر إقام النعمة هاهنا بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة.

أما سعادات الدنيا: فالإكتثار من الأولاد والمخدم والأتباع، والتوسع في المال والجاه والحشم، وإجلاله في قلوب الخلق وحسن الثناء والمحمد.

وأما سعادات الآخرة: فالعلوم الكثيرة، والأخلاق الفاضلة، والاستغراق في معرفة الله تعالى.

وأما من فسر الاجتباء بنيل الدرجات العالية، فهاهنا يفسر إقام النعمة بالنبوة، ويتأكد هذا بأمر:

الأول: أنَّ إقام النعمة عبارة عما به تصير النعمة تامة كاملة خالية عن جهات النقصان. وماذا في حق البشر إلا بالنبوة، فإن جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبة إلى كمال النبوة، فالكمال المطلق والتسام المطلق في حق البشر ليس إلا النبوة.

والثاني: قوله: ﴿كُنَّا أَقْنَمًا عَلَىٰ أَنْبِيَاكُمْ مِنْ قَبْلُ يُرْجِيهِمْ وَاسْمُهُمْ﴾ ومعلوم أنَّ النعمة التامة التي بها حصل امتياز إبراهيم وإسماعيل عن سائر البشر ليس إلا النبوة، فوجب أن يكون المراد بإقام النعمة هو النبوة.

واعلم أننا لما فسرنا هذه الآية بالنبوة لزم الحكم بأن أولاد يعقوب كلهم كانوا أنبياء، وذلك لأنه قال: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ نَفَقَةً غَيْرَ مَسْئُولٍ﴾ وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لكل يعقوب، فلما كان المراد من إقام النعمة هو

النبوة لزم حصولها لكل يعقوب ترك العمل به في حق من عدا أبناءه، فوجب أن لا يتيق معمولاً به في حق أولاده. [إلى أن قال:]

القول الثاني: أنَّ المراد من قوله: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ نَفَقَةً غَيْرَ مَسْئُولٍ﴾ خلاصه من المحن، ويكون وجه التشبيه في ذلك بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هو إنعام الله تعالى على إبراهيم بإنجائه من النار، وعلى ابنه إسماعيل بتخليصه من الذبح. والقول الثالث: أنَّ إقام النعمة وصل نعمة الله عليه في الدنيا بنعمة الآخرة، بأن جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة.

واعلم أنَّ القول الصحيح هو الأول، لأن النعمة التامة في حق البشر ليست إلا النبوة، وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة إليها.

نحوه الشَّابُورِيُّ (١٢: ٨٣)، والشَّارِبِيُّ (١: ٩٠)، القُرْطُبِيُّ: أي بالنبوة. وقيل: بإخراج إخوتك إليك. وقيل: بإنجائك من كل مكروه، ﴿كُنَّا أَقْنَمًا عَلَىٰ أَنْبِيَاكُمْ﴾ والحلَّة، وإنجائه من النار. (٩: ١٢٩)

أبو حنبلان: [ذكر مثل الزُّنْزَرِيِّ وأضاف:]

وقيل: بأن يحوج إخوتك إليك، فتقابل الذنب بالنعمان، والإساءة بالإحسان. (٥: ٢٨١)

أبو الشعثود: بأن يضم إلى النبوة الاستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تنبؤ لها، وتوسيط ذكر التحليم المذكور بينها لكونه من لوازم النبوة والاجتباء، ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي، ولما أشرنا إليه من كون أثره وسيلة إلى تمام النعمة.

ويجوز أن يُمد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه،

مطوفاً عليه؛ إذ قال: ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...﴾ كما يدلُّ عليه الرؤيا؛ إذ رأى يوسف نفسه مسجوداً له، ورأى آل يعقوب في هيئة الشمس معها القمر وأحد عشر كوكباً سجدوا له.

وقد ذكر الله تعالى بما أتمَّ به النعمة على يوسف ﷺ أَنَّهُ أَنَاهُ الْحَكَمَ وَالنَّبُوَّةَ وَالْمُلْكُ وَالْعِزَّةَ فِي مِصْرَ، مضافاً إلى أن جعله من المخلصين، وعلمه من تأويل الأحاديث، وبما أتمَّ به النعمة على آل يعقوب أَنَّهُ أَفْرَزَ عَيْنَ يَعْقُوبَ بَابْنِهِ يَوْسُفَ ﷺ، وجاء به وبأهله جميعاً من البدو، ورزقهم الحضارة بنزول مصر.

وقوله: ﴿كَتَبْنَا أَنفَاهُ عَلَى أَوْتَارِكٍ﴾ أي ظهير ما أتمَّ النعمة من قبل على إبراهيم وإسحاق، وهما أبواك، فإنه آتاهما خير الدنيا والآخرة، فقوله: (مِنْ قَبْلِ) مستلَقٌ بقوله: (أَنفَاهُ)، وربما احتمل كونه ظرفاً مستقراً، وصفاً لقوله: (أَوْتَارِكٍ)، والتقدير كما أنفاه على أبويك الكائنين من قبل. [إلى أن قال:]

والتدبر في الآية الكريمة يُطَيِّ:

أَوَّلًا: أَنَّ يَعْقُوبَ أَيْضًا كَانَ مِنَ الْمَخْلُصِينَ.

وثانيًا: أَنَّ جَمِيعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ يَعْقُوبَ ﷺ مُطَبَّقٌ عَلَى مَتْنِ مَا رَأَى يَوْسُفَ ﷺ مِنَ الرُّؤْيَا.

وثالثًا: أَنَّ الْمُرَادَ بِإِقَامِ النِّعَةِ تَعْقِيبُ الْوَلَايَةِ، بَرَفْعِ سَائِرِ نَوَاقِصِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ، وَضَمِّ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، وَلِاتِّسَافِ بَيْنِ نِسْبَةِ إِقَامِ النِّعَةِ إِلَى الْجَمِيعِ وَبَيْنِ اخْتِصَاصِ الاجْتِنَابِ، وَتَعْلِيمِ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ بِيعْقُوبَ وَيُوسُفَ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ، لِأَنَّ النِّعَةَ وَهِيَ الْوَلَايَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالذَّرَجَاتِ مُتَفَاوِتَةٌ الْمَرَاتِبِ؛ وَحَيْثُ نَسَبَتْ إِلَى الْجَمِيعِ

فَيَكُونُ جَمِيعُ النِّعَمِ الْوَاصِلَةُ إِلَيْهِ بِحَسَبِهَا مَصْدَقًا لَهَا، تَامًّا لَتِلْكَ النِّعَةِ. ﴿كَتَبْنَا أَنفَاهُ عَلَى أَوْتَارِكٍ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ، أَيْ وَبِمَ نَعْمَتِهِ عَلَيْكَ إِتِمَامًا كَأَنَّكَ كَاتِمًا نَعْمَتَهُ عَلَى أَبْيُوكَ، وَهِيَ نِعْمَةُ الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ.

وإتمامها على إبراهيم ﷺ بِاتِّخَاذِهِ خَلِيلًا، وَإِجْمَاعًا مِنَ النَّارِ وَمِنْ ذُبْحِ الْوَلَدِ، وَعَلَى إِسْحَاقَ بِإِجْمَاعِهِ مِنَ الذَّبْحِ وَفِدَائِهِ بِذَبْحِ عَظِيمٍ، وَإِخْرَاجِ يَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ مِنْ صُلْبِهِ. وَكُلُّ ذَلِكَ نِعْمٌ جَلِيلَةٌ وَقَعَتْ تَحْتَهُ لِنِعْمَةِ النَّبُوَّةِ، وَلَا يَجِبُ فِي تَحْقِيقِ التَّشْبِيهِ كَوْنُ ذَلِكَ فِي جَانِبِ الْمَشْتَبِهِ بِهِ، مِثْلُ مَا وَقَعَ فِي جَانِبِ الْمَشْتَبِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. (٣: ٣٦٦) - نَحْوَهُ الْبُرُوسِيُّ (٤: ٢١٦)، وَالْأَكُوسِيُّ (١٢: ١٨٦) -

(١٨٨)

رَشِيدٌ رَضَا: بِالنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْمُلْكِ وَالرِّئَاسَةِ.

(١٢: ٢٥٦)

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبُ: وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِئْرٍ نَعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...﴾ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ سَيَخْتَارُهُ لِلنَّبُوَّةِ، وَهَذَا هُوَ قِمَامُ النِّعَةِ، وَكَسَالُهَا لِمَنْ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِهِ، وَكَذَلِكَ سَيَكُونُ إِخْوَتُهُ (آلِ يَعْقُوبَ) أَنْبِيَاءَ كَمَا كَانَ أَبَوَاهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ نَبِيِّينَ.

(٦: ١٢٣٦)

الطَّبَّاعُ بَانِي: فَقَوْلُهُ: ﴿وَبِئْرٍ نَعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ...﴾ يَرِيدُ أَنَّ اللَّهَ أُنْعِمَ عَلَيْكُمْ بِمَا تَسْعُدُونَ بِهِ فِي حَيَاتِكُمْ، لَكِنَّهُ يَتِمُّ ذَلِكَ فِي حَقِّكَ وَفِي حَقِّ (آلِ يَعْقُوبَ) وَهُمْ يَعْقُوبُ وَزَوْجُهُ وَسَائِرُ بَنِيهِ، كَمَا كَانَ رَأَى فِي رُؤْيَا.

وَقَدْ جُمِلَ (يُوسُفَ ﷺ) أَصْلًا وَ(آلِ يَعْقُوبَ)

يأخذ كل منهم نصيبه منها.

نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْلُونَ. التحل: ٨١

الطُوسِي: كما أنعم عليكم بهذه النعم ينعم عليكم بجميع ما تحتاجون إليه، وهو إتمام نعمه في الدنيا. وبين أنه فعل ذلك لتسلموا. (٤١٣: ٦)

نحوه الطُّبْرَسِي: القُرطُبي: قرأ ابن عُثَيْمِينَ وَحُمَيْدَ (تَمَرٍ) بثناء ين (نِعْمَتَهُ) رفعا على أنها الفاعل. الباقون (يُتَمَر) بضم الياء على أن الله هو يتماها. (١٠: ١٦٦)

أبو حَيَّان: أي مثل ذلك الإتمام للنعمة فيما سبق يتَمَر نعمته في المستقبل. وقرأ ابن عباس (تَمَرٍ) بثناء مفتوحة (نِعْمَتَهُ) بالرفع، أسند التمام إليها اتساعا. (٥: ٥٢٤) نحوه الألوَسي.

الطُّبَّاظِي: استعان عليهم بإتمام النعم التي ذكرها، وكانت الغاية المرجوة من ذلك إسلامهم لله عن معرفتها، فإن المترقب المتوقع ممن يعرف النعم وإتمامها عليه أن يسلم لإرادة منعمه، ولا يقابله بالاستكبار، لأن منعا هذا شأنه لا يريد به سوء. (١٢: ٣١٥)

٥ - لِيُظْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ... الفتح: ٢

ابن عباس: إنه بالتيمة والمنفرة.

(ابن الجوزي ٧: ٤٢٣)

في الجنة. (القرطبي ١٦: ٢٦٣)

أبو سليمان الدمشقي: بإظهار دينك على سائر الأديان. (ابن الجوزي ٧: ٤٢٣)

الطُّبْرَسِي: بإظهاره إيتاك على عدوك، ورفعه ذكر

على أن من الجائز أن يُنسب أمر إلى المجموع باعتبار اشتغاله على أجزاء بعضها قائم بمعنى ذلك الأمر، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَزَوَّجْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الجانية: ١٦. ولبناء الكتاب والحكم والنبوَّة مختص ببعضهم دون جميعهم. بخلاف الرزق من الطَّيِّبَات.

ورابعا: أن يوسف كان هو الوسيلة في إتمام الله سبحانه نعمته على آل يعقوب، ولذلك جعله يعقوب أصلا في الحديث، وعطف عليه غيره حتى ميَّزه من بين آله، وأفرده بالذكر حيث قال: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلٍ يَغُفُّوب...﴾.

ولذلك أيضا نسب هذه العناية والرحمة إلى ربه؛ حيث قال مرة بعد مرة: (رَبِّكَ) ولم يقل: «يحييتك الله» ولا «إن الله عليهم حكيم» فهذا كله يشهد بأنه هو الأصل في إتمام النعمة على آل يعقوب.

وأما أبواء إبراهيم وإسحاق فإن التعبير بما يشمر بالتظير ﴿كَمَا أَقْبَاهَا عَلَى آبَائِهِ مِنْ قَبْلُ إِنَّا نَرْجِيهِمْ وَاشْفَعُ﴾ يخرجها من تحت أصالة يوسف، فافهم ذلك. (١١: ٨٢ - ٨٥)

٣ - يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَوْهَابِهِمْ وَيَتَابَى اللَّهُ إِلَاهًا أَن يُعِزَّهُ نُوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. التوبة: ٣٢

راجع «متن نوره» و«ن ور».

٤ - وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ... كَذَلِكَ يُعِزُّ

ثانيها: يتمّ نعمته عليك بإخلاء الأرض لك عن معاندك. فإنّ يوم الفتح لم يبقَ للشيء عليه الصلاة والسلام عدوٌّ ذو اعتبار، فإنّ بعضهم كانوا أهلكوا يوم بدر، والباقيون آمنوا واستأنموا يوم الفتح.

ثالثها: ويتمّ نعمته عليك في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح، وفي الآخرة بقبول شفاعتك في الذنوب، ولو كانت في غاية القبح.

مثله التيسابوري (٢٦: ٤١)، والشريبي (٢٨: ٧٨) القُرطبي: قيل: بالنبوة والحكمة. [تمّ ذكر مثل المازدي] (١٦: ٢٦٣)

البَيْضاوي: بإعلاء الدّين وضَمَّ المُلُك إلى النّبوة. (٢: ٣٩٩) أبو حنّان: بإظهارك على عدوك، ورضاه عنك، وفتح مَكَّة والطّائف وغيره.

البِقاهي: بنقلتك من عالم الشّهادة إلى عالم النّب، ومن عالم الكون والفساد إلى عالم الثّبات والصّلاح الَّذي هو أخصّ بمحضرتك، وأولى برحمته، وإظهار أصحابك من بعدك على جميع أهل الملل.

(الشريبي: ٤: ٣٨) أبو السعود: بإعلاء الدّين وضَمَّ المُلُك إلى النّبوة وغيرها، ممّا أفاضه عليه من الثّم الثّابتة والذّويّة.

(٦: ٩٨) مثله الآلوسي. (٢٦: ٩١)

المصراغي: بإعلاء شأن دينك، وانتشاره في البلاد، ورفع ذكرك في الدّنيا والآخرة. (٢٦: ٨٣) محمّد جواد مغنّيه: بانتصارك على أعداء الله

في الدّنيا، وغفرانه ذنوبك في الآخرة. (٢٦: ٧١) المازدي: فيه قولان:

أحدهما: بفتح مَكَّة والطّائف وغيره. الثاني: بخضوع من استكبر، وطاعة من تجبّر.

(٥: ٣١٠) الطّوسي: بإتمام النّعمة قبل ما يقتضيها من تبيّتها على صاحبها والزّيادة منها، فانه تعالى قد أنعم على النبي ﷺ، وتمّها بنصره، على أعدائه، الرّادّين لها المكذّبين بها، حتّى علا بالمحبّة والقهر لكلّ من ناوّه.

وقيل: يتمّ نعمته عليك بفتح مَكَّة وغيره والطّائف. وقيل: بخضوع من تكبّر، وطاعة من تجبّر. (٩: ٣١٥) المصنّعي: تمام النّعمة هاهنا النّبوة وثوابها، ظهيره في سورة يوسف: ٦، ﴿كَمَسَا أَسْمَافَا عَلَى أَوْتِافَا مِنْ قَبْلَا﴾.

وقيل: ﴿وَيُؤَيّمَنَّهُ عَلَيْكَ﴾ بإعلاء دينك، وفتح البلاد على يدك. (٩: ٢٠٧) نحوه الشّبي.

(٤: ١٥٧) ابن عطّية: وإتمام النّعمة عليه هو إظهاره وتدلّبه على عدوّه والرّضوان في الآخرة. (٥: ١٢٦)

الطّبرسي: معناه ويتمّ نعمته عليك في الدّنيا بإظهارك على عدوك، وإعلاء أمرك، ونصرة دينك، وبقاء شرعك، وبالأخرة برفع محلك. [تمّ ذكر نحو الطّوسي] (٥: ١١١)

الفخر الرازي: يحتمل وجوهاً: أحدها: هو أنّ التّكاليف عند الفتح تمّت حيث وجب الحجّ، وهو آخر التّكاليف، والتّكاليف يتمّ.

نحوه البَقْوَى. (١: ١٨٢)
 أبو مسلم الأصفهاني: هو أن القوم كانوا
 يفتخرون باتباع إبراهيم في جميع ما كانوا يفعلون، فلما
 حوّل ﷺ إلى بيت المقدس لحقهم ضعف قلب، ولذلك
 كان النبي ﷺ يُحِبُّ التَّحَوُّلَ إلى الكعبة لما فيه من شرف
 الثَّغْمَةِ، فهذا موضع الثَّغْمَةِ. (الفخر الرازي ٤: ١٥٨)
 الصَّوْزْدِي: يحتمل وجهين:

أحدهما: فيما هديناكم إليه من القبلة.

والثاني: ما أعدته لكم من ثواب الطَّاعَةِ. (١: ٢٠٧)
 الرَّمَسَخَسَرِي: ومستلحق اللّام محذوف، معناه
 ولا يتمي الثَّغْمَةُ عليكم وإرادتي اعتداءكم أسرتكم
 بذلك، أو يُعطى على علة مقدرة، كأنه قيل: واخشوني
 لأوقفكم ولأتمتعني عليكم.

وقيل: هو مطوف على (لئلا يكون)، وفي الحديث:
 «تمام الثَّغْمَةُ دخول الجنة». (١: ٢٢٣)
 نحوه التَّبَيُّضَاوِي (١: ٩٠)، والقُرَيْبِي (١: ١٠٤)،
 وأبو الشَّعُوذ (١: ٢١٨).

الطَّبْرَسِي: عطف على قوله: (لئلا)، وتقديره: لئلا
 يكون لأحد عليكم حجة، ولأتمتعني عليكم بهديتي
 إتيانكم إلى قبلة إبراهيم ﷺ.

بين سبحانه أنه حوّل القبلة لهذين الغرضين: زوال
 الفاقة، وتمام الثَّغْمَةِ.

الفَخْرُ الرَّازِي: [نحو الرَّمَسَخَسَرِي وأضاف:]

فإن قيل: إنه تعالى أنزل عند قرب وفاة رسول
 الله ﷺ: «أَنزِمَ أَخْلَعْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
 نِعْمَتِي» فيبين أن تمام الثَّغْمَةِ إنما حصل ذلك اليوم، فكيف

وأعدائكم، واملأ شأنكم دينًا وآخرة. (٧: ٨٤)
 اللَّطِبَاءُ بَنِي: قيل: أي يُتَمَّتْهَا عليكم في الدنيا
 بإظهارك على عدوك وإعلاء أمرك وتمكين دينك، وفي
 الآخرة برفع درجتكم.
 وقيل: أي يُتَمَّتْهَا عليكم بفتح خير ومكّة والطَّائِفِ.
 (١٨: ٢٥٧)

لَايْمٌ

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ... وَلَايْمٌ نَفَعْتِي عَلَيْكُمْ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَهْتَدُونَ.

البقرة: ١٥٠

الإمام علي عليه السلام: تمام الثَّغْمَةُ الموت على الإسلام.
 (البَقْوَى ١: ١٨٢)

ابن عباس: وَلَايْمٌ نَسَمَعْتِي عليكم في الدنيا
 والآخرة. أمّا في الدنيا فأنصركم على أعدائكم وأورثكم
 أرضهم وديارهم وأموالهم، وأمّا في الآخرة فنجّيتني
 وورثتي. (الطَّبْرَسِي ١: ٢٢٣)

سعيد بن جبّين: لَايْمٌ نَمَتْهُ على المسلم إلا أن
 يدخل الجنة. (البَقْوَى ١: ١٨٢)

الطَّبْرَسِي: وَلَايْمٌ بذلك من هدايتي لكم إلى قبلة
 خليلي إبراهيم عليه السلام الذي جعلته إمامًا للناس، نسعتي،
 فأكمل لكم به فضل عليكم، وأتمم به شرائع ملئتكم
 الحنيفية المسلمة التي وصّيت بها نوحًا وإبراهيم وموسى
 وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم؛ وذلك هو نعمته التي
 أخبر جلّ ثناؤه أنه مُتَمَّتْهَا على رسوله ﷺ والمؤمنين به
 من أصحابه. (٢: ٣٥)

نمسي عليكم عرفتكم قبلي. ومن زعم أن الواو زائدة، فقوله ضعيف.

وإنما النعمة بما هداهم إليه من القبلة، أو بما أعدّه لهم من نواب الطاعة، أو بما حصل للعرب من الشرف بتحويل القبلة إلى الكعبة، أو بإبطال حُجج المحتجين عليهم، أو بإدخالهم الجنة، أو بالموت على الإسلام أو النعمة سنة: الإسلام، والقرآن، ومحمد ﷺ، والستر، والمافية، والنفى عن الناس أو بشرائع الملّة الحنيفيّة، أقوال ثمانية صدرت مصدر المثال لامصدر التحيين، وكلّ فيها نعمة. (٤٤٢: ١)

البزوسوي: علّة لحدوف، أي أمرتكم بتولية الوجه شطره، لإتمامي النعمة عليكم، لما أنّه نعمة جليلة، وما وقع من أوامر الله تعالى وتكاليفه، وإنّجار المكلف بالتوجّه إلى حيث وجهه الله تعالى، وإن كان نعمة يتوصّل به إلى الثواب الجزيل، إلّا أنّ أمره تعالى بالتوجّه إلى قبلة إبراهيم تمام النعمة في أمر القبلة، فإنّ القوم كانوا يفتخرون باتباع إبراهيم في جميع ما كانوا يفعلونه، فلما وجّهوا إلى قبلته بعد ما صُرفوا عنها لمصلحة حادثة، فقد أصابوا تمام النعمة في أمر القبلة.

فإنّ نعمة الله تعالى على عباده ضربان: موهوب ومكتسب، فالموهوب نحو صحّة البدن وسلامة الأضواء وغيرهما، والمكتسب نحو الإيمان والعمل الصالح، بامتثال الأوامر والاجتناب عن المناهي، فإنّ ذلك كلّهُ يؤدّي إلى سعادة الدارين. (٢٥٥: ١)

الآلوسي: الظاهر من حيث اللفظ أنّه عطف على قوله تعالى: (إِنَّمَا يَكُونُ)، كأنّه قيل: فولّوا وجوهكم

قال قبل ذلك اليوم بسنين كثيرة في هذه الآية: ﴿وَلَا تَمُوتُمْ﴾. نعمتي.

قلنا: تمام النعمة الالتفة في كلّ وقت هو الذي خصّه به، وفي الحديث: «تمام النعمة دخول الجنة». وعن عليّ رضي الله عنه: «تمام النعمة الموت على الإسلام».

(١٥٨: ٤)

نحوه الثيسابوري.

(٢٨: ٢)

القرطبي: مطوف على (إِنَّمَا يَكُونُ) أي ولأنّ أتمّ، قاله الأخفش.

وقيل: مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمّر، التقدير: ولأنّ نعمتي عليكم عرفتكم قبلي، قاله الزجاج.

وإنما النعمة: الهداية إلى القبلة، وقيل: دخول الجنة. (١٧٠: ٢)

التسفي: أي عرفتكم لتلا يكون عليكم حجة، ولأنّ نعمتي عليكم بهدائي إياكم إلى الكعبة. (٨٣: ١) أبو عبيّان: الظاهر أنّه مطوف على قوله: (إِنَّمَا يَكُونُ)، وكان المعنى عرفناكم وجه الصواب في قبلكم، والمهجة لكم لانتفاء حجج الناس عليكم وإتمام النعمة، فيكون التعريف معللاً بهاتين الملتئمتين، والفصل بالاستثناء وما بعده كلا فصل؛ إذ هو من متعلّق العلّة الأولى.

وقيل: هو مطوف على علّة محذوفة، وكلاهما معلولها الحشية السابقة، كأنّه قيل: واخشوني لأوفّقكم ولأنّ نعمتي عليكم.

وقيل: تتلّق اللام بفعل مؤخّر، التقدير: ولأنّ

سائر الأمم، وكانوا إذا آمنوا يُحْيَوْنَ أن تكون وجهتهم في عبادتهم بيهتهم الحرام.

وأن يُمَيَّوْا سَـةَ إبراهيم، بظهير، من عبادة الأصنام، لأنَّه مبدعهم، وأشرف أثر عندهم، يُنسب إلى أبيهم إبراهيم الذي بناه، ورفع قواعده لعبادة الله تعالى، وهو شرفهم ومجدهم وسوطن عزَّهم وفخرهم، فأتمَّ الله عليهم التَّمة بإعطائهم ما يُحْيَوْنَ، وتوجيه جميع شوب الإسلام إلى بلادهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وفي ذلك من الفوائد المادِّيَّة والمعنويَّة ما لا يحصى من التَّعم.

نعم إنَّ كلَّ أمر من الله تعالى فامتثاله نعمة، ولكنه إذا كان فيه حكمة ظاهرة وشرف للأُمَّة يتعلَّق بتاريخها الماضي، وبمجدها الآتي، وكان أثره حميداً نافعاً فيها، تكون التَّمة به أتمَّ والمُتَّة أكمل، ولذلك عبَّر بالإتمام.

وذكر الأستاذ الإمام [محمد عبده]: من الحكمة في جعل القبلة في أوَّل الأمر بيت المقدَّس، أنَّ الكعبة كانت في أوَّل الإسلام مشغولة بالأصنام والأوثان. وكان سلطان أهل الشَّرْك متمكِّناً فيها، والأمل في انكشافه عنها بعيداً، فعصره الله أوَّلاً عن استقبال بيت مُدَنَس بعبادة الشَّرْك - وقد كان الله أمر إبراهيم بظهيره للطَّافين والمالكين والزَّرع السَّجود - إلى بيت المقدَّس قبلة اليهود الذين هم أقرب من المشركين إلى ما جاء به من التَّوحيد والتَّنزيه.

ولما قرب زمن تطهير البيت الحرام من الأصنام والأوثان وعبادتها وإزالة سلطة الوثنيِّين عنه، جعله الله تعالى قبلة للموحِّدين، ليوجَّه النفوس إليه؛ فيكون ذلك

نظرة لتلا يكون للنَّاس عليكم حجةً ولأنَّهم إلخ. فهو علَّة المذكور، أي أمرتكم بذلك لأجمع لكم خير الذَّكرين؛ أمَّا ديناً فليظهور سلطانكم على المُشركين، وأما عقبي فلإتَابتكم التَّواب الأوَّل.

ولا يرد الفصل بالاستثناء وما بعده، لأنَّه كلافصل؛ إذ هو من متعلِّق العلة الأوَّل، نعم اعترض بِمَعْد المناسبة، وبأنَّ إرادة الاهتداء المُشرك بها التَّرجيَّ إمَّا تصلح علَّة للأمر بالتَّولية لافصل المأمور به، كما هو الظَّاهر في المحطوف عليه.

فالظَّاهر معنى جعله علَّة لهذوف، أي وأمرتكم بالتَّولية - والخشبة - لإتمام نعمتي عليكم وإرادتي اهتداءكم. والجملة المعلَّلة مطبوعة على الجملة المعلَّلة السَّابقة، أو عطف على علَّة مقدَّرة مثل (وَإِخْشَوْنِي) لأخفَّظكم ولأنَّهم إلخ.

ورجَّح بعضهم هذا الوجه بما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي من حديث معاذ بن جبل «تمام التَّمة دخول الجنة». ولا يخفى أنَّه على الوجه الأوَّل قد يؤوَّل الكلام إلى معنى: فاعبدوا، وصلُّوا متَّجهين شطر المسجد الحرام، لأدخلكم الجنة. والمحدث لا يأتِي هذا بل يطابقه حذو القُدَّة بالقدَّة، فكونه مريحاً لذلك بمزول عن التَّعقيق. (٢: ١٨)

رشيد رضا: باستقلال قبلكم في بيت ربكم الَّذي بناه جدُّكم، وجعل الأُمم فيها نبأً لكم.

وبيانه أنَّ هذا التَّيَّ مريٍّ من وُلد إبراهيم، ولسان العرب نزل عليه الكتاب، وهم قومه الَّذين بعث فيهم أوَّلًا، وظهرت دعوته فيهم، وامتدَّت منهم وبهم إلى

والإسلام لم يقو بعد بحيث يظهر قهره وقدرته، فهدى الله رسوله إلى استقبال بيت المقدس، لكونه قبلة لليهود، الذين هم أقرب في دينهم من المشركين إلى الإسلام.

ثم لما ظهر أمر الإسلام بهجرة رسول الله إلى المدينة، وقرب زمان الفتح، وتوقع تطهير البيت من أرباس الأصنام، جاء الأمر بتحويل القبلة وهي التهمة العظيمة التي اختص به المسلمون، ووعده في آية التحويل إقام التهمة والهداية وهو خلوص الكعبة من أدناس الأوثان، وتعتيها لأن تكون قبلة يُعبد الله إليها، ويكون المسلمون هم المختصون بها، وهي الغتصة بهم، فهي بشارة بفتح مكة، ثم لما ذكر فتح مكة حين فُتحت أشار إلى ما وعدهم به من إقام التهمة والبشارة بقوله: ﴿وَيُؤَيِّدُ نَفَقَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

وهذا الكلام وإن كان بظاهره وجيهاً، لكنه خال عن التدبر، فإن ظاهر الآيات لا يساعد عليه، إذ الدال على وعد إقام التهمة في هذه الآية: ﴿وَلَا يَمُرُّ بِغَفَقَةٍ عَلَيْكُمْ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٥٠، إنما هو لام الغاية، وآية سورة الفتح التي أخذها إنجازاً لهذا الوعد ومصدراً لهذه البشارة، أعني قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ...﴾ مشتملة على هذه اللام بعينها، فالآيتان جميعاً مشتملتان على الوعد الجميل بإقام التهمة، على أن آية الحج مشتملة على وعد إقام التهمة لجميع المسلمين، وآية الفتح على ذلك لرسول الله خاصة، فالسياق في الآيتين مختلف.

ولو كان هناك آية تحكي عن إنجاز الوعد الذي تشتمل عليه الآيتان، لكان هو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ

مقدمة لتطهيره، وإتمام التهمة بالاستيلاء عليه، والسير فيه على ملة إبراهيم من التوحيد والعبادة الصحيحة لله تعالى وحده.

أقول: ويؤيد ما قرره الأستاذ الإمام في تفسير «الإمام» وكون تحويل القبلة مقدمة له، قوله تعالى بعد ذكر الفتح في سورة الفتح: ﴿وَيُؤَيِّدُ نَفَقَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الفتح: ٢ فكان في الآية بشارة فتح مكة ونصر الله التوحيد على الشرك، وما يتلو ذلك من نشر الإسلام، وانتشار نوره في الأنعام، ولذلك قال في سورة الفتح بعد ما ذكر: ﴿وَيُصْرِّحُ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ٣.

نحوه المرامي.

محمد جواد مغنّيه: أي أمنت عليكم بالإسلام، وأمنت التهمة بإعطائي إيتاكم قبلة مستقلة توحد كلمتكم، وتجمع شملكم، وتنتج إليها شوب العالم من أقطار الأرض، على اختلاف ألوانها وألنتها. (٢٣٧)

الطباطبائي: ذكر بعض المفسرين أن اشتغال هذه الآية - وهي آية تحويل القبلة - على قوله: ﴿وَيُؤَيِّدُ نَفَقَتَهُ عَلَيْكُمْ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَهْتَدُونَ﴾ مع اشتغال قوله تعالى في سورة الفتح في ذكر فتح مكة على هاتين المجلتين، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ يُثَبِّتُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ وَيُؤَيِّدُ نَفَقَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الفتح: ١، ٢، يدل على كونها مشتملة على البشارة بفتح مكة.

بيان ذلك: أن الكعبة كانت مشغولة في صدر الإسلام بأصنام المشركين وأوثانهم، وكان السلطان معهم،

أَكْتَفَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَقَتْ عَلَيْكُمْ نَفْعِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ
الإِسْلَامَ دِينًا: المائدة: ٣.

وتظهر هاتين الآيتين في الاشتغال على عدة إقسام
التسعة قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُبَدِّلُ لَكُمْ وَيُخَيِّرُكُمْ وَيُفَعِّلُكُمْ
عَلَيْكُمْ لَقَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة: ٦. وقوله تعالى:
﴿كَذَلِكَ يُخَيِّرُكُمْ نَفْعُهُ عَلَيْكُمْ لَقَلَّكُمْ تُشْلِيُونَ﴾ التحل: ٨١
(٣٢٩: ١)

أَتَمُّوا

١- وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَلَا اسْتِيسَارَ
مِنَ الْمَدَنِيِّ.

البقرة: ١٩٦.
ابن مسعود: إقامتها أن تحرم بها من دَوْرَةِ أهلها،
وهو المروي عن الإمام علي عليه السلام وابن عباس.

(الزُّمَّشَرِيُّ: ١: ٣٤٣)
مثله سعيد بن جبّير وطاووس. (الماوردي: ١: ٢٥٤)
أَتَمُّوا إِلَى الْبَيْتِ. (ابن العربي: ١: ١١٧)
الإمام علي عليه السلام: أقيموها إلى آخر ما فيها، وهو
المروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ومسروق،
وسعيد بن جبّير، والشَّاذلي. (الطُّبْرُسِيُّ: ١: ٢٩٠)
مثله عطاء. (الطُّبْرُسِيُّ: ٢: ١٥٤)
أحرموا بها من دياركم.

مثله الثَّوْرِي. (ابن العربي: ١: ١١٧)
مسروق: إِنْ إقامتها واجب بالدخول فيها.
مثله ابن زَيْد، والشَّعْبِي، وأبي بَرْدَةَ.

(الماوردي: ١: ٢٥٤)
ابن عباس: إِنَّهُ إِذَا شَرَعَ فِي أَحَدِهَا لَمْ يَفْسخه

حَقَّ يُتَمِّ. (ابن الجَوْزِيِّ: ١: ٢٠٤)
أَي أَتَمُّوا بِمَنَاسِكِهَا وَحُدُودِهَا وَتَأْدِيَةِ كُلِّ مَا فِيهَا.

مثله مُجَاهِد. (الطُّبْرُسِيُّ: ١: ٢٩٠)
نحوه علقمة، والتَّخَمِي. (ابن عَطِيَّة: ١: ٢٦٦)
عبد الله بن عمر: إقامتها: إفرادها.

(البخاري: ١: ٢٦٤)
الشَّعْبِي: إقامتها: أَنْ لَا تَفْسخ وَأَنْ تُتَمِّها إِذَا بَدَأَتْ
بِهَا.

مثله ابن زَيْد. (ابن عَطِيَّة: ١: ٢٦٥)
مُجَاهِد: إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَبْلُغَ آخِرَ أَعْمَالِهَا بَعْدَ الدَّخُولِ
فِيهَا.

مثله المُبَرَّد والجُبَّارِي. (الطُّبْرُسِيُّ: ٢: ١٥٤)
أَنَّهُ ضَلَّ مَأْرَاثَ فِيهَا. (ابن الجَوْزِيِّ: ١: ٢٠٤)
الصَّحَّاح: إقامتها: أَنْ تَكُونَ التَّفَقُّعَ حَلَالًا، وَيَنْتَهِي
عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ. (البُخَارِيُّ: ١: ٢٤١)
طاووس: تمامها: إفرادها مؤتفتين من أهلها.

(الطُّبْرُسِيُّ: ٢: ٢٠٧)
قَتَادَةَ: إِنْ إقام العمرة: أَنْ تَخْدُمَ بِهَا فِي غَيْرِ الْأَشْهُرِ
الْمَحْرُومِ، وَإِقَامَ الْحَجِّ: أَنْ تَأْتِيَ بِجَمِيعِ مَنَاسِكَهَ حَتَّى لَا يَلْزِمَ
دَمَ لِحْيَرَانِ نَقْصَانِ. (الماوردي: ١: ٢٥٤)
الشَّاذلي: أقيموا الحجَّ والعمره. (١٤٤)

الإمام الصادق عليه السلام: يَعْنِي بِتَامِهَا أَدَاؤُهَا وَاتِّقَاءُ
مَا يَتَّبَعُ الْمَحْرُومَ فِيهَا. (الزُّمَّشَرِيُّ: ١: ١٨٢)

تمام الحج: لقاء الإمام [تأويل] (الزُّمَّشَرِيُّ: ١: ١٨٣)
إِذَا أَحْرَمْتَ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَقَلَّةُ
الْكَلَامِ إِلَّا بِغَيْرِ. فَإِنْ مِنْ تَامَ الْحَجَّ وَالْعُمَرَةَ أَنْ يَحْفَظَ الْمَرْءُ

الأنصم؛ إن الله تعالى فرض الحج والعمرة ثم أمر عباده أن يمتثلوا الآداب المعتبرة. (الفخر الرازي ٥: ١٥٧)
 البصاصي: [ذكر أقوال المتقدمين إلى أن قال:]
 وروى عن طاووس عن أبيه، قال: العمرة واجبة، واحتج من أوجبها بظاهر قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

قالوا: واللفظ يحتمل إتمامها بعد الدخول فيها، ويحتمل الأمر بابتداء فعلها، فالواجب حمله على الأمرين بمنزلة عموم يشتمل على مشتمل، فلا يخرج منه شيء، إلا بدلالة.

قال أبو بكر: ولادلالة في الآية على وجوبها، وذلك لأن أكثر ما فيها: الأمر بإتمامها، وذلك إنما يقتضي نفي التقصان عنها إذا فعلت، لأن عند التقصان هو التقصان لا البطلان، ألا ترى أنك تقول للتأخر: إنه غير تام، ولا تقول مثله لما لم يوجد منه شيء.

فعلنا أن الأمر بالإتمام إنما اقتضى نفي التقصان، ولذلك قال علي وعمر: إتمامها: أن تحرم بها من ديرة أهلك، يعني الأبلغ في نفي التقصان: الإحرام بها من ديرة أهلك.

وإذا كان ذلك على ما وصفتنا كان تقديره: أن لا يفعلها ناقصين: وقوله: لا يفعلها ناقصين لا يدل على الوجوب، لجواز إطلاق ذلك على التواضع. ألا ترى أنك تقول: لا تفعل الحج التطوع ولا العمرة التطوع ناقصين ولا صلاة التل ناقصة، فإذا كان الأمر بالإتمام يقتضي نفي التقصان، فلا دلالة فيه إذاً على وجوبها.

ويدل على صحة ذلك أن العمرة التطوع والحج

لسانه إلا من غير، كما قال الله تعالى: ﴿كَفَنَ قَوْضَ فِيهِ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧، (التروسي ١: ١٨٣)

مقابل: إتمامها: ألا تستعملوا فيها ما لا ينبغي لكم؛ وذلك أنهم كانوا يشركون في إحرامهم، فيقولون: ليبيك اللهم بيك، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فقال: فأتموها ولا تخطوها بشيء آخر.

(القرطبي ٢: ٣٦٦)
 القوري: إتمامها: أن تخرج قاصداً لها للتجارة ولا تبيع ذلك. (ابن عطية ١: ٢٦٥)

الطبري: [اكتفى بنقل أقوال بعض من تقدم عليه]
 الزجاج: إتمامها: أن تكون الثقة حلالاً، وينتهي عما نهى الله عنه.

وقال بعضهم: إن الحج والعمرة لها مواقف ومشاعر، كالطواف والموقف برفة وغير ذلك؛ فإتمامها: تأدية كل ما فيها، وهذا بين. (٢٦٦: ١)

أبو مسلم الأنصهاني: المعنى أن من نوى الحج والعمرة لله وجب عليه الإتمام، ويدل على صحة هذا التأويل أن هذه الآية إنما نزلت بعد أن منع الكفار النبي ﷺ في السنة الماضية عن الحج والعمرة، فالله تعالى أمر رسوله في هذه الآية أن لا يرجع حتى يتم هذا الفرض.

ويحصل من هذا التأويل فائدة فقهية وهي أن تطوع الحج والعمرة كفر ضحيا في وجوب الإتمام. (الفخر الرازي ٥: ١٥٧)

وجوب العمرة فلاحظ [(١: ٢٦٤)

الْعَزَائِي: الأمور المعتبرة قبل الخروج إلى الإحرام ثمانية: (١)

الأول: في المال، فينبغي أن يبدأ بالتوبة، ورد المظالم، وقضاء الديون، وإعداد الثقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، ويرد ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقصير، بل على وجه يمكنه مع التوسع في الزاد والزفق بالفقراء، ويتصدق بشيء قبل خروجه، ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل أو يكثرها، فإن اكترها فليظهر للشاري كل ما يحصل رضاه فيه.

الثاني: في الرفيق، فينبغي أن يلتصق رفيقاً صالحاً محباً للخير، معيناً عليه، إن نسي ذكره، وإن ذكر ساعده، وإن جبن شجعه، وإن عجز قواه، وإن ضاق صدره صبره. وأما الإخوان والرفقاء المقيمون فيودعهم، ويلتصق أدعيتهم، فإن الله تعالى جعل في دعائهم خيراً. والسنة في الوداع أن يقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك.

الثالثة: في الخروج من الدار، فإذا هم بالخروج صلى ركعتين، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» الكافرون: ١، وفي الثانية «الإخلاص» وبعد الفراغ يتضرع إلى الله بالإخلاص.

الرابعة: إذا حصل على باب الدار قال: بسم الله توكلت على الله لاهول ولا قوة إلا بالله، وكتبها كانت الدعوات أزيد كانت أولى.

النفل مرادان هذه الآية في التهي عن ضلها ناقصين، ولم يدل ذلك على وجوبها في الأصل.

وأيضاً فإن أظهر من لفظ «الإجماع» إنما يخلق بعد الدخول فيه، قال الله عز وجل: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَبِطُ الْبَيْضَ مِنَ الْحَبِطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» البقرة: ١٨٧، فأطلق عليه لفظ «الإجماع» بعد الدخول. قال النبي ﷺ: «مأدرتم فصلوا ومافاتكم فأتموا» فأطلق لفظ «الإمام» عليها بعد الدخول فيها.

ويدل على أن المراد بإيجاب إتمامها بعد الدخول فيها أن الحج والعمرة التافلتين يلزمه إتمامها بعد الدخول فيها بالآية، فكان بمنزلة قوله: أتموها بعد الدخول فيها. فغير جائز إذا ثبت أن المراد لزوم الإجماع بعد الدخول حملة على الابتداء لتضاد المعنيين.

الأثرى أنه إذا أراد به الإلزام بالدخول انتفى أن يريد به الإلزام قبل الدخول، لأن إلزامه قبل الدخول ناف لكونه واجباً بالدخول، الأثرى أنه لا يجوز أن يقال: إن حجة الإسلام إنما تلزم بالدخول وإن صلاة الظهر متعلق لزومها بالدخول فيها، وهذا يدل على أنه غير جائز إرادة إيجابها بالدخول وإيجابها ابتداء قبل الدخول فيها.

فثبت بما وصفنا أنه لادلالة في هذه الآية على وجوب العمرة قبل الدخول فيها، ومما يدل على أنها ليست بواجبة ماروي عن النبي ﷺ أنه قال: العمرة هي الحج الأصغر، وروي عن عبد الله بن شداد ومجاهد قالوا: العمرة هي الحج الأصغر... ثم ذكر روايات على عدم

وَالْفُتُورَةُ ﴿١٦﴾ عَلَى مَعْنَى أَتَوْهَا إِذَا دَخَلْتُمْ فِيهَا، أَمَّا ابْتِدَاءُ الشَّرْعِ فِيهَا فَفَطْرُوعُ.

وَاحْتِجَّ مِنْ لَمْ يُوَجِّهْ بِمَا رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَكِدِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ الْعَمْرَةِ أَوْاجِبَةٌ هِيَ؟ فَقَالَ: لَا، وَأَنْ تَعْتَمِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ. وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أَيِ ابْتَدِئُواهَا إِذَا دَخَلْتُمْ فِيهَا فَأَتَمُّوْهَا. فَهُوَ أَمْرٌ بِالْإِبْدَاءِ وَالْإِتِمَامِ، أَيِ أَتِمُّوْهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ الْبَقَرَةُ: ١٨٧، أَيِ ابْتَدِئُوهُ وَأَتَمُّوهُ.

(١٦: ٢٤١)

الزَّمْعُ قُصْرِيٌّ: انْتَوَا بَيْنَا تَامِينَ كَامِلِينَ بِمَنَاسِكِهَا وَشَرَائِطِهَا لَوَجْهِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ وَلَا تَقْصَانٍ يَتَّقِ مِنْكُمْ فِيهَا. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَقِيلَ: بِإِقَامِهَا: أَنْ تُحْرِمَ بَيْنَا مِنْ دَوْرَةِ أَهْلِكَ. رَوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مُسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَقِيلَ: أَنْ تَقْرُدَ لِكُلِّ مِنْهَا سَفَرًا، كَمَا قَالَ مُحَمَّدٌ: حِجَّةٌ كُوفِيَّةٌ وَعَمْرَةٌ كُوفِيَّةٌ. وَقِيلَ: أَنْ تَكُونَ الشُّفْعَةُ حَلَالًا. وَقِيلَ: أَنْ تَخْلُصَ لَهَا لِلْعِبَادَةِ، وَلَا تَشْوَ بِهَا شَيْءٌ مِنَ التَّجَارَةِ وَالْأَعْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: هَلْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ الْعَمْرَةِ؟

قُلْتُمْ: مَا هُوَ إِلَّا أَمْرٌ بِإِقَامِهَا، وَلَا دَلِيلٌ فِي ذَلِكَ عَلَى كَوْنِهَا وَاجِبِينَ أَوْ طَوَّعِينَ، فَقَدْ يَتَوَمَّرُ بِإِقَامِهَا الْوَاجِبُ وَالطَّوَّعُ جَمِيعًا، إِلَّا أَنْ يَقُولَ: الْأَمْرُ بِإِقَامِهَا أَمْرٌ بِأَدَائِهَا، بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾ وَالْأَمْرُ لِلْوَاجِبِ فِي أَصْلِهِ إِلَّا أَنْ يَدُلَّ دَلِيلٌ عَلَى خِلَافِ

وَالْخَامِسَةُ: فِي الزَّكُوبِ، فَإِذَا رَكِبَ الزَّاحِلَةَ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَأَحُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَنَا مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ.

السَّادِسَةُ: فِي النَّزُولِ، وَالسَّبْعَةُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ سِيرِهِ بِاللَّيْلِ، وَلَا يَنْزِلَ حَتَّى يُحْمِيَ النَّهَارَ، وَإِذَا نَزَلَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَدَعَا اللَّهَ كَثِيرًا.

السَّابِعَةُ: إِنْ قَصِدَهُ عَدُوٌّ أَوْ سَيْحٌ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَلْيَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَشَهِدَ اللَّهَ، وَالْإِخْلَاصَ، وَالْمُؤَذِّنَ، وَيَقُولَ: تَحَنَّنْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَاسْتَعْنَتْ بِالْحَمِيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

الثَّامِنَةُ: مَهَا عِلَاقَةٌ مِنَ الْأَرْضِ فِي الطَّرِيقِ، فَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَكْبُرَ ثَلَاثًا.

التَّاسِعَةُ: أَنْ لَا يَكُونَ هَذَا الشَّرْعُ مَشْتَبَهًا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْأَعْرَاضِ الْعَاجِلَةِ، كَالْتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا.

الْعَاشِرَةُ: أَنْ يَصُونَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ عَنِ الزَّفَثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ. ثُمَّ بَعْدَ الْإِتْيَانِ بِهَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ، يَأْتِي بِجَمِيعِ أَرْكَانِ الْحَجِّ عَلَى الْوَجْهِ الْأَصَحِّ الْأَقْرَبِ إِلَى مُوَافَقَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَكُونُ غَرَضُهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَوْلُهُ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ كَلِمَةٌ شَامِلَةٌ جَامِعَةٌ لِهَذِهِ الْمَعَانِي، فَإِذَا أَتَى الْعَبْدُ بِالْحَجِّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ مَتِّبًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ الْبَقَرَةُ: ١٢٤.

(الْفَتْحُ الرَّازِيُّ ٥: ١٥٧)

الْبَغَوِيُّ: وَتَأَوَّلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ

وأما ألا يحرم بالمرة في أشهر الحج فهو التمتع.
وأما إتمامها إذا دخل فيها، فلا خلاف بين الأمة
فيها، حتى بالنوا فقالوا: يلزمه إتمامها وإن أفسدها.
وأما ألا يتجر فيها فهو مذهب الفقهاء، ألا تمتزج
الدنيا بالآخرة، وهو أخلص في النية وأعظم للأجر،
وليس ذلك بهرام. والكل يبين في موضعه بحول الله
وعونه. (١: ١١٧)

الفخر الرازي: «وَأَيُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» وهذا
اللفظ يحتمل أن يكون المراد منه إيجاب كل واحد منها،
أو يكون المراد منه إيجاب الجمع بينهما على سبيل
التسام، فلو حملناه على الأول لا يفيد الثاني، ولو حملناه
على الثاني أفاد الأول، فكان الثاني أكثر فائدة فوجب
حمل اللفظ عليه، لأن الأول حمل كلام الله على ما يكون
أكثر فائدة. [إلى أن قال:]

«وَأَيُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» أن المراد أفسدوا كل
واحد منها بسفر. وهذا تأويل من قال بالإفراد، وقد
بيّناه بالدليل. وهذا التأويل يروى عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه، وقد يروى مرفوعاً عن أبي
هريرة، وكان عمر يترك القرآن والتمتع، ويذكر أن
ذلك أتم للجمع والمرة، وأن يصتمر في غير شهور الحج،
فإن الله تعالى يقول: «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَقْلُوعَاتٌ» البقرة:
١٩٧. وروى نافع عن ابن عمر أنه قال: فترقوا بين
حجكم وعمرتكم. (٥: ١٥٧)

القرطبي: اختلف العلماء في المعنى المراد: بإتمام
الحج والمرة لله، فقيل: أداؤها والإتيان بها، كقوله:
(فَأَتَّخِذْهُنَّ)، وقوله: «ثُمَّ أَتُوا الصَّيَّامَ إِلَى الْبُقْعَةِ»

الوجوب، كما دلّ في قوله: (فَصَاصُوا) المائدة: ٢،
(فَأَتَّخِذُوا) الأحزاب: ٥٣، ونحو ذلك، فيقال لك: فقد
دلّ الدليل على نفي الوجوب، وهو ما روي أنه قيل:
«يا رسول الله المرة واجبة مثل الحج؟ قال: لا، ولكن
أن تتم خير لك». [ثم ذكر روايات على عدم وجوب
المرة فلاحظ] (١: ٣٤٣)

نحوه البَيْهَقِيُّ (١: ١٠٦)، والتَّسَنُّي (١: ٩٩)،
والشَّيْبَانِيُّ (١: ١٢٨).

ابن عَطِيَّة: قالت فرقة: إتمامها أن تغرد كل
واحدة من حجة وعمره ولا تترن، وهذا على أن الإفراد
أفضل.

وقالت فرقة: القرآن أفضل، وذلك هو الإتمام عندهم.
(١: ٢٦٥)

ابن العربي: [نقل سبعة أقوال من المتقدمين ثم
قال:]

حقيقة الإتمام للشيء: استيفاءه بجميع أجزائه
وشروطه، وحفظه من مفسداته ومقتضاته. وكل
الأقوال محتمل في معنى الآية، إلا أن بعضها مختلف فيه.
أما قوله: «أَحْرَمَ بِهَا مِنْ دُونِهَا أَهْلَكَ» فإثبات مشقة
رفعها التَّسَرُّع، وهدمتها السَّكَنَ بما وَقَّتَ النَّبِيُّ ﷺ من
المواقيت.

وأما قول ابن مسعود: إلى البيت، فذلك واجب،
وفيه تفصيل، وله شروط، بيّناها في موضعها.

وأما قول مجاهد فصحيح.
وأما ألا يجمع بينهما فالتسعة الجمع بينهما، كذلك فعل
النبي ﷺ، وقد بيّناه في مسائل الخلاف.

أجزاء مختلفة ربما يوهم أن من أتى ببعض تلك الأجزاء وأخلّ بالباقي عمداً، يصحّ منه ذلك المأنيّ به، ويجب عليه قضاء الباقي، كمن صام بعض رمضان وترك الباقي، وذلك وهم باطل.

فإنّ كلّ واحد من تلك الأجزاء شرط في صحّة الباقي كأجزاء الصلّة، فإذا لم يأت الحاجّ أو المصلّي بكلّ الأجزاء بطل حجّه وصلاته. بخلاف الصوم، فإنّ كلّ يوم من أيّام رمضان عبادة مستقلة لا ارتباط لها بيوم آخر، ولا شرطية لأحدها بالآخر، ولذلك قال المحقّقون من أصحابنا: إنّ كلّ يوم من أيّام رمضان يفتقر إلى نيّة مستقلة.

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّه يلزم من ذلك لأحكام:

١- ما قاله أصحابنا: إنّ من أفسد حجّه وجب عليه إقامه والحجّ من قابل، لوجوب إتمام الحجّ، والإفساد غير مانع منه. ثمّ إنّ الإفساد عندنا سبب مستقلّ لوجوب الحجّ كغيره من الأسباب كالنذر والاستيجار، فيجب حجّ آخر غير الأوّل ولو كان مندوباً، وكذا نقول فيمن أفسد صومه الواجب المعين أنّه يجب إقامه وقضاؤه.

٢- استدلّ أصحابنا بالآية أيضاً على وجوب إتمام الحجّ والعمرة المندوبين، وتقريره يعلم مما تقدّم.

٣- إنّ الأمر بإتمامها قد يستدلّ به على وجوب كلّ واحد منها، لأنّ الأمر للوجوب، ووجوب كلّ واحد من الأجزاء يستلزم وجوب الماهيّة المركّبة من تلك الأجزاء ضرورة، فتكون العمرة واجبة خلافاً لأبي حنيفة، فإنّه جعلها سنّة، وكذا قال مالك، وأوّل الآيّة

١٨٧، أي اتوا بالصيام. وهذا على مذهب من أوجب العمرة على ما يأتي.

ومن لم يوجبها قال: المراد تمامها بعد الشروع فيها، فإنّ من أحرم بنفسك وجب عليه المضّي فيه ولا يفسخه، قال مئنه الشّمي وابن زَيْد. [ثمّ ذكر أقوال المتقدّمين فلاحظ] (٢: ٣٦٥)

التيسابوري: [نقل قول أبي مسلم الأصفهاني والأصمّ والغزالي ثمّ قال:]

وقيل: المراد من قوله: (وَأَتُوا) أفردوا كلّ واحد منها بسفره، ويؤيد هذا تأويل من قال: الأفراد أفضل. وأقرب هذه الأقوال ما يرجع حاصله إلى معنى: اتوا بالحجّ والعمرة ثائنين كاملين بمناسبة وشراطينهما وآدابهما لوجه الله، بدليل قوله: (فَإِنْ أَحْصَيْتُمْ). (٢: ١٥٤)

أبو حنيفة: الإجماع كما تقدّم: ضدّ التقصّ، والمعنى إفضلهما كاملين، ولاتأتوا بهما ناقصين شيئاً من شروطهما وأفعالها التي تتوقف وجود ما يجبها عليهما. كما قال غيلان:

تمام الحجّ أن تنفط المطايا

على خرقاء واضحة اللثام

جعل وقوف المطايا على محبته وهي «مَيّ» كبعض مناسك الحجّ الذي لا يتمّ إلّا به، هذا ظاهر اللفظ. وقد فُسّر الإجماع بنهر ما يقتضيه الظاهر. [ثمّ ذكر أقوال المتقدّمين فلاحظ] (٢: ٧١)

فاضل المقدّاد: [بعد نقل بعض الأقوال قال:]

والحقّ أنّ المراد أن يؤتى بجميع أجزائها وكنيفيات تلك الأجزاء. لكنّ لكون كلّ واحد منها مركّباً من

الآلوسي: أي اجملوها تاتين إذا تصديرت لأدائها لوجه الله تعالى. فلا دلالة في الآية على أكثر من وجوب الإجماع بعد الشروع فيها، وهو متفق عليه بين الحنفية والشافعية رضي الله تعالى عنهم، فإن إفساد الحج والعمرة مطلقاً يوجب المضي في بقية الأفعال والقضاء. ولا تدل على وجوب الأصل.

والقول بالدلالة بناء على أن الأمر بالإجماع مطلقاً يستلزم الأمر بالأداء، لما تقرّر من أن مالا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب، ليس بشيء، لأن الأمر بالإجماع يقتضي سابقة الشروع، فيكون الأمر بالإجماع مقتداً بالشروع، وادّعاء أن المعنى: انتوابعها حال كونها تاتين مستجمعي الشرائط والأركان. وهذا يدل على وجوبها، لأن الأمر ظاهر فيه، ويؤيده قراءة (وَأَقْبِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ) ليس بسديد.

أما أولاً: فلا تة خلاف الظاهر، ويتقدير قبوله في مقام الاستدلال يمكن أن يحيل الوجوب المستفاد من الأمر فيه متوجّهاً إلى القيد، أعني تامين، لا إلى أصل الإتيان، كما في قوله ﷺ: «يبيعوا سواء بسواء».

وأما ثانياً: فلأن الأمر في القراءة محمول على المعنى المجازي المشترك بين الواجب والندوب، أعني طلب الفعل، والقرينة على ذلك الأحاديث الدالة على استحباب العمرة. [ثم ذكر الأحاديث فلاحظ] (٢٨: ٢٧) رشيد رضا: فالعطف والتعبير بالإجماع ظاهران في أن السياق في الكلام عن الحج، ولذلك لم يقل هنا هذا: كُتِبَ عليكم الحج، كما قال في الصيام. وقد كان الحج معروفاً في الجاهلية، لأنه فرض على عهد إبراهيم

بأن المراد: إذا شرعتم فيها. فإن الشروع في التدب يوجب إقامه عندهم أيضاً. (٢: ٢٧٢) نحوه الطريحي. (٦: ٢٢)

أبو السعود: بيان لوجوب إتمام أفعالها عند التصدي لأدائها، وإرشاد للناس إلى تدارك ما عسى يصترح من العوارض الخلة بذلك من الإحصار ونحوه، من غير تعرّض لها في أنفسهما من الوجوب وعدمه، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الثَّيْلِ﴾ البقرة: ١٨٧، فإنه بيان لوجوب مد الصيام إلى الليل من غير تعرّض لوجوب أصله. وإقنا هو بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾ البقرة: ١٨٣، كما أن وجوب الحج بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...﴾ آل عمران: ٩٧.

فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمراً بأصله ولا مستلزماً له أصلاً، فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعاً. وادّعاء أن الأمر بإتمامها أمر بإنشائها تامين كاملين حسب مقتضيه قراءة (وَأَقْبِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ) وأن الأمر للوجوب مالم يدل على خلافه دليل مما لا سد له ضرورة، أن ليس البيان مقصوراً على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك، بل الحق أن تلك القراءة أيضاً محمولة على المشهورة، ناطقة بوجوب إقامة أفعالها كما ينبغي، من غير تعرّض لها في أنفسها.

فالمنى أكملوا أركانها وشرائطها وسائر أفعالها المعروفة شرعاً لوجه الله تعالى، من غير إخلال منكم بشيء منها. [ثم ذكر نحو الزمخشري] (١: ٢٤٨)

يصل العمل إلى آخر أجزائه وضمته إلى أجزائه الماتية بها بعد الشروع. ولا معنى يصحح تفرقه على الإجماع بمعنى الإكمال، وهو ظاهر. (٢: ٧٥)

٢... فَأَيُّوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. التوبة: ٤

الطُّوسِيّ: والإجماع: بلوغ الحد في العدة من غير زيادة ولا نقصان، فها هنا مناهة إضفاء الأمر على ما تقدم به العهد إلى انتضاء أجل العقد. (٥: ٢٠١)

الرُّمَحْشَرِيّ: فأدّوه إليهم تأملاً كاملاً. (٢: ١٧٥) نحوه الفخر الرازي (١٥: ٢٢٤)، والسيابوري (١٠: ٤٢)، والأكوسي (١٠: ٤٩)، والنسفي (٢: ١١٦).

أُبو حَيَّان: وتسمى (أَقْوًا) بعزلتي لتضمنته معنى (فأدّوا) أي فأدّوه تأملاً كاملاً. (٩: ٥) مثله البروسوي. (٣: ٣٨٥)

مِيم

يُرِيدُونَ لِلْعَذَابِ تَوَرُّاً بِاللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُرِئُهُمْ نُورُهُ وَنُورُ كَرِّ الْكَافِرِينَ. الصف: ٨

ابن عباس: يظهر دينه. (الفخر الرازي ٢٩: ٣١٤) الفوّاء: قرأها يحسى أو الأصمى: ﴿وَاللَّهُ مُرِئُهُ نُورُهُ﴾ بالإضافة، ونورها أهل المجاز (مُرِئُهُ نُورُهُ) وكل صواب. (٣: ١٥٣)

الطُّبْرِيّ: يقول: الله مُعْلِنُ الحَقِّ. ومظهر دينه وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من صاده، فذلك إتمام نوره. [إلى أن قال:]

وإسباغ، فأقرّه الإسلام في الجملة. ولكنه أزال ما أحذثوا فيه من الشرك والمنكرات. وزاد ما زاد فيه من المناسك والعبادات. فالآية ليست في فرضيته وفرضية العمرة بل هي في واقعة تتعلق بهما وبقاصديهما. وقد كانوا توجهوا إلى ذلك قبل نزولها بعام. كما تقدم، فدل ذلك على أن المشروعية سابقة لنزول هذه الآيات.

والمراد بإتمام الحج والعمرة: الإتيان بهما تائمين ظاهراً: بأداء المناسك على وجهها، وباطناً: بالإخلاص لله تعالى وحده، دون قصد الكسب والتجارة أو الزيادة والسمة فيها. ولا ينافي الإخلاص البيع والشراء في أثناء الحج، إذ لم تكن التجارة هي المقصودة في الأصل. (٢: ٢١٧)

نحوه المُرَافِعِيّ. (٢: ٩٦) الطُّبَّاءُ حَبَائِثِيّ: تمام الشيء هو الجزء الذي بانضمامه إلى سائر أجزاء الشيء يكون الشيء هو هو، ويرتّب عليه آثاره المطلوبة منه. فالإجماع هو ضمّ تمام الشيء إليه بعد الشروع في بعض أجزائه، والكمال هو حال أو وصف أو أمر إذا وجد الشيء ترتّب عليه من الآخر بعد إتمامه ما لا يرتّب عليه لولا الكمال، هانضام أجزاء الإنسان بعضها إلى بعض هو تمامه، وكونه إنساناً عالمًا أو شجاعاً أو عفيفاً كماله، وربما يستعمل التمام مقام الكمال بالاستمارة. بدعوى كون الوصف الزائد على الشيء داخلًا فيه اهتمامًا بأمره وشأنه.

والمراد بإتمام الحج والعمرة هو المعنى الأول الحقيقي. والدليل عليه قوله تعالى بعده: ﴿فَبِأَنِّ أَخْبِرْتُمْ قَسَا اسْتَبَيَّرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فإن ذلك تفريع على التمام، بمعنى

الفَخْرُ الْوَازِي : والتَّامُّ لا يكون إلّا عند التَّعْصَانِ ،
فكيف نقصان هذا التور ؟

فنعول : إتمامه بحسب التَّعْصَانِ في الأثر ، وهو الظُّهور
في سائر البلاد من المشارق إلى المغرب ، إذ الظُّهور
لا يظهر إلّا بالإظهار وهو الإتمام ، يؤيِّده قوله تعالى :
﴿ أَلَيْسَ لَكُم بِتَكْمٍ الْمَانِدَةِ : ٣ .

وعن أبي هريرة : أن ذلك عند نزول عيسى من
السماء ، قاله مجاهد .

قال هاهنا : ﴿ مِثُّهُ نُورٌ ﴾ وقال في موضع آخر :
﴿ مِثْلُ نُورِهِ ﴾ التور : ٣٥ ، وهذا عين ذلك أو غيره ؟
نعول : هو غيره ، لأنَّ نور الله في ذلك الموضع هو الله
تعالى عند أهل التحقيق ، وهاهنا هو الذين أو الكتاب أو
الرسول . (٣١٥ : ٢٩٩)

القُسْرُ طَبِي : أي بإظهاره في الآفاق . [تم نقل
القراءتين] (٨٥ : ١٨)
البُرُوسُوي : أي مبلَّغه إلى غايته بنشره في الآفاق
وإعلانه . جملة حالته من فاعل (يُرِيدُونَ) أو (يُطْفِئُونَ) .
(٥٠٣ : ٩)

رشيد رضا : أي والحال أن الله تعالى ممتَّ نوره
بالفعل ، فلا يطفئه الاقتراء ، بل هو كمن ينفخ في نور قوي
ليطفئه فيزيده بذلك اشتعالاً ، أو كمن يحاول إطفاء نور
الشمس فلا ينال منها مثلاً .

فالفرق بين الآيتين أن آية سورة الصَّفِّ تعليل
لاقترانهم ، بإرادتهم إطفاء التور به . وآية براءة لنا
جاءت بعد بيان شركهم بمضاهاتهم لأقوال الوثنيين من
قبلهم ، جعل ذلك نفسه ، بمعنى إرادة إطفاء التور

واختلفت القراءة في قراءة قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِثُّهُ
نُورِهِ ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض
الكوفيّين : (مِثُّهُ نُورُهُ) بالنصب . وقرأ بعض قراء مكة
وعامة قراء الكوفة (مِثُّهُ) بغير تنوين (نُورِهِ) خفصاً ،
وهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فسأيتها قرأ
القارئ فصيح عندها . (٢٨ : ٨٨)

نحوه القاسمي (١٦ : ٥٧٩١) ، والمرآغي (٢٨ : ٨٧) .
الطُّوسي : [نقل القراءتين وأضاف :

والقراءتان متقاربتان ، إلّا أن اسم الفاعل إذا كان لما
مضى لا يعمل ولا يجوز إلّا الإضافة ، وإذا كان للحال
والاستقبال جاز فيه التنوين والإضافة . (٩١ : ٥٩٣)
السيبدي : قرئ بالتثنية ، وبالإضافة ﴿ مِثُّهُ
نُورِهِ ﴾ فتحق ما وقع الإضافة وحقّ لما لم يقع التنوين ،
فالمنى : أتمّ نوره ويتمّه أبداً . (١٠١ : ٨٧)
الرُّمَّحُشَرِي : أي ممتَّ الحقّ ومبلَّغه غايته ، وقرئ
بالإضافة . (٩٩ : ٤)

نحوه البَيْضاوي (٢ : ٤٧٤) ، والسقي (٤ : ٢٥٢) .
ابن عَطِيَّة : وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر
وأبو بكر عن عاصم وابن محيصن والحسن وطلحة
والأعرج : (وَإِلَّا مِثُّهُ) بالتثنية ، (نُورُهُ) بالنصب . وقرأ
ابن كثير وحزمة والإكاسي وحفص عن عاصم
والأعمش : (مِثُّهُ نُورِهِ) بالإضافة ، وهي في معنى
الانفصال ، وفي هذا ظر . (٥ : ٣٠٣)

نحوه الثَّيْسَابُورِي (٢٨ : ٤٥) ، وأبو حَيَّان (٨ : ٢٦٣) .
الطُّبرسي : أي مظهر كلمته ومؤيِّد نبيه ومُعلِن
دينه وشريعته ، ومبلَّغ ذلك غايته . (٥ : ٢٨٠)

الشتاء، حينما يزيد الليل على اثنتي عشرة ساعة، وهو ليل السابع عشر من كانون الأول الذي يصادف - كما قيل - ميلاد عيسى عليه السلام. يقال: سافرنا شهرنا ليل الشتاء لانعزسه - أي لانزل آخر الليل للراحة - وهو ليل تمام، وليل تمام، وليل الشتاء، وليل تمامي.

وقالوا أيضاً: هي الليلة التي يتم فيها القمر فيصير بدراً، وهو الصواب، لأنه يوافق الاشتقاق. أما القول الأول فلا يناسب الحال فضلاً عن الاشتقاق، لأن ميلاد عيسى عليه السلام يصادف في الخامس والعشرين من كانون الأول، وليس في السابع عشر منه، كما قيل، ويعدّ الإيرانيون ليلة الثاني والعشرين من كانون الأول أطول ليلة في العام، وهم يطلقون عليها اسم «يلدا» ولا يزالون يحتفلون بها إلى هذا اليوم.

الاستعمال القرآني

جاءت من الجرد ماضياً (٤) مرّات (١ و ٢ و ٣ و ٦)، ومصدرًا مرّة (٢٠)، ومن باب الإفعال ماضياً (٥) مرّات (٤ - ٨)، ومضارعاً (٧) مرّات (٨ - ١٤)، وأمرًا (٤) مرّات (١٣ و ١٦ و ١٧ و ١٩)، واسم الفاعل مرّة (١٥) في خمسة محاور:

أ- إقام الكلمة:

- ١- «وَتَشْتَكِي كَيْفَ زَيْلِكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَأَسْبَدَلَ لِكَيْفَانِيهِ وَهُوَ الشَّيْخُ الْقَلِيمُ» الأنعام: ١١٥
- ٢- «وَتَشْتَكِي كَيْفَ زَيْلِكَ الْخُنْزِيُّ عَلَى بَنِي

امتلاً فبهراً، وهو بدر تمام وقام، وبدر تمام.

والشّتة: الجزّة من الصّوف أو الشعر أو الور وهو صوف شاة خلال سنة، والجمع: شَم، والمُسْتَمَرّ: الذي يطلب الصّوف والور ليستمرّ به نسج كسائه، يقال: استمّته، أي طلب منه الشّم، وأقّة: أعطاه إياها.

والتمشيمة: خَرَزَة رَظَاء تُنظَّم في الشير وكأَنهم يريدون أن تكون تمام الدّواء والشّفاء المطلوب، ثم يُعَقَّد في العنق تَحْتَ حُوذة، والجمع تَمَائِم وتَمِيم، يقال: تَمَّشَت المولود، أي علّقَت عليه التمشائم، وكان الأعراب يعلّقونها في الجاهليّة على أولادهم، ينغون بها النفس والعين برعهم، فأجلّله الإسلام.

والمُتَمَّم: المتكسر، يقال: تَمَّ الكسر فتَمَّ وتَمَّ، أي انصدع ولم يَبْنِ، أو انصدع ثم بَانَ. وظلّع فلانٌ ثم تَمَّ تَمَّتْهُ، أي ثم عَزَجُهُ كسرًا، من قولهم: ثم أي كُسر، ولأجل هذا سمّي المُتَمَّم بالمتكسر، وكان تمام الكسر به.

والتامّ من الشّر: ما يمكن أن يدخله الرّحاف^(١) فيسلم منه، وقد غمّ الجزء تمامًا، والمُتَمَّم: كلّ ما زيد عليه بعد اعتدال البيت، وسمّي بذلك لأنّه تَمَّ أصل الجزء. والتستيم في الأيسار: أن ينقص في الأيسار في الجزور، فيأخذ رجل ما بقي حتّى يَتَمَّ الاتصاء، ورجل مُتَمَّم: فاز قِدْحُهُ مرّة بعد مرّة، فأطعم لحمه المساكين، وقد تَمَّهم.

وقولهم: تَمَّ الرجل، أي صار تَمِيمِي الزّأني والهوى والهنة، وتَمَّ أيضًا: انتسب إلى تميم.

٢- وليل الشّام: قيل: هو أطول ما يكون من ليالي

(١) وهو في علم العروض تنبيه يلحق ثاني السبب الخفيف أو التثنية.

تَبَيَّنَ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُمِيزُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾

التحل: ٨١

د: إتمام التور:

١٣ ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ سُبْحَانَ

أَيْدِيهِمْ وَيَا أَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاجْعَلْ لَنَا

إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٨﴾ التحريم: ٨

١٤ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَسْلُبُ

اللَّهُ إِلَهُهُمُ إِنَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣٩﴾ التوبة: ٣٢

١٥ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ

نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤٠﴾ الصف: ٨

ه: إتمام الأحكام والعهود والكتاب:

١٦ ﴿لَمْ يَأْتُوا الشَّيْءَ إِلَى الثَّلَاثَةِ وَلَا يَتَّبِعُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ

عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴿١٤١﴾ البقرة: ١٨٧

١٧ ﴿وَأَمَّا الْحَقُّ فَهُوَ قَدْ أَخَصَرْتُمْ قَسَا

اشْتَبَهْتُمْ مِنَ الْهَدْيِ... ﴿١٤٢﴾ البقرة: ١٩٦

١٨ ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ

لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الْوِضَاعَةَ... ﴿١٤٣﴾ البقرة: ٢٣٣

١٩ ﴿وَالَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ

لَمْ يَنْقُصُوكُمْ غَيْثًا وَلَمْ يَغْضَبُوا عَلَيْكُمْ أَعْدَا فَأَيُّ الْيَوْمِ

عَهْدُهُمْ إِلَيَّ مَذْهَبُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٤﴾ التوبة: ٤

٢٠ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي

أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّكُمْ يَلْقَاوُ

رَبَّهُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ الأنعام: ١٥٤

يلاحظ أولاً: أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ جَاءَتْ دَائِمًا فِي سِيَاقِ

الْإِحْسَانِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِكْمَالِ، فَتَعَلَّقَتْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ فِي (١)

- (٤)، وَبِسَبْطِ عَمَلِ مُوسَى لِنَحْيِ لُحْظِ الْإِسْلَامِ فِي (٥)،

إِسْرَاءَ بَلٍ بِمَا صَبَرُوا... ﴿١٤٦﴾ الأعراف: ١٣٧

٢ ﴿وَمَتَّعْتُ كَلِمَةً رَبِّكَ لِأَمْلَانٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ

وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٧﴾ هود: ١١٩

٤ ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَسْتَبِطُّهُنَّ قَالَ

إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا... ﴿١٤٨﴾ البقرة: ١٢٤

ب: إتمام السنين والميعات:

٥ ﴿قَالَ إِنِّي أَبْرِدُ أَنْ أَتُكَيِّمَكَ إِخْدَى ابْتَنَىٰ هَاتَيْنِ

عَلَيَّ أَنْ تَأْخُذَنِي تَمَازِي جَعِجَ فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا فَمِنْ

عِنْدِكَ... ﴿١٤٩﴾ القصص: ٢٧

٦ ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ

مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَوْبَعِينَ لَيْلَةً... ﴿١٥٠﴾ الأعراف: ١٤٢

ج: إتمام النعمة:

٧ ﴿...أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٥١﴾ المائدة: ٣

٨ ﴿وَكَذَلِكَ يُجَسِّدُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَابِيلِ

الْأَخَادِيثِ وَيُمِيزُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلٍ يَغُفُّونَ كَمَا

أَتَمَّهَا عَلَىٰ آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿١٥٢﴾ يوسف: ٦

٩ ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمِيزَ

نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٥٣﴾ النحر: ٢

١٠ ﴿...فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنِي وَلَئِنْ نِعْمَتِي

عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٤﴾ البقرة: ١٥٠

١١ ﴿...مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُفْضَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَرَجٍ وَلَكِنْ

يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُمِيزَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥٥﴾

المائدة: ٦

١٢ ﴿...وَجَعَلَ لَكُمُ سِرَاطِيلَ تَبَيَّنَ الْهَوَىٰ وَسِرَاطِيلَ

النار تمامًا، كما شاء الله دون نقصان.

وفي (٣) أتى إبراهيم بما أمره الله تمامًا لم ينقص منه شيء، ولا وجه لما اختلفوا في وجه التسام في هذه الآيات.

رابعًا: قالوا في (٦): ﴿فَمَ بَيَّاتٌ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ خالية من الفائدة، لأنها من قبيل توضيح الواضحات، وأجابوا عنه بوجوه لا تخلو من ضعف. والحق أنها فذلك لما قبلها، والفذلك تكرر لما سبقها دائمًا، إلا أنها لا تخلو من فائدة، ولعل الفائدة في الآية إزالة الخلاف بينها وبين ﴿وَأَذِّنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ البقرة: ٥١، أي لافرق بينها إلا بالإجمال والتفصيل.

خامسًا: إتمام التهمة في الآيات (٧ - ١٢) كل بحسبها، في (٧) هو إكمال الدين، ومن كماله ما جاء في تفسير الآية من أمر الولاية، وفي (٨) سوهبة النبوة ليوסף وآل يعقوب، وفي (٩) و(١٠) نصرة الله نبيه على أعدائه، وفي (١١) إكمال حكم الطهارة التي بُنيت عليها الصلاة، وفي (١٣) إعطاء الناس نعمة اللباس والسراويل وقاء من البأس ومن الحر والبرد، لاحظ «ن ع م».

سادسًا: للبطاطاني بحث في اشتغال الآيتين (٩) و(١٠) على الوعد بفتح مكة ونقصه، فلاحظ.

سابعًا: إتمام التور في (١٣) هو نور المؤمنين في طريقهم إلى الجنة، وقد نطق به الكتاب في آيات، لاحظ «ن و ر». وفي (١٤) و(١٥) هو نور الإسلام، فالله وعدنا بحفظه ويسطه بين الأتنام وغلبته على الأديان، لاحظ «الإسلام» من «س ل م».

وبمبقات الله في (٦)، وبتمعة الله في (٧ - ١٢) وبنور الله في (١٣ - ١٥)، وبالصيام في (١٦)، وبالحدج والصمرة في (١٧)، وبالزراعة في (١٨)، وبالمهد في (١٩)، وبالكتاب في (٢٠).

فاللفظ والمعنى متناسقان مع السياق، ولهذا قد حست إليها (صدقًا وعدلًا) في (١)، و(الحسن) في (٢)، و(جاءك للناس إيمانًا) في (٤)، ومواجهة شعيب ونكاح ابنته في (٥)، ومواعدة الله موسى في (٦)، وإكمال الدين في (٧)، والاجتهاد وتعليم الأحاديث في (٨)، والاعتناء في (٩) و(١٠)، والشكر في (١١)، والتسليم في (١٢) وهلم جرا.

ثانيًا: الآية (٣): ﴿وَقَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا تَعْلَنَ بِهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أُنْجَبِينَ﴾ وعيد لأهل النار، فيختلف سياقها عن غيرها عند أول وهلة، إلا أن سياق ما قبلها تركيز لعدل الله وحكمته، وهما كمال الله ورحمة للناس ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمْ وَتَنَسَّ كَلِمَةً رَبُّكَ... هود: ١١٧ - ١١٩، وبذلك يتلاءم سياق الآيات. فالتعبير بـ﴿قَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ﴾ في الجميع يحكي حكمة الله البالغة ورحمته التامة، لاحظ «ك ل م».

ثالثًا: تمام كلمة في كل آية بحسبها، في (١) تمامها (صدقًا وعدلًا)، أي بلغت نهاية الصدق والعدل، فلاتوجد كلمة أصدق وأعدل منها.

وفي (٢) وقوعها على بني إسرائيل كما شاء الله تمامًا دون زيادة أو نقصان، وكذلك في (٤) تحقق جزاء أهل

ثامناً: جاء في (١٦) و(١٧) إتمام الصيام والحجّ
والعمرة - وقد سبق في (١١) إتمام الطّهارة - وفي (١٨)
إتمام الرّضاعة، وفي (١٩) إتمام عهد المشركين إلى
مدّتهم، وفي (٢٠) إتمام الكتاب على موسى ﷺ.
تاسعاً: جاء في النّصوص خلاف كثير حول هذه
الآيات، وليس الخلاف في الحقيقة في معنى التّسام، بل في
مصاديقه وكيفيّته، أو في ما تملّق به من معاني الكلمة

والكلمات والتّعمة والتّور وغيرها، فلاحظ.
عاشراً: اختلفوا في (١٧): ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ
لِلَّهِ...﴾ اختلافاً كثيراً في معنى الإتمام، مستشهدين
بالتّأثر وأقاويل الصّحابة والتّابعين. ولا شاهد لشيء
منها في الآية سوى استمرارها إلى آخرها وإكمال
مناسكها، فلاحظ. تلك عشرة كاملة.

ت ن و ر

التنور

لفظ واحد، مرتان مكّبتان، في سورتين مكّبتين

النصوص اللغوية

لأنّه مهمل، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم، مثل الدّياج والدّينار والسّندس والإستبرق وما أشبهها، ولما تكلمت بها العرب صارت عربية.

قلت: ذات التناير: عقبة بجذاء زباله مما يلي المغرب منها. (١٤: ٢٦٩)

الصّاحِب: التّنور معروف، وصاحبه تّار، وهو وجه الأرض في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَارَ التَّنُورُ﴾ هود: ٤٠، وقيل: هو الموضع الَّذي ينشع منه الماء من العين.

وذا التناير: اسم موضع بالبادية. (٩: ٤٢٥)
الجَوْهَرِيّ: التّنور: الَّذي يُجَبَّر فيه، وقوله تعالى: ﴿وَقَارَ التَّنُورُ﴾ قال عليّ رضي الله عنه: هو وجه الأرض. (٢: ٦٠٢)

نحو أبوسهل الهزويّ. (التلويح في شرح الفصح: ٤٧)
الهزويّ: التّنور: عين ماء معروف، وقيل: هو تنور الخابزة، وافق لغة العرب لغة العجم. (١: ٢٦٣)

الخَلِيل: «التّنور» عمت بكلّ لسان، وصاحبه تّار، وجمعه: تناير. (٨: ١١٤)

أبو حاتم: «التّنور» ليس بحريّ صحيح، ولم تُعرف له العرب اسمًا غير «التّنور» فذلك جاء في التّزِيل ﴿وَقَارَ التَّنُورُ﴾ هود: ٤٠، لأنهم قد خطبوا بما قد عرفوا. (ابن دُرَيْد ٢: ١٤)

نحو ابن دُرَيْد (٣: ٥٢)، والفَيْهوميّ (١: ٧٧).
تَغَلَّبَ: وزنه «تَفْعُول» من التّور، وأصله «تنوور» فهزمت الواو ثمّ خَفَفَتْ، وشُدَّ الحرف الَّذي قبله. [ثمّ استشهد بشعر]

الأزهرّيّ: وقول من قال [الخَلِيل]: «إِنَّ التَّنُورَ عَمَتْ بِكُلِّ لِسَانٍ» يدلّ على أَنَّ الأصل في الاسم عجميّ فزيتها العرب، فصار عربيًّا على بناء «فَعُول» والدّليل على ذلك أَنَّ أصل بانه «تَنَرَّ» ولا يُعرف في كلام العرب،

به، كان خيراً لك. والمعنى: أنه كره الثوب المُصَنَّف للرجال. (الفائق ١: ١٥٥)

مثله المديني. (١: ٢٤٤)

ابن الأثير: [نحو الزُّنْشَرِي وَأُضَاف]

والتَّوَر: الذي يُجَبَّر فيه، يقال: إنه في جميع اللغات كذلك. (١: ١٩٩)

الصَّغَانِي: التَّار: صاحب التَّوَر وصانعه.

(٢: ٤٢٣)

القُرْطُبِيُّ: والتَّوَر: اسم أعجمي عَرَبَتْهُ العرب، وهو على بناء «فُعْل» لأنَّ أصل بنائه «تَر» وليس في كلام العرب نون قبل راء. (٩: ٣٤)

أَبُو حَيَّان: التَّوَر: مستَوْد التَّار، ووزنه «فُعول» عند أبي علي، وهو أعجمي وليس بمشتق. (٥: ١٩٩)

الفيروز اِبْسَادِي: التَّوَر: الكانون يُجَبَّر فيه، وصانسه تار، ووجه الأرض، وكلَّ مَفْجَر ماء، ومَحْفَل ماء الوادي، وجبل قرب المصيبة، وذات التناير: عقبة يجذأ رُيَّالة. (١: ٣٩٥)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٩٢)

المُصْطَفَوِي: إنَّ هذه الكلمة مستعملة في اللِّغة البِيعِيَّة والسَّرِيَّة والفارسيَّة والتَّرْكِيَّة باختلاف يسير.

فإذا قلنا: إنَّ الأصل هو الفارسية، فلا بدَّ أن يكون مأخوذاً من «تَن وَنور» أي جسم التَّوَر وبدنه، فَعَبَّرَ بها عن محلِّ تَوَدُّد فيها التَّار للطَّيخ، ثمَّ حَقَّقَ فقيل: تَوَر، وقيل: باللهجة التَّرْكِيَّة: تندور، وباللهجة العربيَّة: تَوَر،

التَّعَالِي: في ذكر أسماء قائمة في لِسَنِي العرب والفرس على لفظ واحد: التَّوَر، الحُصِير، الزَّمان، الدِّين، الكَنْز، الدِّينار، الدَّرهم. (٥: ٣٠)

ابن سيده: التَّوَر: نوع من الكَوَانِين. قال أحمد بن يحيى: التَّوَر «تَقْعُول» من التَّار. وهذا من الفساد بحيث تراه، وإنَّما هو أصل لم يُسْتعمل إلَّا في هذا الحرف، وبالإضافة، وصاحبه تَار.

والتَّوَر: وجه الأرض، فارسيٌّ مُعَرَّبٌ. وقيل: هو بكلِّ لغة. وفي التَّنْزِيل: «وَقَارَ التَّوَرُ» هود: ٤٠، المؤمنون: ٢٧.

وكلَّ مَفْجَر ماء: تَوَر.

وتناير الوادي: محافله. [ثمَّ استشهد بـ]

(٩: ٤٧٥)

التَّوَر: الكانون يُجَبَّر فيه. (الإفصاح ١: ٤١٠)
الرُّمَّحَشَرِي: التَّيَّيَّةُ «أناه رجل وعليه ثوب مُصَنَّف، فقال له: لو أنَّ نوبك هذا كان في تَوَر أهلك، أو تحت قَدْر أهلك، لكان خيراً لك. فذهب الرَّجُل فجعله في التَّوَر أو تحت القَدْر.

ثمَّ غدا على التَّيَّيَّةِ، فقال: ما ضلَّ الثَّوب؟ فقال: صنعت ما أمرتني به. فقال: ما كذا أمرتك! أفلا ألقيته على بعض نساءك؟»

قال أبو الفتح الهَمْدَانِي: كان الأصل فيه «تَوَوَر» فاجتمع وادان وحُصِمَتْ وتشديد فاستقلَّ ذلك، فقلِّبوا^(١) عين الفعل إلى غائنه فصار تَوَر، فأبدلوا من الواو تاء، فكفَّهم: تَوَلَّج في وَوَلَج.

أراد لو صرفت منه إلى دقيق مخبئه أو حطب تطبخ

وكذلك في العبرية.

وإذا قلنا إن الأصل فيها العبرية، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ مأخوذاً من كلمة «تاء» و«نور» ثم انقلبت الهجزة نوّتا وأدغمت.

قع - ٨٨ [تاء] حُجيرة، غرفة ٦٦٦
[نور] = «آرامية» نار.

فيكون معنى التّور: حُجيرة النار، ثمّ، استعمل في لغة العرب أيضاً. (٣٧٧: ١)

النصوص التفسيرية

التّور

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ... هود: ٤٠

الإمام علي عليه السلام: هو تنوير الصبح.

(الطبري ٣٨: ١٢)

إذا طلع الفجر. (الطبري ٣٩: ١٢)

إنّه طلوع الشمس. (ابن الجوزي ١٠٥: ٤)

إنّه مسجد بالكوفة من قبيل أبواب كِنْدَةَ.

(الماوردي ٤٧٢: ٢)

أي برز التور وظهر الضوء، وتكاثفت حرارة دخول

النّهار وتقضي الليل. (أمالى المرتضى ١٧٠: ٢)

إنّه في مسجد الكوفة، وقد صلّى فيه سبعون نبياً.

(السيابوري ٢٦: ١٢)

المراد بالتّور: وجه الأرض. (السيابوري ٢٧: ١٢)

مثله عِكْرِمَةُ (الطبري ٣٨: ١٢)، وابن عباس

والزجاج (الطوسي ٥: ٥٥٦).

أما والله ما هو تنور الخبز، ثمّ أوماً بيده إلى الشمس، فقال: طلوعها. (المروسي ٢: ٣٥٦)

ابن عباس: التّور: وجه الأرض. قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

والعرب تسمي وجه الأرض: تنور الأرض.

(الطبري ٣٨: ١٢)

نحوه عِكْرِمَةُ والزهرى وابن عيّنة.

(القرطبي ٩: ٣٣)

إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء، فبأنه هلاك

قومك. (الطبري ٣٨: ١٢)

فار التّور بالهند. (الطبري ٤٠: ١٢)

يعني خروج الماء من موضع لم يبعد خروجه منه علامة لنوح عليه السلام، وهو تنور الخبز.

مثله مجاهد والحسن. (الطوسي ٥: ٥٥٦)

التّور الذي بالجزيرة، وهي عين الوزد.

(الأزهري ١٤: ٢٦٩)

مثله عِكْرِمَةُ. (الماوردي ٢: ٤٧٢)

إنّ التّور هو تنور الخبز الحقيقي.

مثله مجاهد والحسن. (الشريف المرتضى: ١٧٠)

إنّه تنور آدم عليه السلام، وهبه الله لنوح.

(ابن الجوزي ٤: ١٠٥)

نحوه مجاهد والحسن. (السيابوري ١٢: ٢٦)

زُرُّ بن حبّيش: فار التّور من زاوية مسجد

الكوفة اليماني. (ابن الجوزي ٤: ١٠٥)

الشّعبي: موضع تنور نوح كان في ناحية الكوفة.

فيضًا، وفاض الفرات فيضًا، والعيون كلهن فيضًا،
ففرقهم الله عز وجل وأنهى نوحًا ومن معه في السفينة.

(التَّوْصِي ٢: ٣٥٥)

جاءت امرأة نوح إليه، وهو يعمل السفينة، فقالت
له: إِنَّ التَّنُورَ قد خرج منه ماء. فقام إليه مسرعًا حتى
جعل الطَّبَقَ عليه ففتحته بخاتمه، فقام الماء، فلما فرغ نوح
من السفينة، جاء إلى خاتمه ففضّه وكشف الطَّبَقَ، فزار
الماء.

مُفَاتِلٌ: فار من أقصى دار نوح بعين وزدّة من
أرض الشام.

كان ذلك تنور آدم، ولَمَّا كان بالشَّام موضع يقال
له: عين وزدّة.

الفُؤَادُ: هو تنور الحائز، إذا فار الماء من آخر مكان
في دارك فهي آية العذاب، فأسر بأهلك.

(الْمَوْزُونِي ٤: ١٠٥)

الطَّبِيرِي: [بعد نقل أقوال المفسرين قال:]
وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: (التَّنُورُ)
قول من قال: هو التَّنُورَ الَّذِي يُخْبِزُ فيه، لأن ذلك هو
المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلّا إلى
الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلّا أن تقوم
حجّتهم على شيء منه، بخلاف ذلك فيسلم لها.

النَّفَاشُ: اسم المستوفد التَّنُورَ، بكلّ لغة.

(ابن عطية ٣: ١٧١)

منه مجاهد.

مُجَاهِدٌ: التَّنُورَ، الَّذِي يُخْبِزُ فيه، وكان من

حجارة، وكان لمُؤَادٍ حتى سار لنوح.

(أبو حيان ٥: ٢٢٢)

نحوه القراء ومُفَاتِلٌ.

(ابن الجوزي ٤: ١٠٥)

التَّنُورَ: حيث ينبجس الماء فيه، أمر نوح أن يركب

ومن معه السفينة.

(الأزهري ١٤: ٢٦٩)

الحسن: إنّه موضع اجتماع الماء في السفينة.

(الطَّبِيرِي ٩: ٣٤)

قَتَادَةُ: كَتَا حَدَّثَ أَنَّهُ أَعْلَى الْأَرْضِ وَأَشْرَفُهَا،

وكان علمًا بين نوح وبين ربّه.

(الطَّبِيرِي ١٢: ٣٩)

كان تنور نوح، أو أعلى الأرض والمواضع المرتفعة.

(أبو حيان ٥: ٢٢٢)

والتَّنُورَ: مازاه على وجه الأرض فأشرف منها.

(الْمَوْزُونِي ٢: ٤٧٢)

الإمام الصادق عليه السلام: عن المفضل بن عمر قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن قول الله

عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَهْرَؤَنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾، فأين

كان موضعه وكيف كان؟

فقال: كان التَّنُورُ في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة

مينة المسجد.

فقلت له: فإنّ ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم،

ثمّ قلت له: وكان بدو خروج الماء من ذلك التَّنُورُ؟

فقال: نعم، إنّ الله عز وجل أحبّ أن يري قوم نوح

آية، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أرسل عليهم المطر يفيض

وافقت فيه لغة العرب لغة العجم. [ثم ذكر أقوال المتقدمين] (٥: ٥٥٦)

ابن عَطِيَّة : واختلف الناس في التَّنَوُّر:

فقال: فرقة: كانت هذه أمانة جعلها الله لنوح، أي إذا غار التَّنَوُّر فاركب في السفينة، ويشبه أن يكون وجه الأمانة أنْ مستوفد النار إذا غار بالماء فغيره أشد فوراناً، وأخرى بذلك. [ثم أدام البحث بنقل الأقوال أو الحمل على الجواز] (٣: ١٧٠)

الفَخْر الرَّايزي : في التَّنَوُّر قولان:

أحدهما: أَنَّهُ التَّنَوُّر الَّذِي يُخْبِز فيه، والثاني: أَنَّهُ غيره.

أما الأول وهو أَنَّهُ التَّنَوُّر الَّذِي يُخْبِز فيه، فهو قول جماعة عظيمة من المفسرين كابن عباس والحسن ومجاهد.

وهؤلاء اختلفوا، فمنهم من قال: إِنَّهُ تَنَوُّر نوح ﷺ، وقيل: كان لآدم. قال الحسن: كان تَنَوُّراً من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح ﷺ.

واختلفوا في موضعه، فقال الشعبي: إِنَّهُ كان بناحية الكوفة. وعن علي رضي الله عنه: أَنَّهُ في مسجد الكوفة، قال: وقد صلى فيه سبعون نيتاً. وقيل: بالشَّام بموضع يقال له: عين وردان، وهو قول مقاتل. وقيل: فار التَّنَوُّر بالهند. وقيل: إنْ أمرأته كانت تحب في ذلك التَّنَوُّر، فأخبرته بخروج الماء من ذلك التَّنَوُّر، فاستغل في الحال بوضع تلك الأشياء في السفينة.

القول الثاني: ليس المراد من التَّنَوُّر تَنَوُّر الخبز، وعلى هذا التقدير ففيه أقوال:

(ابن عَطِيَّة ٣: ١٧١)

الشَّريف المرتضى : [نقل أقوال الإمام علي عليه السلام]

وابن عباس وقناة وعكرمة ثم قال:

وخامسها: أن يكون معنى ذلك اشتد غضب الله تعالى عليهم، وحل وقوع نعمته بهم، فذكر تعالى التَّنَوُّر مثلاً لحضور العذاب، كما تقول العرب: «قد حمى الوطيس» إذا اشتد الحرب، وعظم الخطب. والوطيس هو التَّنَوُّر. وتقول العرب أيضاً: «قد فارت قدر القوم» إذا اشتد حربهم. [ثم استشهد بشعر]

وسادسها: أن يكون «التَّنَوُّر» الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة، فجعل فوران الماء منه والسفينة على الأرض علماً على ماأنذره من إهلاك قومه.

وأول الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التَّنَوُّر الحقيقي، [وهو قول ابن عباس] لأنَّه الحقيقة وماسواه مجاز، ولأنَّ الروايات الظاهرة تشهد له، وأضعفها وأبعدها من شهادة الأمر قول من حمل ذلك على شدَّة الغضب، واحتداد الأمر تيملاً وتشبيهاً، لأنَّ حمل الكلام على الحقيقة التي تمضدها الرواية، أولى من حمله على المجاز والتوسع، مع فقد الرواية.

وأبي المعاني أريد بالتَّنَوُّر فإنَّ الله تعالى جعل فوران الماء منه علماً لنيته، وآية تدلُّ على نزول العذاب بقومه، لينجو بنفسه وبالمؤمنين. (٢: ١٧١)

نحو الطَّبْرسي.

الطُّوسي : وفي التَّنَوُّر أقوال:

منها: أن الماء غار من التَّنَوُّر الَّذِي يُخْبِز فيه. وقيل: التَّنَوُّر عين ماء معروفة، وتَنَوُّر الحمايرة

قلنا: لا يسجد أن يقال: إنَّ ذلك التَّنَوُّر كان لنوح عليه السلام، بأن كان تنور آدم أو حواء، أو كان تنورا عينه الله تعالى لنوح عليه السلام، وعرفته أنك إذا رأيت الماء يغور فاعلم أن الأمر قد وقع، وعلى هذا التقدير فلاحاجة إلى صرف الكلام عن ظاهره. (١٧: ٢٢٥)
نحوه البَيْضَاوِيُّ (١: ٤٦٨)، والثَّيَابَوِيُّ (١٢: ٢٦)، وأبو السَّحُود (٣: ٣١٢)، والقُرطُبِيُّ (٩: ٣٤)، والبرُّوسِيُّ (٤: ١٢٦).

التَّنْصِفِيُّ: هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته، وقيل: معناه جاش الماء من تنور الحيز، وكان من حجر لحواء، فصار إلى نوح عليه السلام. وقيل: التَّنَوُّر وجه الأرض. (٢: ١٨٨)

الخازن: والتَّنَوُّر فارسيّ معرَّب، لا تعرف له العرب اسمًا غير هذا، فلذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ، فحُطِّبوا بما يعرفون. وقيل: إنَّ لفظ التَّنَوُّر جاء هكذا بكلِّ لفظ عربيٍّ وعجميٍّ. وقيل: إنَّ لفظ التَّنَوُّر أصله أعجميٌّ، فتكلَّمت به العرب فصار عربيًّا مثل الدَّيْبَاج ونحوه، واختلفوا في المراد بهذا التَّنَوُّر. [ثم ذكر نحو الفَخْر الرَّايزِيّ] (٣: ١٨٩)

أبو حَيَّان: [ذكر أقوال المتقدمين وأضاف:]
والظاهر من هذه الأقوال حمله على التَّنَوُّر الذي هو مستوقد النار، ويحتمل أن تكون «أل» فيه للمهد لتنور مخصوص، ويحتمل أن تكون للجنس، فغار الماء من التناير، وكان ذلك من أعجب الأشياء أن يغور الماء من مستوقد النيران.
ولاتفاي بين هذا وبين قوله: ﴿وَوَسَّجْنَا السَّيِّدَاتِ﴾

الأول: أنه اضجر الماء من وجه الأرض، كما قال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ القمر: ١١، ١٢،
والعرب تسمي وجه الأرض تنورا.

الثاني: أن التَّنَوُّر أشرف موضع في الأرض وأعلى مكان فيها، وقد أخرج إليه الماء من ذلك الموضع، ليكون ذلك معجزة له، وأيضا المعنى أنه لما نبع الماء من أعالي الأرض، ومن الأمكنة المرتفعة فشبهت لارتفاعها بالتناير.

الثالث: (قَارَ التَّنَوُّر) أي طلع الصَّبح، وهو منقول عن علي رضي الله عنه.

الرابع: (قَارَ التَّنَوُّر) يحتمل أن يكون معناه أشدَّ الأمر، كما يقال: «حَمِي الوطيس». ومعنى الآية إذا رأيت الأمر يشتدُّ والماء يكثر فانج بنفسك ومن معك إلى السَّعْيَةِ.

فإن قيل: فما الأصح من هذه الأقوال؟
قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته، ولفظ التَّنَوُّر حقيقة في الموضع الذي يُحْبِز فيه، فوجب حمل اللفظ عليه.

ولا امتناع في العقل في أن يقال: إنَّ الماء نبع أولًا من موضع معيَّن، وكان ذلك الموضع تنورا.

فإن قيل: ذكر التَّنَوُّر بالآلف واللام، وهذا إما يكون معهود سابق معيَّن، معلوم عند السَّامع، وليس في الأرض تنور هذا شأنه، فوجب أن يُحْمَل ذلك على أن المراد: إذا رأيت الماء يشتدُّ نوعه والأمر يقوى فانج بنفسك ومن معك.

اتفقت فيه اللّغتان: العربية والفارسية، أو الكلمة فارسية في الأصل.

وفوران التّشّور: نبع الماء وارتفاعه منه، وقد ورد في الروايات أن أول ما ابتدأ الطّوفان يومئذ كان ذلك بتفجّر الماء من تّور، وعلى هذا فاللّام في التّشّور للهد، يشار بها إلى تّور مهود في الخطاب. ويحتمل اللفظ أن يكون كناية عن اشتداد غضب الله تعالى، فيكون من قبيل قولهم: «حمي الوطيس» إذا اشتدّ الحرب. [إلى أن قال:] وفي التّشّور أقوال أخر بعيدة من الفهم، كقول من قال: إن المراد به طلوع الفجر، وكان عند ذلك أول ظهور الطّوفان. وقول بعضهم: إن المراد به أعلى الأرض وأشرفها، أي انفجر الماء من الأمكنة المرتفعة ونجسود الأرض. وقول آخرين: إن التّشّور وجه الأرض هذا. (١٠: ٢٢٦)

محمد جواد مغنّيه: وللتّشّور معان في اللّغة، منها وجه الأرض، وهو المراد هنا. (٤: ٢٣٢)

المصطفي: «عَثُ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّشُّورُ» ظاهر الكلام ابتداء الفوران من التّور، وبقرينة التكليف الخاصّ فيها بعده المتوجّه إلى نوح عليه السلام «أخبر فيها من كلّ زوجين» يفهم أن المراد هو التّشّور الخصوص في بيت نوح عليه السلام، أو في محلّ كان تحت ظهره.

وأما خصوصيّة التّشّور: فإنّه حجرة التّار ومركز للحرارة، فلاناسبة بينه وبين فوران الماء منه إلا بأمر خارق للطّبيعة، مضافاً إلى أن التّشّور محلّ لخروج الخبز، وهو أعلى طعام للإنسان في إدامة حياته، فيكون ابتداء الفوران من ذلك المحلّ، إشارة إلى انقضاء أيام حياتهم.

عُيُونُهُ القمر: ١٢، إذ يمكن أن يراد به (الأرض) أماكن التّناير، والتّعبير غير الفوران، فحصل الفوران للتّشّور والتّعبير للأرض. (٥: ٢٢٢)

الشّربيني: [اكتفى بذكر الأقوال السابقة] (٢: ٥٧٢)

ومثله الآكوسي: (١٢: ٥٢)

رشيد رضا: اشتدّ غضب الله تعالى عليهم، فهو مجاز كحمي الوطيس. أو فار الماء من التّور عند نوح، لأنّه بدأ ينبع من الأرض. والتّشّور الذي يُخبر فيه الخبز معروف عند العرب.

قيل: إنّ النّاء أصلية فيه، وقيل: زائدة وقد اتفقت فيه لغة العرب والمعجم.

وقيل: أول من صنعه حواء أمّ البشر، وأنّ تّورها بقي إلى زمن نوح، وأنّه هو المراد هنا، وهذا مما لا يوثق به. [إلى أن قال:]

وقد روي فيه عن مفسّري الصحابة والتّابعين بضعة أقوال ماأراها إلّا من الإسرائيليات، أقربها إلى اللّغة: أن التّشّور أطلق في اللّغة على تّور الفجر، وأنّ المراد من فورانه هنا ظهور نوره، وهو مروى عن عليّ كرم الله وجهه، يعني أن هذا الوقت موعدهم كقوم لوط. والثّاني: أن المراد منه فوران الماء من تّور الخبز، وكان ذلك علامة لنوح عليه السلام، وهو يتوقّف على رواية مرفوعة، وينسب إلى ابن عباس رضي الله عنه. وأقرب منه أن يكون أول نبع ماء الطّوفان من الأرض. ولا يصحّ في هذه الآثار ولا في أمثالها رواية مرفوعة تحتجّ بها.

(١٢: ٧٦)

الطّباطبائي: والتّشّور تّشّور الخبز، وهو ممّا

وأَنَّهُ قد ظهر في التَّكْوِين أمر خطير، وكان ذلك علامة لنوح وأصحابه أن ينهضوا ويتَّجَّهوا.

ولعلَّ قوم نوح^(١) القفلة رأوا هذه الآية، وهي فوران التَّنُّور بالماء في بيوتهم، ولكن غَضُّوا أجبانهم وصَوَّروا آذانهم كعادتهم عند مثل هذا الإخطار، أي الدلالة الكبيرة، حتَّى أنَّهم لم يسمحوا لأنفسهم بالتفكير في هذا الأمر، وأنَّ إنذارات نوح وإخطاراته كانت لها واقعية. في هذه الحالة بلغ الأمر الإلهي نوحًا ﴿فَلَمَّا أَخْبَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَخْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَالِيهِ الْقَوْلُ وَضَعْنَا لَكَ﴾.

الأصول اللُّغَوِيَّة

١- اختلف اللُّغَوِيُّونَ والمفسِّرون في معنى «التَّنُّور» على أقوال، هي: الموقد الَّذِي يُنْبِز فيه، وطلوع الفجر ونور الصُّبْح، ووجه الأرض، وموضع اجتماع الماء في سفينة نوح، ومسجد الكوفة، والموضع المرتفع من الأرض، وعين في الجزيرة وهي عين الورد.

٢- وكما اختلفوا في مناه فقد اختلفوا في أصله أيضًا، فقالوا: هو عربي، أو فارسي، أو آرامي. بيد أَنَّهُ لفظ معروف في كثير من اللُّغَات، حتَّى قيل: إِنَّهُ في جميع اللُّغَات كذلك، فقد جاء في اللُّغَةِ الفارسيَّةِ والتركِيَّةِ والمصريَّةِ بلفظ «تَنور»، وفي الآراميَّةِ والسريانيَّةِ «تَنوراه»، وفي الأفغانيَّةِ «تَنازَه»، وفي الألباني (أوستا) «تَنوره».

ولا يبعد أن يكون المراد ظاهرًا أو باطنًا، هو فوران القُوَّة الغضبيَّة وظهورها، وبدو حرارة الشَّغَط والذاب الأَكِيم، فيكون التَّنُّور عبارة عن صفة وحالة قَهَّارِيَّة جبَّارِيَّة لله المتعال، فَإِنَّ أَخْذَهُ لشديد. (١: ٣٧٨) مكارم الشَّيرازي: «التَّنُّور» بتشديد التَّوْن، هو المكان الَّذِي ينضج الخبز فيه بعد أن كان عجينة. لكنَّ نامناسب فوران الماء في التَّنُّور واقتراب الطُّوفان؟ اختلف المفسِّرون فكانت لهم أقوال كثيرة في ذلك: قال بعضهم: كانت العلامة بين نوح وربه لحلول الطُّوفان أن يفور التَّنُّور، ليلتفت نوح وأصحابه إلى ذلك فيركبوا في السفينة مع وسائلهم وأسيابهم.

وقال جماعة آخرون: إِنَّ كلمة (التَّنُّور) استعملت هنا مجازًا وكناية عن غضب الله، وذلك لِأَنَّ غضب الله اشتدَّت شعلته وفار، وهذا يوحي بقرب حلول العذاب المدَّمر، وهذا التعبير مطَّرد حيث يُشبهون شدَّة الغضب بالهورة والإشتعال.

ولكن يبدو أنَّ الاحتمال الَّذِي يرى أَنَّ (التَّنُّور) هو بمعناه الحقيقي المعروف. هذا الاحتمال أقوى، والمراد بـ(التَّنُّور) ليس تنورًا خاصًا بل المقصود بيان هذه المسألة الدَّقِيقة، وهي أَنَّهُ حين فار التَّنُّور بالماء - وهو محلُّ النَّار عادة - التفت نوح ﷺ وأصحابه إلى أَنَّ الأوضاع بدأت تتبدَّل بسرعة وَأَنَّهُ حدثت المفاجأة، فأين «الماء من النَّار»؟!

ويتعبير آخر: حين رأوا أَنَّ سطح الماء ارتفع من تحت الأرض وأخذ يفور من داخل التَّنُّور الَّذِي يُصنع في مكان يابس ومحموظ، علموا أَنَّ أمرًا مهمًّا قد حدث

(١) كذا، والظاهر حين القفلة، أو هي جمع غافل - مثل فاسق وفسقة - وصف لقوم نوح.

كُلُّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ»

المؤمنون: ٢٧

يلاحظ أولاً: أَنَّ التَّوْرَ في القرآن خاصٌ بقصة نوح، وذكر مرتين كعلامة لحللول العذاب في سياق واحد، سوى أنه جاء في الأولى «فَلَنَّا أَجْلٌ فِيهَا»، وفي الثانية «فَنَسْلُكُ فِيهَا». وأضيف في الثانية (يُسْمُهُم)، ولاتفاوت في ذلك سوى مزيد من التوضيح.

وكونه علامة للعذاب مفهوم من (فَنَارَ التُّنُورَ)، حيث إنَّ ما بعدها جواب لها ومترتب عليها.

ثانياً: اختلفوا في المراد بـ(التُّنُورَ) كما مرَّ في النصوص من دون شاهد في القرآن على شيء منها، سوى ما هو صريح الآيتين: أَنَّ فوران التُّنُورِ كان علامة لحللول العذاب، فأمر نوح بحمل مازكر في السفينة، وهو الَّذِي قَوَّاهُ بعضهم.

ثالثاً: اختلفوا أيضاً في محلَّ التَّوْرَ بين بلدين: الكوفة والشَّام، وإنِّي أرى أنه ناشئ من تلك المنافسة والعداوة الَّتِي كانت بين أهالي البلدين في العصر الأموي، فكان هوى أهل الكوفة مع أهل البيت، وأهل الشَّام مع بني أمية، فأراد كلَّ منهما أن يكون له حظٌّ من هذه القصة. ويلحظ هذا الخلاف بوضوح في كثير من

المسائل، فبينني التَّيْبَ فيها وقبولها بجزر.

رابعاً: لقد أغبر القرآن بقصة الطُّوفان، وكشف آثارها العلم الحديث، وسبغتها في «طوفان» إنشاء الله فانظر.

ويرى «آثر جفري» أَنَّ هذا اللفظ من مغلطات أقوام كانت تعطن المنطقة السَّامِيَّة، قبل هجرة السَّامِيَّين والآرِيَّين إليها، ثم دخل بعد ذلك لغتي هذين السَّعِيَّين. ٣. وأما من قال بمريسته فقد ذهب إلى أَنَّهُ من قولهم: نَوَّرَ الفجر تنويراً، وهو قول الإمام عليٍّ عليه السلام كما تقدَّم في معنى التَّوْرَ. وأصله على هذا القول «تَوَّور» على وزن «فَعُول»، فاجتمع واوان وضمة وتشديد، فاستغفل ذلك، فقلبوا عين الفعل إلى فائه، فصار «وَوَّور»، فأبدلوا من الواو تاء، كقولهم: نَوَّجٌ، في «وَوَّجٌ»، والتَّوَّج: كناس الوحش.

وقيل: أصله «تَوَّور» على وزن «تَفْعُول» من «ت و ن ر»، فهزمت الواو الأولى، ثم حذفت تخفيفاً، وشدَّ الحرف الَّذِي قبلها - أي التَّوْن - فصار «تَوَّور». والقول الأوَّل أرجح، لأنَّ «ت و ن ر» مهمل في اللِّفَّة العربيَّة، والتَّوْن قبل الرَّاء نادر في كلام العرب، كقولهم: زَنَزَ الإِنَاءُ، أي ملأه، وسَيَّرَ الرَّجُلُ: ضاعَ خَلْقُهُ وساء. وشَرَّ فُلَانٌ فُلَانًا وعليه: فضَّحَهُ وعابَهُ.

الاستعمال القرآني

جاءت مرتين في قصة نوح:

١- «وَحَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّوْرُ فَلَنَّا أَجْلٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ»

هود: ٤٠

٢- «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّوْرُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ

ت و ب

٢٥ لفظاً، ٨٧ مزة : ١٩ مكية، ٦٨ مدنية
في سورة ٢٥ : ١٣ مكية، ١٢ مدنية

النصوص اللغوية

تاب ١٨ : ٧ - ١١	تُوبُوا ٧ : ٤ - ٣
تابها ١ : ١	التائبون ١ : ١
تابوا ١٠ : ٣ - ٧	تابت ١ : ١
تُبَّتْ ٢ : ٢	تَوَاب ٢ : ٢
تُبَّتْ ٣ : ١ - ٢	التَّوَاب ٦ : ٦
يَتُوب ١٢ : ١ - ١١	تَوَابًا ٣ : ٣
يَتُوبُ ١ : ١	التَّوَابِينَ ١ : ١
يَتُوبُونَ ٣ : ٣	متاب ١ : ١
يَتُوبُوا ٣ : ١ - ٢	متابًا ١ : ١
تَتُوبُ ١ : ١	توبة ٢ : ٢
أتوب ١ : ١	التوبة ٤ : ٤
تُبَّ ١ : ١	توبتهم ١ : ١
التوب ١ : ١	

الخليل: نُتِبَ إلى الله توبةً ومُتابًا، وأنا أتوب إلى الله
ليتوب عليّ ﴿قَابِلِ التَّوْبِ﴾ المؤمن : ٣، أي قابل التوبة،
تُطرح الهاء.
والتوبة : الاستحياء، يقال : ما طعامك طعام توبة،
أي لا يمتحنى منه ولا يُعْتَمَلُ.
(١٣٨ : ٨)
الليث : تاب الرجل إلى الله يتوب توبةً ومُتابًا،
والله التَّوَاب يتوب على عبده، والعبد تائب إلى الله،
وقال الله جلَّ وعزَّ : ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ المؤمن : ٣، أراد
التوبة.
(الأزهرى : ١٤ : ٣٣٢)
أبو حاتم : والتَّوَاب : التائب الفاعل، والتَّوَاب : الله
تعالى، قال : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ النور : ١٠، وقال :
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ البقرة : ٢٢٢.

(الأضداد : ١٣٦)

المُسَيَّرِد : وقوله : [عمر بن عبد الله في شعره]

* ما لقائنا من متاب *

أي من توبة، والمصدر إذا كان بزيادة الميم من: قَلَّ
يفُتْلُ فهو على «مَفْعَل» قال الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿قَاتِلْهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَنَابًا﴾ الفرقان: ٧١.

وأما قوله جَلَّ ذَكَرَهُ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾
المؤمن: ٣، فيكون على ضربين: يكون مصدرًا ويكون
جماعًا، فالمصدر قولك: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا، كمثلك: قال
يقول قولًا، والجمع: تَوْبَةٌ وتَوْبٌ، مثل تَمْرَةٍ وتَمْرٌ وَجَمْرَةٍ
وَجَمْرٌ. (١: ٣٨٣)

الأخْفَشُ: التَّوْبُ: جمع تَوْبَةٍ، مثل حَوْتَةٍ وَعَوْمٌ.

(الجهوهري: ١: ٩١)

ابن دُرَيْدٍ: والتَّوْبُ: مصدر تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا،
ويمكن أن يكون «التَّوْبُ» جمع توبة، ورجل تائب
وتَوَابٌ. (٣: ١٩٩)

تقول العرب: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ تَائِبِي وتَوَتَّي، وارحم
حائِبي وحَوَتِي، ويقولون: قَامَتِي وقَوْمَتِي وقِيَامَتِي. [ثمَّ
استشهد بشعر] (٣: ٤٨٨)

الأَزْهَرِيُّ: [ينقل قول اللَّيْثِ ثمَّ قال:]

قلت: أصل تاب: عاد إلى الله ورجع وأتاب، وتاب
الله عليه، أي عاد عليه بالمغفرة، وقال جَلَّ وَعَزَّ:
﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ السور: ٣١، أي صودوا إلى
طاعته وأنبيؤا.

والله التَّوَابُ: يَتُوبُ على عبده بفضلُه إذا تاب إليه
من ذنبه.

واستَبَيَّ فلانًا، أي عرضت عليه التَّوْبَةَ مما اقترف،
أي الرجوع والتَّوْبَةُ على ما فرط منه. [إلى أن قال:]

والتَّوَابُ: من صفات الله تعالى، هو الَّذِي يتوب

على عباده. والتَّوَابُ من الناس: هو الَّذِي يتوب إلى
رَبِّهِ. (١٤: ٣٣٢)

الصَّاحِبُ: (نحو الخليل وأُضاف:)

والتَّوْبَةُ: الإسلام، يقال: أدرك فلان زمن التَّوْبَةِ.

والتَّابَةُ: التَّوْبَةُ. (٩: ٤٧٣)

الجهوهري: التَّوْبَةُ: الرجوع من الذَّنْبِ، وفي الحديث:

«الندم توبة» وكذلك التَّوْبُ مثله.

وتَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا، وقد تَابَ اللَّهُ عليه: وفقه

هذا.

وفي كتاب سيبويه: التَّوْبَةُ على «تعملة»: التَّوْبَةُ.

واستأبه: سأله أن يتوب. (١: ٩٢)

ابن فارس: التَّاء والواو والياء كلمة واحدة تدلُّ

على الرجوع... (٣٥٧: ٣)

أبو هلال: الفرق بين التَّوْبَةِ والاعتذار: أَنَّ التَّائِبَ

مُعْتَرِفٌ بِالذَّنْبِ الَّذِي يَتُوبُ مِنْهُ، مُعْتَرِفٌ بِعَدَمِ عَذْرِهِ فِيهِ.

والمعتذر يذكر أَنَّ له فيما آتاه من المكروه عذرًا، ولو

كان الاعتذار التَّوْبَةَ لجاز أن يقال: اعتذر إلى الله، كما

يقال: تاب إليه.

وأصل العذر: إزالة الشيء عن وجهته، اعتذر إلى

فلان فعذره، أي أزال ما كان في نفسه عليه في الحقيقة أو

في الظاهر، ويقال: عذرتُه عذيرًا، ولهذا يقال: مَنْ

عذيري من فلان، وتأويله مَنْ يأتيني بعذر منه، ومنه

قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ المرسلات: ٦، والنُّذْرُ:

جمع نذير.

الفرق بين الندم والتَّوْبَةِ: أَنَّ التَّوْبَةَ أَخَصُّ مِنَ النَّدَمِ،

وذلك أنك قد تندم على الشيء ولا تعتقد قبجه، ولا تكون التوبة من غير قبح، فكل توبة ندم وليس كل ندم توبة.

الفرق بين الاستغفار والتوبة: أن الاستغفار: طلب المغفرة بالذعاء والتوبة أو غيرها من الطاعة. والتوبة: الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعادة. فلا يجوز الاستغفار مع الإصرار، لأنه مسلبة لله ما ليس من حكمة ومشيئته ما لا تفعله مما قد نصب الذليل فيه، وهو تحكّم عليه، كما يتحكّم المتأثر المتظّم على غيره، بأن يأمره بفعل ما أخبر أنه لا يفعله. (١٩٤)

الهُزُويّ: التوبة والمتاب واحد، يقال: تاب وتاب وأتاب بهم من المعصية إلى الطاعة، ومنه قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِمْ﴾ البقرة: ٥٤.

ويكون الرجوع بهم من التشديد إلى التخفيف، ومن الخطر إلى الإباحة. (٢٦٥: ١)

ابن سيده: تاب إلى الله توباً، وتوبته ومتاباً: أتاب ورجع عن المعصية إلى الطاعة. [ثم استشهد بـ] وتاب هو عليه.

ورجل تواب: تائب إلى الله. والله تواب: يتوب على عبده. والتوبة: «تفعله» من ذلك. (٥٤١: ٩)

التوبة: رجوع المذنب عن ذنبه بالندم عليه. تاب إلى الله تعالى من كذا وعن كذا يتوب توباً وتوبةً ومتاباً وتاباً: أفلح وأتاب ورجع عن المعصية إلى الطاعة.

وأصل تاب: عاد إلى الله ورجع وأتاب. وتاب الله على فلان: عاد عليه بالمغفرة، أو وقّعه للتوبة، أو رجع به من التشديد إلى التخفيف أو رجع عليه بفضل وقبوله.

واستتاب فلان فلاناً: عرض عليه التوبة مما اقترف، أي الرجوع والندم على ما فرط منه. واستتابه أيضاً: سأله أن يتوب.

والله تواب: يتوب على عبده إذا تاب إليه من ذنبه. (الإفصاح ٢: ١٢٨)

الطوسي: فالتوبة، والإنابة، والإقلاع نظائر في اللفظة، وضدّ التوبة: الإصرار. يقال: تاب يتوب توبةً وتوابعاً واستتابه.

والله تعالى يوصف بالتوابع، ومعناه أنه يقبل التوبة عن عباده.

وأصل التوبة: الرجوع عما سلف، والندم على ما فرط.

والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته، والعبد تائب إلى الله، بمعنى نادى على معصيته.

والتائب: صفة مدح لقوله: ﴿الْمُتَابِعُونَ الْفَاعِلُونَ﴾ التوبة: ١١٢. (١٦٩: ١)

مثله الطبرسي. (٨٨: ١)

الراغب: التوب: ترك الذنب على أجل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار.

فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت لأسأت وقد أقلت. ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة.

الصَّغَانِي : التَّوَابُ : من صفات الله تعالى ، أي يتوب على عبده بفضلله إذا تاب إليه من ذنبه ، والتَّوَابُ : التَّائِبُ .

التَّائِبَةُ : التَّوْبَةُ . وَيَتَّيِبُ : جبل من جبال المدينة .

(١ : ٧٥)

التَّوَابُ : التَّائِبُ ، والذي يتوب على عباده ، وهو الله جلَّ جلاله . (الأضداد : ٢٢٥)
الْفَيُّومِيُّ : تاب من ذنبه يتوب توباً وتوبةً ومَتَاباً : أقبل .

وقيل : التوبة هي التوب ، ولكن الهاء لتأنيث المصدر . وقيل : التوبة واحدة كالضربة ، فهو تائب . وتاب الله عليه : غفر له وأغفاه من المعاصي ، فهو تَوَابٌ مبالغة .

واستتابه : سأله أن يتوب . (١ : ٧٨)
الْفَيْرُوزُ ابَادِي : تاب إلى الله توباً وتوبةً ومَتَاباً وتَابَةً وتَوْبَةً : رجع عن المصيبة ، وهو تائب وتَوَابٌ .
وتاب الله عليه : وقفه للتوبة ، أو رجع به من التشديد إلى التخفيف ، أو رجع عليه بفضلله وقبوله ، وهو تَوَابٌ على عباده .

واستتابه : سأله أن يتوب .

والتَّائِبَةُ : التَّوْبَةُ . (١ : ٤١)
نحوه يَجْمَعُ اللُّغَةُ . (١ : ١٦٢)
الطُّرَيْحِيُّ : التَّوْبُ والتَّوْبَةُ : الرجوع من الذَّنْبِ ، وفي اصطلاح أهل العلم : التَّدَمُّعُ على الذَّنْبِ لكونه ذنباً .

وفي الحديث : «التَّدَمُّعُ توبة» .

وفيه عن عليٍّ عليه السلام : «التوبة بجميعها ستة أشياء : على

والتَّوْبَةُ في السَّرع : ترك الذَّنْبِ لقبه ، والتَّدَمُّعُ على ما فرط منه ، والمزِيمة على ترك المعاودة ، وتدارك ما لم يكن أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، فتى اجتمعت هذه الأربع ، فقد كُمِّلَ شرائط التَّوْبَةِ .

وتاب إلى الله : تذكر ما يقتضي الإِثَابَةَ . [تم ذكر آيات]

والتَّائِبُ : يقال لبذل التَّوْبَةِ ولقابل التَّوْبَةِ ، فالعبد تائب إلى الله ، والله تائب على عبده .

والتَّوَابُ : العبد الكثير التَّوْبَةِ ، وذلك بتركه كلَّ وقت بعض الذَّنْبِ على التَّرتيب ، حتَّى يصير تاركاً لجميعه ، وقد يقال له ذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال .
وقوله : «وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً» الفرقان : ٧١ ، أي التَّوْبَةُ الثَّانِيَةُ ، وهو المجمع بين ترك القبيح وتحري الجليل ، «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ» الزمر : ٣٠ ، «إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» البقرة : ٥٤ .

الرَّمْخَشَرِيُّ : تاب العبد إلى الله من ذنبه ، وتاب الله على عبده ، والله تَوَابٌ ، وإلى الله المَتَابُ .
واستتاب الحاكم فلاناً : عرض عليه التَّوْبَةَ ، والمرتدُّ يُسْتَتَابُ .

وأدرك فلان زمن التَّوْبَةِ ، أي الإسلام ، لأنَّه يُجَنَّبُ فيه من الشُّرك . [تم استشهد بشعر] (أساس البلاغة : ٤٠)
الطُّبْرَسِيُّ : أصل التَّوْبَةُ : الرَّجُوعُ ، وحقيقتها التَّدَمُّعُ على القبح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح .
وقيل : يكنى في حدِّها التَّدَمُّعُ على القبيح ، والعزم على أن لا يعود إلى مثله . (١ : ٢١)

قيل عنه جوابان:

أحدهما: لما ذكر آدم وحده بقوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ذكر بعده قبول توبته، ولم يذكر توبة حواء وإن كانت مقبولة التوبة، لأنه لم يتقدم ذكرها. والثاني: أن الاثنين إذا كان معنى فصلها واحداً، جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ الجمعة: ١١، وكما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ التوبة: ٦٢. (١: ١٠٩)

نحوه ابن المزمزّي. الطوسي: والتوبة شرطها التدم على ماضى من التقيح، والعزم على أن لا يعود إلى مثله من التقيح. لأن هذه التوبة هي المجتمع على سقوط العقاب عندها، وماعداها فمختلف فيه.

وقد يقول القائل: قد ثبت من هذا الأمر، أي عزمت على ألا أفعله، وصرت بمنزلة التائب، لأنها طاعة، فأما إسقاط العقاب عنده فتفضل منه تعالى. وقالت المعتزلة ومن وافقها: وذلك واجب، وقد بينّا الصحيح من ذلك في «شرح المجل». والتوبة إذا كانت من ترك نذب عندنا تصح، وتكون على وجه الرجوع إلى فعله. وعلى هذا تحتمل توبة الأنبياء كلهم في جميع ماخطى به القرآن. لأنه قد بينّا أنه لا يجوز عليهم فعل التقيح.

والمطبوع على قلبه له توبة، وبه قال أهل العدل. وقالت البكرية: لا توبة له. وهو خطأ، من قيل أنه

ومن الإشفاق فيما بين ذلك كله.

أما أنه لا بد من الترك، فلا أنه لو لم يترك لكان فاعلاً له، فلا يكون تائباً.

وأما التدم فلا أنه لو لم يندم لكان راضياً بكونه فاعلاً له، والراضي بالشئ قد يفعله، والفاعل للشئ لا يكون تائباً عنه.

وأما العزم على أن لا يعود إلى مثله، فلأن فعله معصية، والعزم على المعصية معصية.

وأما الإشفاق فلا أنه مأمور بالتوبة، ولا سبيل له إلى القطع بأنه أتى بالتوبة كما لزمه، فيكون خائفاً، ولهذا قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُ الْآخِرَةُ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الزمر: ٩، وقال ﷺ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا».

(الفخر الرازي ٣: ٢٠)

عبد الجبار: إذا كانت هذه المعصية صغيرة فكيف تلزم التوبة؟

والجواب: إنها تلزمه، لأن المكلف متى علم أنه قد عصى لم يعد^(١) فيما بعد وهو مختار، ولا مانع من أن يكون نادماً أو مصراً. لكن الإصرار قبيح فلا تتم مغارقه لهذا القبيح إلا بالتوبة، فهي إذن لازمة سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، وسواء ذكرها وقد تاب عنها من قبل أو لم يتب. (الفخر الرازي ٣: ٢١)

الماوردي: أي قبل توبته، والتوبة: الرجوع، فهي من العبد رجوعه عن الذنب بالتدم عليه، والإقلاع عنه، وهي من الله تعالى على عبده رجوع له إلى ما كان عليه. فإن قيل: فلم قال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: فتاب عليها، والتوبة قد توجهت إليها؟

فأثماً مأنسي من الذنوب، فإنه يجري مجرى التوبة منه على وجه الجملة، وقال قوم: لا يجري. وهو خطأ، لأنه ليس عليه في تلك الحال أكثر مما عمل. فأثماً مأنسي من الذنوب مما لو ذكر، لم يكن عنده معصية.

وهل يدخل في الجملة إذا أوقع التوبة من كل خطيئة؟ قال قوم: يدخل فيها، وقال آخرون: لا يدخل فيها، لكنه يتخلص من ضرر المعصية، لأنه ليس عليه أكثر مما علم في تلك الساعة. والأول أقوى، لأن العبد إذا لم يذكر حُرِفَ توبته إلى كل معصية، هي في معلوم الله معصية.

فأثماً المشرك إذا كان يعرف قبل توبته بفسق - إذا تاب من الشرك - هل يدخل فيه التوبة من الفسق في الحكم، وإن لم يظهر التوبة منه؟ قال قوم: لا يزول عنه حكم الفسق، وهو قول أكثر المعتزلة. وقال قوم: يزول عنه حكم الفسق. وقال الأخشيذ: القول في هذا باجتهاد. والذي يقوى في نفسي أنه يزول، لأن الإسلام الأصل فيه العدالة إلى أن يتجدد منه بعد الإسلام ما يوجب تضييقه.

فأثماً التوبة من قبيح مع الإقامة على قبيح آخر، يعلم ويمتد قبحه. فغند أكثر من تقدم صحيح، وقال أبو هاشم وأصحابه: لا تصح، وقد قلنا ما عدنا في ذلك في «شرح المجل» واعتمد الأولون على أن قالوا: كسا يجوز أن يمتنع عن قبيح لقبحه، ويفعل قبيحاً آخر وإن علم قبحه، كذلك جاز أن يندم من القبيح، مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه. وهذا إلزام صحيح ممتنع. واختلفوا في التوبة عند ظهور أضرار الساعة، هل

لا يصح تكليفه إلا وهو متمكن من أن يتخلص من ضرر عقابه. وذلك لا يتم إلا بأن يكون له طريق إلى إسقاط عقابه. وقد وعد الله بذلك - وإن كان تعطلاً - إذا حصلت التوبة.

واختلفوا في التوبة من النصب، هل تصح مع الإقامة على منع المنصب؟ فقال قوم: لا تصح. وقال آخرون: تصح - وهو الأقوى - إلا أن يكون فاسقاً بالمنع، فيعاقب عقاب المانع، وإن سقط عنه عقاب النصب.

والصحيح أن القاتل عمداً تصح توبته، وقال قوم: لا تصح.

والتوبة من القتل الذي يوجب القود: قال قوم: لا تصح إلا بالاستسلام لولي المقتول، وحصول الندم، والعزم على أن لا يعود. وقال قوم آخرون: تصح التوبة من نفس القتل، ويكون فاسقاً بترك الاستسلام، وهذا هو الأقوى، واختاره الرُّمَّانِي.

فأثماً التوبة من قبيح بفعل آخر، فلا تصح على أصلنا كالكاتب من الإلحاد بعبادة المسيح. وقال قوم: تصح، وأجراه مجرى معصيتين يترك بإحداهما الأخرى، فإنه لا يؤاخذ بالمتركة.

وقال قوم: التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم أنها معصية بأنه يعتقد أنه لا محجوج إلا عارف، فإنه يتخلص من ضرر تلك المعصية إذا رجع عنها إلى المعرفة، وإن لم يقع معها توبة.

وقال آخرون: لا يتخلص إلا بالتوبة، لأنه محجوج فيه، مأخوذ بالترؤع عن الإقامة عليه، وهو الأقوى.

المفوت، فيسمى تأمله بسبب فعله المفوت محبوبه ندماً.
فإذا غلب هذا الأكم على القلب واستولى، انبثت من
هذا الأكم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى
فعل له تعلق بالحال وبالماضي والاستقبال.
أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملائماً،
وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت
للمحبيب إلى آخر العمر، وأما بالماضي فبتلافي مافات
بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر.

فالعلم هو الأول، وهو مطلع هذه الخيرات، وأعني
بهذا العلم: الإيمان واليقين، فإن الإيمان عبارة عن
التصديق بأن الذنوب مسمومة مهلكة، واليقين عبارة عن
تأكد هذا التصديق، وانتفاء الشك عنه واستيلائه على
القلب، فيشر نور هذا الإيمان بها أشرق على القلب نار
الندم، فيتألم بها القلب حيث يصير بإشراق نور الإيمان
أنه صار محبواً من محبوه، كمن يشرق عليه نور
الشمس وقد كان في ظلمة، فيسطع النور عليه بانفثاع
سحاب أو انحصار حجاب، فرأى محبوه وقد أشرف
على الهلاك فتشتمل نيران الحب في قلبه، وتنبعث تلك
النيران بإرادته للانتهاز للندار.

فالعلم والندم والتصد المستعمل بالترك في الحال
والاستقبال والتلافي للساضي، ثلاثة معان مرتبة في
المحصل، فيطلق اسم «التوبة» على مجموعها.

وكثيراً ما يطلق اسم «التوبة» على معنى الندم
وحده، ويجعل العلم كالتأنيب والمقدمة والترك
كالتسرة، والتأنيب المتأخر، وبهذا الاعتبار قال عليه السلام:
«الندم توبة» إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأمره.

تصح أم لا؟ فقال الحسن: يجب عنها عند الآيات
السنة. ورواه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «بادروا الأعمال
قبل ست: طلوع الشمس من مغربها، والدجال،
والدخان، ودابة الأرض، وخوصة أحدكم يعني
الموت، وأمر العامة يعني القيامة». وقال قوم: لا شك أن
بعض الآيات يجب، وباقيها محجوز، وهو الأخرى.

وقوله: «فَتَابَ عَلَيْهِ» يعني قبل توبته، لأنه لما
عرضه للتوبة بما ألفاه من الكلمات فعل التوبة، وقبلها الله
تعالى منه.

وقيل: «فَتَابَ عَلَيْهِ» أي وفق للتوبة وهداه إليها،
فقال: اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيَّ، أي وفقني للتوبة، فلفظه الكلمات
حتى قالها، فلما قالها قبل توبته. [إلى أن قال:]

وإنما قال: «فَتَابَ عَلَيْهِ» ولم يقل: تَابَ عليها؟
[أجاب كما تقدم في الوجه الثاني من كلام المازدي]

(١: ١٧٠)

نحو الطبرسي.

الغزالي: اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يستظم
ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة: علم، وحال، وفعل.
فالعلم الأول، والحال الثاني، والفعل الثالث. والأول
موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاء
أطراد شدة الله في الملك والمملوك.

أما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها
حجاباً بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة
محقة ييقن غالب على قلبه، ثار من هذه المعرفة تألم
للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب بها شعر بفوات
محبوبه تألم، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل

والتوبة، وحواء مشاركة له في ذلك بإجماع، لأنه
المخاطب في أول القصة بقوله: ﴿إِشْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ
الْجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥، فذلك كلمت القصة بذكره
وحد.

وأيضاً فلأن المرأة حرمة ومستورة فأراد الله التبر
لها، ولذلك لم يذكرها في المعصية، في قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ
رَبَّهُ فَقَوَّى﴾ طه: ١٢١. (١: ١٣١)

ابن شهر آشوب: أي قبل توبته وضمن التواب،
لأن التوبة غير موجبة لإسقاط العقاب، وإنما يسقط الله
تعالى العقاب عندها تفضلاً، والتوبة هي الرجوع،
فيجوز أن تقع ممن لا يهد من نفسه قبيحاً، ووجه
حسنها في هذا الموضع استعقاق التواب بها، أو كونها
لطفاً. (مستاه القرآن: ٢١٤)

الفخر الرازي: اعلم أنه لا يجوز أن يكون المراد أن
الله تعالى عرّفه حقيقة التوبة، لأن المكلف لا بد وأن
يعرف ماهية التوبة، وتضمن فعلها من تدارك الذنوب،
ويعيّرُها عن غيرها فضلاً عن الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام، بل يجب حمله على أحد أمور:

أحدها: التنبيه على المعصية الواقعة منه على وجه،
صار آدم عليه السلام عند ذلك من الثابتين المنبئين.

وثانيها: أنه تعالى عرّفه وجوب التوبة، وكونها
مقبولة لاحتالة، على معنى أن من أذنب ذنباً صغيراً أو
كبيراً ثم ندم على موضع ما صنع، وعزم على أن لا يعود،
فلن يأتوب عليه، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ﴾ أي أخذها وقبلها وعمل بها.

وثالثها: أنه تعالى ذكره بنعمه العظيمة عليه، فصار

وعن عزم يتبعه ويتلو، فيكون التدم محفوفاً بطرفيه،
أعني ثمرته مثير...

وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة: أنه ذوبان الحشا
لما سبق من الخطأ، فإن هذا يمرض لجرّد الأكم، ولذلك
قيل: هو نار في القلب تلتهب، وصدع في الكبد
لا ينشعب. وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة: إنه
خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء.

وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة تبديل
الحركات المذمومة بالحركات الحمودة، ولا يتم ذلك إلا
بالخلوة والصمت وأكل الحلال. وكأنه أشار إلى المعنى
الثالث من التوبة.

والأقوال في حدود التوبة لاتنحصر، وإذا فهمت
هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها، عرفت أن جميع
ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها،
وطلب العلم بمقتضى الأمور أهم من طلب الألفاظ
المجردة... راجع. (٤: ٣)

الزمخشري: واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة
حواء، لأنها كانت تبعاً له، كما طوى ذكر النساء في أكثر
القرآن والسنة لذلك، وقد ذكرها في قوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا
ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ الأعراف: ٢٣، ﴿فَتَابَ عَلَيْنَا﴾: فرجع
عليه بالرحمة والقبول. (١: ٢٧٤)

ابن عطية: معناه رجع به، والتوبة من الله تعالى:
الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق، والتوبة من العبد:
الرجوع عن المعصية والتدم على الذنب، مع تركه فيها
يستأنف.

وإنما خص الله تعالى آدم بالذكر هنا في التلقي

ذلك من الدواهي القوية إلى التوبة.

ورابعها: أنه تعالى علّمه كلاً ما لو حصلت التوبة معه، لكن ذلك سبباً لكحال حال التوبة. [ثم نقل قول الغزالي والنقل وقال:]

واعلم أن كلام الغزالي رحمه الله أبين وأدخل في التحقيق، إلا أنه يتوجّه عليه إشكال، وهو أن العلم يكون الفصل القلبي ضرراً، مع العلم بأن ذلك الفصل صدر منه، يوجب تألم القلب، وذلك التألم يوجب إرادة التّرك في الحال والاستقبال، وإرادة تلافي ما حصل منه في الماضي، وإذا كان بعض هذه الأشياء مرتّباً على البعض ترتّباً ضرورياً، لم يكن ذلك داخلاً تحت قدرته، فاستحال أن يكون مأموّراً به.

والحاصل: أن الداخل في الوسع ليس إلا تحصيل العلم، فأما ماعده فليس للاختيار إليه سبيل. لكن لقاتل أن يقول: تحصيل العلم ليس أيضاً في الوسع، لأنّ تحصيل العلم ببعض الجهولات لا يمكن إلاً بواسطة معلومات متقدّمة على ذلك الجهول، فتلك العلوم الحاضرة المتوسّل بها إلى اكتساب ذلك الجهول إما أن تكون مستلزمة للعلم بذلك الجهول، أو لم تكن مستلزمة.

فإن كان الأوّل كان ترتّب المتوسّل إليه على المتوسّل به ضرورياً، فلا يكون ذلك داخلاً في القدرة والاختيار، وإن كان الثاني لم يكن استنتاج المطلوب الجهول من تلك المعلومات الحاضرة، لأنّ المقدّمات القريبة لابد وأن تكون بحال يلزم من تسليمها في الذّهن تسليم المطلوب، فإذا لم تكن كذلك لم تكن تلك المقدّمات منتجة لتلك النتيجة.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: تلك المقدّمات وإن كانت حاضرة في الذّهن إلا أن كيفة التّوصّل بها إلى تلك النتيجة غير حاضرة في الذّهن، فلاجرم لا يلزم من العلم بتلك المقدّمات العلم بتلك النتيجة لامحالة؟

قلنا: العلم بكيفية التّوصّل بها إلى تلك النتيجة إما أن يكون من البديهيّات أو من الكسبيّات، فإن كان من البديهيّات لم يكن في وسعه، وإن كان من الكسبيّات كان القول في كيفة اكتسابه كما في الأوّل. فإما أن يُقضي إلى التّسلسل وهو محال، أو يُقضي إلى أن يصير من لوازمه فيعود المذمور المذكور، والله أعلم. [ثم نقل قول عبد الجبار وأضاف:]

أما أبو هاشم فإنه يجوّز أن يخلو العاصي من التوبة والإصرار، ويقول: لا يصحّ أن تكون التوبة واجبة على الأنبياء لهذا الوجه، بل يجب أن تكون واجبة لإحدى خلال. فإما أن تجب لأنّ بالصغيرة قد نقص ثوابهم، فيعود ذلك التقصّر بالتوبة. وإما لأنّ التوبة نازلة منزلة التّرك، فإذا كان التّرك واجباً عند الإمكان، فلا بد من وجوب التوبة مع عدم الإمكان.

وربما قال: تجب التوبة عليهم من جهة السّمع، وهذا هو الأصحّ على قوله، لأنّ التوبة وهو كونه نطفة إلى أشرف أحواله، وهو كونه خصباً ميبّاً. (٣: ١٩ - ٢١) القرطبي: أي قبل توبته، أو وقّعه للتوبة. وكان ذلك في يوم عاشوراء في يوم جمعة. [ثم ذكر نحو ما تقدّم في النصوص] (١: ٣٢٤)

الْبَيْضَاوِي: رجع عليه بالزّحمة وقبول التوبة، وإِنَّمَا رَبَّهَ الْفَاءَ حَلَّى تَلَفِي الْكَلِمَاتِ، لَتَضَمَّنَهُ مَعْنَى التَّوْبَةِ.

ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة، وقد ذكرها في قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ الأعراف: ٢٣.

وإنما لم يراع هذا الشر في امرأتَي نوح ولوط، لأنها كانتا كاهنتين، وقد ضرب بهما المثل للكفار، لأن ذنوبها كانت غاية في القبح والفحش، والكافر لا يناسب الشر عليه ولا الإغضاء عن ذنبه، بل ينادى عليه ليكون ذلك أخزى له وأحق لدرجة، وحواء ليست كذلك.

ولأن مصيبتها تكررت واستمر منها الكفر والإصرار على ذلك، والتوبة متعذرة لما سبق في علم الله أنها لا يتوبان، وليست حواء كذلك، لفئة ما وقع منها أو لرجوعها إلى ربها، ولأن التبكيك للمذنب شرع رجاء الإقلاع، وهذا المعنى معقود فيها.

وذكرها بالإضافة إلى زوجها، فيه من الشهرة ما لا يكون في ذكر اسمها غير مضافين إليها.

وتوبة العبد رجوعه عن المعصية، وتوبة الله على العبد رجوعه عليه بالقبول والرحمة. (١: ١٦٦)

الكاشاتني: التوبة: بمعنى الرجوع والإنابة، فإذا نُسب إلى الله تعالى تعدت بدعي، وإذا نسبت إلى العبد تعدت بدعي. ولعل الأول لتضمنين معنى الإشفاق والطف.

ومعنى التوبة من العبد: رجوعه إلى الله بالطاعة والانتقاد بعد ماصي وعتا، ومعناها من الله: رجوعه بالطف على عبده بإمامه التوبة أولاً، ثم قبوله إياها منه أخيراً. فله توبتان وللعبد واحدة بينهما. قال الله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ التوبة: ١١٨، أي ألهمهم التوبة

وهو الاعتراف بالذنب والتدم عليه، والعزم على أن لا يعود. [ثم ذكر نحو ما تقدم عن الزخري] (١: ٥٠). نحوه الشريبي (١: ٥١)، وأبو السعود (١: ١٢٣)، والبروسوي (١: ١١٣).

النيسابوري: [لخص كلام الفراءى وقال:] والتوبة لغة: الرجوع، فيشترك فيه الرب والعبد، فإذا وصف بها العبد فالمعنى راجع إلى ربه، لأن العاصي هارب عن ربه. وقد يفارق الرجل خدمة سيده فيقطع السيد مروفه عنه، فإذا عاد إلى السيد عاد السيد عليه بإحسانه ومروفه. وهذا معنى قبول التوبة من الله، وغفران ذنوب العباد «الثائب من الذنب كمن لا ذنب له». (١: ٢٨٥)

أبو حيان: أي تفضل عليه بقبول توبته. وأفرده بالإخبار عنه بالتوبة عليه وإن كانت زوجته مشاركة له في الأمر بالسكنى والنهي عن قربان الشجرة وتلقي الكلمات والتوبة لأنه هو المواجه بالأمر والنهي وهي تابعة له في ذلك، فكملت القصة بذكره وحده.

كما جاء في قصة موسى والخضر؛ إذ جاء حتى إذا ركبا في السفينة فحملها بهير^(١) نول، وكان مع موسى يوشع لكنه كان تابلاً لموسى، فلم يذكره ولم يجمع معها في الصير، أو اكتفى بذكر أحدها؛ إذ كان فعلها واحداً، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللهَ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسُوَ﴾ التوبة: ٦٢، و ﴿فَلَا يُغْنِي عَنْكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتْقٌ﴾ طه: ١١٧.

أو طوى ذكرها كما طواه عند ذكر المعصية في قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١، وقد جاء طوي

ليرجعوا ثم إذا رجعوا قبل توبتهم، لأنَّه هو التَّوَابُ
الرَّحِيمُ. (١: ١٠٥)

الْأَلُوسِيُّ: التَّوْبَةُ: أصلها الرَّجُوعُ، وإذا أَسَدَتْ إلى
العبد كانت - كما في الإحياء - عبارة عن مجموع أمور
ثلاثة. [وقد مرَّ ذكرها]

وأتى سبحانه بالغاء، لأنَّ تَلَقَّى الكلمات عين التَّوْبَةِ،
أو مستلزم لها، ولا شكَّ أَنَّ القبول مترتَّب عليه، فهي إذاً
لمجرد السَّبِيَّةِ. وقد يقال: إِنَّ التَّوْبَةَ لما دام عليها صحَّ
التَّعْقِيبُ، باعتبار آخرها إذ لا فاصل حيثن.

وعلى كلِّ تقدير لا ينافي هذا ما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنها، أنَّها بكيا مئتي سنة على ما فاتها،
ولم يقلَّ جلَّ شأنه - فتاب عليها - لأنَّ النساء تبع يغني
عنه ذكْر المتبوع، ولذا طوى ذكرهنَّ في كثير من
الكتاب والسُّنة. (١: ٢٣٧)

رشيد رضا: أي قبل توبته، وعاد عليه بفضل
ورحمته، ويَبِّن سبب ذلك بأنَّه تعالى هو التَّوَابُ، أي
الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ كثيراً. فهما يذنب العبد ويندم ويُنْتَبِ،
يُنْبِ الرَّبُّ عليه. وبأنَّه هو الرَّحِيمُ بعباده، مها يسيء
أحدهم بما هو سبب لتضبه تعالى ويرجع إليه، فإنَّه يحفَّ
برحمته. (١: ٢٧٩)

المُصَرِّغِيُّ: التَّوْبُ: الرَّجُوعُ، فإذا وصف به العبد
كان رجوعاً عن المعصية إلى الطَّاعَةِ، وإذا وصف به
الباري تعالى أُرِيدَ به الرَّجُوعُ عن العقوبة إلى المغفرة.

ولا تكون التَّوْبَةُ مقبولة من العبد إلَّا بالندم على
ما كان، ويترك الذَّنْبَ الآن، وبالعزم على ألا يعود إليه في
مستأنف الزَّمان. وبره مظالم العباد، وبإرضاء المحصر

بإيصال حقِّه إليه، والاعتذار له بالأسان.

والخلاصة إنَّه تعالى قبل توبته وعاد إليه بفضل
ورحمته. (١: ٩٢)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: التَّوْبَةُ: توبتان: توبة من الله تعالى
وهي الرَّجُوعُ إلى العبد بالرَّحمة، وتوبة من العبد وهي
الرَّجُوعُ إلى الله بالاستغفار، والاتِّقْلَاعُ من المعصية.

وتوبة العبد مخفوفة بتوبتين من الله تعالى، فإنَّ العبد
لا يستغني عن ربِّه في حال من الأحوال، فرجوعه عن
المعصية إليه يحتاج إلى توفيقه تعالى وإعوانه ورحمته
حتَّى يتحقَّق منه التَّوْبَةُ، ثم تَمَسَّ الحاجة إلى قبوله تعالى
وعنايته ورحمته. فتوبة العبد إذا قبلت كانت بين توبتين
من الله، كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيُتُوبُوا﴾ التَّوْبَةُ: ١١٨. (١: ١٣٢)

٢... عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَهْتَكُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ... البقرة: ١٨٧

أبو مسلم: التَّوْبَةُ من العباد: الرَّجُوعُ إلى الله
بالعبادَةِ، ومن الله: الرَّجُوعُ إلى العبد بالرَّحمة
والإحسان. (التَّيسَابُورِيُّ: ٢: ١٢٢)

فرجع عليكم بالإذن في هذا الفعل والتَّوْسعة عليكم.

(الفَخْرُ الرَّازِيُّ: ٥: ١١٧)
الطُّوسِيُّ: أي قبل توبتكم. (٢: ١٣٣)

مثله المَرَاغِيُّ (٢: ٧٩)، والشَّرِيفِيُّ (١: ١٢٣).

البِقَوِيُّ: تجاوز عنكم. (١: ٢٢٩)

الرَّمْضَخَرِيُّ: حين تبت ما ارتكبت من المظور.

(١: ٣٣٨)

مِنْ قِيلِكُمْ ﴿البقرة: ١٨٣﴾. تحريم ملاسة النساء ليلاً مطلقاً أو تحريمه كالأكل والشرب بعد النوم في الليل، فالتوبة على ظاهر معناها، أي إن الله قبل توبتكم، وعفا عن خيانتكم أنفسكم. (١٧٧: ٢)

٣... مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. الأنعام: ٥٤

ابن عطية: والتوبة: الرجوع، وصحتها مشروطة باستدامة الإصلاح بعدها في الشيء الذي تيب منه.

(٢٩٧: ٢)

الطبرسي: أي رجع عن ذنبه، ولم يصم على ماض، وأصلح عمله. (٣٠٨: ٢)

الفخر الرازي: اعلم أن هذا لا يتناول التوبة من الكفر، لأن هذا الكلام خطاب مع الذين وصفهم بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنبِيَائِهِ﴾ الأنعام: ٥٤.

فتبت أن المراد منه توبة المسلم عن المعصية.

والمراد من قوله: ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ ليس هو الخطأ أو الغلط.

لأن ذلك لا حاجة إلى التوبة، بل المراد منه أن تقدم على المعصية بسبب الشهوة، فكان المراد منه بيان أن المسلم إذا أقدم على الذنب مع العلم بكونه ذنباً ثم تاب منه توبة حقيقية، فإن الله تعالى يقبل توبته. [إلى أن قال:]

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ فقوله: (تاب) إشارة إلى التدم على الماضي. وقوله: (أصلح) إشارة إلى كونه أنيباً بالأعمال الصالحة في الزمان المستقبل. (٤: ١٣)

البروسوي: أي رجع عنه. (٣٩: ٢)

الطبرسي: أي قبل توبتكم، وقيل: معناه فرخص لكم وأزال التشديد عنكم. (٢٨١: ١)

القرطبي: يحتمل معنيين: أحدهما: قبول التوبة من خيانتهم لأنفسهم، والآخر: التخفيف عنهم بالرخصة والإباحة، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ نَفْسَهُ مُخْصَوَةٌ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ المزمل: ٢٠، يعني غف عنكم.

(٣١٧: ٢)

أبو حيان: [مثل القرطبي وأضاف:]

فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُشَاقِقِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ التوبة: ١١٧، معناه كلفه التخفيف.

وقيل: معناه أسقط عنكم ما افترضه من تحريم الأكل والشرب والمباح بعد المشاء أو بعد النوم على الخلاف. وهذا القول راجع لمعنى القول الثاني.

(٤٩: ٢)

البروسوي: عطف على ﴿عَلِمَ﴾ أي قبل توبتكم وتجاوز عنكم لما تبتم مما اقترعتموه. (٢٩٩: ١)

(٦٥: ٢)

مثله الأكوسي.

رشيد رضا: فإن كان ذنبهم تحريم مباح الله لهم في ليالي الصوم أو التورع عنه ليوافق صيامهم صيام أهل الكتاب من كل وجه، فنفسر التوبة بالرجوع عليهم ببيان الرخصة بعد ذكر فرض الصيام بجملاً، والتشبيه فيه مبهم، ويكون العفو عن الخطأ في الاجتهاد الذي أدى إلى التضيق على النفس وإيقاعها في المخرج.

وإن كان الذنب هو مخالفة الاعتقاد بأن كانوا هموا من النبي ﷺ أو من قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا عَلَى الْبَنِينَ

وشيد رضا: أي ثم رجع عن ذلك السوء بعد أن عمله شاعرًا بقبحه، نادماً عليه، خاتماً من عاقبته.

(٧: ٤٥٠)

مثله المُرَاعِي. (٧: ١٣٩)

الطَّبَاطِبَائِي: والآية ظاهرة الاتصال بالآية التي قبلها، يأمر الله سبحانه فيها نبيه ﷺ - بعدما نهاء عن طرد المؤمنين عن نفسه - أن يتلطّف بهم ويسلم عليهم، ويشير من تاب منهم عن سيئة توبة نصوحاً بمغفرة الله ورحمته، فطلب بذلك نفوسهم ويسكن طيش قلوبهم. ويتبين بذلك أولاً: أن الآية - وهي من آيات التوبة - إنما تتعرض للتوبة عن المعاصي والسيئات دون الكفر والشرك، بدليل قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ﴾ أي المؤمنين بآيات الله. [إلى أن قال:]

ونائلاً: أن تنبيد قوله: (تَابَ) بقوله: (أَصْلَحَ) للدلالة على تحقق التوبة بحقيقتها، فإن الرجوع حقيقة إلى الله سبحانه واللّواذ بجانبه لا يباح، لطهارة موقفه التقدر بقذارة الذنب الذي ظهر منه التائب الرجاس. وليست التوبة قول: «أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ» قولاً لا يعتدّ من اللسان إلى الجنان، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْ تُبَدِّلُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْشَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ البقرة: ٢٨٤.

(٧: ١٠٥)

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ النُّصْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ.

التوبة: ١١٧

ابن عباس: كانت التوبة على النبي لأجل إذنه للمنافقين في العود، دليله قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٣، وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه. (الفرطبي: ٨: ٢٧٨)

يريد ازداد عنهم رضا، ثم أكد هذه المعاني بقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾. (التيسابوري: ١١: ٣٣) الطَّبَرِيُّ: لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمداً ﷺ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله في الله، الذين اتبعوا رسول الله في ساعة المسرة منهم، من التفقة والظهر والزاد والماء... ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ثم رزقهم جلّ تناؤه الإنابة والرجوع إلى التّبات على دينه، وإيسار الحقّ الذي كان قد كاد يلتبس عليهم. (١١: ٥٤)

الماوردي: وفي هذه التوبة من الله على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار وجهان محتملان:

أحدهما: استنقاذهم من شدّة السر، الثاني: أنها خلاصهم من نكايّة العدو. وعبر عن ذلك بالتوبة وإن خرج عن عرفها، لوجود معنى التوبة فيه، وهو الرجوع إلى الحالة الأولى...

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ...﴾ وهذه التوبة غير الأولى وفيها قولان:

أحدهما: أن التوبة الأولى في الذهاب، والتوبة الثانية في الرجوع.

والقول الثاني: أن الأولى في السفر، والثانية بعد العودة إلى المدينة.

فإن قيل بالأول: أن التوبة الثانية في الرجوع،

احتملت وجهين:

محص الفضل من الله عز وجل، فلما ذكر الذنب أعاد التوبة، والمراد منه قبولها. (٢: ١٢٨)

أحدها: أنها الإذن لهم بالرجوع إلى المدينة.

نحوه المِيسِدِي (٤: ٢٢٤)، وابن الجوزي (٣: ٥١١)، والشَّريبي (١: ٦٥٥).

الثاني: أنها بالعودة لهم في إبطاء السماء عليهم حق حياء، وتكون التوبة على هذين الوجهين عامة.

وإن قيل: إن التوبة الثانية بعد عودهم إلى المدينة، احتملت وجهين:

أحدها: أنها العفو عنهم من مملأة من تخلف عن الخروج معهم.

الثاني: غفران ما هم به فريق منهم من العدول عن الحق، وتكون التوبة على هذين الوجهين خاصة. (٢: ٤١٢)

نحوه الطُّرطُبي (٨: ٢٧٨)

وقيل: معناه تاب الله عليه من إذنه للمنافقين في التخلّف عنه، كقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ التوبة: ٤٣. [إلى أن قال:]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير للتوكيد، ويجوز أن يكون الضمير للفريق، تاب عليهم لكي دوتهم. (٢: ٢١٨)

نحوه البَيْضاوي (١: ٤٣٥)، والتَّسَنِّي (٢: ١٤٨).

أحدها: أنها العفو عنهم من مملأة من تخلف عن الخروج معهم.

الثاني: غفران ما هم به فريق منهم من العدول عن الحق، وتكون التوبة على هذين الوجهين خاصة.

نحوه الطُّرطُبي (٨: ٢٧٨)

الْعُطُوسِي: أقسم الله تعالى في هذه الآية - لَأَنْ لَمْ (لَقَدْ) لَمْ الْقِسْم - بأنه تاب على النبي والمهاجرين والأنصار، بمعنى أنه رجع إليهم وقبل توبتهم. [إلى أن قال:]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي رجع عليهم بقبول توبتهم. (٥: ٣٦٢)

ابن عَطِيَّة: التوبة من الله: رجوعه بعبده من حالة إلى أرفع منها، فقد تكون في الأكثر رجوعاً من حالة طاعة إلى أكمل منها. وهذه توبته في هذه الآية صلى النبي ﷺ، لأنه رجع به من حاله قبل تحصيل الفزوة وأجرها وتحمل مشقاتها إلى حاله بعد ذلك كله.

البَغَوِيُّ: أي تجاوز وصفه، ومعنى توبته صلى النبي ﷺ بإذنه للمنافقين بالتخلّف عنه. وقيل: افتتح الكلام به، لأنه كان سبب توبتهم فذكره معهم، كقوله تعالى: ﴿فَأَنْ هُوَ حَسْبُكَ وَلِلَّهِ الْأَسْوَالُ﴾ الأنفال: ٤١، ونحوه. [إلى أن قال:]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة وقد قال في أول الآية: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو

فربما وقع في قلبهم نوع نفرة عن تلك السفرة، وربما وقع في خاطر بعضهم أننا لسنا نقدر على الفرار. ولست أقول: عزموا عليه، بل أقول: وسأوس كانت تقع في قلوبهم، فانه تعالى بين في آخر هذه السورة أنه يفضل عفا عنها، فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُشَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾.

والوجه الثاني في الجواب: أن الإنسان طول عمره لا يبتك عن زلات وهفوات، إما من باب الصغائر، وإما من باب ترك الأفضل. ثم إن النبي ﷺ وسائر المؤمنين لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه، وصبروا على تلك الشدائد والمحن، أخبر الله تعالى أن تحمل تلك الشدائد صار مكفراً لجميع الزلات التي صدرت عنهم في طول العمر، وصار قائماً مقام التوبة المقرونة بالإخلاص عن كلها، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾.

والوجه الثالث في الجواب: أن الزمان لما اشتد عليهم في ذلك السفر، وكانت الوسواس تقع في قلوبهم، فكلما وقعت وسوسة في قلب واحد منهم تاب إلى الله منها، وتضرع إلى الله في إزالتها عن قلبه، فلكثره إقدامهم على التوبة بسبب خطرات تلك الوسواس بياهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية.

والوجه الرابع: لا يبعد أن يكون قد صدر عن أولئك الأقوام أنواع من المعاصي، إلا أنه تعالى تاب عليهم وعفا عنهم، لأجل أنهم تحملوا مشاق ذلك السفر، ثم إنه تعالى ضم ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى ذكرهم تنبيهاً على عظم مراتبهم في الدين. وأنهم قد

وأما توبته على الفريق الذي كاد أن يزيغ، فرجوعه من حالة محطولة إلى حال غفران ورضا. (٣: ٩٢) العُطْرَسِي: (مثل الطوسي وأضاف:)

وأما ذكر اسم النبي ﷺ مفتاحاً للكلام وتحسيناً له، ولأنه سبب توبتهم، وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة. وقد روي عن الرضا علي بن موسى ﷺ أنه قرأ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُشَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾. (٣: ٨٠) نحوه فضل الله. (١١: ٢٣)

الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما استقصى في شرح أحوال غزوة تبوك، وبين أحوال المتخلفين عنها، وأطال القول في ذلك على الترتيب الذي لخصناه في هذا التفسير، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها. ومن بقية الأحكام أنه قد صدر عن رسول الله ﷺ نوع زلة جارية مجرى ترك الأولى، وصدر عن المؤمنين نوع زلة، فذكر تعالى أنه تفضل عليهم وتاب عليهم في تلك الزلات، فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: دلّت الأخبار على أن هذا السفر كان شاقاً شديداً على الرسول عليه الصلاة والسلام وصل المؤمنين، على ماسيجي شرحها، وهذا يوجب التناء، فكيف يليق بها قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُشَاجِرِينَ﴾.

والجواب من وجوه: أنه صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام شيء من باب ترك الأفضل، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ إِذْنْتَ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٣، وأيضاً لما اشتد الزمان في هذه الغزوة على المؤمنين

بلغوا إلى الدرجة التي لأجلها حُرمَ الرسول عليه الصلاة والسلام [يسم في قبول التوبة. [لأن أن قال:]

فإن قيل: ذكر التوبة في أول الآية وفي آخرها فما الفائدة في التكرار؟
قلنا: فيه وجوه:

الوجه الأول: أنه تعالى ابتداء بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييباً لقلوبهم، ثم ذكر الذنب، ثم أردفه مرةً أخرى بذكر التوبة، والمقصود منه تعظيم شأنهم.

والوجه الثاني: أنه إذا قيل: عفا السلطان عن فلان ثم عفا عنه، دلّ ذلك على أن ذلك العفو متأكد ببلغ الناية القصوى في الكمال والقوة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لينفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرةً» وهذا معنى قول ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يريد ازداد عنهم رخصاً.

والوجه الثالث: أنه قال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْغُصْرَةِ﴾ وهذا الترتيب يدلّ على أن المراد أنه تعالى تاب عليهم من الوسواس التي كانت تقع في قلوبهم في ساعة العسرة، ثم إنّه تعالى زاد عليه فقال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَغِيغُ قُلُوبُ قَوْمٍ مِنْهُمْ﴾ فهذه الزيادة أفادت حصول وسواس قوية، فلا جرم أتبعها تعالى بذكر التوبة مرةً أخرى لتلايق في خاطر أحدهم شك، في كونهم مؤاخذين بتلك الوسواس. (١٦: ٢١٤)

نحوه التيساري.
أبوحيان: [نقل قول ابن عطية والزحسري والفهر الرازي ثم قال:]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ الضمير في (عَلَيْهِمْ) عائد على الأولين أو على الفريق، فالجملة كُتبت تأكيداً، أو يراد بالأول: إنشاء التوبة وبالتالي: استدامتها، أو لأنه لما ذكر أن فريقاً منهم كادت قلوبهم يزيغ نص على التوبة ثانياً، رخصاً لتوهم أنهم مسكوت عنهم في التوبة، ثم ذكر سبب التوبة، وهو رافته بهم ورحمته. (٥: ١٠٩)

البزوصوي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو العفو عن إذنه للمنافقين في التخلف عنه، وهذا الإذن وإن صدر عنه ﷺ وحده إلا أنه أُسند إلى الكل، لأنّ فعل البعض يسند إلى الكل لوقوعه فيما بينهم، كما يقال: بنو فلان قتلوا زيداً.

وهذا الذنب من قبيل الزلّة، لأنّ الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر عندنا، لأنّ ركوب الذنوب مما يسقط حشمة من يرتكها وتعظيمه من قلوب المؤمنين، والأنبياء يجب أن يكونوا مهابة موقرين، ولذا عُصِمُوا من الأمراض المنفرة كالجذام وغيره.

فليس معنى الزلّة أنهم زلّوا عن الحق إلى الباطل، ولكن معناها أنهم زلّوا عن الأفضل إلى الفاضل، وأنهم يعاتبون به لجلال قدرهم، ومكاتبتهم من الله تعالى، كما قال أبو سعيد الخدري: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وقال السلمي: «ذكر توبة النبي ﷺ، لتكون مقدمة لتوبة الأمة، وتوبة التابع إنما تقبل التصحيح بالمقدمة».

وقال في «التأويلات النجمية»: التوبة فضل من الله ورحمة مخصوصة به، ليُسم بذلك على عباده، فكلّ نعمة وفضل يوصله الله إلى عباده يكون عبوره على ولاية

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير للتأكيد بناءً على أن الصّير للتيّ ﷻ والمهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، والتأكيد يجوز عطفه بهمّ كما صرح به النّعاة وإن كان كلام أهل المعاني يخالفه ظاهراً. وفيه تنبيه على أن توبته سبحانه في مقابلة ما قاسوه من الشّدائد، كما دلّ عليه التعليل بالموصول.

ويحتمل أن يكون الصّير للفریق، والمراد أنّه تاب عليهم لكيدودتهم وقرهم من الرّغ، لأنّه جرم محتاج إلى التّوبة عليه، فلا تكرار لما سبق. (١١: ٣٩) رشيد رضا: هذا خبر مؤكّد بلام القسم على حرف التحقيق، يبيّن به تعالى فضل عطفه على نبيّه وأصحابه المؤمنين الصّادقين من المهاجرين والأنصار، وتجاوزهم عن هفواتهم في هذه النّزوة وفي غيرها لاستغرافها في حسناتهم الكثيرة على كونهم لا يصيرون على شيء منها. وإنّما كانت هفواتهم هذه مقتضى الطّباع البشريّة واجتهاد الرّأي فيما لم يبيّنه الله تعالى لهم بياناً قطعياً يمدّ بخالفه عاصياً.

وقد بيّنا في تفسير الآية: ١٠٤ [من سورة التّوبة] أنّ للتّوبة درجات تختلف باختلاف طبقات التّوابين الرّجّاعين إلى الله من كلّ إعراض عنه. وتوبته تعالى على عباد له معنيين: عطفه عليهم - وهذا أعلاهما - وتوفيقهم للتّوبة وقبولها منهم، وإنّما يتوبون من ذنب، وماكلّ ذنب معصية لله عزّ وجلّ.

وقد فسر ابن عباس التّوبة على التّبيّ ﷻ هنا بقوله تعالى، في سياق هذه النّزوة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ إِذْنَتْ لَهُمْ﴾ التّوبة: ٤٣، وحققنا في تفسيرها مسألة ذنوب

التّوبة، فنّها يفيض على المهاجرين والأنصار وجميع الأئمة، فهذا قال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾. [إلى أن قال:]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي تجاوز عن ذنبهم الذي فرط منهم، وهو تكرير للتّأكيد وتنبيه على أنّه يتاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة. (٣: ٥٢٥)

الألوسي: قال أصحاب المعاني: المراد ذكر التّوبة على المهاجرين والأنصار، إلّا أنّه جيء في ذلك بالتّبيّ ﷻ تشريفاً لهم وتطيئاً لقدرة، وهذا كما قالوا في ذكره تعالى في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّهُ خُسُوفٌ لِلرّسُولِ﴾ الأنفال: ٤١، أي عفا سبحانه عن زلات سبقت منهم يوم أحد ويوم حُنين.

وقيل: المراد ذكر التّوبة عليه - عليه الصّلاة والسّلام - وعليهم، والذّنّب بالنّسبة إليه ﷻ من باب خلاف الأولى نظراً إلى مقامه الجليل، وفسّر هنا على ما روي عن ابن عباس: بالإذن للمنافقين في التّخلّف، وبالنّسبة إليهم رضي الله تعالى عنهم لامانع من أن يكون حقيقياً، إذ لاعصمة عندنا لغير الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ويُفسّر بما فسر أولاً.

وجوّز أيضاً أن يكون من باب خلاف الأولى بناءً على ما قيل: إنّ ذنبهم كان الميل إلى التّعود عن غزوة تبوك حيث وقعت في وقت شديد، وقد تُفسّر التّوبة بالبراءة عن الذّنّب والصّون عنه مجازاً، حيث إنّّه لا مؤاخذه في كلّ، وظاهر الإطلاق الحقيقة. وفي الآية ما لا يخفى من التّحريض والبعث على التّوبة للنّاس كلّهم. [إلى أن قال:]

ولعلَّ الفرض الأصلي بيان توبة الله سبحانه لأولئك الثلاثة الخلقين، وقد ضمَّ إليهما ذكر توبته تعالى للمهاجرين والأنصار حتى للتي عَلَيْهِمُ السَّلَامَةُ، لطيب قلوبهم بخلطهم بغيرهم، وزوال تمييزهم من سائر الناس، وعفو أثرهم ذلك عنهم، حتى يمود الجميع على نعت واحد، وهو أنَّ الله تاب عليهم برحمته، فهم فيه سواء من غير أن يرتفع بعضهم عن بعض، أو ينخفض بعضهم عن بعض.

وهذا تظهر النكتة في تكرار ذكر التوبة في الآيتين، فإنَّ الله سبحانه يبدأ بذكر توبته على النبي والمهاجرين والأنصار، ثم يقول: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ثم يقول: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ فليس إلَّا أنَّ الكلام مسوق على منهج الإجمال والتفصيل، ذكر فيه توبته تعالى على الجميع إجمالاً، ثم أُشير إلى حال كلِّ من الفريقين على حدته، فذكرت عند ذلك توبته الخاصة به.

ولو كانت كلُّ واحدة من الآيتين ذات غرض مستقلٍّ من غير أن يجمعهما غرض جامع، لكان ذلك تكراراً من غير نكتة ظاهرة.

على أنَّ في الآية الأولى دلالة واضحة على أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له في ذلك ذنب ولا زيف، ولا كاد أن يزيع قلبه. فإنَّ في الكلام مدحاً للمهاجرين والأنصار باتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يزغ قلبه ولا كاد أن يزيع حتى صار مبكراً يقتدى به، ولولا ما ذكرناه من الفرض لم يكن لذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع سائر المذكورين وجه ظاهر.

فيؤول معنى الآية إلى أنَّ الله - أقسم لذلك - تاب

الأنبياء، وكونها من الاجتهاد الذي لم يقرَّهم الله عليه، لأنَّ غيره خير منه.

وأما المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهم خُصَّ المؤمنين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا فِي سَاعَةِ الْمُنْشَرَةِ﴾ فهم من كان ذنبه الشاغل في الخروج حتى ورد الأمر المستم فيه، والتوبيخ على الشاغل إلى الأرض، ومنهم من كان ذنبهم السماع للمناقضين فيما كانوا يبخون من فتنة المؤمنين بالقوة والاستدراك، وبالفعل. (١١: ٦٤)

نحوه المرآغي. (١١: ٣٩)

الطُّبَّاطِبَائِي: والآيتان [التوبة: ١١٧، ١١٨] وإن كانت كلُّ واحدة منهما ناظرة إلى جهة دون جهة أخرى، فالأولى تبين التوبة على النبي والمهاجرين والأنصار، والثانية [وهي ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾] وسيأتي ذكرها [تبين التوبة على الثلاثة الخلفين مضافاً إلى أنَّ نوع التوبة على أهل الآيتين مختلف، فأهل الآية الأولى أو بعضهم تاب الله عليهم من غير معصية منهم، وأهل الآية الثانية تيب عليهم وهم عاصون مذنبون.

وبالجملة: الآيتان مختلفتان غرضاً ومدلولاً، غير أنَّ السِّيَاق يدلُّ على أنَّهما مسوقتان لغرض واحد، ومتصلتان كلاماً واحداً تبين فيه توبته تعالى للنبي والمهاجرين والأنصار والثلاثة الذين خلفوا، ومن الدليل عليه قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إلى أن قال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ إلخ. فالآية الثانية غير مستقلة عن الأولى بحسب اللفظ وإن استقلت عنها في المعنى، وذلك يستدعي نزولها معاً، وتعلُّق غرض خاص بهذا الاتصال والامتزاج.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبُكَّتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُسُومِينَ﴾ التوبة: ٢٦، وقوله: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ أَقْنَوْا نَعْمَةً جَاهِدُوا﴾ التوبة: ٨٨، إلى غير ذلك من الموارد.

وثانياً: أن المراد بما ذكر ثانياً وثالثاً من التوبة بقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ في الموضعين، هو تفصيل مذكوره إجمالاً بقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾.

وثالثاً: أن المراد بالتوبة في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ في الموضعين: رجوعه تعالى إليهم بالهداية إلى الخير والتوفيق. فقد ذكرنا مراراً في الأنجاث السابقة أن توبة العبد محفوفة بتوبتين من الرب تعالى، وأنه يرجع إليه بالتوفيق وإفاحة رحمة الهداية وهو التوبة الأولى منه، فيبتدي العبد إلى الاستغفار وهو توبته، فيرجع تعالى إليه بقبول توبته وغفران ذنوبه، وهو التوبة الثانية منه تعالى.

والدليل على أن المراد بها في الموضعين ذلك، أمّا في الآية الأولى فلأنه لم يذكر منهم فيها ذنباً يستغفرون له حتى تكون توبته عليهم توبة قبول، وإنما ذكر أنه كان من المتوقع زيف قلوب بعضهم، وهو يناسب التوبة الأولى منه تعالى دون الثانية، وأمّا في الآية الثانية فلأنه ذكر بعدها قوله: ﴿لِيُتُوبُوا﴾ وهو الاستغفار، أخذ غاية لتوبته تعالى، فتوبته تعالى قبل توبتهم ليست إلا التوبة الأولى منه.

وربما أيد ذلك قوله تعالى: في مقام تعليل توبته عليهم: ﴿إِنَّهُمْ رَوُّوا رُجُومَ﴾ حيث لم يذكر من أسأله ما يدل بلفظه على قبول توبتهم، كما لم يذكر منهم توبة

ورجع برحمته رجوعاً إلى النبي والمهاجرين والأنصار والثلاثة الذين خَلَفُوا. وأمّا توبته ورجوعه بالرحمة على المهاجرين والأنصار فإنهم اتَّبَعُوا النبي في ساعة المسرة وزمانها - وهو أيام سيرهم إلى تبوك - اتَّبَعُوا من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ويحيل عن الحق بترك الخروج أو ترك السير، فبعدما اتَّبَعُوا تاب الله عليهم إنه بهم لرؤوف رحيم.

وأما الثلاثة الذين خَلَفُوا فإنهم آل أسره إلى أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ووسعت - وكان ذلك بسبب أن الناس لم يعاشرهم ولا كلمهم حتى أهلهم فلم يجدوا أنيساً يأنسون به - وضاقت عليهم أنفسهم - من دوام الغم عليهم - وأيقنوا أن لاملجاً من الله إلا إليه بالتوبة والإنابة، فلما كان ذلك كله تاب الله عليهم وانحطف ورجع برحمته إليهم ليتوبوا إليه، فيقبل توبتهم إنه هو التَّوَّابُ - كثير الرجوع إلى عباده يرجع إليهم بالهداية والتوفيق للتوبة إليه ثم بقبول تلك التوبة - والرحيم بالمؤمنين.

وقد تبين بذلك كله أولاً: أن المراد بالتوبة على النبي ﷺ: محض الرجوع إليه بالرحمة، ومن الرجوع إليه بالرحمة: الرجوع إلى أمته بالرحمة، فالتوبة عليهم: توبة عليه، فهو ﷺ الواسطة في نزول الخيرات والبركات إلى أمته.

وأيضاً فإن من فضله تعالى على نبيه ﷺ أن كلّمَا ذكر أمته أو الذين معه بجبر أفرده من بينهم، وصدر الكلام بذكره تشريةً له، كما في قوله: ﴿ثُمَّ الرُّسُولُ﴾ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِهِ وَالْمُسُومُونَ﴾ البقرة: ٢٨٠.

بمعنى الاستغفار.

ورأيًا: أن المراد بقوله في الآية الثانية: (لِيَتُوبُوا): توبة الثلاثة الذين خلفوا، المرتب على توبته تعالى الأول عليهم، فالمعنى ثم تاب الله على الثلاثة ليتوب الثلاثة فيتوب عليهم ويغفر لهم، إنه هو التَّوَابُ الرَّحِيمُ. فإن قلت: فالآية لم تدل على قبول توبتهم، وهذا مخالف للضرورة الثابتة من جهة النقل أن الآية نزلت في توبتهم.

قلت: القصة ثابتة نقلًا غير أنها لا توجد دلالة في لفظ الآية، إلا أن الآية تدل بسياقها على ذلك، فقد قال تعالى في مقام الإجمال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ وهو أعم بإطلاقه من التوبة بمعنى التوفيق وبمعنى القبول، وكذا قوله بعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة: ١١٨، وخاصة بالنظر إلى ما في الجملة من سياق المحصر الناظر إلى قوله: ﴿وَعُظُّوا أَنْ لَا تَلْعَجَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ التوبة: ١١٨، فإذا كانوا أقدموا على التوبة ليأخذوا ملجأ من الله يأمنون فيه وقد هداهم الله إليه بالتوبة فتابوا، فن الحال أن يردهم الله من بابه خائبين وهو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وكيف يستقيم ذلك؟ وهو القائل عز من قائل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ النساء: ١٧.

وربما قيل: إن معنى ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ ثم سئل الله عليهم التوبة ليتوبوا، وهو سخي، وأسخط منه قول من قال: إن المراد بالتوبة في (لِيَتُوبُوا): الرجوع إلى حالتهم الأولى قبل المعصية. وأسخط منه قول آخرين: إن الضمير في (لِيَتُوبُوا) راجع إلى المؤمنين،

والمعنى ثم تاب على الثلاثة وأنزل توبتهم على نبيه ﷺ، ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلهم بأن الله قابل التوب. (٩: ٣٩٩)

محمد جواد مغنّيّه: إذا قيل: تاب فلان، فهم الناس من هذا القول أن المذكور كان قد ارتكب ذنبًا ثم تدم وعزم جادًا على تركه وعدم العودة إليه. وإذا قيل: تاب الله عليه، فمعناه أن الله قبل توبته.

وقد يراد من توبة الله على الإنسان رحمته تعالى ورضوانه مع القرينة الدالة على ذلك، والمعنى الأول، أي قبول الله سبحانه التوبة هو المراد بتوبته على الثلاثة الذين خلفوا، والمعنى الثاني، أي الرحمة والرضوان هو المراد بتوبته تعالى على النبي والصحابة الذين اتبعوه وابتغوا بأمره حتى في ساعة العسرة.

أما القرينة على إرادة الرضوان من توبته تعالى على النبي وصحابته فهي طبيعة الحال، ونعني بها عصمة النبي ﷺ عن الذنوب، وطاعة من تابعه في ساعة العسرة. [إلى أن قال:]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ مما كانوا قد هتوا به من مفارقة النبي ﷺ. والمراد بالتوبة هنا أن الله سبحانه يعاملهم معاملة من لم يمت بالذنب، لأن من هم بالسيسة ولم يفعلها فلا تكتب عليه. (٤: ١١٣)

مكارم الشيرازي: قرأنا في الآية الأولى أن الله سبحانه قد تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وقبل توبتهم. ولأنك أن النبي مصوم من الذنوب، ولم يرتكب معصية ليتوب فيقبل الله توبته، وإن كان بعض مفسري أهل السنة قد اعتبروا التعبير في هذه الآية

دليلاً على صدور التهو والمحصية من النبي ﷺ في أحداث تبوك.

إِلَّا أَنَّ التَّدْقِيقَ فِي نَفْسِ هَذِهِ الْآيَةِ وَسَائِرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ سِيرُ شِدْنَا إِلَى عَدَمِ صَحَّةِ هَذَا التَّفْسِيرِ، لِأَنَّ:

أَوَّلًا: إِنَّ مَعْنَى تَوْبَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: رَجُوعُهُ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّعَايَةِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يُوْجَدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَثَرٌ لِلزَّلَالِ أَوِ الْمَعْصِيَةِ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ٢٦، بَعْدَ ذِكْرِ قِسْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ: ﴿يُؤَيِّدُ اللَّهُ الَّذِينَ يُكْفِّرُونَ عَنْكُمْ وَتَجُوبُكُمْ سُنَّةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَآتَى قَبْلَهَا لَمْ يَرِدْ حَدِيثٌ عَنِ الزَّلَالِ وَالْمَعْصِيَةِ، بَلِ الْكَلَامُ - كَمَا تَصَرَّحَ بِهِ هَذِهِ الْآيَةُ - عَنْ تَبْيِينَ الْأَحْكَامِ وَالْإِرْشَادِ إِلَى سُنَنِ الْمَاضِينَ الْقِيَمَةِ الْمَفِيدَةِ، وَهَذَا بِنَفْسِهِ يُوَضِّحُ أَنَّ التَّوْبَةَ هُنَا بِمَعْنَى شُؤْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ، ثَانِيًا: لَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ اللَّفَّةِ أَنَّ أَحَدَ مَعَانِي التَّوْبَةِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ، فِي كِتَابِ «الْقَامُوسِ» الْمَعْرُوفِ وَرَدَ فِي أَنَّ هَذَا هُوَ أَحَدُ مَعَانِي التَّوْبَةِ مَا لَفْظُهُ: رَجَعَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ وَقَبُولِهِ.

وثَالِثًا: إِنَّ الْآيَةَ تَحْصِرُ الْإِعْرَافَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالتَّخَلُّفَ عَنْهُ بِجَاهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ أَنَّهَا تَصَرَّحَتْ بِأَنَّ الرَّحْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَعْمُ الْجَمِيعَ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ يَبَيِّنُ أَنَّ تَوْبَةَ اللَّهِ هُنَا لَيْسَتْ بِمَعْنَى قَبُولِ عَذْرِ الْعِبَادِ، بَلْ هِيَ الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي أَدْرَكَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَكُلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ، مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِي اللَّحْظَاتِ الْحَسَّاسَةِ، وَثَبَّتْ أَقْدَامَهُمْ فِي أَمْرِ الْجِهَادِ. (٢٣١: ٦)

٥ - وَعَلَى الْفَلَكَةِ الَّذِينَ خَلُّوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

الْأَرْضُ مِمَّا رَحِمَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا نَجَاةَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

التوبة: ١١٨
الحسن: جعل لهم التوبة ليتوبوا بها، والخروج ليخرجوا به.

أما والله ماسفكوا من دم، ولأخذوا من مال، ولاقطوا من رحم، ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله ﷺ وتخلّف هؤلاء. وكان أحدهم تخلّف بسبب ضيعة له، والآخر لأهله، والآخر طلباً للرّاحة، ثم تدموا وتابوا، فقبل الله توبتهم.

(الطبرسي ٣: ٨٠)
الطبرسي: وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لطف لهم في التوبة، كما يقال في الدعاء: تاب الله عليه.

الثاني: قبل توبتهم ليتمسكوا بها في المستقبل.

الثالث: قبل توبتهم ليرجعوا إلى حال الرضا عنهم.

[إلى أن قال:]

فإن قيل: ما معنى التوبة عليهم والألانة لهم وهم قد خلّفوا فعلاً عذروا؟

قيل: ليس المعنى أنّهم أمروا بالتخلّف ورضي منهم به، كتوكّل لصاحبك: أين خلّفت فلاناً فيقول: بموضع كذا، ليس يريد أنّه أمره بالتخلّف هناك بل لعله أن يكون نهاء، ولأنّنا يريد أنّه تخلّف هناك. (٥: ٣٦٥)

الصيّدي: أعاد التوبة للتوكيد، لأنّ ذكر التوبة على هؤلاء مضى في قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ)، وفي معنى

وسئل بعضهم عن التوبة النصوح فقال: أن تضيق على التائب الأرض، وتضيق عليه نفسه، كتوبة كعب وصاحبيه. (٥١٣: ٣)

الفَخْرُ الرَّازِي: ولما وصفهم الله بهذه الصفات الثلاث قال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه لا بد هاهنا من إضمار، والتقدير: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، تاب عليهم ثم تاب عليهم، فإلى العائدة في هذا التكرار؟

قلنا: هذا التكرير حسن للتأكيد كما أن السلطان إذا أراد أن يبالغ في تقرير العفو لبعض عبيده يقول: عفوت عنك ثم عفوت عنك.

فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتُوبُوا﴾؟ قلنا: فيه وجوه:

الأول: قال أصحابنا: المقصود منه بيان أن فعل العبد مخلوق لله تعالى، فقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يدل على أن التوبة فعل الله، وقوله: ﴿لِيُتُوبُوا﴾ يدل على أنها فعل العبد، فهذا مرجع قولنا، وظهيره ﴿فَلْيُضْحَكُوا﴾ التوبة: ٨٢، مع قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ النجم: ٤٣، وقوله: ﴿كَتَبْنَا لَهُمْ فِي الْإِنشَاءِ: ٥، مع قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التوبة: ٤٠، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكُمْ﴾ يونس: ٢٢، مع قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا﴾ الأنعام: ١١.

والثاني: المراد تاب الله عليهم في الماضي، ليكون ذلك داعياً لهم إلى التوبة في المستقبل.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتُوبُوا﴾ لطف بهم في التوبة ووفقههم لها. (٢٢٨: ٤)

الرَّمُحُشَرِيُّ: ثم رجع عليهم بالقول والرحمة كرامة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا، وليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة، علماً منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مئة مرة.

(٢١٨: ٢)

نحوه الِيتُوبَاوِي.

ابن عَطِيَّة: لما كان هذا القول في تمديد نعمة بدأ في ترتيبه بالجملة التي هي عن الله عز وجل، ليكون ذلك منبهاً على تلقي النعمة من عنده لا رب غيره. ولو كان القول في تمديد ذنب لكان ابتداء بالجملة التي هي عن المذنب، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف: ٥، ليكون هذا أشد تقريراً للمذنب عليهم، وهذا من فصاحة القرآن ويدفع ظلمه ومحجز اتساقه. (٩٤: ٣)

الطَّبْرِسِيُّ: أي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا.

وقيل: ﴿لِيُتُوبُوا﴾ أي ليمودوا إلى حالتهم الأولى قبل المحبة.

وقيل: معناه ثم تاب على الثلاثة وأنزل توبتهم على نبيه ﷺ ليتوب المؤمنون من ذنوبهم، لاسلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبة. (٨٠: ٣)

ابن الجَوْزِيِّ: أعاد التوبة تأكيداً ﴿لِيُتُوبُوا﴾. قال ابن عباس: ليستقيموا. وقال غيره: وقَّعهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما يظلمها.

تَابَ عَلَيْهِمْ ﴿كُتِبَ لَهُمُ أَنْ يُدَوِّمُوا﴾ وكلمة (كُتِبَ) للترخي، فقتضى هذا اللفظ تأخير قبول التوبة، فإن حملتم ذلك على تأخير إظهار هذا القول كان ذلك عدولاً عن الظاهر من غير دليل. فإن قالوا: الموجب لهذا العدول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ السورى: ٢٥.

قلنا: صيغة (يَقْبَلُ) للمستقبل، وهو لا يفيد الفور أصلاً بالإجماع، ثم إنه تعالى ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾. (٢١٦: ٢١٩)

نحوه ملخصاً للسيايورى. (١١: ٣٤) القُرطبي: المعنى ثم تاب عليهم لينبوا على التوبة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتُوا﴾ النساء: ١٣٦، وقيل: أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغيرهم، قال جل وعز: ﴿يُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَفًا عَلَيْهِمْ طَبِيبَاتٌ أُجِلَّتْ لَهُمُ﴾ النساء: ١٦٠.

(٨: ٢٨٨) أبو حيان: ويكون قوله: ﴿كُتِبَ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ التوبة: ١١٧، ودعوى أن (كُتِبَ) زائدة، وجواب (إذا) ما بعد (كُتِبَ) بعيد جداً وغير ثابت من لسان العرب زيادة «كُتِبَ».

ومن زعم أن (إذا) بعد (حتى) قد تجرد من الشرط وتبقى لجرّد الوقت، فلاحتاج إلى جواب، بل تكون غاية للفعل الذي قبلها، وهو قوله: (خَلَقُوا) أي خلقوا إلى هذا الوقت. [ثم ذكر مثل الزخشرى وأضاف:] وقيل: معنى (يَكُونُوا) ليدوموا على التوبة ولا يرجعوا ما يظلمها.

وقيل: (يَكُونُوا) ليرجعوا إلى حالهم وعادتهم من

والثالث: أصل التوبة: الرجوع، فالمراد ثم تاب عليهم ليرجعوا إلى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين، وزوال المباينة، فتسكن نفوسهم عند ذلك. الرابع: ﴿كُتِبَ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي ليدوموا على التوبة، ولا يرجعوا ما يظلمها.

الخامس: ﴿كُتِبَ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ ليتفخوا بالتوبة ويتوقروا عليهم ثوابها، وهذان الثمنان لا يحصلان إلا بعد توبة الله عليهم.

المسألة الثانية: احتج أصحابنا بهذه الآية على أن قبول التوبة غير واجب على الله عقلاً، قالوا: لأن شرائط التوبة في حق هؤلاء قد حصلت من أول الأمر، ثم إنه عليه الصلاة والسلام ما قبلهم ولم يلفت إليهم، وتركهم مدة خمسين يوماً أو أكثر، ولو كان قبول التوبة واجباً عقلاً لما جاز ذلك.

أجاب الجبائي عنه بأن قال: يقال: إن تلك التوبة صارت مقبولة من أول الأمر، لكنه يقال: أراد تشديد التكليف عليهم لتلا يستجراً أحد على التخلف عن الرسول فيما يأمر به من جهاد وغيره. وأيضاً لم يكن نهيه عليه الصلاة والسلام عن كلامهم عقوبة، بل كان على سبيل التشديد في التكليف.

قال القاضي: وإنما خص الرسول عليه الصلاة والسلام هؤلاء الثلاثة بهذا التشديد، لأنهم أذعنوا بالحق واعترفوا بالذنب فالذي يجري عليهم، وهذه حالهم يكون في الزجر أبلغ مما يجري على من يظهر العذر من المنافقين.

والجواب: أننا متمسكون بظاهر قوله تعالى: ﴿كُتِبَ

الاختلاط بالمؤمنين وتستكن نفوسهم عند ذلك.

(٥: ١١٠)

البُرُوسِيّ: أي وقفهم للتوبة (لِيَتُوبُوا) ليرجعوا عن العصية. واعلم أن هاهنا أسورا ثلاثة: التوفيق للتوبة وهو مادلّ عليه قوله: (ثُمَّ تَابَ)، ونفس التوبة وهو مادلّ عليه قوله: (لِيَتُوبُوا)، وقول الله تعالى إياها وهو مادلّ عليه قوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ).

وأما عطف الأمر الأول على الثالث بكلمة (ثُمَّ) لكونه أصل المجمع مقدما على الأمر الثالث بمرتبتين، فتكون كلمة (ثُمَّ) للترافي الزمّي.

ويجوز أن يكون المعنى ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي أنزل قبول توبتهم (لِيَتُوبُوا) أي ليصيروا من جملة التوابين ويمدّوا منهم، فتكون كلمة (ثُمَّ) على أصل معناها، لأنّ إنزال القبول مضرّع على نفس القبول المذكور بقوله: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ).

الآلُوسِيّ: أي وقفهم للتوبة (لِيَتُوبُوا) أو أنزل قبول توبتهم في القرآن وأعلمهم بها ليُمدّهم المؤمنون في جملة التائبين، أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على التوبة ويستمرّوا عليها.

وقيل: التوبة ليست هي المقبولة، والمعنى قَبِل توبتهم من التخلف ليتوبوا في المستقبل، إذ صدرت منهم هفوة، ولا يقطّطوا من كرمه سبحانه. (١١: ٤٢)

نحوه رشيد رضا (١١: ٦٦)، والمرامي (١١: ٤٢). محمد جواد مغنّيّه: وتساءل أن الظاهر من قوله تعالى: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم قد تابوا وقبّلت توبتهم، والظاهر من قوله: (لِيَتُوبُوا) أنهم لم يتوبوا بعد، فإهو

وجه الجمع؟

وأجيب بأجوبة أُرْجِحُهَا أَنَّ المراد به ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أنّه تعالى يقبل توبتهم لكي يتوبوا ولا يصعّروا على الذنب، ويقولوا: لو قبل الله منا التوبة لثبنا، فهو أشبه بما لو أساء إليك من عُحِبَ وأنت تريد أن تنفّر له، ولكن بسبب، فتلثّنه المذر ليتنذر هو، وتنفّر أنت. (٤: ١١٥) الطَّبَّاطِبَاييّ: [مضى نصّه خلال آية (٤)]

٦- إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا... وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا.

الفراق: ٧٠، ٧١

ابن عبّاس: المعنى من آمن من أهل مكّة وهاجر ولم يكن قتل وزني، بل عمل صالحا وأدى الفرائض، فإنّه يتوب إلى الله متابا. (الطُّرُطِيُّ: ١٣: ٧٩)

ابن الأنباريّ: معناه من أراد التوبة وقصد حقيقتها، فينبغي له أن يريد الله بها ولا يخلط بها ما يفسدها، وهذا كما يقول الرّجل: من تجر فإنّه يتجر في البرّ، ومن ناظر فإنّه يناظر في التحو، أي من أراد ذلك فينبغي أن يقصد هذا الفن.

ويجوز أن يكون معنى هذه الآية: ومن تاب وعمل صالحا فإنّ نوابه وجزاءه يعطيان له عند ربّه الذي أراد بتوبته. فلمّا كان قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ يؤدّي عن هذا المعنى كلى منه، وهذا كما يقول الرّجل للرّجل: إذا تكلمت فاعلم أنّك تكلم الوزير، أي تكلم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَقُلْ إِلَهِ

أَي لَيْتَبَ إِلَى اللَّهِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ تَوْبَتَهُ وَمَصِيرَهُ إِلَى اللَّهِ. (٤٥٩: ٣)

مثله التَّيْبِدِي (٦٧: ٧)، والحازن (٩٠: ٥).

الرَّامِثُشَرِي: ومن يترك الماضي ويستند عليها ويدخل في العمل الصالح، فإنه بذلك تائب إلى الله (مَتَابًا) مرضيًا عنده، مكفّرًا للخطايا محصلًا للثواب، أو فإنه تائب متابًا إلى الله الذي يعرف حقَّ التَّائِبِينَ، ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يُحِبُّ التَّوَابِينَ ويحبُّ المسطهرين. وفي كلام بعض العرب: الله أفرح بتوبة العبد من المظلل الواجد والظلمان الوارد، والعقيم الوالد. أو فإنه يرجع إلى الله وإلى نوابه مرجعًا حسنًا، وأبي مرجع. (١٠١: ٣) نحوه التَّيْسَابُورِي (١٩: ٣٥)، وأبو السُّود (٥: ٢٦).

ابن عَطِيَّة: أكّد هذه الألفاظ أمر التوبة والمعنى (وَمَنْ تَابَ) فإنه قد تمسك بأمر وثيق وهكذا، كما تقول لمن تستحسن قوله في أمره: لقد قلت يافلان قولًا، فكذلك الآية معناها مدح التائب، كأنه قال: فإنه يجد بابًا للفرج والمغفرة عظيمًا. (٢٢١: ٤)

الطُّبْرَسِي: [مثل الطُّوسِي وأُضَافَ:]

فعل هذا يكون المعنى: من عزم على التوبة من الماضي فإنه ينبغي أن يوجه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه، فإنه يرجع إلى الله فيكافئه. وقيل: معناه من تاب وعمل صالحًا فقد انقطع إلى الله فأعزفوا ذلك له: فإن من انقطع إلى خدمة بعض الملوك فقد أحرز شرفًا، فكيف المنقطع إلى الله سبحانه؟

(١٨١: ٤)

الفَغْرَارِزِي: فقيه سؤالان:

تَوَكَّلْتُ: يونس: ٧١، أَي فَبِأَيِّ أَتَوَكَّلَ عَلَى مَنْ يَنْصُرُنِي وَلَا يَسْلِمُنِي.

وقال قوم: معنى الآية فإنه يرجع إلى الله مرجعًا يقبله منه. (ابن الجوزي ٦: ١٠٨)

الْقَتَالُ: يحتمل أن تكون الآية الأولى (الفرقان: ٧٠) فيمن تاب من المشركين، ولهذا قال: ﴿وَالْأَمَنُ تَابَ وَآمَنَ﴾ ثم عطف عليه من تاب من المسلمين وأتبع توبته عملاً صالحاً فله حكم التائبين أيضًا.

(القرطبي ١٣: ٧٩)

الطُّوسِي: (وَمَنْ تَابَ) من معاصيه وأقبل عنها وتدم عليها وأضاف إلى ذلك الأعمال الصالحات ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي يرجع إليه مرجعًا عظيمًا جميلًا.

وفرق الرُّمَانِي بين التوبة إلى الله والتوبة من القبيح لقبه، بأن التوبة إلى الله تقتضي طلب الثواب، وليس كذلك التوبة من القبيح لقبه. (٧: ٥١٠)

البَغَوِي: قال بعض أهل العلم: هذا في التوبة عن غير ماسبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنى، يعني من تاب عن الشرك وعمل صالحًا، أي أدّى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي يعود إليه بعد الموت (مَتَابًا) حسنًا، يُفَضَّلُ به على غيره ممن قتل وزنى، فالتوبة الأولى وهو قوله: (وَمَنْ تَابَ) رجوع عن الشرك، والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.

قال بعضهم: هذه الآية أيضًا في التوبة عن جميع السيئات، ومعناه ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب لوجه الله، وقوله: ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾ خبر بمعنى الأمر،

السؤال الأول: ما فائدة هذا التكرير؟

الجواب من وجهين:

الأول: أن هذا ليس بتكرير، لأن الأول لما كان في تلك الحال بين تعالى أن جميع الذنوب بمنزلة في صحة التوبة منها.

الثاني: أن التوبة الأولى رجوع عن الشرك والمعاصي، والتوبة الثانية رجوع إلى الله تعالى للجزاء والمكافأة، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ الزعد: ٣٠، أي مرجعي.

السؤال الثاني: هل تكون التوبة إلا إلى الله تعالى فائدة قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾؟

الجواب من وجوه:

الأول: ما تقدم من أن التوبة الأولى الرجوع عن المعصية، والثانية الرجوع إلى حكم الله تعالى وتوابعه.

الثاني: معناه أن من تاب إلى الله فقد أتى بتوبة مرضية لله مكرمة للذنوب محصلة للثواب العظيم.

الثالث: قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ يرجع إلى الماضي، فإنه سبحانه ذكر أن من أتى بهذه التوبة في الماضي على سبيل الإخلاص فقد وعده بأنه سيوفقه للتوبة في المستقبل، وهذا من أعظم البشارات. (١١٣: ٢٤)

الفرطبي: لا يقال: «من قام فإنه يقوم» فكيف قال: من تاب فإنه يتوب؟ [نقل قول ابن عباس والفعال ثم قال:]

وقيل: أي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبة نافعة، بل من تاب وحصل صالحا فحقق توبته بالأعمال الصالحة فهو الذي تاب إلى الله

متابا، أي تاب حق التوبة وهي التصوح، ولذا أكد بالمصدر، فمتابا) مصدر معناه التأكيد، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ

اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤، أي فإنه يتوب إلى الله حقًا فيقبل الله توبته حقًا.

أبو حنيفة: الظاهر أن (وَمَنْ تَابَ) أي أنشأ التوبة، ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي يرجع إلى توبته وإحسانه. [ثم

ذكر قول ابن عطية والزعرري وأضاف:]

وقيل: من عزم على التوبة فإنه يتوب إلى الله فليبادر إليها ويتوجه بها إلى الله.

وقيل: من تاب من ذنبه فإنه يتوب إلى من يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

وقيل: ومن تاب استقام على التوبة، فإنه يتوب إلى الله، أي فهو التائب حقًا عند الله.

الشرعيني: أي عن ذنبه غير ما ذكر... (فإنه يتوب) أي يرجع وأصلًا (إلى الله)، أي الذي له صفات

الكمال فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (متابا) أي رجوعًا مرضيًا عند الله بأن يرقبه تعالى في

الأعمال الصالحة، فلا يزال كل يوم في زيادة بينه وعمله، فيخف عليه ما كان ثقیلاً ويتيسر عليه ما كان

عسيرًا، ويسهل عليه ما كان صعبًا، كما مر في: ﴿إِنَّ السَّادِينَ أَسْلَمُوا وَعَسَّيْلُوا الصَّالِحَاتِ يَتَذَكَّرُونَ﴾

بإيمانهم. يونس: ٩، ولا يزال كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،

ويده التي يطش بها، ويرجله التي يمشي بها بأن يوفقه للخير، فلا يسمع إلا ما يرضيه وهكذا. (٢: ٦٧٦)

البروسوي: أي رجع عن المعاصي مطلقًا بتركها

خاص إلى الله سبحانه، فلا بدع في أن يبدل السيئات حسنات، وهو الله يفعل ما يشاء.

وفي الآية - مع ذلك - شمول للتوبة من جميع المعاصي، سواء قارنت الشرك أم فارقته. والآية السابقة [الفرقان: ٧٠] كانت خفية الدلالة على حال المعاصي إذا تجردت من الشرك.

٧... عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ... المزل: ٢٠
الطوسي: أي لم يلزمكم إنكأ كما لا يلزم التائب، أي رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب. (١٠: ٦٩)
البيهقي: فساد عليكم بالعفو والتخفيف. (٥: ١٧٠)
الزمخشري: عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدّر، كتوله: «فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاسْتَنَ بِأَشْرَوْهُمْ» البقرة: ١٨٧، والمعنى: أنه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب. (٤: ١٧٩)
مثله الفخر الرازي (٣٠: ١٨٦)، ونحوه أبو السعود (٦: ٣٢٤).

القرطبي: أي فساد عليكم بالعفو. وهذا يدل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أُمِر به. وقيل: أي فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم. وأصل التوبة: الرجوع كما تقدّم.

فالمنى رجع لكم من تنفيل إلى تخفيف، ومن عسر إلى يسر. وإنشأ أسروا بحفظ الأوقات على طريق التحري، فحفّف عنهم ذلك التحري. (١٩: ٥٢)
نحوه أبو حيان. (٨: ٣٦٧)
النيسابوري: ما فرط منكم في مساهلة حصر

بالكآبة والتدم عليها، «وَعَدِلَ صَالِحًا» يتدارك به ما فرط منه، أو خرج من المعاصي ودخل في الطاعات، (فإنه) بما فعل (يتوب إلى الله) يرجع إليه تعالى بعد الموت. قال الزاغب: ذكر (إلى) يقتضي الإنابة. (متأبًا) أي متأبًا عظيم الشأن مرضيًا عنده، ماحيًا للعقاب محصلًا للتواب، فلا يتحد الشرط والمجزأ، لأن في الجزأ معنى زائدًا على ما في الشرط، فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي، والمجزأ هو الرجوع إلى الله رجوعًا مرضيًا.

قال الزاغب: (متأبًا) أي التوبة القائمة، وهو الجمع بين ترك الفحيع وتحري الجميل، انتهى. وهذا تعميم بعد التخصص، لأن متعلق التوبة في الآية الأولى الشرك والقتل والزنى فقط، وها هنا مطلق المعاصي. والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه والتدم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الإعادة، فتن اجتماع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة.

قال ابن عطاء: التوبة: الرجوع من كل خلق مذموم والدخول في كل خلق محمود، أي وهي توبة الخواص. وقال بعضهم: التوبة أن يتوب من كل شيء سوى الله تعالى أي وهي توبة الأغص، فعليك بالتوبة والاستغفار فإنها صابون الأوزار. (٦: ٢٤٨)

نحوه الآكوسي (١٩: ٥٠)، والمرافعي (١٩: ٤٠).
الطباطبائي: «المتأب» مصدر ميمي للتوبة، وسياق الآية يعطي أنها مسوقة لرفع استغراب تبدل السيئات حسنات بتظهير أمر التوبة، وأنها رجوع

اللَّيْلِ، فَلَوْ تَرَكْتُمُوهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ، كَمَا هُوَ الْأَمْرُ
بِالنَّسْبَةِ إِلَى التَّائِبِ الَّذِي لَا يَبْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَنْبِهِ بَعْدَ
التَّوْبَةِ. (٢٣: ١٩١)

مَكَارِمُ الشَّيْرَازِيِّ: وَالْمُرَادُ بِ(تَابَ عَلَيْكُمْ) خَفَّفَ
عَلَيْكُمْ التَّكَالِيفَ، وَلَيْسَ التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ
لَا يَتَّخِذَ الذَّنْبُ صُورَةً فِي حَالِ رَفْعِ الْحُكْمِ الْوُجُوبِيِّ فَتَمُتَ
بِذَلِكَ الْمَغْفَرَةُ الْإِلَهِيَّةُ. (١٩: ١٣٢)

تَائِبُوا

١- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّسُوا فَأُولَئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. البقرة: ١٦٠
الطَّبْرِيِّ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَتَابُ عَلَى مَنْ
تَابَ، وَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
وَبَيَّسُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، وَهَلْ يَكُونُ تَائِبٌ إِلَّا
وَهُوَ مُتَوَبٌ عَلَيْهِ، أَوْ مُتَوَبٌ عَلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ تَائِبٌ؟

قِيلَ: ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا إِلَّا وَالْآخَرُ مَعَهُ.
فَسَوَاءٌ قِيلَ: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا عَلَيْهِمْ فَتَابُوا، أَوْ قِيلَ: إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا فَإِنِّي أَتُوبُ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ بَيَّنَّا وَجْهَ ذَلِكَ فِيمَا
جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ هَذَا الْجَمِيِّ فِي تَقْرِيرِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا
هَذَا، فَكْرَهْنَا إِعَادَتَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. (٢: ٥٧)

الرَّجَّاحُ: وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ تَابَ بَعْدَ هَذَا، وَتَبَيَّنَ مِنْهُمْ
أَنَّ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ حَقٌّ، قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ فَأَعْلَمَ اللَّهُ
عَزَّوَجَلَّ: أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَرْحَمُ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ الَّذِي
لَا خَافَةَ بَعْدَهُ. (١: ٢٣٥)

الطُّوسِيُّ: أَقْبَلُ تَوْبَتِهِمْ، وَالْأَصْلُ فِي (أَتُوبُ):
أَفْضَلُ التَّوْبَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّْا وَصَلَ بِحَرْفِ الْإِضَافَةِ دَلَّ عَلَى أَنَّ

الْأَوْقَاتِ، وَرَفَعَ تَبَعْتَهُ عَنْكُمْ. (٢٩: ٨١)

الشَّارِبِيُّ: أَيُّ رَجَعَ بِكُمْ إِلَى التَّخْفِيفِ بِالْتَّخَصُّصِ
لَكُمْ، فِي تَرْكِ الْقِيَامِ الْمَقْدَرِ أَوَّلَ السُّورَةِ. (٤: ٤٢٢)

نَحْوَهُ الْمُرَاغِي. (٢٩: ١٢٠)

الْأَلُوسِيُّ: أَيُّ بِالْتَّخْرِيسِ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ الْمَقْدَرِ،

وَرَفَعَ التَّبَعَةَ عَنْكُمْ فِي تَرْكِهِ. فَالْكَلَامُ عَلَى الْإِسْتِمَارَةِ

حَيْثُ شَبَّهَ التَّخْرِيسَ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ فِي رَفْعِ التَّبَعَةِ،

وَاسْتَعْمَلَ اللَّفْظَ الشَّاعِرَ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ فِي الْمَشَبِّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَّسِنَ بِأَشْرُوهُمْ﴾

البقرة: ١٨٧.

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ عَلَى مَا يَتَّبِعُ مِنْهُ فَقَالَ: فِيهِ دَلِيلٌ

عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

(٢٩: ١١١)

الْعُطْبَاءِيُّ: تَوْبَتُهُ تَعَالَى وَرَجُوعُهُ إِلَيْهِمْ بِمَعْنَى

انْطِفَافِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَيْهِمْ بِالتَّخْفِيفِ، فَهَلْ سَبَّحَانَهُ

تَوْبَةً عَلَى عِبَادِهِ يَبْسُطُ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَثَرُهَا تَوْفِيقُهُمْ

لِلتَّوْبَةِ أَوْ لِحُلُوقِ الطَّاعَةِ، أَوْ رَفْعِ بَعْضِ التَّكَالِيفِ أَوْ

التَّخْفِيفِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ التوبة:

١١٨، كَمَا أَنَّ لَهُ تَوْبَةً عَلَيْهِمْ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ

تَوْبَتِهِمْ، وَأَثَرُهَا مَغْفَرَةُ ذُنُوبِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

(٢٠: ٧٥)

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْغَضِيبُ: أَيُّ فَجَلَّ مِنْكُمْ هَذَا

التَّخْفِيفِ، قَبُولِ التَّائِبِ مِنْ ذَنْبِهِ، فَيَرْفَعُ عَنْهُ وَزْرَهُ،

وَيَغْسِلُ ذُنُوبَهُ، كَمَا يَغْسِلُ التَّوْبُ مِمَّا عَلَيَّ بِهِ.

(١٥: ١٢٧٢)

فَضَّلَ اللَّهُ: أَيُّ خَفَّفَ عَنْكُمْ فَلَمْ يُلْزِمْكُمْ بِقِيَامِ

تغيير حكمهم، ودخلوا في أهل الوعد.

وقد ذكرنا أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح، لافترض سواء، لأن من ترك ردّ الوديعة ثم ندم عليه - لأن الناس ذمّوه، أو لأنّ الحاكم ردّ شهادته - لم يكن تائباً. وكذلك لو عزم على ردّ كلّ وديعة، والقيام بكلّ واجب، لكي يُقبل شهادته، أو يُدخ بالثناء عليه لم يكن تائباً، وهذا معنى الإخلاص في التوبة.

ثمّ بيّن تعالى أنّه لا بدّ له بعد التوبة من إصلاح ما أفسده، مثلاً لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه، يلزمه إزالة تلك الشبهة، ثمّ بيّن ثالثاً أنّه بعد ذلك يجب عليه فعل ضدّ الكتمان وهو البیان، وهو المراد بقوله: (وَيَسِينُوا) فدلّت هذه الآية على أنّ التوبة لا تحصل إلّا بترك كلّ ما لا ينبغي، وبفعل كلّ ما ينبغي.

قالت المعتزلة: الآية تدلّ على أنّ التوبة عن بعض المعاصي مع الإصرار على البعض لا تصحّ، لأنّ قوله: (وَأَصْلِحُوا) عامّ في الكلّ.

والجواب عنه: أنّ اللفظ المطلق يكتفي في صدقه حصول فرد واحد من أفراد.

قال أصحابنا: تدلّ الآية على أنّ قبول التوبة غير واجب عقلاً، لأنّه تعالى ذكر ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، ولو كان ذلك واجباً لما حسن هذا المدح.

ومعنى (أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم، وقبول التوبة يتضمن إزالة عقاب ما تاب منها.

فإن قيل: هلا قلتم: إنّ معنى ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ هو قبول التوبة بمعنى المجازاة والتواب كما تقولون

معناه أقبل التوبة، ولأنّ كان لفظه مشتركاً بين فاعل التوبة والقابل لها، للترغيب في صفة التوبة؛ إذ وصف بها القابل لها، وهو الله؛ وذلك من إنعام الله على عباده، لأنّ يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب أنّ الوصف بها عيب، فلذلك جعلت في أعلى صفات المدح.

والتوبة هي الندم الذي يقع موقع التشنّج من الشيء؛ وذلك بالتحسّر على موافقته، والعزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاودة، واعتبر قوم المعاودة إلى مثله في القبح. وهو الأقوى، لإجماع الأئمة على سقوط العقاب عنها، وماعداها فختلف فيه.

فإن قيل: ما الفائدة في هذا الإخبار، وقد علمنا أنّ العبد متى تاب لا بدّ أن يتوب الله عليه؟

قلنا: أمّا على مذهبنا، فله فائدة واضحة، وهو أنّ إسقاط العقاب عنها ليس بواجب عقلاً، فإذا أخبر بذلك أفادنا ما لم تكن عالين به. ومن خالف في ذلك قال: وجه ذلك أنّه لما كانت توبة مقبولة وتوبة غير مقبولة، صحّت الفائدة بالدلالة على أنّ هذه التوبة مقبولة. ومعنى قبول التوبة: حصول التواب عليها، وإسقاط العقاب عنها.

نحوه الطبرسيّ: (١: ٢٤٢)
البغويّ: أتجاوز عنهم جميع سيئاتهم، وأقبل توبتهم. (١: ١٩٤)

نحوه الشريفيّ: (١: ١٠٨)
الفخر الرازيّ: اعلم أنّه تعالى لما بيّن عظيم الوعيد في الذين يكتبون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أنّ الوعيد يلحقهم على كلّ حال، فبيّن تعالى أنّهم إذا تابوا

في قبول الطاعة.

قلنا: الطاعة إنما أفاد قبولها استحقات التواب، لأنه لا يستحق بها سواء وهو الغرض بفعلها، وليس كذلك التوبة لأنها موضوعة لإسقاط العقاب، وهو الغرض بفعلها، وإن كان لابد من أن يستحق بها التواب إذا لم يكن عطفًا. (٤: ١٨٦)

الْقُرْطُوبِيُّ: استثنى تعالى التائبين الصالحين لأعمالهم وأقوالهم، المنيبين لتوبتهم، ولا يكفي في التوبة عند علمائنا قول القائل: قد تبت، حتى يظهر منه في الثاني خلاف الأول.

فإن كان مرتدًا رجع إلى الإسلام مظهرًا شرائعه، وإن كان من أهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح، وجانب أهل الفساد والأحوال التي كان عليها، وإن كان من أهل الأوثان جانبهم وخالف أهل الإسلام، وهكذا يظهر عكس ما كان عليه. (٢: ١٨٧)

أَبُو حَيَّان: أي أعطف عليهم، ومن تاب الله عليه لالتحقه لمة. (١: ٤٦٠)

الشَّرْبِينِيُّ: أي رجعوا عن الكتمان، وسائر ما يجب أن يتاب منه. (١: ١٠٨)

أَبُو الشَّعْوَد: (أَتُوبُ) أي بالقبول وإفاحة المغفرة والزَّحمة. (١: ٢٢٤)

الْبَيْهَقِيُّ: أي بالقبول وإفاحة الزَّحمة والمغفرة. فَإِنَّ التَّوْبَةَ إِذَا أُسْنِدَتْ إِلَيْهِ تَعَالَى بِأَنْ يَقِيلَ: تَابَ اللَّهُ أَوْ يَتَوَبَّ، تكون بمعنى المحيول، وقبول التوبة يتضمن المغفرة، أي إزالة عقاب من تاب. (١: ٢٦٥)

الْأَلَوْسِيُّ: أي رجعوا عن الكتمان أو عنه، وعن

سائر ما يجب أن يتاب عنه، بناءً على أَنَّ حذف المفعول يفيد العموم. وفيه إشارة إلى أَنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الْكُتْمَانِ فَقَطْ لا يوجب صرف اللُّغْنِ عنهم ما لم يتوبوا عن الجسيع، فَإِنَّ لِّلْمَنْهُم أَسْبَابًا جَمَّةً.

(وَأَصْلُحُوا) مَا أَفْسَدُوا بِالتَّدَارِكِ فِيهَا يَتَمَلَّقُ بِمَحْقُوقِ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَصْلَحُوا قَوْمَهُمْ بِالْإِرشَادِ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْإِضْلَالِ، وَأَنْ يُزِيلُوا الْكَلَامَ الْهَرَفَ وَيَكْتُبُوا مَكَانَهُ مَا كَانُوا أَزَالُوهُ عِنْدَ التَّحْرِيفِ. (وَيَسْتَيْشُوا) أَي أَظْهَرُوا مَا يَبْنِيهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ مَعَايِنَةً، وَيَهْدِيهِنَ الْأُمَرَاءُ تَمَّ التَّوْبَةَ.

وقيل: أظهِرُوا مَا أَحْدَثُوهُ مِنَ التَّوْبَةِ، لِيَمْحُوا سَمَةَ الْكُفْرِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَيَقْتَدِيَ بِهِمْ أَضْرَابَهُمْ، فَإِنَّ إظهار التَّوْبَةِ مِمَّنْ يَقْتَدِي بِهِ شَرْطٌ فِيهَا عَلَى مَا يَشِيرُ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَثَارِ.

وفيه أَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ إظهار التَّوْبَةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ مَعْصِيَةِ الْمَتَابَةِ وَلَيْسَ شَرْطًا فِي التَّوْبَةِ عَنْ أَصْلِ الْمَعْصِيَةِ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَصْلَحُوا) ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْقَبُولِ وَإِفَاحَةِ الْمَغْفَرَةِ وَالزَّحْمَةِ. (٢: ٢٨)

نَحْوُ الْمُرَافِقَةِ. (٢: ٣١)

رَشِيدٌ رَضًا: أَي أَرْجَعُ وَأَعُودُ عَلَيْهِم بِالزَّحْمَةِ وَالزَّافَةِ بَعْدَ الْحِرْمَانِ الْمَعْبَرِ عَنْهُ بِاللَّعْنَةِ.

قال الأستاذ: وهذا من أَلطَفِ أَنْوَاعِ التَّأْدِيبِ الْإِلَهِيِّ، فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ، بَلْ أَسْنَدَ إِلَى ذَاتِهِ الْمَلِيَّةِ فَمَلَّ التَّوْبَةَ الَّذِي أَسْنَدَهُ إِلَيْهِمْ. (٢: ٥٠)

فَضَلَ اللَّهُ: وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ وَغَيَّرُوا وَبَدَّلُوا، وَبَدَأُوا

بجمل الرسالة والدعوة إليه تعالى. [إلى أن قال:]

﴿قَاوَلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ فأغفر لهم مأسأفوه من الذنوب. (١٣٧: ٣)

مكارم الشيرازي: لما كان القرآن كتاب هداية، فإنه لا يفتق منافذ الأمل والتوبة أمام الأفراد، ولا يقطع أملهم في العودة منها ارتكسوا في الذنوب، لذلك تُبين الآية التالية طريق النجاة من هذا الذنب الكبير، وتقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّضُوا قَاوَلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

عبارة: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ جاءت بعد عبارة ﴿قَاوَلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ للدلالة على كثرة محبة الله، وسبق عطفه على عباده التائبين، فيقول الله سبحانه لهؤلاء: إن تبتهم، أي عدتم إلى نشر الحقائق، فأنا أعود أيضاً إلى إغداق الرحمة والمواهب عليكم.

ومن الملفت للنظر أن الله لم يقل أنه يقبل التوبة ممن تاب، بل يقول: من تاب فأنا أيضاً أتوب عليه. والفرق في التعبيرين واضح، فالثاني فيه من التودد والتحنن وإغداق اللطف ما لا يمكن وصفه. (٤٠٢: ١)

٢- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الطوسي: إن قيل: إذا كانت التوبة من الذنب لاتصلح إلا بعد فعله، فلم قال: (من بعد ذلك).

قيل: فائدته أنه يغيد معنى تابوا منه، لأن توبتهم من غيره لاتنفع في التخلص منه، كما لاتنفع التوبة من الكبير في التخلص من الصغير. فأما من قال: إِنَّ التَّوْبَةَ

من معصية لاتصح مع الإقامة على معصية أخرى، فإنه يقول ذلك على وجه التأكيد.

فإن قيل: إذا كانت التوبة وحدها تُسقط العقاب وتُحصل الثواب فلم شرط معها الإصلاح؟

قيل: الوجه في ذلك إزالة الإيهام لتلا يعتقد، أنه إذا حصل الإيمان، والتوبة من الكفر لا يضر معه شيء من أعمال القبائح. كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُسْتُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ أَجْزْ غَيْرَ مُتَنَبِّينَ﴾ فصلت: ٨، فذكر مع الإيمان عمل الصالحات، لإزالة الإيهام بأن من كان مؤمناً في الحكم، لم يضره مع ذلك ما عمله من المعاصي.

وقبول التوبة واجب، لأنها طاعة، واستحقاق الثواب بها ثابت عقلاً. فأما سقوط العقاب عنها، فإنما هو تفضل من الله، ولولا أن السمع ورد بذلك، وإلا فلادالة في العقل على ذلك. (٥٢٦: ٢)

المبيدي: كلما ذكرت التوبة في القرآن قرنت بالإصلاح لأن حقيقة التوبة شيان: الإخلاص وإصلاح الأعمال، وباجتماعها تصح التوبة.

فإن قيل: لم قال في البقرة: ١٦٠ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّضُوا﴾، وهنا لم يقل: (ويبشرون)؟

قيل في الجواب: إن الآية في البقرة نزلت في شأن أحبار اليهود الذين كتموا وصف محمد في التوراة، عن عوامهم، وهذا معظم ذنبهم، لذا لم يقبل توبتهم حتى يبتوه وأظهروه. ولم يكن هذا المعنى فيمن نزلت هذه الآية في شأنهم وما كان ذنبهم إلا الزدة، لذا لم يقل: ويبشرون.

الطبرسي: أي تابوا من الكفر ورجعوا إلى الإيمان.

ففيه إشارة - كما قيل - إلى أن مجرد التندم على ماضى من الارتداد، والعزم على تركه في الاستقبال غير كاف لما أخْلَوْا به من الحقوق.

واعترض بأن مجرد التوبة يوجب تخفيف العذاب ونظر الحق إليهم، فإظهار أنه ليس تقييداً، بل بيان لأن يُصلح ما فسد.

وأجيب بأنه ليس يوارد، لأن مجرد التندم والعزم على ترك الكفر في المستقبل لا يخرج منه، فهو بيان للتوبة المعتد بها، فالأصل واحد عند التحقيق.

(٣: ٢١٧)

الطَّبَّاطِيَّاتِي: أي دخلوا في الصَّلاح، والمراد به كون توبتهم نصوحاً تسهل عنهم ذنوب الكفر وتطهر باطنهم بالإيمان. وأما الإتيان بالأعمال الصالحة فهو وإن كان مما يتفرع على ذلك ويلزمه، غير أنه ليس بمقوم لهذه التوبة ولا ركناً منها، ولا في الآية دلالة عليه.

(٣: ٣٤٠)

٣- وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْءَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَغْيِهِمْ وَأَسْأَلُوا رَبَّهُمْ عَنْ غَفْوَةِ زَجْرِهِمُ. الْأَحْرَاف: ١٥٣
الطَّبَّاطِيَّاتِي: ماملخصه: إن الله يقبل توبة العباد من ذنوبهم صغيرة كانت أو كبيرة، كما قبل توبة عبدة اليعيل، وإتهم إذا عملوا الشَّيْءَاتِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ بِإِنَابَتِهِمْ إِلَى مَا يَكْرَهُ، وإلى ما يرضى مما يسخطه، وصدقوا بأن قابل توبة المذنبين المنين إليه بإخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك، يغفر لهم. (٩: ٧١)
الْمَاوَزْدِي: التوبة من الشَّيْءَاتِ هي التندم على

وأصلحوا ضمايرهم وعزموا على أن يبتئوا على الإسلام. وهذا أحسن من قول من قال: وأصلحوا أفعالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا، فإن ذلك ليس بشرط في صحة التوبة، إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع. (١: ٤٧٢)

الْفَخْرُ الرَّازِي: والمعنى إلا الذين تابوا منه، ثُمَّ يَبَيَّنُ أَنَّ التوبة وحدها لا تكفي، حتى ينضاف إليها العمل الصالح. فقال: (وَأَصْلَحُوا) أي أصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات، وظاهرهم مع الحق بالعبادات، وذلك بأن يعلنوا بأننا كنا على الباطل حتى أنه لو اغتر بطريقتهم الفاسدة مغترّج عنها. (٨: ١٣٨)

نحوه النَّبِيُّ السَّيْهِي (٣: ٢٤٤)، ورشيد رضا (٣: ٣٦٦)، وعبد الكريم الخطيب (٢: ٥١٨)، وفضل الله (٦: ١٤٣)، ومكارم الشيرازي (٢: ٤٤١).

الْبُزْزُوسِيُّ: (نحو الفخر الرازي وأضاف):

وهذا التندم والتوبة إنما يحصل لمن لم ترسخ فيه بعد هيئة استيلاء النفس الأمارة على قلبه ولم تصر زينة، وبقي فيه من وراء حجاب صفات النفس مسكة من نور استعداده، فينداركه الله برحمته وتوفيقه فيندم، ويواظب على الزايدات من باب التزكية والتصفية.

(٢: ٥٩)

الْأَلُوسِي: أي الكفر الذي ارتكبه بعد الإيمان، (وَأَصْلَحُوا) أي دخلوا في الصَّلاح، بناءً على أن الفعل لازم من قبيل «أصبحوا» أي دخلوا في الصباح. ويجوز أن يكون متعدياً والمفعول محذوف، أي أصلحوا ما فسدوا.

ماسلف والعزم على ألا يفعل مثلها.

فإن قيل: فالتوبة إيمان فامعنى قوله: ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَسْتَأْذُوا﴾ الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: يعني أنهم تابوا من المصيبة، واستأذنوا عمل الإيمان بعد التوبة.

والثاني: يعني أنهم تابوا بعد المصيبة وآمنوا بتلك التوبة.

والثالث: وآمنوا بأن الله قابل التوبة. (٢: ٢٦٥)
الطُّوسِي: قد بينّا فيما مضى أن التوبة ألتي أجمعوا على سُقوط العقاب عندها هي التَّدم على القبيح، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح، وفي غيرها خلاف. [إلى أن قال:]

وقيل: إن الآية نزلت فيمن تاب من الذين كانوا عبدوا المجل فإتهم تابوا وندموا، وأكثرهم تعبد لهم الله بأن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً، واستسلموا لذلك، فقتل في يوم واحد سبعون ألفاً، ثم رفع عنهم ذلك وقيل توبتهم. (٤: ٥٨٥)

الفُشَيْرِي: وصفهم بالتوبة بعد عمل السيئات ثم بالإيمان بعدها، ثم قال: ﴿مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوهُمْ رَجِمُوا﴾. والإيمان الذي هو بعد التوبة يحتمل آمنوا بأنه يقبل التوبة، أو آمنوا بأن الحق سبحانه لم يُضَرَّ عصيان، أو آمنوا بأنهم لا ينجون بتوبتهم من دون فضل الله، أو آمنوا، أي عدّوا ماسبق عنهم من نقض العهد شركاً.

(٢: ٢٦٩)
ابن عَطِيَّة: تضمنت هذه الآية الوعد بأن الله عزَّ وجلَّ يغفر للتائبين، والإشارة إلى من تاب من بني

إسرائيل. وفي الآية ترتيب الإيمان بعد التوبة، والمعنى في ذلك أنه أراد، وآمنوا أن التوبة نافعة لهم منجية فتمسكوا بها، فهذا إيمان خاص بعد الإيمان على الإطلاق.

ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿وَأَسْتَأْذُوا﴾ أي عملوا عمل المؤمنين حقاً وافوا على ذلك.

ويحتمل أن يريد التأكيد فذكر التوبة والإيمان إذ هما متلازمان، إلا أن التوبة على هذا تكون من كفر ولا بد، فيجبيء (تابوا وأستأذوا) بمعنى واحد، وهذا لا يترتب في توبة المعاصي فإن الإيمان متقدم لتلك ولا بد وهو توبة الكفر متلازمان.

ويحتمل قوله: ﴿تَابُوا وَأَسْتَأْذُوا﴾ أن يكون لم قصد رتبة الفعلين على عرف الواو في أنها لا توجب رتبة، ويكون ﴿وَأَسْتَأْذُوا﴾ بمعنى وهم مؤمنون قبل وبعد، فكأنه قال: ومن صفتهم أن آمنوا. (٢: ٤٥٨)

الفُخْرُ الرَّازِي: هذا يفيد أن من عمل السيئات فلا بد وأن يستوب عنها أولاً؛ وذلك بأن يتركها أولاً ويرجع عنها، ثم يؤمن بعد ذلك. وثانيًا يؤمن بالله تعالى، ويصدق بأنه لا إله غير، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُوهُمْ رَجِمُوا﴾.

وهذه الآية تدلّ على أن (السيئات) بأسرها مشتركة في أن التوبة منها توجب الغفران، لأنّ قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يتناول الكلّ، والتقدير: أن من أتى بجميع السيئات ثم تاب فإن الله يغفرها له، وهذا من أعظم ما يفيد البشارة والفرح للمذنبين. (١٥: ١٣)

الْثَّيْسَابُورِي: ظاهر الآية تدلّ على أن التوبة شرط العفو، وأنه لا بدّ مع التوبة من تجديد الإيمان فإ

وَأَثَارَ المصنوعات، وتوبة الرّوح: التحلّي بالمعارف الإلهيّة، وتوبة السّر: التّوجّه إلى الحضرة السّليما بعد الإعراض عن الدّنيا والعتى. (٣: ٢٤٨)

فضل الله: فقد جعل الله على نفسه قبول التّوبة ممّن تاب إليه بإخلاص، وقد سبقت رحمته غضبه تمامًا، كما تاب على المشركين الّذين تَمَرَّدُوا على الرّسالة وحاربوها. ثمّ أخلصوا الله الإيمان، وساروا في الخطّ المستقيم، وجاهدوا في سبيله. (١٠: ٢٥٢)

٤... فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ...

التّوبة: ٥
الطّبريّ: فإن رجعوا عَمَّا هم عليه من الشّرك بالله، وجحدوا نُبُوّة نبيّه محمد ﷺ إلى توحيد الله، وإخلاص العبيادة له، دون الأهلّة والأنداد، والإقرار بنبوّة محمد ﷺ. (١٠: ٧٨)

الخصاص: لا يخلو قوله تعالى: «وَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ» من أن يكون وجود هذه الأفعال منهم شرطاً في زوال القتل عنهم، ويكون قبول ذلك والانقياد لأمر الله تعالى فيه هو الشرط دون وجود الفعل، ومعلوم أنّ وجود التّوبة من الشّرك شرط لاهالة في زوال القتل، ولا خلاف أنّهم لو قبلوا أمر الله في فعل الصّلاة والزّكاة ولم يكن الوقت وقت صلاة أنّهم مسلمون وأنّ دماءهم محظورة.

فعلنا أنّ شرط زوال القتل عنهم هو قبول أوامر الله والاعتراف بلزومها دون فعل الصّلاة والزّكاة، ولأنّ إخراج الزّكاة لا يلزم بنفس الإسلام إلّا بعد حوّل، فغير

أصعب شأن المذنبين، لكن عموم لفظ (السّيئات) يدلّ على أنّ من أتى بجميع المعاصي ثمّ تاب فإنّ الله يفرّجها له، فأحسن حال التّائبين. (٩: ٥٥)

أبو حنّان: أي رجعوا إلى الله من بعدها، أي من بعد عمل السيّئات، (وَأَمَّنُوا): داموا على إيمانهم وأخلصوا فيه. أو تكون «الواو» حالية، أي وقد آمنوا، «وَإِنْ رَيْكَ مِنْ بَعْدِهَا» أي من بعد عمل السيّئات، هذا هو الظّاهر. ويعتدل أن يكون الضّمير في (مِنْ بَعْدِهَا) عائداً على التّوبة، أي إنّ رَيْكَ من بعد توبتهم، فيعود على المصدر المفهوم من قوله: «ثُمَّ تَابُوا»، وهذا عندي أولى، لأنّك إذا جعلت الضّمير عائداً على (السّيئات) احتجبت إلى حذف مضاف وحذف مطوف، إذ يصير التقدير: من بعد عمل السيّئات والتّوبة منها. (٤: ٣٩٧)

البُزْجَسَوِيّ: واعلم أنّ التّوبة عند المعتزلة علّة موجبة للمغفرة، وعندنا سبب محض للمغفرة، والتّوبة: الرّجوع، فإذا وُصف بها العبد كان المراد بها الرّجوع عن المعصية، وإذا وُصف بها البارئ تعالى أريد بها الرّجوع عن العذاب بالمغفرة.

والتّوبة على ضربين: ظاهر وباطن.
فالظّاهر: هو التّوبة من الذّنوب الظّاهرة، وهي مخالفات ظواهر الشّرع، وتوبتها ترك المخالفات واستعمال الجوارح بالطّاعات.

والباطن: هو توبة القلب من ذنوب الباطن، وهي الغفلة عن الذّكر حتّى يتصفّ به؛ بحيث لو صمّت لسانه لم يصمت قلبه. وتوبة النّفس: قطع علاقت الدّنيا والأخذ باليسير والتّعفّف، وتوبة العقل: التّفكّر في بواطن الآيات

اندرست فلاحرج - في التحقيق - في المعاملات في أوان
مراعاة المنطرات مع الله عند حصول المكاشفات.
والجلوس مع الله أولى من القيام بباب الله تعالى، قال
تعالى فيما ورد به الخبر: «أنا جليس من ذكرني».

(٨: ٣)

ابن عَطِيَّة: (فَإِنْ تَابُوا) يريد من الكفر فهي
متضمنة الإيمان، ثم قرن بها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة،
تنبيها على مكان الصلاة والزكاة من الشرع. (٨: ٣)
الطَّبْرَسِي: أي رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع.

(٧: ٣)

الْقُرْطُبِيُّ: هذه الآية فيها تأمل، وذلك أن الله علق
القتل على الشرك، ثم قال: (فَإِنْ تَابُوا)، والأصل أن
القتل متى كان للشرك يزول بزواله، وذلك يقتضي
زوال القتل بمجرد التوبة، من غير اعتبار إقامة الصلاة
 وإيتاء الزكاة، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة قبل وقت
الصلاة والزكاة.

وهذا بين في هذا المعنى، غير أن الله تعالى ذكر التوبة
وذكر معها شرطين آخرين، فلا سبيل إلى إلغائهما، نظيره
قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا
الله ويُقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك
عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على
الله». (٨: ٧٤)

أَبُو حَتِّان: أي عن الكفر والفدر، والتوبة تتضمن
الإيمان، وترك ما كانوا فيه من المعاصي. ثم تبه على أعظم
الشعائر الإسلامية، وذلك إقامة الصلاة وهي أفضل
الأعمال البدنية، وإيتاء الزكاة وهي أفضل الأعمال

جائز أن يكون إخراج الزكاة شرطاً في زوال القتل،
وكذلك فعل الصلاة ليس بشرط فيه وإنما شرطه قبول
هذه الفرائض والتزامها والاعتراف بوجودها.

فإن قيل: لما قال الله تعالى: «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ» فشرط مع التوبة فعل الصلاة
والزكاة. ومعلوم أن التوبة إنما هي الإقلاع عن الكفر
والرجوع إلى الإيمان، فقد عقل بذكره التوبة التزام هذه
الفرائض والاعتراف بها، إذ لا تصح التوبة إلا به. ثم لما
شرط مع التوبة الصلاة والزكاة دل على أن المعنى المزيل
للقتل هو اعتقاد الإيمان بشرائعه وفعل الصلاة والزكاة،
فأوجب ذلك قتل تارك الصلاة والزكاة في وقت
وجوبها، وإن كان مستعداً للإيمان مترقياً بلزوم شرائعه.
قيل له: لو كان فعل الصلاة والزكاة من شرائط
زوال القتل لما زال القتل عمن أسلم في غير وقت الصلاة
وعمن لم يؤد زكاته مع إسلامه، فلما اتفق الجميع على
زوال القتل عمن وصفنا أمره بعد اعتقاده للإيمان للزوم
شرائعه، ثبت بذلك أن فعل الصلاة والزكاة ليس من
شرائط زوال القتل، وإن شرطه إظهار الإيمان وقبول
شرائعه، ألا ترى أن قبول الإيمان والتزام شرائعه لما كان
شرطاً في ذلك لم يُزل عنه القتل عند إخلاله ببعض ذلك.

(٨: ٣)

القُشَيْرِيُّ: حقيقة التوبة: الرجوع بالكبيرة من غير
أن تترك بقية، فإذا أسلم الكافر بعد شركه، ولم يقصر
في واجب عليه من قسمي فعله وتركه، حصل الإذن في
تخليه سبيله وفكّه.

وكذلك النفس إذا انحنست، وأتار البشرية إذا

المالئة، وبها تظهر القوة العملية كما بالثبوتية تظهر القوة العلمية عن الجهل. (١٠: ٥)

أبو السعود: (فَإِنْ تَابُوا) عن الشرك بالإيمان بعد ما اضطُروا بما ذكر من القتل والأسر والمحصر. (١٢٤: ٣)
نحوه الألويسي: (١٠: ٥)

البثوثوسي: [نحو أبي السعود وأضاف:]

ورجعوا إلى الله، أي رجعت النفوس عن هواها إلى طلب الحق تعالى. (٣٨٨: ٣)

رشيد رضا: أي فإن تابوا عن الشرك، وهو الذي يحملهم على عداوتكم وقتالكم؛ بأن دخلوا في الإسلام، وعنوانه العام التعلق بالشهادتين، وكان يكتفي منهم بإحداها. (١٦٨: ١٠)

الطُّبَّاطِبَائِي: والمراد بالثبوتية منهاها اللُّتَوِي، وهو الرجوع، أي إن رجعوا من الشرك إلى التوحيد بالإيمان، ونصبوا لذلك حجة من أفعالهم وهي الصلاة والزكاة، والتمروا أحكام دينكم الزاجمة إلى الخالق جيبًا، فخلُّوا سبيلهم. (١٥٣: ٩)

عبد الكريم الخطيب: هو تحريض للمشركين على المبادرة بالثبوتية، وخلق نير الشرك من رقابهم، وذلك قبل أن يقوا ليد المسلمين، وتصل إليهم سيوفهم. فأنهم إن وصلوا إلى تلك الحال، فلن تكون لهم نجاة. ولن تُقبل منهم توبة، شأنهم في هذا شأن الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادًا. (٧٠٢: ٥)

ثُبُتٌ

... فَلَمَّا حَقَّ رُؤْيَا لَلْجَبَلِ جَعَلَهُ دُكَا وَخَرَّ مُوسَى صُفْحًا

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.

الأعراف: ١٤٣

ابن عباس: «تُبْتُ إِلَيْكَ» من مسألتي الرؤية.

(١٣٧)

نحوه مجاهد (الْقُرْطُوبِي: ٧: ٢٧٩)، والطَّبْرِي: (٩: ٥٥)، والبُيُوتِي: (٢: ٢٣١)، والمِصْبَدِي: (٣: ٧٢٧).

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه تاب من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها.

والثاني: أنه تاب من اعتقاده جواز رؤيته في الدنيا. والثالث: أنه قال ذلك على جهة التيسير، وعادة المؤمنين عند ظهور الآيات الدالة على عظيم قدرته.

(٢٥٩: ٢)

الطُّوسِي: قيل في معنى توبته ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تاب لأنه سأل قبل أن يؤذن له في المسألة، وليس للأنبياء ذلك.

الثاني: أنه تاب من صغيرة ذكرها.

الثالث: أنه قال ذلك على وجه الانقطاع إليه والرجوع إلى طاعته، وإن كان لم يحص. وهذا هو المعتمد عندنا دون الأولين، على أنه يقال لمن جَوَّز الرؤية على الله تعالى: إذا كان موسى ﷺ إنما سأل ما يجوز عليه فن أي شيء تاب؟ فلا بد لهم من مثل ما قلناه من الأجوبة.

(٥٧٠: ٤)

نحوه الطَّبْرِي: (٢: ٤٧٦)

القشيري: ويقال: لما رآه موسى إلى حال الصحو وأفاق رجع إلى رأس الأمر فقال: «تُبْتُ إِلَيْكَ» يعني

أفانق أنه قال: ﴿تَبْتُ إِلَيْكَ﴾ ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب يتنافى صحة الإسلام لما قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

واعلم أن أصحابنا قالوا: الرؤية كانت جائزة، إلا أنه ﷺ سألها بغير الإذن، وحسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فكانت التوبة توبة عن هذا المعنى لا عمّا ذكره، فهذا جملة الكلام في هذه الآية، والله أعلم بالصواب.

(٢٣٢: ١٤)

الْقُرْطُبِيُّ: أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون. وأيضًا عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة، وعند المبتدعة سأل لأجل القوم ليبيّن لهم أنها غير جائزة، وهذا لا يقتضي التوبة، فسقيل: أي تُسبب إليك من قتل القبطي، ذكره (٢٧٩: ٧).

الْثُمَيْسَابُورِيُّ: من طلب الرؤية بغير إذن منك وإن كان لترض صحيح، هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك.

(٤٦: ٩)

الْأَلُوسِيُّ: لاحظ (رأي) (٥٠: ٩) القاسمي: أما التوبة في حق الأنبياء، فلا يستلزم كونها عن ذنب، لأن منصبهم الجليل ينبغي أن يكون مغزًا مبرأ من كل ما ينحط به، ولا شك أن التوقف في سؤال الرؤية على الإذن كان أكمل، قد ورد «سيئات المقرّبين حسنات الأبرار».

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: توبة ورجوع منه ﷺ بعد الإفاقة؛ إذ تبين له أن الذي سأل به وقع في غير موقعه، فأخذته العناية الإلهية بتعريفه ذلك، وتعليمه عبانًا بإشهاده ذلك

إن لم تكن الرؤية هي غاية المرتبة فلا أقل من التوبة، فقبله تعالى، لسمو مرتبته إلى الرتبة العلية.

هذه إناخة بقوة العبودية، وشرط الإنصاف ألا تبرح محل الخدمة وإن حيل بينك وبين وجود القرية، لأن القرية حظ نفسك، والخدمة حق ربك، وهي تتم بالأتكون بحظ نفسك. (٢٦٢: ٢)

الرَّمَصُفْصَرِيُّ: من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بآئك لست بمرقي ولا تدرك بشيء من المحوّن.

فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للترض الذي ذكرته لم تآب؟

قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لترض صحيح على لسانه، من غير إذن فيه من الله تعالى. فآظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكًا، وكيف أصعقهم، ولم يحل كلمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر، وكيف سبّح ربه ملتجئًا إليه، وتآب من إجراء تلك الكلمة على لسانه. (١١٥: ٢)

ابن عَطِيَّة: معناه من أن أسألك الرؤية في الدنيا وأنت لأتيجها.

ويحتمل عندي أنه لفظ قتاله ﷺ لشدة هول ما طلع، ولم يمن به التوبة من شيء معين، ولكنه لفظ يصلح لذلك المقام.

والذي يتحرز منه أهل السنة أن تكون توبة من سؤال الحال كما زعمت المعتزلة. (٤٥١: ٢)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: قوله تعالى حكاية عن موسى لما

يَتُوب

١- لَيْتَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. آل عمران: ١٢٨

الفراء: في نسه وجهان، إن شئت جعلته مطوفاً على قوله: ﴿يُفْطِنُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ آل عمران: ١٢٧، أي «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ» وإن شئت جعلت نسه على مذهب «حق»، كما تقول: لأزال ملازمك أو تطيبي، أو إلّا أن تطيبي حق.

(٢٣٤: ١)

(٤٦٨: ١)

نحوه الزجاج.

الطبري: منصوب عطفاً على قوله: (أَوْ يَكْبِتُهُمْ)، وقد يحتمل أن يكون تأويله: ليس لك من الأمر شيء. حق يتوب عليهم، فيكون نصب (يَتُوبُ) بمعنى «أَوْ» التي هي في معنى «حق». والقول الأول أولى بالصواب، لأنه لا شيء من أمر المخلوق إلى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم، وبعد ذلك ... (٤: ٨٦)

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: ليس لك من الأمر شيء في عقابهم واستصلاحهم، وإنما ذلك إلى الله تعالى في أن يتوب عليهم أو يعذبهم.

والثاني: ليس لك من الأمر شيء فيما تريده وتعلمه في أصحابك وفيهم، وإنما ذلك إلى الله تعالى فيما يفضله من اللطف بهم في التوبة والاستصلاح، أو في العذاب والانتقام.

فبدأ بتنزيهه تعالى وتقديسه عما كان يرى من إمكان ذلك، ثم عيّنه بالتوبة عما أقدم عليه، وهو طمع في أن يتوب عليه، وليس من الواجب في التوبة أن تكون دائماً عن معصية وجرم بل هو الرجوع إليه تعالى لثابتة بعد كيف كان. (٢٤٣: ٨)

فضل الله: في إحساس عميق بالظلمة الإلهية يسدغه إلى التسييح، وفي شعور بالندم يدعو إلى التوبة. (٢٤٠: ١٠)

مكارم الشيرازي: ممّ تاب موسى ﷺ؟

سؤال يطرح نفسه هنا هو: أن موسى ﷺ بعد أن أفاق قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ في حين أنه لم يرتكب إثماً أو معصية، لأنّ هذا الطلب كان من جانب بني إسرائيل، وكان طرحه بتكليف من الله، فهو أدنى واجبه إذن، ثم إذا كان هذا الطلب لنفسه وكان مراده الشهود الباطني لم يحسب هذا العمل إثماً؟

ولكن يمكن الجواب على هذا السؤال من جانبيين: الأول: أن موسى طلب مثل هذا الطلب بالنيابة عن بني إسرائيل، ومع ذلك طلب من الله أن يتوب عليه، وأظهر الإيمان.

الآخر: أن موسى ﷺ وإن كان مكلفاً بأن يطرَح طلب بني إسرائيل، ولكنه عند ما تجلّى ربه للجيل وانصحت حقيقة الأمر، انتهت مدة هذا التكليف، وفي هذا الوقت لابد من العودة إلى الحالة الأولى يعني الرجوع إلى ما قبل التكليف، وإظهار إيمانه حق لا يتق شبهة لأحد، وقد بين ذلك بجملة: إني تبت إليك وأنا أول

وَالثَّالِثُ: أُنْزِلَتْ عَلَى سَبَبٍ لَمَّا كَسَرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ ﷻ.

(١: ٤٢٢)

الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ: أَمَّا مَا انْتَصَبَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فهو على

خبرين:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَقْطَعَ

طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿أَوْ يَتُوبَ

عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾، فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ

الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْمَطُوفِ وَالْمَطُوفِ عَلَيْهِ، كَمَا

يَقُولُ الْقَاتِلُ: ضَرَبْتُ زَيْدًا - فَاهُمْ - وَعَمْرًا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ (أَوْ) هِيَ الَّتِي بِمَعْنَى «إِلَّا أَنْ»

فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ، فَيَكُونُ أَمْرًا تَابِعًا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي

ذَلِكَ، لِرِضَاكَ بِمَصَارِفِ أَقْدَارِهِ وَمَوَاقِعِ تَدَايِيرِهِ، أَوْ تَكُونَ

بِمَعْنَى «حَتَّى»، كَأَنَّهُ قَالَ: حَتَّى يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ،

كَمَا يَقُولُ الْقَاتِلُ: لَا أَزَالُ مَلَاظِمُكَ أَوْ تُطِيعِي دِينِي، أَيْ

حَتَّى تُطِيعِي دِينِي.

وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ وَجْهٌ آخَرٌ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُ

الْكَلَامِ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ مِنْ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ،

فَأُضْمِرَ «مَنْ» هَاهُنَا اكْتِفَاءً بِ(مَنْ) الْأَوَّلَى، وَأُضْمِرَ (أَنْ)

لِبَيَانِ مَعْنَاهَا، وَهِيَ مَعَ الْفِعْلِ الَّذِي بَعْدَهَا بِمَزَلَّةِ الْمَصْدَرِ.

وَهَذَا مَذْهَبٌ غَيْرٌ سَدِيدٍ، وَقَوْلٌ غَيْرٌ مُسْتَقِيمٌ، لِأَنَّهُ

لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُكَ: عَجِبْتُ مِنْ أَخِيكَ وَتَقَوْمِ،

عَلَى مَعْنَى مِنْ أَخِيكَ وَمِنْ أَنْ تَقَوْمِ، وَالذَّلَالَةُ عَلَى فُسَادِ

ذَلِكَ كَثِيرَةٌ لَا يَحْتَمِلُ الْمَوْضِعُ شَرْحَهَا، وَفِي مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ

ذَلِكَ كَافٍ بِمَحْمَدِ اللَّهِ. (حَقَائِقُ التَّأْوِيلِ: ٣٥٦)

الطُّوسِيُّ: قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَوْ يُلَطِّفُ لَهُمْ بِمَا يَقَعُ مَعَهُ تَوْبَتِهِمْ، فَيَتُوبُ

عَلَيْهِمْ بِلُطْفِهِ لَهُمْ.

وَالْآخَرُ: أَوْ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِذَا تَابُوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ الْمُؤْمِنُ ٣، وَلَا تَصِحُّ هَذِهِ

الصِّفَةُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لِأَنَّهُ يَمْلِكُ الْجِزَاءَ بِالْقَوَابِ

وَالْعِقَابِ. [وَأَدَامَ نَحْوَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ] (٢: ٥٨٥)

الرَّصَافُ شَمْرِي: (أَوْ يَتُوبُ) عَطَفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ

و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اعْتِرَاضٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ

مَالِكٌ أَمْرُهُمْ فَإِمَّا يَهْلِكُهُمْ أَوْ يَهْزِمُهُمْ، أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ إِنْ

أَسْلَمُوا، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ إِنْ أَصْعَرُوا عَلَى الْكُفْرِ، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ

أَمْرِهِمْ شَيْءٌ إِذَا أَنْتَ عَبْدٌ مَبْعُوثٌ لِإِنْدَارِهِمْ وَبِمُجَاهَدَتِهِمْ.

وَقِيلَ: إِنَّ (يَتُوبُ) مَنْصُوبٌ بِإِضَارِ «أَنْ»، وَأَنَّ

يَتُوبُ فِي حُكْمِ اسْمٍ مَطُوفٍ بِ(أَوْ) عَلَى الْأَمْرِ أَوْ عَلَى

شَيْءٍ، أَيْ لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ أَوْ مِنَ التَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ

أَوْ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ، أَوْ لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ أَوْ التَّوْبَةُ

عَلَيْهِمْ أَوْ تَعْذِيبُهُمْ.

وَقِيلَ: (أَوْ) بِمَعْنَى «إِلَّا أَنْ» كَقَوْلِكَ: لِأَنَّكَ أَوْ

تُطِيعِي حَقِّي، هَلْ مَعْنَى لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، فَتَفْرَحَ بِمُجَاهَدِهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَتَشْتَقِي مِنْهُمْ.

(١: ٤٦٢)

نَحْوُهُ أَبُو السُّعُودِ. (٢: ٣٠)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾

مُفْسَّرٌ عِنْدَ أَصْحَابِنَا بِمَجْلَى التَّوْبَةِ فِيهِمْ، وَذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ

خَلْقِ الثُّمَّةِ فِيهِمْ عَلَى مَاضِيٍّ، وَخَلْقِ الزَّمْرِ فِيهِمْ عَلَى أَنْ

لَا يَفْعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَنْ تَسْتَلَا.

وَقَرَأَ آيَةَ (أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ) بِرَفْعِهَا عَلَى
مَعْنَى أَوْ هُوَ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ.

الْأَلُوسِيّ: عَطَفَ إِمَّا عَلَى (الْأَمْرِ) أَوْ عَلَى (شَيْءٍ) بِإِضْهَارِ «أَنْ» أَيِ لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ أَوْ مِنْ التَّوْبَةِ عَلَيْهِمْ أَوْ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ شَيْءٌ، أَوْ لَيْسَ لَكَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ أَوْ التَّوْبَةُ عَلَيْهِمْ أَوْ تَعْذِيبُهُمْ. وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ بِأَنَّهُ عَلَى الْأَوَّلِ سَلَبُ مَا يَتَّبِعُ التَّوْبَةَ وَالتَّعْذِيبَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْقَبُولِ وَالزَّدِّ وَالْخُلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالْمَنْعِ مِنَ التَّجَاةِ.

وَعَلَى الثَّانِي سَلَبُ نَفْسِ التَّوْبَةِ وَالتَّعْذِيبِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَعْنِي لَا يَقْدَرُ أَنْ يُجِيرَهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ وَلَا يَعْذِيبُهُمْ عَنْهَا، وَلَا يَقْدَرُ أَنْ يَعْذِيبَهُمْ، وَلَأَنْ يَغُفِرَ عَنْهُمْ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى. وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ هُوَ مِنْ عَطَفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ - كَمَا قَالَ الْعَلَمَةُ الثَّانِي - لَكِنْ فِي جَمْعٍ، مِثْلَ هَذَا الْعَطْفِ بِكَلِمَةِ (أَوْ) ظَر.

وَتَعَبَّرَ بِمَعْضَمِ بَأَنَّ هَذَا إِذَا كَانَ (الْأَمْرُ) بِمَعْنَى الشَّانِ، وَلَكَ أَنْ تَجْمَعَهُ بِمَعْنَى التَّكْلِيفِ وَالْإِجْبَابِ، أَيْ لَيْسَ مَا تَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ بِيَدِكَ وَلَا التَّوْبَةُ وَلَا التَّعْذِيبُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ عَطْفُ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ.

وَفِيهِ أَنَّ الْحَمْلَ عَلَى التَّكْلِيفِ تَكْلَفٌ، وَالْحَمْلُ عَلَى الشَّانِ أَرْغَفُ شَأْنًا. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (أَوْ يَتُوبُ) لَمْ يَخُفْ عَطْفَ عَلَى (يَتَقَبَّلُوا) أَيْ يَكُونُ ثَمَرَةُ خِزْمِهِمْ انْقِلَابُهُمْ خَاسِبِينَ، أَوْ

التَّوْبُ عَلَيْهِمْ أَوْ تَعْذِيبُهُمْ. [ثُمَّ أَدَامَ نَحْوَ آيَةِ حَيَّانَ]

(٤: ٥٠)

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَهَذَا الْمَعْنَى مِتَّ أَكْدَ بَهْرَانِ الْمَقْلُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّدْمَ عِبَارَةٌ عَنْ حَصُولِ إِزَادَةٍ فِي الْمَضِيِّ مُتَعَلِّقَةٌ بِتَرْكِ فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَحَصُولِ الْإِزَادَاتِ وَالْكِرَاهَاتِ فِي الْقَلْبِ لَا يَكُونُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ، لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مُسَبَّوقٌ بِالْإِزَادَةِ، فَلَوْ كَانَتْ الْإِزَادَاتُ فِعْلًا لِلْعَبْدِ لَافْتَقَرَ الْعَبْدُ فِي فِعْلِ تِلْكَ الْإِزَادَةِ إِلَى إِزَادَةِ أُخْرَى، وَيَلْزَمُ التَّسْلُسُ وَهُوَ مُحَالٌ. فَعَلِمْنَا أَنَّ حَصُولَ الْإِزَادَاتِ وَالْكِرَاهَاتِ فِي الْقَلْبِ لَيْسَ إِلَّا بِتَخْلِيقِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْوِينِهِ ابْتِدَاءً.

وَلَمَّا كَانَتْ التَّوْبَةُ عِبَارَةً عَنِ التَّدْمِ وَالْعَزْمِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ الْإِزَادَاتِ وَالْكِرَاهَاتِ، عَلِمْنَا أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَحْصُلُ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، فَصَارَ هَذَا الْبَهْرَانُ مُطَابِقًا لِمَا دُلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَإِنَّهُمْ فَسَّرُوا قَوْلَهُ: ﴿أَوْ يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إِمَّا بِفِعْلِ الْأَطْلَافِ، أَوْ بِقَبُولِ التَّوْبَةِ. (٨: ٢٣٤) نَحْوَهُ النَّيْسَابُورِيُّ. (٤: ٦٢)

أَبُو حَيَّانَ: [نَحْوُ الزُّعَنْسَرِيِّ وَأَضَافَ:] وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَكُونُ الْجُمْلَةُ الْمُنْفِذَةُ لِلتَّاسِيسِ لِلتَّائِيدِ.

وَقِيلَ: (أَوْ يَتُوبُ) مَطْوُوفٌ عَلَى (الْأَمْرِ)، وَقِيلَ: عَلَى (شَيْءٍ) أَيْ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ أَوْ مِنْ تَوْبَتِهِمْ أَوْ تَعْذِيبِهِمْ شَيْءٌ، أَوْ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ تَوْبَتِهِمْ أَوْ تَعْذِيبُهُمْ.

وَالظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ التَّخَارِيجِ الْأَرْبَعَةِ هُوَ الْأَوَّلُ، وَأُبَيَدَ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أَيْ أَمْرُ

يستحيل إسناده إلى الله تعالى، ارتكبوا تأويل ذلك في هذا المقام بأحد أمور: فقيل: إِنَّ التَّوْبَةَ هنا بمعنى المغفرة مجازاً لتسببها عنها، أو بمعنى الإرشاد إلى ما يمنع عن المعاصي على سبيل الاستعارة التبعية، لأنَّ التَّوْبَةَ تمنع عنها كما أنَّ إرشاده تعالى كذلك، أو مجاز عن حثه تعالى عليها، لأنَّه سبب لها عكس الأول، أو بمعنى الإرشاد إلى ما يكفرها على التشبيه أيضاً، وإلى جميع ذلك أشار ناصر الدِّين البَيْضاوِي.

وقرر العلامة الطَّيْبِيُّ أنَّ هذا من وضع المسبَّب موضع السَّبَب، وذلك لطف (وَيَتُوبُ) على (وَيَهْدِيكُمْ) الخ على سبيل البيان، كأنَّه قيل: لِيُبينَ لكم وهدىكم ويرشدكم إلى الطَّاعات، فوضع موضعه (وَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ)، وما يرد على بعض الوجوه من لزوم تخلف المراد عن الإرادة، وهي علَّة تامَّة يدفعه كون الخطاب ليس عاماً لجميع المكلفين بل لطائفة معيَّنة حصلت لهم هذه التَّوبة. (والله يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) جعله بعضهم تكراراً لما تقدَّم للتأكيد والمبالغة، وهو ظاهر إذا كان المراد من التَّوبة هناك وهنا شيئاً واحداً، وأما إذا فُسر (يَتُوبُ) أولاً بقبول التَّوبة والإرشاد مثلاً، وثانياً بأن يفعلوا ما يستوجبون به القبول، فلا يكون تكراراً.

وأيضاً إمَّا يتمسَّى ذلك على كون (لِيُبينَ لَكُمْ) مفعولاً وإلا فالتكرار أيضاً، لأنَّ تعلُّق الإرادة بالتَّوبة في الأول على جهة العلَّية، وفي الثاني على جهة المفعوليَّة، وبذلك يحصل الاختلاف لامحالة. (٥: ١٤)

رشيد رضا: قيل: إنَّه تكرير لأجل التأكيد، وقيل: إنَّ التَّوبة فيه غير التَّوبة في الآية السَّابقة، بأنَّ

الطَّسْبَاطِيَّ: وقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ مطوف على قوله: (يُطْعَمُ) والكلام متصل، وقوله: ﴿وَلَهُ ثَلاثُ الشُّهُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بيان لرجوع أمر التَّوبة والمغفرة إلى الله تعالى.

والمنى: أنَّ هذا التدبير المتَّعَن منه تعالى إمَّا هو ليقطع طرقاً من المشركين بالقتل والأسر، أو ليخزيهم ويغيثهم في سعيهم، أو ليتوب عليهم أو ليعذبهم.

أما القطع والكتب فلأنَّ الأمر إليه لإلبيك حتَّى تمدح أو تذمَّ، وأما التَّوبة والعذاب فلأنَّ الله هو المالك لكلِّ شيء فيخفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ومع ذلك فإنَّ مغفرته ورحمته تسبقان عذابه وغضبه، فهو الصَّغُور الرَّحِيم. (٤: ٩)

٢- يُرِيدُ اللهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّهُوتِ أَنْ يَقْلُوا مِتْلاً عَظِيماً. النساء: ٢٦، ٢٧

الطَّيْبَرِسيّ: إذا قيل: لم تُكرِّر قوله تعالى: ﴿يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾؟

فجوابه: أنَّه للتأكيد، وأيضاً فإنَّ في الأول بيان أنَّه يريد الهداية والإنابة، وفي الثاني بيان أنَّ إرادته خلاف إرادة أصحاب الأهواء، وأيضاً أنَّه أتى في الثاني بـ (أَنْ) ليزول الإبهام أنَّه يريد ليتوب ولا يريد أن يتوب.

(٢: ٣٦)

الكاشانيّ: كرَّره للتأكيد والمبالغة. (١: ٩-٤)

الآلوسيّ: عطف على ما قبله، وحيث كانت التَّوبة ترك الذَّنْب مع التَّدَمُّ والعزم على عدم العود، وهو ممَّا

لتعلموا بها تائبين مما سلف منكم في زمن الجاهلية وأول الإسلام من نكاح حلال الآباء، والجمع بين الأختين، وما إلى ذلك من المحرمات. ومهما يكن فإن التائب وغير التائب لا يمكنه أن يطيع الله، ويمتثل أحكامه إلا بعد بياها والعلم بها، فبيان أحكامه لعباده فضل منه ونعمة عليهم. [إلى أن قال:]

وتسأل: لقد كرّر الله سبحانه التوبة في آيتين لافاصل بينهما، حيث قال: ﴿وَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ غَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ واللَّهُ يُبْرِدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، فما هو القصد من ذلك؟

الجواب: جاءت التوبة الأولى تعليلاً لبيان الحلال والحرام من النساء، بصرف النظر عن أمر الله بالتوبة وإرادته لها. أمّا التوبة الثانية فهي تعبير عن أمره تعالى وإرادته التوبة بترك المحرمات، وتقابلها إرادة متّجبي الشهوات، وظاهر ذلك أن نقول لولدك: اشترت لك هذا الكتاب لتقرأه، فاقراه، فذكرت القراءة أولاً لبيان السبب الموجب للقراءة، وأعدتها ثانية، لأنك تريداه منه، وتأمره بها. (٢: ٣٠١)

فضل الله: هل التوبة التي هي إرادة الله لنا، هي المغفرة عما سلف من ذنوبنا، لتكون الكلمة توجيهاً للإنسان في أن يمتش عن طريق التوبة، فيحاسب نفسه على الأخطاء التي قدر تكبها، ليقف بين يدي الله حاملاً مشاعر التدم، وطلب منه التوبة على ذلك كله، أم هي أسلوب قرآني في التعبير عن المعنى الذي توحى به التوبة، وهو السير على الخط المستقيم الذي يؤدي إلى رضا الله بكلمة التوبة، فكأنه يقول: إن الله يريد أن

يراد بالأولى القبول وبالثانية العمل الذي يكون سبب القبول. وهو تكلف غير مقبول.

والصواب أن التوبة الأولى ذكرت في تحليل أحكام محرمات النكاح، فكان معناها أن العمل بتلك الأحكام يكون توبة ورجوعاً عما كان قبلها من أنكحتهم الباطلة الضارة، وأن الله شرعها لأجل ذلك.

ثم أسند إرادة التوبة إلى الله تعالى في جملة مستأنفة، ليبين لنا أن ذلك ما يريد الله تعالى أن نكون عليه دائماً في مستقبل أيامنا بعد الإسلام، ويقابله بما يريد منا متّجبو الشهوات، كأنه يقول: ماجعل إرادة التوبة علّة لتلك الأحكام إلا وهو يريد ذلك دائماً منكم، لتزكوا نفوسكم وتطهر قلوبكم وتصلح أحوالكم. (٥: ٣٦)

العلّياطباتي: التوبة المذكورة هو رجوعه إلى عبده بالنعمة والرحمة، وتشريع الشريعة، وبيان الحقيقة، والهداية إلى طريق الاستقامة، كلّ ذلك توبة منه سبحانه، كما أن قبول توبة العبد ورفع آثار المعصية توبة. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُبْرِدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُبْرِدُ الَّذِينَ﴾، إلخ، كأن تكرر ذكر توبته للمؤمنين للدلالة على أن قوله: ﴿وَيُبْرِدُ الَّذِينَ يَتُوبُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَقْبَلُوا تَبِيلًا عَظِيمًا﴾ إنما يقابل من الفقرات الثلاث في الآية السابقة الفقرة الأخيرة فقط؛ إذ لو ضمّ قوله: ﴿وَيُبْرِدُ الَّذِينَ﴾ إلخ إلى الآية السابقة من غير تكرار قوله: ﴿وَاللَّهُ يُبْرِدُ﴾ إلخ أفاد المقابلة في معنى جميع الفقرات ولّني المعنى قطعاً. (٤: ٢٨١)

محمد جواد مغنّيه: قيل: إن الله سبحانه أراد بقوله: ﴿وَيَتُوبُ عَلَيْكُمْ﴾، أنه تعالى شرّع تلك الأحكام

أَيْضًا، مَوْجَّهًا لِرُؤُوجَاتِ النَّبِيِّ سَامَّةً، وَلَا تَسْتَتِنُ مِنْهُنَّ خَاصَّةً، كَمَا احْتَوَتْهَا تَطْمِينًا وَتَأْيِيدًا لِلنَّبِيِّ، كَمَا يَلِي:

- ١- فَعَلَى الزَّوْجَيْنِ أَنْ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ كَانَ مِنْهَا مِنَ الزَّرِيعِ وَالْكِيدِ مَا يَوْجِبُ عَلَيْهَا ذَلِكَ.
- ٢- وَإِذَا كَانَتْ قَدْ تَظَاهَرَتْهَا وَتَعَاوَنَتْ عَلَى الْكِيدِ لِلنَّبِيِّ فَلْتَعْلَمَا أَنَّ اللَّهَ نَصِيرُهُ وَظَهِيرُهُ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ الْفَاضِلِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا نَصَرَاؤُهُ وَظَهَرَاؤُهُ.

٣- وَأَنَّ رَبَّهُ لَيْسْتَطِيعُ إِذَا تَرَاءَى لَهُ أَنْ يُطْلَقَ نِسَاءَهُ بِسَبَبِ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَكَائِدَاتِ، أَنْ يَبْذُلَهُ بَيْنَ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْهُنَّ نِسَاءً وَأَبْكَارًا، مُتَّصِفَاتٌ بِأَحْسَنِ الصِّفَاتِ وَأَطْهَرَهَا، مِنْ إِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ وَخَشَوْعٍ وَخُضُوعٍ وَعِبَادَةٍ وَصُومٍ أَوْ هَجْرَةٍ. (١٠: ١٤٣)

الْمَرَاهِي: أَيِ إِنْ تَتَوْبَا مِنْ ذَنْبِكَا وَتَقْلَعَا عَنْ مَخَالَفَةِ رَسُولِهِ ﷺ فَتُتَبَّأُ مَا أَحَبَّ وَتَكْرَهُ مَا كَرِهَهُ. (٢٨: ١٥٨)

عَبْدُ الْكَرِيمِ لِلنَّبِيِّ، هُوَ دَعَا إِلَى اللَّتَيْنِ دَبَّرَتَا هَذَا الْكِيدَ لِلنَّبِيِّ، سَوَاءً أَكَانَتَا حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، أَمْ غَيْرَهُمَا مِنْ أَزْوَاجِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - هُوَ دَعَا إِلَيْهَا مِنْ اللَّهِ سَبْعَانَهُ وَتَعَالَى، أَنْ يَتَوْبَا إِلَيْهِ جَلَّ شَأْنُهُ، مِمَّا كَانَ مِنْهَا فِي حَقِّ النَّبِيِّ، وَفِيهَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَدْنَى مِنْ ضَلْعِهَا، وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَقْصِدْ لِلنَّبِيِّ بِأَدْنَى، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَنْ تَنَافُسٍ فِي حُبِّهِ، وَحَرَصَ عَلَى أَنْ تَنَالَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أَكْبَرَ قَدَرٍ مِنَ الْقَرَبِ مِنْهُ، وَالْإِسْتِظْلَالَ بِظِلِّ جَلَالِ النُّبُوَّةِ وَعَظَمَتِهَا. (١٤: ١٠٢٧)

فَضَّلَ اللَّهُ: «إِنْ تَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ» مِمَّا قَامَتْ بِهِ مِنْ تَصَرُّفٍ، لَا يَنْسَجِمُ مَعَ الدَّائِرَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ

مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَابَ مِنْهُ، وَهَذَا الْجَوَابُ الَّذِي لِلشَّرْطِ هُوَ مُتَقَدِّمٌ فِي الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا تَرْتَّبَ جَوَابًا فِي اللَّفْظِ.

(٥: ٣٣١)

الطَّبَّيرِيُّ: مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالْإِيْدَاءِ وَالتَّظَاهَرِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَقَّ عَلَيْكَا التُّوبَةُ، وَوَجِبَ عَلَيْكَا الرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ. (٥: ٣١٦)

نَحْوَهُ الطَّبَّاطِبِيُّ. (١٩: ٣٣١)

الْعُكْبَرِيُّ: جَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْكَا، أَوْ يُبَى اللَّهُ عَلَيْكَا، وَدَلَّ عَلَى الْمَحْذُوفِ «فَقَدْ صَفَّتْ» لِأَنَّ إِصْفَاءَ الْقَلْبِ إِلَى ذَلِكَ ذَنْبٌ. (٢: ١٢٢٩)

الْقُرْطُبِيُّ: يَعْنِي حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ حَتَّمَا عَلَى التُّوبَةِ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى خِلَافِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (١٨: ١٨٨)

النَّبِيسَابُورِيُّ: أَيِ فَقَدْ وَجَدَ مِنْكَا مَا يَوْجِبُ التُّوبَةَ، وَهُوَ مِيلَ قُلُوبِكَا عَنْ إِخْلَاصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ حُبِّ مَا يَمِيتُهُ، وَيُفْضِ مَا يَكْرَهُهُ. (٢٨: ٨١)

نَحْوَهُ الشَّرْبِينِيُّ (٤: ٣٢٦)، وَالطَّنْطَاوِيُّ (٢٤: ١٩٨).

الْأَلُوسِيُّ: خُطَابٌ لِحَفْصَةَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا عَلَى الْإِثْلَافَاتِ مِنَ النِّفْيَةِ إِلَى الْخُطَابِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْمَعَاتِبَةِ، فَإِنَّ الْمُبَالَغَ فِي الْعِتَابِ يَصِيرُ الْمَعَاتِبَ أَوَّلًا بَعِيدًا عَنْ سَاحَةِ الْحُضُورِ، ثُمَّ إِذَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَعَاتَبَهُ بِمَا يَرِيدُ. (٢٨: ١٥٢)

نَحْوَهُ الْقَاسِمِيُّ. (١٦: ٥٨٦٣)

هَيْزَةٌ دَرَوْدَةٌ: أَمَّا الْآيَتَانِ الزَّائِمَةُ وَالْخَامِسَةُ [مِنْ سُورَةِ التَّحْرِيمِ] فَقَدْ احْتَوَتْمَا إِذْكَارًا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى التَّنْذِيرِ

النَّبِيِّ ﷺ، في نطاق المسؤولية الزوجية الخاصة،
وتراجعا عن ذلك. (٣١٣: ٢٢)

تُب

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً
لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ. البقرة: ١٢٨

الطَّبْرِيُّ: إن قال لنا قائل: وهل كان لها ذنوب
فاتحاجا إلى مسألة رَبِّهَا التَّوْبَةُ؟

قيل: إنه ليس أحد من خلق الله إلا وله من العمل
فيما بينه وبين ربه ما يجب عليه الإنابة منه والتوبة، فجاز
أن يكون ماكان من يَتلها ماقالا من ذلك، وإِنما خَصَّ به
الحال الَّتِي كانا عليها من رفع قواعد البيت، لأنَّ ذلك
كان أحرى الأماكُن أن يستجيب الله فيها دعاءهما،
وليجعلا مافعلا من ذلك شَكَّةً يَتَقَدَّى بها بعدهما، وتَتَّخِذُ
النَّاسُ تلك البَقعة بعدهما موضع تتصلَّ من الذُّنُوبِ إلى
الله.

وجاز أن يكونا عنيا بقولها: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾: وتُبْ
على الظُّلْمَةِ من أولادنا وذُرِّيَّتِنَا، الَّذِينَ أَعْلَمْتَا أمرهم
من ظلمهم وشركهم، حتَّى يُبَيِّنُوا إلى طاعتك. فيكون
ظاهر الكلام على الدَّعاء لأنفسهما، والمعنيَّ به ذُرِّيَّتِهَا،
كما يقال: أكرمني فلان في ولدي وأهلي، وبريَّ فلان، إذا
برَّ ولده. (٥٥٦: ١)

الطُّوسِي: أي ارجع علينا بالترحم والمغفرة.
وليس فيه دلالة على جواز الصَّغِيرَةِ، أو فعل القسيع
عليهم، ومن ادَّعى ذلك، فقد أبطل.

وقال قوم: معناه تب على ظُلْمَةِ ذُرِّيَّتِنَا. وقيل: بل
قالا ذلك: انقطاعاً إليه تعالى تَعَبُّداً لِيَتَقَدَّى بها فيه، وهو
الَّذِي نتحمده. (٤٦٥: ١)

القُشَيْرِيُّ: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ بعد قيامنا بجميع
مأمرتنا حتَّى لا نلاحظ حركاتنا وسكناتنا، ونرجع إليك
عن شهود أفعالنا لئلا يكون خطر الشُّرك الخفيِّ في توهم
شيء منَّا بنا. (١٣٧: ١)
الرَّمْضَقُشَرِيُّ: ما فرط منَّا من الصَّغائر أو استتابا
لذُرِّيَّتِهَا. (٣١٢: ١)

ابن عَطِيَّة: والتَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ، وعرفه [بعض
العلماء] شرعاً من الشَّرِّ إلى الخير، وتوبة الله على العبد:
رجوعه به وهدايته له.

واختلف في معنى طلبهم التَّوْبَةَ وهم أنبياء
معصومون، فقالت طائفة: طَلَبُوا التَّيْبَتِ والدَّوامَ.
وقيل: أرادوا من بعدهما الدَّورِيَّةَ، كما تقول: برَّني
فلان وأكرمني، وأنت تريد في ولدك وذُرِّيَّتِكَ.

وقيل، وهو الأحسن عندي: إنَّهما لما عرفا المناسك
وبنينا البيت وأطاعا، أرادوا أن يُشَسَّأَ النَّاسُ أن ذلك
الموقف وتلك المواضع مكان التَّصَلُّ من الذُّنُوبِ وطلب
التَّوْبَةِ. [ثم حكى كلام الطَّبْرِيِّ وأضاف:]

وأجمعت الأُمَّة على عصمة الأنبياء في معنى التَّبْلِيغِ
ومن الكبائر ومن الصَّغائر الَّتِي فيها رذيلة، واختلف في
غير ذلك من الصَّغائر، والَّذِي أقول به: أنَّهم معصومون
من الجميع، وأنَّ قول النَّبِيِّ ﷺ «بَلَّيْ لَأَتُوبَ إِلَى اللَّهِ فِي
اليوم وأستغفر سبعين مرَّة» إِنَّمَا هو رجوعه من حالة إلى
أرفع منها، لتزيد علومه وإطلاعه على أمر الله، فهو

التادم العازم على التحرز الشديد، كان أقرب إلى ترك المعاصي، فيكون ذلك لطفًا داعيًا إلى ترك المعاصي.

وثانيها: أنَّ العبد وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه، إنا على سبيل السهو، أو على سبيل ترك الأولى، فكان هذا الدعاء لأجل ذلك.

وثالثها: أنَّه تعالى لما أعلم إبراهيم عليه السلام أنَّ في ذرئته من يكون ظالمًا عاصيًا، لاجرم سأل هاهنا أن يجعل بعض ذرئته أمة مسلمة، ثم طلب منه أن يوافق أولئك الصفاة المذنبين للتوجه، فقال: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ أي على المذنبين من ذرئتنا.

نحوه الثياهوري
احتج الأصحاب بقوله: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ على أنَّ فضل العبد خلق الله تعالى. [ثم ذكر مذهب المعتزلة وردّها إن شئت فراجع]

الثوريثي: سأله التوبة مع عصمتها، هضبا لأنفسها وإرشادا لذرئتها أو لما سلف منها سهوا قبل التوبة.

أبو السعود: استتابة لذرئتها، وحكايتها عنها لترغيب الكفرة في التوبة والإيمان، أو توبة لها عما فرط منها سهوا، ولهاها قالا، هضبا لأنفسها وإرشادا لذرئتها.

نحوه البروسوي.

الأوسي: أي وقفنا للتوبة أو أقبلها منا، والتوبة تختلف باختلاف التائبين، فتوبة سائر المسلمين: التدم والزم على عدم التود، ورد المظالم إذا أمكن، ونية الرد

يتوب من المنزلة الأولى إلى الأخرى، والتوبة هنا لنوعية.

نحوه الطرطبي.

الطبرسي: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ فيه وجوه: أحدها: أنها قالا هذه الكلمة على وجه التسيح والتعب والانتطاع إلى الله سبحانه، ليقتدي بها الناس فيها، وهذا هو الصحيح.

وثانيها: أنها سألا التوبة على ظلمة ذرئتها. وثالثها: أنَّ معناه: ارجع إلينا بالمغفرة والرحمة، وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم أو ارتكاب القبيح منهم، لأن الدلائل الفاهرة قد دلت على أنَّ الأنبياء مصومون منزّهون عن الكبائر والصغائر، وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك.

الفغرازاوي: ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾ فيه مسائل: احتج من جوز الذنب على الأنبياء هذه الآية، قال: لأن التوبة مشروطة بتقدم الذنب، فلولا تقدم الذنب وإلا لكان طلب التوبة طلبا للمحال.

وأما المعتزلة فقالوا: إنا نجوز الصغيرة على الأنبياء، فكانت هذه التوبة توبة من الصغيرة.

ولقاتل أن يقول: إن الصغائر قد صارت مكفرة بثواب فاعلها، وإذا صارت مكفرة فالتوبة عنها محال، لأن تأثير التوبة في إزالتها وإزالة الزائل محال.

وهاهنا أجوبة أخر تصلح لمن جوز الصغائر ولمن لم يجوزها، وهي من وجوه:

أولها: يجوز أن يأتي بصورة التوبة تشددا في الانصراف عن المعصية، لأن من تصور نفسه بصورة

(١: ٢٨٤)

المعاصي الصادرة عنا .

تُوبُوا

١- وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَاوِمُوا إِنَّا نَكُنْمْ ظَلَمْتُمْ
 أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْوَعْلَ فَتُوبُوا إِنِّي بَارِكُكُمْ فَأَقْتُلُوا
 أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ
 الثَّوَابُ الرَّجِيمُ . البقرة : ٥٤

ابن هُيَيْنَةُ : التوبة : نعمة من الله أنعم الله بها على
 هذه الأمة دون غيرها من الأمم ، وكانت توبة بني
 إسرائيل القتل . (القرطبي ١ : ٤٠١)
 الماوردى : فارجعوا إلى طاعة خالقكم . (١ : ١٢٢)
 القشيري : الإشارة إلى حقيقة التوبة بالخروج إلى
 الله بالكفّة .

قوله جلّ ذكره : «فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» التوبة بقتل
 النفوس غير... (١) إلا أن بني إسرائيل كان لهم قتل
 أنفسهم جهراً ، وهذه الأمة توبتهم بقتل أنفسهم في
 أنفسهم سرّاً ، فأول قدم في القصد إلى الله الخروج عن
 النفس .

ولقد توبهم الناس أن توبة بني إسرائيل كانت أشقّ ،
 ولا كما توبهم ، فإنّ ذلك كان مقاساة القتل مرّة واحدة ،
 وأما أهل الخصوص من هذه الأمة في كلّ لحظة قتل ،
 ولهذا :

ليس من مات فاستراح بيّت

إنما الميت ميت الأحياء

إذا لم يكن . وتوبة الخواص : الرجوع عن المكروهات من
 خواطر السوء ، والقنور في الأعمال ، والإتيان بالعبادة
 على غير وجه الكمال ، وتوبة خواص الخواص : لرفع
 الدرجات ، والترقي في المقامات .

فإن كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام طلبا التوبة
 لأنفسهما خاصة ، فالمراد بها ما هو من توبة القسم
 الأخير . وإن كان الضمير شاملاً لها وللذرية ، كان
 الدعاء بها منصرفاً لمن هو من أهلها ، بمن يصحّ صدور
 الذنب الغلّ بمرتبة التوبة منه .

وإن قيل : إنّ الطلب للذرية فقط وارتكب التجوّر
 في النسبة إجماعاً للولد مجرى النفس بعلاقة البهنية ،
 ليكون أقرب إلى الإجابة ، أو في الطرف حيث عبّر عن
 الفرع باسم الأصل ، أو قيل : بجذب المضاف - أي على
 عصا - زال الإشكال كما إذا قلنا : إنّ ذلك عمّا فرط
 منها من الصفات سهواً .

والقول بأنّها لم يقصد الطلب حقيقة ، وإنّما ذكرنا
 ذلك للتشريع وتعليم الناس إنّ تلك المواضع مواضع
 التعلّل ، وطلب التوبة من التوب بعيد جدّاً ، وجعل
 الطلب للتبتيث ، لأراه هنا يجدي تفهناً ، كما لا يخفى .

وقرأ عبده (وَتُوبَ عَلَيْهِمْ) بضمير جمع الفية أيضاً .

(١ : ٣٨٦)

الطَّبَّاطِبَاتِي : فقد تبيّن أن المراد بالإسلام
 والبصيرة في العبادة ، غير المعنى الشائع المتعارف ،
 وكذلك المراد بقوله تعالى : «وَتُوبَ عَلَيْنَا» لأنّ إبراهيم
 وإسماعيل كانا نبيّين معصومين بعصمة الله تعالى ،
 لا يصدر عنها ذنب حتّى يصحّ توبتها منه ، كتوبتنا من

النفس، كما أن قوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فينسل وجهه ثم يديه». يقتضي أن وضع الطهور مواضعه مفسر بنسل الوجه واليدين. ولكن ذلك باطل، لأن التوبة عبارة عن الندم على الفعل القبيح الذي مضى، والعزم على أن لا يأتي بمثله بعد ذلك، وذلك مفارقتل النفس وغير مستلزم له، فكيف يجوز تفسيره به؟

والجواب: ليس المراد تفسير التوبة بقتل النفس بل بيان أن توبتهم لا تتم ولا تحصل إلا بقتل النفس. وإنما كان كذلك لأن الله تعالى أوحى إلى موسى ﷺ أن شرط توبتهم قتل النفس، كما أن القاتل عمدا لا تتم توبته إلا بتسليم النفس حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلوه، فلا يمنع أن يكون من شرع موسى ﷺ أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل.

إذا ثبت هذا فنقول: شرط الشيء قد يطلق عليه اسم ذلك الشيء مجازاً، كما يقال للخاصب إذا قصد التوبة: أن توبتك رد ما غصبت، يعني أن توبتك لا تتم إلا به، فكذا هاهنا.

السؤال الثاني: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ والتوبة لاتكون إلا للبارئ؟

والجواب: المراد منه النبي عن الزبائير في التوبة، كأنه قال لهم: لو أظهرتم لآعن القلب فأنتم ماتبتن إلى الله الذي هو مطلق على ضميركم، وإنما تبتن إلى الناس؛ وذلك مما لا فائدة فيه، فإنكم إذا أدبتم إلى الله وجب أن تنوبوا إلى الله.

السؤال الثالث: كيف اختص هذا الموضع بذكر

وقتل النفس في الحقيقة: التبري عن حولها وقوتها أو شهود شيء منها، ورد دعواها إليها، وتشويش تدبيرها عليها، وتسليم الأمور إلى الحق سبحانه بجملتها، وانسلاخها من اختيارها وإرادتها، وإعلاء آثار البشرية عنها، فأما بقاء الرسوم والهياكل فلا خطر له ولا عبرة به.

الزَمْعُشَرِيُّ: إن قلت: ما الفرق بين الفآآت؟ قلت: الأولى للتسبب لاغير، لأن الظلم سبب التوبة، والثانية للتعقيب، لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم. من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم.

ويجوز أن يكون القتل قام توبتهم، فيكون المعنى: ﴿فَتُوبُوا﴾ فأتبعوا التوبة القتل تنعته لتوبتكم. والثالثة متعلقة بمحذوف. ولا يخلو إما أن ينظم في قول موسى لهم فتعلمت محذوف كأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم، وإما أن يكون خطاباً من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات، فيكون التدبير: فعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارتكم.

نحوه أبوحيان. (٢٠٦: ١)
الطَّبْرَسِيُّ: أي ارجعوا إلى خالكتكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد، وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعاً. وهنا إظهار اختصار كأنه لما قال لهم: فتوبوا إلى بارتكم قالوا: كيف؟ قال: ﴿فَاقتلوا أنفسكم﴾. (١١٣: ١)

الفَغْرَارِزِيُّ: فيه سؤالات:
السؤال الأول: يقتضي كون التوبة مفسرة بقتل

الباري؟ [تَقَدَّمَ فِي (بَرَأَ) فَرَاغَ]

السؤال الرابع: ما الفرق بين [الفاءات في الآية؟ تَقَدَّمَ فِي قول الزَّخَرِيّ فَرَاغَ] (٣: ٨٠)

الشَّرْبِينِيّ: أي ارجعوا عن عبادة المجل. (١: ٦٠)
أبو الشُّعُود: أي فاعزموا على التوبة. (١: ١٣٥)
نحوه البُرُوسِيّ (١: ١٣٧)، والمراعِيّ (١: ١٢٠).

رشيد رضا: إنَّها [التوبة] محور أثر الرغبة في الذنب من لوح القلب، والباعث عليها هو شعور التائب بظلمة من عصاه وماله من السلطان عليه في الحال، وكون مصيره إليه في المال، لاجرم أنَّ الشعور بهذا السلطان الإلهي بعد مقارفة الذنب يبعث في قلب المؤمن الهيبة والخشية، ويحدث في روحه انفعالاً مما فصل، وتدماً على صدره عنه، ويزيد هذا الحال في النفس تذكّر الوعيد على ذلك الذنب، ومارئته الله عليه من العقوبة في الدنيا والآخرة. هذا أثر التوبة في النفس، وهذا الأثر يزجج التائب إلى القيام بأعمال تضاد ذلك الذنب الذي تاب منه، وتعمحو أنسره السيء. «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الشَّيْئَاتِ» هود: ١١٤.

فن علامة التوبة التصوح: الإتيان بأعمال تنشق على النفس، وما كانت لتأنيها لولا ذلك الشعور الذي يُحدثه الذنب. وهذه العلامة لا تتخلف عن التوبة سواء كان الذنب مع الله تعالى أو مع الناس.

الأثرى أنَّ أهون ما يكون من إنسان يذنب مع آخر يباهي به أي يجبي معترفاً بالذنب معتذراً عنه! وهذا ذلّ يشقّ على النفس لاهماله، وقد أمر بنو إسرائيل بأشقّ الأعمال في تحقيق التوبة من أكبر الذنوب، وهو الرّغبة

عن عبادة من خلقهم وبسأهم إلى عبادة ما عملوا بأيديهم، وقد قال: «فَتَوُوبُوا إِلَىٰ بَرِّئِكُمْ» لينبجهم إلى أنَّ الإله الحقيقي هو الخالق البارئ ليستصن الأمر الاحتجاج عليهم والبرهان على جهلهم.

ذلك العمل الذي أمرهم به موسى هو قتل أنفسهم، والقصة في التوراة التي بين أيديهم إلى اليوم: دعا موسى إليه من يرجع إلى الربّ، فأجابته بنو لاوي فأمرهم بأن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا، وقتل في ذلك اليوم «نحو ثلاثة آلاف».

٢- وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى... هود: ٣
الفوّاء: (تم) هنا بمعنى «الواو» أي وتوبوا إليه لأنّ الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار.

(البَقَوِيّ ٢: ٤٣٨)
نحوه المُنْبِدِيّ. (٤: ٣٥١)

الطَّبْرِيّ: ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له، دون ماسواه من سائر ماتبدون من دونه بعد خلعكم الأنداد، وبراءتكم من عبادتها، ولذلك قيل: «ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ» ولم يقل: وتوبوا إليه، لأنّ التوبة معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله. والاستغفار: استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين، والعمل لله لا يكون عملاً له إلاّ بعد ترك الشرك به، فأما الشرك فإنّ عمله لا يكون إلاّ للشيطان، فذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك، لأنّ أهل الشرك كانوا يرون أنّهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم، وهم على شركهم

مقيمون.

(١١١: ١٨١)

نحوه الرَّحْمَنِيّ.

(٢: ٢٥٨)

(٤: ٩١)

الآلوسي: عطف على (استغفروا). واختلف في توجيه توسيط (ثم) بينهما، مع أَنَّ الاستغفار بمعنى التوبة في العرف، فقال الجبائي: إنَّ المراد بالاستغفار هنا: التوبة عما وقع من الذنوب، وبالتوبة: الاستغفار عما يقع منها بعد وقوعه، أي استغفروا ريمكم من ذنوبكم التي فعلتموها ثم توبوا إليه من ذنوب تعملونها. فكلمة (ثم) على ظاهرها من التراخي في الزمان.

وقال الفراء: إنَّ (ثم) بمعنى «والاو». [ثم استشهد

بشر]

وقيل: لأسلم أَنَّ الاستغفار هو التوبة بل هو ترك المعصية، والتوبة هي الرجوع إلى الطاعة، ولئن سلم أنَّها بمعنى: فلاثم للتراخي في التوبة، والمراد بالتوبة: الإخلاص فيها والاستمرار عليها، وإلى هذا ذهب صاحب «الفرائد».

وقال بعض المحققين: الاستغفار هو التوبة إلا أنَّ المراد بالتوبة في جانب المظوف التوصل إلى المطلوب مجازاً من إطلاق السبب على المسبب، و(ثم) على ظاهرها وهي قرينة على ذلك. وأنت تعلم أَنَّ أصل معنى الاستغفار: طلب الغفر، أي الستر، ومعنى التوبة: الرجوع، ويُطلق الأول على طلب ستر الذنب من الله تعالى والغفر عنه، والثاني على التدم عليه مع العزم على عدم العود، فلا تعاد بينهما بل ولاتلازم حقلاً لكن اشترط شرعاً لصحة ذلك الطلب وقبوله التدم على الذنب، مع العزم على عدم العود إليه.

(٣: ١٤٢)

نحوه الطُّوسِيّ: «إِنَّمَا ذُكِرَتِ التَّوْبَةُ بَعْدَ الْإِسْتِغْفَارِ. لِأَنَّ الْمَعْنَى أَطْلَبُوا الْمَغْفِرَةَ بِأَنْ تَجْعَلُوهَا غَرْضَكُمْ ثُمَّ تَوَسَّلُوا إِلَى مَطْلُوبِكُمْ بِالتَّوْبَةِ.

نحوه الطُّبْرُسِيّ. ابن عطية: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» أي اطلبوا مغفرتهم لكم، وذلك بطلب دخولكم في الإسلام، ثم توبوا من الكفر، أي انسلخوا منه واندموا على سالفه. و(ثم) مرتبة لأنَّ للكافر أول ما يئيب فإنَّه في طلب مغفرة ربه، فإذا تاب وتجرَّد من الكفر ثم إيمانه.

الفخر الرازي: [لاحظ غ ف ر (استغفروا)]

والنيسابوري (١٢: ٧)، والشربيني (٢: ٤٤)، وأبوحيان (٥: ٢١٠)، وأبو السعود (٣: ٢٨٢)

البزوصوي: ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها، كما في «بحر العلوم» للسمرقندي. فلاثم أيضاً على بابها في الدلالة على التراخي الزماني. ويجوز أن يكون (ثم) لتفاوت ما بين الأمرين وبعد المغفرة بينهما من غير اعتبار تعقيب وتراج، فإنَّ بين التوبة وهي انقطاع العبد إليه بالكليّة وبين طلب المغفرة بوثاً بعيداً، كذا ذكره الرضي. قال الفراء: (ثم) هاهنا بمعنى الواو لأنَّ الاستغفار توبة انتهى.

يقول الفقير: فزقوا بينهما، كما قال الحداديّ عند قوله تعالى: «وَمَنْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ أَوْ يَغْلِبْهُ نَفْسُهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ» النساء: ١١٠، أي بالتوبة الصادقة، وشرطت التوبة، لأنَّ الاستغفار لا يكون توبة بالإجماع مالم يقل

كثيراً عنه، بارتكاب منكر من المنكرات، فالتوبة يكون الإنسان فيها في مواجهة موقف محدد، يراجع فيه الإنسان نفسه، فيرجع إلى ربه من قريب، قبل أن تشتط به الطريق، ويبعد عن ربه.

أما الاستغفار فهو دعاء متصل بين الإنسان وربّه، وهذا يعني أن الإنسان وإن اجتهد في الطاعة، وأخلص في العبادة، وبالغ في تحري الاستقامة، لا يسلم أبداً من أن تقع منه هنات وزلات. وإذن فهو على شعور بالتقص دائماً، وفي مداومة الاستغفار التجاء إلى الله أن يظهره، وأن يمحو ماعلق به من ذنوب. (١١: ٦)

٣- وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ السُّؤْمُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. التور: ٣١

الغيروز ابادي: التوبة من أفضل مقامات السالكين. لأنها أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقها العبد أبداً، ولا يزال فيها إلى المسات. وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به، ونزل به. فهي بداية العبد ونهايته. وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما حاجته إليها في البداية كذلك.

وقد قال تعالى: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا» التور: ٣١. وهذه الآية في سورة مدية، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان، وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم، وصبرهم، وهجرتهم، وجهادهم، ثم خلق الفلاح بالتوبة تعلّق^(١) المسبّب بسببه، وأتى بأداة (لعل) المشعر بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتّم كنتم على رجاء الفلاح.

وجاء أيضاً استعمال الأول في الثاني، والاحتياج إلى توجيه العطف على هذا ظاهر، وأما على ذاك فلأن الظاهر أن المراد من الاستغفار المأمور به: الاستغفار المسبوق بالتوبة بمعنى التدم، فكأنه قيل: استغفروا ربكم بعد التوبة ثم توبوا إليه.

ولاشبهة في ظهور احتياجه إلى التوجيه حيثن. والقلب يميل فيه إلى حمل الأمر الثاني على الإخلاص في التوبة والاستمرار عليها، والتراضي عليه يجوز أن يكون رتبياً وأن يكون زمانياً، كما لا يخفى. (١١: ٧-٢٠)

الطباطبائي: والظاهر أن المراد بالتوبة في الآية: الإيمان، كما في قوله تعالى: «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ» المؤمن: ٧، فيستقيم الجمع بين الاستغفار والتوبة مع عطف التوبة عليه بل (ثم)، والمعنى اتركوا عبادة الأصنام بعد هذا، واطلبوا من ربكم غفران ماقدّمتم من المعصية، ثم آمنوا بربكم.

وقيل: إن المعنى اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم، ثم توصّلوا إليه بالتوبة، وهو غير جيّد.

ومن التكلّف ما ذكره بعضهم أن المعنى: استغفروا من ذنوبكم الماضية ثم توبوا إليه كلّما أذنبتم في المستقبل، وكذا قول آخر: إن (ثم) في الآية بمعنى «الواو» لأن التوبة والاستغفار واحد. (١٠: ١٤١)

عبد الكريم الخطيب: وفي العطف بل (ثم) إشارة إلى أن الاستغفار مطلوب دائماً من كلّ مؤمن، إذ كان الإنسان في معرض الزلل والانحراف، وهو يعالج شؤون الحياة.

أما التوبة فهي رجوع إلى الله بعد أن يبعد الإنسان

فلا يزجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

وقد قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات: ١١، قسم العباد إلى تائب، وظالم - وما قسم ثالث ألبته - وأوقع الظلم على من لم يتب، ولأنظلم منه بمجهل برته، ويعقه، ويعيب نفسه، ويأفات أعماله، وفي الصحيح: «يَأْتِيهَا النَّاسُ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وكان أصحابه يُتَدَوَّنُونَ له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» مرة مَرَّةً، وما صلى صلاة قط بعد نزول سورة النصر إلا قال في صلاته: سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك، اللهم اغفر لي.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ يريد بالتوبة تمييز البتية من المرة، بأن يكون المقصود من التوبة تقوى الله، وهو خوفه، وخشيته، والقيام بأمره، واجتناب نهيه، فيعمل بطاعته على نور من الله، يرجو ثواب الله، ويترك معصية الله على نور من الله، يخاف عقاب الله، لا يريد بذلك عز الطاعة؛ فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ عَرًّا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فلا يكون مقصوده المرة، وإن علم أنها تحصل له بالطاعة والتوبة. فن تاب لأجل أمر فتوبته مدخولة.

وسرائر التوبة ثلاثة أنبياء هذا أحدها، والثاني نسيان الجناية، والثالث التوبة من الإسلام والإيمان^(١). قلنا: المراد منه التوبة من رؤية التوبة وأنها إنما حصلت له بتوفيق الله ومشيبته، ولو خَلَّى ونفسه لم يسمح بها ألبته. فإذا رآها من نفسه، وغفل عن مئة الله عليه، تاب من هذه الرؤية والفلة. ولكن هذه الرؤية ليست التوبة ولا جزأها، ولا شرطها، بل جناية أخرى حصلت له بعد

التوبة، فيتوب من هذه الجناية، كما تاب من الجناية الأولى، فما تاب إلا من ذنب أولًا وآخرًا. والمراد التوبة من نقصان التوبة وعدم توفيتها حقها.

ووجه ثالث لطيف، وهو أنه من حصل له مقام الأئس بالله تعالى، وصفاً وقته مع الله تعالى؛ بحيث يكون إقباله على الله، واشتغاله بذكر آلامه وأسبابه وصفاته، أفقع شيء له، متى نزل عن هذا الحال اشتغل بالتوبة من جناية ساقفة، قد تاب منها، وطالع الجناية، واشتغل بها عن الله تعالى، فهذا نقص يبني أن يتوب إلى الله منه. وهي توبة من هذه التوبة، لأنه نزول من الصفاء إلى الجفاء، فالتوبة من التوبة إنما تُعْقِلُ على أحد هذه الوجوه الثلاثة، والله أعلم.

واعلم أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة، فله في توبته، ظهر إلى أمور: أحدها: النظر إلى الوعد والوعيد، فيحدث له ذلك خوفاً وخشية تحمله على التوبة. الثاني: أن ينظر إلى أمره تعالى ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة، والإقرار على نفسه بالذنب.

الثالث: أن ينظر إلى تمكين الله تعالى إياه منها، وتخليته بينه وبينها، وتقديرها عليه، وأنه لو شاء لعصمه منها، فيحدث له ذلك أنواراً من المعرفة بالله، وأسبابه وصفاته، وحكمته ورحمته، ومغفرته وعفوه، وحلمه وكرمه، وتوجب له هذه المعرفة عبودية بهذه الأسماء، لا تحصل بدون لوازمها، ويعلم ارتباط الخلق،

(١) يريد الآ يرى له فضلاً بأعمال الإسلام والإيمان.

ومن طريق اللَّفْظ وسبيل اللَّطْف على ثلاثة وثلاثين درجة:

أما المعنى، فالأوّل: التّوبة من ذنب يكون بين العبد وبين الرّبّ، وهذا يكون بندامة الجنان، واستنفار اللّسان. والثاني: التّوبة من ذنب يكون بين العبد وبين طاعة الرّبّ، وهذا يكون بتجبر التقصان الواقع فيها.

الثالث: التّوبة من ذنب يكون بين العبد وبين الخلق، وهذه تكون بإرضاء الخصوم بأيّ وجه أمكن.

وأما درجات اللَّطْف، فالأوّل: أَنْ الله أمر الخلق بالتّوبة، وأشار بأنّها التي تليق بحال المؤمن ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

الثانية: لا تكون التّوبة مشرّة حتّى يتمّ أمرها ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ التحريم: ٨.

الثالثة: لا تظر أنّك فريد في طريق التّوبة، فإنّ أباك آدم كان مقدّم القاتنين ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ البقرة: ٣٧، والكليم موسى لم يكن له لما علا على الطّور تحفة غير التّوبة ﴿سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٤٣.

ثمّ إنّهُ بشر النّاس بالتّمتع من الأعمار، واستحقاق فضل الرّؤوف النّفّار ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ هود: ٣، وأشار صالح على قومه بالتّوبة، وبشرهم بالثّرة والإجابة ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ هود: ٦١، وسيّد المرسلين مع الأنصار والمهاجرين سلكوا طريق النّاس ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ التّوبة: ١١٧، والصّدق الأكبر اقتدى في التّوبة بسائر النّبيين ﴿تُبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ

والأمر والجزاء، بالوعد والوعيد بأسانته وصفاته، وأنّ ذلك موجب الأسماء والصفات، وأنّها في الوجود، وأنّ كلّ اسم مُفِيضٌ لآثره. وهذا المشهد يُظلمه على رياض مؤثقة المعارف والإيمان، وأسرار القدر والحكمة، يضيق عن التّعبير عنها طاق الكلم والنّظر.

الرّابع: نظره إلى الآمر له بالمصيبة، وهو شيطانه الموكّل به، فيغيده النّظر إليه اتّخاذاً عدوّاً، وكسّالاً الاحتراز منه، والتّحفظ والتّيقّظ لما يريد منه عدوّه، وهو لا يشعر؛ فإنّه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض: عقبة الكفر بالله ودينه ولقائه، ثمّ عقبة البِدْعَة، إمّا باعتقاده خلاف الحقّ، وإمّا بالتّعبّد بما لم يأذن به الله من الرّسوم الهدنة - قال بعض مشايخنا: تزوجت الحقيقة الكافرة، بالبِدْعَة النّاسجة، فولد بينها خسران الدّنيا والآخرة - ثمّ عقبة الكبائر يزنيها له وأنّ الإيمان فيه الكفاية. ثمّ عقبة الصّغائر بأنّها مغفورة ما حشّبت الكبائر ولا يزال ينجيها حتّى يصير عليها، ثمّ عقبة المباحات، فيشغله بها عن الاستكثار من الطّاعات. وأقلّ ما يناله منه تقويت الأرباح العظيمة، ثمّ عقبة الأعمال المرجوحة، المفضولة يُزنيها له، ويشغله بها عمّا هو أفضل وأعظم ربحاً. ولكن أين أصحاب هذه العقبة! فهم الأفراد في العالم، والأكثرون قد ظفر بهم في العقبة الأولى. فإن عجز عنه في هذه العقبات جاء في عقبة تسليط جُنْدِه عليه بأنواع الأذى، على حسب مرتبته في الخير، وهذه نيزة من لطائف أسرار التّوبة، رزقنا الله تعالى إياها بمنّه وفضله إنّهُ حقيق بذلك.

ويقال: إنّ التّوبة من طريق المعنى على ثلاثة أنواع،

الْمُسْلِمِينَ» الأحقاف: ١٥.

أصحاب النبي ما نالوا التوبة إلا بتوفيق الله «وَمَنْ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا» التوبة: ١١٨، عَمَرًا من انتشار العصاة أَمِرَنَ بالتوبة «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» التحريم: ٤، ومن توقف عن سلوك طريق الناس وَبِمِ جبين حاله ببسم الحائنين «وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» المجرات: ١١، الأزواج الأثمة بخاتم النبيين تَمِينَ بالتوبة «فَاتَّبَعْتُ فَأَتَيْتُ» التحريم: ٥، الرِّجَال لا يُعْتَدُّهُمْ على سِرير السُّرُور إلا التوبة «الْمُتَابِعُونَ الْعَابِدُونَ» التوبة: ١١٢، ولا يظنُّ التَّوَابِ اختصاص الثَّعْت به فَإِنَّا جَعَلْنَا هَذَا الْوَصْفَ مِنْ جَمَلَةِ صفات المَلِي: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا» النساء: ١٦، وإذا وَقَفْنَا الْعَبْدَ لِلتَّوْبَةِ تَارَةً قَرِيبًا بِالْحِكْمَةِ «وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَكِيمٌ» التور: ١٠، وإذا قَبِلْنَا مِنْهُ التَّوْبَةَ قَرِيبًا بِالزَّحْمَةِ «وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» البقرة: ١٦٠، والمؤمن إذا تَابَ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ بِالْقَبُولِ، وَتَكَفَّلْنَا لَهُ بِبَيْلِ الْمَأْمُولِ «وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» الأحزاب: ٧٣.

وإن أردت أن تكون في آسان الإيمان، مصاحبًا لسلح الصلاح، فمليك بالتوبة «وَأَنْتَ لَقَائِلٌ لِمَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» طه: ٨٢، «إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...» «وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا...» الفرقان: ٧٠، ٧١.

وإذا أقبل العبد على باب التوبة استعظم عَفْدُ أُخُوْتِهِ، مع أهل الإسلام «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا مِنْكُمْ فِي الذِّينِ» التوبة: ١١، ومن تَابَ، وقصد الباب، حصل له الفرج بأفضل الأسباب

«فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِذُوا مِنْكُمْ فِي الذِّينِ» التوبة: ٥، ومن أثار غبار المعاصي، وأتبعه برشاش الندم، غَلَبَتْ حِكْمَتَا الطَّاعَةِ عَلَى الْمَحْصِيَةِ، وَسُئِرَتِ الزَّلَاسَةُ بِالسَّالِزَةِ «وَعَلَّطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَحْسَنَتِ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» التوبة: ١٠٢، السَّارِقُ المَارِقُ إذا لَازَ وَتَحَرَّمَ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَلَاسِيْلَ لِلإِيْذَاءِ إِلَيْهِ «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ» المائدة: ٣٤، وإذا أُرِدَتِ التَّوْبَةُ فَأَنَا الْمُرِيدُ لِتَوْبَتِكَ قَبْلَ «وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» النساء: ٢٧، وإذا تَبَّ بِتَوْبَتِي عَلَيْكَ، وَتَوَفَّقِي لَكَ، جَازِيَتِكَ بِالْحَبَةِ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» البقرة: ٢٢٢، وَإِنَّا لَا نَقْبِلُ تَوْبَةَ مَنْ يَزُخَّرُ تَوْبَتُهُ إِلَى آخِرِ الْوَقْتِ: «وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيْءَ حَتَّى إِذَا خَضَرَ أَعْدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» النساء: ١٨، وَإِنَّا يَتَقَبَّلُ تَوْبَةَ مَنْ تَنَحَّلَ تَوْبَتَهُ بِزَلَّتِهِ، وَتَعَفَّرَ بِمَحْصِيَتِهِ «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّوْءَ بِمِجَالَتِهِ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» النساء: ١٧.

أَعْظَمُ الذَّنُوبِ قَتْلُ النَّفْسِ وَإِذَا حَصَلَ خَطَأٌ مِنْ غَيْرِ عَمَدِ فِإِ التَّوْبَةِ وَالصَّيَامِ كَثُرَ «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» النساء: ٩٢، نَبِيْنَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ عَنْ التَّحَكُّمِ عَلَى عِبَادِنَا، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْنَا. وَنَحْنُ تَوَّابٌ عَلَيْهِمْ لَوْ نَشَاءُ «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ» آل عمران: ١٢٨، لَا تَفْرَغْ مِنَ التَّوْبَةِ، فَإِنَّهَا خَيْرُ لَكَ فِي الذِّكْرِ «فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَكُمْ» التوبة: ٧٤، «فَسُئِلُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَانْقَلَبُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ غَدَابَتِكُمْ» البقرة: ٥٤، ومن

الطَّبْرِيّ: ومعنى (التَّائِبُونَ): مآكرهه الله وسخطه، إلى ما يحبّه ويرضاه. (١١: ٣٦)
الزَّجَّاج: يصلح أن يكون رُفْعَه على وجوه: أحدها: المدح، كأنه قال: هؤلاء التَّائِبُونَ، أو هم التَّائِبُونَ؟ ويجوز أن يكون على البدل، المعنى: يقاتل التَّائِبُونَ، وهذا مذهب أهل اللغة.

والَّذِي عِنْدِي، والله أعلم أن قوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ رفع بالابتداء، وخبره مضمّر، المعنى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...﴾ لهم الجنة أيضًا، أي من لم يعبأه غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، لأنَّ بعض المسلمين يُجزّي عن بعض في الجهاد، فمن كان هذه صفته فله الجنة أيضًا.

التَّائِبُونَ: الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الْكُفْرِ. (٢: ٤٧١)

الْمَاوُزِدِيُّ: يعني من الذَّنُوبِ.

ويحتمل أن يراد بهم الرَّاَجِعُونَ إلى الله تعالى في فعل مأمّر واجتناب ماحظر، لأنَّها صفة سبّاقة في المدح، والقائب هو الرَّاجِع، والرَّاجِع إلى الطَّاعَةِ أفضل من الرَّاجِع عن المعصية، لجسمه بين الأمرين. (٢: ٤٠٦)
الطُّوسِيّ: قيل في ارتقاع قوله: (التَّائِبُونَ) ثلاثة أقوال:

أحدها: إنّه ارتفع بالمدح، والتقدير هم التَّائِبُونَ. الثاني: بالابتداء، وخبره محذوف بعد قوله: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ لهم الجنة.

الثالث: على أن يكون بدلًا من الضَّمِيرِ فِي (يُفَاتِلُونَ) أي إِنَّا يقاتل في سبيل الله من هذه صفته. وقيل: هو كقوله: ﴿لَكِنَّ الْإِسْلَامَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾

رمى نفسه في هَوَاةِ الْكُفْرِ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ ﴿أَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ آل عمران: ٩٠. يُطْلَوْنَ أَنَا لَاتَقْبَلَ تَوْبَةَ الْفُلُوسِ مِنْ عِبَادِنَا ﴿أَلَمْ يَتْلَوْا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ التوبة: ١٠٤. نحن نأخذ بيد المذنب، ونقبل باللطف توبته ﴿غَايِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ المؤمن: ٣. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الشورى: ٢٥.

ولهذا قيل: التوبة قَصَارُ الْمَذْنِبِينَ، وَغَسَّالُ الْهَرَمِينَ، وَقَائِدُ الْحَسَنِينَ، وَغَطَّارُ الْمُرِيدِينَ، وَأَنْبَسُ الْمُشْتَاقِينَ، وَسَائِقُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٣٠٤-٣١٢)

التَّائِبُونَ

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ الشَّاكِرُونَ الرَّازِقُونَ الشَّاجِدُونَ الْأَمُورُونَ بِالْمَشْغُورِ وَالشَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ. التوبة: ١١٢
ابن عباس: (التَّائِبُونَ) هم الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الشَّرِّ، وَتَبَرَّأُوا مِنَ التَّفَاقُ.

مثله الحسن. (السيابوري ١١: ٢٧)

نحوه البهوي. (٢: ٣٩٢)

الحسن: تابوا إلى الله من الذَّنُوبِ كُلِّهَا.

(الطَّبْرِيّ ١١: ٣٦)

قَتَادَةَ: تابوا من الشَّرِّ، ثُمَّ لَمْ يَنَافِقُوا فِي الْإِسْلَامِ.

(الطَّبْرِيّ ١١: ٣٦)

ابن جُرَيْج: الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الذَّنُوبِ، ثُمَّ لَمْ يَمُودُوا

فِيهَا. (الطَّبْرِيّ ١١: ٣٦)

التوبة: ٨٨، التائبون.

التائبون، يعني المؤمنين المذكورين، ويدلّ عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنها «التائبين» بـ«الياء» إلى «والحافظين» نصباً على المدح، ويجوز أن يكون جرّاً صفة للمؤمنين.

وجوّز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف، أي التائبون العائدون من أهل الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا، كقوله: ﴿وَكَلَّا وَعَدَدُ الْحُسْنَى﴾ النساء: ٩٥.

وقيل: هو رفع على البدل من الضمير في ﴿يَقَاتِلُونَ﴾. ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره (العائِدُونَ) وما بعده خبر بعد خبر، أي التائبون من الكفر على الحقيقة، الجامعون لهذه الخصال. (٢: ٢١٦)

نحوه الأكويسي (١١: ٣٠)، واليسابوري (١١: ٢٧)، وأبو السعود (٣: ١٩٦).

ابن عطية: (والتائبون) لفظ يعمّ الرجوع من الشرّ إلى الخير، كان ذلك من كفر أو معصية، والرجوع من حالة إلى ما هي أحسن منها. وإن لم تكن الأولى شرّاً بل خيراً، وهكذا توبة النبي ﷺ واستغفاره سبعين مرّة في اليوم.

والتائب هو المقلع عن الذنب، العازم على التّسادي على الإقلاع، التّادم على ماسلف. والتائب عن ذنب يسمّى تائباً وإن قام على غيره إلا أن يكون من نوعه فليس بتائب.

والتوبة ونقضها دائباً خيراً من الإصرار، ومن تاب ثم نقض ووفى على النقض فإنّ ذنوبه الأولى تبقى عليه، لأنّ توبته منها علّم الله أنّها منقوضة، ويحتمل الأمر غير ذلك، والله أعلم. (٣: ٨٨)

وقرأ أبي كلّ ذلك بالنصب على أنّه صفة للمؤمنين. وصف الله تعالى المؤمنين الذين اشتروا منه أنفسهم وأموالهم بأنهم التائبون، ومعناه الرّاجعون إلى طاعة الله المنقطعون إليه والتّادمون على ما فعلوا من قبيح.

(٥: ٣٥٤)

القشيري: (التّائِبُونَ) أي الرّاجعون إلى الله، فمن راجع يرجع عن زلّته إلى طاعته، ومن راجع يرجع عن متابعة هواه إلى موافقة رضاء، ومن راجع يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه، ومن راجع يرجع عن الإحساس بنفسه وأبناء جنسه إلى الاستغراق في حقائق حقّه.

ويقال: تائب يرجع عن أفعاله إلى تبديل أحواله، فيجد غداً فتن أفضاله، وصرف لطفه ونواله، وتائب يرجع عن كلّ غير وضدّ إلى ربّه برّبّه لربّه بحو كلّ أَرْبٍ، وعدم الإحساس بكلّ طلب.

وتائب يرجع لحظّ نفسه من جزيل ثوابه، أو حذرًا على نفسه، من أليم عذابه، وتائب يرجع لأمره برجوعه وليأبده، وتائب يرجع طلباً لفرح نفسه حين ينجو من أوضاعه، ويخلص من شؤم أوزاره، وتائب يرجع لما سمع أنّه قال: «إنّ الله أفرح بتوبة عبده من الأعرابي الذي وجد ضالّته» كما في الخبر، وشتان ماها.

أي قادماً من سفرة الهجر مرحباً
أناديك لا أنساك ماهيت الصّبا

(٣: ٦٦)

المصغري: (التّائِبُونَ) رفع على المدح، أي هم

دفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم أو سائر الأغراض،

فهو ليس من الثائبين، (٢٠٢: ١٦)

نحوه الثَّريبِيَّة.

البُزوسَوِيَّة: وأصل التوبة: الرجوع، فإذا وصف

بها العبد يرد بها الرجوع من العقوبة إلى المغفرة

والرحمة، وهي واجبة على الصَّور، ويستقدمها معرفة

الدَّنب المرجوع عنه أنه ذنب.

وعلازمة قبولها أربعة أشياء: أن ينقطع عن الفاسقين،

ويتصل بالصالحين بالتردد إلى مجالسهم الشريفة أينما

كانوا، وأن يقبل على جميع الطاعات، إذ الرجوع إذا صحَّ

من القلب ترى الأعضاء تنقاد لما خلقت له، كالشجرة إذا

صلح أصلها أثمر فرعها، وأن يذهب عنه فرح الدنيا، إذ

المقبل على الله لا يفرح بشيء مما سواه. (٥١٧: ٣)

رشيد رضا: أي هم الثائبون الكاملون في توبتهم،

وهي الرجوع إلى الله عن كل ما يُبعد عن مرضاته.

وتختلف باختلاف أحوال أهلها؛ فتوبة الكفار الذين

يدخلون في الإسلام: هي الرجوع عن الكفر الذي كانوا

عليه من شرك وغيره، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ

تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَاوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾

التوبة: ١١.

وتوبة المنافق من النفاق، وتقدم ذكرها في هذه

السورة أيضًا.

وتوبة العاصي من المعصية، ومنه توبة من تخلف عن

غزوة تبوك من المؤمنين، وتقدم قريبًا ذكر من تاب منهم

ومن أرجئ أمره.

وتوبة المقصر في شيء من البرّ وعمل الخير، إنما

(٢٦٩: ٨)

نحوه الثَّريبِيَّة: أي الرجوعون إلى طاعة الله، والمنقطعون

إليه. القادمون على ما فعلوه من القبائح. (٧٥: ٣)

نحوه فضل الله (١١: ٢١٨)، ومكارم الشيرازي (٦:

٢١٤).

الفَخْر الرَّاغِزِي: فيه مسألتان: المسألة الأولى في

رفع قوله: (الثَّابِتُونَ...)، [وذكر كما تقدم عن

الرُّغْشَرِيَّ]

المسألة الثانية: في تفسير هذه الصفات التسعة:

الصفة الأولى: قوله: (الثَّابِتُونَ)، قال ابن عباس

رضي الله عنه: الثَّابِتُونَ من الشرك، وقال الحسن:

الثَّابِتُونَ من الشرك والتفاني، وقال الأصوليون: الثَّابِتُونَ

من كل معصية. وهذا أولى، لأن التوبة قد تكون توبة من

الكفر، وقد تكون من المعصية. وقوله: (الثَّابِتُونَ) صيغة

عموم محلاة بالألف واللام، فتتناول الكل، فال تخصيص

بالتوبة عن الكفر محض التحكّم.

واعلم أنا بالغنا في شرح حقيقة التوبة، في تفسير

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقُّ أَدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ البقرة: ٣٧.

واعلم أن التوبة إنما تحصل عند حصول أمور أربعة:

أولها: احتراق القلب في المحال على صدور تلك

المعصية عنه.

وثانيها: ندمه على ما مضى.

وثالثها: عزمه على التَّرك في المستقبل.

ورابعها: أن يكون الحامل له على هذه الأمور الثلاثة

طلب رضوان الله تعالى وعبوديته، فإن كان غرضه منها

(١٦: ٥٨٦٤)

التَّوَابُ

- ١- ﴿تَنَلُّقْ أَذْمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ
الطَّيْبُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧
- ابن عباس: المتجاوز. (٧)
- أبو عبيدة: أي يتوب على العباد، والتَّوَابُ من
النَّاسِ: الَّذِي يَتُوبُ مِنَ الذَّنْبِ. (١: ٣٩)
- الطَّبْرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ تَأَوُّهُ هُوَ التَّوَابُ عَلَى مَنْ تَابَ
إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمَذْنِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِ، التَّارِكُ بِمَجَازَاتِهِ بِإِنَابَتِهِ
إِلَى طَاعَتِهِ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِ، بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ. [تَمَّ ذِكْرُ مَعْنَى
التَّوْبَةِ] (١: ٢٤٦)
- الماوردي: أي الكثير القبول للتَّوْبَةِ، وَحَقُّهُ
بِالرَّحْمَةِ، لِئَلَّا يَحِلَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادُهُ مِنْ نَعْمِهِ. (١: ١١)
- الطُّوسِي: «تَوَابٌ» بِمَعْنَى أَنَّهُ قَابِلُ التَّوْبَةِ، لَا يُطْلَقُ
إِلَّا عَلَيْهِ تَعَالَى، وَلَا يُطْلَقُ فِي الْوَاحِدِ مَتَّأً. (١: ١٧٢)
- الواحدِي: أي يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه
مِنْ ذَنْبِهِ. (١: ١٢٦)
- البغوي: يقبل توبة عباده. (١: ١٠٨)
- الميموني: «تَوَابٌ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي
يَرْجِعُ إِلَى تَيْسِيرِ أَسْبَابِ التَّوْبَةِ لِعِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، بِمَا
يُظْهِرُهُمْ مِنْ آيَاتِهِ، وَيُسَوِّقُ إِلَيْهِمْ مِنْ تَنْبِيهَاتِهِ، وَيُظَلِّمُهُمْ
عَلَيْهِ مِنْ تَخْفِيفَاتِهِ وَتَعْذِيرَاتِهِ، حَتَّى إِذَا أَطْلَعُوا بِتَعْرِيفِهِ
عَلَى غَوَائِلِ الذَّنُوبِ اسْتَشْعَرُوا الْخَوْفَ بِتَخْوِيفِهِ، فَارْجَعُوا
إِلَى التَّوْبَةِ، فَارْجَعِ إِلَيْهِمْ فَضْلُ اللَّهِ بِالْقَبُولِ. (١: ١٥٦)
- ابن عطية: قَرَأَ ابْنُ أَبِي عَقْرَبٍ: «أَنَّهُ» بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ

تكون في التَّشْمِيرِ فِيهِ وَالِاسْتِرَادَةِ مِنْهُ.

- وتوبة من يغفل عن ربه، وإِنَّمَا تكون في الإكثار من
ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ. (١١: ٥١)
- نحوه المَرَاغِي. (١١: ٣٣)
- الطَّبَّاطِبَائِي: يَصِفُ سَبْحَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَجْسَلِ
صِفَاتِهِمْ، وَالصَّفَاتُ مَرْفُوعَةٌ بِالتَّطَعُّعِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ هُمْ
التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ لِلَّهِ، فَهُمْ التَّائِبُونَ لِرُجُوعِهِمْ مِنْ غَيْرِ
اللَّهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ. (٩: ٣٩٦)
- نحوه عبد الكريم الخطيب. (٦: ٩٠١)

تَائِبَاتٍ

- عَنْهُ رَبُّهُ إِنَّ طَلَّقَكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ
مُشْلِسَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ
تَكْبِتَاتٍ وَأَبْكَارًا. التَّحْرِيم: ٥
- ابن عباس: أي تَائِبَاتٍ مِنَ الذَّنُوبِ. (٤٧٧)
- الطَّبْرِيُّ: رَاجِعَاتٌ إِلَى مَا يَجِبُ اللَّهُ مِنْهُنَّ مِنْ طَاعَتِهِ
عَمَّا يَكْرَهُهُ مِنْهُنَّ. (٢٨: ١٦٤)
- الميموني: رَاجِعَاتٌ مِنَ الذَّنُوبِ. (١٠: ١٥٩)
- الطَّبْرِيُّ: (تَائِبَاتٍ) مِنَ الذَّنُوبِ، وَقِيلَ: رَاجِعَاتٌ
إِلَى أَمْرِ الرُّسُولِ تَارِكَاتٍ لِمَا بَنَ أَنْفُسَهُنَّ، وَقِيلَ: نَادِمَاتٌ
عَلَى تَقْصِيرِ وَقَعِ مِنْهُنَّ. (٥: ٣١٦)
- نحوه النَّسَبِيُّ (٤: ٢٧٠)، وَالتَّشْرِيبي (٤: ٣٣٢).
- الْحَازِنُ: أَيِ تَارِكَاتٍ لِلذَّنُوبِ لِقَبْحِهَا، أَوْ كَثِيرَاتِ
التَّوْبَةِ. (٧: ١٠١)
- الآلُوسِي: مُقْلَعَاتٌ مِنَ الذَّنْبِ. (٢٨: ١٥٥)
- الْقَاسِمِي: أَيِ مِنَ الذَّنُوبِ لَا يَصْعَدُ عَنْهَا.

[ثم نقل كلام ابن العربي وأضاف:]

لا يجوز أن يقال في حق الله تعالى: تائب، اسم فاعل من تاب يتوب، لأنه ليس لنا أن نخلق عليه من الأسماء والصفات إلا ما أطلقه هو على نفسه أو نبيه ﷺ أو جماعة المسلمين، وإن كان في اللغة محتملاً جائزاً.

هذا هو الصحيح في هذا الباب، صلى ما بيناه في «الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ التوبة: ١١٧، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَغْفِلُ الْتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الشورى: ٢٥.

ولمّا قيل له عز وجل: ﴿تَوَّابٌ﴾ لمبالغة الفعل، وكثرة قبوله توبة عباد، لكثرة من يتوب إليه.

اعلم أنه ليس لأحد قدرة على خلق التوبة، لأن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بخلق الأعمال، خلافاً للممتزلة ومن قال بعولمهم. وكذلك ليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه ولأن يعفو عنه.

قال علماءنا: وقد كثر اليهود والنصارى بهذا الأصل العظيم في الدين ﴿إِخْتَدُوا أَخْيَارُهُمْ وَرُضِبَتْ أُنُفُؤُهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣١، وجعلوا لمن أذنب أن يأتي الخبث أو الزاهد فيطيه شيئاً، ويمطّ عنه ذنوبه ﴿إِفْرَاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُفْتَدِينَ﴾ الأنعام: ١٤٠. (٣٢٥: ١)

الْبَيْضَاوِيُّ: الرَّجَاعُ عَلَى عِبَادِهِ بِالْمَغْفِرَةِ، أَوِ الَّذِي يَكْثُرُ إِهَانَتُهُمْ عَلَى التَّوْبَةِ. وَأَصْلُ التَّوْبَةِ: الرَّجُوعُ، فَإِذَا وَصَفَ بِهَا الْعَبْدُ كَانَ رَجُوعاً مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَإِذَا وَصَفَ بِهَا الْبَارِئُ تَعَالَى أُرِيدَ بِهَا الرَّجُوعُ عَنِ الْعُقُوبَةِ إِلَى الْمَغْفِرَةِ.

على معنى (لأئنه) وبنية (التَّوَّاب) للمبالغة والتكثير، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تأكيد، فاندته أن التوبة على العبد إنما هي نعمة من الله، لا من العبد وحده لتلا يعجب القائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه. (١٣١: ١)

مثله التَّعَالِيّ. ابن العربي: ولعلمائنا في وصف الربّ بأنه تَوَّابٌ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يجوز في حق الربّ سبحانه وتعالى، فيُدعى به كما في الكتاب والسنة، ولا يتأول.

وقال آخرون: هو وصف حقيقي لله سبحانه وتعالى، وتوبة الله على العبد: رجوعه من حال المعصية إلى حال الطاعة.

وقال آخرون: توبة الله على العبد قبوله توبته؛ وذلك يحتمل أن يرجع إلى قوله سبحانه وتعالى: قبلت توبتك، وأن يرجع إلى خلقه الإثابة والرجوع في قلب المسيء، وإجراء الطاعات على جوارحه الظاهرة.

(الْقُرْطُبِيُّ: ١: ٣٢٥) الْعَطَّيْرِيُّ: أي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة، وهو في صفة العباد الكثير التوبة. وقيل: إن معناه إنه يقبل التوبة وإن عظمت الذنوب فيسقط عقابها.

(٨٩: ١) الْقُرْطُبِيُّ: وصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه التَّوَّاب، وتكرر في القرآن معزفاً ومنكراً واسماً وفعلاً. وقد يطلق على العبد أيضاً تَوَّاب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْتَطِيرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢.

عَلَيْهِ) ولحسن ختم الفاصلة بقوله: (الرَّحِيمِ). (١٦٧: ١)
الْأَلُوسِي: وفي الجملة الاسمية ما يقوي رجاء
المذنبين ويُجبر كسر قلوب الحافظين؛ حيث افتتحها
بإِلَّا، وأقْبَضَ ضمير الفصل وعَرَفَ المسند، وأقْبَضَ به من
صِيغ المبالغة إشارة إلى قبوله التوبة كُلِّهَا تاب العبد.

ويمحتمل أَنْ ذلك لكثرة من يتوب عليهم، وجمع بين
وصفي كونه تَوَّابًا وكونه رَحِيمًا إشارة إلى مزيد الفضل،
وقَدَّمَ (التَّوَّابُ) لظهور مناسبتها لما قبله. (٢٣٧: ١)
القاسمي: في الجمع بين الاسمين وعد للثَّابِتِ
بالإحسان مع العفو. (١١٠: ٢)

القراخي: (التَّوَّابُ) هو الَّذِي يقبل التوبة عن
عباده كثيرًا، فهذا اقتراف العبد من الذُّنُوب وتدم على
ما فرط منه وتاب، تاب الله عليه. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وقد جمع بين الوصفين (التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) للإشارة إلى
عدة الله تعالى للعبد الثَّابِتِ بالإحسان إليه، مع العفو عنه
والمغفرة له. (٩٢: ١)

مكارم الشَّيرازي: التوبة في اللغة بمعنى العودة،
وهي في التعبير القرآني بمعنى العودة عن الذَّنْب، إن
نُسِبَتْ إلى المذنب، وإن نُسِبَتْ كلمة التوبة إلى الله، فتعني
عودته سبحانه إلى الرَّحْمَةِ الَّتِي كانت مسلوقة عن العبد
المذنب، ولذلك فهو تعالى «تَوَّابٌ» في التعبير القرآني.
بعبارة أخرى توبة العبد: عودته إلى الله، لأنَّ الذَّنْب
فرار من الله والتوبة رجوع إليه، وتوبة الله: إغداق رحمته
على عبده الْآيِبِ. (١٥٣: ١)

وهذا المعنى جاءت كلمة «التَّوَّابُ» في الآية ٤٥
و ١٢٨ من سورة البقرة.

(٥٠: ١)

نحو الشَّيرازي: (٥١: ١)، وأبو الشَّوَّاذ: (١٢٣: ١)،
والمخازن: (٤٤: ١).

التَّنَسُّفِي: الكثير القبول للتوبة. (٤٤: ١)
النَّيسَابُورِي: ومعنى المبالغة في التَّوَّابِ: أَنْ واحدًا
من ملوك الدُّنْيَا إذا عصاه إنسان غَمَّ تَابَ قَبْلَ توبته، ثم إذا
عاد إلى المعصية وإلى الاعتذار غَرَمًا لم يقبل عذره، لأنَّ
طبعه يمنعه من قبول العذر. والله تعالى بخلاف ذلك، لأنَّه
يَمَّا يقبل التوبة لا أَمْرَ يرجع إلى رَقَّةٍ طبع أو جلب نفع
أو دفع ضرر، بل لمحض الإحسان واللطف والرَّحْمَةِ
والمجرد، فَإِنَّ فيضه لا ينقطع، ولا تنصير إِلَّا من القابل،
فكُلَّمَا ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض إليه
لا محالة.

وأيضًا يستحقُّ المبالغة من جهة أخرى، وهي كثرة
عدد المذنبين، المستلزمة لكثرة الثَّابِتِينَ، المستجيبة
لكثرة قبول التوبة ووصفه بِالرَّحْمَةِ. (٢٨٥: ١)

أبو عِيَّان: [نحو الرُّطْبِيّ وأضاف:]

وذهب بعضهم إلى أَنَّهُ تعالى لا يوصف به إِلَّا تَجَوُّزًا،
وأجمعوا أَنَّهُ لا يوصف تعالى بتائب ولا آيِبٍ ولا رجَّاعٍ
ولا منيب، وفرق بين إطلاقه على الله تعالى وعلى العبد،
وذلك لاختلاف صليتهما، ألا ترى (فَتَّابٌ عَلَيْهِ) (وَتَوَّابًا
إِلَى اللَّهِ)، فالتَّوَّابُ من الله على العبد هي اللطف والتَّصَلُّلُ
عليه، ومن العبد هي الرَّجُوعُ إلى طاعته تعالى، لطلب
ثواب أو خشية عقاب أو رفع درجات.

وأعقب الصَّفة الأولى بصفة الرَّحْمَةِ، لأنَّ قبول التوبة
سببه رحمة الله لعبد، وتقدَّمَ (التَّوَّابُ) لمناسبة (فَتَّابٌ

مَتَاب

...قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ.

الرَّعْد: ٣٠

ابن عباس: المرجع في الآخرة. (٢٠٨)

مُجَاهِد: يعني بالمتاب: التوبة. (المأزوي ٣: ١١١)

الطَّبْرِي: وإليه مرجعي وأوتبي، وهو مصدر من

قول القائل: تبت متاباً وتوبة. (١٣: ١٥٠)

نحوه البَغَوِي. (٢٣: ٣)

الطُّوسِي: أي إلى الله الرحمن توبي. وهو التندم

على ماسلف من الخطيئة، مع العزم على ترك المعادة إلى

مثله في القبح. والمتاب والتوبة مصدران، يقال: تابَ

يَتُوبُ تَوْبَةً وَمَتَابًا. (٦: ٢٥٢)

نحوه الطَّبْرِي. (٣: ٢٩٣)

الْمِثْبَدِي: أي وإليه أتوب من خطاياي، والأصل:

متابي، فحذفت الياء، لأن الكسرة تدلّ عليها.

(٥: ٢٠٠)

الرَّمْثَشَرِي: فيصيني على مصابرتكم ومجاهدتكم.

(٢: ٣٦٠)

نحوه الفَخْر الرَّايزِي (١٩: ٥٢)، والنَّيْسَابُورِي (١٣:

٨٩)، وأبو حَيَّان (٥: ٣٩١).

أبو البركات: أصل (مَتَابًا): مَتُوبٌ. فنقلت الفتحة

من الواو إلى التاء، فتحركت في الأصل، وانفتح ما قبلها

الآن، فقلبت ألفًا. (٢: ٢٠٩)

الْبَيْضَاوِي: مرجعي ومرجعكم. (١: ٥٢٠)

أبو الشعود: أي توبي، كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ

لِذُنُوبِكُمْ﴾ محمد: ١٩، والمؤمن: ٥٥، أمرٌ ﴿بِذَلِكَ﴾

لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى، وأنها صفة

الأنبياء. وبعثاً للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ

وجه وأطفه، فإنه ﷺ حيث أمر بها وهو منزّه عن

شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب، وإن قلّ، فتوبتهم

وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي مما لا بدّ منه

أصلاً.

وقد فُسر «المتاب» بطلق الرجوع، فقيل: مرجعي

ومرجعكم، وزيد: فيحكم بيني وبينكم، وقد قيل:

فَيُصْنِي على مصابرتكم، فتأمل. (٣: ٤٥٨)

نحوه المَرَاغِي. (١٣: ١٠٤)

البُزْوَسي: مصدر تاب يتوب، وأصله: متابي،

أي مرجعي ومرجعكم، فيرحمني ويستقم لي منكم،

والانتقام من الرحمن أشدّ، ولذا قيل: نموذ بالله من

غضب الحليم. (٤: ٣٧٥)

الألوسي: أي مرجعي فيصيني على مصابرتكم

ومجاهدتكم. [إلى أن قال:]

ثم لا ينبغي أن حُلَّ (وَأَلَيْهِ مَتَابٌ) على: إليه رجوعي

في سائر أموري خلاف الظاهر، وأنه على ذلك يكون

كالتأكيد لما قبله. [ثم نقل كلام أبي السعود وقال:]

وفيه أن هذا إنما يصلح باعتبار الإقلاع عن الذنب على

أبلغ وجه وأطفه لو كان الكلام مع غير الكفرة الذين

يحسبون أنهم يحسنون صنّاً، ولعلّ ذلك ظاهر عند

المُصَنِّف.

وقال العلامة البَيْضَاوِي في ذلك: أي إليه مرجعي

ومرجعكم. وكأنت أراد أيضاً فيرحمني ويستقم منكم،

والانتقام من الرحمن أشدّ، كما قيل: أعوذ بالله تعالى من

كلّ تاريخ حياتي الماضية بالتوبة والإيمان.

(٥٥: ١٣)

تَوْبَةُ

١- قَن لَمْ يَحِذْ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةُ مِّنْ

الله... النساء: ٩٢

ابن عباس: تجاوزاً من الله لتقاتل الخطأ إن فعل ذلك. (٧٧)

الجبّائي: إنّما قال: «تَوْبَةُ مِّنْ اللَّهِ» تعالى بهذه الكفارة التي يلزمها بداره عقاب القاتل وذمّه، لأنّه يجوز أن يكون عاصياً في السبب، وإن لم يكن عاصياً في القتل، من حيث إنّهُ رمى في موضع هو منهّي عنه بأن يكون رجه، وإن لم يقصد القتل. (الطوسي: ٣: ٢٩٣) الطبري: يعني تجاوزاً من الله لكم إلى التيسير عليه، بتخفيفه عنكم، ماخف عنكم، من فرض تحرير الرقبة المؤمنة، إذا أصرّتم بها، بإيجابه عليكم صوم شهرين متتابعين. (٢١٥: ٥)

الزجاج: ونصب «تَوْبَةُ مِّنْ اللَّهِ» على جهة نصب «فعلت ذلك حذار الشّر». المعنى فعله صيام شهرين وعليه دية إذا وجد توبة من الله، أي فعل ذلك توبة من الله. (٩١: ٢)

نحوه النيسابوري. (١١٧: ٥)

الطوسي: قوله: «تَوْبَةُ مِّنْ اللَّهِ» نصب على القطع، معناه: رجعة من الله لكم. «ثمّ أدام نحو الطبري ونقل قول الجبّائي ثمّ قال:

وهذا ليس بشيء، لأنّ الآية عامّة في كلّ خطأ.

غضب الحليم.

وتعقّب بأنّه إنّما يتمّ لو كان المضاف إليه المحذوف ضمير المتكلّم ومعه غيره، أي متابنا إذ يكون حيثنّ مرجعي ومرجمكم تفصيلاً لذلك، ولا يكاد يقول به أحد مع قوله: بكسر الباء، فإنّه يقتضي أن يكون المحذوف الياء، على أنّ ذلك الضمير لا يناسب ما قبله. ولعلّ العلامة اعتبر أنّ في الآية اكتفاء على ما قبل، أي متابي ومتابكم، أو أنّ الكلام دالّ عليه الترتاباً، وهذا أولى على ما قبل، فتأمل. (١٣: ١٥٣)

الطباطبائي: أي هو وحده ربّي من غير شريك، كما تقولون، ولربوبيّته لي وحده أتخذ القائم على جميع أموري وبها، وأرجع إليه في حوائجي. وبذلك يظهر أنّ قوله: «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ» من آثار الرّبوبيّة المتفرّعة عليها، فإنّ الرّب هو المالك المدبّر، فحصل المعنى هو وكيلي وإليه أرجع.

وقيل: إنّ المراد بـ«المتاب» هو التوبة من الذنوب، لما في المعنى الأوّل من لزوم كون (إِلَيْهِ مَتَابٌ) تأكيداً لقوله: «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» وهو خلاف الظاهر.

وفيه منع رجوعه إلى التأكيد، ثمّ منع كونه خلاف الظاهر، وهو ظاهر.

وذكر بعضهم: أنّ المعنى: إليه متابي ومتابكم، وفيه أنّه مستلزم لحذف وتقدير لادليل عليه، وبجرّد كون مرجعهم إليه في الواقع لا يوجب التقدير، من غير أن يكون في الكلام ما يوجب ذلك. (١١: ٣٥٨)

فضل الله: فأوجّه إليه التوبة من ذنوبي التي أسلفتها، وأفتح له كلّ حياتي المستقبلية، التي أتير فيها

الفعل، الأخرى أَنَّ مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا عَلَى ظَنٍّ أَنَّهُ كَافِرٌ حَرَبِيٌّ، فَلَوْ أَنَّهُ بَالِغٌ فِي الْإِحْتِيَاظِ وَالِاسْتِكْشَافِ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَقَعُ فِيهِ. وَمَنْ رَمَى إِلَى صَيْدٍ فَأَخْطَأَ وَأَصَابَ إِنْسَانًا، فَلَوْ احْتِطَاظَ فَلَا يَرْمِي إِلَّا فِي مَوْضِعٍ يَقْطَعُ بِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ فَإِنَّهُ لَا يَقَعُ فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿تُؤْتِيهِ مِنَ اللَّهِ﴾ تَبَيَّنَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُقْصِرًا فِي تَرْكِ الْإِحْتِيَاظِ.

الوجه الثاني في الجواب: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿تُؤْتِيهِ مِنَ اللَّهِ﴾ رَاجِعٌ إِلَى أَنَّهُ تَمَالَى أَذْنُ لَهُ فِي إِقَامَةِ الصَّوْمِ مَقَامَ الْإِحْتِيَاقِ عِنْدَ الْعِجْزِ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا تَابَ عَلَى الْمَذْنِبِ فَقَدْ خَفَّفَ عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ التَّخْفِيفُ مِنْ لَوَازِمِ التَّوْبَةِ أَطْلَقَ لَفْظَ التَّوْبَةِ لِإِرَادَةِ التَّخْفِيفِ، إِطْلَاقًا لِاسْمِ الْمُرْتَكِبِ عَلَى الْإِلْزَامِ.

الوجه الثالث في الجواب: أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا اتَّقَى لَهُ مِثْلَ هَذَا الْخَطِإِ فَإِنَّهُ يَنْدَمُ، وَيَسْتَحْيِي أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ، فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ: التَّوْبَةَ، وَذَلِكَ التَّائِبُ: تَوْبَةً.

(٢٣٦: ١٠)

نحوه البرؤوسوي. (٢٦٠: ٢)

العكبري: (توبة) مفعول من أجله، والتقدير: شرع ذلك لكم توبة منه. ولا يجوز أن يكون العامل فيه صوم، إلا على تقدير حذف مضاف، تقديره: لو وقع توبة، أو لحصول توبة من الله.

وقيل: هو مصدر منصوب بفعل محذوف، تقديره: تاب عليكم توبة منه.

ولا يجوز أن يكون في موضع الحال، لأنك لو قلت: فعليه صيام شهرين تائبًا من الله، لم يميز. فإن قدرت

وما ذكره ربما اتفق في الأحاد... (٢٩٣: ٣)

الواحد: أي اعملوا بما أوجب للثوبة من الله، أي ليقبل الله توبتكم فيما اقترفتوه من ذنوبكم. (٩٥: ٢) البغوي: أي جعل الله ذلك توبة القاتل الخطأ.

(٦٧٦: ١)

مثله الخازن.

الزمخشري: قبولًا من الله ورحمةً منه، من تاب الله عليه، إذا قبل توبته، يعني شرع ذلك توبة منه، أو نقلكم من الرقبة إلى الصَّوْمِ توبةً منه. (٥٥٤: ١)

(٢٤٤: ١)

نحوه التسي. ابن عطية: (توبة) نصب على المصدر، ومعناه رجوعًا بكم إلى التيسير والتسهيل. (٩٤: ٢)

الطبرسي: أي ليحب الله به عليكم، فتكون التوبة من فعل الله.

وقيل: إن المراد بالتوبة هنا: التخفيف من الله، لأنَّ الله إِذَا جَوَّزَ لِلْقَاتِلِ الْعُدُولَ إِلَى الصَّيَامِ تَخْفِيفًا عَلَيْهِ، وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ فَنَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ الرَّزَّازِي: ٢٠. (٩١: ٢)

الفخر الرازي: قوله: ﴿تُؤْتِيهِ مِنَ اللَّهِ﴾ انتصب بمعنى صيام ما تقدم، كأنه قيل: اعملوا بما أوجب الله عليكم لأجل التوبة من الله، أي ليقبل الله توبتكم، وهو كما يقال: فعلت كذا حذر الشر.

فإن قيل: قُتِلَ الْخَطِيئُ لَا يَكُونُ مَعْصِيَةً، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿تُؤْتِيهِ مِنَ اللَّهِ﴾؟

قلنا: فيه وجوه: الأول: أَنَّ فِيهِ تَوْعِيدٌ مِنَ التَّقْصِيرِ، فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ لَوْ بَالِغٌ فِي الْإِحْتِيَاظِ لَمْ يَصْدُرْ عَنْ ذَلِكَ

الطَّبَّاطِبَائِي: ﴿تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ﴾ إلخ، أي هذا الحكم وهو إيجاب الصَّيَامِ توبة وعطف رحمة من الله لفساد الرِّقْبَةِ، وينطبق على التَّخْفِيفِ، فالحكم تخفيف من الله في حق غير المستطيع.

ويمكن أن يكون قوله: (تَوْبَةً) قيداً راجعاً إلى جميع ما ذكر في الآية من الكفَّارة، أعني قوله: ﴿فَتَتَحَرَّرَ رَقَبَةً﴾ إلخ، والمعنى: أن جعل الكفَّارة للقاتل خطأ توبة وعناية من الله للقاتل فيما لحقه من ذَنْنِ هذا الفعل قطعاً، وليتحمَّلَ على نفسه في عدم الهابطة في المبادرة إلى القتل، ظهير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ البقرة: ١٧٩.

وكذا هو توبة من الله للمجتمع وعناية لهم، حيث يزيد به في أحرارهم واحداً بعد ما فسدوا واحداً، ويرمّم ماورد على أهل المقتول من الضرر المالي بالدية المسلّمة. (٤٠: ٥)

عبد الكريم الخطيب: أي أن صيام هذين الشهرين لأجل التوبة المنزلة على القاتل من الله، والرحمة به من أن يقتل نفسه أسفاً وندماً، إذ علم الله أنه لم يعد إلى القتل، فافتضت حكته تعالى أن يرحم هذا القاتل، ويجعل له من همه فرجاً، ومن ضيقه مخرجاً.

(٨٦٤: ٣)

مكارم الشيرازي: والعبارة الأخيرة من الآية الكريمة التي هي (تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ) قد تكون إشارة إلى أن وقوع الخطي يكون غالباً بسبب التَّاهُونِ وَقَلَّةِ الْحَذَرِ، وإن الخطأ إذا كان كبيراً كالقتل يجب التَّوْبَةُ عَنْهُ أَوْلاً وإرضاء أهل القتل، لكي تشمل القاتل أو الخاطئ بعد

حذف مضاف جاز، أي صاحب توبة من الله. (١: ٣٨١) نحوه التَّبَيُّضَاوِي (١: ٢٣٧)، وأَبُو حَيَّان (٣: ٣٢٦)، والسَّمِينِ الْحَلَبِي (٢: ٤١٥)، والشَّيرَازِي (١: ٣٢٣).

الْقَرطُبِي: نصب على المصدر، ومعناه رجوعاً. وإنما مسّت حاجة الخطي إلى التوبة، لأنه لم يستعزز، وكان من حقه أن يتحفّظ.

وقيل: أي فليات بالصَّيَامِ تخفيفاً من الله تعالى عليه بقبول الصَّوْمِ بدلاً عن الرِّقْبَةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧، أي خفف، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ المَزَل: ٢٠. (٥: ٣٢٨)

النَّيسَابُورِي: جذبة منه. (٥: ١٣٠) أَبُو الشَّعْوَد: نُصِبَ على أنه مفعول له، أي شرع لكم ذلك توبة، أي قبولاً لها، من تاب الله عليه، إذا قبل توبته، أو مصدر مؤكّد لفعل محذوف، أي تاب عليكم توبة.

وقيل: على أنه حال من الضمير الجورور في (عَلَيَّ) بحذف المضاف، أي فعلية صيام شهرين حال كونه ذا توبة. (٢: ١٧٩)

نحو المشهدي (٢: ٥٧٤)، والشوكاني (١: ٦٣٦)، والآكوسي (٥: ١١٤).

رشيد رضا: أي شرع الله لكم ما ذكر توبة منه عليكم، فهو يريد به أن يتوب عليكم لتتوبوا وتطهر نفوسكم من التَّاهُونِ وَقَلَّةِ التَّحَرِّيِ التي تفضي إلى قتل الخطأ. (٥: ٣٣٧)

نحو المِراغِي. (٥: ١٢٢)

ذلك التوبة الإلهية. (٣: ٣٣٩) يكن فيها ثلاثة شروط: خوف ألا تُقبل، ورجاء أن

تُقبل، وإدمان الطاعات. (القرطبي: ١٨: ١٩٨)

مُجاهد: يستغفرون ثم لا يعودون.

(الطبري: ٢٨: ١٦٨)

الصَّحَّاح: أن تحول عن الذنب، ثم لا تعود له أبدًا.

(الطبري: ٢٨: ١٦٨)

الحسن: إن التَّوْبَةَ أن يفيض الذنب الذي أحبه،

ويستغفر منه إذا ذكره. (الماوردي: ٦: ٤٥٥)

هي أن يكون العبد نادمًا على ماضى، مُجَمِّعًا على

أن لا يعود فيه. (الشَّريفي: ٤: ٣٣٢)

الْقَرْطُبي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان،

والإقلاع بالأبدان، وإظهار ترك العود بالجنان، ومهاجرة

سَيِّئِ الْإِخْوَانِ. (البغوي: ٥: ١٢٣)

قَتَادَةَ: هي الصادقة الناصحة. (الطبري: ٢٨: ١٦٨)

بِسْمَاك: أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياة

من الله تعالى أمام عينيك، وتبته ظرك.

(الشَّريفي: ٤: ٣٣٢)

السُّدِّي: لا تصح إلا بنصيحة النفس ونصيحة

المؤمنين، لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس

مثله. (الشَّريفي: ٤: ٣٣٢)

نحوه سَرِي السَّطِّي. (القرطبي: ١٨: ١٩٨)

الْكَلْبِي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك

بالبدن. (الشَّريفي: ٤: ٣٣٢)

الإمام الصادق عليه السلام: التوبة النصوح: أن يكون

باطن الرجل كظاهره وأفضل. (المشهدى: ١٠: ٥١٦)

الْقَوْرِي: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة،

٢- بقاء الدنيا الذين أعتقوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا...

التحريم: ٨

النبي صلى الله عليه وآله: قال معاذ بن جبل: يا رسول الله

ما التوبة النصوح؟

قال: أن يتوب التائب، ثم لا يرجع في ذنب، كما

لا يعود اللبن إلى الضرع. (الواحدى: ٤: ٣٢٢)

شهر بن حوشب: أن لا يعود ولو حُرَّ بالسيف

وأُحرق بالنار. (الشَّريفي: ٤: ٣٣٢)

ابن مسعود: التوبة النصوح: تُكفِّر كل سيئة، وهو

في القرآن. (الواحدى: ٤: ٣٢٢)

الرجل يذنب الذنب ثم لا يعود فيه.

(الطبري: ٢٨: ١٦٧)

ابن عباس: «توبة نصوحًا» خالصًا صادقًا من

قلوبكم، وهو الندم بالقلب، والاستغفار باللسان،

والإقلاع بالبدن والضمير، على أن لا يعود إليه أبدًا.

(٤٧٧)

أن لا يعود صاحبه لذلك الذنب الذي يتوب منه.

(الطبري: ٢٨: ١٦٧)

أنس بن مالك: هو أن يكون لصاحبها دمع

مسفوح، وقلب عن المعاصي جموح.

(القرطبي: ١٨: ١٩٨)

ابن المسيب: توبة تنصحن بها أنفسكم.

(البغوي: ٥: ١٢٣)

سعيد بن جبني: هي التوبة المقبولة، ولا تقبل مالم

الذنب فلا يذكره أبدًا، لأن من صحت توبته صار محبًا لله،
ومن أحب الله نسي ما دون الله. (القرطبي ١٨: ١٩٨)
الطبري: أرجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى
ما يرزقكم «توبة نصوحًا» رجوعًا لا تعودون فيها
أبدًا. (٢٨: ١٦٧)

الزجاج: وجاء في التفسير أن التوبة النصوح: التي
لا يماود القاتب معها المعصية، وقال بعضهم: التي
لا ينوي معها معاودة المعصية. (٥: ١٩٥)

زويم: هو أن تكون لله وجهًا بلاقنا، كما كنت له
عند المعصية قفا بلاوجه. (القرطبي ١٨: ١٩٨)

الشريف الرضي: وقرأ أبو بكر ابن عباس مفردًا
عن سائر القراء، عن عاصم (نصوحًا) بضم النون،
ومعناه: توبة تنصحن فيها نصوحًا، وهو مصدر
«نصح». ومن قرأ «نصوحًا» بفتح النون، فإنما أراد به
صفة التوبة، ومعناه: توبة مبالغة في النصح لأنفسكم،
و«فُعُول» من أساء الفاعلين يستعمل للمبالغة في
الوصف، يقال: رجل شكور وصبور، وسيف قطوع،
وجمل حوّل.

فإذا كان (نصوحًا) صفة للتوبة - والمراد به المبالغة
على ما قلنا - علمنا أن هناك توبة قد تقع على غير هذه
الصفة، ويشملها جميعًا اسم التوبة، حتى يصح أن
يوصف إحداهما بالمبالغة، وإلا لم يكن لزيادة هذه الصفة
معنى. (حقائق التأويل: ٢٧٧)

الماوردي: [ذكر خمسة من الأحوال المتقدمة
وأضاف:]

وهي على هذه التأويلات مأخوذة من النصيحة

والعلمة، والذلة، والقرية. (القرطبي ١٨: ١٩٨)

ابن زَيْد: التوبة النصوح: الصادقة، يعلم أنها
صدق ندامة على خطيئته، وحس الرجوع إلى طاعته،
فهذا النصوح. (الطبري ٢٨: ١٦٨)

الفضيل بن عياض: هو أن يكون الذنب بين
عينيه، فلا يزال كأنه ينظر إليه. (القرطبي ١٨: ١٩٨)
شقيق البلخي: هو أن يكثر صاحبها لنفسه
الملامة، ولا ينفك من الندامة، لينجو من آفات السلامة.

(القرطبي ١٨: ١٩٨)

الفراء: جعلوه من صفة التوبة، ومعناها: يحدث
نفسه إذا تاب من ذلك الذنب ألا يعود إليه أبدًا.

(٣: ١٦٨)

أبو زَيْد: توبة نصوح: صادقة، يقال: نصحته، أي
صدقته. (الواحدي ٤: ٣٢١)

ذو النون المصري: علامة التوبة النصوح ثلاث:
قلّة الكلام، وقلّة الطعام، وقلّة المنام.

(القرطبي ١٨: ١٩٨)

التوبة: إيمان البكاء على ماسلف من الذنوب
والخوف من الوقوع فيها، وهجران إخوان السوء،
وملازمة أهل الجنة. (البرزوي ١٠: ٦٢)

الثوري: هي التوبة لأهل التّنة والجماعة، لأنّ
المبتدع لا توبة له، بدليل قوله ﷺ: «حجب الله على كلّ
صاحب بدعة أن يتوب». (القرطبي ١٨: ١٩٩)

المبرود: أراد توبة دانصح، يقال: نصحت نصحًا
ونصاحَةً ونصوحًا. (القرطبي ١٨: ١٩٩)

الجنيد البغدادي: التوبة النصوح هو أن ينسى

مثلها لظهور أثرها في صاحبها، واستعماله المجدِّ والعزيمَة
في العمل على مقصديتها.

وقرأ زيد بن علي: (توباً نصوحاً). (٤: ١٢٩)
نحوه أبو الشَّوَد (٦: ٢٦٩)، والمشهدِي (١٠: ٥١٦)،
والتَّسَنِّي (٢: ٢٧١)، والتَّوَكَّانِي (٥: ٣١٠).

ابن عَطِيَّة: أمر عباده بالتَّوْبَة، والتَّوْبَة فرض على
كلِّ مسلم. وتاب معناه رجع؛ فتوبه العبد: رجوعه من
المعصية إلى الطَّاعَة، وتوبه الله تعالى على العبد: إظهار
صلاحه ونعمته عليه في الهداية إلى الطَّاعَة، وقبول توبه
الكفَّار يقطع بها على الله إجماعاً من الأُمَّة.

واختلف النَّاس في توبه الصَّاحِبِ؛ فجمهور أهل
السُّنَّة على أنَّه لا يقطع بقبولها ولا ذلك على الله بواجب،
والذَّكِيل على ذلك دعاء كلِّ واحد من المذنبين في قبول
التَّوْبَة. ولو كانت مقطوعاً بها لما كان معنى للدَّعَاء في
قبولها، وظواهر القرآن في ذلك هي كلّها بمعنى المشيئة.

وروي عن أبي الحسن الأشعري أنَّه قال: التَّوْبَة إذا
توفَّرت شروطها قطع على الله بقبولها، لأنَّه تعالى أخبر
بذلك.

وهذا المسلك [موافق] بظواهر القرآن، وعلى هذا
القول أطيقت المعترلة.

والتَّوْبَة: التَّدَمُّ على فارتدَّ المعصية، والعزم على ترك
مثلها في المستقبل، وهذا من المتصكَّن، وأما غير المتصكَّن
كالمجرب في الزَّنى فالتَّدَمُّ وحده يكفي.

والتَّوْبَة عبادة كالصَّلَاة ونحوها، فإذا تاب العبد
وحصلت توبته بشروطها وقبلت ثمَّ عاود الذَّنْب،
فتوبته الأولى لاتسدها عوده بل هي كسائر ما تحصل

وهي الخياطة، وفي أخذها منها وجهان:

أحدهما: لأنَّها توبه قد أحكمت طاعته وأوثقتها،
كما يحكم الخياط الثَّوب بخياطته وتوثيقه.

الثَّاني: لأنَّها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته
بهم، كما يجمع الخياط الثَّوب ويلصق بعضه ببعض.

(٤٥: ٦)

القشيري: التَّوْبَة النصوح: هي التي لا يعقبها نقصٌّ.
ويقال: هي التي لا تراها من نفسك، ولا ترى نجاتك
بها، وإنَّما تراها بربك.

ويقال: هي أن تجد المرارة في قلبك عند ذكر الزَّيْلَة،
كما كنت تجد الزَّحَاة لنفسك عند فعلها. (٦: ١٧٦)

الواحدِي: يعني ينصح صاحبها بترك العود إلى
ماتاب منه. (٤: ٣٢١)

نحوه الحازن. (٧: ١٠١)

الرَّمَعَشَرِي: وصفت التَّوْبَة بالنصح على الإسناد
الجازي. والنصح صفة الثَّابِتِينَ، وهو أن ينصحوا بالتَّوْبَة

أنفسهم، فيأتوا بها على طريقها، متداركة للغرطات
مأخية للثَّيِّبَات، وذلك أن يتوبوا عن القبايح لتبجها

نادمين عليها، مفتمين أشدَّ الاغتمام لارتكابها، عازمين
على أنَّهم لا يعودون في قبيح من القبايح إلى أن يعود

اللَّيْن في الضَّرْع، موطنين أنفسهم على ذلك. [ثمَّ نقل
أقوال المفسرين وقال:]

وقيل: (نصوحاً) من ناصحة الثَّوب، أي توبه تَزْفُو
خُرُوقك في دينك وترمَّ خسلتك. وقيل: خالصة من

قوهم: غسل ناصح، إذا خلص من السَّعَم.
ويجوز أن يراد: توبه تنصح النَّاس، أي تدعوهم إلى

من العبادات.

(٣٣٣: ٥)

الطَّبْرَسِي: أي خالصة لوجه الله. [ثم نقل بعض
ماتقدم من أقوال المفسرين] (٣١٨: ٥)

الفَخْرُ الرَّازِي: أي توبة بالغة في التصح. (٤٧: ٣٠)
الْقُرْطُبِيُّ: أمر بالتوبة، وهي فرض على الأعيان
في كل الأحوال وكل الأزمان. [إلى أن قال:]

اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة
التصح على ثلاثة وعشرين قولاً، فعيل: هي التي
لاعودة بعدها كما لايمحو اللبّن إلى الصّرع. [ثم نقل
أقوال المفسرين وقال:]

وقال أبو بكر الورّاق: هو أن تضيق عليك الأرض بما
رحبت، وتضيق عليك نفسك، كالثلاثة الذين خُلفوا.

وقال أبو بكر الواسطي: هي توبة لا تفقد جوض،
لأنّ من أذنب في الدنيا لرغابته نفسه ثم تاب طلباً
لرغابته في الآخرة، فتوبته على حفظ نفسه لا لله.

وقال أبو بكر الدّقّاق المصري: التوبة التصح هي
ردّ المظالم واستحلال الخصوم، وإدمان الطّاعات. [إلى أن
قال:]

وقال فتح الموصلي: علامتها ثلاث: مخالفة الهوى،
وكثرة البكاء، ومكابدة الجوع والظّمأ.

وأصل التوبة التصح: من الخلوص، يقال: هذا
عسل ناصح، إذا خلص من الشّع. وقيل: هي مأخوذة
من «التصاحّة» وهي الخياطة، وفي أخذها منها وجهان:
[ثم ذكر نحو ماتقدم عن الماوردّي وأضاف:]

وفي الأشياء التي يُتاب منها وكيف التوبة منها قال
العلماء: الذّنب الذي تكون منه التوبة لا يحلّو: إمّا أن

يكون حقّاً له أو للآدميين، فإن كان حقّاً له كترك صلاة
فإنّ التوبة لاتصحّ منه حتّى ينضمّ إلى التّدبّ قضاء ما فات
منها. وهكذا إن كان ترك صوم أو تحريطاً في الزّكاة.

وإن كان ذلك قتل نفس بغير حقّ فإنّ يمكن من
القصاص إن كان عليه وكان مطلوباً به. وإن كان قدقاً
يوجب الحدّ فيبذل ظهره للجلد إن كان مطلوباً به.

فإن عني عنه، كفاء التّدبّ والعزم على ترك العود
بالإخلاص. وكذلك إن عني عنه بالقتل بال، فعليه أن
يؤدّيه إن كان واجداً له، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَنِ نَفْسِهِ
مِنْ أَجْبِهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالسُّعُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾
البقرة: ١٧٨.

وإن كان ذلك حدّاً من حدود الله - كأننا ما كان - فإنّه
إذا تاب إلى الله تعالى بالتّدبّ الصحيح سقط عنه، وقد
نصّ الله تعالى على سقوط الحدّ عن المهاربين إذا تابوا قبل
القدرة عليهم. وفي ذلك دليل على أنّها لاتسقط عنهم
إذا تابوا بعد القدرة عليهم، حسب ماتقدم بيانه.

وكذلك الشّرّاب والشّرّاق والزّناة إذا أصلحوا
وتابوا وعُرف ذلك منهم، ثمّ رُفِعوا إلى الإمام، فلا ينبغي
له أن يُحدّهم. وإنّ رُفِعوا إليه فقالوا: تُبْنَا، لم يتركوا، وهم
في هذه الحالة المهاربين إذا علّوا. هذا مذهب الشّافعي.
فإن كان الذّنب من مظالم العباد، فلاتصحّ التوبة منه
إلّا برّده إلى صاحبه، والمخروج عنه - حيثما كان أو غيره -
إن كان قادراً عليه. فإن لم يكن قادراً، فالعزم أن يؤدّيه
إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه.

وإن كان أضمرّ بواحد من المسلمين، وذلك الواحد
لا يشعّره أولاً يدري من أين أتى، فإنّه يزيل ذلك

أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِثْلَ مَرَّةٍ» . (٤: ٣٣٢)

نَحْوُ الْمَرَاغِي . (٢٨: ١٦٤)

الْبُرُوسِيُّ : [حكى بعض الأقوال المتقدمة وقال:]

قال الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف قُدَّسَ سرُّه :

طالب عباده بالتوبة ، وهو الرجوع إليه من حيث ذهبوا

عنه . والتسويح في التوبة : الصدق فيها وترك ما منه تاب

سرًّا وعلنًا ، وقولًا وفكرًا .

وقال القاساني رحمه الله : مراتب التوبة كمراتب

التقوى ، فكما أن أول مراتب التقوى هو الاجتناب عن

المنهيات الشرعية . وآخرها الاتقاء عن الأساينة

والبقية^(١) . فكذا التوبة أولها الرجوع عن المعاصي ،

وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذي هو من أُنْهَاتِ

الكبائر عند أهل التحقيق .

وفي «التأويلات النجسية» : يشير إلى المؤمنين الذين

لم تترسَّخ أقدامهم في أرض الإيمان ترسَّخ أقدام الكُفَل ،

ومعهم على التوبة إلى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها ،

والإقبال على الله وطاعته توبة بحيث تفرغ جميع خروق

وقعت في ثوب دينه ، بسبب استيفاء اللذات الجسدية ،

واستقصاء الشهوات الحيوانية .

ويقال : توبة العوام عن الزلات ، والخواص عن

الغفلات ، والأخص عن رؤية الحسنات . (١٠: ٦٢)

الألوسي : [ذكر كما تقدَّم عن الزَّعْتَرِيِّ وأضاف:]

الكلام في التوبة كثير ، وحيث كانت أهم الأوسر

الإسلامية وأول المقامات الإيمانية ومبدأ طريق

السالكين ومفتاح باب الواصلين ، لا بأس في ذكر شيء

الضرر عنه ، ثم يسأله أن يغفر عنه ويستغفر له ، فإذا عفا

عنه فقد سقط الذنب عنه . وإن أرسل من يسأل ذلك له ،

فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه - عرفه بعينه أو لم يعرفه -

فذلك صحيح .

وإن أساء رجل إلى رجل بأن فرَّعه بغير حق ،

أوغَّته أو لطمه ، أو صفعه بغير حق ، أو ضرب به بسوط

فأله ، ثم جاءه مستغنياً نادماً على ما كان منه ، عازماً على

أن لا يعود ، فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفا

عنه ، سقط عنه ذلك الذنب وهكذا إن كان شأنه بشت

لاحد فيه . (١٨: ١٩٧ - ٢٠٠)

نحوه أبوحيان . (٨: ٢٩٣)

الشَّربِينِيُّ : قال الفقهاء : التوبة آتية لاتعلّق لحق

آدمي فيها لها ثلاثة شروط : أحدها : أن يقطع عن

المعصية ، وثانيها : أن يندم على ما فعله ، وثالثها : أن يعزم

على أن لا يعود إليها . فإذا اجتمعت هذه الشروط في

التوبة كانت نصوحاً ، وإن قد شرط منها لم تصح توبته .

وإن كانت تتعلق بآدمي ، فشرطها أربعة ، هذه

الثلاثة المتقدمة ، والرابع : أن يبرأ من حق صاحبها ، فإن

كانت المعصية مالا ونحوه ردّه إلى مالكه ، وإن كانت حدّ

قذف ونحوه مكَّنه من نفسه أو طلب العفو منه ، وإن كانت

غيبية استعمله منها .

قال العلماء : التوبة واجبة من كل معصية ، كبيرة أو

صغيرة على الفور ، ولا يجوز تأخيرها ، وتجب من جميع

الذنوب . وإن تاب من بعضها صحَّت توبته عما تاب منه ،

وبقي عليه الذي لم يتب منه . هذا مذهب أهل السنة

والجماعة ، وقد قال ﷺ : «يَأْتِيهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي

مما يمتلئ بها، فنقول:

على الترك، وبذلك يشعر كلام إمام الحرمين حيث قال: إنَّ العزم على ترك المعادة إنما يقارن التوبة في بعض الأحوال ولا يطرد في كلِّ حال، إذ العزم إنما يصحَّ ممَّن يتمكن من مثل ماقدّمه، ولا يصحَّ من المجهوب العزم على ترك الزَّنى، ومن الأخرس العزم على ترك القذف.

وقال بعض الأجلَّة: التحقيق أنَّ ذكر العزم إنما هو للبيان والتقرير لا للتقييد والاحتراز؛ إذ التَّأدُّم على المعصية لقبها لا يخلو من ذلك العزم ألبتة على تقدير الخطور والاعتذار، وعلامة التَّدْم طول الحسرة والخوف وانسكاب الدَّمع. ومن الغريب ما قيل: إنَّ علامة صدق التَّدْم عن ذنب كالزَّنى: أن لا يرى في المنام أنَّه يفعلُه اختصاراً؛ إذ يشعر بذلك ببقاء حبِّه إيَّاه وعدم انقلاع أصوله من قبله بالكليَّة، وهو يناه في صدق التَّدْم.

وقال المعتزلة: يكفي في التوبة أن يعتقد أنَّه أساء وأَنَّهُ لو أمكنه ردُّ تلك المعصية لردّها، ولا حاجة إلى الأسف والحزن لإخضائه إلى التَّكليف بما لا يطاق.

وقال الإمام التَّووي: التوبة ما استجمعت ثلاثة أمور: أن يقطع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم مرزماً جازماً على أن لا يعود إلى مثلها أبداً، فإن كانت تتعلَّق بأدَميِّ لزم ردُّ الظَّلامة إلى صاحبها أو وارثه أو تحصيل البراءة منه، وركنها الأعظم التَّدْم.

وفي «شرح المقاصد» قالوا: إن كانت المعصية في خالص حقِّ الله تعالى فقد يكفي التَّدْم، كما في ارتكاب الفرار من الزَّحف وترك الأمر بالمعروف، وقد تقتصر إلى أمر زائد كتسليم النفس للحدِّ في الشُّرب وتسليم ماوجب في ترك الزَّكَاة، ومثله في ترك الصَّلَاة.

هي لغة الرُّجوع، وشرعاً وصفاً لنا على ما قال السَّعد: التَّدْم على المعصية لكونها معصية، لأنَّ التَّدْم عليها بإضرارها بالبدن أو إخلالها بالمرض أو المال مثلاً لا يكون توبة، وأمَّا التَّدْم لخوف النَّار أو اللطم في الحنَّة ففي كونه توبة تردّد، ومبناه على أنَّ ذلك هل يكون ندماً عليها لقبها ولكونها معصية أم لا؟ وكذا التَّدْم عليها لقبها مع غرض آخر.

والحقُّ أنَّ جهة القبح إن كانت بحيث لو انفردت لتحقِّق التَّدْم فتوبة، وإلا فلا، كما إذا كان المرض مجموع الأمرين لا كلِّ واحد منهما، وكذا في التوبة عند مرض مخوف بناء على أنَّ ذلك التَّدْم هل يكون لقب المعصية بل للخوف، وظاهر الأغنياء قبول التوبة ما لم تظهر علامات الموت، ويتحقَّق أمره عادة.

ومعنى التَّدْم تحزُّن وتوجُّع على أن فعل وتفقَّ كونه لم يفعل، ولا بدَّ من هذا للقطع بأنَّ مجرَّد التَّرك كالماجن إذا ملَّ مجونه فاستروح إلى بعض المباحات، ليس بتوبة، ولقوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «التَّدْم توبة» وقد يزداد قيد العزم على ترك المعادة.

واعترض بأنَّ فعل المعصية في المستقبل قد لا يخطر بالبال لذهول أو جنون أو نحوه، وقد لا يقدر عليه لعارض أفة كخرس في القذف مثلاً أو جُبَّ في الزَّنى، فلا يتصوَّر العزم على التَّرك لما فيه من الإشمار بالقدرة والاختيار.

وأجيب: بأنَّ المراد العزم على التَّرك على تقدير الخطور والاعتذار، حتَّى لو سلب القدرة لم يشترط العزم

وفي «شرح الجوهر» أن التساهي على الذنب بتأخير التوبة منه معصية واحدة مالم يعتد معاودته، وصرحت المعتزلة بأنها واجبة على الفور حتى يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر تجب التوبة عنه، وساعتين إثمًا وهلم جرا. بل ذكروا أن تأخير التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة يكون له كبيرتان: المعصية، وترك التوبة، وساعتين أربع: الأوليان، وترك التوبة على كل منهما، وثلاث ساعات ثمان وهكذا، وتصح عن ذنب دون ذنب لتحقق التدم والعزم على عدم العود. وخالف أبوهاشم محتجًا بأن التدم على المعصية يجب أن يكون لقبها وهو شامل لها كلها، فلا يتحقق التدم على قبيح مع الإصرار على آخر.

وأجيب بأن الشامل للكل هو القبح لا خصوص قبح تلك المعصية، وهذا الخلاف في غير الكافر إذا أسلم وتاب من كفره مع استدامته بعض المعاصي، أما هو فتوبته صحيحة وإسلامه كذلك بالإجماع، ولا يعاقب إلا عقوبة تلك المعصية.

نعم اختلف في أن مجرد إيمانه هل يعد توبة أم لا بد من التدم على سالف كفره؟ فتد الجمهور مجرد إيمانه توبة. وقال الإمام والقرطبي: لا بد من التدم على سالف الكفر، وعدم اشتراط العمل الصالح يجمع عليه عند الأئمة، خلافاً لابن حزم، وكذا تصح التوبة عن المعاصي إجمالاً من غير تعيين المتوب عنه ولو لم يشق عليه تعيينه. وخالف بعض المالكية فقال: إنما تصح إجمالاً مما علم إجمالاً، وأما ما علم تفصيلاً فلا بد من التوبة منه تفصيلاً. ولانتنقض التوبة الشرعية بالعود فلا تعود عليه ذنوبه

وإن تملكت بحق العباد لزم مع التدم، والعزم إيصال حق العبد أو بدله إليه إن كان الذنب ظاهراً كما في النصب والقتل العمد، ولزم إرشاده إن كان الذنب إضلالاً له، والاعتذار إليه إن كان إيذاءً كما في الغيبة إذا بلغت، ولا يلزم تفصيل ما غتابه به إلا إذا بلغه على وجه أفضح.

والتحقيق أن هذا الزائد واجب آخر خارج عن التوبة - على ما قاله إمام الحرمين - من أن القاتل إذا ندم من غير تسليم نفسه للقصاص صحّت توبته في حق الله تعالى، وكان منه القصاص من مستحقه معصية متجددة تستدعي توبة، ولا يقدح في التوبة عن القتل، ثم قال: وربما لاتصح التوبة بدون الخروج من حق العبد كما في النصب، ففرق بين القتل والنصب، ووجهه لا يخفى على المتأمل.

ولم يختلف أهل السنة وغيرهم في وجوب التوبة على أرباب الكبار، واختلف في الدليل، فمدنا السمع كهذه الآية وغيرها، وحمل الأمر فيها على الرخصة والإيذان بقولها ودفع القنوط - كما جوزه الآمدي احتمالاً - وبني عليه عدم الإثابة عليها - مما لا يكاد يقبل. وعند المعتزلة العقل.

وأوجب المجهمية التوبة عن الصفات سمّاً لا عقلاً، وأهل السنة على ذلك. ومقتضى كلام النووي، والمازري، وغيرها وجوبها حال التلبس بالمعصية، وعبارة المازري: «اتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور، ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة».

وجب التجديد اتفاقاً. وظاهر كلامهم أن المعاودة غير مبطلّة ولو كانت في مجلس التوبة بل ولو تكرّرت تكراراً يلتحق بالتلاعب، وفي هذا الأخير نظر. فقد قال القاضي عياض: «إنّ الواقع في حقّ الله تعالى بما هو كفر تنفخ توبته مع شديد العقاب، ليكون ذلك زجرًا له ولئله، إلّا من تكرّر ذلك منه وعرف استناته بما أتى به، فهو دليل على سوء طوبته وكذب توبته».

وينبغي عليه أن يقيّد ذلك بأن لا تكثر كثرة تُشعر بالاستناته وتدخل صاحبها في دائرة الجنون.

واختلف في صفة التوبة الموقّعة بالإصرار، كأن لا يلبس الذنوب أو ذنب كذا سنة، فقيل: تصحّ، وقيل: لا. وفي «شرح الجوهرة» قياس صحتها من بعض الذنوب دون بعض صحتها فيما ذكر.

ثم إنّ للتوبة مراتب من أعلاها ما روي عن يعسوب المؤمنين كرم الله تعالى وجهه أنّه سمع أرباباً يقولون: اللهمّ إنّي استغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذّابين، فقال الأعرابي: وما التوبة؟ قال كرم الله تعالى وجهه: «يعمها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب التدامة، وللغرائض الإعادة، وردّ المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تمرد، وأن تُذيب نفسك في طاعة الله كما ربّيتها في المعصية، وأن تُذيبها مرارة الطاعة كما أدققتها حلالة المعاصي».

وأريد بإعادة الغرائض: أن يقضي منها ما وقع في زمان معصيته كشارب الخمر يعيد صلاته قبل التوبة لخمارته للتجاسة غالباً، وهذه توبة نحو الخواصّ،

التي تاب منها بل العود والتقصّ معصية أخرى يجب عليه أن يتوب منها.

وقالت المعتزلة: من شروط صحتها أن لا يعاود الذنب، فإن عاوده انتقضت توبته وعادت ذنوبه، لأنّ التّدّم المعتبر فيها لا يتحقّق إلّا بالاستمرار، ووافقه القاضي أبوبكر. والجمهور على أنّ استدامة التّدّم غير واجبة بل الشرط أن لا يطرأ عليه ما ينافيه ويدفعه، لأنّه حينئذ دائم حكماً كالإيمان حال التّوم، ويلزم من اشتراط الاستدامة مزيد المخرج والمشفقة، وقال الأمدّي: يلزم أيضاً اختلال الصلوات وسائر العبادات، ويلزم أيضاً أن لا يكون بتقدير عدم استدامة التّدّم وتذكّره تائباً، وأن يجب عليه إعادة التوبة وهو خلاف الإجماع.

نعم اختلف العلماء فيمن تُذكر المعصية بعد التوبة منها، هل يجب عليه أن يحدّد التّدّم؟ وإليه ذهب القاضي منّا، وأبو عليّ من المعتزلة زعموا أنّها أنّه لو لم يندم كلّما ذكرها لكان مشتتاً لها فرحاً بها، وذلك إبطال للتّدّم ورجوع إلى الإصرار، والجواب المنع إذ ربّما يضرب عنها صفحاً من غير ندم عليها ولا استناته لها وإبتهاج بها. ولو كان الأمر كما ذكر للزم أن لا تكون التوبة السابقة صحيحة. وقد قال القاضي نفسه: «إنّه إذا لم يُحدّد ندمًا كان ذلك معصية جديدة يجب التّدّم عليها، والتوبة الأولى مضت على صحتها، إذ العبادة الماضية لا ينقضها شيء بعد ثبوتها».

وبعد وجوب التجديد عند ذكر المعصية صرح إمام الحرمين، ومبهم من كلامهم أنّ عمل الخلاف إذا لم يتهيج عند ذكر الذنب به ويفرح ويثبّذ بذكره أو سماعه، وإلّا

هدف آخر كالحوف من الآثام الإجتماعية والآثار
الدنيوية للذنوب ، وأخيراً التوبة التي يفارق بها الإنسان
الذنب ، ويتركه إلى الأبد.

ومن المعلوم أن حقيقة التوبة إنما هي التدم على
الذنب ، وشرطها التصميم على الترك في المستقبل ، وأما
إذا كان العمل قابلاً لأن يجبر ويعوض فلا بد من الجبران
والتعويض ، والتعير به ﴿يَكْفُرْ عَنْكُمْ﴾ التَّحْرِيم : ٨ ،
إشارة إلى هذا المعنى.

وبناءً على هذا يمكننا تلخيص أركان التوبة بخمسة
أمر : ترك الذنب ، التدم ، التصميم على الاجتناب في
المستقبل ، جبران ماضى ، الاستغفار .

«نُصُوح» من مادة «نصح» بمعنى طلب الخير
بإخلاص ، ولذلك يقال للعسل الخالص بأنه «ناصح»
والذي يطلب الخير حقاً يجب أن يقرن طلبه بالعمى على
التَّرك ، و«التوبة» تستلطن كلا المعنيين.

وأما حول المعنى الحقيقي للتوبة النصوح فقد وردت
تفسيرات مختلفة ومتعددة حتى قال البعض : إنها بلغت
(٢٣) تفسيراً . غير أن جميع هذه التفسيرات تجتمع على
محور واحد ، هو حقيقة التوبة وفروعها ، والأمر المتعلقة
بها ، وشرائطها المختلفة.

من هذه التفسيرات القول : بأن التوبة النصوح يجب أن
تتوفر فيها أربعة شروط : التدم الداخلي ، الاستغفار
باللسان ، ترك الذنب ، والتصميم على الاجتناب في
المستقبل.

وقال البعض الآخر : بأنها - أي التوبة النصوح -
ذات شروط ثلاثة : الحوف من أنها لا تقبل ، والاستمرار

فلاستند في هذا الأمر لابن حزم وأخبراه ، كما لا يخفى .
(٢٨ : ١٥٨ - ١٦٠)

القاسمي : أي توبة تُرَقع الخروق ، وتُرتق الفتوق ،
وتصلح الفاسد ، وتسدّ الخلل ، من «النصح» بمعنى
الخطابة . أو توبة خالصة عن شوب الميل إلى الحال الذي
تاب عنه ، والنظر إليه بعدم الالتفات ، وقطع النظر عنه .
(١٦ : ٥٨٦٨)

هذه ذرورة : التوبة التي ينصح الإنسان بها نفسه
أي ينقدها ، وهي التوبة التي يتدم بها صاحبها عما فرط
منه ، ويعتزم على عدم العودة . (١٠ : ١٥٠)

الطَّيِّبَاتِي : التوبة النصوح : ما يصرف صاحبه
عن العود إلى المحبة ، أو ما يخلص العبد للرجوع عن
الذنب فلا يرجع إلى ما تاب منه . (١٩ : ٣٣٥)

عبد الكريم الططيب : والتوبة النصوح : هي
التوبة الصادرة عن قلب مُعَمَّم بالتدم ، وعن ضمير مثقل
بما خالطه من إثم ، ومن وراء ذلك عزيمة صادقة ونية
منعقدة على عدم العودة ، لما كان منه التوبة.

(١٤ : ١٠٣٣)

فضل الله : وهي التوبة الحقيقية التي تتحرك من
التدم العميق على ما أسلفتموه من عمل لا يرضي الله ،
ومن العزم الأكيد على عدم العودة إليه في المستقبل ،
والتخطيط للسير في الخط المستقيم في طاعة الله .

(٢٢ : ٣٢٢)

مكارم الشيرازي : نعم إنَّ أوَّلَ خطوة على طريق
النَّجاة هي التوبة والإقلاع عن الذنب ، التوبة التي يكون
هدفها رضا الله والخوف منه ، التوبة المنالصة من أي

بقوله: ﴿عَسَىٰ وَأَلَّيْنِ أَنْ يَكُونُوا عَنْكُمْ شَيْئًا يُبْغِضُكُمْ وَيُذِلُّكُمْ﴾^(١) جَنَابٌ قَهْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْإِنْتِهَاءُ يَوْمَ لَا يُخْصِرِي اللَّهُ النَّاسَ وَالَّذِينَ أَفْسَدُوا مَسْجِدَهُمْ يُؤْمَرُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَيَأْتِيَانِيهِمْ.

وهنا يتوجهون إلى الله بطلب العفو: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتَ نَزَّزْتَ نُورَنَا وَغَفِرْتَ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) التحريم: ٨

والثبوت التصحيح لها في الحقيقة خمس ثمرات مهمة:

الأولى: غفران الذنوب والسيئات.

الثانية: دخول الجنة المملوءة بنعم الله.

الثالثة: عدم الفضيحة في ذلك اليوم المصيب الذي ترتفع فيه المحب وتظهر فيه حقائق الأشياء. وبذلك ويفضح الكاذبون العجّار. نعم في ذلك اليوم سيكون للرسول ﷺ المؤمنون شأن عظيم، لأنهم لم ولن يقولوا إلا ما هو واقع.

الرابعة: أن نور إيمانهم وعملهم يتحرك بين أيديهم، فيضيء طريقهم إلى الجنة. واعتبر بعض المفتين أن الثور الذي يتحرك أمامهم إنما هو نور العمل، وكان لنا تفسير آخر أوردناه في ذيل الآية (١٢) من سورة الحديد.

الخامس: يتجهون إلى البارئ أكثر من ذي قبل، ويرجون تكميل نورهم، والغفران الكامل لذنوبهم. [أن قال:]

الثبوت باب إلى رحمة الله.

كثيراً ما تهجم على الإنسان الشكوك والذنوب،

على طاعة الله^(١). أو أن الثبوت التصحيح: هو أن تكون الذنوب دائماً أمام أعين أصحابها، ليشر الإنسان بالحجل منها.

أو أنها تعني إرجاع المظالم والمقوق إلى أصحابها، وطلب التحليل، وبراءة الذمة من المظلومين، والمداومة على طاعة الله.

أو هي التي تشتمل على أمور ثلاثة: قلة الأكل، قلة القول، قلة النوم.

أو الثبوت التصحيح: هي التي يرافقها بكاء العين، واشتزاز القلب من الذنوب، وما إلى ذلك من فروع الثبوت الواقعية، وهي الثبوت الخاصة الثابتة الكاملة.

جاء في حديث عن رسول الله ﷺ عندما سأله معاذ بن جبل عن «الثبوت التصحيح» أجابه قائلاً: أن يتوب التائب ثم لا يرجع في الذنب، كما لا يعود اللب إلى الضرع.

وهذا التعبير اللطيف يتضح أن «الثبوت» يجب أن تُحدث انقلاباً في داخل النفس الإنسانية، وتسد عليها أي طريق للعودة إلى الذنب، وتجعل من الرجوع أمراً مستحيلاً، كما يستحيل إرجاع اللبن إلى الضرع والتدي.

وقد جاء هذا المعنى في روايات أخرى، وكلها توضح الدرجة العالية للثبوت التصحيح، فإن الرجوع ممكن في المراتب الدنيا من الثبوت التصحيح، وتتكسر الثبوت حتى يصل الإنسان إلى المرحلة التي لا يعود بعدها إلى الذنب.

ثم يشير القرآن الكريم إلى آثار الثبوت الصادقة

الزمر.

التَّوْبَةُ

٢٠١- اِنْسَا التَّوْبَةَ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ السَّوَةَ
بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَقْتُلُونَ النَّسَائِ حَتَّى إِذَا خَضَعُوا أَعْنَاقَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ ابْنِي
تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يُؤْتُونَ وَهُمْ كَفَّارًا... النساء: ١٨، ١٧

الطَّبْرِي: ما التوبة على الله لأحد من خلقه إلا
للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ
قَرِيبٍ﴾، يقول: ما الله براجع لأحد من خلقه، إلى ما يجهل
من الموعود عنه، والصفح عن ذنوبه التي سلفت عنه، إلا
للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم، بجهالة منهم، وهم
بربهم مؤمنون، ثم يرجعون طاعة الله ويتوبون منه، إلى
ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار، وترك العود
إلى مثله، من قبل نزول الموت بهم، وذلك هو القريب
الذي ذكره الله تعالى ذكره، فقال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ
قَرِيبٍ﴾. (٤ : ٢٩٨)

الطُّوسِي: التوبة هي الندم على القبيح مع العزم
على ألا يعود إلى مثله في القبيح، وفي الناس من قال:
يكني الندم على ماضى من القبيح، والعزم على ألا يعود
إلى مثله.

والأول أقوى، لإجماع الأمة على أنها إذا حصلت
على ذلك الوجه أسقطت العقاب، وإذا حصلت على
الوجه الثاني ففي سقوط العقاب عنها خلاف، وقد ذكر
الله تعالى في هذه الآية أن التوبة إنما يقبلها من يعمل

خاصة في بدايات توجهه إلى الله، وإذا أغلقت جميع
أبواب العودة والرجوع عن هذه الذنوب بوجهه، فإنه
يسبق في نهجه هذا إلى الأبد، ولهذا نجد الإسلام قد فتح
باباً للعودة وسماه التوبة، ودعا جميع المذنبين
والمقصرين إلى دخول هذا الباب لتعرض وجيران
الماضي.

يقول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في مناجاة
التائبين:

إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سميت به
التوبة، فقلت: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ التحريم: ٨،
فا عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه!!
وقد شددت الروايات على أهمية التوبة إلى الحد
الذي نقرأ في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «إِنَّ
الله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته
وزاده في ليلة ظلماء فوجدها».

كل هذه الروايات الطيبة تحث وتؤكد على هذا
الأمر الحياتي المهم. لكن ينبغي التأكيد على أن «التوبة»
ليست مجرد لقلعة لسان، وتكرار قول «استغفر الله» وإنما
للتوبة شروطاً وأركاناً، مرّت الإشارة إليها في تفسير
التوبة النصوح، في الآيات السابقة. وكلّما حصلت التوبة
بتلك الشروط والأركان فاتها ستوفي غمارها وتُغْفَى آثار
الذنب في قلب الإنسان روحه تماماً، ولذا ورد في الحديث
عن الإمام الباقر (عليه السلام): «التائب من الذنب كمن لا ذنب
له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزء».

وقد وردت بحوث أخرى عن التوبة في ذيل الآية
(١٧) من سورة النساء، وفي ذيل الآية (٥٣) من سورة

السوء بجهالة [إلى أن قال:]

التي وعد الله بإسقاط العقاب عندها قطعاً متى حصلت في هذا الوقت لا يسقط العقاب، ولا يمنع ذلك من أن يفضل الله بإسقاط العقاب ابتداءً بلا توبة، كما لو خرج من دار الدنيا من غير توبة أصلاً، لم يمنع ذلك من جواز العفو عنه، فليس في الآية ما ينافي القول بجواز العفو من غير توبة.

وقال جميع المفسرين، كابن عباس، وابن عمر، وإبراهيم، وابن زيد، وغيرهم: إن الذين يحضرون لا تقبل لهم توبة، غير أن الذين يحضرون الميت لا يعرفون تلك الحال معرفة يمكن بها الإشارة إليها.

فإن قيل: فلم لم تقبل التوبة في الآخرة؟ قيل: لرفع التكليف وحصول الإلجاء إلى فعل الحسن دون القبيح، والملجأ لا يستحق بفعله ثواباً ولا عقاباً، لأنه يجري مجرى الجبري الاضطرار.

وحكى الثماني عن قوم أنهم قالوا: بتكليف أهل الآخرة، وأن التوبة إنما لم يجب قبولها، لأن صاحبها هناك في مثل حال المتوعد بها، لا لخلص فيها. وهذا خطأ، لأن الله تعالى يعلم أسرارهم كما يعلم إعلاناتهم. (٣: ١٤٥) **الْمُخْفِي**؛ (التوبة) من تاب الله عليه، إذا قبل توبته وغفر له، يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء. [إلى أن قال:]

فإن قلت: مامعنى (من) في قوله: من قريب؟ قلت: معناه التبعيض، أي يتوبون ببعض زمان قريب، كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زماناً قريباً، ففي أي جزء تاب من أجزاء الزمان فهو تائب من قريب، وإلا فهو تائب من بعيد.

وظاهر الآية يدل على أن الله يقبل التوبة من جميع المعاصي كفراً كان أو قتلاً أو غيرهما من المعاصي، ويقر به أيضاً قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ إلى قوله: **إِلَّا** من تاب. الفرقان: ٦٨ - ٧٠، فاستثنى من القتل كما استثنى من الزنى والشرك. وحكي عن الحسن أنه قال: لا يقبل الله توبة القاتل.

وروي أنه إنما قال ذلك لرجل كان عزم على قتل رجل، على أن يتوب فيما بعد، فأراد صدّه عن ذلك. وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿فَمَنْ يَتُوبُ مِنْ قُرْبٍ﴾ معناه أن الله يقبل توبتهم إذا تابوا وأنابوا، وقوله: ﴿مِنْ قُرْبٍ﴾ حث على أن التوبة يجب أن تكون عقيب المعصية، خوفاً من الاخترام، وليس المراد بذلك أنها لو تأخرت لما قبلت. [إلى أن قال:]

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يقبل التوبة من الذي يعمل المعاصي حتى إذا حضره الموت، قال: ﴿إِنِّي تَيْتُ الآنَ﴾. وأجمع أهل التأويل على أن الآية تناولت عصاة أهل الصلاة، إلا ما حكي عن الربيع أنه قال: إنها في المنافقين. وهذا غلط لأن المنافقين كفار، وقد بين الله الكفار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

وقال الربيع أيضاً: إن الآية منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨، وهذا خطأ، لأن النسخ لا يدخل في الخبر الذي يجري هذا المجرى.

ومن جواز العفو بلا توبة يمكنه أن يقول: إن التوبة

الفعل في بدن أو ملك فليس بتوبة، فإن كان ذلك الفعل مما يمكن هذا التادم ضله في المستأنف فمن شروط التوبة العزم على ترك ذلك الفعل في المستأنف، وإلا فتم إصرار لالتوبة معه، وإن كان ذلك الفعل لا يمكنه، مثل أن يتوب من الزنى فيجب بأثر ذلك ونحو ذلك، فهذا لا يحتاج إلى شرط العزم على الترك.

والتوبة فرض على المؤمنين بإجماع الأمة، والإجماع هي القرينة التي محل بها قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ التور: ٣١، على الوجوب.

وتصح التوبة من ذنب من الإقامة على غيره من غير نوعه، خلافاً للمعتزلة في قولهم: لا يكون تائباً من أقام على ذنب، وتصح التوبة وإن نقضها التائب في ثاني حال بمعاودة الذنب، فإن التوبة الأولى طاعة قد انقضت وصحت، وهو محتاج بعد موافقة الذنب إلى توبة أخرى مستأنفة. والإيمان للكافر ليس نفس توبته، وإنما توبته ندمه على سالف كفره.

وقوله تعالى: (عَلَى اللَّهِ) فيه حذف مضاف، تقديره: على فضل الله ورحمته لمياده. وهذا نحو قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سكت قليلاً، ثم قال: يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يدخلهم الجنة». فهذا كله إنما معناه: ما حققهم على فضل الله ورحمته.

والعقيدة: أنه لا يجب على الله تعالى شيء عقلاً، لكن إخباره تعالى عن أشياء أوجبها على نفسه يقتضي

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ؟﴾

قلت: قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ إعلام بوجودها عليه، كما يجب على العبد بعض الطاعات، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عِدَّةُ بَاقٍ بما وجب عليه، وإعلام بأن النفران كانا لامحالة، كما يمد العبد الوفاء بالواجب، ﴿وَلَا الَّذِينَ يُؤُوتُونَ﴾ عطف على ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشُّيَاطِئَ﴾ سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لالتوبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة، فكما أن الماتت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين، فكذلك المسوف إلى حضرة الموت، لمجاوزة كل واحد منها أوان التكليف والاختيار. (٥١٢: ١) نحوه الشَّارِطِيُّ (٥: ٩٠)، والشَّارِطِيُّ (٢٨١: ١)، والتَّسَنُّي (١: ٢١٤).

ابن عَطِيَّة: (إِنَّمَا) حاصرة، وهو مقصد المتكلم بها أبداً، فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ النساء: ١٧١، وقد تصادف من المعنى ما لا يقتضي العقل فيه الحصر، كقوله: إِنَّمَا الشَّجَاعُ عِنْقَةٌ، فيبقى الحصر في مقصد المادح، ويتحصل من ذلك لكل سامع تحقيق هذه الصفة للموصوف ببالغة. وهذه الآية مما يوجب النظر فيها أنها حاصرة، وهي في عرف الشَّارِطِيِّ: الرجوع من شر إلى خير.

وحدة التوبة: الندم على فارق فعل، من حيث هو معصية الله عز وجل، وإن كان الندم من حيث أضاع ذلك

الصَّحَّةَ أَفْضَلَ، وَالْحَقُّ لَأَمْلُهُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْبَعْدُ كُلُّ الْبَعْدِ الْمَوْتُ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي بمن يتوب وييسره هو للتوبة حكيما فيما يُنفذه من ذلك، وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك.

ثم نفي بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ أن يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز اليأس، وحضور الموت هو غاية قربه، كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والفرق، فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان، وهذا قال ابن عباس وابن زُيْد وجساعة المفسرين، وقال الزبيح: الآية الأولى قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ هي في المؤمنين، والآية الثانية قوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية، نزلت في المسلمين ثم نُسخَتْ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨، ١١٦، فحتم أن لا يغفر للكافر وأرجأ المؤمنين إلى مشيئته لم ينسبهم من المغفرة.

وطعن بعض الناس في هذا القول بأن الآية خير، والأخبار لأئمتنا. وهذا غير لازم، لأن الآية لفظها الحدير، ومعناه تقرير حكم شرعي فهي نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَبْذُلُوا مَالِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْشَعُوا بِحُكْمِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٨٤، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يُلَاقُوا بِالْآيَةِ﴾ الأنفال: ٦٥، وإنما يضعف القول بالنسخ من حيث تنبيي الآيات ولا يحتاج إلى تقرير نسخ، لأن هذه الآية لم تنف أن يغفر للعاصي الذي لم يتوب من قريب، فحتاج أن نقول: إن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ النساء: ٤٨، نسخها وإنما نفت هذه الآية

وجوب تلك الأشياء سمّا، فن ذلك تخليد الكفار في النار، ومن ذلك قبول إيمان الكافر، والتوبة لا يجب قبولها على الله تعالى عقلاً، فأمّا السمع فظاهره قبول توبة التائب. قال أبوالمعالى وغيره: فهذه الظواهر إنما تطعي غلبة ظن لا قطعاً على الله بقبول التوبة.

وقد خولف أبوالمعالى وغيره في هذا المعنى، فإذا فرضنا رجلاً قد تاب توبة نصوحاً تامّة الشروط، فقول أبي المعالي يوجب على الظن قبول توبته، وقال غيره: يقطع على الله تعالى بقبول توبته، كما أخبر عن نفسه عز وجل.

وكان أبي رحمة الله عليه يميل إلى هذا القول ويرجحّه، وبه أقول، والله تعالى أرحم عباده من أن ينخرم في هذا التائب المفروض معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَغْفِرُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ الشُّرَى: ٢٥، وقوله: ﴿وَأَنْ تَقْفُوا لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ طه: ٨٢. [ثم ذكر معنى الجهالة وقال:]

فابن عباس رضي الله عنه ذكر أحسن أوقات التوبة، والجمهور حدّدوا آخر وقتها، وقال إبراهيم النخعي: كان يقال: التوبة مبسوطة لأحدكم مالم يؤخذ بكلفه، وروى بشر بن كعب والحسن أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِضْ وَيُغْلَبْ عَلَى عَقْلِهِ، لِأَنَّ الرَّجَاءَ فِيهِ بَاقٍ وَيَصْحَ مِنْهُ الدَّمُ وَالْعِزُّ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ فِي الْمُسْتَأْنَفِ، فَإِذَا غَلَبَ تَعَذَّرَتِ التَّوْبَةُ، لَعَدَمِ الدَّمِ وَالْعِزِّ عَلَى التَّرَلُّ.

وقوله تعالى: (مِنْ قَرِيبٍ) إمّا معناه: من قريب إلى وقت الذنب، ومدة الحياة كلّها قريب، والمبادر في

أهل الإسلام إلا ماروي عن الربيع أنه قال: إنها في المنافقين. وهذا لا يصح لأن المنافقين من جملة الكفار. وقد بين الكفار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ومعناه وليست التوبة أيضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت. (٢٢: ٢٢)

العكسبري: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ مبتدأ، وفي الخبر وجهان:

أحدهما: هو (عَلَى اللَّهِ) أي ثابتة على الله، فعلى هذا يكون ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ﴾ حالاً من الضمير في الظرف، وهو قوله: (عَلَى اللَّهِ) العامل فيها الظرف أو الاستقرار، أي كائنة (لِلَّذِينَ). ولا يجوز أن يكون العامل في الحال التوبة: ١٣٦، لأنه قد فصل بينها بالجاء.

والوجه الثاني: أن يكون الخبر ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾ وأما (عَلَى اللَّهِ) فيكون حالاً من شيء محذوف، تقديره: إنما التوبة إذ كانت على الله، أو إذا كانت على الله، فعاد إذاً أو إذاً ظرفان، العامل فيها «الذين يعملون الشُّوْءَ»، لأن الظرف يعمل فيه المعنى وإن تقدم عليه. (وَكَانَ) التامة، وصاحب الحال ضمير الفاعل في (كَانَ).

ولا يجوز أن يكون (عَلَى اللَّهِ) حالاً يعمل فيها (الذين) لأنه عامل معنوي، والحال لا يستقدم على المعنوي، وتظهر هذه المسألة قولهم: هذا بئسراً أطيب منه رطباً. (١: ٣٣٩)

الفقر الرازي: اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المرتكبين للفاشحة إذا تابا وأصلحوا زال الأذى عنها، وأخبر على الإطلاق أيضاً أنه تواب رحيم، ذكر وقت التوبة وشرطها، ورغبهم في تعجيلها

أن يكون تائباً، من لم يتب إلا مع حضور الموت. فالمقيدة عندي في هذه الآيات: أن من تاب من قريب فله حكم التائب، فيقلب الظن عليه أنه يستم ولا يعتدب، وهذا مذهب أبي المعالي وغيره. وقال غيرهم: بل هو مغفور له قطعاً، لإخبار الله تعالى بذلك، وأبو المعالي يجعل تلك الأخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة. ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين، فإن كان كافراً فهو يخلد، وإن كان مؤمناً فهو عاص في المشيئة، لكن يغلب الخوف عليه، ويقوى الظن في تزيده، ويقطع من جهة السمع أن من هذه الصنفية من يغفر الله له تعالى تفضلاً منه ولا يعتدبه.

وأعلم الله تعالى أيضاً أن ﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، فلامستحب لهم ولاتوبة في الآخرة. (٢٢: ٢٣) الطبرسي: لما وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم، بين عقبيه شرائط التوبة، فقال: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ)، ولفظة (إِنَّمَا) يتضمن التني والإتيان، فمعناه لاتوبة مقبولة (عَلَى اللَّهِ) أي عند الله إلا ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾. [ثم ذكر معنى الجهالة وقال:]

﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ﴾ التوبة المقبولة التي يستغنى بها صاحبها، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّبُهَاتِ﴾ أي المعاصي ويصرون عليها ويسوفون التوبة، ﴿حَتَّى إِذَا خَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي أسباب الموت من معاناة ملك الموت وانقطع الرجاء عن الحياة، وهو حال اليأس التي لا يعلمها أحد غير المحتضر، قال: ﴿إِنِّي تَتُّبُ الْآنَ﴾ أي فليس عند ذلك اليأس التوبة.

وأجمع أهل التأويل على أن هذه قد تناولت عصاة

وقوعه محال، فيلزم جواز أن يكون الإله مع كونه إلهاً يكون موصوفاً باستحقاق الذم، وذلك محال لايقوله عاقل، ولما بطل هذان القسمان ثبت أن القول بالوجوب على الله تعالى باطل.

الحجة الثانية: أن قادية العبد بالنسبة إلى فعل التوبة وتركها إما أن يكون على السوية، أو لا يكون على السوية، فإن كان على السوية لم يترتب فعل التوبة على تركها إلا لمرتب، ثم ذلك المرتب إن حدث لاعتد محذوئ لزم نفي الصانع، وإن حدث عن العبد عاد التقسيم، وإن حدث عن الله فعين العبد إما أقدم على التوبة بمعونة الله وتقويته، فتكون تلك التوبة إنعاشاً من الله تعالى على عيده، وإنعام المولى على عيده لا يوجب عليه أن ينعم عليه مرة أخرى؛ فثبت أن صدور التوبة عن العبد لا يوجب على الله القول، وأما إن كانت قادية العبد لاتصلح للترك والفعل فعين العبد يكون المجرى أزم، وإذا كان كذلك كان القول بالوجوب أظهر جلالاً وفساداً.

الحجة الثالثة: التوبة عبارة عن الندم على ماضى والعزم على الترك في المستقبل، والندم والعزم من باب الكراهات والإرادات والكراهة والإرادة لا يحصلان باختيار العبد، وإلا افتقر في تحصيلها إلى إرادة أخرى ولزم التسلل. وإذا كان كذلك كان حصول هذا التدم وهذا العزم بمحض تخليق الله تعالى، وفعل الله لا يوجب على الله فضلاً آخر؛ فثبت أن القول بالوجوب باطل.

الحجة الرابعة: أن التوبة فعل يحصل باختيار العبد على قولهم، فلو صار ذلك حلة للوجوب على الله لصار فعل العبد مؤثراً في ذات الله وفي صفاته، وذلك لايقوله

لئلا يأتيهم الموت وهم مصرّون فلا تنفعهم التوبة، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: أننا حقيقة التوبة فقد ذكرناها في سورة البقرة: ٣٧، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، واحتج القاضي على أنه يجب على الله عقلاً قبول التوبة بهذه الآية من وجهين:

الأول: أن كلمة (عَلَى) للوجوب، فقوله: ﴿وَأَسْمَا التَّوْبَةَ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ﴾ يدل على أنه يجب على الله عقلاً قبولها.

الثاني: لو حملنا قوله: ﴿وَأَسْمَا التَّوْبَةَ عَلَى اللَّهِ﴾ على مجرد القول لم يبق بينه وبين قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فرق، لأن هذا أيضاً إخبار عن الوقوع، أما إذا حملنا ذلك على وجوب القول وهذا على الوقوع، يظهر الفرق بين الآيتين، ولا يلزم التكرار.

واعلم أن القول بالوجوب على الله باطل، ويدل عليه وجوه:

الأول: أن لازمة الوجوب استحقاق الذم عند الترك. وهذه اللازمة إما أن تكون ممتنة الثبوت في حق الله تعالى، أو غير ممتنة في حقه، والأول باطل لأن ترك ذلك الواجب لما كان مستلزماً لهذا الذم، وهذا الذم محال الثبوت في حق الله تعالى، وجب أن يكون ذلك الترك ممتنع الثبوت في حق الله، وإذا كان الترك ممتنع الثبوت عقلاً كان الفعل واجب الثبوت، فعين العبد يكون الله تعالى موجباً للذات لا فاعلاً بالاختيار، وذلك باطل.

وأما إن كان استحقاق الذم غير ممتنع المصوول في حق الله تعالى، فكل ما كان ممكناً لا يلزم من فرض

عاقِل.

والجواب عن السؤال الأول: أن اليهودي اختار اليهودية، وهو لا يعلم كونها ذنباً مع أنه يستحق العقاب عليها.

والجواب عن السؤال الثاني: أن من أتى بالمعصية مع الجهل بكونها معصية، يكون حاله أخف من أتى بها مع العلم بكونها معصية، وإذا كان كذلك لاجرم خص القسم الأول بوجوب قبول التوبة وجوباً على سبيل الوعد والكرم. وأما القسم الثاني فلما كان ذنبهم أغلظ لاجرم لم يذكر فيهم هذا التأكيد في قبول التوبة، فتكون هذه الآية دالة من هذا الوجه على أن قبول التوبة غير واجب على الله تعالى. [ثم ذكر معنى الجهالة إلى أن قال:] وأما الشرط الثاني فهو قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرَبٍ﴾ وقد أجمعوا على أن المراد من هذا القرب حضور زمان الموت ومعاينة أهواله، وإِنَّمَا سَمِيَ تَعَالَى هَذِهِ الْمُدَّةَ قَرِيبَةً لَوَجُوه:

أحدها: أن الأجل آت وكل ما هو آت قريب. وثانيها: للتنبه على أن مدة عمر الإنسان وإن طالَت فهي قليلة قريبة، فإِنَّمَا مَحْضُوقَةٌ بِطَرَفِ الْأَزَلِ وَالْأَبَدِ، فَإِذَا قَسَمْتَ مَدَّةَ عَمْرِكَ إِلَى مَا عَلَى طَرَفَيْهَا صَارَ كَالْعَدَمِ.

وثالثها: أن الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به، وما هذا حاله فإنه يوصف بالقرب.

فإن قيل: ما معنى (من) في قوله: (من قَرَبٍ)؟

الجواب: أنه لابتداء الغاية، أي يعمل مبتدأ توبته زماناً قريباً من المعصية، لتأيق في زمره المصيرين، فأما من تاب بعد المعصية بزمان بعيد وقبل الموت بزمان بعيد،

فأما الجواب عما احتجوا به، فهو أنه تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين، فإذا وعد الله بشيء وكان الخلف في وعده محالاً كان ذلك شبيهاً بالواجب، فهذا التأويل صح إطلاق كلمة (على) وبهذا الطريق ظهر الفرق بين قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿قَاُولِيكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

إن قيل: فلما أخبر عن قبول التوبة وكل ما أخبر الله عن وقوعه كان واجب الوقوع، فيلزمكم أن لا يكون فاعلاً مختاراً.

قلنا: الإخبار عن الوقوع تبع للوقوع، والوقوع تبع للإيقاع، والتبع لا يغير الأصل، فكان فاعلاً مختاراً في ذلك الإيقاع. أما أنتم تقولون: بأن وقوع التوبة من حيث أنها هي تؤثر في وجوب القبول على الله تعالى، وذلك لا بقوله عاقل، فظهر الفرق.

المسألة الثانية: أنه تعالى شرط قبول هذه التوبة بشرطين:

أحدهما قوله: ﴿الَّذِينَ يَخْتَلُونَ الشَّوْءَ بِجَهَالَةٍ﴾ وفيه سؤالان:

أحدهما: أن من عمل ذنباً ولم يعلم أنه ذنب لم يستحق عقاباً، لأن الخطأ مرفوع عن هذه الأمة، فعل هذا: الذين يعملون الشَّوْءَ بجهالة فلا حاجة بهم إلى التوبة.

والسؤال الثاني: أن كلمة (إِنَّمَا) للحصر، فظاهر هذه الآية يقتضي أن من أقدم على الشَّوْء مع العلم بكونه سوءاً أن لا تكون توبته مقبولة، وذلك بالإجماع باطل.

بالأول: التوفيق على التوبة، وبالتالي: قبول التوبة.

ثم قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي وكان الله عليماً بأنه إنما أتى بتلك المحبة لاستيلاء الشهوة والغضب والمهالة عليه. حكيماً بأن العبد لما كان من صفته ذلك، ثم إنه تاب عنها من قريب، فإنه يجب في الكرم قبول توبته.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَسَبُ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشَّيَاطِينَ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَالَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

اعلم أنه تعالى لما ذكر شرائط التوبة المقبولة أردفها بشرح التوبة التي لتكون مقبولة، وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: الآية دالة على أن من حضره الموت وشاهد أحواله فإن توبته غير مقبولة، وهذه المسألة مشتملة على بحثين:

البحث الأول: الذي يدل على أن توبة من وصفنا حاله غير مقبولة وجوه:

الأول: هذه الآية وهي صريحة في المطلوب.

الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ تِلْكَ يَتَّبِعُهُمْ إِنَّمَا تَأْتُوا بِأَنْتُمْ﴾ ٨٥

الثالث: قال في صفة فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ أَتُنْتِزِعُنِي مِنْ غُلَاظِ الْمَوْتِ وَلَئِنِّي لَأَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. وأما من المشركين: ﴿الَّذِينَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. يونس: ٩٠، ٩١، فلم يقبل الله توبته عند مشاهدة الذناب، ولو أنه أتى بذلك الإيمان قبل تلك الساعة بلحظة لكان مقبولا.

فإنه يكون خارجاً عن الخصوصين بكرامة حتم قبول التوبة على الله، بقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾، ويقول: ﴿قَالَ لِيكَ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. ومن لم تقع توبته على هذا الوجه، فإنه يكتفيه أن يكون من جملة الموعودين بكلمة (عسى) في قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، ولا شك أن بين الدرجتين من التفاوت ما لا يخفى.

وقيل: معناه التبعض، أي يتوبون بعض زمان قريب، كأنه تعالى سمي ما بين وجود المحبة وبين حضور الموت زماناً قريباً، في أي جزء من أجزاء هذا الزمان أتى بالتوبة فهو تائب من قريب، وإلا فهو تائب من بعيد.

واعلم أنه تعالى لما ذكر هذين الشرطين قال: ﴿قَالَ لِيكَ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، فإن قيل: فافائدة قوله: ﴿قَالَ لِيكَ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾؟

قلنا: فيه وجهان:

الأول: أن قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ إعلام بأنه يجب على الله قبولها، وجوب الكرم والفضل والإحسان، لا وجوب الاستحقاق، وقوله: ﴿قَالَ لِيكَ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إخبار بأنه سيفعل ذلك.

والثاني: أن قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ يعني إنما الهداية إلى التوبة والإرشاد إليها والإعانة عليها على الله تعالى في حق من أتى بالذنوب على سبيل المهالة، ثم تاب عنها من قريب وترك الإصرار عليها وأتى بالاستغفار منها. ثم قال: ﴿قَالَ لِيكَ يُتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني أن العبد الذي هذا شأنه إذا أتى بالتوبة قبلها الله منه، فالمراد

الموت لاحتل بالتكليف.

الثاني: أن الشدائد التي يلقاها من يقرب موته تكون مثل الشدائد المحاصلة عند القولنج، ومثل الشدائد التي تلقاها المرأة عند الطلق أو أزيد منها، فإذا لم تكن هذه الشدائد مانعة من بقاء التكليف فكذا القول في تلك الشدائد.

الثالث: أن عند القرب من الموت إذا عظمت الآلام صار اضطراب العبد أشد، وهو تعالى يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ التسل: ٦٢، فتزايد الآلام في ذلك الوقت بأن يكون سبباً لقبول التوبة أولى من أن يكون سبباً لعدم قبول التوبة، فثبت بهذه الوجوه أن نفس القرب من الموت ونفس تزايد الآلام والمشاق، لا يجوز أن يكون مانعاً من قبول التوبة.

ونقول: المانع من قبول التوبة أن الإنسان عند القرب من الموت إذا شاهد أحوالاً وأهوالاً صارت معرفته بالله ضرورية عند مشاهدته تلك الأهوال. ومضى صارت معرفته بالله ضرورية سقط التكليف عنه، ألا ترى أن أهل الآخرة لما صارت معارفهم ضرورية سقط التكليف عنهم، وإن لم يكن هناك موت ولا عقاب، لأن توبتهم عند الحشر والحساب وقبل دخول النار، لا تكون مقبولة.

واعلم أن هاهنا بحثاً عميقاً أصولياً، وذلك لأن أهل القيامة لا يشاهدون إلا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتاً، ويشاهدون أيضاً النار العظيمة وأصناف الأهوال، وكل ذلك لا يوجب أن يصير العلم بالله ضرورياً، لأن العلم بأن حصول الحياة بعد أن كانت

الزاع: قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لَقَدْ آفَسَ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عِشَاءٌ وَزَفَنَاءُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْتُ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ المنافقون: ١٠، ١١، فأخبر تعالى في هذه الآيات أن التوبة لا تقبل عند حضور الموت.

السادس: روى أبو أيوب عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغفر، أي مالم تتردد الروح في حلقة، ومن عطاء: ولو قبل موته بفوق الساعة. وعن الحسن: إن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض: وعزتك لأفارق ابن آدم مادام روحه في جسده، فقال: وعزتي لأخلق عليه باب التوبة مالم يغفر.

واعلم أن قوله: ﴿عَلَىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي علامات نزول الموت وقربه، وهو كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ البقرة: ١٨٠.

البحث الثاني: قال المحققون: قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع من قبول التوبة مشاهدة الأحوال التي عندها يحصل العلم بالله تعالى على سبيل الاضطرار. وإنما قلنا: إن نفس القرب من الموت لا يمنع من قبول التوبة لوجوه:

الاول: أن جماعة أماتهم الله تعالى ثم أحياهم مثل قوم من بني إسرائيل، ومثل أولاد أيوب عليه السلام، ثم إنهم تعال كلهم بعد ذلك الإحياء، فدل هذا على أن من هدة

المسألة الثانية: أنه تعالى ذكر قسمين: فقال في القسم الأول: ﴿رَأْسًا تَوْبَةً عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَسْقُطُونَ السَّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ وهذا مُشعر بأن قبول توبتهم واجب، وقال في القسم الثاني: ﴿وَوَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشَّيْئَاتِ﴾ فهذا جزم بأنه تعالى لا يقبل توبة هؤلاء،

فبقي بحكم التقسيم العقلي فيما بين هذين القسمين قسم ثالث، وهم الذين لم يجزم الله تعالى بقبول توبتهم، ولم يجزم برّد توبتهم. فلما كان القسم الأول: هم الذين يعملون السوء بجهالة، والقسم الثاني: هم الذين لا يتوبون إلا عند مشاهدة البأس، وجب أن يكون القسم المتوسط بين هذين القسمين: هم الذين يعملون السوء على سبيل العمد، ثم يتوبون، هؤلاء ما أخبر الله عنهم أنه يقبل توبتهم، وما أخبر عنهم أنه برّد توبتهم، بل تركهم في المشيئة، كما أنه تعالى ترك مغفرتهم في المشيئة، حيث قال: ﴿وَيُفَوِّضُ عَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨، ١١٦.

المسألة الثالثة: أنه تعالى لما بين أن من تاب عند حضور علامات الموت ومقدماته لا تقبل توبته قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾، وفيه وجهان:

الأول: معناه الذين قرب موتهم، والمعنى أنه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت، كذلك الإيمان لا يقبل عند القرب من الموت.

الثاني: المراد أن الكفار إذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم.

المسألة الرابعة: تعلقّت الوعيدية بهذه الآية على صحة مذهبهم من وجهين:

معدومة يحتاج إلى الفاعل علم ظري عند أكثر شيوخ المعتزلة، ويتقدير أن يقال: هذا العلم ضروري لكن العلم بأن الإحياء لا يصح من غير الله لاشك أنه ظري، وأما العلم بأن فاعل تلك الثيران العظيمة ليس إلا الله، فهذا أيضاً استدلال.

فكيف يمكن ادعاء أن أهل الآخرة لأجل مشاهدة أهوالها يعرفون الله بالضرورة، ثم هب أن الأمر كذلك، فلم قلتم: بأن العلم بالله إذا كان ضرورياً منع من صحة التكليف، وذلك أن العبد مع علمه بالضرورة بوجود الإله المتب المعاقب قد يتقدم على المعصية لعلمه بأنه كريم، وأنه لا ينفعه طاعة العبد ولا يضركه ذنبه، وإذا كان الأمر كذلك، فلم قالوا: بأن هذا يوجب زوال التكليف؟ وأيضاً فهذا الذي يقول هؤلاء المعتزلة: من أن العلم بالله في دار التكليف يجب أن يكون ظرياً، فإذا صار ضرورياً سقط التكليف. كلام ضعيف، لأن من حصل في قلبه العلم بالله إن كان تجويز نقيضه قائماً في قلبه، فهذا يكون ظناً لاهلماً، وإن لم يكن تجويز نقيضه قائماً، امتنع أن يكون علم آخر أقوى منه وأكد منه.

وعلى هذا التقدير لا يبقى ألبتة فرق بين العلم بالضرورة وبين العلم الظري؛ فثبت أن هذه الأنبياء التي تذكرها المعتزلة كلمات ضعيفة واهية، وأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فهو بفضل وعده بقبول التوبة في بعض الأوقات، وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر، وله أن يقلب الأمر فيجعل المقبول مردوداً، والمردود مقبولاً ﴿لَا يَسْتَلْ عَسَا يَنْفَعُ لَهُمْ يَنْشُرُونَ﴾ الأنبياء: ٢٣.

يكون قوله: ﴿أُولَئِكَ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَهْمًا﴾ غصصًا بالكافرين، بيانًا لكونهم غنصين بسبب كفرهم بمزيد العقوبة والإذلال.

أما الوجه الثاني مما عولوا عليه: فهو أنه أخبر أنه لاتوبة عند المعايمة، وإذا كان لاتوبة حصل هناك تجويز العقاب وتجويز المغفرة، وهذا لا يخلو عن نوع تخويف، وهو كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ٤٨، ١١٦، على أن هذا تمسك بدليل الخطاب، والمعتزلة لا يقولون به، والله أعلم.

المسألة الخامسة: أنه تعالى عطف على الذين يتوبون عند مشاهدة الموت، الكفار، والمطوف مغاير للمطوف عليه، فهذا يقتضي أن الفاسق من أهل الصلاة ليس بكافر، ويطلق به قول الخوارج: إن الفاسق كافر، ولا يمكن أن يقال: المراد منه المنافق، لأن الصحيح أن المنافق كافر قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ نَكَاتُوا يُؤْمِنُونَ﴾ المنافقون: ١، والله أعلم.

المسألة السادسة: (أَغْتَدْنَا) أي أعدنا وهيئنا، وظاهره قوله تعالى في صفة نار جهنم: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ١٣١، احتج أصحابنا بهذه الآية على أن النار مخلوقة، لأن العذاب الأكبر ليس إلا نار جهنم وورده، وقوله: (أَغْتَدْنَا) إخبار عن الماضي، فهذا يدل على كون النار مخلوقة من هذا الوجه، والله أعلم.

الْبَيْضَاوِيُّ: أي إن قبول التوبة كالتوب على الله، يقتضي وعده من تاب عليه إذا قبل توبته ﴿لَا يُذَيِّنُ يَغْتَلُونَ الشَّوْءَ بِجَهَالَةٍ﴾ ملتبسين بها سفهاً، فإن ارتكاب

الأول: قالوا: إنه تعالى قال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشَّيَاطِينَ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِنَّ وَالَّذِينَ يُوْتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فلفظ ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشَّيَاطِينَ﴾ على ﴿الَّذِينَ يُوْتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ والمطوف مغاير للمطوف عليه، فثبت أن الطائفة الأولى ليسوا من الكفار، ثم إنه تعالى قال في حق الكل: ﴿أُولَئِكَ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَهْمًا﴾ فهذا يقتضي شمول هذا الوعيد للكفار والفاسق.

الثاني: أنه تعالى أخبر أنه لاتوبة لهم عند المعايمة، فلو كان يغفر لهم مع ترك التوبة لم يكن لهذا الإعلام معنى.

والجواب: أننا قد جمعنا جملة العمومات الوعيدية في سورة البقرة: ٨١، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَهْلِكُ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَخَاطَتْ بِهِ خَبِيثَةً فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وأجبتنا عن تمسكهم بها، وذكرنا وجوهاً كثيرة من الأجوبة، ولا حاجة إلى إعادتها في كل واحد من هذه العمومات، ثم نقول: الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكورات، وأقرب المذكورات من قوله: ﴿أُولَئِكَ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَهْمًا﴾ هو قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُوْتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فلم لا يجوز أن يكون قوله: ﴿أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَهْمًا﴾ عائداً إلى الكفار فقط، وتحقيق الكلام فيه أنه تعالى أخبر عن الذين لا يتوبون إلا عند الموت أن توبتهم غير مقبولة، ثم ذكر الكافرين بعد ذلك، فبين أن إيمانهم عند الموت غير مقبول، ولا شك أن الكافر أفتح ضللاً وأخسر درجة عند الله من الفاسق، فلا بد وأن يعصه بمزيد إذلال وإهانة، فجاز أن

الظواهر إنما تُفيد غلبة الظن لا القطع بقبول التوبة، والتوبة فرض بإجماع الأمة، وتصح وإن نقضها في ثاني حال بمعاودة الذنب، ومن ذنب وإن أقام على ذنب غيره، خلافاً للمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن ينتمي إلى السنة، إذ ذهبوا إلى أنه لا يكون تائباً من أقام على ذنب. وقيل: (علني) بمعنى عند، وقال الحسن: بمعنى «ين». [إلى أن قال:]

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما ذكر تعالى أن قبول التوبة على الله من ذكر، ذكر أنه تعالى هو يتطعم عليهم ويرحمهم، ولذلك اختلف متعلقاً بالتوبة باختلاف المهور، لأن الأول على الله، والثاني عليهم، ففسر كل بما يناسبه ولما ضمن (يَتُوبُ) معنى ما يبدى به على عداه (على) كآته قال: يطعم عليهم. وفي (علني) الأولى روعي فيها المضاف المحذوف وهو قبول. [ثم ذكر قول الزُّعْفَرِيُّ وأضاف:]

وهو مشير إلى طريق الاعتزال في قولهم: إن الله يجب عليه، وتقدم ذكر مذهبهم في ذلك.

وقال محمد بن عمر الرازي ماملخصه: أن قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ إعلام بأنه يجب قبولها لزوم إحسان لاستحقاق، ﴿وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إخبار بأنه سيفعل ذلك. أو يكون الأول بمعنى الهداية إلى التوبة والإرشاد، ﴿وَيَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى يقبل توبتهم. (٣: ١٩٧)

الألوسي: أي إن قبول التوبة، (علني) وإن استعملت للموجب حتى استدُلَّ بذلك الواجبة عليه، فالمراد أنه لازم متحقق الثبوت أثبتة، بحكم سبق الوعد،

الذنب سفه وجاهل، ولذلك قيل: من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ من زمان قريب، أي قبل حضور الموت، لقوله تعالى: ﴿عَنْهُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يُغرر».

وسماه قريباً، لأن أمد الحياة قريب، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ النساء: ٧٧، أو قبل أن يُشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها، فيعتذر عليهم الرجوع، [ثم ذكر نحو ما تقدم من الزُّعْفَرِيُّ وأضاف:]

وقيل: المراد بالَّذِينَ يعملون السوء، عصاة المؤمنين وبالَّذِينَ يعملون السيئات، المنافقون، لتضاعف كفرهم وسوء أفعالهم، وبـ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ الكفار. (١١: ٢٠٩١) أبو حيان: وقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ هو على حذف مضاف من المبتدأ والخبر، والتقدير: إنما قبول التوبة مترتب على فضل الله، فتكون (علني) باقية على بابها.

وقال الزُّعْفَرِيُّ: يعني إنما القبول والفران واجب على الله تعالى هؤلاء، انتهى.

وهذا الذي قاله هو على طريق المعتزلة، والذي نعتقه أن الله لا يجب عليه تعالى من جهة العقل، فأما مظاهره الوجوب من جهة السمع على نفسه كتحليل الكفار وقبول الإيمان من الكافر بشرطه، فذلك واقع قطعاً، وأما قبول التوبة فلا يجب على الله عقلاً. وأما من جهة السمع فظافرت ظواهر الآي والسنة على قبول الله التوبة، وأفادت القطع بذلك.

وقد ذهب أبوالمعالى الجويني وغيره إلى أن هذه

حتى كأنه من الواجبات، كما يقال: واجب الوجود.

وقيل: (عَلَى) بمعنى «مِنْ»، وقيل: هي بمعنى «عند»، وعليه الطَّبْرَسِيُّ أي إنما التوبة عند الله، ﴿لِلَّذِينَ يَقُولُونَ الشُّوْءَ﴾ أي المصيبة، صغيرة كانت أو كبيرة.

(٢٣٨: ٤)

رشيد رضا: الأستاذ الإمام: ذكر في الآية السابقة «التوبة» وبيّن في هذه الآية حكمها وحالها ورغبتها فيها وتنفيها عن المصيبة، بما شدد في شرط قبولها. وفيه إرشاد لأولياء الأمر إلى الطريق الذي يسلكونه مع العصاة في معاقبتهم وتأديبهم، فإنّه فرض في الآية السابقة معاقبة أهل الفواحش، وأمر بالإعراض عنهم تاب بشرط إصلاح العمل، وكأنّ هذه الآية شرح لذلك الإصلاح، أي إن تابوا مثل هذه التوبة، فأعرضوا عنهم وكفّوا عن عقابهم.

ويذكرون هاهنا مسألة الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة في وجوب الصّلاح عليه تعالى، والقول الفصل في ذلك: أنّ قبول هذه التوبة على الله تعالى ليس بإيجاب موجب له سلطة، يوجب بها على الله، تعالى الله عن ذلك، وإنّما ذلك من جملة الكمال الذي أوجبه تعالى على نفسه بمشيئته واختياره.

وهذه العبارة وأمثالها مما ظاهره وجوب بعض الأشياء على الله، قد جاءت على طريق العرب في التخاطب، ولا يفهم منها إلّا أنّ ذلك واقع ماله من دافع، ولكن بإيجاب الله تعالى له، ولا يمكن أن يظنّ عاقل أنّ قانوناً يحكم على الأهوية؛ فجعل الخلاف في هذه المسألة لفظياً ظاهراً لا تكلف فيه. (٤٤٢: ٤)

الطَّبْطَبَائِيُّ: مضمون الآيتين لا يخلو عن ارتباط بما تقدّمهما من الآيتين، فإنّها قد اختتمتا بذكر «التوبة» فمن الممكن أن يكون هاتان نزلتا مع تينك، وهاتان الآيتان مع ذلك متصفتان لمعنى مستقلّ في نفسه، وهو إحدى الحقائق العالية الإسلامية والتعاليم الزاكية القرآنية، وهي حقيقة التوبة وشأنها وحكمها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ الشُّوْءَ بِحِبَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ التوبة هي الرجوع، وهي رجوع من العبد إلى الله سبحانه بالتدانة، والانصراف عن الإعراض عن العبوديّة، ورجوع من الله إلى العبد رحمة بتوفيقه للرجوع إلى ربه أو بغفران ذنبه، وقد مرّ مراراً أنّ توبة واحدة من العبد مغفوفة بتوبتين من الله سبحانه، على ما يفيد القرآن الكريم.

وذلك أنّ التوبة من العبد حسنة تحتاج إلى قوّة والمسنات من الله، والقوّة لله جميعاً فمن الله توفيق الأسباب حتى يتمكّن العبد من التوبة، ويستحقّ له الانصراف عن التوغّل في غمرات التبدّد والرجوع إلى ربه، ثمّ إذا وفق للتوبة والرجوع احتاج في التظّهر من هذه الأدوات، وزوال هذه القذارات، والورود والاستقرار في ساحة القرب إلى رجوع آخر من ربه إليه، بالرحمة والحنان والعفو والمغفرة.

وهذان الرجوعان من الله سبحانه هما التوبتان الحافتان لتوبة العبد ورجوعه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ التوبة: ١١٨، وهذه هي التوبة الأولى، وقال تعالى: ﴿فَقَاُولِىْكَ اَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ البقرة: ١٦٠، وهذه التوبة الثانية، وبين التوبتين منه تعالى توبة العبد،

كما سمعت.

رجوعه تعالى بالرحمة إلى عبده دون توبة العبد، وإن تبين بذلك أمر توبة العبد بطريق اللزوم فإن توبة الله سبحانه إذا تمت شرائطها لم ينفك ذلك من تمام شرائط توبة العبد، وهذا أعني كون الآية في مقام بيان توبة الله سبحانه لا يحتاج إلى مزيد توضيح.

وثانياً أنها تبين أمر التوبة أعم مما إذا تاب العبد من الشرك والكفر بالإيمان، أو تاب من المصية إلى الطاعة بعد الإيمان، فإن القرآن يسمي الأمرين جميعاً بالتوبة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْفَرْسَ وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ الْحَدَّ الَّذِي أُمِّرُوا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١١٨].

والدليل على أن المراد هي التوبة أعم من أن تكون من الشرك أو المصية: التعميم الموجود في الآية التالية: ﴿وَلَيْسَتِ الشُّؤْبَةُ إِلَّا فِائِتًا تَعْرِضُ لِحَالِ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ سَاءً، وَعَلَىٰ هَذَا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعْتَظُونَ الشُّؤْبَةَ﴾ مَا يَحْمِلُ حَالَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ سَاءً، فَالْكَافِرُ كَالْمُؤْمِنِ الْفَاسِقُ مَنْ يَعْمَلُ الشُّؤْبَةَ بِجَهَالَةٍ، إِنَّمَا لِأَنَّ الْكَفَرَ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ، وَالْعَمَلُ أَعَمُّ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، أَوْ لِأَنَّ الْكَفَرَ لَا يَخْلُو مِنْ أَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ، فَالْمُرَادُ مِنَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّؤْبَةَ بِجَهَالَةٍ: الْكَافِرُ وَالْفَاسِقُ، إِذَا لَمْ يَكُونَا مُعَانِدِينَ فِي الْكَفْرِ وَالْمُصِيَةِ، [ثم ذكر معنى الجهالة وقال:]

ومن هنا يظهر معنى قوله تعالى: ﴿هُمْ يَتَّبِعُونَ مِنْ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿عَلَىٰ اللَّهِ لِلَّذِينَ﴾ لفظة (عَلَى) و«اللام» تعيدان معنى التفعّل، كما في قولنا: دارت الدائرة لزيد على عمرو، وكان السباقي فلان على فلان، ووجه إفادة (عَلَى) و«اللام» معنى الضّرر، والتفعّل، أَنَّ (عَلَى) تعيد معنى الاستعلاء، و«اللام» معنى الملك والاستحقاق، ولازم ذلك أَنَّ المعاني المتعلقة بطرفين ينتفع بها أحدهما ويضرّر بها الآخر، كال حرب والقتال والنزاع ونحوها، فيكون أحدهما الغالب والآخر المغلوب، ينطبق على الغالب منها معنى الملك وعلى المغلوب معنى الاستعلاء، وكذا ما أشبه ذلك كمنى التأثير بين المتأثر والمؤثر، ومعنى العهد والوعد بين المستهد والمتهد له، والواعد والموعود له وهكذا، فظهر أَنَّ كون (عَلَى) و«اللام» كمنى الضّرر والتفعّل، إنما هو أمر طار من ناحية مورد الاستعمال، لا من ناحية معنى اللفظ.

ولما كان نجاج التوبة إنما هو لوعده وعده الله عباده فأوجبها بحسبه على نفسه لهم، قال هاهنا: ﴿إِنَّمَا الشُّؤْبَةُ عَلَىٰ اللَّهِ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشُّؤْبَةَ بِجَهَالَةٍ﴾ فيجب عليه تعالى قبول التوبة لعباده. لكن لا على أَنَّ لغيره أن يوجب عليه شيئاً أو يُكَلِّفَهُ بتكليف، سواء سُمِّيَ ذلك النير بالمقل أو نفس الأمر أو الواقع أو الحق أو شيئاً آخر، تعالى عن ذلك وتقدس، بل على أَنَّهُ تعالى وعد عباده أن يقبل توبة الثائب منهم وهو لا يختلف الميعاد، فهذا معنى وجوب قبول التوبة على الله فيما يجب، وهو أيضاً معنى وجوب كلّ ما يجب على الله من الفعل.

وظاهر الآية أولاً أنها لبيان أمر التوبة التي لله، أعني

الدنيوية التي هي ظرف الاختيار وموطن الطاعة والمصية، ومع طلوع آية الموت لاختيار تمتشى معه طاعة أو مصية، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أُنْيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام: ١٥٨، وقال تعالى: ﴿فَلَسَا زَاوَا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَّوْنَا بِمَا كُنَّا

بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَسَاءَ زَاوَا بَأْسَنَا سُبَّتِ اللَّهُ أَلْسِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمن: ٨٤، ٨٥، غير ذلك من الآيات. وبالجمله يعود المعنى إلى أَنَّ الله سبحانه إنما يقبل توبة المذنب العاصي إذا لم يقترف المصية استكباراً على الله، بحيث يطل منه روح الرجوع والتذلل لله، ولم يتساهل ويتسارع في أمر التوبة تساهلاً يؤدي إلى فوت الفرصة بحضور الموت.

ويمكن أن يكون قوله: ﴿بِهَآلِهِ﴾ قيداً توضيحياً، ويكون المعنى: للذين يعملون السوء ولا يكون ذلك إلا عن جهل منهم، فإنه غاطرة بالنفس وتعرض لعذاب أليم، أو لا يكون ذلك إلا عن جهل منهم بكنه المصية وما يقرب عليها من hazard، ولازمه كون قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ إشارة إلى ما قبل الموت لا كناية عن المساهلة في أمر التوبة، فإن من يأتي بالمصية استكباراً ولا يخضع لسلطان الربوبية يخرج على هذا الفرض، بقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ لا بقوله: ﴿بِهَآلِهِ﴾ وعلى هذا لا يمكن الكناية بقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾ من التكاهل والتواني، فانهم ذلك. ولعل الوجه الأول أوفق لظاهر الآية.

قَرِيبٍ﴾ أي إن عامل السوء بجهالة لا يقيم عاكفاً على طريقته، ملازماً لها مدى حياته، من غير رجاء في عدوله إلى التقوى والعمل الصالح، كما يدوم عليه المعاند اللجوج بل يرجع عن عمله من قريب، فالمراد بالقرب: العهد القريب أو الزمان القريب، وهو قبل ظهور آيات الآخرة وقدم الموت.

وكل معاند لجوج في عمله إذا شاهد ما يسوءه من جزاء عمله وبوال فعله ألزمته نفسه على التندمة والتبزي من فعله، لكنه بحسب الحقيقة ليس بنادم عن طبعه وهداية فطرته، بل إنما هي حيلة يحسها نفسه الشريفة للتخلص من وبال الفعل، والدليل عليه أنه إذا اتفق تخلصه من الوبال المخصوص عاد ثانياً إلى ما كان عليه من سيئات الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَفَعَدُوا لِمَا كُنُوا عَنْهُمْ لَكَآذِبُونَ﴾ الأنعام: ٢٨.

والدليل على أَنَّ المراد بـ«القريب» في الآية، هو ما قبل ظهور آية الموت، قوله تعالى في الآية التالية: ﴿وَلَيَسِّرَ اللَّهُ التَّوْبَةَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ كناية عن المساهلة المضنية إلى فوت الفرصة.

ويتبين مما مر أَنَّ القيدين جيماً، أعني قوله: ﴿بِهَآلِهِ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ احترأ بأن يراد بالأول منها أن لا يعمل السوء عن عناد واستعلاء على الله، وبالثاني منها أن لا يؤخر الإنسان التوبة إلى حضور موته كسلأ وتوانياً ومماطلة، إذ التوبة هي رجوع العبد إلى الله سبحانه بالعبودية، فيكون توبته تعالى أيضاً قبول هذا الرجوع، ولا معنى للعبودية إلا مع الحياة

الأحوال بل يختبر القلوب، ولا يستزله مكر ولا خديعة،
فعل القائب من العباد أن يتوب حق التوبة حتى يبيحه
الله حق الإجابة.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَبِ الثَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَسْتَقِلُّونَ
السَّيَّاتِ﴾ في عدم إعادة قوله: (عَلَى اللَّهِ) مع كونه
مقصوداً مالا يخفى من التلويح إلى انقطاع الرِّحمة الخاصة
والعناية الإلهية عنهم، كما أن إيراد السَّيَّاتِ بلفظ الجمع
يدلُّ على العناية بإحصاء سيئاتهم وحفظها عليهم، كما
تقدّمت الإشارة إليه.

وتقيد قوله: ﴿يَقْتُلُونَ السَّيَّاتِ﴾ بقوله: ﴿حَتَّى
إِذَا خَضَعَ أَعْدَهُمُ الْخَوْفُ﴾ المفيد لاستمرار الفعل، إمّا
لأنَّ المساهلة في المبادرة إلى التوبة وتسويفها في نفسه
معصية مستمرة متكررة، أو لأنّه بمنزلة المداومة على
الفعل، أو لأنَّ المساهلة في أمر التوبة لا تخلو غالباً عن
تكرّر معاصي، مجانسة للمعصية الصادرة أو مشابهة لها.

وفي قوله: ﴿حَتَّى إِذَا خَضَعَ أَعْدَهُمُ الْخَوْفُ﴾ دون
أن يقال: حتى إذا جاءهم الموت، دلالة على الاستهانة
بالأمر والاستعقار له، أي حتى يكون أمر التوبة هيئاً
هذا الهوان سهلاً هذه السهولة، حتى يعمل الناس
ما هوون به ويختاروا ما يشاؤون ولا يبالون، وكلّما عرض
لأحدهم عارض الموت قال: ﴿إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فتدفع
مخاطر الذنوب ومهلكة مخالفة الأمر الإلهي، بمجرّد لفظ
يردّه ألسنتهم، أو خطور ينظر بياهم في آخر الأمر.

ومن هنا يظهر معنى تقيد قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي تُبْتُ﴾
بقوله: (الآن) فإنّه يفيد أنّ حضور الموت ومشاهدة هذا
القاتل سلطان الآخرة هما الموجدان له أن يقول: (تُبْتُ)

وقد ذكر بعضهم: أن المراد بقوله: ﴿تُبْتُ﴾ يَتُوبُونَ مِنْ
قَرِيبٍ أن تتحقّق التوبة في زمان قريب من وقت وقوع
المعصية عرفاً، كزمان الفراغ من إتيان المعصية أو ما بعد
عرفاً متصلاً به، لأنّ يمتدّ إلى حين حضور الموت، كما
ذكر.

وهو فاسد لإفساده معنى الآية التالية، فإنّ الآيتين
في مقام بيان ضابط كلّ توبة الله سبحانه، أي لقبول توبة
العبد، على ما يدلُّ عليه المحصر الوارد في قوله: ﴿إِنَّمَا
الثَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ﴾ إلخ، والآية الثانية تبين الموارد
التي لا تقبل فيها التوبة، ولم يُذكر في الآية إلا موردان:
هما التوبة للمسيء المتساع في التوبة إلى حين حضور
الموت، والتوبة للكافر بعد الموت، ولو كان المقبول من
التوبة هو ما بعد عرفاً قريباً متصلاً بزمان المعصية، لكان
للتوبة غير المقبولة مصاديق أخر لم تذكر في الآية.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْثِقْ يَدَيْكَ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الإتيان باسم الإشارة الموضوع للبعد
لا يخلو من إشارة إلى ترفع قدرهم وتظيم أمرهم، كما
يدلُّ قوله: ﴿يَقْتُلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ﴾ على المساهلة في
إحصاء معاصيهم على خلاف ما في الآية الثانية:
﴿وَلْيَسْتَبِ الثَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ السَّيَّاتِ﴾.

وقد اختير لخم الكلام قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا﴾ دون أن يقال: وكان الله غفوراً، رحيمًا،
للدلالة على أنّ فتح باب التوبة إنّما هو لعلمه تعالى بحال
العباد، وما يؤدّبهم إليه ضمهم وجهالتهم، ولحسنة
المقتضية لوضع ما يحتاج إليه إتقان النظام وإصلاح
الأمر، وهو تعالى لعلمه وحكمته لا يفرّغ ظواهر

ولا تساهل، فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الْعَبْدِ بِمَعْنَى رَجُوعِهِ إِلَى عِبُودِيَّةِ اخْتِيَارِيَّةٍ وَإِنْ ارْتَفَعَ مَوْضِعُهَا بِالمَوْتِ كَمَا تَقَدَّمَ، لَكِنَّ التَّوْبَةَ مِنْهُ تَعَالَى بِمَعْنَى الرَّجُوعِ بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ بَعْدَ المَوْتِ لِشَفَاعَةِ النَّاصِحِينَ. وهذا في نفسه من التَّوَاهُدِ عَلَى أَنَّ المَرَادَ بِالْأَيَّتَيْنِ: بَيَانُ حَالِ تَوْبَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ لِإِيَّانِ حَالِ تَوْبَةِ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالنَّجْعِ.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ غَدَابًا أَلِيمًا﴾ اسم الإشارة يدلُّ على مَهْدَمِهِمْ مِنْ سَاحَةِ القَرَبِ والتَّشْرِيفِ، والإِعْتَادُ: الإِعْدَادُ أَوِ الوَعْدُ.

كلام في التَّوْبَةِ

التَّوْبَةُ بِتَامِ مَحَنَاهَا الوَارِدِ فِي القُرْآنِ مِنَ التَّعَالِيمِ الحَقِيقِيَّةِ المَخْتَصَّةِ بِهَذَا الكِتَابِ السَّمَاوِيِّ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ بِمَعْنَى الإِيْمَانِ مِنْ كُفْرٍ وَشُرْكَ وَإِنْ كَانَتْ دَائِرَةً فِي سَائِرِ الأَدْيَانِ الإِلَهِيَّةِ كَدِينِ مُوسَى وَعِيسَى عليهما السلام، لَكِنَّ لَامِنْ جِهَةِ تَحْلِيلِ حَقِيقَةِ التَّوْبَةِ، وَتَسْرِيفِهَا إِلَى الإِيْمَانِ بِلِ بَاسْمِ أَنَّ ذَلِكَ إِيْمَانٌ.

حَتَّى أَنَّهُ يُلَوِّحُ مِنَ الأَصُولِ الَّتِي بَنَوْا عَلَيْهَا الدِّيَانَةَ المَسِيحِيَّةَ المَسْتَقَلَّةَ عَدَمِ نَفْعِ التَّوْبَةِ وَاسْتِحَالَةِ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا الإِنْسَانُ، كَمَا يَظْهَرُ مِمَّا أوردوه فِي تَوْجِيهِ الصَّلْبِ والْفِدَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَقْلُهُ فِي الكَلَامِ عَلَى خِلْقَةِ المَسِيحِ، فِي المِجْزَاءِ الثَّالِثِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ.

هَذَا وَقَدْ انْجَزَى أَمْرُ الكَنِيسَةِ بَعْدَ إِلَى الإفْرَاطِ فِي أَسْرِ التَّوْبَةِ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ تَتَّبِعُ أَوْرَاقَ المَغْفِرَةِ وَتَتَّجِرُ بِهَا، وَكَانَ أَوَّلِيَاءُ الدِّينِ يَغْفِرُونَ ذُنُوبَ العَاصِينَ فِيهَا اعْتَرَفُوا بِهِ هُنْدَمِهِمْ، لَكِنَّ القُرْآنَ حَلَّلَ حَالِ الإِنْسَانِ بِمَحْسَبِ وَقُوعِ

سِوَاهُ ذِكْرِهِ أَوْ لَمْ يَذْكُرْهُ، فَالْمَعْنَى: إِنِّي تَائِبٌ لَمَّا شَهِدْتُ المَوْتَ الحَقَّ وَالْجِزَاءَ الحَقَّ، وَقَدْ قَالِ تَعَالَى فِي نَظَائِرِهِ حَاسِبًا عَنِ المِجْرَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ السُّجُرِهُونَ تَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السَّجْدَةُ: ١٢. فَهَذِهِ التَّوْبَةُ لِاتِّخَالُفٍ مِنْ صَاحِبِهَا، لِأَنَّ الْيَاسَ مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَوْلِ المَطْلَعِ هُمَا اللَّذَانِ أَجْبَرَاهُ عَلَى أَنْ يَنْدِمَ عَلَى فِعْلِهِ، وَيَرْجِعَ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى رَبِّهِ، وَلَاتِ حِينَ رَجُوعٍ؛ حَيْثُ لِحَيَاةِ دُنْيَوِيَّةٍ وَلا خَاصِرَةٍ عَمَلِيَّةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَثَرٌ﴾ هَذَا مُصَدِّقٌ آخِرُ لَعْدَمِ قَبُولِ التَّوْبَةِ، وَهُوَ الإِنْسَانُ يَتَّوَدِي فِي الكُفْرِ ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ كَافِرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتُوبُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ إِيْمَانَهُ وَهُوَ تَوْبَتُهُ لَا يَنْفَعُهُ يَوْمَئِذٍ. وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ أَنَّ الكُفْرَ لَاخِجَاةَ مَعَهُ بَعْدَ المَوْتِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَجِيبُونَ وَإِنْ سَأَلُوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا الَّذِينَ تَأْتَوْنَ وَاصَلُّوهُمْ وَيَقُولُونَ قُلُوبُهُمْ غَائِبٌ عَنَّا تَلُوفٌ عَلَيْهِمْ ذُكُّهُمْ وَأَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَّابُوا وَهُمْ كَثَرٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ البَقَرَةُ: ١٦٠، ١٦٢. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَوَّابُوا وَهُمْ كَثَرٌ قَلِيلٌ يُجْزَى مِنْ أَعْدِهِمْ مِلَّةُ الْآلِ الْأَرْضِ ذَنبًا وَلَوْ ائْتَدُوا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَتَعَالَاهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٩١. وَنَحْنُ النَّاصِرِينَ نَحْنُ لِلشَّفَاعَةِ فِي حَقِّهِمْ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الكَلَامِ عَلَى الْآيَةِ فِي المِجْزَاءِ الثَّالِثِ مِنَ الكِتَابِ.

وتَقْيِيدُ الجُمْلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ كَثَرٌ﴾ يَدُلُّ عَلَى التَّوْبَةِ لِلْعَاصِيِ المُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ عَلَى الْعَصِيَّةِ مِنْ غَيْرِ اسْتِكَبَارٍ

وبعبارة أخرى يتوقف القرب من الله ودار كرامته على التوبة من الشرك ومن كل معصية، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ التور: ٣١، فالتوبة بمعنى الرجوع إلى الله تَمِّمُ التوبتين جميعًا بل تَمْتَهُمَا، وغيرهما، على ماسيجيه، إن شاء الله.

تَمَّ إِنَّ الإنسان لما كان فقيرًا في نفسه لا يملك لنفسه خيرًا ولا سعادة قط إلا برّته، كان محتاجًا في هذا الرجوع أيضًا إلى عناية من ربه بأمره، وإعانة منه له في شأنه، فيحتاج رجوعه إلى ربه بالمبودية والمسكنة إلى رجوع من ربه إليه بالتوفيق والإعانة، وهو توبة الله سبحانه لعبده المتقدمة على توبة العبد إلى ربه، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ التوبة: ١١٨، وكذلك الرجوع إلى الله سبحانه يحتاج إلى قبوله ببغفرة الذنوب وتطهيره من القذارات وألوات البعد، وهذه هي التوبة الثانية من الله سبحانه المتأخرة عن توبة العبد إلى ربه، كما قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وإذا تأملت حتى التأمل وجدت أَنَّ التمدّد في توبة الله سبحانه إنما عرض لها من حيث قياسها إلى توبة العبد، وإلا فهي توبة واحدة هي رجوع الله سبحانه إلى عبده بالرحمة، ويكون ذلك عند توبة العبد رجوعًا إليه قبلها وبعدها، وربما كان مع عدم توبة من العبد، كما تقدّم استفادة ذلك من قوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَثُرَ﴾ وأنّ قبول الشفاعة في حقّ العبد المذنب يوم القيامة من مصاديق التوبة، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمْلِكُوا تَمْلِكًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٢٧.

الدعوة عليه وتعلّق الهداية به، فوجده بالنظر إلى الكمال والكرامة والسعادة الواجبة له في حياته الأخروية - عند الله سبحانه التي لا غنى له عنها في سيرة الاختياري إلى ربه - فقيرًا كلّ الفقر في ذاته، صُفّر الكفّ بحسب نفسه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ فاطر: ١٥، وقال: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا تَمُوتُوا﴾ الفرقان: ٣.

فهو واقع في مهبط الشقاء ومنحط البعد ومنزل المسكنة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ التين: ٤، وقوله: ﴿وَأَنْ يَنْتَكِبَ إِلَّا بَارِدًا كَأَنْ عَلَى رُءُوسِهِمْ خُفًّا تَتَقَبَّبُ الَّذِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم: ٧١، ٧٢، وقوله: ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ طه: ١١٧.

وإذا كان كذلك فوروده منزلة الكرامة واستقراره في مستقر السعادة، يتوقف على انصرافه عما هو فيه من مهبط الشقاء ومنحط البعد، وانفلاحه عنه برجوعه إلى ربه، وهو توبته إليه في أصل السعادة وهو الإيمان، وفي كلّ سعادة فرعية وهي كلّ عمل صالح، أعني التوبة والرجوع عن أصل الشقاء وهو الشرك بالله سبحانه، وعن فروعات الشقاء وهي سيئات الأعمال بعد الشرك.

فالتوبة بمعنى الرجوع إلى الله والاختلاع عن ألوات البعد والشقاء يتوقف عليها الاستقرار في دار الكرامة بالإيمان، والتسليم بأقسام نعم الطاعات والقربات.

السعادة والسَّعَاء والصَّلاح والطَّلاح الإنسانيين لا يتج غير ذلك. فبأننا إذا اعتبرنا حال الإنسان العادي في المجتمع على مناره من تأثير التعليم والتربية في الإنسان، وجدناه خالياً في نفسه عن الصَّلاح والطَّلاح الاجتماعيين، قابلاً للأمرين جميعاً، ثم إذا أراد أن يتحلَّى بملية الصَّلاح، ويتلبَّس بلباس التقوى الاجتماعي لم يمكن له ذلك إلا بتوافق الأسباب على خروجه من الحال الذي فيه، وذلك بمحاذاة القوة الأولى من الله سبحانه في باب السعادة المعنوية، ثم انتزاعه وانصراف نفسه عنها هو فيه من رثات الحال وقيد التشبُّط والإهمال، وهو توبة بمنزلة القوة من العبد فيما نحن فيه. ثم زوال هيئة الفساد ووصف الزدالة المستولية على قلبه حتى يستقرَّ فيه وصف الكمال ونور الصَّلاح، فإنَّ القلب لا يسع الصَّلاح والطَّلاح ممَّا، وهذا بمحاذاة قبول التوبة والمنغرة فيما نحن فيه، وكذلك يجري في مرحلة الصَّلاح الاجتماعي الذي يسير فيه الإنسان بفطرته جميع ما اعتبره الذين، في باب القوة من الأحكام والآثار، جرياً على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وثالثاً: أنَّ التوبة - كما يستفاد من مجموع ما تقدَّم من الآيات المنفولة وغيرها - إنما هي حقيقة ذات تأثير في النفس الإنسانية، من حيث إصلاحها وإعدادها للصَّلاح الإنساني الذي فيه سعادة دنياه وآخرته وبعبارة أخرى القوة إنما تنفع - إذا نفعت - في إزالة الشَّيْثات النَّفسانية التي تجرُّ إلى الإنسان كلَّ شقاء في حياته الأولى والأخرى، وتمنعه من الاستقرار على أريكة السعادة، وأما الأحكام الشرعية والقوانين الدينية فهي بمالها

أذركه الفرق قال أمثنت أنه لآله إلا الذي أمثنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين ۞ أَلَّنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ يونس: ٩٠، ٩١.

قال ماحضه: إن الآية لا تدل على رد توبته، وليس في القرآن أيضاً ما يدل على هلاكه الأبدى، وأنه من المستبعد عند من يتأمل سعة رحمة الله وسبغتها غضبه أن يجوز عليه تعالى أنه يرُدَّ من التجأ إلى باب رحمته وكرامته مثلاً مستكيناً بالحنية والبأس، والواحد ممَّا إذا أخذ بالأخلاق الإنسانية الفطرية، من الكرم والجود والرحمة، ليرحم أمثال هذا الإنسان التادم حقيقة على ما قدَّم من سوء الفعل، فكيف بمن هو أرحم الرَّاحمين وأكرم الأكرمين وغيث المستغيثين؟

وهو مدفوع بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ الشَّيْثَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ الآية، وقد تقدَّم أنَّ التَّدامة حينئذٍ ندم كاذب، يسوق الإنسان إلى إظهاره مشاهدته وبإل الذنب ونزول البلاد.

ولو كان كلَّ ندم توبة وكلَّ توبة مقبولة لدفع ذلك قوله تعالى حكاية لحال المجرمين يوم القيامة: ﴿وَأَسْرُوا الشَّذَامَةَ لَكُمْ وَأَوَّا الْقَذَابَ﴾ سبأ: ٣٣، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المحاكية لندمهم على ما فعلوا، وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحاً، والردَّ عليهم بأنهم لو ردُّوا لعادوا لما نهو عنه وأنهم لكاذبون.

وليتأك أن توبتهم أنَّ الذي سلكه القرآن الكريم من تحليل التوبة - على ما تقدَّم توضيحه - تحليل ذهني لاعبرة به في سوق الحقائق؛ وذلك أنَّ البعث في باب

صفقته في متجر الحياة، وإذا بدا له ما ينسر عمله ويغيب سعيه ويطل أمنيته، استولى عليه اليأس، وانسلت به أركان عمله، وربما انصرف بوجهه عن سيره آثماً من التجاح خائباً من الفوز والفلاح، والتوبة هي الدواء الوحيد الذي يعالج داءه، ويحيي به قلبه، وقد أشرف على الهلكة والردى.

ومن هنا يظهر سقوط ماربما يتوهم أن في تشريع التوبة والدعوة إليها إغراء بالمعصية، وتحريصاً على ترك الطاعة، فإن الإنسان إذا أيقن أن الله يقبل توبته إذا اقترف أي معصية من المعاصي لم يخلف ذلك في نفسه أثراً، دون أن تزيد جرأته على هتك حرمان الله، والافتجار في لجج المعاصي والذنوب، فيدق باب كل معصية قاصداً أن يذنب ثم يتوب.

وجه سقوطه: أن التوبة إنما شرعت - مضافاً إلى توقف التحلي بالكرامات على غفران الذنوب - للحفاظ على صفة الرجاء وتأثيره حسن أثره. وأما ما ذكر من استلزامه أن يقصد الإنسان كل معصية بنية أن يعصي ثم يتوب، فقد فاتته أن التوبة بهذا الثمت لا يتحقق معها حقيقة التوبة، فاتها انقلاع عن المعصية، والانقلاع في هذا الذي يأتي به، والدليل عليه أنه كان عازماً على ذلك قبل المعصية ومع المعصية وبعد المعصية، ولا معنى للثمّة «أعني التوبة» قبل تحقق الفعل، بل مجموع الفعل والتوبة في أنثال هذه المعاصي مأخوذ فعلاً واحداً مقصود بقصد واحد مكرراً وخديعة يندع بها رب العالمين، ولا يحق المكر السني إلا بأهله.

وخامساً: أن المعصية وهي الموقف السوء من

لا ترتفع عنه بتوبة، كما لا ترتفع عنه بمعصية.

نعم ربما ارتبط بعض الأحكام بها فارتفعت بالتوبة بحسب مصالح المجل، وهذا غير كون التوبة رافضة لحكم من الأحكام، قال تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ النساء: ١٦، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُا فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة: ٣٣، ٣٤، إلى غير ذلك.

ورابياً: أن الملاك الذي شرعت لأجله التوبة - على ما تبين مما تقدم - هو التخلص من هلاك الذنب وبوار المعصية، لكونها وسيلة الفلاح ومقدمة الفوز بالسعادة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَتَوَّابُوا إِلَى اللَّهِ جِبْقًا أَيْمَةً السُّؤْمُونَ لَعَلَّكُمْ تَتْلُوهُنَّ﴾ التور: ٣١، ومن فوائدها - مضافةً إلى ذلك - أن فيها حفظاً لروح الرجاء من الانحدار والركود، فإن الإنسان لا يستقيم سيره الميوي إلا بالخوف والرجاء المتبادلين، حتى يندفع عما يضره وينجذب إلى ما ينفعه، ولولا ذلك هلك، قال تعالى: ﴿فَلْيَايَعِبَادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جِبْقًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وأنبيؤا إلى ربكم﴾ الزمر: ٥٣، ٥٤، ولا يزال الإنسان - على ما نعرفه من غريزته - على نشاط من الروح القتالة، وجد في المزينة والسعي سالم تحسر

إِلَّا أَنْ الْإِسْلَامَ وَهُوَ التَّوْبَةُ مِنَ الشَّرِكِ، يَحُو كُلَّ سِيئةٍ سَابِقَةٍ وَتَبِعَةٍ مَخِصَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْفِرْعِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ: «الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ» وَبِهِ تُفْشَرُ آيَاتُ الْمَطْلُوعَةِ الدَّالَّةُ عَلَى غُرَانِ السَّيِّئَاتِ جَمِيعًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ الزمر: ٥٢، ٥٤.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا تَوْبَةُ مَنْ سَنَّ سِيئةً أَوْ أَضَلَّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ أَنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ أَوزَارٍ مِنْ عَمَلِهَا أَوْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الرَّجُوعِ لَا تَتَحَقَّقُ فِي أَشْثَالِ هَذِهِ الْمَوَارِدِ، لِأَنَّ الْعَاصِيَ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، لَهُ أَثَارٌ يَبْقَى بِقِيَّتِهَا، وَلَا يَتِمُّكُنْ مِنْ إِزَالَتِهَا، كَمَا فِي الْمَوَارِدِ الَّتِي لَا تَسْتَجَاوِزُ الْمَعْصِيَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَسَابِقًا: أَنَّ التَّوْبَةَ وَإِنْ كَانَتْ تَمَحُّو سَامِعُوهُ مِنْ السَّيِّئَاتِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الْبَقَرَةُ: ٢٧٥، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْبَيَانِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، بَلْ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُدْرِكُهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يُنْتَوَبُ إِلَى اللَّهِ سَبَاقًا الْفِرْقَانِ: ٧٠، ٧١، وَخَاصَّةً بِمِلَاحِظَةِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ التَّوْبَةَ بِنَفْسِهَا أَوْ بِضَمِيمَةِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، تَوْجِبُ تَبْدِيلَ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ، إِلَّا أَنَّ اتِّقَاءَ السَّيِّئَةِ أَفْضَلَ مِنْ اقْتِرَافِهَا ثُمَّ إِعْصَابِهَا بِالتَّوْبَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَوْضَحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الْعَاصِيَ كَيْفَمَا كَانَتْ إِنَّمَا

الْإِنْسَانُ ذُو أَمْرِ سَيِّئٍ فِي حَيَاتِهِ لَا يَتَابُ مِنْهَا وَلَا يَرْجِعُ عَنْهَا إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ وَالْإِيْقَانِ بِسَاءَتِهَا، وَلَا يَنْفَكُ ذَلِكَ عَنْ التَّوْبَةِ عَلَى وَقْعِهَا أَوَّلًا، وَالتَّوْبَةُ تَأْتِي خَاصًّا بِطَائِفَةٍ مِنَ فِعْلِ السَّيِّئِ، وَيَتَوَقَّفُ عَلَى اسْتِقْرَارِ هَذَا، الرَّجُوعُ يَبْعُضُ الْأَفْعَالُ الصَّالِحَةُ الْمُنَافِيَةُ لِتِلْكَ السَّيِّئَةِ، الدَّالَّةُ عَلَى الرَّجُوعِ وَالتَّوْبَةِ ثَانِيًا.

وَالِى هَذَا يَرْجِعُ جَمِيعُ مَا عَشِيرَ شَرْعًا مِنْ آدَابِ التَّوْبَةِ، كَالْتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبِيسِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالِانْفِلَاقِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ، وَتَعَرَّضَ لَهُ كِتَابُ الْأَخْلَاقِ.

وَسَادِسًا: أَنَّ التَّوْبَةَ وَهِيَ الرَّجُوعُ الْاِخْتِيَارِيُّ عَنْ السَّيِّئَةِ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادِيَّةِ، إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ فِي ظَرْفِ الْاِخْتِيَارِ، وَهُوَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ مَسْتَوَى الْاِخْتِيَارِ. وَأَمَّا فِيهَا لِاِخْتِيَارِ اللَّعْبِ هُنَاكَ فِي اِخْتِيَابِ كُلِّ مَنْ طَرِيقِ الصَّلَاحِ وَالطَّلَاحِ وَالتَّعَادَةِ وَالتَّقَاوَةِ فَلَا مَسْرَحَ لِلتَّوْبَةِ فِيهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يَنْتَضِحُ بِهِ ذَلِكَ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ التَّوْبَةُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَقُوقِ النَّاسِ، فَإِنَّمَا تَصْلُحُ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَقُوقِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ. وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ مِنَ السَّيِّئَةِ بِحَقُوقِ النَّاسِ مِمَّا يَحْتَاجُ فِي زَوَالِهِ إِلَى رِضَاهُمْ فَلَا يَتَدَارَكُ بِهَا الْبَيْتَةُ، لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَحْرَمَ النَّاسَ بِحَقُوقِ جَعْلِهِمْ لَهْمَ فِي أَسْوَائِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَنَفْسِهِمْ، وَعَدَّ التَّوْبَةَ إِلَى أَحَدِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا، وَحَاشَا أَنْ يُسَلِّمَهُمْ شَيْئًا مِمَّا جَعَلَهُ لَهْمَ مِنْ غَيْرِ جَرَمٍ صَدَرَ مِنْهُمْ، فَيَأْتِي هُوَ نَفْسَهُ بِمَا يَنْهَى عَنْهُ وَيُظْلِمُهُمْ بِذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ قَاتِلُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ النَّاسِ شَيْئًا يُونُسَ: ٤٤.

يُنبئه نوابها حسناً.

وتسأل: أن ظاهر الآية يدل على أنه يجب على الله أن يقبل التوبة من القادمين، مع العلم بأن الله يوجب على غيره ما يشاء، ولا يوجب أحد عليه شيئاً، إذ ليس كمثلته شيء.

الجواب: ليس المراد أن الغير يُوجب على الله أن يقبل التوبة - تعالى الله - وإنما المراد أن فضله وكرمه يستوجب هذا القبول تماماً، كما تقول للكرم: إن كرمك يفرض عليك البذل والطاء، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الْوُحْدَةَ﴾ الأنعام: ١٢.

﴿قَاوَلْتُكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ماداموا راغبين رغبة حقيقية في العودة إلى صفوف المؤمنين الأخيار، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليم بالتوبة النصوحة والزانفة، حكيم بقبول الأولى من التائب.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ الآية. أن الله يقبل من تاب إليه، على شرطه أن يتوب قبل أن تظهر له أمارات الموت، أما من تاب، وهو يساق إلى القبر فلا تقبل توبته، لأنها توبة العاجز، مما ينس من نواله.

وتسأل: وماذا أنت صانع بما روي عن رسول الله ﷺ «من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، وأن الساعة لكثير، من تاب، وقد بلغت الروح هذه - مشيراً - إلى خلقه - تاب الله عليه»؟

الجواب: في هذه الرواية خطر، لأمرين:

الأول: أنها تخالف كتاب الله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قد كثرت على الكذابة في حياتي، وستكثر بعد وفاتي، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من

تنهي إلى وساس شيطانية نوع انتهاء، ثم حبر عن الخالصين المصومين من زلة المعاصي وعثرة السيئات بما لا يعادله كل مدح، ورد في غيرهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي مَسَّ مَغْوِيَّتِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلا عبادك منهم المخلصين. قال هذا صراط على مشتبهم. إن عبادي ليس لك عليهم سلطان... ﴿المجر: ٣٩ - ٤٢، وقال تعالى حكاية عن إبليس أيضاً في القصة: ﴿وَلَأُحِثِّدَ أَكْثَرَهُمْ فِتْنًا كَرِهْنَ﴾ الأعراف: ١٧.

فهؤلاء من الناس مختصون بمقام العبودية التشريعية، اختصاصاً لا يشاركهم فيه غيرهم من الصالحين التائبين.

معتمد جواد مغنّيه: (إنما التوبة) الأصل إنما يقول التوبة، لأن على الإنسان التوبة، وعلى الله القبول، ثم حذف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهو مبتدأ ومابده خبر، (وبمبالغة) في موضع الحال، أي جاهلين، ﴿وَلَا الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ في محل جر عطفاً على قوله: ﴿يَلْبِذِينَ يَقْتُلُونَ السُّوءَ﴾.

المعنى: السوء: العمل القبيح، والجهالة: السفاهة بترك الهدى إلى الضلال، والمراد بالتوبة من قريب: أن يتوب المذنب قبل أن يساق إلى الموت، لأن الموت آت لا ريب فيه، وكل آت قريب. أما قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو على حذف مضاف، كما بيّنا في فقرة الإعراب، أي قبول التوبة عليه جلّ وعلا، والمعنى المفضل أن من أساء ثم تدم وأناب، يقبل الله إنابته، ويصفح عنه، حتى كأنه لا ذنب له، بل إن الله سبحانه

التوبة أيضًا من الذين يموتون على الكفر، ولا يندمون إلا حين يرون العذاب يوم القيامة، بل لا يقبلها منهم، وهم في طريقهم إلى هذا اليوم، كما دلت الآية (٩٩، ١٠٠) من سورة المؤمنون: ﴿عَقِبْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ لَقَدْ آفَضَ اللَّهُ إِسْمَاعِيلَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نِصْلًا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاهِقِينَ ﴿٩٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْجِنِي وَأَهْلِي بِالنَّارِ ﴿١٠٠﴾

أجل، يجوز في نظر العقل أن يغفر الله لمن يذنب ويصنع من المذنبين، وإن لم يتوبوا تفضلًا منه وكرمًا، ولكن هذا شيء وقبول التوبة عند الموت شيء آخر.

التوبة والظن:

التوبة فرع عن وجود الذنب، لأنها طلب للصفح عنه، ولا يخلو الإنسان من ذنبٍ ما كبيرًا كان أو صغيرًا إلا من عصم الله، وقد نُسب إلى الرسول الأعظم ﷺ قوله:

إِنْ تَغَرَّ اللَّهُمَّ تَغَرَّ جَاءَ وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ مَا أَلَمَّا
وقد أوجب سبحانه التوبة على من أذنب تمامًا، كما أوجب الصوم والصلاة، ومن الآيات الدالة على وجوبها هذه الآية: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ التحريم: ٨، وقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ هود: ٣، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُوبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المجرات: ١١.

والحقيقة أن وجوب التوبة لا يحتاج إلى دليل، لأنه من القضايا التي تحمل دليلها معها، فكل إنسان يدرك بفطرته أن على المسيء أن يعتذر عن إساءته، ويطلب الصفح من أساء إليه، وقد جرى على ذلك عرف الدول

النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فلا تأخذوا به، ومن أجل هذا لا تأخذ بحديث قبول التوبة إذا بلغت الروح الحلقوم.

وغير بعيد أن حكماء الجور في عهد الأسويين والعباسيين قد أوعزوا إلى بعض أذنابهم أن يضع لهم هذا الحديث، ليحتجوا به أمام الحكوميين بأن لهم مندوحة عند الله، مهما جاروا وأفسدوا، فلقد كان لكل حاكم منهم حزمة من فقهاء السوء يبررون أفعالهم، ويكيفون الدين طبقًا لأهواء الشياطين.

الأمر الثاني: أن قبول التوبة عند الموت إضرار بارتكاب الذنب والمصيبة، وهذا من عمل الشيطان، لأن عمل الرحمن.

الأمر الثالث: أن الله سبحانه إنما يقبل العمل من العامل إذا صدر منه عن إرادة وحرية كاملة. وبديهة أن الإنسان إنما يكون حرًا بالنسبة إلى العمل إذا كان قادرًا على فعله وتركه متى، أما إذا قدر على الفعل دون الترك، أو على الترك دون الفعل فإنه يكون مُسِيرًا لا مَعِيرًا، ومن هذا الباب التوبة عند الموت، إذ المفروض أن التائب في هذه الحال يعجز عن اقتراف الذنب والمصيبة تمامًا، كما يعجز عنها من يقول غدا: ﴿وَرَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ الدخان: ١٢.

فإن قبل الله التوبة ممن يساق إلى القبر، فينبغي أن يقبلها ممن يذنب في النار، والفرق تحكّم، ولذا سوى الله بينها، وعطف أحدهما على الآخر، حيث قال: ﴿وَلَا الَّذِينَ يُؤْتُونَ وَهْمَ كُفَّارٍ﴾ أي إن الله سبحانه لا يقبل

السَّبب الموجب للتوبة، قال: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ المائدة: ٢٩، أي بعد ذنبه، لأنَّ كُلَّ مَنْ أقدم على الذَّنْب فقد ظلم نفسه بتريضها للحساب والعقاب.

أما تحديد التوبة فهي أن يندم المذنب على ما كان منه، ويطلب من الله العفو والمغفرة، ولا يعود إلى الذَّنْب ثانية، فإن عاد ظلمت التوبة، واحتاج إلى استئذانها بهدٍ أحكم، وقلب أسلم. قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنِ الذَّنْبُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَوَّلُ الثَّانِيينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّوْبَةُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الاستغفار حَقَّةً لِلذَّنْبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ».

والمراد بالاستغفار: الاستغفار بالفعل، لا بالقول، فيبدأ قبل كل شيء بتأدية حقوق الناس، وردة ظلماتهم، فإذا كان قد اغتصب درهماً من إنسان أعاده إليه، وإن كان قد أساء إليه يقول أو فعل طلب منه التسامح ثم يقضي ما فات من الفرائض، كالحج والصوم والصلاة.

سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: استغفر الله، فقال الإمام: أتدري ما الاستغفار؟ إنه درجة الصالحين، وهو واقع على ستة معاني، وذكرها الإمام، منها: العزم على ترك العودة إلى الذَّنْب، وتأدية الحقوق إلى المخلوقين، وقضاء الفرائض، ومتى توافرت هذه العناصر للتائب كان من الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَأَنِّي لَفَقَّارٌ لِّرَبِّ تَائِبٌ وَأَتَّوْبٌ وَغَيْرُ ضَالٍّ ثُمَّ أَسْتَغْفِرُ﴾ طه: ٨٢، أي استمر على الهداية، وهي الإيمان والعمل الصالح، وفي الحديث: «التائب من الذَّنْب كمن لا ذنب له» بل يصحح من المسنين، قال تعالى: ﴿تَوُوبُوا إِلَيَّ يُصْفَحْكُمْ سَتَافْعًا حَسَنًا﴾ هود: ٣، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾

والشَّعُوبَ، حتى ولو حصل التعدي خطأً، ومن غير قصد. فإذا اخترقت طائرة دولة أجواء دولة أخرى، أو تجاوز زورق من زوارقها المياه الإقليمية دون إذن سابق، يجب أن تعلن اعتذارها، وإلا أذاتها الشرف والقانون. إذن كل آية أو رواية دلَّت على وجوب التوبة فهي تقرير وتعبير عن حكم الفطرة، وليست تأسيساً وتشريعاً جديداً لوجوب التوبة.

وعلى هذا فن أذنّب ولم يتب، فقد أساء مرتين: مرة على فعل الذَّنْب، ومرة على ترك التوبة، وأسوأ حالاً ممن ترك التوبة من فسحها، وعاد إلى الذَّنْب بعد أن عاهد الله على الوفاء بالطاعة والامتنال، قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَنَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ المائدة: ٩٥. وفي الحديث: «المقيم على الذَّنْب، وهو مستغفر منه كالمنتهز»، «أَنَّ اللَّهَ يَسْتَهْزِئُ بِيَوْمٍ يَعِدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَقْتَهُونَ» البقرة: ١٥.

ويتحقق الذَّنْب بترك ما أمر الله به، أو فعل ما نهى عنه عن قصد وتصميم. وبدمية أن أحكام العقل هي أحكام الله بالذات، لأنه جلَّ وعزَّ يُبلِّغ أحكامه بوسيلتين: العقل، ولسان رسله وأنبيائه. والنتيجة المحتملة لهذا المبدأ أنه لا ذنب ولا عقاب بلايان، على حدِّ تعبير الفقهاء المسلمين، أو بلانصَّ على حدِّ تعبير أهل القوانين الوضعية.

إذا تمهَّد هذا تبين معنى أن الإنسان إما يكون مذنباً وعاصياً إذا فعل ما نهى الله عنه، أو ترك ما أمر الله به عن تمسُّد وعلم، فإذا فعل أو ترك ناسياً، أو مكرهاً، أو جاهلاً، من غير تقصير وإهمال فلا يُعدُّ مذنباً، ريتني

فإن كانت متجهة إلى الحسن من الشار اندفع مع رغبته،
وإلا أوقفها وكبح جماحها، وليس هذا بالأمر العسير.
ولو لم يكن للإنسان مع ظروفه حول وطول لما أنصف
بأنه محسن، وبأنه سيئ، ولبطل العقاب والثواب،
وسقط المدح والذم، ولما كان لوجود الأديان والأخلاق
والشرائع والقوانين وجه ومبرر.

سؤال ثان: قلت: إن التوبة فرع الذنب، مع العلم
بأن الأنبياء والأئمة كانوا يتوبون إلى الله، وهم مبرؤون
عن العيوب والذنوب.

الجواب: أن الأنبياء والأئمة مطهرون من الذنوس
والمعاصي، مافي ذلك ريب. ولكنهم كانوا المعرفتهم بالله،
وشدة خوفهم منه يتصورون أنفسهم مذنبين، فيتوبون
من ذنب وهمي لا وجود له. وهذا مظهر وأثر من آثار
عصمتهم وعلو مكانتهم. لأن العظيم من لا يرى نفسه
عظيماً، بل لا يراها شيئاً مذكوراً في جنب الله، ويتهمها
دائماً بالتقصير في طاعته وعبادته، ومن أجل هذا يسأله
العفو، ويستعين به على حسن العاقبة، على العكس من
﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَخْتُمُ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: ١٠٤.

وخير ما قرأته في هذا الباب قطعة من مناجاة الإمام
زين العابدين عليه السلام، يطلب فيها من الله أن يسخر له عبداً
من عباد الصالحين مستجاب الدعوة لديه تعالى، كي
يرى هذا العبد سوء حال الإمام من شدة خوفه من الله،
فيتأثر، وتأخذه الرقة على الإمام، ويتوسل إلى المخالق
الجليل أن يرفق بالإمام، فيسمع الله دعوة هذا العبد
الصالح، وينجو الإمام من غضب الله وسخطه، ويفوز

البقرة: ٢٢٢، وقال الرسول الأعظم عليه السلام: «من رأى أنه
مسيء فهو محسن».

أما السر لإحسان التائب، وعظيم منزلته عند الله
سبحانه، فهو معرفته بنفسه، ومحاسبتها على كل عيب
ونقص، وجهادها على الكمال والطاعة، هذا الجهاد
الذي عبر عنه رسول الله عليه السلام بالجهاد الأكبر. وقد يما
قال الأنبياء والحكماء: «اعرف نفسك». ومرادهم أن
يعرف الإنسان مافي نفسه من عيوب، ويعمل على
تطهيرها من كل شائبة.

وقد يقول قائل: إن الإنسان نتيجة لعوامل كثيرة:
منها أبواه، ومدرسته، ومجتمعه، ومناخه، ومال ذلك مما
يؤثر في تكوين شخصيته، ولا حول معه ولا طول،
وعليه فلا يتصف الإنسان بأنه أذنب وأساء، لأن الذنب
ذنب المجتمع والظروف، ومتى اتنى الذنب اتنى موضوع
التوبة من الأساس.

الجواب: صحيح أن محيط الإنسان وظروفه تؤثر به،
ولكن صحيح أيضاً أن ذات الإنسان وإرادته تؤثر في
ظروفه وبيئته، كما يتأثر هو بها، لأن لكل من الإنسان
وظروفه واقفاً ملموساً، وكل شيء له واقع ملموس لا بد
أن يكون له أثر كذلك، وإلا لم يكن شيئاً، وعلى هذا
يستطيع الإنسان أن يؤثر في ظروفه، بل يستطيع أن
يقبها رأساً على عقب، إذا كان عبدياً، والشاهد الحسن
والوجدان.

إن شأن الظروف التي يعينها الإنسان أن تبعث في
نفسه الميل والرغبة في تمار الظروف ونتائجها، وعلى
الإنسان أن ينظر ويراقب هذه الشار، وتلك الرغبة،

التصور، أو في تقدير الأمور، أو في حسابات الترميح والخسارة، أو غفلة عن النتائج السلبية على قضية المصير الأخروي، أو الخضوع لسلطان الشهوة تحت تأثير النفس الأتامة بالسوء، مما يدخل في عنوان «الشفاعة» العقلية أو العملية، في غياب الوعي الصافي الذي ينظر إلى الأمور بوضوح، ويتحرك معها باتزان.

﴿ثُمَّ يُخَوِّنُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قبل أن يحايثوا الموت، وذلك في الحالة التي يملكون فيها التراجع عن الانحراف، لأنَّ الساحة تحمل الكثير من الفرص للتغيير، لأنَّ التوبة في مثل هذه الحالة تعني وعي خطورة الخطيئة، وإرادة العودة الواعية إلى الله، مما يوحي بأنَّ هذا الإنسان يتحرك في نطاق العودة إلى معنى إيمانه، في حركة الطاعة لله.

وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ المراد بقوله: (يَسْأَلُ قَرِيبٌ) الزمان القريب من وقت حصول المعصية، فيكون المعنى: التوبة الفورية والتدبُّ السريع، لأنَّ ذلك هو الذي يمنع من^(١) زوال أثر المعصية من النفس، وعدم تجذُّرها في عمق الشخصية، فتكون الآية واردة على سبيل الإيحاء بالتوجه الإلهي بضرورة السرعة في التوبة، فإنَّها أقرب إلى القبول، ولا يمنع ذلك من قبول التوبة بعد مرور زمان على المعصية، باعتبار أنَّه يؤدي دوراً مهماً في تصحيح المسار، لكنَّ الحالة الأولى أقرب إلى الاستقامة.

﴿قَالُوا لَكَ يٰثَوْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ من موقع رحمته التي تتسع للخاطئين الثائنين الذين ابتعدوا عنه بفعل نقاط

برضاه ومغفرته، وهذا ما قاله الإمام بالحرف: «فلعلَّ بعضهم برحمتك يرحمني لسوء موقي، وتذكره الرقة على لسوء حالي، فينالي منه بدعوة هي أسمع لديك من دعائي، أو شفاعه أؤكد عندك من شفاعتي، تكون بها نجاتي من غضبك، وفوزي برضاك».

قال الإمام زين العابدين، وسيّد السجّادين مخاطباً ربه: «لعلَّ بعضهم أؤكد عندك من شفاعتي تكون بدعوته نجاتي». قال هذا يوم لأحد على وجه الأرض يدانيه في فضيلة واحدة من فضائل الجمل، وهنا يكن سرّ الجلال والعظمة والكمال.

وبعد، فإنَّ التوبة متشعبة الأطراف، وتتسع لكتاب مستقل، وقد نعود إلى الكلام عنها في مناسبة ثانية.

(٢: ٢٧٢)

فضل الله: لمن التوبة؟

للتوبة - في المفهوم الإسلامي القرآني - معنى العمق الإيماني في الانفتاح على الله بالعودة إليه - في حالة الخطيئة - بالإحساس العميق بالتدبُّ على التعمُّد المعنوي على أوامره ونواهي، والإرادة القوية الواعية في تغيير المسار في خطِّ الانحراف إلى خطِّ الاستقامة، ومن تحويل الموقف من واقع المعصية إلى واقع الطاعة، في روحية إيمانية، تتمثل بالإخلاص في العلاقة بالله.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ الذي يتقبل التوبة عن عباده، مما فرضه لهم من الحقِّ في قبولها بالغفر عن الخطيئة، وغفران الذنب وإدخالهم في رحمته من جديد، ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ﴾ الذنب (بمعناته) بالسَّير في خطِّ الانحراف عن خطِّه المستقيم، انطلاقاً من خلل في

(١) كذا، والظاهر، من تتكَّن أثر المعصية.

الفرصة قد انتهت، وأنه يدخل في عالم جديد يواجه فيه نتائج أعماله، ويقدم فيه حساب عمره كله، ﴿قَالَ إِنِّي بُئِيتُ الآنَ﴾ كوسيلة من وسائل التجربة في الخروج من المأزق والتعبير عن الإحباط. فلم تكن المسألة لديه مسألة وعي وإرادة للتغيير، لأنَّ الوقت قد ذهب، بل هي مسألة اضطراب خائف، لاعمق له في الاختيار.

﴿وَلَا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَثَارٌ﴾ فلم يأخذوا من الإيمان بأي سبب في كل مجالات حياتهم، مع قيام المحبة عليهم في ذلك كله، ﴿أُولَئِكَ أَقْعَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة، جزاء لتزدهم على الله، في الخطأ الفكري والعملية.

وهكذا أراد الله التوبة لعباده رحمة بهم، وتشجيعاً لهم على التراجع عن مواقف الخطأ من موقع الإرادة الواعية المسؤولة، لينفصلوا بذلك عن الأجواء المنحرفة في كل ماتحتويه من مشاهير وأحاسيس وعلاقات وظروف ونزوات ونزعات، فيقف الإنسان موقف المتأمل الذي يحسب حساب ذلك كله في جميع نتائجه وآثاره، بعيداً عن كل الضغوط المحسّية والمنعوية؛ فيفكر كيف يستقبل عواقب ذلك بوعي ومسؤولية.

وعلى ضوء ذلك، كان لابد للتوبة من وعي للعواقب ومن إرادة للتغيير، فيطلق الإنسان ليدخل في عملية مقارنة بين المبادئ التي يؤمن بها، من خلال مايقوله إيمانه بالله وطاعته له، من تخطيط للعمل في صعيد الواقع، وبين الممارسات الفلقة المنحرفة التي تحركت في واقع حياته العملية.

وهنا تبدأ عملية الشعور بالضبط الروحي الذي

الضبط التي سيطرت على شخصياتهم وأرادوا العودة إليه، بفعل التمرّد على الضبط في اتجاه الانتحاح على القوة، لأنَّ الله يريد أن يمنح الإنسان الفرصة في كل وقت، لتحويل نقاط الضبط في ذاته إلى نقاط قوة، فإنَّ ذلك يوحي بأنَّ هذا الإنسان قد بدأ الرحلة الجديدة إلى الله في عملية إخلاص وتوحيد.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بالواقع الإنساني الذي تحتضن الفرائز في داخله لتعود كل حركته، وتتحرك التوازن في حياته لتوجه هذه الفرائز إلى دائرة الانحراف، مما يجعل للإنسان بعض العذر في خطاياه، تحت تأثير الضغوط الداخلية والخارجية، الأمر الذي يريد الله فيه أن يساعده على الوقوف في خطّ المواجهة والانتصار على الذات.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيَاطِ﴾ ويستخفون فيها ويغفلون إلى الأرض في ضفلة مستمرة، لاتدع مجالاً لأي تغيير في الدّاخل، وتتردّد على أية حالة من حالات التوعية واليقظة الروحية، لأنَّ المسألة عندهم هي أن يعيشوا العمر في دائرة الشهوات والأطباع والملذّات والأنانيات، بعيداً عن أية رسالة وعن أية عودة إلى الله وإنابة إليه ورفقة في الحصول على رضوانه، فهم سادرون في غيهم، مصرّون على خطاياهم، متمردون على ربهم، غافلون عن آخرتهم وعن النتائج المهلكة التي يواجهونها هناك، فلا يفكرون في توبة، ولا يعملون للتراجع عن الذّنوب.

﴿حَتَّىٰ إِذَا خَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَمَوْتَ﴾ وعابن الأحوال القادمة، ورأى تهاويل الواقع الجديد، وعرف أن

الصَّيْر، ويطلق بالإنسان في عملية التغيير، لأنَّ السَّاحة الزَّمنية المفتوحة أمامه ترك له المجال لتجربة جديدة وعمل جديد، من أجل التصحيح والتَّحْويج. وهؤلاء الَّذِينَ يمارسون موقف التَّوبة في هذا الاتجاه، هم الَّذِينَ يستقبل الله توبتهم، ويفتح لهم باب رحمته ومغفرته، على أساس علمه بهم وبمطلقاتهم وتطلعاتهم، من خلال ما تقتضيه الحكمة من إفصاح المجال للإنسان الَّذي يعيش حركة التجربة في حياته بين الخطيئة والصَّواب، أن يبدأ عملية التصحيح في كلّ فرصة مناسبة لذلك.

وهناك النموذج الَّذي تمتدُّ به المصيبة في نطاق التَّمرّد في عمر الزَّمن، فهو لا يفكر أبداً أن يتوقف مادامت الحياة مفتوحة، والفرصة متاحة له، لأنَّ الفضيحة عنده - في كلّ طموحاته - هي إرواء شهوته، وتحقيق مطامعه الدَّنيوية. أمَّا حسابات الله والدَّار الآخرة، فهي مؤجَّلة دائماً، بل ربَّما كانت من الأمور التَّانويّة المفعول عنها الَّتِي لا يدخلها في حسابيه، حتّى إذا واجه الموت وضائق عليه نواحي الحياة قال: «إِنِّي تُبْتُ الآن» ولكنَّها ليست توبة، بل هي محاولة هروب من حراجة الموقف بالاطلاق بالكلمة التَّريفة الَّتِي يواجه بها الكثيرون من النَّاس المواقف الصَّعبة، من أجل أن يخففوا بذلك من حراجة المشكلة، ثمَّ يرجعون عنها إذا كان هناك مجال للرَّجوع.

وبذلك لا تكون هذه الكلمة تمييزاً عن موقف وحي وإرادة تغيير، بل تكون تمييزاً عن حالة تَخَلُّص من المألوف الصَّعب. ويمثِّل هذا النموذج في نوعين من

يشير في داخله الإحساس بالتَّدم، في حركة المسؤوليّة في فكره وضميره، وتحرك إرادة التَّحول والتَّغيير في داخل نفسه. ولعلَّ من البديهي أن يكون للإنسان امتداد في حياته العمليّة في المستقبل، يعيش هذا الوعي وهذه الإرادة، وليتحقّق له الصِّدق الواعي الحرّ، ولهذا جاءت هاتان الآيتان لتجيبا عن السَّؤال: «لَمَن التَّوبة»؟

وكان الجواب، حديثاً عن نموذجين من النَّاس، فهناك النموذج الَّذي عمل السَّوء بجهالة، وربَّما كانت كلمة «الجهالة» تعطي معنى عدم العلم، وربَّما كانت تعبّر عن السَّفاهة وعدم الوعي وعدم المسؤوليّة، على أساس العلم الَّذي لا يترك تأثيره في عمليّة الوعي الدَّاخليّ لا يعتمد على الجهل في طبيعة النتائج السَّلبية.

وقد كثر في القرآن، وفي غيره، استخدام كلمة «الجهالة» للتَّعبير عن ذلك، بل ربَّما قال بعض العلماء: إنّ كلمة «الجهالة» تعني السَّفاهة بشكل أساسي. وربَّما كان هذا المعنى هو الأقرب للفكرة الَّتِي تعالجها الآية، لأنَّ التَّوبة لا تنحصر بأولئك الَّذِينَ يحصن الله عن غير علم بما يفعلون، بل تشمل كلّ أولئك الَّذِينَ ينحرفون عن الخطَّ جهلاً أو عمداً، من دون وعي عمليّ دَّاخليّ للنتائج، بالمستوى الَّذي يحرك الإحساس والسَّمع، ويحوِّل المعرفة إلى حالة شعوريّة دَّاخليّة قويّة. فقد فتح الله لكلِّ أولئك باب التَّوبة، إذا تراجعوا عن انحرافهم وتابوا عن قريب، أي قبل أن يدهمهم الموت فيلاقوه وجهاً لوجه.

فإنَّ التَّوبة تمثِّل - في مثل هذا النموذج - الموقف الَّذي يعبر عن غفلة الإيمان داخل النَّفس، وحركته في آفاق

العملية في المستقبل، ولن يكون ذلك إلا في المجال الذي ينظر فيه المستقبل في انطلاقات الأمل الكبير بالحياة، وفي ضوء ذلك لا تكون أمثال هذه الروايات بعيدة عن الجوامع والآية.

التوبة في خطئ التربية الإسلامية:

ومن خلال هذا العرض، نستطيع اعتبار التوبة وسيلة عملية من وسائل التربية الزوجية والعملية، لأن الإنسان قد يعيش في أغلب مواقفه الوقوع في خطأ التجربة، ويعاني من عقدة الشعور بالنقص أمام المنحدر السحيق الذي تقوده إليه أخطاؤه، وربما يقوده ذلك إلى التعقيد الداخلي والصراع الزوجي، عندما يصطدم بالحقيقة، ويواجه النتائج الحاسمة وجهًا لوجه، من دون أن يتمكن من تغيير الواقع، فيبقى أسير عقده. ويتحول ذلك إلى موقف سلبي من الحياة والأشخاص من حوله، نتيجة ماثيره العقدة الداخلية من أحاسيس ومشاعر، وتحركات وتعقيدات.

وجاءت التوبة الإلهية لتقوّل للإنسان، بأن الخطأ حالة طبيعية في حياته، انطلاقًا من نوازع الضعف الكامنة في داخل نفسه، التي قد يستسلم لها تارةً، وقد يتمرّد عليها أخرى، فكان لا بدّ له من أن يسقط أمام حالات الضعف، ولكن ليس معنى ذلك أنها ضريبة لازمة له، لا يستطيع الفكّال منها والتحرّر من عبوديتها، بل هي قضية طبيعية قائما، كما هي الحالات الطبيعية العارضة للإنسان التي قد يحتاج إلى التعامل معها بمهارة، ومعالجتها بحكمة وقوة، كما يحتاج إلى عدم مواجهتها

الناس: المؤمنين الذين يعيشون الإيمان فكرًا بعيدًا عن الممارسة، والكافرين الذين يواجهون الموت بالكفر، من دون عمق في الفكر والشعور، وامتداد في مجال الالتزام والممارسة. وقد أكدت الآية أنّ هؤلاء لا تُعجل توبتهم بل ينظرهم العذاب الأكبر.

وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ في آخر خطبة خطبها: «من تاب قبل موته بسنة، تاب الله عليه. ثم قال: إنّ السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر، تاب الله عليه. ثم قال: إنّ الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بجمعة، تاب الله عليه. ثم قال: إنّ الجمعة لكثيرة، ومن تاب قبل موته بيوم، تاب الله عليه. ثم قال: إنّ يومًا لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة، تاب الله عليه. ثم قال: وإنّ الساعة لكثيرة، ومن تاب وقد بلغت نفسه هذه - وأهوى يده إلى حلقه - تاب الله عليه».

وسئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: «وَلَيْسَتِ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَقَّ إِذَا خَصَرَهُمْ السُّوءُ قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْآنَ» النساء: ١٨، قال: ذلك إذا عاين أمر الآخرة. ويقول صاحب «الميزان» - تعليقًا على ذلك: «والرواية الثانية تفسر الآية وتفسر الروايات الواردة في عدم قبول التوبة عند حضور الموت، بأن المراد من حضور الموت: العلم به، ومشاهدة آيات الآخرة، ولاتوبة عندئذ. وأما الجاهل بالأمر، فلا مانع من قبول توبته».

وماستوحينا من الآية أنّ المقصود بها التوبة التي تُبرّر عن موقف وعي، وإرادة تغيير في ما ينظره الإنسان من الساحة الجديدة الزمنية التي تتحرك فيها خطواته

موقف وعي للمبادئ وإرادة للتغيير. ومحاولة جادة لتركيز الشخصية على أساس متين، مما يجعل من التصور الإنساني للمستقبل، تصوراً للموقف الجديد الثابت الممتد في كل خطوات الزمن، وهذا ما عبر عنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في دعاء التوبة، في الصحيفة السجادية في مناجاته لله:

«اللهم أيما عبد تاب إليك، وهو في علم الغيب عندك فاسخ لتوبته وعائنه في ذنبه وخطيئته فإني أعوذ به أن أكون كذلك، فاجعل توبتي هذه توبة لأحتاج بعدها إلى توبة موجبة، لهو ماسلف والسلامة في ما بقي».

ثم يؤكد التخصيم على الثبات على التوبة - الموقف - فيجعل على الاستمانة بالله على أن يمنحه القوة للاستمرار على هذا الخطأ:

«اللهم ولاوفاء لي بالتوبة إلا بمصمتك، ولااستمساك بي عن الخطايا إلا بقوتك، فقوتي بقوة كافية، وتولني بصمة مائة».

وهذا ما أثارته الآيتان الكريمتان في تحديدهما للتوبة المقبولة وغير المقبولة والله العالم. (١٤٧: ٧)

مكارم الشيرازي: شرائط قبول التوبة:

وفي هذه الآية يشير سبحانه إلى شرائط قبول التوبة، إذ يقول: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ».

وهنا يجب أن نرى ماذا تعني «الجهالة» هل هي الجهل وعدم المعرفة بالمعصية، أم هي عدم المعرفة بالآثار السيئة والعواقب المؤلمة للذنوب والمعاصي؟ إن كلمة «الجهل» وما يشتق منها وإن كانت لها معان

باللأسبالة والسلبية والاستمرار في أجواء الضياع.

وهكذا كانت التوبة من أجل مساعدة الإنسان على مواجهة المعصية والخطأ. كحالة طارئة لتزول وتذهب وتذوب، فلا تبقى في حياته كمقدمة، لتتجدد له مشاعر الثقة بإنسانيته، وبقدرته على رد التحذري، وممارسة التغيير، والبدء من جديد. فلا يبقى أسير العقدة، بل يقف أمام الله بكل حرية الإرادة، وإرادة التغيير، في ثياب بيضاء، وقلب مفتوح للحق والخير، والأصل الكبير بالمستقبل الأبيض الذي يبدأ من جديد تماماً، كما لو لم يكن هناك أي ماضٍ معقد أسود، لأن «الثائب من الذنب كمن لا ذنب له»، فيخرج منه كما ولدته أمته.

وإذا تاب الله على الإنسان، وعاش مشاعر التوبة، وأحسن بالطف الإلهي يغمره بالمنفرة والرضوان، فإنه يعيش الشعور الملائكي الروحي في نفسه، كما لو كان ملاكاً يطير بجناحين، من طهر ونقاء وفرح روحي كبير غامر، فيتجدد ويتحول إلى إنسان جديد، يبدأ الحياة مع الله، في انطلاقة عمر جديد.

وفي ضوء ذلك، لن تكون التوبة - كما يحيل للبعض - وسيلة من وسائل تشجيع الإنسان على الامتداد في الخطأ والاستفراق في الجريمة، لأنه يجد في التوبة طريقة للهروب كلها أراد ذلك، وهكذا حتى تكون حياته كلها جريمة وتراجعا. الأمر الذي يجعل الشخصية الإنسانية في مستوى المسيحية الروحية والأخلاقية، باسم التصحيح والتراجع. وقد أوضحنا الموضوع - من خلال مفهومنا للآية - وقلنا: بأن التوبة ليست حالة طارئة سريعة، تتحرك في ظاق الممارسة الشكلية، بل هي

الحياة الدنيوية معها بعدت فهي قريبة.

ولكن استعمال لفظه (قريب) إنما هو لأجل أن نهاية

الحياة الدنيوية معها بعدت فهي قريبة.

ولكن بعض المفسرين ذهب إلى تفسير لفظه (بِرْ)

قريباً: بالزمان القريب من وقت حصول المصيبة.

فيكون المعنى أن يتوبوا فوراً، ويندموا على ما فعلوه

بسرعة، ويتوبوا إلى الله، لأنَّ التوبة الكاملة هي التي

تسلك آثار الجريمة وتزيل رواهبها من الجسم والزواج

بشكل مطلق حتى لا يبقى أثر منه في القلب، ولا يمكن

هذا إلا إذا تاب الإنسان وندم قبل أن تتجذر المصيبة في

كياها، وتعمق آثارها في وجوده، فتكون له طبيعة

ثانية؛ إذ في غير هذه الصورة ستبقى آثار المصيبة في زوايا

الروح الإنسانية، وتُشعشع في خلايا قلبه، فالتوبة

الكاملة إذن هي التي تتحقق عقيب وقوع اللذنب في

أقرب وقت، ولفظة (قريب) أنسب مع هذا المعنى من

حيث اللغة والفهم العربي.

صحيح أن التوبة التي تقع بعد زمن طويل من

ارتكاب المصيبة تُقبل أيضاً إلا أنها ليست التوبة

الكاملة. ولعلَّ التعبير بجمله (عَلَى اللَّهِ)، أي على الله

قبولها، كذلك إشارة إلى هذا المعنى، لأنَّ مثل هذا التعبير

لم يرد في غير هذا المورد من القرآن الكريم، ومفهومه هو

أنَّ قبول التوبة القريبة من زمن المصيبة حق من حقوق

العباد، في حين أنَّ قبول التوبة البعيدة عن زمن المصيبة

تُقبل من الله وليس حقاً.

ثم إنه سبحانه - بعد ذكر شرائط التوبة - يقول:

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا عَكِيمًا﴾

مختلفة، ولكن يستفاد من القرائن أنَّ المراد منها - في

الآية المبحوثة هنا - هو طغيان الفرائز، وسيطرة الأهواء

الجماحة، وغلبتها على صوت العقل والإيمان. وفي هذه

الصورة وإن لم يفقد المرء العلم بالمصيبة، إلا أنه حينما يقع

تحت تأثير الفرائز الجماحة، ينتفي دور العلم ويفقد مفعوله

وأثره، وفقدان العلم لأثره مساوٍ للجهل عملاً.

وأما إذا لم يكن الذنب عن جهل وغفلة، بل كان عن

إنكار لحكم الله سبحانه وعناد وعداء، فإنَّ ارتكاب مثل

هذا الذنب يُنبئ عن الكفر، ولهذا لا تُقبل التوبة منه، إلا

أن يتخلَّى عن عناده وعدائه وإنكاره، وتمزده.

وفي الحقيقة إنَّ هذه الآية تبين نفس الحقيقة التي

يذكرها الإمام السَّجَّاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة ببيان

أوضح؛ إذ يقول: «إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا

بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستغف، ولا لمعقوبتك

متعرض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت

وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي».

ثم إنَّ الله سبحانه يشير إلى شرط آخر من شروط

قبول التوبة؛ إذ يقول: ﴿ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.

هذا وقد وقع كلام بين المفسرين في المراد من

(قريب) فقد ذهب كثيرون إلى أنَّ معناه التوبة قبل أن

تظهر آثار الموت وطلوعه، ويستشهدون لهذا الرأي

بقوله تعالى: ﴿وَلْيَسِّرْ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ السَّيِّئَاتِ

حَتَّىٰ إِذَا خَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ الَّذِي جَاءَ فِي مَطْلَعِ

الآية اللاحقة، ويشير إلى أنَّ التوبة لا تُقبل إذ ظهرت

علامات الموت.

ولعلَّ استعمال لفظه (قريب) إنما هو لأجل أن نهاية

كما يستفاد من بعض الآيات القرآنية، مثل الآية (١٢) من سورة السجدة: «أَنْ الْمَاءَ يَنْدَمُونَ عِنْدَمَا يَشَاهِدُونَ الْعَذَابَ الْإِلَهِيَّ فِي الْآخِرَةِ. وَلَكِنْ لَا تَحِينَ مَتَدَمٌ، فَلَفَائِدَةُ لَدَمِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ أَشْبَهَ مَا يَكُونُونَ بِالْجَرَمِينَ الَّذِينَ إِذَا شَاهَدُوا أَصْوَادَ الْمُسْتَنْقَةِ وَأَحْسَنُوا بِالْحَبْلِ عَلَى رِقَابِهِمْ نَدَمُوا عَلَى جَرَائِمِهِمْ وَأَفْضَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ. فَمَنْ الْوَاضِحُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ التَّوْبَةِ وَهَذَا التَّدَمُّ لَا يَمُتُّ فَضِيلَةً، وَلَا مَغْفِرَةً وَلَا تَكَامُلًا، وَلِهَذَا لَا يَكُونُ لَهَا أَيُّ تَأْثِيرٍ.

على أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لِاتِّفَاقِ الزَّوَايَاتِ الَّتِي نَصَّتْ عَلَى إِمْكَانِ قَبُولِ التَّوْبَةِ حَتَّى عِنْدَ اللَّحْظَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْحَيَاةِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي هَذِهِ الزَّوَايَاتِ هِيَ اللَّحْظَاتُ الَّتِي لَمْ تَظْهَرْ فِيهَا بَعْدَ مَلَاغِ الْمَوْتِ وَأَثَارُهُ وَطَلَاتُهُ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَمْ تَحْصَلْ لَدَى الشَّخْصِ الْعَيْنِ الْبَرْزَخِيَّةِ الَّتِي يَقِفُ بِهَا عَلَى حَقَائِقِ الْعَالَمِ الْآخِرِ.

هَذَا عَنِ الطَّائِفَةِ الْأُولَى الَّذِينَ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتِهِمْ، وَهَمُ مِنْ يَتَوَبُّونَ عِنْدَمَا تَظْهَرُ أَمَامَ عَيْنِهِمْ مَلَاغِ الْمَوْتِ، وَتَبْدُو عَلَيْهِمْ آثَارُهُ.

وَأَمَّا الطَّائِفَةُ الثَّانِيَّةُ الَّذِينَ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتِهِمْ، فَهَمُ الَّذِينَ يَتَوَبُّونَ كَفَّارًا، إِذْ يَقُولُ سُبْحَانَهُ:

﴿وَلَا الَّذِينَ يُؤْتُونَ وَهُمْ كَفَّارًا﴾. وَلَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَهَذَا يَطْرَحُ سَوَالاً وَهُوَ: مَتَى لَا تَقْبَلُ تَوْبَةَ الَّذِينَ يَتَوَبُّونَ كَفَّارًا؟

احْتَمَلُ الْبَعْضُ أَنَّ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتِهِمْ فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ، وَاحْتَمَلُ آخَرُونَ أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ التَّوْبَةِ - فِي هَذَا

مَشِيرًا بِذَلِكَ إِلَى نَتِيجَةِ التَّوْبَةِ الَّتِي تَوَقَّرَتْ فِيهَا الشَّرُوطُ الْمَذْكُورَةُ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَخْمَلُونَ الشَّيْءَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يُؤْتُونَ وَهُمْ كَفَّارًا...﴾ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَنْ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتَهُ.

وَعَلَّةَ عَدَمِ قَبُولِ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّوْبَةِ وَاضِحَةٌ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ فِي رَحَابِ الْمَوْتِ تَتَكَشَّفُ لَهُ الْأَسْتَارُ، فَيَرَى مَا لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ مِنْ قَبْلُ، فَهُوَ يَرَى بَعْدَ انْكِشَافِ الْغَطَاءِ عَنْ عَيْنَيْهِ بَعْضَ الْحَقَائِقِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعَالَمِ الْآخِرِ، وَيَشَاهِدُ بِعَيْنَيْهِ نَتَائِجَ أَعْمَالِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَتَتَخَذُ الْقَضَايَا الَّتِي كَانَ يَسْمَعُ بِهَا صِفَةَ مَحْسُوسَةٍ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَنْدَمَ كُلُّ مَجْرَمٍ عَلَى جَرَمِهِ وَأَفْضَالِهِ السَّيِّئَةِ وَيَفْرَّ مِنْهَا فِرَارَ الَّذِي يَرَى اقْتِرَابَ أَلْسِنَةِ اللَّهِ بِجَسَمِهِ.

وَمِنَ الْمُسَلِّمِ أَنَّ التَّكْلِيفَ الْإِلَهِيَّ وَالِاخْتِيَارَ الزَّيْنِيَّ لِلْبَشَرِ لَا يَقُومُ عَلَى أُسَاسِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمَشَاهِدَاتِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، بَلْ يَقُومُ عَلَى أُسَاسِ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، وَالْمَشَاهِدَةِ بِعَيْنِي الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ.

وَلِهَذَا نَقَرْنَا فِي الْكِتَابِ الْمَرْبُوعِ: أَنَّ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ كَانَتْ تَتَفَلَّقُ فِي وَجْهِ بَعْضِ الْأَقْوَامِ الْعَاصِيَةِ، عِنْدَ ظُهُورِ طَلَاتِ الْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْقَعْمَةِ الْعَاجِلَةِ، وَلِلْمَثَالِ نَقَرْنَا قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ فِرْعَوْنَ إِذْ يَقُولُ: ﴿حَقٌّ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ أَمْسَأْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَسْتُ بِهِ بِتَوَاسُطِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أَلَمْ يَكُنْ وَقَدْ غَضِبْتُ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ الْمُسْتَعْبِدِينَ﴾ يُونُسُ: ٩٠، ٩١.

المقام - ليس هو توبة العباد، بل توبة الله، يعني عود الله على العبد وعفوه ورحمته له.

ولكن الظاهر هو أن الآية تهدف أمراً آخر، وتقول: **إِنَّ الَّذِينَ يَتُوبُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ حَالِ الْمَافِيَةِ وَالْإِيمَانِ، وَلَكِنَّهُمْ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ أَمْرٌ.**

وتوضيح ذلك: إننا نعلم أن من شرائط قبول الأعمال: الموافقة على الإيمان، بمعنى أن يموت الإنسان مؤمناً، فالذين يموتون وهم كفَّار تحبط أعمالهم السابقة حتى الصالحة منها، حسب صريح الآيات القرآنية. وتتني فائدة توبتهم من ذنوبهم، حتى إذا تابوا حال الإيمان في هذه الصورة أيضاً.

وخلاصة القول: أن قبول التوبة مشروط بأمرين: الأول: أن تتحقق التوبة قبل أن يرى الشخص علام الموت، والثاني: أن يموت وهو مؤمن.

ثم إنه يستفاد من هذه الآية أيضاً أن على الإنسان أن لا يؤخر توبته؛ إذ يمكن أن يأتيه أجله على حين غفلة فتُغلق في وجهه أبواب التوبة، ولا يتمكن منها حينئذ. والمكفَّت للظن أن تأخير التوبة الذي يُعبر عنه بالتسوف قد أُرِد في الآية المحاضرة بالموت حال الكفر، وهذا يكشف عن أهمية التسوف وخطورته البالغة في نظر القرآن.

ثم يقول سبحانه في ختام الآية: **﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَغْزَاةِ﴾**، ولا حاجة إلى التذكير بأنَّ للتوبة مضاعفاً إلى ما قبل شرائط أخرى مذكورة في آيات مشابهة من الكتاب العزيز. (٣: ١٣٩)

٣- **الَّذِينَ يَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الثَّوَابُ الرَّجِيمُ** التوبة: ١٠٤ راجع «ق ب ل» يقبل.

٤- **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَقُولُوا عَنِ النَّبِيِّاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** السورى: ٢٥ الإمام علي عليه السلام، روى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله ﷺ، وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، وكبر.

فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلى التوبة.

فقال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟

قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الدائمة، ولتنضيق القرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلالة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. (الزَّهَّاقِيُّ ٣: ٤٦٨) السُّدِّيُّ: هو صدق العزيمة على ترك الذنوب، والإنابة بالقلب إلى علام القيوب. (التنقي ٤: ١٠٦) سري السَّقَطِي: التوبة: الزم على ترك الذنوب، والإقبال بالقلب إلى علام القيوب. (ابن حنبل ٥: ٣٥) التستري: التوبة: الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال الحميدة. (البغوي ٤: ١٤٥) جُنَيْد البغدادي: هو الإعراض عما دون الله.

الْأَلُوسِي : التوبة : أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب في الحال ، ويندم على ماضى ، ويعزم على تركه في المستقبل.

وزادوا التقضي منه بأي وجه أمكن إن كان الذنب لمسبب فيه حق ، وذلك بالرد إليه أو إلى وكيله أو الاستحلال منه إن كان حثيًا ، وبالرد إلى ورثته إن كان ميتًا ووجدوا ، ثم القاضي لو كان أمينًا وهو كالإكسیر ومن رأى الإكسیر ؟ فإن لم يقدر على شيء من ذلك يتصدق عنه ، وإلا يدع له ويستغفر.

وفي «الكشف» التقضي داخل في الرجوع ، إذ لا يصح الرجوع عنه وهو ملتبس به بعد ، واختير أن حقيقتها الرجوع وإنما الندم والعزم ليكوز الرجوع إقلاعاً ، ويتحقق أنه التوبة التي ندبنا إليها ، وهو موافق لما في «الإحياء» من أنها اسم لتلك الحالة بالحقيقة ، والبالقي شروط التحقق.

ويشترط أيضاً أن يكون الباعث على الرجوع مع الندم والعزم دينيًا ، فلو رجع لمانع آخر من ضعف بدن أو غرم لذلك لم يكن من التوبة من شيء.

وأشار الزمخشري إلى ذلك بكون الرجوع ، لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب وخرج عنه مالهو رجع طلبًا للثأر أو رياء أو سمعة ، لأن قبح القبيح معناه كونه مقتضيًا للعقاب آجلًا ، ولذم عاجلاً ، فلو رجع لما سبق لم يكن رجوعًا لذلك . [ثم نقل كلام علي بن أبي طالب في التوبة وقال:]

وهذا يحتمل أن تكون التوبة بمجموع هذه الأمور ، فالمراد أكمل أفرادها ، ويحتمل أنها اسم لكل واحد

(التنبي ٤ : ١٠٦)

الطبري : والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته ، من بعد كفره . (٢٥ : ٢٨)

البغوي : قيل : التوبة : ترك المعاصي نيةً وفعلًا ، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلًا . (٤ : ١٤٥)

الزمخشري : التوبة : أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليها ، والعزم على أن لا يعاود ، لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال بالواجب ، وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقضي على طريقته .

(٣ : ٤٦٨)

ابن عطية : ثم ذكر النعمة في تفضله بقبول التوبة عن عياده ، وقبول التوبة فيما يستأنف العبد من زمنه وأعماله مقطوع به بهذه الآية . وأما ما سلف من أفعالهم فينقسم : فأما التوبة من الكفر فحاجية كل ما تقدمها من مظالم العباد الفانية .

وأما التوبة من المعاصي فلاهل السنة قولان : هل تذهب المعاصي الشالفة للعبد بينه وبين خالقه؟

فقال فرقة : هي مذهبه لها ، وقالت فرقة : هي في مشيئة الله تعالى ، وأجمعوا على أنها لا تذهب مظالم العباد . [ثم ذكر معنى التوبة كما تقدم عنه في النصوص اللغوية] (٥ : ٣٥)

الفخر الرازي : قد سبق البحث المستقصى عن حقيقة التوبة في سورة البقرة ، وأقل ما لابد منه الندم على الماضي والترك في الحال ، والعزم على أن لا يعود إليه في المستقبل . (٢٧ : ١٦٨)

نحوه أبو السمود (٦ : ١٨) ، والبروسوي (٨ : ٣١٤) .

منها، والأول أظهر.

تَوْبَتُهُمْ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ أَدَّوْا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ. آل عمران: ٩٠
ابن عباس: لن تقبل توبتهم لأنها توبة غير خالصة، إذ هم مرتدون وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، وفي ضائرهم الكفر. (أبو حنيفة: ٢: ٥١٩)
لأنها لم تكن عن قلب، وإنما كانت نقاشاً.

(الآلوسي: ٣: ٢١٨)

لأنها أظهرت الإسلام توبة فاطمعة الله تعالى ورسوله على سرائرهم. (الطبري: ١: ٤٧٢)

أبو العالية: لن تقبل توبتهم من تلك الذنوب التي أصابوها مع إقامتهم على الكفر بمحمد ﷺ

(ابن عطية: ١: ٤٧٠)

تابوا من بعض، ولم يتوبوا من الأصل.

(الطبري: ٣: ٣٤٣)

مجاهد: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر. (أبو حنيفة: ٢: ٥١٩)

نفي توبتهم مختص بالحسرة والغرفة والمعانة.

(أبو حنيفة: ٢: ٥١٩)

مثله الحسن وقناة والسدي (أبو حنيفة: ٢: ٥١٩)،

والمجاني (الطبري: ١: ٤٧٢)، ونحوه الطبري (٣: ٣٤٢)،

والبغوي (١: ٤٦٧).

الحسن: اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت. (الطبري: ٣: ٣٤٢)

نحوه قناة. (الطبري: ٣: ٣٤٢)

الطبري: [نقل أقوال المفسرين وقال:]

واختلف في التوبة عن بعض المعاصي مع الإصرار على البعض هل صحيحة أم لا؟ والذي عليه الأصحاب أنها صحيحة لظواهر الآيات والأحاديث وصدق التبريد عليها، وأكثر المعتزلة على أنها غير صحيحة. قال أبو هاشم منهم: لو تاب عن القبيح لكونه قبيحاً وجب أن يتوب عن كل القبائح، وإن تاب عنه لا يجرد قبحه بل لنرض آخر لم تصح توبته. وتعقب بأنه يجوز أن يكون الباعث شدة القبح أو أمراً دينياً آخر، وأيضاً يجري نظير هذا في فعل الحسن بل يقال: لو فعل الحسن لكونه حسناً وجب أن يفعل كل حسن، وإن فعله لنرض آخر لم يقبل، وفيه بحث.

واستدل المعتزلة بالآية على أنه يجب عليه تعالى قبول التوبة، واستدل أهل السنة بها على عدم الوجوب، لمكان التمدح ولا تمدح بالواجب، وفيه أيضاً بحث. والأنف في هذا المقام أدلة نفي الوجوب مطلقاً عليه، عز وجل. (٣٥: ٢٥)

التراعي: والتوبة: الندم على المعصية، والإقلاع عنها، والعزم على عدم العودة إليها. وهذه شروط ثلاثة فيما بين العبد وربّه، فإذا كملت صحت التوبة، وإن فقد واحد منها لم تكن توبة صحيحة، أمّا فيما يتعلق بحقوق العباد فيزاد على ذلك أن يبرأ من حق صاحبه.

ومن علامات التوبة التصوح: صدق العزيمة على ترك الذنب، وآلا يجد له حلاوة في قلبه عند ذكره.

(٤١: ٢٥)

الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه
مأفام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملاً مأفام
على شركه وضلاله، فأما إن تاب من شركه وكفره
وأصلح، فإن الله كما وصف به نفسه ﴿عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون معنى ذلك، كما
قال من قال: فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور
أجله، أو توبته الأولى؟

قيل: أنكرنا ذلك، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا
في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة، وقد وعد الله
عز وجلّ عباده قبول التوبة منهم مادامت أرواحهم في
أجسادهم، ولا خلاف بين جميع المجتهد في أن كافرًا لو
أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين، أن حكمه حكم
المسلمين، في الصلاة عليه والموارة، وسائر الأحكام
غيرها، فكان معلومًا بذلك أن توبته في تلك الحال لو
كانت غير مقبولة، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى
حكم أهل الإسلام، ولا منزلة بين الموت والحياة، يجوز
أن يقال: لا يقبل الله فيها توبة الكافر، فإذا صح أنها في
حال حياته مقبولة، ولا سبيل بعد الممات إليها، بطل قول
الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل.

وأما قول من زعم أن معنى ذلك: التوبة التي كانت
قبل الكفر فقول لا معنى له، لأن الله عز وجلّ لم يصف
القوم بإيمان كان منهم بعد كفر، ثم كفر بعد إيمان، بل إنما
وصفهم بكفر بعد إيمان، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر، كان
للإيمان لهم توبة منه. فيكون تأويل ذلك على ما تأوله
قائل ذلك، وتأويل القرآن على ما كان موجودًا في ظاهر
الكلالة - إذا لم تكن حجة تدلّ على باطن خاص - أولى

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية،
قول من قال: عُني بها اليهود وأن يكون تأويله: أن
الذين كفروا من اليهود بمحمد ﷺ عند مبته، بعد إيمانهم
به قبل مبته، ثم ازدادوا كفرًا بما أصابوا من الذنوب في
كفرهم، ومقامهم على ضلالهم، لن تقبل توبتهم من
ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم، حتى يتوبوا من كفرهم
بمحمد ﷺ، ويراجعوا التوبة منه، بتصديق ما جاء به من
عند الله.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب،
لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون
هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد.

وإنما قلنا: معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم
من المعاصي، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾
فكان معلومًا أن معنى قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إنما هو
معنى: به لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على
كفرهم بعد إيمانهم، لامن كفرهم، لأن الله تعالى ذكره
وعد أن يقبل التوبة من عباده، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَسْفِهُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ السُّورَى: ٢٥، فحال أن يقول
عز وجلّ: أقبل ولا أقبل في شيء واحد.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان من حكم الله في عباده
أنه قابل توبة كلّ تائب من كلّ ذنب، وكان الكفر بعد
الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها
بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٨٩، علم أن المعنى الذي
لا تقبل التوبة منه، غير المعنى الذي تقبل منه.
وإذا كان ذلك كذلك، فأذني لا تقبل منه التوبة هو

وبعد، فإنه سبحانه أخبر في هذه الآية - التي كلامنا فيها - أنه لا يقبل توبة القوم الذي وصفهم بما وصفهم به، ولم يخبر سبحانه على أي وجه وقعت توبتهم؛ وقد ثبت أنه لا يجب قبول كل ما يقع عليه اسم التوبة. ألا ترى أن القائل لو تاب من القبيح لاقبحه بل لأمر آخر لم تكن تلك التوبة مقبولة، وكذلك المعاصي عند حضور أجله، وانقطاع أمله وزوال لوازم التكليف عنه، وحصوله مضطراً إلى المعرفة ملجأ إلى الترحُّز من ضرر العقوبة، لا تقبل توبته، ويصحح ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيْءَ حَتَّىٰ إِذَا خَضَعَ أَحَدُهُمُ الْأَرْضَ قَالَ إِنِّي تَبْتُ الْآنَ﴾ النساء: ١٨، وكذلك توبة أهل النار، لأنهم ملجئون إلى الآ ففعلوا القبيح، ولذلك لا يلزم من أساء إليه غيره أن يقبل اعتذاره، وهو عاجز من الاساءة في المستقبل.

فإذا صحَّ ذلك فمن أين للخصوم أنه سبحانه لا يقبل توبة هؤلاء الذين تابوا، وقد وقعت توبتهم على الوجه الذي يوجب قبولها منهم! فظاهر هذا الكلام على ما قدّمناه لا يدلُّ على ذلك، لأنه تعالى أضاف «التوبة» إليهم وهي لا تقع منهم على كل وجه يصح وقوعها، فادّعاء العموم في جهاتها لا يصح.

وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك: أن التوبة المتقدمة التي كانت قبل الكفر وقبل الزيادة منه لا تقبل منهم، وقد ازدادوا الآن كفرًا، لأنه تعالى قد أخبر أنهم كانوا قبل ذلك مؤمنين بقوله: ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ فبين سبحانه بهذا أن توبتهم وقعت محبلة بالكفر الذي ردها ووقع في عقبها، وإنما تكون التوبة نافعة إذا استمر

من غيره، وإن أمكن توجيهه إلى غيره. (٣: ٣٤٤)

الشَّريف الرُّضَوي: ومن سأل عن معنى [الآية] فقال: فحوى هذه الآية مخالفة لقولكم في وجوب التوبة، لأن من مذهبكم أنه سبحانه لا بد أن يقبل توبة القائل مع بقاء التكليف، وقد قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾ السُّورَى: ٢٥، وظاهر هذا الكلام يدلُّ على أن قبول التوبة غير واجب، وأنه سبحانه متفضل بذلك، وله الآ ففعله كسائر ما يمتثل به. فالجواب: أن إطلاق اسم التوبة هاهنا من غير صفة تدلُّ على صحتها أو بطلانها لا تلتصق فيه لخصونا، لأن التوبة عندنا لها شرائط، متى لم تكن مطابقة لها ووافقة عليها كانت غير مقبولة. ويجري ذلك مجرى قولهم: «حجة»، في أنها قد تكون صحيحة لازمة، وقد تكون باطلة داحضة. فإذا كانت على الوجوه التي يجب أن تكون عليها، وصفت بالصحة والثبات، وإن كانت على ضد ذلك وصفت بالبطلان والانحطاس، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِندَ رَبِّهِمْ﴾ السُّورَى: ١٦، فسأها: حجة، ووصفها مع ذلك بأنها داحضة، لا تنصر قائمها ولا تنفع المدلي بها.

فلها قد تسمى التوبة: توبة، وهي مع ذلك غير مقبولة، لأنها لم تقع مطابقة لشرائطها، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ التحريم: ٨. [إلى أن قال:]

فبان أن التوبة قد تقع على وجوه فتكون مقبولة، وقد تقع على خلاف تلك الوجوه فتكون غير مقبولة، وهذا يوضح الغرض الذي رمينا إليه.

آل عمران: ٨٩، ومعنى الإصلاح هاهنا: الإخلاص في التوبة، حتى يكون الباطن كالظاهر والمخافي كالعالم، فأخبر سبحانه أنه لا يقبل من التوبة إلا ما عقدت عليه القلوب والضمائر، وصدقته الأفعال والظواهر.

وقال بعضهم: إنما قال سبحانه: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾، لأنهم تابوا من الكفر الزائد، ونبتوا على الأصل الثابت، فلذلك كانت توبتهم غير مقبولة، وقيل: بل تابوا من الكفر الأول ولم يتوبوا من الكفر الثاني، فكان كفرهم واقفاً بعد التوبة، فلذلك لم يقبل منهم.

وقد يجوز عندي - والله أعلم - أن يكون المراد بذلك ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ أي لأستقبل توبتهم وهم على هذه الصفة من كونهم ضالين، فيكون قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ حالاً، ولا يكون ابتداءً وخبراً. ففني تعالى قبول التوبة منهم وهم في حال الضلال، لأن التوبة - كما بينا أولاً - لا يجب قبولها إلا مع الإخلاص والتحقيق، وبقاء العقد والضمير. ألا ترى إلى قوله تعالى في الآية التي فيها يذكر النساء: ﴿وَالَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَآخِضُوا بِلَهُمُ وَأَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ النساء: ١٤٥، فذكر تعالى بعد ذكر التوبة، الإصلاح والإخلاص، لأن التوبة إن لم يتبعها ذلك لم تسم توبة ولم تسقط عفوته.

وقد دخلت على بعض العلماء^(٢١) شبهة، فزعم أنه

التائب على طريقة الصلاح، ويعد من قبائح الأفعال، وخروج عن الإصباح^(١) والإصرار، إلى الإشفاق والحدار، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَاعْفُزْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ المؤمن: ٧، فلم يجز بقوله: (تَابُوا) حتى قال: ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، أي لازموا الطريقة الصالحة، وفارقوا الأفعال الموقية.

ويحتمل ذلك أيضاً أن يكون هؤلاء القوم أظهروا التوبة ولم يعتقدوها بل عزموا في المستقبل على إنبات أمثال ما تابوا منه، ولم يندموا على ما فعلوه لقبه، وهذا من الأمران - أعني التدم على فعل القبيح لأنه قبيح، والعزم على ترك معاودة مثله في المستقبل - طغيا التوبة وعمودها اللذان بها تقوم وعليهما تستقيم، فإذا أغل بها أو واحد منها كانت التوبة معتلة غير سليمة، ومعوجة غير قوية.

وقد روي أن هذه الآية نزلت في قوم ارتدوا مع الحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري ولحقوا بمكة، ثم راجع الحارث الإسلام ووفد إلى المدينة، فقتل النبي ﷺ توبته، فقال من بقي من أصحابه على الردة: «نقيم بمكة ما أردنا، فإذا صرنا إلى أهلنا رجعنا إلى المدينة وأظهرنا التوبة، فقبلت منا كما قبلت من الحارث قبلنا.

فهذا الخبر يدل على أنهم عزموا على إظهار التوبة بأنفسهم عياداً وليسوا بما قد ينسب إليهم إخلاصاً، فلذلك قال سبحانه: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾، لأنهم لو حققوا التوبة وأخلصوا فيها، لكانت مقبولة منهم ومحسوبة لهم. يبين ذلك قوله تعالى أمام هذه الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَخْلَصُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) الإصباح بالهمزة: نضد أصب، إذا أخذ في الصبغ بفتحين وهو ما تنحدر من الأرض، ويحتل الأصباب بالمعجمة من أصب الشيء أو على الشيء، إذا لزمه فلم يفارقه أو أسكبه فيكون بمعنى الإصرار.

(٢) هو ابن جرير.

فادعاء العموم في جهاتها لا يصح.

ويجوز أن يكون المراد بذلك: أن التوبة المستقدمة لا تقبل، وقد ازدادوا الآن كفرًا، ليستين بذلك أن التوبة وقعت محبطة بالكفر الذي ولها، وأنها إنما تنفع إذا استمرَّ التائب على الصلاح، وبين أنه تعالى إذا لم يقبل توبتهم وقد ازدادوا كفرًا، فهم ضالّون، لأن العقاب - على ما بيناه - هو الضلال والهلاك. (مستشابه القرآن ١: ١٥١) الطوسي: إن قيل: لم لم تقبل التوبة من هذه الفرقة؟

قيل: لأنّها كفرت بعد إيمانها ثمّ ازدادت كفرًا إلى انقضاء أجلها، فحصلت على ضلالتها، فلم تقبل منها التوبة الأولى في حال كفرها بعد إيمانها، ولا التوبة الثانية في حال إيمانها.

وقيل: إنّما لم تقبل توبتهم لأنهم لم يكونوا فيها مخلصين، بدلالة قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [ثم نقل كلام الطبري وجواب السيد الرضي وقال:]

وإنّما لم يميز قبول التوبة في حال الإلجام إليه، لأنّ فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط الحمد والذمّ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيَاطِئَ...﴾ النساء: ١٧، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا اشْفَا بِرَبِّهِمْ وَخُذْهُمْ وَكَفِّرْنَا بِمَا كُفُّوا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا المومن: ٨٤، ٨٥.

فإنّما إذا عاد في الذنب، فلا يعود إليه العقاب الذي سقط بالتوبة، لأنّه إذا تاب منه صار بمنزلة مالم يعمل، فلا يجوز عقابه عليه، كما لا يجوز عقابه على مالم يعمل، سواء قلنا: إنّ سقوط العقاب عند التوبة كان تفضلاً أو

لا يجوز أن يكون أراد بقوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عند حضور الموت، وجعل علته في ذلك أنّ الكافر إذا أسلم قبل موته ولو بطريقة عين، فحكمه حكم من أسلم قبل ذلك بالإنّجام الكثيرة والمدة الطويلة: في الصلاة عليه والدفن له، وفي الموارثة، وسائر الأحكام الجارية في الشريعة. وذهب عليه أنّه قد يجوز تعدينا بذلك كلّ فيه مع كونه ملجأ إلى إظهار الإيمان، كما تعدينا في المنافقين بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وإن كانوا كفارًا بنفاقهم، فكان العمل على صلاح الظواهر مع العلم بفساد البواطن. (حقائق التأويل: ٢٧٧ - ٢٨٢)

عبد الجبار: مسألة: قالوا: ثمّ ذكر تعالى بعده ما يدلّ على أنّ التوبة لا يجب قبولها، وأنّه متفضّل بذلك، وله أن يمنع منها. [وذكر الآية]

والجواب عن ذلك: أنّ ظاهر قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لا يدلّ على أنّ التوبة على أي وجه وقعت، وقد تقع عندنا على وجه لا يجب قبولها، لأنّ الماعين إذا حضره الموت وحصل مضطراً إلى معرفة الله تعالى، لا تقبل توبته، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيَاطِئَ حَتَّىٰ إِذَا خَضَعُوا لَهُمْ خَوْفٌ قَالَ إِنِّي تُبِّتُ الْأَنَ﴾ النساء: ١٨، ولذلك لا تقبل توبة أهل النار لما كانوا ملجئين إلى أن لا يفعلوا التوب، ولذلك لا يلزم المساء إليه أن يقبل الاعتذار من العاجز عن إساءته.

فإذا صحّ ذلك، فن أبين أنّه تعالى لا يقبل توبتهم وقد وقعت على الوجه الذي يجب قبولها، وظاهر الكلام - على ما بيناه - لا يدلّ على ذلك، لأنّه أضاف التوبة إليهم، وهي لا تقع منهم على كلّ وجه يصحّ وقوعها،

أشار إليهم بقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا﴾ آل عمران: ٨٦، فأخبر عنهم أنهم لا تكون لهم توبة فيصور قبولها، فتجني الآية بمنزلة قول الشاعر:

❖ على لاحب لا يستدي ببناره ❖

أي قد جعلهم الله من سخطه في حيز من لا تقبل له توبة إذ ليست لهم، فهم لامحالة، يموتون على الكفر، ولذلك بين حكم الذين يموتون كفارًا يعقب الآية، فبانت منزلة هؤلاء، فكأنه أخبر عن هؤلاء المحتئين أنهم يموتون كفارًا.

الطبرسي: لأنها لم تقع على وجه الإخلاص، ويدل عليه قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾. ولو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين. [ثم نقل بعض أقوال المفسرين وأضاف:]

وقد دلّ السمع على وجوب قبول التوبة إذا حصلت شرائطها، وعليه إجماع الأمة. (١: ٤٧٢)

الفخر الرازي: [ذكر أقوال بعض المفسرين وأضاف:]

وأقول: جملة هذه الجوابات إنما تنمى على ما إذا حملنا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ على المهود السابق لاعلى الاستغراق. ولأفكم من مرتدّ تاب عن ارتداده توبة صحيحة، مقرونة بالإخلاص في زمان التكليف.

فإنما الجواب الذي حكيناه عن الفقهاء والقاضي^(١)، فهو جواب مطرد، سواء حملنا اللفظ على المهود السابق أو على الاستغراق. (٨: ١٣٩)

واجبًا. وقد دلّ السمع على وجوب قبول التوبة وعليه إجماع الأمة، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ النّورى: ٢٥، وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ المؤمن: ٣، وغير ذلك من الآي. (٢: ٥٢٧)

الزّمخشري: إن قلت: قد علم أن المرتدّ كيفما ازداد كفرًا فإنه مقبول التوبة إذا تاب، فما معنى ﴿أَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؟

قلت: جعلت عبارة «عن الموت» على الكفر، لأنّ الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدّين الذين فعلوا ماضعوا ماتون على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم. فإن قلت: فأني فائدة في هذه الكتابة، أعني أن كُتِبَ «عن الموت» على الكفر بامتناع قبول التوبة؟

قلت: الفائدة فيها جليّة وهي التّغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفّار، وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرّحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدّها، ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرّحمة.

ابن عطية: عند الممانعة [ثم نقل قول أبي العالاية وقال:]

فإنهم كانوا يقولون في بعض الأحيان: نحن نتوب من هذه الأفعال، وهم مقيمون على كفرهم، فأخبر الله تعالى أنه لا يقبل تلك التوبة.

وتحتمل الآية عندي أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدّين، ختم الله عليهم بالكفر، وجعل ذلك جزاء لجريتهم ونكائيتهم في الدّين، وهم الذين

توبة كل كافر تقبل سواء كفر بعد إيمان وازداد كفرًا أم كان كافرًا أول مرة، فاحتيج في ذلك إلى تخصيص. [ثم نقل أقوال المفسرين وقال:]

وقيل: لن تقبل توبتهم ألتي تابوها قبل أن كفروا، لأن الكفر قد أحبطها.

وقيل: لن تقبل توبتهم إذا تابوا من كفر إلى كفر، وإنما تقبل إذا تابوا إلى الإسلام، وفاصل هذا التخصيص أنه تخصيص بالزمان أو بوصف في التوبة.

والوجه الثاني: أن يكون المعنى لا توبة لهم فتقبل، فنفي القبول والمراد نفي التوبة، فيكون من باب قوله:

﴿على لاحب لا شئدى لمناره﴾

أي لا منار له فيشئدى به، ويكون ذلك في قوم بأعيانهم، حتم الله عليهم بالكفر، أي ليست لهم توبة، فهم لا محالة يموتون على الكفر. (٢: ٥١٩)

الشريبي: إن قيل: قد وعد الله تعالى قبول توبة من تاب فما معنى قوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ؟﴾

أجيب: بأن عمل القبول إذا كان قبل الفرغرة وهؤلاء توبتهم كانت بعدها، وإتهم لم يتوبوا أصلًا، فكفى عن عدم توبتهم بعدم قبولها، أو أن توبتهم لا تكون إلا نفاقًا. (١: ٢٣٠)

أبو الشعود: لأنهم لا يتوبون إلا عند إشرافهم على الهلاك، فكفى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظًا في شأنهم، وإيرازًا لحالهم في صورة حال الآسين من الرحة، أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقًا لارتدادهم وازديادهم كفرًا، ولذلك لم تدخل فيه الفاء. (١: ٣٨٩)

مثله البروسوي (٢: ٦١)، ونحوه القاسمي (٤: ٤)

القيسا بوري: [نحو الفخر الرازي وأضاف:]

أقول: ويمتثل أن يكون ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ جعل كناية عن الموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود والمرتدين المصيرين على الكفر ما يتوبون عن الكفر، لما في فعلهم من قساوة القلوب والإفضاء إلى الزين، وانجراره إلى الموت على حالة الكفر.

وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آسين من الرحة. هذا إذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصيرين.

وأما على تقدير التعميم، فنقول: إنما يجعل الموت على الكفر لازمًا لازدياد كفرهم، لأن القضية حينئذ لا تكون كلية، فكم من مرتد أو يهودي مزداد للكفر لا يمتنع الإصرار، يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر. فاكفى بذكر لازم الموت على الكفر، وهو عدم قبول التوبة، حتى برز الكلام في معرض الكناية.

ومن المعلوم أنها ذكر اللازم وإرادة الملزوم، وأنه لا بد للعدول من فائدة، فصح أن نبين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية، وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار، وإيراز حالهم في صورة حال الآسين من الرحة، ألتي هي أغلظ الأحوال وأشدّها.

الآتري أن الموت على الكفر إنما يخاف لأجل اليأس من الرحة، وهذا هو الذي عول عليه في «الكشاف».

والحاصل أنه كأنه قيل: إن اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم، أن لا تقبل توبتهم. (٣: ٢٤٥)

أبو حيان: ويمتثل قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ وجهين:

أحدهما: أنه تكون منهم توبة ولا تقبل، وقد علم أن

(٨٨٤)، وعبد الكريم الخطيب (٢: ٥٢١).

الآلوسي: وقيل: إن هذا من قبيل:

❖ ولا ترى الضب بها ينجر ❖

أي لا توبة لهم حتى تقبل، لأنهم لم يوفقوا لها، فهو من قبيل الكناية - كما قال العلامة [أبو السعود] - دون الجاز حيث أريد بالكلام معناه، لينتقل منه إلى الملزوم، وعلى كل تقدير لا ينافي هذا ما دلّ عليه الاستثناء وتقرر في الشرع، كما لا يخفى.

وقيل: إن هذه التوبة لم تكن عن الكفر وإنما هي عن ذنوب كانوا يفعلونها معه، فتأبوا عنها مع إصرارهم على الكفر، فزدت عليهم لذلك.

ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن أبي العالية. [وقد

تقدم]

وتجيء على هذا مسألة تكليف الكافر بالفروع، وقد بسط الكلام عليها في «الأصول». (٣: ٢١٨)

رشيد رضا: يعدونه من المشكلات؛ إذ هو مخالف في الظاهر للآية السابقة، ومثل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَغْتُلُ الثُّيُوتَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾ السورى: ٢٥. [ثم نقل أقوال المفسرين وقال:]

فأنت ترى أن هذه الأقوال - وهي أظهر ما قيل في الآية - منها ما يرجع إلى وقت التوبة، ومنها ما يتعلق بالذنب الذي تيب عنه. وللأستاذ الإمام وجه يستلحق بصفة التوبة وكيفيتها، فقد ذكر في الدرس أن أولئك الكافرين الذين ازدادوا كفرًا قد يحدث لهم في أنفسهم ألم من مقاومة الحق، وقد يعملهم ذلك الألم على ترك بعض الذنوب والشرور.

قال: فهذا النوع من التوبة لا يقبل منهم ما لم يصلحوا أمرهم ويخلصوا له في اتباع الحق وتصرته. فالتوبة التي يزعمونها على ما هم عليه من مقاومة الحقين لا يقبلها الله تعالى، يعني أنه قد يقع من هؤلاء نوع من التوبة لا يكون مطهرًا لأنفسهم من جميع المصق بها من الكفر والأوزار. وليس هذا عين قول من قال: إن توبتهم هذه التي لا تقبل هي توبة في الظاهر دون الباطن، وباللسان دون القلب، فإن ذلك نبي للتوبة وهذا إنذار لها، بل هو قريب من قول ابن جرير الذي هو أظهر الأقوال السابقة.

وقد يكون مراد الأستاذ الإمام: أن النفوس قد توغل في الشر وتتمكن في الكفر حتى تحيط بها خطيتها، وتصل إلى ماعبر عنه القرآن: بالزین والطبع والخنث على القلوب. فإذا كان صاحب هذه النفس قد جحد الحق عنادًا واستكبارًا وصل على علم، فلا يبعد أن تحدثه نفسه بالتوبة وأن يحاوها، ولكن يكون له في نفسه من الموانع والحوائل دون قبولها للغير والحق ما يكون هو السبب لعدم قبولها.

فإن قبول التوبة المستلزم لمغفرة ذنب التائب، ليس من قبيل العطاء الجزاف والأمر الأنف، وإنما بموافقة سنن الله في الفطرة الإنسانية، ذلك أن من مقتضى الفطرة السليمة أن يحدث لها - العلم ببقع الذنب وسوء عاقبته - ألمًا يحمله على تركه ومحو أثره المندس لها، بعمل صالح يحدث فيها أثرًا مضادًا لذلك الأثر.

وبهذا تكون التوبة معدة صاحبها ومؤهلة له للمغفرة التي هي ترك العقوبة على الذنب المترتب على عوسبته، وهو تدنيس النفس وتدسيها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْهَا﴾

وَقَدْ حَاطَ مِنْ دُشَيْهَا الشَّمْسُ: ٩، ١٠.

فإذا بلغت التدسية من بعضها ميلًا تستدّر معه التّركية على مردها أو محاوها، صحّ أن يُعبر عن ذلك بعدم قبول توبة صاحب هذه النفس، مثال ذلك التّوب الأبيض الناصع يصيبه لوث، فيستقيح ذلك صاحبه فيغسله فيظلف. فإذا كان اللّوث قليلًا وبادر إلى غسله بُعِدَ طروئه، يُرجى أن يزول حتّى لا يبقى له أثر. ولكن هذا التّوب إذا دسّ في الأقذار سنين كثيرة حتّى تخلّلت جميع خيوطه، وتمكّنت منها فاصطبع بها صبغة جديدة ثابتة، تعذّر تنظيفه وإعادةه إلى نضاعته الأولى.

وبين هذه الدّرجة وما قبلها درجات كثيرة، وقد أُشير إلى الطّرفين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ السُّوءَ بِحِثِّهِ ثُمَّ يَتَوْبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٧، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ الشَّيَاطِينَ حَتَّى إِذَا خَصَرُوا أَخَذَهُمُ السُّمُوتُ قَالَ إِنْ تَبُتْ الْآنَ﴾ النساء: ١٨.

نحوه المُرَاعِي. عِزَّة دُرُوزَة، ولقد تعدّدت تأويلات المفسّرين لمفهوم الآية: ٩٠ من سورة آل عمران الذي يمنع قبول توبة الذين كفروا بعد إيمانهم ثمّ ازدادوا كفرًا، فقال بعضهم: إنّها تعني أن لا تقبل توبتهم ماداموا مشدّدين في كفرهم.

وقال بعضهم: لا تقبل منهم أعمال خير وهم على كفرهم، وهذا وذاك من تحصيل الحاصل. وقال بعضهم: لا تقبل توبتهم حين الظّفَر بهم، لأنّ

توبتهم تكون غير صادقة.

وقال بعضهم: لا تقبل توبتهم إذا تابوا حين الموت. وقد يكون في التّولين الأخيرين الوجاهة والصّواب. وفي سورة النساء آيات تؤيّد القول الأخير خاصة، حيث جاء فيها ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية، النساء: ١٧، ١٨.

ويتبادر لنا إلى ذلك أنّ أسلوب الآية والآية الّتي تليها هو أسلوب تعبيريّ في صدد شدّة الإنذار، تتناسب مع فضاة العمل.

الطّبّا طِبَانِي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْغَرُ لَهُمْ ثُمَّ إِذَا دُؤُوا كَفَرُوا﴾ إلى آخر الآيتين، تعليل لما يشتمل عليه قوله أولًا: ﴿كَيْفَ يَتُوبُ اللَّهُ كَفَرًا﴾... آل عمران: ٨٦، وهو من قبيل التّعليل بتطبيق الكلّي العامّ على الفرد الخاصّ.

والمعنى أنّ الذي يكفر بعد ظهور الحقّ وقام الحجّة عليه، ولا يتوب بعده توبة مصلحة إنّما هو أحد رجلين: إمّا كافر يكفر ثمّ يزيد كفرًا فيطغى، ولا سبيل للصّلاح إليه، فهذا لا يجدي به الله ولا يقبل توبته، لأنّه لا يرجع بالحقيقة بل هو منغمّر في الضّلال، ولا مطمع في اهتدائه. وإمّا كافر يموت على كفره وعناده من غير توبة يتوبها، فلا يجدي به الله في الآخرة بأن يدخله الجنّة، إذ لم يرجع إلى ربّه، ولا بد لذلك حتّى يفندي به، ولا شفيع ولا ناصر حتّى يشفع له أو ينصره. (٣: ٣٤١)

مكارم الشّيرازيّ: [ذكر الوجوه المذكورة عن المفسّرين، في عدم قبول التّوبة وأصاف:] لا بدّ أن نضيف هنا أنّ التّفسير المذكورة أنّما

وساع وساعة. (٧: ٤٤٩)

البُزْوَسِيّ: و(الثوب) مصدر كالتوبة وهو ترك الذنب، على أحد الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد اقلمت، ولأربع لذلك، وهذا الثالث هو التوبة. [ثم بين معنى التوبة، كما تقدم] (٨: ١٥٠)

الوجوه والنظائر

الحيري: التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: الرجوع من الذنب، كقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا﴾ البقرة: ١٦٠، ونظيرها في النساء: ١٤٦، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِآيَاتِهِ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ النساء: ١٧، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ المائدة: ٧٤، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ﴾ المائدة: ٣٤، وقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ التوبة: ٥، ١١، وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ فآتُهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ الأنعام: ٥٤، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ مريم: ٦٠، والفرقان: ٧٠.

والثاني: التجاوز، كقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، ٥٤، وقوله: ﴿فَأَوَّلَتْكَ أَسُوبٌ عَلَيْهِمْ﴾ البقرة: ١٦٠، وقوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ... فَأَوَّلَتْكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ النساء: ١٧، وقوله: ﴿يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الأحزاب: ٧٣، والثالث: التدامة، كقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

لأتمارض بينها، وقد تشملها الآية جميعاً، وأن يكون التفسير الأول [وهو التوبة الظاهرية لا الواقعية] أقرب إلى الآيات السابقة وإلى سبب نزول هذه الآية. (٢: ٤٤٣)

التَّوْبُ

غَاغِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ... المؤمن: ٣ الطَّبْرِيّ: إن (التَّوْبَ) قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدَّوْمَةُ دَوْمًا، والتَّوْمَةُ عَوْمًا، من عَوْمَةِ السَّفِينَةِ. [ثم استشهد بشعر]

وقد يكون مصدر: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا. (٢٤: ٤١) نحوه الماوردِي (٥: ١٤٢)، والطُّوسِيّ (٩: ٥٤)، والْبَرْقَوِيّ (٤: ١٠٤)، والْمَيْبُديّ (٨: ٤٤٨). الرَّمَحَسَرِيّ: التَّوْبُ والتَّوْبُ والأُتُوبُ: أخوات، في معنى الرجوع. (٣: ٤١٢) الفَخْرُ الرَّازِيّ: في لفظ (التَّوْبِ) قولان: الأول: أَنَّهُ مصدر، وهو قول أبي عُبَيْدَةَ. والثاني: أَنَّهُ جماعَةُ التَّوْبَةِ، وهو قول الأخفش.

قال المُرِّيْدُ: يجوز أن يكون مصدرًا، يقال: تَابَ يَتُوبُ تَوْبًا وتوبة، مثل قال يقول قولًا وقولة. ويجوز أن يكون جمعًا لتوبة» فيكون: توبة وتوب، مثل غمرة وغمر إلا أن المصدر أقرب، لأن على هذا التقدير يكون تأويله أَنَّهُ يقبل هذا الفعل. (٢٧: ٢٧)

نحوه القُرطُبِيّ. (١٥: ٢٩١) أَبُو حَيَّانٍ و(التَّوْبِ) يحتمل أن يكون كالذَّنْبِ اسم جنس، ويحتمل أن يكون جمع «توبة» كبشر وبشرة

التوبة: ١١٨.

(١٥٢)

نحوه الدامغاني.

(١٧٧)

الفيروز ابادي: ورد «التوبة» في القرآن على

ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى التجاوز والعفو، وهذا مقيد بعلي:

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة: ٥٤، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾

الأحزاب: ٢٤، ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ﴾ التوبة: ١٥.

الثاني: بمعنى الرجوع والإنابة، وهذا مقيد بعلي:

﴿تُسَبِّحُ إِلَيْكَ الْأَصْفَادُ﴾: ١٥، ﴿تُسَبِّحُوا إِلَى اللَّهِ﴾

التحریم: ٨، ﴿فَتُسَبِّحُوا لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ﴾ البقرة: ٥٤.

الثالث: بمعنى التمام على الزَّهَّة، وهذا غير مقيد لا

بعلي ولا به: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾

البقرة: ١٦٠، ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهَوَّ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ التوبة: ٣.

(٢: ٣-٨)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التوبة، وهي الرجوع

إطلاقاً ثم حُصِّت بالرجوع إلى الله عن المعصية، يقال:

تاب إلى الله يتوب توباً وتوبةً وتتاباً، أي أناب ورجع

عن المعصية إلى الله، فهو تائب وتواب. وتاب الله عليه:

عاد عليه بالمغفرة، فهو تواب، لأن توبته عليه بفضل إذا

تاب إليه من ذنبه، واستبقت فلاناً: عرضت عليه التوبة

مما اقترف، أي الرجوع والتدب على ما فرط منه.

٢- ويسدو أن التوبة بهذا المعنى من الألفاظ

الإسلامية، كالإيمان والإسلام والكفر والتفاني وغيرها،

رغم أن ابن فارس لم يذكرها في باب «الأسباب

الإسلامية» من كتاب «الصاحبي»، ولا الشيوطي في

«معركة الألفاظ الإسلامية» من كتاب «المزهر»؛ إذ

يعضده مذكره ابن عباد في «المهبط» أن «التوبة:

الإسلام، يقال: أدرك فلان زمن التوبة». وعقب

الزُّنْزُزِيُّ في «الأساس» معلقاً: «لأنه يُتاب فيه من

الشرك».

٣- ومن الغريب أن «آثر جفري» قد فترق بين

«تاب» و«تواب» في «مفرداته»، وأفرد لكل منهما

فصلاً، فزعم جازماً أن «تاب» لفظ آرامي الأصل،

ونقل عن نذ «بارسكي» أن لفظ «تواب» ليس مشتقاً

من «تاب»، بل هو لفظ مستقل، دخل العربية من

الآرامية أيضاً!

ولكن غاب عن ذهنه الوقاد أنه لم يأت الفصل

«تاب» في اللغات السامية إلا في العربية، وماذكر هو

«تاب» بالقاء بنفس المعنى في هذه اللغات ومنها العربية،

يقال: تاب يتوب توباً وتوباً: رجع، فقلبت القاء تاء في

الآرامية والسريانية، وشيئاً في العربية، كما هو مطرد في

هذه اللغات، لعدم وجود القاء فيها، فجاء في الآرامية

بلفظ «توب» وفي السريانية «تُب»، وفي العبرية

«شوب».

وأما لفظ «التَّوَاب» المشتق من هذه المادة، فلم نثر

عليه في سائر اللغات السامية، اللهم إلا كلام لبعض

المستشرقين - مثل «بارسكي» الآنف الذكر - يشوبه

تعلُّ واضح، لا يسمن ولا ينجي من جوع.

الاستعمال القرآني

جاء ماضيًا ومضارعًا وأمرًا ومصدرًا واسم فاعل في (٥٩) آية، ولها محوران، وقد يتداخلان:

ألف: التوبة من الله على العباد: (٢٠) آية وتضاف إليها آيات الثواب وصفاته وهي (٨) آيات:

١- ﴿فَقَتَلْنَاكَ أَذَمَّ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧

٢- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنُكَلِّمُكُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا تَلْكَأَتِكُمْ فَأَتُوا إِلَىٰ تَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ تَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٥٤

٣- ﴿... عَلَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ غَنَاتُونَ أَنْفُسَكُمْ

فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ...﴾ البقرة: ١٨٧

٤- ﴿قَدْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ

يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ أَتَىٰ اللَّهَ غُفُورًا وَرَحِيمًا﴾ المائدة: ٣٩

٥- ﴿وَعَسِوْا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَاعْمُوا وَصُّوْا ثُمَّ

تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ المائدة: ٧١

٦- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَتَوْهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ

رَحِيمٌ﴾ التوبة: ١١٧

٧- ﴿وَعَلَىٰ الْفَلَكَيْنِ الَّذِينَ خَلَعُوا عَلَىٰ إِذَا ضَاقَتْ

عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَسْتَوُوا

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة: ١١٨

٨- ﴿... وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْنَبْنِي وَبَنِيَّ

فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ طه: ١٢١، ١٢٢

٩- ﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ

فَإِذَا لَمْ تَقْتُلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٣

١٠- ﴿... وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ أَلِيلًا وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ

فَتَتَابَ عَلَيْكُمْ...﴾ المزمّل: ٢٠

١١- ﴿وَبَيْنَا وَاجْتَلَيْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُنُوبِنَا أُمَّةٌ

مُشْتَمِلَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ

الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٢٨

١٢- ١٣- ﴿إِنَّمَا الثَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ

الشَّيْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَرْجِعُونَ مِنْ قُرْبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ وَلَيْسَتِ الثَّوْبَةُ لِلَّذِينَ

يَقْتُلُونَ الشُّيَاطِيطَ حَتَّىٰ إِذَا خَصَرَ أَحَدُهُمُ الْحَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَٰئِكَ أَغْتَنَّا لَهُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: ١٧، ١٨

١٤- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ لَكُمْ وَتَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النساء: ٢٦

١٥- ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ

يَتَّبِعُونَ الشُّهُوتَ أَنْ يَقْبَلُوا غِيَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٢٧

١٦- ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ١٥

١٧- ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: ٢٧

١٨- ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ

وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

وَأَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ لَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي

اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿النساء: ١٤٦﴾

٣٠- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَخْلَصُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: ٥﴾

٣١- ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْءَ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا

وَأَسْأَلُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا تَغْفِرُ وَرَحِيمٌ ﴿الأعراف: ١٥٣﴾

٣٢- ﴿...كَتَبَ رَحْمَتُكَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ

عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهَا وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿الأنعام: ٥٤﴾

٣٣- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ

تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَخْلَصُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا تَغْفِرُ

وَرَحِيمٌ ﴿التحليل: ١١٩﴾

٣٤- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المائدة: ٣٤﴾

٣٥- ﴿...فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: ٥﴾

٣٦- ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿

التوبة: ١١﴾

٣٧- ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْنِنِي

لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿

المومن: ٧﴾

٣٨- ﴿...فَلَمَّا قَبِلَ رَبُّهُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ عَهْدَهُ ذِكْرًا وَخَرَّ

مُوسَى صَاحِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا

أَوَّلُ الْمُتَوَسِّلِينَ ﴿الأعراف: ١٤٣﴾

٣٩- ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿الأحزاب: ٧٣﴾

١٩- ﴿وَأَخْرَجُونَ أَغْرَقُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا

صَالِحًا وَآخَرُ شَيْئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿التوبة: ١٠٢﴾

٢٠- ﴿وَأَخْرَجُونَ مُرْجُونَ لَآمِرٌ إِلَهُ إِثْمًا يَتَذَكَّرُ إِثْمًا

يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة: ١٠٦﴾

ب: التوبة إلى الله: (٣٩) آية:

٢١- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَتْلَوْنَ فِيهَا ﴿مریم: ٦٠﴾

٢٢- ﴿وَرَأَى لِقَاءَ رَبِّهِ مِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ

اهْتَدَى ﴿طه: ٨٢﴾

٢٣- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا

فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿الفرقان: ٧٠﴾

٢٤- ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

مُتَابًا ﴿الفرقان: ٧١﴾

٢٥- ﴿فَلَمَّا مَنَّ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَقَعِيَ أَنْ

يَكُونَ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿القصص: ٦٧﴾

٢٦- ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأُدْهِمَا فَإِنْ شَاءَا

وَأَخْلَصَا فَامْرُؤُهُمَا عَلَيْهِمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿

النساء: ١٦﴾

٢٧- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَخْلَصُوا وَبَشُوا فَاُولَئِكَ

أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ١٦٠﴾

٢٨- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَخْلَصُوا فَإِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿آل عمران: ٨٩﴾

٢٩- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَخْلَصُوا وَاعْتَصَمُوا بِإِلَهِ

٥١ - ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ

تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ التور: ١٠

٥٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَبِيرًا مِّنَ

الظَّنِّ... وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ المجرات: ١٢

٥٣ - ﴿... فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ

لَوْ جَدَّوْا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النساء: ٦٤

٥٤ - ﴿فَسَتَجِدُ يُحْمَدُ بِكَ وَاسْتَغْفِرُكَ إِنَّهُ كَانَ

تَوَّابًا﴾ التصر: ٣

٥٥ - ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْتَظْهِرِينَ﴾

البقرة: ٢٢٢

٥٦ - ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا لِقَابِ ذِي الْعَرْشِ الْمَدِينِ السَّائِحِينَ...﴾

التوبة: ١١٢

٥٧ - ﴿... مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ

عَابِدَاتٍ﴾ التحريم: ٥

٥٨ - ﴿... لَكُنْ لَمْ يَحْذِ قَبِيصًا مِّنْ شَهْرَيْنِ مُّتَابِعَيْنِ تَوْبَةً

مِّنَ اللَّهِ...﴾ النساء: ٩٢

٥٩ - ﴿... قُلْ هُوَ رَبِّي لِأَلَهُ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَأَلَيْهِ مَتَابٍ﴾ الزعد: ٣٠

يلاحظ أولاً: أنَّ «التوبة» صفتان: توبة من الله على

العباد، وتوبة من العباد إلى الله، والآيات (١ - ٢٠)

و(٢٦) و(٢٧) و(٤٩) إلى (٥٤) ترجع إلى الصنف

الأول، وهي (٢٩) آية، والآيات (٢١ - ٤٨) و(٢) و(٤)

و(٧) و(١٢) و(١٣) من الصنف الثاني، والجميع (٣٢)

آية، فهناك آيات جُمع فيها الصفتان، وستحدث عنها.

ثانياً: أنَّ «التوبة» في الصنف الأول تمدت في كثير

من آياتها بـ«هل»، ومعناها رجوع الله على العباد

نَظَاهَرًا عَلَيْهِ...﴾ التحريم: ٤

٤٠ - ﴿... فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَهُ حَسْبُكُمْ وَإِنْ يَسْتَوَلُوا

يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ التوبة: ٧٤

٤١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ

لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ حَقٌّ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

البروج: ١٠

٤٢ - ﴿أَوْ لَا يَذَرُونَ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ

مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ التوبة: ١٢٦

٤٣ - ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْكُمْ

مَتَاعًا حَسَنًا...﴾ هود: ٣

٤٤ - ﴿وَيَأْتِيهِمْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا

تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ هود: ٥٢

٤٥ - ﴿... هُوَ أَتَّشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْفِرْكُمْ فِيهَا

فَاسْتَغْفِرُوا ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

هود: ٦١

٤٦ - ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ

وَدُودٌ﴾ هود: ٩٠

٤٧ - ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾ التور: ٣٦

٤٨ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

نَصُوحًا...﴾ التحريم: ٨

٤٩ - ﴿وَهُوَ الْأَلَدَى يَغْفِرُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَغْفِرُ

عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الشورى: ٢٥

٥٠ - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

وَيَأْخُذُ السَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة: ١٠٤

تَابَ مِنْ بَعدِ ظُلُمِهِ وَأَضْلَعَ قَبْلَهُ اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ .
 و(٢٦): «وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمْ يَسْرُورٌ فَأَذْهَبَ قَبْلَهُمْ قَبْلَهُمْ
 وَأَضْلَعَهُ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا .» و(٢٧): «إِلَّا
 الَّذِينَ تَابُوا وَأَضْلَعُوا وَيَسْتَوُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ، وهذا هو طبيعة التوبتين ، فإن
 توبة العباد مجلبة لتوبة الله عليهم .

ومن الثاني الآية (٧): «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا» ،
 وقد فسرناها بوجوه:

١- لطف بهم في التوبة ، ووقفهم لها فتابوا ، والأصل
 فيه قول الحسن : «جعل لهم التوبة ليتوبوا بها» والمرج
 ليخرجوا به . فالتوبة نعمة من الله أنعمها عليهم ، كما أن
 الدعاء نعمة منه . وإليه يؤول كلام الطبرسي : «ثم سهل
 الله عليهم التوبة حتى تابوا» . وهذا احتج الفخر الرازي
 على أن فعل العبد فعل الله ، فنسب التوبة إليها ، وقد ذكر
 لها ظواهر من القرآن ، فلاحظ وتأمل .

٢- قبل توبتهم ليستقيموا على توبتهم ، ويثبتوا عليها
 في المستقبل .

٣- تاب الله عليهم ليتنفعوا بها فيتوبوا ، وعليه فله
 توبتان توسطها توبة العباد ، فتاب عليهم ليتوبوا ، ثم
 قال : «إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» . ولعل الوجه الأخير
 أقرب إلى السياق ، وألحق بكرامة الله تعالى للمباد وهو
 الذي اعتمد عليه الطباطبائي .

خامساً : تنقسم آيات التوبة إلى توبة عن معصية
 - وهي الأكثر - وتوبة عن كفر ونفاق ، وهي الأقل ،
 ويشخصها السياق :

فالقسم الأول خطاب للمؤمنين ، ويقارن بأمر

رجوع رحمة ، و«على» لاستعلاء الله على العباد حين
 يتوب عليهم ، لأنه المتعال على كل شيء .

وجاءت أكثر آيات الصف الثاني بدون متعلق ،
 مثل : «وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا...» وقد تعدت بعضها
 بـ«إلى» ، مثل : (٢٤) : «فَأَنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا» ،
 و(٣٨) : «شِبَعَانِكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ» و(٣٩) : «إِنْ تَسْأَلُونَا
 إِلَى اللَّهِ» ، وفي (٤٣-٤٦) : «ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ» ، وفي (٤٧)
 و(٤٨) : «تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ» ، وفي (٥٩) : «وَالَّذِي تَتَابَعَ» .

ومعنى ذلك أن العباد يرجعون من الموضع الدكاني إلى
 الله المتعال ، وهذا هو الفارق بين «تاب على» و«تاب
 إلى» ، فالأول خاص بالله رب العباد ، والثاني خاص
 بالعباد .

ثالثاً : وقد يتغير الأسلوب فيها ، ففي صدر (١٢) :
 «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
 يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» فانعكس الأمر ، حيث تعلق «على»
 بالله ، و«اللام» بالثالث ، فيتوهم أنها صنف ثالث
 بإزائها . وليست كذلك ، بل معناها أن الله أخذ على نفسه
 للثالث أن يتوب «لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ
 يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» ، فتدل على أن توبة الله عليهم
 تتحقق عقب توبتهم ، فهي من القسم الأول كما سيأتي .
 رابعاً : «التوبة» إلى الله قسبان : ففي بعض الآيات
 مقدمة على توبة الله عليهم ، وفي بعضها متأخرة عنها .
 فمن الأول الآية (١٢) ، فإن الذين يعملون السوء بجهالة
 إذا تابوا إلى الله فقد ذلك يتوب الله عليهم ، كما قال في
 ذيلها : «فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» . ومثلها (٢) :
 «تَوُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ... فَتَابَ عَلَيْهِمْ» ، و(٤) : «فَكُنْ

كالنحو (٣): ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾، و (٤٩): ﴿وَيَتَّقُوا عَنِ الشَّيَاطِينِ﴾، والإصلاح (٤): ﴿قَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ طَلِيمٍ وَأَصْلَحَ﴾، والزَّيغ (٦): ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيحُ قُلُوبَ قَرِيبٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، والضيق والاجتهاد إليه (٧): ﴿حَقٌّ إِذَا ضَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا تَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ...﴾، والاجتهاد والهداية (٨): ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، وترك الصدقة عند التجوى (٩): ﴿يَا سَفَقَتُمْ أَنْ تُغَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تُفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾، والتفصير (١٠): ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، والمناسك (١١): ﴿وَأَرِنَا مَسَاجِدَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾، والسيئات والجهالة (١٢): ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، وستخصها بالبحث، والبيان والهداية (١٤): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بَشَّرَ الْفَاسِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَسْجِدٌ مِمَّا يَعْبُدُونَ فَكَانُوا عَلَى الْحُكْمِ مُوقِنِينَ﴾، ونحوها.

أما القسم الثاني فخطاب للكفار والمنافقين، وقد يقارن بالإيمان والعمل الصالح، مثل (٢١ - ٢٥): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أو بالإيمان وحده. والمعدة في ذلك ملاحظة المخاطبين وأعمالهم (٣١): ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيَاطِينِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَنُوبُوا﴾. وبالصلاة والزكاة (٣٥): ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، وظهرها (٣٦).

سادسا: حصرت الآية (١٢) التوبة بالذين ﴿يَعْمَلُونَ الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، ففيها

ثلاثة عناصر: عمل الشُّوء، والجهالة، والتوبة من قريب. ومعنى ذلك أن من كفر أو نافق، أو عمل الشُّوء بعلم، أو لم يتب من قريب، فالتوبة له! وظهرها الآيتان (٣٢) و (٣٣): ﴿...مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ شُؤًّا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ...﴾، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا...﴾.

فلنتناول تلك العناصر الثلاثة بالبحث أولاً: ثم وجه الحصر ثانياً.

١- عمل الشُّوء في تلك الآيات الثلاث، وعمل السيئات في (٣١) ظاهر في المعصية، كبيرة كانت أو صغيرة، وخصها بعضهم بالصغيرة بحسب السياق، وهو لا يبعد دون الشرك والكفر والثفاق، لاحظ الشُّوء من «سوء».

٢- الجهالة: وهو يقابل الجهل بإزاء العلم تارة، وهو الشائع في الكلام، وإزاء العقل تارة أخرى، وهو الغالب عليه في القرآن: إذ لم يأت من الأول حسب السياق، سوى «الجاهل» في ﴿يَحْضُرُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءُ﴾ البقرة: ٢٧٣، و«الجهالة» في ﴿أَنْ تُصْبِحُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ المجرات: ٦، وكذلك في السنة. وقد بدأ الكلبي الحديث الإمامي الكبير (٣٢٩هـ) كتابه «الکافي» به كتاب العقل والجهل، فالمراد منها في آيات التوبة السفاهة، وقديما قالوا: «من عصي الله فهو جاهل»، لاحظ «ج هـ»، وعلى هذا ففقد «الجهالة» توضيحي.

٣- «من قريب»، أي دون إصرار عليه دهرًا طويلاً. وقيل: قبل موته، بقرينة ما بعدها في (١٣): ﴿حَقٌّ إِذَا خَضَعَ عُنُقُهُمْ السُّوءَ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾، وهذا

توضيحي أيضًا.

أما وجه المصير فيها فبيّنه ما بعدها ﴿وَلَيْسَتِ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي...﴾ أي يشترط في
قبول التوبة أن لا تأنحر إلى أوان الموت، ولا تصدر عن
الكافر، فالمصير هنا إضافي وليس حقيقيًا، ولم يأتِ
المفسرون - رغم إسهالهم فيه - بيانًا واضحًا، فلاحظ
النصوص.

سابقًا: أشكلت توبة الأنبياء على المفسرين من كلا
الفريقين في (١) و(٦) و(٨) و(١١) و(٣٩)، لاقتضاها
صدور المعصية منهم، وهم مأزؤون عنها لمصنعتهم! وقد
احتلت أجوبتهم مساحات واسعة من كتب التفسير،
ونوجزها بما يلي:

١- إنها ليست معصية، وإنما هي ترك الأولى، وترك
الأولى منهم - قد يُعبر عنه بالعصيان، كما في شأن آدم
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه: ١٢١ - وإن قيل: إن
عصيانَه كان قبل هبوطه إلى الأرض - فإنَّ للناس
درجات، وإنَّ حنات الأبرار سيئات المقربين. وإليه
يرجع ما يقال: إنَّ الأنبياء يرون طاعتهم لاتليق بجلال
الله، فيتوبون عنها كأنها معصية صدرت عنهم.

فالتوبة تختلف باختلاف الثائبين، فتوبة عامة
المؤمنين: التذم على مصادر عنهم من المعصية، والمزم
على عدم العود إليه. وتوبة الخاص: الرجوع من
المكروهات وخواطر السوء ومن الفسور في الأعمال،
والإتيان بالعبادة على غير وجه الكمال. وتوبة خواص
الخواص - وهم الأنبياء عليهم السلام - لرفع الدرجات، والترقي
في المقامات، وإلى أمثالها مما جاء في النصوص. وهذه

اختلفت ألفاظها فإنها جميعًا ترجع إلى وجه واحد، وهو
عندنا أحسن الوجوه.

٢- ليس أحد من خلق الله إلا وله من العمل فيما بينه
وبين الله ما يوجب عليه التوبة، ولا بد من إرجاع هذا إلى
ما قبله، وإلا فهو اعتراف بصدور المعصية منهم.

٣- قالوا في (١١): ﴿وَوُتِبَ عَلَيْنَا﴾ في دعاء إبراهيم
وإسماعيل، أي تب على الظلمة من أولادنا، وإليه يرجع
كل ما قيل: إنَّ الأنبياء إنما يتوبون عن سيئات أئمتهم
دون أنفسهم.

٤- إنها تعليم للناس ليتندوا بهم ويعملوهم أسوة.
٥- إنها طلب لمزيد من رحمة الله بلسان التوبة إليه،
كما قال النبي: «ولاني لأتوب إلى الله في اليوم، وأستغفر
سبعين مرة»، وهو رجوع من حالة إلى أرفع منها.

٦- إنها توبة عسافر منهم سهواً من الصفات التي
ليست فيها رذيلة، وهذا قول بعض أهل السنة من
المعتزلة دون جمهورهم، وعامة الإمامية.

٧- التوبة لنف: الرجوع إلى الله، وهو لا يستلزم
صدور معصية عنهم، وهذا لا يتماشى مع سياق بعض
الآيات، كيف وقد قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ
فَغَوَى﴾ طه: ١٢١.

٨- إنها طلب التثبيت والدوام في طاعة الله.
٩- إنها جاءت بصورة التوبة تشدّدًا في الانصراف
عن المعصية.

١٠- طلبوا التوبة هضمًا لأنفسهم أمام الله،
وإرشادًا لذريّتهم، وهذا راجع إلى الوجهين: (١) و(٢).
ثامناً: من جملة تلك الآيات الآية (٦): ﴿لَقَدْ تَابَ

٤- استنقاذهم من شدة العسر وتخليصهم من نكايه العدو، وعبر عنها بالتوبة، لأنها لغة رجوع إلى الحالة الأولى.

٥- لقد أقسم لهم -لأن اللام في «لقد» للقسمة- بأنه رجع عليهم مرتين: مرة قبل توبتهم، ومرة بعد توبتهم؛ حيث قال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، فقبل توبتهم عما صدر عنهم من ترك الأولى في النبي وخواطر السوء في المؤمنين.

٦- افتتح الله توبته على النبي، فذكره مفتاحاً للكلام وتحسيناً له، أو لأنه كان سبب توبتهم فذكره معهم، كقوله: ﴿فَأَن تَحْسَبَنَّ لِلرَّسُولِ الْأَنْفَالَ: ٤٦﴾، عند من جعل ذكر الله توبتهم، لاستحقاقاً للخمس.

٧- إنه يمت للمؤمنين على التوبة، وأنه مامن مؤمن -حتى النبي- إلا وهو محتاج إلى التوبة، كما أنه إبانة لفضل التوبة عند الله، وأن صفة التوابين صفة الأنبياء، كما وصفهم بالصلحين ليظهر فضيلة الصلاح، ولهذا كررها.

٨- إثم لما تحملوا مشاق هذا السفر ومستاعبه، وصبروا على تلك الشدائد والميحن، جعلها الله مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم طيلة حياتهم، وقامت مقام التوبة منهم.

٩- ضم إليهم اسم النبي تنبيهاً على عظم مراتبهم في الدين، وأثمهم قد بلغوا إلى الدرجة التي ضم فيها النبي إليهم.

١٠- ونحوها مما يرجع إلى إحدى هذه، أو إلى ما أحصيناه من الوجوه قبلها.

اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ... فلا يأتي فيها شيء من التوجيهات المذكورة في سائر الآيات، لأنها راجعة جميعاً إلى توبة الأنبياء دون توبة الله عليهم. وقد زاد الطين بلة أنها ضمت النبي إلى المهاجرين والأنصار، فتاب الله عليهم جميعاً، كما جاء فيها بصيغة واحدة، فظاهرها صدور ذنب عنده عليه السلام وعنهم في عرض واحد. وقد أولوها بوجوه بعد اتفاقهم على نزول الآية في شأن غزوة تبوك، وكانت شاقّة عليهم جداً، كما صرح به القرآن ﴿فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ﴾:

١- توبته على النبي من أجل أنه أذن للمنافقين في القعود، وكان يرى فيه مصلحة، ودليله قوله قبلها في هذه السورة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ ضَلُّوا وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة: ٤٣، فأرشده الله إلى ما هو أعلى من ذلك، فرجعه إلى ترك الأولى. وما أحسن قول الطبرسي فيها (٥: ٦٥): «وهذا من لطيف المعاني، بدأ بالغف قبل العتاب».

وأما التوبة على المؤمنين فمن أجل ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه من شدة العناء، أو من أجل زيغ قلوب فريق منهم، كما صرحت به الآية، أو تشاقل بعضهم في الخروج، أو استأعهم إلى المنافقين، فيا كانوا يغيثون من فئة المؤمنين.

٢- ازداد عنهم رضا، فأكد بقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ ذُوْءٌ رَّحِيمٌ﴾.

٣- رزق الله النبي والمهاجرين والأنصار الإنابة إلى الله في ساعة المسرة، والتبأت على دينه، والصمود طاعة.

وللمفسرين وجوه في تكرار التوبة في الآية (٦)، وحاصلها مايلي:

١- التأكيد لقبول توبتهم تطييباً لقلوبهم، وإزالة لوساوسهم، وهو بمثابة: عفا السلطان عن فلان، ثم عفا عنه. فدلّ على أنّ ذلك العفو عفو متأكد، بلغ الغاية في الكمال والقوة.

٢- أو أنّ الأولى في الذهاب إلى «توبك»، والثانية في الرجوع عنها.

٣- الأولى في السفر، والثانية بعد العودة إلى المدينة.

٤- الأولى قبل توبتهم والثانية بعدها.

٥- الأولى قبل ذكر الذنب والثانية بعده.

٦- الأولى للنبي والمهاجرين والأنصار جميعاً، وهي لطف وتكريم لهم من دون ذنب منهم، والثانية خاصة بالمهاجرين والأنصار أو ببعضهم بإزاء ما صدر عنهم من ذنب، وهو الذي يستفاد من كلام الطباطبائي على طوله.

٧- الأولى إنشاء للتوبة، والثانية استدامتها.

٨- إنه لما ذكر أنّ فريقاً منهم كادت قلوبهم ترغ، نصّ على التوبة نائياً، رفعا لتوهم أنّه سكوت عنهم في التوبة ففكرها، وذكر سببها، وهو رأفته بهم ورحمته لهم.

ومن هذا القبيل الآيتان (١٤) و(١٥)، فالثانية من تتمة الأولى في سورة النساء (٢٦) و(٢٧)، وقد كرّر فيها «يَتُوبَ عَلَيْكُمْ».

ب- ما كرّرت مرتين، وكلاهما من العباد: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا» (٤٨). وقد جاء في النصوص تفسير «التوبة النصوح»

١١- فزق الطباطبائي بين الآيتين: (١١٧) و(١١٨)

من هذه السورة، وأنّ نوع التوبة على أهل الآيتين مختلف، فقد تاب على جميع أهل الآية الأولى - وهم النبي والمهاجرون والأنصار - أو على بعضهم من غير معصية منهم، وتاب على أهل الثانية - أي الثلاثة الذين خلفوا - وهم عاصون.

غير أنّ السياق يدلّ على أنّها مسوقتان لفرض واحد، ومتصلتان بكلام واحد، لأنّ الثانية عطف على الأولى، أي «على الثلاثة» عطف على «النبي والمهاجرين»، فهي غير مستقلة عنها لفظاً، بل مستقلة عنها معنى، وفي الأولى دلالة واضحة على أنّه لم يكن للنبي ذنب... إلى آخر ما ذكره مطوّلاً، وهو خلاف سياق الآيات، ولاسيما قوله: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ إِذْنْتَ لَهُمْ». تاسماً: لقد كرّرت التوبة في بعض الآيات، وهي أقسام:

أ- ما كرّرت مرتين، وكلاهما من الله:

١- «فَكَتَابَ عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» (١).

٢- «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِ» (٦).

٣- «وَتُبَّ عَلَيْهِ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» (١١).

٤- «وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ... وَأَنَّ اللَّهَ

هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» (٥٠).

ولاريب أنّ تكرار التوبة من الله للتأكيد، ولاسيما بلفظ (التَّوَابُ الرَّحِيمُ)، دلالة على أنّها صفة ثابتة لله، وأ أنّه مستعدّ دائماً لقبول توبة العباد، والعطف عليهم بلاحدّ ولامنتهى إذا أذنبوا وتابوا، وسنوضح ذلك في معنى «التَّوَاب».

تكرار للشرط للتنبيه على عظمها، وهو من قبيل: من ناظر فإنه يناظر في التحو.

أي من تاب فينبغي أن يتوب متاباً لا يعود إلى ذنبه أبداً، أو من تاب فقد عمل عملاً عظيماً، وثوابه وجزاؤه عظيمان، كما يقال: إذا تكلمت فاعلم أنك تكلم الوزير، أي تكلم من يعرف كلامك ويمازيك.

وقيل: معناها من تاب عن سيئاته فإنه يرجع إلى ربه مرجعاً يقبله منه. وعليه فالأولى هي التوبة، والثانية جزاؤها.

وقيل: الأولى الرجوع عن الصبح، والثانية الرجوع إلى الله، وهما شيان، والثاني مترتب على الأول، أي من يرجع عن عمل فيحب فلا بد أن يرجع إلى الله، لكي يقبله منه ويجزيه عليه، لاحظ التوضيح.

هـ - ما كررت ثلاث مرات: مرة من العبد ومرتين من الله:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٧).

فهذه من قبيل (ج) توبة من العبد وجزاء من الله، وذيله ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، تأكيد لما قبله بذكر «التَّوَّابُ»، وهو للبالغة، أي أنها صفة دائمة لله تعالى. و - ما كررت أربع مرات: ثلاث من الله، وواحدة من العباد.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا... ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٧).

فقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ عطف على ما قبله ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾، فهذه توبة واحدة من الله في صدر

وشروطها فلاحظ. والتوضيح: مبالغة في التصح، أي التوبة التي تصح الإنسان الماصي مرة بعد مرة، حتى ينوي ألا يعود إلى الذنب أبداً، لاحظ «ن ص ح».

ج - ما كررت مرتين: مرة من الله ومرة من العباد:

١- ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (٤).

٢- ﴿فَمَنْ تَابَ وَأَصْلَحَ... إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٢٦).

وهذا الأسلوب موافق لطبيعة التوبة، حيث يبدأ العبد بالتوبة إلى الله، فيتوب الله عليه، وهو بمنزلة الدعاء من العبد بالإجابة من الله تعالى.

د - ما كررت ثلاث مرات، وكلها من العباد:

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (٢٤).

وهذه الآية من تنمة ما قبلها (٢٣): ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فقد كررت التوبة فيها أربع مرات، وكلها من قبل العبد. أما وجه تكرارها في الآيتين فيحتمل أن تكون الأولى في من تاب من المشركين المذكورين فيها، ولهذا قال فيها: ﴿مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾. والثانية في من تاب من المسلمين عن سيئاته، وليس فيه (وَأَمَنَ)، لأنه مؤمن بالفعل.

وأما وجه تكرارها في الثانية ثلاث مرات: مرة في الشرط (مَنْ تَابَ)، ومرتين في الجزاء ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ - و(متاباً) فيها مصدر ميمي، وهو مفعول مطلق جاء تأكيداً للفعل - فقيل في وجهها: إن الجزاء

ونظيرها ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ التوبة: ٨٢، مع قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ التجم: ٤٣، وذكر له في القرآن شواهد أخرى.

هذا رأي الأشاعرة، وينكره المعتزلة والإمامية ومن ينحونحومهم، مع أنه بعيد عن سياق الآية، بل هي على خلاف هذا القول أدل؛ إذ ظاهرها أن هناك توبتين: توبة من الله، وتوبة من العبد، وهما مختلفتان تمامًا، والأولى داعية إلى الثانية وباعنة عليها.

٩- ما أفاده الطباطبائي أن الله توبتين: توبة قبل توبة العبد، وتوبة بعدها، وتوبة العبد محفوفة بها، وأن الله يرجع إلى العبد بالتوفيق لهم وإفاضة رحمة الهداية عليهم - وهو التوبة الأولى منه - فيهدي العبد إلى الاستغفار، وهو توبته، فيرجع الله تعالى إليه بقبول توبته وغفران ذنوبه، وهو التوبة الثانية منه تعالى. ومآل هذا الوجه إلى بعض الوجوه السابقة، ولا بأس به.

ز- ما كررت خمس مرات: مرتين من الله، وثلاث مرات من العباد:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ... حَقًّا إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (١٢) و (١٣).

ظهر أن التوبة الأولى والثالثة من الله، والثانية والرابعة والخامسة من العبد، وكلها مثبتة سوى الرابعة (وليسَتِ التَّوْبَةُ) فنفية، أي لا تصح توبة العبد إذا أخرها إلى وقت حضور الموت. وجاز أن تكون هذه من الله أيضًا، لتكون نفيًا بإزاء ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾، أي

الآية، واتسنان في ذيلها ﴿تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... هُوَ التَّوَّابُّ﴾، ويتوسطها قوله: ﴿لِيَتُوبُوا﴾، وهي للعباد. وإذا ضمت هذه الآية إلى ما قبلها ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ﴾ - وقد تكلمنا حولها - فیرتی ذكر التوبة فيها إلى ست مرات. ومعلوم أن تكرار التوبة من الله على الذين غفلوا صدورًا وذيلًا لطيب لقلوبهم، وتأکید للطف الله بهم، وقد سبق بيانه في الآية (٦).

إنما الكلام هنا في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، حيث ترتبت وتعاقت فيها توبة العباد على توبة الله، وهو خلاف المعتاد الذي مر في (ج)، فأولوها بوجوه:

١- لطف الله بهم في التوبة ووقفهم لها.
٢- قيل توبتهم ليمسكوا بها في المستقبل.
٣- قيل توبتهم ليرجعوا إلى حال الرضا عنهم، أو إلى حالتهم الأولى قبل المعصية، أو ليرجعوا إلى حالهم في الاختلاط بالمؤمنين، لأنهم كانوا منزولين عنهم، فلا يكلمهم أحد منهم.

٤- رجع عليهم بالرحمة وقبول العذر، ليستقيموا ويشتروا على توبتهم في المستقبل، ولا يرجعوا إلى ما يبطئها، ويتوبوا لو فرطت منهم خطيئة أيضًا، علمًا منهم أن الله تواب رحيم.
٥ - سهل لهم التوبة حتى تابوا.

٦- تاب عليهم في الماضي ليكون داعيًا لهم في المستقبل.

٧- تاب عليهم لينفضوا بالتوبة، ويتفرق لهم نوابها.
٨- قال الفخر الرازي: لتدل على أن فعل العبد فعل الله، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِمْ﴾ فعل الله، و﴿لِيَتُوبُوا﴾ فعل العباد.

لا يقبل الله توب العبد لو أخرها إلى هذا الوقت، والأوّل أقرب.

عاشراً: جاءت توبة الله في جملة من الآيات بلفظ (الْعَفْوُ الرَّجِيمُ) أو (رُفْتُ رَجِيمٍ) ونحوهما في خواتم الآيات، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَجِيمٌ﴾ في (٤) و(١٩) و(٢٨) و(٣٠) و(٣٢) و(٣٤) و(٣٥)، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَجِيمٌ﴾ في (١٧)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا غَفُورٌ رَجِيمٌ﴾ في (٢٣)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ في (١٨) و(٢٣)، ﴿إِنَّهُ يَمِيزُ رُفُوفَ رَجِيمٍ﴾ في (٦)، ﴿إِنَّ رَبِّي رَجِيمٌ وَدُودٌ﴾ في (٤٦)، فهذه نظير ما جاء فيه بلفظ (التَّوْبَةُ الرَّجِيمَةُ) مثل (٢) وغيرها. و(الرَّجِيمُ) فيها يُشِيرُ بَأَنَّ غفران الله وتوبته على العباد تنشأ من رحمته تعالى عليهم.

وظهرها قوله: ﴿وَلَئِنْ نَفَخْنَا لَنْ تَابَ وَلَمَنْ وَعِيلٌ صَالِحًا﴾ في (٢٢). وقوله: ﴿فَالْغَفُورُ الَّذِي تَابُوا...﴾ في (٣٧). فالغفار بمثابة التَّوْبِ، وقد قام مقامه، أو هو مقدّمة لقبول التوبة، كما ستكلّم عنه.

الحادي عشر: اجتمع الاستغفار والتوبة من العباد في جملة من الآيات، مثل: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ في (٤٣ - ٤٦)، فجاء مفسّرين به «ثم»، فيدلّ على أَنَّ الاستغفار شيء سوى التوبة، مقدّم عليه كمقدّمة لها.

وما يفضّ النزاع ويحلّ المشكلة هو أَنَّ هذه الآيات كلّها في سورة هود؛ إذ خاطب هود قومه عاد، وخاطب صالح قومه ثمود، وشعيب قومه أهل مدين، وكانوا كلّهم مشركين. فاستغفروهم رجوع من الشّرك إلى التّوحيد

أوّلًا، وتوبتهم رجوع عن الذّنْب ثانيًا.

والشّاهد عليه - مع وضوحه - أَنَّ ما قبلها جيّما نهي عن الشّرك ودعوة إلى التّوحيد، فقبل الآية (٤٣): ﴿أَلَا تَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ هود: ٢، وقبل سائر الآيات: ﴿يَا قَوْمِ اغْبُدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ الأعراف: ٥٩ وهناك أقوال أخرى غير موجّهة:

١- (ثم) بمعنى «الواو»، قاله الفراء وتبعه بعضهم.

٢- اطلبوا المغفرة كعرض لكم، ثم توصّلوا إليه بالتوبة، فالغفران هدف والتوبة وسيلة له. قاله الطّوسيّ ومن تبعه.

٣- استغفروا ربكم، ثم اخلصوا له التوبة، وبينها تراخ زمنيّ ورتبيّ. فالاستغفار طلب غفران الذّنوب، والتوبة انقطاع العبد إلى الله بالكليّة، وهو مرويّ عن الشّريف الرضّيّ. ووجهه بأنّ الاستغفار لا يكون توبة مالم يقلّ المستغفر: «تبت»، وينوي أن لا يعود إليه أبدًا، وهو التوبة الصادقة.

٤- الاستغفار توبة عمّا وقع من الذّنوب، والتوبة استغفار عمّا يقع بعدها في الحال أو في المستقبل.

٥ - الاستغفار طلب الغفر، أي الشّرك من الله والعفو عنه، والتوبة الرجوع إليه مع التّدمع مضى، والعزم على عدم العود.

٦- الاستغفار ترك المصيبة، والتوبة الرجوع إلى الطّاعة.

٧- الاستغفار المأمور به مسبق بالتوبة الّتي بمعنى التّدمع، ويتلوّه التوبة، فهناك ثلاثة أمور متتابعة: تدمع، واستغفار، ثم توبة.

قَسِيرٌ مُّجِيبٌ» هود: ٦٦، وما بعد الآية (٤٩):
 ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ أَسْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾
 الشورى: ٢٦. ومعنى ذلك أَنَّ التَّوْبَةَ من العبد دعاء منه،
 ومن الله استجابة له، فقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾
 حلَّ محلَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ أو ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾
 ونحوها في سائر الآيات. فقد جاء في ذيل: ﴿هُوَ يَقْبَلُ
 التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (٥٠)، قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ
 الرَّحِيمُ﴾، وهو تأكيد لما قبله، ووصف عامٍّ لله، كدليل
 على فعله الخاصِّ.

٤- إنَّ توبة العبد ليست سوى استغفار ذنوبه من الله،
 وليست توبة الله عليه سوى غفران ذنوبه، ولهذا جاءت
 ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ونحوها ذيلًا لتوبة العباد في كثير من
 الآيات كما جاء عكسه، أي جاء ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ذيلًا
 للاستغفار في الآيتين (٥٢) و(٥٤): ﴿فَاسْتَغْفِرُوا
 اللَّهَ... لَنُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ
 تَوَّابًا﴾. وجاء ﴿فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ﴾ في (٣)،
 و﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ في
 (٤٩)، فتويته قبول توبتهم، وعفوه غفران ذنوبهم.

٥- وفيها تأكيد أنَّ غفران الذُّنُوب وقبول توبة
 العباد خاصٌّ بالله، ولا حظَّ لغيره فيه، حتَّى الملائكة
 والأنبياء والأولياء. وهذا من أركان التوحيد ودعائه،
 كما أنَّ قبول الشُّفاعة واستجابة الدُّعاء والعبادة
 والاستئذان وأمثالها كلها لله سبحانه، لا يشاركه فيها أحدٌ.
 الثالث عشر: وُصِفَ الله بِ(التَّوَّابِ) في إحدى
 عشرة آية، وهي الآيات (١) و(٢) و(٧) و(١١) و(٢٦)
 و(٢٧) و(٥٠ - ٥٤)، وجاءت كلها ذيل الآيات،

٨- الاستغفار دعاء متصل مستمرٌّ بين الإنسان
 وربِّه، فإنَّه وإن اجتهد في الطَّاعة وأخلص في العبادة،
 لا يسلم أبدًا من أن تصدر عنه زلَّات. أمَّا التَّوْبَةُ فهي
 رجوع إلى الله بعد أن يبعد الإنسان عنه كثيرًا بالمعاصي،
 فهي في مواجهة موقف محدّد. فالاستغفار عمل مستمرٌّ،
 والتَّوْبَةُ خاصة بمحالة ارتكاب منكر من المنكرات.
 هذه جهود مشكورة في فهم الآيات من غير
 ملاحظة سياقاتها، وما اخترناه أولًا هو الموافق للسياق.
 وبذلك يعلم أنَّ هناك علاقة ماثلة بين المادتين «ت وب»
 و«غ فر»، وكثيرًا ما يحلُّ أحدهما محلَّ الآخر.

الثاني عشر: جاءت التَّوْبَةُ من الله بألفاظ مثل:
 (تَابَ اللَّهُ)، (يَتُوبُ اللَّهُ)، (تَوَّابٌ)، (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ)
 ونحوها. وجاءت في (٤٩) و(٥٠) مرَّتين بلفظ ﴿هُوَ يَقْبَلُ
 التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾، فهل هما شيء واحد، أو شيان؟ أي
 إذا تاب العبد وقبل الله توبته فقد تاب عليه، أو أنَّ التَّوْبَةَ
 من الله عمل منه يلي قبول توبة العبد؟ والأوَّل هو
 الأقرب، ويؤيِّده ما يأتي:

١- سبق أن قلنا: إنَّه هو توبتين: توبة قبل توبة العبد،
 وهي توفيقه للتَّوْبَةِ أو نحوه، ممَّا قد سبق الكلام فيه،
 وتوبة بعد توبة العبد، ولا يتصور له معنى سوى قبول
 توبة العبد بغفران ذنوبه، وسوى إعطائه مزيدًا من
 الأجر، والتَّوَّاب. ولا يَسِيَّ هذا توبة إلا مجازًا بمعللة
 سببية.

٢- وُصِفَ الله بِ(التَّوَّابِ)، أي أنه - كما سيأتي -
 بمعنى كثير القبول لتوبة العبد.

٣- جاء في ذيل الآية (٤٥): ﴿فَمَنْ تَوَّابًا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي

تعالى بذنوب العباد ويصدق نيّهم في المتاب، وعن حكته في القواب والمقاب. في (٩): ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، وفي (١٢): ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وفي (١٤) و (١٦) و (٢٠): ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فدلّت على أنّ الله لا يغفر ذنوب عباده جهلاً بها وبهم، بل غفرانه عن علم كامل وحكمة بالغة.

الرابع عشر: وُصف الله به «التَّوَابُ» (١١) مرّة ووصف العباد بالتَّوَابِينَ مرّة واحدة في (٥٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُسْتَطَرِّينَ﴾، وإن دلّ هذا على شيء، فإنّه يدلّ على البون الشاسع بين الله وعباده بنسبة ١١، أي إذا كرّر العبد التوبة فسيلقى أضعافاً من الله، لدوام فضيه واستمرار رحمته، وفيه أبحاث:

١- هناك فرق آخر بينهما، وهو أنّ العباد يتصّفون بلفظ التائب والتائبين والتائبات، كما يوصفون بلفظ الآيب والنسيب ونحوهما، دون الله، لأنّ أوصاف الله توقيفية، ولم يوصف في القرآن إلّا بالتَّوَابِ، دون التائب ونحوه. وكأنّه - مفرداً - وجماً - منصرف إلى العباد وخاصّ بهم، أمّا (التَّوَابِ) فمشارك بينهما لفظاً ومختلف معنى، كما علمت.

٢- وهناك نكات أخرى في صيغة الجمع، فجاء (التَّوَابِ) في جانب الله (١١) مرّة: (٧) مرّات مرفوعاً، و (٤) مرّات منصوباً، فتفوّق الرفع - وهو رمز العلوّ والتأثير - على النصب بنسبة ٧/٤. وجاء في جانب العباد (٣) مرّات: مرّة بلفظ (تَوَابِينَ) في (٥٥) منصوباً وشاملاً للرجال والنساء. ومرّة بلفظ (التَّائِبِينَ) في (٥٦) مرفوعاً للرجال، ومرّة بلفظ (تَائِبَاتٍ) في (٥٧) منصوباً للنساء،

كفذلكة أو دليل لما قبلها. وقد فسّروه بالمجاز عن ذنوب العباد، أو التارك مجازاتهم، أو قابل التوب، أو الكثير القبول للتوبة، أو يسّر أسباب توبتهم مرّة بعد أخرى، أو المكثّر لإعانتهم على التوبة - وهذا يرجع إلى التوبة الأولى منه تعالى - أو قابل التوبة وإن عظمت الذنوب، أو الرجّاع على عباده بالمغفرة، لأنّه إنّما يقبل التوبة - بالأمر يرجع إلى رقة طبع، أو جلب نفع، أو دفع ضرر، كما هو ديدن الملوك والرؤساء! إذ هم يقبلون توبة عبيدهم وخدامهم مرّة، ويرفضونها أخرى، بحسب اختلاف حالتهم النفسية من الرضى والغضب، بل لحض الإحسان واللطف والرحمة والجلود، فإنّ فضيه لا ينقطع ولا تنصير إلّا من القابل، أي العبد، فكلاً ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض إليه.

وعليه فالـتَّوَابِ هو الغفار، وقد أعقب (التَّوَابِ) في كثير من الآيات به «الرَّحِيمِ» في جل اسمية، لأنّ رحمته سبب قبوله التوبة. ورحمته صفة ثابتة له، ورأسخة في ذاته، فتدلّ على الدوام، كما أنّ الجملة الاسمية تدلّ على الثبات أيضاً.

ويشهد على ما ذكرنا في معنى (التَّوَابِ) أنّه جاء محلاً في اثنتي عشرة آية (الْفُحُورُ الرَّحِيمِ)، وهي: (٤) و (١٧) و (١٨) و (١٩) و (٢٣) و (٢٧) و (٢٨) و (٣١) - (٣٥)، وهي تزيد (التَّوَابِ الرَّحِيمِ) بوحدة، وفي (٦): (رَوْفٌ رَحِيمٌ)، وفي (٤٦): (رَحِيمٌ وَدُودٌ)، واكتفي في هذين ببيان سبب الغفران، وهو الرحمة والود من الله تعالى لعباده.

وقد جاء محلّ هذه الأوصاف أوصاف تحكي علمه

تأويل الكتاب والثقة، وهذا ديدنهم في أصول العقيدة وأصول الفقه. ومن أجل ذلك احتج القاضي عبد الجبار بقوله: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ...» في (١٢) على وجوب قبول التوبة على الله عقلاً، وأبطل حجته الفخر الرازي في كلام طويل، لاحظ النصوص.

والحق أنه لا يجب على الله شيء إلا ما أوجبه على نفسه ووعد به، فإنه لا يخلف الميعاد، وقد وعد الله عباده بقبول توبتهم إذا أحرزت الشروط التي شرطها الله. وهذا البحث جارٍ في الآيات عامة، وفي هذه الآية خاصة: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ...» حيث أن ظاهرها أنه تعالى أوجب على نفسه القبول، كما أوجب على نفسه الرحمة في قوله: «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» الأنعام: ١٢.

ومع ذلك فلسان الآيات مختلف، فبعضها يُعطى الرجاء في قبول توبتهم دون قطع وبت، مثل الآيتين (١٩) و(٢٠)، فقال في (١٩): «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسُوبَ عَلَيْهِمْ»، ومثلها (٢٥): «فَمَا مَن تَاب... فَغَنَى أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّافِلِينَ»، وفي (٢٠): «وَأَخْرَجُوا مُزَجَّجِينَ لَآلِئِ اللَّهِ إِثْمًا يُعَذِّبُهُمْ وَإِثْمُ يَسُوبَ عَلَيْهِمْ». وعلق القبول على مشيئته أيضاً في (١٦) و(١٧): «وَيَسُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ»، «ثُمَّ يَسُوبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ».

والحق أن الآيات إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض تُعطى الرجاء دون قطع للثقة من المؤمنين حسب مراتبهم الطاعة والمصيان، فلا حظ الآيات من آخر التوبة، ففيها تفسير أصناف الثائمين.

فقد روعي فيها موضع الجنسين إلى جانب مقام الرب المتعال.

٣- وجاء (التَّوَابُ) أيضاً وصفاً، معرّفاً بالآم في جملة مؤكدة «إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» ثلاث مرّات في (١) و(٢) و(٧): «وَإِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ» مرّة في (١١). ومنكرًا مع التأكيد مرّتين: «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ» في (٥٢)، و«إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» في (٢٦)، و«لَوْ جَدُّوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» في (٥٣) «وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» في ٢٧.

٤- وقد جمع الوصفان (التَّوَابُ) و(الرَّحِيمُ) فيها جميعاً. وجاء مرّة منفرداً عنه مع التأكيد «إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» في (٥٤)، ومرّة مع (حَكِيمٍ) بدل (رَّحِيمٍ): «وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ» في (٥٢). ومعلوم أن لكل من وصي (الرَّحِيمِ) و(الْحَكِيمِ) حسب مرّاتها دخلاً في وصفه بالتَّوَابُ، والغالب عليه التأكيد.

وقد أعقب (التَّوَّابِينَ) بِ(الْمُسْتَطَهِّرِينَ) في الآية، تنبيهاً وتأكيذاً أن التَّوَّابِينَ حقاً هم المطهرون، أي الذين يريدون ويموتون أن يطهروا عن ذنوبهم أمام الله، وقد تطهروا بالفعل، وأن الله إنما يحب التَّوَّابِينَ لأنه يحب المطهقين، وفي ذلك ألوان من الحكمة والود بين الله والعباد.

الحامس عشر: هناك بحث طويل في التفسير في وجوب التوبة على الله، وهو بحث كلامي سرى إلى التفسير من قبل المعتزلة الذين يحملون قواعدهم العقلية على الله، ويطبّقونها عليه بنفس أسلوب تطبيقها في حق العباد. وقد أبدوا حججهم العقلية، بما تمكّنوا من

٣- اختلفوا في «توبة من الله» من جهات:

الأولى: في وجه نصيبها، فهم بين من جعلها مفعولاً لأجله، أي إنما اكتفى بصيام شهرين متتابعين بدلاً من عتق رقبة، من أجل توبته عليكم وقوله توبتكم، فهي مثل: «فعلت ذلك حذار الشَّرِّ». ومن جعلها مصدرًا مؤكِّدًا لفعل مقدَّر، أي تاب عليكم توبة منه. ومن جعلها حالًا، أي جعل الصَّيام حال كونه توبة منه تعالى عليكم، أو حال كونه توبة منكم إليه، والأوَّل هو الأقرب.

الثانية: هل هذه التوبة توبة الله على العباد كما هو ظاهرها؛ حيث قال: ﴿تُوبَةُ مِّنَ اللَّهِ﴾، واختاره أكثرهم؟ أو توبة العباد، أي ليقبل توبتكم؟ وهو تحمیل للآية، إلا إذا أُريد بـتوبته الله دائماً قبول توبة العباد بالذات، وقد اخترناه، ولكن هذا لا يحوِّل ﴿تُوبَةُ مِّنَ اللَّهِ﴾ إلى توبة العباد.

الثالثة: إطلاق التوبة هنا بكلاً معنيها يقتضي صدور التقصير عن العبد في قتل الخطأ، مع أنه لا تقصير له، ويروى ذلك بوجه، جمعها الفخر الرازي كما يلي.

أولاً: أنه كان مقصراً في ترك الاحتياط.

وثانياً: أن الله خفف عنه بإقامة الصوم مقام الإعتاق عند المعز، والتخفيف من لوازم التوبة، فأطلق التوبة وأريد به التخفيف إطلاقاً للملزم على الألف.

وثالثاً: أن المؤمن إذا اتقى له ذلك يندم على فعله، فسوى الله ذلك الندم توبة من العبد.

والأقرب أن التوبة هنا - كما اختاره الطبري وغيره - هي التجاوز عن الإعتاق إلى الصَّيام، تخفيفاً على العباد

وهذا كله جارٍ في مالهائه الوعد والإرجاء، وهو أكثرها، أمّا في ما أخبر الله بأنه تاب على نبيٍّ أو على جماعة، فلارب في وقوعها، كجملة من آيات المحور الأوَّل، وعليه فالآيات من هذه الجهة صنفان أيضاً: إخبار عما وقع، ووعد بما سيقم. والبحث في وجوب قبول التوبة على الله موضعه الصَّنَف الثاني دون الأوَّل. وهناك بحث آخر في وجوب التوبة على العباد، ولارب فيه حسب الكتاب والسنة، لاحظ نصَّ «مُحَمَّد جواد مغنّيه». بيد أن لسان الآيات يختلف فيه وضوحاً وخفاءً، وشدة وضحاً أيضاً.

السادس عشر: جاء المصدر بلفظ التوبة (٦) مرّات في (١٢) و(١٣) و(٤٨) و(٤٩) و(٥٠) و(٥٨)، ولفظ (مُتَاباً) مرّتين في (٢٤) و(٥٩)، وفيها أبحاث:

١- إطلاق التوبة يحكي أنها كانت في عصر النبي، وفي عرف القرآن مفهومة بكلاً معنيها، أي توبة العباد - وهي الظاهر منها - وتوبة الله، على العباد.

٢- وقد وُزعت الآيات بين المعنيين في بدء النظر بنسبة ٤، أربع من العباد، واثنان من الله، فالتوبة في (١٢) من الله، وفي (١٣) من العباد، وقد تقدّم البحث فيها في الملاحظة الثالثة والرابعة. وفي (٤٩) و(٥٠) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ من العباد ظاهراً ومن الله باطناً، لما تقدّم في الملاحظة الثانية عشرة أن توبة الله هي نفس قبول توبة العبد. وفي (٤٨) خاص بالعباد، لأنهم مأمورون فيها بالتوبة، أمّا ﴿تُوبَةُ مِّنَ اللَّهِ﴾ في (٥٨) فخاصة بالله، على أثبت الأقوال، كما يأتي.

٦- اتباع سبيل الله (٣٧).

٧- التقوى (٥٢).

٨- الإيمان بالله (٢١) إلى (٢٥).

٩- الاستغفار قبل التوبة (٤٣) إلى (٤٦). وهذا

وما قبله خاص بالكفار والمشركين كما سبق.

١٠- أن تكون توبة نصوحاً (٤٨).

١١- أن يضم إلى استغفارهم استغفار الرسول

(٥٣)، وهذا خاص بالمنافقين حسب السياق.

١٢- التمسح بحمد الله قبل الاستغفار (٥٤)، وهذا

جاء خطاباً للنبي ﷺ خاصة.

١٣- صفات أخرى للتائبين (٥٦): ﴿أَشَابِيحُونَ

الْقَائِدُونَ الْحَامِدُونَ الشَّاهِدُونَ...﴾.

١٤- صفات أخرى للتائبين (٥٧): ﴿مُضِلِّاتٍ

مُؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَاتِيَاتٍ غَابِطَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيَّابَاتٍ

وَأَبْكَارًا﴾، وهذه صفات أزواج النبي ﷺ التي وعد

الله.

فبعض هذه الشروط خاص بالكفار والمنافقين.

وكثير منها جارٍ في عامة المؤمنين، فبعضها شرط

للقبول، وبعضها شرط للأجر والطاء الكامل للنبي

وأزواجه وللصالحين من أتباعه، وبملاحظتها تُعرف

التوبة حق معرفتها.

الثامن عشر: لا يكتل التحقيق في كلمة التوبة

- ولا سيما التوبة من الله - إلا بملاحظة آيات المغفرة التي

تسلخ (١٦٢) آية. وفي (٩١) آية منها وصف الله

به الغفور، وفي خمس منها به الغفار، وجمعت في أربع

منها التوبة والاستغفار من العباد، وقد تكلمنا حولها في

وعلى المجتمع البشري، فهذا ظير قوله: ﴿عَلِمَ أَنَّ لَنَا

نُحُوسًا فَكَانَ عَلَيْنَا﴾ المزمّل: ٢٠، واحتمل بعضهم

التخفيف راجعاً إلى كل ما تقدم من الصوم وغيره، وكلها

تخفيف عن القصاص.

السابع عشر: وبعد ذلك كله بقي الكلام في حقيقة

التوبة وشروطها، وقد أطال المفسرون الكلام في

ترفيفها ذيل الآيات فلاحظ. ونحن نفضل أن نتخذ النظر

عنها، ونكتفي بما جاء من القيود والشروط في الآيات:

١- أن يصدر العمل عن جهالة: (١٢) و (٣٢) و (٣٣).

٢- أن يصدر عنه سوء أو السيئة أو السيئات:

(١٢) و (١٣) و (٢٣) و (٣٢) و (٣١) و (٣٤) و (٤٩).

وقد خصها بعضهم بالمعاصي الصغيرة، فلاتعم الكبار،

وهذا ليس بجيد، وقد جاء في (٢٣): ﴿يُجِدُّلُ اللَّهُ

شَيَاطِينَهُمْ حَسَنَاتٍ﴾، وهذا مزيد في العطاء.

٣- أن يحس في نفسه ترك الطاعة (١٠): ﴿عَلِمَ أَنَّ

لَنَا نُحُوسًا﴾.

٤- أن تكون التوبة قبل أن يقدر المسلمون عليهم

(٣٤)، وهذا خاص بالمهاجرين.

وهذه شروط العمل الذي يتوب عنه، وأما شروط

التوبة نفسها فهي:

١- أن يسبق إلى التوبة قبل حضور الموت (١٢)

و (١٣).

٢- أن يحس أنه لاملجأ من الله إلا إليه (٧).

٣ - والاعتصام بالله والإخلاص في الدين (٢٩).

٥ - الإصلاح والعمل الصالح، وهذا جاء في كثير من

الآيات: (٤) و (١٩) و (٢١ - ٣٠) و (٣٢) و (٣٣).

الملاحظة الحادية عشرة.

ولهذه المادة أيضًا علاقة ماسّة بمادّة «ع ف و». وفيها (٢٤) كلمة، واجتمع في آيتين منها العفو والتوبة، وقد أشرنا إلى ذلك في الملاحظة الثانية عشرة. كما جاء «الصفح» مع «العفو» في ثلاث من آيات الصفح، فلاحظ «غ ف ر» و«ع ف و» و«ص ف ح».

التاسع عشر: المكّيات من هذه المادة (١٩) آية.

والمديّنات منها (٤٠) آية، أي ضعف المكّيات بزيادة ثلاث آيات، وإن دلّ هذا على شيء، فإنّه يدلّ على أنّ باب التوبة في مدينة الرّسول - وكانت تمدّ حينذاك دار الإسلام بلامنازع - كان مفتوحًا بكلا مصراعيه للعباد يمين النّبي ﷺ، فكان المؤمنون فيها كثيرين مع قلّتهم في مكّة، حيث كانت إلى قبيل رحيل النّبي ﷺ عن الدّنيا دار الشّرك والكفر، رغم وجود الكعبة فيها.

ت و ر

تارة

لفظ واحد، مرتان مكثتان في سورتين مكثتين

النصوص اللغوية

التائر: المداوم على العمل بعد فتور، والتَّير: جمع

تارة، مرة بعد مرة. (الأزهرى ١٤: ٣١٠)

ابن دُرَيْد: والتَّور: عربي معروف، هكذا يقول قوم، وقال آخرون: بل هو دخيل.

والتَّور: الرسول بين القوم، عربي صحيح. (١٤: ٢)

والطَّسْت والتَّور: فارسيتان. (٥٠٢: ٣)

الأزهرى: [حكى قول ابن الأعرابي ثم قال:]

قلت: وقال غيره: جمع تارة: تَعَرَّ مهموزة، ومنه

يقال: أتاَرتُ إليه النظر إتاَرةً؛ أَدْمَتُهُ تارةً بعد تارة. [ثم

نقل قول الفراء وقال:]

ويقال: أتاَرتُهُ بعصري أيضًا. [ثم استشهد بشعر]

ومن ترك الهمز قال: أتاَرتُ إليه الرُّمِي والنظر أتاَيرُهُ

إتاَرة، وأتاَرتُ إليه الرُّمِي، إذا رميته تارةً بعد تارة، فهو

مُتاَرا. [ثم استشهد بشعر]

والتَّور: إناء معروف، تُدَكَّرُ العرب.

الخليل: «التَّور» تُدَكَّرُ العرب، و«تارة» أنفها

واو، والجميع: التَّيرُ.

واستَوَّار القوم: فزعوا، والوَحْشُ أيضًا إذا تَقَرَّت.

[ثم استشهد بشعر]

وأتاَرتُ إليه النظر، إذا حَدَّثْتَهُ. (٨: ١٣٤)

أبو عمرو الشَّيباني: يقال للرسول: تَوَّر.

(الأزهرى ١٤: ٣١٠)

فلان يَمار على أن يؤخذ، أي يدار على أن يؤخذ.

(الجهوري ٢: ١٠٢)

الفراء: أتاَرتُ إليه النظر - يهمز في الألفين غير

ممدود - إذا أَحْدَثْتَهُ. (الأزهرى ١٤: ٣٠٩)

ابن الأعرابي: «تارة» مهموزة، فلمَّا كَثُرَ

استعمالها لها تركوا همزها. (الأزهرى ١٤: ٣٠٩)

التَّورة: المجارية التي تُرسل بين المُشاق.

والتَّيَّار: تيار البحر، وهو آذِيته وموجه. [ثم]

استشهد بشر]

والتَّيَّار «فَيْتَال» من تَارَ يُتَوِّر، مثل الْفَيْتَام من قام يقوم، غير أَنَّ فعله مُتَات. (٣٠٩: ١٤)

الصَّاحِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والتَّوَر: اتِّبَاع الشَّرْط^(١).

وهو يُتَار على كذا، أي يُدَار عليه. ومنه فَرَأَ مُتَارًا،

أي يُرمى بالأبصار.

وَأَتَرْتُهُ بِصَرِي: بمعنى أَنَا تَرْتُهُ. ويقولون: أَفَرَدُونِي

وَأَتَاوُونِي.

وَأَتَرْتُ النَّبِيَّ: فعلته تَارَةً بعد تارة.

ويقال: تَاوَرْتُهُ، وهما يَتَاوَرَان. (٤٥٨: ٩)

الْبَجَوَهْرِيّ: التَّوَر: إِنَاء يُشْرَب فِيهِ، وَالتَّوَر:

الرَّسُول بين القوم. (٦٠٢: ٢)

ابن فَارِس: التَّاء والواو والزَّاء ليس أصلاً يُعْمَل

عليه. أمَّا الْخَلِيل فذكر في بَنَانِهِ مَا لَيْسَ مِنْ أَصْلِهِ، وَهُوَ

اسْتَوَارَتْ الْوَحْش. وهذا مذكور في بابه^(٢).

وذكر ابن دُرَيْد كلمة لو أَعْرَضَ عَنْهَا كَانَ أَحْسَنَ،

قال: التَّوَر: الرَّسُول بين القوم، صَرِيّ صحيح. [ثم]

استشهد بشر] (٣٥٧: ١)

ابن سِيده: وَالتَّوَر: مِنَ الْإَوَانِي، مُذَكَّر، قِيل: هُوَ

صَرِيّ، وَقِيل: دَخِيل.

والتَّارَة: الْحَيْنَ وَالْمَرَّة. [ثم استشهد بشر]

وَأَتَرْتُ النَّبِيَّ: جِئْتُ بِهِ تَارَةً أُخْرَى، أَيْ مَرَّةً بعد

مَرَّة.

[ثم استشهد بشر]

وَيَرَّ الرَّجُل: أَصِيبَ النَّارَ مِنْهُ، هَكَذَا جَاءَ عَلَى

صِيغَةِ مَالِمٍ يُسَمَّى فَاعِلُهُ. [ثم استشهد بشر] (٥٣٠: ٩)

الرَّمَحُفَرِيّ: فَعَلَ ذَلِكَ تَارَاتٍ وَتَارَةً بعد أُخْرَى،

وهذه شَرُّ تَارَاتِكَ. ومنها قَوْلُهُ: تَاوَرْتُهُ، بِمَعْنَى عَاوَدْتُهُ.

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالتَّوَرِ» وَهُوَ إِنَاءٌ

صَغِيرٌ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ.

وَمَرَرْتُ بِبَابِ الثَّمَرَةِ عَلَى امْرَأَةٍ تَقُولُ لِبَسَارَتِهَا:

«أَعِيرِيْنِي تَوَرَّتَكَ». وَبِمَعْنَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يُتَمَاوَرُ وَيُرَدَّد.

أَوْ سَمِيَّ التَّوَرِ، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي يَتَرَدَّدُ وَيَدُورُ

بَيْنَ الثَّمَرَاتِ. [ثم استشهد بشر]

وَمَاخُذُهُ مِنَ «التَّارَةِ»، لِأَنَّهُ تَارَةٌ عِنْدَ هَذَا وَتَارَةٌ عِنْدَ

هَذَا. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٠)

الْمَدِينِيّ: فِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ: «أَنَّهُمَا صَنَعَتَا حَيْثَا

فِي تَوَرٍ».

قِيل: هُوَ إِنَاءٌ شَبَّهِ إِجَانَةً مِنْ صُفْرٍ أَوْ حِجَارَةٍ، يُتَوَضَّأُ

فِيهِ وَيُؤْكَلُ، وَالْجَمْعُ: أَنْوَارٌ.

وَالتَّوَرُ أَيْضًا: الرَّسُولُ، وَالتَّوَرَةُ: الْجِسَارِيَّةُ الَّتِي

تَتَوَسَّلُ وَتَقْرَأُ بَيْنَ الثَّمَرَاتِ، وَتَوَرَّ الْمُهَانِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ.

وَتَاوَرْتُهُ فِيهَا يَتَاوَرَان، إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً بعد أُخْرَى،

وَتَاوَرْتُهُ فِيهَا يَتَاوَرَان، إِذَا فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَذَلِكَ أُخْرَى.

وَفِي حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ: «فَهُمُ تَارَاتٌ» أَيْ يُكْرَرُ عَلَيْهِ

مَرَّاتٍ حَتَّى يَفْهَمَهُ. وَجَمْعُ التَّارَاتِ: يَتَرٌّ، كَقَامَاتٍ وَقِيَمٍ.

(٢٤٦: ١)

(١) وفي السمجات: التَّوَرُورُ: اتِّبَاعُ الشَّرْطِ.

(٢) سَيَاتِي فِي مَادَّةِ «وَارٍ».

ابن الأثير: [نقل حديث أم سليم ثم قال:]

منه حديث سلمان رضي الله عنه: «لما احتضر دعا
بمشك، ثم قال لامرأته: أوحنيه في ثوبه أي اضربيه
بالماء». (١: ١٩٩)

الفَيْوَمِي: وتؤر الماء: الطُّحْلَب، وهو شيء أخضر
يعلو الماء الزاكد.

والتَّار: المرة، وأصلها الهمز، لكنّه حُفِّفَ لكثرة
الاستعمال.

وربما هُزِمت على الأصل، وجمعت بالهمز، فقليل:
تأرة وتيار وتير. قال ابن السَّراج: وكأنّه مقصور من
«تير». وأما الحَقَف فالجمع تارات.

والتَّيَّار: الموج، وقيل: شدة الجريان، وهو «قَيْمَال»
أصله: تَيَّوار، فاجتمعت الواو والياء، فأدغم بعد القلب.
وبعضهم يجعله من «تير» فهو فقال. (١: ٧٨)

الفيروز إبادي: الثَّور: الجريان، والزَّرسول بين
القوم، وإناء يُشرب فيه، مذكر.

وبهاء: الجارية تُرسل بين العُشَّاق.

والتَّارة: الحين والمرة، الجمع: تارات وتير.

وأتاره: أعاده مرة بعد مرة.

وأثَّرت النظر: أثَّرتُه.

وتارة: موضع بالشَّام قرب تبوك، ومنه مسجد

«تارة» لرسول الله ﷺ.

وتاران: جزيرة بين الثَّلُزُم وأَيْلَة.

و«ياتارات فلان» مقلوب من «الوَّثَر» للدم.

وتوران بالضم: اسم لجميع ساوراء النهر، ويقال

لملكها: توران شاه.

والتَّار: المداوم على العمل بعد فخور. (١: ٣٩٥)

مَجْمَعُ اللُّغَة: التَّارة: المرة والكثرة، يقال: فعل
ذلك تارة بعد تارة، أي مرة بعد مرة. وعاد إلى هذا الأمر
تارة أخرى، أي كَرة أخرى. (١: ١٦٥)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٣٩)

المُصْطَفَوِي: والذي ينبغي أن نقول: أن موادَّ الثَّور

والثَّير والثَّير وهكذا الزَّتر، بينها اشتقاق، وهي قريبة
المفاهيم، ويقرب منها أيضًا: الطَّور، والكَّور، ويجمعها
الحركة والتَّحول.

يقال: تارة بعد تارة، أي كذلك جرى وتحسَّل.

والتَّيَّار: جريان الأمواج وتحولها إلى حالات، والإناء

الخصوص إذا يتجاوز ويدور، وهكذا من يتردَّد ويدور

بين جمع، وهكذا المعاودة، وهكذا الأطوار والأكوار

المتخلِّفة. والتَّواتر: تتابع السَّيِّ سرات بعد أخرى.

والالتِّيام: حصول حالة بعد حالة. والحين في تعاقب
الأزمنة.

ولا يبعد أن نقول: إنَّ الأصل في هذه المسألة: هو

المهموز، ثم قُلِبَت الهزمة واوًا أو ياءً للتخفيف، وبدلَ

عليه اللَّغَة العبرية القريبة منها.

قاموس عربي-عبري: تارة: طوق، أحاط، وضع

حدودًا.

تَير: وصف، صور، رسم، خط، قص، حدّد.

تَوَّير: شكل، صورة، وصف، درجة، مظهر.

فهذه المعاني كاتماتٍ تناسب مفهوم التَّحول.

وقد ضبط للتَّور واوياً وللتَّير يائياً معاني متناسبة

أيضاً، إلا أن معاني المهموز أنسب، مضافاً إلى أن قلب

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التارة، أي الحين والمرّة، وجمعها: تارات وتير، يقال: أَتَرْتُ الشيء، أي جئت به مرّة بعد مرّة، وأتَرْتُ إليه الرّمي أْتِيرُهُ تارةً: رميته تارةً بعد تارة فهو مُتَار، وكذا أَتَرْتُ إليه النظر: عُدْتُه مرّةً بعد مرّة، والتّأثّر: المتداوم على العمل بعد فتور.

ومنه: التّور: الرّسول بين القوم، لأنّه يتردّد بين جماعتين، مرّة بعد مرّة لسفارة أو زيارة.

والتّورة: مؤثّر التّور، إلّا أنّه يقال للجارية التي تُرسل بين الشّاق خاصّة.

والتّور: إناء يشرب فيه، وقد يُتَوَسَّأ منه، يصنع من صفر أو حجر كالإجانة، وفي حديث أمّ سليم «أتها صمت حيناً في تّور».

واختلف في أصله، فقيل: عربي، وقيل: دخيل، وتردّد ابن دُرَيْد فيه أوّل الأمر، ثمّ قطع بأنّه فارسيّ، تبعاً لأبي حنيفة الذي تبع أبا عبيدة أيضاً.

٢- قال ابن الأعرابي: «تارة مهموز، فلما كثر استعمالهم لها تركوا همزها»، يقال منه: أَتَارْتُ النظر إليه، أي أدمته مرّةً بعد مرّة، وهو خلاف ماذهب إليه الخليل، حيث قال: «تارة أفها واو»، وهو ما اخترناه.

٣- وذهب الجوهريّ إلى أنّ لفظ «تير» - جمعه تارة - مقصور من «تيارة»، وهو مذهب واضح المسلك؛ إذ الأصل فيه «تيوار»، فقلبت الواو ياءً لجارة الياء، كما في «جياح» من (ج و ع) و«نيام» من (ن و م)، ثمّ حذفت الألف منه فصار «تير».

ولا ينقاس حذف ألف «فعال» في كلّ ما كان مفرداً

الواو أو الياء همزة غير وجيه، وليس فيه تخفيف، [إلى أن قال:]

ويستفاد من موارد استعمال هذه المادة: أنّ التحوّل فيها لازم أن يكون إلى حالة مثل سابقها، كما في الأمواج والمعاداة والالتيام، لمصول وصف أو شكل أو صورة أو حالة كسابقها.

وهذا هو الفرق بينها وبين التحوّل والتّنوّع والتّطور. (١: ٣٨١)

النصوص التفسيرية

أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُهَيِّذَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى... الإسراء: ٦٩
قَتَادَةَ: أي في البحر مرّةً أخرى. (الطبري ١٥: ١٢٤)
أبو عبيدة: مرّةً أخرى، والجمع: تارات وتير.

(١: ٣٨٥)
الطُّوسِيّ: في البحر دفعةً أخرى، بأن يجعل لكم إلى ركوبه حاجة. (٦: ٥٠٢)

أبوحيان: وانتصب (تارةً) على التّرف، أي وقتاً غير الوقت الأوّل. (٦: ٦٠)

الآلوسيّ: أي مرّةً غير المرّة الأولى، وهو منصوب على التّرفيّة، ويجمع على تارات وتير، كما في قوله:

«يقوم تارات ويمشي تيرا»

وربّما حذفوا منه الهاء، كقوله:

«بالويل تارا والتّور تارا»

(١٥: ١١٧)

وجاء (تارةً) بمعنى المرّة في سائر التّفسير. ويهذا المعنى جاءت كلمة (تارةً) في سورة طه: ٥٥.

فَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ».

قال الطبرسي: (٣: ٣١٢): «وقيل: الماصب: الريح المهلكة في البر، والفاصف: المهلكة في البحر». فكيف ما كان فقوله: (فَيُغْرِقُكُمْ) صريح في ذلك، فالمنى أم أمستم أن يغرقكم في البحر تارة أخرى بعد ما أصابكم فيه في المرة الأولى من الضربة.

ثالثاً: في (٢): ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، أي خلقكم من الأرض وأخرجكم منها في بدء الخليقة، فسيخرجكم منها مرة أخرى عند البعث بعد أن أعادكم فيها عند الموت.

رابعاً: جاءت «مرة» مكان «تارة» في آيات الخلق والبعث:

- ١- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الأنعام: ٩٤
 - ٢- ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُبِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الإسراء: ٥١
 - ٣- ﴿وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الكهف: ٤٨
 - ٤- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يس: ٧٩
 - ٥- ﴿قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فصلت: ٢١
- والفرق بينها أن «تارة» جاءت في الآيتين بلفظ (تارة أخرى) للمرة الثانية، وجاءت «مرة» دائماً بلفظ «أول مرة» للمرة الأولى، والتكسبة فيها أن «تارة» للمستقبل، و«مرة» للماضي كما يشاهد في الأفعال قبلها. لاحظ «مرد».

«فَقُلَّةٌ» بل يحذف إذا وقع بعد حرف علّة، فلا يقال في السالم: صَبَّحَ صَبَّحَ، وَرَحَبَ وَرَحَبَ، وَإِنَّمَا يقال: صَبَّحَ وصباح، وَرَحَبَ ورحاب.

ولا ينكر أن ما عينه حرف علّة قليل في «فَعَلَ» و«فَعَالٌ»، و«فَعَّلَهُ» و«فَعَالٌ»، ولا سيما ما كان عينه ياء، مثل: ضَيَّفَ وضيف، وضَيَّعَ وضيع.

الاستعمال القرآني

جاءت من هذه المادة «تارة» مرتين:

- ١- «أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُبِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ» الإسراء: ٦٩
 - ٢- «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» طه: ٥٥
- يلاحظ أولاً: أن (تارة) هي اللفظة الوحيدة من هذه المادة في القرآن. وقد جاءت مرتين: مرة في (١) بشأن الدنيا، ومرة في (٢) بشأن الآخرة، ولاتالت لها، كما لاتالت لعالمي الدنيا والآخرة، حسب وجهة نظر القرآن. وفيها إنذار ووعيد بالعذاب في الدارين.
- ثانياً: في (١): ﴿أَنْ يُبِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾، أي يُعيدكم في البحر مرة أخرى بعد أن كنتم فيه في الأولى، وذلك لأن ما قبلها ﴿وَرَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ... وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ... أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ الإسراء: ٦٦-٦٨.
- فالكل كان في عذاب البر والبحر. وجاء في الأولى ﴿يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، وفي الثاني ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

ت و ر اة

التوراة

لفظ واحد، ١٨ مرة: ١ مكّيّة، ١٧ مدنيّة

في ٧ سور: ١ مكّيّة، ٦ مدنيّة

النصوص اللغوية

زنّادي، فالأصل عندهم «تَوَزَيْتَ» إلّا أنّ الياء قلبت ألفاً لتحركها واختلاف ما قبلها. و«تَعْمَلَتَ» لاتكاد توجد في الكلام، إنّما قالوا في تَعْمَلَتَ: «تَعْمَلَتَ».

وقال بعضهم: يصلح أن يكون «تَعْمَلَتَ» مثل تَوْحِيّة، ولكن قلبت من تَعْمَلَتَ إلى تَعْمَلَتَ. وكأنّه يميز في تَوْحِيّة تَوْصاة. وهذا رديء ولم يثبت في تَوْحِيّة تَوْفاة، ولا في تَوْحِيّة تَوْفاة.

وقال البصريون: أصلها «فَوَعَلَتَ»، وفَوَعَلَتَ كثير في الكلام مثل المَوْفَلَتَ، ودَوَعَلَتَ، وما أشبه ذلك. وكلّ ما قلت فيه: «فَوَعَلَتَ» فصدره «فَوَعَلَتَ»، فأصلها عندهم «وَوَزَيْتَ» ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما في «تَوَلَّجَ» وإنّما هو «فَوَعَلَتَ» من ولجت، كما قلبت في «تراث». الياء الأخيرة قلبت أيضاً لتحركها وانفتاح ما قبلها بإجماع.

(١: ٣٧٤)

الفَرّاء: التوراة من الفعل: التفعّل، كأنّها أخذت من: أَوْرَيْتُ الزّناد، ووريتها، فتكون «تَعْمَلَتَ» في لغة طيّ، لأنّهم يقولون في «التوصية»: تَوْصاة، وللجارية: جارة، وللنّاصية: ناصاة. (الأزهري ١٥: ٣٠٧)

التوراة: معناها الضياء والتور، من قول العرب ويرى الزّند يُري، إذا قدح وظهرت النّار «فَالْمُورِيَاتُ قَدْحًا» العاديات: ٢.

ويقولون: وَزَيْتُ بك زنّادي، ومعناه: ظهر بك الخبير لي، فالتوراة سمّيت بهذا الاسم لظهور الحقّ بها. ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهُوَ وَافٍ الْفُرْقَانِ وَحِيتَاءُ» الأنبياء: ٤٨. (الفخر الرازي: ٧: ١٧٠)

الرّجّاج: وقد اختلف التحوّيون في «توراة» فقال الكوفيون: توراة يصلح أن يكون «تَعْمَلَتَ» من وَزَيْتُ بك

أو حَطَبَةٍ، والتَّوراة «تَقْلَعَة» منه. (٤: ٤٠٢)

الْأَلُوسِيّ: واختلف في اشتقاق التَّوراة والإنجيل فقيل: اشتقاق الأول من: رَزَى الزَّناد، إذا قدح فظهر منه الثَّار، لِأَنَّهُ ضِيَاءٌ ونور - بالنسبة لما عدا القرآن - تجلو ظلمة الضَّلال. وقيل: من وري في كلام، إذا عَرَضَ، لِأَنَّ فيها رموزاً كثيرة وتلويحات جليلة.

ووزنها عند الحكيل وسيبويه «فَوْعَلَة» كصَوْمَعَة، وأصله «وَوْرِيَة» بواوين، فأبدلت الأولى تاءً، وتحركت الياء وانفتح ما قبلها، فقلت ألفاً، فصارت «توراة» وكتبت بالياء تنبيهاً على الأصل، ولذلك أميلت.

وقال القراء: وزنها «تَقْلَعَة» بكسر العين، فأبدلت الكسرة فتحة، وقلت الياء ألفاً، وفُعل ذلك تخفيفاً، كما قالوا في تَوْصِيَة: تَوْصَاة.

واعترضه البصريون بأنَّ هذا البناء قليل، وبأنه يلزم منه زيادة التاء أولاً، وهي لا تزاد كذلك إلَّا في مواضع ليس هذا منها.

وذهب بعض الكوفيين إلى أنَّ وزنها «تَقْلَعَة» بفتح العين، فقلت الياء ألفاً. [إلى أن قال:]

ولا يحنى أنَّ أمر الاشتقاق والوزن على تقدير عربية اللفظين ظاهر. وأما على تقدير أنها أعجميتان، أولها عبراني والآخر سرياني - وهو الظاهر - فلامعنى له على الحقيقة، لِأَنَّ الاشتقاق من ألفاظ أخر أعجمية مما لا مجال لإثباته، ومن ألفاظ عربية - كما سمعت - استنتاج للضَّب من الحوت، فلم يبق إلَّا أَنَّهُ بعد التعريب أجروه مجرى أبينتهم في الزيادة والأصالة، وفرضوا له أصلاً ليعترف ذلك، كما أشرنا إليه فيما قبل.

الصَّاحِب: ووَرِيت النار: استخرَجَ جُثَّتْها تَوْرِيَة، ومنه أخذت التَّوراة - كما قيل للنَّاصية: ناصا - كما أنها ضياء يُمتدَّى به، كما سَمِيَ القرآن ضياءً. (١٠: ٢٩١) الرَّاهِب: التَّوراة: التَّاء فيه مقلوب، وأصله من الوَرِي، وبنائوه عند الكوفيين وَوَراة «تَقْلَعَة»، وقال بعضهم: هي «تَقْلَع» نحو: تَقْلَع، وليس في كلامهم «تَقْلَع» اسمًا، وعند البصريين وَوَرَى هي «فَوْعَل» نحو حَوْقَل.

الْمُخَصَّرِي: التَّوراة والإنجيل اسمان أعجميتان، وتُكَلَّف اشتقاقهما من: الوري والتَّجل، ووزنها به تَقْلَعَة، وإفعل، إِنَّمَا يصح بعد كونها عربيتين.

(١١: ٤١٠) النُّعْمَانِيّ: لَمْ يَمْ يوزن في ثلاثة أقوال: [وَنَقَلَ كلام القراء والزَّجَّاج وأضاف:]

ثم طعنوا في قول القراء، أَمَا الأول: فقالوا: هذا البناء نادر أَمَا «فَوْعَلَة» فكثير، نحو: صومعة وحوصلة، ودؤسرة، والحمل على الأكثر أولى. وأما الثاني: فَلأنَّه لا يتم إلَّا بحمل اللفظ على لغة طيء، والقرآن ما نزل بها ألبتة. (٧: ١٧٠)

الْقُيُومِيّ: «والتَّوراة» قيل: مأخوذة من: وري الزَّند، فإنَّها نور وضياء، وقيل: من التَّورية، وإِنَّمَا قُلِبَت الياء ألفاً على لغة طيء. وفيه ظن، لِأَنَّهُا غير عربية. (١: ٦٥٧)

الغبرور إبادي: ووَرَى الزَّندُ كوعى وولي، وزَّيَا ووَرِيًا وورِيَّةً ووَرِيٌّ: خَرَجَتْ نَارُهُ، وأَوْرَشْتُهُ ووَرَّيْتُهُ واستورَشْتُهُ، ووَرَّيْتُ النَّارَ وَرَّيْتُهَا: مَاتُورِي به من خِرْقَة

﴿مَعَ الْآبِرَارِ﴾ آل عمران: ١٩٣، و﴿مِنَ الْآفَرَارِ﴾ ص: ٦٢، و﴿قَرَارِ﴾ إبراهيم: ٢٦، إذا كان الحرف مخفوضاً.

وروى المسيحي عن نافع فتح الزاء من (التَّوْزِيَّة) وروى وَزَّش عنه كسرهما، وكان أبو عمرو والكسائي يكسران الزاء من (التَّوْزِيَّة) ويميلان من (الآبِرَارِ) وغيرها أشد من إمالة حمزة ونافع. (١: ٣٩٨) نحوه أبوحيان. (٢: ٣٧٨)

الفَخْرُ الرَّازِي: في (التَّوْزِيَّة) قراءة ثان: الإمالة والتضخيم، فن فَعَمَ فلأنَّ الزاء حرف ينع الإمالة، لما فيه من التكرير. (٧: ١٧٠)

الشَّرِيبِي: واختلف الناس في هذين اللَّفْظَيْن هل يدخلها الاشتقاق والتصرف أو لا يدخلانها لكونها أعجميَّين فلا يناسب كونها مشتقَّين؟ ورجَّح هذا الزَّعْزَعَرِيُّ، وقال: قالوا: لأنَّ هذين اللَّفْظَيْن اسمان عبرانيَّان هذين الكتابين الشَّرِيفَيْن. (١: ١٩٤) البُسْرُو سَوِي: اسمان أعجميتان، الأوَّل عبري والثاني سرياني (٢: ٣)

الآلُوسِي: ذكرهما تبييناً لما بين يديه وتبييناً لرفعة محلِّه، بذلك تأكيد لما قبل وتحميد لما بعد، ولم يذكر المؤرِّك عليه فيها، لأنَّ الكلام في الكتابين لافيهن نزلاً عليه. (٣: ٧٦)

القاسمي: و«التَّوْزَاة» اسم عبرانيّ مضاف إلى الشريعة، و«الإنجيل» لفظة يونانية معناها البشرى، أي الخبر الحسن. هذا هو الصواب كما نصَّ عليه علماء الكتابين في مصنفاتهم. وقد حاول بعض الأبناء تطبيقها على أوزان

والاستدلال على عريبتها بدخول «اللام» لأنَّ دخولها في الأعلام المعجمية محلَّ نظر، لأنَّهم ألزموا بعض الأعلام الأعجمية الألف واللام علامة للتشريف - كما في الإسكندرية - فإنَّ أبازكرنا التبريزي قال: إنَّه لا يستعمل بدونها، مع الاتفاق على أعجميته. (٣: ٧٦) مَجْمَعُ اللَّغَةِ: (التَّوْزِيَّة): ما أنزله الله تعالى على سيِّدنا موسى من الوحي ليُبلِّغه قومه. (١: ١٦٥) الْمُصْطَفَوِي: تورا: سمَّيت بها الأسفار الخمسة: التكوين، والخروج، والأعداد، والآلويان، والتثنية، من المهد العتيق، المنسوبة إلى موسى ﷺ.

وفي الحقيقة أنَّها اسم لكتاب منزل، وقوانين وأحكام نازلة من الله المتعال إلى حضرته ﷺ.

وهذه كلمة عبرانية بمعنى القانون والتعليم. قاموس عبري: تورا = قانون، مبدأ، عقيدة، تعليم، شريعة موسى، أسفار موسى الخمسة، نوايس، تقاليد، تعاليم، نظام.

توراني: واسع المعرفة، متضلِّع في التَّوْزَاة، ديني توراني.

توراني: ظري. (١: ٣٨٢)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

١- نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. آل عمران: ٣ ابن عطية: قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم (التَّوْرَاة) مفتوحة الزاء، وكان حمزة ونافع يلفظان بالزَّاء بين اللَّفْظَيْن بين الفتح والكسر، وكذلك فَعَلَا في قوله:

تابوت عهد الرَّبِّ، قائلاً (٢٦): خذوا كتاب التَّوْرَة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرَّبِّ إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم (٢٧) لأنِّي أنا عارف تَمَرِّدكم ورقابكم الصَّلبة. هو ذا وأنا بعد حيٍّ معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرَّبِّ، فكُم بالحِريِّ بعد موتي (٢٨) أجمعوا إلىَّ كلَّ شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السَّما والأرض (٢٩) لأنِّي عارف أنكم بعد موتي تُفسدون وتزيغون من الطَّريق الَّذي أوصيتمكم (٣٠) ويصيبكم الشَّرُّ في آخر الأَيَّام، لأنكم تعملون الشَّرَّ أمام الرَّبِّ حتَّى تُغيظوه بأعمال أيديكم (٣٠) فسطق موسى في مسامع كلِّ جماعة إسرائيل بكلمات هذا التَّشديد إلى قامه.

وهاهنا ذكر التَّشديد في الفصل الثَّاني والثلاثين، ثمَّ قال، أي الكاتب لسفر التَّشديد: «(٤٤) فأقَّى موسى ونطق بجميع كلمات هذا التَّشديد في مسامع الشَّعب هو ويشوع ابن نون (٤٥) ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع بني إسرائيل بهذه الكلمات (٤٦) قال لهم: وجَّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات الَّتِي أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكي تُوصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التَّوْرَة، لأنَّها ليست أمراً باطلاً عليكم بل هي حياتكم، وبهذا الأمر تطلبون الأَيَّام على الأرض الَّتِي أنتم عابرون الأردن إليها لتتلكوها».

ومنه خبر موت موسى، وكونه لم يرقم في بني إسرائيل نبيَّ مثله بعد، أي إلى وقت الكتابة. فهذان الخبران عن كتابة موسى للتَّوْرَة وعن موته معدودان عندهم من التَّوْرَة، وماهما في الحقيقة من الشَّريعة

لغة العرب واشتقاقهما منها، وهو خط بغير ضبط. (٤: ٧٤٩) وشهد رضا: «التَّوْرَة» كلمة عبرانيَّة، معناها المراد: الشَّريعة أو التَّاموس. وهي تطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار، يقولون: إنَّ موسى كتبها، وهي: سفر التَّكوين؛ وفيه الكلام عن بدء الخليقة وأخبار بعض الأنبياء، وسفر الخروج، وسفر اللاويين أو الأخبار، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع، ويقال: التَّثنية فقط.

ويطلق التَّصاري لفظ «التَّوْرَة» على جميع الكتب الَّتِي يَسْتَوْنها العهد العتيق، وهي كتب الأنبياء وتاريخ قضاة بني إسرائيل وملوكهم قبل المسيح، ومنها ما لا يعرفون كاتبه، وقد يطلقونه عليها وعلى العهد الجديد ممَّا، وهو المعبَّر عنه بـ«الإنجيل» وسيأتي تفسيره.

أمَّا «التَّوْرَة» في عرف القرآن فهي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، يُسَبِّلُه قومه لملهم يمتدنون به. وقد بيَّن تعالى أنَّ قومه لم يحفظوه كلَّه، إذ قال: ﴿وَتَسُوا خَطَأً يَسُوا ذُكُّوا بِهِ﴾ المائة: ١٣، كما أخبر عنهم في آيات أنَّهم حرَّفوا الكلام عن مواضعه، وذلك فيما حفظوه واعتقدوه.

وهذه الأسفار الخمسة الَّتِي في أيديهم تنطق بما يؤيد ذلك، ومنه ما في سفر التَّثنية من أنَّ موسى كتب التَّوْرَة وأخذ العهد على بني إسرائيل بحفظها والعمل بها، فلي الفصل الإصحاح الحادي والثلاثين منه ماضه:

«(٢٤) فمتدا كمثل موسى كتابة كلمات هذه التَّوْرَة في كتاب إلى تمامها (٢٥) أمر موسى اللاويين حـ ملي

خرب بختنصر الهيكل، وربما كان ذلك سبب حديث كان جارياً بين اليهود على أنَّ الكتب المقدسة فُقدت وأنَّ عزرا الكاتب الَّذي كان نبياً جمع النسخ المستقرّة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها، وبذلك عادت إلى منزلتها الأصليّة، انتهى بحروفيه.

ولقد نعلم أنَّهم يَجيبون من يسأل: من أين جمع عزرا تلك الكتب بعد فقدائها وإنّما يجمع الموجود، وعلى أيّ شيء اعتمد في إصلاح غلطها؟ قائلين: إنّه كتب ما كتب بالإلهام فكان صواباً، ولكن هذا الإلهام ممّا لا سبيل إلى إقامة الرهان عليه، ولا هو ممّا يحتاج فيه إلى جمع ما في أيدي الناس الَّذين لاتقّة بنقلهم، ولو كتب عزرا بالإلهام الصّحيح لكتب شريعة موسى بمجرّد من الأخبار التاريخية، ومنها ذكر كتابته لها ووضعها في جانب التّابوت، وذكر موته وعدم مجيء مثله، وقد بين بعض علماء أوربا أنَّ أسفار التّوراة كُتبت بأساليب مختلفة لا يمكن أن تكون كتابةً واحدة.

وليس من غرضنا أن نطيل في ذلك وإنّما نقول: إنّ التّوراة الّتي يشهد لها القرآن هي ما أوحاه الله إلى موسى ليبلّغه قومه بالقول والكتاب، وأنّما التّوراة الّتي عند القوم فهي كتب تاريخيّة مشتملة على كثير من تلك الشّريعة المزعّمة، لأنّ القرآن يقول في اليهود: إنهم أوتوا نصيباً من الكتاب، كما يقول: إنهم نسوا حظاً ممّا ذكّروا به، ولأنّه يستحيل أن تنسى تلك الأُمّة بعد فقد كتاب شريعتهما جميع أحكامها، فكتبه عزرا وغيره مشتمل على ما حفظ منها إلى عهده وعلى غيره من الأخبار، وهذا كاف للاحتجاج على بني إسرائيل بإقامة التّوراة، وللشّهادة

المزعّمة على موسى الّتي كتبها ووضعها بجانب التّابوت بل كتباً كغيرها بعده. وقد ظهر تأويل علم موسى في بني إسرائيل فإنّهم فسدوا وزاغوا بعده كما قال، وأضاعوا التّوراة الّتي كتبها ثمّ كتبوا غيرها. ولاندري عن أيّ شيء أخذوا ما كتبوه على أنّه فُقد أيضاً. وفي الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الأيّام الثاني: أنَّ حلقيا الكاهن وجد سفر شريعة الرّبّ وسلّمه إلى شافان الكاتب، فجاء به شافان إلى الملك.

قال صاحب دائرة المعارف العربيّة: إنهم ادّعوا أنَّ هذا السفر الَّذي وجده حلقيا هو الَّذي كتبه موسى، ولادليل لهم على ذلك، على أنّهم أضاعوه أيضاً، ثمّ إنّ عزرا الكاهن الَّذي هيأ قلبه لطلب شريعة الرّبّ والعمل بها، وليلم إسرائيل فريضة وقضاء، قد كتب لهم الشّريعة بأمر أرتمحشتا ملك فارس الَّذي أذن لهم - أيّ لبني إسرائيل - بالعودة إلى أورشليم.

وقد أمر هذا الملك بأن تقام شريعتهم وشريعته كما في سفر عزرا - راجع الفصل السابع منه - فجميع أسفار التّوراة الّتي عند أهل الكتاب قد كتبت بعد السّبي كما كتب غيرها من أسفار العهد العتيق، ويدلّ على ذلك كثرة الألفاظ البابليّة فيها. وقد اعترف علماء اللاّهوت من النصارى بفقد توراة موسى الّتي هي أصل دينهم وأساسه.

قال صاحب كتاب «خلاصة الأدلّة السّنيّة على صدق أصول الدّيانة المسيحيّة»: والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصليّة في الوجود إلى الآن، ولا نعلم ماذا كان من أمرها، والمرجّح أنّها فُقدت مع التّابوت ممّا

بالتوراة والإنجيل اللذين لعبت بهما يد التحريف. إنَّ القرآن بكامله هو كلام واحد، وجملة واحدة، لا يجوز الإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر.

و«التوراة» كلمة عبرانية، ومعناها الشريعة، وتطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار:

الأول: سفر التكوين، وفيه الكلام عن بدء الخليقة، وأخبار الأنبياء.

والثاني: سفر الخروج، وفيه تاريخ بني إسرائيل وقصة موسى.

الثالث: سفر التثنية، وفيه أحكام الشريعة اليهودية. الرابع: سفر اللاويين، والأوويون هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب، وفيه العبادات والمهرمات من الطيور والحيوانات.

الخامس: سفر العدد، وفيه إحصاء لقبائل لبني إسرائيل وجيوشهم.

وهذه الأسفار الخمسة هي من مجموعة أسفار تبلغ تسعة وثلاثين سفرًا، ويُطلق النصارى عليها اسم: العهد القديم. (٦: ٢)

مكارم الشيرازي: «التوراة» لفظة عبرية، تعني «الشريعة والقانون». وأطلقت على الكتاب الذي أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلام، وقد تطلق أيضًا على مجموعة كتب العهد القديم، أو أسفاره الخمسة.

إنَّ مجموعة كتب العهد القديم تتألف من التوراة وعدد من الكتب الأخرى. و«التوراة» تتألف من خمسة أقسام، كل قسم يُسمى «سفرًا» وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر لاوي، وسفر الأعداد، وسفر

بأنَّ فيها حكم الله كما في سورة المائدة. وبهذا يُجمع بين الآيات الواردة في التوراة وبين المسمول والمعرف في تاريخ القوم. (٣: ١٥٥)

المصراحي، و«التوراة» كلمة عبرية، معناها الشريعة. ويريد بها اليهود خمسة أسفار، يقولون: إنَّ موسى كتبها، وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع. ويريد بها النصارى جميع الكتب التي تسمى العهد العتيق، وهي كتب الأنبياء وتاريخ قضاة بني إسرائيل وملوكهم قبل المسيح، وقد يطلقونه عليها وعلى العهد الجديد معًا، وهو المعبر عنه بـ«الإنجيل». ويريد بها القرآن: ما أنزل على موسى ليلئله قومه. (٣: ٩٢)

محمد جواد مغنّيه: يُطلق القرآن لفظ «التوراة» على ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه السلام، ويطلق لفظ «الإنجيل» على الوحي الذي أنزله على عيسى عليه السلام. ولكن القرآن قد بين وسجل أنَّ التوراة والإنجيل اللذين يعترف بهما هما غير التوراة والإنجيل الموجودين الآن عند اليهود والنصارى. قال تعالى في الآية (٤٥) من سورة النساء: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُخَوِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ وقال في الآية (١٤) من سورة المائدة: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَسَارَى أَخَذْنَاهُ بَبَائِقِهِمْ فَتَسَاءَلُوا هَؤُلَاءِ مَا كَذَّبُوا بِهِ﴾ وفي الآية (١٥) من السورة المذكورة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

والمبشرون المسيحيون أعرف الناس بهذه الحقيقة، ومع ذلك يدّلسون ويوهمون العوام بأنَّ القرآن يعترف

وأما أن هذا الكتاب كيف انمى ولم يبق منه أثر ولا خبر، فبحث تاريخي.

والموجود بين أيدينا من الأسفار الخمسة المستاة بالتوراة؛ فلا شك في كونها من الكتب المؤلفة في القرون بعد رحلة موسى عليه السلام، بعنوان قضايا تاريخية وحوادث مربوطة بالتكوين وحياة الأنبياء وكلماتهم وحالاتهم، إلى زمان منتهى حياة موسى عليه السلام وفوته.

سفر العدد ٣٦: ١٣: هذه هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بني إسرائيل عن يد موسى في عربات موآب على أرض أردن أريحا.

سفر لاويين ٢٧: ٣٤: هذه في الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سيناء.

سفر التثنية ٣٤: ٥: فأت موسى هناك عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته. فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً، فكلت أيام بكاء مناحة موسى. ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمته إذ وضع موسى يده عليه، فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى. ولم يبق بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه.

فيظهر من هذه الكلمات أن كتابة هذا السفر قد كان بعد نبوة يشوع وصي موسى عليه السلام بل وبعد نبوة جمع من الأنبياء؛ حيث قال: ولم يبق بعد نبي في بني إسرائيل مثل

التثنية. هذه الأقسام من العهد القديم تشرح تكوين العالم والإنسان والمخلوقات، وبعضًا من سير الأنبياء السابقين، وموسى بن عمران وبني إسرائيل والأحكام. أما الكتب الأخرى فهي ما كتبه المؤرخون بعد موسى عليه السلام، في شرح أحوال الأنبياء والملوك والأقوام التي جاءت بعد موسى بن عمران عليه السلام.

بديهي أن هذه الكتب - هذا الأسفار الخمسة - ليست كتبًا ساهوية، واليهود أنفسهم لا يذبحون ذلك. وحتى «زبور» داود الذي يطلقون عليه اسم «المزامير» هو شرح مناجات داود ومواعظه.

أما أسفار التوراة الخمسة ففيها دلالات تشير إلى أنها ليست من الكتب الساهوية، بل هي كتب تاريخية دُونت بعد موسى بن عمران عليه السلام؛ إذ فيها بيان موت موسى عليه السلام ومراسيم دفنه، وبعض الحوادث التي وقعت بعده، على الأخص الفصل الأخير من سفر التثنية الذي يُثبت أن هذا الكتاب قد كُتب بعد موت موسى عليه السلام.

يضاف إلى ذلك أن في هذه الكتب الكثير من الخرافات، وهي تنسب أمورًا فاضحة للأنبياء، وبعض الأقوال الصبيانية، مما يؤكد زيف هذه الكتب. والشواهد التاريخية تؤكد أن التوراة الأصلية قد ضاعت، وأن أتباع موسى هم الذين كتبوا هذه الكتب بعده.

المُصطفَوِي: [ذكر بعض الآيات وقال:]

هذه الآيات الكريمة تدل على أن التوراة كالتأجيل والقرآن اسم لكتاب أنزل على موسى عليه السلام، لاحتوائه على أحكام وقوانين وعلوم ساهوية.

موسى عليه السلام.

لأهمية في اختصاصه بالذكر.

وَأَمَّا (التَّوْرَةُ) فَالَّذِي يريده القرآن منها هو الَّذِي نَزَّلَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السِّبْطَاتِ فِي الْأَوْحَاءِ، عَلَى مَا يَقْصَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ. وَأَمَّا الَّذِي عِنْدَ الْيَهُودِ مِنَ الْأَسْفَارِ، فَهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِانْقِطَاعِ اتِّصَالِ السَّنَدِ مَا بَيْنَ مُحْتَضَرٍ مِنْ مُلُوكِ بَابِلَ وَكُورَشٍ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ.

غير أن القرآن يصدّق أن التّوراة الموجود بأيديهم في زمن النبي ﷺ غير مخالفة للتّوراة الأصل بالكلية وإن لبست بها يد التحريف، ودلالة آيات القرآن على ذلك واضحة. (٣: ١٩٧)

تقدّم أكثر نصوص المفسرين وبعض من كلام الطّباطبائي في «إنجيل» فلاحظ.

ثُمَّ إِنَّ التَّوْرَةَ سَفَرٌ وَاحِدٌ نَازِلٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَفِيهَا حُكْمُ اللهِ وَفِيهَا هُدًى وَنُورٌ. وَيُظْهِرُ مِنْ بَعْضِ آيَاتِهَا أَنَّهَا كَانَتْ مُوجُودَةً عِنْدَهُمْ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانُوا يَحْفَظُونَهَا «مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا» الْجُمُعَةُ: ٥ «الَّذِي يَحْدُوثُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ» الْأَعْرَافِ: ١٥٧، «لَسْتُمْ عَلَيَّ شَيْءٌ حَتَّى تُبَيِّنُوا التَّوْرَةَ» الْمَائِدَةُ: ٦٨، «قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» آل عمران: ٩٣، «وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ» الْمَائِدَةُ: ٤٣.

وللتحقيق في أصل «التّوراة»، وفي الأسفار المولّفة باسم التّوراة وتطوّرها وتحوّلاتها وخصوصيات كلّ منها، موضع آخر. (١: ٣٨٢)

٢- وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

آل عمران: ٤٨
إِبْنُ عَرَبِيَّةٍ: (وَالْتَّوْرَةُ) هِيَ الْمَنْزِلَةُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَيُرْوَى أَنَّ عِيسَى كَانَ يَسْتَظْهِرُ التَّوْرَةَ وَكَانَ أَعْمَلُ النَّاسِ بِمَا فِيهَا، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْهَا مِنْ ظَهْرِ قَلْبٍ إِلَّا أَرْبَعَةٌ: مُوسَى، وَيُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَعِزْرِيرٌ، وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. (١: ٤٣٨)

الطّباطبائي: (وَالْحِكْمَةُ) هِيَ الْمَعْرِفَةُ النَّافِعَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْإِعْتِقَادِ أَوْ الْعَمَلِ، وَعَلَى هَذَا فَحُفَظَ (التَّوْرَةُ) وَالْإِنْجِيلَ عَلَى (الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ) مَعَ كَوْنِهَا كِتَابَيْنِ مُشْتَمِلَيْنِ عَلَى الْحِكْمَةِ، مِنْ قِبَلِ ذِكْرِ الْفَرْدِ بَعْدَ الْجِنْسِ،

الأصول اللغوية

١- ذهب الزّميل الأوّل من اللّغويين والمفسرين قاطبة إلى أَنَّ «التَّوْرَةَ» لَفْظٌ عَرَبِيٌّ، وَانْتَشَبُوا فِي أَصْلِهِ شَعْبَتَيْنِ، قَالَ الْبَصَرِيُّونَ: هُوَ «فَوْعَلَةٌ»، مِثْلُ: حَوْصَلَةٌ وَدَوْخَلَةٌ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي اللَّغَةِ، وَمِنْ قَوْلِهِمْ: وَزَى الزَّنْدُ وَوَرَى وَزَيَّا، أَيُ خَرَجْتَ نَارُهُ، لِأَنَّ مَعْنَى التَّوْرَةِ الضِّيَاءُ وَالتَّوَرُّ. فَالْأَصْلُ فِيهِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ «وَوُورِيَّةٌ»، قَلِبْتَ الْوَاوَ الْأَوَّلَى نَاءً، كَمَا قَلِبْتَ فِي «تَوَلَّجٌ»، ثُمَّ قَلِبْتَ الْيَاءَ أَلْفًا لِحَرَكَةِهَا، وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا.

وقال الكوفيون: هُوَ «تَفَعَّلَةٌ» مِنْ الْمَعْنَى الْمُسْتَقْدَمِ أَيْضًا، وَأَصْلُهُ «تَوَوَّرِيَّةٌ»، فَالْتَّاءُ زَائِدَةٌ، وَقَلِبْتَ الْيَاءَ أَلْفًا لِحَرَكَةِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا. أَوْ هُوَ «تَفَعَّلَةٌ»، ثُمَّ قَلِبْتَ إِلَى

«نَقَلْتَهُ» على لغة طيء، فهم يقولون في جارية: جارية، وفي ناصية: ناصية، وفي توصية: توصية.

وقيل: هو مشتق من التورية، وهي التعريض بالشّيء والكتمان لغيره، فكان أكثر التوراة معارض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح، وفي الحديث: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا وَرَى بَغِيرَهُ».

٢- وقال الزّخّشريّ: التوراة والإنجيل: اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من «الوْزي» و«التجل» ووزنها بـ «نَقَلْتَهُ» و«فُصِّلَ»، إنما يصحّ بعد كونها عربيّين.

ويبدو أنّ القول بما قاله الزّخّشريّ، وهو لفظ عبريّ على الأصحّ، فقد جاء في هذه اللغة بلفظ «تُوراه»، أي الشريعة والقانون. وزعم «فرانكل» أنّ العبريّين أخذوه من الآرامية، وليس بشيء.

الاستعمال القرآنيّ

لقد تقدّمت آيات التوراة وجملة من نصوصها والبحث حولها في (الإنجيل) فلاحظ.

وتتّضح هنا تمييزاً للبحث حول «التوراة» لتفنيده قول اليهود ودعاة النصارى: إنّ كتاب التوراة الحالي هو من عند الله، فنقول:

أولاً: تكررت في «التوراة» - وهي عند أهل الكتاب خمسة أسفار: التكوين، والمخرج، واللاويون والعدد، والثنية - عبارتا «قال الرّب موسى» و«قال موسى للرّب» بصيغة النية أكثر من سبعين مرّة، ولو كانتا ممّا أملاه موسى ﷺ وحيّا من الله لقال: «قال الرّب لي»

ثانياً: جاء في آخر سفر الثّنية: أنّ موسى صعد إلى جبل «سَبْيُو»، وأراه الله من هناك الأرض من «جسلعاد» إلى «دان»، «فأت هناك موسى عبد الرّب في أرض موآب حسب قول الرّب، ودفنه في الجسواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم»، «ولم تكلّ عينه، ولا ذهبت نظارته»، «ولم يغم بعدُ نبيّ في بني إسرائيل مثل موسى الَّذي حرّفه الرّب وجهاً لوجه»، الثّنية (٣٤: ٥ - ١٠).

فسياق هذا النصّ يبيّن بوضوح عن أنّ موسى ﷺ لم يكتبه قطّ.

ثالثاً: حوت هذه الأسفار كثيراً من الخرافات والأباطيل التي نسبوها إلى الأنبياء والأولياء، ومنها: أنّ النبيّ لوطاً زنى بابنتيه فولدت ذكّرين، اسم أحدها موآب، وهو أبو الموآبيّين إلى اليوم، واسم الآخر عمّي، وهو أبو بني عَمّون إلى اليوم، التكوين (١٩: ٣٠ - ٣٨)، ومنها: أنّ يهودا بن يعقوب وأبا اليهود زنى بكنته، فولدت توأمين: فارص وزارح، التكوين (٣٨: ١٣ - ٣٠)، وغيرها من التخريصات والافتراءات التي تطفح بها هذه الأسفار. ولا نريد أن نتوغّل فيها، فهي كالمنشعب، كلّما خاض الإنسان في لجّته امتلأت خباياشيمه تنّاً وذكّرة، ولعمري إنّ جبين الثيور يندى خجلاً وحياء عند سماع هذه التّرهات، فكيف يعتقدوها اليهود والنصارى، ويتقرّبون إلى الله بتلاوتها؟؟

لقد تحدّى الدكتور أحمد ديدات القسّ «جيمي

«لأنعرفه أولاً، ولأنعرف كيفية اطلاعه وتعمقه ثانياً، ولأنعرف مقدار أمانته ثالثاً، ولأنعرف من أين أخذ ما جمعه من أسفار التوراة وإبنا، ولأندرى بالاستناد إلى أي مستند صحح الأغلط الواقعة أو الذائرة خامساً».

فالشك - كما ترى - يحوم حول الكاتب والمكتوب من قبل المسلمين والنصارى على السواء، وما أصدق قول القرآن الكريم فيهم: ﴿قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْعِرُوا بِدُخَانِ قَلِيلٍ قَوْلُ لَمْ يَكُنْ كِتَابٌ آتِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

خامساً: يلهج دعاة التصاريح دائماً عند مخاطبتهم لعوام المسلمين أن ما جاء به محمد في القرآن بقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: ٤٦، شهادة للتوراة والإنجيل بالسلامة من التحريف!

لقد تقدم في النقطه السابعة من الاستعمال القرآني للفظ «الإنجيل» أن التوراة والإنجيل كتابان تاريخيان لحياة موسى وعيسى وما قبلهما وما بينهما، وتتخللها شرائع وأحكام ومواعظ وغيرها، فلاحظ.

سواجرت» خلال مناظرة في أمريكا بأن يقرأ نصاً من هذه النصوص أمام الحاضرين، وكان يظن أن «الأب الروحي» يحجم أو ينكص خجلاً، وكان المكان مكتظاً بمحمد عظيم من المسلمين والنصارى، ولكن الأمر لم يكن على ما توهمه؛ إذ سارع القس إلى تلبية رغبة متحديه، وشرع يتلو النص بنشوة وغبطة، وسط دهول المسلمين وتصفيق المسيحيين! وهو يلتفت إلى نده بين فينة وأخرى قائلاً: أتريد المزيد؟!!

رابطاً: قال مستر هاكس في الصفحة (٧١٨) من قاموسه: «إن النسخ الأصلية للكتاب المقدس التي كتبها النبي أو كتابه ليست في أيدينا اليوم، بل أن ما بين أيدينا نسخة مقتبسة من الأصل، ويلاحظ فيها اختلافات جزئية، رغم أنهم قد أمعنوا في الكتابة إيماناً بالعلم».

وقد عرف العهد القديم «عزرا» - المعروف في القرآن بلفظ «عزير» - بأنه «كاتب شريعة إلى السماء الكامل إلى آخره» حسب رسالة الملك الفارسي «أرتخشستا»، سفر عزرا (٧: ١١ و١٢)، فقد جمع كل أسفار التوراة والعهد القديم وأصلح غلطها كما يقول علماءهم. ولكن بعضهم يقول: إن أسفار التوراة كتبت بأساليب مختلفة، لا يمكن أن تكون كتابه واحد.

وشكك علماء المسلمين في «عزرا» هذا، ومنهم الملامه الطباطبائي، فقال في الميزان (٣: ٣١٠):

ت ي ن

التين

لفظ واحد، مرّة واحدة مكّبة، في سورة مكّبة

التّصوُّص اللّغويّة

الخَلِيل : واحد التين: تينة.

والتينة: الرّثامَة، من أسماء الدُّبُر تَزَمَع، أي تتحرّك.

والتّنين: حيّة. (٨: ١٣٦)

الدينوريّ: أجناسه [التين] كثيرة: برّية وريفيّة

وسهلّية وجبلّية، وهو كثير بأرض العرب.

وأخبرني رجل من أعراب السّراة، وهم أهل تين،

قال: التين بالسّراة كثير جدًّا، مباح.

قال: وتأكّله رطبًا وتزبّه فتدخره، وقد يُكسّر

على التّين.

هو [التين] جبل في بلاد عَطَفَان. وليس قول من

قال: هو جبل بالشّام بشيء، لأنّه ليس بالشّام جبل

يقال له: التين. وأين الشّام من بلاد عَطَفَان!

والتّينة: مَوْجَة في أصل هذا الجبل. (ابن سيده ٩: ٥٢١)

ابن دُرَيْد: التين: تمر معروف. [تم استشهد بشعر]

والتين: جبل، [تم استشهد بشعر]

وقد سمّي الذّئب: تينانًا في بعض اللّغات. [تم]

استشهد بشعر] (٢: ٣١)

الصّاحِب: التين: من القواكه، الواحدة: تينة.

والتينة: الدُّبُر. (٩: ٤٦٥)

الجَوْهَرِيّ: التين: هذا الَّذِي يُوْكَل رطبًا ويابسًا،

الواحدة: تينة. (٥: ٨٧-٢)

ابن فَارِس: التّاء والياء والتون ليس أصلًا، إلّا

التين، وهو معروف. والتين: جبل. (١: ٣٦١)

ابن سيده: التين: شجرة البَلس، وقيل: هو البَلس

نفسه، واحده: تينة.

والتينة: الدُّبُر.

والتين: جبل بالشّام.

والتينة: مَوْجَة في أصل هذا الجبل [الَّذِي بَطْفَان]

هكذا حكاه أبو حنيفة: مَوْجَة، كأنّه تصغير المائَة.

مروف يؤكل. (٩٣: ١)

مَجْمَعُ اللَّفَّةِ: اسم فاكهة معروفة، وقد سمي به بعض الجبال وغيرها. (١٦٥: ١)

المُصْطَفَوِيُّ: إحياء التذكرة - تين: والتين من السار ذات القيمة الكبرى. فهو قُلُوبِي يُزِيل من حُمُوزَة الجسم التي هي منشأ الأمراض، وهبوط القوة والشعور بالوهن. وهو كثير من الفواكه القُلُوبِيَّة يغسل الكل المسالك البوليَّة، ومطبوخه في الماء أو اللبن شراب ملطف لمرضى الحصى والجذري والحصى القرمزية، وهو مفيد جداً للتزولات الصدرية ونزولات المسالك الهوائية، ويستعمل غرغرة ومضمضة في تقرحات الفم واللثة.

والتين من الفواكه الشافهة جداً في تقوية جهاز التنفس، وتلطيف مجاري الدم، والحلل وجالي القوى والمقوي، وملين الطبع. ومع هذا فهو سهل التناول ولافضل لها. (٣٨٤: ١)

النصوص التفسيرية

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ بَيْبِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. التين: ١ - ٣

النَّبِيَّ ﷺ: (التين) المدينة، (وَالزَّيْتُونِ): البيت المقدس، (وَطُورِ بَيْبِينَ): الكوفة، (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) مكة. (الكاشاني ٥: ٣٤٦)

ابن عباس: يعني مسجد نوح الذي بُني على الجودي. (وَالزَّيْتُونِ): بيت المقدس. ويقال: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ بَيْبِينَ﴾:

وطور تينا، وتينا، وتينا، كسنا.

والتين: الذئب. [تم استشهد بشر]

وقيل: جاء الأخطل بحرفين لم يسمي بهما غيره، وهما: التينان: الذئب، واليوم: أنثى الفيلة. (٥٢١: ٩) التين: شجر معروف، وثمره: التين، ويُعرف في مصر بالتين البرشومي، ورتبه التضيح أحسن الفاكهة وأكثرها غذاءً وأقلها نفعاً، وأحدثه تينة. والتين الشوكي: ضرب من الصبار، وثمره أسطواني يضيّ تقريباً نحو مل الكف، ذو حبوب صلبة منبثة في مادة حلوة، وقشره غليظ ذو شوك دقيق حاد.

(الإفصاح ٢: ١١٥٦)

الرَّمْعَشَرِيُّ: أرض متانة كثيرة التين.

(أساس البلاغة: ٤١)

الغَيُومِي: التين: المأكول معروف، وهو عربي، وجمهور المفسرين على أنه المراد بقوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ التين: ١، الواحدة: تينة. (٧٩: ١) الغيروز إهادي: التين بالكسر: مأكول، ورتبه التضيح: أحد الفاكهة، وأكثرها غذاءً، وأقلها نفعاً، جاذبٌ محلل، مُفْتَحٌ مُدَدَ الكبد والطحال مُلَيِّنٌ، والإكثار منه مُقِيل.

وجبل بالثام، ومُشَجَّدٌ بها، وجبل لطفان، واسم دُمَشَق.

وطُورُ تينا بالفتح والكسر والمد والقصر، بمعنى سينا.

والتينة بالكسر: الدُّبُر، وماءة. (٤: ٨-٢٠)

محمد إسماعيل إبراهيم: التين: شجر له ثمر

(الْثِيَابُورِي ٣٠: ١٢٨)

الْكَلْبِي: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزُّيْتُونِ﴾: هو الَّذِي ترون.

(الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

ابن زَيْد: (التَّيْنِ): مسجد دمشق، (وَالزُّيْتُونِ):

مسجد إيلياء. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

(التَّيْنِ): مسجد دمشق، (وَالزُّيْتُونِ): مسجد: بيت

الْمَقْدِس. (الْقُرْطُبِي ٢٠: ١١١)

الإمام الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَام: التَّيْنِ: يُزِيل نكهة الفم،
ويطوّل الشَّعر، وهو أمان من الفالج.

(الْثِيَابُورِي ٣٠: ١٢٧)

الْفَرَّاء: سمعت رجلاً من أهل الشَّام وكان صاحب

تفسير قال: (التَّيْنِ): جبال ما بين حلوان إلى همدان،

(وَالزُّيْتُونِ): جبال الشَّام، (وَطُورُ بَيْنِينَ): جبل.

(٣: ٢٧٦)

ابن قُتَيْبَةَ: (التَّيْنِ وَالزُّيْتُونِ): جبلان بالشَّام،

يقال لهما: طور تَيْنًا، وطور زَيْتًا بالسَّريانية، سُمِّيَا بالتَّيْنِ

وَالزُّيْتُونِ: لَأَمَّا تَيْنًا يَنْبَتَانِهَا. (٥٣٢)

الطَّبْرِي: [نقل بعض أقوال المفسرين ثم قال:]

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا قَوْلُ مَنْ قَالَ:

(التَّيْنِ) هُوَ التَّيْنُ الَّذِي يُؤْكَلُ، (وَالزُّيْتُونِ): هُوَ الزُّيْتُونُ

الَّذِي يُصْعَرُ مِنْهُ الزَّيْتُ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ

الْعَرَبِ. وَلَا يُعْرَفُ جَبَلٌ يُسَمَّى تَيْنًا، وَلَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ:

زَيْتُون، إِلَّا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَقْسَمَ رَبَّنَا جَلَّ نَنَاوُهُ بِالتَّيْنِ

وَالزُّيْتُونِ.

وَالْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ: الْقِسْمُ بِمَنَابِتِ التَّيْنِ، وَمَنَابِتِ

الزُّيْتُونِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مَذْهَبًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى صَحَّةٍ

ثَلَاثَةُ مَسَاجِدَ بِالشَّامِ. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

هو تَيْنُكُمْ هَذَا وَزَيْتُونُكُمْ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا جَبَلَانِ

بِالشَّامِ، [أَوْ] مَسْجِدَانِ بِالشَّامِ، أَحَدُهُمَا الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. (الْفَرَّاء ٣: ٢٧٦)

هو تَيْنُكُمْ الَّذِي تَأْكُلُونَ، وَزَيْتُونُكُمْ الَّذِي تَصْعَرُونَ

مِنْهُ الزَّيْتُ. مِثْلُهُ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ وَهَطَاءُ

بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ. (الْمَيْسَرِيُّ ١٠: ٥٤٢)

كُتِبَ الْأَحْبَارُ: (التَّيْنِ): مَسْجِدُ دِمَشْقِ.

(وَالزُّيْتُونِ): بَيْتُ الْمَقْدِسِ. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

التَّخْمِي: (التَّيْنِ): الَّذِي يُؤْكَلُ، (وَالزُّيْتُونِ): الَّذِي

يُصْعَرُ. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

شَهْرُ بَنِي حَوْصَبَ: (التَّيْنِ): الْكَوْفَةُ، (وَالزُّيْتُونِ):

الشَّامُ. (الْثِيَابُورِي ٣٠: ١٢٨)

عِكْرِمَةُ: (التَّيْنِ): هُوَ التَّيْنُ، (وَالزُّيْتُونِ): الَّذِي

تَأْكُلُونَ. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٨)

هِيَ جَبَلَانِ. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

الضَّحَّاكُ: (التَّيْنِ): مَسْجِدُ الْحَرَامِ، (وَالزُّيْتُونِ):

الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. (الْقُرْطُبِيُّ ٢٠: ١١٠)

الْقُرْطُبِيُّ: (التَّيْنِ): مَسْجِدُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ،

(وَالزُّيْتُونِ): مَسْجِدُ إيلياء. (الْمَيْسَرِيُّ ١٠: ٥٤٢)

مُجَاهِدٌ: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزُّيْتُونِ﴾: الْفَاكِهَةُ الَّتِي يَأْكُلُ

النَّاسُ. (الطَّبْرِي ٣٠: ٢٣٩)

قُتَادَةُ: (التَّيْنِ): الْجَبَلُ الَّذِي عَلَيْهِ دِمَشْقُ،

(وَالزُّيْتُونِ): الَّذِي عَلَيْهِ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَهِيَ يَنْبَتَانِ

التَّيْنِ وَالزُّيْتُونِ. (الْمَيْسَرِيُّ ١٠: ٥٤٢)

الرَّبِيعُ: هِيَ جَبَلَانِ مِنْ بَيْنِ هَمْدَانَ وَحُلَوَانَ.

وَالزَّيْتُونِ) ليسا من الأمور الشريفة، فكيف يليق أن يقسم الله تعالى بهما؟ فلأجل هذا السؤال حصل فيه قولان:

الأول: أن المراد من (التين والزيتون) هذان الشيطان المشهوران. قال ابن عباس: هو تينكم وزيتونكم هذا، ثم ذكروا من خواص التين والزيتون أشياء.

أما التين فقالوا: إنه غذاء وفاكهة ودواء. أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم، لا يمتك في المعدة، يلين الطبع ويخرج طريق الترشح، ويقلل البلغم، ويظهر الكليتين، ويزيل ما في المثانة من الرمل، ويسخن البدن، ويفتح مسام الكبد والطحال، وهو خير الفواكه وأحدها. [إلى أن قال:]

وأما كونه دواء، فلائه يتداوى به في إخراج فضول البدن.

واعلم أن لها بعد ما ذكرنا خواص:

أحدها: أن ظاهرها كباطنها ليست كالمحوز ظاهره قشر، ولا كالتمر باطنه قشر، بل نقول: إن من الشار ما يجبت ظاهره وطيب باطنه، كالمحوز والبطيخ، ومنه ما يطيب ظاهره دون باطنه كالتمر والإجاص. وأما التين فإنه طيب الظاهر والباطن.

وثانيها: أن الأشجار ثلاثة: شجرة تُبد وتُحلف وهي شجرة الخيلاف، وثانية تُبد وتني وهي التي تأتي بالثور أولاً وبمعه بالقرّة كالنخاع وغيره، وشجرة تُبدل قبل الوعد، وهي التين لأنها تُخرج الثمرة قبل أن تعد بالوعد.

بل لو غيرت العبارة لقلت: هي شجرة تُظهر المعنى

ذلك أنه كذلك، دلالة في ظاهر التنزيل، ولان قول من لا يجوز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، ويبيت المسفيس منابت الزيتون.

المأزودي: ما قستان، وفيها ثمانية تأويلات. [ثم ذكر أقوال المفسرين وقال:]

الثامن: أنه أراد بهما نعم الله تعالى على عباده التي منها التين والزيتون، لأن التين طعام، والزيتون إدام.

الواهب: «والتين والزيتون»: قيل: هما جبلان، وقيل: هما المأكولان.

المنبدي: خص (التين) بالقسم، لأنه يشبه ثمار الجنة ليس فيه ما يبق ويحترق.

الزمخشري: أقسم بهما لأنها عجيبان من بين أصناف الأشجار المثمرة، روي «أنه أهدى لرسول الله ﷺ طبق من تين فأكل منه، وقال لأصحابه: كلوا، فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت: هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فاتها تقطع البواسير وتنفع من التفرس». (٤: ٢٦٨)

الطبرسي: أقسم الله سبحانه به (التين) الذي يؤكل (والزيتون) الذي يصعد منه الزيت، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وعطاء، وهو الظاهر. وإنما أقسم بالتين لأنه فاكهة مخلصه من شائب التنقيص، وفيه أعظم عبرة، لأنه عز اسمه جعلها على مقدار اللقمة، وهبها على تلك الصفة إماماً على عباده بها.

الفخر الرازي: اعلم أن الإشكال هو أن (التين

قال:

القول الثاني: أنه ليس المراد هاتين الشجرتين، ثم أدركوا وجوهاً:

أحدها: قال ابن عباس: هما جبلان من الأرض المقدسة، يقال لها بالترابنية: طور تينا وطور زيتا، لأنهما منبتا التين والزيتون، فكانت تعال أقسم بمنايت الأنبياء، فالجبل المخصص بـ(التين) لمسمى عليه السلام، و(الزيتون): الشام بمبت أكثر أنبياء بني إسرائيل و(الطور): بمبت موسى عليه السلام و(البَلَدُ الآبِين) بمبت محمد عليه السلام، فيكون المراد من القسم في الحقيقة: تحظيم الأنبياء، وإعلاء درجاتهم.

وثانيها: أن المراد من (التين والزيتون): مسجدان، ثم قال ابن زيد: (التين): مسجد دمشق. و(الزيتون): مسجد بيت المقدس. وقال آخرون: (التين): مسجد أصحاب أهل الكهف، و(الزيتون): مسجد إيليا. وعن ابن عباس: (التين): مسجد نوح النبي على الجودي، و(الزيتون): مسجد بيت المقدس.

والقائلون بهذا القول إنما ذهبوا إليه، لأن القسم بالمسجد أحسن، لأنه موضع العبادة والطاعة. فلو كانت هذه المساجد في هذه المواضع لاتي يكثر فيها التين والزيتون، لاجرم اكتفى بذكر التين والزيتون.

وثالثها: المراد من (التين والزيتون): بلدان، فقال كعب: (التين): دمشق، و(الزيتون): بيت المقدس، وقال شهر بن حوشب: (التين): الكوفة، و(الزيتون): الشام، وعن الزبيعي: هما جبلان بين همدان وحلوان.

والقائلون بهذا القول، إنما ذهبوا إليه لأن اليهود

قبل الدعوى، بل لك أن تقول: إنها شجرة تُخرج الثمرة قبل أن تثليث نفسها بوزد أو يوزق، والتفاح والمشمش وغيرها تبدأ بنفسها، ثم يغيرها، أما شجرة التين فإنها تهتم بغيرها قبل اهتمامها بنفسها.

فسائر الأشجار كأرياب المعاملة في قوله عليه السلام: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» وشجرة التين المصطفى عليه السلام كان يبدأ بغيره، فإن فضل حرفة إلى نفسه، بل من الذين أننى الله عليهم في قوله: ﴿وَيُؤَيِّدُونَنَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩.

وثالثها: أن من خواص هذه الشجرة أن سائر الأشجار إذا سقطت الثمرة من موضعها لم تعد في تلك السنة، إلا التين فإنه يُعيد البذر، وربما سقط ثم يعود مرة أخرى.

ورابعها: أن التين في التوم رجل خير غني، فمن نالها في المنام نال مالا وسعة، ومن أكلها رزقه الله أولاداً. وخامسها: روي أن آدم عليه السلام لما عصى وفارقه ثيابه تسر بوزق التين، وروي أنه لما نزل وكان مقرراً بوزق التين استوحش، خطاف القباء حوله فاستأنس بها، فأطعمها بعض ورق التين، فبرزها الله الجبال صورة، والملاحة معنى، وغيرَ منها مسكاً. فلما تفرقت القباء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجبال ما أعجبها، فلما كانت من الغد جاءت القباء على أثر الأولى إلى آدم فأطعمها من الورق، فغيرَ الله حالها إلى الجبال دون المسك، وذلك لأن الأولى جاءت لآدم لا لأجل اللحم، والخاصة الأخرى جاءت للطعم سراً وإلى آدم ظاهرًا، فلا جرم غيرَ الظاهر دون الباطن. [إلى أن

القُرَّان الكبار:

فالأول مَعْلَمَةُ التَّيْنِ والزَّيْتُونِ، وهي بيت المُشْفِيسِ
الَّتِي بَعَثَ اللهُ فِيهَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الثَّانِي: طُور سَيْنِينَ، وهو طُور سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ
عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ.

وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وهو الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مِنْ دَخَلِهِ
كَانَ أَمْنًا، وهو الَّذِي أُرْسِلَ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قَالُوا: وَفِي آخِرِ التَّوْرَةِ ذَكَرَ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ الثَّلَاثَةَ:
«جَاءَ اللهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ - يَعْنِي الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ
مُوسَى ابْنَ عِمْرَانَ - وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ - يَعْنِي جَبَلَ بَيْتِ
الْمُشْفِيسِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ مِنْهُ عِيسَى - وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ
فَارَانَ - يَعْنِي جِبَالَ مَكَّةَ - الَّتِي أُرْسِلَ اللهُ مِنْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ».

فَذَكَرَهُمْ مُخْبِرًا عَنْهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ، بِحَسَبِ
تَرْتِيبِهِمْ فِي الزَّمَانِ، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ ثُمَّ الْأَشْرَفِ
مِنْهُ، ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهَا. (٧: ٣٢٤)

أَبُو الشَّعْوَدِ: هَا هَذَا التَّيْنُ وَهَذَا الزَّيْتُونُ، خَصَّهَا
اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ بَيْنِ الشَّجَرِ بِالْإِقْسَامِ بِهَا، لِاخْتِصَاصِهَا
بِخَوَاصِّ جَلِيلَةٍ، فَإِنَّ التَّيْنَ فَاكِهَةٌ طَيِّبَةٌ لِأَفْضَلِ لَهْ، وَغِذَاءٌ
لَطِيفٌ سَرِيعُ الْهَضْمِ، وَدَوَاءٌ كَثِيرُ النِّفْعِ يَبْلُغُ الطَّبْعَ
وَيَحْلُلُ الْبَلْغَمَ، وَيَطَهِّرُ الْكُلَيْتَيْنِ، وَيُزِيلُ مَا فِي الْمَنَانَةِ مِنَ
الرُّمْلِ، وَيُسْكِنُ الْبَدَنَ، وَيَفْتَحُ سُدَّ الْكَبِدِ وَالطَّلْحَالِ. [تَمَّ
ذِكْرُ الزَّوَايَا وَالْأَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَرَاغَ] (٦: ٤٤٥)

نَحْوَهُ الْبُرُوسِيُّ. (١٠: ٤٦٦)

الْأَلَوْسِيُّ: خَصَّهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْقَوْلِ
بِالْإِقْسَامِ بِهَا مِنْ بَيْنِ الشَّجَرِ، لِاخْتِصَاصِهَا بِخَوَاصِّ
جَلِيلَةٍ، فَإِنَّ (التَّيْنَ) فَاكِهَةٌ طَيِّبَةٌ لِأَفْضَلِ لَهَا، وَغِذَاءٌ

وَالْتَصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ وَمُشْرِكِي قُرَيْشٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
يُعَظَّمُ بِلَدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَاللهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ
بِأَسْرَافِهَا، أَوْ يَقَالُ: إِنَّ دِمَشْقَ وَبَيْتَ الْمُشْفِيسِ فِيهَا نَعَمُ
الدُّنْيَا، وَالطُّورُ وَمَكَّةُ فِيهَا نَعَمُ الدِّينِ. (٢٢: ٨)

نَحْوَهُ التَّيْسَابُورِيُّ (٣٠: ١٢٧)، وَالْحَازِنُ (٧: ٢٢١).
الْقُرْطُبِيُّ: فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: [نَقَلَ أَقْوَالَ الْمَفْسِّرِينَ السَّابِقَةِ ثُمَّ قَالَ:]
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَيْ
وَمُنَابِتِ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ. وَلَكِنْ لِأَدْلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ مِنْ
ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَلِأَمْنِ قَوْلِ مَنْ لَا يَجُوزُ خِلَافُهُ، قَالَهُ
التَّنَاسُ.

الثَّانِيَّةُ: أَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْأُولَى: [قَوْلٌ مِنْ قَالَ: هُوَ
تَيْنِكُمْ الَّذِي تَأْكُلُونَ...], لِأَنَّهُ الْحَقِيقَةُ، وَلَا يُمَكِّدُ عَنْ
الْحَقِيقَةِ إِلَى الْهَاجِزِ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ بِ(التَّيْنِ)،
لِأَنَّهُ كَانَ سِرَّ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْصِفَانِ
غُلَّتَيْمَا مِنْ رَزَقِ الْجَنَّةِ الْأَعْرَافَ ٢٢. وَكَانَ وَرَقُ
التَّيْنِ.

وَقِيلَ: أَقْسَمَ بِهِ لِابْنَيْنِ وَجْهَ الْمَنَّةِ الْعَظِيمِ فِيهِ، فَإِنَّهُ
جَمِيلُ الْمَنْظَرِ، طَيِّبُ الْخَبَرِ، نَبِيْرُ الرَّاحَةِ، سَهْلُ الْمَسْتَقَى،
عَلَى قَدْرِ الْمُضَنَّةِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

الثَّالِثَةُ: قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَلَا مَتَانِ الْبَارِئِ سُبْحَانَهُ،
وَتَعْظِيمِ الْمَنَّةِ فِي التَّيْنِ، وَأَنَّهُ مُقَاتَلٌ مُدْخَرٌ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا
بِوُجُوبِ الزُّكَاةِ فِيهِ. [رَاجِعِ الْبَحْثَ] (٢٠: ١١٠)

ابْنُ كَثِيرٍ: [نَقَلَ اخْتِلَافَ الْمَفْسِّرِينَ وَأَرَاءَهُمْ ثُمَّ قَالَ:]
وَقَالَ بَعْضُ الْأَحْمَدَةِ: هَذِهِ مَحَالٌّ ثَلَاثَةٌ بَعَثَ اللهُ فِي
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أَوَّلِي الْعِزِّمِ، أَصْحَابِ

كما قاله الإمام. فالأرجح أنها موضعان أو موضع واحد
مظم، ويكون المقسم به ثلاثة مواضع مقدسة. [ثم ذكر
قول ابن كثير الذي تقدم] (١٧: ٦١٩٦)

المعراخي: المراد بالثين) كما قال الأستاذ الإمام
هنا: عهد الإنسان الأول الذي كان يستظل فيه بورق
الثين حينما كان يسكن الجنة، والمراد بالزيتون: عهد
نوح عليه السلام وذريته حينما أرسل الطير فعمل إليه ورقة من
شجر الزيتون، فاستبشر وعلم بأن الطوفان انحسر عن
الأرض. (٣٠: ١٩٣)

هزة ذروزة: ولقد تعددت الأقوال في الثين
والزيتون، فن قائل: إنها الشمرتان المعروفتان، وإن الله
قد أقسم بهما لمنافهما الكثيرة. ومن قائل: إن الثين
ترمز إلى مسجد دمشق، (والزيتون) إلى مسجد القدس،
فضلاً عن أقوال أخرى فيها تكلف وخرابة.

والذي يتبادر لنا أنه قد أريد بهما الإشارة إلى
فلسطين التي كانت منذ القديم مشهورة بكروم الثين
والزيتون - وكان هذا مما يعرفه السامعون أيضاً - والتي
بُعث فيها عيسى عليه السلام وأنبياؤه عديدون قبله، وأنه بذلك
يتم التساق في أعلام القسم الزباني، حيث يكون الله
عز وجل قد أقسم بالأمكن الثلاثة التي شرّفها برسالاته
ووجهه، وهي مكة وفلسطين وطور سيناء. (١: ٢٦٢)
الطباطبائي: [اكتفى بنقل بعض أقوال السابقين]
(٢٠: ٣١٩)

عبد الكريم الخطيب: اختلف في معنى «والثين
والزيتون» وكثرت مقولات المفسرين فيها، ويروون
عن ابن عباس أنه قال فيها: «هو تينكم الذي تأكلون،

لطيف سريع الانهزام، بل قيل: إنه أصح الفواكه غذاءً
إذا أكل على الخلاء ولم يتبع بشيء، وهو دواء كثير النفع
يفتح الشدد ويقوى الكبد، ويذهب الطحال وعسر
البول وهزال الكلى والخفقان والزهر، وعسر النفس
والسعال، وأوجاع الصدر وخشونة القصة، إلى غير
ذلك. [ثم نقل حديث أبي ذر الذي أورده الزمخشري
وقال:]

ولم أفق للمحدثين على شيء في هذا الحديث، لكن
قال داود الطيب بعد سرد نبذة من خواص الثين: وفي
نفعه من البواسير حديث حسن، وذكر أن نفعه من
الثقرس إذا دُق مع دقيق الشعير أو القمح أو الحلبة.
وذكر أنه حيثئذ ينفع من الأورام المليظة وأوجاع
المفاصل، وله مفرداً ومركباً خواص أخرى كثيرة، وكذا
لشجرته، كما لا يخفى على من راجع كتب الطب. (٣٠: ١٧٤)

القاسمي: [نقل قول الطبري وقال:]

وفيه نظر، لأن حفظ حجة على من لم يحفظ.
كيف وجبل الزيتون هو من جبال فلسطين، معروف
ذلك عند علماء أهل الكتاب والمؤلفين في تقويم البلاد.
قال صاحب «الذخيرة» في تعداد جبال فلسطين:
ويتصل بجبال إسرائيل جبل الزيتون. قال: وقد دُعي
كذلك لكثرة الزيتون، وهو قريب المسافة من أورشليم،
وفيه صعد المسيح لكي يرتفع إلى السماء، انتهى.

ويستى أيضاً طور زيتا إلى الآن، على أن فيما صوبه
ابن جرير، تبقى المناسبة بينها وبين طور سينين والبلد
الأمين، وحكمة جمعها معها في نسق واحد غير مفهومة.

من ورق التين، فهذا أول فصل من فصول حياة الإنسان. (وَالزَّيْتُونِ) إشارة إلى الفصل الثاني، وهو عهد نوح؛ وذلك أنه بعد أن فسد البشر، وأهلك الله من أهلك بالطوفان، وتجي نوحاً ومن معه في السفينة، واستقرت السفينة على اليابسة نظر نوح - كما تقول التوراة - إلى ماحوله. فرأى المياه لاتزال تغطي وجه الأرض، فأرسل حمامة تأتي له بدليل على انحسار المياه عن وجه الأرض، فبعثت إليه وفي فمها وزيتون من شجر الزيتون، فعرف أن الحياة بدأت تظهر على وجه الأرض من جديد.

أما ﴿طُورِ سِينِينَ﴾ فهو إشارة إلى الفصل الثالث من حياة الإنسان، وهو ظهور الشريعة الموسوية، وقد كانت تلك الشريعة دعوة لكثير من أنبياء الله ورسله إلى عهد المسيح ﷺ، الذي كان خاتمة هذه الشريعة.

وأما ﴿التَّابَةِ الْأَمِينِ﴾ وهو مكة، فقد كان مطلع الرسالة الخاتمة لما شرع الله للناس، وبها ينتتم الفصل الأخير من حياة الإنسان على هذه الأرض.

وهذه كلها أقوال متقاربة، يمكن أن يؤخذ بأي منها، أو بها جميعاً. (١٥: ١٦١٣)

فضل الله: الظاهر من هاتين الكلمتين اللتين أقسم الله بهما، أن المراد بهما: الفاكهتان المعروفتان المتميزتان بخصائص غذائية ومذاقية معينة، تجعلها في موقع الإبداع من خلق الله، وفي موقع التمتع من نعم الله.

وقد جاء في بعض التفاسير، أن المراد بهما: شجر التين والزيتون. وقيل: المراد بـ (التين): الجبل الذي عليه دمشق، (وَالزَّيْتُونِ): الجبل الذي عليه بيت المقدس. وقيل: إن المناسبة في إطلاق الفاكهتين على الجبلين

وزيتونكم الذي تمصرون منه الزيت قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ تُنْتَبِئُ بِالدُّهْنِ وَصَيِّغٍ لِلْأَكْلِيلِ﴾ المؤمنون: ٢٠. [تم نقل أقوال المفسرين وقال:] ويرجع القرطبي أنها التين والزيتون على الحقيقة، وقال: لا يعمد على الحقيقة إلى الجاهز إلا بدليل.

ولكن إذا أخذنا بالقول بأن ﴿وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتُونِ﴾ هما هاتان التمرتان، لتجد جامعة بين التين والزيتون، وبين طور سينين والبلد الأمين. وعادة القرآن أنه لا يجمع بين الأقسام إلا إذا كانت بينهما علاقة تشابه أو تضاد، وهنا لتجد علاقة واضحة بين هاتين الفاكهتين، وبين طور سينين والبلد الأمين، اللهم إلا إذا قلنا: إن طور سيناء ينبت فيه التين والزيتون، ويطيب ثمره، فتكون العلاقة بينهما علاقة نسبة إلى المكان.

ويقوي هذه النسبة أن القرآن الكريم أشار في موضع آخر إلى منبت شجرة الزيتون، وأن طور سيناء هو أطيب منبت لها، إذ يقول سبحانه: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ تُنْتَبِئُ بِالدُّهْنِ وَصَيِّغٍ لِلْأَكْلِيلِ﴾ المؤمنون: ٢٠.

وقيل: إن ﴿وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فاكهتان، ولكن لم يقسم بهما هنا لغوائهما، بل ما يذكران به من الموائد العظيمة التي لها آثارها الباقية، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل، من أول نشأته إلى ممته التي ﷺ.

فـ (التين) إشارة إلى عهد الإنسان الأول، فإن آدم - كما تقول التوراة - كان يستظل في الجنة بشجر التين، وعند ما بدت له ولزوجته سوءاتها طفا بمصفاة عليها

باعتبار أنها منبتها، ولعلّ القسم بها لكونها مبعثي
جَم غفير من الأنبياء.

وربما كان هذا التوجيه ناشئاً من محاولة إيجاد نوع
من التناسب بين هاتين الكلمتين وبين الكلمتين
التاليتين، ولكن ذلك خلاف الظاهر في طبيعة مدلول
الكلمتين. وقد لا يكون هناك أي إصاء عن التناسب في
الجمع بين هاتين الفاكنتين اللتين يمثلان موضع نعمة الله
المادّية، كما هما الكلمتان التاليتان اللتان تمثلان مطلق
نعمة الله الروحية، والله العالم. (٢٤: ٢٢٢)

مكارم الشيرازي: [نقل أقوال السابقين وقال:]
ظاهر الآية يدلّ على أنّ المقصود هو الفاكنتان
المعروفتان، ولكن القسمين التاليتين يمثلان تفسير
(التين والزيتون) بالجبلين أو المركزين المقدسين أنسب.
(٢٠: ٢٨٢)

المُصْطَفَوِيّ: هذه الآية تناسب ما بعدها ﴿لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فإنّ تقويم البدن من
جهة المادّة يؤثّر فيها التين والزيتون، ويفيدان فيها وفي
اعتدالها كثير فائدة. (١: ٢٨٥)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادّة: التين، وهو الشجر المعروف
أو شجرته، واحدة: تينة، والتينة أيضاً: الدُّبُر، ولعلّه
تشبيه بوقب التين. ولم يُستقْ منها فعل ولا مصدر
ولا اسم سوى ما ذكر. وأطلق عليه أيضاً البَلَس والكُثْر
والجلداسي والتلاري والطبار والفيلحاني والصدى
والملاحي والأزغب والوحشي والمُخْمِر، وهي أصناف

منه.

٢- ولم يتعرض أحد من اللّغويين والمفسرين
لأصله، وكأَنهم سَلَمُوا بأنّه عربي، إلّا أنّ القَبِيصِيّ صرح
بذلك، فقال: «هو عربي»، وقال ابن قُتَيْبَةَ في تفسير
﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾: «جبلان بالشّام يقال لهما: طور
تينا وطور زنتا بالشرقية»، وهذا تعريض
لأعجميته. ولكن «تينا» - بتائين وبكسر التاء الأولى
كما ورد - و«زنتا» في الشريانية شجرتا التين والزيتون،
وليسا منبتها كما ذهب إليه ابن قُتَيْبَةَ.

وقد احتمل «آرثر جفري» أن يكون آرامي
الأصل، بيد أنّه سَلَمَ بوردوه في الشعر العربي القديم،
وأيضاً أنّه كان مستعملاً في الجزيرة العربية قبل
الإسلام.

الاستعمال القرآني

جاء منه لفظ واحد، مرّة واحدة:

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ التين: ١.

يلاحظ أولاً: أنّهم اختلفوا في ﴿التين والزيتون﴾
اختلفاً فاحشاً، أمّا الفاكنتان المعروفتان أم غيرها؟
والذي دعاهم إلى ذلك أنّه لانسابة بينهما وبين ﴿طُورِ
بَيْتِينَ﴾ و﴿التِّلْدِ الْأَجِينِ﴾. ونحن نفضّل إبقاءها على
معناها هذا مالم يتم على غيرها حجة من الكتاب
والسنة، ولم يتم، إذ ليس هناك مانع من ذلك، فأقسم
الله بفاكنتين لها دور كبير في معيشة الناس، وبجبلين أو
بلدين لها دور كبير في هداية الناس.

ثانياً: ينبغي أن نفقش في أقسام القرآن عن المناسبة

يشمل الجسد والروح، وكذلك ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، وهي إشارة إلى جفاء الإنسان لنعم ربه؛ حيث انْحَطَّ ورجع إلى الوري إلى أن بلغ أسفل سافلين، من موضعه الذي خلق له، وهو أحسن تقويم.

ثالثاً: جاءت الكوفة والشَّام في بعض النصوص في تفسير ﴿وَالْبَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ويبدو أن هذا أيضاً كالتثوير، يصف المنافسة بين أهل العراق وأهل الشَّام في الدَّور الأمويِّ والعبَّاسيِّ، تحت مظلة القرآن الكريم. وهذه كالمناصفة بين الفريقين: «الشَّيعة والخوارج» في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْهَرُ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٠٧، في تأويلها على الإمام علي عليه السلام، وقاتله.

بينها وبين ما بعدها ممَّا أقسم له، فما هي العلاقة هنا بين هذه الأشياء وبين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ وقد بحث حوله الأستاذ شريعة في تفسير «نوين» مفصلاً، وحاصله أن الإنسان جسد وروح، ولكلٍّ منها غذاء، فغذاء الجسد الثين والزيتون، لما لها من الخواص - وقد ذكرها - ولما لها من دور في حياة العرب. أمَّا غذاء الروح فالهداية الإلهية التي جاءت إلى موسى في الطُّور وإلى محمَّد في مكة، وهي أكمل ما نزل على الأنبياء. وقد قرن القرآن اسمه بالتوراة عند التحدي قائلًا: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾ القصص: ٤٩. ونضيف إلى ذلك أن ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾ في الآية

ت ي ه

يَبْيَهُونَ

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْغَلِيلُ : النَّيَّةُ وَالنُّوَّةُ، لغتان، يقال : تَأَتَّى بَيْتَهُ نَيْتًا،
وتَأَتَّى بَيْتَهُ نُوَّةً، والنَّيَّةُ أَعَمُّ مِنَ النُّوَّةِ.

ويقال : تَوَهَّتْ وَنَيْتُهُ، والواو أعم.

وأَرْضُ نَيْتٍ وَنَيْهَاءٍ، وفَلَاةٌ أَنَاوِيَةٌ، كَأَنَّهُا جَمَاعَةُ

الْجَمَاعَةِ. [ثم استشهد بشعر]

وأَرْضُ مَنِيَّةٍ وَمُنِيَّةٍ، كَأَنَّهُمَا «مَفْعِلَةٌ»: لَأَتَمُنْدِي

فِيهَا. [ثم استشهد بشعر] (٤ : ٨٠)

ابن شُمَيْلٍ : النُّيَّاءُ : الْحَبْلَةُ الْوَاسِعَةُ بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ،

الَّتِي لَا أَعْلَامَ فِيهَا، وَلَا جِبَالٍ وَلَا آكَامَ. (الْأَزْهَرِيُّ ٦ : ٣٩٧)

أَبُو زَيْدٍ : قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِلَابٍ : أَلْقَيْتَنِي فِي

النُّوَّةِ، يَرِيدُ فِي النَّيَّةِ.

ويقال : مَا نَيْتُ فَلَئَانًا! (الْأَزْهَرِيُّ ٦ : ٣٩٦)

طَاحَ يَطِيحُ طَيِّحًا، وَتَأَتَّى بَيْتَهُ نَيْتًا وَنَيْهَاءً،

وَمَا طَوَّحَهُ وَأَتَوَّهَهُ، وَأَطْيَحَهُ وَأَتَيْتُهُ، وَقَدْ طَوَّحَ نَفْسَهُ

وتَوَّهَهَا.

(الْأَزْهَرِيُّ ٦ : ٣٩٧)

شَمِرٌ : يَقَالُ : أَرْضُ نَيْهَاءٍ وَنَيَّْةٍ وَنَيْتَةٍ، أَيْ يَتِي

فِيهَا الْإِنْسَانُ. [ثم استشهد بشعر] (الْأَزْهَرِيُّ ٦ : ٣٩٧)

ابن دُرَيْدٍ : تَأَتَّى بَيْتَهُ نَيْتًا مِنَ الْكِبَرِ فَهُوَ تَائِهٌ، وَتَأَتَّى

عَلَى وَجْهِهِ بَيْتَهُ نَيْتًا وَنَيْهَاءً.

وأَرْضُ نَيْهَاءٍ : لَأَتَمُنْدِي لَهَا، وَكَذَلِكَ : أَرْضُ نَيَّْةٍ.

وَأَحْسِبُهُمْ قَدْ قَالُوا : بَلَدٌ أَنَيَّْةٌ، وَلَيْسَ بِالْقَبْتِ.

وقَدْ سَعَتِ الْعَرَبُ : نَيْهَاءً. (٢ : ٣١)

تَأَتَّى الرَّجُلُ بَيْتَهُ نَيْتًا مِنَ الْكِبَرِ، وَهُوَ رَجُلٌ نَيْهَاءٌ.

وتَأَتَّى فِي الْأَرْضِ، إِذَا ذَهَبَ فِيهَا وَهُوَ النَّيَّةُ. وَرَجُلٌ

نَيْهَاءٌ، إِذَا تَأَتَّى فِي الْأَرْضِ.

فَأَمَّا مِنَ النَّيَّةِ فِي مَعْنَى «الْكِبَرِ» فَلَا يَقَالُ إِلَّا تَائِهًا

وَنَيْهَاءً. وَأَرْضُ مَنِيَّةٍ وَنَيَّْةٍ : نَيْهَاءٌ فِيهَا، وَكَذَلِكَ نَيْهَاءٌ.

(٣ : ٢١٧)

الْأَزْهَرِيُّ : [نقل كلام الحَكِيلِ وَقَالَ:]

وناة الإنسان في المغارة يَبْنِي تَيْتًا: ضَلَّ عن الطريق؛
وناة يَتَوَّه تَوْهًا: لغة، وقد تَبَيَّنَتْ وتَوَهَّتْ.

ومنه يُسْتَمَار لمن رام أمرًا فلم يصادف الصواب،
فيقال: إِنَّهُ تَائِهٌ. (٧٩: ١)

الغَيُورُز اِبَادِي: التَّيْه، بالكسر: الصَّلَف والكِبَر،
تاء فهو تَائِهٌ وتَّيَاهٌ وتَّيْهَانٌ وتَّيْهَانٌ - مُسَدَّدَةٌ الياء
وتُكْسَر - وما أَتَوَّهه وأَتَيْتْهُ! والمَغَاذَة، جمعه: أَتْيَاه،
وأَتَاوِيه.

والضَّلَال، تاء تَيْتًا وتُكْسَر، وتَّيْهَانًا مَحْرَكَة، فهو
تَّيْهَان، وتَّيْهَان.

وأَرْضُ تَيْهٍ بالكسر وتَّيْهَاءٌ وتَّيْهَةٌ كَسْفِيَّة، وتُضَمَّر
الميم. وكَمَرَحَلَّةٌ ومُتَعَدِّ: مُضِلَّة.

وتَّيْهَةٌ ضَمِيَّة. وتاء بضمه تَيْهِيَّة: تاف. (٢٨٤: ٤)
الطَّرِيْعِي: وتاء، أي تَكَبَّر. ومنه حديث علي عليه السلام:

«مأحسن تواضع الأغنياء للفقراء وأحسن منه تَيْهِيَّة
الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله». (٣٤٤: ٦)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: تاء في الأرض يَتَوَّه وتَبَيَّنَتْ تَوْهًا
وتَّيْهًا وتَّيْهَانًا: ضَلَّ الطريق وتَحَيَّر، ومنه يستمار لمن رام

أمرًا فلم يصادف الصواب، فيقال: إِنَّهُ تَائِهٌ. (١٦٥: ١)

محمَّد إسماعيل إبراهيم: تاء في الأرض يَتَبَيَّنُ
تَبَيَّنَاتًا: ضَلَّ الطريق وسار متحيرًا، وأَرْضُ تَيْهِيَّة، أي

مُضِلَّة، ومنه سَمِيَتْ هذه الأرض البرِّيَّة التي بين مصر
والشَّام بالتَّيْه. (٩٣: ١)

محمود شيت: [نحو ما تقدّم وأضاف]

١- تاء الجندِي: ارتفعت معنوياته، فيقال: تاء على
أقرانه.

الطُّوسِي: وأصل التَّيْه: التَّحَيَّر الَّذِي لَا يُتَدَي
لأجله، للخروج عن الطَّرِيق إلى الغرض المقصود.

وأصله: الحَيْرَة. يقال: تاء يَتَبَيَّنُ تَبَيَّنًا، إذا تَحَيَّر. وتَبَيَّنَتْ.
وتَوَهَّتْ، والياء أكثر.

والتَّيْهَاء من الأرض هي التي لَا يُتَدَي فيها، يقال:
أَرْضُ تَيْهٍ وتَّيْهَاء. [ثم استشهد بشر] (٤٩٠: ٣)

نحوه الطُّبْرُسِي. (١٨١: ٢)

الرَّوَاحِب: التَّيْه. يقال: تاء تَبَيَّنَتْ، إذا تَحَيَّر، وتاء
يَتَوَّه: لغة في تاء تَبَيَّنَتْ، وفي قصّة بني إسرائيل «وَأَرْبَعِينَ

سَنَةً يَبْنِيهِونَ فِي الْأَرْضِ» المائدة: ٢٦.
وتَوَهَّتْ وتَبَيَّنَتْ، إذا حَيَّرَ وطرحه. ووقع في التَّيْه
والتَّوَه، أي في مواضع الحَيْرَة.

ومَغَاذَة تَيْتَاء: تَحَيَّر سالكوها. (٧٦)

الرَّزْمَخَشَرِي: تاء في أمره: تَحَيَّر، وتَبَيَّنَتْ. وأَرْضُ
مَتَبَيَّنَتْ: بَيَّاه فيها. ووقوا في تَيْهٍ وتَّيْهَاء. وتاء علينا

فلان: تَكَبَّر، وهو يَتَبَيَّنُ على قومه. وكان في الفضل تَيْهٌ
عظيم. وقيل له: تَه ما شئت فلا يصلح التَّيْهُ لغيرك.

ورجل تَيْتَانٌ وتَّيْهَانٌ: جَسُور يركب رأسه في
الأُمُور. وجمال تَيْهَانٌ، وناقَة تَيْهَانَة. [ثم استشهد بشر]

(أُساس البلاغة: ٤١)

ابن الأثير: فيه «إِنَّكَ أَمَرُو تَائِه» أي متكبر أو
ضال متحير. ومنه الحديث: «فَتَاهَتْ بِهِ سَفِينَتُهُ» وقد

تاء يَتَبَيَّنُ تَبَيَّنًا، إذا تَحَيَّر وضلَّ، وإذا تَكَبَّر، وقد تَكَزَّر في
الحديث. (٢٠٣: ١)

الْقَلْبُومِي: التَّيْه، بكسر التاء: المَغَاذَة، والتَّيْهَاء
بالفتح والمد: مثله، وهي التي لا علامة فيها يُتَدَي بها.

وقال الزاغب الأصفهاني في «مفرداته» والمصباح:

إِنَّ «يَتَوَّه» لَعْنَةٌ.

أما ضلُّهُ فهو: تَأَهُ يَتَوَّهُ يَتَوَّهًا، وَتَتَوَّهًا وَتَتَوَّهَاتًا فِي الْأَرْضِ: ضَلَّ وَذَهَبَ مَتَحِيرًا، فَهُوَ تَتَوَّهٌ، وَتَتَوَّهَانِ، وَتَتَوَّهَانِ.

أَوْ: تَأَهُ يَتَوَّهُ تَوَّهًا، وَتَوَّهًا: ضَلَّ الطَّرِيقَ. وَتَأَهُ فِي الْأَرْضِ: ذَهَبَ مَتَحِيرًا.

وفي المعاجم: تَوَّهَتِ الصَّحْرَاءُ الْقَافِلَةَ: جَعَلَتْهَا تَتَوَّهًا. وَتَقُولُ الْعَامَّةُ: تَوَّهْنَا فَلَانًا مِنَ الْمَنْزِلِ، بِمَعْنَى: طَرَدْنَاهُ. وَمَعْنَى الْمَطْرُودِ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الضَّالِّ. (١٠٣)

المُضْطَفَّقِيُّ: الْأَصْلُ الْوَاحِدُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ: هُوَ التَّحْيِيرُ. وَالتَّكْبَرُ نَوْعٌ مِنَ التَّحْيِيرِ، وَالتَّكْبَرُ يُظْهِرُ مِنْ نَفْسِهِ مَا لَا يَدْرِي حَقِيقَةَ نَفْسِهِ، وَلَا يَتَوَّجَّهُ إِلَى مَبْدَأِ تَكْوُنِهِ وَمَرْجِعِهِ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ وَظِيفَتِهِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَالظَّاهِرُ أَنَّ «التَّيَّهَ» هُوَ الْحَيْرَةُ فِي حَالِ الْمَشْيِ وَالْحَرَكَةِ، لَا مَطْلُقَ التَّحْيِيرِ، وَالضَّلَالُ فِي الطَّرِيقِ نَوْعٌ مِنَ التَّيَّهِ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ...﴾ الْمَانِدَةُ: ٢٦، أَيْ يَمْشُونَ مَتَحِيرِينَ لَا يَدْرُونَ أَيْنَ يَقِيمُونَ، وَإِلَى أَيْنَ يَتَوَّجَّهُونَ.

(٣٨٦: ١)

التَّوَصُّصُ التَّفْسِيرِيَّةُ وَالتَّارِيخِيَّةُ

يَتَيَّهُونَ

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَيَّهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَنَأْثُرَ عَلَى الْقَوْمِ النَّاسِيقِينَ. الْمَانِدَةُ: ٢٦
ابن هُبَّاسٍ: يَتَحْيِرُونَ فِي أَرْضِ التَّيَّهِ، وَهِيَ سَبْعُ

وَتَأَةُ السَّكْرِيِّ: ضَلَّ طَرِيقَهُ.

وَتَأَهُتْ مَفْرُزَةُ الْأَسْطِلَاحِ: ضَلَّتْ طَرِيقَهَا وَلَمْ تَحْدِ إِلَى قَوَاعِدِهَا. (١١٥: ١)

الْعَذَنَانِي: تَأَهُ فِي الصَّحْرَاءِ يَتَيَّهٌ وَيَتَوَّهٌ. وَيَجْتَئُونَ مَنْ يَقُولُ: يَتَوَّهُ الْإِنْسَانُ فِي الصَّحَارِيِّ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الصَّوَابَ هُوَ يَتَيَّهُ الْإِنْسَانُ... وَكَلَّا الْفِعْلَيْنِ تَأَهُ يَتَيَّهٌ وَتَأَهُ يَتَوَّهٌ صَوَابٌ.

فَمَنْ قَالَ: تَأَهُ الْأَرْضُ يَتَيَّهٌ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ؛ إِذْ قَالَ سَبْعَانَهُ وَتَمَالَى فِي ذِيلِ: الْآيَةِ (٢٦) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ...﴾ الْآيَةِ.

وَمَنْ ذَكَرُوا الْفِعْلَ يَتَيَّهٌ أَيْضًا: مَعْجَمُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَبُو زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَالصَّحَّاحُ، وَمَعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ، وَابْنُ سَيْدِهِ، وَوَلَادَةُ بَنَتْ الْمُسْتَكْنَى الْقَائِلَةَ:

﴿وَأَسْمَى مَشِيَّتِي وَأَتَيْتُهَا﴾

وَأَبُو عُبَيْدِ الْبَكْرِيِّ، وَمَفْرَدَاتُ الزَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ، وَالتَّهْيَاةُ، وَابْنُ الْفَارُضِ الْقَائِلُ:

﴿تَهُ دَلَالًا فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَ﴾

وَالْخَنَارُ، وَاللَّسَانُ، وَالْمَصْبَاحُ، وَالْقَامُوسُ، وَالتَّاجُ، وَالْمَدَّةُ، وَمَحِيطُ الْهَيْطِ، وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ، وَالْمَتْنُ، وَالْوَسِيطُ. وَمَنْ قَالَ تَأَهُ يَتَوَّهٌ: مَعْجَمُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَبُو زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَمَعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ الَّذِي قَالَ: «مِثْلُ: تَأَهُ يَتَيَّهٌ وَهُوَ مِنَ الْإِدْبَالِ وَابْنُ سَيْدِهِ، وَمَفْرَدَاتُ الزَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ، وَاللَّسَانُ، وَالْمَصْبَاحُ، وَالْقَامُوسُ، وَمُسْتَدْرَكُ التَّاجِ، وَالْمَدَّةُ، وَمَحِيطُ الْهَيْطِ، وَدُوزِي، وَالْمَتْنُ، وَالْوَسِيطُ.

الْحَجَرِ، وَوَضَعَ الْحَجَرَ عَلَى الذَّابَّةِ.

(الاختصاص للمفيد: ٢٦٥)

مُقَاتِلٌ : كَانَ مَسَافَةَ الْأَرْضِ الَّتِي تَاهَوْا فِيهَا ثَلَاثِينَ
فَرَسًا فِي عَرْضِ سَعَةِ فَرَاخٍ. (الأكوسي: ٦: ١٠٩)
أَبُو عُيَيْذَةَ : أَيُّ يَحْمُورُونَ وَيَحَارُونَ وَيَضْلُونَ.

(١: ١٦٠)

الطَّبْرِي: يَحَارُونَ فِيهَا وَيَضْلُونَ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ
لِلرَّجُلِ الضَّالِّ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ: تَاهَ، وَكَانَ يَتَّبِعُهُمْ ذَلِكَ
أَتَمُّهُمْ كَانُوا يُصْبِحُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُلَّ يَوْمٍ جَادِينَ فِي قَدَرِ
سِتَّةِ فَرَاخٍ لِلخُرُوجِ مِنْهُ، فَيُتَسَوَّنَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي
ابْتَدَأُوا السَّيْرَ مِنْهُ. (٦: ١٨٥)

الرَّجَّاجُ : قِيلَ: عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ مَكَتُوا فِي النَّيِّهِ أَرْبَعِينَ
سَنَةً سَيَّارَةً لَا يَتَقَرَّمُ قَرَارٌ، إِلَى أَنْ مَاتَ الْبَالِغُونَ الَّذِينَ
عَصَوْا اللَّهَ، وَنَشَأَ الصَّغَارُ وَوُلْدٌ مِنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي جَهَنَّمَ فِي
الْمَصِيَةِ.

وقيل: إِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ كَانَا مَعَهُمْ فِي النَّيِّهِ. قَالَ
بَعْضُهُمْ: لَمْ يَكُنْ مُوسَى وَهَارُونَ فِي النَّيِّهِ، لِأَنَّ النَّيِّهِ
عَذَابُ وَالْأَنْبِيَاءِ لَا يَمُوتُونَ.

وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ كَانَا فِي النَّيِّهِ وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ سَهَّلَ
عَلَيْهَا ذَلِكَ، كَمَا سَهَّلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ النَّارَ فَجَعَلَهَا عَلَيْهِ
بَرْدًا وَسَلَامًا، وَشَأْنُهَا الْإِحْرَاقُ. (٢: ١٦٥)

الطُّوسِي: فَإِنْ قِيلَ: يَجُوزُ عَلَى جَمَاعَةِ عُقْلَاءَ
كَثِيرِينَ أَنْ يَسِيرُوا فِي فَرَاخٍ بِسِيرَةِ فَلَا يَحْتَدُوا لِلخُرُوجِ
مِنْهَا؟

قُلْنَا عَنْهُ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: يَكُونُ ذَلِكَ بِأَنْ تَحُولَ الْأَرْضُ

فَرَاخٌ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَخْرُجُوا، وَلَا يَحْتَدُونَ سَبِيلًا. (٩٢)
مُجَاهِدٌ: تَاهَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَصْبَحُونَ
حَيْثُ أَسْمَا، وَيَمُوتُونَ حَيْثُ أَصْحَبُوا فِي تَتَبِهِمْ.

(الطَّبْرِي: ٦: ١٨٥)

نَحْوُ الْحَسَنِ. (الطَّبْرِي: ٢: ١٨١)

الإمام الباقري: لَمَّا انْتَهَى بِهِمْ مُوسَى إِلَى
الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِذْ خَلُّوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَوْنِدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْفِلُوا
خَاسِرِينَ...﴾ المائدة: ٢٦-٢٨. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوهَا حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتَاهَوْا فِي
أَرْبَعِ فَرَاخٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَّبِعُونَ فِي الْمَسَافَةِ الَّتِي بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَهَا، لَا يَحْتَدُونَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَكَانَ مَقْدَارُهُ سِتَّةَ
فَرَاخٍ. (الاختصاص للمفيد: ٢٦٥)
الرَّبِيعُ: يَعْنِي يَتَحَيَّرُونَ فِي الْمَسَافَةِ الَّتِي بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَهَا، لَا يَحْتَدُونَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا، وَكَانَ مَقْدَارُهُ سِتَّةَ
فَرَاخٍ. (الطَّبْرِي: ٢: ١٨١)

الإمام الصادق: [فِي حَدِيثٍ قَالَ:]

وَكَانُوا إِذَا أَسْمَا نَادَى مِنْهُمْ أَمْسَيْتُمْ الرِّحِيلَ
فَيَرْتَحِلُونَ بِالْهَدَاءِ وَالزُّجَرِ، حَتَّى إِذَا أَسْحَرُوا أَمَرَ اللَّهُ
الْأَرْضَ فَدَارَتْ بِهِمْ فَيُصْبِحُوا فِي مَظْلَمٍ الَّذِي ارْتَحَلُوا
مِنْهُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ أَخْطَأْنَا الطَّرِيقَ، فَكُنُوا بِهَذَا أَرْبَعِينَ
سَنَةً، وَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنُّ وَالسُّلُوبُ حَتَّى هَلَكُوا جَمِيعًا إِلَّا
رَجُلَيْنِ: يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَكَالِبَ بْنَ يَوْفَا وَأَبْنَاهُمَا،
وَكَانُوا يَتَّبِعُونَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِ فَرَاخٍ. فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ
يَرْتَحِلُوا ثَبَتَ ثِيَابُهُمْ عَلَيْهِمْ وَخَفَافُهُمْ، وَكَانَ مَعَهُمْ خَبَرٌ
إِذَا نَزَلُوا ضَرَبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
عَيْنًا، لِكُلِّ سَبْطٍ عَيْنٌ، فَإِذَا ارْتَحَلُوا رَجَعَ الْمَاءُ فَدْخَلَ فِي

التي هم عليها إذا ناموا فیردهم إلى المكان الذي ابتدؤوا منه.

الثاني: أن يكون بالاشتباه. والأسباب المانعة من الخروج عنها إما بأن يحو العلامات التي يستدل بها أو بأن يلقى شبه بعضها على بعض، ويكون ذلك معجزة خارقة للعادة.

وقيل: إن التيه كان عقوبة لهم بعدد الأكيام التي عبدوا فيها العجل عن كل يوم سنة. ومن قال هذا قال: لم يكن موسى وهارون فيها، أو كانا فيها غير متوهين، كما كان إبراهيم في نار غرود غير متألم بها. (٤٩١:٣) نحوه الطبرسي. (١٨١:٢)

الزَّمَعَشَرِي: يسرون فيها لا يستدون طريقًا. والتيه: المغازاة التي يتاه فيها. روي أنهم لبثوا أربعين سنة في سدة فراسخ يسرون كل يوم جاذين. حتى إذا ستموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه. وكان النعام يظللهم من حر الشمس، ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم، ويغزل عليهم المن والسلوى، ولا تطول شعورهم. وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله.

فإن قلت: فلم كان ينعم عليهم بتظليل النعام وغيره وهم معاقبون؟

قلت: كما يغزل بعض التوازل على العصاة حركة لهم، وعليهم مع ذلك التعمة متظاهرة، ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتشقى، ولا يتطلع عنه معروفه وإحسانه.

فإن قلت: هل كان معهم في التيه موسى

وهارون عليهما السلام؟

قلت: اختلف في ذلك، فقيل: لم يكونا معهم، لأنه كان عقابًا، وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم. وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك رُوحًا لها وسلامة، لا عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب.

وروي أن هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه سنة، ودخل يوشع أربعاء بعد موته بثلاثة أشهر، ومات الثقباء في التيه بفتح الألف ويوشع. (٦٠٥:١) نحوه القرطبي. (١٢٩:٦)

ابن عطية: أي في أرض تلك النازلة، وهو فحس التيه، وهو على ما يحكى طول ثمانين ميلًا في عرض ستة فراسخ وهو ما بين مصر والشام.

ويروى أنه اتفق أنه مات كل من كان قال: إننا لن ندخلها أبدًا، ولم يدخل المدينة أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالوث.

ويروى أن هارون عليهما السلام مات في فحس التيه في خلال هذه المدة، ولم يختلف فيها.

وروي أن موسى عليهما السلام مات فيه بعد هارون بثمانية أعوام، وقيل: ستة أشهر ونصف، وأن يوشع نبي بعد كمال الأربعين سنة. وخرج بني إسرائيل وقاتل الجبارين وفتح المدينة، وفي تلك الحسرة وقفت له الشمس ساعة حتى استمر هزم الجبارين.

وروي أن موسى عليهما السلام عاش حتى كملت الأربعون، وخرج بالناس وحارب الجبارين. ويوشع وكال على مقدمته، وأنه فتح المدينة، وقتل بيده عوج بن عناق.

[إلى أن قال:]

وهذا كله ضعيف...والتيه: الذهاب في الأرض إلى غير مقصد معلوم.

ويروى أن بني إسرائيل كانوا يرحلون بالليل ويسيرون ليلاً أجمع، في تحليق ونحوه من التردد وقلة استقامة السير، حتى إذا أصبحوا وجدوا جملتهم في الموضع الذي كانوا فيه أول الليل.

قال مجاهد وغيره: كانوا يسرون النهار أحياناً والليل أحياناً، فيمسون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا، وذلك في مقدار ستة فراسخ.

ويحتمل أن يكون تسبهم بإفتراق الكلمة وقلة اجتماع الرأي، وإن الله تعالى رماهم بالاختلاف، وعلما أنها قد حرمت عليهم «أربعين سنة». فخرقت منازلهم في ذلك الفحص وقاموا ينتقلون من موضع إلى موضع على غير نظام واجتماع، حتى كملت هذه المدة وأذن الله بخروجهم، وهذا تيه ممكن محتمل على عرف البشر.

والآخر الذي ذكر مجاهد إقفا هو خرق عادة وصعب من قدرة الله تعالى، وفي ذلك التيه ظلل عليهم الغمام، ودرزقوا المن والسلوى إلى غير ذلك مما روي من ملابسهم، وقد مضى ذلك في سورة البقرة. (١٧٦: ٢) نحوه أبو حيان. (٤٥٨: ٣)

الفخر الرازي: اختلفوا في التيه، فقال الزجاج: مقدار ستة فراسخ، وقيل: تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخاً، وقيل: ستة في اثني عشر فرسخاً، وقيل: كانوا ستمئة ألف فارس.

فإن قيل: كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا

القدر الصغير من المغازة أربعين سنة، بحيث لا يتفق لأحد منهم أن يجد طريقاً إلى الخروج منها، ولو أنهم وضوا أعينهم على حركة الشمس أو الكواكب لخرجوا منها، ولو كانوا في البحر العظيم، فكيف في المغازة الصغيرة؟ قلنا: فيه وجهان:

الأول: أن انخراق العادات في زمان الأنبياء غير مستبعد؛ إذ لو فتحت باب الاستبعاد لزم الظن في جميع المعجزات، وإنه باطل.

الثاني: إذا فسرنا ذلك التحريم بتحريم التيمد فقد زال السؤال، لاحتمال أن الله تعالى حرّم عليهم الرجوع إلى أوطانهم، بل أمرهم بالمكث في تلك المغازة أربعين سنة مع المشقة والحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم، وعلى هذا التقدير فقد زال الإشكال.

قال الحسن: كانوا يصبون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا، وكانت حركتهم في تلك المغازة على سبيل الاستدارة. وهذا مشكل فإنهم إذا وضوا أعينهم على مسير الشمس ولم ينحطوا ولم يرجعوا فإنهم لا بد وأن يخرجوا من المغازة، بل الأولى حمل الكلام على تحريم التيمد على ما قرأناه، والله أعلم. (٢٠٢: ١١)

نحوه البياضوي: أي يسرون فيها متحيزين لا يرون طريقاً، فيكون التحريم مطلقاً. وقد قيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال: إننا لن ندخلها بل هلكوا في التيه، وإنما قاتل الجبابرة أولادهم. [ثم أدام الكلام نحو ما تقدم عن الزقشصري] نحوه التنسي. (٢٧٠: ١) نحوه التنسي. (٢٧٩: ١)

وذكر غير واحد من القصاص أنهم كانوا إذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر، يطول بطوله ولا يلى، إلى غير ذلك مما ذكروه.

والعادة تبعد كثيراً منه، فلا يقبل إلا ماصح عن الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم.

ولقد سألت بعض أبحار اليهود عن لباس بني إسرائيل في النّبي، فقال: إثم خرجوا من مصر ومعهم الكثير من ثياب القبط وأمتعتهم، وحفظها الله تعالى لكبارهم وصغارهم.

فذكرت له حديث الظفر، فقال: لم ظفر به وأنكره، فقلت له: هي فضيلة فهلأ أنبتها لقومك؟ فقال: لأرضى بالكذب ثوباً، واستشكل معاملتهم بهذه التسم مع معاقبتهم بالحيرة. وأجيب بأن تلك المعاقبة من كرمه تعالى، وتذيبهم إنما كان للتأديب كما يضرب الرّجل ولده مع محبته له، ولا يقطع عنه معروفه، ولمسهم استغفروا من الكفر إذا كان قد وقع منهم.

وأكثر المفسرين على أن موسى وهارون عليهما السلام كانا مهم في النّبي لكن لم ينلها من المشقة مانالهم، وكان ذلك لها رَوْحاً وسلامة كالنار لإبراهيم عليه السلام، ولعلّ الرّجلين أيضاً كانا كذلك. (١٠٩: ٦)

القاسمي: أي: يترددون في البرية متعبرين في الأرض حتى يهلكوا كلهم. والنّبي: المفاضة التي يتيه فيها سالكها فيضل عن وجه مقصده.

قال العلامة البقاعي: ثم بعد هلاكهم أدخلها بينهم الذين ولدوا في النّبي. وفي هذه القصة أوضح دليل على نقضهم لليهود التي بنيت السّورة على طلب الوفاء بها،

أبوالشّعود: أي يتحبرون في البرية، استئناف لبيان كيفية جرماتهم، أو حال من ضمير (عَلَيْهِمْ). وقيل: الطّرف متعلق بـ (يَتَحَبَّرُونَ) فيكون النّبي موقفاً والتّحريم مطلقاً.

قيل: كانوا ستمئة ألف مقاتل، وكان طول البرية تسعين فرسخاً، وقد تاهوا في ستة فراسخ أو تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخاً، وقيل: في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخاً. [ثم حكى كلام الرّغزباني إلى أن قال:] وروي أن هارون مات في النّبي، ومات موسى بعده فيه بسنة، ودخل يوشع أربحا بعد موته بثلاثة أشهر.

ولا يساعده ظاهر النظم الكريم، فإنه تعالى بعد ما أقبل على بني إسرائيل وعذبهم بالنّبي، بعبء أن ينجي بعض المدعو عليهم أو ذرارهم، ويقدر وفاتها في محلّ العقوبة ظاهراً، وإن كان ذلك لها منزل رَوْح وراحة.

وقد قيل: إنها لم يكونا مهم في النّبي، وهو الأنسب بتفسير الفرق بالمابعدة. ومن قال: بأنهما كانا مهم فيه، فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كلّ فريق. (٢٥٨: ٢)

الكاشاني: يسبرون فيها متعبرين، لا يرون طريقاً. (٢٥: ٢)

الأوسي: وروي أنه كان النّام يظلمهم من حرّ النّفس، وينزل عليهم المنّ والسّلوى، وجعل معهم حجر موسى عليه السلام يفرّ منه الماء دفناً لحشهم. قيل: ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم، ولا يطول شرهم، ولا تبلى ثيابهم، كما روي عن الرّبيع بن أنس، وكانت تسبّ معهم إذا شربوا، كما روي عن طاووس.

نصعد إليهم لأنهم أشد منا. وهولوا على بني إسرائيل الأمر وقالوا: شاهدنا أناسًا طوال القامات، سببا بني عتاق، فصرنا في عيوننا كالجراد، وكذلك كنّا في عيونهم. فعند ذلك ضجّ قوم موسى ورفضوا أصواتهم ويكفوا، وقالوا: ليتنا متنا في أرض مصر أو في هذه البرية، ولا تكون نساؤنا وأطفالنا غنيمة للجبابرة، وغير لنا أن نرجع إلى مصر، وقالوا: لنقيم لنا رئيسًا ونرجع إلى مصر.

فلما شاهد موسى ذلك منهم وقع هو وأخوه هارون على وجوهها أمام الإسرائيليين، ومزق من الثياب يوشع بن نون وكالب ثيابهما، وكلّما بني إسرائيل قائلين: إن الأرض التي مررنا فيها جيدة، وإذا كان ربنا راضيًا عنا فإنه يدخلنا إياها، فلا تترددوا ولا تخافوا أهلها فيكونون طعمة لنا؛ إذ الرب معنا. فلما سمع بنو إسرائيل كلام يوشع وكالب قالوا: ليس جأ بالحجارة، وكاد حينئذ أن يحمي ببني إسرائيل العذاب الإلهي، لولا تضرّع موسى إلى ربه بأن يعفو عنهم، كيلا يكونوا أحدوة عند أعدائهم المصريين. ففعا تعال عنهم.

وأعلم موسى أن قومه لن يروا الأرض التي أقسم عليها لأبائهم، وأنهم يموتون جميعًا في السبب، إلا كاتبا، فإنه لحسن انتقاذه سيدخل الأرض، وكذلك يوشع، وأعلمه تعال أيضًا بأن أطفال قومه الذين سيهلكون في السبب يكونون رعاة فيه أربعين سنة بعدد الأيام التي تجسّ الثقباء فيها أرض الكنعانيين، كلّ يوم وزره سنة ليعرفوا انتقامه، عزّ سلطانه.

ثم هلك الثقباء العشرة، الذين شتموا لدى قومهم

وافتشحت بها. وصرّح بأخذها عليهم في قوله: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ...» المائدة: ١٢، وفي ذلك تسليّة للنبي ﷺ فيما يفعلونه معه، وتذكير له بالثبته على قومه بالتوفيق، وترغيب لمن أطاع منهم، وترهيب لمن عصى. ومات في تلك الأربعين كلّ من قال ذلك القول أو رضىه حتّى الثقباء العشرة. وكان النمام يظلمهم من حرّ الشمس، ويكون لهم عمود من نور بالليل يضيء عليهم، وغير هذا من النعم، لأنّ المنع بالتبّيه كان تأديبًا لهم، لا غضب، إذ أنّهم تابوا. ثم ساق البقاعي رحمه الله شرح هذه القصة من التوراة التي بين أيديهم بالحرف، ونحن نأتي على ملخصها تأسّرًا له، فنقول:

جاء في سفر العدد في الفصل الثالث عشر: إنّ شعب بني إسرائيل لما ارتحلوا من خيبروت ونزلوا ببرية فاران، كلمّ الربّ موسى بأن يبعث رجلًا يمشون أرض كنعان، من كلّ سبط رجلًا واحدًا، وكلّهم يكونون من رؤساء بني إسرائيل؛ فأرسلهم موسى وأمرهم أن ينظروا إلى الأرض، أجيدة أم رديئة؟ وإلى أهلها، أشديدون أم ضغفاء؟ قليلون أم كثيرون؟ وأن يوافوه بشيء من ثمرها. فساروا واجتسّوا الأرض من برية صين إلى زحوب عند مدخل حماة، ثم رجعوا بعد أربعين يومًا. وكان موسى وقومه في برية فاران في قادش، فأروههم ثمر الأرض، وقصّوا عليهم ما شاهدوه من جودة الأرض، وأنها تدرّ لبنًا وعسلًا، ومن شدّة أهلها وقوتهم وتحصّن مدّنتهم؛ فاضطرب قوم موسى، فأخذ كالب - أحد الثقباء - يسكتهم عن موسى، ويقول: نصعد ونرت الأرض فإنّا قادرون عليها. وخالفه بقيّة الثقباء، وقالوا: لا نقدر أن

الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية، وجزروني الآن عشر مرّات ولم يسمعوا قولي ٢٣ لن يروا الأرض التي حلفت لأبائهم، وجميع الذين أهانوني لا يرونها» واستثنى الربّ كاتباً فقط.

ثمّ قال لموسى وهارون: «٢٧ حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليّ؟ قد سمعت تذمّر بني إسرائيل الذي يذمّرونه عليّ ٢٨ قل لهم: «حيّ أنا» يقول الربّ: لأفضلنّ بكم كما تكلمت في أذنيّ ٢٩ في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً، الذين تذمّروا عليّ ٣٠ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي، لأسكننّكم فيها ماعدا كالب بن يفتة ويشوع بن نون. ٣١ وأما أطفالكم الذين قلتم إنهم يكونون غنيمة فأنيّ سأدخلهم، فيعرفون الأرض التي احتقرتموها ٣٢ فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر ٣٣ وينكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة، ويمحلون فجوركم حتى تنقّي جثثكم في القفر ٣٤ كعدد الأيام التي تجسّستم فيها الأرض أربعين يوماً للسنة، يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي ٣٥ أنا الربّ قد تكلمت لأفضلنّ هذا بكلّ هذه الجماعة الشريرة المتفكّقة عليّ، في هذا القفر يفنون، وفيه يموتون».

لانبثح هنا في هذه العبارات التي أنبثناها، ولاني ترك مآثر كناه من الفصل في موضوعها، لامن حيث التكرار، ولامن حيث الاختلاف والتعارف، ولامن حيث تزيده الربّ وتعالى، ولانبثح عن كاتب هذه الأسفار بعد سبي بني إسرائيل. وإنّما نكتفي بما ذكرناه

تلك الأرض، بضربة عجّلت لهم، ثمّ همّ قوم موسى بالصدود إلى الكنعانيين لما أخبرهم موسى بما أعلمه تعالى، فنهاهم موسى وقال لهم: لا فوز لكم الآن بالنصر الزبّاني. وإن فعلتم فإنّ العدو يهزمكم وتسقطون تحت سيفه. فتجبرّوا وصعدوا إلى رأس الجبل، فغزل العالقة والكنعانيون عليهم فضربوهم وحطّموهم، ثمّ بعد انقضاء الأربعين سنة فُتحت الأرض المقدّسة على يد يوشع، كما شرح في «سفره»، والله أعلم. (١٩٣٦: ٦) رشيد رضا: أي يسيرون في برية من الأرض تاهين متحيّرين، لا يدرون أين يستهون في سيرهم. فآلتيه: الحيرة، يقال: تآه بئيه - ويؤوه لته - ويأال: مفازة تيهاء، إذا كان سالكوها يستعيرون فيها لعدم الأعلام التي يمتدي بها. [إلى أن قال:]

ذكرنا قبل أنّ هذه القصة مفصّلة في الفصلين الثالث عشر والرابع عشر من سفر العدد، وذكرنا شيئاً منها. وفي الفصل الرابع عشر أنّ بني إسرائيل لما تمرّدوا وعصوا أمر ربّهم، سقط موسى وهارون على وجوهها أمامهم، وأنّ يوشع وكالب مرّقاّ ثيابهما ونها الشعب عن التمرّد وعن الخوف من الجبّارين لطبع، فهم الشعب برجمها، وظهر مجد الربّ لموسى في غيمة الاجتماع ١١ وقال الربّ لموسى: حتى متى يحسني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدّقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ ١٢ إنّي أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم».

فنفع موسى فيهم ثلاثاً يشمت بهم المصريون وبه، فقبل الربّ شفاعته، ثم قال: «٢٢ إنّ جميع الرجال

ويعتَمِدُونَ إِلَى الْعُودَةِ إِلَيْهَا. وَلَمَّا غَاب عَنْهُمْ أَيَّامًا لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ اتَّخَذُوا لَهُمْ عِجْلًا مِنْ حُلِيِّهِمْ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِمْ وَعَبَدُوهُ لِمَا رَسَخَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ إِكْبَارِ سَادَتِهِمُ الْمَصْرِيِّينَ وَإِعْظَامِ مَعْبُودِهِمُ الْعِجْلَ «أَيْس» وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يُطِيعُهُمْ نَفْسُهُمُ الْمُهْنِيَّةَ عَلَى دُخُولِ أَرْضِ الْمَجَارِينِ، وَإِنَّ وَعْدَهُ تَعَالَى لِأَجْدَادِهِمْ إِنَّمَا يَتِمُّ عَلَى وَفْقِ سُنَّتِهِ فِي طَبِيعَةِ الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ إِذَا هَلَكَ ذَلِكَ الْجَمِيلُ الَّذِي نَشَأَ فِي الْوُثْنِيَّةِ وَالْعِبُودِيَّةِ لِلْبَشَرِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ.

وَنَشَأَ بَعْدَهُ جِيلٌ جَدِيدٌ فِي حُرِّيَّةِ الْبِدَاوَةِ، وَعَدَلَ الشَّرِيعَةَ وَنَوَّرَ الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةَ - وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُهْلِكَ قَوْمًا بِذُنُوبِهِمْ، حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ حُجَّتَهُ عَلَيْهِمْ، لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَظْلَمَهُمْ وَإِنَّمَا يَظْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ - وَعَلَى هَذِهِ السُّنَّةِ الْعَادِلَةِ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، بَعْدَ أَنْ أَرَاهُمْ عِجَابًا تَأْيِيدَ لِرَسُولِهِ إِلَيْهِمْ، فَأَيُّوا وَاسْتَكْبَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنْشَأَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ، جَعَلَهُمْ هُمُ الْأَنْثَثَةُ الْوَارِثِينَ، جَعَلَهُمْ كَذَلِكَ بِهَيْمَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، الْمُوَافَقَةِ لِسُنَّتِهِ وَشَرِيعَتِهِ الْمُنْزَلَةِ عَلَيْهِمْ. فَهَذَا بَيَانُ حِكْمَةِ عَصِيَانَتِهِمْ لِمُوسَى بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَحِكْمَةِ حَرَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى لَذَلِكَ الْجَمِيلِ مِنْهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.

فَعَلِينَا أَنْ نَعْتَبِرَ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ الَّتِي يَبْنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى لَنَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْأُمَمِ بَعْدَ فُسَادِهَا بِالظُّلْمِ وَالْاِسْتِبْدَادِ، إِنَّمَا يَكُونُ بِإِنْشَاءِ جِيلٍ جَدِيدٍ، يَجْمَعُ بَيْنَ حُرِّيَّةِ الْبِدَاوَةِ وَاسْتِقْلَالِهَا وَعِزَّتِهَا، وَبَيْنَ مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ وَالْفَضَائِلِ وَالْعَمَلِ بِهَا. وَقَدْ كَانَ يَقُومُ بِهَذَا فِي الْمَصُورِ السَّالِفَةِ

شَاهِدًا، وَنَقُولُ كَلِمَةً فِي حِكْمَةِ هَذَا الْعِقَابِ، تَبَصُّرًا وَذِكْرًا لِأَوَّلَى الْأَكْبَابِ، وَهِيَ:

إِنَّ الشُّعُوبَ الَّتِي تَنْشَأُ فِي مَهْدِ الْاِسْتِبْدَادِ، وَتُسَاسُ بِالظُّلْمِ وَالْاِضْطِهَادِ، تَقْسُدُ أَخْلَاقَهَا، وَتَذَلُّ نَفْسُهَا، وَيَذْهَبُ بِأَسْهَاءِهَا، وَتُضْرَبُ عَلَيْهَا الذَّلَّةُ وَالْمُسْكِنَةُ، وَتَأْتَفُ الْخُضُوعَ، وَتَأْنَسُ بِالْمَهَانَةِ وَالْخُسُوعِ. وَإِذَا طَالَ عَلَيْهَا أَمَدُ الظُّلْمِ تَصِيرُ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ مَوْرُوثَةً وَمَكْتَسَبَةً، حَتَّى تَكُونُ كَالْفَرَائِزِ الْفَطْرِيَّةِ، وَالطَّبَائِعِ الْخُلُقِيَّةِ، إِذَا أَخْرَجْتَ صَاحِبَهَا مِنْ بَيْتِهَا، وَرَفَعْتَ عَنْ رَقَبَتِهِ زِمْرَهَا، أَلْفَيْتَهُ يَنْزِعُ طَبِيعَهُ إِلَيْهَا، وَتَفَلَّتْ مِنْكَ لِيَتَقَعَّمَ فِيهَا.

وَهَذَا شَأْنُ الْبَشَرِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَيَجْرُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ، وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلًا لِهَدَايَتِهِ وَضَلَالِ الْزَّاسِخِينَ فِي الْكُفْرِ مِنْ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا خَلِمًا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُّ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَيَجْمَلُ يَحْجِزُهُنَّ وَيَغْلِبُهُ فَيَتَقَعْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذَ بِحِجْزِكُمْ مِنَ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقَعُّونَ فِيهَا» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ.

أَفْسَدَ ظَلَمَ الْفِرَاعَةَ فَطَرَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ، وَطَبِعَ عَلَيْهَا طَبَاعُ الْمَهَانَةِ وَالذَّلَّةِ، وَقَدْ أَرَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَمْ يُرْ أَحَدًا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَصَدَّقَ رَسُولَهُ مُوسَى ﷺ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مِصْرَ لِيُنْقِذَهُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْعِبُودِيَّةِ وَالْعَذَابِ، إِلَى الْحُرِّيَّةِ وَالْاِسْتِقْلَالِ وَالْعِزِّ وَالنَّعِيمِ. وَكَانُوا عَلَى هَذَا كُلِّهِ إِذَا أَصَابَهُمْ نَضَبٌ أَوْ جُوعٌ، أَوْ كَلَّفُوا أَمْرًا يَشَقُّ عَلَيْهِمْ، يَطْلُبُونَ بِمُوسَى وَيَتَمَلَّمُونَ مِنْهُ، وَيَذْكُرُونَ مِصْرَ

يحصلوا على الاستقرار، ولم يطمئنوا في حياة مدنيّة مستقرة في بلد معين، ولم يعيشوا عيشة البدو، بل كانوا في حالة قلق واهتزاز، مما يؤدي إلى حالة مدمرة من الضياع النفسي، والتيه الحرّي.

ونلاحظ أنّ هذه العقوبة الدنيويّة لم تقتصر على الذين تمردوا أو ظلموا أنفسهم بالمعصية، بل امتدت إلى موسى عليه السلام والمؤمنين معه، لأنّ البلاء إذا حلّ بالأمة من خلال سلوكها عمّ جميع أفرادها حتّى الصالحين.

(١٢٢: ٨)

الأصول اللغويّة

١- الأصل في هذه المادة: التّيه، وهو المغاظة لا يمتدّ فيها، والجمع: أنياء وأناويه، يقال: ناء الرّجل في الأرض يتيّه تيّهاً وتيّهاً، أي ضلّ وذهب متعيّراً، وهو تيّهان. وفلاة تيّها: مضيّلة واسعة لأعلام فيها ولا جبال ولا إكام، وأرض تيّها وتيّها وتيّها وتيّها وتيّها وتيّها، أي يتيّه فيها الإنسان.

ومنه أيضاً: ناء الرّجل يتيّه تيّهاً: تكبر، فهو تائه وتيّها وتيّها، وكأنّ المتكبر قد سلّك التّيه، فضلّ وتحير، يقال: هو أتيّه الناس، وما أتيه! وقد تيه نفسه: حيّرّها وطوّحها. ورجل تيّهان وتيّهان: جسر يركب رأسه في الأمور، وناقّة تيّها: جريئة.

٢- ويخلط على التّيه في اللّغة العربيّة لفظ «تّهو»،

أي المغاظة، وقد سُردت قصّته في الإصحاحين (١٣) و(١٤) من سفر العدد.

الأنبياء، وإنّما يقوم بها بعد ختم النّبوة ورثة الأنبياء، الجامعون بين العلم بسنن الله في الاجتماع، وبين البصيرة والصدق والإخلاص في حبّ الإصلاح، وإيثاره على جميع الأهواء والشّهوات «وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَسْأَلُهُ مِنْ هَادٍ الرَّعْد: ٢٣. (٣٣٦: ٦)

محمّد جواد مفسّتيه: هذا هو جزاؤهم، التّيه في صحراء سيناء الجرداء، يسيرون فيها لا يستندون إلى طريق الخروج، ولا يدرون أين المصير، وهكذا يضربون في مجاهلها أربعين عاماً، حتّى يفق كبراؤهم وينشأ بعدهم جيل جديد.

الطّباطباتيّ: والمعنى أنّ الأرض المقدّسة أي دخولها وتمكّنها محرّمة عليهم، أي قضينا أن لا يوقفوا لدخولها أربعين سنة، يسيرون فيها في الأرض متعيّرين، لاهم مدنيّون يستريحون إلى بلد من البلاد، ولا هم بدويّون يعيشون عيشة القبائل والبدوّين. [إلى أن قال بعد نقل كلام الإمام الباقر والصادق عليهما السلام]:

أقول: والزّوايات فيها يقرب من هذه المعاني كثيرة، من طرق الشيعة وأهل السنة. وهذه الزّوايات وإن اشتملت في معنى التّيه وغيره على أسور، لا يوجد في كلامه تعالى ما يتأكّد به، لكنّها مع ذلك لا تشتمل على شيء مما يخالف الكتاب. وأمر بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام كان عجيباً تحفّ بمباهت خوارق العادة من كلّ ناحية، فلاضير في أن يكون تيههم على هذا النحو المذكور في الزّوايات. (٢٩٤: ٥)

فضل الله: لقد كان القضاء الإلهي عليهم بالتّيه مدّة أربعين سنة عقوبة لهم على التّمرد، وهم بذلك لم

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظ واحد، مرة واحدة:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَنَاسٍ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاقِينَ﴾ المائدة: ٢٦

يلاحظ أولاً: أنهم سألوا: كيف يتيهون فيها - وهي مساحة محدّدة تتراوح في الاتّجار بين أربعة فراسخ وثلاثين فرسخاً - أربعين سنة، ولا يمدّون سبيلاً إلى الخروج؟ وأحسن ما أجيب عنه:

أنهم كانوا يمدّون السبيل، إلّا أن الله حرّمه عليهم عقوبة لهم، حتّى انقضى الذين تخلّفوا عن أمر الله. ثمّ سمح لأولادهم الخروج منها والدخول في الأرض الموعودة. وهذا الرّأي موقوف على حمل ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ على التّحريم التّشريعى دون التّكويني. ونحن لانرى به بأساً، سوى أنّه أوّل خلاف مارواه

المفسّرون، وما جاء في سفر العدد، ولملّه مصدر تلك الروايات، فالتّشكيك في صحّته يسري إلى الروايات. وثانياً: أن لفظ «يتيهون» منصرف إلى الحيرة والضلال، وأنهم لم يمدّوا سبيلاً للخلاص منه. فالأحسن حملها على أنّه كان من جملة ما جاء في قضايا بني إسرائيل، من خوارق العادات.

ثانياً: طرح في النّصوص سؤال آخر، وهو: هل كان موسى وهارون مع بني إسرائيل في التّيه أم لا؟ والجواب: ينبغي الإجابة عن هذا السّؤال في لفظي «موسى» و«هارون»، فلاحظ.

ثالثاً: يجيء المادة مرة واحدة بلفظ المضارع يتناسق مفهومها الذي يُعبّر عن الغربة والحيرة، المستمرّين زماناً مبيهاً لا يُعلم مداه إلّا بأربعين سنة في علم الله، لا يعرفها بنو إسرائيل، بل هم في حيرة مطلقة مكاناً وزماناً.

حرف الثاء

وفيه ٢٣ لفظاً

ثبت	ثبت
ثبر	ثبر
ثبط	ثبط
ثبي	ثبي
ثج	ثج
ثخن	ثخن
ثرب	ثرب
ثري	ثري
ثعب	ثعب
ثقب	ثقب
ثقف	ثقف
ثقل	ثقل

ث ب ت

١٢ لفظاً، ١٨ مرة: ٨ مَكِّيَّة، ١٠ مدنيَّة

في ١١ سورة: ٥ مَكِّيَّة، ٦ مدنيَّة

فَأَنْبِئُوا ١-١	بَشِّرْكَ ١-١	وَيُصَفَّرُ ثَابِتٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ: ثُبَيْتًا. وَأَمَّا الثَّابِتُ إِذَا
ثَابِتٌ ١-١	يُنَبِّئُ ٤-٢	أُردتْ بِهِ نَحْنُ ضِيءٍ فَتَصْغِيرُهُ: تُؤْنِيبُ.
الثَّابِتُ ١-١	ثُبَيْتٌ ٢-٢	(الأزهرى ١٤: ٢٦٧)
ثُبُوتُهَا ١-١	ثَبَّتَ ٢-٢	ابن الأعرابي: يقال للجراد إذا رَزَّ أَذْنَاهُ لِيَبْيَضَ:
يُنَبِّئُ ١-١	فَنَبِّئُوا ١-١	ثَبَّتْ وَأَنْبِئَتْ وَتَبَّيَّتْ. (الأزهرى ١٤: ٢٦٧)
لِيَنْبِئُكَ ١-١	تَنْبِيئًا ٢-٢	ابن أبي اليمان: والثَّبْتُ: هو الرجل الوقور القليل
		التَّوْبِ، والثَّابِتُ على ظهور الخيل أيضًا. (٢١٨)
		ابن دُرَيْدٍ: ثَبَّتَ يَبْتُ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا فَهُوَ ثَابِتٌ.

النصوص اللغوية

اللَّيْثُ: يقال: ثبت فلانٌ بالمكان يَبْتُ ثُبُوتًا فَهُوَ	ورجل ثَبَّتُ المقام وَتَبَّيَّتَ المقام، إذا كان شجاعًا لا يبرح
ثَابِتٌ، إذا أقام به. وَتَبَّيَّتَ فِي رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ، إذا لم يَحْجَلَ	موقفه. [ثم استشهد بشعر]
وَتَأَنَّى فِيهِ. وَاشْتَبَتْ فِي أَمْرِهِ، إذا شَاوَرَ وَفَحَصَ عَنْهُ.	ورجل ثَابِتٌ أَيْضًا، إذا ثبت. ويقال: ثابِتُ الجَنَانِ،
وَأَنْبِئْتُ فَلَانٌ فَهُوَ مُنَبِّئٌ، إذا اشْتَدَّتْ بِهِ عِلَّتُهُ، وَأَنْبِئْتُهُ	إذا كان ثَبَّتُ القُوَاد. وقد سَمَتِ العرب: ثَابِتًا.
جراحه فلم يتحرك.	وَأَنْبِئْتُ ظَهْرًا، إذا تَبَّيَّتَتْ، وَتَبَّيْتُه، إذا وَقَفْتُهُ.
ورجل ثَبَّتَ وَتَبَّيَّتَ، إذا كان شجاعًا وَقَوْرًا.	(١: ١٩٣)
وَأَنْبِئْتُ: اسم موضع، أو جبل.	ورجل ثَبَّتَ بَيْنَ الثَّبَاتَةِ وَالثَّبُوتَةِ. (٣: ٤٢٧)

وَتَبَيَّنَ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ، وَاسْتَبَيَّنَ بِمَعْنَى: وَرَجُلٌ
تَبَيَّنَ، أَيْ ثَابِتُ الْقَلْبِ. [ثم استشهد بشعر]
ويقال أيضاً: فَلَانُ تَبَيَّنَ الْقَدْرَ، إِذَا كَانَ لَا يَزِلُّ لِسَانَهُ
عند المحصومات.

ورجل له تَبَيَّنَ عند الحَمَلَةِ، بِالتَّحْرِيكِ، أَيْ ثَبَاتٍ.
وتقول أيضاً: لِأَحْكَمَ بِكَذَا إِلَّا يَبَيَّنَ، أَيْ بِحِجَّةٍ.
والتَّبَيُّنُ: الثَّابِتُ الْعَقْلُ. [ثم استشهد بشعر]
ونقول منه: تَبَيَّنَ بِالضَّمِّ، أَيْ صَارَ تَبَيَّنًا. (١: ٢٤٥)
ابن فارس: التَّاءُ واليَاءُ والتَّاءُ كلمة واحدة، وهي
دوام الشيء، يقال: تَبَيَّنَ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا، وَرَجُلٌ تَبَيَّنَ
وَتَبَيَّنَ. [ثم استشهد بشعر] (١: ٢٩٩)
الطُّوسِيُّ: وَالثَّبُوتُ: حَصُولُ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ عَلَى
استمراره، يقال لمن استمرَّ على صفة: قَدْ تَبَيَّنَ كَثِيرُ
الطَّيْنِ. (٥: ١٥٤)

الإِثْبَاتُ: الإِخْبَارُ بِوُجُودِ الشَّيْءِ، وَنَقِيضُهُ النِّقْيُ وَهُوَ
الإِخْبَارُ بِعَدَمِ الشَّيْءِ. (٦: ٢٦٣)
الرَّائِبُ: الثَّبَاتُ: ضِدُّ الزَّوَالِ، يُقَالُ: تَبَيَّنَ يَتَبَيَّنُ
ثَبَاتًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا
فَاتَّقُوا﴾ الأنفال: ٤٥.

ورجل تَبَيَّنَ وَتَبَيَّنَ فِي الْحَرْبِ، وَأَتَبَتِ التَّهْمُ،
ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال: فَلَانُ
ثَابِتٌ عِنْدِي، وَثُبُوتُ النَّبِيِّ ﷺ ثَابِتَةٌ.
والإِثْبَاتُ والتَّبَيُّنُ تَارَةً يُقَالُ بِهَذَا، فَيُقَالُ لَهَا
يُخْرِجُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ نَحْوُ: أَتَبَتِ اللَّهُ كَذَا، وَتَارَةً لَهَا
يُثَبِّتُ بِالْحُكْمِ؛ فَيُقَالُ: أَتَبَتِ الْحَاكِمُ عَلَى فَلَانٍ كَذَا وَتَبَيَّنَ،
وَتَارَةً لَهَا يَكُونُ بِالْقَوْلِ سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ حَقًّا أَوْ كَذِبًا؛

الْأَزْهَرِيُّ: يُقَالُ: رَجُلٌ ثَابِتٌ فِي الْحَرْبِ وَتَبَيَّنَ
وَتَبَيَّنَ، وَيُقَالُ لِلزَّوَالِ: إِنَّهُ لَتَبَيَّنَ، وَهُمُ الْإِثْبَاتُ، أَيْ
الثَّبَاتُ.

رماه فَأَتَبَتَهُ، إِذَا حَبَسَهُ مَكَانَهُ. وَأَصْبَحَ الْمَرِيضُ
مُتَبَيَّنًا، أَيْ لَا حَرَكَهَ بِهِ. (١٤: ٢٦٧)

الصَّاحِبُ: تَبَيَّنَ الْجُنَانُ: مَاضٍ فِي الْأَمْرِ وَالْحَرْبِ.
وَأَتَبَتِ حِجَّتَهُ: أَقَامَهَا، وَتَبَيَّنَ الْقَوْلُ وَالْأَمْرُ: وَضَحَ.
وَرَجُلٌ تَبَيَّنَ، أَيْ حِجَّةٌ.

والتَّبَيُّنُ: اللَّازِمُ الْوَاقِفُ.
والتَّبَيُّنُ: الْمُتَبَيَّنُ فِي الْأُمُورِ.

وَأَتَبَتِ اللَّهُ لِيَذْكَ، وَتَبَيَّنَ لِيَذْكَ، أَيْ دَامَ أَمْرُكَ.
وداءُ ثَبَاتٍ: تَبَيَّنَ الْإِنْسَانُ حَتَّى لَا يَتَحَرَّكَ.

والتَّبَاتُ: الْإِثْبَانُ فِي الْقَتْلِ.
ومريض مُتَبَيَّنٌ: لَيْسَ بِهِ حَرَاكَةٌ.

والتَّبَاتُ: السَّيْرُ الَّذِي يُعَدُّ بِهِ الشَّيْءُ، أَتَبَتَ بِهِ
إِثْبَاتًا، وَجَمْعُهُ: تَبَيَّنَ. وَهُوَ أَيْضًا شِبَاةُ الْبُرْقُوعِ، وَهِيَ
خُيُوطُهُ.

والتَّبَيُّنُ: ضِدُّ الْحَيِّثِ، وَهُوَ الْعَاقِلُ الْمُتَمَسِّكُ.
والتَّبَيُّنَةُ: الثَّبَاتُ.

ويَوْمٌ ثَبَيَّتٌ: يَوْمٌ مَعْرُوفٌ، وَكَانَ لِكَلْبٍ عَلَى بَنِي
نَجْدٍ. وَإِثْبَتٌ: اسْمُ مَوْضِعٍ. (٩: ٤٢٢)

الْجَوْهَرِيُّ: تَبَيَّنَ الشَّيْءُ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا، وَأَتَبَتَهُ غَيْرُهُ
وَتَبَيَّنَ بِمَعْنَى:

ويقال: أَتَبَتِ الشُّعْمُ، إِذَا لَمْ يَفَارِقْهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:
(لِيُثْبِتُوكَ) الْإِنْفَالُ: ٣٠، أَيْ يَجْرَحُوكَ جِرَاحَةً لَا تَقُومُ
مَعَهَا.

ورجل ثَبَّتَ المقام، إذا كان شجاعاً لا يبرح موقفه.
وطعته فأثبت فيه الرمح، أي نفذ فيه، لأنه يلزم فيه.
وأثبت حجته، أي أقامها.

ورجل ثَبَّتَ، أي وثقه بأموه فيما روى. (١: ٣٥٦)
والإثبات: الحبس، يقال: رماه فأثبتته، أي حبسه
مكانه. وأثبتته في الحرب، إذا جرحه جراحة مثقلة.

(٢: ٥٣٧)

والثبوت: تمكين إقامة الشيء من الثبوت، يقال:
ثبته بتسكينه. وثبته بتمكنه. وثبته بالدلالة على
ثبوته، وثبته بالخبر عن وجوده. (٣: ٢٠٣)

ابن الأثير: في حديث أبي قتادة رضي الله عنه:
«ظلمته فأثبتته» أي حبسه وجعله ثابتاً في مكانه
لا يفارقه.

ومنه حديث مشورة قريش في أمر النبي ﷺ: «قال
بعضهم: إذا أصبح فأنبئوه بالوثاق».

وفي حديث صوم يوم الشك: «ثم جاء الثبَّتُ أَنَّهُ من
رمضان» الثبَّتُ بالتحريك: المحجة والبينة. (١: ٢٠٥)
الفقيومي: ثبت الشيء بثبوت ثبوتاً؛ دام واستقر فهو

ثابت، وبه سمي.

وثبت الأمر: صح، وعضد بالهمزة والتضعيف،
فيقال: أثبتته وثبته، والاسم: الثبات.

وأثبت الكاتب الاسم: كتبه عنده.

وأثبت فلاناً: لازمه فلا يكاد يفارقه.

ورجل ثَبَّتَ ساكن الباء: مُثَبَّتٌ في أموره.

وثَبَّتَ الجنان، أي ثابت القلب.

وثَبَّتَ في الحرب فهو ثَبَّتٌ، مثال قُرْب فهو قريب،

فيقال: أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله
إلهاً آخر. (٧٨)

الزَّمَعَشَرِيّ: فلان ثابت القدم، من رجال ثَبَّت.

ورجل ثَبَّتَ الجنان وثَبَّتَ القدر، إذا لم يزل في خصام
أو قتال. وفارس ثَبَّتَ وثَبَّت. [ثم استشهد بشمر]

ورجل ثَبَّتَ وثَبَّت: عاقل متأسد، وقيل: هو القليل
السَّطَف في جميع خصاله، وقد ثَبَّتَ ثباته.

وفلان له ثَبَّتٌ عند الحملة، أي ثبات. [ثم استشهد
بشمر]

وهو ثَبَّتٌ من الأثبات، إذا كان حجة لشقته في
روايته. ووجدت فلاناً من الثقات، والأعلام الأثبات.
وثَبَّتَ في الأمور واستثَبَّت فيه، إذا تأقن.

ورجل ثَبَّتُ في الأمور: مستبث، وثَبَّتَ الشيء
واستثَبَّته. وضرب الوُتْدَ في الحائط فأثبت فيه.

ومن الجاز: أثبتوه: حبسوه، وضربوه حتى أثبتوه،
أي أنخنوه.

وأثبتته المجرحات وأثبتته السَّعَم، إذا لم يقدر على
الحركة.

وبه ثبات لا ينجو منه.

ونظرت إليه فأثبتته بصري.

وأثبت اسمه في الدِّيوان: كتبه.

وأثبت الشيء معرفة، إذا قتله علماً.

وثَبَّتَ لِيَدُكَ وأثبت الله لِيَدُكَ: دعاء بدوام الأمر.

(أساس البلاغة: ٤٢)

الطَّبْرَسِيّ: والثبوت: تمكين الشيء في مكانه

للزومه إياه، وقد يقال: ثبته، بمعنى حكم بوجوده.

محمّد إسماعيل إبراهيم: ثَبَّتْ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا:
رسخ واستقرّ، ثبت على الأمر: داومه وواظبه فهو
ثابت، ثبت الأمر عنده: تحقّق وتأكدّ.

وَأَثَبْتُ فَلَانًا، حَبَسَهُ، وَأَثَبْتُ الشَّيْءَ: أَقْرَهُ.
وَبَثَّ الشَّيْءَ تَبِيئًا: أَبْقَاهُ ثَابِتًا رَاسِخًا، وَجِثَ الْحَقُّ:
أَكَّدَهُ وَأَيَّدَهُ بِالْيَتَاتِ.

والقول الثابت: قول لإله إلا الله.

والثَّبِيت: الثَّبِيتُ. (١: ٩٤)

الْعَدْنَانِي: «الثَّبِت» وَيُسْتَوْنُ الْفَهْرَسُ الَّذِي يَجْمَعُ
فِيهِ الْهَدُثُ مَرْوِيَّاتُهُ وَأَنْبِيَاحُهُ: ثَبَاتًا، وَالصَّوَابُ هُوَ
«الثَّبِتُ» كَمَا جَاءَ فِي «تَقْوِيفِ اللِّسَانِ» لِابْنِ مَكِّي الصَّقِيلِيِّ،
وَالْمُغْرَبُ، وَمُسْتَدْرَكُ التَّاجِ، وَالْمَذَى، وَذِيلُ أَقْرَبِ الْمَوَارِدِ،
وَالْمَتْنِ، وَالْوَسِيطِ.

وَمَّا جَاءَ فِي مُسْتَدْرَكِ التَّاجِ: «الثَّبِتُ» هُوَ الَّذِي
يَجْمَعُ فِيهِ الْهَدُثُ مَرْوِيَّاتُهُ وَأَنْبِيَاحُهُ، كَأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ
الْحِجَّةِ، لِأَنَّ أَسَانِيدَهُ وَشُيُوخَهُ حَبَّةٌ لَهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ كَثِيرٌ
مِنَ الْهَدَنِيِّينَ.

وقيل: إنّه من اصطلاحاتهم، ويمكن تحريكه على
الجاز.

وَيُجْمَعُ الثَّبِتُ: عَلَى أَثَابٍ.

ومن معاني الثَّبِتِ:

١- الْحِجَّةُ، جَاءَ فِي «الْثَّابِتَةِ» وَفِي حَدِيثِ صَوْمِ يَوْمِ
النَّكَ: «ثُمَّ جَاءَ الثَّبِتُ أَنَّهُ مِنْ رَمَضَانَ» الثَّبِتُ: الْحِجَّةُ
وَالْبَيْتَةُ.

وجاء في هامش القاموس، ومُسْتَدْرَكِ التَّاجِ، وَالْمَذَى
وَالْمَتْنِ، أَنَّ بَاءَ هَذَا قَدْ تُسَكَّنُ: الثَّبِتُ.

وَالْأَسْمُ: ثَبَّتَ بِفَتْحَتَيْنِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحِجَّةِ: ثَبَّتَ. وَرَجُلٌ
ثَبَّتَ: بِفَتْحَتَيْنِ أَيْضًا، إِذَا كَانَ عَدْلًا ضَاطِحًا، وَالْجَمْعُ:
أَثَابَتُ، مِثْلُ سَبَبٍ وَأَسَابٍ. (٨٠)

الْفَيَرُوزُ أَبَادِيٌّ: ثَبَّتَ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا، فَهُوَ ثَابِتٌ
وَنِيئٌ وَثَبْتُ، وَأَثَبْتُهُ وَثَبَّنْتُهُ.

وَالثَّبِيتُ: الْفَارِسُ الشَّجَاعُ كَالثَّبِتِ، وَقَدْ ثَبَّتَ كَكْرَمٍ
نَبَاتَةً وَثُبُوتَةً.

وَالثَّابِتُ: الْعَقْلُ، وَمِنْ الْخَيْلِ: الثَّقَفُ فِي عَدُوهِ
كَالثَّبِيتِ.

وَالثَّابِتُ بِالْكَسْرِ: نَبِيَامُ الْبُرْقُعِ، وَسَيْرٌ يُشَدُّ بِهِ
الرَّحْلُ.

وَالثَّبِتُ كَمَكْرَمٍ: الرَّحْلُ الْمَشْدُودُ بِهِ، وَمِنْ لَاهِرَاكٍ
بِهِ مِنَ الْمَرْضِ. وَيَكْسِرُ الْبَاءَ: الَّذِي تُعْلَلُ فَلَمْ يَمْرَحْ
الْفَرَسُ، وَدَاءُ ثُبَاتٍ بِالضَّمِّ: مُعْجَزٌ عَنِ الْحَرَكَةِ.
وَنَابِتَةٌ وَأَثَبَتْهُ: عَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ.

وَالثَّبِيتُ كِإِزْمِيلٍ: أَرْضٌ أَوْ مَاءٌ لِبْنِي يَرْبُوعٍ أَوْ لِبْنِي
الْمُحَلِّ بْنِ جَعْفَرٍ... [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (لِيُثَبِّتُوا) الْأَنْفَالُ: ٣٠، أَيْ
لِيَجْرَحُوا جِرَاحَةً لَا تَقُومُ مَعَهَا، أَوْ لِيَحْسُوكَ.

وَالْأَثَابَاتُ: الثَّقَاتُ، وَاسْتَبْتُ: تَأَنَّى. (١: ١٥٠)

مَجْمَعُ اللَّغَةِ: ١- ثَبَّتَ يَثْبِتُ ثُبُوتًا مِنْ بَابِ «دَخَلَ»
رَسَخَ وَاسْتَقَرَّ، ضِدَّ تَزَلُّزٍ وَاضْطَرَبَ.

٢- ثَبَّهَ تَبِيئَةً: فَتَلَ مَا يَوْجِبُ ثَبَاتَهُ وَاسْتِقْرَارَهُ،
وَيَدْفَعُ عَنْهُ أَسْبَابَ الْوَهْنِ وَالتَّرَهُّنِ.

٣- أَثَبَّتَ اللهُ الشَّيْءَ: أَبْقَاهُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا.

٤- وَأَثَبْتُهُ: حَبَسَهُ أَوْ قَبَدَهُ. (١: ١٦٦)

وعظمته واختياره التام، وعلى هذا لم تحتج إلى ذكر
المفعول.

ولا يخفى ما فيها بين: التثبت والتثبت، من الاشتقاق
الأكبر، راجع «التثبت».

(٢: ٣)

النصوص التفسيرية

ثابت

أَمْ تَرَكَيْتَ ضَرْبَ اللَّهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ... لإبراهيم: ٢٤
الواحد: (ثابت) في القرى.

(٣: ٣٠)

الْمُخْشَرِي: يعني في الأرض ضارب بهرقه فيها
قرأ أنس بن مالك (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا). فإن

قلت: أي فرق بين القراءتين؟

قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى، لأن في قراءة أنس
أُجْرِيت الصَّغَةُ على «الشجرة»، وإذا قلت: مرتت برجل
أبوه قائم، فهو أقوى معنى من قولك: مرتت برجل قائم
أبوه، لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل. (٢: ٣٧٦)
نحوه أبو حنيفة (٥: ٤٢٢)، وأبو الشؤد (٣: ٤٨٣).

الْقُفْرَانِزَانِي: أي راسخ باقي آمن الانقلاص
والانقطاع والزوال والفاء، وذلك لأن الشيء الطيب إذا
كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان
يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يحظم الحزن بسبب
الخوف من زواله وانقضائه. أمّا إذا علم من حاله أنه باقي
دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه يحظم الفرح بوجوده،
ويكفل السرور بسبب الفوز به.

(١٩: ١١٧)

٢- الصَّحِيفَةُ تُثَبَّتُ فيها الأدلة.

٣- رجل ثَبَّتَ في اللغة وغيرها: من أعلامها.

ومن معاني الثبوت:

١- الشجاع الثابت القلب.

٢- العاقل الثابت الرأي.

٣- فلان ثَبَّتَ الخصومة: لا يزال لسانه عند الخصومة.

٤- الثبَّتَ من الخيل: الظافر المدرك في عدوه.

(١٠٤)

محمود شيت: أ- ثَبَّتَ في موضعه: صمد، يقال:

ثَبَّتَ الجيش في مواضعه.

ب- الثبات: الصمود.

ج- أَثَبَّتَ التهمة: حققها، وأقام الحجة على

مرتكبها.

د- أثبت: إيمار عسكري، يُعطى للاتباء قبل إعطاء

الإيعازات التالية.

(١: ١١٩)

المُضْطَفَّوِي: ظهر أن الأصل الواحد في هذه

المادة: هو الاستقرار واستدامة ما كان، وهو في مقابل

الزوال. وهذا المعنى إما في الموضوع، أو في الحكم، أو في

القول، أو في الرأي، أو غيرها، فيقال: حكمة ثابت، أو

قوله ثابت، أو رأيه ثابت، وهو ثابت.

وقد ذكر في كلامه تعالى في مقابل: الهو والخروج

والقتل والزلة. [ثم ذكر الآيات إلى أن قال:]

والتحير به التعميل: إذا كان النظر إلى جهة الوقوع،

أي النسبة إلى المفعول به، وبه الإفعال: إذا كان النظر إلى

جهة الصدور - كما في آية «يَتَخَوُّهُ اللَّهُ تَائِبًا وَمُجْتَبِيًا»

الرعد: ٣٩، فالنظر إلى جهة صفة الفاعل وقدرته

نحوه التيسابوري. (١٢: ١٢٤)

الآلوسي: «أصلها ثابت» أي ضارب بعروقه في الأرض.

وقرأ أنس بن مالك (كشجرة طيبة ثابت أصلها) وقراءة الجماعة على الأصل، وذكروا أنها أقوى معنى.

قال ابن جني: لأنك إذا قلت: (ثابت أصلها) فقد أجريت الصفة على (شجرة) وليس الثبات لها إنما هو للأصل، والصفة إذا كانت في المعنى لما هو من سبب الموصوف قد تجرى عليه، لكنها أخص بما هي له لفظاً ومعنى، فالأحسن تقديم الأصل عناية به. ومن ثم قالوا: زيد خبرته، فقدّموا المفعول عناية به؛ حيث إن الفرض ليس ذكر الفاعل وإنما هو ذكر المفعول، ثم لم يقتضوا بذلك حيث أزالوه عن لفظ الفضلة وجعلوه رب الجملة لفظاً، فرفضوه بالابتداء، وصار «ضربته» ذيلًا له وفضلة ملحقة به. وكذلك قولك: مررت برجل أبوه قائم، أقوى معنى من قولك: مررت برجل قائم أبوه، لأن الخبر عنه بالقيام إنما هو الأب لا الرجل، مع ما في التقديم هنا من حسن التقابل والتقسيم، إلا أن لقراءة أنس وجهًا حسنًا، وهو أن (ثابت أصلها) صفة «الشجرة» وأصل الصفة أن تكون اسمًا مفردًا، لأن الجملة إذا وقعت صفة حُكم على موضعها بإعراب المفرد، وذلك لم يبلغ مبلغ الجملة، بخلاف (أصلها ثابت) فإنه جملة قطعًا، وقال بعضهم: إنها أبلغ، ولم يذكر وجه ذلك، فزعم من زعم أنه ما أشير إليه من وجه الحسن وهو بمزمل عن الصواب.

وقال ابن تيمية: هو أنه كوصف الشيء مرتين: مرة صورة ومرة معنى، مع ما فيه من الإجمال والتفصيل، كما

في «ألم نشرح لك صدرك» الانشراح: ١، فإنه لما قيل: (كشجرة طيبة ثابت) تبادر الذهن من جمل (ثابت) صفة للشجرة صورة، أن شيئًا من الشجرة متصف بالثبات، ثم لما قيل: (أصلها) علم صريحًا أن «الثبات» صفة أصل «الشجرة». وقيل: كونها أكثر مبالغة، لجعل الشجرة بثبات أصولها ثابتة بجميع أغصانها، فتدبر.

(١٣: ٢١٣)

الطباطبائي: أي مرتكز في الأرض، ضارب بعروقه فيها.

(١٢: ٥٠)

وفيهاموت أخرى، لاحظ «ك ل م»: كلمة طيبة.

الثابت - يُثَبِّتُ

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ... إبراهيم: ٢٧

ابن عباس: من داوم على الشهادة في الحياة الدنيا يشبّهه الله عليها في قبره، ويلقنه إياها.

(التيسابوري: ١٣: ١٢٦)

الطبري: يحقّق الله أعمالهم وإيمانهم «بالتقوّل الثابت» يقول: بالقول الحقّ، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله. (١٣: ٢١٣)

الزمخشري: الذي ثبت بالهجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكّن فيه، فاعتقده واطمأنّت إليه نفسه.

(٢: ٣٧٧)

نحوه التيسابوري (١٣: ١٢٦)، وأبوحيان (٥: ٤٢٢)، وأبو السعود (٣: ١٢٥)، والكاشاني (٣: ٨٦)، والقاسمي (١٠: ٣٧٢٨).

السَّدِّي: الإتيان هو الحبس والوثاق. (٢٨١)
أبان بن تغلب: ليخنوك بالمرحاضات، والضرب
الشديد.

مثله أبو حاتم. (الطُّرَيْ ٧: ٣٩٧)
الفَرَّاء: ليحبسوك في البيت. (١: ٤٠٩)
ابن قَتَيْبَة: أي يحبسوك، ومنه يقال: فلان مُثَبَّتٌ
وجُتًا، إذا لم يقدر على الحركة. وكانوا أرادوا أن يحبسوه
في بيت ويسدوا عليه بابه، ويجعلوا له خرقًا يدخل عليه
منه طعامه وشرايه... (١٧٩)

الطُّبْرِي: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله
(لِيُثَبِّتُوكَ) فقال بعضهم: معناه ليقيدوك.

وقال آخرون: بل معناه الحبس.
وقال آخرون: بل معناه ليسحروك. (٩: ٢٢٦)
الماوُزِي: [ذكر قول ابن عباس وعطاء ثم قال:]
والثالث: معنى يُثَبِّتُوكَ، أي يُخْرِجُوكَ، كما يقال:

أُثَبِّتَ في الحرب، إذا أخرجته، قاله بعض المتأخرين.
(٢: ٣١٢)

الواحدِي: أي لِيُوثِقُوكَ ويشدوك، وكل من شُدَّ
فقد أُثَبِّتَ، لأنه لا يقدر على الحركة في الآهات والجيء.
(٢: ٤٥٤)

البَقَوِي: ليحبسوك ويسجنوك ويؤتقوك. (٢: ٢٨٨)
نحوه الخازن. (٣: ٢٢)

الزَّمَخْشَرِي: ليسجنوك أو يُؤتقوك أو يشخنوك
بالضرب والجرح، من قولهم: ضربه حتى أُثَبِّتَوه
لاحركا به ولابراح، وفلان مُثَبِّتٌ وجُتًا.

وقسرى (لِيُثَبِّتُوكَ) بالشدديد. وقرأ التنخمي

البزوصوي: هو كلمة التوحيد، لأنها راسخة في
قلب المؤمن. (٤: ٤١٥)
وهناك مجوز أخرى راجع «ق ول» بالقول الثابت.

ثُبُوتُهَا
وَلَا تَسْجُدُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرُلْ قَدَمٌ بَعْدَ
ثُبُوتِهَا...
راجع «زل ل»
التحل: ٩٤

يُثَبِّتُ
يَخُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. الزَّعَد: ٣٩
لاحظ «أُمُّ» (أُمُّ الْكِتَابِ) و«م ح و».

لِيُثَبِّتُوكَ
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثَبِّتُوكَ أَوْ يَسْخَبُوا
يُخْرِجُوكَ...
ابن عباس: ليؤتقوك. مثله مجاهد.
الأنفال: ٣٠

(الطُّبْرِي ٩: ٢٢٦)
ليثبتوك في الوثاق. (الماوُزِي ٢: ٣١٢)
ليقتدوك. (الزَّمَخْشَرِي ٢: ١٥٥)
عطاء: يسجنوك. (الطُّبْرِي ٩: ٢٢٦)
نحوه ابن زيد (الطُّبْرِي ٩: ٢٢٦)، وابن عطية (٢: ٥١٩).

ليثبتوك في الحبس. (الماوُزِي ٢: ٣١٢)
قَتَادَة: ليشدوك وثاقًا. (الطُّبْرِي ٩: ٢٢٦)

سوى فعله، فلا بد من أن نعمل الآية على أنه تعالى يثبت بالأطراف والمونة والتأييد والمصمة، فلا تدل الآية على ما قاله القوم. ولو كان تعالى يثبته ﷺ بأن خلق فيه الفعل ونهاه، لم يكن لقوله: ﴿لَقَدْ كَذَبْتَ تَوَكَّنْ إِنْهُمْ فَيُثَبِّتُ قَلِيلًا﴾ معنى، لأنه كان يجب أن يكون ممنوعاً من هذا الزكون، فإنما يصح على ما قلناه.

(مشابه القرآن ٢: ٤٦٧)

الواحدى: على الحق بمصناتك. (٣: ١٢٠)
نحو البروسوي (٥: ١٨٩)، والأكوسي (١٥: ١٢٨).
ابن عطية: وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كُتِبَتْكَ﴾ تعديد نعمه على النبي ﷺ، وروي أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: «اللهم لا تكلفني إلى نفسي طرفه عين».

(٣: ٤٧٥)

الطبرسي: أي ثبتنا قلبك على الحق والزهد بالثبوت والمصمة والمعجزات، وقيل: بالأطراف الخفية.

(٣: ٤٣١)

الفخر الرازي: [مثل الواحدى ثم قال:]

احتج الطاعنون في عصمة الأنبياء ﷺ بهذه الآية، فقالوا: هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنهم من وجوه الأول: أن الآية دلت على أنه ﷺ لا قرب من أن يفترى على الله، والفرية على الله من أعظم الذنوب. والثاني: أنها تدل على أنه لولا أن الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من أن يركن إلى دينهم، ويميل إلى مذهبهم.

والثالث: أنه لولا سبق جرم وجناية وإلا فلا حاجة إلى ذكر هذا الوعيد الشديد.

(يُسَبِّحُكَ) من البيات. (٢: ١٥٥)

البروسوي: (يُسَبِّحُكَ) بالوفاق والمحبس، فإن إثبات الشيء وبنيته عبارة عن الإزام بموضع، ومن شد فقد أثبت، لأنه لا يقدر على الحركة. (٣: ٣٣٩)
نحو القاسمي. (٨: ٢٩٨٣)

رشيد رضا: فأما الإثبات فالمراد به الشد بالوفاق والإرهاق بالقيد، والمحبس المانع من لقاء الناس، ودعوتهم إلى الإسلام. (٩: ٦٥٠)

عبد الكريم الخطيب: أي يفسدوا عليه أمره، ويمجزوه عن القيام بدعوته. (٥: ٥٩٧)
لاحظ «م ك ر» (يَكْزُرُ).

يُثَبِّتُكَ

وَلَوْلَا أَنْ كُتِبَتْكَ لَقَدْ كَذَبْتَ تَوَكَّنْ إِنْهُمْ فَيُثَبِّتُ قَلِيلًا.

الإسراء: ٧٤

عبد الجبار: مسألة: قالوا: ثم ذكر تعالى بعده ما يدل على أنه يثبت المطيع على الطاعة، ولو لم يكن من فعله لما صح ذلك، فقال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كُتِبَتْكَ لَقَدْ كَذَبْتَ تَوَكَّنْ إِنْهُمْ فَيُثَبِّتُ قَلِيلًا﴾.

والجواب عن ذلك: أن الثبوت على الشيء ليس هو الشيء بنفسه، لأن الفعل قد يحصل ولا يثبت الفاعل عليه، وقد يحصل ويثبت عليه، فلا يدل ظاهره على أنه تعالى إذا ثبته فقد فعل فيه الإيمان. وعلى هذه الطريقة تجري هذه اللفظة، لأنه يقال: فلان قد ثبت على هذا الأمر، وقد ثبت على الفعل، ويراد بذلك غير الفعل، لكننا قد علمنا أن الفاعل لا يجوز أن يثبت على فعله لعله

الصَّارِفَة له عن ذلك، وهي ماخطر بباله من ذكر وعده ووعيده، ومن ذكر أن كونه نبياً من عند الله تعالى يمنع من ذلك.

والجواب: لاشك أن هذا التثبيت عبارة عن فعل فعله الله بمنع الرسول من الوقوع في ذلك العمل المهدور، فنقول: لو لم يوجد مقتضي للإقدام على ذلك العمل المهدور في حق الرسول ﷺ، لما كان إلى إيجاد هذا المانع حاجة؛ وحيث وقعت الحاجة إلى تحصيل هذا المانع علمنا أن المقتضي قد حصل في حق الرسول ﷺ، وأن هذا المانع الذي فعله الله تعالى منع ذلك المقتضي من العمل، وهذا لا يتم إلا إذا قلنا: إن القدرة مع الداعي توجب الفعل، فإذا حصلت داعية أخرى معارضة للداعية الأولى اختل المؤثر فامتنع الفعل، ونحن لا نريد إلا إثبات هذا المعنى، والله أعلم. (٢١: ٢١)

التيسابوري: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَجْتَنَّاكَ﴾ بالقول الثابت، وهو قول: «لا إله إلا الله» إلى أن بلغت حقيقة «لا إله إلا الله». (١٥: ٨)

محمد جواد مغنّيه: (وَلَوْلَا) حرف امتناع تدخل على جملتين، وتربط امتناع الجملة الثانية بوجود الأولى، والجملة الممتنعة هي ﴿تَقْدُ كُذِّتْ﴾، والجملة المانعة هي (تَجْتَنَّاكَ) أي عصمتك. وعليه يكون المعنى أنك يا محمد لولا عنايتنا بك بالصمة عن الذنب لأوشكت أن تترك إلى المشركين، وتستجيب لهم، فالصمة هي التي منعتك عن الاستجابة، وهذا تماماً كقول القائل: لولا فلان هلكك. (٥: ٧١)

الطباطبائي: التثبيت - كما يفيد السياق - هو

والجواب عن الأول: أن «كاد» معناه المقاربة، فكان معنى الآية أنه قرب وقوعه في الفتنة، وهذا القدر لا يدل على الوقوع في تلك الفتنة، فإنما إذا قلنا: كاد الأمير أن يضرب فلاناً، لا يمتنع منه أنه ضربه.

والجواب عن الثاني: أن كلمة (وَلَوْلَا) تغيد انقضاء الشيء لثبوت غيره، نقول: «لولا علي هلك عمر» معناه أن وجود علي منع من حصول الهلاك لعمر، فكذلك ما هنا قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَجْتَنَّاكَ تَقْدُ كُذِّتْ تَزَكُّنَ إِلَيْهِمْ﴾ معناه أنه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد ﷺ، فكان حصول ذلك التثبيت مانعاً من حصول ذلك الزكون.

والجواب عن الثالث: أن ذلك التهديد على المعصية لا يدل على الإقدام عليها، والدليل عليه آيات، منها قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِ لَآخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ الحاقة: ٤٤ - ٤٦، ومنها قوله: ﴿لَنْ أَمْرُكَتَ لَيْخِطُنَّ عَمَلَكُ﴾ الزمر: ٦٥، ومنها قوله: ﴿وَلَا نَطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الأحزاب: ٤٨، والله أعلم.

احتج أصحابنا على صحة قولهم: بأنه لا عصمة عن المعاصي إلا بتوفيق الله تعالى، بقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَجْتَنَّاكَ تَقْدُ كُذِّتْ تَزَكُّنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَبِيلاً﴾ قالوا: إنه تعالى بين أنه لولا تثبيت الله تعالى له لمال إلى طريقة الكفار، ولأنك أن محمد ﷺ كان أقوى من غيره في قوة الدين وصفاء اليقين، فلما بين الله تعالى أن بقاء معصوماً عن الكفر والضلال لم يحصل إلا بإعانة الله تعالى وإغاثته، كان حصول هذا المعنى في حق غيره أولى.

قالت المعتزلة: المراد بهذا التثبيت: الألطاف

العصمة الإلهية، وجعل جواب (لَوْلَا) قوله: ﴿لَقَدْ كَذَبْتَ تَزَكَّى﴾ دون نفس الزكون، والزكون هو الميل أو أدنى الميل كما قيل، دليل على أنه ﷺ لم يركن ولم يكد، ويؤكدُه إضافة «الزكون» إليهم دون إيجابتهم إلى مأسألو.

والمنى: ولولا أن ثبتناك بحصتنا دنوت من أن تميل إليهم قليلاً، لكننا ثبتناك فلم تدن من أدنى الميل إليهم. فضلاً من أن نجيبهم إلى مأسألو، فهو ﷺ لم يجهجهم إلى مأسألو، ولا مال إليهم شيئاً قليلاً، ولا كاد أن يميل.

(١٣: ١٧٣)

مكارم الشيرازي: ومفهوم التشييت الإلهي والذي نمتبه، بأنه العصمة، أنه منع رسول الله ﷺ من التوجه إلى مزالق عبدة الأصنام، ولا يعني ظاهر الآية - في حال - أنه ﷺ مال إلى المشركين، ثم نهي عن ذلك بوحى من الله تعالى.

الآية الأولى والثانية [من سورة الإسراء: ٧٣، ٧٤] ﴿وَلَنْ نَّكَادُوا أَنْ يُفَيِّتُونَا... وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كَذَبْتَ...﴾ هما في الحقيقة إشارة إلى حالتين مختلفتين للرسول ﷺ، الحالة الأولى هي الحالة البشرية والإنسانية والتي انكشفت بشكل واضح في الآية الأولى، وبمقتضى هذه الحالة يمكن تأثير وسواس الأعداء في الرسول ﷺ، خاصة إذا كانت نعمة مرجحات في إظهار الليونة والتوجه إليهم، من مثل رغبته ﷺ في أن يسلم زعماء الشرك بعد إظهار الليونة، أو أن يمنع بذلك سفك الدماء. والآية تكشف عن احتمال وقوع الإنسان العادي - ومهما كان قوياً - تحت تأثير

الأعداء.

أما الآية الثانية فهي ذات طبيعة معنوية؛ إذ هي تبين العصمة الإلهية ولطفه الخاص سبحانه وتعالى الذي يشمل به الأنبياء، خصوصاً نبي الإسلام ﷺ حينما يمر بمحطات ومزالق دقيقة.

والنتيجة أن الرسول ﷺ بالطبع البشري قد وصل إلى حافة القبول ببعض وسواس الأعداء، إلا أن التأيد الإلهي «العصمة» بثته وحفظه وأنقذه من الإنزلاق.

وهذا التعبير نفسه نقرأ في سورة يوسف: حيث جاء البرهان الإلهي في أدنى اللحظات وأخطرها، في مقابل الإغواء الخطير وغير الاعتيادي لامرأة العزيز، حيث قوله تعالى في الآية (٢٤) من سورة يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

وفي اعتقادنا أن الآيات أعلاه ليست لاتصلح أن تكون دليلاً على نبي العصمة وحسب، بل هي واحدة من الآيات التي تدل على العصمة، لأن التشييت الإلهي هذا، والذي هو كناية عن العصمة أو التشييت الفكري والعاطفي والسلوكي لا ينعص فقط هذه الحالة، وهذا الموقف، بل هو يشمل الحالات المشابهة الأخرى، وعلى هذا الأساس تعتبر الآية شاهداً على عصمة الأنبياء والقادة الإلهيين.

أما الآية الثالثة التي نبعثها والتي تقول: ﴿إِذَا لَاقَيْنَاكَ ضِغْفَ الْحَيَوةِ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَبِيرًا﴾ الإسراء: ٧٥، فهي دليل على صحة

عليهم، فيُبتون لعدوهم. (١: ٢٤٢)

الطَّبْرِي: إن ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر، ليطهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنين على غير ماء، فلما أنزل الله عليهم الماء، اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان وسوس لهم بما حزنهم به، من إصباحهم مجنين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر، فذلك ربطه على قلوبهم وتقوته أسبابهم وبشبهه بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة هتاء، فليدها المطر، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لاتسوخ فيها، توطئة من الله عز وجل لنبيه ﷺ وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم. (٩: ١٩٤)

[وقال بعد نقل قول أبي عبيدة:]

وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحسب قول خطأ أن يكون خلافاً لقول من ذكرنا. وقد بينا أقوالهم فيه، وأن معناه: وبشبه أقدام المؤمنين بتليد المطر الرمل، حتى لاتسوخ فيه أقدامهم وحواضر دولتهم. (٩: ١٩٧)

الزجاج: أي يبت بالماء الذي أنزله على الرمل حتى استوى، وجائز أن يكون زين به للربط على قلوبهم، فيكون المعنى «وَلْيَرْبِطْ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَجِّتْ» بالربط الأقدام. (٢: ٤٠٤)

الواحدي: وذلك أن المسلمين كانوا قد نزلوا على كتيب تقوس فيه أرجلهم، فليده المطر حتى تثبت عليه الأقدام. (٢: ٤٤٧)

البغوي: حتى لاتسوخ في الرمل بتليد الأرض.

البحوث الخاصة بعصمة الأنبياء، حيث إن العصمة ليست حالة جبرية يلزم فيها التهي بلاإرادة منه أو وعي، وإنما هي توأم مع نوع من الوعي الذاتي، والتي تنفذ مع الحرمة، لذا فإن ارتكاب ذنب في مثل هذه الحالات ليس محالاً عقلاً، ولكن بسبب هذا الإيمان والوعي الخاص سوف لا يكون لهذا الذنب وجود خارجي، وإذا أصبح له على سبيل الفرض وجود خارجي، فإنه سيخضع لنفس عقوبات الجزاء الإلهي. (٩: ٦٩)

فضل الله: تحدثت [الآية] عن تثبيت الله للنبي، الذي لولاه لتأثر بتلك الأساليب. ومن الطبيعي أن التثبيت لم يكن حالة طارئة، كما توحى به الروايات التي تضمنت نزول الآية للتخدير من هذه الحالة، مع أن الظاهر هو أنها جاءت إخباراً عن حالة سابقة بل كان التثبيت ناشئاً من قوة الإيمان في شخصه التي أودعها الله فيه من خلال لطفه ورعايته له. (١٤: ١٩٤)

يُسَبِّتْ

...وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ. (الأنفال: ١١)

ابن عباس: ذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبث الله عليها المطر، فضرها حتى اشتدت، وثبتت عليها الأقدام. (الطبري: ٩: ١٩٥)

السدي: حتى تشتدون على الرمل، وهو كهية الأرض. (الطبري: ٩: ١٩٧)

أبو هبيرة: مجاز: يمرغ عليهم الصبر، ويُنزله

وقيل: يُشَبِّتُ به الأقدام بالصبر وقوة القلب للقتال.

(٢: ٢٧٤)

نحوه البرُسوي.

(٣: ٣٢٠)

ابن عطية: أي في الرملة الدهسة التي كان المشي فيها صعباً.

(٢: ٥٠٦)

الفَخْر الرَازِي: ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: أَنَّ ذلك المطر لَبَدَ ذلك الرَّمْلَ وصيرَه بحيث

لا تتوص أرجلهم فيه، فقدروا على المشي عليه كيف

أرادوا، ولولا هذا المطر لما قدروا عليه، وعلى هذا

التقدير فالضمير في قوله: (يَه) عائد إلى «المطر».

وثانيها: أَنَّ المراد أَنَّ ربط قلوبهم أوجب ثبات

أقدامهم، لأن من كان قلبه ضعيفاً فرَّ ولم يقف، فملأ

قوى الله تعالى قلوبهم لاجرم ثبَّت أقدامهم، وعلى هذا

التقدير فالضمير في قوله: (يَه) عائد إلى «الربط».

ثالثها: روي أَنَّهُ لما نزل المطر حصل للكافرين ضدٌّ

ما حصل للمؤمنين، وذلك لأنَّ الموضع الَّذي نزل الكفار

فيه كان موضع التَّراب والوحل، فلما نزل المطر عظم

الوحل، فصار ذلك مانعاً لهم من المشي كيفما أرادوا،

فقوله: ﴿وَيُضَيِّقُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ يدلُّ دلالة المفهوم على

أَنَّ حال الأعداء كانت بخلاف ذلك. (١٥: ١٣٤)

نحوه النيسابوري.

(٩: ١٣٦)

الْقُرْطُبِيُّ: الضمير في (يَه) عائد على الماء الَّذي شدَّ

دهس الوادي، وقيل: هو عائد على ربط القلوب،

فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن التصعير والمعونة في

موطن الحرب.

(٧: ٣٧٧)

نحوه أبو الشؤد (٣: ٨٣)، والاكوسي (٩: ١٧٦).

أَبُو حَيَّان: والظاهر أَنَّ تثبيت الأقدام هو حقيقة،

لأنَّ المكان الَّذي وقع فيه اللقاء كان رملًا تتوص فيه

الأرجل، فلبَّده المطر حتَّى ثَبَّتَ عليه الأقدام، والضمير

في (يَه) عائد على المطر.

وقيل: التثبيت للأقدام معنوي، والمراد به كونه

لا يفرَّ وقت القتال، والضمير في (يَه) عائد على المصدر

الدَّالَّ عليه (وَلِتَرِبَ).

محمد جواد مغنِّيّه: قال أكثر المفسرين: إِنَّ

ضمير (يَه) يعود إلى الماء، وأنَّ المراد بـ(الأقدام):

الأرجل: وذلك أَنَّ المسلمين كانوا في رملة لا تحسَّب فيها

قدم، فلما نزل المطر تلبَّدت الرملة وتماسكت، وثبتت

عليها أقدام المسلمين.

هذا ما جاء في أكثر التفاسير، أمَّا نحن فنختار أَنَّ

الضمير (يَه) يعود إلى مصدر متصِّد من ليربط قلوبكم

وَأَنَّ المراد بتثبيت الأقدام: الثبات في ميدان القتال وعدم

الفرار منه، والمعنى أَنَّ الله يُبَيِّنُكم في القتال بما منحكم من

ربط القلوب واطمئنانها. (٣: ٤٥٨)

الطَّبَّاطِبَائِي: هو كناية عن التشجيع، وليست

بالمطر أقدامكم في الحرب بتلبُّد الرَّمْلِ أو ثبات القلوب.

(٩: ٢٢)

مكارم الشَّيرَازِي: ... ويمكن أَن يكون المراد من

تثبيت الأقدام: هو رفع المعنويات، وزيادة الثبات

والاستقامة ببركة تلك التَّعْمَةِ، أو إشارة إلى هذين

الأمرين. (٥: ٣٤٦)

٢- يُضَيِّقُ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا بِأَقْوَالِ النَّبِيِّ ...

راجع «الثابت».

٣- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالنَّحْوِ لِيُكَتِّبَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ. النحل: ١٠٢
الطَّبْرِي: قل: نَزَلَ هذا القرآن ناسخه ومنسوخه
روح القدس عليّ من ربي، تبييناً للمؤمنين، وتقوية
لإيمانهم، ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيماناً
لإيمانهم... (١٤: ١٧٧)
الزَّمَخْشَرِي: ليلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه:
هو الحقّ من ربنا والحكمة، حكم لهم بنبات القدم وصحة
اليقين وطمأنينة القلوب، على أَنَّ الله حكيم، فلا يفعل
إلاّ ما هو حكمة وصواب. (٢: ٤٢٩)

نحوه الفخر الرازي (٢٠: ١١٦)، والتسني (٢: ٣٠٠).
الطَّبْرِي: بما فيه من المعجج والآيات، فيزدادوا
تصديقاً و يقيناً. ومعنى تبيينه: استدعاؤه لهم بالطاعة،
وموعته إلى الثبات على الإيمان والطاعة. (٣: ٣٨٦)
البيضاوي: ليثبت الله الذين آمنوا على الإيمان
بأنّه كلامه، وأنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من
رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنّت
قلوبهم. (١: ٥٧٠)

نحوه أبو السعود (٤: ٩٣)، والبروسوي (٥: ٨٢).
النيسابوري: فيقول: كلّ من الناسخ والمنسوخ
من عند ربنا، وكلّ منها في وقته خير وصلاح، لأنّ
الذي نَزَّلَهُ حكيم لا يفعل إلاّ ما هو خير في أوانه،
وصواب بالنسبة إلى المكلف حين ما يكلف به. (١٤: ١٢١)

أبو حيان: (وَلِيُثَبِّتَ) معناه أنهم لا يضطربون في

شيء منه لكونه نسخ، بل النسخ مثبت لهم على إيمانهم،
لعلهم أنّه جميعه من عند الله، لصحة إيمانهم واطمئنان
قلوبهم يعلمون أنّه حكيم، وأنّ أفعاله كلّها صادرة عن
حكمة، فهي صواب كلّها. (٥: ٥٣٦)

الطَّبْاطِبَائِي: التثبيت: تحكيم الثبات، وتأكيد
بإلقاء الثبات بعد الثبات عليهم، كأنهم بأصل إيمانهم بالله
ورسوله واليوم الآخر ثبتوا على الحقّ، ويتجدّد الحكم
حسب تجديد المصلحة يؤتون ثباتاً على ثبات، من غير أن
يضعف ثباتهم الأوّل بالمضيّ على أحوال لأتطبيق مصلحة
الوقت.

فإنّ من الواضح أنّ من أمر بسلوك سبيل لمصلحة
غاية، فأخذ بسلوكه عن إيمان بالآمر الهادي، فقطع
قطعة منه على حسب ما يأمره به رعاية لمصلحة الغاية،
بسرعة أو ببطء أو في ليل أو نهار، ثمّ تغيّر نحو المصلحة،
فلو لم يغيّر الأمر الهادي نحو السلوك واستمرّ على أمره
السابق لضعف إيمان السالك وانسلب أركانه، لكن لو أمر
بنحو جديد من السلوك يوافق المصلحة ويضمن
السعادة، زاد إيمانه ثباتاً على ثبات.

ففي تنزيل القرآن بالنسخ وتجديد الحكم حسب
تجدّد المصلحة تبييت للذين آمنوا وإعطاء لهم ثباتاً على
ثبات. (١٢: ٣٤٦)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُخْرِجْ أَقْدَانَكُمْ. محمد: ٧

الطَّبْرِي: ويقومك عليهم ويخبركم، حتى لا تولوا
عنهم وإن كثر عددهم وقلّ عددهم. (٢٦: ٤٥)

والضَّراب، وفيه المشقة العظيمة فقال تعالى: لكم الثَّبات ولهم الزَّوال والتَّغْيَرُ والمُحَالِك فلا يكون الثَّبات.

وسببه ظاهر، لأنَّ أَلَهْتُمْ جمادات لاقدرة لها ولاثبات عند من له قدرة، فهي غير صالحة لدفع ماقدَّره الله تعالى عليهم من الدَّمار، وعند هذا لا بدَّ عن زوال القدم والمُتَار.

وقال في حقِّ المؤمنين: (وَيُثَبِّتُ) بصيغة الوعد، لأنَّ الله تعالى لا يجب عليه شيء، وقال في حقِّهم بصيغة الدَّعاء، وهي أبلغ من صيغة الإخبار من الله، لأنَّ عثارتهم واجب، لأنَّ عدم التَّصرُّع من أَلَهْتُمْ واجب الوقوع؛ إذ لاقدرة لها، والتَّثَبُّت من الله ليس بواجب الوقوع، لأنَّه قادر مختار يفعل ما يشاء. (٢٨: ٤٩) القُرْطُبيُّ: أي عند القتال، وقيل: على الإسلام، وقيل: على الصُّراط.

وقيل: المراد تثبيت القلوب بالأمن، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن التصرُّع والمعونة في موطن الحرب. (١٦: ٢٣٢)

الْيَبْتِغَاوِيَّ: في القيام بحقوق الإسلام، والمجاهدة مع الكُفَّار. (٢: ٣٩٣)

مثله الكاشاني (٥: ٢٢)، ونحوه الشَّريفي (٤: ٢٥). الألوَسيُّ: في موطن الحرب ومواقفها أو على محبة الإسلام، والمراد يقويكم أو يوفِّقكم للدَّوام على الطَّاعة. (٢٦: ٤٣)

القاسميُّ: أي بدوام الظُّفر والتَّسْكِين في الأرض، وإرث ديار الدَّو. (١٥: ٥٣٧٨)

محمَّد جواد مغنِّيهِ: تثبيت الأقدام: كناية عن

الماوُزديَّ: يشمل وجهين: أحدهما: ويثبت أقدامكم في نصره. الثاني: عند لقاء عدوِّه.

ثمَّ فيه وجهان: أحدهما: يعني تثبيت الأقدام بالنصر، الثاني: يريد تثبيت القلوب بالأمن. (٥: ٢٩٥) الطُّوسِيُّ: ﴿وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ في حال الحرب. قيل: ﴿وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ يوم الحساب.

(٩: ٢٩٣) الفُشَيْرِيُّ: بإدامة التوفيق لئلا ينهزم من صولة أعداء الدِّين. (٥: ٤٠٥)

الزَّمْخَشَرِيُّ: في موطن الحرب أو على محبة الإسلام. (٣: ٥٣٢)

مثله أبو حنَّان (٨: ٧٦)، والبرُّوسِيَّ (٨: ٥٠١)، ونحوه الثَّيسابوري (٢٦: ٢٤).

ابن عَطِيَّة: قرأ جمهور النَّاس: (وَيُثَبِّتُ) بفتح التاء المثلثة وشدَّ الباء. وقرأ المفضل عن عاصم (وَيُثَبِّتُ) بسكون التاء وتخفيف الباء. وهذا التَّثَبُّت هو في موطن الحرب على الإسلام، وقيل: على الصُّراط في القيامة. (٥: ١١٢)

نحوه الحازن. (٦: ١٤٧)

الطُّبرِسيُّ: أي يُشَجِّعُكم ويقوِّ قلوبكم لِثَبَّتُوا. وقيل: ينصركم في الآخرة ويثبت أقدامكم عند الحساب وعلى الصُّراط.

وقيل: ينصركم في الدُّنيا والآخرة، ويثبت أقدامكم في الدَّارين، وهو الوجه. (٥: ٩٨)

القُفْرَاوَاوِيُّ: جاز أن يُتَوَهَّم أن الكافر أيضًا يصبر ويثبت للقتال، فيدوم القتال والهرب والطَّعام

الصلابة والثبات. (٦٣: ٧)

الطَّبَاطِبَانِي: عطف تثبيت الأقدام على الصخر من عطف المناص على العام، وتخصيص تثبيت الأقدام، وهو كناية عن التشجيع وتقوية القلوب لكونه من أظهر أفراد الصخر. (٢٢٩: ١٨)

نُقِيتْ

١- وَكَلَّا نَقْصَ عَلَيَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَقِيتْ بِهِ فُؤَادَكَ... هود: ١٢٠

ابن عباس: ما نشد به قلبك. (القرطبي ٩: ١١٦)

نحوه الصَّحَاك. (أبو حيان ٥: ٢٧٤)

(نُقِيتْ): نسكن. (أبو حيان ٥: ٢٧٤)

ابن جرير: لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أمهم.

(الطبري ١٢: ١٤٥)

نُصِرَ به قلبك حتى لا تجزع. (القرطبي ٩: ١١٦)

نقوي، وتثبيت الفؤاد هو بما جرى الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام ولاتباعهم المؤمنين، وما لقوا من

مكذبهم من الأذى. (أبو حيان ٥: ٢٧٤)

الطبري: فلا تجزع من تكذيب من كذبك من

قومك، ورد عليك ما جئتهم به، ولا يضيق صدرك،

فنترك بعض ما أنزلت إليك من أجل أن قالوا: ﴿لَوْ لَا

أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ هود: ١٢، إذا علمت

ما لي من قبلك من رسل من أمهم. (١٢: ١٤٥)

البغوي: لتزيدك يقيناً ونقوي قلبك، وذلك أن

النبي ﷺ إذا سمعها كان ذلك تقوية لقلبه على الصبر على

أذى قومه. (٢: ٤٧٢)

نحوه الخازن. (٣: ٢١٢)

الرَّمَحُفُورِي: ﴿وَمَا نَقِيتْ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بدل من

(كَلَّا). ويجوز أن يكون المعنى: وكل اقتصاص نقص

عليك، على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص

عليك، يعني على الأساليب المختلفة. وما (نُقِيتْ بِهِ)

مفعول (نُقِيتْ)، ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وما فيه

طمأنينة قلبه، لأن تكرار الأدلة أثبت للقلب وأرسخ

للعلم. (٢: ٢٩٩)

نحوه البَيْضَاوِي (١: ٤٨٥)، وأبو السَّوْد (٣:

٣٦٠)، والكاشاني (٢: ٤٧٨).

ابن عطية: أي تؤنسك فيما تلقاه، ونعمل لك

الأسوة في من تقدمك من الأنبياء. (٣: ٢١٦)

الرَّوَجَّاح: ومعنى تثبيت الفؤاد: تسكين القلب، وهو

ها هنا ليس للشك، ولكن كلاً كان الدلالة والبرهان

أكثر كان القلب أثبت، كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ

قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠. (٣: ٨٤)

الماوردي: أي نقوي به قلبك وتسكن إليه

نفسك، لأنهم ملؤا فصوروا، وجاهدوا فظفروا.

(٢: ٥١٢)

الطبرسي: أي ما نقوي به قلبك وخطيب به نفسك

وتزيدك به نبأاً على ما أنت عليه من الإنذار، والصبر

على أذى قومك الكفار. (٣: ٢٠٤)

نحوه القاسمي (٩: ٣٤٩٩)، والطباطبائي (١١: ٧١).

الفخر الرازي: أعلم أنه تعالى لما ذكر القصص

الكثيرة في هذه السورة، ذكر في هذه الآية نوعين من

الفائدة، الفائدة الأولى: تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة

[ثم أدام نحوه الفخر الرازي] (٤: ٢٠٣)

رشيد رضا: أي نقص منها عليك ما ثبت به
فؤادك، أي تقويه ونعمله راسخاً في ثباته كالجبل، في
القيام بأعباء الرسالة ونشر الدعوة، بما في هذه القصص
من زيادة العلم بسنن الله في الأحوام، وما قاساه رسوله
من الإيذاء، فصبروا صبر الكرام. (١٢: ١٩٥)

نحوه المرافي. (١٢: ١٠٠)

٢- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً.

الفرقان: ٣٢

ابن عباس: لطيب به نفسك ونعظف به قلبك.

(٣٠٣)

ابن جرير: لنصح به عزيمة قلبك، ويقين نفسك
ونشجعك به. (الطبري: ١٩: ١٠)

الشدي: لنشجع به قلبك، لأنه معجز يدل على
صدقك. (الماوردي: ٤: ١٤٤)

أبو عبيدة: مجازه لطيب به نفسك ونشجعك.

(٧٤: ٢)

الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: [قول الشدي وقد تقدم]

الثاني: معناه كذلك أنزلناه مفرقاً لثبته في فؤادك.

وفيه وجهان:

أحدهما: لأنه كان أنشياً ولم ينزل القرآن عليه
مكتوباً، فكان نزوله مفرقاً أثبت في فؤاده، وأعلق بقلبه.
الثاني: لثبته فؤادك باتصال الوحي ومداومة

وعلى الصبر واحتمال الأذى، وذلك لأن الإنسان إذا
ابتلى بحنة وبلية فإذا رأى له فيه مشاركاً خفف ذلك على
قلبه، كما يقال: المصيبة إذا عمت خفت، فإذا سمع
الرسول هذه القصص، وعلم أن حال جميع الأنبياء
صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا، سهل عليه تحمل
الأذى من قومه، وأمكنه الصبر عليه.

الفائدة الثانية: [راجع ح ق ٤] (١٨: ٧٩)

نحوه الشريبي (٢: ٨٦)، ومحمد جواد مثني (٤:

٢٨٠)

الفرطبي: أي على أداء الرسالة، والصبر على
ما ينالك فيها من الأذى.

وقال أهل المعاني: لطيب، والمعنى متقارب.

(٩: ١١٦)

نحوه محمد جواد مثني. (٤: ٢٨٠)

أبو حيان: [حكى أقوال ابن عباس والصحاح وابن
جرير ثم قال:]

ففي هذا كله أسوة بهم: إذ المشاركة في الأمور الصعبة
تهون ما يلقي الإنسان من الأذى، ثم الإعلام بما جرى
على مكذبيهم من العقوبات المستأصلة بأنواع من
العذاب، من غرق وريح ورجفة وخسف وغير ذلك، فيه
طمأنينة للنفس وتأسيس بأن يُصيب الله من كذب
الرسول ﷺ بالعذاب، كما جرى لمكذبي الرسل، وإنباء له
عليه الصلاة والسلام بحسن العاقبة له ولأتباعه، كما
اتفق للرسل وأتباعهم. (٥: ٢٧٤)

اليزوسي: «ثَبَّتَ بِهِ فُؤَادَكَ» مفعول (ثَبَّتْ)
أي مانشد به قلبك حتى يزيد يقينك ولطيب به نفسك.

نزول القرآن، فلاتصير بانقطاع الوحي مستوحشاً.

(٤: ١٤٤)

الواحدى: لتقوى به قلبك فيزداد بصيرة، وذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجدداً في كل أمر وحادثة كان ذلك أزيد في بصيرته وأقوى لقلبه. (٣: ٣٤٠)

نحوه الطبرسي (٤: ١٦٩)، وابن الجوزي (٦: ٨٨) البغوي: يعني أنزلناه متفرقاً ليقوى به قلبك، فعيه وتحفظه... (٣: ٤٤٥)

نحوه القرطبي (١٣: ٢٨)، وطه الدرة (١٠: ١٩). الزمخشري: أي كذلك أنزل متفرقاً، والحكمة فيه أن تقوى بغيره فؤادك حتى تعيه وتحفظه، لأن المطلق إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء، وجزء عقيب جزء. (٣: ٩١)

نحوه الكاشاني. (٤: ١٢) القاسمي: أي تقويه به على القيام بأعباء الرسالة، والنهوض لنشر الحق بين قادة الجاهلية، فإن ما يتواتر إنزاله لذلك، أبعث للهمة وأثبت للزمية وأنهى للدعوة، من نزوله مرة واحدة. (١٢: ٤٥٧٦)

الطباطبائي: الثبات: ضد الزوال، والإيجاب والتثبيت بمعنى واحد، والفرق بينها بالدفة والتدرج. [إلى أن قال:]

ف قوله: ﴿كَذَلِكَ يُنْفِثُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ بيان تام لسبب تنزيل القرآن نجوماً متفرقة. (١٥: ٢٦٠)

وفها بحوث لاحظ «ج م ل» (مجلة واحدة).

ثَبَّتْ

١...وَبُنَا أَمْرًا غَلِيظًا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. البقرة: ٢٥٠

الطبري: قَوَّ قُلُوبَنَا عَلَى جِهَادِهِمْ، لَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا فَلَانَهَزَمَ عَنْهُمْ. (٢: ٦٢٥)

نحوه الواحدي (١: ٣٦٦)، وابن الجوزي (١: ٢٩٩). الطوسي: تثبيت الأقدام يكون بشيئين: أحدهما:

بستوية قلوبهم، والثانية: بإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم، حتى يظهر منهم الخوف في قتالهم. وقيل: باختلاف كلمتهم حتى يقع التخاذل منهم. (٢: ٢٩٨)

الزمخشري: وهَبْ لَنَا مَا تَبَّتْ بِهِ فِي مَدَاحِضِ الْحَرْبِ مِنْ قُوَّةِ الْقُلُوبِ وَإِلْقَاءِ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الصُّدُورِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ. (١: ٣٨١)

الطبرسي: أي وَقَفْنَا لِلثَّبُوتِ عَلَى الْأَمْرِ. (١: ٣٥٦) أبو السعود: في مَدَاحِضِ الْقِتَالِ وَمِزَالِ التَّرَالِ، وَثَبَاتِ الْقَدَمِ عِبَارَةٌ عَنْ كِبَالِ الْقُوَّةِ وَالرَّسُوخِ عِنْدَ الْمَقَارَعَةِ وَعَدَمِ التَّرَلُّزِ وَقَتِ الْمَقَاوِمَةِ لِاجْتِمَادِ الثَّبَاتِ فِي حَيْزٍ وَاحِدٍ. (١: ٢٩٠)

مثله البروسوي (١: ٣٩٠)، والوسوي (٢: ١٧٢) الطباطبائي: تثبيت الأقدام: كناية عن الثبات وعدم الفرار. (٢: ٢٩٣)

٢...وَبُنَا أَمْرًا غَلِيظًا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

آل عمران: ١٤٧ الطبري: اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقاتلهم، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيهم فيزول قدمه في مكان واحد لحربهم. (٤: ١٢١)

الطبرسي: في جهاد عدوك بتقوية القلوب وفضل

إليه حتى لا تُرحزننا عنه الفتن، وفي موقف القتال حتى
لا يبرونا القتل. (١٧٢: ٤)
نحوه المِراغِي. (٩٣: ٤)

ثَبَّتُوا

إِذْ يُوجَى رَبُّكَ إِلَى النَّهْيِكَ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا
الَّذِينَ آمَنُوا...
الحسن: بقتالكم معهم يوم بدر.

(المؤذني ٢: ٣٠١)
مُقاتِل : يعني يَشْرُوهم بالنصر، وكان الملك يسير
أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله
ناصركم. (الطبرسي ٢: ٥٢٦)
ابن إسحاق: أي فَأَزْرُوا الَّذِينَ آمَنُوا.

(الطبري ٩: ١٩٧)
الطَّبْرِي: قَوَّوا عزمهم، وصَحَّحُوا نتائجهم في قتال
عدوهم من المشركين.

وقد قيل: إِنَّ ثَبَّتِ الملائكة المؤمنين، كان
حضورهم حريهم معهم.

وقيل: كان ذلك معونتهم إِيَّاهم بقتال أعدائهم.
وقيل: كان ذلك بأنَّ الملك يأتي الرجل من أصحاب
النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم - يعني المشركين -
يقولون: والله لئن حملوا علينا لَنُكْشِفَنَّ، فيحدث
المسلمون بعضهم بعضاً بذلك، فتقوى أنفسهم، قالوا:
وذلك كان وحي الله إلى ملائكته. (٩: ١٩٧)

الرَّجَاج: جائز أن يكون أَنَّهُمْ يَتَّبِعُوهم بأشياء
يلقونها في قلوبهم تَقْوَى بها، وجائز أن يكونوا يرونهم

الأخطاف التي معها ثَبَّتِ الأقدام، فلا تزول للاهتزاز.
وقيل: معناه ثَبَّتْنَا على الَّذِينَ فَتَبَّتْ بِهِ أقدامنا.

(١١: ٥١٧)
الفَخْرُ الرَّازِي: يدلّ على أن فعل العبد خلق الله
تعالى، والمتمثلة يحملونه على فعل الأخطاف. (٩: ٢٧)
الْقَرْطُبِيُّ: دعوا في الثبات حتى لا ينهزموا،
وبالنصر على أعدائهم. وخصوصاً الأقدام بالثبات دون
غيرها من الجوارح، لأن الاعتماد عليها. (٤: ٢٣١)
النَّيسَابُورِيُّ: والمراد بتهيئة الأقدام: إزالة
الخوف عن قلوبهم وإساطة الخواطر الفاسدة عن
صدورهم. (٤: ٨٥)

أَبُو حَتَّانٍ: والأقدام هنا قيل حقيقة: دعوا بتهيئة
الأقدام في مواطن الحرب ولقاء العدو كي لا تزول. وقيل:
المعنى شجع قلوبنا على لقاء العدو، وقيل: ثبت قلوبنا
على دينك.

والأحسن حمله على الحقيقة، لأنه من مظانها،
وثبت القدم في الحرب لا يكون إلا من ثبوت صاحبها
في الدين، وكثيراً ما جاءت هذه اللفظة دائرة في الحرب
ومع النصرة. (٣: ٧٥)

أَبُو السَّوْد: أي في مواطن الحرب بالقنوية
والتأييد من عندك، أو ثَبَّتْنَا على دينك الحق.

(٢: ٤٦)
نحوه الْبُرُوسِيُّ.

(٢: ١٠٧)
الْأَوْسِيُّ: أي عند جهاد أعدائك بتقوية قلوبنا،
وإمدادنا بالمدد الروحاني من عندك. (٤: ٨٤)
رشيد رضا: على الصراط المستقيم الذي هديتنا

مددًا، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا. (٢: ٤٠٤)

وجوه:

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

الأول: أنهم عرفوا الرسول ﷺ أن الله ناصر

المؤمنين، والرسول عرف المؤمنين ذلك، فهذا هو

أحدها: فثبتهم بحضوركم معهم في الحرب.

الثبت.

والثاني: [تقدم في قول الحسن]

والثاني: أن الشيطان كما يمكنه إلقاء الوسوسة إلى

والثالث: بإخبارهم أنه لا بأس عليهم من عدوهم.

الإنسان، فذلك الملك يمكنه إلقاء الإلهام إليه، فهذا هو

(٢: ٣٠١)

الثبت في هذا الباب.

الطوسي: احضروا معهم الحرب... وقال قوم:

والثالث: أن الملائكة كانوا يشتهون بصور رجال

معنى ذلك الإخبار بأنه لا بأس عليهم من عدوهم.

من معارفهم، وكانوا يمدونهم بالنصر والفتح والفخر.

(٥: ١٠٤)

(١٣٥: ١٣٥)

ابن عطية: يحتمل أن يكون بالقتال معهم على

نحوه طه الذرة.

ماروي. ويحتمل بالمحضور في حيزهم والتأسيس لهم

القرطبي: أي بشروهم بالنصر أو القتال معهم أو

بذلك. ويحتمل أن يريد: فثبتهم بأقوال مؤنة مقوية

المحضور معهم من غير قتال، فكان الملك يسير أمام

للقلب.

الصف في صورة الرجل، ويقول: سيروا فلان الله

وروي في ذلك أن بعض الملائكة كان في صورة

ناصركم ويظن المسلمون أنه منهم، فكانوا يرون

الآدميين، فكان أحدهم يقول للذي يليه من المؤمنين:

رؤوسًا تندر^(١) عن الأعناق من غير ضارب يروته.

لقد بلغني أن الكفار قالوا: لئن حمل المسلمون علينا

وسمع بعضهم قائلاً يسمع قوله ولا يرى شخصه: أقدم

لنتكشفت، ويقول آخر: ما أرى الغلبة والفخر إلّا لنا،

حيزوم^(٢). وقيل: كان هذا التثبيت ذكر رسول الله ﷺ

ويقول آخر: أقدم يا فلان، ونحو هذا من الأقوال المبتنة.

للمؤمنين نزول الملائكة مددًا.

ويحتمل أيضًا أن يكون التثبيت الذي أمر به:

التيسابوري: في هذا التثبيت وجوه:

ما يلقى الملك في قلب الإنسان بقلته من توهم الفخر

أحدها: أنه مفسر لقوله: (سألني - فاضربوا)

واحتقار الكفار، ويجري عليه من خواطر تشجيعه.

ولامونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة،

ويقوي هذا التأويل مطابقة قوله تعالى: ﴿سَأَلْنِي فِي

ولا تثبت أبغ من ضرب أصناهم، واجتماعها غاية

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَةَ﴾، وإن كان إلقاء الرعب

النصرة. [والوجهان الآخران هما مامر عن الفخر الرازي

يطابق التثبيت على أي صورة كان التثبيت، ولكنه أشبه

بهذا، إذ هي من جنس واحد. (٢: ٥٠٧)

الفخر الرازي: واختلفوا في كيفية هذا التثبيت على

(١) تستط.

(٢) حيزوم، اسم فرس من خيل الملائكة.

في الوجهين الثاني والثالث]

(٩: ١٣٢)

ابن كثير: أي شَبَّوْا أَنْتُمْ الْمُؤْمِنِينَ وَهَوَّوْا أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ عَنْ أَمْرِي لَكُمْ بِذَلِكَ، سَأَلَنِي الرَّعْبُ وَالذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَكَذَّبَ رَسُولِي. (٣: ٢٩٠)
أَبُو الشُّعْرَةِ: وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقَبَّضُوا...) لِرَتِّيبِ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَاقِبِلِهَا، فَإِنَّ إِمْدَادَهُ تَعَالَى لِتَأْهِمِهِمْ مِنْ أَقْوَى مَوَاجِبِ التَّثْبِيتِ.

واختلفوا في كَيْفِيَّةِ التَّثْبِيتِ، فَقَالَتْ جَمَاعَةٌ: إِنَّمَا أَمَرُوا بِتَثْبِيتِهِمْ بِالْإِشَارَةِ وَتَكْثِيرِ التَّوَادِّ وَنَحْوِهَا، تَمَّا تَقَوَّى بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَتَصَحَّ عَزَائِهِمْ وَتَيَّاسُهُمْ، وَيَتَأَكَّدُ جَدُّهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَهُوَ الْأَنْسَبُ بِمَعْنَى التَّثْبِيتِ، وَحَقِيقَتُهُ أَلَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَمْلِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي مَوْطِنِ الْحَرْبِ، وَالْجَدُّ فِي مَقَاسَةِ شِدَائَةِ الْقِتَالِ.

(٣: ٨٤)

نَحْوُ الْبُرُوسِيِّ. (٣: ٣٢٢)
الْقَاسِمِيُّ: أَيِ دَفْعِ الْوَسْوَاسِ، وَبِالْقِتَالِ مَعَهُمْ، وَالْحَضُورِ مَدَدًا وَعَوْنًا. (٨: ٢٩٦٦)
الْمُرَاغِي: أَيِ يَثْبِتُ اللَّهُ الْأَقْدَامَ بِالْمَطَرِ وَقَدْ الْكَفَّاحِ الَّذِي يُوحِي فِيهِ رَبُّكَ إِلَى الْخَلَائِكَةِ، أَمْرًا لَهُمْ أَنْ يَشْتَرُوا بِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَقْوُوا عَزَائِهِمْ، فَيُلْهِمُوهَا تَذَكُّرَ وَعْدِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمِعَادَ. (٩: ١٧٦)

تَثْبِيتًا

١- وَمَنْعَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِنْثِقَافَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَنْعَلِ جَنْمٍ بِرَبْوَةِ أَصَابَتِهَا وَإِبِلٍ فَأَنْتَ أَكْلُهَا صِفَتَيْنِ...
الْبُقْرَةُ: ٢٦٥
الشَّعْبِيُّ: تَصْدِيقًا وَيَقِينًا. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٦٩)

مُجَاهِدٌ: يَتَّبِعُونَ أَيْنَ يَضُمُونَ أَمْوَالَهُمْ.

(الطَّبْرِيُّ ٣: ٦٩)

الْحَسَنُ: كَانُوا يَتَّبِعُونَ أَيْنَ يَضُمُونَ أَمْوَالَهُمْ، يَعْنِي رِكَائِهِمْ.

(الطَّبْرِيُّ ٣: ٧٠)

كَانَ الرَّجُلُ إِذَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ تَثَبَّتْ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ مَضَى، وَإِنْ خَالَطَهُ شَكٌّ أَمْسَكَ.

(الطَّبْرِيُّ ٣: ٧٠)

فَتَّادَةٌ: يَقِينًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. وَالتَّثَبَّتَ: الْيَقِينَ.

(الطَّبْرِيُّ ٣: ٦٩)

احْتِسَابًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٧٠)

الشَّدْيُ: مَعْنَاهُ تَيَقُّنًا، أَيْ نَفْسُهُمْ هِيَ بِهَائِزٍ تَشْتَبِهُ عَلَى الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى تَيَقُّنًا.

(١٦٥)

ابْنُ زَيْدٍ: بِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَالْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ.

(الطُّوسِيُّ ٢: ٣٣٨)

ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيِ تَحْقِيقًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ. (٩٧)

الطَّبْرِيُّ: يَعْنِي بِذَلِكَ: «وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»

يَعْنِي: لَهُمْ عَلَى إِنْفَاقِ ذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَتَحْقِيقًا مِنْ قَوْلِ الْقَاتِلِ: نَيْكٌ فَلَانًا فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا صَحَّحْتَ عَزْمَهُ وَحَقَّقْتَ، وَقَوَّيْتَ فِيهِ رَأْيَهُ، أَنْبَتَهُ تَثْبِيتًا. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر]

وَلِذَلِكَ قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ فِي قَوْلِهِ:

(وَتَثْبِيتًا): وَتَصْدِيقًا، وَمَنْ قَالَ مِنْهُمْ: وَيَقِينًا، لِأَنَّ تَثْبِيتَ

أَنْفُسِ الْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ يَقِينٍ مِنْهَا، وَتَصْدِيقٍ بِوَعْدِ اللَّهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»

أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّبِعُونَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضُمُونَ فِيهِ صَدَقَاتِهِمْ. [نَمَّ نَقَلَ قَوْلَ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَقَالَ:]

﴿وَأَنْتَبِهَاتَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ آل عمران: ٣٧، والنبات: مصدر نبت، ولما جاز لحيء أنبت قبله، فدل على المتروك الذي منه قيل: (نباتًا)، والمعنى: والله أنبتكم، فنبت من الأرض نباتًا.

وليس قوله: ﴿وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ كلاً ما يجوز أن يكون متوهماً به أنه معدول عن نباته. ومعنى الكلام: ويتنبئون في وضع الصدقات مواضعها، فيُعرف إلى المعاني التي صُرف إليها قوله: ﴿وَتَنْبِيْلٌ إِلَيْهِ تَنْبِيْلًا﴾ المزمّل: ٨، ومأنتبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿تَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: واحتساباً من أنفسهم. [ونقل قول قتادة تمّ قال:]

وهذا القول أيضاً بعيد المعنى من معنى التنبيت، لأنّ التنبيت لا يُعرف في شيء من الكلام بمعنى الاحتساب إلا أن يكون أراد مفسره كذلك، أنّ أنفس المنفقين كانت محتسبة في تنبيتها أصحابها، فإن كان ذلك كان عنده معنى الكلام، فليس الاحتساب بمعنى حينئذٍ للتنبيت، فيُترجم عنه به. (٣: ٦٩)

الرّجّاج: أي يغفونها مقرين أنّها مما يُشيب الله عليها. (١: ٣٤٧)
نحوه التّعاس. (١: ٢٩١)

الجُبّائِي: توطئاً لنفوسهم على الثبوت، على طاعة الله. (الطوسي ٢: ٣٣٨)
الرّمخُفُريّ: وليبجوا منها يبدل المال الذي هو شقيق الرّوح، وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشّاقة وعلى الإيمان، لأنّ النفس إذا ربيضت

وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى، مما يدلّ عليه ظاهر التلاوة؛ وذلك أنّهم تأوّلوا قوله: ﴿وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بمعنى: وتنبئنا، فزعموا أنّ ذلك إمّا قيل كذلك، لأنّ القوم كانوا يتنبئون أين يضعون أموالهم.

ولو كان التأويل كذلك لكان: وتنبئنا من أنفسهم، لأنّ المصدر من الكلام إن كان على تفعّل: التفعّل، فيقال: تكزمت تكزمتاً، وتكلّمت تكلماً، وكما أن قال جلّ تناؤه: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى غَافٍ﴾ النحل: ٤٧، من قول القائل: تخوف فلان هذا الأمر تخوفاً، فكذلك ﴿وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لو كان من تنبيت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها، لكان الكلام: وتنبئنا من أنفسهم لا: وتنبئنا، ولكن معنى ذلك ما قلنا: من أنّه وتنبيت من أنفس القوم إمّا هم بصحة العزم، واليقين بوعد الله تعالى ذكره.

فإن قال قائل: وماتكر أنّ يكون ذلك ظهير قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَنْبِيْلٌ إِلَيْهِ تَنْبِيْلًا﴾ المزمّل: ٨، ولم يقل: تَنْبِيْلًا؟

قيل: إنّ هذا مخالف لذلك، وذلك أنّ هذا إمّا جاز أن يقال فيه: (تنبيلاً)، لظهور وتنبّل إليه، فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام الذي منه قيل: (تنبيلاً) وذلك أنّ المتروك هو تنبّل، فينبئك الله إليه تنبيلاً.

وقد تفعل العرب مثل ذلك أحياناً، تُخرج المصادر على غير ألفاظ الأفعال التي تقدّمتها، إذا كانت الأفعال المتقدّمة تدلّ على مأخرجتها منه، كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَاللهُ أَنْبَشَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ نوح: ١٧، وقال:

من أنفسهم. والتثبیت: مصدر فعل متمد.

فعل الوجه الأول يكون (مِنْ أَنْفُسِهِمْ) مفعول المصدر، وعلى الوجه الثاني يكون المفعول محذوفاً،

تقديره: وَيُثَبِّتُونَ أَعْمَالَهُمْ، بإخلاص النية.

ويجوز أن يكون (تَثْبِيْتًا) بمعنى ثَبَّتْ، فيكون لازماً، والمصادر قد تختلف ويقع بعضها موقع بعض، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيْلًا إِلَيْهِ تَتَبَّلَا﴾ أي تَبَّلَا.

(١١: ٢١٥)

الفَخْرُ الْوَازِي: والغرض الثاني: هو تثبیت النفس، وفيه وجود:

أحدها: أَنَّهُمْ يُوَطَّنُونَ أَنْفُسَهُمْ على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها، ومن جملة ذلك ترك اتِّباعها بالمن والأذى، وهذا قول القاضي.

وثانيها: وتثبیتاً من أنفسهم عند المؤمنين أَنَّهَا صادقة في الإيمان مخلصه فيه، ويحذره قراءة مجاهد ﴿وَتَثْبِيْتًا مِنْ بَعْضِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

وثالثها: أَنَّ النَّفْسَ لاثبات لها في موقف العبودية، إلا إذا صارت مقهورة بالمجاهدة، ومعتوقها أمران: الحياة العاجلة والمال، فإذا كَلَّفَتْ بإتفاق المال فقد صارت مقهورة من بعض الوجوه، وإذا كَلَّفَتْ يبذل الروح فقد صارت مقهورة من جميع الوجوه. فلما كان التكليف في هذه الآية يبذل المال صارت النفس مقهورة من بعض الوجوه فلاجرم حصل بعض التثبیت، فلهذا دخل فيه (مِنْ) أَلْتِي هِيَ لِلتَّحْمِيضِ.

والمعنى أَنَّ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ لوجه الله فقد ثَبَّتَ بعض نفسه، ومن بَذَلَ مَالَهُ وروحه ممَّا فهو الَّذِي ثَبَّتَهَا كُلَّهَا،

بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها، ذَلَّتْ خاضعة لصاحبها. وَقَلَّ طمعها في اتِّباعه لشهواتها. وبالعكس فكان إتفاق المال تَثْبِيْتًا لها على الإيمان واليقين.

ويجوز أن يراد: وتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم، لأنَّه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أَنَّ تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه.

(وَمِنْ) على التفسير الأول للتَّحْمِيضِ، مثلها في قولهم: هَرَمَ مِنْ عَطْفِهِ وَحَزَنَ مِنْ نَشَاطِهِ، وعلى الثاني لابتداء الغاية، كقوله تعالى: ﴿عَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ البقرة: ١٠٩.

ويعتدل أن يكون المعنى: وتثبیتاً من أنفسهم عند المؤمنين أَنَّهَا صادقة الإيمان مخلصه فيه، وتعضده قراءة مجاهد (وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ).

فإن قلت: فما معنى التَّحْمِيضِ؟

قلت: معناه أَنَّ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ لوجه الله فقد ثَبَّتَ بعض نفسه، ومن بَذَلَ مَالَهُ وروحه ممَّا فهو الَّذِي ثَبَّتَهَا كُلَّهَا. (١١: ٣٩٤)

نحوه أبو السعود (١: ٣٠٨)، والأكوسي (٣: ٣٥)، ورشيد رضا (٣: ٦٧).

المُكَبِّرِي: قوله تعالى: (الْيَتَمَاءُ) مفعول من أجله، (وَتَثْبِيْتًا) معطوف عليه. ويجوز أن يكونا حالين، أي مَبْتَعَيْنِ وَمُتَبَتَّعَيْنِ.

(مِنْ أَنْفُسِهِمْ): يجوز أن يكون (مِنْ) بمعنى اللام، أي تثبیتاً لأنفسهم، كما تقول: فعلت ذلك كَشْرًا من شهوتي، ويجوز أن تكون على أصلها، أي تثبیتاً صادراً

القدس، وذلك بسبب أَنَّ تلك العبادة حارت كالعادة والخلق للزوج، فإتيان العبد بالطاعة لله، ولابتغاء مرضاؤه، يفيد هذه الملكة المستقرة، التي وقع التعبير عنها في القرآن بتثبيت النفس، وهو المراد أيضاً بقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إبراهيم: ٢٧، وعند حصول هذا التثبيت تصير الزوجة في هذا العالم من جوهر الملكة الروحانية والمجاهر القدسية، فصار العبد كما قاله بعض المحققين: غائباً حاضراً، ظاهراً مغيباً.

وسادسها: قال الزَّجَّاج: المراد من التثبيت: أنهم يستغفونها جازمين بأنَّ الله تعالى لا يضيع عملهم، ولا يحجب رجاءهم، لأنَّها مفرونة بالثواب والعقاب والنشور بخلاف المنافق، فإنه إذا اتفق عدَّ ذلك الاتفاق ضامناً، لأنَّه لا يؤمن بالثواب، فهذا الجزم هو المراد بالتثبيت.

وسابعها: قال الحسن ومجاهد وعطاء: المراد أنَّ المنفق يثبت في إعطاء الصدقة فيضعها في أهل الصلاح والعفاف. قال الحسن: كان الرجل إذا همَّ بصدقة تثبت، فإذا كان لله أعطى، وإن خافه أسك. قال الواحدي: وإنما جاز أن يكون التثبيت، بمعنى التثبيت، لأنَّهم ثبتوا أنفسهم في طلب المستحق، وصرف المال في وجهه. (٧: ٥٩)

البُزْجَوِيُّ: أي جعل بعض أنفسهم ثابتاً على الإيمان والطاعة، ليرول عنها رذيلة البخل وحب المال وإسماكه، والانتاع عن إتفاقه، فإنَّ النفس وإن كانت بمجولة على حب المال واستتقال الطاعات البدنية إلا أنَّها ماعودتها تعود. [ثم استشهد بشعر]

وهو المراد من قوله: ﴿وَنَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ الصَّف: ١١، وهذا الوجه ذكره صاحب «الكشاف»، وهو كلام حسن وتفسير لطيف.

ورابعها - وهو الذي خطر ببالي وقت كتابة هذا الموضوع -: أنَّ ثبات القلب لا يحصل إلا بذكر الله، على ما قال: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨، فن اتفق ماله في سبيل الله لم يحصل له اطمئنان القلب في مقام التجلي، إلا إذا كان إتفاقه لحض غرض عبودية. ولهذا السبب حكى عن علي رضي الله عنه أنه قال في إتفاقه: ﴿إِنَّمَا سَطَعْتُكُمْ لِيُؤْخِذَ اللَّهُ لَأُتْرِبَ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الدهر: ٩، و وصف إتفاق أبي بكر فقال: ﴿وَمَا لَأَخَذَ عِنْدَهُ مِنْ نَفْعَةٍ تُجْزَى﴾ إلا إتفاقه وجهه وبه الأغل. ولتسوف يرضى، أليل: ١٩ - ٢١، فإذا كان إتفاق العبد لأجل عبودية الحق، لأجل غرض النفس وطلب الحض، فهناك اطمئنان قلبه، واستقرت نفسه، ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه، ولهذا قال أولاً في هذا الإتفاق: إنه لطلب مرضاة الله، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿وَتَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

وخامسها: أنه ثبت في العلوم العقلية، أنَّ تكرير الأفعال سبب لحصول الملكات.

إذا عرفت هذا فنقول: إنَّ من يواظب على الإتفاق مرة بعد أخرى لا يتواء مرضاة الله، حصل له من تلك المواظبة أمران: أحدهما: حصول هذا المعنى، والثاني: صيرورة هذا الإيتواء والطلب ملكة مستقرة في النفس، حتى يصير القلب بحيث لو صدر عنه فعل على سبيل الغفلة والاختفاق، رجع القلب في الحال إلى جناب

الطُّبَّاطِبَاتِي: [بعد الإشارة إلى أقوال المفسرين قال:]

ومن هنا يظهر أنَّ المراد بابتغاء مرضاة الله أن لا يقصد بالعمل رياءً ونحوه، مما يجعل النية غير خالصة لوجه الله، ويقول: ﴿وَتَقْبِثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ تثبيت الإنسان نفسه على ماواه من النية الخالصة، وهو تثبيت ناشئ من النفس واقع على النفس. فقوله: (تَقْبِثًا) تمييز، وكلمة (مِنْ) نشوية، وقوله: (أَنْفُسِهِمْ) في معنى الفاعل، وما في معنى المفعول مقدر.

والتقدير: تثبيتاً من أنفسهم لأنفسهم، أو مفعول مطلق لفعل من مادته. (٢: ٣٩١)
وفيهما يحوّل لاحظ «ن ف ق».

٢... وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدُّ تَقْبِثًا.

التفسير: أي تصديقاً. (٢٠٨)
الطُّوسِي: وقيل: في معناه قولان:

أحدهما: أنَّ البصيرة أثبت من اعتقاد الجهالة، لما يعترى فيها من الحيرة واضطراب النفس الذي يستعز من حال المعرفة بسكون النفس إليه.

الثاني: أنَّ اتباع الحق أثبت منفعة، لأنَّ الانتفاع بالباطل يضمحل بما يقب من المضرة وعظيم المسرة. فالأول لأجل البصيرة، والثاني لأجل دوام المنفعة. [أن قال:]

فإنَّ ذلك خير لهم وأشدُّ تثبيتاً لهم على الإيمان، وفي الدِّعَاء «اللَّهُمَّ يَجِّنَا عَلَى مَلَّةِ رَسُولِكَ» ومعناه اللَّهُمَّ أَلْطَفْ

فني أهملتها فقد تَمَرَّتْ واعتادت الكسل والبطالة والبخل وإسكالك المال عن صرفه إلى وجوه الصَّاعَات ومقتضيات الإيمان، وحيث كَلَّفَتْها وحملتها على مشاقِّ العبادات البدنية والمالية تنقاد لك وتتركز على عاداتها الجبليَّة. (فلين) تبعية كما في قولهم: «هَزُّ من عَطْفه وحرك من نشاطه».

فإن قلت: كيف يكون المال بعضاً من النفس حتَّى تكون الطَّاعة ببذله طاعة لبعض النفس وتثبيتاً لها على الثَّرة الإيمانية.

قلت: إنَّ النفس لشدة تعلُّقها بالمال كأنَّه بعض منها، فالمال شقيق الرُّوح فن بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه فقد تثبتت كلها.

ويعوز أن يكون «التثبیت» بمعنى جعل الشيء صادقاً محققاً ثابتاً، والمعنى تصديقاً للإسلام ناشئاً من أصل أنفسهم وتحقيقاً للجزاء، فإنَّ الاتفاق أمانة أنَّ الإسلام ناشئ من أصل النفس وصميم القلب. (فلين) لا ابتداء الناية، كما في قوله: ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ البقرة: ١٠٩، ولعلَّ تحقيق الجزاء عبارة عن الإيقان بأنَّ العمل الصَّالح، مما يجب الله وبجازه عليه أحسن الجزاء. (١: ٤٢٤)

محمد جواد مغنِّيّه: إنَّه إشارة إلى أمرين: الأول: أنَّ المؤمنين يطلبون مرضاة الله من الإنفاق، الثاني: أنَّ هذا الإنفاق كان بدافع من أنفسهم لا بدافع خارجي.

وقيل: ﴿وَتَقْبِثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ معناه أَنَّهُمْ يباهدون أنفسهم ويؤثرونها على الطَّاعة بالذل. وهذا المعنى يصحُّ إذا كانت (مِنْ) هنا بمعنى الآم. (١: ٤١٦)

حصله فإنه يطلب أن يصير ذلك الحاصل باقياً ثابتاً،
فقوله: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ إشارة إلى الحالة الأولى،
وقوله: ﴿وَأَشَدُّ ثَبَاتًا﴾ إشارة إلى الحالة الثانية.

(١٦٨: ١٠)

نحوه الثيسابوري.

التبضايي: في دينهم، لأنه أشد لتحصيل العلم
ونفي الشك، أو تثبيتاً لثواب أعمالهم، ونصبه على
التمييز.

رشيد رضا: ﴿وَأَشَدُّ ثَبَاتًا﴾ لهم في أمر دينهم.
التثبيت: التقوية بجعل الشيء ثابتاً راسخاً، وإنما كان
العمل وإتيان الأمور الموعوظ بها في الدين يزيد العامل
قوة وثباتاً، لأن الأعمال هي التي يكون بها العلم
الإجمالي المجهت تفصيلاً جلياً، وهي التي تطبع الأخلاق
والمملكات في نفس العامل، وتبدد المخاوف والأوهام من
نفسه.

الطبائباتي: أي نفوسهم وقلوبهم بالإيمان، لأن
الكلام فيه، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ
الثَّابِتِ﴾ إبراهيم: ٢٧.

(٤٠٧: ٤)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثبات، وهو شير يُشد به
الرحل، وجمعه: أثبتة، يقال: رحلُ ثَبُتَ، أي مشدود
بالثبات. ثم استصير هذا المعنى لكل ما يدوم ويبقى، يقال:
ثَبَّتَ الشيءَ يَثْبُتُ ثَبَاتًا وثَبُوتًا، فهو ثَابِتٌ وثَبَّتَ
وَأَثَبَتْهُ هو وثَبَّتَهُ أيضاً. وَثَبَّتَ فلانٌ في المكان يَثْبُتُ
ثَبُوتًا: أقام به، وَرَجُلٌ ثَبَّتَ المقام: لا يبرح.

لنا ما ثبت معه على التمسك بطاعة رسولك والمقام على
ملته.

(٢٤٧: ٣)

البغوي: تحقيقاً أو تصديقاً لإيمانهم.

(٦٥٨: ١١)

الزمخشري: لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه.

(٥٣٩: ١١)

ابن عطية: معناه بقاءً وتصديقاً ونحو هذا، أي
يبينهم الله.

(٧٥: ٢)

الطبرسي: أي بصيرة في أمر الدين، كقوله من
«البصيرة» هذا اللفظ، لأن من كان على بصيرة من أمر
دينه كان ذلك أدعى له إلى الثبات عليه، وكان هو أقوى
في اعتقاده الحق وأدوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه.
وقيل: معناه أن قبولهم وعظ الله وعظ رسوله في
أمر الدين والدنيا أشد تثبيتاً لهم على الحق والصواب،
وأمنع لهم من الضلال، وأبعد من الشبهات، كما قال:
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ محمد: ١٧.

وقيل: إن معناه وأكثر انتفاعاً بالحق، لأن الانتفاع
بالحق يدوم ولا يطل، لأنه يتصل بثواب الآخرة،
والانتفاع بالباطل يطل ويضمحل ويتصل بمقاب الآخرة.

(٧١: ٢)

الغفرانزي: فيه وجوه:

الأول: أن المراد أن هذا أقرب إلى ثباتهم عليه
واستمرارهم، لأن الطاعة تدعو إلى أمثالها، والواقع منها
في وقت يدعو إلى المواظبة عليه.
الثاني: أن يكون أثبت وأبقى، لأنه حق والحق ثابت
باقى والباطل زائل.

الثالث: أن الإنسان يطلب أولاً تحصيل الخير، فإذا

السَّامَاءِ، ومرةً مصدرًا في (١٤): ﴿فَقَرَّلَ قَدَمَ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾.

ومعلوم أنَّ المعنى في الجمع الاستقرار والثبات، إلَّا أنَّ فيها فرقًا، موردًا وكيفًا، فأريد به في (٩) الثبات أمام الأعداء في القتال، وفي (٤) الثبات في العقيدة والإيمان والعمل، وكذا في (١٤). وهذه كلها ستكون نفسانيًّا للناس وتطمين لهم، أمَّا في (١٧) فأريد به السكون المادِّي والجسماني للشجرة الطَّيِّبَةِ في غموم الأرض. ولمَّا وقع بإزاءه ﴿فَوَعُظَهَا فِي السَّامَاءِ﴾ الحاسي عن الارتقاع والاعتلاء يتداعى الرُّسُ في القَرَابِ والاختفاض، إلَّا أنَّ مرجعه إلى الثبات المعنوي، لأنَّه يُمَثِّلُ نبات كلمة الله في النفوس الطَّيِّبَةِ.

ثانيًا: وجاء مزيدًا من باب «الإفعال» فعلاً مضارعًا مرتين. ففي (١٥): ﴿يَمْشُوا اللَّهُ مَائِشَاءً وَيُنْبِتُ﴾، وهو إثبات معنوي عند الله، ولأجل وقوعه بإزاء (يَمْشُوا) يتداعى الدَّوام والانكشاف، وفي (١٦): ﴿يُفْقِئُوكَ أَوْ يَتَّقُوكَ﴾، وهذا إثبات وإلقاء جسماني. ولمَّا وقع بإزاءه (أَوْ يَتَّقُوكَ) يتداعى استمرار الحياة له ^{لِلْإِنْسَانِ}.

وهناك فرق آخر بينهما، وهو أنَّ الإثبات في (١٥) من فعل الله، وفي (١٦) من فعل الكفار، وهما على طرفي نقيض، ومن أجل ذلك تلاه في (١٥) قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وهذا خاصٌّ بالله، وفي (١٦): ﴿وَيَتَّقُونَ وَيَسْكُرُ اللَّهُ﴾، فبدأ بمكرهم عهيدًا وتوبيخًا لمكر الله فيهم. ثالثًا: وجاء من باب التضميل (١٢) مرةً: فعلاً ماضيًا مرةً في (١)، ومضارعًا (٦) مرَّاتٍ في (٢ - ٥) و(٧) و(٨)، وأمرًا (٤) مرَّاتٍ في (٦) و(٩) و(١٠) و(١٣).

١٠- ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَعْمَارِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٧

١١- ﴿وَعَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِثُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَيُثْبِتُهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾ البقرة: ٢٦٥

١٢- ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنْتُمْ عَلَيْنِهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا قَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَسَدَّ تُبْغِيَةً﴾

النساء: ٦٦

١٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَقَبَّلْتُمْ فِئَةً قَاتِلُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال: ٤٥

١٤- ﴿يَمْشُوا اللَّهُ مَائِشَاءً وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الزَّعْد: ٣٩

١٥- ﴿وَإِذْ يَسْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُفْخِئُوكَ أَوْ يَسْتَفْئُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَتَكَبَّرُونَ وَيَسْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرُ الْمُنَافِرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠

١٦- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلَّتْهَا نَائِبٌ وَفَوَّعَهَا فِي السَّامَاءِ﴾

إبراهيم: ٢٤

١٧- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ ذَخَلَا يَتَّبِعُكُمْ فَفَرَّلَ قَدَمَ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل: ٩٤

يلاحظ أولًا: أنه جاء مجرد أربع مرَّاتٍ: مرةً بصيغة الأمر في (٩): ﴿إِذَا تَقَبَّلْتُمْ فِئَةً قَاتِلُوا﴾، ومرتين اسم فاعل، ففي (٤): ﴿يُفْخِئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْقَوْلِ النَّاسِيبِ﴾، وفي (١٧): ﴿أَضَلَّتْهَا نَائِبٌ وَفَوَّعَهَا فِي

ومصدراً مرتين في (١١) و(١٢).

رابطاً: لا ريب أن التثبيت في جميع الآيات يتضمن المبالغة والتأكيد المفهومين من صيغة (التفصيل)، كما أن أكثرها - لولا جميعها - معنوي ونفساني، إلا أن بينها تفاوتاً ملموساً من جهات:

١- جاء في (١١): ﴿وَتَوَلَّوْا أَنْ تَبْتَغُوا لَكُمْ كَيْدَ تَزْكُرُ إِلَهُكُمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾، وهو تثبيت قلب النبي لتلايميل إليهم ويركن، لاعلى حساب الإيمان، فإنه كان ثابتاً في إيمانه، لم ينتلج قلبه شك، ولم يساور فكره شرك قط، ولم ينبغ مخروم بعد إيمانه طرفه عين. فهذا يخفف الخطأ المحتمل منه، ورغم ذلك فقد كان ميلاً قليلاً جداً، وهذا الميل القليل إلى الكفار كاد يصدر عنه، استجلاً لقومه إلى الإيمان بربه - طبيعته البشرية، لايوصفه نبياً مرسلًا، ومع ذلك أعقبه الوعيد بالعذاب على تقدير صدوره عنه، ولكن الله تعالى عصمه بطفه من هذا الميل الضئيل بوصفه نبياً معصوماً، فلم يصدر عنه، وهذا أجدر بالعصمة وأحسن تألفاً معها.

وقد حملها المفسرون على الزكون إليهم في رفض الإيمان بالله، فأشكل عليهم الأمر، فأولوها بوجوه، لاحظ التصوص.

ووصل بعضهم الآية بما قبلها، وهو قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَكْتُمُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنَقْرِئَ عَنْكِتَا غَيْرَةٍ وَإِذَا لَا تُفْهَدُونَ خَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٣، ومعنى ذلك أنه كاد أن يلجئ طلبهم بالافتراء على الله غير القرآن، وهذا منه في غاية الجمد؛ إذ هو أعظم من رفض الإيمان الذي أنكرناه.

وقد حكى الطبرسي (٣: ٤٣٢) عن ابن عباس أنه قال: «رسول الله معصوم، ولكن هذا تخويف لأئمتة، ثلثاً يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه».

وهذا الوجه أولوا هذا القليل من الآيات التي تناقض العصمة. وروي عنه أيضاً «أنه لما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: اللهم لا تكليني إلى نفسي طرفة عين أبداً».

٢- جاء في (٢) و(٣) تثبيت فؤاد النبي بالقرآن: ﴿وَكَلَّا تَغْصَّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَقَّبَتْ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ و﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾، وهذا دليل على أن النبي كان يتذكر القرآن ويثبت به، ويعتبر بقصصه كلها نزلت آية أو قصة نجوماً، وهذا مقتضى الطبيعة البشرية، وحقيقة هذا التثبيت لفؤاده ﷺ مزيد اطمئنانه بمستقبل الإسلام، والانبعاث الروحي لحياته بتلقيه الوحي نجوماً، والاستمرار بمجاهده في سبيل الله، وصموده أمام الأعداء.

٣- جاء في (٤) و(٥) و(٦) تثبيت المؤمنين على الحق إطلافاً، فيعم تثبيت قلوبهم وأصهارهم، فلي (٤): ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وهذا تثبيت من الله لهم في الدارين تماماً، ولا يختص القول الثابت فيها بالاعتراف باللسان فحسب، بل يعم العقيدة والعمل جميعاً. وهذا تعبير شائع عن الصمود المطلق، ولعل أصله القرآن.

وفي (٥) ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ وفي (٦): ﴿إِذْ يُوْجِى رُبُّكَ إِلَى

والإسلامي، ومثله كثير، فسينبغي استقراءها خدمة للقرآن وبيان أثره على الأدب.

خامساً: أن هذه المادة «ث ب ت» ميمونة الطالع في القرآن، لأن سياقتها جيماً مدح وترغيب وهداية، وحتى (١٧)، فأتيا دَمٌ للعثرة وزوال القدم، وهذا عكس مادة «ث ب ر» الآتية، فكلها دَمٌ وتقنيد، وهذه المادة كلها نبات في سبيل الله وفي الإيمان وطاعة الله والجهد، وهو خير نبات وأفضل صمود.

سادساً: أن سبباً من الآيات - وهي (١ - ٥)، و(١٦) و(١٧) - مَكِّيَّة، والباقي - وهي أكثرها - مدنيَّة. وهذا يكشف عن أن المؤمنين في ساحة المدينة - وقد شكلوا فيها حكومة، ودافعوا عن أنفسهم بالقتال والمجاهد، وتقلدوا السلاح - كانوا يحتاجون التوصية بالصمود، وكان فضل الله عليهم بالثبات في سبيله أكثر من مكة، إلا أن سيطرة المشركين عليها تستدعي أيضاً صموداً باطنياً، بلا أي سلاح سوى سلاح العقيدة والتوحيد والإخلاص والزَّجاء بوعده الله، فالثبات في مكة نفسانيٌّ تماماً، وفي المدينة شامل لكل الأبعاد، على أنها أوسع ميداناً، وآمن جناباً.

السُّلَيْكَةُ أَتَى مَعَكُمْ فَسَبَّوْا الَّذِينَ أَسْأَلُوا...». والتثبيت في هاتين فعل روح القدس والملائكة، إلا أنه من عند الرَّبِّ المتعال وبأمره، ولعله فيما سبقها كذلك، لكن نُسب إلى الله، وهو السَّبب الأمر، نظير «بني الأمير المدينة»، إلا أنه على كل حال أفضل وأسمى، ويستدعي فضلاً أكبر للمؤمنين.

وبينها تفاوت أيضاً، ففي (٥) آلة روح القدس في عمله هو القرآن، دون (٦) فهي مطلقة.

٤- التثبيت في (١١) و(١٢) - وقد جاء بلفظ المصدر - عمل المؤمنين، فإن عملهم - وهو الإنفاق في مرضاة الله في (١١)، وفعلهم ما يوعظون به في (١٢) - يستتبع تثبيتهم، وهاتان أيضاً تعمان التثبيت الشامل للقلب والقلب، كما في (٥) و(٦) تماماً.

٥ - وجاء في أربع منها - وهي (٧ - ١٠) - تثبيت الأقدام من الله تعالى، وهو تعبير شائع عن الثبات الشامل والصمود الكامل روحاً وجسماً، واستعارة لطيفة تشبيهاً لمن لا يزول قدمه في مشيه. ومثلها الآية (١٧)، إلا أنها تمكس الثبات بالزوال والأقدام بالقدم، ففيها: «فَنَزَّلْ قَدَمُ يَفْعَدُ ثُبُوتَهَا». وما يدركنا فعلُ «تثبيت الأقدام» تعبير قرآني شائع في الأدب العربي

ث ب ر

لفظان . ٥ مرّات مكيّة ، في ٣ سور مكيّة

والعرب تقول: مائبرك عن ذا؟ أي ماصرفك عنه؟
وكأنتهم دعوا بما فعلوا، كما يقول الرجل: وأندامته.

(٢٦٣: ٢)

أَبُو زَيْد: فَبَرْتُ فَلَانًا عَنِ الشَّيْءِ أَثْبَرَهُ: رَدَدْتُهُ عَنْهُ.
(الأزهرى ١٥: ٨٠)
أبو عمرو والشيباني: المَشْبَرُ: الموضع الَّذِي تُلْد فيه
المرأة من الأرض، وكذلك حيث تضع فيه الناقة.

(الأزهرى ١٥: ٨١)

الأصمعي: الثَبْرَةُ: حُفْرَةٌ. (الأزهرى ١٥: ٧٩)
ابن الأعرابي: المَشْبُور: الملعون المطرود المعذّب.
والمَشْبُور: المنعوع من الخير. مائبرك عن كذا؟ أي
مانتصك؟ (الأزهرى ١٥: ٨١)
شجر: مثل للعرب: «إلى أمّه يأوي من ثبر» أي من
أهلك. (الأزهرى ١٥: ٨٠)

ابن قُتَيْبَةَ: ثَبِرْتُ، أي انفتحت.
والثَبْرَةُ: الثَّغْرَةُ في الشيء والمرمّة، ومنه قيل للثَّغْرَةِ

مَشْبُورًا ١: ١ بُبُورًا ٤: ٤

النصوص اللغوية

الحَلِيل: الثَّبَر: أرض حجارتها كحجارة الحسرة إلا
أنها بيض، تقول: انتهيتنا إلى قُبْرَةٍ كذا، أي حَزَّة كذا.
وَيَبِير: اسم جبل.
والتَّبُور: الهلاك.

والتَّابِر: المَلَح المداوم على الشيء. [تم استشهد
بشعر]

والمَشْبَر: مَشَقَط الولد بالأرض إذا وُلِد، للناقة
والمرأة أيضًا.

وَتَبَر البحر، إذا جَزَز بعدما مَدَّ، يَتَبَر تَبَرًا. (٢٢٢: ٨)
الفَرَاء: الثُّبُور: مصدر، فلذلك قال: «تُجَبُورًا
كَبِيرًا» الفرقان: ١٤، لأن المصادِر لا تُجَمع، ألا ترى أنك
تقول: قدمت قودًا طويلًا، وضربته ضربًا كثيرًا،
فلاجمع.

- في الجبل يكون فيها الماء: ثَبْرَةٌ.
 (الأزهرى ١٥: ٨٠)
 الدِّيَنُورِيّ: هي [الثَّبْرَةُ] حجارة بيض تقوم،
 ويُنْبِئُ بها. (ابن سيد ١٠: ١٤٣)
 الرِّجَالُ: ونَبَرُ الله العدو: أهلكه، فهو مشبور.
 (فعلت وأفعلت: ٥٤)
 ابن دُرَيْد: ثَبْرَةٌ: موضع معروف. [ثم استشهد
 بشر]
- والثَّبْرَةُ: ترابٌ شبيه بالثَّوَرَةِ يكون بين ظهري
 الأرض، فإذا بلغ عرق الثَّخلة إليه وقَف، فيقولون:
 بلغت الثَّخلة ثَبْرَةً من الأرض.
 ورجل مشبور: مُهْلَكٌ.
 وثبير: جبل معروف، وهي أربعة أنبيرة كلها
 بالمجاز، وكانوا يقولون في الجاهلية إذا وقفوا برفة:
 «أُشْرِقِي ثَبِيرَ كَيْمَا تُغِيرَ».
 وَثَبِيرُ الثَّاقَةِ: الموضع الَّذِي تطرح فيه ولدها،
 وما يخرج معه.
 وَثَبَرُ الْبَحْرِ، إذا جَزَرَ.
 وتشابرت الرِّجَالُ في الحرب، إذا تَوَانَت.
 والمُتَابِرُ عَلَى الشَّيْءِ: المُواظِبُ عَلَيْهِ.
 وَالثَّبُورُ: الويل والهلاك، وكذلك قُسِّرَ في التَّنْزِيلِ:
 «دَعَوْا هَآئِلَ ثُبُورًا» الفرقان: ١٣، أَي وَيَلًا، والله
 أعلم. (١: ٢٠٠)
 نَفْطَوِيَّة: ثَبْرَةٌ عن الأَمْرِ، أَي منهُ. فعنى الثَّبُورُ:
 المنوع من الخير، وذلك هلاك له. يقال: مَانَبَرَكَ عَنْ
 هَذَا الأَمْرِ؟ أَي ماصرفك عنه؟ (المَرْوِيّ ١: ٢٧٢)
- الأَزْهَرِيّ: عن الأصمعيّ: «الثَّبْرَةُ: حُمْرَةٌ». قلت:
 ورأيت في البادية رَكِيَّةً غير مَطْوِيَّةَ يقال لها: ثَبْرَةٌ،
 وكانت واسعة كثيرة الماء. [ثم نقل قول القَتَيْبِيِّ وقال:]
 وقال غيره: هو على صِيَرٍ أَمْرٍ وَثَبَارٍ أَمْرٍ، بمعنى
 واحد.
 وقال نُصَيْرٌ: «مَثْبِرُ الثَّاقَةِ: حيث تُعْضَى وتُسَخَّرُ».
 قلت: وهذا صحيح، ومن العرب مسموع.
 غيره: ثَابِرٌ فُلَانٌ عَلَى الأَمْرِ مُثَابِرَةٌ، وحَارَضٌ
 مُحَارَضَةٌ، إذا وَاظَبَ عَلَيْهِ. [ثم استشهد بشر]
- (١٥: ٧٩ - ٨١)
 الصَّاحِبُ: الثَّبْرَةُ: أرض حجارتها كعجاجة الحِمْزَةِ
 إِلَّا أَنَهَا بَيْضٌ، والثَّغْرَةُ في الجبل.
 وهي الثَّبْرَاءُ أَيْضًا. وهي أَيْضًا: منافع الماء في
 القِيَمَانِ وَالشُّهُولِ، وجمعها: ثَبَرَاتٌ وَثَبَارٌ.
 وهي الثَّبْرَةُ أَيْضًا بمنزلة الحُمْرَةِ وَالثَّغْرَةِ في الجبل.
 ثَبْرَتُهُ ثَبْرًا: حَبَسَتْهُ، وَمَانَبَرَكَ عَنِّي؟ أَي ماحَبَسَكَ؟
 وَالثَّبُورُ: المنوع من الخَيْرِ، وقيل: هو الملعون.
 وَالثَّبِيرُ: الهدود المَهِرُومِ، وَثَبْرَتُهُ عن كَذَا: عَوَّقَتْهُ
 عَنْهُ.
 وَاثْبَارَتُ عَنْ الأَمْرِ: تَنَاقَلَتْ عَنْهُ.
 وَالثَّبُورُ: الهلاك، ثَبَرَهُ اللهُ، وَثَبَرَ الرَّجُلُ، إذا هَلَكَ.
 وَامْرَأَةٌ ثَبْرِيٌّ: حَبْرِيٌّ^(١).
 وَأَمْرٌ مَثْبُورٌ: عَوَّارٌ.
 وَالمُتَابِرُ: المداوم، وَثَابِرٌ عَلَى أَمْرٍ.
 وَثَبِرَتِ الْقَرْحَةُ: انْفَتَحَتْ.
- (١) كَذَا فِي الأَصْلِ. وهي غَيْرِيٌّ فِي التَّكْمِلَةِ وَالتَّجَاجُ.

والتَّشْبِيرُ: الرُّحِير.

الإبل.

(١: ٢٧٢)

والتَّخْيِيرُ: مَتَجِجُ الثَّاقَةِ.

ابن سيده: تَبَّرَ يَتَبَّرُهُ تَبْرًا، وَتَبْرَةً، كَلَاهَا:

وَمَتَبَّرَ الْجَزُورَ: مَنَعَهَا، وَدَفَعَهُ مِنَ الدَّمِ يَجْرُجُ عَلَى

حَبْسِهِ [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

وَتَبَّرَهُ اللَّهُ: أَهْلَكَهُ إِهْلَاكًا لَا يَنْتَشِي بِعَدِهِ. فَنَ هُنَاكَ

يَدْعُو أَهْلُ النَّارِ: «وَأُتُوبُوا» فَيَقَالُ لَهُمْ: «لَا تَدْعُوا

الْيَوْمَ تُتُوبُوا وَآجِدًا وَادْعُوا تُتُوبُوا كَثِيرًا» الْفَرَقَان: ١٤.

والتَّخْيِيرُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَلِدُ فِيهِ الْمَرْأَةُ، وَتَضَعُ الثَّاقَةَ

مِنَ الْأَرْضِ، وَلَيْسَ لَهُ فِعْلٌ. أَرَى إِقَامَهُمْ بِابِ الْخُدُوعِ.

وَفِي الْمَدِيثِ: «أَتَمُّ وَجْدُوا الثَّاقَةَ الْمُتَشَجِّعَةَ تَقْصَحُ فِي

مَتَبَّرِهَا».

والتَّخْرَةُ: تُرَابٌ شَبِيهِ بِالْتُّورَةِ، يَكُونُ بَيْنَ ظَهْرِي

الْأَرْضِ، فَإِذَا بَلَغَ عِزَّتُهَا الْخَلَّةُ إِلَيْهِ وَقَفَّ، يَقَالُ: لَقِيَتْ

عُرُوقُ الْخَلَّةِ تَخْرَةً فَزِدْتَهَا. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

والتَّخْرَةُ: تَفْرَةُ تَكُونُ فِي الْمَجَلِ، تُحْيِي الْمَاءَ، يَصْغُفُو

فِيهَا كَالصَّهْرِيحِ، إِذَا دَخَلَهَا الْمَاءُ خَرَجَ فِيهَا عَنْ عُشَائِهِ

وَصَفَا. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

وَتَبِيرٌ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْبِرَةٍ: تَبِيرٌ غَسِيَاءٌ،

وَتَبِيرٌ الْأَمْرَجُ، وَتَبِيرٌ الْأَحْدَبُ، وَتَبِيرٌ جِرَاءٌ. (١٠: ١٤٢)

تَابِرَ عَلَى الْأَمْرِ: وَاطَّابَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ، مُسْتَقْتٌ مِنْ

تَبَّرْتَهُ بِالنَّيِّ، أَنْبَرُهُ تَبْرًا: حَبْسَتُهُ عَلَيْهِ، وَتَبَّرْتَهُ عَنْ

الْأَمْرِ: حَبْسَتُهُ عَنْهُ. (الْإِنْصَاحُ ١: ١٥٥)

الطُّوسِيُّ: أَوَّلُ التُّبُورِ: الْهَلَاكُ، يَقَالُ: تَبَّرَهُ اللَّهُ يَتَبَّرُهُ

تَبْرًا، إِذَا أَهْلَكَهُ.

وَمَتَبَّرَ الثَّاقَةَ: الْمَوْضِعَ الَّذِي تَطْرَحُ وَلَدُهَا فِيهِ، لِأَنَّهَا

تُشَنَّى بِهِ عَلَى الْهَلَاكِ.

وَتَبَّرَ الْبَحْرَ، إِذَا جَزَرَ هَلَاكَهُ بِانْقِطَاعِ مَائِهِ، يُقَالُ:

إِثْرُ الْوَلَدِ.

وَالثَّابِرَةُ: الزَّاجِرَةُ.

وَتَبْرَةٌ مِنْ جَفْطَةٍ، أَيْ صَبْرَةٍ.

وَتَبِيرٌ: جَبَلٌ. وَيَقُولُونَ: «لَا أَفْطَلُ وَرَبَّ أَنْبِرَةِ الْغَبْرِ»

جَمْعُ تَبِيرٍ، وَلَمْ يَصْرَفْ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْبِرَةٍ، مِنْهَا: تَبِيرٌ

غَسِيَاءٌ. وَقِيلَ: «أَشْرَقَ تَبِيرٌ كَمَا تُتَبَّرُ».

وَالْتَّبَرَاءُ: اسْمُ شَجَرٍ، وَقِيلَ: جَبَلٌ. (١٠: ١٤١)

الْبَحْرُ هَرِيٌّ: وَالتَّخْرَةُ: الْأَرْضُ السَّهْلَةُ، يَقَالُ: بَلَغَتْ

الْخَلَّةُ إِلَى تَبْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ.

والتَّخْيِيرُ: مِثَالُ الْجِلْسِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَلِدُ فِيهِ الْمَرْأَةُ

مِنَ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ حَيْثُ تَضَعُ الثَّاقَةَ. وَرَبَّمَا قِيلَ لِمَجْلِسِ

الرَّجُلِ: مَتَبَّرٌ. (٢: ٦٠٤)

ابن قَارِسٍ: تَبَّرَ: الثَّاءُ وَالْبَاءُ وَالزَّاءُ أَصُولُ ثَلَاثَةِ:

الْأَوَّلُ: السَّهْلَةُ، وَالثَّانِي: الْهَلَاكُ، وَالثَّالثُ: الْمَوَاطِبَةُ عَلَى

النَّيِّ.

فَالْأَرْضُ السَّهْلَةُ هِيَ التَّخْرَةُ. فَأَمَّا تَبْرَةُ الْمَوْضِعِ

مَعْرُوفٌ. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

وَتَبَّرَ الْبَحْرَ: جَوَّزَ، وَذَلِكَ يُبْدِي عَنْ مَكَانٍ لَيْنٍ

سَهْلٍ.

وَأَمَّا الْهَلَاكُ فَالتُّبُورُ، وَرَجُلٌ مَتَبَّرٌ: هَالِكٌ.

وَأَمَّا الثَّالثُ فَيَقَالُ: تَابَرَتْ عَلَى النَّيِّ، أَيْ وَاطَّابَتْ.

(١: ٤٠٠)

الْمَتَبَّرِيُّ: الْمَتَبَّرُ: مَسْفُطُ الْوَلَدِ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَالُ فِي

أي انفتحت وَصَجَتْ وسالت يَدُهَا، لِأَنَّ عَادِيهَا تذهب وتقطع عند ذلك.

وهذا من باب قَمَلَتْ قَمِيل، يقال: ثَبَّرَهُ اللهُ قَتِيرًا، أي هلك وانقطع. فتحوَّلْتُ: أي نهضت من مكاني إليه. [إلى أن قال:]

الْمَثَرُ: حيث يسقط الولد ويستفصل عن أمه، وحقيقته: موضع الثَّيْرِ، وهو النطع والفصل، ومنه قيل: مَثَرِ الْجَزُور: لجزرها. (الفائق ١: ١٦٢)

الْمَدِينِي: في حديث أبي موسى: «أَتَدْرِي مَا ثَبَّرَ النَّاسُ؟» أي ما الَّذِي صَدَّهم ومنعهم عن طاعة الله عز وجل، وأصله من الثَّبْرَةِ، وهي أرض حجارها كحجارة الحرَّة إلا أنها بيض.

وقيل: هو شيء بين ظهري الأرض أبيض كالثورة، فإذا بلغه مِرْقُ الثَّغْلَةِ وقف ولم ينفذ، فيقولون عند ذلك: بلغت الثَّغْلَةَ الثَّبْرَةَ فضُفَّت.

وقيل: هو يَجْتَمِعُ الماء ومناقبه في التَّيْمَانِ والسَّهْلَةِ. والمَثْبُور: الهبوس، وقيل: الملعون. يقال: أُنْيَا رَزَزْتُ عن الأمر: تَنَاقَلْتُ عنه واحْبَكَشْتُ. (٢٥٨: ١)

ابن الأثير: في حديث الدعاء: «أعوذ بك من دعوة الثَّوْر» هو الهلاك، وقد ثَبَّرَ يَثْبُرُ ثَبُورًا، وفيه: «مَنْ نَابِرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السَّجَّةِ».

الْمَثَابِرَةُ: الحرص على الفعل والقول، وملازمتها. وفيه ذكر «ثَبِير» وهو الجبل المعروف عند مَكَّة، وهو اسم ماء في ديار مَرْيَنَةَ، أَطْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ شَرِيْسَ بْنَ ضَمْرَةَ. (٢٠٦: ١)

الصَّغَانِي: والمَثْبَرُ: الحدود المحروم.

تأثرت الرِّجَالُ في الحرب، إذا تَوَانَتْ، لِإِسْفَافِهَا عَلَى الْهَلَاكِ بِالْمَوَاطِبَةِ.

والتأثير على الشيء: المواظب عليه، لحمله نفسه على الهلاك بشدَّةِ المواظِبَةِ.

وَتَبَّرَهُ اللهُ، فهو يَتَبَّرُهُ ويَتَبَّرُهُ، لثَنَان. ورجل مَثْبُور: محبوبس عن الخيرات. [ثم استشهد بشعر] (٥٢٨: ٦)

الرُّؤْمُ خَشْرِي: تأثير على الأمر متأثرة: دَاوَمَ عليه، وهو متأثر على التعلُّم: مواظب.

وَتَبَّرَهُ اللهُ: أَهْلَكَه هَلَاكًا دَائِمًا لَا يَنْتَشِشُ بعده، ومن ثَمَّ يدعو أهل النار: وَأَشْيُورًا.

ومأثرَكَ من حاجتك: مَا يَبْتَطِكُ؟ وهذا مَثَرُ فَلَانَةٍ: لِمَا كَانَ وَلادَتَهَا، حَيْثُ يَنْتَبِرُهَا النَّفَاسُ. وهذا مَثَرُ النَّاقَةِ: لِحَسْبِجِهَا. [ثم استشهد بشعر] ويقال: لَا أَفْعَلُ وَرَبَّ الْأَثْبَرَةِ الْعُزْبَرِ، وهو جمع ثَبِير، وهي أربعة. (أساس البلاغة: ٤٣)

أَبُو مُوسَى الْأَشْمَرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: مَا ثَبَّرَ النَّاسُ؟ مَا بَطَلًا بِهِمْ؟ فَقَالَ أَنْسُ: الدُّنْيَا وَشَهَوَاتُهَا، أَيْ مَا صَدَّهم وَقَطَعَهُم عَنْ طَاعَةِ اللهِ؟

ومنهُ: ثَبَّرَهُ اللهُ ثَبْرًا وَكَبُورًا، إِذَا أَهْلَكَه، وَقَطَعَ دَابِرَهُ. وَثَبَّرَ الْبَحْرُ: جَزَرَ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الثَّبْرَةُ، وَهِيَ تَرَابٌ شَبِيهُ بِالثَّوْرَةِ، يَكُونُ بَيْنَ ظَهْرِي الْأَرْضِ، إِذَا بَلَغَهُ عِزْقُ الثَّغْلَةِ وَقَفَّ، وَلَمْ يَبْرُ فِيهِ، فَضُفَّت. [إلى أن قال:]

قال أبو زرعة: دخلت عليه [معاوية] حين أصابته فَرْحَةٌ فَقَالَ: هَلُمَّ يَا ابْنَ أَخِي فَانْظُرْ. فَتَحَوَّلْتُ إِذَا هِيَ قَدْ ثَبَّرَتْ، فَقُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأْسٌ.

والمُنْبِر، كمنزل: المجلس، والمَنْطَع، والمَنْفِصِل،
والموضع تلد فيه المرأة والثاقفة، وَجَزَّرَ الْجَزُورَ.

وَنَبَّرَتِ الْفَرْحَةَ كَفَرِحَ: انقضت.

وَانْبَارَزْتُ عَنْهُ: تَأَقَّلْتُ.

وهو على ثياب أمر ككتاب: على إشراف من قضائه.

(٣٩٦: ١)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: ١- نَبَّرَ الله نَبْرَهُ نُبُورًا، من باب
«قند»: أهلكه، واسم المفعول منه: مُنْبُور.

ودعوة الثُّبُور: هي مايتادي به المُحَرِّج، الواقع في
شدّة، يرى أَنَّ هلاكه أهون عليه من الاستمرار فيها،
وذلك بقوله: وَأُثْبُوراه.

٢- نَبَّرَ فَلَانًا عَنِ الشَّيْءِ يَشْبِرُهُ شَبْرًا، من باب
«قتل»: صدّه عنه، ومنعه، واسم المفعول منه: مُنْبُور.

(١٦٧: ١)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم،
محمود شيت: أ- نَبَّرَ المُجْدِي: هَلَك. نَبَّرَتِ
الدَّوْرِيَّة: هَلَكْتَ، ولم تُعَدَّ إلى قواعدها.

ب- تأثر الجيش على الهجوم: واطب عليه ودأوم،
دون انقطاع.

ج- تآثروا: قاتل بعضهم بعضًا. (١٢٠: ١)
المُضْطَفَّرِيُّ: والتَّحْقِيقُ أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ
الْمَادَّة: هو إحاطة المُشْتَقِّ بالابتلاء والشدّة، بحيث يكون
في محدوديّة كمال الشدّة، لا يدرى طريق نجاته
ولا يستدّي إلى الرُّشْد والتخلّص، أي التَّوَرُّطُ فِي الشَّدَّةِ،
ويدلّ على هذا المعنى قرب مادّتها من مادة: التَّيَبُّ،
والتَّجَبُّ المستفاد منها مفهوم المحدوديّة، والمحبس،

وامرأة تُبْرَى، أي غُبْرَى.

وسوى «نُبَيْرِ بِنَى» عبدة أنْبِرَة، وهي: نُسَيْرٌ غُشِي
- وقد يُمَدُّ - وَنُبَيْرُ الْأَمْحَرَج، وَنُبَيْرُ الْأَحْدَب.

وَنُبَيْرٌ أَيْضًا، فِي دِيَارِ مُزَيْنَةَ، أَقْلَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
شَرِيْسَ بْنِ ضَمْرَةَ الْمَزْنِي، وَسَمَّاهُ شَرِيْعًا.

وَنُبَيْرٌ، وَنُبَيْرٌ هَلَكٌ. (٤٣٤: ٢)

الْقَلْبِيُّ مِي: نُبَيْر: جبل بين مَكَّةَ وَمِثْيَ، وَيُرَى مِنْ
بَنِي، وَهُوَ عَلَى بَيْنِ الدَّخَلِ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ.

وَنُبَّرْتُ زَيْدًا بِالنَّبِيِّ نُبْرًا، مِنْ بَابِ «قَتْل»: حَبَسْتُهُ
عَلَيْهِ، وَمِنْهُ اسْتَنْقَتِ «الْمُنَابَرَةُ» وَهِيَ الْمَوَاطِلَةُ عَلَى الشَّيْءِ
وَالْمُلَازِمَةُ لَهُ.

وَنُبِّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرَ نُبُورًا مِنْ بَابِ «قَعْد»:
أَهْلَكَهُ.

نَبْرٌ هُوَ نُبُورًا يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. (٨٠: ١)

الْفَيْرُوزُ ابْدَائِي: النَّبْرُ: الْحَبْسُ كَالنَّبِيرِ، وَالْمَنْعُ،
وَالصَّرْفُ عَنِ الْأَمْرِ، وَالتَّخْيِيبُ، وَاللَّمْنُ، وَالطَّرْدُ،
وَجَزَّرَ التَّبَحْرُ.

وَالثُّبُورُ: الْهَلَاكُ، وَالْوَيْلُ، وَالْإِهْلَاكُ.

وَنَابَرٌ: وَاطَّبَ، وَتَنَابَرَا: تَوَاتَبَا.

وَالثُّبْرَةُ: الْأَرْضُ السَّهْلَةُ، وَتَرَابٌ شَبِيهُ بِالنُّورَةِ،
وَالْمُتَرَّةُ فِي الْأَرْضِ.

وَنُبْرَةٌ: وَادٍ بِدِيَارِ ضَبَّةَ، وَبِالضَّمِّ: الصُّبْرَةُ.
وَنُبِيرُ الْأَنْبِرَةِ، وَنُبِيرُ الْخَضِرَاءِ، وَالتَّشْنَعُ، وَالتَّزْنِجُ،

وَالْأَمْحَرَجُ، وَالْأَحْدَبُ، وَغَيْبَاءُ: جِبَالٌ بِلَظَاهِرِ مَكَّةَ.
وَنُبَيْرٌ: مَاءٌ بِدِيَارِ مُزَيْنَةَ، أَقْلَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

شَرِيْسَ بْنِ ضَمْرَةَ، وَسَمَّاهُ شَرِيْعًا.

والضبط.

(المأزدي ٣: ٢٧٨)

وفي موارد استعمال المادة في الآيات الكريمة أيضًا:
دلالة على هذا المعنى. [ثم ذكر الآيات إلى أن قال:]

مثلونًا. (الطبري ١٥: ١٧٥)
مثله الضحاك (ابن الجوزي ٥: ٩٤)، والكلي
ومُعَاتِل (المأزدي ٣: ٢٧٨).

وأما المتابعة بمعنى المراقبة: لرجوعها إلى التضييق
والتحديد، وجعل الطرف تحت النظر الدقيق، والتشديد
في برنامج أموره.

المثبور: الذي لا عقل له في دينه ومعاشه.
(المسيدي ٥: ٦٣٠)
المهلك. (ابن الجوزي ٥: ٩٤)

وأما التبرير بمعنى الجبل قريبًا من بيت: فكأنه لوقوعه
بضيق من طريق مكة.

مثله الحسن وقناة (الطبري ١٠: ٣٣٧)، ومجاهد
(ابن عطية ٣: ٤٨٩)، وأبو عبيدة وابن قتيبة (ابن
الجوزي ٥: ٩٤)، والهروي (١: ٢٧٢)، والمراعي (٥:
١٠٢).

وأما المتبر بمعنى مكان الولادة: من جهة وقوع
الوالدة في شدة ومضيقه وألم أليم، ومشقة عسرة، إلى أن
تضع حملها.

التأقص العقل. (ابن الجوزي ٥: ٩٤)
ملعونًا محبوسًا من الخير. (السويطي ٢: ٧٠)
مثله القراء. (السيابري ١٥: ٩٠)

وأما الثبرة بمعنى الأرض السهلة: من جهة وقوع
العابر والمسافر في مضيق الضلال، وشدة الخوف
والاحتراف، وعسرة الجسوع والمطش، ولاسيما في
بوادي جزيرة العرب وبرابرها.

أنس بن مالك: مخالفًا. (الأكوسي ١٥: ١٨٦)
سعيد بن مجيهر: سلاحًا في القليفة.
(أبو الفتح ١٢: ٢٩٧)

فظهر أن «الهلاك» ليس بمفهوم المادة، نعم قد ينتهي
الضيق والشدة والحدودية إلى الهلاك، وليس بأصل.

مُجَاهِد: هَالِكًا.

وأما جَزَرَ البحر: من جهة عوده إلى التجمع
والحدودية. (٢: ٦٠٥)

مثله الضحاك (التحاس ٤: ٢٠٣)، والحسن (المراعي
١٥: ١٠٢)، وقناة (الطبري ١٥: ١٧٦)، والزحسري
(٢: ٤٦٩).

النصوص التفسيرية

مَنْبُورًا

مصحورًا. (الطبري ١٥: ٣٣٨)
العوفي: مبدلًا. (الطبري ١: ١٧٦)
مبتلى. (المأزدي ٣: ٢٧٨)

وَأَنِّي لَا ظَنُّكَ يَا فِرْعَوْنَ مَنبُورًا. الإسراء: ١٠٢

ابن زيد: الإنسان إذا لم يكن له عقل فلا ينفعه؟
يعني إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعه

ابن عباس: ملعونًا. (الطبري ١٥: ١٧٥)
مثله الضحاك (التحاس ٤: ٢٠٣)، وأبان بن تغلب.

العاقل في آتيا من عند الله، وفي آتة تعالى إِنَّمَا أَظْهَرَهَا
لأجل تصديقي وَأَنْتَ تَنْكِرُهَا، فَلَا يَمْلِكُ عَلَى هَذَا
الْإِنْكَارِ إِلَّا الْحَسَدُ وَالْمَنَادُ وَالنَّعْيُ وَالْجَهْلُ وَحُبُّ الدُّنْيَا.
وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَتْ عَاقِبَتُهُ الدَّمَارُ وَالتَّوْبُورُ. (٢١: ٦٦)
الْقُرْطُبِيُّ: وَالتَّوْبُورُ: الْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ أَيْضًا.

(١٠: ٣٣٧)

الشَّرِيبِيُّ: أَيُّ مَلْعُونًا مَطْرُودًا، مَنُوعًا مِنَ الْخَيْرِ
فَاسِدَ الْعَقْلِ. (٢: ٣٤٢)

الْكَاشَانِيُّ: مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ [الْحَقِّ] أَوْ هَالِكًا،
قَابِلٌ ظَنَّهُ الْمَكْذُوبَ بِظَنِّهِ الصَّحِيحِ. (٣: ٢٢٥)

الْبَرْزَوَسِيُّ: مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ مَطْبُوعًا عَلَى
الشَّرِّ، مِنْ قَوْلِهِ: مَا تَبَرَّكَ عَنْ هَذَا أَيُّ مَصْرُوفًا؟ أَوْ
هَالِكًا، فَإِنَّ التَّوْبُورَ الْهَلَاكُ. (٥: ٢٠٨)

نَحْوُهُ حَسَنِينَ مُحَمَّدٌ غُلُوفٌ. (١: ٤٦٧)

الْأَلُوسِيُّ: أَيُّ هَالِكًا. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ^(١) أَنَّهُ سَلَّ عَنْ (سَبْرُورًا) فِي
الْآيَةِ، فَقَالَ: مُخَالَفًا، ثُمَّ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَنْ أَنْ يَلْعَنُوا أَوْ يَسْتَوُوا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مَعْنَى مُجَازِيٍّ
لَهُ، وَكَذَا: نَاقِصَ الْعَقْلِ، وَلَدَاعِيٍّ إِلَى ارْتِكَابِهِ، وَمَا ذَكَرَهُ
الْإِمَامُ مَالِكٌ فِيهِ مَا فِيهِ.

نَمَّ قِيلَ: إِنَّ تَفْسِيرَهُ «هَالِكًا» وَنَحْوَهُ مِمَّا فِيهِ
خَشَوْنَةٌ، بِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى خَطَابًا لِمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا
«فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَئِيمًا» طه: ٤٤.

وَأَشَارَ أَبُو حَسَنٍ إِلَى جَوَابِهِ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَوَّلًا
يَتَوَقَّعُ مِنْ فِرْعَوْنَ الْمَكْرُوهَ، كَمَا قَالَ: «إِنَّمَا نَحْنُ أَنْ

الْعَرَبُ مَشْبُورًا. (الطَّبْرِيُّ ١٥: ١٧٥)

مَجْبُورًا لَا عَقْلَ لَهُ. (الطُّوسِيُّ ٦: ٥٢٨)

الْفَرَّاءُ: مَنُوعًا مِنَ الْخَيْرِ. (٢: ١٣٢)

مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ، مَطْبُوعًا عَلَى قَلْبِهِ.

(الزَّمْخَشَرِيُّ ٢: ٤٦٩)

أَيُّ مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ، مَطْبُوعًا عَلَى الشَّرِّ.

(الْأَكُوسِيُّ ١٥: ١٨٦)

مِثْلُهُ الْبَيْضَاوِيُّ (١: ٥٩٩)، وَأَبُو السُّعُودِ (٣:

٢٣٥)، وَالْبَرْزَوَسِيُّ (٥: ٢٠٨)

الطَّبْرِيُّ: إِنِّي لَا ظَنُّكَ يَفِرْعَوْنَ مَلْعُونًا مَنُوعًا مِنَ
الْخَيْرِ. (١٥: ١٧٥)

نَحْوُهُ الطُّوسِيُّ (٦: ٥٢٨)، وَالْمَشِيدِيُّ (٥: ٦٣٠)،
وَأَبُو الْفَتْوحِ (١٢: ٢٩٧).

الزَّجَّاجُ: أَيُّ لَا ظَنُّكَ مُهْلِكًا، يَقَالُ: تَبَّرَ الزَّجْلُ فَهُوَ
مَتَّيْرٌ، إِذَا هَلَكَ. (٣: ٢٦٣)

ابْنُ كَيْسَانَ: بَعِيدًا عَنِ الْخَيْرَاتِ.

(أَبُو الْفَتْوحِ ١٢: ٢٩٧)

الْقُتَيْبِيُّ: أَيُّ هَالِكًا تَدْعُو بِالتَّوْبِ.

النَّحَّاسُ: [نَقْلُ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ ثُمَّ قَالَ:]

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ تَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ حَكَمَى
أَهْلَ اللُّغَةِ: مَا تَبَرَّكَ عَنْ هَذَا أَيُّ مَا مَنَعَكَ مِنْهُ، وَصَرَّفَكَ
عَنْهُ؟ فَالْمَعْنَى مَنُوعٌ مِنَ الْخَيْرِ. (٤: ٢٠٣)

نَحْوُهُ الْمَشِيدِيُّ. (٥: ٦٣٠)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: وَاعْلَمْ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا وَصَفَ مُوسَى
بِكُونِهِ مَسْحُورًا، أَجَابَهُ مُوسَى بِأَنَّكَ مَتَّيْرٌ، يَعْنِي هَذِهِ
الْآيَاتُ ظَاهِرَةٌ، وَهَذِهِ الْمَجْزَاتُ قَاهِرَةٌ، وَلَا يَسِرْتَابُ

(١) فِي الْأَصْلِ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ خَطَأً.

«المفردات» في الكلمة نفسها بآية الإسراء: قال ابن عباس رضي الله عنه: يعني ناقص العقل، ونقصان العقل أعظم هلك.

والتفسير على القولين، تقريب، لا يفوتنا معه مافي «الثيور» من حس الهلاك الذي لا ينفك ولا يستراخي. وهو مالم يفت «الزأغب» في تفسير «الثيور» بالهلاك والفساد المتأثر على الإيمان.

ومن صيغ المادّة «المشابة» وفيها معنى الذأب والاستمرار. (الإعجاز البياني: ٢٨٨)
الطّبّاطبائي: المتيور: الهالك، وهو من الثيور، بمعنى الهلاك. (١٣: ٢١٨)

ثُيُورًا

١- ٢- وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَعِيفًا مُتَعَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُيُورًا * لَا تَذْعُوا الْيَوْمَ ثُيُورًا وَإِجْدًا وَاذْعُوا ثُيُورًا كَثِيرًا. الفرقان: ١٣، ١٤.

ابن عباس: لا تدعوا اليوم ويلًا واحدًا وادعوا ويلًا كثيرًا. (الطبري: ١٨: ١٨٨)

(ثُيُورًا): ويلًا يقولون: واويلاه، وأثيوره. (٣٠١)
قَتَادَةُ: ويلًا وهلاكًا. (الأزهري: ١٥: ٨٠)
الفصحاك: (الثيور): الهلاك. (الطبري: ١٨: ١٨٧)
مثله مجاهد. (التحاسن: ٥: ١٢)

أَبُو هُبَيْرَةَ: أَي هَلَكَةٌ، وهو مصدر ثُيِرَ الرَّجُلُ أَي هَلَكَ. [تم استشهد بشعر] (٢: ٧١)

ابن قُتَيْبَةَ: أَي بالهلكة، كما يقول القائل: واهلاكاه.

(٣١٠)

يُزْمَطُ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ، فأمر أن يقول له قولًا ليشأ. فلما قال سبحانه له: (لَا تَخَفْ) وثق بمجابهة الله تعالى، فصال عليه صولة الحمي، وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك.

وبالمجمل التفسير الأول أظهر التفاسير، ولاضير فيه لاسيما مع تعبير موسى ﷺ بِالظَّنِّ، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ قد قارع ظنه بظنه، وشتان ما بين الظنّين، فَإِنَّ ظَنَّ فِرْعَوْنَ إِنْكَ مَبِين، وظنّ موسى ﷺ يحوم حول اليقين.

(١٥: ١٨٦)
هَرَّةٌ دَوْرُوزَةٌ: هالكا، وقيل: إنها بمعنى مصروفا عن الخير، وأنّ ثَرَّ بمعنى صرف أيضا. (٣: ٢٧١)
بنت الشّاطي: وسأل نافع بن الأزرق عن معنى قوله تعالى: (تُثَيِّرُوا)، فقال ابن عباس: ملعونًا محبوسًا من الخير.

ولما سأله: وهل تعرف العرب ذلك؟ أجاب: نعم، أما سمعت قول عبد الله بن الزبيري:

إِذَا بَارَى الشَّيْطَانُ فِي سَنَنِ النَّسِي

وَمِنْ مَالٍ مِثْلِهِ تَثَيِّرُوا
الكلمة من آية (الإسراء: ١٠٢) حكاية عن موسى وفرعون: «لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا نَزَّلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا».

وحيدة الصيغة في القرآن، ومن مادتها جاء (ثُيُورًا) بالنصب أربع مرّات، في آيات الفرقان والانشقاق، في سياق عذاب جهنم: [وذكرت الآيات ثم قالت:]

وهذا هو كلّ مافي القرآن من المادّة، فسرها ابن عباس هنا باللمّة والحبس عن الخير. ونقل الزأغب في

الهُزَوِيُّ : أي هلاكاً، هو ينادي فيقول : وأثبورا .
وقوله تعالى : ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ إِنَّمَا وَحَدَ (ثُبُورًا)
لأنه مصدر، وهو للقليل والكثير سواء، يقال : ضربته
ضرباً كثيراً. (٢٧٢ : ١)

الطُّوسِيّ : يقال : مائترك عن هذا الأمر؟ أي
ماصرفك عنه صرف المهلك عنه؟

فيقولوا : وانصرافاً عن طاعة الله، وقيل :
واهلاكاً. فقال الله تعالى إِنَّهُ يقال لهم عند ذلك :
﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، أي
لا تدعوا يوماً واحداً، بل ادعوا يوماً كثيراً.

والمعنى أَنَّ ذلك لا ينفعكم سواء دعوتم بالويل قليلاً
أو كثيراً. (٧ : ٤٧٦)

الْمَيْبُودِيّ : الثُّبُور : المصدر، أي يقولون : ثَبُرْنَا
ثُبُورًا. وقيل : هو دعاؤهم بالندم : يائثورا، يا ويلتنا .

والثُّبُور : الهلاك، كَأَتَمَ قالوا : ياهلاكاً. (٧ : ١٠)
الزَّمْعُشَرِيُّ : والثُّبُور : الهلاك، ودعاؤه أن يقال :
وأثبورا، أي تحال يثبُور فهذا حينك وزمانك،
(لَا تَدْعُوا) أي يقال لهم ذلك، أو هم أحقّاء بأن يقال لهم
ولن لم يكن ثمّة قول.

ومعنى ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أَنْتُمْ وقعتم فيما
ليس ثُبُوركم فيه واحداً، إِنَّمَا هو ثُبُور كثير، إِنَّمَا لأنّ
العذاب أنواع وألوان، كلّ نوع منها ثُبُور لشدة
وفظاعته، أو لأنهم كلّما نضجت جلودهم بدّلوا غيرها،
فلا غاية لهلاكهم. (٣ : ٨٤)

نحوه التَّبْخَاوِيّ .
الطُّبْرَسِيّ : أي دعوا بالويل والهلاك على أنفسهم،

الطُّبْرِيّ : والثُّبُور في كلام العرب : أصله انصراف
الرجل عن الشيء، يقال منه : مائترك عن هذا الأمر؟
أي ماصرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء
القوم بالندم، على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا،
والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ، حتّى استوجبوا العقوبة
منه، كما يقول القائل : وانداساه، واحسرتاه على
ما فرطت في جنب الله.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل
البصرة يقول في قوله : ﴿دَعُوا هَٰذَا لِكِ ثُبُورًا﴾ أي
هَلَكَه، ويقول : هو مصدر من ثَبُرَ الرجل : أي أَهْلَكَ . [ثمّ
استشهد بشر]

وقوله : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ﴾ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ نَدْمًا
واحداً، أي مرّة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيراً.

وإِنَّمَا قيل : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ لأنّ
الثُّبُور مصدر، والمصادر لأجمع، وإِنَّمَا توصف بامتداد
وقتها وكثرتها، كما يقال : قد قعد قوداً طويلاً، وأكل أكلًا
كثيراً. (١٨ : ١٨٨)

الرَّجَّاح : وقوله : ﴿دَعُوا هَٰذَا لِكِ ثُبُورًا﴾ في معنى
«هلاكاً». ونصبه على المصدر، كَأَتَمَ قالوا : ثَبُرْنَا ثُبُورًا
﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، أي
هلاكم أكثر من أن تدعوا مرّة واحدة.

[قيل] ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لأنّ (ثُبُورًا) مصدر، فهو
للقليل والكثير على لفظ الواحد، كما تقول : ضربته
ضرباً كثيراً، وضربته واحداً، تريد ضربته ضرباً واحداً.
(٤ : ٥٩)

منه القُرطُبيّ . (١٣ : ٩)

كما يقول القائل: وأثبورا، أي واهلاكاه.

وقيل: وانصرافاه عن طاعة الله. (٤: ١٦٤)

الْعُثْرُ الْوَائِي: [مثل الزَّخْخَرِي وَأُضَافَ:]

أو لأنَّ ذلك العذاب دائم خالص عن الشَّوْب، فلمهم في كلِّ وقت من الأوقات ألَّي لانهاية لها ثُبُور. أو لأنَّهم ربَّما يمجَّدون بسبب ذلك القول نوعًا من الحَقَّة، فإنَّ المَعذِب إذا صاح وبكى وجد بسببه نوعًا من الحَقَّة فيزجرون عن ذلك، ويُعْجِرون بأنَّ هذا الثُّبُور سيزداد كلَّ يوم، ليزداد حزنهم وغمهم، نعوذ بالله منه.

(٢٤: ٥٧)

مثله الثَّيْسَابُورِي.

أَبُوخَيَّانَ: والظاهر دعاء الثُّبُور وهو الهلاك، فيقولون: وأثبوره، أي يقال: يَأْثُور فهذا أوْلك.

وقيل: المدعوُّ مَحْذُوف، تقديره: دعوا من لا يُجِيبهم قائلين: ثَبَرْنَا ثُبُورًا. [إلى أن قال:]

وقرأ عمرو بن محمَّد (ثُبُورًا) بفتح التاء في ثلاثها، و«فَعُول» بفتح الواو في المصادر قليل، نحو البَسُول.

(٦: ٤٨٥)

أَبُو الشُّعُود: (ثُبُورًا) أي يَتَمَتَّن هلاكًا، وينادونه يَأْثُوراه، تعال فهذا حينك وأوانك.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ على تقدير قول: إنا منصوب على أنه حال من فاعل دعوا، أي دعوه مقولًا لهم، ذلك حقيقة بأنَّ يحاط بهم الملائكة به، لتنبيههم على خلود عذابهم، وأنَّهم لا يُجِيبون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يمتنونه من الهلاك المتَّجِّي.

أو تمثيلًا وتصويرًا لحالهم بحال من يقال له ذلك، من

غير أن يكون هناك قول ولا خطاب، أي دعوه حال كونهم أحماء بأن يقال لهم ذلك.

وأما مستأنف وقع جوابًا عن سؤال ينسحب عليه الكلام، كأنه قيل: فإذا يكون عند دعائهم المذكور؟ فقيل: يقال لهم ذلك إقناطًا بما علَّقوا به أطباعهم من الهلاك، وتنبيهًا على أنَّ عذابهم الملجئ لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرَّة أبدئي لاختلاص لهم منه.

أي لا تقتصرعوا على دعاء ثُبُور واحد ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾، أي بحسب كثرة الدَّعَاء المتعلِّق به، لا بحسب كثرتهم في نفسه، فإنَّ ما يدعونه ثُبُور واحد في حدِّ ذاته، لكنَّه كلُّما تعلَّق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنَّه ثُبُور مغاير لما تعلَّق به دعاء آخر منها. وتحقيقه: لاتدعوه دعاء واحدًا وادعوه أدعية كثيرة، فإنَّ ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدَّته وطول مدَّته، مستوجب لتكرير الدَّعَاء في كلِّ آن. وهذا أدلُّ على فظاعة العذاب وهوله، من جعل تعدُّد الدَّعَاء وتجدُّده لتعدُّد العذاب بتعدُّد أنواعه وألوانه، أو لتعدُّده بتجدُّد المجلود، كما لا يخفى.

وأما ما قيل من أنَّ المعنى: إنكم وقستم فيما ليس ثُبُوركم فيه واحدًا إنا هو ثُبُور كثير، إمَّا لأنَّ العذاب أنواع وألوان، كلُّ نوع منها ثُبُور لشدَّته وفظاعته، أو لأنَّهم كلُّما نضجت جلودهم بُدِّلوا غيرها فلاغاية هلاكهم، فلا يلزم المقام.

كيف لا، وهم إنا يدعون هلاكًا يُنهي عذابهم ويُنجيهم منه، فلا بدَّ أن يكون الجواب إقناطًا لهم من ذلك، ببيان استحالتهم، ودوام ما يوجب استدعاءهم من

مايُحْتَقَى معه الموت.

وجَوْزُ أَوْبَالِبقَاءِ نَصَب (تُيُورًا) على المصدرية
لِدَعْوَا) على معنى دَعَا دعاءً. وقيل: على المصدرية
لفعل محذوف، ومفعول (دَعْوَا) مقدّر، أي دعوا من
لايُجيبهم قائلين: نَبَرْنَا تِيورًا.

وكلا القولين - كاترى - ولا اختصاص لدعاء الثُور
بكفرة الإنس، فإنه يكون للشيطان أيضًا. (١٨: ٢٤٤)
القاسمي: ﴿دَعْوَا هُنَالِكَ تِيورًا﴾ أي هلاكًا، أي
نادوه نداء الممتحن الهلاك، ليسلموا بما هو أشد منه، كما
قيل: أشد من الموت ما يُحْتَقَى معه الموت. فيقال لهم
﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ تِيورًا وَاجِدًا وَادْعُوا تِيورًا كَبِيرًا﴾
لكثرة أنواعه المتوالية، فإن عذاب جهنم ألوان وأفانين،
أو كثرته باعتبار تجدد أفرادها، وإن كان متحدًا.

أو كثرته: كناية عن دوامه، لأن الكثير شأنه ذلك،
كما قيل في ضده: ﴿وَقَسِيحَةً كَبِيرَةً﴾ لِمَنْقُوعَةِ
وَلَا تَمْنُوعَةٍ الواقعة: ٣٢، ٣٣. وقيل: وُصف الثُور
بالكثرة، لكثرة الدعاء أو المدح به. (١٢: ٤٥٦٩)
الطُّبَّاءُ طِبَّائِي: والثُور: الويل والهلاك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ تِيورًا وَاجِدًا وَادْعُوا
تِيورًا كَبِيرًا﴾ الاستغاث بالويل، والثُور: نوع احتيال
للتخلص من الشدة، وإذا كان اليوم يوم الجزاء فحسب،
لا ينفع فيه عمل ولا يُعْجِدي فيه سبب، ألبتة لم ينفعهم
الدعاء بالثُور أصلًا، ولذا قال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ﴾
إلخ.

فهو كناية عن أن الثُور لا ينفعكم اليوم سواء
استقلتم منه أو استكثرتم، فهو في معنى قوله تعالى:

العذاب الشديد. وتقيد النهي والأمر باليوم لمزيد
التهيل والتضيق والتنبيه، على أنه ليس كسائر الأيام
المعمودة. (٤: ٤٩٨)

البُيُورُ وَسَوِيّ: (تُيُورًا) هو الويل والهلاك، أي
يتمنون هلاكًا، وينادون فيقولون: يائُثُوراه يايولاه
يا هلاكاه، تعال فهذا أوانك.

وفي الحديث: «أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يوم القيامة إبليس
خُلَّةً من النار بعضها على حاجبيه، فيسحبها من خلفه
وذريئته خلفه، وهو يقول: وأثُوراه، وهم ينادون
يائُثُورهم، حتى يقفوا على النار، فينادي يائُثُوراه
وينادون يائُثُورهم.

فيقول الله تعالى، أو يقال لهم على ألسنة الملائكة
تنبيهاً على خلود عذابهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ تِيورًا
وَاجِدًا﴾، أي لا تقتصروا على دعاء ثُور واحد
﴿وَادْعُوا تِيورًا كَبِيرًا﴾ أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق
به لا بحسب كثرته في نفسه.

فإن ما يدعون ثُورًا واحدًا في حد ذاته: وتحقيقه
لاتدعوه دعاءً واحدًا، وادعوا أدعية كثيرة، فإن ما أنتم
فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته، مستوجب
لتكرير الدعاء في كل آن. (٦: ١٩٥)

الآتُوسِيّ: ﴿دَعْوَا هُنَالِكَ﴾ أي في ذلك المكان
الهائل (تِيورًا) أي هلاكًا، كما قال الصَّحَّاح وقتادة: وهو
مفعول (دَعْوَا) أي نادُوا ذلك، فقالوا: يائُثُوراه، على
معنى احتضّر فهذا وقتك.

وجعل غير واحد النداء بمعنى التسمي، فيتمنون
الهلاك ليسلموا بما هو أشد منه، كما قيل: أشد من الموت

﴿إِصْلَوْهَا فَاَصْبِرُوا أَوْ لَا تُصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الطور: ١٦، وقوله حكاية عنهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ غَنَّا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِرٍ﴾ إبراهيم: ٢١.

وقيل: المراد أنَّ عذابكم طويل مؤبد لا ينقطع بشيور واحد بل يحتاج إلى ثبورات كثيرة، وهو بعيد.

(١٨٨: ١٥)

نحوه مكارم الشيرازي.

(٣٧: ١٥)

٣- وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ بِوَعْدِهِ وَزَادَ ظَهْرُهُ فَتَسْوَفُ يُدْعُوا ثُبُورًا. الانشقاق: ١٠، ١١.

ابن عباس: يقول: واويلاه وأثبوره. (٥٠٦)

الصَّحَّاح: يدعو بالهلاك. (الطوسي: ١٠: ٣١٠)

نحوه ابن قتيبة (٥٢١)، والقرطبي (١٩: ٢٧٢)،

والنسفي (٤: ٣٤٢)، والشَّريبي (٤: ٥٠٧)، وشَّبر (٦: ٣٨٥).

الفَرَّاء: الثُّبُور: أن يقول: وأثبوره، واويلاه، والعرب تقول: فلان يدعو لهفه إذا قال: والهفاء.

(٣: ٢٥٠)

نحوه الطبري.

ابن قتيبة: أي بالثُّبُور، وهو: الهلكة. (٥٢١)

الزَّجَّاج: أي يقول: ياويلاه، يأثبوره. وهذا يقوله من وقع في هلكة، أي من أوفى كتابه وراء ظهره، ودليل ذلك على أنه من المعذبين قوله: ﴿وَيَسْأَلُ سَجِيرًا﴾ الانشقاق: ١٢، (٥: ٣٠٤)

القَمَّي: الثُّبُور: الويل. (٤١٢: ٢)

الطُّوسِي: الثُّبُور: الهلاك، أي يقول: واهلاكاه.

والثُّبُور: الهلاك. [إلى أن قال:]

وإنما يقول: واويلاه والهفاء واهلاكاه. لأنه ينزله من المكروه لأجله مثل ما ينزل بالمضجع عليه.

(١٠: ٣١٠)

الْبَغَوِي: ينادي بالويل والهلاك، إذا قرأ كتابه يقول: ياويلاه يأثبوره.

(٧: ١٨٧)

نحوه الخازن.

ابن عَطِيَّة: معناه: يصيح مستحبًا: وأثبوره، واخزيه، ونحو هذا مما معناه: هذا وقتك وزمانك، أي احضرنِي، والثُّبُور: اسم جامع للمكاره كالويل.

(٥: ٤٥٧)

الفَخْرُ الرَّازِي: اعلم أنَّ الثُّبُور هو الهلاك، والمعنى: أَنَّهُ لَمَّا أَوْفَىٰ كتابه من غير يمينه علم أَنَّهُ من أهل النار، فيقول: وأثبوره. قال الفَرَّاء: العرب تقول: فلان يدعو لهفه، إذا قال: والهفاء.

وفيه وجه آخر ذكره الفَخَّال، فقال: الثُّبُور مشتق من المناربة على الشيء، وهي المواظبة عليه، فُسِّمَ هلاك الآخرة ثُبُورًا، لأنه لازم لا يزول، كما قال: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الفرقان: ٦٥، وأصل الغرام: اللزوم والولوع. (٣١١: ١٠٧)

المَبِيدِي: أي إذا قرأ كتابه ينادي بالويل والهلاك، فيقول: واهلاكاه وأثبوره.

(١٠: ٣٤٥)

نحوه الطُّبرسي.

الْبَيْهَقَوِي: يتمنى الثُّبُور، ويقول: يأثبوره، وهو الهلاك.

(٢: ٥٤٨)

مثله الكاشاني.

(٥: ٣٠٥)

ثَمَّ تَوَسَّعُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى ، حَتَّى سَمَوْا التَّرَابَ الَّذِي يُشَبِّه التُّورَةَ تَجَرَّةً ، لِأَنَّهُ فِي صَقٍّ مِنَ الْأَرْضِ ، يُقَالُ : بَلَعْتَ التَّخْلَةَ إِلَى تَجَرَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ .

وَالْتَجَرَّةُ أَيْضًا : أَرْضٌ رَخْوَةٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ بَيْضٍ ، يُقَالُ : انْتَهَبْنَا إِلَى تَجَرَّةٍ كَذَا ، أَيْ حَزَنَةٍ كَذَا .

وَالْمَتَرُ : مَوْضِعُ الْوَلَادَةِ مِنَ الْأَرْضِ ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى التَّوَسُّعِ .

وَالْتَجَرُ : جَزَرُ الْبَحْرِ ، يُقَالُ : تَجَرَ الْبَحْرُ يَتَجَرُّ تَجَرًّا ، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ . لِأَنَّ مَاءَهُ أَبَدٌ فِي الْانْحِسَارِ عَنْ أَرْضِ الشَّاطِئِ ، كَمَا أَبَدَتْ الْحُمْرَةُ فِي الْعَمَقِ عَنْ سَطْحِ الْأَرْضِ . وَلَمَّا عَلَتْ تَسْمِيَةَ جَبَلٍ تَبِيرٍ بِشِيرٍ لِإِعْمَادِ قَسَمَتِهِ فِي الْعُلُوِّ عَنْ سَفْعِهِ .

وَالْجَاذُ : تَجَرَّتْ فَلَانًا عَنْ الشَّيْءِ أَتَجَرُّهُ : رَدَدْتَهُ عَنْهُ ، وَمَاتَجَرَّتْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ أَيْ مَاصِرْفَكَ عَنْهُ؟ وَتَجَرَ اللَّهُ الْعَدُوَّ يَتَجَرُّ تَجَرًّا : أَهْلَكَهُ وَطَرَدَهُ فَهُوَ مَتَجَرٌّ ، أَيْ مَلْعُونٌ مَطْرُودٌ مُعَذِّبٌ ، يُقَالُ : إِلَى أَمَتِهِ يَا وَدِي مِنْ تَجَرٍّ .

وَالْمَتَايِرُ : الْمَلَحُ الْمَدَاوِمُ عَلَى الشَّيْءِ ، يُقَالُ : تَابَرَ فَلَانٌ عَلَى الْأَمْرِ مَثَابِرَةً ، أَيْ أَبَدَ فِيهِ . وَتَابَرَتِ الرِّجَالُ فِي الْحَرْبِ : تَوَاصَلَتْ ، وَهُوَ مِنَ الْإِعْمَادِ وَالْإِعْمَانِ أَيْضًا .

٢- وَبَيْنَ التُّجُورِ وَالتَّبَارِ اسْتِشْقَاقٌ أَكْبَرُ ، فَكُلَاهُمَا يَعْنِي الْهَلَاكَ ، يُقَالُ : تَجَرَّ يَتَجَرُّ تَجَرًّا ، فَهُوَ مَتَجَرٌّ ، أَيْ هَالِكٌ كَالْمَتَجَرِّ ، لَاحِظُ « ت ب ر » .
وَبِهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ فِي سَائِرِ اللَّفَاطِ السَّامِيَةِ كَالعِبْرِيَّةِ وَالْأَرَامِيَّةِ وَالسَّرْيَانِيَّةِ وَالْأَشُورِيَّةِ وَالْأَنْدَكِيَّةِ ، كَمَا وَرَدَ

النَّبِيَّاسُ بَوْرِي : وَالتُّجُورُ : الْهَلَاكَ ، وَدَعَاؤُهُ أَنْ يَقُولَ : وَاتُّجُورَاهُ ، وَتَمَّي الْمَوْطَأَ عَلَى الشَّيْءِ مَثَابِرَةً ، لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَهْلِكَ نَفْسُهُ فِي طَلَبِهِ ، وَالتَّفْسُ تَمْتَنُهُ عَنْ ذَلِكَ .

(٣٠ : ٥٨)

أَبُو حَيَّانٍ : يَدْعُو تَجُورًا يَقُولُ : وَاتُّجُورَاهُ ، وَالتُّجُورُ : الْهَلَاكَ ، وَهُوَ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ الْمَكَارِهِ . (٨ : ٤٤٧)

نَحْوُهُ الْإِكُوسِيُّ . (٣٠ : ٨١)

ابْنُ كَثِيرٍ : أَيْ خَسَارًا وَهَلَاكًا . (٧ : ٢٤٧)

أَبُو الشَّعْهُودِ : أَيْ يَسْتَمْتِي التُّجُورُ وَهُوَ الْهَلَاكَ ، وَيَدْعُوهُ : يَا تَجُورَاهُ تَعَالِ فَإِنَّهُ أَوَانُكَ ، وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ .

(٥ : ٢٤٩)

نَحْوُهُ الْبَرْوَسِيُّ (١ : ٣٧٨) ، وَالطَّخَاوِيُّ (٢٥ : ١٠٠) ، وَالْمُرَاغِي (٣٠ : ٨٨) .

الْقَاسِمِيُّ : أَيْ يَنَادِي بِالْهَلَاكَ ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ : وَاتُّجُورَاهُ وَدَاوِيلَاهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : دَعَا فَلَانٌ لِفُلَانٍ ، إِذَا قَالَ : وَالْهَفَاءُ . (١٧ : ٦١٠٩)

الْحِجَازِيُّ : هَلَاكًا وَمَوْتًا ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَقُولُ : وَاتُّجُورَاهُ وَاهْلَاكَاهُ . (٣٠ : ٣١)

الطَّبَّاطِبَانِيُّ : التُّجُورُ كَالْوَيْلِ : الْهَلَاكَ ، وَدَعَاؤُهُمُ التُّجُورُ قَوْلُهُمْ : وَاتُّجُورَاهُ . (٢٠ : ٢٤٣)

الأصول اللغوية

١- الْأَصْلُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ التَّجَرَّةُ ، أَيْ الْمُحَرَّةُ ، ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى التَّجَرَّةِ فِي الشَّيْءِ وَالْمُزْنَةِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلتَّجَرَّةِ فِي الْجَبَلِ يَكُونُ فِيهَا الْمَاءُ : تَجَرَّةً . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : تَجَرَّتْ الْفَرْحَةُ ، أَيْ انْفَضَّتْ ، فَكَأَنَّمَا انْشَبَهَتْ الْمُحَرَّةُ فِي ذَلِكَ .

«الثُّبُور» في التريائيّة بلفظ «ثُبُرًا» بنفس المعنى أيضًا.

الاستعمال القرآنيّ

جاء من هذه المادّة لفظان هما: «ثُبُورًا» أربع مرّات في الثلاث الأولى، و«ثُبُورًا» مرّة في الأخيرة:

١- «وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَعِيفًا مُقْتَرِبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا» الفرقان: ١٣

٢- «لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَبِيرًا» الفرقان: ١٤

٣- «فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا» الانشقاق: ١١

٤- «قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ فِئْتًا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِضَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَغْبُورًا» الإسراء: ١٠٢

يلاحظ أولاً: أنّ «ثُبُورًا» جاء مصدرًا مفعولاً للفعل «دعا» في الثلاث الأولى. وقد كرّر الفعل وفاعله ومفعوله في (١) و(٢) - وهما متصلان مّا - ثلاث مرّات، تأكيداً وتشديداً للوعد بعذاب السعير في الآخرة. فقبلها «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا» إذا رَأَيْتُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا ... ﴾ الفرقان: ١١-١٣، وهذا عند دخول السعير وذوق ألم النار.

وأما في (٣) فلم يكرّر الدعاء بالثبور، لأنّه قبل حلول العذاب عند تلقي كتاب الأعمال، فقبلها «وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابًا زَوَاهٍ وَظُهُورٍ ﴿ فَسَوْفَ ... ﴾».

ودعاء الثُّبُور عند العرب مثل: «واويلاه، وأثبوره» أو «واهلأكاه» مع تكرار الدعاء عند مواجهة الضيق والمشقة، وهجوم البلاء والآلام عليهم، شكاية من شدة

البلاء. وكلّها اشتدّ العناء، وعظم البلاء، دامت الأرزاء. وتكرّر الدعاء. ولهذا قال في (٢): ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَبِيرًا﴾، أي أنّ العذاب بلغ مبلغاً من الشدّة، يستدعي أن تدعوا ثُبُورًا كثيراً لا ثُبُورًا واحداً.

وقال في الزمخشريّ: «لأنّ العذاب أنواع وألوان، لكلّ نوع منها ثُبُور لشدّته وغطاؤه، أو لأنّهم كلّما نضجت جلودهم بدّلوا غيرها، فلا غاية لهلاكهم». وزاد عليه الفخر الرازيّ «بأنّ ذلك العذاب دائم خالص عن الشوب، فلم يدر في كلّ وقت من الأوقات أنّي لانهاية لها ثُبُور...».

ثانياً: قال الزمخشريّ وغيره بأنّ معنى الدعاء: «تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك». وعليه فالدعاء منهم حقيقيّ، لأنّهم يلتمسون الهلاك ليخلصوا من العذاب، فهو نوع احتيال للتخلّص من الشدّة. وهذا مثل قول الرّجل عند الشدّة: «اللّهم ارزقني المات، وخلّصني من هذه الحياة»، لأنّ الموت عنده حينئذٍ أحلّ من الحياة، كما قيل: «أشدّ من الموت ما يمتنعى معه الموت». وهذا معنى يتلائم مع المعنى الأصليّ للثُّبُور، وهو الانصراف، لأنّه بالموت ينصرف عن الحياة.

وهناك رأي بأنّ الدعاء هنا ليس حقيقيّاً، بل هو عبارة عن تمّني الموت، فهو حالٌّ عن حالتهم التوسّية، لاجن مقالاتهم اللسانية، فهو لسان حال، لا نقل مقال. ومثله يقال في «وَادْعُوا ثُبُورًا كَبِيرًا»، أي هم بحسب حالتهم أحقّاء بأن يقال لهم ذلك، وإن لم يكن تمّة قول. وهذا وجه حسن، وأحسن منه ما احتمله الرازيّ خلال كلامه: أنّهم يمدّون بهذا القول حقّة، فإنّ المعذب إذا

صاح وبكى يحس بحقّة وراحة في نفسه.

ثالثاً: قوله: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا...﴾ توبيخ وتقرّيع ونوع تهكّم لهؤلاء، سواء كان لسان حال أم مقال، أي كزروا هذا القول ما استطعتم، فإنّه لا ينفعكم اليوم، سواء استقلت من أم استكثرتم. فهو في معنى قوله: ﴿إِضْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَاكُمْ﴾ الطّور: ١٦، وقوله حكاية عنهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِبِّينَ﴾ إبراهيم: ٢١، كذا أفاد الطّباطبائي.

رابعاً: «ثُبُور» مصدر مثل: قُود وحُضور، وهو مفعول «دعا» كما سبق، وقيل: مفعول مطلق للفعل «ادْعُوا» أي ادعوا دعاء ثُبُورًا، أو لفعل محذوف، أي ادعوا قاتلين ثُبُورًا، وهو بعيد.

خامساً: «المثبور» في (٤) اسم مفعول، يحكي عن أنّ الفعل «فَرَّ» جاء متعدّياً أيضاً، كما جاء لازماً في باقي الآيات، لأنّه فيها بمعنى الهلاك دون الإهلاك. قال الرّجّاج: «فَرَّ الرَّجُلُ، فهو مثبور»، وذكروا في معناه: ملعون، ومفلوب، ومهلك، ومجنون أو مجبول لاعقل له، ولا عقل له في دينه ومعاشه، ونافق العقل، وملعون محبوس أو ممنوع من الخير، ومخالف، وهالك، ومسحور، ومبدّل، ومبتلى، ومصروف عن الخير مطبوع على عقله، مطبوع على الشّر، وبعيد عن الخير، وهالك يدعو بالثبور. وجمع بعضهم بين هذه الأقوال، وقد أرجعها الثّحّاس إلى معنى واحد، بحجّة أنّه بمعنى الصّرف والمنع في أصل اللّغة.

سادساً: به الرّازي على أنّ فرعون قال لموسى في الآية السابقة: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾،

فأجابه موسى بنفس السّياق: ﴿وَأِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾، أي أنت تنكر هذه الآيات الباهرات حسداً وغيثاً وصبوا إلى الدّنيا، ومن كان كذلك ضاقته الدّمار والثّبور. وقد قابل الأكوّسي بين القولين، فقال: «وقد قارع موسى ظنّه بظنّه، وشكّان مابين الظّنّين، وإنّ ظنّ فرعون إفك مبين، وظنّ موسى عليه السلام يحوم حوم اليقين». ونقول: لا يبعد أنّ (مَثْبُورًا) جاء بهذه الصّيغة رويّاً مثلثاً مع (مَثْبُورًا) على خلاف المعتاد، وله ظهير في القرآن، مثل: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ الصّافات: ١٢٠. وقد سبق في «إلياس» فلاحظ.

سابعاً: استبعد الأكوّسي تفسير «هالك» لأنّ فيه خشونة تنافي ما أمر الله موسى وهارون بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ طه: ٤٤.

وأجاب عنه أبوحيّان بأنّ موسى كان أوّل الأسر يتوقّع من فرعون المكروه، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ أَخْسَفُ أَنْ يَفْطُرَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَفْطِنَا﴾ طه: ٤٦، فأمر أن يقول له قولاً لئناً. فلمّا قال له الله: ﴿لَا تَعْنَفْ﴾، وثق بحماية الله تعالى، فتشدّد في مجابهته بمثل هذا الكلام.

ثامناً: أطالت بنت الشّاطي البحث في هذه المادّة، حتّى استقرّ رأيها على أنّ الثّبور هو الهلاك المستمرّ، ولذا فسّره الرّاغب بالهلاك والفساد والثّابرة على الإيمان، وفي الثّابرة معنى الدّأب والاستمرار.

تاسماً: تخصّص الآيات الأولى الهلاك في الآخرة - كما سبق - أمّا هذه الآية فتخصّص الهلاك في الدّنيا، وإنّ استتبعه الهلاك في الآخرة، إلّا أنّها مشتركة في كونها مكّيّة، تلائم جوّ الإنذار الشّاسع للمشرّكين.

ث ب ط

فَتَبْطَهُمْ

لفظ واحد، مرة واحدة مدنية، في سورة مدنية

النصوص اللغوية

وَأَنبَأَ طَلُوتُ عَنِ الْأَمْرِ: اسْتَأْخَرْتُ تَارِكًا لَهُ.

(١٥٦: ٩)

الْجَوْهَرِيُّ: تَبَطَّه عَنِ الْأَمْرِ تَبْطِطًا: شَغْلَهُ عَنْهُ.

أَبْطَه الْمَرَضُ، إِذَا لَمْ يَكْدِ يَفَارِقْهُ. (١١١٧: ٣)

الْهَزَوِيُّ: وَالتَّبْطِيطُ: التَّمْوِيقُ، وَهُوَ أَنْ تَحُولَ بَيْنَ

الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُهُ وَجَوَاهُ، يُقَالُ: تَبْطِطُهُ عَنِ الشَّيْءِ،

إِذَا بَطَّأَتْ بِهِ عَنْهُ.

وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَتْ سَوْدَةُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امْرَأَةً تَبْطَةً».

قُلْتُ: أَرَادَتْ: بَطِيئَةً، مِنْ قَوْلِكَ: تَبْطِطُهُ عَنِ الْأَمْرِ.

(٢٧٣: ١)

نَحْوُهُ ابْنُ الْأَثِيرِ. (٢٠٧: ١)

ابْنُ سَيِّدِهِ: تَبْطَهُ عَنِ الشَّيْءِ تَبْطًا، وَتَبْطُهُ: رَيْبَتْهُ،

وَبُتِّتْهُ.

وَتَبْطُهُ عَلَى الْأَمْرِ فَتَبْطُ: وَقَفَهُ عَلَيْهِ فَتَوَقَّفَ. [تَمَّ]

الْخَلِيلُ: تَبَطَّه عَنِ الْأَمْرِ تَبْطِطًا، إِذَا شَغْلَهُ عَنْهُ.

(٤١٢: ٧)

ابْنُ السَّكَيْتِ: قَدْ أَتَقَلَّه وَأَبْطَه. (١١٢)

ابْنُ دُرَيْدٍ: «ب ث ط» اسْتَعْمَلَ مِنْ وَجْهِهَا

الْقِطَ، تَبْطُ الرِّجْلُ عَنِ الشَّيْءِ وَتَبْطُهُ عَنْهُ، إِذَا رَيْبَتْهُ

تَبْطِطًا وَتَبْطًا، وَالرِّجْلُ مَبْطُطٌ وَمَشْهُوْطٌ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

فَرَدَدَتْهُ عَنْهُ وَصَدَدَتْهُ، وَالْفَاعِلُ مُبْطُطٌ وَنَابِطٌ.

وَفِي بَعْضِ اللُّغَاتِ تَبْطُتْ شَفَاةُ الْإِنْسَانِ تَبْطًا، إِذَا

وَرَيْبَتْ. وَلَيْسَ بِالنَّبْتِ. (٢٠١: ١)

الصَّاحِبُ: تَبْطَهُ عَنِ الْأَمْرِ تَبْطِطًا: شَغْلَهُ عَنْهُ،

وَتَبْطُ هُوَ.

وَفَرَسٌ تَبْطٌ: وَهُوَ التَّقْيِيلُ النَّزْوُ، وَجَمْعُهُ: تَبْطَاطُ

وَأَنْبَاطُ. وَهُوَ مِنَ الرِّجَالِ: الْأَحْمَقُ فِي عَمَلِهِ الضَّعِيفُ،

وَقَوْمٌ تَبْطُونَ.

[استشهد بشر]

(٩: ١٤٤)

وقفه عليه، فتنبط: توقّف.

الرّواغب: يقال: تبطه المرض وأنبطه، إذا حبسه ومنه، ولم يكد يفارقه. (٧٨)

الرّمخسريّ: تبطه عن الأمر: ربّته فتنبط، وما تبطك عن ذلك؟

وغلّام تبط وجارية تبط: فيها كتل وثقل. [ثمّ استشهد بشر]

وفرس تبط: تغيل الرّزو على الحيرش.

(أساس البلاغة: ٤٣)

استأذنت سودة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة المزدلفة أن تدفع قبله، وقبل خطمة الناس، وكانت امرأة تبطة، فأذن لها. والتبط: من التبط كالفقير من الافتقار، والقياس في فعلها: تبط وقرّر.

(الناقي ١: ١٦٣)

الطّبرسيّ: التبط: التوقيف عن الأمر بالترهيد فيه، ومنه التريث. (٣: ٣٤)

مثله الطّباطبائيّ. (٩: ٢٨٩)

الّيسابوريّ: والتبط: ردّ الإنسان عن الفعل الذي همّ به. (١٠: ٩٧)

أبوحيان: تبطه عن الأمر: أبطأ به عنه، وناقته تبطة أي بطيته السير. وأصل التبط: التوقيف، وهو أن يحول بين الإنسان وبين أمر يريد به بالترهيد فيه. (٥: ٣٥)

القيوميّ: تبطه تبطاً: قدّ به عن الأمر، وشغله عنه، ومنه تخذيلاً ونحوه. (١: ٨٠)

الغيمروز ابادي: تبطه عن الأمر: عوّقه، وبطأ به عنه كتبطه فيها، وشغته وربّت تبطاً وتبطاً، وبطأ الأمر:

والتبط ككتيف: الأحمق في عمله، والضعيف، والتثقل متاً ومن الخيل، وهي بهاء، وقد تبط كفّرح، الجمع: أنباط وبباط.

وأنبطه المرض: لم يكد يفارقه. (٢: ٣٦٥)

محمود شيت: تبط يبط تبطاً: ضُف وثقل، ويبط: حَمَق في عمله، فهو تبط، جمعه: أنباط وبباط.

تبط الجنديّ عن الهجوم: عوّقه وبطأ به.

تبطه عن الواجب: عوّقه وبطأ به، يقال: يعمل المدوّ على تبطيط المنوّات: يعمل على إضعافها.

(١: ١٢١)

المصطفويّ: قد سبق قولنا في «تبت»: أنّ بينه وبين «التبط» اشتقاق أكبر، وإنّ مفهومها من نوع واحد، وظهر من موارد استعمال هذه المادّة: أنّها حقيقة في الثبوت الباطنيّ، والمعنويّ، والفكريّ.

ويدلّ عليه سابق الآية «وَلَوْ لَأَوَّادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً» التوبة: ٤٦، فورد الكلام في ثبوت الإرادة ونفيها، ثمّ بعد انتفاء الإرادة قيل لهم في المرتبة الثّانية: اقموا واثبتوا مع القاعدين.

ويؤيد ما ذكرنا كون حرف الطاء من حروف الاستعلاء والتّخفيف، وحرف التاء من حروف الاستفال والتّريق.

فهذه الهيئة «الثبوت والممدودية قلباً» محفوفة في موارد استعمالها، وكلّ من معاني المحبس والتوقيف والبطء والثقل والريث والثبوت والشغل والقعود والملازمة، منظور من هذه الهيئة.

الفساد. (٣: ٣٥)

النَّيْسَابُورِيُّ: حبسهم في سجن البشيرة.

(١٠: ١٠٢)

البُيُوتِيُّ: أي حبسهم بالجبن والكسل فتشبثوا عنه، ولم يستعدوا له. والتبيط: صرف الإنسان عن الفعل الذي يهيم به. (٣: ٤٤٢)

الآلُوسِيُّ: أي حبسهم وعوقبهم عن ذلك. (١٠: ١١١)
الطَّبَّاطِبَانِيُّ: أي جزاء بنفاقهم، وامتناناً عليك وعلى المؤمنين، لتلا يفسدوا جمعكم، ويفرقوا كلمتكم بالفتنتين، وإلقاء الخلاف. (٩: ٢٩٠)

فضل الله: ﴿فَنَجِّبُهُمْ﴾ وأخرهم عن الخروج، ﴿وَقَبِيلٌ أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِيدِينَ﴾ العاجزين، أو المتكاسلين الذين لا يمشون مسؤوليّة القضايا الكبيرة في ما يفرضه الإيمان على الإنسان في الحياة.

وقد أوضحنا - أكثر من مرّة - أنّ نسبة تأخير الأشياء إلى الله في أفعال السوء التي يقوم بها الإنسان، لا تمثل حالة جبريّة قسريّة في حركة الإرادة لدى الإنسان، بل تمثل الحالة التي يملك فيها الإنسان موقع السبب المباشر في المسألة، التي ترتبط بأدوات العمل وقانون النسيبة، الذي يربط بين الأشياء ومقدّماتها.

وهكذا أبغاهم الله في دائرة التبيط، فلم يخرجهم منها بطريقة غير عادية، لما في ذلك من مصلحة الإسلام والمسلمين، لأنهم يتلون في مواقع عقدة الشقاق في نفوسهم، الخطر الداخلي على المجتمع الإسلامي الذي يعملون على الكيد له، بمختلف الوسائل في الحالة العادية في أوقات السلم، فكيف يكون الأمر في الحالات

فالنظر الأصيل في «الثبوت» إلى الاستقرار الماديّ، وفي «التبيط» إلى الاستقرار القلبيّ والمعنويّ. فلا يخفى اللطّف في انتخاب هذه الكلمة في الآية الكريمة، في حقّ المخالفين المناهقين.

(٢: ٧)

النصوص التفسيرية

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِيدِينَ.

التوبة: ٤٦

ابن عباس: كلهم وفتر تياتهم. (أبو حيان ٥: ٤٨)
الطبري: فتتل عليهم الخروج حتى استغنوا القوم في منازلهم خلافاً، واستنقلوا الشجر والخروج ملك، فتركوا لذلك الخروج. (١٠: ١٤٤)

الزجاج: أي كره الله أن يخرجوا معكم، فردهم عن الخروج. (٢: ٤٥٠)

البغوي: منهم وحبسهم عن الخروج. (٢: ٣٥٥)
المثبدي: أي حبسهم وخذلهم وكلهم.

(٤: ١٤١)

الزمخشري: فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث. (٢: ١٩٣)

نحوه الفخر الرازي (١٦: ٧٩)، والقاسمي (٨: ٣١٦٧)، والخطاوي (٥: ١٣٥).

الطبرسي: ﴿فَنَجِّبُهُمْ﴾ عن الخروج الذي عزموا عليه، لاعت الخروج الذي أمرهم به، لأنّ الأوّل كفر والثاني طاعة.

ومعنى (تجلهم): جفأ بهم وخذلهم، لما يعلم منهم من

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة «تبط» فقط، حول المسافقين الذين تخلّفوا عن غزوة «تبوك»، ثم اعتذروا إلى الرسول بأعذار واهية: «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْفُقَاعِيِّنَ» التوبة: ٤٦

يلاحظ أولاً: أنها جاءت مرة واحدة في سورة مدنية، نزلت في أواخر البعثة، فهل يعني ذلك أنّ هذه المادة كانت شائعة قليلة الاستعمال في البلدين: مكة والمدينة؟ فلم تأت طبعاً هنا إلا لتكتم، سوى مراعاة الزوي، كما ذكرنا في ظواهرها مما جاء مرة واحدة في عجز الآيات، وقد مرّ وسيمرّ - فيما بعد - وذلك أنها جاءت هنا في وسط الآية دون آخرها. والتكتم هي - كما يأتي - أنّ في معناها خصوصيّة لا يؤدّيها إلا هذا اللفظ.

ثانياً: لقد فسّرها المفسّرون بألفاظ مختلفة، يبدو أنّها ترمز إلى شيء واحد، والاختلاف بينها لفظي لا معنوي، مثل: كَسَلَهُمْ وَقَسَّرَ نِيَّاتَهُمْ، فثَقُلَ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ، حتّى استغفوا القعود في منازلهم، واستقلوا السفر والخروج. ومثل: رَدَّهُمُ اللَّهُ عَنِ الْخُرُوجِ وَمَنْعَهُمْ وَحَبَسَهُمْ عَنِ الْمَخْرُوجِ، وَخَذَلَهُمْ وَكَسَلَهُمْ وَضَعَفَ رَغْبَتَهُمْ فِي الْإِنْبِعَاثِ، وَطَغَا بِهِمْ وَخَذَلَهُمْ، وَحَبَسَهُمْ بِالْجُبْنِ وَالْكُسَلِ، وَحَبَسَهُمْ وَعَوَّقَهُمْ، وَأَخْرَجَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ ونحو ذلك.

ثالثاً: يظهر من خلال التصوص اللغويّة أنّ «التبط» كسل الإنسان عمّا يريد أن يفعله، لتلبه الثقل عليه، فأخذ فيه عَصْران: يُقَلّ عارض يتبعه كسل وضعف في

الشديدة الاستثنائية في أوقات الحرب، فإن الخطر عندئذ يزداد أضعافاً، ظلماً لخطورة النتائج على مستقبل الأُمّة في حالة الحرب، أكثر من حالة السلم. (١١: ١٢٨)

الأصول اللغويّة

١- الأصل في هذه المادة: التبط، وهو التبطّ والتريث، يقال: تَبَطَّ الرَّجُلُ عَنِ الشَّيْءِ تَبْطَاطً، أي ريثته، فهو مبطوط. وتَبَطَّ الرَّجُلُ تَبْطَاطً: حَبَسَهُ، أي حملته على التريث والتبطّ. وغلامٌ تَبِطٌ، وجاريةٌ تَبِطَةٌ: ثقيلان بطيان، وفرسٌ تَبِطٌ: ثَقِيلُ النَّزْوِ عَلَى الْحَيْضِ. وتَبَطَّه من الشَّيْءِ تَبْطَاطً: ريثته وطأ به عنه، فهو مَبِطٌ.

وأنبطه المرض: لم يكد يفارقه.

وقول ابن سيده: «تبطه على الأمر فتبط: وقفه عليه فتوقّف» لم تنف عليه في أقوال من سبقه.

وأما قولهم: تَبَطَّتْ شَفَةُ الْإِنْسَانِ، أي وَرِمَتْ، فهو مقلوب «تَبَطَّتْ».

٢- ويبدو أنّ هذه المادة قليلة الاستعمال في اللغة العربية، إذ لم يذكر الخليل منها إلا قولهم: تبطه عن الأمر تببطاً، إذا شغله عنه. وزاد عليه الجوهري قوله: وأنبطه المرض، إذ لم يكد يفارقه، وأصلها الأزهري كلّها.

وفضلاً عن ذلك فإنّ هذه المادة غير معروفة في سائر اللغات السامية، كما أنّ تقاليها الخمسة الباقية مهملة في العربية أيضاً.

وأما السيد فضل الله فعلم المشكلة بما ذكره مراراً من أن نسبة ما يقوم به الإنسان من أفعال السوء في القرآن إلى الله، جريئاً على قانون السببية الذي يمر من خلال الأسباب المباشرة، ألقي منها إرادة الإنسان، وتنتهي إلى الله، فلاحظ.

أما المعتزلة والشيعة وأتباعهم، فعندهم تأويلات مختلفة يكرّرونها ذيل الآيات. وأما الأشاعرة ومعهـم السلفيّة - فيحتفظون بظاهرها، ويستدلّون بها على مذهبهم بأن أفعال العباد هي فعل الله، ويستخلصون من شبهة الجبر بالقول بالكسب، لاحظ «ك س ب».

خامساً: قوله: ﴿كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، فالثبّط متفرّع على كراهة الانبعاث، أي كره الله انبعاث المنافقين بعد البعث إلى القتال، ولم يرض بخروجهم ونهوضهم للقتال، فثبّطهم. والانبعاث مطاوعة البعث، وعدم الانبعاث عبارة أخرى عن تناقلهم وعدم تحرّكهم، وتأثّرهم بالأمر بالقتال. فجاءهم الثبّط، وهو ضعف الإرادة والكسل مع الثقل، فاحسن الالتئام والانسجام بين الانبعاث والثبّط معنًى، كما أنّ بينهما جناساً تاماً لفظاً بتكرار حرف «الثاء» فيها كما سبق.

سادساً: لمّ قوله: ﴿وَقَبِلَ اقْتَدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ بلفظ «قبل» بجهولاً إشارة إلى هذا الوهن التّسّي الذي جاءهم من دون أن يعلموا مصدره، دون أن يخاطبوا بخطاب يسمعون به سماعهم.

إرادته، فعزوف عتاً يريد. فليس «الثبّط» مطلق الحبس والمنع والصرف وما يُراد فيها، ولأنّما هو انصراف عن عمل أراده، فكسل وثقل، ووهنت إرادته. وهذا المعنى المزدوج من الثقل وضعف الإرادة لا يؤدّيه إلا الثبّط.

أما الثبّط فهو إبعاد الثقل وتضعيف الإرادة في الإنسان من النّير، أو كلا الثبّط والثبّط متعدّ، لمسيه المربوط في اللّغة. وقد لاحظنا بعضهم في تفسيرها مع تفاوتٍ في تقديم الاستيقاظ على وهن الإرادة أو تأخيرها عنه، ولكلّ منها وجه.

وعليه فصفة «تعميل» هنا للتأكيد والتشديد دون التعمية، ولعلّ هذه هي النكتة في الإتيان به ثبّط، إضافة إلى الجناس التافه بين «الانبعاث» و«ثبّط» في حرف «الثاء».

رابعاً: نُسب الثبّط هنا إلى الله، حيث قال: ﴿كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقَبِلَ اقْتَدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، أي أنّ الله كره خروجهم معكم، فسلب عليهم الثقل، ووهن عزيمتهم، وبذلك قويت شبهة الجبر.

وقد استخلص منها الطبرسي بقوله: «فثبّطهم عن الخروج الذي عزموا عليه - وهو الإفساد والتفتين بين المجاهدين المذكورين في الآية اللاحقة - لاعتن الخروج الذي أمرهم به، لأنّ الأوّل كفر، والثاني طاعة».

وقال الطباطبائي: «أي جزاهم بنفاقهم، وامتناناً عليك وعلى المؤمنين، لأنّ يفسدوا جمعكم، ويُفترقوا كلتكم بالتفتين والقاء الخلاف».

ث ب ي

ثَبَات

لفظ واحد، مرة واحدة مدنية، في سورة مدنية

النصوص اللغوية

اللينة.

فإذا جاءت في كلمة فليتها، فإن صارت ياء فاكتبها ياء، نحو: الزيات. وإن صارت واوًا في التلحين فأشغطها من الكتابة، نحو: المسالة، ويخرون، أي يجأرون، ولذلك لانكتب في «الجزء» واوًا لسكون ما قبلها، ونقول بغير الهزمة: جزو. ومن كتب الواو في «جزؤ» فإتما ذلك تحويل، وليس تليينًا.

والبصراء من الكتابة يحذفون الواو من «جزو» لأنهم يكتبونها على التلحين، فإذا قلت: جزء، حوّلت صرّفها على الزاي، وسقطت الهزمة، وإذا قلت: جزؤ، حوّلت الهزمة واوًا. (٨: ٢٤٨)

سيبويه: ثبة: تجمع ثبُون وثبين، في الرفع والتصب والجر. وإتما جمعت بالواو والثون - وكذلك عزة وعضة - كقوله عز وجل: «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» المجر: ٨١، لأن الواو والثون جعلتا عوضًا من حذف آخر الكلمة.

الخليل: الثبة: الثبة من الفرسان، ويجمع: ثبات وثبين. [ثم استشهد بشعر]

والثبي أيضًا: مثل الثبات. وما كان من المنقوص مضمومًا أو مكسورًا فإنه لا يجمع بالثبام.

والثبة: وسط الحوض، يثوب إليه بقية الماء. ومن العرب من يصفرها: ثوبية، يقول: هو من ثاب يثوب. والعامة يصفرونها على: ثببة، يثبون اللفظ. والثبة من الخيل، لا يثقلون في تصغيرها على: ثبيبة.

والذين يقولون: ثوبية في تصغير: ثبة الحوض، لزموا القياس، فردّوا إليها التقصان في موضعها، كما قالوا في تصغير «رمة»: روية. والذين يلزمون اللفظ يقولون: روية، على قياس: قوة وقوية.

وإتما تكتب الهزمة على التلحين، لأنها لاحظت لها في الهجاء والكتابة، إتما ثرت في ذلك إلى الياء والواو والألف

من باب «ثاب». [إلى أن قال:]

وقال آخرون: الثَّبةُ: من الأسماء الناقصة، وفي الأصل: ثُبَيْتٌ، فالساقط هو لام الفعل في هذا القول، وأما في القول الأول فالساقط عين الفعل.

ومن جمل الأصل: ثُبَيْتٌ، فهو من ثُبَيْتٍ على الرُّجُل، إذا أُنْثِيتَ عليه في حياته، وتأويله: جمع محاسنه.

ولما الثَّبةُ: الجماعة.

يقال: ثَبَّ مَرُوفَك، أي أَمَّه وزد عليه. [ثم نقل قول الأصمعي وقال:]

وقال غيره: أنا أَصْرَفُهُ ثَبِيَّةً، أي أَصْرَفُهُ مَعْرِفَةً أَعْجَمَهَا وَلَا سَتَقْنَهَا.

وقال أبو خَيْرَةَ: الثَّبةُ: ما اجتمع إليه الماء في الوادي أو في الغائط، ولما سَمِيتَ «ثَّبة» لِأَنَّ الماء يَتَوْب إليها.

وقال أبو خَيْرَةَ: ثاب الحوض يتوب ثوباً وثوباً، إذا امتلأ، أو كاد يمتلئ. (١٥٥: ١٥٥)

الصَّاحِب: [نحو الحَكِيل وأُصَاف:]

والثَّبية: الثَّناء على الإنسان في حياته، والدَّوام على الشَّيء،، والزَّيادة فيه.

وثَبَّيت معروف في عنده ثَبِيَّةً، أي رَسَبَتْه. ويقولون: ما يبدله عندي مال منِّي ولا ولد مرئي، أي مال دائم نام. والثَّبية: أن تسير بسيرة أهلك وتعمل فعله.

وفلان لا يَثْبِي على الذَّنوب، إذا كان يحبها بذكره. ونَبَّى علي، أي قَرَفَ علي.

والثَّبي: الثَّبِيْنَةُ والدُّحْلُ^(١)، في قول الآقُو:

وَتَبَّةُ الَّتِي هِيَ الْجَمَاعَةُ، مَحْذُوفٌ آخِرُهَا، تُصَغَّرُ ثُبَيْتٌ. وَتَبَّةُ الْحَوْضِ: وَسَطُهُ، حَيْثُ يَتَوْبُ الْمَاءُ إِلَيْهِ، تُصَغَّرُ ثُبَيْتٌ، لِأَنَّ هَذَا مَحْذُوفٌ مِنْ عَيْنِ الْفِعْلِ، وَلِإِنَّمَا اشْتَقَّتْ «تَبَّةُ الْجَمَاعَةِ» مِنْ ثُبَيْتٍ عَلَى الرَّجُلِ، إِذَا أُنْثِيتَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَتَأْوِيلُهُ أَنَّكَ جَمَعْتَ ذِكْرَ مُحَاسِنِهِ.

فَأَمَّا الثَّبةُ: الْجَمَاعَةُ مِنْ فِرْقَةٍ. (الرَّجَاجُ ٢: ٧٥) أَبُو هُرَيْرَةَ وَالشَّيْبَانِيُّ: الثَّبيةُ: الثَّناء عَلَى الرَّجُلِ فِي حَيَاتِهِ. (الْجَوْهَرِيُّ ٦: ٢٢٩١)

الْأَصْمَعِيُّ: ثَبَيْتٌ عَلَى الشَّيْءِ ثَبِيَّةٌ، أَيْ دُمْتُ عَلَيْهِ. (الْجَوْهَرِيُّ ١٠: ٢٢٩٠)

الثَّبيةُ: الدَّيَاةُ عَلَى الشَّيْءِ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ١٥٧) ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الثَّبيةُ: لَزُومُكَ طَرِيقَ أَيْك.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ١٥٧)

صَمِيرُ: الثَّبيةُ: إِصْلَاحُ الشَّيْءِ،، وَالزَّيَادَةُ عَلَيْهِ.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ١٥٦)

ابْنُ أَبِي الْيَمَانِ: الثَّبةُ: الْفِرْقَةُ مِنَ النَّاسِ، وَالْجَمْعُ: ثُبُونٌ. (٢٠٩)

كُرَاعُ الثَّمَلِ: ثَبِيْتُ الْمَالِ: حَفَظْتَهُ.

(ابْنُ سِيدَةَ: ١٠: ٢٠٢)

الْأَزْهَرِيُّ: الثَّبةُ: هِيَ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، وَتُجْمَعُ: ثَبَاتٌ، وَثُبَى وَثُبَيْنٌ. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ اللُّغَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَأْخُذَةٌ مِنْ «ثَاب» أَيْ عَادَ وَرَجَعَ، وَكَانَ أَصْلُهَا: ثُبَيْتٌ، فَلَمَّا حُسِّتِ الثَّاءُ حُذِفَتِ الْوَاوُ، وَتَضْمِيرُهَا: ثُبَيْتٌ. وَمِنْ هَذَا أُخِذَ: ثَبَّةُ الْحَوْضِ، وَهُوَ وَسَطُهُ الَّذِي يَتَوْبُ إِلَيْهِ بِقِيَّةِ الْمَاءِ.

وَالثَّبَاتُ: جَمَاعَاتٌ فِي تَفَرُّقَةٍ: وَكُلُّ فِرْقَةٍ ثَبَّةٌ، فَهَذَا

...وقد عظم الثَّيِّبُ *

وقيل: الزَّمَاد.

ومرَّيْتِي مالا يفعل، أي لا يذكر من نفسه مالا يفعل.

وَأُثْيِبَةُ من النَّاسِ، أي جماعة.

والأَثَابِيُّ: جماعة الخليل، كالثَّيِّبِ. (١٠: ١٨٧)

ابن جَنِّي: هذا الباب كلُّه من الواو [ل] أَنَّ أَكْثَرَ

ما ذهبَتْ لأمه إِنَّمَا هو من الواو، نحو: أَب، وَغَد، وَأَخ،

وهن. (ابن سيده ١٠: ٢٠٣)

الجَوْهَرِيُّ: الثَّيِّبَةُ: الجماعة، وأصلها: ثَيْبٌ، والجمع:

ثُبَات وَثُبُون وَثُبُونٍ وَأَثَابِي. [تم استشهد بشعر]

والثَّيِّبَةُ أيضاً: وسط المحوض الذي ينوب إليه الماء،

والهاء هاهنا عوض من الواو الذَّاهِبَةُ من وسطه، لأنَّ

أصله: ثَوْبٌ، كما قالوا: أَقام إقامةً، وأصله: إِقْوَامًا.

فَعَوَّضُوا الهاء من الواو الذَّاهِبَةَ من عين الفعل.

(٦: ٢٢٩١)

ابن فارس: الثَّاءُ والباء والياء أصل واحد، وهو

الدَّوَامُ على الشيء، قاله الخليل. وقال أيضاً: الثَّشِيبة:

الدَّوَامُ على الشيء، والثَّشِيبة: الثَّناء على الإنسان في

حياته. [تم استشهد بشعر]

فهذا أصل صحيح. وأما الثَّيِّبَةُ: فالثَّصِبة من

الفرسان، يكونون ثَيْبَةً، والجمع: ثُبَات وَثُبُون. [تم

استشهد بشعر]

قال الخليل: والثَّيِّبَةُ أيضاً ثَيْبَةُ المحوض، وهو وسطه

الَّذِي ينوب إليه الماء. وهذا تحليل من الخليل للمسألة،

وهو يدل على أَنَّ السَّاقَطَ من «الثَّيِّبَةِ» وأَوْ قَبْلَ الْبَاءِ، لَأَنَّهُ

زعم أَنَّهُ من «ينوب».

وقال بعد ذلك: أَمَّا الْعَامَّةُ فَإِنَّهُمْ يَصِفُونَهَا عَلَى

«ثَيْبَةٍ» يَتَّبِعُونَ اللَّفْظَ. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: «ثَوْبِيَّة» فِي

تَصْغِيرِ: ثَبَّتَ المحوض، فَإِنَّهُمْ لَزَمُوا الْقِيَاسَ، فَرَدُّوا إِلَيْهَا

التَّصْغِيرَ فِي مَوْضِعِهِ، كَمَا قَالُوا فِي تَصْغِيرِ رَوِيَّةٍ: رَوَيْتُهُ،

لَأَنَّهَا مِنْ رَوَاتٍ.

وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ الْأَصْلَ فِي: ثَبَّتَ المحوض وَثْبَةً الْخَلِيلِ

وَاحِدٌ، لِاخْتِلَافِ بَيْنِهِمَا. وَالتَّصْغِيرُ فِيهَا «ثَيْبَةٍ» وَقِيَاسُهُ

مَابَدَأْنَا بِهِ الْبَابَ فِي ذِكْرِ «الثَّشِيبة» وَهُوَ مِنْ: ثَبَّتَ عَلَى

الشيء، إِذَا دَامَ. وَأَمَّا اسْتِغْنَاؤُهُ «الرَّوِيَّةَ» وَأَنَّهَا مِنْ

«رَوَاتٍ» فَفِيهِ ظَرْفٌ. (١: ٤٠١)

الهِسْرَوِيُّ: «ثُبَات» الواحدة: ثَيْبَةٌ، وَكَانَتْ فِي

الْأَصْلِ: الثَّيِّبَةُ. وَقَدْ ثَبَّتَ الْجَيْشُ: جَعَلَتْهُ ثَيْبَةً.

يَقَالُ: ثَبَّتَيْتُ عَلَى الرَّجُلِ فِي حَيَاتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّكَ

جَمَعْتَ ذِكْرَ عَاصِنِهِ. (١: ٢٧٤)

ابن سيده: الثَّيِّبَةُ: الثَّصِبة من الفرسان. والجمع:

ثُبَات، وَثُبُون، وَثُبُونٍ، عَلَى حَدِّ مَا يَطْرُدُ فِي هَذَا النَّحْوِ.

وَتَصْغِيرُهَا: ثَيْبِيَّةٌ.

وَالثَّيِّبَةُ، وَالْأُثْيِبَةُ: الجماعة من النَّاسِ. والجمع:

أَثَابِي، وَأَثَابِيَّةٌ، الهاء فيها بدل من الياء الأخيرة.

وَتَبِيتَ الشيء: جَمَعْتَهُ ثَيْبَةً. [تم استشهد بشعر]

وَتَبِيتَ الرَّجُلَ: مَدَحْتَهُ، وَأَتَبَيْتَ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ.

وهو من ذلك، لَأَنَّهُ جَمَعَ لَهَا سَنَةً، وَخَشَدَ لِمُنَاقِبِهِ.

وَالثَّشِيبة: الدَّوَامُ على الشيء.

وَالثَّشِيبة: أَنْ تَعْمَلَ مِثْلَ فُلِ أَبِيكَ. [تم استشهد بشعر]

وَالْأُثْيِبَةُ: الجماعة، كالثَّيِّبَةِ.

وَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَى مَا لَمْ تَطْعُرْ فِيهِ الْيَاءَ مِنْ هَذَا الْبَابِ

ولقولهم: ثَبُوتٌ له خيرًا بعد خيرٍ أو شرًا، إذا وجهته إليه، كما تقول: جاءت الخيل ثَبَاتٍ، أي قطمة بعد قطمة. وَتَثَبَّتُ المِشِي، إذا جعلته ثَبَّةً ثَبَّةً، وليس في «تَثَبَّت» دليل أكثر من أن لامة حرف علة.

و«أَثَابِي» ليس جمع ثَبَّة، وإنما هو جمع: أَثَبَّة، وأَثَبِيَّة (ابن منظور ١٤: ١٠٨) في معنى ثَبَّة.

العُكْبَرِيُّ: ثَبَات: جمع ثَبَّة، وهي الجساعة، وأصلها: ثَبُوتَة، تصغيرها: ثَبِيَّة. فأثابُ ثَبَّة الموض - وهي وسطه - فأصلها: ثَبُوتَة، من ثَابَ يَثُوب، إذا رجع، وتصغيرها: ثَبِيَّة. (١: ٣٧١)

أَبُو حَتَّان: الثَبَّة: الجساعة الاثنان والثلاثة في كلام العرب، قاله الماتريدي. وقيل: هي فوق العشرة من الرجال.

وزنها: «فُعْلَة» ولامها قيل: واو، وقيل: ياء، مستقاة من: تَثَبَّيْتُ على الرجل، إذا أثبتت عليه، كأنك جمعت بحاسنه.

ومن قال: إِنَّ لَامَهَا واو جعلها من: ثَبَا يَثُوب، مثل حَلَا يَحْلُو، وتُجْمَع بالآلف والتاء وبالواو والتون، فتضم في هذا الجمع تاؤها أو تكسر.

وَبُتَّة الموض: وسطه الذي يثوب الماء إليه، المذوف منه عينه، لأنّه من ثَابَ يَثُوب. وتصغيره: ثَبِيَّة، كما تقول: في سَةِ ثَبِيَّة، وتصغير تلك: ثَبِيَّة. (٣: ٢٨٢) نحوه أبو السُّود. (٢: ١٦٢)

الفيروز ابادي: الثَبَّة: الجمع والدوام على الأمر، والتثاء على المحي، وإصلاح الشيء، والزيادة والإتمام والتظيم، وأن تسير بسيرة أبيك، والشكاية من حالك

بالياء، لأنّها لام. (١٠: ٢٠١)

الرَّاهِب: ثَبَات: جمع ثَبَّة، أي جماعة منفردة، [ثمّ استشهد بشر]

ومنه: ثَبْتُ على فلان، أي ذكرت متفرق بحاسته. ويصتر «ثَبِيَّة»، وتُجمع على: ثَبَات وثَبِين، والمذوف منه الياء.

وأما ثَبَّة الموض: فوسطه الذي يثوب إليه الماء، والمذوف منه عينه لا لامة. (٧٨)

الرَّمْعَشَرِيُّ: نفروا إلى العدو ثَبَاتٍ وثَبِين، أي جماعات متفرقة. وعنده أَثَبِيَّة من الخيل وأَثَابِي. [ثمّ استشهد بشر]

ومن الجاز: قولهم: ما يبدله عندي مَالٌ مَثِي، ولولا دُرُيٌّ، أي مجموع مجمل ثَبَات. وشي الله لك التمس: ساقها إليك ثَبَات. [ثمّ استشهد بشر]

وثَبِّي على الرجل: أني عليه ثناء كثيرًا، كأنما أورد عليه ثَبَات منه. (أساس البلاغة: ٤٣)

الطَّبْرَسِيُّ: الثَبَات: جماعات في تفرقة، وأحدثها: ثَبَّة. [ثمّ استشهد بشر]

وقد يُجمع الثَبَّة: ثَبُون. وإنما جُمع على الواو - وإن كان هذا الجمع مختصًا بما يعقل - للتويز عن النقص الذي لحقه، لأنّ أصله «ثَبُوتَة» ومثله: عضون وسنون وعزون، فإن صَفَرْتُ قلت: ثَبِيَّات وثَبِيَّات، لأنّ النقص قد زال. (٢: ٧٣)

ابن بَرِّي: الاختيار عند المحققين أن «ثَبَّة» من الواو، وأصلها: ثَبُوتَة، حملًا على أخواتها، لأنّ أكثر هذه الأسماء الثَبَاتِيَّة أن تكون لامها واوًا، نحو عِرَّة وِعِصَّة.

وظهر أن الثناء والمدح باعتبار التحديد والجمع
فكرًا، وحفظ المقام والامتصاف عن المقالات المتفرقة
والمفرقة في حق المدوح.

وهكذا الدوام على الشيء باعتبار التحديد والثبوت
في الأمر السابق، وترك الخلاف والتفرق. (٨: ٢)
محمود شيت: نبي الجنود: جمعهم.

نبي الجيش: جملة جماعات.

الثبوت: الجماعة من الفرسان خاصة، وثبات:
الجماعات من الفرسان. (١٢١: ١)

النصوص التفسيرية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا جِذْرَكُمْ فَإِنِزُوا ثُبَاتٍ أَوْ
إِنِزُوا جَيْهَاتٍ. النساء: ٧١

ابن عباس: عَصَبًا، يعني سرايا متفرقين.

مثله الضحاك. (الطبري: ٥: ١٦٥)

أن ينفردوا فِرْقًا، فرقة بعد فرقة، فرقة في جهة
وفرقة في جهة. (المصاحف: ٢: ٢١٤)

مثله مجاهد والضحاك وقادة (المصاحف: ٢: ٢١٤)،
والطبري (٢: ٧٣).

مُجَاهِد: فِرْقًا قَلِيلًا قَلِيلًا. (الطبري: ٥: ١٦٥)

الإمام الباقري: المَرَادُ بِالْثُبَاتِ: السَّرَايَا،
وبالجمع: السُّكَّر.

السُّدِّي: فِيهِ الثُّبَةُ. (٢٠: ٨)

الفَرَّاء: عَصَبًا، يقول: إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى السَّرَايَا أَوْ
دُعِيتُمْ لِتَنْفِرُوا جَيْهَاتٍ.

أَبُو عُبَيْدَةَ: وَاحِدَتَهَا: ثُبَةٌ. وَمَعْنَاهَا جَمَاعَاتٌ فِي

وَحَاجَتِكُمْ، وَالِاسْتِدْعَاءُ، وَجَمْعُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ ضَدًّا.

وَالْثُبَةُ: وَسَطُ الْحَوْضِ، وَالْجَمَاعَةُ كَالْأَنْبِيَةِ وَالْعَصَبَةِ
مِنَ الْفُرْسَانِ، الْجَمْعُ: ثُبَاتٌ وَثُبُونٌ بِضَمِّهَا. (٤: ٣٠٩)

مُجْمَعُ اللَّفْظِ: الثُّبَةُ بِضَمِّ فَتْحِ: الْجَمَاعَةُ الْمُسْتَفْرَدَةُ
مِنَ النَّاسِ، وَجَمْعُهَا: ثُبَاتٌ. (١: ١٦٧)

مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ: نَسَبُ النَّبِيِّ نَسَبًا:
جَمْعُهُ، وَثُبَاتٌ: جَمْعُ ثُبَةٍ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَالْعَصَبَةُ مِنْ
الْفُرْسَانِ. (١: ٩٥)

الْمُصْطَفَوِيُّ: لَا يَخْنِي مَا فِيهَا بَيْنَ مَوَادِّ: ثَبِتَ، ثَبَرُ،
ثَبُطٌ، نَبِيٌّ، ثَبَرٌ، مِنَ التَّنَاسُبِ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالِاسْتِقْنَاءُ
الْأَكْبَرُ.

ومفهوم المهدودية محفوظ في كل منها، فإن
المهدودية من جهة الفواهر يعبر عنها غالبًا بالثبوت،
ومن جهة البواطن بالثبوت، ومن جهة الابتلاء والمضيقة
بالثبوت، ومن جهة الكسبية والمقدار بالثبوت والثبوت.

فالأصل الواحد في هذه المادة: هو التجمع والتوجه
إلى أمر: من إدامة أمر، أو العمل لشخص، أو جمع شيء
وتحديده.

فالثبوت هو الشيء المهدود المتجمع، أو القطعة
المهدودة من الناس أو الخيل أو الماء، وجمعه: ثُبَاتٌ
وثبوت، أي القطعات المهدودة، والجماعات المتحيزة
المتلفة، يجمعها عنوان واحد.

وقد ذكرت في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
خُذُوا جِذْرَكُمْ فَإِنِزُوا ثُبَاتٍ أَوْ إِنِزُوا جَيْهَاتٍ﴾ النساء: ٧١.

في مقابل الجميع، وهو القطعة الواحدة المتجمعة، بخلاف
الثبات فهي بمعنى القطعات.

- تفرقة. (١٣٢: ١) الاجتماع. (٨٢: ٥)
- ابن قُتَيْبَةَ: جماعات، واحدها: ثُبَّة، يريد جماعة بعد جماعة. (١٣٠)
- الطَّبْرِيُّ: وهي جمع ثُبَّة، والثبَّة: العصبة، ومعنى الكلام: فانفروا إلى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلحين. (١٦٤: ٥)
- الرَّجَّاح: انفروا جماعات متفرقة. (٧٥: ٢)
- الْقَيْسِيُّ: حالان من المضمر في (انْفِرُوا) في اللَّفْظَيْن، ومعنى (ثُبَات): مفترقين، واحدها: ثُبَّة، وتصغيرها: ثُبَيْة. (١٩٦: ١)
- الْمَاوُزِيُّ: معنى الآية: فانفروا عُصَبًا وُفَرًا أو جيئًا. (٥٠٦: ١)
- الطُّوسِيُّ: أي يأتون متفرقين. (٢٥٢: ٣)
- السَّيِّدِيُّ: تذهبون متفرقين فِرَقًا بعد فِرَقٍ، لأنَّ رسول الله ليس معكم. (٥٧٨: ٢)
- الرَّمَحْشَرِيُّ: إذا نفرتم إلى العدو، إمَّا (ثُبَات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية، وإمَّا (جَيْعًا). (٥٤١: ١)
- نحوه الفَخْرُ الرَّازِيُّ (١٠: ١٧٧)، والنَّسْفِيُّ (١: ٢٣٥)، وأبو السَّعْدِ (٢: ١٦٢)، والْبُرْهَسِيُّ (٢: ٢٣٥)، والقاسمي (٥: ١٣٩٢).
- ابن حَقِيَّة: معناه: جماعات متفرقات، فهي كناية عن السرايا. (٧٧: ٢)
- النَّيْسَابُورِيُّ: جماعات متفرقة، سرية بعد سرية، واحدها: ثُبَّة، محذوفة اللام، وأصلها «ثبي» فمؤنست الماء عن الياه المحذوفة، والتَّركيب يدلُّ على
- أبو حَيَّان: وانتصاب (ثُبَات) و(جَيْعًا) على الحال، ولم يُقرأ (ثُبَات) فيما علمناه إلا بكسر التاء. وقال الفراء: العرب تخفض هذه التاء في التصب وتنصبها. (٢٩٠: ٣)
- رشيد رضا: والمسنى: فانفروا جماعة في إثر جماعة، بأن تكونوا فصائل وُفَرًا، وهو الذي يتعين إذا كان الجيش كثيرًا أو كان موقع العدو يقتضي ذلك، وهو الغالب.
- أو انفروا كلَّكم مجتمعين إذا قضت الحال بذلك.
- أو المعنى فانفروا سرايا وطوائف على قدر الحاجة، أو هيرًا عامًا. ويجب هذا إذا دخل العدو أرضنا، كما قال الفقهاء. (٢٥٣: ٥)
- نحوه المُرَّازِيُّ. (٨٨: ٥)
- الطَّبَّاطِبَائِيُّ: والثبَات: جمع ثُبَّة، وهي الجساعة على تفرقة. فالثبَات الجساعة بعد الجساعة، بحيث تتفصل ثانية عن أولى، وثالثة عن ثانية. ويؤيد ذلك مقابلة قوله: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ قوله: ﴿أَوْ انْفِرُوا جَيْعًا﴾. (٤١٦: ٤)

الأصول اللغوية

- ١- الأصل في هذه المادة: الثبَّة، أي الجساعة من النَّاس والفرسان، والجمع: ثُبَات، وثُبُون، وثُبُون، وأثابي. يقال منه: جاءت الخيل ثُبَاتٍ، أي قطعة بعد قطعة، وثبَّت الجيش: جعلته ثُبَّةً ثُبَّةً.
- والثبَّة أيضًا: ما اجتمع إليه الماء في الوادي أو في الغاط أو في الحوض.

الاستعمال القرآني

جاء منها اللفظ التالي في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ

انْفِرُوا جِهًا﴾ النساء: ٧١

يلاحظ أولاً: أَنَّ (ثُبَاتٍ) جاءت مرة واحدة في

سورة مدنية، خلال سياق النفر إلى قتال العدو، وذلك

- حسب العادة - لا يكون إلا جماعة، لا منفرداً، إلا أَنَّ

الجماعة النافرة إلى القتال تنقسم إلى جماعات متعددة إذا

كانت كثيرة، فتفر جماعة خلف جماعة، وإذا كانت

قليلة تفر في جماعة واحدة.

والآية تبين هاتين الحالتين، فجعلته ﴿فَانْفِرُوا

ثُبَاتٍ﴾ تعني المعنى الأول، أي جماعة جماعة، وجملة

﴿أَوْ انْفِرُوا جِهًا﴾ تعني الثاني، أي جماعة واحدة.

ثانياً: (ثُبَاتٍ): جمع «ثُبَّة»، وهي مستلة اللأم

المحذوفة، سواء كانت أوامراً أم ياءً، وعُوُض عنها الهاء

وشاعت عند العرب - كما سبق - في الحروب والمجيش.

قال الهروي وابن بري: «ثببت الجيش: جعلته ثُبَّةً ثُبَّةً».

وقال ابن فارس وابن سيده: «الثبَّة: المُصْبَة من

الفرسان...»، وقال محمود شيت: «الثبَّة: الجماعة من

الفرسان خاصة، وثبأت: الجماعة من الفرسان». فقد

وقعت في القرآن في محلها في آية مدنية - وكانت موضع

القتال - ترسم كيفية النفر إلى القتال، ولم يتركز هذا

الموضوع في القرآن، فلم تتكرر (ثبات) فيه.

ومن الجاز: ثُبُوتٌ له خيراً بعد خير، أو شراً بعد

شر، إذا وجهته إليه. وثبتت على الرجل وثبته أيضاً

تثبيتاً: مدحته وأثبتت عليه في حياته دفعةً بعد دفعة،

والثبِّي: الكثير المدح للناس، وهو من هذا الباب، لأنه

جمع لماسنه وحشد لمناقبه.

والثبية: حفظ المال، يقال: ثبتت المال. وإصلاح

الشيء، والزيادة عليه، يقال: ثبتت معروفاً، أي أتمه وزد

عليه. والدوام على الشيء، يقال: ثبتت على الشيء

تثبيتاً، أي دمت عليه. والثبية أيضاً: لزومك طريق

أبيك.

ويمكن تأويل كل ذلك بضرع من الجمع المجازي.

٢- وقد انقسم اللغويون في أصل «الثبَّة» إلى

فريقين، فالفريق الأول يرى أنها «ثُبَّة»، فلما ضمت

الثاء حذفت الواو - وهي عين الكلمة - للتخفيف.

وتصغيرها على قول هؤلاء «ثُبُوتِيَّة»، ومنه: ثُبَّة

المحوض، وهو وسطه الذي يُتَوَّب إليه بقبّة الماء.

ويرى الفريق الثاني أنها «ثُبِّيَّة» على من جعل لامها

الياء، أو «ثُبُوتَة» على من جعل لامها الواو. ثم حذفت

اللأم - سواء كانت أوامراً أم ياءً - وعُوُض عنها الهاء.

وتصغيرها على هذا القول «ثُبِّيَّة».

ث ج ج

نَجَّاجًا

لفظ واحد، مَرَّةً واحدة، في سورة مَكِّيَّة

النُّصُوصُ اللُّغَوِيَّةُ

الْعَلِيلُ: النَّجَجُ: شِدَّةُ انْصِبَابِ الْمَطَرِ وَالْدَّمِ، وَمَطَرٌ
نَجَّاجٌ. (١٣: ٦)
ابن شُعَيْبٍ: النَّجَّةُ: الرِّوْضَةُ إِذَا كَانَ فِيهَا حَيَاضٌ
لِلْمَاءِ، تَصُوبُ فِي الْأَرْضِ. لَا تُدْعَى نَجَّةً مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا
حَيَاضٌ، وَجَمْعُهَا: نَجَّاتٌ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٠: ٤٧٢)
أَبُو عُبَيْدٍ: فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمُسْتَحَاضَةِ أَنَّهُ
قَالَ لَهَا: «احْتَسِي كُرْسُفًا». قَالَتْ: إِنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنِّي
أَتَّبَعْتُهُ نَجًّا، قَالَ: تَلْجَمِي وَتَحِيضِي فِي عِلْمِ اللَّهِ سِتًّا أَوْ سَبْعًا
ثُمَّ اغْتَسِلِي وَصَلِّي... وَقَوْلُهَا: «أَتَّبَعْتُهُ نَجًّا» هُوَ مِنَ الْمَاءِ
النَّجَّاجِ، وَهُوَ السَّائِلُ.

ومنه الحديث المرفوع أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ بَرِّ الْحَجِّ، فَقَالَ:
«هُوَ الْعَجُّ وَالنَّجَجُ». فَالْعَجُّ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّجْلِيَةِ، وَالنَّجَجُ:
سِيلَانُ دِمَاءِ الْهَذْنِيِّ. (١٦٨: ١)

فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ

نَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَرُّهُ؟ قَالَ: الْعَجُّ
وَالنَّجَجُ». [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وقوله: «وَالنَّجَجُ» يَعْنِي نَحْرَ الْإِبِلِ وَغَيْرَهَا، وَأَنْ يَنْجُوا
دِمَاءَهَا وَهُوَ السَّيْلَانُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا
مِنْ الْمُصْفِيَّاتِ مَاءً نَجَّاجًا﴾ النَّبَأُ: ١٤.

وكذلك حديثه الآخر ﷺ حِينَ سَأَلَتْهُ الْمُسْتَحَاضَةُ
فَقَالَتْ: «إِنِّي أَتَّبَعْتُهُ نَجًّا» يَعْنِي سِيلَانَهُ وَكَثْرَتَهُ. (١: ٤٤١)
شُعَيْرُ: النَّجَّةُ: يَفْتَحُ النَّاءُ وَتَشْدِيدُ الْجِيمِ: الرِّوْضَةُ
الَّتِي حَفَرَتْ [فِيهَا] الْحَيَاضُ، وَجَمْعُهَا: نَجَّاتٌ. سَمَّيْتُ
بِذَلِكَ، لِتَجْبُهَا الْمَاءُ فِيهَا. (ابن منظور ٢: ٢٢٢)

الدَّيْنُورِيُّ: النَّجَّةُ: الْأَرْضُ الَّتِي لَا يَذْرُبُهَا، يَأْتِيهَا
النَّاسُ فَيَحْفَرُونَ فِيهَا حَيَاضًا، وَمِنْ جِبِلِّ الْحَيَاضِ سَمَّيْتُ
نَجَّةً، وَلَا تُدْعَى مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ نَجَّةً، وَجَمْعُهَا: نَجَّاتٌ.

(ابن سيده ٧: ١٩٥)

ابن أَبِي اليَمَانِ، وَالنَّجَجُ: الصَّبُّ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ

الْجَوْهَرِيّ: تَجَبَّثُ الْمَاءُ وَالذَّمَّ أَنْجَثَهُ نَجًّا، إِذَا سَيْلَتْهُ.

وَأَتَانَا الْوَادِي بِجَجِجِهِ، أَيَّ بِسِيلِهِ.

ومطر نَجَّاج، إِذَا انْصَبَّ جَدًّا. (١: ٣٠٢)

ابن فَارِس: «نَجَّجَ الثَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَ وَاحِدٍ، وَهُوَ صَبَّ النَّيِّءِ، يُقَالُ: نَجَّجَ الْمَاءُ، إِذَا صَبَّه. وَمَاءُ نَجَّاجٍ، أَيَّ صَبَّابٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُفْصِرَاتِ مَاءً نَجَّاجًا﴾ التَّبَّاءُ: ١٤.

يقال: اكْتَضَّ الْوَادِي بِجَجِجِ الْمَاءِ، إِذَا بَلَغَ ضَرِيرَتَهُ^(١).

[ثم استشهد بشعر] (١: ٣٦٧)

الهُزَوِيُّ: يُقَالُ: تَجَبَّثْتُ أَنْجَثُهُ نَجًّا، فَهـ «نَجَّجَ» يَسْتَوِي فِيهِ لَفْظُ اللَّازِمِ وَالْوَاقِعِ^(٢).

ومنه حديث أُمِّ مَعْبُدٍ: «فَعَلَبَ فِيهِ نَجًّا» فَالْنَجُّ: هُوَ السَّيْلَانُ.

وقال الحسن: «كَانَ مَنَجًّا» يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، أَيَّ كَانَ يَصُبُّ الْكَلَامَ صَبًّا. (١: ٢٧٤)

ابن سَيِّدِهِ: النَّجُّ: الصَّبُّ الْكَثِيرُ. وَخَصَّ بِبَعْضِهِمْ بِهِ: صَبَّ الْمَاءِ الْكَثِيرُ.

نَجَّجَهُ يَنْجُجُهُ نَجًّا، فَجَجَ، وَانْتَجَجَ فَتَنْجُجُ.

ومطر يَنْجُجُ، وَنَجَّاجٌ، وَنَجِيجٌ. [ثم استشهد بشعر] وَنَجِيجُ الْمَاءِ: صَوْتُ انْصِبَابِهِ.

وَمَاءٌ مُجُوجٌ وَنَجَّاجٌ: مُصْبُوبٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُفْصِرَاتِ مَاءً نَجَّاجًا﴾ التَّبَّاءُ: ١٤.

(٧: ١٩٤)

الطُّوسِيُّ: يُقَالُ: تَجَبَّثْتُ دَمَهُ أَنْجَثَهُ نَجًّا، وَقَدْ نَجَّجَ

وَعَزَّ: «مَاءٌ نَجَّاجًا» التَّبَّاءُ: ١٤، أَحْسَبُهُ أَرَادَ مُنْجُوجًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، كَمَا قَالَ: «مِنْ مَاءٍ ذَائِقِي» الطَّارِقُ: ٦، أَيَّ مَدْفُوقٍ. (٢٤٠)

الْخَطَّابِيُّ: وَالنَّجِيجُ: الْمَاءُ السَّائِلُ. [ثم استشهد بشعر وأدام نحو ابن أبي الهيثم] (١: ٤٤١)

ابن دُرَيْدٍ: تَجَبَّثُ الْمَاءُ أَنْجَثَهُ نَجًّا، إِذَا صَبَّاهُ كَثِيرًا. وَكَذَلِكَ فَسَّرَ فِي التَّنْزِيلِ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: «مَاءٌ نَجَّاجًا» التَّبَّاءُ: ١٤، وَهَذَا مَا جَاءَ فِي لَفْظِ «فَاعِلٍ» وَالْمَوْضِعِ «مَفْعُولٍ» لِأَنَّ السَّحَابَ يَنْجُجُ الْمَاءَ وَهُوَ مُنْجُوجٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّفْظَةِ: تَجَبَّثُ الْمَاءُ وَنَجَّجَ الْمَاءُ وَانْتَجَجَ الْمَاءُ، كَمَا قَالُوا: ذَرَفَتِ الْعَيْنُ الدَّمَعَ وَذَرَفَ الدَّمَعُ، فَهُوَ ذَارِفٌ وَمَذْرُوفٌ. [ثم استشهد بشعر]

وَفِي الْحَدِيثِ: «تَمَامُ الْحَسَنِ الْمَرْجِ وَالنَّجِّجِ». فَالْمَرْجُ: الْمَرْجِيجُ فِي الدَّعَاءِ، وَالنَّجِّجُ: سَفْكُ دَمَاءِ الْبُذُنِ وَغَيْرِهَا. (١: ٤٢٣)

الْأَزْهَرِيُّ: قِيلَ: تَجَبَّثُ الْمَاءُ نَجًّا أَنْجَثَهُ، وَقَدْ نَجَّجَ يَنْجُجُ نَجُوجًا، وَيَجُوزُ أَنْجَبَتْهُ، بِمَعْنَى تَجَبَّثَتْهُ. نَجَّجَ الْمَاءَ يَنْجُجُ، إِذَا انْصَبَّ.

وَرَجُلٌ يَنْجُجُ، إِذَا كَانَ خَطِيبًا مُفَوِّهًا. (١٠: ٤٧٢) الْفَصَّاحُ: النَّجُّ: شِدَّةُ انْصِبَابِ الْمَطَرِ وَالدَّمِّ، مَطَرٌ نَجَّاجٌ.

وَالنَّجَّةُ: الزَّوْجَةُ.

وَوَطَّبَ مُنْجِجٌ: صَرِدٌ، وَهُوَ مِنَ الْأَكْبَانِ مَا لَمْ يَجْتَمِعَ زُبْدُهُ.

وَالنَّجِيجَةُ: مِثْلُ التَّفِيفَةِ، وَهِيَ زُبْدَةُ اللَّبَنِ الَّتِي تَلْزُقُ بِالْيَدِ وَالسَّقَاءِ.

وَتَنْجُجُ الْمَاءَ، بِمَعْنَى نَجَّجَ. (٦: ٣٩٩)

(١) الضَّرِيرَانِ: جَانِبَا الْوَادِي.

(٢) الْمَتَدَيُّ.

مَجْمَعُ اللُّغَةِ : نَجَّ يَنْجُو نَجْأً مِنْ بَابٍ ضَرَبَ وَقَتَلَ .
يكون متديلاً ويكون لازماً .

يقال : نَجَّ السحاب الماء : صبّه وهمره .

ونَجَّ الماء : انصب وانهر . (١٦٨ : ١)

المُضْطَفُّوِي : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمُوفِرَاتِ مَاءً
ثَجَّالًا﴾ ، أي ماء ينصب بكثرة وشدة ، وماء يسيل في
الأرض ويمر في وجهها حتى يخرج النبات .

فالشدة والكثرة تستفاد من التضيق وصيغة
المبالغة ، ومفهوم اللزوم والتعدي كل منها باعتبار ، فيه
انصباب وإسالة .

فالفرق بين الثَجِّ والانصباب والسيلان : أَنَّ الثَجَّ هو
الانصباب بشدة وسيلان مخصوص وفيضان ، بخلاف
الانصباب والسيلان فَإِنَّ كلاً منهما مطلق في مفهومه
المخاص به . (١٠ : ٢)

النصوص التفسيرية

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمُوفِرَاتِ مَاءً ثَجَّالًا التَّبَّ : ١٤
ابن عباس : ماء من السماء منصباً . (الطبري ٦٣٠ : ٦٣٠)
مجاهد : منصباً .

مثله الرِّيح ، وقناة . (الطبري ٦٣٠ : ٦٣٠)
يدرازا . (البغوي ٥ : ٢٠٠)

قناة : متاباً يلو بمضه بعضاً . (البغوي ٥ : ٢٠٠)
الثوري : متاباً . (الطبري ٦٣٠ : ٦٣٠)

ابن زيد : الكثير . (الماوردي ٦ : ١٨٤)
نحوه ابن وهب . (الطبري ٦٣٠ : ٦٣٠)

ابن قتيبة : أي سيالاً . (٥٠٨)

الدم يَنْجُ نُجُوجًا . (١٠ : ٢٤١)

الرَّمْعُفَرِي : نَجَّ الماء والدَّم يَنْجُو نَجْأً . وسحاب
نَجَّاج . وثَجَّ الماء بنفسه يَنْجُ بالكسر نجيجاً . يقال : اكتظَّ
الوادي بنجيجه . [ثم استشهد بشعر]

ومن الهجاز : خطيب يَنْجُ يَنْجُ ، وفلان غيثه نَجَّاج ،
وبجرة عَجَّاج . (أساس البلاغة : ٤٣)

ابن عباس رضي الله عنها ذكره الحسن فقال : كان
أول من عُرف بالبررة ، صعد المنبر فقرأ البقرة
وآل عمران ففسرهما حرفاً حرفاً ، وكان يَنْجُو يسيل
غَرَبًا .

وهو «يفعل» من الثَجِّ ، وهو السيل والصب الغزير .
شبه فصاحته وغزاره مطلقه بماء يَنْجُ نَجْأً .

ومثله قولهم : يَنْجُ للغرس الكثير الجري وهذا لينا
الآلات ، فاستعمل فيمن يكثر منه الفعل ، كأنه آلة
لذلك . ومنه رجل يَمْزُب ، ويذره ويضغ ، وفرس يَمْزُر
يَفْرُ . (الفائق ١ : ١٦٣)

الفَيَّوِي : نَجَّ الماء من باب «ضرب» : همل ، فهو
نَجَّاج . ويتعدى بالحركة ، فيقال : نَجَّجْتُهُ نَجْأً من باب
«قتل» إذا صبيته وأسلته . (٨٠)

الفيروز ابادي : نَجَّ الماء : سال كاشج وتنجج ،
ونجّه : أساله .

والنَجَّ : سيلان دم الهدي ، والتجّة : الروضة فيها
حياض ومسالك للماء ، الجمع : نجات .

والمِنْجُ كَيْسَلُ : الخطيب المغمّوه ، والتجيج : السيل ،
والتجيجة : زبدة اللبن تلتزق باليد والسقاء .

ووطبُ مُنْجُج : لم يجتمع زُبدُه . (١٨٧ : ١)

المنصب، وقال الزجاج: معناه الصَّبَاب، كأنه يشع نفسه، أي يصب. وبالجمله فالمراد بتتابع القطر حتى يكثر الماء، فيظم النفع به. (٩: ٣١)

أبو الشعود: أي منصباً بكثرة، يقال: نَجَّ الماء، أي سال بكثرة، ونَجَّه، أي أساله. (٦: ٣٥٦)

البُزوسوي: أي منصباً بكثرة، والمراد بتتابع القطر حتى يكثر الماء فيظم النفع به، يقال: نَجَّ الماء، أي سال بكثرة وانصب، ونَجَّه غيره، أي أساله وصبه، فهو لازم ومتعد. (١٠: ٢٩٧)

الألوسي: أي منصباً بكثرة، يقال: نَجَّ الماء، إذا سال بكثرة، ونَجَّه أي أساله فنج، ورد لازماً ومتعداً. واختير جعل مائي الظلم الكريم من الألام، لأنه الأكثر في الاستعمال.

وجعله الزجاج من المستدي، وكأن الماء المنزل لكثرتِه يصب نفسه، ومن المستدي مائي قوله صل الله تعالى ﴿لَا: «أفضل الحجج المعج والنج» أي رفع الصوت بالتلبية، وصب دماء الهذي. (٣٠: ١١)

الطُّبَّاطِيَّاتِي: النجج: الكثير الصَّب للماء.

(٢٠: ١٦٣)

مكارم الشيرازي: والنجج من «النج» بمعنى سيلان الماء بكثرة كبيرة.

ونجج صيغة مبالغة، ويراد بها هنا غزارة الأمطار المنهرة، نتيجة القصر الحاصل. (١٩: ٢٩٦)

الأصول اللُّغَوِيَّة

١- الأصل في هذه المادة النج، وهو الصَّب، يقال:

الطُّبِّي: ماءً منصباً يتبع بعضه بعضاً كنج دماء البذن، وذلك سفكها. [ونقل قول ابن وهب: «كثيراً» ثم قال:]

ولا يعرف في كلام العرب من صفة الكثرة النج، وإنما النج: الصَّب المتتابع. (٣٠: ٦)

الزجاج: معنى نَجَّاج: صَبَّاج. (٥: ٢٧٢)

نحوه البغوي (٥: ٢٠٠)، والحازن (٧: ١٦٧).

الطُّوسِي: النجج: الدُّفَاع في انصبابه كنج دماء البذن. (١١: ٢٤١)

الزَّمْخَشَرِي: منصباً بكثرة، يقال: نَجَّه ونَجَّ بنفسه. [إلى أن قال:]

وقرأ الأخرج (نَجَّاحًا) ومناجع الماء: نصائبه، والماء يتنجح في الوادي. (٤: ٢٠٨)

نحوه البيضاوي (٢: ٥٣٣)، والسيابوري (٣٠: ٧)، وأبو حيان (٨: ٤١٢).

ابن عطية: والنجج: التسريع الاندفاع، كما يندفع الدَّم عن عروق الذبيحة. (٥: ٤٢٤)

الطُّبَّرِي: أي صَبَّاباً دَقَّاحاً في انصبابه. (٥: ٤٢٢)

الفخر الرازي: وأما النجج، فاعلم أن «النج»

شدة الانصباب، يقال: مطر نَجَّاج ودم نَجَّاج، أي شديد الانصباب.

واعلم أن «النج» قد يكون لازماً، وهو بمعنى الانصباب كما ذكرنا، وقد يكون متعدداً بمعنى الصَّب.

[إلى أن قال:]

وقد فسروا «النجج» في هذه الآية على الوجهين: قال الكلبي ومقاتل وقتادة: النجج هاهنا: انتدق

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظ واحد مكثي:

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ التّٰٓ: ١٤

يلاحظ أولاً: أَنَّ القرآن حدّثنا كثيراً عن إنزال ماء

السّماء وإحياء الأرض وإخراج الشّجرات به، مثل:

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَخْدٍ

مَوْتِهَا﴾ التحل: ٦٥، وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ إسرهم: ٣٢،

لاحظ «ن ز ل» و«م و هـ» ماء. وليس في شيء منها

وصف الماء النازل من السّماء به التّجّاج، والإتيان به إلّا

في سورة التّٰٓ يكاد يتشخص في روي الآيات.

فهذا الرّوي جاء في (٣٤) آية، ابتداءً من ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ

الْأَرْضَ يَسْبَاحًا﴾ التّٰٓ: ٦، وانتهاءً بآخر السّورة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا﴾ التّٰٓ: ٤٠، وليس فيها لفظ

مشدّد سوى «وَمُجَاجًا» و«نُجَاجًا» و«غَسَاقًا»، كلّ منها

مرّة واحدة: (١٣) و(١٤) و(٢٥)، و(يُذَاجًا) مرّتين:

(٢٨) و(٣٥).

وهذه الألفاظ نوعان: مفرد مثل: (مَرَجًا)

و(مِرْجَادًا) و(يُجَاجًا) و(جَسَاجًا) ونحوها، وهي خمسة

عشر، وجمع مثل: (أَبْرَجًا) و(أَحْقَاجًا) و(أَعْتَجًا) و(أَنْزَجًا)

ونحوها، وهي تسعة.

ثانياً: بعد اتّفاق اللّغويين والمفسّرين على أَنَّ أصل

المادّة هو الصّبّ والانصباب، وجاء لازماً ومستعدّاً،

اختلفوا في إفادته الشّدّة والكثرة والتّوالي، فاعترف به

بعضهم، وأنكره بعض آخر كالطّبرسي.

وقال بعضهم: إِنَّ الشّدّة والكثرة مستفادان من

تَجَجَّتْ الماء اتّجّه تَجًّا، أي صبّته كثيراً، وَجَّ الماء نفسه

يَجَّ تَجُّجًا، وانبجج انبججًا: انصبّ، فهو ماءٌ تَجَّاجٌ

وَتَجُّجٌ، أي مصبوب. وانبججت الماء: صَبَّته، «فعل»

و«أفعل» بمعنى.

والتّججج: الماء السائل، يقال: أُننا الوادي يتجججه،

أي يسيله.

ومطرٌ تَجَّاجٌ وتَجَّجٌ ومِنَجٌّ: شديد الانصباب جدًّا،

ودمٌ تَجَّاجٌ أيضًا: منصّب، وعينٌ تَجُّجٌ: غزيرة الماء.

والنّجّة: الرّوضة الّتي فيها حياض للماء، والمجمع:

نجات. سمّيت بذلك لتجّتها الماء فيها، أي صبّها الماء في

حفرها.

٢- وأصل المعنى عند قتادة، والثّوري، والطّبري،

والفقر الرّازي، والأوسيّ، وغيرهم: تتابع الماء، وهو

الانصباب، للكثرة، بل الكثرة لازمة له، قال

الطّبري: «ولا يعرف في كلام العرب من صفة الكثرة

النّج، وإنّما النّج: الصّبّ المتتابع» فضّيره في كلامهم

بالكثرة تفسير بالّلازم، وكذا تفسير التّجّاج بدّلْفَاق.

ومنه إطلاق «النّجّة» على الرّوضة الّتي فيها حياض

يُصبّ منها الماء، وكذلك إطلاقها على نحر الإبل، وتَجَّج

الماء: صوت انصبابه، كلّ ذلك تفسير بالّلازم.

٣- ومن المجاز قولهم: رجلٌ يَجَّ، أي خطيبٌ مُفَوِّهٌ،

تشبيهه بالمطر المِنَجِّج، وهو - كما تقدّم - الشّديد

الانصباب، لطلاقة لسانه وبسطه. ومثله في مدح بلاغة

الخطيب: هو بحرٌ لا يَنْزِفُ، وَغَيْرُ لا يَنْزِفُ، وَغَيْرُ لا يَنْزِفُ.

التضعيف مادة، ومن صيغة المبالغة لفظاً، ويؤيده تفسيره بـ«سَيَّالاً وَصَبَّاباً»، وهو المتبادر منه، ملائمة لسياق سائر الآيات.

ثالثاً: عدد هذه الآيات بهذا الزوي خمس وثلاثون، إحدى عشرة منها - من (٦ - ١٦) - تختص ببيان ما خلق الله في الدنيا رحمةً ونعمةً للعباد، والباقية وهي أربع وعشرون - من (١٧ - ٤٠) - تختص بالآخرة ونعيمها وعذابها، ابتداءً من ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتُ﴾ التبا: ١٧، وانتهاءً إلى ﴿وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾

التبا: ٢٠، وصفاً للذكر الآخرة.

ثم من ﴿إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ التبا: ٢١، إلى ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ التبا: ٣٠، وصفاً لعذاب الطَّاغين. ثم من ﴿إِنْ لِلشَّاقِينَ صَفَاً﴾ التبا: ٣١، إلى ﴿حِزَابٍ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ التبا: ٣٦، جزاء للمتقين، فلو صفهم ست آيات، ولوصف الطَّاغين عشر آيات متقدمة على (المُتَّقِينَ)، وأما الآيات من (٣٧ - ٤٠) فخاصة ببيان موقف الناس أمام الله في يوم القيامة.

ثخن

لفظان مزان ، في سورتين مدينتين

أَتَخَسُّوهُمْ ١-:١ يُثْنِن ١-:١

ابن الأعرابي : أثنى ، إذا غلب وقهر .

(الأزهرى ٧: ٣٣٤)

التُصوص اللُّغويّة

الخليل : ثَنَن الشيء ثَنَاناً .

الرَّجَاج : وَثَن الشيء ، إذا غُلُظ . وَثَن الرجل

في العدو ، إذا بلغ في القتل . (فعلت وأفعلت : ٧)

ابن دُرَيْد : ثَنَن الشيء ثَنَاناً وَثَنَةً ، إذا كَثَفَ

وغلُظ . وَثَن في العدو ، إذا أوجع فهم . وترك فلائاً

مُثَغَثاً ، إذا تركته وقيداً . (٣٦: ٢)

والرجل الحليم الرزين : ثَنِينٌ .

والتوب المُكْتَنَز اللُّحْمَةُ والسدى - من جَوْدَةٍ

نَسَجِه - ثَنِينٌ .

الصَّاحِب : [نحو الخليل وأصاف:]

وقد أثنىته ، أي أنقلته .

وقد أثنىته حَرْباً ، أي أنقلته به ، وأثنىته معرفةً .

والمُثَنَّة من النساء : الضَّخْمَةُ اللَّحِيْمَةُ . (٣٢٤: ٤)

(٢٤٨: ٤)

البحروري : ثَنَن الشيء ثَنَاناً ، أي غُلُظَ وصلب ،

الأحمر : ثَنَن وَثَنَ . (ابن سيده ٥: ١٦٥)

فهو ثَنِينٌ .

أبو زيد : يقال : استثنى مني الإعياء والمرض

ورجل ثَنِين السلاح ، أي شاك .

واستثنى مني التوم ، إذا غلبك التوم . (٢١٨)

وأثنته الجراحة : أوثنته .

يقال : أثنيت فلاناً معرفةً ، أي قتله معرفةً .

ويقال : أثنى في الأرض قتلاً ، إذا أكره . [تم استشهاد

(الأزهرى ٧: ٣٣٥)

(٢٠٨٧: ٥)

[بشمر]

والمرض: غلباني، واستشغني مني النوم: غلبني، وفلانٌ رزِينٌ نخين الحيلم، وهو أحزل نخين، ومؤدٍ نخين.

(أساس البلاغة: ٤٣)

ابن الأثير: في حديث عمر: «عَاكَأَ لِسْتِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشْرَى عَنِّي يُنْخِنُ فِي الْأَرْضِ» الأنفال: ٦٧، ثم أحلّ لهم الغنائم.

الإبخان في الشيء: المبالغة فيه، والإكثار منه، يقال: أنخنه المرض، إذا أثقله ووهته. والمراد به هاهنا المبالغة في قتل الكفار.

ومنه حديث أبي جهل: «وكان قد أنخن» أي أثقل بالجراح.

وحديث علي رضي الله عنه: «وأوطأكم إبخان الجراحة».

وحديث عائشة وزينب رضي الله عنهما: «لم أنشبا حتى أنخنْتُ عليهما» أي بالقتل في جوابها، وأخجمتها.

(٣٠٨: ١)

الفَيُومِيّ: نخن الشيء بالصِّمِّ - والفتح لغة - تُخُونَةٌ وَخَانَةٌ فهو نخين.

وأنخن في الأرض إخنًا: سار إلى العدو وأوسعهم قتلاً.

وأنخته: أوهته بالجراحة وأضعفته. (١: ٨٠)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٩٥)

الفيروز ابادي: نخن ككرم تُخُونَةٌ وَخَانَةٌ وَخَنًا كَيْسَبٌ: غلظ وحلب، فهو نخين.

وأنخن في العدو: بالغ الجراحة فيهم، وفلانًا: أوهته، «حتى إذا أنخنْتَهُوهُمْ» أي غلبتهم وكسرت فيهم

ابن فارس: التاء والحاء والتون يدل على رزانة الشيء في ثقل. [ثم ذكر نحو الحكيل وأضاف:]

وتركته مُنْخَنًا، أي وقيدًا. وقال قوم: يقال للأعزل الذي لاسلح معه: نخين، وهو قياس الباب، لأن حركته ثقل، خوفًا على نفسه. (١: ٣٧٢)

الهَرَوِيّ: يقال: أوقع بهم فأنخن فيهم، إذا أكثر القتل.

يقال: أنخنه المرض، إذا اشتد عليه، وكذلك أنخنته الجراح. (١: ٢٧٦)

ابن سيده: نخن الشيء تُخُونَةٌ وَخَانَةٌ وَخَنًا، فهو نخين: كئف.

وثوبٌ نخين: جيد التسج كثير اللحمة. ورجل نخين: رزين ثقل في مجلبيه.

وَالْخَنَةُ وَالْخَنُ: الْبَقْلَةُ [ثم استشهد بشعر] استنخن الرجل: ثقل من نوم أو إعياء.

وأنخن في العدو: بالغ. (٥: ١٦٥)

الزَّاعِبُ: يقال: نخن الشيء فهو نخين، إذا غلظ فلم يميل، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم:

أنخنته ضربًا واستخفافًا. [ثم ذكر الآيات] (٧٩) الرَّمَحْشَرِيُّ: نخن الشيء: كئف وغلظ، نخنًا

وَخَانَةً وَتُخُونَةً، وثوب نخين، وهذائوب له تُخْنٌ وَبُخْرٌ.

ومن المجاز: أنخنته الجراحات، وتركه مُنْخَنًا،

وقيدًا، وأنخن في العدو: بالغ في قتلهم وغلظ، وأنخن في الأرض: أكثر القتل، وأنخن في الأمر: بالغ فيه، وأنخنته

معرفةً ورصشته معرفةً، إذا قتله علمًا، وأنخنه قوله: بلغ منه، وامرأة مُنْخَنَةٌ: ضغمة، واستنخن مني الإعياء

الجراح.

فهو تُخِين.

والتَّخِين: الحليم.

وهناك الفعل: تَخَنَ يَتَخَنُ تَخَنًا: خَلَفَ الأَحمَر.

واستَخَنَ منه التَّوَم: غَلِبَهُ.

وَاللَّحْيَانِي، وابن سيدة، والمصباح، ومستدرک التَّاج،

وَالْمُتَخَنَةُ كُثْرَتُهُ: المرأةُ الضَّعْفَةُ. (٢٠٨: ٤)

وذيل أقرب الموارد، والمتن. (١٠٤)

الطُّرَيْحِي: يقال: أُنْخِنَ في الأرضِ إِنْخَانًا: سار

المُضْطَفَّقِي: والظَّاهِرُ أَنَّ الأَصْلَ والحقيقة في هذه

إلى المدوّ وأوتنهم قتالًا. (٢٢٢: ٦)

المادّة: هو التَّخَلُّ في جهة إعمال القدرة والقوّة، أي

محمود شيت: أُنْخِنَ الجيش في أعدائه: كَبِدَهُم

التَّوَقُّف في الحركة والوهن والمغلوبيّة.

خاسائر فاحدة في الأرواح والأموال. (١٢٢: ١)

وهذا المعنى غير الضَّخامة في المقدار، والنفاضة

العَدْنَانِي: تَخَانَةُ الجدار وتُخَوِّثُهُ وتُخَنُّهُ وتُخَنُّهُ

والكثافة في الكيفيّة المربوطة إلى الأجزاء والمادّة،

وغيظُهُ، وصلابته.

والزَّانَةِ في المقام والمرتبة المعنويّة.

ويقولون: إِنَّ الصَّوَابَ هو إِنَّا:

واعطابق هذا المفهوم على: القتل والمريض والمرج

١- تَخَانَةُ الجدار: معجم ألفاظ القرآن الكريم،

والضعيف واضح. وأما الحليم فباعبار اقتضاء الحليم:

والتَّهْذِيب، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة،

السكون والوقار والزَّانَةِ، في يقال إعمال القوّة وإظهار

والأُساس، واللَّسان، والمصباح، والقاموس، والتَّاج،

القدرة والحركة. وأما التَّوَبَ الجيد التالي فباعبار توقّف

والمدّ، ومحيط المحيط، ودوزي، وأقرب الموارد، والمتن،

الجريان في معاملته، وقلة البيع والشَّرى فيه. (١١: ٢)

والوسيط.

أو ٢- تُخَوِّثُهُ: ابن سيدة، والأُساس، واللَّسان،

النُّصوص التفسيرية

والمصباح، والقاموس، والتَّاج، والمدّ، ومحيط المحيط،

أَتَخَنَتُهُمْ

وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

أَتَخَنَتُهُمْ قَشَدُوا الوَقَائِي قَائِمًا مَتَا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى

أو ٣- يَخَنُّهُ: الأُساس، واللَّسان، والقاموس،

فَإِذَا لَبِيتُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَبَ الْوَقَابِ حَتَّى إِذَا

والتَّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن.

أَتَخَنَتُهُمْ قَشَدُوا الوَقَائِي قَائِمًا مَتَا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى

ولكن:

تَضَعُ الْحَرْبُ أَوَزَارَهَا... محمد: ٤

يُحِيزُ لَنَا أَنْ نَقُولَ: تُخَنُّ الجدار: الأُساس،

ابن عباس: فخر قومه وأسر قوتهم. (٤٢٧)

ومستدرک التَّاج، والمدّ.

الطُّبَرِي: يقول: حَتَّى إِذَا غَلِبَتُهُمْ وقهرهم من

وبما قاله الأُساس والتَّاج: تَوَبَّ لَهُ تُخَنُّ.

لم تضربوا رقبته منهم، فصار في أيديكم أسرى. (٢٦: ٤٠)

أَمَّا فعله فهو: تَخَنَ يَتَخَنُ تَخَانَةً، وتُخَنُّهُ، وتُخَنُّهُ،

نحوه القاسمي. (١٥: ٥٣٧٤)

وكذا ما بهد في حقّ المشعّن، لأنّه بهذا المعنى هو الذي لم يصل إلى حدّ القتل لكن نُقِلَ عن الحركة فصار كالشيء التّخين الذي لم يسل ولم يستمرّ في ذهابه، والإنسان عليه مجاز أيضاً. (٣٩: ٢٦)

سيّد قطب: «والإنسان: شدّة التّقتيل، حتّى تحطّم قوّة العدو وتتهاوّى، فلا تعود به قدرة على هجوم أو دفاع، وعندئذٍ لا قبله يؤسر من استأسر ويشدّ وثاقه. فأمّا العدو ما يزال قويّاً فالإنسان والتّقتيل يكون الهدف لتحطيم ذلك الخطر.

وعلى هذا لا يكون هناك اختلاف كما رأى معظم المفسرين بين مدلول هذه الآية، ومدلول آية الأنفال التي عاتب الله فيها الرّسول ﷺ والمسلمين، لاستكثارهم من الأسرى في غزوة بدر. والتّقتيل كان أولى، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ غَيْرُ خَبِيرٍ﴾ ٦٧ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الأنفال: ٦٨.

فالإنسان أولاً لتحطيم قوّة العدو وكسر شوّكته، وبعد ذلك يكون الأسر. والحكمة ظاهرة، لأنّ إزالة القوّة المعتدية المعادية للإسلام هي الهدف الأول من القتال، وبخاصّة حين كانت القوّة المددوية للأمة المسلمة قليلة محدودة، وكانت الكثرة للمشركين، وكان قتل محارب يساوي شيئاً كبيراً في ميزان القوى حينذاك، والحكم ما يزال سارياً في عومه في كلّ زمان بالصورة التي تكفل تحطيم قوّة العدو، وتجييزه عن الهجوم والدّفاع.

(٣٢٨٢: ٦)

الطّوسيّ: أي أنقلتموهم بالجراح وظفرت بهم.

(٩١: ٢٩١)

نحوه الطّبرسيّ.

(٩٧: ٥)

البهويّ: بالنّم في القتل، وقهرتموهم. (٤: ٢٠٩)

الرّمّحشيريّ: أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء.

التّخين وهو التّليظ، أو أنقلتموهم بالقتل والجراح حتّى أذهبتم عنهم التّهوض.

(٥٣١: ٣)

مثله أبو الشّمود (٦: ٨٤)، ونحوه القرطبيّ (١٦: ٢٢٦)،

والبيضاويّ (٢: ٣٩٣)، والنسفيّ (٤: ١٤٩)،

والنّسابةوريّ (٢٦: ٢٢)، والبرّوسويّ (٨: ٤٩٨)،

والطّطاويّ (٢١: ٢٢١).

ابن عطية: معناه: بالقتل. والإنسان في القوم: أن يكثر فيهم القتل والجرح، والمعنى: فشذّوا الوثاق بين لم يقتل ولم يترقب عليه إلا الأسر. (٥: ١١٠)

الفخر الرازيّ: (حتّى) لبيان غاية الأمر لالبيان غاية القتل، أي «حتّى إذا أنقضتوهم» لا يبق الأمر بالقتل، ويبقى الجواز. ولو كان لبيان القتل لما جاز القتل، والقتل جائز إذا التحق المشعّن بالشّخ الهرم، والمراد كما إذا قُطعت يداه ورجلاه، فنهى عن قتله. (٢٨: ٤٤)

نحوه الشّريبيّ.

الآلوسيّ: أي أوقعتم القتل بهم بشدّة وكثرة، على

أنّ ذلك مستمر من يخن المامعات لمنعه عن الحركة. والمراد حتّى إذا أكثرتم قتلهم وتمكّنت من أخذ سن لم يقتل.

أو المعنى حتّى إذا أنقلتموهم بالجراح ونحوه؛ بحيث لا يستطيعون التّهوض فأشروهم واحتفظوهم، فالشدّ

لا يوجد في أصلها اللَّغْوِيَّ - كما قلنا - ولكن لما كان دفع خطر العدو غير ممكن أحياناً إلا بكثرة القتل فيه، فيمكن أن تكون مسألة القتل أحد مصاديق هذه الجملة في مثل هذه الظروف، لا أنها معناها الأصلي.

وعلى كل حال، فإن الآية المذكورة تُبين تعليماً عسكرياً دقيقاً، وهو أنه يجب أن لا يُتقدّم على أسر الأسرى قبل تحطيم صفوف العدو، والقضاء على آخر حصن لمقاومته، لأن الإقدام على الأسر قد يكون سبباً في تزلزل وضع المسلمين، في الحرب، وسيوقع المسلمين الاهتمام بأمر الأسرى ونقلهم إلى خلف الجبهات، من أداء واجبه الأساسي.

يُغْنِي

﴿عَاكَانَ لِيَّيْ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُغْنِيَنِ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾

النَّبِيُّ ﷺ: قال لأصحابه يوم بدر في الأسارى: إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد^(١) منكم بعضهم، وكانت الأسارى سبعين، فقالوا: بل نأخذ الفداء، ويتمتع به، وتقوى به على عدونا ويُستشهد منا بعضهم.

ابن عباس: ذلك يوم بدر، والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا، واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك

الطُّبَّاءُ بِأَنِّي: المعنى: فاقتلوهم حتى إذا أكثرتم القتل فيهم فأسروهم بشدّ الوثاق وإحكامه، فالمراد بشدّ الوثاق: الأسر، فالآية في ترتيب الأسر فيها على الإبتحان، في معنى قوله تعالى: ﴿عَاكَانَ لِيَّيْ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُغْنِيَنِ فِي الْأَرْضِ﴾ الأنفال: ٦٧.

(١٨: ٢٢٥)

عِزَّةٌ قُوَّةٌ: أكثرتم فيهم القتل وقهرتموهم وانتصرتهم عليهم. [إلى أن قال:]

ويستطوي في جملة ﴿إِذَا أَنْخَنَتُّوهُمْ قَسَدُوا التَّوْفَاقَ﴾ حكم قرآني في هدف القتال، وهو أنه ليس للإبادة وإنما هو للتأديب والتشكيل والقهر. فحينما تتحقق هذه الغاية وجب الكف عن القتل، والمنح إلى الأسر.

وليس من تناقض بين هذا الحكم وبين ماورد في جملة ﴿عَاكَانَ لِيَّيْ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُغْنِيَنِ فِي الْأَرْضِ﴾ الواردة في آية الأنفال: ٦٧، بل بينهما توافق. فهذه الجملة لم تمنع الأسر وإنما نهت إلى أنه لا ينبغي أن يكون إلا بعد أن تكون هيبة النبي وقوته قد توغدتا في قلوب الأعداء، ولم يبق من حرج في الأسر منهم بدلاً من إبادتهم بالقتل. وحكم الجملة التي نحن في صدها قد سمعت بالأسر إذا ماؤغل المسلمون في قتل أعدائهم وقهرهم، وتحققت لهم الغلبة عليهم. (٩: ٢١٦)

مكارم الشيرازي: ﴿أَنْخَنَتُّوهُمْ﴾ (من مادة نَخَن، بمعنى الغلظة والصلابة، ولهذا تُطلق على التصر والغلبة الواضحة، والسيطرة الكاملة على العدو.

وبالرغم من أن أغلب المفسرين قد فسروا هذه الجملة بكثرة القتل في العدو وشدته، إلا أن هذا المعنى

(١) أي يؤخذ منكم شهداء يحتجون عند الله بعدتهم. مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يُنْفِئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَشْهَدُ لَكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا﴾ آل عمران، ٥٤.

والكثافة، وقيل: الشدة والقوة. (٤: ٨٠)

الرَّمَحُفَرِيُّ: وقُرئ (يُتَخَن) بالتشديد، ومعنى الإِتْخَان: كثرة القتل والمبالغة فيه، من قولهم: أَسَخَّته المِرَاحَات، إذا أَتَيْتَهُ حَتَّى تَنْقَل عليه الحركة، وَأَسَخَّته المرض، إذا أَقْلَه، ومن التَّخَانَةِ الَّتِي هِيَ الْمَلَطُ والكثافة، يعني حَتَّى يَذَلَّ الكُفْر ويضعه بِإِسْخَاعَةِ الْقَتْلِ فِي أَهْلِهِ، ويعزَّزُ الْإِسْلَامَ وَيَقْوِيهِ بِالْإِسْتِيلَاءِ والقهر، ثم الأسر بعد ذلك. (٢: ١٦٨)

نحوه الْبِيضَاوِيُّ (١: ٤٠١)، وَالنَّسَبِيُّ (٢: ١١١)، وَأَبُو حَتَّانٍ (٤: ٤٩٦)، وَأَبُو السُّعْدِ (٣: ١١٣)، وَحُسَيْنُ عَمْلُوفٍ (١: ٣٠٨)، وَالطَّطَاوِيُّ (٥: ٨٣).

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: معناه حَتَّى يَقْوَى وَيَسْتَدَّ وَيَغْلِبَ وَيَبَالِغَ وَيَقْهَرُ. [تَمَّ نَقْلُ بَعْضِ أَقْوَالِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَضَافَ:] إِنَّ كَلِمَةَ (حَتَّى) لَانْتِهَاءُ النَّايَةِ، فَقَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَ لِإِنْسِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَيَّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ يَذَلُّ عَلَى أَنْ يَبْدُ حَصُولُ الْإِتْخَانِ فِي الْأَرْضِ لَهُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى الْأَسْرِ. (١٥: ٢٠١)

الْقُرْطُبِيُّ: [اكتفى بنقل بعض أقوال المفسرين]

(٨: ٤٥)

الْبَيْهَقِيُّ: يكثر القتل ويبالغ فيه حَتَّى يَذَلَّ الكُفْرَ وَيَقْلَّ حَزْبَهُ وَيَعِزُّ الْإِسْلَامَ وَيَسْتَوْلِي أَهْلَهُ. (وَحَتَّى) لَانْتِهَاءُ النَّايَةِ، فَذَلَّ الْكَلَامَ عَلَى أَنَّ لَهُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى الْأَسْرِ وَالشَّدَّةُ بَعْدَ حَصُولِ الْإِتْخَانِ.

وهو مشتق من التَّخَانَةِ وَهِيَ الْمَلَطَةُ والكثافة في الأجسام، ثم استعير في كثرة القتل والمبالغة فيه، لأنَّ الإمام إذا بالغ في القتل يكون العدو كشيء ثقيل يثبت في

وتعالى بعد هذا في الأسارى ﴿فَمَا مَتَانًا بَعْدَ رَأْمًا فِدَاءً﴾ فجعل الله التَّيَّهَ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِ الْأَسَارَى بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءُوا وَقَتْلَهُمْ، وَإِنْ شَاءُوا اسْتَعْبَدَهُمْ، وَإِنْ شَاءُوا فَادَوْهُمْ. (الطَّبْرِيُّ ١٠: ٤٢)

حَتَّى يَغْلِبَ. (١٥١)

نحوه الْفَرَّاءُ. (١١: ٤١٨)

مُجَاهِدٌ: الْإِتْخَانُ: الْقَتْلُ. (الطَّبْرِيُّ ١٠: ٤٣)

ابن إِسْحَاقَ: أَي يُخَيَّنُ عَدُوَّهُ، حَتَّى يَفْهِمَ مِنَ الْأَرْضِ. (الطَّبْرِيُّ ١٠: ٤٣)

أَبُو عُيَيْنَةَ: بِمَاجَزِهِ حَتَّى يَغْلِبَ وَيَغَالِبَ وَيَبَالِغَ.

(١: ٢٥٠)

الطَّبْرِيُّ: يَقُولُ: حَتَّى يَبَالِغَ فِي قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا، وَيَقْهَرَهُمْ، غَلَبَةً وَقَسْرًا، يُقَالُ مِنْهُ: أَنْخَنَ فُلَانٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ، إِذَا بَالِغَ فِيهِ، وَحَكِي: أَنْخَسَهُ مَعْرِفَةً، بِمَعْنَى: قَتَلْتُهُ مَعْرِفَةً. (١٠: ٤٢)

نحوه الْبَغَوِيُّ. (٢: ٣١٠)

الرَّجَّاحُ: مَعْنَاهُ حَتَّى يَبَالِغَ فِي قَتْلِ أَعْدَائِهِ، وَيَبْهُزُّ أَنْ يَكُونَ حَتَّى يَتِمَّكَنَ فِي الْأَرْضِ، وَالْإِتْخَانُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: قُوَّةُ الشَّيْءِ وَشِدَّتُهُ، يُقَالُ: قَدْ أَنْخَسْتُهُ. (٢: ٤٢٥)

مثله الْقَشِيرِيُّ (٢: ٣٣٣)، ونحوه الْخَازَنُ (٣: ٤٢)

الطُّوسِيُّ: وَالْمَعْنَى: مَا كَانَ لِإِنْسِي أَنْ يَحْبَسَ كَافِرًا لِلْعَدَاءِ وَالْمَنْ حَتَّى يُشَخَّنَ فِي الْأَرْضِ. وَالْإِتْخَانُ فِي الْأَرْضِ: تَغْلِيزُ الْحَالِ بِكَثْرَةِ الْقَتْلِ، وَالشُّخْنُ وَالْفُلُظُ وَالْكَثَافَةُ ظَاهِرٌ. (٥: ١٨٢)

الْمُتَبَدِّي: أَي حَتَّى يَكْثُرَ الْقَتْلُ، وَالْإِتْخَانُ: الْإِكْتَارُ مِنَ الْقَتْلِ، مُشْتَقٌّ مِنَ التَّخَانَةِ وَهِيَ الصَّلَابَةُ

والسلطان، كما أَنَّ الإسراف في القتل قد يكون سبباً لجمع كلمة الأعداء واستبالمهم.

وأما قوله تعالى في سورة محمد ﷺ التي تسمى سورة القتال أيضاً: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، فهو في إنخان القتل الذي يُطلب في معركة القتال بعد الإنخان في الأرض. فإذا التقي الجيشان فالواجب علينا بذل الجهد في قتل الأعداء دون أخذهم أسرى، لتلا يفضي ذلك إلى ضعفنا ورجعناهم علينا، إذا كان هذا القتل قبل أن تنغن في الأرض بالعزة والقوة التي ترهب أعداءنا، حتى إذا أنخناهم في المعركة جرحاً وقتلاً، وتم لنا الرجحان عليهم فعلاً، رجحنا الأسر المعبر عنه بشد الوثاق، لأنه يكون حيثل من الزحمة الاختيارية، وجعل الحرب ضرورة تغدر بقدرها، لاضراوة بسفك الدماء، ولاتلذذاً بالقهر والانتقام.

ولذلك خبرنا الله تعالى فيهم بين المن عليهم وإعتاقهم بكف وناهم وإطلاق حررتهم، وإسا بغداء أسرانا عند قومهم ودولتهم إن كان لنا أسرى عندهم بمال نأخذهم منهم. ولم يأذن في هذه الحال بقتلهم، فقد وضع الشدة في موضعها والزحمة في موضعها، وإذا كان بيننا وبين دولة عهد يتضمن اتفاقاً على الأسرى وجب الوفاء به، وطل التغيير بينه وبين غيره. (١٠: ٨٣) القراغي: [نحو رشيد رضا وأضاف:]

وخلاصة ذلك أَنَّ أعماذ الأسرى إنما يكون غيراً ورحمة ومصلحة للبشر إذا كان الظهور والغلب لأهل الحق والعدل، ففي المعركة الواحدة بإتخاذهم لأعدائهم من المشركين والمعتدين، وفي الحالة العامة التي تتم كل

مكانه ولا يقدر على الحركة، يقال: أنخنه المرض، إذا أضعفه وأقلعه، وسلب اقتداره على الحركة. (٣: ٣٧٣) الآلوسي: [نحو البروسوي وأضاف:]

وقيل: إن الاستعارة مبنية على تشبيه المبالغة المذكورة بالخانة، في أن في كل منها شدة في الجملة، وذكر في «الأرض» للتعميم، وقرئ (يُنَغْنُ) بالتشديد للمبالغة في المبالغة. (١٠: ٣٣)

رشيد رضا: ما كان من شأن نهي من الأنبياء، ولامن سنته في الحرب أن يكون له أسرى يتردد أمره فيهم بين المن والغداء، إلا بعد أن يُنغن في الأرض، أي حتى يعظم شأنه فيها ويغلظ ويكتف بأن تتم له القوة والغلب، فلا يكون أعماذ الأسرى سبباً لضعفه أو قوة أعدائه وهو في معنى قول ابن عباس رضي الله عنه: حتى يظهر على الأرض، وقول البخاري: حتى يغلب في الأرض. وفسره أكثر المفسرين بالمبالغة في القتل. وروي عن مجاهد. وهو تفسير بالسبب لاجدلول اللفظ. [ثم ذكر قول الفخر الرازي وأضاف:]

أقول: إن من المبررات التي لاشك فيها أَنَّ الإنخان في قتل الأعداء في الحرب سبب من أسباب الإنخان في الأرض، أي التمكن والقوة وعظمة السلطان فيها. وقد يحصل هذا الإنخان بدون ذلك أيضاً، يحصل بإعداد كل ما استطاع من القوى الحربية ومرابطة الفرسان، والاستعداد التام للقتال الذي يرهب الأعداء، كما تقدم في تفسير «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُزْهِقُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» الأنفال: ٦٠، وما هو ببعيد. وقد يجتمع السببان فيكل بها إنخان العزة

وعلى هذا فإن قياس الفعل الثاني: تَخَنَ يَتَخَنُ تُخُونًا وتُخُونَةً، مثل: بَجَعَ يَبْجَعُ يَجُوعًا، لأنَّ «فَعَلَ يَفْعُلُ» يَطْرُدُ في كلِّ فعل عينه حرف حلق. كما أنَّ «فَعُولًا» و«فُعُولَةٌ» مصدر للفعل اللّازم في الباب المذكور قياسًا. وهو مقيس أيضًا على: تَخَنَ يَتَخَنُ تُخُونَةً، مثل: سَخَنَ يَسْخَنُ سُخُونَةً.

ولم نلحظ لهذا الفعل استعمالًا في المعاجم الحديثة، ونحن نهيى بالأدباء والكتاب المعاصرين إلى استعماله، لئلا تات صيغة هذا الفعل، وبهذا يحفظ تراث لغة القرآن من الاندثار.

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظان في القرآن:

- ١- ﴿وَمَا كَانَ لِإِيَّيْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتُخَنَّ فِي الْأَرْضِ...﴾ الأنفال: ٦٧
 - ٢- ﴿فَإِذَا لَبِثُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَفْتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ قِامًا مَتًّا بَغْدًا وَإِنَّا بِفِئَاةٍ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...﴾ محمد: ٤
- يلاحظ أولًا: أنَّ الآية (١) نزلت في غزوة بدر خلال السنة الثانية من الهجرة، وهي أوَّل غزوة انتصر فيها المسلمون على أعدائهم «قريش»، فقتلوا منهم أموالًا، وأسروا رجالًا، ووبَّخهم الله في الأسرى قبل الإتيان في الأرض. ونزلت الآية (٢) بعد سنين مضت من غزوة بدر، ولا تعلم بالتحديد زمان نزولها، إلا أنها نزلت بعد سورة الحديد، وقد صرَّحت بأنَّ «الأسر» إنما يبيوز بعد ضرب رقاب الأعداء وإتيانهم.

حركة وكلَّ قتال، فبإتيانهم في الأرض بالقوة المماتة والسَّطْطَان الَّذِي يُرْهِبُ الأعداء. (١٠: ٣٥)

الطُّبَّاطِبَائِي: المراد بإتيان النبي في استقرار دينه بين النَّاسِ، كأنه شيء غليظ انجمد فثبت بعد ما كان رقيقًا سائلًا غشي الزوال بالسَّيلان. (٩: ١٣٤)

الأصول اللُّغَوِيَّة

١- الأصل في هذه المادة: التُّخُونَةُ، أي التُّقُلُ، ومنه: تَخَنَ الشَّيْءُ يَتَخَنُ تُخُونَةً وتُخَانَةً وتُخَنًا: تَقَلَّ وكَثُفَ فهو تَخِينٌ.

يقال: ثوبٌ تَخِينٌ، أي جيّد النسيج والسدى، كثير اللّحمة، وقد أُنْخِنَتْ: أُنْقِلَتْ، وأُنْخِنَ الرَّجُلُ: اتَّخَذَ شَيْئًا تَخِينًا.

والتَخِينُ: الشَّاكِي السَّلَاحِ، والمُتَخَنَةُ مِنَ النِّسَاءِ: الضَّخْمَةُ اللَّحِيْمَةُ.

ثمَّ توسَّعوا فيه، فقالوا مجازًا: رجلٌ تَخِينٌ، أي حليمٌ رزينٌ، ثقيلٌ في مجلسه.

وَأُنْخِنَ الرَّجُلُ: غَلَبَ وقَهَرَ، وَأُنْخِنَ فِي الْعَدُوِّ: هَالَعَ فِي الْقِتْلِ، وَأُنْخِنَ فِي الْأَرْضِ قِتْلًا: أَكْثَرَهُ. وَأُنْخِنَتْ ضَرْبًا: أُنْقِلَتْ ضَرْبًا، وَتَرَكْتُ فُلَانًا مُنْخِنًا: تَرَكْتُهُ وَقِيدًا ثَقِيلًا.

وَأُنْخِنَتْ الْجِرَاحَةُ: أَوْهِنَتْ، وَأُنْخِنَ الْمَرَضُ: اسْتَدَّ عَلَيْهِ، وَاسْتُخِنَ: ثَقُلَ مِنْ نَوْمٍ أَوْ إِعْيَاءٍ أَوْ مَرَضٍ. وَأُنْخِنْتُ فُلَانًا مَرَفَةً: فَكَلَنْتُهُ مَرَفَةً، وَأُنْخِنَ الْهَمُّ: أُنْقِلَهُ وَغَلَبَهُ.

٢- وروى ابن سيدة عن الأحمر قوله: تَخَنَ وَتَخَنَ،

ويحتمل معنى آخر - وهو أولى بالسباق - أي حتى ينقل النبي، ويتمكن في الأرض، وتستقر له الغلبة فيها. وهذا عكس الأول فلو حفظ الفعل في الأول متعدياً وأريد به الغلبة على الأعداء، وفي الثاني لازماً وأريد به تمكن النبي في الأرض.

غير أن النتيجة واحدة، وهي أنه لا يجوز اتخاذ الأسرى في ساحة القتال، إلا بعد إضعاف العدو وسيطرة المؤمنين عليه، واستقرارهم في الأرض.

رابعاً: وبهذا ظهر توافق الآيتين مغزى ومعنى توافقاً تاماً، كما صرح به غير واحد منهم. وقد بسط السيد قطب القول فيه، إلا أن هناك قولاً باختلافهما، قال الطبرسي (٩٧: ٥) ما خلاصته: «قيل: كان الأسر محرماً بآية الأنفال، ثم أبيع بهذه الآية «آية محمد»، لأن هذه السورة نزلت بعدها.

والمروي عن أنسة الهذلي صلوات الرحمن عليهم: «أن الأسارى ضربان: ضرب يؤخذون قبل انتهاء القتال - والحرب قائمة - وضرب يؤخذون بعد أن تضع الحرب أوزارها، وينتهي القتال. فالإمام يُخبر في الأول بين قتلهم وبين قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويتركهم حتى يغزوا، وفي الثاني بين المن والفداء...»

ويستفاد من رشيد رضا: أن آية الأنفال تمنع الأسر قبل «الإتيان»، وآية محمد تحيظه بعد «الإتيان»، فهو قريب مما اخترناه، ولكن يلوح من الاختلاف فلاحظ، وتام الكلام في «الأسرى» من «أس ر».

ثانياً: كلتا الآيتين متعلقة بالحرب والقتال، ونحن نعلم أن المدينة كانت بعد الهجرة دار الحرب والدعوة معاً، أما مكة فكانت دار الدعوة فقط، ولم تكن دار حرب، لأن السطة فيها كانت للمشركين دون المسلمين، فلم يأذن الله فيها بالقتال، بل أسر النبي والمسلمين فيها بالصبر والانتظار في عدة آيات.

ثالثاً: جاء فعل «الإتيان» فيها مرتين: مضارعاً في (١): «يُسْفِجُ فِي الْأَرْضِ» دون مفعول، مع «في الأرض» ظرفاً له، وفاعله الضمير الرجوع إلى النبي، ومضاعياً في (٢): «أَتَخَشُّوهُمْ»، وفاعله المؤمنون، ومفعوله الكفار، فجاء الفعلان فيها بتفاوت ملحوظ، له دخل في المعنى.

وبيان ذلك أن «الإتيان» - كما سبق - لا يعني القتل أو الإكثار في القتل، كما زعمه بعضهم، بل أصله الثقل في الأرض، أي ملازمتها. والثقل - كما لجرح والمرض - سبب للخونة، كما قال: «فَضَرَبَ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَتَخَشَّوهُمْ»، فالإتيان فيها نهاية لضرب الرقاب وغايته، وليس عينه. فعنى «أَتَخَشَّوهُمْ» غلبتهم حتى أتخنوا في الأرض، وسلبت منهم القدرة على الحرب والمقاومة.

أما «الإتيان» في (١) فيحتمل هذا المعنى، أي ليس لنبي أن يكون له أسرى حتى يُخَنِّعَ عدوه في الأرض، فهدف المفعول، وأضيف إليه (في الأرض) توضيحاً لما يستفاد من نفس الفعل.

ث ر ب

تفريب

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مكية

التفريب

يُثْرِب، وَثْرِب يُثْرِب، وَأَنْثَرِب يُثْرِب. [ثم استشهد

(الأزهرى ١٥: ٧٩)

بشعر]

ابن قتيبة: أصل التثريب: الإفساد، يقال: ثَرَب

علينا، إذا أفسد. وفي الحديث: «إذا زنت أمة أحدكم

فليجلدها الحد ولا يثرب» أي لا يثربها بالزنى. (٢٢٢)

ثَغَلَب: ثَرَب وَأَثَرَب فلان على فلان، أي حدّد عليه

ذنوبه. (الطبرسي ٣: ٢٦٠)

ابن دُرَيْد: والثَّرَب: الشَّعْم الَّذِي عَلَى الْكَرْشِ.

والتثريب: الأخذ على الذنب.

وَأَثَرَب: موضع بالشَّام. (١: ٢٠١)

الثَّرَب: ما كان على كَرَشِ الشَّاةِ مِنَ الشَّحْمِ، ومن

الإنسان شحم بطنه. (١: ٢٨٠)

أبو مسلم الأصفهاني: التثريب: مأخوذ من

الثَّرَب، وهو شحم الجوف، فكأنّه موضوع للمبالغة في

اللسوم والتعنيف، والبلوغ بذلك إلى أقصى

الخليل: الثَّرَب: شَحْمٌ رقيقٌ يفتش الكرش

والأمعاء، والجمع: ثُرُوب. وقوله عز وجل: ﴿لَا تُثْرِبْ

عَلَيْكُمْ السُّؤْمَ﴾ يوسف: ٩٢، أي لا لوم عليكم.

والتثريب: الإفساد، والتثريب بالذنب، لأنثرب عليك.

(٨: ٢٢٢)

الفَرَاء: نَعْلٌ يَثْرِبُ وَيُثْرِبُ، منسوب إلى يَثْرِب،

وهي المدينة. وإنما فتحوا الزاء استيعاشاً لتوالي

الكسرات. [ثم استشهد بشعر] (المجوهري ١: ٩٢)

الأصمعي: ثَرَبْتُ عليه وعَرَبْتُ عليه بمعنى، إذا

فَبَحْتُ عليه فعله. (المجوهري ١: ٩٢)

ابن الأعرابي: الثَّارِب: المُوْتِخ. (الأزهرى ١٥: ٧٩)

التثريب: التوبيخ، يقال: ثَرَب وَأَثَرَب وَثَرَب.

(الطبرسي ٣: ٢٦٠)

فَمِير: التثريب: الإفساد والتخليط، يقال: ثَرَب

غاياته .

(الطَّبْرَسِيّ ٣ : ٢٦٠)

الأُزْهَرِيّ: تَرَبَّ فلان على فلان، إذا بَكَتْهُ وَعَدَّدَ عليه ذُنُوبَهُ.

يقال: تَرَبَّ، وَتَرَبَّ، وَأَتَرَبَّ، إذا وَتَّعَ.

وفي الحديث: «إِذَا زَنْتُ...» قُلْتُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يُبَكِّتُهَا وَلَا يُفَرِّغُهَا بَعْدَ الْقُرْبِ.

وَرُوي عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَالَ لِلْمَدِينَةِ: «يَتَرَبَّ» وَسَمَّاها: طَبِيَّةً، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذِكْرَ التَّرَبُّبِ.

(١٥ : ٧٩)

الصَّاحِبُ: [نحو الخليل وأُضَاف:]

وَتَرَبَّتِ الْمَرِيضُ أَتَرَبُّهُ، إِذَا تَزَعَّتْ عَنْهُ ثُوبُهُ.

وَتَرَبَّتْهَا: طَوَّيْتُهَا.

وَتَرَبْتُ عَلَى فلان، إِذَا هَيَّجَتْ عَلَيْهِ قَوْمًا يُحَارِبُونَهُ وَيَحْصِمُونَهُ.

والتَّرَبُّبُ: اللُّؤْمُ.

وَتَرَبَّتْ عَلَيْهِ: خَالَفَتْ عَلَيْهِ.

والتَّرَبَّاتُ: الْأَصَابِعُ وَأَطْرَافُهَا.

وَأَتَرَبَّ: مَوْضِعٌ بِالنَّامِ، وَأَتَرَبَّ وَيَتَرَبَّبُ: اسْمُ

مَوْضِعٍ. (١٠ : ١٤٠)

العُجْوَهرِيّ: التَّرَبُّبُ: شَسِمَ قَدْ غَشِيَ الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ رَقِيقًا.

والتَّثَرَّبُ: كَالْتَأَنِّيبِ وَالتَّصْمِيرِ وَالِاسْتِقْصَاءِ فِي

اللُّؤْمِ. يُقَالُ: لَا تَتَرَبَّبْ عَلَيْكَ، وَهُوَ مِنَ التَّرَبُّبِ كَالشَّفَفِ

مِنَ الشَّفَافِ. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشِعْرًا] (١١ : ٩٢)

ابن فَارِسٍ: النَّاءُ وَالزَّاءُ وَالْبَاءُ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ الْأَصْلُ، لِأَفْرُوعَ لَهَا. فَالتَّثَرَّبُ: التَّلُؤْمُ وَالْأَخْذُ عِلَى

الذَّنْبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُتْرَكُوا عَلَى الْيَتِيمِ﴾

يُوسُفُ: ٩٢، هَذَا أَصْلُ وَاحِدٍ.

وَالْآخَرُ التَّرَبُّبُ، وَهُوَ شَسِمَ قَدْ غَشِيَ الْكَرْشَ

وَالْأَمْعَاءَ رَقِيقًا، وَالْجَمْعُ: تَرَبُّوبٌ. (١ : ٣٧٥)

الْهَزَوِيُّ: فِي الْحَدِيثِ: «نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ إِذَا صَارَتِ

الشَّمْسُ كَالْأَثَارِبِ» أَيِ إِذَا تَحَرَّقَتْ، وَخَصَّتْ فِي مَوَاضِعَ

دُونَ مَوَاضِعَ. شَبَّهَتْ بِسَاحِقِ الشَّمْسِ، وَهِيَ التَّرُوبُ،

وَاحِدُهَا: تَرَبُّبٌ. وَالْأَثَارِبُ جَمْعُ الْجَمْعِ. (١١ : ٢٧٧)

ابن سَيِّدِهِ: وَتَرَبَّبَ عَلَيْهِ: لَاتَمَّ، وَعَصِرَهُ بِذَنْبِهِ،

وَذَكَرَهُ بِهِ.

وَالْمُتَرَبَّبُ: الْمُعَيَّرُ، وَقِيلَ: الْخُلُطُ الْمُقْسَدُ.

وَيَتَرَبَّبُ: مَدِينَةُ النَّبِيِّ ﷺ النَّسَبُ إِلَيْهَا: يَتَرَبَّبُ،

وَيَتَرَبَّبُ، وَأَتَرَبَّبُ، وَأَتَرَبَّبُ. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشِعْرًا]

(١٠ : ١٤٢)

الرَّاعِبُ: التَّثَرَّبُ: التَّفْرِيعُ وَالتَّهْفِيرُ بِالذَّنْبِ، قَالَ

تَعَالَى: ﴿لَا تُتْرَكُوا عَلَى الْيَتِيمِ﴾ يُوسُفُ: ٩٢.

وَرُوي: «إِذَا زَنْتُ...» وَلَا يُعْرَفُ مِنْ لَفْظِهِ إِلَّا قَوْلُهُ:

التَّرَبُّبُ، وَهُوَ شَسِمَةٌ رَقِيقَةٌ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾^(١) الْأَحْزَابُ: ١٣،

أَيِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ،

وَالْبَاءُ تَكُونُ فِيهِ زَائِدَةً. (٧٩)

الرَّمْضَخَرِيُّ: «إِذَا زَنْتُ خَادِمَ أَحَدِكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا

الْحَدَّ وَلَا يَتَرَبَّبْ»، وَرُوي: «وَلَا يَمِيرُهَا»، وَرُوي:

«وَلَا يَتَنَبَّهَا» وَمَعْنَى الثَّلَاثَةِ وَاحِدٌ. [تَمَّ ذِكْرُ الْحَدِيثِ

الْمُقَدَّمِ فِي قَوْلِ الْهَزَوِيِّ وَقَالَ:]

حَلَب. (٧٥: ١)
 الْفَيْوَمِيّ: تَرَبَّ عَلَيْهِ يَتَرَبَّ، مِنْ بَابِ «ضَرَبَ»:
 عَتَبَ وَلام.

وَبِالْمَضَارِعِ بَيَاءُ الْغَائِبِ سَمِي رَجُلٌ مِنَ الْعَالِقَةِ، وَهُوَ
 الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِيَتْ الْمَدِينَةُ بِاسْمِهِ، قَالَه
 السَّهْلِيُّ.

وَتَرَبَّ بِالتَّشْدِيدِ: مَبَالَغَةً وَتَكْثِيرًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿لَا تَتَرَبَّيْ عَلَى كُمْ الْيَوْمَ﴾ يَوْسُفُ: ٩٢.

وَالْتَرَبُّ وَزَانُ قُلُسٍ: شَحْمٌ رَقِيقٌ عَلَى الْكَرْشِ
 وَالْأَمْعَاءِ. (٨١: ١)
 نَحْوُهُ الطَّرِيحِيُّ (٢: ١٧)، وَبِمَجْمَعِ اللَّفَّةِ (١: ١٦٨)،
 وَمُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ (١: ٩٤).

الْفَيْرُوزُ إِسْدَائِيّ: التَّرَبُّ: شَحْمٌ رَقِيقٌ يُخَشَّنِي
 الْكَرْشَ وَالْأَمْعَاءَ، جَمْعُهُ: تَرْوَبٌ وَأَتَرْبٌ. وَأَتَارَبُ جَمْعُ
 الْجَمْعِ.

وَالْقَرَبَاتُ مَحْرَكَةٌ: الْأَصَابِعُ.
 وَتَرْبَةً يَتَرَبُّهُ وَتَرْبَةً، وَعَلَيْهِ وَأَنْسَرَبَهُ: لَاتَمَّ وَعَبَّرَهُ
 بِذَنْبِهِ.

وَالْمُتَرَبُّ: الْقَلِيلُ الطَّاءِ، وَبِالتَّشْدِيدِ: الْخُلَاطُ الْمُفْسَدُ.
 وَتَرَبَّ الْمَرِيضُ يَتَرَبُّهُ: نَزَعَ عَنْهُ تَوْبَهُ.
 وَتَرَبَّ كَكَيْفٍ: رَكِيئَةً لِمَارَبٍ.
 وَتَرْبَانُ مَحْرَكَةٌ: حِصْنٌ بِالْيَمَنِ.

وَأَتَرْبُ الْكَبْشُ: زَادَ شَحْمُهُ، وَشَاءَ تَرْبَاءً: سَمِينَةً.
 وَأَتَارَبُ: قَرِيبةٌ بِحَلَبَ. وَيَتَرَبُّ وَأَنْسَرِبُ: مَدِينَةُ
 النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَتَرَبُّ وَيَتَرْبِي، يَفْتَحُ الرَّاءَ وَكَسَرَهَا فِيهَا.
 وَالتَّارِبُ: الطَّيُّ. (٤٢: ١)

هِيَ جَمْعُ أَتَرْبٍ جَمْعُ تَرَبَّ، وَهُوَ الشَّحْمُ الرُّقِيقُ
 الْمِسْطُ عَلَى الْكَرْشِ وَالْأَمْعَاءِ، شَبَّهَ بِهَا ضِيَاءَ الشَّمْسِ
 إِذَا رَقِيَ عِنْدَ الْعِشِيِّ. (الْفَائِقِيُّ ١: ١٦٥)

ابْنُ حَطَّيْتَةَ: التَّارِبُ: اللَّوْمُ وَالْعُقُوبَةُ، وَمَا جَرَى
 مَعَهَا مِنْ سُوءٍ مُعْتَقَدٍ وَنَحْوِهِ. وَقَدْ عَبَّرَ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ
 التَّارِبِ: بِالتَّعْيِيرِ. (٢٧٨: ٣)

ابْنُ الْأَثِيرِ فِيهِ: إِذَا زَتَتْ... أَيْ لَا يُوَفَّقُهَا وَلَا يَفْرَحُهَا
 بِالزَّيْنِ بَعْدَ الضَّرْبِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ لَا يَفْتَنُ فِي عَفْوِهَا بِالتَّارِبِ، بَلْ
 يَضُرُّهَا الْمَذَّةَ، فَإِنَّ زَيْنَ الْإِمَاءِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْعَرَبِ
 مَكْرُوهًا وَلَا مُنْكَرًا، فَأَمَرَهُمْ بِمَذَّةِ الْإِمَاءِ، كَمَا أَمَرَهُمْ بِمَذَّةِ
 الْحَرَارِ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ الْمَنَافِقَ يُؤَخَّرُ الْعَصْرَ حَتَّى إِذَا
 صَارَتِ الشَّمْسُ كَقُرْبِ الْبِقَرَةِ صَلَّاهَا». (٢٠٩: ١)

الْفَصَّانِي: تَرَبَّ يَتَرَبُّ، مِثَالُ ضَرْبٍ يَضْرِبُ،
 وَأَتَرْبُ يَتَرَبُّ، مِثَالُ أَفْعَلٍ يَفْعَلُ: لَفْظَانِ فِي تَرَبَّ يَتَرَبُّ
 مِثَالُ جَرَبٍ يُجَرَّبُ. [أَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

الْمُتَرَبُّ: الْقَلِيلُ الطَّاءِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْ بَا أُعْطِيَ.
 وَشَاءَ تَرْبَاءً: سَمِينَةً عَظِيمَةً التَّرَبُّ.

وَجَمْعُ التَّرَبُّ: أَتَرْبُ وَتَرْوَبُ، ثُمَّ يُجْمَعُ الْأَتَرْبُ:
 أَتَارَبُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ إِذَا
 صَارَتِ الشَّمْسُ كَالْأَتَارَبِ» شَبَّهَ بِهَا ضِيَاءَ الشَّمْسِ إِذَا
 رَقِيَ عِنْدَ الْعِشِيِّ.

وَتَرْبَانُ: حِصْنٌ مِنْ أَعْمَالِ ضَنْمَاءَ. وَتَرْبُ: رَكِيئَةً فِي
 بِلَادِ مَحَارِبٍ.

و«أَتَارَبُ» الْمَذْكُورُ فِي الْمَتْنِ هُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ فَرَاخٍ مِنْ

ابن قُتَيْبَةَ : لاتمير عليكم بعد هذا اليوم بما
صنتم . (٢٢٢)

الطَّبْرِي : لاتعير عليكم ، ولافساد لما بيني
وبينكم من الحرمة ، وحق الأخوة . ولكن لكم صندي
الصُّفح والنفو . (١٣ : ٥٦)

نحوه الرَّجَّاج (٣ : ١٢٨) ، والمَيْبُدي (٥ : ١٢٧) .

ابن الأَنْبَارِي : قد انقطع عنكم توبيخي عند
اعترافكم بالذنب . (الواحدى ٢ : ٦٣١)

الماوُزْدِي : لعقاب عليكم . [تم استشهد بشعر]
(٣ : ٧٥)

الطُّوسِي : هذا إخبار من الله تعالى عما قال
يوسف لإخوته ، حين اعترفوا بأن الله فضله عليهم ،
وأنتهم خطأ أو فيما فعلوه ، بأن قال : ﴿لَا تُكْرِيبْ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ ومعناه لأبأس عليكم بما سلف له منكم .
والتكريب تعليق العَرَر بصاحبه ، من أجل جرم كان
منه .

وقيل : معناه لا تخليط بمانده مكروه . وقيل : معناه
لاتتريب مكروه بتوبيخ ، ولا غيره . (٦ : ١٩١)

الواحدى : لاتعير ولا توبيخ ، يقال : تَرَبَّه ، إذا
عبَّره . (٢ : ٦٣١)

البَقَوِي : لاتمير عليكم ، ولأذكر لكم ذنبيكم بعد
اليوم . (٢ : ٥١٢)

الرَّمْغُفَرِي : لاتأنيب عليكم ولا حَسَب . وأصل
التَّريب : من التَّرب ، وهو السَّحْم الَّذِي هو غاشية
الكَرْش ، ومعناه إزالة التَّرب ، كما أن التجليد والتفريع
إزالة الجلد والقرع ، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية المزال

المُصْطَفَوِي : أن معنى هذه المادَّة هو المؤاخذه على
الذنب واللوم ، أو إحاطة اللوم والتوبيخ على شخص .
وهو قريب من معنى التَّرب ، أي التَّوَرُّط في الشَّدة ، وهكذا
الرُّبْت بمعنى الحَسْب والمنع . [تم ذكر الآيتين يوسف :
٩٢ والأحزاب : ١٣ وقال :

وَأَمَّا معنى السَّحْم الَّذِي فِي الْكَرْش والأمعاء ، فكأنه
باعتبار تعشيته وإحاطته الْكَرْش والأمعاء رقيقاً ، يقع
مصدافاً للإفساد والتخليط . (٢ : ١٣)

النصوص التفسيرية

قَالَ لَا تُكْرِيبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ . يوسف : ٩٢

ابن عباس : يقول : لأعيركم بعد اليوم . (٢ : ٢٠٢)
نحوه الْكَلْبِي (الواحدى ٢ : ٦٣١) ، وابن عُسَيْمَةَ
(الطَّبْرِي ١٣ : ٥٦) .

يريد لالوم عليكم . (الواحدى ٢ : ٦٣١)
مُجَاهِد : لا ياء عليكم في قولكم . (الماوُزْدِي ٣ : ٧٥)
قَتَادَةَ : لم يُتَرَب عليهم أفعالهم . (الطَّبْرِي ١٣ : ٥٦)
السُّدِّي : اعتذروا إلى يوسف ، فقال : ﴿لَا تُكْرِيبْ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ يقول : لأذكر لكم ذنبيكم .

(الطَّبْرِي ١٣ : ٥٦)
ابن إسحاق : أي لاتأنيب عليكم اليوم عندي فيما
صنتم . (الطَّبْرِي ١٣ : ٥٦)

مثله الثوري . (ابن كثير ٤ : ٤٧)
أبو هُبَيْرَةَ : أي لا تخليط ، ولا شغب ، ولا فساد
ولا معاقبة . (١ : ٣١٨)

ويموز أن يكون متعلقاً بالضمير الذي في الخبر، ويموز أن يكون قد تم الكلام عند قوله: (عَلَيْكُمْ)، وتعلق (اليَوْمَ) بما بعده، فيكون تقديره: اليوم يغفر الله لكم، وهذا اختيار الأخفش. وهكذا الكلام في قوله: (لَا زَيْبَ فِيهِ) البقرة: ٢. (٣: ٢٦٠)

الفخر الرازي: أي لاتوبيخ ولاعيب.

قال عطاء الغراساني: طلب الحوائج إلى الشَّباب أسهل منها إلى الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام لأخوته: (لَا تُثْرِبْ عَلَيْكُمْ)، وقول يعقوب: (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) يوسف: ٩٨. (١٨: ٢٠٥) أبو حنَّان: لا لوم ولا عقوبة. (تثريب) اسم (لا)، و(عَلَيْكُمْ) الخبر، و(اليَوْمَ) منصوب بالعامل في الخبر، أي لاتثريب مستقر عليكم اليوم. (٥: ٢٤٣) شُبِّرَ: أي لاتعير ولاتوبيخ ولاتتربع عليكم.

(٣: ٣٠٥) نحوه القاسمي. (٩: ٣٥٨٩) الألوسي: (نحو الزُّغْشَرِيِّ في معنى التثريب واستعارته للوم وأضاف: [

فالجامع بينهما طريان التقص بعد الكمال، وإزالة ما به الكمال والجبال، وهو اسم (لا). و(عَلَيْكُمْ) متعلق؛ بمقدَّر وقع خبراً. (١٣: ٥٠)

جَوْزَةٌ دَرَوْرَةٌ: لا لوم ولا عتاب اليوم. والمجمل بمعنى أنه صفع عنهم، وسأل الله أن يغفر لهم. (٤: ١١٧) الطُّبَّاطِبَانِي: التثريب: التوبيخ، والمبالغة في اللوم، وتعدد الذنوب. ولَمَّا قُيِّدَ نفي التثريب باليوم ليدلَّ على مكانة صفحه، وإغضاضه عن الانتقام منهم.

والمعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتثريب الذي يترق الأعراس، ويذهب بماء الوجوه.

فإن قلت: يَمُ تعلق (اليَوْمَ)؟ قلت: بالتثريب، أوه بالمقدَّر في (عَلَيْكُمْ) من معنى الاستقرار، أو بلا يَغْفِرُ، والمعنى: لا أثريبكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام! (٢: ٣٤٢)

نحوه البُيْضَاوِيُّ (١: ٥٠٧)، والثَّيَابُورِيُّ (١٣: ٤٥)، وأبو السُّود (٣: ٤٢٦)، والبُزْؤُسِيُّ (٤: ٣١٣). الطُّبَّاطِبِيُّ: (تثريب) نكرة مفردة مبنية مع (لَا) على الفتح. ولا يجوز أن يتعلق (عَلَيْكُمْ) به، إذ لو كان كذلك لكان مشتبهاً بالمضاف، من حيث يكون عاملاً فيها بعده، ويكون (عَلَيْكُمْ) من تمامه، وكان يجب أن يكون منصوباً منوناً، كما تقول: لامروا يزيد عندك.

وإذا عرفت هذا فإنَّ (عَلَيْكُمْ) هاهنا فيه وجهان: أحدهما: أن يكون في موضع الخبر، على تقدير: لاتثريب يثبت عليكم أو ثابت عليكم، ثم حُذِفَ ذلك، وانتقل الضمير منه إلى (عَلَيْكُمْ) حيث سدَّ سده.

والآخر: أن يتصلَّق بمضمَر، ذلك المضمَر وصف (لَا تُثْرِبْ) وعلى هذا فيجوز فيه وجهان: أحدهما: أن يكون في محل رفع، تقديره: لاتثريب ثابت عليكم، كما تقول: لارجل ظريف.

والآخر: أن يكون في محل نصب، تقديره: لاتثريب ثابتاً عليكم، كما تقول: لارجل ظريفاً، ثم حُذِفَتْ الضمَّة، وقام الظرف مقامه، ويكون (اليَوْمَ) على هذا الوجه خبر (لا).

وعلى الوجه الأوَّل يجوز أن يكون خبراً بعد خبر،

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: «الرَّبُّ»، وهو شمع رقيق يغشي الكَرش والأمعاء، والجمع: رُروب وأررب وأثرب، يقال: شاة رُرباء، أي عظيمة الرُرب. والرَّبُّ أيضاً: أرض حجارة كحجارة المسرة إلا أنها بيض، وهذا تشبيه بلون الرُرب.

٢- ثم استعملوا «الرَّبُّ» في اللوم والإفساد، لأنهم كانوا إذا أزرأوا بأحد ونقموا عليه، ألقوا عليه الرُرب والشُّو والرُّجم وغيرها. وقد فعل ذلك أهل مكة بنبيئنا ﷺ في بدء الدعوة؛ إذ ذكر ابن هشام في السيرة: «فكان أحدهم -فيا ذكر لي- يطرح عليه رُرجم الشاة وهو يصلي^(١)».

ولذا عُدَّت جميع أفعال هذه المادة -بمعنى «يقال: رُرب علينا يتربُّ رُرباً، أي يتبع وأفسد فهو ثارِب. وأثرب فلانٌ ورُرب على فلان: ويَحْتَهُ فهو مُثَرَّب. يقال: لا تثرِبْ عليك» وهذا الاستعمال مجازي. وأما «الرَّبَّان» بمعنى الأصابع، فأصله «الثاء»، أي الثِّرَبات، جمع ثَرِبَةٍ، انظر «ت ر ب».

الاستعمال القرآني

جاء لفظ واحد من هذه المادة في سورة مَكِّيَّة: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يوسف: ٩٢. يلاحظ أولاً: أَنَّ كلمة (تَثْرِيبَ) هي الوحيدة التي جاءت عقيب قصة قرآنية منفردة في القرآن، وبعد

والظرف هذا الظرف: هو عزيز مصر، أوتي التوبة والحكم وعُلم الأحاديث ومعه أخوه، وهم أدلاء بين يديه: سترقون بالخطيئة. وَأَنَّ الله أمره عليهم بالزَّعم من قولهم أول يوم: ﴿يُؤَسِّسُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَهَانًا لَيْ خَلَّالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف: ٨.

(١١: ٢٣٧)

عبد الكريم الغطيب: أي لا لوم عليكم، ولا مذمة منذ اليوم، فقد بلغ الأمر بي وبكم غاية، وانتهى إلى تلك النهاية المسعدة التي تستوجب منا جميعاً حمد الله وشكره.

ابن عاشور: والتثريب: التوبيخ والتفريع. والظاهر أَنَّ منتهى الجملة هو قوله: (عَلَيْكُمْ) لأنَّ مثل هذا القول مما يجري مجرى المثل، فيُبنى على الاختصار، فيكتفي بـ ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ مثل قولهم: لا بأس، وقوله تعالى: ﴿لَا تَوَزَّرْ﴾ القينة: ١١.

مكارم الشيرازي: أي أَنَّ العتاب والعقاب مرفوع عنكم اليوم، اطمئنوا وكونوا مرتاحي الضمير، ولا تعبوا للآلام والمصائب السابقة منفذاً إلى نفوسكم، ثُمَّ لكسي يبين لهم أَنَّهُ ليس وحده الذي أسقط حَقَّهُ وعفا عنهم، بل إِنَّ الله سبحانه وتعالى أيضاً عفا عنهم حيناً أظهرها التذمة والنجل، قال لهم: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

فضل الله: أي لاقوبة ولاتعنيف بل المسامحة والعفو، والاستغفار لكم والابتهال إلى الله أن يعفو عنكم، وسيستجيب الله مِنِّي ذلك. (١٢: ٢٦٢)

ثالثاً: هناك خلاف في إعراب الآية، فاحتمل
الطَّبْرَسِيُّ أن يكون «عَلَيْكُمْ» في موضع الخبر، والأصل:
لا تَتَرَبَّيبَ يَتَّيْتُ عليكم. أو متعلق بمضمر هو وصف
له «تَتَرَبَّيبَ»، أي لا تَتَرَبَّيبَ ثابت عليكم، مثل: لا رجل
ظريف، فحلَّه رفع. أو ثابتاً عليكم، مثل: لا رجل
ظريفاً، فحلَّه نصب.

وكلمة «اليوم» على هذا الوجه خبر (لَا)، وعلى
الوجه الأول إما خبر بعد خبر، أو متعلق بالخبر. كما جاز
أن يتم الكلام عند «عَلَيْكُمْ»، و«اليَوْمَ» متعلق بما بعده
«يَتَفَرَّقُ»، وهو ظير (لَا تَرَبَّيبَ فِيهِ) في البقرة.

وهذا ما اختاره ابن عاشور، وقال: إنه نظير
«لَا هَاسَ» و«لَا وَزَرَ» مما بناؤه على الاختصار.
والمرجح عندنا أنه في معنى: لا تَتَرَبَّيبَ ثابت عليكم
اليوم، فَإِنَّ «عَلَيْكُمْ» و«اليَوْمَ» متعلقان بـ «ثابت»، وهو
خبر «لَا»، و«تَتَرَبَّيبَ» اسمها.

عناء طويل تحمله يوسف النبي من إخوته. فالتفتة
والعناء من الإخوة، ونبي «التتريب» عنهم، كل ذلك
متناسق في انعدام التظير والمجدة.

ثانياً: فسروا «التتريب» بالتصيير، والتوبيخ،
والتأنيب، والتتريع، والتغليب، والعتاب، والعيب،
والشغب، والإفساد، والمعاقبة، والبأس، واللوم،
وتعديد الذنوب ونحوها، وهي نظائر، والمراد هاهنا
غض النظر عن ذنوبهم.

بيد أن الزَّمَخْشَرِيَّ - وتبعه الفَخْرُ الرَّازِيَّ والأكوسِيَّ -
عدَّ صيغة «التشغيل» فيه للسلب والإزالة، أي إزالة
«الترب» - وهو الشحم الذي في الكرش كما سبق -
كالتجليد والتفريع بمعنى إزالة الجلد والقرع، وهو غير
بعيد. وعليه فترجع المادة إلى أصل واحد، خلافاً لابن

فارس، حيث جعل لها أصليين.
ولهذا عدَّ الزَّمَخْشَرِيَّ - وتبعه الأكوسِيَّ - مجازاً
استعارة عن اللوم، وعدَّه الباقر حقيقاً.

ث ر ي

الثَّرى

لفظ واحد، مَرَّة واحدة، في سورة مَكِّيَّة

التَّصْوَص اللُّغَوِيَّة

الْخَلِيل : والثَّرى، مقصور: الثَّراب، وكلّ طين لا يكون لازبًا إذا بَلَ. [ثم استشهد بشعر]

وَتَثْرَى الفرس بالمرق تَثْرِيًا، وَثَرَى أيضًا ثَرَى شدِيدًا، إذا نَدَى بمرقه.

(٨: ٢٢٢)

الْكَسَائِي: يقال: قد ثَرى بنو فلان بني فلان، إذا كثروهم فكانوا أكثر منهم.

(أبو عبيد ١: ٣٧٦)

ثَرِيَتْ بفلان، فأنا ثَر به، أي غني عن الناس.

(الأزهرى ١٥: ١١٥)

أبو عمرو والشَّيبَانِي: وَثَرَى الله القوم، أي كثَّروهم، وَثَرَى الرّجل يَثْرَى ثَرًا وَثَرَاءً، ممدود، وهو ثَرِيٌّ، إذا كثُر ماله، وكذلك أثرى، فهو مُثَرٍّ.

(الأزهرى ١٥: ١١٥)

وَتَرَا المال نفسه يثروا، إذا كثر.

وَتَرَوْنَا القوم، أي كُنَّا أكثر منهم.

مثله الأصمعيّ وأبو زيد. (الأزهرى ١٥: ١١٤)

أبو عبيدَة: من أمثاله في تحوُّف الرّجل حَبْرٌ صاحبه: لا تُؤسِّس الثَّرى بيني وبينك، أي لا يقطع الأمر بيننا.

(ابن فارس ١: ٣٧٤)

الأصمعيّ: يقال: ما بيني وبين فلان مُثَرٌّ، أي إنّه لم ينقطع. وأصل ذلك أن يقول: لم يَنْبَسِ الثَّرى بيني وبينه.

(الأزهرى ١٥: ١١٤)

ثَرَى فلان الثَّراب والسَّويق، إذا بَلَّه.

ويقال: ثَرَّ هذا المكان ثمَّ قَفَّ عليه، أي بَلَّه.

وأرض مُثَرِيَّة، إذا لم يجفَّ ثَرها.

(الأزهرى ١٥: ١١٦)

العرب تقول: فَهَرَّ ثَرَى، وَشَهَرَّ ثَرَى، وَشَهَرَّ مَرْعَى، أي تَطَرَّ أَوَّلًا ثمَّ يَطْلُع الثَّبات فثراء، ثمَّ يطول

ثراء القوم يثرون ثَرَاءً، إذا كثروا وَغَوَّا. وأنثَرُوا يثرون، إذا كثرت أموالهم.

- فترعاه الثَّمَم. (الْجَوْهَرِيُّ ٦: ٢٢٩٢)
- ابن الْأَعْرَابِيِّ: إِنْ فَلَانًا لَقَرِبَ الثَّرَى بَعِيدَ النَّظَرِ:
لِلَّذِي يَبْعِدُ وَلَا وَفَاءَ لَهُ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ١١٥)
- لَيْسَ رَجُلٌ قَرُوءًا دُونَ قَيْصٍ، فَقِيلَ: التَّقَى الْقَرِيَانُ:
يَعْنِي شَرَّ الْعَانَةِ وَوَجَرَ الْفُرُوسِ. (ابن سِيدَه ١٠: ١٨٨)
- أَبُو عُبَيْدٍ: وَالْقَرَى: الْكَثِيرُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ.
(١: ٣٧٦)
- الْقَرِيَاءُ، عَلَى فَنَاءٍ: الثَّرَى. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ]
- (الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ١١٥)
- ابن السُّكَيْتِ: أَثَرِي يُتْرَى إِثْرَاءً، إِذَا كَثُرَ مَالُهُ.
وَقَدْ أَثَرَتْ الْأَرْضُ ثُثْرِي، إِذَا كَثُرَ ثَرَاهَا. وَقَدْ تَرَى بِذَلِكَ
يُثْرَى بِهِ، إِذَا فَرَحَ بِهِ. وَقَدْ تَرَوْنَا الْقَوْمَ نَشْرُوهُمْ، إِذَا
كَفَرْنَا بِهِمْ. (إِصْلَاحُ الْمَطْلُوقِ: ٢٦٠)
- الذَّيْنُورِيُّ: أَرْضٌ قَرِيَّةٌ: إِذَا اعْتَدَلَ ثَرَاهَا، فَبِأَذَا
أَزْدَتْ أَنَّهَا اعْتَقَدَتْ تَرَى، قُلْتُ: أَثَرْتُ.
- (ابن سِيدَه ١٠: ١٨٧)
- ابن أَبِي الْيَمَانِ: وَالْقَرَى: الْقَرَابُ الْوُطْبُ، يَقَالُ:
أَثَرُ الْغُبَرِ، أَيْ بَلَّ ثَرَاهُ لِيَكُونَ تَرَى.
- وَيَقَالُ: أَرْضٌ قَرِيَّةٌ، إِذَا كَانَ فِيهَا الثَّرَى.
- وَيَقَالُ: تَرَى الْأَقِطُ، أَيْ خَلَطَهُ بِمَا.
- وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَقْرَبَ شَرَاءًا أَيْ خَيْرِهِ. [تَمَّ
اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ]
- وَيَقَالُ لِلْفَرَسِ إِذَا عَرِقَ: قَدْ بَدَأَ تَرَى الْمَاءَ فِيهِ. [تَمَّ
اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ]
- (١١٧)
- الطَّبْرِيُّ: الثَّرَى: التَّدَى، يَقَالُ لِلشَّرَابِ الرُّطْبُ
الْمَبْتَلُ: تَرَى، مَنْقُوصٌ، يَقَالُ مِنْهُ: تَرَيْتُ الْأَرْضَ تَتَرَى
- تَرَى، مَنْقُوصٌ. وَالْقَرَى: الْمَصْدَرُ. (١٦: ١٢٨)
- الرَّوْجُاجُ: وَقَرَى الْمَكَانَ وَأَتَرَى، إِذَا تَدَّى بِعَدِيتِيسَ،
وَكَثُرَ فِيهِ التَّدَى، وَكَذَلِكَ تَرَى الْقَوْمَ وَأَتَرُوا، إِذَا كَثُرَتْ
أَمْوَالُهُمْ. (فُعِلَتْ وَأَفْعِلَتْ: ٧)
- ابن دُرَيْدٍ: الْقَرَاءُ: مَمْدُودٌ: الْفَسَى. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ
بِشَمْرِ]
- وَجَمْعُ الْقَرَاءِ: أَثَرِيَّةٌ إِنْ كَانُوا قَدْ تَكَلَّمُوا بِهِ، وَالْإِثْرَاءُ
الْمَصْدَرُ أَثَرِي يُتْرَى إِثْرَاءً، إِذَا اسْتَفْنَى. وَتَرَى الْأَرْضَ
مَقْصُورٌ، وَالْجَمْعُ: أَثْرَاءُ، وَهُوَ الْقَرَابُ التَّدَى. وَأَرْضٌ
تَرِيَاءُ: كَثِيرَةُ الثَّرَى.
- وَتَقُولُ الْعَرَبُ: «إِذَا التَّقَى الْقَرِيَانُ فَهُوَ الْحَيَاءُ» يَرِيدُونَ
تَرَى الْمَطَرِ وَتَرَى بَاطِنَ الْأَرْضِ.
- وَأَرْضٌ قَرِيَّةٌ فِي وَزْنِ «قَبِيلَةٍ». (٣: ٢١٨)
- الْأَزْهَرِيُّ: وَالْمَالُ الْقَرَى، مِثْلُ عَمٍّ خَفِيفٌ: الْكَثِيرُ.
وَمِنْهُ سَمِي الْقَرَجِلُ: تَرُوءَانُ.
- وَالْمَرْأَةُ قَرِيَاءٌ، وَهُوَ تَصْغِيرُ: تَرُوءَى.
- وَتَرِيْتُ الْقَرِيَّةَ، أَيْ بَلَّثْتُهَا.
- وَتَرِيْتُ الْأَقِطُ: صَبَبْتُ عَلَيْهِ مَاءً، نَمَّ لِنَتِّهِ بِهِ.
- وَقَدْ بَدَأَ تَرَى الْمَاءَ مِنَ الْفَرَسِ، وَهُوَ حِينَ يَنْزُدُ
بِعَرَقِهِ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ]
- وَيَقَالُ: التَّقَى الْقَرِيَانُ: وَكَذَلِكَ أَنْ يَجِيءَ الْمَطَرُ فَيَرْشِعُ
فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَلْتَقِيَ هُوَ وَتَدَى الْأَرْضِ.
- وَيَقَالُ: أَرْضٌ قَرِيَاءٌ، أَيْ ذَاتُ تَدَى. (١٥: ١١٤)
- يَقَالُ: إِنِّي لَأَرَى تَرَى الْفَضْبِ فِي وَجْهِ فَلَانٍ، أَيْ
أَثَرِهِ.
- وَيَقَالُ: قَرِيْتُ بِكَ، أَيْ فَرَحْتُ بِكَ. وَتَرِيْتُ بِكَ، أَيْ

الْقَرَى. (١٧٠: ١٧٠)
الْجَوْهَرِيُّ: الْقَرَى: الْقَرَابُ الثَّدْيِي. وَأَرْضُ نَرْيَا:
ذَاتُ ثَدْيٍ.

ويسال: التَّقِ الْقَرَيَانِ، وذلك أن يحمي المطر
فيرسخ^(١) في الأرض، حتى يلتقي هو وندى الأرض.
[ثم استشهد بشعر]

والقراء: كثرة المال. [ثم استشهد بشعر]
والمال الثَّرَى، حل «فصيل» هو الكثير، ومنه رجل
ثُرُون وامرأة ثُرَوَى، وتصغيرها: ثُرَيَّا.
وثرَيَّا: اسم امرأة من أمية الصغرى، شَبَّ بها عمر
ابن أبي ربيعة.

والقَرَيَا: التَّجَمُّ.
والقُرْوَةُ: كثرة العدد.
وأثَرَتِ الأرض: كثر ثراها. وأثرى المطر: بَلَّ
الْثَّرَى.

وقولهم: «ما بيني وبينك ثَمَرٌ» أي إنه لم ينقطع، وهو
مثل، كأنه قال: لم يَنْبَسِ الثَّرَى بيني وبينك، كما
قال^(٢): «بُلُوا أرحامكم ولو بالسَّلام». [ثم استشهد
بشعر]

وثرِثَ الموضع ثَرِيَةً، أي رَشَتْهُ.
وثرِثَ التَّوَيْقُ أيضًا: بَلَّغَتْهُ. (٢٢٩١: ٦)
ابن فارس: التَّاء والزَّاء والحرف المحتل أصل
واحد، وهو الكثرة، وخلاف اللّيس. (٣٧٤: ١)
الْمَهْرَوِيُّ: الْقَرَى: الْقَرَابُ الثَّدْيِي الَّذِي تَحْتَ الْقَرَابِ
الْفَظَّاهِر.

كثرت بك. [ثم استشهد بشعر] (١١٥: ١١٥)
الصَّاحِبُ: الْقَرَى، مَقْصُور: الْقَرَابُ الْمُبْتَلَّ،
وِدْعَصُ مَعْرِي.

ويقولون عند ثَلَاثِ الْأَمْطَارِ: «الْتَقَى الْقَرَيَانِ» وهو
مثل يضرب في سُرْعَةِ اتِّفَاقِ الْأَخْوَانِ فِي الْمَوَدَّةِ.
وَأَرْضُ مُعْرِيَّةٍ: لَمْ يَجِفْ ثَرَاهَا.
وَالْقَرَيَاءُ: لَفَتْهُ فِي الْقَرَى. وهي أيضًا من الْأَرْضِينَ:
الكثيرة الْقَرَى.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: «وَمَا تَحَنَّنَ الثَّرَى» طه: ٦، يعني
الأرض السَّفْلَ.

ويقولون: هو ابن قَرَاهَا، أي العالم بها.
وثرِثْتُ الْأَيْطُ: صَبَيْتُ عَلَيْهِ مَاءً.
وثرِثْتُ بِهِ أَثْرِي، أي فَرَحْتُ بِهِ.
وإِنِّي لَأَزَى ثَرَى الْقُضْبِ فِي وَجْهِهِ، أي أَثَرُهُ.

وبدا منه ثَرَى الْمَاءِ، إِذَا حَرِقَ. [وقد استشهد في
الهامش بشعر طُفَيْلٍ]
وَبَلَّغْتَ قَرَى فُلَانٍ، إِذَا أَدْرَكْتَ مَا تَطْلُبُ مِنْهُ.
وَتَرَى الْقَوْمَ: أَصْلَهُمْ.

وفي المثل: «إِنَّهُ لَقَرِيبُ الْقَرَى بِعِيدِ النَّبْطِ» لِلَّذِي
يُطْعِي بِلْسَانَهُ وَلَا يَطْعِي بِقَوْلِهِ.

ويقولون: شَهْرٌ ثَرَى، وَشَهْرٌ مَرَضَى، أي أَوَّلُ
ما يكون من المطر فيَبْتَثِلُ الْقَرَابَ، ثُمَّ يَطْلُعُ الثَّابِتُ.
وَنَرَاهُ يَتَرَى فَاثَرَى، إِذَا مَاتَ.
وما يَثَرِيهِ شَيْءٌ، ولا يَثَرِيهِ شَيْءٌ، ولا يَثَرِي فِيهِ،
أي لَا يَنْبَجِعُ.

وفي الحديث: «يُطْعِي وَيَثَرِي فِي الصَّلَاةِ» هُوَ مَنْ

(١) وعند الأزهري: يَرُدُّع.

وَيَذَا تَرَى الْمَاءَ مِنَ الْقَرْسِ : وذلك حين يَسْنَدُ
بِالْمَرْقِ . [تم استشهد بشر]

وما يبي وبين فلان مُنَرٍ : أي لم ينقطع . وأصل ذلك
أن تقول : لم يَشْبَسِ الْغَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ . [تم استشهد
بشعر]

والعرب تقول : «شَهْرُ قَرْىَ» . وشَهْرُ قَرْىَ ، وشَهْرُ
مَرْضَى ، وشَهْرُ اسْتَوَى .

فأما قولهم : «قَرْىَ» فهو أول ما يكون المطرُ ، فيرسخ
في الأرض ، وتَبَلَّ التُّرْبَةُ وتلين ، فهذا معنى قولهم قَرْىَ .
والمعنى : شَهْرُ دُو قَرْىَ ، فحذفوا المضاف .

وقولهم : «شَهْرُ قَرْىَ» فأرادوا تَرَى فيه رُؤُوس
النبات ، فحذفوا أي : أَنَّ الثَّيْبَ يَنْقُفُ فيه ، حتَّى تَرَى
رُؤُوسَهُ . وهو من باب : كلَّه لم أصنع .

وأما قولهم : «مَرْضَى» فهو إذا طال بقدر ما يمكن الثَّعم
أن ترعاه ، ثم يَسْتَوِي الثَّبات ، ويكتمل في الرَّابع ، فذلك
وجه قولهم : اسْتَوَى .

وفلانٌ قَرِيبُ الْقَرْىَ : أي الخير . (١٠ : ١٨٧)
الرَّمْهَشَقَرِيُّ : شَهْرُ قَرْىَ ، وشَهْرُ تَرَى ، وشَهْرُ
مَرْضَى ، أي تكون الأرض نديّةً أولاً ، ثم تَرَى المضطربة ،
ثم يطول الثَّبات حتَّى يصلح للزراعة .

وتَرَى المطرُ التَّرابَ يَغْريهِ ، وهو سَرَفِيٌّ ، وتَرَى
التَّرابَ فهو تَرٍ ، وتَرِيَّتُ التَّرابَ : نَدِيَّتُهُ ، وتَرِيَّتُ السَّوِيقَ .
ومن الهجاز : أُنرى الرَّجُلُ نحواً تَرَبٍ ، أي صار ذا تَرَى
وذا تراب ، والمراد كثرة المال . ورجلٌ مُسَرٌّ وذو نَزْوَةٍ
وَقَرَامٍ ، ومنه تَرَى القوم يتَرَوْنَ ، إذا كثر عددهم ، وهم في
نُزوة وقراء . [تم استشهد بشر]

وفي الحديث : «فَأَتَى بالسَّوِيقِ فَأَمَرَ بِهِ فَتَرَى» أي
بُلٌّ ، يقال : تَرَى التَّرابَ يَتَرَى تَتَرِيَةً . ويقال : تَرَى المكانَ ،
أي رُشَّهُ . (١ : ٢٧٩)
الضَّعَالِيُّ : لا يقال : تَرَى ، إلّا إذا كان نديّاً ، وإلّا فهو
تراب . (٥١)

الْقَرْىَ : التَّرابُ النَّدِيّ ، وهو كلُّ تراب لا يصير طيناً
لأزناً إلّا إذا بُلٌّ . (٢٨٧)

ابن سيده : الْقَرْىَ : التَّرابُ النَّدِيّ .
وقيل : هو التَّرابُ الَّذِي إذا بُلٌّ لم يصير طيناً لأزناً .
وقوله تعالى : «وَمَتَّعْتُ النَّارِيَّةَ» طه : ٦ . جاء في
التفسير أنه أراد وماتحت الأرض .

وتتنبه تَرَيان وتَرَوان ، الأخيرة من اللَّحياني .
والجمع : أترأه .
وتَرَى متغريٌّ : بَالَتْوا بلفظ المفعول ، كما بَالَتْوا بلفظ
الفاعل .

وأما قلنا هذا ، لأنّه لا يَمْلَأُ له فيَحْمَلُ مَرَفِيٌّ عليه .
وتَرِيَّتُ الأرضُ تَرَى ، فهي قَرِيَّةٌ نَدِيَّةٌ ولاتَتْ بعد
الجُدُوبَةِ والبُيُوسِ .

وأثَّرت : كَثُرَ قَرَاهَا .
وأرضٌ قَرِيَّةٌ وقَرِيَاءٌ : ذاتُ تَرَى .
وتَرَى التُّرْبَةَ : بَلَّهَا .
وتَرَى الأَظْطَ ، والسَّوِيقَ : صَبَّ عليه ماءً ، ثم ثَلَّتْ .
وكلٌّ مانديتُهُ فقد تَرِيَّتُهُ .
والتَّرى : النَّدَى .

و«التق التَّريان» وذلك أن يجيء المطر فيرسخ في
الأرض حتَّى يلتقي هو وتَدَى الأرض .

يقال: ثَرَا القوم: كثر عددهم، وَثَرَا المال: كثر، وَأَثَرَى القوم: كثر ثراهم ومالهم، والثَّرَاءُ: المال الكثير. قال الجَبَّان: الأصل في كثرة عدد الرجال: الثَّوَرَةُ، بتقديم الواو، وفي كثرة المال: الثَّرْوَةُ، وربما يتداخلان. (١: ٢٦٢)

أين منظورة: الثَّرْوَةُ: كثرة العدد من الناس والمال، يقال: ثروة رجال وثروة مال، والثَّرْوَةُ كالثَّرْوَةِ فاؤه بدل من الثاء. (١٤: ١١٠)

الْفَقِيرُ مَيَّ: الثَّرْوَةُ: كثرة المال، وَأَثَرَى إِنْشَاءً: استغنى، والاسم منه: الثَّرَاءُ بالفتح والمدة. والثَّرَى وزن المَصْصَى: ندى الأرض. وَأَثَرَتْ الأرض بالألف: كثر ثراها.

والثَّرَى أيضاً: الثَّرَابُ النَّدَى. فإن لم يكن ندياً فهو تراب، ولا يقال حينئذ: ثَرَى.

وَتَرَيْتُ الأرض تَرَى، فهي تَرِيَّةٌ وَتَرِيَاءٌ - مثل عَمِيَّتَ حَمَى فهي عَمِيَّةٌ وَعَمِيَاءٌ - إذا وصل المطر إلى نداها. (٨١)

الْفَيْرُوزُ إِبَادِي: الثَّرْوَةُ: كثرة العدد من الناس والمال، وليلة يلتقي القمر والقرآن. وهذا مَقْرَأَةٌ للمال: تَكْثَرُهُ.

وَتَرَى القوم ثَرَاءً: كَثُرُوا وَتَمَوْا، والمال كذلك، وَتَمَوْا فلان بقي فلان: كانوا أكثر منهم مالاً.

وَتَرَى كَرَضِي: كثر ماله كأثرى، ومالٌ تَرَى كَفْيِي: كثير، ورجلٌ تَرَى وَأَثَرَى كأحوى: كثير.

وَالثَّرَوَانُ: الغزير الكثير، وبلا لام: رجل وامرأة ثروى: متحولة.

و«التقى الثَّريَّان» مثل في سرعة توادُّ الثَّرجِلين، وأصله أن يسقط النيت المجزأ فيلحق نداء وندى الأرض العتيق تحتها. ولأُثْوِسُ الثَّرَى بيتي وبينك، أي لاتقاطعي. [ثم استشهد بشعر]

وبدا ثَرَى الماء من الفرس، إذا ندى بالعرق. [ثم استشهد بشعر]

ويسال: إِنْ أَرَى ثَرَى الغضب في وجهه. [ثم استشهد بشعر]

وإنَّ فلاناً لقریب الثَّرَى. بعيد النَّبْط: لمن يحيط بلسانه ولا يني بما يقول. وبلغتُ ثَرَى فلان، إذا أدركت ماطلب منه. وَفَرَيْتُ بك، إذا فرحت به وسررت. [ثم استشهد بشعر]

وفلان ماغيره شيء، ومايثيري فيه، أي ماينجع فيه لقساوته. (أساس البلاغة: ٤٤)

علي بن الحسين صلوات الله عليها: «اللهم صل على محمد عدد البرى والثَّرى والزَّرى... الثَّرى: النَّدَى الَّذِي تحت البرى، ومنه قولهم: «التقى الثَّريَّان» أي ندى المطر وندى الثَّرى. (الفاائق ١: ١٠٣)

المُتَدِينِي: في الحديث: «مايت الله تبارك وتعالى نبياً بعد لوط إلا في ثَرْوَةٍ من قومه». الثَّرْوَةُ: العدد الكثير، ومنه سُمِّي الثَّرِيَّان، وهو تصغير ثَرَوَى لكثرة كواكبا.

وقيل: هي ستة أُنْجُم في خلالها نجوم كثيرة. [ثم استشهد بشعر]

ومنه الحديث: «إنَّه قال للمُبَاسِ رضي الله عنه: يملك من وَلَدِكَ بمدد الثَّرِيَّان».

والثريا: تصغيرها، والتجم لكثرة كواكبها مع ضيق الحمل.

القرى: التدى، والتراب التدي، أو الذي إذا بل لم يصير طيناً لازماً كالثرياء ممدودة، والخير، والأرض وهما ثريان وثروان، جمعها: أمراء.

وثريت الأرض كرضي قرى فهي ثريثة كخنيثة، وثرياء: ثديت ولانت بعد الجدوة والييس. وأنثرت: كثر ثراها.

وثرى التربة تثرية: بلها، والأخط: صب عليه ماء ثم كته، والمكان: رشه.

وفلان أزم يديه الثرى.

وليس أهراي عريان قرورة، فقال: التقي الثريان، أي شعر العانة ووتر القرورة. ويقال ذلك أيضاً إذا رسخ المطر في الأرض حتى التقي ونداها. (٣٠٩: ٤)

الطريحي: الثرى: التراب التدي، وهو الذي تحت الظاهر من وجه الأرض، فإن لم يكن فهو تراب، ولا يقال: ثرى.

والمال الثري - على فاعل - الكثير. ومنه: رجل ثروان، وامرأة ثروى.

وفي حديث علي عليه السلام: «صلة الرحم مثرة للبال» بالفتح فالسكون على «مفعلة» مكررة للمبال. (٧٣: ١)

المصطفوي: الظاهر أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو القطة العظيمة المرتبطة المتصلة أجزاءها بالترطوبة. وهذه القيود تناسب إطلاقها على ما يكثر ويقل، وعلى ما يرتبط ويتصل، وعلى التدى والمطر.

ولا يخفى أن التراب اليابس أجزاءه منفصلة وغير

مرتبطة.

ثم أن هذا المعنى يناسب مفاهيم مواد «ثوى»: أقام واتصل، و«رثى»: أظهر التأثر في فقدان الميت وتوسل به، و«الزيت»: الاستبطاء وعدم الانفصال. وبجمعها مفهوم: حفظ الارتباط. (١٤: ٢)

النصوص التفسيرية

لَهُ سَائِي السُّلُوتِ وَسَائِي الْأَرْضِ وَسَائِيهِمَا وَمَاتَحَتِ الثَّرَى.

ابن عباس: الأرضين السابعة السفلى. (٢٦٠: ٦) الضحاك: ماتح من التراب مبتلاً.

(الطبري ١٦: ١٣٩) إنه التراب في بطن الأرض. (المأزدي ٣: ٣٩٤) نحوه عزة قرورة. (٣: ٦٩) ابن كعب القرظي: (الثرى): سبع أرضين.

(الطبري ١٦: ١٣٩) فتادة: (الثرى): كل شيء مبتل.

(الطبري ١٦: ١٣٩) السدي: هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة، وهي صخرة خضراء، وهو سجين الذي فيه كتاب الكفار. (٣٤٤)

الطبري: يعني به (الثرى): التدى. [لأن قال:] وإنما عني بذلك: وماتحت الأرضين السبع.

التجستاني: أي التراب التدي، وهو الذي تحت الظاهر من وجه الأرض. (١١١)

نحوه الطوسي (٧: ١٦١)، والبغوي (٣: ٢٥٥)،

والخازن (٤: ٢١٣).

إلا في زماننا. وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارًا في هذا التفسير، وعلم الآثار المتقدم بعضه في سورة يونس، والآتي بعضه في سورة سبأ. [إلى أن قال:]

فأله هنا يقول: ﴿وَعَاثَتْ النَّارُ﴾ ليعرّض المسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الأرض، المذكورين في هذه السورة، وأن سحرهم شهدوا بصدق النبوة الموسومة، لأتهم وجدوا علمًا فوق علمهم وهو علم النبوة، فجدير بطول هؤلاء أن تدرس وتعلم، لهذا كله قال: ﴿وَعَاثَتْ النَّارُ﴾.

(١٠: ٦٦ و ٦٦)

المراغي: أي له ما في السموات والأرض وما بينهما ملكًا وتديرًا وتصرفًا، وله ما وراه التراب وأخفاه من المعادن والفلزات وغيرها. (١٦: ٩٦)

الطباطبائي: (الأرض) على ما قيل: هو التراب الرطب أو مطلق التراب، فالمراد بـ ﴿وَعَاثَتْ النَّارُ﴾: ما في جوف الأرض دون التراب. (١٤: ١٢٢)

مكارم الشيرازي: (الأرض) في الأصل بمعنى التراب الرطب، ولما كانت قشرة الأرض فقط هي التي تجف نتيجة لأشعة الشمس وهبوب الرياح، وتبقى الطبقة السفلى - غالبًا رطبة، فإنه يقال لهذه الطبقة: نرى، وعلى هذا فإن ﴿وَعَاثَتْ النَّارُ﴾ تعني أصباق الأرض وجوفها، وكلها مملوكة لملك الملك وخالق عالم الوجود. (٩: ٤٦٧)

المصطفوي: أي تحت قطعات الأرض. ولا يبعد أن يكون المراد من (السموات): مراتب الروحانيين وما فوق عالم المادة، ومن (الأرض): حوالم المادة من

المتنبيدي: و(الأرض) هو التراب التدي. وقيل: (الأرض): اسم لأسفل الأرض. (٦: ٩٩)

البيضاوي: و(الأرض): الطبقة الترابية من الأرض، وهي آخر طبقاتها. (٢: ٤٦)

النيسابوري: والتحقق أن (الأرض): هو التراب التدي: وهو ما جاوز البحر من جرم الأرض، الذي تحته هو ما بقى من جرم الأرض إلى المركز، فيحتمل أن يكون هناك أشياء لا يعلمها إلا الله سبحانه من المعادن وغيرها. (١٦: ٩١)

أبوحيان: وقيل: ﴿وَعَاثَتْ النَّارُ﴾: ما هو في باطن الأرض، فيكون ذلك تأكيدًا لقوله (وما في الأرض) إلا أن كان المراد بـ (الأرض) ما هو عليها، فلا يكون تأكيدًا.

المطريزي: وهو التراب التدي، والمراد الأرضون السبع، لأنها تحته. (٢: ٤٤٩)

أبو الشعود: أي ما وراه التراب، وذكره مع دخوله تحت ما في الأرض. لزيادة التقرير. (٣: ٢٩٨)

نحوه الكوسي. (١٦: ١٦٢)

البزوصوي: (الأرض): التراب التدي، أي التراب والأرض، كما في «القاموس». ويموز الحمل على كليهما في هذا المقام، فإن ظاهر الأرض تراب جاف، وما هو أسفل منه تراب مبلل. (٥: ٣٦٦)

الطنطاوي: أي الطبقة الترابية. وهذا دال على عظيم قدرته.

وقوله: ﴿وَعَاثَتْ النَّارُ﴾ يشير للملين لم يعرفا

التوابت والسيارات والحيوان والنبات، ومن (الترى):
مقام العظمة والافتقار والجبروت، ويقع تحتها عالم
الأمر. فتشمل الآية الكريمة جميع طبقات الخلق والأمر
﴿أَلَا لَكُمْ أَلْحَقُ بِأَلَمِ الْآخِرَةِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
الأعراف: ٥٤.

فصل هذا التفسير لابق إشكال: من جهة شمول
ما في الأرض: على ماتحت الترى وفوقها، ومن جهة أن
خروج حوالم الروحانية والأمر عن مفهوم الآية الكريمة
يوجب الضعف، ومن جهة أن حقيقة السماء والأرض
بالنسبة إلى الله المتعال ويلحظ الحقيقة هو ذلك التفسير.
لا الاختصاص بالمادة. (٢: ١٤)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الترى، أي التدى،
والشنية كتران، والجمع أنراء، يقال: ترى الأرض
ترى، أي تديت ولأنت بعد المجدوبة واليئس، فهي ترىة
وترياء. وأنرت أيضا: كثر قرأها، أي نداها، فهي مثرية.
وترى فلان القرب: بله، وترى الموضوع ترقية:
رشه بالماء، يقال: ترق هذا المكان ثم قف عليه، وترى
الأقط والسويق: صب عليه ماء ثم لته به.

ويدا ترى الماء من الفرس، أي يدي بالرق، وترى
الفرس بالرق ترى شديدا، وترى ترقيا.

يبد أنه توسع استعماله في العربية فأطلق عل
القرب، فقالوا: أنرى المطر، إذا بلل الترى، والترى:
القرب وكل طين لا يكون لازبا إذا بلل. وقيد بعض
بالقرب الرطب، يقال: أثر القبر، أي بل ترابه ليكون

ترى.

ومن الجاز: فلان قريب الترى: قريب الخبر، يقال:
ما أقرب نراه! وما بيني وبين فلان متر، أي لم ينقطع، وهو
مثل، وأصل ذلك أن يقول: لم يبس الترى بيني وبينه.
وتريث فلان: شربت به وفرحت. وإني لأرى
ترى الغضب في وجه فلان، أي أنره. وإن فلانا قريب
الترى بعيد التبط، يقال للذي يمد ولا وفاء له.

٢- ويكاد يلحظ هذا المعنى - أي الترى بمعنى التدى -
في سائر اللغات السامية أيضا، فقد جاء «الترى» في
الآرامية والسريانية بلفظ «ترى»، أي البلل والرطوبة.

٣- وقد خلط كثير من اللغويين بين (ت ر و) و
(ث ري)، ولم يفرقوا بينهما، إلا أنهم ترجعوا الأوّل بالبلل
غالبًا والثاني بالكثرة. وهناك من ترجم (ث ري)
بالكثرة فقط، إذ قال الكسائي: «تريث فلان، فأثر به،
أي غني عن الناس». وقال أبو عمرو: «تري الرجل
يترى ثرا وقرأ - معدود - وهو تري، إذا كثر ماله».
وقال أبو عبيد: «الترى: الكثير من المال وغيره». وقال
ابن أبي الجمان: «الترى: القرب الرطب... وما أقرب نراه،
أي خير». وقال الزجاج: «ترى المكان وأثرى، إذا
تدي بعد يبس وكثر فيه التدى، وكذلك ترى القوم
وأثروا، إذا كثرت أموالهم». وقال ابن دريد: «التراء
- ممدود -: الغنى... وترى الأرض - مقصور - والجمع
أثراء، وهو القرب التدي، وأرض ثرياء: كثيرة
الترى». وقال ابن فارس: «التراء والراء والمرف المحتل
أصل واحد، وهو الكثرة وخلاف اليبس»، فلم يفرق
بين أن يكون المرف المحتل أو ثرا أو ياء.

القرآن، فإنها منفردة بإضافة ذيها «وَمَا تَحْتُ التُّرَى» إلى الصدر، وذلك رعاية لروى الآيات. كما أن تأخير «السَّمَوَاتِ أَلْفُ» عن (الأرض) فيما قبلها «تَنْزِيلًا بِمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ أَلْفُ» طه: ٥، لذلك السبب أيضًا، رغم تأخر (الأرض) عنها في أكثر الآيات، وقد نبهنا على سره في موضعه. لاحظ «أرض».

ثانيًا: أن (التُّرَى) أيا كان معناه: مطلق القرب، أو التراب التدي أو غيرهما، فالمراد به هنا الأرض لا غير. وما تكلفوه من أن التراب تحت الأرض دوندي، لوجه له.

ثالثًا: وهناك مناسبة أخرى في «ناء» التُّرى، ففيه نوع جناس مع حرف «س» و«ش» و«ص» في آيات صدر سورة «طه»، إلى الآية (٢٢) ويدها أيضًا، فلاحظ.

وهكذا يلحظ هذا الخلط في كلام من تقدمه، كالجوهري ومن تأخر عنه كالفيروز آبادي وغيره، ونحن حدونا حدوهم في ذكر نصوصها معًا، فهل هما يرجعان إلى أصل واحد لفظًا ومعنى، وهو الكثرة أو الرطوبة لتلازمهما غالبًا؟ إلا أن المعنى الأول غلب على «التُّرى» الواوي، والثاني على اليائي، ومثله كثير في اللغة، أو نذهب إلى أنها أصلا مختلفان لفظًا ومعنى، وغطى هؤلاء القوم في الخلط بينهما، والأول أولى وأظهر.

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظ واحد: في سورة مكية «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَغَاثَتِ التُّرَى» طه: ٦ يلاحظ أولًا: أنه رغم كثرة مجيء صدر الآية في

ث ع ب

ثُعْبَان

لفظ واحد، مرتان، في سورتين، مكيتين

التَّصْوِصُ اللَّغَوِيَّةُ

بالنِّين. (الأزهرى ٢: ٣٣٣)

ابن قُصَيْل: الحَيَات كُلُّهَا ثُعْبَان. الصَّغِير والكَبِير
والإِنَاث والذُّكَرَان. (الأزهرى ٢: ٣٣٣)

قُطْرُوب: الثُّبَان: الحَيَّة الذُّكَر الأصْفَر الأشْفَر، وهو
من أعْظَم الحَيَات. (الأزهرى ٢: ٣٣٣)

أبو عمرو القُشَيْبَانِي: الثَّعْب: مَسِيل الوَادِي،
وجمعه: ثُعْبَان. (الأزهرى ٢: ٣٣٢)

الفَرَّاء: الثَّعْب والوَقِيعَة والغَدِير كُلُّ ذَا من بِحَاثِ
المَاء. (الأزهرى ٢: ٣٣٢)

الأصْمَعِي: قُوَّة يَجْرِي ثُعَابِيْب وسَعَابِيْب، وهو أن
يَجْرِي مِنْهُ مَاءٌ صَافٍ فِيهِ تَمَدُّدُ. (الجوهري ١: ٩٣)

اللُّحْيَانِي: الأَثْمَبُ: مَا نَتَبَّ. (ابن سيده ٢: ٩٥)
ابن الأَعْرَابِيِّ: مَنْ أَسَاءَ الْفَارَ: الْبَرَّ وَالثُّعْبَة

والقِرَم. (الأزهرى ٢: ٣٣٣)

صَغير: قَالَ بَعْضُهُم: الثُّبَان من الحَيَات ضَخْم عَظِيم

الْحَلِيل: ثَبَّتُ الْمَاءَ أَنْتَبَهَ ثُبًّا، أَي هَجَرْتُهُ فَانْتَبَهَ،
وَمِنْهُ اشْتَقَّ «الْمُتَّعِبُ» وَهُوَ الْمُرْزَابُ. وَانْتَبَهَ الدَّمُ مِنْ
الْأَنَفِ.

وَالثُّبَان: الْحَيَّة الطَّوِيل الضَّخْم، وَيُقَال: ثُعْبَان. [ثمَّ
استشهد بشعر]

وَالْأَثْمَبَان: الْوَجْه الضَّخْم الْقَضْم فِي حُسْنِ
وَبِضَافٍ. [ثمَّ استشهد بشعر]

وَالثُّعْبَة: ضَرْبٌ مِنَ الْوَزْعِ، لَا تُثَلِّقُ أَبَدًا إِلَّا فَاحِشَةً
فَاهَا، شَبَّهَ سَامٌ أَبْرَصَ، غَيْرَ أَنَّهَا خَطَرَاءُ الرُّأْسِ
وَالْحَلْقِ، جَاخِظَةُ الْعَيْنَيْنِ، وَالْجَمْعُ: الثُّعْبُ.

وَالثَّعْبُ: الَّذِي يَجْتَمِعُ فِي مَسِيلِ الْمَطَرِ مِنَ الْغَنَاءِ.
وَرَبَّمَا قَالُوا: هَذَا مَاءٌ ثُعْبُ، أَي جَارٌ، لِلوَاحِدِ، وَيَجْمَعُ

حُلَى ثُثْبَان. (٢: ١١١)

الثُّبَان: مَاءٌ، الْوَاحِدُ: ثُعْبٌ. وَقِيلَ: هُوَ الثَّعْبُ

أحمر يصيد الفأر، وهي بعض المواضع تستعار للفأر، وهي أنفع في البيت من الشناير. (الأزهرى ٢: ٣٣٣)
الذَيَّوْرِيُّ: والثَّبة: ينشأ شبيهة بالثَّلة إلا أنها أخشن ورقاً، وساقها أغبر، وليس لها حمل ولا منفعة فيها، وهي من شجر الجبل، تنبت في منابت النُّوع، ولها ظلٌ كثيف. (ابن سيدة ٢: ٩٦)
ابن دُرَيْد: والثَّنب: انتساب الماء، وماء مُثَّنب وأثَّسوب، إذا سال.

والثَّنبان: ضرب من الحيات، قال أبو حاتم: زعموا أنها حيات عظام، تكون بناحية مصر، وقد جاء في التنزيل: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُغْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ الشعراء: ٣٢.

والثَّبة: دابة أفلط من الوزغة، لها عيناوان جاحظتان خضراوان تلسع، وربما قتل. ومثل يتداوله أهل اليمن بينهم «مالخوالي كالقلبة ولا المختار كالثَّبة» فالخوالي في: سَفَف التخل الذي دون القلبة، والمختار: الوزغة.

ودم أثَّسوب وأشكوب، إذا انسكب. [تم استشهد بشعر] (٣: ٣٧٨)

الأزهرى: وقال الليث: الثَّنب الذي يجتمع في مسيل المطر من الشتاء.

قلت: لم يجود الليث في تفسير الثَّنب، وهو عندي: المسيل نفسه، لاما يجتمع في المسيل من الشتاء.

قال الليث: الاثَّني: الوجه الضخم في حُسْن وبياض.

قلت: ومنهم من يقول: وجه أثَّبان.

وقال: أبو خيرة: الثَّنبان: الحية الذكر ونحو ذلك. ومثَّنب الحوض: صُنْبوره، وهو ثَقْبُه الذي يخرج منه الماء. (٢: ٣٣٢)

الصَّاحِب: ثَبَّتَ الماء ثَبَاتاً: فَجَّرَته، ومنه سَمِي: مَثَّنب المطر. وماء ثَمْب، أي جار، ويَجْتَمع على الثَّنبان. ويقال: قُوَّةٌ يجري ثماييب: ماءٍ صافٍ فيه تمدد.

وسَيْلُ أثَّسوب: جار يشَّعب، ومنه: شَدُّ أثَّسوب، أي سريع كثير.

وانثَّب إليه: وثَّبَ.

والثَّنب: مسيل الماء، والغدير الصغير، وجمعه: ثَنَبان، مثل وَرَلٍ وورَلان.

والأثَّنبان: حيث ينشَب الماء من المنجثون وغيره.

وثَّنب عليهم الغارة: صَبَّها.

وثَّنب البعير شَقِيضَتَه: أخرجهما. (٢: ١٤)

الجوهري: ثَبَّتَ الماء ثَبَاتاً: فَجَّرَته، والثَّنب، بالتحريك: مسيل الماء في الوادي، وجمعه: ثَنَبان.

والثَّنبان أيضاً: ضرب من الحيات طوال، والجمع: ثماييب.

والثَّبة: ضرب من الوزغ.

والمَثَّنب، بالفتح: واحد متاعب الحياض.

وانثَّنب الماء: جرى في المَثَّنب. وانثَّنب الدَّم من الأنف. (١: ٩٢)

ابن فارس: الثَّاء والعين والباء أصل يدل على امتداد الشيء وانبساطه، يكون ذلك في ماء وغيره.

الثَّنبان: الحية الضخمة الطويل، وهو من القياس، في انبساطه وامتداده خلُقاً وحركة.

وربما قيل: ماء نُعْبٍ، ويجمع على الثُّبَانِ.

(١: ٣٧٨)

الهُزَوِيُّ: وفي الحديث: «جاء يوم القيامة وجرحه نُعْبٌ دماً» يقال: نُعِبْتُ الماء، إذا فجرته فانْتَبَ.

(١: ٢٨١)

ابن سيده: نُعِبَ الماء والدَّم ونحوهما يُنْعَبُ نُعْبًا فانْتَبَ: فجره. وانتَبَ المطر كذلك.

وماء نُعْبٍ ونُعْبٍ وأثُوبٍ وأثُبَان: سائل، وكذلك الدَّم. الأخيرة مثل بها بيبويه وفسرها السيرافي.

والنُّعْب: سيل الوادي، والجمع: نُثْبَان.

وجرى فيه ثمايب، كسمايب، وقيل: هو بدل.

والثُّبَان: الحية الضخم الطويل. الذكر خاصة.

وقيل: كل حية ثُبَان، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ الأعراف: ١٠٧.

والأثُبَان: الوجه الضخم في حُسن بياض، وقيل:

هو الوجه الضخم. [ثم استشهد بشر]

والثُّعْبَة: ضرب من الوَزَغ، غير أنها خضراء

الرَّأْس والمَلَق جاحظة العينين، لانتفاها أبداً إلا فاعضة

فاها، وهي من شرِّ الدَّوَابِّ، تَلْدَغُ فَلَيكاد يبرأ سليماً.

وفي المثل: «ما الخواي كالقَلْبَة ولا الخُتَار كالثُّعْبَة»

فالخواي: السُّعْفَات اللَّوَاتِي يَلِينُ الْقَلْبَة، والخُتَار: الوَزَغَة. (٢: ٩٥)

الثُّب: سيل الوادي، الجمع: ثُبَان. نُعِبَ الماء

والدَّم ينْعَبُ نُعْبًا: فجره فانْتَب. أي جرى كما ينْتَب

(الإفصاح ٢: ١٠٠٠)

الرَّاعِب: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ الأعراف: ١٠٧.

يجوز أن يكون سمي بذلك من قولهم: نُعِبْتُ الماء فانْتَب.

أي فجرته وأسلته فسال، ومنه نُعِبَ المطر.

والثُّعْبَة: ضرب من الوَزَغ، وجمعها: نُعْبٌ، كأنه شُبّه

بالثُّبَان في هيئته، فاختصر لفظه من لفظه، لكونه

مختصراً منه في الهيئة. (٧٩)

الرَّمْعَضَرِيُّ: نُعِبَ الماء: فجره فانْتَب. ومنه

نُعِبَ السطح، ونُعِبَ الحوض. وتقول: اقبلت أهنأق

السَّيل الرَّاعِب، فأصلحوا خراطيم المناعب. وسيل

أثُوب. وسالت الثُّبَان كما انساب الثُّبَان، جمع نُعْب

وهو السيل. [ثم استشهد بشر]

ومن الجاز: «صاح به فانْتَب إليه» إذا وثب يجري

إليه. ومثد أثُوب. [ثم استشهد بشعرين وقال:]

وكلاهما من باب الاستعارة إلا أن الطَّرِيق مختلف.

ونُعِبَ عليهم الغارة: شتأ، ونُعِبَ البعير شَغِيقَتَه:

أخرجها. [ثم استشهد بشر] (أساس البلاغة: ٤٤)

الصُّغَانِي: الأَثْبِي بالفتح: الوجه الضخم في حُسن

وبَيَاض، ومنهم من يقول: وجه أَثْبَانِي بِالْعَمِّ وزيادة

الثَّوْن. وكذلك الأَثْبَان بغير ياء التَّسْب. [ثم استشهد

بشعر]

والأَثُوب: السائل. [ثم استشهد بشر]

ورأيت القوم سُعَابِينَ ومُذْعَابِينَ كأنهم صُرِف

ضُبَّان، وهو أن يَلُوب بعضهم بعضاً. [ثم استشهد بشر]

(٧٦: ١)

الْقِيُومِي: الثُّبَان: الحية الضخيمة، وهو «ثُمَّلَان»

ويقع على الذكر والأنثى، والجمع: الثُّبَابِينَ. (١: ٨١)

التَّصَوُّصُ التَّفْسِيرِيَّةُ وَالتَّائِيخِيَّةُ

١- فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ.

الأعراف: ١٠٧

ابن عباس: ألقى العصا فصارت حية، فوضعت
فمها لها أسفل القبة، وفكسها لها أعلى القبة.

(الطَّبْرِي: ٩: ١٤)

ألقى عصاه، فتحولت حية عظيمة فاغرة فهاها،
مسرعة إلى فرعون. فلما رأى فرعون أنها قاصدة
إليه، اقتحم عن سريره، فاستنات بجوسى أن يكفها عنه،
ففعل.

(الطَّبْرِي: ٩: ١٤)

﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾: الحية الذَّكَر.

مثله الصَّحَّاحُ. (الطَّبْرِي: ٩: ١٥)

وَهَبَ بِن مُتَّبِعَهُ: لما دخل موسى على فرعون، قال
له موسى: أعرفك؟ قال: نعم، قال: ﴿أَلَمْ تُرْسِلْكَ بَيْنَنَا
وَلِيْدًا﴾ الشَّعْرَاءُ: ١٨، قال: فردَّ إليه موسى الَّذِي رَدَّ،
فقال فرعون: خذوه. فبادره موسى، فألقى عصاه، فإذا
هي ثُعْبَانٌ مَبِينٌ، فحملت على النَّاسِ فانهزموا، فمات
منهم خمسة وعشرون ألفًا، قتل بعضهم بعضًا، وقام
فرعون منهزمًا حتَّى دخل البيت. (الطَّبْرِي: ٩: ١٥)

قَتَادَةُ: يقول: فإذا هي حية كادت تنسوره، يعني
كادت تيب عليه. (الطَّبْرِي: ٩: ١٤)

الشَّدِيدِي: والثُّعْبَانُ: الذَّكَرُ مِنَ الْحَيَّاتِ، فَاتَّحَتْ فَاهَا،
وَاضَعَتْ لَحْيَهَا الْأَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْلَى عَلَى سُورِ
الْقَصْرِ. ثُمَّ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ فَرْعُونَ لِتَأْخُذَهُ، فَلَمَّا رَأَاهَا دَعَرَ
مِنْهَا، وَوَثَبَ فَأَحْدَثَ، وَلَمْ يَكُنْ يُحْدِثُ قَبْلَ ذَلِكَ
وَصَاحَ: يَا مُوسَى، خُذْهَا وَأَنَا مُؤْمِنٌ بِكَ، وَأَرْسَلَ مَعَكَ

الْفَيْرُوزُ أَبَادِي: تَمَبَّ الْمَاءَ وَالذَّمَّ كَمَنْعَ: فَجَرَهُ
فَانْتَبَهَ، وَمَاءٌ تَمَبَّ وَتَمَبَّ وَأُتْمَبَ وَأُتْمَبَانُ: سَائِلٌ.

والتَّعْبُ: سَبِيلُ الْوَادِي، جَمْعُهُ: ثُعْبَانٌ. وَتَنَابَعُ
الْمَدِينَةِ: مَسَائِلُ مَاءِهَا.

وَالثُّعْبَةُ بِالضَّمِّ أَوْ كَهَمْزَةٍ - وَهِيَ الْجَوْهَرِيُّ -: وَزَعَتْ
خَبِيئَةً خَضْرَاءَ الرَّأْسِ، وَالْفَارَةَ، وَشَجَرَ.

وَالثُّعْبَانُ: الْحَيَّةُ الصَّخْمَةُ الطَّوِيلَةُ، أَوْ الذَّكَرُ خَاصَّةً
أَوْ عَامًّا.

وَالْأُتْمَبِيُّ بِالْفَتْحِ وَالتَّعْبُ وَالْأُتْمَبَانُ وَالْأُتْمَبَانِيَّةُ بِضَمِّهَا:
الْوَجْهَةُ الْفَخْمُ فِي حُسْنٍ وَبِيَاضٍ.

وَقُوَّةُ ثُعَابِيٍّ، أَيْ مَاءٌ صَافٍ مُتَمَدِّدٌ.
وَالثُّعُوبُ الْحَيَّةُ. (٤٢: ١١)

الطَّرِيحِيُّ: وَالثُّعْبَانُ: يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى،
وَالْجَمْعُ: ثُعَابِيْن.

وَفِي الْحَدِيثِ: «يَجِيءُ الشَّهِيدُ وَجُرْحُهُ يَنْتَبَهُ دُمًا»
أَيْ يَسِيلُ وَيَجْرِي، مِنْ «التَّعْبِ» بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ سَيْلُ
الْمَاءِ فِي الْوَادِي.

وَأُتْمَبَ: جَرَى فِي الْمُنْتَبِ بِفَتْحِ الْمِيمِ، أَعْنَى وَاحِدَ
تَنَابَعِ الْمِيَاظِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْمُسْتَحَاضَةِ: «وَلِنْ سَالَ
مِثْلُ الْمُنْتَبِ فَكَذَا». (١٧: ٢٢)

الْمُسْتَطَفُّوِي: وَالْفَظُّ هُوَ أَنَّ الْانْفِجَارَ وَالِاسْتِدَادَ
وَالْجَرِيَانَ مَأْخُودَةً فِي مَفْهُومِ الْمَادَّةِ، وَمَعْنَاهَا قَرِيبٌ مِنْ
مَفْهُومِ الْبَحْثِ وَالْعَبَثِ وَالتَّعْبِ وَالتَّعْبِ. وَهَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ
إِطْلَاقُ الثُّعْبَانِ عَلَى الْحَيَّةِ الْخَارِجَةِ مِنَ الْحَجَرِ الْمُحْتَمَّةِ
الْجَارِيَةِ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرًا ثُمَّ
جُمِلَتْ اسْمًا. [تَمَّ ذِكْرُ الْآيَاتِ] (١٥: ٢٢)

الأهل على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون ليأخذه.
[تم ذكر مثل البتوي] (٢: ١٠١)

نحوه الطبرسي (٢: ٤٥٨)، والبيضاوي (١: ٣٦٢)
أبو الفتح: أي صار ثعباناً على الحقيقة ظاهراً
لدى أعينهم، وما كانت لهم شبهة فيها. [تم ذكر القصة
فلاحظ] (٨: ٣٢٤)

الفخر الرازي: اعلم أن فرعون لما طالب
موسى ﷺ بإقامة البيعة على صحة نبوته، بين الله تعالى
أن معجزته كانت قلب العصا ثعباناً، وإظهار اليد البيضاء.
والكلا- في هذه الآية يقع على وجوه. [تم ذكر شبهة
الطبرسيين في استحالة انقلاب العصا حية، وسط القول
في الجواب فراجع] (١٤: ١٩٢)

الغازن: [نحو البتوي وأضاف:]
وفي كون الثعبان ميتاً وجوه:

الأول: أنه تميز وتبين ذلك عما عملته السحرة من
التحويه والتلبس، وبذلك تتميز معجزات الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام من تمويه السحرة وتحيلهم.
الوجه الثاني: أنهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية
ولم يشبه ذلك عليهم، فلذلك قال: (ثُعبانٌ مُبينٌ) أي
بين.

الوجه الثالث: أن ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى
عليه الصلاة والسلام، كان من أعظم الآيات التي أبانت
صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام في أنه رسول من
رب العالمين. (٢: ٢٢٦)

أبو حيان: وانقلاباً ثعباناً وانقلاب خشبة لحماً
ودماً قائماً به الحياة من أعظم الإعجاز، ويحصل من

بني إسرائيل، فأخذها موسى، فمادت عصا. (٢٦٨)
القراء: هو الذكر، وهو أعظم الحيات. (١: ٣٨٧)
نحوه الواحدي (٢: ٣٩٢)، والنرطقي (٧: ٢٥٦).
أبو هبيرة: أي حية.
مثله الطبرسي.
الطوسي: الثعبان هو الحية الضخمة الطويلة. [إلى
أن قال:]

ومعنى (مبين) أي بين أنه حية، لاليس فيه.

(٤: ٥٢٣)

البتوي: والثعبان: الذكر العظيم من الحيات، فإن
قيل: أليس قد قال في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهُمَا جَسَدٌ﴾
التسل: ١٠، والجبان: الحية الصغيرة؟ قيل: إنها كانت
كالجبان في الحركة والخفة، وهي في جنتها حية عظيمة.
[تم نقل كلام ابن عباس والشاذلي وأضاف:]

وروي أنها أخذت قبلة فرعون بين نايبها، فوثب
فرعون من سريره هارباً وأحدث.

وقيل: أخذه البطن في ذلك اليوم أربعين مرة
وحملت على الناس، فانهزموا وصاحوا، ومات منهم
خمس وعشرون ألفاً وقتل بعضهم بعضاً، ودخل
فرعون البيت وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلتك
خذها، وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل.
فأخذها موسى، فمادت عصا كما كانت. (٢: ٢٦٨)
الزمخشري: ﴿ثُعبانٌ مُبينٌ﴾ ظاهر أمره لا يشك
في أنه ثعبان.

وروي أنه كان ثعباناً ذكراً أشمر فاغراً غاه بين لحييه
نمانون ذراعاً، وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه

إشارة إلى أن الصيرورة حقيقية لا تخيلية. [ثم قال نحو أبي السُّدود وبعد نقل القصص والروايات قال:]

وعلى جميع الروايات لاتعارض بين ما هنا وقوله سبحانه: ﴿كَانَتْهَا جَانٌّ﴾ بناءً على أن الجانَّ هي الحية الصغيرة لما قالوا: إنَّ القصة غير واحدة، أو أن المقصود من ذلك تشبيهها في خفة الحركة بالجانَّ لا بيان جنتها، أو لما قيل: إنها انقلبت جانًّا وصارت مُعْبَأَةً فَعُكِبَتْ المائلتان في آيتين، وسيأتي إن شاء الله تعالى تحقيق ذلك. والآية من أقوى أدلَّة جواز انقلاب الشيء عن حقيقة كالتعاس إلى الذهب. إذ لو كان ذلك تخيلاً لبطل الإعجاز، ولم يكن لذكر (مُيِّن) معنى ميبين، وارتكاب غير الظاهر غير ظاهر، ويدلُّ ذلك أيضاً أنه لا مانع في القدرة من توجه الأمر التكويني إلى ما ذكر وتخصيص الإرادة له. والقول بأنَّ قلب الحقائق محال والقدرة لاتتعلَّق به فلا يكون التعاس ذهباً رصاص بموه.

والحقَّ جواز الانقلاب إنما يعني أنه تعالى يخلق بدل التعاس ذهباً على ما هو رأي المحققين، أو بأنَّ سلب عن أجزاء التعاس الوصف الذي صار به نحاساً، ويخلق فيه الوصف الذي يصير به ذهباً على ما هو رأي بعض المتكلمين من تجانس الجواهر واستوائها في قبول الصفات، والمحال إنما هو انقلابه ذهباً مع كونه نحاساً، لامتناع كون الشيء في الزمن الواحد نحاساً وذهباً، وعلى أحد هذين الاعتبارين توكلنا أنَّه التفسير في أمر (المصا). (٩: ٢٠)

ورشيد وضا: وهو الذكر العظيم من الحيات (مُيِّن) أي ظاهر بين لاخفاء في كونه مُعْبَأَةً حقيقةً، يسمى

انقلابها مُعْبَأَةً من التحويل ما لا يحصل في غيره، وضربه بها الحجر فينفجر عيوناً، وضربه بها فتبت - قاله ابن عباس - ومحاربتة بها اللصوص والسيّاح الفاعدة غنمه، واشتغالها في الليل كاشتغال السمكة، وصيرورتها كالزشا لينزع بها الماء من البرِّ العميقة، وتلقفها الحبال والبصى التي للسحرة، وإطائها لما صنموه من كيدهم وسحرهم. [إلى أن قال:]

وذكروا من اضطراب فرعون وفزعه وهربه ووعده موسى بالإيمان إن عادت إلى حالها، وكثرة من مات من قوم فرعون فرعاً، أشياء لم تتمرّض إليها الآية، ولاتبت في حديث صحيح، فالله أعلم بها. (٤: ٣٥٧) الشَّريبي: (مُيِّن) أي ظاهر أمره لاشك فيه أنه مُعْبَأَةٌ، والثَّبان: الذكر العظيم من الحيات.

فإن قيل: أليس قال الله تعالى في موضع: ﴿كَانَتْهَا جَانٌّ﴾ والجانَّ الحية الصغيرة؟

أجيب بأنَّها كانت كالجانَّ في الخفة والحركة، وهي في جنتها حية عظيمة. [ثم ذكر القصة فراجع]

(١: ٤٩٨)

أبو السُّدود: [نحو الشَّريبي وأضاف:]

وإتار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب، وثبات وصف الثَّبانِيَّة فيها، كأنَّها في الأصل كذلك. [ثم ذكر القصة] (٣: ١٥)

البُزوسوي: وهو الحية الصفراء الذكر أعظم الحيات، لها عرف كمرف الفرس. (٣: ٢١١)

الألوسي: أي حية ضخمة طويلة. (مُيِّن) أي ظاهر أمره لايشك في كونه مُعْبَأَةً، فهو

مكارم الشيرازي: والتعبير به «المُبين» إشارة إلى أن تلك العصا التي تبدلت إلى ثعبان حقاً، ولم يكن سحراً وشُعْبَةً وماشاكل ذلك. على العكس من فعل السحرة الذي فعلوه فيها بعد، لأنه يقول في شأنهم: إنهم مارسوا السُّحْرَةَ والسَّحَرَ، وعصموا ما تصوّره الناس حيّات تتحرّك، وما هي بحَيَّات حقيقة وواقعة.

إن ذكر هذه النقطة أمرٌ ضروري، وهي أننا نقرأ في الآية (١٠) من سورة النمل، والآية (٣١) من سورة القصص، أن العصا تحرّكت كالجمان، و«الجمان» هي الحيات الصغيرة السريعة السير، وإن هذا التعبير لا ينسجم مع عبارة «ثعبان» التي تعني الحيّة العظيمة ظاهراً.

ولكن مع الالتفات إلى أن تينك الآيتين ترتبطان ببداية قصة موسى، والآية المبسوطة هنا ترتبط بمحور مواجهة فرعون، تنحل المشكلة، وكأن الله أراد أن يوقف موسى على هذه المعجزة العظيمة تدريجياً، فهي تظهر في البداية أصغر، وفي الموقف اللاحق تظهر أعظم.

هل يمكن قلب العصا إلى حيّة عظيمة؟! على كل حال لاشك في أن تبديل «العصا» إلى حيّة عظيمة معجزة، ولا يمكن تفسيرها بالتعليلات المادية المتعارفة، بل هي من وجهة نظر الإلهي الموحد - الذي يعتبر جميع قوانين المادة محكومة للشمسية الربانية - ليس فيها ما يدعو للمعجب، أي لا مكان لاستغراب أن تبدل قطعة من الخشب إلى حيوان، وهذا الأمر شيء طبيعي في ظل قدرة عملياً.

ولكن يجب أن لا ننسى أن جميع الحيوانات في عالم

ويستقل من مكان إلى آخر، تراه الأعين من غير أن يسحرها ساحر، فيخيّل إليها أنها تسمى، كما سيأتي من أعمال سحرة فرعون. (٤٤: ٩)

التراخي: [نحو رشيد رضا وأصاف:]

وقد ذكر رواة التفسير بالمأثور روايات غاية في الغرابة في وصف الثعبان، ليس لها سند يوثق به، وما هي إلا إسرائيليّات تلقفها المفسرون من أهل الكتاب الذين كانوا يكيدون للإسلام وللعرب، كروايات وهب بن منبّه، وهو فارسي الأصل أخرج كسرى والده إلى بلاد اليمن، فأسلم في زمن النبي ﷺ، وكان ابنه من بعده يختلف إلى بلاده بعد فتحها، ومثله روايات كعب الأحبار الإسرائيلي، وقد كان كلاهما كثير الزاوية للغرائب التي لا يعرف لها أصل محقول ولا منقول، وقومها كانوا يكيدون للمسلمين الذين فتحوا بلاد الفرس وأجلوا اليهود من الحجاز. [ثم تعرض لما صدر: من الفرس واليهود ومن عبد الله بن سبأ من الفتن للإسلام وفي بعض ما ذكره نظر فلاحظ] (٢٥: ٩)

الطباطبائي: والثعبان: الحيّة العظيمة، ولاتناهي بين وصفه هاهنا بالثعبان المبين وبين ما في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ القصص: ٢١. والجمان هي الحيّة الصغيرة لاختلاف القصتين كما قيل. فإن ذكر الجمان إنما جاء في قصة ليلة الطور، وقد قال تعالى فيها في موضع آخر: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ طه: ٢٠. وأما ذكر الثعبان فقد جاء في قصة إتيانه لفرعون بالآيات حين سأله ذلك. (٢١٣: ٨)

ومعنى (مُبين) أنه ثمان لاشبهة فيه.

(الطوسي ٨: ١٧)

التنقّاش: أنه اعتمد الحيات الصُغر، شعراء العنق.

(المازدي ٤: ١٦٩)

التفسير المصرتي: إن سألت سائل فقال:

ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿فَأَلْفَى

عَصَاً فَإِذَا هِيَ ثَمَنٌ مُبِينٌ﴾، وقال في موضع آخر:

﴿وَأَنَّ أَلْفَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا

وَلَمْ يُعْقَبْ﴾ القصص: ٣١، والثمان هو الحية العظيمة

المخلقة، والجبان: الصغير من الحيات، فكيف اختلف

الوصفان والقصة واحدة؟ وكيف يجوز أن تكون (العصا)

في حالة واحدة من صفة ساعظم خلقه من الحيات

وبصفة ماصغر منها؟ وبأي شيء يُزيلون التناقض عن

هذا الكلام؟

الجواب: أول ما نقوله: إن الذي ظنّه السائل من كون

الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل، بل الحالتان

مختلفتان، فالحال التي أخبر عن (العصا) فيها بصفة الجبان

كانت في ابتداء النبوة، وقبل مصير موسى عليه السلام إلى

فرعون، والحال التي صارت العصا فيها ثَمَنًا كانت عند

لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة، والتلاوة تدلّ على ذلك،

وإذا اختلفت القفتان فلا سألته.

على أن قوماً من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن

هذا السؤال، إما لظنهم أن القصة واحدة، أو لاعتقادهم

أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالتين، تارة إلى

صفة الجبان، وتارة إلى صفة الثعبان، أو على سبيل

الاستظهار في المجبة، وأن الحال لو كانت واحدة على

الطبيعة توجد من القرب، والأخشاب والنباتات هي

الأخرى من القرب. غاية ما هنالك أن تبديل القرب

إلى حية عظيمة يحتاج عادة إلى ملايين السنين، ولكن

في ضوء الإعجاز تقصر هذه المدة قصراً كبيراً حتى

تتحقق كل تلك التحولات والتكاملات في لحظة واحدة

وبسرعة، وبصورة متلاحقة جداً، فتتخذ القطعة من

الخشب - التي تستطيع وفق الموازين الطبيعية أن تتغير

بهذه الصورة بعد مضي ملايين السنين - تتخذ مثل هذه

الصورة في مدة لحظات.

والذين يحاولون أن يجدوا المعاجز الأنبياء تفسيرات

طبيعية وما ذكية، وينفوا طابعها الإعجازي، ويظهرها

في صورة سلسلة من المسائل العادية، مهما كانت هذه

التفسيرات مخالفة لصريح الكتب الشارعية، إن هؤلاء

يجب أن يؤسّسوا موقفهم: هل هم يؤمنون بالله وقدرته

ويعتبرونه حاكماً على قوانين الطبيعة أم لا؟ فإذا كانوا

لا يعتبرونه كذلك لم يكن كلام الأنبياء ومعجزاتهم إلا

لفواً لديهم. وإذا كانوا يعتبرون لم يكن ثمة دليل على

نحت مثل هذه التفسيرات والتبريرات المقرونة بالتكلف

والمخالفة لصريح الآيات القرآنية. وإن لم نر أحداً من

المفسرين - على ما بينهم من اختلاف السليقة - عمد إلى

هذا التفسير المادي، ولكن ما قلنا، قاعدة كلية.

(٥: ١٣٦)

٢- فَأَلْفَى عَصَاً فَإِذَا هِيَ ثَمَنٌ مُبِينٌ. الشعراء: ٣٢

ابن عباس: حية صفراء ذكر. (٣٠٧)

يقن: (مُبين) له خَلْقٌ حَيَّة. (الطبري ١٩: ٧٦)

شاهدها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه، إن لم يزد على الوجهين الأولين لم ينقص منها. والوجه في تكلفنا له ما يتناه من الاستظهار في الحقيقة، وأن التناقض الذي توهّم زائل على كلّ وجه، وهو أن العاص لما انقلبت حيث صارت أولًا بصفة الجانّ وعلى صورته، ثم صارت بصفة الثعبان على تدرّج، ولم تصر كذلك ضربة واحدة. فتتفق الآيتان على هذا التأويل، ولا يختلف حكمها، وتكون الآية الأولى التي تنصّتن ذكر الثعبان إخبارًا عن غاية حال العاص، وتكون الآية الثانية تنصّتن ذكر الحال التي ولّى موسى فيها هاربًا، وهي حال انقلاب العاص إلى خلقه الجانّ، وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان.

فإن قيل على هذا الوجه: كيف يصحّ ما ذكرتموه مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، وهذا يقتضي أنّها صارت ثعبانًا بعد الإلقاء بلا فصل؟

قلنا: تنيد الآية ما ظنّ، وإنما خائفة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ الإخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة، وأنّه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك، ويجري هذا مجرى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ يس: ٧٧، مع تباعد ما بين كونه نُطفة وكونه خصيمًا مبينًا، وقولهم: ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيعته، وسقط من أعلى المانط فإذا هو في الأرض. ونحن نعلم أنّ بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمانًا، وأنّه لم يصل إليها إلّا

ما ظنّ لم يكن بين الآيتين تناقض، وهذا الوجه أحسن ما تكلفوا الجواب لأجله، لأنّ الأولين لا يكونان إلّا من خلط أو غفلة، وذكروا وجهين تزول بكلّ واحد منها الشبهة في تأويلها:

أحدهما: أنّه تعالى إنّما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لإعظم خلقها، وكبر جسمها، وهول مظهرها، وشبهها في الآية الأخرى بالجانّ لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها، فاجتمع لها مع أنّها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجانّ، وسرعة حركته. وهذا أبهر في باب الإعجاز، وأبلغ في غرق العادة، ولاتناقض معه بين الآيتين، وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان، وإذا شبهها بالجانّ أن يكون لها جميع صفاته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنْبِيَاءٍ مِنْ فَضْلِهِ وَأَنزَوَاهُ كَانَتْ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فَضْلِهِ﴾ الذّهر: ١٥، ١٦.

ولم يرّد تعالى أنّ الفضّة قوارير على الحقيقة، وإنّما وصفها بذلك لأنّه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها، مع أنّها من فضّة. وقد تشبّه العرب النّسي بغيره في بعض وجوهه، فيشبهون المرأة بالظبيّة والبقرة، ونحن نعلم أنّ في الظباء والبقر من الصفات مالا يستحسن أن يكون في النساء، وإنّما وقع التشبيه في صفة دون صفة، ومن وجه دون وجه.

والجواب الثاني: أنّه تعالى لم يرّد بذكر الجانّ في الآية الأخرى الحيّة، وإنّما أراد أحد الجنّ: فكانه تعالى خبر بأنّ العاص صارت ثعبانًا في الخلقة وعظم الجسم، وكانت مع ذلك كأحد الجنّ في هول المظهر وإفزعها لمن

على تدريج، وكذلك الهابط من المسائط. وإنما فائدة الكلام الإخبار عن تقارب الزمان، وأنه لم يطل ولم يمتد. (٢٥: ١)

الطُوسِيّ : وهي الحية العظيمة. [إلى أن قال:]

وفي قلب المصاحبة دلالتان:

إحداها: دلالة على الله تعالى، لأنه مما لا يتقدر عليه إلا هو، وليس مما يلتبس بإيجاب الطّباع، لأنه اختراع للانقلاب في الحال.

والثاني: دلالة على النبوة، بموافقة الدعوة، مع رجوعها إلى حالتها الأولى لما قبض عليها. وقيل: الثعبان الحية الذكر، ووصفه تعالى المصاهنا بأنها صارت مثل الثعبان، لاينا في قوله: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ القصص: ٣١، من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لم يقل: فإذا هي جانٌّ، كما وصفها بأنها ثعبان، وإنما شبهها بالجان، ولا يجوز أن تكون مثله على كل حال.

والثاني: أنه وصفها بالثعبان في عظمها، وبالجان في سرعة حركتها، فكأنها مع كبرها في صفة الجان لسرعة الحركة، وذلك أبلغ في الإعجاز.

وثالثها: أنه أراد أنها صارت مثل الجان في أول حالها، ثم تدرجت إلى أن صارت مثل الثعبان، وذلك أيضاً أبلغ في باب الإعجاز.

ورابعها: أن المالمين مختلفان، لأن إحداها كانت حين ألقى موسى فصارت العصا كالثعبان، والمالة الأخرى حين أوحى الله إليه وناداه من الشجرة.

(١٨: ٨)

الصَّيْثُودِيّ : يعني حية ذكراً أصغر أنسر العنق عظيمًا، ملأ الذّار، قائماً على ذنبه، يلتفت على فرعون وقومه، يرعهم، يقال: الثعبان العظيم الطويل، وهو أعظم الحيات. (١٠٢: ٧)

الفَخْرُ الوَازِيّ : اعلم أن قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتَهُ بِشَقٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء: ٣٠، يدل على أن الله تعالى قبل أن ألقى المصاحبة بأنه يصيرها ثعباناً، ولولا ذلك لما قال ما قال: فلما ألقى عصاه ظهر ما وعده الله به فصار ثعباناً مبيّناً، والمراد أنه تبين للتأخرين أنه ثعبان بحركاته ويسائر العلامات.

وروي أنه لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدزّ ميل ثم انخفضت مقبلة إلى فرعون، وجعلت تقول: يا موسى مُزني بما شئت، ويقول فرعون: يا موسى أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها، فعادت عصا.

فإن قيل: كيف قال: ها هنا ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وفي آية أخرى ﴿قَادًا مِنْ حَيْثُ تَشْتَقِي﴾، وفي آية ثالثة ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ والجان مائل إلى الصغر والثعبان مائل إلى الكبر؟ جوابه: أنما الحية في اسم الجنس ثم إنها لكبرها صارت ثعباناً، وشبهها بالجان لحفتها وسرعتها، فصَحَّ الكلامان.

ويعتدل أنه شبهها بالشیطان، لقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾ الحجر: ٢٧، ويعتدل أنها كانت أولاً صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعباناً. (٢٤: ١٣١)

نحوه الشريفي.

(٩: ٣)

التَّسْفِيّ : (ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) ظاهر الثعبانية، لانيء.

ونحوهما يَنْتَبِهْ تَنْبًا فانتَبَ: أسأله وهجره، وانتَبَ المطر: سأل، وانتَب الماء: جرى في المنَب، والمنَتَب: الحوض أو صنوبره والمرزاب، والجمع: مناعِب. والانتُوب: مانتَب، يقال: سيل أنُتوبٌ، أي جارٍ ينتب.

والأُنْتَبِي والأُنْتَبان: الوجه الضخم في حسن وبياض، يقال: وجه أنُتَباني، تشبيهاً بالمشَتَب، أو بطن النُتبان.

والشُعبان: ضرب من الحيات طوال، والجمع: شُعابين، شبه طولهُ بالشُعْب أو النُتْب، أي مسيل الماء كما تقدّم.

والشُعْبَة: ضرب من الورع، والجمع: شُعَب، لسرعتها في حركتها كجريان الماء.

٢- ولعلّ لفظ «النُتبان» - بمعنى الحية - كان مصدرًا في الأصل مثل: القُرْبان، أو صفة مثل: الثُرْبان، أو جمع نُتْب أو نُتَب، مثل: ظَهَر وظَهْران، وذكر وذكران، لأنّ «فُتْلانًا» يأتي جمعًا لـ «فُتْل» أو «فُتْل»، إذا كانا صحيحَي العين.

الاستعمال القرآني

جاء «نُتبان» مرتين في سياق واحد:

﴿قَالَ لِي عَصَا فَاذًا مِن نُّتْبَانِ مُبِينٍ﴾

الأعراف: ١٠٧، والشعراء: ٣٢

يلاحظ أولاً: أنّ في الآية - بكلا الموضعين - معجزة لموسى أمام فرعون لما طلبها من موسى، وهي العصا، وتلتها معجزة أخرى هي اليد البيضاء.

يُشَبِّه النُتبان كما تكون الأشياء المزوّرة بالشُعْوَذَة والتحر.

البَيْزَوَسَوِي: [التأويل] وفيه إشارة إلى إلقاء القلب عصا الذُكر وهو كلمة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فإذا هي نُتبان مبين يلتقم بغم التَّسِي ماسوي الله.

الألوسي: ظاهر نُتْبَانِيَّتِهِ، أي ليس بتمويه وتخييل كما يفعله السحرة، والنُتْبَان أعظم ما يكون من الحيات. [إلى أن قال:]

والظاهر أنّ نفس العصا انقلبت نُتْبَانًا، وليس ذلك بحال إذا كان سلب الوصف الذي صارت به عصا وخلقه وصف الذي يصير نُتْبَانًا، بناءً على رأي بعض المتكلمين، من تجانس الجواهر واستوائها في قبول الصفات. إنّما اختلفا نُتْبَانًا مع كونها عصا، لامتناع كون الشيء الواحد في الزمان الواحد عصا ونُتْبَانًا. وقيل: إنّ ذلك يخلق النُتْبَان بدلها، وظواهر الآيات تبع ذلك.

وقد جاء في الأخبار ما يدلّ على مزيد عظم هذا النُتْبَان ولا يمجز الله تعالى شيء، وقد مرّ بيان كيفية الحال.

نحوه المَرَاغِي.

(١٩: ٥٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: النُتْب، أي مسيل الماء، والجمع: نُتْبَان، يقال: ماء نُتْبٍ ونُتْبٍ وأنُتْبَانٍ، أي سائل، وكذا يقال للدم. والفعل منه: نُتِب الماء والذَم

فَأَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿الشعراء: ٤٣-٤٥﴾

وهناك آيات أخرى في هذا الشأن تحكي بداية رسالة موسى في الطور، وهي من حيث زمن الوقوع مقدمه طبعا على الآيات السابقة: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُتَلَوُّمَ كَأَنَّهَا كَانٌ وَوَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿أَسْلَفَ بِدَاكِ فِي خَبْرِكَ فَخَرَجُ بِبِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُلَّكَ بِرَأْسِكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِلَهُهُمْ كَانُوا قَوْمًا قَابِضِينَ﴾ القصص: ٣٠-٣٢

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿يَمْوِسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُتَلَوُّمَ كَأَنَّهَا كَانٌ وَوَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حِسَابًا بَغْدًا سُوءٍ فَأَتَىٰ غَفُورًا رَجِيمًا ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرُجْ بَبِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَبَعِ آيَاتِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِلَهُهُمْ كَانُوا قَوْمًا قَابِضِينَ﴾ النحل: ٨-١٢.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوِسَىٰ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتُمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمْوِسَىٰ ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ خَيْبٌ تُسَمَّىٰ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعْبِدُهَا بِسَرِيرَتِنَا أَوْ لَدَىٰ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ فَخَرُجْ بَبِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أَيْنَ أُخْرَىٰ ﴿لِيُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ طه: ١٧-٢٣.

فسبح الأعراف (١٠٤-١٠٨): ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿حَقِّقْ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ ﴿فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَبِضَاءٍ لِلنَّاطِرِينَ﴾.

وفي الشعراء (٣٠-٣٣): ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِبَيِّنَةٍ مُبِينٍ ﴿قَالَ قَاتِلْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ ﴿فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَبِضَاءٍ لِلنَّاطِرِينَ﴾.

وهناك آيات تحكي قصة إلقاء موسى عصاه كمعجزة أمام الجمهور في اليوم الموعود لإسقاطاً لسحر السحرة:

﴿قَالُوا يَمْوِسَىٰ إِنَّا أَنْ تَلْقَىٰ وَإِنَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿قَالَ بَلْ أَتَقُولُ فَإِذَا جِئَهُمْ وَعَصِيهِمْ يَحْشُرُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَحَابٍ مِثْلَ نَسْتِ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِهِ تَلْقَفَتْ مَا صَنَعُوا إِتْسَامًا صَضَعُوا كَيْدَ سَاحِرٍ وَلَا يَمْلِكُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ طه: ٦٥-٦٩.

﴿قَالُوا يَمْوِسَىٰ إِنَّا أَنْ تَلْقَىٰ وَإِنَّا أَنْ تَكُونَ أَحَدَ الْمُتَلَقِينَ ﴿قَالَ أَتَقُولُ فَلَمَّا أَتَوْا سَحَرُوا أَغْيَىٰ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١١٥-١١٨.

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَتَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ﴿فَلَنَقُوزَ جَنَاهُمْ وَعَصِيَهُمْ وَقَالُوا بِعَزَائِكُمْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ لَأَخِي الْعَالَمِينَ﴾.

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٠﴾

مما يبنى بأن الله تعالى وصف نفسه بهذه الأوصاف جيئاً، وفزقها على السور الثلاث، أو هي نقل بالمعنى وبالإجمال والتفصيل لتكاثر بلاغية، ومأكثره في القرآن! ولا سيما في قصص الأنبياء، [لاحظ بحث القصص من «المدخل»] فركز - في القصص - إجمالاً أنه رب العالمين، وفي «الشم» أنه العزيز الحكيم، وفي «طه» تفصيلاً ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، فأعرف موقفك أمامي وفي الموضع الذي أنت فيه، وهو الوادي المقدس، وأنتي ﴿أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾. ثم قال: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ...﴾، مع ما فيها من التأكيد والتفصيل، إضافة إلى ما جاء في «القصص» و«الشم».

ب - ثم تلاها في السورتين مباشرة حديث إلقاء موسى عصاه، بألفاظ متقاربة «وَأَلْقَى» أو ﴿أَنْ أَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَافَاهَا تَهَيَّرُوا بِهَا لِمَا كَانَ لِمُذِبِّهَا وَتَمَّ يَتَقَبَّ﴾. ثم اختلفنا في حديث خوف موسى، ففي «القصص»: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنْ الْآمِنِينَ﴾، وفي «الشم»: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُفْرَسَلُونَ...﴾.

ج - ثم تلاها حديث اليد البيضاء بتفاوت، مثل: ﴿أَسْأَلُكَ بِذَلِكَ فِي جَنِّكَ﴾ و﴿أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، [لاحظ «البيضاء» من (ب ي ض)] مع إضافة في «الشم»: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾، وقد جاء فيها في تبديل العسا: ﴿كَأَنَّمَا جَانُ﴾.

أما في «طه» فهذه التجربة بدأت بأخذ الاعتراف من موسى، في وصف عصاه بأوصاف عادية توجد في

ثانياً: تلحظ في هذه الآيات وتكتشف منها أمور:

١- إنها جيئاً مكثية، جاءت إقتناعاً للمشركين الذين طلبوا من النبي الإتيان بآيات ومعجزات سوى القرآن. وكان يُجيبهم بأن الآيات عند الله، وأنه قادر على الإتيان بها، كما أتى بها للأمم السابقة، إلا أنه اختار لي القرآن آية على أن معظم القصص القرآنية حول الأنبياء جاءت في المكثيات، إقتناعاً للمشركين بمكة، وهم الزميل الأول من المنكرين للنبوءات عامة، ولنبيوة نبيينا ﷺ خاصة.

٢- إنه كان لموسى ﷺ في آيتي العسا واليد البيضاء ثلاثة مواقف في ثلاث طوائف من الآيات، بهذا الترتيب: أ- موقف الشريف والتجربة في الطور أمام الله، جاء في الطائفة الأخيرة من الآيات ثلاث مرات.

ب - موقف الإجراء والاحتجاج أمام فرعون، جاء في الطائفة الأولى منها مرتين.

ج - موقف المجابهة لحر السحرة أمام الجمهور، جاء في الطائفة الوسطى ثلاث مرات.

٣- وما نحن نوضح القول في هذه المواقف الثلاثة: الموقف الأول:

أ- جاء عقيب رؤية موسى النار على الشجرة في الوادي الأمين من الطور، وأنه نودي منها، وأن الله عرف نفسه بدء لموسى في «القصص» بد ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ السَّعَالِينَ﴾، وفي «النمل»: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وفي طه (١٢ - ١٤): ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلُقْ تَقْلِيكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾

أ- ففي «الأعراف» و«طه» قال السحرة لموسى: إنا أن تلقى أنت أولًا، أو تلقى نحن، فقال لهم: بل ألقوا أنتم أولًا. أمّا في «الشعراء» فاكتفى بقوله: «قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُخْلِقُونَ».

ب - وفي «الأعراف»: «فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ». وفي «طه»: «فَإِذَا جِئْتُمْ وَعَصِيئُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْفَى»، وفي «الشعراء»: «فَأَلْقَوْا جِبَالَهُمْ وَعَصِيئُهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ».

ج - وفي «طه»: «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. فَلَمَّا لَاقَاهُ أَخَذَ مِنْهُ الْقُلْفُوعَ نَزِيبًا، وَلَمْ يَأْتِ حَدِيثُ خَوْفِ مُوسَى فِي الْأَعْرَافِ وَالشَّعْرَاءِ».

د - واشتركت الشعراء والأعراف في قوله: «فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ»، واختصت «طه» بقوله: «وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِهِ تَلْقَفَ مَا ضَعَفُوا أَنَسًا ضَعَفُوا كَيْدُ سَاجِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى»، لاحظ «ل ق ف» و«ص ن ع».

ثالثًا: حول هذه الآيات بمحو:

الأول: جاء في آيتين «كَانَتْهَا جَانٌّ»، وفي آية «فَإِذَا هِيَ حَيْثُ تَسْفَى»، وفي آيتين «فَإِذَا هِيَ تُفْجَأُ مُبِينٌ». فقالوا: إن الجان حية صغيرة، والثبان: حية كبيرة، واكتفى أكثرهم باختلاف آيات الجان والثبان، وضم بعضهم إليها آية «حَيْثُ تَسْفَى». وقد أطالوا البحث فيها، فاعترف بعضهم باختلاف الموقفين، ولم يعترف به بعض آخر. وجملة ما ذكره من الوجوه:

١- إنها كانت كالجان في خفة الحركة، وكالثبان في

كل عصا، فاقدة أي خصلة خارقة للعادة: «وَمَا تَلْكَ بِمُجِينِكَ يَأْمُوسَى...» طه: ١٧.

وهي نكتة عريقة في البلاغة، لم ترد في «القصص» و«التسل» وجاء فيها بدل «كَانَتْهَا جَانٌّ» قوله: «فَإِذَا هِيَ حَيْثُ تَسْفَى»، وستناولها بالبحث في «ثعبان». وجاء في شأن خوف موسى «فَقَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعْبِدُهَا بِسِرَّتِهَا الْأُولَى»، وفيه اطمئنان وتسكين أكثر لموسى، حيث أعادها إلى سيرتها الأولى. وجاء في شأن اليد البيضاء بدل «أَسْلَكَ يَدَكَ» و«أَدْخَلَ يَدَكَ» قوله: «وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ» [لاحظ «البيضاء»] وفيها إضافة «لِيُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى».

الموقف الثاني: جاء مرتين في «الأعراف» و«الشعراء»، حيث أعلن موسى برسالته أمام فرعون فأنكرها، فأخبره بأن له آية على رسالته بالفاظ متفاوتة، فأذن فرعون له تشكيكًا فيها «فَأَتَتْ بِهَا» (أو به) «إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ». ثم تلتها بجلتان متجانستان، متشابهتان تمامًا وصارمتان في شأن العصا واليد البيضاء: «فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ» وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ».

وكان هذا التعبير الجازم فيها ردًا ومقابلة لتشكيك فرعون في صدق موسى بقوله: «إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ». وفيها تلاحم في المعنى بين «فُجْأَتِ مُبِينٌ» و«بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ»، فإن «المبين» هو الأمر الواضح للعيان، مثل: «بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ».

الموقف الثالث: جاء ثلاث مرّات في ثلاث سور: الأعراف وطه والشعراء بتفاوت كبير:

عظم الجسم، وأما الحية فاسم جنس يطبق عليها.

٢- إنها كانت كالجبان في أول أمرها، ثم انقلبت تدريجياً إلى مُبَان.

٣- إن المراد من «الجبان» الجبن، لقوله تعالى: ﴿وَالْجَانُّ خَلْقَانُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ الشُّمُومِ﴾ الحجر: ٢٧، فلاحظ النصوص، ولا سيما نص الشَّريف المرتضى والفخر الرازي.

والحق أنَّ المواقف الثلاثة مختلفة، فجاء في آيات الموقف الأول ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ مَرْتِينِ﴾، و﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَشْفِي﴾ مرة. وجاء في آيات الموقف الثاني ﴿فَإِذَا هِيَ تُغْنِيَانِ مُبِينٌ﴾ مرتين، ولم يذكر في آيات الموقف الثالث «جَانٌّ» و«تُبَان» و«حَيَّة»، سوى ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أو ﴿تَلْقَفُ مَا مَسَّخُوا﴾ فينبغي أن يركز البحث فيها حول سَرَّ اختلاف التعبير في هذه المواقف.

كان المغزى في الموقف الأول هو التعريف والتجريب لموسى من قبل الله، دون الاحتجاج والتخويف، فلو حظ فيه اللين في الكلام ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُكَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ مرتين في التمل والقصص، وترتيبها (٤٨) و(٤٩) من السور المكتبة، تركيزاً لرؤية موسى إياها ﴿تَهْتَرُكَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾، دون أن يقول: «فإذا هي جانٌّ» وشتان ما بين التعبيرين ليناً وشدة. وجاء شيء من الشدة في آية «طه»، وترتيبها (٤٥) من المكتبات حسب قائمة السور التي بين أيدينا، وهي مقدمة على هاتين السورتين: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَشْفِي﴾.

ومعلوم أنَّ في هذا التعبير تشديداً وتهويلاً، ليس في تلك الآيتين لأمرين: الإتيان بمجمل اسمية - بدل التشبيه -

تعمل المفاجأة، والإتيان بـ «حَيَّةٌ تَشْفِي» بدل «تَهْتَرُكَأَنَّهُمَا جَانٌّ». فـ «حَيَّةٌ تَشْفِي» تمثيل بأنها أعظم جسداً وأشدَّ تحركاً وهولاً من «تَهْتَرُكَأَنَّهُمَا جَانٌّ»، فكأنَّ الله صَوَّرَ لنا في «طه» - وهي مقدمة نزولاً على التمل والقصص - بداية حال موسى؛ حيث فاجأته حية تسمى، ثم مثل لنا حاله بعد الاستئناس بها وسكونه إليها، في سورتين متاليتين - التمل والقصص - بأنه رآها تهترُكَأَنَّهُمَا جَانٌّ.

وكان المغزى في الموقف الثاني هو الاحتجاج والتخويف لفرعون، فجاء في جملة اسمية صارمة مفاجئة ﴿فَإِذَا هِيَ تُغْنِيَانِ مُبِينٌ﴾ في سورتي الأعراف والشعراء المرقنتين (٣٩) و(٤٧) من المكتبات، ومعلوم أنَّ هذا التعبير أشدَّ تمثيلاً وهولاً مما سبق في الموقف الأول.

أما المغزى في الموقف الثالث فلم يكن تجريباً ولا احتجاجاً وتخويفاً، بل بمجابهة وإبطالاً لسحر السحرة، دون الاعتبار بتمثيل العصا حية أو تُغْنِيَانِ، فجاءت النتيجة في جملة اسمية جازمة مفاجئة ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ أو ﴿مَا يَمْسَحُومُونَ﴾، لاحظ «أ ف ك»، و«ص ن ع».

الثاني: جاءت في شأن التُّبَانِ مبالغات في التفسير، يظنُّ أنها إسرائيلية، ليست في القرآن ولم تُنقل في حديث صحيح، بل استندت إلى أمثال وهب بن منبه وكتب الأخبار، وغيرها من أهل الكتاب الذين قيل في شأنهم: إنهم كانوا يكيدون للإسلام بهذه الأساطير، مثل أن الثُّبَانِ وضع فكّه الأعلى فوق القصر وفكّه الأسفل تحت القصر، وأنَّ فرعون فرَّ وأحدث وأخذ البطن في

الأنبياء بشيئة الله تعالى، وهذا مانسبه أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره (بجمع البيان) إلى أصحابنا الإمامية. السادس: جاء الموقف الأول والأخير ثلاث مرّات، والموقف الثاني مرّتين، بقدر الاهتمام بهذه المواقف، فإن موقف تجربة موسى وإبطال سحر السحرة أهم من موقف الاحتجاج أمام فرعون، كما لا يخفى.

السابع: جاء خوف موسى من سحر السحرة وردع الله إياه، ووعده الغلبة عليهم، وأنهم صنعوا سحرًا، ولا يفلح الساحر أبدًا، في (طه: ٧٠) فقط: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿فَلَمَّا لَاقَتْهُ إِثْلُكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِهِ تَلْقَفَتْ مَا صَنَعُوا إِتْسَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ خَيْثَ أَنْ﴾.

ولم يأت حديث الخوف في الأعراف، كأنه فيها أمر حين لا يخفى بذكره.

الثامن: جاء في «طه»: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعْيُهُمْ يُخْسِلُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى موسى ﴿وَمِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَشْفَى﴾، فعرضه للخوف. أتما في «الأعراف» فجاء مكان خوف موسى خوف الناس: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا تَحَوُّوا أَمْهِنَ النَّاسِ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُمْ وَجَاءَ بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾. فيبدو أن الله قسم المخوفين على السورتين، إلا أن خوف موسى كان أقل من خوف الناس بكثير، فلم يكن سوى إيجاس الخوف في نفسه، أما الناس فقد سحروا أعينهم واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم، وهذا هو الفارق بين نهي الله موسى - وهو بشر - وبين سائر الناس.

التاسع: يُتهم من سياق الآيات أن سحرهم لم يكن سوى التمثيل في النفوس والتعمية في الأوهام. ولم يكن

ذلك اليوم أربعمئة مرّة، وأن الثعبان كان ذكرًا أشقر فاغرًا غاد، وله حرف كحرف الفرس... وأن الناس انهمزوا منه، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا، وقُتل بعضهم بعضًا ونحوها.

وقد ملأت - مع الأسف - أمثال هذه الأساطير حول القصص القرآنية التفاسير، وشغلت الثمّنات والوعاظ، أنسوا واهتسوا بها طوال ألف سنة أو أكثر. وأول من شكك فيها - فيما عندنا من التفاسير - أبو حنيفة، وتبعه رشيد رضا والمرآغي، وغيرهما من المعاصرين.

الثالث: تعرّض الفخر الرازي لشبهة الطَّبِيعِيِّين باستحالة انقلاب العصا ثعبانًا، لأنّها خلاف الطبيعة، وقد أجاب عنها. وهذه الشبهة لا تختص بالطَّبِيعِيِّين المنكرين لله، بل هي مطروحة عند الفلاسفة الإلهيّين وبعض المتكلمين الذين التزموا النظام الجبري للعالم، وأنكروا مشيئة الله كصفة فعلية له، وقد أصرّ القرآن عليها في آيات، مثل: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة: ٢٥٣، ﴿يَخْتَارُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُخَيِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الزّعد: ٢٩، لاحظ «ش ي أ» و«رود».

الرابع: ذكر الحازن وغيره في «تفحيان مبهين» أنها أبانت صدق قول موسى، ففسرها متعدية، وقد قلنا: إن «مبينًا» في القرآن بمعنى الواضح الظاهر، وأن «هأن» و«هأن» لازمان، لاحظ «ب ي ن».

الخامس: جاء في آيات الموقف الأول - وهي تحمل بداية تجربة موسى للعصا - حديث خوف موسى، وأنه ولّى ولم يقبّ. وهذا دليل على أن المعجزات ليست من فعل الأنبياء، بل هي من فعل الله، تحدث على أيدي

الحادي عشر: نصّ على أنّ العصا كانت بيمين موسى مرتين، مرّة في الموقف الأوّل: ﴿وَعَايَنكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾، وأخرى في الموقف الثالث: ﴿وَأَلْقِي سَاقِي يَمِينِكَ﴾. وكأنّه تذكّار وتسجيل لموسى بأنّ ما كان في يمينك في الطّور وصيّرتناه حيّة هو الذي يلقف ما يأفكون. ومنها نستظهر أنّ العصا ينبغي أن تؤخذ باليد اليمنى، كما هو المعمول لدى النّاس، دون اليسرى.

الثاني عشر: وهناك فروق أخرى في الآيات، وفي كلّ منها نكتة ينبغي الالتفات إليها والتّدبّر فيها، لنستزيد من بلاغة القرآن أكثر فأكثر، لاحظ «موسى».

له حقيقة سوى ذلك، وهذا نوع من السّحر، وله أنواع أخرى ذكرها الفقههاء في «تحرّيم السّحر»، فلاحظ «المكاسب المحرّمة» للشيخ الأنصاري.

العاشر: أنّ التّعبير به «أَلْقَى» و«أَلْقَوْا» في آيات المواقف الثلاثة، كأنّه رمز إلى أنّ المعجزة تقع بقدرة الله بعمل يسير وهين من قبل موسى، وهو إلقاؤه عصاه، ولم يكن له دخل في تلك المعجزة الكبرى سوى ذلك، لاحظ «ل ق ي» كما أنّ السّحرة ألقوا بحالهم وعصيتهم أيضًا، فشابه فعلهم فعل موسى ظاهرًا، ولكنّها اختلفا في واقع الأمر؛ حيث كان عملهم سحرًا صنّوه بأيديهم، وكان عمل موسى معجزة من قبل الله تعالى.

ث ق ب

لفظان، مَرْتَان، فِي سورَتَيْنِ مَكِّيَّتَيْنِ

ثاقب ١:١

الثاقب ١:١

تَنْقَبُ، إِذَا قَدَحْتَهَا.

ويقال: ثَقَبْتُ النَّارَ ثُقُوبًا، إِذَا قَدَحْتُ فِي الْبُخْرِ
وَالْحَسْبُ مِنْ غَيْرِ التَّهَابِ. (الْحَزْرِيُّ ٢: ٧٣٩)
التَّقِيبُ مِنَ الْإِبِلِ: الْغَزِيرَةُ اللَّبَنُ، وَقَدْ ثَقَبْتُ ثَقَبًا
ثُقُوبًا، إِذَا غَزَرْتُ.

الثاقب: الغزيرة من الإبل، على «فاعل».
تَنْقَبُ النَّارَ فَأَنَا أَنْقَبُهَا تَنْقَبًا، وَأَنْقَبْتُ إِسْقَابًا،
وَتَنْقَبْتُ بِهَا تَنْقَبًا، وَمَسَكْتُ بِهَا تَمِيكًا، وَذَلِكَ إِذَا
فَحَصْتُ لَهَا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ جَعَلْتُ عَلَيْهَا بَهْرًا وَخَيْرًا ثُمَّ
دَفَنْتَهَا فِي التَّرَابِ. وَيَقَالُ: تَنْقَبُهَا تَنْقَبًا حِينَ تَقْدَحُهَا.
(الْأَزْهَرِيُّ ٩: ٨٤)

الأَصَمِيُّ: حَسَبَ ثاقب: نَيْرٌ مَتَوَقَّدٌ. وَجِلْمُ ثاقب
مِنْهُ. (الْأَزْهَرِيُّ ٩: ٨٤)

ابن الأعرابي: فِي حَدِيثِ الْحِجَاجِ: «لَمَّا قَالَ فِيهَا»^(١)

النُّصُوصُ اللَّفْظِيَّةُ

الْخَلِيلُ: الثَّقَبُ: مَصْدَرُ ثَقَبْتُ الشَّيْءَ أَنْقَبُهُ ثُقْبًا.
وَالثَّقَبُ: اسْمٌ لِمَا نَفَذَ.

وَالْمِثْقَبُ: أَدَاةٌ يَنْقَبُ بِهَا.
وَالثُّغُوبُ مَصْدَرُ النَّارِ الثَّقَابَةِ، وَالْكُوَاكِبُ وَنَحْوُهُ، أَيْ
التَّلَاقُ، وَثَقَبَ يَنْقَبُ.

وَحَسَبَ ثاقب: مَشْهُورٌ مَرْتَعٌ.
وَرَجُلٌ ثَقِيبٌ وَامْرَأَةٌ ثَقِيبةٌ: شَدِيدَةُ الْحُمْرَةِ، وَقَدْ
ثَقَبَ يَنْقَبُ ثَقَابَةً.

وَيَنْقَبُ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرِ]

(١٣٩: ٥)

اللَّيْثُ، وَالثُّغُوبُ، مَا يَنْقَبُ بِهِ النَّارَ. (الْأَزْهَرِيُّ ٩: ٨٤)
الْكِسَائِيُّ: الثَّقَابُ: مَنْ يَنْقَبُ ثُقُوبًا وَثَقَابَةً.

(الْحَزْرِيُّ ٢: ٧٣٩)

أَبُو زَيْدٍ: أَنْقَبْتُ النَّارَ أَنْقَبًا إِنْقَابًا، وَتَنْقَبْتُهَا أَنْقَبًا

(١) أَيْ لَمَّا قَالَ فِي سَأَلَةِ الْفَرَاغِ «الشَّخْصَةُ» الَّتِي اخْتَلَفَ
فِيهَا خَمْسَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ.

ابن عباس إن كان لثقباً
قال: المثقب: الرجل العالم النطير.
أَوْ ثَقِبَتْهُ أَنَا إِقْبَابًا. وَزُنْتُ نَاقِبٌ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا قُدِحَ
ظَهَرَ نَارُهُ.

ولؤلؤات مناقيب، واحداها: منقوب.
ابن دُرَيْدٍ: وَثَقِبَ النَّارُ تَثَقُّبًا مُقَوِّمًا، إِذَا أَضَاءَتْ،
وَكَذَلِكَ التَّجَمُّ إِذَا أَضَاءَ، وَالتَّجَمُّ نَاقِبٌ.

والتَّقَاب: كُلُّ مَا ثَقِبَتْ بِهِ النَّارُ مِنْ حَرِّاقٍ أَوْ غَيْرِهِ؛
وَهُوَ الثَّقُوبُ أَيْضًا. [ثم استشهد بشر]

وَاللَّغَةُ النَّصِيحَةُ: أَنْ ثَقِبَ النَّارُ إِسْقَابًا فَثَقِبَتْ. [ثم
استشهد بشر]

ورجل ناقب الزأي، إِذَا كَانَ جَزَلًا نَهَازًا.
وَتَقِبْتُ الشَّيْءَ أَنْقَبُهُ ثَقْبًا، إِذَا أَنْفَذْتَهُ، وَلَا يَكُونُ
الثَّقْبُ إِلَّا نَافِذًا.

ومناعة الناقب: الثغابة.
وَكُلُّ حَدِيدَةٍ ثَقِبَتْ بِهَا فَهِيَ يَثْقُبُ. وَدِيْمَا سَمِيَ الرَّجُلُ

الْجِدَّةَ الرَّأْيَ يَثْقُبًا. [ثم استشهد بشر]
والتَّقَاب: رَكَابَا تُحْفَرُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ يَنْفُذُ بِمَعْضَاهَا
إِلَى بَعْضٍ.

والتَّقَاب: الهواء.
وَالْأَثْقُوبُ: الرَّجُلُ الدَّخَالُ فِي الْأُمُورِ.

وَالْمَثْقَبُ: طَرِيقٌ فِي حَرَّةٍ أَوْ غُلْظٍ، وَكَانَ فِيهَا مَضًى
طَرِيقٌ بَيْنَ الْهَيْمَةِ وَالْكُوفَةِ يَسْمَى ثَثْبًا.

وَمِثْقَبٌ: طَرِيقٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْكُوفَةِ، كَانَ يُسَلَّكَ فِي
أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ. (١: ٢٠٢)

الْأَزْهَرِيُّ: وَيَقَالُ: هَبْ لِي ثَقُوبًا، أَيْ حَرَّاقًا، وَهُوَ
مَا ثَقِبَتْ بِهِ النَّارُ، أَيْ أَوْقَدَتْهَا بِهِ.

وَيَقَالُ: ثَقَبَ الزُّنْدُ يَثْقُبُ مُقَوِّمًا، إِذَا سَقَطَتِ الشَّرَارَةُ؛

وَلَوْلُؤَاتُ مَنَاقِبٍ، وَاحِدَاهَا: مَنَقُوبٌ.

وطريق العراق من الكوفة إلى مكة، يقال له:

مِثْقَبٌ.

يَقَالُ: إِنَّمَا لِقَابُ مِنَ الْإِبِلِ، وَهِيَ الَّتِي تُحَالِبُ غِزَارَ
الْإِبِلِ فَتَغْزُرُ رَهْنًا. (٩: ٨٤)

الصَّاحِبُ: [نحو الحَكِيلِ وَأَصَافُ:]
وَالثَّقُوبُ: الْحَرَّاقُ. وَثَقَبَ الزُّنْدَ، إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ

الشَّرَارَةُ. وَالثَّقُوبُ: مَا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ.

والتَّحْيِبُ والتَّحْيِيَةُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: الشَّدِيدُ
الْمُحَرَّةُ، وَالْمَصْدَرُ: التَّحْيَابَةُ.

وَيَثْقُبُ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ.
وَيَقَالُ لِلزَّرْفَجِ إِذَا مَطَرَ وَلَانَ عُودُهُ: قَدْ ثَقَبَ عُودُهُ،

وَكَذَلِكَ إِذَا جَرَى الْمَاءُ فِيهِ وَأَوْزَقَ.

وَالثَّقَابُ وَالتَّحْيِبُ مِنَ الثُّوبِ: الْغَزِيرَةُ، تَقْبَتِ النَّاقَةُ
تَثْقُبُ ثَقُوبًا.

وَتَقْبَةُ السَّبِّ تَقْيَابًا: لِأَوَّلِ مَا يَظْهَرُ.
وَإِذَا بَرَأَ الْبُتْرُ يَأْنَسَانِ الثَّقِينُ فِيهِ الثَّقَابَةُ.

وَأَنْشَأَ عَنْهُمْ عَيْنٌ نَاقِبَةٌ، أَيْ خَبَرٌ يَقِينٌ.
وَمِثْقَبٌ: طَرِيقُ الْعِرَاقِ إِلَى مَكَّةَ. (٥: ٣٨٢)

الْبُجَوَهَرِيُّ: الثَّقَبُ بِاللَّحْجِ: وَاحِدُ الثَّقُوبِ. وَالثَّقَبُ
بِالضَّمِّ: جَمْعُ ثَقْبَةٍ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى ثَقْبٍ.

وَالْمَثْقَبُ: مَا يَمِثُّ ثَقْبًا بِهِ.

وَتَقْبَتِ الشَّيْءَ ثَقْبًا، وَتَقْبَتُهُ شَدُّهُ لِلْكَثَرَةِ.

وَدُرُّ مَثْقَبٍ، أَيْ مَنَقُوبٍ.

وَتَقَبَّ الْجِلْدَ، إِذَا تَقَبَّ الْحَكَمَ.

وَتَقَبَّ النَّارَ: تَذَكَّبَهَا.

وَيَقَالُ أَيْضًا: تَقَبَّ عَوْدَ الرَّمَجِ، وَذَلِكَ إِذَا مَطَّرَ وَلَا نَ عَوْدَهُ.

فَإِذَا اسْوَدَّ شَيْئًا قِيلَ: قَدْ قِيلَ، فَإِذَا زَادَ قَلِيلًا قِيلَ: قَدْ أَذْبَى، وَهُوَ حِينَئِذٍ يَصْلُحُ أَنْ يُوَكَّلَ، فَإِذَا تَمَّتْ خُصْمَتُهُ قِيلَ: قَدْ أَخْوَسَ.

وَتَقَبَّتِ النَّارُ تَتَقَبَّبُ تُقَوِّمًا وَتَقَابَةً، إِذَا انْتَقَدَتْ، وَأَنْتَقَبَّتْ أَنْ.

وَسِهَابٌ نَاقِبٌ، أَيْ مُضَيٌّ.

وَيَقَالُ أَيْضًا: تَقَبَّتِ النَّاقَةُ، أَيْ غَزَزَتْ، هِيَ نَاقِبٌ. وَالتَّقُوبُ بِالْفَتْحِ: مَا شَمِلَ بِهِ النَّارَ، مِنْ دِقَاقِ الْعِيدَانِ. (٩٣: ١)

ابن فارس: النَّاءُ والتَّافُ والْبَاءُ كلمة واحدة، وَهُوَ أَنْ يَنْفَذَ الشَّيْءُ، يَقَالُ: تَقَبَّتْ الشَّيْءُ أَنْفَهُ تَقَبًّا. وَالتَّاقِبُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْجُحْمُ التَّاقِبُ﴾ الطَّارِقُ: ٣، قَالُوا: هُوَ نَجْمٌ يَنْفَذُ السَّمَاوَاتِ كُلَّهَا نَوْرَهُ.

وَيَقَالُ: تَقَبَّتِ النَّارُ، إِذَا ذَكَّبَتْهَا، وَذَلِكَ الشَّيْءُ تُقَبَّةٌ وَذُكُوءَةٌ. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ ضَوْءٌ هَا يَنْفَذُ. (٣٨٢: ١) ابن سيده: التَّقَبُّ: الْخَرَقُ التَّافِذُ، وَالْمَجْمَعُ: أَنْتَقَبَ وَتَقُوبُ.

وَقَدْ تَقَبَّ بِحُجَّةٍ نَجْبًا، وَتَقَبَّ فَانْتَقَبَ، وَتَقَبَّبَ وَتَقَبَّ:

كَتَبَهُ. [ثم استشهد بشعر]

وَالْمُنْتَقَبُ: الْآلَةُ الَّتِي يُنْتَقَبُ بِهَا.

وَالْمُنْتَقَبُ: شَاعِرٌ.

وَتَقَبَّ عَوْدَ الرَّمَجِ: مَطَّرَ فَلَانَ عَوْدَهُ.

وَتَقَبَّتِ النَّارُ تَتَقَبَّبُ تُقَوِّمًا: انْتَقَدَتْ. وَتَقَبَّتْ هِيَ، وَأَنْتَقَبَتْ.

وَالْتَقَابُ، وَالتَّقُوبُ: مَا أَنْتَقَبَ بِهِ.

وَتَقَبَّ الْكوكِبُ تُقَوِّمًا: أَحَاءَ.

وَالْجُحْمُ التَّاقِبُ (قِيلَ: هُوَ رُحْلٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا الطَّارِقُ﴾ الْجُحْمُ التَّاقِبُ﴾ الطَّارِقُ: ٢، ٣. وَتَقَبَّتِ الزَّائِحَةُ: سَطَعَتْ وَهَاجَتْ. [ثم استشهد بشعر]

وَتَقَبَّتِ النَّاقَةُ تَتَقَبَّبُ تُقَوِّمًا، وَهِيَ نَاقِبٌ: غَزَزَ لَبَنُهَا.

وَتَقَبَّ رَأْيُهُ تُقَوِّمًا: نَفَذَ. [ثم استشهد بشعر]

وَرَجُلٌ يَنْقَبُ: نَافِذُ الرَّأْيِ.

وَالْتَّقُوبُ: دَخَالٌ فِي الْأُمُورِ.

وَتَقَبَّةُ الشَّيْءِ، وَتَقَبَّ فِيهِ، الْأَخِيرَةُ مِنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: ظَهَرَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: هُوَ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ. وَالتَّقَبُّ: التَّحْدِيدُ الْمُحَرَّرُ.

وَالْمُنْتَقَبُ: طَرِيقٌ فِي حَرَّةٍ وَغَلْظٍ، وَكَانَ فِيمَا مَضَى:

طَرِيقٌ بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْكُوفَةِ يُسَمَّى مُنْتَقَبًا.

وَتُقَبَّبُ: طَرِيقٌ بَيْنَهُمَا.

وقيل: هو ماء. [ثم استشهد بشعر]

وَيُنْتَقَبُ: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ. (٣٥٧: ٦)

الرَّاعِبُ: التَّاقِبُ: الَّذِي يَنْقَبُ بَنُورُهُ وَإِصَابَتُهُ مَا يَنْقَعُ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنبَتْنَا شِهَابًا ثَاقِبًا﴾ الصَّاقَاتُ: ١٠، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمَاءُ وَالطَّارِقُ﴾ وَنَاذَرِيكَ مَا الطَّارِقُ ﴿الْجُحْمُ التَّاقِبُ﴾ الطَّارِقُ: ١- ٣، وَأَصْلُهُ مِنَ الثَّقَبِ.

وَالْمُنْتَقَبُ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي كَأَنَّهُ قَدْ نُقِبَ.

وقال أبو عمرو: والصحيح المثقب.

وقالوا: ثَقِبَ النار، أي ذُكِبَتْهَا. (٧٩)

الرُّمَحُشَرِيّ: ثَقِبَ الشَّيْءُ بِالْمِثْقَبِ، وَثَقِبَ الْقَدَاحُ عَيْنُهُ لِيَخْرُجَ الْمَاءُ النَّازِلُ. وَثَقِبَ اللَّكَلُ الدُّرُّ، وَدُرٌّ مِثْقَبٌ،

وعنده دُرٌّ عَذَارَى: لَمْ يُثَقِّبَنَّ. [ثم استشهد بشعر]

وَتُثَقِّبُ الْبَرَاقِعَ لِمَيُونَنَ. [ثم استشهد بشعر]

وَمِثْقَبُ الْحَكَمِ الْمَجْلَدُ فَتَقَبَّ.

وهذا إهابٌ مِثْقَبٌ، وفيه ثَقَبٌ، وَثَقِبَتْهُ، وَتُثَقَّبُ،

وَتُثَقَّبُ.

ومن المجاز: كوكب ناقب ودُرِّيّ شديد الإضاءة

والتَّلَاقُ، كأنه يثَقَّبُ الظُّلَمَةَ فينغذ فيها ويدروها، وقد

ثَقِبَ نُفُوسًا، وكذلك السَّراج والنَّار. وَثَقِبَتْهَا، وَأُثَقِّبُهَا.

وَأُثَقِّبُ نَارَكَ بِثَقُوبٍ، وهو ما تُثَقَّبُ بِهِ مِنْ حُرَّاقٍ

وَيَتَرِّحُ وَنَحْوَهَا، وَرَجُلٌ ثَقِيبٌ، وامرأة ثَقِيبَةٌ مُشْجَبَانِ

لِلْهَبِ النَّارِ فِي شِدَّةِ حُرَّتِهَا، وفيها ثَقَابَةٌ.

وحَسَبُ نَاقِبٍ: شَهِيرٌ.

ورجل ناقب الرَّأْيِ، إِذَا كَانَ جَزَلًا نَظَّارًا. وَأَتَشَنِي

عَنكَ عَيْنَ نَاقِبَةٍ، أَيْ خَبَرٍ يَقِينٍ. وَثَقِبَ الطَّائِرُ، إِذَا حَلَقَ

كَأَنَّهُ يَثَقَّبُ السَّكَاكُ. وَثَقِبَ الشَّيْبُ فِي اللَّحْيَةِ: أَخَذَ فِي

نَوَاحِيهَا.

ويقال: ثَقِبَ الشَّيْبُ، إِذَا وَخَطَهُ. وَهُوَ طَلَاعُ

الْمَنَاقِبِ، أَيْ الثَّنَايَا، الْوَاحِدُ مِثْقَبٌ، لِأَنَّهُ يَنْغِذُ فِي الْجِبَلِ،

فَكَأَنَّهُ يَنْثَقِبُ. وَمِنْهُ قِيلَ لَطَرِيقِ الْمَرَاةِ إِلَى مَكَّةَ: الْمِثْقَبُ،

يَقَالُ: سَلَكُوا الْمِثْقَبَ، أَيْ مَضَوْا إِلَى مَكَّةَ.

وَتَقَبَّ غُرُزُ النَّاقَةِ، وَنَاقَةُ ثَاقِبٍ. وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ

يَقَالُ: إِنَّ الْفَلَانَةَ لَثَقِيبٌ، وَهِيَ الْفَزِيرَةُ مُحَالِبٌ غَزَارِ الْإِبِلِ

فَتَنْزُرُوهِنَّ. وَقَدْ ثَقَّبَتْ ثَعَابَةً، أَيْ لِلزُّرِّ فِيهَا مَنَافِذُ، وَنَوَقَ

ثَقَبٌ، وَمِنْهُ: ثَقَبَ حُودَ الثَّرَجِ وَثَقِبَ، إِذَا جَرَى فِيهِ

الْمَاءُ، وَأَوْرَقَ. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٥)

الطُّوسِيُّ: الثَّاقِبُ الْمَضِي الْمُنِيرُ، وَتَقْوِبُهُ تَوْقُودُهُ

وَتَنُورُهُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: انْتَقَبَ نَارَكَ أَيْ اشْعَلَهَا حَتَّى

تَضِيءَ. وَثَقِبَ لِسَانُهَا بِخُرُوجِ الشَّعَاعِ مِنْهَا وَالثَّاقِبُ أَيْضًا

الْعَالِي الشَّدِيدُ الْعُلُوِّ، تَقُولُ الْعَرَبُ لِلطَّائِرِ إِذَا ارْتَفَعَ

ارْتِفَاعًا شَدِيدًا: قَدْ ثَقِبَ كُلَّهُ كَأَنَّهُ ثَقِبَ الْجَوَّ الْأَعْلَى.

(١٠: ٣٢٤)

نَحْوُ الطُّبْرِسِيِّ.

(٥: ٤٧٠)

الصَّغَانِيُّ: يَقَالُ: انْتَقَبَ نَارَكَ انْتِقَابًا، أَيْ أَوْقَدَهَا

مِثْلَ ثَقْبِهَا.

وَالثَّاقِبُ: التَّجَمُّدُ الَّذِي ارْتَفَعَ عَلَى النُّجُومِ، مِنْ قَوْلِ

الْعَرَبِ لِلطَّائِرِ إِذَا حَلَقَ بَطْنِ السَّمَاءِ: قَدْ ثَقِبَ. وَيُقَالُ:

حَسَبُ نَاقِبٍ، إِذَا وُصِفَ بِالِارْتِفَاعِ.

وَالثَّقِيبُ وَالثَّقِيبَةُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: الشَّدِيدُ

الْمُحْتَمِرُ، وَالْمَصْدَرُ: الثَّقَابَةُ، وَقَدْ ثَقِبَ يَثَقَّبُ.

وَطَرِيقُ الْعِرَاقِ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ - حَرْسُهَا اللَّهُ

تَعَالَى - يَقَالُ لَهُ: يَثَقَّبُ بِالْكَسْرِ.

وَالْمِثْقَبُ: الطَّرِيقُ الْعَظِيمُ، قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو، لَيْسَ

بِتَصْغِيفِ الْمِثْقَبِ بِالتَّوْنِ.

وَصِنَاعَةُ الثَّاقِبِ: ثَقَابَةُ بِالْكَسْرِ. (١: ٧٨)

الْقَوِيُّمِيُّ: ثَقَبَتْهُ ثَقْبًا، مِنْ بَابِ «قَتَلَ»: خَرَقَتْهُ

بِالْمِثْقَبِ بِكَسْرِ الْمِيمِ.

وَالثَّقْبُ: خَرَقٌ لَاعَمَقَ لَهُ، وَيُقَالُ: خَرَقَ نَازِلٌ فِي

الْأَرْضِ، وَالْجَمْعُ: ثَقُوبٌ، مِثْلُ فُلَسٍ وَفُلُوسٍ، وَالثَّقْبُ

قال اللسان: «مأثُشَل به النار من دِقاق العيدان، ويقال: هَبَّ لي ثُثُوبًا، أي حُرَاقًا، وهو مأثُثِبَت به النار، أي أوقدتها به».

واكتفى «التهديب» بذكر الثُّوب.

فما دامت كلمتا الثُّقاب أو الثُّبوب يشمل معناها دِقاق العيدان للإحرام، فلا داعي لذكر كلمة الثود. وقد أُيد استعمال «الثُّقاب» الَّذي يُجمع على «ثُثُوب» كُلٌّ من القاموس، والتاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، «بجاز»، والوسيط.

وأُيد استعمال «الثُّبوب»: الصحاح الَّذي قال: إِنَّهُ مأثُشَل به النار من دِقاق العيدان، والأساس «بجاز»، والفتار، والقاموس، والتاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن «بجاز»، والوسيط.

أما إذا أضرمنا النار بشيء آخر غير الثُّقاب، فلهيّا أن نقول: أضرمناها بقِدَاحة الغاز، أو قِدَاحة البزّين، أو جِرة من مَوْقِد، ومأثُشِبَه ذلك من أدوات الإيقاد. أما فضله فهو: ثَقَبَتِ النار ثُثُوبًا ثُثُوبًا: اتقدت.

الحُرَامة لا الثُّقابة

ويُحلفون على الآلة الّتي تُشبه الحُرَاز، وتُتخذ لِحُرَم الوُوق، اسم: الثُّقابة.

ولكن: جاء الجزء الثامن عشر من جملة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، في باب حُجرة المكتب، من فصل ألفاظ الحضارة، الّتي أقرّها مؤتمر المجمع، في جلسته العاشرة، بتاريخ (١٧) آذار (١٩٦٢)، في المادة رُسم (٢٥)، أن المؤتمر أطلق على تلك الآلة اسم: الحُرَامة.

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط،

مثال قُتِل لغة، والثُّقبة مثله، والمجمع: ثُغِب، مثل حُرُفة وغُرِف. قال المطرزي: وإنما يقال هذا فيما يعلّ وتصغر. (٨٢: ١)

الفيروز ابادي: الثُّغِب: الحَزَق السَّافِد، المجمع: أَثُغِبَ وَثُغُوب.

تَغِبَ وَتَغِبَ فَأَنْتَغِبَ وَتَغَبَّ وَتَغَبَّ.

والمِثْغِب: آتُهُ، وطريق بين السَّام والكوفة، وطريق العراق من الكوفة إلى مكة.

وكمحدث: لَغِبَ عَائِد بن عَصْن الشَّاعر، وكمثشد: الطَّرِيق العظيم.

وَنَثَبَتِ النار ثُثُوبًا: اتقدت، وَثَغِبَها هو تَغَيَّبَها وَأَثَغِبَها وَتَغَيَّبَها.

والتُّبوب كصُّوب وكتاب: مأثُثِبَها به، والكوكب: أضاء، والزَّائحة: سَطَعَتْ وهاجَتْ، والثَّاقَة: غُرُزَ لِبَها، ورأيه: نَقَذَ، وهو يثُغِب كينْبَر: نافذ الرّأي. وَأَثُوب: دَخَلَ في الأمور.

وَنَثَبَ الشَّيْب تَغَيَّبًا وَثَغَبَ فيه: ظَهَرَ.

والتَّغيب كأمير: الشَّدِيد الحُمْرة، تَغَبَّ ككُرْمٍ تَغَابَةً، والغزيرة اللَّبَن من الثَّوب كالنَّاقب.

وَنَثَبَ: قرية بالهامة، وابن فَرْوة الصَّحابي، أو هو كزَيْبَر.

والتَّجَم الثَّاقِب: المرتفع على التَّجَوم، أو اسم زُحَل. (٤٣: ١)

العدنانيّ: الثُّقاب أو الثُّبوب

ويقولون: أشعل فلان النار بمودِ ثُّقاب، والصواب: أشعلها بثُّقاب أو ثُثُوب، لأنَّ الثُّقاب أو الثُّبوب هما، كما

بِالْمِثْقَبِ، بل مطلق مفهوم الثَّقُودِ وَالتَّعَمُّقِ. (١٦: ٢)

عام (١٩٧٢)، ذُكِرَتْ فِيهِ الْحَرَامَةُ، دُونَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا
كَلِمَةٌ جَمْعِيَّةٌ.

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

النُّثْبُ وَالتُّثْبُ

ثَائِبٌ

إِلَّا مَنْ خَلِيفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ.

الصَّاقَاتُ: ١٠

مُجَاهِدٌ: أَي مَضِيٌّ.

مِثْلُهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ. (النَّحَّاسُ ٦: ١٣)

نَحْوُهُ الصَّخَاكُ (الْمَاوَزْدِيُّ ٥: ٣٩)، وَالزَّجَّاجُ (٤:

٢٩٩).

قَتَادَةُ: وَالثَّاقِبُ: الثَّاقِبُ بِضَوْنِهِ وَشِعَاعِهِ الْمُنِيرِ.

مِثْلُهُ الشَّدْيِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ. (ابْنُ عَطِيَّةٍ ٤: ٤٦٧)

الشَّدْيِيُّ: «شِهَابٌ ثَائِبٌ»: شِهَابٌ مَضِيٌّ يَمْرُقُهُ

حِينَ يُرْسِي بِهِ. (٣٩٨)

زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ: إِنَّهُ الْمُسْتَوْفَدُ مِنْ قَوْلِهِ: أَتُنْقِبُ

زَنْدَكَ، أَيِ اسْتَوْفَدَ نَارَكَ.

مِثْلُهُ الْأَخْفَشُ. (الْمَاوَزْدِيُّ ٥: ٣٩)

نَحْوُهُ الطَّبْرِيُّ. (٤١: ٢٣)

الْفَرَّاءُ: إِنَّهُ الْعَالِي. (الْمَاوَزْدِيُّ ٥: ٣٩)

أَبُو عُبَيْدَةَ: الثَّاقِبُ: الْبَيِّنُ الْمَضِيٌّ، يُقَالُ: أَتُنْقِبُ

نَارَكَ، وَحَسَبَ ثَائِبٌ، أَيِ كَثِيرٌ مَضِيٌّ مَشْهُورٌ. [٢٧

اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ] (١٦٧: ٢)

ابْنُ قُتَيْبَةَ: كَوْكَبٌ مَضِيٌّ، بَيِّنٌ، يُقَالُ: أَتُنْقِبُ نَارَكَ،

أَيِ أَجْنُفَهَا.

وَالثُّقُوبُ: مَا تُدْخَلُ بِهِ النَّارُ. (٣٦٩)

وَيُخْطَنُونَ مِنْ يَسْتِي الْمَرْزَى الثَّاقِبِ ثُنْبًا، وَيَقُولُونَ: إِنَّ
الصَّوَابَ هُوَ «النُّثْبُ» اعْتِدَادًا عَلَى مَا جَاءَ فِي التَّهْذِيبِ،
وَالصَّحَاحِ، وَالْأَسَاسِ، وَالتَّخَارِ، وَاللَّسَانِ، وَالْمَصْبَاحِ،
وَالْقَامُوسِ، وَالتَّاجِ، وَالْمَدِّ، وَمِحْيطِ الْمَحِيطِ، وَأَقْرَبُ
الْمَوَارِدِ، وَالْمَتَنِ، وَالْوَسِيطِ.

وَلَكِنْ: ذَكَرَ أَنَّ الثُّقْبَةَ وَاحِدَةُ الثُّقْبِ، وَأَنَّ الثُّقْبَ
جَمْعُ ثُقْبَةٍ، كُلٌّ مِنَ الصَّحَاحِ، وَالتَّخَارِ، وَاللَّسَانِ،
وَالْمَصْبَاحِ، وَالْمَدِّ، وَمِحْيطِ الْمَحِيطِ، وَالْمَتَنِ.

وَجَاءَ فِي الْمَصْبَاحِ: الثُّقْبُ وَالثُّقْبُ وَالثُّقْبَةُ بِمَعْنَى.

وَقَالَ الْمَتْنُ: الثُّقْبُ لُغَةٌ فِي الثُّقْبِ.

وَيُجْمَعُ الثُّقْبُ عَلَى: أَثْقَبُ وَتُثْقِبُ. (١٠٤)

مَحْمُودُ شَيْتٍ: الْمُثْقَبُ: الطَّرِيقُ الْعَظِيمُ الصَّالِحُ

لِلسَّيَّارَاتِ وَالْمَجَلَّاتِ غَيْرِ الْمُبْلُطِ.

الْمِثْقَبُ: آلَةُ الثُّقْبِ عِنْدَ أَرْيَابِ الْحَرْفِ مِنَ التَّجَارِينِ

وَالْمُحَادِّينِ وَنَحْوِهَا، فِي مَعَامِلِ الْجَيْشِ وَفِي وَحْدَاتِهِ.

(١٢٣: ١)

الْمُصْطَفَقِيُّ: الْأَصْلُ الْوَاحِدُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ: هُوَ

الدَّقَّةُ وَالتَّقُودُ وَالتَّعَمُّقُ. وَهَذَا الْمَعْنَى يَخْتَلِفُ بِالْمَوَارِدِ

وَالْمَصَادِقِ، فَالْثَّاقِبَةُ فِي الثَّوْرِ شِدَّةُ نَوَارِثِهِ، وَفِي النَّارِ

شِدَّةُ حَرَارَتِهَا، وَفِي الْعِلْمِ كِهَالُ التَّحْقِيقِ وَالدَّقَّةِ، وَفِي

السَّيْفِ حَدَّتُهُ فِي الْعَمَلِ، فَنِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ.

وَإِذَا كَانَتْ خُصُوصِيَّةُ هَذَا الْمَعْنَى مَحْفُوظَةً فَلَيْسَ

بِمَجَازٍ، وَلَيْسَ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْمَحْرَقُ الْمَحْسُوسُ

الطَّبَّاطِبَانِي : والثَّقُوب : الزُّكُوز. وسمي الشَّهاب
ثاقِبًا لِأَنَّهُ لَا يَطْغِي هدفه وغرضه. (١٧ : ١٢٤)
مكارم الصِّيرَازِي : وكلمة (ثاقِبٌ) تعني السَّافِد
والخارق، وفي بعض الأحيان يخترق العين نور شديد
ويشقها إثر نفوذه إلى داخلها، وهذه إشارة إلى أَنَّهُ يَنْقُبُ
كُلَّ شَيْءٍ يصيه ويمرقه. (١٤ : ٢٦٢)

الثَّاقِب

الْجَنَمُ الثَّاقِبُ. الطَّارِق : ٣
ابن عباس : المضيء الثاقف، وهو زُحَل يطرق
الليل وينس بالنهار.
هي الكواكب المضئية، وثقوبه، إذا أضاء.

(الطَّبَرِيُّ : ٣٠ : ١٤٢)
الَّذِي تَرْمِي بِهِ الشَّيَاطِينُ. (الْقُرْطُبِيُّ : ٢٠ : ٢)
مُجَاهِد : الَّذِي يَتَوَجَّعُ. (الطَّبَرِيُّ : ٣٠ : ١٤٢)
قَتَادَةُ : ثَقُوبُهُ : ضَوْؤُهُ. (الطَّبَرِيُّ : ٣٠ : ١٤٢)
ابن زَيْد : كانت العرب تسمي الثُّرَيَّا النجم،
ويقال : إِنَّ الثَّاقِب : النجم الَّذِي يقال له : زُحَل، والثَّاقِب
أيضًا : الَّذِي قد ارتفع على النجوم. والعرب تقول للطَّائِرِ
إذا هُوَ لحق بطن السماء ارتفاعًا : قد ثَقَّب. والعرب تقول :
أَثَقِب نارك، أي أضيئها. (الطَّبَرِيُّ : ٣٠ : ١٤٢)
مثله الفراء. (٣ : ٢٥٤)

محمد بن الحسن : هو زُحَل الكوكب الَّذِي في
السماء السابعة. (الْقُرْطُبِيُّ : ٢٠ : ١)
أَبُو هُبَيْرَةَ : المضيء. (٢ : ٢٩٤)
نحوه محمد جواد مَنَنِة (٧ : ٥٤٩)، والزَّجَّاج (٥ :

الْقُمِّي : أي مضيء، إذا أضاءهم نوا به. (٢ : ٢٢١)
الْثَمَانِي : إِنَّهُ الْمَاضِي. (الْمَاوُزِي : ٥ : ٣٩)
زيد الْوَاقِشِي : إِنَّهُ الَّذِي يَنْقُبُ. (الْمَاوُزِي : ٥ : ٣٩)
الطُّوسِي : ثاقِب : مضيء، كَأَنَّهُ يَنْقُبُ بضوئه،
يقال : أَثَقِب نارك. واستثبتت النار، إذا استوقدت
وأضاءت، ومنه قولهم : حَسَب ثاقِب، أي مضيء
شريف. [ثم استشهد بشعر]
(٨ : ٤٨٤)
نحوه الطُّوسِي. (٤ : ٤٣٧)
الرَّمْضَقُوسِي : الشَّدِيد الإضاءة. (٣ : ٣٣٧)
ابن عَطِيَّة : [قال بعد قول قَتَادَةَ :]
وحسب ثاقِب، إذا كان شيئًا منيرًا. (٤ : ٤٦٧)
الْفَخْرُالْوَازِي : سَمِيَ ثاقِبًا لِأَنَّهُ يَنْقُبُ بنوره الهواء.
(٢٦ : ١٢٤)
نحوه الْبَيْضاوي. (٢ : ٢٨٩)
النَّيسَابُورِي : مضيء أو ماض، فإذا قُدِّفوا احترقوا.
وقيل : تُصَيِّم آفة فلا يعودون.
وقيل : لا يمتثلون بالشَّهب بل يحس بذلك فلا يرجع،
ولهذا لا يمتنع غيره من ذلك.
وقيل : يصيهم مرَّةً ويسلمون مرَّةً، فصاروا في ذلك
كراكبي السفينة للتجارة. (٢٣ : ٤٤)
أَبُو حَيَّان : الثَّاقِب : الشَّدِيد التَّأَذُّد. (٧ : ٣٥٠)
الشَّرْبِينِي : أي مضيء قوي لا يئبطه، يقتله أو
يمرقه أو ينقبه أو يخبئه. (٣ : ٣٧١)
أَبُو الشَّعُود : مضيء في النِّجْم، كَأَنَّهُ يَنْقُبُ الجسودَ
بضوئه، يُرْجَم به الشَّيَاطِين إذا صدوا لاستراق السَّمْع،
فيقتلهم أو يمرقهم أو يخبئهم. (٥ : ٣٢١)

(٣١١).

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثَّقب، أي الخرق التافذ، والجمع: أثقب وثُقب، يقال: ثَقَبْتُ الشَّيْءَ أَثْقَبَهُ ثَقْبًا، وَثَقْبَتُهُ فَاتْتَقَبَ، وَتَثَقَّبْتُ تَثَقُّبًا، أَي خَرَقْتُهُ. وَدُرُّ مَثَقَبٍ: مَثْقُوبٌ، وَلَوْ لَوَاتٍ مَثَاقِبٍ. وَتَثَقَّبَ الْمَجْلِدُ: ثَقَبَهُ الْحَسَمُ، وَثَقَبَ عُودَ الرَّفَاجِ: مَظَرَّ فَلَانٌ عُودَهُ.

والتَّقاب: رَكَايَا تُحْفَرُ فِي بطن الأَرْضِ يَنْفِذُ بِعَظْمِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَالمِثْقَبُ: أَدَاةٌ يُثَقَّبُ بِهَا، وَالمِثْقَبُ أَيْضًا: طَرِيقُ الْعِرَاقِ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَلَعَلَّهُ تَصْغِيفُ «المِثْقَب»، وَكَانَ فِيهَا مَضَى بَيْنَ الْيَمَامَةِ وَالْكُوفَةِ.

ثُمَّ اسْتَعْمَلَ بِمَازًا فِي نَفْذِ نَوْرِ النِّجَمِ وَالتَّارِ وَغَيْرِهَا، يُقَالُ: ثَقَبَ الْكَوْكَبُ، أَي تَلَاكَ وَأَضَاءَ، وَنَهَابَ نَاقِبٌ: مَضَى، وَقَدْ ثَقَبَ يَثْقُبُ ثَقُوبًا وَثَقَابَةً.

وَتَثَقَّتِ التَّارُ تَثَقُّبًا ثَقُوبًا وَثَقَابَةً: اتَّعَدَتْ، وَأَتَقَبَّهَا أَنَا، إِنْقَابًا، وَتَثَقَّبَتْ تَثَقُّبًا، وَتَثَقَّبَتْ تَثَقُّبًا: أَوْقَدْتُهَا.

وَرَزْدٌ نَاقِبٌ: وَهُوَ الَّذِي إِذَا قُذِحَ ظَهَرَتْ نَارُهُ، مِنْهُ: ثَقَبَ الرَّزْدُ يَثْقُبُ ثَقُوبًا: سَقَطَتِ الشَّرَارَةُ.

والتَّقاب: كُلُّ مَا يَثْقُبُ بِهِ التَّارُ، أَي يُوقَدُ بِهِ مِنْ وَقَاقِ الْعِيدَانِ، وَهُوَ الثَّقُوبُ أَيْضًا، يُقَالُ: حَبَّ لِي تَثْقُوبًا، أَي حُرَاقًا.

وَتَجَبُ الشَّيْبُ وَثَقَبُ فِيهِ: ظَهَرَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: هُوَ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ. وَهُوَ تَشْبِيهُ بِيَاضِ الشَّعْرِ بِالنُّورِ، كَمَا يُقَالُ لِلصَّبْحِ: الشَّمِيطُ، لِاخْتِلَاطِ لَوْنِهِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالْيَاضِ، وَالشَّمِيطُ فِي الْأَصْلِ: كُلُّ لَوْنَيْنِ اخْتَلَطَا.

وَرَجُلٌ ثَقِيبٌ: شَدِيدُ الْحُمْرَةِ، وَقَدْ ثَقَبَ يَثْقُبُ ثَقَابَةً، وَامْرَأَةٌ ثَقِيبَةٌ أَيْضًا، وَهَذَا تَشْبِيهُ بِمُغْرَةِ النَّارِ.

الرَّزْمَخَشَرِيُّ: الْمَضِيءُ كَأَنَّهُ يَثْقُبُ الظُّلَامَ بِضُوئِهِ، فَيَنْفِذُ فِيهِ. (٤: ٢٤٠)

نَحْوُ الْبَيْضَاوِيِّ (٢: ٥٥٢)، وَكَالْكَاشَانِيِّ (٥: ٣١٣)، وَالتَّنْسِي (٤: ٢٤٧)، وَالطَّطَاوِيِّ (٢٥: ١١٣)، وَالْقَاسِمِيِّ (١٧: ٦١٢)، وَالْمَرَاغِيِّ (٣٠: ١١٠).

الْفَغْرُ الْوِزَائِي: إِنَّمَا وَصَفَ «النِّجَمَ» بِكَوْنِهِ شَاقِبًا لَوْجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَثْقُبُ الظُّلَامَ بِضُوئِهِ فَيَنْفِذُ فِيهِ، كَمَا قِيلَ: دَرَجِي لَأَنَّهُ يَدْرُوهُ، أَي يَدْفَعُهُ.

وَنَانِيهَا: أَنَّهُ يَطْلُعُ مِنَ الْمَشْرِقِ نَافِذًا فِي الْهَوَاءِ كَالشَّيْءِ الَّذِي يَثْقُبُ الشَّيْءَ.

وَنَالِيهَا: أَنَّهُ الَّذِي يَرْمِي بِهِ الشَّيْطَانُ فَيَثْقُبُهُ، أَي يَنْفِذُ فِيهِ وَيَحْرِقُهُ. (٣١: ١٢٧)

نَحْوُ النَّيْسَابُورِيِّ. (٣٠: ٦٩)

أَبُو السَّوْدُ: «النِّجْمُ الشَّاقِبُ» خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، وَالْجُمْلَةُ اسْتِنْفَافٌ وَقَعَ جَوَابًا عَنْ اسْتِفْهَامٍ نَشَأَ مِمَّا قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا هُوَ؟ فَقِيلَ: النِّجْمُ الْمَضِيءُ فِي الْغَايَةِ، كَأَنَّهُ يَثْقُبُ الظُّلَامَ أَوِ الْأَفْلاكَ بِضُوئِهِ وَيَنْفِذُ فِيهَا. (٥: ٢٥٤)

الْأَلُوسِيُّ: الثَّاقِبُ فِي الْأَصْلِ: الْخَاسِقُ، ثُمَّ صَارَ بِمَعْنَى الْمَضِيءِ لِتَصَوُّرِ أَنَّهُ يَثْقُبُ الظُّلَامَ، وَقَدْ يَخْصُصُ بِالنِّجْمِ وَالشَّهَبِ لِذَلِكَ، وَتَصَوُّرِ أَنَّهَا يَنْفِذُ ضَوْؤَهَا فِي الْأَفْلاكِ وَنَحْوِهَا. (٣٠: ٩٥)

نَحْوُ الطَّبَّاطِبَائِيِّ. (٢٠: ٢٥٨)

بلاحظ أَوْ: أَنَّ (الثَّاقِبَ) جاء وصفاً للنجم والسهاب - وهو نجم أيضاً - في آيتين مكيّتين، وكأنّه كان معروفاً في مكّة بذلك، أي أنّه نجم.

ثانياً: تكاد تتفق الأقوال على أنّه نجم مضى، ينفذ نوره في الآفاق، وبهذه المناسبة - أي لنفوذ نوره - وصف به (الثَّاقِب) لَا أَنَّ الثَّاقِبَ بمعنى المضى، وإن فُسر به في بعض النصوص.

ثالثاً: أَنَّ «السهاب الثَّاقِب» أيضاً بمعنى السحاب الذي ينفذ نوره في السماء، إلّا أَنَّ الفخر الرازي احتمل في «الْجَمُّ الثَّاقِبُ» وجهين آخرين:

١- أي يطلع من المشرق، فيرتفع وينفذ في جوّ السماء، كالشيء الذي يتّعب فيه.

٢- أي يُرمى به الشيطان فيدمغه، وينفذ فيه فيحرقه، وهذا ما احتمله بعضهم في «النجم الثَّاقِب» أيضاً.

وهناك وجه آخر في «الْجَمُّ الثَّاقِبُ» وهو الذي ارتفع في جوّ السماء حتّى صار فوق سائر النجوم، يقال: ثَقِبَ الطائر، أي ارتفع في جوف السماء، فقد أخذ فيه معنى الارتفاع.

وقال الطَّبَّاطبائي: «الثُّقُوب: الرُّكُوز، ويسمى السحاب به، لأنّه لا يخطئ هدفه وغرضه». فقد أخذ فيه معنى الإصابة، أمّا مكارم الشيرازي أخذ نفوذ نوره في العين لاني السماء.

والأخرب إلى الصواب عندنا أنّ وصف النجم - وكذلك السحاب - بالثَّاقِب وصف بحال متعلّقه وهو نوره، لثُّقُوب نوره في جوّ السماء، ولو صحت الوجوه

وحسب ثاقب: نيز متوقّد، وكذا علم ثاقب، أي متوقّد، ورجل ثاقب الرّأي: جَزَلٌ ونافذ، ومنه: أنتهي عنهم عينُ ثاقبة: خبر يقين وثابت، ورجل يتثبّ: نافذ الرّأي.

ورجلٌ أَنْقُوبٌ: دَخَالَ في الأمور. وَتَقَبَّتِ الزَّائِعَةُ: سطعت وهاجت، وهو من هذا الباب أيضاً، لأنّها تنفذ في الخياشيم.

وأما الثَّاقِب والثَّقيب من الإبل، أي الغريزة اللّين، فربّما هو من «ن ق ب»، إذ يقال منه: نافقة نقيّة، أي عظيمة الصّرع.

٢- وبين المادّتين «ث ق ب» و«ن ق ب» اشتقاق أكبر كما يبدو، فمن الثَّانية: الثَّقب والثَّقاب، وهو الطّريق في الغلط، كالثَّقب.

والثَّقية: نفاذ الرّأي، يقال: ما لهم نقيّة، كالثَّقاب، وكذا الثَّقاب، وهو العالم بالأُمور، كالثَّقب من الرّجال. والثَّقية من الثَّوق: المؤترة بضرعها عِظماً وحُسنًا، كالثَّقب والثَّقاب.

والثَّلبة: أوّل جرب يبدو، لأنّها - كما قال الأصمّي - تنقب الجلد، أي تحرقه.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها لفظ واحد مرّتين، وصفاً للسهاب والنجم:

١- ﴿...وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ إِلَّا مَنْ خَطِفَتِ الْخُفَّةَ فَآتَتْهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ الصّافات: ٩، ١٠

٢- ﴿وَمَا أَذْرِيكَ مَا الطَّارِقُ ۖ أَتَجْمُ الثَّاقِبُ﴾

الطّارق: ٢، ٣

الأخرى فإنما هي تفسير بلوازمه.

رأيًا: جاء في كلام بعضهم أن ﴿النَّجْمُ الْقَائِبُ﴾ هو كوكب «زُحَل»، ولادليل عليه سوى قول ابن عباس. ولا يصح هذا الوجه في «الشَّهَابِ الْقَائِبِ» قطعًا، لتمدد الشَّهْب في كلِّ مكان. وقد وصفت الكواكب في

الصَّافَّات (٦ - ١٠) بأنها تحفظ من كلِّ شيطانٍ ماردٍ في قوله: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرَبِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ، إلى أن قال: ﴿إِلَّا مَنْ حَقَّطَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ الْقَائِبُ﴾، لاحظ «النَّجْم» و«الشَّهَاب».

ث ق ف

٤ ألفاظ ، ٦ مرّات : في ٦ سور مدنيّة

سَيِّئِيهِ : السَّبَّ إِلَى تَقِيْفٍ : تَقِيْفٌ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

(ابن سيده ٦ : ٣٥٧)

ابن سُمَيْلٍ : خَلُّ تَقِيْفٍ : شَدِيدُ الْحُمُوزَةِ .

(الأزهري ٩ : ٨٣)

اللَّحْيَانِي : رَجُلٌ تَنَفَّ تَقَفٌ وَتَقِفٌ لَقِيفٌ وَتَقِيفٌ

لَقِيفٌ : بَيْنَ الثَّقَافَةِ وَاللِّقَافَةِ . (الأزهري ٩ : ٨٣)

ابن الأَهرَابِيِّ : خَلُّ تَقِيْفٍ بِالْتَشْدِيدِ ، أَيْ حَامِضٌ

بَدَلًا ، مِثَالُ قَوْلِكَ : بَصَلَ جَرِيْفٌ . (الجبوري ٤ : ١٣٣٤)

ابن السَّكَيْتِ : رَجُلٌ تَنَفَّ تَقَفٌ ، إِذَا كَانَ ضَاطِحًا لِمَا

يَحْوِيهِ ، قَانِشًا بِهِ . (الأزهري ٩ : ٨٣)

الدِّينَوْرِيُّ : الثَّقَافُ : خَشْبَةٌ قَوِيَّةٌ قَدَّرَ الدَّرَاعُ ، فِي

طَرَفِهَا خَرْقٌ يَتَسَعُّ لِلْفُوسِ ، وَتُدْخَلُ فِيهِ عَلَى شَحْوِيَّتِهَا

وَيُفْرَزُ مِنْهَا ، حَيْثُ يُبْنَى أَنْ يُفْرَزَ حَتَّى تَصِيرَ إِلَى مَا يَرَادُ مِنْهَا .

وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالْقِسِيِّ وَلَا بِالزَّمَامِ إِلَّا مَدْهُونَةً

تَمْلُؤُهُ ، أَوْ مَضْهُونَةً عَلَى النَّارِ مُلَوَّحَةً ، وَالْجَمْعُ : تَقْفٌ .

(ابن سيده ٦ : ٣٥٧)

تَقِفْتُمُوهُمْ : ٢ - ٢ يَتَقَفُّوْكُمْ : ١ - ١

تُقِفُوا : ٢ - ٢ تَقَفْتُمُوهُمْ : ١ - ١

التَّصْوَصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْحَلِيلُ : قَالَ أَصْرَابِي : إِنِّي لَنَتَفَّ تَقَفٌ : رَأَوْ رَامٌ

شَاعِرٌ .

وَتَقِفْتُ فَلَانًا فِي مَوْضِعٍ كَذَا ، أَيْ أَخَذْنَاهُ ثَقْفًا .

وَتَقِيْفٌ : حَيٌّ مِنْ قَيْسٍ .

وَخَلُّ تَقِيْفٍ قَدْ تَنَفَّ ثَقَافَةً ، وَيُقَالُ : خَلُّ تَقِيْفٍ عَلَى

قَوْلِهِ : خَزَدَكَ جَرِيْفٌ ، وَلَيْسَ بِحَسَنٍ .

وَالثَّقَافُ : حَدِيدَةٌ تَسْوَى بِهَا الزَّمَامُ وَنَحْوُهَا ،

وَالْعَدَدُ : أُنْتَفَةٌ ، وَجَمْعُهُ : تَقْفٌ .

وَالْتَقَفَ : مَصْدَرُ الثَّقَافَةِ ، وَفَعْلُهُ تَقِفٌ ، إِذَا لَزِمَ ، وَتَقِفْتُ

الَّتِي ، وَهُوَ سَرْعَةُ تَعَلُّمِهِ ، وَقَلْبٌ تَقَفٌ ، أَيْ سَرِيعٌ

التَّعَلَّمَ وَالتَّهَيَّأ . (١٣٨ : ٥)

نَحْوُهُ الصَّاجِبُ . (٣٨٢ : ٥)

وَتَقِيفٌ: أبوقبيلة من هوازن، واسمه قَسِيٌّ، والنسب إليه: تَقِيٌّ. (٤١: ١٣٣٤)

ابن فارس: التاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة دَرْءِ الشيء، ويقال: تَقِفْتُ القناة، إذا أَقَتَّ عَوجَها، [ثم استشهد بشعر]

وَتَقِفْتُ هذا الكلام من فلان ورجل تَقِفْتُ لَعْفُ، وذلك أن يعصب جِلْمٌ ما يسمعه على استواء.

ويقال: تَقِفْتُ به، إذا ظَفِرْتُ به. [ثم استشهد بشعر] فإن قيل: فما وجه قرب هذا من الأول؟ قيل له: أليس إذا تَقِفَ فقد أَتَسَكَه، وكذلك الظَّافِرُ بالشيء يسكه، فالقياس بأخذها مأخذاً واحداً. (١: ٢٨٢)

الهُزَوِيُّ: يقال: تَقِفْتُهُ أَشَقُّهُ تَقْفًا، أي وجَدْتُهُ. وَتَقِفْتُهُ يَدِي، أي صادَقْتُهُ، ومنه قوله: ﴿فَالَمَّا تَتَقَفْتُهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ الأنفال: ٥٧، أي تصادفتهم.

ورجل تَقِفٌ لَقِفٌ، إذا كان سريعاً مدركاً لَطِيفَةً، وَتَقِفٌ لَقِفٌ. (١: ٢٨٨)

ابن سيده: تَقَفَ الشَّيْءُ تَقْفًا، وَتَقَافًا، وَتَقُوفَةً: حَذَقَهُ.

ورجل تَقِفٌ وَتَقِفٌ: حاذق فهِمٌ، وَأَتْبَعُوهُ فَعَالُوا: تَقِفٌ لَقِفٌ. وقال أبو زياد: رجلٌ تَقِفٌ لَقِفٌ: رامٌ راوية.

وتَقِفٌ الحَكْلُ تَقَافَةً، وَتَقِفٌ، فهو تَقِيفٌ، وَتَقِيفٌ، الأخيرة على النسب: حذق وَحَمُضٌ جَدًّا.

وتَقِفُ الرَّجُلُ: ظَفِرَ به، وفي التنزيل: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ البقرة: ١٩١، والتَقَافُ، والتَقَافَةُ:

العمل بالسيف. [ثم استشهد بشعر]

والتَقَافُ: حديدة تكون مع القَوَاسِ والزَّمَاحِ يَتَوَمَّ

ابن دُرَيْدٍ: تَقِفْتُ الشيء: أَتَقَفْتُهُ تَقَافَةً وَتَقُوفَةً، إذا حَذَقْتَهُ، ومنه أخذت التَقَافَةَ بالسيف.

وتَقِيفٌ: أبوحي من العرب، وتَقِيفٌ: لقب واسمه قَسِيٌّ.

وَتَقِفْتُ الرَّجُلَ، إذا ظَفِرْتُ به، وفي التنزيل: ﴿فَالَمَّا تَتَقَفْتُهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ الأنفال: ٥٧. [ثم استشهد بشعر]

(٢: ٤٧)

الغَطَّابِيُّ: [وفي حديث الغار] «هو غلام شابٌ لَقِنٌ تَقِفٌ». يقال: رجلٌ لَقِنٌ، إذا كان حسن التَّلَقُّنِ لما يسمعه، وَتَقِفٌ إذا كان ذا فطنة وفهم. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: رجلٌ تَقِفٌ وامرأةٌ تَقَافٌ. ومنه قول أُمِّ حَكِيمَ بنت عبد المطلب: «إِنِّي لَحَصَانٌ فَا أَكَلِمُ، وَتَقَافٌ فَا أَعْلَمُ، وَكَلْتَانَا مِن بَنِي الْعَمِّ، ثُمَّ قَرِيشٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْلَمُ». (١: ٢٠٨)

نحوه الزَّحْمَشَرِيُّ. (الفائق ٣: ٣٢٥)

الجَوْهَرِيُّ: تَقِفُ الرَّجُلُ تَقْفًا وَتَقَافَةً، أي صار حاذقًا خفيًا فهو تَقِفٌ، مثال حَضَمٌ فهو حَضَمٌ، ومنه: المُلَاقَفَةُ.

والتَقَافُ: ما تُسَوَّى به الرِّمَاحُ. [ثم استشهد بشعر] وتَقِيفُها: تسويتها.

وَتَقِفْتُهُ تَقْفًا، مثال بَلَحْتُهُ بَلَحًا، أي صادَقْتُهُ. [ثم استشهد بشعر]

وَتَقِفٌ أَيضًا تَقْفًا، مثال تَيْبَ تَيْبًا: لغة في «تَقِفٌ» أي صار حاذقًا هَيِّئًا، فهو تَقِفٌ وَتَقِفٌ، مثال حَذِرٍ وَحَذِرٍ، وَتَدَسٍّ وَتَدَسٍّ.

بها الشيء المُرَجَّحُ. [إل أن قال:]

وتقيف: أبوحي من العرب، وقد يكون اسماً للقبيلة، والأول أكثر. أما قولهم: هذه تقيف، فعل إرادة الجبابة، وإنما قال ذلك: لعلبة التذكير عليه، وهو مما لا يقال فيه: «من بني فلان». وكذلك كل ما يقال فيه: «من بني فلان». التذكير فيه أغلب، كما تقدم في: مَعَدَّ، وقُرَيْش. (٣٥٦: ٦)

تَقِفَ الحديث يَتَقَفُهُ ضمه. وتَقِفَ كَفَرِح وكُرِمَ تَقَفًا وتَقَفًا وثَقَافَةً: صار حادًا خفيًا حَيَّنًا. ورجلٌ تَقِفٌ: حاذق بصناعته، وتَقِفٌ لَقِفٌ، وتَقِفٌ لَقِفٌ، وتَقِفٌ لَقِفٌ: سريع الفهم لما يُرْسَى إليه. وثاقفه فتَقَفَهُ: غالبه في الحديث فغلبه.

(الإفصاح ١: ١٤٧)
الطُّوسِيّ: تقول: تَقَفْتُهُ أَتَقَفُهُ تَقَفًا، إذا ظفرت به، ومنه قوله: «فَإِنَّمَا تَقَفْتُمُ فِي الْحَرْبِ» الأنفال: ٥٧.
وتَقِفَتِ الشيء ثقافة، إذا حَدَقَتْ، ومنه اشتقاق الثقافة بالسيف، وقد تَقِفَتِ ثقافة فهو ثقَفٌ.
والثقاف: حديدة تكون مع القَوَاسِ والرُّمَاح يَحْمِلُ بها الموحَج.

وتَقِفَتِ الشيء ثقفاً، إذا لَزِمَ، وهو ثقَفٌ، إذا كان سريع التعلم.
وتَقَفْتُهُ تَقِفًا، إذا قَوَّمْتُهُ، وأصل الباب: التثقيف: التثعيم.
نحوه الطُّبْرُسِيُّ.
يقال: تَقَفْتُهُ أَتَقَفُهُ ثقفاً فأنا ثقاف، ومنه سمي: تقيف.

ومنه المثاقفة، وهي طلب مصادفة العزّة في المسابقة^(١)، وما يجري مجراها من المصادفة بالنسب ونحوه. (٩: ٥٧٨)
الرُّثَابُ: الثُّقْبُ: الحِذْقُ في إدراك الشيء، وفِغْلُهُ، ومنه استعير المثاقفة. وَرُجْحٌ ثَقِفٌ، أي مَقُومٌ، وما يَنْقُفُ به الثَّقَاف.

ويقال: تَقِفْتُ كَذَا، إذا أدركته بصرك لحِذْقِي في النظر، ثم يَمْجُوزُ به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة. [ثم ذكر الآيات] (٧٩)
الرُّمَحُضَرِيُّ: ثَقِفُ القَنَاةِ. وعَضُّ بها الثَّقَاف. وطلباء فتَقَفَاءُ في مكان كذا، أي أدركناه.

وتَسَقِفَتِ العلم أو الصناعة في أَوْحَى سَدَّةٍ، إذا أسرعَتْ أخذه. وغلَامٌ تَقِفٌ لَقِفٌ، وتَقِفٌ لَقِفٌ، وقد تَقَفَ ثقافة.

وثاقفه مثاقفةً: لآعبه بالسلاح، وهي محاولة إصابة البيرة في المسابقة ونحوها.
وفلان من أهل المثاقفة وهو مُثَاقِفٌ: حسن الثقافة بالسيف بالكرس. ولقد تَتَاقَفُوا فكان فلان أنقَفَهُمْ. وخَلَّ تَقِفٌ وتَقِفٌ.

ومن الجاز: أدبُه وثَقَفُه. ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كُنْتُ شيئاً. وهل تَهْدَبُ وتَقِفُ إلا على يدك.
(أساس البلاغة: ٤٦)

الفَخْرُ الرَّازِيّ: الثَّقِفُ: وجوده على وجه الأخذ والعلبة، ومنه رجل تقيف: سريع الأخذ لأقرانه. [ثم

(١) الظاهر البزة في المسابقة، كما ذكره الرُّمَحُضَرِيُّ في «الأساس».

فَنَلَبَهُ فِي الْحَذَقِ. (١٢٥: ٣)

الطَّرِيحِي: فِي حَدِيثٍ عَلَى طَرِيحٍ: «أَمَّا لِيَسْلُطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ تَقِيْفٌ الذِّتَالِ الْمِثَالِ».

قال بعض الشَّارحين: غُلَامٌ تَقِيْفٌ، هُوَ الْحَبَّاجُ بِنِ يَوْسُفَ مِنَ الْأَحْلَافِ، قَوْمٌ مِنْ تَقِيْفٍ، وَالذِّتَالِ: طَوِيلُ الذَّيْلِ، يَسْبَحُهُ تَبَخْرًا، وَكُنِيَ بِهِ عَنِ الشُّكْرِ.

و«مَسْجِدٌ تَقِيْفٌ» أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْكُوفَةِ.

(٣٠: ٥)

محمود شيت: أ- نَاقَفَ الْجَنْدِيُّ خَصَنَهُ: جَالَدَهُ بِالسَّلَاحِ.

ب- التَّقَافَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ: الْعِلْمُ وَالْمَعَارِفُ الْعَسْكَرِيَّةُ.

ج- التَّقَافُ: آتَةٌ لِإِزَالَةِ ثَوْرِ السَّلَاحِ.

د- التَّقَافَةُ: تَدْرِيْبُ الْمَلَاعِبَةِ بِالسَّيْفِ فِي صَفِ الْحَيَاتِلَةِ، وَتَدْرِيْبُ الْحَرْبَةِ.

المُضْطَفُّوِي: وَالتَّحْقِيْقُ: أَنَّ الْأَحْسَلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ: هُوَ الدَّرْكُ الدَّقِيْقُ الْهَيْطُ بِأَنْ يَكُوْنَ الْمَوْضُوْعُ تَحْتَ النَّظَرِ مَعَ الْحَذَقِ.

وهذه الخصوصية منظورة في كلٍّ من معاني الأخذ والدَّرْكِ والتهمُّ والنظَرِ وإقامة الموجِّ وغيرها. [إلى أن قال:]

وَأَمَّا إِقَامَةُ الْوَجِّ فَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ النَّظَرِ الدَّقِيْقِ، وَمِنْ نَتَائِجِهِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَلَا مَعْنَى لِلتَّقَافَةِ وَالْحَذَقِ إِلَّا إِصْلَاحُ مَافَسَدٍ وَتَقْوِيمُ مَا لَعُوجٍ، إِذَا جُعِلَ تَحْتَ نَظَرِهِ وَأُدْرِكَ اعْوَجَاجُهُ.

(١٧: ٢)

استشهد بشر: (١٤١: ٥)

ابن الأثير: وفيه: «إِذَا مَلَكَ اثْنَا عَشَرَ مِنْ بَنِي عَمُرُو بْنِ كَسْبٍ كَانَ التَّقْفُ وَالتَّقَافُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» بِمَعْنَى الْخِصَامِ وَالْجِلَادِ.

الصَّغَانِي: خَلَّ تَقِيْفٌ، مِثَالُ أَلِيفٍ، أَيْ حَافِظٌ مِثْلُ تَقِيْفٍ عَلَى وَزْنِ سَكْبَرٍ.

وقد سَمَوْا تَقْفًا، بِالْفَتْحِ، وَشَقَافًا بِالْكَسْرِ. [ثمَّ

استشهد بشر: (٤٤٠: ٤)]

الْفَيْلِيُّ: تَقِفْتُ السَّيَّءَ تَقْفًا مِنْ بَابِ «تَجِبُ»: أَخَذْتَهُ، وَتَقِفْتُ الرَّجُلَ فِي الْحَرْبِ: أَدْرَكْتُهُ، وَتَقِفْتُهُ ظَهَرْتُ بِهِ، وَتَقِفْتُ الْحَدِيثَ: فَهِمْتُهُ بِسُرْعَةٍ. وَالْفَاعِلُ: تَقِيْفٌ، وَهُوَ سَمِيَّ حَيٍّ مِنَ الْإِنْسِ، وَالتَّسْبِيَةُ إِلَيْهِ تَقْفِيٌّ بِفَتْحَتَيْنِ.

وَتَقَفْتُهُ بِالتَّقِيلِ: أَقْبْتُ الْمُؤَجَّ مِنْهُ. (٨٢: ١) الْغَيْرُوزُ أَبَادِيٌّ: تَقِفْتُ كَرَمٌ وَفَرَحْتُ تَقْفًا وَتَقْفًا وَتَقَافَةً: صَارَ حَادِثًا خَفِيًّا فَعِيًّا فَهُوَ تَقِفْتُ كَعَبْرٍ وَكَيْتِبٍ، وَأَمِيرٌ وَنَدَسٌ وَسَكَيْتٌ.

وكأَمِيرٍ: أَبُو قَيْلَةَ مِنْ هَوَازِنَ وَاسِمُهُ قَسِيٌّ بِنُ مُنْجَبَةٍ بِنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، وَهُوَ تَقْفِيٌّ عَمْرُكَةٌ.

وَحَلَّ تَقِيْفٌ كَأَمِيرٍ وَسَكَيْنٍ: حَامِضٌ جَدًّا.

وَتَقَفَهُ كَسِمَتُهُ: صَادَفَهُ أَوْ أَخَذَهُ أَوْ ظَلَمَ بِهِ أَوْ أَدْرَكَهُ.

وَامْرَأَةٌ تَقَافٌ كَسَحَابٍ: فَطِنَةٌ.

وَكِتَابٌ: الْخِصَامُ وَالْجِلَادُ، وَمَأْسُوءٌ بِهِ الزَّمَاخُ، وَمِنْ أَشْكَالِ الزَّمَلِ، أَوْ هُوَ تَقَبُّ بِالْبَاءِ.

وَأَقْبَفْتُهُ، أَيْ قَبَضْتُ لِي.

وَتَقَفَهُ تَقِيْفًا: سَوَّاهُ، وَنَاقَفَهُ فَتَقَفَهُ كَنَصَرَهُ: غَالَبَهُ

النصوص التفسيرية

تَقْتُلُوهُمْ

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ
أَخْرَجْتُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ... البقرة: ١٩١
ابن عباس: وجدتموه في الحِلِّ والحَرَمِ. (٢٦٦)
نحوه الزَّجَّاج (١: ٢٦٣)، والطَّيْرَسِي (١: ٢٨٦)،
وابن الجوزي (١: ١٩٨)، والكاشاني (١: ٢٠٩)، وشعر
(١: ١٩٥)، والقاسمي (٣: ٤٧٥).

مقاتل: أي حيث أدركتموه في الحِلِّ والحَرَمِ،
صارت هذه الآية منسوخة بقوله: «وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» البقرة: ١٩١.

نحوه البغوي. (١: ٢٣٧)
الطَّيْرَسِي: اقتلوه في أي مكان تمكثتم من قتلهم
وأبصرتم مقاتلهم. (٢: ١٩١)

الماوردي: يعني حيث ظفرت بهم. (١: ٢٥١)
الواحدي: حيث وجدتموه وأخذتموه، يقال:
تَقْتُلُ فُلَانًا في موضع كذا، أي أخذناه. (١: ٢٩٢)

نحوه الزَّخَّزَخِيُّ (١: ٣٤٢)، والنسفي (١: ٩٨).
ابن عطية: مناه أحسبتم غلبهم، ولقيتموه
قادرين عليهم. (١: ٢٦٢)

القرطبي: [نحو ابن عطية وأضاف]:
وفي هذا دليل على قتل الأسير. (٢: ٣٥١)
البيضاوي: حيث وجدتموه في حِلٍّ أو حَرَمٍ.
وأصل التَّفَقُّ: الخدق في إدراك الشيء علشا كان أو
عملا، فهو يتضمن معنى الغلبة، ولذلك استعمل فيها.

[ثم استشهد بشر]

(١: ١٥٥)

مثله أبو السعود (١: ٢٤٧)، والآلوسي. (٢: ٧٥).

نحوه البروسوي. (١: ٣٠٦)

أبو عتيان: ضمير المفعول عائد على «الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ» البقرة: ١٩٠، وهذا أمر بقتلهم، و«حَيْثُ
تَقْتُلُوهُمْ» عام في كل مكان حِلٍّ أو حَرَمٍ، ويلزم منه
صوم الأزمان في شهر الحرام وفي غيره.

ولي «المنتخب» أمر في الآية الأولى بالجهاد بشرط
إقدام الكفار على المقاتلة، وفي هذه الآية زاد في التكليف
فأمر بالجهاد معهم سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، واستثنى منه
المقاتلة عند المسجد الحرام، انتهى.

وليس كما قال: «إنه زاد في التكليف فأمر بالجهاد
سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا» لأن الضمير عائد على «الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ»، فالوصف باقي، إذ المعنى: واقتلوا الذين
يقاتلونكم حيث تقبضوهم. فليس أمرا بالجهاد سواء
قاتلوا أم لم يقاتلوا. (٢: ٦٦)

الشَّريبي: أي وجدتموه في حِلٍّ أو حَرَمٍ. وقرأ
أبو عمرو بإدغام التاء في التاء بخلاف عنه حيث جاء.

(١: ١٢٧)

رشيد رضا: أي إذا نشب القتال فاقتلوه أينما
أدركتموه وحاصدتموه، ولا يصدتكم عنهم أنكم في
أرض الحرام، إلا ما يستثنى في الآية بشرطه. (٢: ٢٠٩)
نحوه المرآغي. (٢: ٨٩)

محمد جواد مغنيث: أي اقتلوا الكافرين في أي
زمان أو مكان كانوا إلا في المسجد الحرام، فإن القتال فيه
محرم إلا أن يبتدئوا به. (١: ٢٩٨)

الطَّبَاطِبَانِي: [نقل قول الزَّاعِب - وقد مرَّ في النصوص اللُّغَوِيَّة - ثم قال:]
وفسره غيره بالطَّفر، ولعله بمسوة مناسبة المقام،
والمعنيان متقاربان.

والآية مسوقة لبيان أنه لا يفهم الإسرار بالمودة
للمشركين، في جلب محبتهم ورفع عداوتهم شيئاً، وأنَّ
المشركين على الرِّغم من إلقاء المودة إليهم إن يُدركوهم
ويظفروا بهم يكونوا لهم أعداء، من دون أن يتغير مالي
قلوبهم من العداوة. (١٩: ٢٢٨)

تَفَقَّطْتَهُمْ

فَإِنَّمَا تَفَقَّطْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ عَنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ. الأنفال: ٥٧
ابن عباس: تأسرتهم.
الكَلِمِي: أي أسرتهم في الحرب.

(الواحد: ٢: ٤٦٧)
نحوه الفراء.
مقاتيل: إن أدركتهم في القتال وأسرتهم.
(الواحد: ٢: ٤٦٧)
أبو عبيدة: مجازة مجاز فإن تفقَّطتهم. (١: ٢٤٨)
الطَّبَرِي: فَإِنَّمَا تَلَقَّيْنِ فِي الْحَرْبِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
عَاهَدْتُمْ، فَنَفَضُوا عَهْدَكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ قِرْطَظَةٍ
فَتَأَسَّرْتَهُمْ. (١٠: ٢٥)

نحوه الزَّجَّاج.
المسعودي: فيه وجهان: أحدهما: تصادهم
والثاني: تظفر بهم. (٢: ٣٢٧)

الطَّبَاطِبَانِي: يقال: تَفَقَّطَ تَفَافَةً، أي وجد
وأدرك، فعنى الآية معنى قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ التوبة: ٥.
[وبهذا المعنى جاء في سورة النساء: (٩١)]

يَتَفَقَّطُوكُمْ

إِنْ يَتَفَقَّطُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا.

المتحنة: ٢
الزَّجَّاج: معنى (يَتَفَقَّطُوكُمْ): يلقوكم. (٥: ١٥٦)
الطُّوسِي: معناه إن يصادفوكم هؤلاء الكفار الذين
تُسرون إليهم بالمودة. (٩: ٥٧٨)
نحوه الميمني (١٠: ٦٩)، والطَّبَرِي (٥: ٢٧٠)،
والقرطبي (١٨: ٥٤)، ومحمد جواد مغنيتي (٧: ٢٩٩)،
ومحمد حسين فضل الله (٢٢: ١٤٦).

البغوي: يظفروا بكم ويروكم. (٥: ٧٠)
نحوه الزَّمَخْشَرِي (٤: ٩٠)، وابن الجوزي (٧: ٢٣٣)،
والفخر الرازي (٢٩: ٢٩٩)، والبيضاوي (٢٤: ٤٦٩)،
والسبكي (٤: ٢٦١)، وأبو السعود (٥: ١٥٦)،
والبروسوي (٩: ٤٧٥)، وشبَّر (٦: ١٩٧)، والاكوسي (٢٨: ٦٨)،
والقاسمي (١٦: ٥٧٥٩)، والمراغي (٢٨: ٦٣).

ابن عطية: أي إن يتمكنوا منكم وتحصلوا في
ثقافتهم.
نحوه ابن كثير. (٥: ٢٩٤)
(٦: ٦٢٤)

اللغة ما تشد به الفتاة ونحوها. [ثم استشهد بشعر]

(٥٤٢: ٢)

رشيد رضا: [نقل قول الزاغب ثم قال:]

وقال غيره: هو يدل على إدراكهم مع التمكن منهم، والظهور عليهم. وفيه إيذان بأنهم سيحاربونه ﷺ، لأن نقض العهد يكون بالحرب أو بما يقتضيها ويستلزمها، وذلك من أنباء الغيب، إذ كان قبل وقوعه عقب غزوة بدر، والمعنى فإن تُدرك هؤلاء التافضين لسهدهم وتصادفهم في الحرب ظاهرًا عليهم. (٥٠: ١٠)

الطباطبائي: أصله: إن تتفهم، دخل «ما» للتأكيد على «إن» الشرطية ليصح دخول نون التأكيد على الشرط، والكلام موق للتأكيد في ضمن الشرط.

(١١٣: ٩)

تُفْقُوا

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُخَفُّوا إِلَّا يَحِثُّلُ مِنْ اللَّهِ...

آل عمران: ١١٢

ابن عباس: وجدوا لا يقدرُونَ أن يقوموا مع المؤمنين. (٥٤)

نحوه الطوسي (٢: ٥٦٠)، والواحدي (١: ٤٨٠)، والبخاري (١: ٤٩٦)، والمبدي (٢: ٢٤٧)، والطبرسي (١: ٤٨٨)، والحازن (١: ٣٤٠)، والقرطبي (٤: ١٧٤)، والآلوسي (٤: ٢٨).

الحسن: أدركتهم هذه الأمة. (ابن الجوزي: ١: ٤٤٤)

ابن عطية: معناه أخذوا وهم بحال المذنب المستحق

نحوه الزمخشري (٢: ١٦٤)، والطبرسي (٢: ٥٥٣)،

والبيضاوي (١: ٣٩٩)، والنسفي (٢: ١٠٩)،

وأبوحيان (٤: ٥٠٩)، والشربيني (١: ٥٧٧)،

وأبو السعود (٣: ١٠٨)، والبروسوي (٣: ٣٦٢)، وشبر

(٣: ٣٦)، والآلوسي (١٠: ٢٢)، والقاسمي (٨: ٣٠٢١)،

والمراغي (١٠: ٢١).

الطوسي: معنى «تَفْقَنَ» تُصادفَن وتلقين.

ودخلت نون التأكيد لما دخلت (ما)، ولو لم تدخله لما حسن دخول النون، لأن دخول (ما) كدخول القسم في أنه علامة تؤذن أنه من مواضع التأكيد المطلوب من التصديق، لأن النون، تدخل لتأكيد المطلوب فيها يدل على الطلب، وهي في ستة مواضع: الأمر والنهي والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع (ما).

(١٦٨: ٥)

المبدي: أي تظفر بهم وتعبدهم. (٤: ٦٨)

ابن عطية: دخلت النون مع (إثا) تأكيدًا، ولضرب بينها وبين «إثا» التي هي حرف انفصال، في قولك: جاء في إثا زيد وإثا عمرو.

و«تَفْقَنَهُمْ» معناه وتعلمهم في ثقافتهم، أو تلقاهم بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتعلمهم، وهذا لازم من اللفظ لقوله: «في الحَرْبِ».

وقيل: تَفَقَّ: أخذ بسرعة، ومن ذلك قولهم: رجل تَفَقَّ لَفًا.

وقال بعض الناس: معناه تصادفتهم، إلى نحو هذا من الأحوال التي لا ترتبط في المعنى. وذلك أن المصادف يُعَلَّب فيمكن التشريد به، وقد لا يُعَلَّب. والثَّاقَف في

﴿فَشَرُّهُمْ مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ من ورائهم. (٢٠٦)

الإهلاك، ومنه: ﴿فَمَا تَنْفَقْتُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ الأنفال: ٥٧.

﴿عَاقِبَتُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ التوبة: ٥.

واللفظ مأخوذة من الثقاف. [ثم استشهد بشعر]

(١: ٤٩١)

ابن الجوزي: معناه أدركوا ووجدوا، وذلك أنهم

أين نزلوا احتاجوا إلى عهد من أهل المكان، وأداء

جزية. (١: ٤٤١)

نحوه الفخر الرازي (٨: ١٩٦)، والبيضاوي (١: ١٧٧).

والنسبي (١: ١٧٦)، وأبو حيان (٣: ٣١)،

والشربيني (١: ٢٤٠)، وأبو السعد (١: ٢٦٢)،

والبروسوي (٢: ٧٩)، والطباطبائي (٣: ٣٨٣).

وبهذا المعنى جاء (تَقِفُوا) في سورة الأحزاب: ٦١.

الوجوه والنظائر

الدماغاني: (تَقِفُوا) على ثلاثة أوجه: ووجدوا،

غلبوا أسروا.

فوجه منها: (تَقِفُوا) يعني ووجدوا، قوله: ﴿ضُرِبَتْ

عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَشَاءُوا﴾ آل عمران: ١١٢، جعلت

عليهم الجزية أينما ووجدوا، لا يقدرون أن يقوموا مع

المؤمنين ﴿لَا يَحِلُّ مِنَ اللَّهِ الْإِيمَانُ﴾ كقوله: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ

حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ البقرة: ١٩١.

والوجه الثاني: ﴿إِنْ يَفْقَهُوكُمْ﴾ أي يغلبوا عليكم،

كقوله: ﴿إِنْ يَفْقَهُوكُمْ﴾ إن يغلبوا عليكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ

أَعْدَاءُ﴾ في التتل. المستحقة: ٢.

والوجه الثالث: ﴿تَقِفْ﴾ أي أسر، قوله: ﴿فَمَا تَأْتِي

تَفَقَّطْتُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ الأنفال: ٥٧، يعني بني قريظة،

الأصول الغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثقاف، وهو حديدة يقوم

بها القواس والزجاج اعوجاج الأشياء فيلزمها الغلبة على

تلك الأشياء وإسكانها، والمجمع: أُنْقِفَ وتُقِف. وفي

المثل: «دردب لما عضه الشفاف»، أي ذل واستكان،

يضرب لمن يتمتع بما يريده منه، ثم يذل وينقاد لمن غلبه.

والثقف: الطفر والغلبة، يقال: تَقِفْنَا غَلَاتًا تَقِفًا في

موضع كذا، أي أخذناه وأمسكناه من حيث خفي وفقد.

والثقافة: الملاعبة والمساواة بالسيف للخلبة صل

الآخر، يقال: نَاقَهَ مَنَاقَةً وثَقَافًا وثِقَافَةً.

والثقافة: الحذى والفطنة للإحاطة بالأشياء

ومعرفتها، يقال: تَقِفَ الرَّجُلُ يَتَقَفُ تَقْفًا وثِقَافَةً، وتَقِفَ

يَتَقَفُ تَقْفًا، أي صار حاذقًا فَيُنَاقِ في معرفة الأشياء، فهو

تَقِفٌ وَثَقِفٌ، ويقال على الإتيان: رجل ثَقِفٌ لَثَقِفٌ،

وَتَقِفٌ لَقِفٌ، وتَقِفٌ لَقِفٌ بَيْنَ الثَّقَافَةِ وَاللِّقَافَةِ.

وَتَقِفَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ يَتَقَفُ تَقْفًا وثَقَافًا وتَعْرِفُهُ:

حَذَقَهُ، يقال: رجل تَقِفٌ، وامرأة ثَقَافٌ.

ثم استعمل «الثقافة» في حوضة الخل على التوسع،

يقال: تَقِفَ الخلَّ وتَقِفٌ، أي حَذَقَ وَحَمَصَ جدًا فهو

تَقِفٌ وَثَقِفٌ.

٢- واكتسبت الثقافة في هذا العصر معنى أوسع، إذ

صمت كل فعل أو وصف لأفعال الإنسان، سواء كان ذا

حذق وفطنة أم لا. فالثقافة عند الفرس مثلًا الآن هي

أسلوب الحياة السائد في المجتمع، وعند العرب هي الإلمام

بالنبيء والغلبة عليه حساً - وهو الأصل فيها - دون الإحاطة بالنبيء فهما وإدراكاً، وهو فرع من الأول تشبيهاً للمعقول بالمحسوس توسلاً وتجاوزاً.

ثانياً: أنها جاءت في جميعها في سياق الظفر والغلبة على العدو في الحرب، وقد فسروها بها، فهل هذا مأخوذ في أصل المعنى لغة، أو أنه عرف قرآني اختير بدلاً من الظفر والغلبة ونحوهما؟ لما فيه من السدنة والصلابة والاستيعاب للعدو الذي يفر ويحس عن المؤمنين، فيه راحة من التقفد لما فقد.

ثالثاً: جاءت ثلاث منها في شأن المشركين، وهي (١) و(٥) و(٦)، ونسب في اثنتين منها الفعل إلى المؤمنين، وهما (١) و(٦)، وفي واحدة - وهي (٥) - إلى المشركين (لَنْ يَنْفِقُوهُمْ) رمزاً إلى أنهم يرصدون المؤمنين حتى يدهوهم. وجاءت اثنتان في شأن المنافقين، وهما (٢) و(٤)، وواحدة في شأن أهل الكتاب وهم اليهود، وهي (٣)، لاحظ سياق الآيات.

رابعاً: جاء الفعل ماضياً مجهولاً تسميياً وتأكيدياً في (٣) و(٤)، فجاء في (٣) في شأن اليهود «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَسَ مَاتِقُوا»، وفي (٤) في شأن المنافقين «مَاتِقُونَ أَيَسَ مَاتِقُوا أُجْدُوا وَقُتِلُوا تَغْيِيلاً». وفيه إشارة إلى التجانس الروحي غدرًا وحيلة بين اليهود والمنافقين، إلا أن بين الفريقين تفاوتاً، فاليهود «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَسَ مَاتِقُوا»، والمنافقون «أَيَسَ مَاتِقُوا أُجْدُوا وَقُتِلُوا تَغْيِيلاً». «فَخَذُوا وَقُتِلُوا» حيث تَقَفُّوهُمْ، وقال في آية أخرى: «وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» النساء: ٨٩ وجاء فيها «حَيْثُ

بالعلم وتذوقها.

وقد أنشئت مؤسسات تُترجم هذين المفهومين للثقافة: السلوك الإنساني، والمعنى الوصفي أو التسمي، ومنها «اليونكو»، وهو لفظ يرمز إلى الاسم الكامل لهذه المؤسسة المالية، أي «المظنمة المالية للتربية والثقافة والعلوم».

الاستعمال القرآني

جاء فيها فعل مجرد ماضياً ٤ مرّات، ومضارعاً

مرتين:

- ١- «وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ...» البقرة: ١٩١
- ٢- «...وَسَلُّوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخَذُوا وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا» النساء: ٩١
- ٣- «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَسَ مَاتِقُوا إِلَّا يَحْتَلِ مِنْ اللَّهِ وَحِيلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَخُضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ...» آل عمران: ١١٢
- ٤- «مَاتِقُونَ أَيَسَ مَاتِقُوا أُجْدُوا وَقُتِلُوا تَغْيِيلاً» الأحزاب: ٦١
- ٥- «لَنْ يَنْفِقُوهُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَتَبْطُلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْیَسْتُمْ بِالسَّوءِ وَرَدًّا لَوْ تَكْفُرُونَ»

المتحنة: ٢

- ٦- «فَمَا تَتَفَقَّهُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّ بِهِمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» الأنفال: ٥٧

يلاحظ أولاً: أنها جاءت دائماً بمعنى الإحاطة

وَجَذِّقُوهُمْ» بدل «أَيِّنْ عَاتِقُوا»، وهذا شاهد على ما تقدّم من وجود راحة من التّفَقّد في مفهوم «تَقَفَ». خامساً: الآيات كلّها مدنيّة، وهي في سياق الحرب، فالمدينة كانت دار الجهاد والقتال والدّعوة ممّا، ومكّة كانت دار الدّعوة فقط، فهل اختصاصها بالمدينة من أجل ذلك، أو أنّها كانت لغة أهل المدينة، ولم يعرفها أهل مكّة؟ وجهان.

سادساً: غلب على هذه المادّة المعنى المحقول في العصر الزّاهن، بماله من السّعة والسّمول، فالثّقافة الآن

- كما سبق - تعني المعرفة والعلم والمدنيّة، ولم تأت بهذا المعنى في القرآن بثباتاً. ومن المعلوم أنّ الثّقافة بهذا المعنى كفاح ضدّ الجهل والأميّة والتّخلّف. قد فتح بابه الإسلام بقتل الجاهلين: دعاة الجهل والتّخلّف حينما تقفوا، فألّ المعنيين شيء واحد، ونتيجتهما إزالة الجهل وتكريم العلم. بيد أنّ القرآن أبى أن يجمع الضّدين: الحرب والجهالة، والعلم والمعرفة في لفظ واحد وتعبير منفرد، فيختلط المعروف بالمتكر، والتّسعة بالتّقمة، والبلاء بالولاء.

ثقل

١٤ لفظاً، ٢٨ مرة: ١٩ مَكِّيَّة، ٩ مدنيَّة
في ١٩ سورة: ١٣ مَكِّيَّة ٦ مدنيَّة

وَمُنْقَلَبُ النَّحْيِ: ميزانه من مثله.	أَنْقَلَبَهَا ١: ١	نُقِلَتْ ٤: ٤
وَالنُّقْلَةُ: نَسْخَةٌ غَالِبَةٌ.	أَنْقَلَبَهُمْ ٢: ٢	نُقِلَ ١: ١
وَأَنْقَلَبَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُنْقَلِبٌ. قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا	أَنْقَلَبْنَاكُمْ ١: ١	يُنْقَلَبُ ٣: ٥-٨
أَنْقَلَبْتُ...﴾ الْأَعْرَافُ: ١٨٩.	أَنْقَلَبْتُ ١: ١	النُّقْلَانِ ١: ١
وَالْمُنْقَلَبُ: الَّذِي حُمِّلَ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:	مُنْقَلَبَةٌ ١: ١	يُنْقَلَبُ ١: ٢
﴿وَإِنْ تَدْعُ مُنْقَلَبَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا...﴾ فَاطِرُ: ١٨، أَيْ	مُنْقَلَبُونَ ٢: ٢	النُّقَالِ ١: ١
هِيَ حَامِلَةٌ أَوْزَارٍ وَخَطَايَا، وَهُوَ اسْمٌ يَسْتَعْمَلُ بِالتَّأْنِيثِ	إِنَّا قُلْنَا ١: ١	أَنْقَلَبْنَا ١: ١
لَيْسَتْ لِلْمَرْأَةِ خَاصَّةٌ، وَلَكِنَّهُ يُحْمَلُ عَلَى النَّفْسِ، وَيُجَرَّى		
بُجَرَى التَّمَتِ.		

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

وَأَنْقَلَبَ الْمَرَضُ، وَأَسْقَطَهُ التَّوَمُ.	الْخَلِيلُ: ثَقُلَ يَثْقُلُ فَهُوَ ثَقِيلٌ.
وَالْمُنْقَلَبُ: الْبَطِيءُ مِنَ الدَّوَابِّ.	وَالثَّقْلُ: رَجُلَانِ الثَّقِيلِ.
وَالْمُسْتَقْبَلُ: الثَّقِيلُ مِنَ النَّاسِ.	وَالثَّقْلُ: مَتَاعُ الْمَسَافِرِ وَخَشْمُهُ، وَجَمْعُهُ: أَنْقَالٌ.
وَالتَّاقُلُ مِنَ التَّبَاطُؤِ، وَالتَّعَاهُلُ فِي الرِّوْطِ، يُقَالُ:	وَالْأَنْقَالُ: الْأَتَامُ.
لَأَطَايَةِ وَطْءِ الْمُتَشَاغِلِ. (١٣٦: ٥)	وَأَمْرَةٌ تَقَالُ، أَيْ ذَاتُ مَا يَمُوتُ وَتَقُوتُ.
الْكَسَافِيُّ: الثَّقِيلَةُ: أَنْقَالُ الْقَوْمِ، بِكَسْرِ الْقَافِ	وَالْمُنْقَالُ: وَزْنٌ مَعْلُومٌ قَدْرُهُ.

وفتح الثاء. وقد تُخَفَّفُ فيقال: التَّفَلَّةُ.

والثقله: ما وجد الإنسان من ثقل الطعام.

(الأزهري ٩: ٨٠)

ويقال: وجدت ثقله في جسدي، أي ثقلاً وفثوراً.

(الجوهري ٤: ١٦٤٧)

الأصمعي: يقال: أعطيه ثقله، أي وزنه.

(الأزهري ٩: ٨١)

دينار ناقل، إذا كان لا ينقص، ودنانير ثواقل.

وقولهم: ألقي عليه ثناقيله، أي مؤنثته وثقله.

(ابن منظور ١١: ٨٧)

ابن الأعرابي: الثقل عند العرب: كل شيء مصون

يبرز على أهله، والأصل فيه: بيض الثمام المصون. [تم]

(المخططي ٢: ١٩٢)

أبو نصر الباهلي: يقال: أصبح فلان ثاقلاً، أي

أنقله المرض. [تم استشهد بشعر] (الأزهري ٩: ٨١)

ابن السكيت: والثقال: الثقلة الزينة. (٣٢٩)

يقال: هذا شيء ثقل، وهذه امرأة ثقال، وهذا

شيء رزين، وهذه امرأة رزان، أي رزينة في مجلسها.

(الأزهري ٩: ٨٠)

ثقلب: روي عن النبي ﷺ أنه قال في مرضه الذي

مات فيه: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي،

ولن يفترقا حتى يردا عليّ المحوض». سُمِّيَا ثقلين، لأنَّ

الأخذ بهما ثقل، والعمل بهما ثقل.

وأصل الثقل: أن العرب تقول لكل شيء نفيس

مصون: ثقل، وأصله في بيض الثمام المصون. [تم]

(الأزهري ٩: ٧٨)

[استشهد بشعر]

الزجاج: وثقل الإنسان في نفسه، إذا زَوَّنَ، وأنقلتْ

الشيء: زدته فيه.

ابن دُرَيْد: الثقل: ضد الخِفِّ. والثقل: مناع القوم

وما حملوه على دوابهم، والجمع: أنقال.

وكذلك فسر في التزويل: «وَحَمِيلُ أَثْقَالِكُمْ إِلَى

بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْفَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْسُ» النحل: ٧.

والثقل: ضد الخفيف.

ومثال كل شيء: ما وازى وزنه.

وتناقل القوم، إذا لم ينهضوا النجدة إذا استنهضوها.

(٤٨: ٢)

ابن الأنباري: الثقلان: الجن والإنس، قيل لها:

الثقلان، لأنهما كالثقل للأرض وعليها.

والثقل، بمعنى الثقل، وجمعها: أنقال. وبجرامها

يجرى قول العرب: مثل ومثل، وشبه وشبه، ونجس

ونجس. (الأزهري ٩: ٧٩)

الأزهري: روي عن النبي ﷺ [وذكر حديث

الثقلين ثم قال:]

فسر النبي ﷺ الثقلين، فجعلها كتاب الله جلّ

وعزّ وعترته ﷺ. وقد فسرت العترة فيما تقدم، وهم

جماعة عشيرته الأذنون.

ويقال للسيد العزيز: ثقل، من هذا.

وسمى الله جلّ وعزّ الجن والإنس الثقلين، فقال:

«سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ» الرحمن: ٣١.

سميَا «ثقلين» لتفضيل الله إياهما على سائر الحيوان

الخلق في الأرض، بالتمييز والعقل الذي خصّ به.

وكانت العرب تقول: الفارس الشجاع يثقل على

والمقال: واحد مثاقيل الذهب. (١: ١٦٤٧)

نحوه الزاوي. (٩٩)

ابن فارس: «نقل» الشاء والقاف واللام أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة، وهو ضد الحقة، ولذلك سمي الجن والإنس الثقلين، لكثرة العدد.

وأنقال الأرض: كنوزها، في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزال: ٢. ويقال: هي أجساد بني آدم. قال الله تعالى: ﴿وَنَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ النحل: ٧. أي أجسادكم. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: ارتحل القوم بثقلهم^(١)، أي بأمتعتهم، وأجد في نفسي ثقلة^(٢).

كذا يقولون من طريقة الفرق، والقياس واحد.

(١: ٢٨٢)

ابن سيده: الثقل: نقيض الحقة. ثقل ثقلًا، وثقاله، فهو ثقل، والجمع: ثقال.

والثقل: رجحان الثقل.

والثقل: الميل الثقل، والجمع: أثقال. [إلى أن قال:] والثقل: الذنب.

وثقل الشيء: جعله ثقلًا.

وأثقله: حمله ثقلًا، وفي التنزيل: ﴿فَهُمْ مِنْ غُفْرٍ مُثْقَلُونَ﴾ الطور: ٤٠.

واستثقله: رآه ثقلًا.

وأثقلت المرأة: ثقلت واستبان حملها، وفي التنزيل:

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبُّهَا﴾ الأعراف: ١٨٩.

الأرض، فإذا ثقل أو مات سقط به عنها ثقل. [ثم]

استشهد بشعر]

ويقال: ثقلت الشاة وأنا أنقلها ثقلًا، إذا رجعتهما لترؤسهما.

الصاحب: الثقل مصدر الثقل، ثقل الشيء يثقل ثقلًا وثقلته: رزته ودينار ثاقل [ثم قال نحو الخليل إلى أن قال:]

والثقة: أثقال القوم بالكسر، واحتمل القوم بثقلتهم.

والثقة: ما تجده من الثقل على فؤادك.

والثقلة: الحجر من الرخام.

وثاقل: اسم بلد. (٥: ٣٨٠)

البحروري: الثقل: واحد الأثقال، مثل جنلي وأحمال، ومنه قولهم: أعطه ثقله، أي وزنه.

والثقل: ضد الحقة، تقول منه: ثقل الشيء ثقلًا، مثل صغر صغرًا، فهو ثقل.

والثقل بالتحريك: متاع المسافر وحشمه.

والثقلان: الإنس والجن.

وثيلة القوم، بكسر القاف: أثناعلم.

يقال: احتمل القوم بثقلتهم، أي بأمتعتهم كلها.

ونقل الشيء الشيء في الوزن يثقله ثقلًا.

وثقلت الشاة أيضًا، أي وزنتها، وذلك إذا رجعتهما لتتربصا ما يثقلها من خفتها.

وامرأة ثقال بالفتح، أي وزان ذات ما يحم وكفل.

والثقل: ضد التخفيف، وقد أثقله الحمل.

وأثقلت المرأة فهي مثقل، أي ثقل حملها في بطنها.

(١) يقال: بالتحريك وبالكسر وبالفتح.

(٢) يقال: بالفتح وبالتحريك.

وامرأة ثَقِيل، بغير هاء: ثَقُلْتُ من حملها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّلْنَا عَلَيْهِ قَوْلًا نَجِيلاً﴾

المرْثَل: ٥، قيل: معنى الثَقِيل: ما يُعْتَرَضُ عليه فيه من

العمل، لأنه ثَقِيل، وقيل: إنما كَفِيَ به عن رصانة القول

وجودته. [تم استشهد بشعر]

ويُقَالُ الشَّيْءُ: مَا أَدْنَى وَزَنِّهِ، فَثَقُلَ ثِقْلُهُ.

والثَّقَلَةُ: رُحَامَةٌ يُثْقَلُ بِهَا الْبَاسَاطُ.

وامرأة ثَقَال: يكفأل.

وَيُقَالُ: رَزَانٌ، عَلَى التَّفْرِقَةِ، فَرَّقُوا بَيْنَ مَا يُحْتَمَلُ وَبَيْنَ

مَا تُقَالُ فِي جَمَلِهِ فَلَمْ يَخَفْ، وَكَذَلِكَ: الرَّجُلُ.

ويقال: فِيهِ ثِقْلٌ، وَهُوَ نَاقِلٌ. [تم استشهد بشعر]

وقد يكون هذا على النسب، أَي ذُو ثِقَلٍ. [تم

استشهد بشعر]

وَنُقِلَ الشَّيْءُ بِيَدِهِ ثَقْلًا: رَازَ ثِقْلَهُ.

وتناقل عنه: ثَقُلَ، وَفِي التَّخْزِيلِ: ﴿أَنَّا قُلْنَا لِمَنْ إِلَى

الْأَرْضِ﴾ التوبة: ٣٨، وعداه به إلى، لَأَنَّ فِيهِ مَعْنَى:

يَلْتَمِسُ.

وحكى النضر بن شَيْبَلٍ: نُقِلَ إِلَى الْأَرْضِ: أَخْلَدَ

إِلَيْهَا وَاطْمَأَنَّ فِيهَا، فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ صَحَّ تَحَدَّى

﴿أَنَّا قُلْنَا﴾، بغير تأويل يخرج عن بابه.

وتناقل القوم: اسْتَبْطَضُوا لِنَجْدَةٍ فَلَمْ يَنْتَهِزُوا إِلَيْهَا.

وارتعل القوم بَثْقَلَتِهِمْ، وَثَقُلَتِهِمْ، وَثَقَلَتِهِمْ، وَثَقَلَتِهِمْ،

أَي بِأَتْقَاهُمْ.

وَنُقِلَ الرَّجُلُ ثَقْلًا، فَهُوَ ثَقِيلٌ، وَنَاقِلٌ: اشْتَدَّ مَرَضُهُ.

[تم استشهد بشعر]

وقد أنقله المرض والنوم.

وَالْمُسْتَقِلُّ: الَّذِي أَنْقَلَهُ النَّوْمُ، وَهُوَ الثَّقَلَةُ.

وَنُقِلَ التَّرَفُّجُ، وَالثَّاهِمُ، وَالضَّمَّةُ: أَذْبَى وَتَرَوْتُ

عيدانه.

وَنُقِلَ حِمْمُهُ: ذَهَبَ بَعْضُهُ، فَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ قِيلَ:

وُقِرَ.

وَالثَّقَلَانِ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَفِي التَّخْزِيلِ: ﴿سَتَقَرُّوْا

لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ الرَّحْمَنُ: ٣١، وَقَالَ: (لَكُمْ) لِأَنَّ

الثَّقَلَيْنِ، وَإِنْ كَانَ بِلَفْظِ التَّشْبِيهِ فَعَنَاءُ الْجَمْعِ. [تم استشهد

بشعر]

الطُّوسِيُّ: وَأَصْلُ الْمُتَقَالِ: الثَّقُلُ، فَالْمُتَقَالُ: مَقْدَارُ

الشَّيْءِ فِي الثَّقُلِ، وَالثَّقُلُ: مَا تُثْقَلُ مِنْ مَتَاعِ السَّفَرِ.

وَالْمُثْقَلُ: الَّذِي أَنْقَلَهُ الْمَرَضُ. وَالثَّقِيلُ: الْبَطِيءُ فِي

عمله.

نَحْوُ الطُّبْرِسِيِّ.

وَالثَّقَالُ: جَمْعُ ثَقِيلٍ، وَالثَّقِيلُ: مَا فِيهِ الْإِعْجَادُ الْكَثِيرُ

سَفَلًا.

وقال قوم: هو ما تجمع أجزاؤه كالذهب والمهجر،

وقد يكون بكثرة ما حمل كالسحاب الذي يُثْقَلُ بِالْمَاءِ.

(٤: ٤٦٦)

وَالثَّاقِلُ: تَمَاطِييْ إِظْهَارِ ثِقَلِ النَّفْسِ، وَمِثْلُهُ التَّثَابُطُ،

وَضَدُّهُ التَّسْرُّعُ.

(٥: ٢٥٥)

نَحْوُ الطُّبْرِسِيِّ.

وَالْمُثْقَلُ: الْمُحْمَلُ لِلثَّقَلِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مُشَقَّةٌ عَلَى النَّفْسِ،

كَالْمُشَقَّةِ بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ عَلَى الظَّهْرِ: يُقَالُ: هُوَ مُثْقَلٌ

بِالَّذِينَ وَمُثْقَلٌ بِالْعِيَالِ، وَمُثْقَلٌ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ

(١٠: ٨٩)

الْأَزْمَةِ، وَالْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ.

الرَّمَحْصَرِيّ: ثَقُلَ الشَّيْءُ ثَقُلًا وَثَقُلَ الْحِثْلُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَأَثْقَلَهُ الْحِثْلُ، وَرَجُلٌ مُثْقَلٌ: حَمَلَ فَوْقَ طَاقَتِهِ. وَحَمَلَتِ الذَّائِبَةُ ثِقْلَهَا، وَالذَّوَابُ أَثْقَالُهَا، أَيْ أَحْمَالُهَا. وَلِفُلَانٍ ثَقْلٌ كَثِيرٌ، أَيْ مَتَاعٌ وَحْشَمٌ. وَارْتَحَلُوا بِثِقَلِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَثَقَلَتْهُمْ، بِكَسْرِ الْقَافِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَبْعُوثًا إِلَى الثَّقَلَيْنِ. وَأَثْقَلْتُ الْحَامِلَ، وَامْرَأَةً مُثْقِلًا. وَتَنَاقَلَ عَنِ الْأَمْرِ، وَأَنَاقَلَ إِلَى الدُّنْيَا: أَخْلَدَ إِلَيْهَا. وَوُوطُهُ وَطَأَةُ الْمُتَنَاقِلِ، وَهُوَ الْمُتَحَامِلُ عَلَى الشَّيْءِ بِوُوطِهِ. وَثَقُلْتُ الشَّيْءَ أَثْقَلَهُ، إِذَا رَزَقْتَهُ.

وَدِينَارٌ ثَاقِلٌ: رَاجِعٌ. وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ أَثْقَلُ مِنَ الْأُخْرَى. وَمِنَ الْجَبَازِ: ثَقُلَ سَمْعِي، وَثَقُلَ عَلَيَّ كَلَامُكَ، وَأَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَى جِلْسَانِكَ، وَمَانَتْ إِلَّا ثَقِيلَ الظَّلِّ بَارِدَ النَّسِيمِ، وَأَنْتَ وَاللَّهُ مِنَ الثَّقَلَاءِ، وَأَنْتَ مُسْتَقِيلٌ: يَسْتَقِيلُكَ النَّاسُ، وَأَثْقَلَهُ الْمَرَضُ، وَمَرِضٌ ثَاقِلٌ. [تَمْ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ] وَوَجَدْتُ ثَقْلَةً فِي جَسَدِي، وَوَحَاتًا فِي عِظَامِي. وَأَخَذْتَنِي ثَقْلَةٌ وَهِيَ الثَّمَنَةُ الْغَالِيَةُ، وَاسْتَقِيلَ فِي نَوْمِهِ، وَهُوَ مُسْتَقِيلٌ كَالْمَيْتِ. «وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» الزَّلْزَالُ: ٢، أَيْ مَافِي جِطْنَاهَا مِنْ كُنُوزٍ وَأَمْوَاتٍ. وَقَدْ اسْتَعَارَ الثَّقْلَ لِلْبَيْضِ. [تَمْ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ] وَيَقُولُ الْعَالِمُ لِفُلَانَةٍ: هَاتِي ثَقْلِي، يَرِيدُ كِتَابَهُ وَأَقْلَامَهُ، وَلِكُلِّ صَاحِبِ صِنَاعَةٍ ثَقْلٌ. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٦) التَّيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خَلَّفْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعَرَقِي»

الثَّقْلُ: الْمَتَاعُ الْمَحْمُولُ عَلَى الذَّائِبَةِ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْعَرَقِ

نَحْوَهُ الطُّبْرَسِيُّ. الثَّرَاجِبُ: الثَّقَلُ وَالْحَقَّةُ مُتَقَابِلَانِ، فَكُلُّ مَا يَتَرَجَّحُ عَلَى مَا يُوْزَنُ بِهِ أَوْ يَدَّرُ بِهِ يُقَالُ: هُوَ ثَقِيلٌ. وَأَصْلُهُ فِي الْأَجْسَامِ، ثُمَّ يُقَالُ فِي الْعَاقِبِ، نَحْوُ: أَثْقَلَهُ الْغُرْمُ وَالْوِزْرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَأَمْ تَنْسَوْنَ أَنْجَزُوا فَهَمْ مِنْ شَعْرَةٍ مُثْقَلُونَ» الْقَلَمُ: ٤٦. وَالثَّقِيلُ فِي الْإِنْسَانِ يَسْتَعْمَلُ تَارَةً فِي الدَّمِّ وَهُوَ أَكْثَرُ فِي التَّمَارِفِ، وَتَارَةً فِي الْمَدَحِ. [تَمْ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ] وَيُقَالُ: فِي أَذُنِهِ ثَقْلٌ، إِذَا لَمْ يَبْذُ سَمْعُهُ، كَمَا يُقَالُ: فِي أَذُنِهِ حَقَّةٌ، إِذَا جَادَ سَمْعُهُ، كَأَنَّهُ يَحْتَلُّ عَنْ قَبُولِ مَا يُقَالُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ يُقَالُ: ثَقُلَ الْقَوْلُ، إِذَا لَمْ يَطِبْ سَمْعُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: «ثَقُلْتُ فِي السُّحُوبَاتِ وَالْأَرْضِ» الْأَحْزَابُ: ١٨٧. وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: عَلَى سَبِيلِ الْمُضَافَةِ، وَهُوَ أَنْ لَا يُقَالُ لَشَيْءٍ: ثَقِيلٌ أَوْ خَفِيفٌ إِلَّا بِاعْتِبَارِهِ بِغَيْرِهِ، وَلِهَذَا يُصَحُّ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ أَنْ يُقَالَ: خَفِيفٌ إِذَا اعْتَبِرَتْ بِهِ مَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ، وَثَقِيلٌ إِذَا اعْتَبِرَتْ بِهِ مَا هُوَ أَخَفُّ مِنْهُ.

وَالثَّانِي: أَنْ يُسْتَعْمَلَ «الثَّقِيلُ» فِي الْأَجْسَامِ الْمَرْجُوعَةِ إِلَى أَسْفَلِ كَالْحَجَرِ وَالْمَدَرِ، وَالْخَفِيفُ» يُقَالُ فِي الْأَجْسَامِ الْمَائِلَةِ إِلَى الصُّعُودِ كَالثَّارِ وَالذَّخَانِ، وَمِنْ هَذَا «الثَّقَلُ» قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَنَاقَلْنَاهُ إِلَى الْأَرْضِ» التَّوْبَةُ: ٢٨. (٧٩) «لَكُمَا مَانِيَّ»: الْمُتَقَالُ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ شَعِيرَةً، وَفِي الْإِخْتِيَارِ: الْمُتَقَالُ عَشْرُونَ قِيرَاطًا.

(الرَّبِيدِيُّ: ٧: ٣٤٥)

الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل. [ثم استشهد
بأشعار] (٥٢٥: ٥)

المَدِينِي: في حديث ابن عباس: «بعتي رسول
الله ﷺ في الثقل من جمع بليل»

الثقل: متاع المسافر، والجسم: أُنْقَالَ. واحتملوا
بثقلتهم: أي عياهم، وكل شيء كان لهم. (٢٦٨: ١)
ابن الأثير: وفيه: «لا يدخل النار من في قلبه
متقال ذرة من إيمان».

المتقال في الأصل: مقدار من الوزن، أي شيء كان
من قليل أو كثير، فعني متقال ذرة: وزن ذرة. والناس
يطلقونه في العرف على الدينار خاصة، وليس كذلك.
(٢١٧: ١)

عبد اللطيف البغدادي: المتقال عند العرب:
وزن الشيء، وليس هو مقصوراً على وزن معين، فيطلق
إذاً على صنعة الآلف وصنعة الحبة. أقول: هذا أيضاً
عام قد خصص الاستعمال. (ذيل فصح ثعلب: ٨)
الفَيَّومِي: ثقل الشيء بالضم. ثَقُلَ وزانٌ «جَبَّ»
ويسكن للتخفيف، فهو ثَقِيل. والثقل: المتاع، والجمع
أُنْقَالَ، مثل سبب وأسباب.

والثقلان: الجَنِّ والإِنْس.
وأثقله الشيء بالأنف: أجهدّه.

والمتقال: وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم، وكل
سبعة مثاقيل عشرة دراهم. قال الفارابي: ومتقال
الشيء: ميزانه من مثله.

ويقال: أطله ثَقْلَهُ وزان جمل، أي وزنه. (٨٣)
الفيروز ابادي: الثقل كجَبَّ ضد الخفة. ثَقُلَ

والإنس: الثقلان، لأنهما قُطَّان الأرض، فكأتهما
أثقلها. وقد شبه بهما الكتاب والمتر في أن الذين
يستلح بهما ويعمرهما عمرت الدنيا بالثقلين.

(الفائق: ١: ١٧٠)

الطَّبْرَسِي: والثقل: صبرة عن الاعتماد اللازم
تَفَلًّا، وتقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم عَلَوًّا.

(٣٩٧: ٢)

الثقل: متاع البيت، وجمعه: أُنْقَالَ، وهو من «الثقل»،
يقال: ارتحل القوم بثقلهم وثقلتهم، أي بأمتعتهم. [ثم
ذكر حديث الثقلين وقول ثعلب فيه وأضاف:]

وقال غيره: إن العرب تقول لكل شيء خطير نفيس:
ثقل، فسبأها ثقلين تغميضاً لثأنها.

وكل شيء يتنافس فيه فهو ثقل، ومنه سمي الجن
والإنس ثقلين، لأنهما قُضِلَا على غيرها من الخلق.

(٢٧٥: ٤)

الثقلان: أصله من «الثقل» وكل شيء له وزن وقدر
فهو ثقل، ومنه قيل لبياض الثعالب: ثقل. [ثم استشهد
بشعر]

وإنما سميت الإنس والجن ثقلين لعظم خطرهما
وجسالة شأنهما، بالإضافة إلى ما في الأرض من
الحيوانات، ولثقل وزنها بالعقل والتمييز. [ثم ذكر
حديث الثقلين المتقدم]

والأُنْقَالَ: جمع الثقل، وسمى سبحانه الموتى أُنْقَالَ
تشبيهاً بالمثل الذي يكون في البطن، لأن المثل سمي
ثَقْلًا كما قال سبحانه: «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» الأعراف:
١٨٩. وتقول العرب: إن للسيد الشجاع ثَقْلًا على

ككْرُم يُثْقَلُ وَثِقَالَةً، فهو ثَقِيلٌ وَثِقَالٌ كَسَحَابٍ وَغُرَابٍ،
جمعه: ثِقَالٌ وَثَقُلَ بِالضَّمِّ.

وَالثَّقْلُ حِمْرَةٌ: متاع المسافر وحشيشه، وكلّ شيء
نفيس مُصُون، ومنه الحديث: «إِنِّي تارك فيكم الثَّقَلَيْنِ:
كتاب الله وعترتي».

وَالثَّقْلَانِ: الإِنْسُ والجَنّ. وَالثَّقَالُ: كَسَوْرُ الأَرْضِ
وموتاهَا وَالدُّنُوبُ والأَحْمَالُ الثَّقِيلَةُ، واحدة الكَلٌّ: يُثْقَلُ
بِالْكَسْرِ.

وَنَثْلُهُ ثَقِيلًا: جعله ثَقِيلًا، وَأَثْقَلَهُ: حمّله ثَقِيلًا.
وَأَثْقَلْتُ وَنَثَلْتُ كَكْرُمَ فِيهِ مُثْقِلٌ: اشتبان حَمَلًا.
وَالْمَثْقَلَةُ كَمِطْمَعة: رُخامة يُثْقَلُ بِهَا البِساطُ.
وَمِثْقَالُ الشَّيْءِ: ميزانه من مثله، وواحد مِثْقَالِ
الذَّهَبِ.

وَامْرَأَةٌ ثَقَالٌ كَسَحَابٍ: يكفّال أو رَزَان.
وَمِيعَرٌ ثَقَالٌ: جليء.
وَنَثْلُ الشَّيْءِ يَبِيدُهُ ثَقْلًا: راز يُثْقَلُهُ.
وَتَنَاقَلُ عَنْهُ: ثَقُلَ وَتَبَاطَأَ، والقَوْمُ: لم يَنْهَضُوا لِلتَّجْدَةِ،
وقد اسْتَنْهَضُوا لَهَا.

وَارْتَحَلُوا بِثَقْلَتِهِمْ حِمْرَةً وَبِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ، وَكَيْفِيَّةُ
وَفَرِيحَةٍ، أَي بَأَثْقَالِهِمْ وَأَمِيتَتِهِمْ كُلَّهَا.
وَالثَّقَلَةُ بِالْفَتْحِ وَبِحِرْكَ مَا يُوْجَدُ فِي الْبُحُوفِ مِنْ يَثْقُلُ
الطَّعَامُ. وَبِالْفَتْحِ: نَصَةُ تَمْلِكُ.

وَتَقِيلُ كَفَرِحٍ فهو ثَقِيلٌ وَثِقَالٌ: اشتدَّ مَرَضُهُ، وقد
أَثْقَلَهُ الْمَرَضُ وَالثَّوْمُ وَالثَّلْؤُومُ فهو مُسْتَثْقَلٌ.
وَيُقَالُ النَّاسُ وَثَقُلُوا هُمْ: من تَكَرَّرَ صَحْبَتُهُ.
وَيُقَالُ الْفَرَجُ وَالثَّهَامُ كَكْرُمٍ: تَرَوَّتْ عِيدَانُهُ، وَسَمُّهُ:

ذَهَبٌ بَعْضُهُ.

وَالثَّقْلُ بِالْكَسْرِ: موضع.

وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ مَنَاقِيلُهُ: مَوْتُهُ.

وَدِينَارٌ ثَقَالٌ: كامل، ودنانيرٌ ثَوَاقِلُ. وَثَقَالٌ: بلدة.

وَأَصْبَحَ ثَقْفًا، أَي أَثْقَلَ الْمَرَضُ. (٣: ٣٥٣)

الطَّرِيحِيُّ: [ثمّ ذكر حديث الثَّقَلَيْنِ وقول تغلب
فيه وأضاف:]

وقيل: من الثَّقْلِ بِالضَّمِّ: متاع المسافر.

وَالثَّقْلُ الْأَكْبَرُ: يراد به الكتاب.

وَالثَّقْلُ الْأَصْغَرُ: المِيزَانُ.

وفي الحديث: «ثَقُلَ اللهُ مِيزَانَهُ» بِالْقَافِ مُشَدَّدَةً، أَي
كَثُرَ حَسَنَاتُهُ الَّتِي يَحْصِلُ بِسَبَبِهَا يَثْقُلُ الْمِيزَانُ.

وقد ورد وصف المِيزَانِ بِالْحَقِّقَةِ وَالثَّقَلِ فِي الْكِتَابِ
وَالسُّنَنِ؛ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى الْوِزْنِ الْحَقِيقِيِّ بِأَنَّهُ تَجَسَّمُ
الْأَحْصَالُ ثُمَّ تُوزَنُ، وَذَلِكَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ،
وَخُرُوجُ عَمَلِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْقَبْرِ - كما ورد في الحديث -
دَالٌّ عَلَى ذَلِكَ.

وفي حديث النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثَقْلًا
وهؤلاء - يعني عليًا وفاطمة والحسن والحسين - أهل
بيتي وَثَقْلِي».

وَالثَّقْلُ بِالْكَسْرِ: ضدُّ الْحَقِّقَةِ، يُقَالُ ثَقُلَ الشَّيْءُ.
وَالضَّمُّ ثَقْلًا، وَزَانٌ «عِنَبٌ» وَيَسْكُنُ لِلتَّخْفِيفِ، فهو ثَقِيلٌ.
وَالْمِثْقَالُ: واحد مِثْقَالِ الذَّهَبِ، وَالمِثْقَالُ الشَّرْعِيُّ
على ما هو المشهور والمَوْءَلُ عليه في الْحُكْمِ، عبارة عن
عشرين قِيرَاطًا.

وَالْقِيرَاطُ: ثلاث حَبَاتٍ من شعير، كُلُّ حَبَّةٍ عبارة

عن ثلاث حبات من الأرز.

ومعناها الأحمال الثقيلة، وقد يراد بها الذنوب، لأنها

شديدة الوطأة على المذنبين.

٦- الثَّقَلان: الجن والإنس، لأنها كالحملين على

الأرض، أو ليظمن شأنهما.

٧- أصل المتقال: ما يُوزن به، وذلك اسم لكلِّ سنج،

ويُطلق ويراد به المقدار. (١: ١٦٩)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٩٦)

محمود شيت: أ- أناقل: تباطأ عن الحرب.

ب- الثَّقَل: وزن الحمل. والأمتال: ماتحملة الثقلية

في الجيش.

ج- الثَّقَل: متاع العسكريين.

د- المتقال: وزن معين.

هـ- الثَّقالة: حديدة في رأس حبل تنظيف البندقية

والسلاح. (١: ١٢٦)

المُضْطَفَّوِي: والتحقيق أَنَّ المعنى الحقيقي في هذه

المادة واحدة، وهو خلاف الحقة وهذا المعنى مفهوم كلي

شامل لما يُثَقَّل من جهة الوزن الظاهري، أو من جهة

المعنى، ولما يُثَقَّل في نفسه عرفاً، أو بالنسبة إلى شخص،

فإنَّ وزن خمس كيلو وات ثقل بالنسبة إلى قوة طفل،

وهكذا المطالب العلية فهي ثقيلة بالنسبة إلى الأفراد

المتوسطة، فلا يقدرون أن يحملوها.

فهذا المعنى منظور في موارد استعمالها: فالتأق إذا كان

ثقيلاً من جهة المعنى والقيمة والأهمية يُطلق عليه:

الثَّقَل، وبهذا اللحاظ إطلاق الثقلين على الجن والإنس،

لكونها عظيمين ومهيمنين في عالم المادة خَلَقًا وَخُلُقًا

ومزلة.

فيكون بحبِّ الشَّعِير عبارة عن ستين حبة، وبالأرز

عبارة عن مئة وثمانين حبة.

فالمتقال الشَّرعي يكون على هذا الحساب: عبارة

عن الذهب الصَّني، كما صرح به ابن الأثير؛ حيث قال:

المتقال يطلق في العرف على الدينار خاصة،

والذهب الصَّني عبارة عن ثلاثة أرباع المتقال الصَّيرفي.

عرف بذلك بالاعتبار الصحيح.

ومنه يُعرف ضبط الدرهم الشرعي، فإنَّ المشهور

أَنَّ كلَّ سبعة مثاقيل عشرة دراهم.

وعلى هذا فلو بسطنا السبعة على العشرة يكون

المتقال عبارة عن درهم وخمس، وهو بحساب حبِّ

الشَّعِير يكون عبارة عن اثنين وأربعين حبة من حبِّ

الشَّعِير. (٥: ٣٢٩)

مَجْمَعُ اللَّغَةِ: ١- ثَقُلَ النَّيْءُ يُثَقَّلُ ثِقَلًا من باب

«عظم»: رجع، ضدَّ خَفَّ، فهو ثَقِيل وهي ثقيلة،

وجمعها: ثقال، وأصل «الثَّقَل» يكون في الأجسام، فكلُّ

ما يرجح ما يوزن به فهو ثقيل.

وقد استعمل في المعاني بنوع من التشبيه، لإفادة

معنى العِظَم أو الشَّدة في ناحية ثا.

٢- أثقلت المرأة: ثقلت بكبر حملها.

٣- ويقال: أثقله الفُرم أو الوزر، واسم المفعول منه

منقل، ومؤنثه منقلة، وجمع المذكر: منقلون.

٤- أناقل فلان عن الأمر: تباطأ عنه، وأصله:

تناقل، أي تكلف الثقل وتظاهر به.

٥- الأمتال: واحدها: يُثَقَّل كحِمل، وتثقل كجبل،

نحوه طه الذرة. (٤: ٣٤٩)
 الماوردی: فيه ثلاثة أقاويل:
 أحدها: معناه فن قضي له بالطاعة.
 والثاني: معناه فن كانت كفة حسناته أنقل من كفة سيئاته.

والثالث: معناه فن زادت حسناته على سيئاته.
 (٢: ٢٠٢)
 الطوسي: الثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سقلا
 وتقيضه الخفة، وهي اعتماد لازم علوا، ومثلت الأحوال
 بهما لما ذكر من المقارنة.

والمعنى أن من كانت طاعاته أكثر، فهو من الفائزين
 بثواب الله. ومن قلت طاعاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ﴾ المؤمنون: ١٠٣، بأن استحقوا عذاب الأبد،
 جزاء على ما كانوا يظلمون أنفسهم ببحود آياتنا
 وحبتنا. (٤: ٣٨٠)

نحوه محمد حسين فضل الله.
 الزمخشري: أي فن رجعت أعماله الموزونة التي
 لها وزن وقدر وهي الحسنات، أو ماتوزن به حسناتهم.
 (٢: ٦٨)
 مثله النسفي (٢: ٤٥)، ونحوه أبو الفتح الرازي (٨):
 (١٢٠).

ابن هريبي: أي رجعت موزوناته بأن كانت
 باقيات صالحات. (١: ٤٢٣)
 النيسابوري: بالأعمال الصالحة والأخلاق
 الفاضلة، والأحوال الكاملة. (٨: ٧٧)
 نحوه الططاوي. (٤: ١٣٩)

وليس هذا باعتبار كثرة العدد، فإنها أقل عددا من
 أكثر الأنواع، وكذلك في سائر مصاديق هذا المعنى.
 ثم إن الثقل: مصدر كالصغر والكبر.
 والثقل: اسم مصدر، وهو يدل على نفس المعنى
 والحدث.

والثقل كحسن: صفة مشبهة، وهو كل شيء وزين
 أو خطير ونفيس معنى.
 والمشتال كمشتاح: صيغة للآلة، أي ما يتقل به
 الشيء.

ومعنى الآلة في الأفعال اللازمة يرجع إلى خصوصية
 أو صفة في نفس الشيء، وما يتقل به الشيء عبارة عن
 الثقل الذي فيه. (٢: ١٩)

النصوص التفسيرية

ثَقُلْتُ

١- وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ.
 الأعراف: ٨
 الإمام علي عليه السلام: إنما يعني الحسنات، توزن
 الحسنات والسيئات، والحسنات ثقل الميزان،
 والسيئات خفة الميزان.

هي قلة الحسنات وكثرتها. (الكاشاني: ٢: ١٨١)
 ابن عباس: حسناته في الميزان. (١٢٤)
 نحوه مجاهد. (الطبري: ٨: ١٢٣)
 الإمام الصادق عليه السلام: فن رجع عمله.
 (المروسي: ٢: ٥)

الحسن: يعني إذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الأرض، يقول: كبرت عليهم. (الطبري ٩: ١٣٩)
معناه ثقلت هيئتها والفرع منها على أهل السماوات والأرض، كما تقول: خيف العدو في بلد كذا وكذا.

(ابن عطية ٢: ٤٨٤)
أي ثقل مجيئها على أهل السماوات، لانشقاق السماء وتكوير الشمس، وانتثار النجوم، وعلى أهل الأرض، لأن في ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم.

(السيوطي ٩: ٩٩)
فتادة: أي [ثقلت] على السماوات والأرض.

(الطبري ٩: ١٣٩)
معناه ثقلت على السماوات والأرض أنفسها، لتفطر السماوات وتبدل الأرض، ونسف الجبال.

(ابن عطية ٢: ٤٨٢)
مثله ابن جرير. (ابن عطية ٢: ٤٨٤)
زيد بن علي: معناه كبرت وعظمت، فتقل علمها على أهل السماوات والأرض إنهم لا يعلمون. (٢٠١)
السدي: أي خفيت في السماوات والأرض، فلم يعلم قيامها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وانشقت أي عظمت.

(٢٧٥)
عن بعض أهل التأويل: معناه ثقل أن تعلم ويوقف على حقيقة وقتها.

مثله أبو عبيدة. (ابن عطية ٢: ٤٨٤)
ثقل عليهم قيام الساعة. (المازدي ٢: ٢٨٥)
ثقل علمها على السماوات والأرض.

(الطوسي ٥: ٥٥)

أبوحيان: الثقل والخفة من صفات الأجسام، وقد ورد أن الموزون هي الصعائف التي أثبتت فيها الأعمال، فيحدث الله تعالى فيها ثقلاً وخفةً، وسأورد في هيئته وطوله وأحواله لم يصح إسناده. (٢٧٠: ٤)

الشريبي: أي رجعت على ما يعهد في الدنيا بصعائف الأعمال أو حسنة أو به. (٤٦٤: ١)
نحوه أبو السموذ. (٤٧٦: ٢)

رشيد رضا: فن رجعت موازين أعماله بالإيمان وكثرة حسنة. (٣١٩: ٨)

مثله المراغي. (١٠٦: ٨)
الطباطبائي: باشتغال أعماله على الحق. (١٢٨)
محمّد جواد مغنّيه: وهم الذين مختصت أعمالهم على أساس أوامر القرآن ونواهيه، فجاءت كاملة وافية. (٣٠٣: ٣)

مكارم الشيرازي: إن من البديهي أن المراد من الخفة والثقل في الموازين ليس هو خفة وثقل نفس الميزان، بل قيمة ووزن الأشياء التي توزن بواسطة تلك الموازين، وتقاس بتلك المقاييس. (٥٢٧: ٤)

٢... قُلْ إِنْسَا عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا يَوْفَتَنَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... (الأعراف: ١٨٧)
ابن عباس: ثقل علم قيامها وحينها على أهل السماوات والأرض. (١٤٣)

مثله المسبدي. (٨٠٦: ٣)
ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة. (المراغي ٩: ١٢٩)

الْمَخْفَرِي: أَي كَلَّ مِنْ أَهْلِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ
وَالْمَقْلِينَ، أَمَهُ شَأْنُ السَّاعَةِ، وَوَدَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ عِلْمَهَا،
وَشَقَّ عَلَيْهِ خِفَاؤُهَا، وَثَقُلَ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَتْ فِيهَا، لِأَنَّ
أَهْلَهَا يَتَوَقَّعُونَهَا وَيَخَافُونَ شِدَائِهَا وَأَهْوَالَهَا، أَوْ لِأَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ لَا يَطِيقُهَا وَلَا يَقُومُ لَهَا فِيهِ ثَقِيلَةٌ فِيهَا. (٢: ١٣٤)
نَحْوَهُ التَّنْسِي (٢: ٨٩)، وَالطَّعَاوِي (٤: ٢٥١)
الطَّبْرِي: ذَكَرَ فِيهِ وَجْهٌ:

أَحَدُهَا: ثَقُلَ عِلْمُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
لِأَنَّ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عِلْمُ شَيْءٍ كَانَ ثَقِيلًا عَلَيْهِ، عَنْ
السُّدِّي وَغَيْرِهِ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ: أَصْلُ هَذَا قَوْلُهُمْ:
أَحْطَتْ بِهِ عِلْمًا، أَي دَلَّ لِي فَصَحْتُ لِعِلْمِي بِهِ غَالِبًا عَلَيْهِ،
فَخَفَّ عَلَيَّ وَلَمْ يَثْقُلْ، كَمَا يَثْقُلُ مَا لَا تَعْلَمُهُ عَلَيْكَ.

وِثَانِيَا: أَنَّ مَعْنَاهَا عَظُمَتْ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ صِفَتُهَا، لِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ انْتِشَارِ النُّجُومِ
وَتَكْوِينِ الشَّمْسِ وَتَسْيِيرِ الْجِبَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، عَنْ الْحَسَنِ
وَإِبْنِ جُرَيْجٍ.

وِثَالِثَا: ثَقُلَ وَقُوعُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لِعَظَمَتِهَا وَشِدَّتِهَا، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الْحَاسِبَةِ وَالْمَجَازَةِ، عَنْ
الْجُبَّائِيِّ وَأَبِي مُسْلِمٍ وَجَمَاعَةٍ.

وِرَابِعَا: أَنَّ الْمُرَادَ نَفْسَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَيِ
لَا طَبَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَجْمَعُهَا لِعَظَمَتِهَا وَشِدَّتِهَا، عَنْ
قَتَادَةَ.

وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا لَوْ كَانَتَا أَحْيَاءَ لَثَقُلَ عَلَيْهَا تِلْكَ
الْأَحْوَالُ، مِنْ انْفِطَارِ السَّمَاوَاتِ وَانْتِكَارِ النُّجُومِ وَتَسْيِيرِ
الْجِبَالِ وَغَيْرِهَا. (٢: ٥٠٦)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: وَالْمُرَادُ وَصْفُ السَّاعَةِ بِالثَّقَلِ،

إِبْنُ جُرَيْجٍ: مَعْنَاهُ عَظَمَ وَصَفَهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ. (الْمَاوُزِدِيُّ ٢: ٢٨٥)

ثَقُلَ وَقُوعُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(الطُّوسِيُّ ٥: ٥٥)

نَحْوَهُ الْجُبَّائِيُّ وَأَبُو مُسْلِمٍ. (الطَّبْرِيُّ ٢: ٥٠٦)

إِذَا جَاءَتْ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ، وَانْتَثَرَتِ النُّجُومُ،
وَكُوِّرَتِ الشَّمْسُ، وَشِيرَتِ الْجِبَالُ، وَكَانَ مَا قَالَهُ اللَّهُ،
فَذَلِكَ ثَقُلَهَا. (الطَّبْرِيُّ ٩: ١٣٩)

الْفَرَّاءُ: ثَقُلَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ أَنْ يَعْلَمُوهُ.

(١١: ٣٩٩)

أَبُو عُبَيْدَةَ: مَجَازُهَا: خَفِيتُ، وَإِذَا خَفِيَ عَلَيْكَ شَيْءٌ
ثَقُلَ. (١١: ٢٣٥)

إِبْنُ قُتَيْبَةَ: أَيِ خَفِيَ عِلْمُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ. وَإِذَا خَفِيَ الشَّيْءُ ثَقُلَ. (١٧٥)

مِثْلُهُ الشَّجِسْتَانِيُّ (٧٢)، وَالتَّحَّاسُ (٣: ١١١)،

وَالْقُرْطُبِيُّ (٧: ٣٣٥)، وَالتَّشْرِيْبِيُّ (١: ٥٤٣)، وَطُفَةُ
الدُّوَّةِ (٥: ١٤٩).

الطَّبْرِيُّ: [ثَقُلَ بَعْضُ أَقْوَالِ السَّابِقِينَ ثُمَّ قَالَ:]

وَأَوَّلُو ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى

ذَلِكَ ثَقُلَتْ السَّاعَةُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى أَهْلِهَا أَنْ

يَعْرِفُوا وَقْتُهَا وَقِيَامَهَا، لِأَنَّ اللَّهَ أَخْفَى ذَلِكَ عَنْ خَلْقِهِ فَلَمْ

يُطْلَعْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بِذَلِكَ بَعْدَ

قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُخْبِتُهَا لَوْفِيَّتَا إِلَّا

هُوَ﴾ وَأَخْبَرَ بِهِدَ أَنَّهَا لَا تَأْتِي إِلَّا بِنَعْتٍ، فَالَّذِي هُوَ أَوَّلُ

أَنْ يَكُونَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ أَيْضًا خَبْرًا عَنْ خِفَاءِ عِلْمِهَا عَنْ

الْخَلْقِ، إِذْ كَانَ مَاقْبَلَهُ وَمَا بَعْدَهُ كَذَلِكَ. (٩: ١٣٩)

أبو الشعود: استئناف - كما قبله - مقرر لمضمون ما قبله، أي كبرت وشقت على أهلها من الملائكة والتقلين كل منهم، أمته خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول.

وقيل: عظمت عليهم حيث يشفقون منها، ويخافون شدائدها وأهوالها.

وقيل: نقلت فيها، إذ لا يطيقها منها وبما فيها شيء أصلاً.

والأول هو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَنَّةٌ﴾ فإنه أيضاً استئناف مقرر لمضمون ما قبله، فلا بد من اعتبار النقل من حيث الخفاء، أي لا تأتاكم إلا فجأة على غفلة.

نحوه البروسوي (٣: ٢٩٢)، وشبر (٢: ٤٤٢)، والآكوسي (٩: ١٣٤).

القاسمي: أي عظمت وكبرت على أهلها، هوها وما فيها من الحاسبة والمجازاة. أو نقل علم وقتها على أهلها، أو عظم وصفها على أهل السماوات والأرض، من انتشار النجوم، وتكوين الشمس، وتسيير الجبال.

نحوه عزة دروزة.

رشيد رضا: أي ثقل وقمعا وعظم أمرها في السماوات والأرض على أهلها من الملائكة والإنس والجن، لأن الله تعالى يتألم بأهوالها، ولم يشعرهم بمقاتها، فهم يتوقعون أمراً عظيماً لا يدرون متى يفجؤهم وقوعه. [ونقل قول قتادة والسدي وابن جريج وابن عباس المتقدم ثم قال:]

وظهيره قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْمًا تَجِيلاً﴾ الدهر: ٢٧، وأيضاً وصف الله تعالى زلزلة الساعة بالعظم، فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج: ١، ووصف عذابها بالشدّة، فقال: ﴿وَعَنَاهُمْ يَشْكَازِي وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ الحج: ٢.

إذا عرفت هذا فنقول: للمفسرين في تفسير قوله: ﴿نَقَلْتُ فِي السَّحَابِ وَالْأَرْضِ﴾ وجوه: [ثم نقل قول الحسن وغيره إلى أن قال:]

وقال قوم: ﴿نَقَلْتُ فِي السَّحَابِ وَالْأَرْضِ﴾ أي نقل تحصيل العلم بوقتها المعين على أهل السماوات والأرض، وكما يقال في الحمل الذي يتذكر حمله: إنه قد نقل على حامله، فكذلك يقال في العلم الذي استأثر الله تعالى به: إنه ينقل عليهم.

نحوه الثيايوري.

البيضاوي: عظمت على أهلها من الملائكة والتقلين هوها، وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها.

نحوه الكاشاني (٢: ٢٥٨)، والمشهد (٣: ٦٦٣). أبو حيان: ويبر بالثقل عن الشدة والصوبة، كما قال: ﴿وَيَذَرُونَ وراءَهُمْ يَوْمًا تَجِيلاً﴾ الدهر: ٢٧، أي شديداً صعباً. وأصله أن يتعدى به على، تقول: نقل على هذا الأمر.

فأما أن يمدى أن (في) بمعنى «على» كما قال بعضهم في قوله: ﴿وَلَا ضَلَّيْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ طه: ٧١، أي ويضن (نقلت) معنى فعل يتعدى به في، [ثم نقل كلام الزمخشري المتقدم]

ولكل رواية وجه صحيح، والمتبادر من الجملة ما ذكرناه أولاً، وهو يتفق مع جملة هذه الروايات.

(٤٦٧: ٩)

نحوه المِراغِي، (٩: ١٢٩)، ومحمد جواد مغنّيه (٣: ٤٣١).

الطَّبَاطِبَانِي: نُقِلَ علمها في السَّماوات والأرض، وهو بعينه نُقِلَ وجودها، فلاثرة لاختلافهم في أن المراد ينقل الساعة فيها: ينقل علمها عليها، أو المراد ينقل صفتها على أهل السموات والأرض لما فيها من السُّدائد والعقاب والحساب والجزاء، أو ينقل وقوعها عليهم لما فيها من انطواء السماء وانتثار الكواكب واجتماع الشمس والقمر ونسيير الجبال، أو أن السَّماوات والأرض لا تطيق حملها لعظمتها وشدتها.

وذلك أنها ثقيلة بجميع ما يرجع إليها من نباتها والعلم بها وصفاتها على السَّماوات والأرض، ولا تطيق ظهورها لملازمته فناءها، والنَّسيء لا يطيق فناء نفسه.

(٣٧٠: ٨)

عبد الكريم الخطيب: أي عظم وقها على السَّماوات والأرض، أي أنها يوم تحييء تنقل على السَّماوات والأرض، فكيف تحتملون أنتم مجيئها يوم تحييء؟ فلم تستجلبون يومها؟ ولم تُلحون في البحث عن ميقاتها؟

ونقل الساعة على السَّماوات والأرض يُشير إليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ إسماعيل: ٤٨، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وَإِذَا الْكُكُوبُ انشَقَّتْ ﴿وَإِذَا

الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿الانفطار: ١ - ٤. (٥٣٢: ٥)

فضل الله: أي نُقِلَ وقها في ما مثله من مواجهة المسؤولية على مستوى قضية المصير، وما تؤدي إليه من الخوف من غضب الله وسخطه. وهذا ما لا تقوم له السَّماوات والأرض - كما في دعاء كميل - أو نُقِلَ علمها عليها باعتبار النتائج الصعبة التي تحدث عند وجودها، وبهذا يلتقي ينقل علمها ينقل وجودها.

(٣٠١: ١٠)

مكارم الشيرازي: آية حادثة يمكن أن تكون أنقل من هذه، إذ تضرب لها جميع الأجرام السماوية قبيل القيامة، فتخمد الشمس، وتظلم القمر، وتندثر النجوم، ويتكوّن من بقاياها عالم جديد بنبوب آخر.

ثم إن قيام الساعة على حين غرة، وبدون مقدمات تدريجية، وتحققها على شكل مفاجئ وانقلاب سريع.

(٢٩٣: ٥)

٣- قَدْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ السَّالِفُونَ.

المؤمنون: ١٠٢

ابن عباس: أي من رجعت حسناته على سيئاته ولو بوحدة.

نحوه القاسمي (١٢: ٤٤١٨)، والمِراغِي (١٨: ٥٧).

والهجازي (١٨: ٣٢).

الإمام الصادق عليه السلام: فمن رجع عليه.

(التهراني: ٧: ٤٥)

القُصَي: يعني بالأعمال الحسنة. (٢: ٩٤)

ابن عَطِيَّة: وَثَقَلَ هَذَا الْمِيزَانُ هُوَ بِالْإِيمَانِ
(٥١٧: ٥) والأعمال.

الطَّبْرَسِي: أَي رَجَعَتْ حَسَنَاتُهُ وَكَثُرَتْ خَيْرَاتُهُ.
(٥٣٢: ٥)

ابن عَرَبِي: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بَأَنَّ كَانَتْ
مِنَ الْعُلُومِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْفَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَالْكَسَالَاتِ
الْقَلْبِيَّةِ وَالزُّوْحَانِيَّةِ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

(٨٤٤: ٢)

الْبَيْضَاوِيُّ: بَأَنَّ تَرَجَّعَتْ مَقَادِيرُ أَنْوَاعِ حَسَنَاتِهِ.
(٥٧٣: ٢)

مِثْلُهُ الْكَاشَانِيُّ (٣٦٦: ٥)، وَالْمَشْهَدِيُّ (٤٩٩: ١١).

الْخَازَنُ: يَعْنِي رَجَعَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ. (٢٣٦: ٧)
مِثْلُهُ أَبُو الشُّوَدِ. (٤٦٥: ٦)

ابن جُرَّيِّ الْكَلْبِيِّ: يَنْقَلُ الْمَوَازِينُ بِكَثْرَةِ الْحَسَنَاتِ.
(٢١٥: ٤)

ابن كَثِيرٍ: أَي رَجَعَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.

(٣٥٧: ٧)

نَحْوُهُ الشَّرِيفِيُّ (٥٧٩: ٤)، وَالْبَرْزَوْسِيُّ (١٠: ١٠٠)،
وَشُبَّرُ (٤٤٤: ٦)، وَالْأَكُوسِيُّ (٢٢٢: ٣٠)،
وَالطُّطَاوِيُّ (٢٥: ٢٦٠).

الْمِرَاغِيُّ: يُقَالُ: ثَقُلَ مِيزَانُ فُلَانٍ، إِذَا كَانَ لَهُ قَدْرٌ
وَمِثْرَةٌ رَفِيعَةٌ، كَأَنَّهُ إِذَا وُضِعَ فِي مِيزَانٍ كَانَ لَهُ بِهِ
رِجْحَانٌ. وَهَذَا يَكُونُ الْمَقْدَارُ وَالْقِيَمَةُ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ، وَالْفَضَائِلِ الرَّاجِحَةِ. (٢٢٧: ٣٠)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: إِشَارَةٌ إِلَى وَزْنِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّ
الْأَعْمَالَ مِنْهَا: مَا هُوَ ثَقِيلٌ فِي الْمِيزَانِ، وَهُوَ مَا لَهُ قَدْرٌ

ابن عَطِيَّة: وَ«يَنْقَلُ الْمَوَازِينُ» هُوَ الْحَسَنَاتِ،
وَالثَّقَلُ وَالْخَفَّةُ إِنَّمَا يَتَلَقَّى بِأَجْرَامٍ يَخْتَرَعُ اللَّهُ فِيهَا ذَلِكَ،
وَهِيَ فِيهَا رُوي بَرَاهِنَاتٍ. (١٥٦: ٤)

الشَّرِيفِيُّ: أَي بِالْأَعْمَالِ الْمَقْبُولَةِ. قَالَ الْبَقَاعِيُّ:
وَلَعَلَّ الْجَمْعَ، لِأَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ مِيزَانًا يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُ
غَيْرُهُ، وَذَلِكَ أَدْلٌ دَلِيلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ. (٥٩٢: ٢)

١- فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. القارعة: ٦

ابن هَيَّاسٍ: حَسَنَاتُهُ فِي مِيزَانِهِ. (٥١٨)

الْقَزَّاهُ: أَي يُقَالُ: رَجَحَانَهَا. (الْأَكُوسِيُّ ٣٠: ٢٢٢)
مِثْلُهُ النَّسَبِيُّ. (٢٣٦: ٤)

الرَّجَّاحُ: مَعْنَاهُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِالْحَسَنَاتِ، كَمَا
تَقُولُ: لَقُلَانٌ عِنْدِي وَزْنٌ ثَقِيلٌ، تَأْوِيلُهُ لَهُ وَزْنٌ فِي الْخَيْرِ
ثَقِيلٌ. (٣٥٥: ٥)

الطُّوسِيُّ: وَقَالَ قَوْمٌ: الْمِيزَانُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ
وَمُقَابَلَةِ الطَّاعَاتِ بِالْمَعَاصِي، فَأَتَتْهَا كَانَتْ أَكْثَرَ حُكْمٍ لَهُ بِهِ.
وَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِالثَّقَلِ عِمَارًا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ أَعْرَاضَ
لَا يَصِحُّ وَزْنُهَا وَلَا وَصْفُهَا بِالثَّقَلِ وَالْخَفَّةِ. (٤٠: ١٠٠)

الشَّرِيفِيُّ: مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِالْخَيْرَاتِ فَهُوَ فِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، أَي مُرَضِيَةٍ. وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ
بِوِزْنِ الصَّحْفِ. وَيُقَالُ: يَخْلُقُ بِذَلِكَ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَفْعَالِهِ
جَوْهَرًا، وَتُوزَنُ الْجَوَاهِرُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ وَزْنُ الْأَعْمَالِ.

(٣٢٩: ٦)

الْوَاهِدِيُّ: يَعْنِي رَجَعَتْ حَسَنَاتُهُ. (٥٤٦: ٤)

مِثْلُهُ الْبَغَوِيُّ (٧: ٢٩٧)، وَابْنُ الْجُرَّيِّ (٩: ٢١٥)،
وَالشَّرِيفِيُّ (٤: ٥٧٩).

المادّي.

وإذا وضع الإنسان في الميزان المعنوي، وكان ثقل الميزان، فإنَّ المستقل الأخرى سيكون عظيمًا على مستوى نتائج التواب الإلهي للمتقين. (٣٨٦: ٢٤)

ثَقِيلًا

١- إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا المزمّل: ٥
ابن عباس: بكلام شديد بالأمر والنهي والوعد والوعيد والحلال والحرام. (٤٩٠)

كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتريد له جلد. (الزخزخري ٤: ١٧٥)
عروة بن الزبير: أنه إذا أوحى إليه كان ثقلًا عليه، لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه.

(المأزودي ٦: ١٢٦)
أبو العالية: ثقل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. (البغوي ٥: ١٦٧)
مجاهد: حلاله وحرامه. (الطبري ١٩: ٣٧)
الحسن: العمل به، وأن الرجل لهذه السورة، ولكن العمل به ثقل. (الطبري ٢٩: ١٢٧)
إنه يتقل العمل به لمشق فيه.
ثقل في الميزان.

مثله قنادة. (الطوسي ١٠: ١٦٢)

ابن كعب القرظي: ثقل على المنافقين.

(البغوي ٥: ١٦٧)

قنادة: ثقل والله فرائض وحدوده.

(الطبري ٢٩: ١٢٧)

ومنزلة عند الله، وهو الإيمان وأنواع الطاعات. ومنها: ما ليس كذلك، وهو الكفر وأنواع المعاصي.

ويختلف القسبان أثرًا فيستع الثقل السعادة. ويستع الخفيف الشقاء. (٣٤٩: ٢٠)

محمد جواد مغنّيه: والمراد به من طابت سريرته وصلح عمله. (٦٠٣: ٧)

عبد الكريم الخطيب: المراد به نقل الموازين» هنا هو اعتبار الأعمال، وإقامة وزن لها، حتى إذا وزنت كان لها رجحان على غيرها من الأعمال التي لا قدر لها ولا وزن، كما يقول سبحانه وتعالى عن أعمال الكافرين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَغْصَالُهُمْ فَلَا تُجِبُهُمْ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزُنْجُلُهُمُ الْكَهْفُ: ١٠٥، لأنَّ أعمالهم لا قيمة لها ولا قدر، لأنها لم تقم في ظل الإيمان بالله. (١٦٦٢: ١٥)

فضل الله: وهو الذي عاش في الحياة الدنيا في مواضع الإيمان بالله والعمل الصالح على خط الرسالة، فكانت حياته حركة في طاعة الله، في كل ما يتصل بأقواله وأفعاله وعلاقاته بالآخرين، وتطلعاته إلى الأهداف الكبيرة التي يرضاها الله للإنسان في الحياة، مما يرفع مستواها ويوجهها إلى العمل الجاد في تحريك الحياة، في سبيل الله وفي مواقع رضاء.

وبذلك تنقل أعماله من خلال حجمها الكبير في مضمونها وفي نتائجها، فيثقل ميزانه في يوم القيامة، عند ما توضع الموازين القسط التي تعمل على تقويم الشخص من خلال عمله، ليكون الإنسان مساويًا لعمله، بدلًا مما كان عليه في الدنيا، عندما كانت قيمته تساوي وزنه

يعمل. ونهى عنه، لا يؤذيه أحد إلا بتكليف ما ينقل عليه. ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون معناه أنه قول له وزنٌ في صحته وبيانه ونغمه، كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول له وزنٌ، إذا كنت تستجيده وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيان. (٥: ٢٤٠)

الفارسي: إنه ثقیل على المنافقين؛ من حيث إنه يبتك أسرارهم، ومن حيث إنه يطل أديانهم وأقوالهم. (الفخر الرازي ٣٠: ١٧٥)

الشريف الرضي: وهذه استمارة، لأن القرآن كلام، وهو عرض من الأعراض، والثقل والحقة من صفات الأجسام، والمراد بها صفة القرآن بظلم القدر ورجاحة الفضل، كما يقول القائل: فلان رصين رزين وفلان راجع ركين، إذا أراد صفته بالفضل الزجاج، والقدر الوازن. (٢٢٤)

عبد الجبار: ربما قالوا: سامعي وصف الوحي بالثقل؟

وجوابنا: أن المراد نقل العمل بما فيه وتدبره، والمعرفة بمراد الله تعالى.

ويحتمل أنه كان ينقل عليه أن يحفظه وأن يبتلّه، وكان يحتاج في ذلك إلى تكليف. (٤٣٩)

الماوردي: وهو القرآن، وفي كونه (ثقيلاً) أربعة تأويلات. [ثم ذكرها كما سبق قبلاً وأضاف:]

ويحتمل تأويلاً خامساً: أن يكون ثقیل بمعنى ثابت، لثبوت الثقل في محله، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز، لا يزول إعجازه أبداً. (٦: ١٢٦)

الطوسي: إخبار من الله تعالى لنبته أنه سيطرح

زيد بن علي: معناه العمل بفرائضه وحدوده، والثقل: الكريم، يقال: فلان ثقیل عليّ، معناه يتكرم عليّ. (٤٤٠)

الشدي: بمعنى كريم، مأخوذ من قولهم: فلان ثقیل عليّ، أي يكرم عليّ. (٤٦٥)

مقاتيل: ثقیل لما فيه من الأمر والنهي والمحدود. (البخاري ٥: ١٦٧)

ابن زيد: هو والله ثقیل مبارك القرآن، كما نقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة. (الطبري ٢٩: ١٢٧) معناه العمل به ثقیل في الميزان والأجر، ليس بشاق. (الطوسي ١٠: ١٦٢)

الفراء: أي ليس بالخفيف ولا الشفاف، لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى. (٣: ١٩٧)

ثقيلاً، أي رزيناً. (الشريفي ٤١٥)

ابن قتيبة: أي ثقیل الفرائض والمحدود. (٤٩٣) الحسين بن فضل: قولاً خفيفاً على اللسان، ثقيلاً في الميزان. (البخاري ٥: ١٦٧)

ثقيلاً لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد. (القرطبي ١٩: ٣٧)

الطبري: [نقل القولين: العمل به والأجر عليه ثم قال:]

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقیل، فهو كما وصفه به، ثقیل محمله ثقیل العمل بمحدوده وفرائضه. (٢٩: ١٢٧)

الزجاج: جاء في التفسير أنه ينقل العمل به، لأنّ الحلال والحرام والصلاة والصيام وجميع ما أمر الله به أن

حتى أنه كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به، وحتى كادت فخذله أن ترَضَ فخذ زيد بن ثابت رحمه الله. وقال أبو العالىة والقرطبي: بل سمّاه (ثَقِيلًا) لنقله على الكفّار والمتأففين، بإعجازه ووعيده ونحو ذلك.

وقال حذّاق العلماء: معناه نقل المعاني من الأمر بالطاعات والتكاليف الشرعية، من الجهاد ومزاولة الأعمال الصالحة دافعة. (٥: ٣٨٧)

الطُّبْرِيّ سي: أي سنوحي عليك قولاً ينقل عليك وعلى أمتك.

أما نقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة، وما يلحقه من الأذى فيه، وما يلزمه من قيام الليل، ومجاهدة النفس، وترك الراحة والدعة.

وأما نقله على أخته فلما فيه من الأمر والنهي والحدود، وهذا معنى قول قتادة ومقاتيل والحسن. [إلى أن قال:]

وقيل: معناه قولاً ثَقِيلًا نزوله، فإنه ﷺ كان يتغير حاله عند نزوله ويعرق، وإذا كان راكباً يبرك راحلته ولا يستطيع المشي.

وسأل الحرث بن هشام رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليّ، فيفصم عني، وقد وعيت ما قال. وأحياناً يتمثل الملك رجلاً فأعي ما يقول.

قالت عائشة: إنه كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فيضرب بجرانها قالت: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن

عليه قولاً ثَقِيلًا. وقيل: معناه قول عظيم الشأن، كما تقول: هذا الكلام رزين، وهذا قول له وزن، إذا كان واقعاً موقه. (١٠: ١٦٢)

الْقَشِيرِيّ: قيل: هو القرآن، وقيل: كلمة لا إله إلا الله، ويقال: الوحي.

وسمّاه (ثَقِيلًا) أي خفيفاً على اللسان ثَقِيلًا في الميزان، ويقال: ثَقِيل، أي له وزن وخطر.

وفي الخبر: كان إذا نزل عليه القرآن - وهو على ناقته - وضعت جرانها ولا تكاد تتحرك حتى يُسرّى عنه.

ويقال: (ثَقِيلًا) سبّاه على من جحدته، ويقال: ثَقِيلًا بيّنه إلا على من أيد بقوة سبّاهية، ورُبِّي في جبر التثريب. (٦: ٢١٠)

الرَّمْضُفَرِيّ: هذه الآية اعتراض، ويعني بالقول الثَقِيل: القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقّة ثَقِيلَة على المكلفين، وخاصة على رسول الله ﷺ، لأنّه متحملها بنفسه ومحملها أخته، فهي أنقل عليه وأهبط له.

وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثَقِيلَة الصّعبة التي ورد بها القرآن، لأنّ الليل وقت السّبات والراحة والهدوء، فلا بدّ لمن أحياء من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه... (٤: ١٧٥) نحوه التّيسّواي.

ابن عطية: والقول الثَقِيل: هو القرآن. واختلف الناس لم سمّاه (ثَقِيلًا)، فقالت جماعة من المفسرين: لما كان يحمل في رسول الله من ثقل الجسم،

جيبته ليرفض عرفاً.

وقيل: (تَقِيلًا) على الكَفَّار، لما فيه من الكشف عن جهلهم وضلالهم، وسفه أحلامهم، وقبح أفعالهم.

(٣٧٨: ٥)

نحوه أبو الفتح الرازي (٧: ٢٠)، وابن شهر آشوب (١٢٩)، والترمذي (٤٤٦: ٥).

الفَخْرُ الرَّازِي: ذكروا في تفسير «الثَّقیل» وجوهاً: أحدها: وهو المختار عندي أن المراد من كونه (تَقِيلًا) عظم قدره وجلالة خطره، وكل شيء تُسْقَى وعَظُم خطره فهو ثَقِيلٌ وثَقِيلٌ وناقل، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء: «قَوْلًا ثَقِيلًا» يعني كلاً من عظيمًا.

ووجه النظم أنه تعالى لما أمره بصلاة اللیل، فكأنه قال: إنما أمرتك بصلاة اللیل، لأننا سنلقي عليك قولاً عظيمًا، فلابد وأن تسمى في صيرورة نفسك مستعدة لذلك القول العظيم، ولا يحصل ذلك الاستعداد إلا بصلاة اللیل.

فإنَّ الإنسان في اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ إذا اشتغل بعبادة الله تعالى وأقبل على ذكره، والثناء عليه، والتضرع بين يديه، ولم يكن هناك شيء من الشواغل المفسدة والعوائق المسببة، استعدت النفس هنالك لإشراق جلال الله فيها، وتهيأت للتجرد التام والانكشاف الأعظم بحسب الطاقة البشرية.

فلما كان لصلاة اللیل أثر في صيرورة النفس مستعدة لهذا المعنى، لاجرم قال: إِنَّمَا أَمَرْتُكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، لأننا سنلقي عليك قولاً ثَقِيلًا، فصيّر نفسك مستعدة لقبول ذلك المعنى، وتمام هذا المعنى ما قال عليه

الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامٍ دَعَوْتُمْ نَحْنُ أَلاَ فَتَضَرُّوا لَهَا».

وثانيها: قالوا: المراد بالقول الثَّقیل: القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقّة ثقيلة على المكلفين عامة، وعلى رسول الله خاصة، لأنه يتحملها بنفسه ويبلغها إلى أمته، وحاصله أن نقله راجع إلى ثقل العمل به، فإنه لا معنى للتكاليف إلا لإلزام ما في فعله كلفة ومشقة.

وثالثها: روي عن الحسن: أنه ثَقِيلٌ في الميزان يوم القيامة وهو إشارة إلى كثرة منافعه، وكثرة الثواب في العمل به.

ورابعها: المراد أنه عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَام كان يدخل عند نزول الوحي إليه. [ثم قال نحو ما تقدم عن الطُّبْرَسِيِّ]

وخامسها: [قول القراء]

وسادسها: [قول الزجاج]

وسابعها: [قول الفارسي]

وثامنها: أن الثَّقیل من شأنه أن يبقى في مكانه ولا يزول، فجعل الثَّقیل كناية عن بقاء القرآن على وجه الدهر، كما قال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» المجر: ٩.

وتاسعها: أنه ثَقِيلٌ، بمعنى أن العقل الواحد لا يلبس بإدراك فوائده ومعانيه بالكيفية، فالتكلمون غاصوا في بحار معقولاته، والفقهاء أقبلوا على البحث عن أحكامه، وكذا أهل اللغة والتحو وأرباب المعاني، ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل إليها المتقدمون، فعلمنا

المتافين ، أو كلام له وزنٌ ورجحان ليس بالسُّفاسف
الحفيف. (٣٠٣ : ٤)

نحوه أبوالمحود. (٣٢٢ : ٦)

أبو حَيَّان : هو القرآن. ونقله بما اشتمل عليه من
التكاليف الشاقة كالجهد ومدامه الأعمال الصالحة. [ثم
نقل بعض أقوال المفسرين وأضاف:]

وقيل : كناية عن بقائه على وجه الدهر. لأنَّ التَّحِيلَ
من شأنه أن يبق في مكانه. (٣٦٦ - ٣٥٩ : ٨)

البيروسي : وهو القرآن العظيم المستطوي على
تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين. وأيضاً أنَّ القرآن
قديم غير مخلوق. والحادث يذوب تحت سطوة القديم إلا
من كان مؤيداً كالثي عليه السلام. [إلى أن قال:]

وفي «التأويلات النجمية» : نقل المحمول بحسب
لطف الحامل، ولأنَّه أنَّ نبيّاً عليه السلام كان ألطف الأنبياء
خُلُقاً وأعدلهم مزاجاً وطيباً، وأكملهم روحانية
ورحمانية، وأفضلهم نشأة وفطرة، وأشملهم استعداداً
وقابلية، فلذلك خُصَّ القرآن بالثقل من بين سائر
الكتب السماوية، المشتعلة على الأوامر والنواهي
والأحكام والشرائع، للطف فطرته وشمول رحمته.

والمحملة اعتراف بين الأمر وهو «فَمِ الثَّلَ» وبين
تسليمه، وسرَّ «إِنَّ نَاشِئَةَ السَّيْلِ» الخ، لتسهيل
ماكلفه عليه السلام من القيام، يعني أنَّ في توصيف ماسيق
عليه بالثقل إيماء إلى أنَّ ثقل هذا التكليف بالنسبة إليه
كالدعم، فإذا كان ماسيكلف أصعب وأشق، فقد سهل
هذا التكليف. [إلى أن قال:]

يقول الفقير : سورة المزمل مما نزل في أوائل النبوة،

أنَّ الإنسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بمحملة، فصار
كالحمل الثقيل الذي يمجز الخلق عن محمله.

وعاشرها : أنَّه ثقل، لكونه مشتملاً على الحكم
والمتشابه، والتاسخ والمنسوخ. والفرق بين هذه الأقسام
مما لا يقدر عليه إلا العلماء الزاسخون، الهيطون بجميع
العلوم العقلية والحكيمة، فلما كان كذلك لاجرم كانت
الإحاطة به ثقيلة على أكثر الخلق. (١٧٤ : ٣٠)

نحوه الزازي (مسائل الزازي ٣٧٥)، واليسابوري
(٧٧ : ٢٩)، والحازن (١٣٩ : ٧)، وابن جرير (١٥٧ : ٤)،
والشَّريفي (٤ : ٤١٥).

ابن عربي : «قَوْلًا ثَقِيلًا» : ذا وزن واعتبار.

(٢ : ٧٢٠)

القرطبي : قوله تعالى : «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا» هو متصل بما فُرض من قيام الليل، أي سلقني
عليك بافتراض صلاة الليل قولاً ثَقِيلًا ينقل محمله، لأنَّ
الليل للنمائم، فمن أمر بقيام أكثره لم يستهين له ذلك إلا
بحمل شديد على النفس، وبمجاهدة للشيطان، فهو أمر
ينقل على العبد.

البيضاوي : يعني القرآن فإنه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقل على المكلفين، سيما على الرسول عليه السلام إذ كان
عليه أن يتحملها ويحملها أتمته. والمحملة اعتراف
يسهل التكليف عليه بالتَّهَجُّد، ويدلُّ على أنَّه مشقٌّ
مضاد للطَّبع، مخالف للنفس. (٥١٣ : ٢)

نحوه الكاشاني (٥ : ٢٤٠)، وشَّير (٩ : ٣٠٤).

النسفي : أي القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي
التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، أو ثَقِيلًا على

فمن بعضهم أن كل حرف من القرآن في اللوح أعظم من جبل قاف، وأن الملائكة لو اجتمعت على الحرف أن يقلوه ما أطاقوه، حتى يأتي إسرائيلي عليه وهو ملك اللوح فيرفعه ويقله بإذن الله تعالى لا بقوة، ولكن الله عز وجل طوفه ذلك، وهذا مما يحتاج إلى نقل صحيح، عن الصادق عليه الصلاة والسلام ولا طعن وجوده.

والجملة قيل على معظم هذه الأوجه: مستأنفة للتعليل، فإن التهجيد يُبدّ النفس لأن تعالج نقله، فتأمل. واستدل بالآية على أنه لا ينبغي أن يقال: سورة خفيفة، لما أن الله تعالى سمى فيها القرآن كله ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وهذا من باب الاحتياط، كما لا يخفى.

(٢٩٩: ١٠٤)

نحوه المراسي.

القاسمي: أي رصيًا، لرزاقه لفظه، ومثانه معناه، ورجعانه فيها على ماعدها، ولما كان الزاجع من شأنه ذلك، تجوز بالتثقل عنه، أو (ثَقِيلًا) على المتأمل فيه، لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر، وتجريد للنظر، أو (ثَقِيلًا) تلقية، لقول عائشة رضي الله عنها: [وذكر الحديث]

وعلى كل فالجملة معللة للأمر بالتثقل، وأن ينقله بما يستدعيه.

سيد قطب: هو هذا القرآن، وما وراءه من التكليف. والقرآن في بناء ليس ثَقِيلًا فهو ميسر للذكر، ولكنه ثَقِيل في ميزان الحق، ثَقِيل في أثره في القلب ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَائِبًا مَّخْسُذًا مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾ المحشر: ٢١، فأنزله الله على قلب أنبت من

فكان قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ يشير إلى مدّة الوحي الباقية، لأن حروفه - مع اعتبار التثنية المدغم فيها، ونوني التثنية - اثنتان وعشرون، فالتثنية دل على الاستقبال، وجميع الحروف على المدّة الباقية. وجعل القرآن جملًا ثَقِيلًا، لأنه لا بُدَّ من بحث لتسميم مكارم الأخلاق، ولا شك أن ما كان أجمع كان أثقل، والله تعالى أعلم براده.

وأيضًا إن كون القول (ثَقِيلًا) إنما هو بالنسبة إلى النفس الثَقيلة الكثيفة، لتراكم حجبها ومُعدها من درك الحق. وأما بالنسبة إلى النفس الخفيفة اللطيفة فخفيف ولطيف، ولذا كان تمب التكاليف مرفوعًا عن الكل، فهم يمدون العبادات كالمداد في ارتفاع الكلفة، وفي الذوق والحلاوة.

الآلوسي: وهو القرآن العظيم، فإنه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين، سيما على الزسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة.

وهذه الجملة المؤكدة معترضة بين الأمر بالقيام وتعليله الآتي، لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام، كأنه قيل: إنه سرد عليك في الوحي المنزل تكاليف شاقة، هذا بالنسبة إليها سهل، فلا تبال بهذه المشقة، وتمرن بها لما بعدها.

وأدخل بعضهم في الاعتراض جملة (وَرَزَّلْنَا) إلخ، وتمقّب بأنّه لا وجه له. [إلى أن قال:]

وقيل: نقله باعتبار نقل حروفه حقيقة في اللوح المحفوظ.

الجبل يتلقاه.

تطغها.

وإن تلقى هذا الفيض من التور والمعرفة واستيعابه، لتقبل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة، لتقبل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاتصال بالمال الأعلى وروح الوجود، وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله ﷺ لتقبل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاستقامة على هذا الأمر بتردد ولا رتاب ولا تلتفت هنا أو هناك، وراء الهوائف والمجاذب والمعوقات، لتقبل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن قيام الليل والتاس نيام، والانتطاع عن غشس الحياة اليومية وسفاسفها، والاتصال بالله، وتلقى فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلو إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتزك من المال الأعلى، وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة، واستقبال إشعاعاته وإبجاءاته وإيقاعاته في الليل الساجي، إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والمعبء الباهظ، والجهد المسير الذي ينتظر الرسول، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويصممه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير. (٣٧٤٥: ٦)

الطباطبائي: الثقل: كيفية جسامية من خاصته أنه شق حمل الجسم الثقيل ونقله من مكان إلى مكان، وربما يستمر للمعاني إذا شق على النفس تحملها أو لم

فربما أخيف إلى القول من جهة معناه فمؤ (ثَقِيلًا) لتضمنته معنى يشق على النفس إدراكه، أو لانتطاع فهمه، أو تخرج من تلقية، كدقائق الأظفار العلمية إذا ألقيت على الأنفهام العامة، أو لتضمنته حقائق يصعب التحقق بها، أو تكاليف يشق الإتيان بها والمداومة عليها.

والقرآن قول إلهي ثَقِيل بكلا المعنيين: أتما من حيث تلقى معناه، فإنه كلام إلهي مأخوذ من ساحة العظمة والكبرياء، لاستلقائه لآ نفس طاهرة من كل دَس، منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه، وكتاب عزيز له ظهر ووطن وتزليل وتأويل تبياناً لكل شيء، وقد كان نقله مشهوداً من حال النبي ﷺ بما كان يأخذه من البرحاء وشبه الإغشاء، على ماوردت به الأخبار المستفيضة.

وأما من حيث التحقق بحقيقة التوحيد وما يتبعها من الحقائق الاعتقادية، فكفى في الإشارة إلى ثقله قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ المشر: ٢١، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا قُرْآنًا سُرِّرَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ الزمد: ٣١.

وأما من حيث القيام بما يشتمل عليه من أمر الدعوة، وإقامة مراسم الدين الحنيف، وإظهاره على الدين كله، فيشهد به مالتى ﷺ من المصاب والهن في سبيل الله، والأذى في جنب الله، على مايشهد به الآيات القرآنية، المحاكية لما لقيه النبي ﷺ من المشركين

وأما ثقله على أمتهم فلا تهم بشاركونه ﷺ في لزوم التحقق بمحافظته، واتساع أوامره ونواهيهِ ورعاية حدوده، كل طائفة منهم على قدر طاقته.

وللوقوع في معنى ثقل القرآن أقوال أخرى:

منها: أنه ثَقِيل، بمعنى أنه عظيم الشأن متين رصين، كما يقال: هذا كلام له وزن، إذا كان واقعاً موقعه.

ومنها: أنه ثَقِيل في الميزان يوم القيامة حقيقة أو مجازاً، بمعنى كثرة الثواب عليه.

ومنها: أنه ثَقِيل على الكفار والمنافقين بما له من الإعجاز وبما فيه من الوعيد.

ومنها: أن ثقله كناية عن بقاءه على وجه الدهر، لأن الثَقِيل من شأنه أن يبقى ويثبت في مكانه.

ومنها: غير ذلك. والوجوه المذكورة وإن كانت لا بأس بها في نفسها، لكن ما تقدم من الوجه هو الظاهر السابق إلى الذهن.

محمد جواد مغنّيّه: القرآن ثَقِيل بكل ما في هذه

الكلمة من معنى، هو ثَقِيل في إعجازه وخلوده، وفي

عقيدته وشرعيته، وفي حربه ونضاله ضدّ الأقوياء

المفسدين والطغاة المترفين. وقال كثير من المفسرين:

«القرآن ثَقِيل، لأنّ تكاليفه شاقّة مثل المصاحظة على

الصلوات الخمس، والقيام آخر الليل لصلاة النجوى،

والوضوء بالماء البارد مراراً، والاعتسال به أحياناً،

وكالصوم في أيام الحرّ، والقيام للسجود من آخر الليل،

وكالحجّ ومشتقاته من الإحرام والتّحّي والطّواف».

وليس من شكّ أنّ هذه كبيرة إلا على الخاشعين،

ولكن أكبر منها وأنقل التكليف بالمجاهد وهو على أنواع،

والكفّار والمنافقين، والأذنين في قلوبهم مرض من أنواع الإيذاء والهزء والجفاء، فقله: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» المراد بالقول الثَقِيل: القرآن العظيم على ما يسبق إلى الذّهن من سياق هذه الآيات التّازلة في أوّل البعثة، وبه فسرّه المفسرون.

والآية في مقام التعليل للحكم المدلول عليه، بقوله: «ثُمَّ أُتِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ» إلخ، فنفيد بمقتضى السياق - والمحطاب خاص بالتهيئة ﷺ - أن أمره بقيام الليل والتوجّه فيه إليه تعالى بصلاة الليل، تهيئة له وإعداداً لكرامة القرب وشرف الحضور وإلقاء قول ثَقِيل، فقيام الليل هي السبيل المؤدّية إلى هذا الموقف الكريم. وقد عدّ سبحانه صلاة الليل سبيلاً إليه، في قوله الآتي: «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» المزمّل: ١٩.

وقد زاد سبحانه وعداً على ما في هذه الآية، في قوله: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَمَّا أَنتَ بِمَنفَعَةٍ» زلّك متقائماً محمّوداً: الإسراء: ٧٩.

وإذا كان ثقل القرآن ثقله من حيث التحقق بمحافظته،

ومن حيث استجابته فيما يندب إليه من الشرائع

والأحكام، فهو ثَقِيل على الأئمة، كما هو ثَقِيل

عليه ﷺ. ومعنى الآية إنا سنوحى إليك قولاً يثقل

عليك وعلى أمتك.

أما ثقله عليه ﷺ فلما في التحقق بمحافظته من

الصّعبة، ولما فيه من محنة الرّسالة وما يتبعها من الأذى

في جنب الله، وترك الرّاحة والدّعة، وبمجاهدة النفس،

والانقطاع إلى الله، مضافاً إلى ما في تلقّيه من مصدر

الوحي من الجهد.

فضل الله: وهو القرآن الذي يحمل في داخله كل مفاهيم الرسالة وخطوطها الفكرية والعلمية في الحياة، مما يدفع الإنسان إلى الالتزام في دائرة المسؤولية التي تنقل عليه من خلال تحويل الحياة في وجدانه الحركي، من ساحه للاسترخاء والألمبالاة، والشكون والحزينة الفارقة في بحار الشهوات، والمتخيلة في وحول الجريمة، إلى ساحة للدعوة إلى تصحيح الفكر واستقامة القصد، ووضوح الهدف وطهارة الوسائل، وتضخيم الحياة، وتوجيه الإنسان نحو القضايا الكبيرة التي تلتقي برضى الله، في مواقع رحمته وحكمته في الدنيا والآخرة.

على ضوء ذلك، فإن القول الثقيل لا يستل في الثقل المادي، كما توحى بعض الروايات التي تُعبر عن الضغط والتأثيرات الشديدة التي كان يتعرض لها النبي في جسده، عند نزول الوحي عليه، بل يستل في ثقل المسؤولية التي تضغط على كل الواقع الإنساني، لتدفعه إلى الالتزام الفكري والعملي، الذي يقف عند حدود الله فلا يتجاوزها، ويتحمل ثقل الأعباء الملقاة على عاتق الإنسان المسلم، الذي يواجه التحديات من موقع الإيمان الرسالي، الذي يثبت في كل حالات الاهتزاز الروحي، المهادف إلى إسقاط الواقع من حوله.

وهذا ما يحتاج إلى التربية الطويلة، والمعاناة الشديدة، والقوة الروحية التي ترتفع بالإنسان إلى الآفاق الواسعة، فلا تضيق به مشكلة، ولا تضعفه مصيبة، ولا تخنقه عقدة، ولا يثيره انفعال، ليكون إنسان الفكر المهادئ والعاطفة المتزنة، والمحركة الماقلة، والواقع المتوازن، والكلمة المحلوة المهادنة، لأن الرسالة لاتتم في

وأثقل أنواعه الجهاد لتغيير القلوب والمشاعر، والقضاء على العقائد الفاسدة والتقاليد المورثة، واستئصال الفساد من جذوره، وهذا ما كلف به أبو القاسم محمد بن عبد الله [عليه السلام]

فلقد بعثه الله سبحانه ليستم مكارم الأخلاق للبشرية كلها، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأني تكليف أثقل وأشق من هذا التكليف؟ ومن الذي يستطيع أن يغير من أخلاق زوجته وولده بخاتمة في عصر الجاهلية أفسد المصور وأكثرها فساداً وطغياناً؟ ولكن محمداً تغلب على جميع الصعاب، وقام بالأمر على أكمل وجه.

أما السر في ذلك فيمكن في شخصية محمد وقوته وعظمتها، وفي صبره العجيب على تحمل الأذى في سبيل دعوته، فكان يزداد صبراً وحلماً كلما ازداد الطغاة في أذاه، ولا يزيد على قوله: «اللهم اغفر لقومي أنهم لا يعلمون».. إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي».

وبهذا نجد التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْلَمْ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤، أجل، الله يعلم أن شخصية محمد أقوى من العقائد والتقاليد ومن الناس مجتمعين، ولولا علمه بذلك لما بعث محمداً ليستم للبشرية مكارم الأخلاق ﴿لَا يَكْتَلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا حَاقِلَهَا﴾ الطلاق: ٧.

وقد أدرك الأديب العالمي الشهير «برنارد شو» هذه الحقيقة؛ حيث قال: لو كان محمد بن عبد الله في القرن العشرين لقضى على ما فيه من فساد وضلال. (٧: ٤٤٦) نحوه عبد الكريم الخطيب. (١٥: ١٢٥١)

استطاعوا أن يتغلبوا على كل هذه المشاكل ، باستمدادهم من تربية القرآن ، والاستعانة بصلاة اللّيل ، وبالاستفادة من قريحهم من ذات الله المقدّسة ، واستطاعوا بذلك حلّ هذا القول الثقيل ، والوصول إلى مرادهم . (١٩ : ١١٦)

٢- إِنْ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْفَاجِلَةَ وَذَرُّونَ زَوَاجَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا .
الذّهر : ٢٧

ابن عبّاس : شديدًا هوله وعذابه . (٤٩٦)
نحوه النّيسابوري (٢٩ : ١٢٩) ، وابن جرّير الكلبي (٤ : ١٧٠) ، والحجازي (٢٩ : ٧٩) .

الشّريف الرّضي : والمراد باليوم الثقيل هاهنا : استقاله من طريق الشّدّة والمشقّة ، لامن طريق الاعتقاد بالأجزاء الثّقيلة . وقد يوصف الكلام بالثّقيل على هذا الوجه وهو عرض من الأعراض ، فيقول القائل : قد ثَقُلَ عليّ خطاب فلان ، وماثقل كلام فلان !

(تلخيص البيان : ٢٣٠)
المساورديّ : يحتمل قوله : (ثَقِيلًا) وجهين : أحدهما : ندائده وأحواله ، الثّاني : للقصاص من عباده . (٦ : ١٧٣)

الطّوسيّ : أي هو ثَقِيل على أهل التّار أمره ، وإن خَفَّ على أهل الجَنَّة للشارة الّتي لهم فيه .

والثّقيل : ما فيه اعتادات لازمة إلى جهة الشّغل على جهة بشقّ عمله ، وقد يكون ثَقِيلًا على إنسان خفيفًا على غيره بحسب قدرته ، فيوم القيامة مشبّه بهذا .

(١٠ : ٢٢٠)
البهويّ : شديدًا ، وهو يوم القيامة ، أي يتركونه

عقل الإنسان إلّا من الشّخصيّة الإنسانيّة الّتي تجمع ذلك كلّهُ .

وتلك هي قيمة القيام باللّيل الّذي يملأ الرّوح بالصّفا والنفاء والهدوء والأتزان العقليّ والرّوحيّ ، عند ما يتكرّر لقاء الإنسان بربه في أجواء اللّيل الّذي يحوّل الظّلام من حالّة تثقل الرّوح بسوادها ، إلى حالّة تبتّ الصّفاء في الرّوح ، من خلال الاسترخاء الّذي يبعثه في مشاعرها ، فيدفعها إلى الهدوء في الحركة والفكر ، كما يوحى له بارتفاع مستوى الإحساس بالقوّة الّتي يستمدّها من صلته بالله . (٢٣ : ١٨١)

مكارم القيّرازيّ : إنّ المفسّرين قالوا في القول الثّقيل أحوالًا متفرّقة ، ولكنّ الملاحظ أنّ نقل القول يراد به القرآن المجيد بأبعاده المختلفة ، ثَقِيل بلحاظ المستوى ومفاهيم الآيات ، ثَقِيل بلحاظ تحمّله على القلوب ، لما يقوله القرآن : ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَائِبًا مَّصْدُوعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ﴾ المنسر : ٢١ ، ثَقِيل بلحاظ الوعد والوعيد وبيان المسؤوليّات ، ثَقِيل بلحاظ تبليغ ومشاكل طريق الدّعوة ، وثَقِيل في ميزان العمل وفي مرصّة القيامة ، وبالتالي ثَقِيل بلحاظ تعطيله وتنفيذه بشكل تامّ .

نعم ، وإن كانت قراءة القرآن سهلة وجديدة ومؤثّرة ، ولكن تحقّق مفاده ليس بالسهل البير ، بالمخصوص في أوائل الدّعوة الثّبويّة في مكّة ، حيث الظّلام ، والجهل وعبادة الأصنام والمخرافات ، إذ أنّ الأعداء المستصيّبين النّساء كانوا قد تكاثفوا ضدّ الرّسول ﷺ ، ولكنّ الرّسول ﷺ وأصحابه القلائد

صفات الأعيان الجسميّة لا الاستعدادات الوهيّة لتشبيه شدّته، وهوله بنقل الحمل الثقل، ففيه استعارة تخيلية. وفي الآية وعيد لأهل الدّنيا ونعيمها، خصوصاً لأهل الظلم والزّشوة. (٢٧٩: ١٠)

القاسمي: أي شديداً لثقل حسابه وشدّته وعسره. (٦٠١٧: ١٧)

سيد قطب: ثقيلاً بتبعاته، ثقيلاً بتناجه، ثقيلاً بوزنه في ميزان الحقيقة. (٣٧٨٦: ٦)

الطّباطبائي: وعدّ اليوم ثقيلاً من الاستعارة، والمراد ينقله شدّته، كأنّه محمول ثقل يشقّ حمله.

(١٤٢: ٢٠)

عبد الكريم الخطيب: يوم ثقل وقعه، بما يلتون فيه من كرب ولاء. (١٣٨٤: ١٥)

مكارم الشيرازي: ثقل من حيث العقوبات، ثقل من حيث المحاسبة، وثقل من حيث طول الزّمان والفضيحة الثّقل. (٢٤٥: ١٩)

مِقْطَال

١- إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً...

النساء: ٤٠

ابن عباس: لا يترك من عمل الكافر مثقال ذرّة لينفعه في الآخرة، ويُرْضَى به خصاءه. (٧٠)

زيد بن عليّ: زنة ذرّة، والذرّة: التّلمة الصّغيرة. (١٧١)

مثله الشّدي (٢٠٤)، وأبو عبيدة (١٢٧)، وابن قتيبة (١٢٧).

فلا يؤمنون به ولا يعلمون له. (١٦٥: ٥)

مثله الحازن. (١٦٢: ٧)

الزمخشري: استعير الثقل لشدّته وهوله من الثّبي، الثّقل الباهظ لحامله، ونحوه ﴿ثَقُلْتُ فِي

السُّنُوبِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: ١٨٧. (٢٠٠: ٤)

مثله الفخر الرازي (٣٠: ٢٦٠)، ونحوه البيضاوي

(٢: ٥٢٨)، وأبو عتيان (٨: ٤٠١)، والشّريفي (٤: ٤٦١).

ابن عطية: ووصف اليوم بالثقل على جهة التّسب، أي ذا ثقل من حيث الثقل فيه على الكفّار. فهو

كليل ناظم. (٤١٥: ٥)

الطّبرسي: أي عسيراً شديداً، والمعنى أنّهم لا يؤمنون به ولا يعلمون له. (٤١٣: ٥)

نحوه الشّريطي (١٩: ١٤٩)، وشير (٦: ٣٣٦)، ومحمد جواد منيّته (٧: ٤٨٦).

التّنصفي: شديداً لا يباؤون به وهو القيامة، لأنّ شدائده تنقل على الكفّار. (٣٢١: ٤)

أبو السعود: لا يباؤون به، ووصفه بالثقل لتشبيه شدّته، وهوله بنقل شيء فادح باهظ لحامله، بطريق

الاستعارة، وهو كالتّلميل لما أمر به ونهى عنه.

(٣٤٥: ٦)

مثله المشهدي (١١: ١٧٣)، ونحوه الأوسمي (٢٩: ١٦٦)، والطّطاوي (٢٤: ٣٢٣)، ومحمود صافي (٢٩: ١٩٣).

البُروسي: لا يباؤون به، و(يَؤْمِنُ) مفعول (يَذَرُونَ)، و(ثَقِيلًا) صفة. ووصفه بالثقل مع أنّه من

الطَّبْرِيّ: «يُنْقَالُ ذَرَّةً» أي مايزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن، ولكنه يمازيه به، ويشبهه عليه.

(٨٨: ٥)

الرَّجَاح: يُنْقَالُ «يُنْقَالُ» من الثقل، أي ماكان وزنه الذَّرة. وقيل: لكل ما يُعْمَلُ «وزنٌ مثقال» تمثيلاً، لأنَّ الصلاة والصَّيام والأعمال لاوزن لها. لكنَّ النَّاسَ خوطبوا فيما في قلوبهم بتمثيل مايدرك بأبصارهم، لأنَّ ذلك - أمني ما يُصَرَّ - أبين لهم.

الماورديّ: أصل المثقال: الثقل. والمثقال: مقدار

الشيء في الثقل.

(٤٨٨: ١)

الطُّوسِيّ: مقدار ذرة في الزنة.

(٢٠٠: ٣)

نحوه المبيديّ.

(٤٩٩: ٢)

البغويّ: أي لا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب

عمله مثقال ذرة، والذرة هي التملة الحمراء الصغيرة.

(٦٢١: ١)

نحوه القاسميّ.

(١٢٣٩: ٥)

الجواليقيّ: يظنُّ النَّاسُ أنَّ المثقال وزن دينار

لاغير، وليس كما يظنون. مثقال كل شيء: وزنه، وكلّ

وزن يستى مثقالاً، وإن كان وزن ألف.

(ابن الجوزيّ: ٢: ٨٣)

ابن عطية: قرأ ابن عباس «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ

نَمْلَةٍ»، (وَيُنْقَالُ) مفعول ثانٍ لـ (يَظْلِمُ)، والأوّل مضمّر،

التقدير: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ...، (وَيَظْلِمُ)

لايتعدى إلّا إلى مفعول واحد، وإِنَّمَا عُدِّيَ هُنَا إِلَى

مفعولين بَأَن يَقْدَرُ فِي مَعْنَى مَايَتَعَدَّى إِلَى مفعولين، كَأَنَّهُ

قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْقُصُ، أَوْ لَا يَبْخُسُ، أَوْ لَا يَنْصِبُ.

ويصحُّ أَنْ يَكُونَ نَصَبٌ (وَيُنْقَالُ) على أَنَّهُ بَيَانٌ وَصْفَةٌ

لمقدار الظلم المتنيّ، فيجيء على هذا نمّاً لمصدر محذوف،

التقدير: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ ظُلْمًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، كما تقول: إِنَّ

الأمير لَا يَظْلِمُ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً، أي لَا يَظْلِمُ ظُلْمًا قَلِيلاً

وَلَا كَثِيراً، فعلى هذا وقف (يَظْلِمُ) على مفعول واحد.

(٥٣: ٢)

الطَّبْرِيّ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا فَطَّ «يُنْقَالُ ذَرَّةً»

أي زنة ذرة، وهي التملة الحمراء الصغيرة التي لا تتكاد

تُرى.

نحوه أبو الفتح الرازيّ.

(٧٦٦: ١)

الفخر الرازيّ: [بعد بيان معنى كلمة «مثقال» قال:]

واعلم أَنَّ المراد من الآية أَنَّهُ تعالى لَا يَظْلِمُ قَلِيلاً

وَلَا كَثِيراً، ولكنَّ الكلام خرج على أصغر ما يتعارفه

النَّاسُ.

نحوه التيسابوريّ.

(٤١: ٥)

القرطبيّ: أي لا يبخسهم ولا ينقصهم من ثواب

عملهم وزن ذرة، بل يمازيهم بها ويشبههم عليها، والمراد

من الكلام أَنَّ اللَّهَ تعالى لَا يَظْلِمُ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً. (١٩٥: ٥)

البيضاويّ: والمثقال «مفعال» من الثقل، وفي

ذكره إجماع إلى أَنَّهُ وإن صغر قدره عظم جزاؤه.

(٢٢٠: ١)

نحوه الشريفيّ.

(٣٠٣: ١)

ابن جزيّ الكلبيّ: أي وزنها، وهي التملة

الصغيرة، وذلك تخيل بالقليل تنبيهاً على الكثير.

(١٤١: ١)

أبو حيان: نزلت في المهاجرين الأوّلين، وقيل: في

الخصوص ، وقيل : في عامة المؤمنين .

(٤١ : ٥)

مثله محمد جواد تقيته . (٣٢٦ : ٢)

الطَّبَاطِبَائِي : المشتال الرُّنَّة ... أي لا يظلم ظُلماً
يعدل مثقال ذرّة وزناً . (٣٥٦ : ٤)

٢- وَمَا يُثَرِّبُ عَنْ رَيْكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ ...
يونس : ٦١

ابن عباس : ما ينب «عَنْ رَيْكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ»
وزن غلة حمراء من أعمال العباد . (١٧٦)

أَبُو حَبِيَّةَ : أي زنة غلة صغيرة ، ويقال : خذ هذا
فإنّه أخفّ مثقالاً ، أي وزناً . (٢٧٨ : ١)

مثله الطَّبَرِيُّ (١١ : ١٣٠) ، والطُّوسِيُّ (٥ : ٤٦٠) ،
ونحوه ابن قُتَيْبَةَ (١٩٧) ، والْحَسَّاسُ (٣ : ٣٠٢) ،
والطَّبَرِيُّ (٣ : ١١٩) .

ابن عَطِيَّة : والمِثْقَال : الوزن ، وهو اسم ، لاصفة
كمطار ومضرب . (١٢٨ : ٣)

نحوه أَبُو حَيَّان . (٥ : ١٧٤)
الْفَخْرُ الرَّازِيُّ : أي وزن ذرّة ، ومِثْقَالُ الشَّيْءِ :

ما يساويه في الثقل ، والمعنى : ما يساوي ذرّة ، والذَرَّةُ :
صغار التَّمَل ، واحدها : ذرّة ، وهي تكون خفيفة الوزن
جداً . (١٧٣ : ١٧)

نحوه رشيد رضا . (١١ : ٤١٤)
الْبَيْضَاوِيُّ : موازن غلة صغيرة أو هباء . (١ : ٤٥٢)

مثله شَبْر . (٣ : ١٦٩)
أبو الشعوث : «مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ» كلمة (مِنْ) مزيدة

لتأكيد التثنية ، أي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل غلة

ومناسبة هذه لما قبلها واضحة ، لأنّه تعالى لما أسر
بعبادته تعالى وبالإحسان للوالدين ومن ذكر معهم ، ثمّ
أعقب ذلك بذكر البخل ، والأوصاف المذكورة معه ، ثمّ
ويُخ من لم يؤمن ولم ينفع في طاعة الله ، فكان هذا كلّهُ
توطئة لذكر الجزاء على الحسنات والتّيبات ، فأخبر
تعالى بصفة عدله ، وأنّه عز وجل لا يظلم أدنى شيء .

(٣ : ٢٥١)

أبو الشعوث : المِثْقَال «مفعال» من الثَّقَلَ ، كالمقدار
من القدر . واتصافه على أنّه تمت للمفعول قائم مقامه ،
سواء كان الظلم بمعنى النقص أو بحسن وضع في غير
موضعه ، أي لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئاً
مقدار ذرّة . أو على أنّه تمت للمصدر المحذوف نائب
منابه ، أي لا يظلم ظُلماً مقدار ذرّة . (٢ : ١٣٧)

المشهدّي : والمِثْقَال «مفعال» من الثَّقَلَ . وفي ذكره
إيماء إلى أنّه وإن صغر قدره عظم جزاؤه ، حيث أنبت
للذرة ثقلاً ، وإيماء إلى أنّ وضع الشيء في غير محله وإن
كان حقيراً ، فهو عظيم ثقل في القبح . (٢ : ٤٥٥)

الآلوسي : المِثْقَال «مفعال» من الثَّقَلَ ، ويطلق على
المقدار المعلوم الذي لم يختلف - كما قيل جاهليّة وإسلاماً -

وهو كما أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر رضي الله
تعالى عنه : أربعة وعشرون قيراطاً ، وعلى مطلق المقدار

- وهو المراد هنا - ولذا قال الشَّذَّي : أي وزن ذرّة ، وهي
التَّملة الحمراء الصّغيرة التي لا تكاد تُرى .. (٥ : ٣١)

الترغبي : المِثْقَال : أصله المقدار الذي له ثقل مهما
قلّ ، ثمّ أطلق على المعيار الخاص للذهب ، وغيره .

الصَّغِيرَةُ أَوْ هَبَاءً. (٢: ٣٣٦)
نَحْوَهُ الْكَاشَانِيُّ (٢: ٤٠٨)، وَالْبَرْوسِيُّ (٤: ٥٧)،
وَالْقَاسِمِيُّ (٩: ٣٣٦٤).
الْأَلُوسِيُّ: (مِنْ) مُزِيدَةٌ لِتَأْكِيدِ التَّسْنِي، وَالْمُسْتَقَالَ:
اسْمٌ لِمَا يُوَازِنُ الشَّيْءَ وَيَكُونُ فِي ثِقَلِهِ، وَهُوَ فِي الشَّرْعِ
أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا. (١١: ١٤٤)
الْقَنْطَارِيُّ: وَزْنُ غَلَّةٍ صَغِيرَةٍ حُمْرَاءَ، وَهِيَ خَفِيفَةٌ
الْوِزْنِ جَدًّا. (٥: ٦٥)
نَحْوُهُ طُهُ الدُّرَّةُ. (٦: ١٦٣)
وَهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ
لَا يَشْفُرُ بِعَنَتِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ...﴾ سَبَأٌ: ٣

المسألة الثانية: لِمَ أُنْتُ ضَمِيرُ الْمُتَقَالِ؟ قُلْنَا: لِإِضَافَتِهِ
إِلَى الْحَيَةِ، كَقَوْلِهِمْ: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ.
المسألة الثالثة: زَعَمَ الْمُجَبِّائِيُّ أَنَّ مَنْ اسْتَحَقَّ مِثْقَالَ
جِزَةٍ مِنَ الْعِقَابِ، فَاتَى طَاعَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا خَمْسِينَ جِزَةً
مِنَ الثَّوَابِ، فَهَذَا الْأَهْلُ يَنْعَبُ بِالْأَكْثَرِ، وَيَبْقَى الْأَكْثَرُ كَمَا
كَانَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَبْطُلُ قَوْلُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَمَدَّحٌ
بِأَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الطَّاعَةِ لَا يَسْفُطُ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ
الْمُجَبِّائِيُّ: لَسَقَطَتِ الطَّاعَةُ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ. (٢٢: ١٧٧)
الْقُرَيْبِيُّ: أَيُّ وَزْنِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، أَوْ أَصْغَرُ مِنْهُ.
وَلَيْتِمَا مَثَلٌ بِهِ لِأَنَّهُ غَايَةُ عِنْدَتَا فِي الْقَلَّةِ. (٢: ٥٠٧)
نَحْوُهُ أَبُو الشَّوَدِ (٤: ٣٤٠)، وَالْبَرْوسِيُّ (٥: ٤٨٦).
الْأَلُوسِيُّ: أَيُّ مِقْدَارِ حَبَّةٍ كَانَتْ مِنْ خَرْدَلٍ، فَالْجَاوِزُ
وَالْمُجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ وَقَعَ حَفَّةٌ لَـ (حَبَّةٌ). وَجَوْزٌ أَنْ
يَكُونَ حَفَّةٌ لَـ (مِثْقَالٌ) وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ. وَالْمُرَادُ وَلِنْ كَانَ فِي
غَايَةِ الْقَلَّةِ وَالْحَقَارَةِ فَإِنَّ حَبَّةَ الْخَرْدَلِ مِثْلُ فِي الصَّغَرِ.
(١٧: ٥٥)
طُهُ الدُّرَّةُ: أَيُّ مِقْدَارٍ، أَوْ وَزْنِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ؛
هَذَا نَبَاتٌ لَهُ حَبٌّ صَغِيرٌ جَدًّا، أَسْوَدُ، وَاحِدَتُهُ: خَرْدَلَةٌ،
يُقَالُ: إِنَّ الْحَسَنَ لَا يَدْرِكُ لَهَا ثِقْلًا، إِذْ لَا تُرْتَبَعُ مِيزَانًا.

٣. وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَثْنَيْتَا بِهَا وَكَفَى بِهَا
خَاسِبِينَ.
ابْنُ عَبَّاسٍ: وَزْنُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ. (٢٧٢)
مِثْلُهُ الشُّدِّيُّ (٣٥٢)، وَالْبَغَوِيُّ (٣: ٢٩٠)
الزَّوَاجِبُ: وَالْمُتَقَالَ: مَا يُوزَنُ بِهِ، وَهُوَ مِنَ الثَّقَلِ،
وَذَلِكَ اسْمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ.
ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالْمُسَقَّةُ وَالثَّقَلُ مُتَعَلِّقَةٌ بِأَجْسَامٍ،
وَيُقَرَّبُ إِلَيْهَا اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَئِذٍ بِالْأَعْمَالِ، فَإِذَا مَا أَنْ تَكُونَ صَحْفٌ
الْأَعْمَالُ أَوْ مَثَلَاتُ تُحْلَقُ، أَوْ مَاشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَرَأْنَا نَافِعٌ
وَحْدَهُ (مِثْقَالٌ) بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنْ تَكُونَ (كَانَ) تَائِمَةً، وَقَرَأَ
جَهْوَرُ النَّاسِ (مِثْقَالٌ) بِالتَّصْبِغِ عَلَى مَعْنَى، وَلِنْ كَانَ
الشَّيْءُ أَوْ الْعَمَلُ. (٤: ٨٥)
نَحْوُهُ الْقُرْطُبِيُّ (١١: ٢٩٤)، وَابْنُ خَالَوَيْهِ (٣: ٧٤).

والطاعات، ويؤيد ذلك قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أي لا تنفوت، وبهذا المعنى يستحصل في الموعظة ترجعية وتخويف مضاف ذلك إلى تبين قدرة الله تعالى، وفي القول الآخر ليس ترجعية ولا تخويف.

ومما يؤيد قول من قال: هي من الجواهر، قراءة عبد الكريم الجزري (فتكّن) بكسر الكاف وشدة التون، من الكنّ الذي هو الشيء المغطى. [ثم قال نحو ما تقدم عن القراء] (٤: ٣٥٠)

نحوه القرطبي. (١٤: ٦٧)
الطبرسي: معناه: أن صلة الإنسان من خير أو شرّ إن كانت مقدار حبة خردل في الوزن... (٤: ٣١٩)
الفخر الرازي: أي المسنة والسبيّة إن كانت في الصغر مثل حبة خردل، وتكون مع ذلك الصغر في موضع حريز كالصخرة، لا تحق على الله. (٢٥: ١٤٧)
ابن جرّي الكلبي: أي وزنها، والمراد بذلك أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد، فعبّر بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر. (٣: ١٢٧)

البيضاوي: أي إن الحصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل. (٢: ٢٢٩)
نحوه الكاشاني (٤: ١٤٥)، والقاسمي (١٣: ٤٨٠٠)، وطه الدرة (١١: ١٨٧).

الْقَلَانِ

سنفرغ لكم آية القلّان. الرحمن: ٣١
ابن عباس: الجن والإنس. (٤٥١)

(٩: ٥٩)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿قَلَنْ يَقْلُ مِقْقَالٌ ذَرَّةً حَبْرًا يَوْمَهُ وَمَنْ يَقْلُ مِقْقَالٌ ذَرَّةً شَرًّا يَوْمَهُ﴾ الزّلال: ٧، ٨.

٤- يَأْتِي بِهَا إِنْ تَك مِقْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَفْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. لقمان: ١٦

ابن عباس: وزن حبة. (٣٤٥)
القراء: يجوز نصب المقتال ورفعه، فن رفع رفعه بدتكن، واحتملت التكررة ألا يكون لها فعل في كان وليس وأخواتها، ومن نصب جعل في (تكن) اسماً مضمرّاً مجهولاً، مثل الماء التي في قوله: ﴿إِنَّمَا إِنْ تَك﴾. ومثل قوله: ﴿فَأَنَّمَا لَا تَفْقَى الْإِبْهَارُ﴾ الحج: ٤٦.
وجاز تأنيث (تَك) والينقال ذكر لآته مضاف إلى المحبة، والمعنى للحبة، فذهب التأنيث إليها. [ثم استشهد بشعر وقال:]

ولو كان ﴿إِنْ تَك مِقْقَال حَبَّة﴾ كان صواباً، وجاز فيه الوجهان. (٢: ٣٢٨)
ابن عطية: عبارة تصلح للجواهر، أي قدر حبة، وتصلح للأعمال، أي ما تزنه على جهة المماثلة قدر حبة. وظاهر الآية أنه أراد شيئاً من الأشياء خفيفاً قدر حبة، ويؤيد ذلك ما روي من أن ابن لقمان سأله أباه عن المحبة تقع في مثل البحر يعلمها الله، فراجع لقمان بهذه الآية.

وذكر كثير من المفسرين أنه أراد الأعمال: المعاصي

على الأرض أحياء وأمواتاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزال: ٢، وقال أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن يناقش فيه فهو «ثقل». (٤: ٣٣٦) مثله الحازن (٦: ٧)، والقرطبي (١٧: ١٦٦)، ونحوه ابن عطية (٥: ٢٣٠).

الصَّيْبُدي: [نحو البغوي وأصاف:] فجعلها ثقلين إعظاماً لقدرها، فكذلك سمي الثقلان لمعظم ورزانتهم وقدرهم. وقيل: لأنها مُثقلان بالذنوب، وقيل: مُثقلان بالتكليف. (٩: ٤١٤) الفخر الرازي: المشهور أن المراد الجن والإنس، وفيه وجه:

أحدها: أنها سُمِّيَا بذلك لكونها ثقلين بالذنوب. ثانيها: سُمِّيَا بذلك لكونها ثقلين على وجه الأرض، فإن التراب وإن لطف في الخلق لثِمَت خلق آدم، لكنه لم يخرج عن كونه ثقیلاً، وأما النار فلما ولد فيها خلق الجن كُشِفَت يسيراً، فكما أن التراب لطف يسيراً فكذلك النار صارت ثقلية، فهي ثقلان فسُمِّيَا بذلك.

ثالثها: الثقل أحدهما لاغير، وسمي الآخر به للمجاورة والاصطحاب، كما يقال: الثمران والقرنان، وأحدهما عمر وقر. أو يحتمل أن يكون المراد السموم بالتوسمين الحاصرين، تقول: يَأْتِيَا الثقل الذي هو كذا، والثقل الذي ليس كذا، والثقل: الأمر العظيم، قال طيحاوي: [إني تارك فيكم الثقلين]. (٢٩: ١١٢)

ابن عربي: وسميَا ثقلين لكونها سفليتين، مانئين إلى أرض الجسم. (٢: ٥٧٥)

مثله الحسن (أبو حيان ٨: ١٩٠)، والواحدي (٤: ٢٢٢)، وأبو الفتح الرازي (١٨: ٢٤١)، وابن كثير (٦: ٤٩٢)، والشربيني (٤: ١٦٦)، والمراغي (٢٧: ١١٧)، والطباطبائي (١٩: ١٠٦).

الإمام زين العابدين عليه السلام: نحن وكتاب الله، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: [إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي]. (التمذي ٢: ٣٤٥) الإمام الصادق عليه السلام: نحن والقرآن.

(البخاري ٩: ٣١٨) [وهذان تأويل جاء في غير محله، لأن القرآن لا يخاطب]

سمي الإنس والجن ثقلين، لأنها مُثقلان بالذنوب. (البغوي ٤: ٣٣٦) الماوردي: والثقلان: الإنس والجن، سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض. (٥: ٤٣٤) نحوه الزقشقي (٤: ٤٧)، وابن الجوزي (٨: ١١٥)، والسندي (٤: ٢١١)، والنيسابوري (٢٧: ٦٥)، ومحمد جواد مغنیه (٧: ٢١١).

الطوسي: وقوله: «أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» خطاب للجن والإنس. وإنما سُمِّيَا ثقلين لمعظم شأنهما، بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرها، فهما أثقل وزناً لمعظم الشأن بالمثل والتسمكين، والتكليف لأداء الواجب في الحقوق، ومنه قول النبي ﷺ: [إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي]. يريد عظيمي المقدار، لذلك وصفها بأثني ثقلان. (٩: ٤٧٣)

البغوي: أي الجن والإنس، سُمِّيَا ثقلين لأنها ثقلان

كفّي ميزانها. الإنس في كَفَّة، والجنّ في كَفَّة، عالم الظهور في جانب، وعالم الخفاء في جانب.

ومثل هذا «المُلَوَّن» وهما اللَّيْل والنَّهَار، لأنَّهما يملآن الزَّمان كُلَّهُ، ويستوعبان كُلَّ أُناتِه ولحظاته. (١٤: ١٦٨)

فضل الله: مواجهة الجنّ والإنس لمسؤوليّة أفعالهم، وهذه جسولة مع الثَّقَلَيْن، وهما الإنس والجنّ، وما ينظرهم من موقف المسؤوليّة الحاسم بين يدي الله، عندما يرجعون إليه، وحديث عن أوصاف النار والجنة، وما في ذلك من إيماء بنعم الله وآلانه. (٢١: ٣١٦)

مكارم الشَّيرازي: (الثَّقَلَان) من مَادَّة «ثَقُلَ» على وزن «كَبُرَ» بمعنى الميثل الثقيل، وجاءت بمعنى الوزن أيضًا، إِلَّا أَنَّ «ثَقُلَ» على وزن «خَبَرَ» تقال عادة لمتاع وجمل المسافرين، وتُطلق على جماعة الإنس والجنّ، وذلك لتقلّهم المنيوي، لأنَّ الله تبارك وتعالى قد أعطاهم عقلًا وشعورًا وعلشًا ووعيًا، له وزن وقيمة خاصّة، بالرَّغم من أَنَّ الثَّقَلَ الجسديّ لهم ملحوظ أيضًا، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزَّلْزَال: ٢.

حيث ورد أَنَّ أحد معانيها هو خروج النَّاس من القبور في يوم القيامة، إِلَّا أَنَّ التَّصْبِير في الآية مورد البحث جاء بالَّلحاظ المنيوي، خاصّة وأنَّ الجنّ ليس لهم ثقل، لذا فَإِنَّ المعنى الأوَّل هو الأقرب.

إِنَّ التَّأَكُّد على ذكر هاتين المجموعتين بالخصوص، لأنَّ التكاليف الإلهية مختصة بهما في الغالب. (١٧: ٣٧٦)

ثَقَالًا

أَبُو حَتَّان: (وَالثَّقَلَان): الإنس والجنّ، سمّيَا بذلك لكونهما ثَقِيلَيْن على وجه الأرض، أو لكونهما مُثْقَلَيْن بالذُّنُوب أو لثقل الإنس، وسمّي الجنّ ثَقَلًا لجسورة الإنس.

والتَّقَلُّ: الأمر العظيم، وفي الحديث: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْن: كتاب الله وعتري» سمّيَا بذلك لعظمهما وشرفهما. (٨: ١١٤)

البَيْضاوي: الثَّقَلَان: الإنس والجنّ، سمّيَا بذلك لتقلّهما على الأرض، أو لزرانة رأبهم وقدرهم، أو لأنَّهما مُثْقَلَان بالتكليف. (٢: ٤٤٢)

نحوه أَبُو الشَّعْثُود (٦: ١٧٨)، وشُيِّرَ (٦: ١٣٣)، والمشهديّ (١٠: ١٦٦)، والمجازيّ (٢٧: ٤٨).

العَامِلِيّ: قد ورد (الثَّقَلَان) في سورة الزَّحْزَح [وفي الرِّاويَات] ما يدلُّ على تأويله بالكتاب والأُمَّة ﴿ثَقَلَيْنِ﴾، كما تواتر عندنا وعند مخالفتنا. [وذكر حديث الثَّقَلَيْن، وهذا تأويل جاء في غير محله كما سبق] (١١١)

الْبُزْؤَسَوِيّ: [نحو البُنَوِيّ وأضاف:]
أو لما فيها من الثَّقَل وهو عين تأخُّرها بالوجود، لأنَّ من عادة الثَّقِيل الإبطاء، كما أَنَّ من عادة الخفيف الإسراع، والإنس أثقل من الجنّ للرُّكن الأغلب عليهم. (٩: ٣٠١)

القاسميّ: (وَالثَّقَلَان): تشبیه «ثَقُلَ» بفتحتين، «ثَقُلَ» بمعنى ثَقِيل، لأنَّهما أثقلتا الأرض، أو بمعنى مفصول، لأنَّهما أثقلتا بالتكاليف. (١٥: ٥٦٢٣)

عبد الكريم الخطيب: (الثَّقَلَان): الإنس والجنّ، وسمّيَا بالثَّقَلَيْن: لأنَّهما ثَقَلَا الأرض، كلٌّ يأخذ جانبًا من

ابن عباس: شَبَانًا وشُيُوخًا. (١٥٨)

مثلته الحسن وأبو طلحة (الطَّيْرِي ١٠: ١٣٧)،
وعكرمة ومجاهد (المساوردي ٢: ٣٦٥)، وقَتَادَة
والصَّخَّال (البَقَوِي ٢: ٣٥٣)، والسَّعْيِي وأبو صالح وشمير
وابن عطية وابن زَيْد (ابن الجوزي ٣: ٤٤٢)، ومُتَقَائِل بن
حَيَّان (ابن كثير ٣: ٤٠٣).

نشاطًا وغير نشاط. (ابن كثير ٣: ٤٠٣)
مثلته قَتَادَة (الطَّيْرِي ١٠: ١٣٩)، ومُتَقَائِل (ابن
الجوزي ٣: ٤٤٢).

كُهُولًا وشَبَانًا.

مثلته عكرمة وأبو صالح والحسن البصري وسهيل
ابن عطية ومُتَقَائِل بن حَيَّان والسَّعْيِي وزيد بن أسلم (ابن
كثير ٣: ٤٠٣).

خفافًا: أهل الميسرة من المال، وثقالًا: أهل العسرة.
(البَقَوِي ٢: ٣٥٤)

خفافًا من العيال وثقالًا بهم.

مثلته زيد بن علي والحكم بن عتيبة.

(أبو حنبل ٥: ٤٤)

النشيط والكلان. (أبو حنبل ٥: ٤٤)

أغنياء وفقراء. (ابن الجوزي ٣: ٤٤٢)

مثلته أبو صالح. (الطَّيْرِي ١٠: ١٣٩)

نحوه عكرمة والصَّخَّال ومُتَقَائِل بن حَيَّان ومجاهد.

(ابن كثير ٣: ٤٠٣)

رجالًا وركبًا.

مثلته الأوزاعي. (ابن الجوزي ٣: ٤٤٢)

مُجَاهِد: الخفيف: الفني، والثقل: الفقير.

١- وَهُوَ الَّذِي يُوسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ
حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقَّتْهُ لِيَكْدَ مِنْهُ ...

الأعراف: ٥٧

ابن عباس: ثَقِيلًا بالماء.

مثلته الرَّجَّاج (٢: ٣٤٥)، والسَّجَّانِي (٦٦).

ونحوه الطَّبَّاطِبَانِي (٨: ١٦٠).

الْعُوسِي: الثقال: جمع ثقل، والثقل: صافيه
الاعتدال الكثير سفلاً. وقال قوم: هو ما تجمع أجزاؤه
كالذهب والحجر، وقد يكون بكثرة ما حمل كالسحاب
الذي ينقل بالماء. (٤: ٤٦١)

ابن عطية: (ثَقَالًا) معناه من الماء، والعرب نصف
السحاب بالثقل والدُّلْح. [ثم استشهد بشر] (٢: ٤١٣)
ابن كثير: أي حملت الرياح سحابًا ثَقَالًا، أي من
كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة، قريبة من الأرض،
مدلّهة. [ثم استشهد بشر] (٣: ١٨١)

الْبُرْوسَوِي: (ثَقَالًا) جمع ثقل، أي بالماء. جمعه مع
كونه وصفًا للسحاب، لأنَّ السحاب اسم جنس يصحّ
إطلاقه على سحابة واحدة وما فوقها، فيكون بمعنى
الجمع، أي السحاب. (٣: ١٨٠)

نحوه رشيد رضا. (٨: ٤٦٧)

الْأَلُوسِي: (ثَقَالًا) من الثقل كُنِبَ: خُذَّ الخَفَّةُ،
يقال: ثَقُلَ كَثْرَمُ ثَقْلًا وَثَقَالَةً فهو ثَقِيلٌ، وَثَقُلَ السَّحَابُ
بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. (٨: ١٤٦)

٢- اِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا. التوبة: ٤١

شُجْعَانًا وَجُبْنَاء. (أَبُو حَتِيَّانَ ٥ : ٤٤)

الرُّمَانِيّ: عَلَى خَفَّةِ البَعِيرِ وَثَقَلَهُ. (الْمَاوُزِدِيُّ ٢ : ٣٦٥)
هو من خَفَّةِ اليَقِينِ وَثَقَلَهُ عِنْدَ الْكَرَاهَةِ.

(أَبُو حَتِيَّانَ ٥ : ٤٤)
مَرَّةُ الْهَمْدَانِيّ: أَصْحَاءٌ وَمَرْضَى.

(البَغَوِيُّ ٢ : ٣٥٤)
نَحْوُهُ جَوْبِير. (الْمَاوُزِدِيُّ ٢ : ٣٦٥)

صَاحِبُ الْفَتَيَانِ: خِفَافًا إِلَى الْمُبَارَاةِ، وَثِقَالًا فِي
الْمُصَابِرَةِ، وَخِفَافًا بِالْمُسَارَعَةِ وَالْمُبَادَرَةِ، وَثِقَالًا بَعْدَ
التَّرَوِّيِّ وَالتَّنَكُّرِ. (أَبُو حَتِيَّانَ ٥ : ٤٤)

التَّبَرِّيُّ يَزِي: خِفَافًا مِنَ الْإِتْبَاعِ وَالْمُحَاشِيَةِ، ثِقَالًا بِهِمْ.
(أَبُو حَتِيَّانَ ٥ : ٤٤)

الْفَوَاءُ: يَقُولُ: لَيْفَرُ مِنْكُمْ ذُو الْعِيَالِ وَالْمَيْسِرَةِ.
فَهَؤُلَاءِ الثَّقَالُ، وَالْخِفَافُ: ذُو الْعِسْرَةِ وَقَلَّةُ الْعِيَالِ.

وَيَقَالُ: ﴿إِنِّي زِدُوا خِفَافًا﴾ نَشَاطًا، وَثِقَالًا وَإِنْ ثَقُلَ
عَلَيْكُمْ الْخُرُوجُ. (١ : ٤٣٩)

ابن قُتَيْبَةَ: أَي لَيْفَرُ مِنْكُمْ مَنْ كَانَ مَخْفًا وَثِقَلًا.
وَالْخَفَفُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَفِيفُ الْحَالُ، وَيَكُونَ الْخَفِيفُ
الظَّهْرُ مِنَ الْعِيَالِ، وَالْمُنْقَلُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغَنِيُّ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ الْكَثِيرُ الْعِيَالِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى شَبَابًا
وَشَبُوحًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ. (١٨٧)

الطَّبْرِيُّ: [ثَقُلَ الْأَقْوَالُ ثُمَّ قَالَ:]

وَأَوَّلُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالضَّوَابِ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ
اللهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّفَرُّقِ لِمُجَاهَدَةِ أَعْدَائِهِ فِي سَبِيلِهِ
خِفَافًا وَثِقَالًا، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي «الْخِفَافِ» كُلُّ مَنْ كَانَ
سَهْلًا عَلَيْهِ التَّفَرُّقُ، لِقُوَّةِ بَدَنِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَصَحَّةِ جَسَدِهِ

(الْقُرْطُبِيُّ ٨ : ١٥٠)

فَإِنْ فِينَا الثَّقِيلُ وَذَا الْحَاجَةِ وَالضَّيْغَةِ وَالثَّقَلِ
وَالْمُتَيْسِّرِ بِهِ أَمْرُهُ. (ابن كثير ٢ : ٤٠٣)

الْحَسَنُ: شَيْبًا وَشُبَّانًا. (الطَّبْرِيُّ ١٠ : ١٣٧)
فِي الْفُسْرِ وَالْيُسْرِ. (التَّحْسِاسُ ٣ : ٢١١)

الْخَفِيفُ: الثَّاقِبُ، وَالثَّقِيلُ: الشَّيْخُ.

(الْقُرْطُبِيُّ ٨ : ١٥٠)

الْقَوُفِيُّ: رُكْبَانًا وَمُسَافَةً. (البَغَوِيُّ ٢ : ٣٥٣)
مِثْلُهُ أَبُو عَمْرٍو وَالْأَوَزَاعِيُّ. (الْمَاوُزِدِيُّ ٢ : ٣٦٥)

وَقَدَادَةُ الشَّاهِيّ
زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: مُشَاغِبٌ وَغَيْرُ مُشَاغِبٍ.

(الْقُرْطُبِيُّ ٨ : ١٥٠)

مِثْلُهُ الْحَكَمُ بْنُ عَتِيْبَةٍ. (الطَّبْرِيُّ ١٠ : ١٣٨)
زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ: الْمُنْقَلُ الَّذِي لَهُ عِيَالٌ، وَالْخَفَفُ:

الَّذِي لَا عِيَالَ لَهُ. (التَّحْسِاسُ ٣ : ٢١٢)
عَزَبَانًا وَمَتْرُوجِينَ. (أَبُو حَتِيَّانَ ٥ : ٤٤)

مِثْلُهُ يَمَانُ بْنُ رِيَابٍ. (البَغَوِيُّ ٢ : ٣٥٤)
الْأَوَزَاعِيُّ: الْخِفَافُ: الرِّجَالُ، وَالثَّقَالُ: الْفَرَسَانُ.

(الْقُرْطُبِيُّ ٨ : ١٥٠)

ابن زَيْدٍ: الثَّقِيلُ: الَّذِي لَهُ الضَّيْغَةُ فَهُوَ ثَقِيلٌ، يَكْرَهُ
أَنْ يُضَيِّعَ ضَيْغَتَهُ وَيَعْرِجَ، وَالْخَفِيفُ: الَّذِي لَا ضَيْغَةَ لَهُ.

(الطَّبْرِيُّ ١٠ : ١٣٩)

ذُوِي صِنْمَةٍ وَهُوَ الثَّقِيلُ، وَغَيْرُ ذُوِي صِنْمَةٍ وَهُوَ
الْخَفِيفُ. (أَبُو حَتِيَّانَ ٥ : ٤٤)

النَّقَاشُ: الْخَفِيفُ: الشَّجَاعُ، وَالثَّقِيلُ: الْجَبَانُ.

(الْقُرْطُبِيُّ ٨ : ١٥٠)

ينفروا إلى جهاد المشركين خفاً وثقلاً.

وقيل في معنى «خِفَافًا وَثِقَالًا» ثمانية أقوال:

[ذكرها إلى أن قال:]

وثانيتها: أن يحمل على عمومها، فيدخل فيه جميع ذلك، وهو الأولى والأكثى بالظاهر، وهو اختيار الطبري والثماني، ويكون ذلك على حال خفة التغير ونقله، لأن هذا الذي ذكر يجري مجرى التمثيل لما يعمل هذا العمل به. (٥: ٢٦٠)

الْقُسَيْرِيُّ: (خِفَافًا) يعني في حال حضور قلوبكم، فلا يمسكم نصب الجاهدات، (وَيَقَالُ) إِذَا رُوِّدْتُمْ إِلَيْكُمْ فِي مَقَاسَةِ تَبِ الْمَكَابِدَاتِ، فَإِنَّ الْبَيْعَةَ أَخَذَتْ عَلَيْكُمْ.

ويقال: (خِفَافًا) إِذَا تَحَرَّرْتُمْ مِنْ رِقِّ الْمَطَالِبَاتِ وَالْإِخْتِيَارِ، (وَيَقَالُ) إِذَا كَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ثَقْلُ الْحَاجَاتِ، وَأَنْتُمْ تَوْتَلُونَ قَضَاءَ الْحَقِّ مَارِيكُمْ. (٣: ٢٩)

الرَّاهِبُ: قِيلَ: شُبَّانًا وَشُيُوخًا، وَقِيلَ: فَقَرَاءَ وَأَغْنِيَاءَ، وَقِيلَ: عَزَبَاءَ وَمُسْتَوْطِنِينَ، وَقِيلَ: نُسَاطًا وَكُسَالَى، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي عُمُومِهَا، فَإِنَّ الْقَصْدَ بِالْآيَةِ الْحَثُّ عَلَى الثَّرَقِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، تَصَبُّبًا أَوْ تَسَهُّلًا. (٨٠)

الْبَقَوِيُّ: وَقِيلَ: (خِفَافًا) مِنَ السِّلَاحِ، أَيْ مَقْلِينَ مِنْهُ، (وَيَقَالُ) أَيْ مُسْتَكْرَيْنَ مِنْهُ. وَقِيلَ: (خِفَافًا) مِنْ حَاشِيَتِكُمْ وَأَتْبَاعِكُمْ، (وَيَقَالُ) مُسْتَكْرَيْنَ بِهِمْ. وَقِيلَ: (خِفَافًا) مُسَرِّعِينَ خَارِجِينَ سَاعَةَ التَّغْيِيرِ (وَيَقَالُ) بَعْدَ التَّوَيُّ فِيهِ وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ. (٢: ٣٥٤)

الرَّمْضَهْرِيُّ: (خِفَافًا) فِي التَّغَوُّرِ لِنَسْطَاكُمُ لَهُ، (وَيَقَالُ) عَنْهُ لِمَشَقَّةِ عَلَيْكُمْ، أَوْ (خِفَافًا) لِقَلَّةِ عِيَالِكُمْ وَأَذْيَالِكُمْ، (وَيَقَالُ) لِكُرْهَاتِهَا، أَوْ (خِفَافًا) مِنَ السِّلَاحِ،

وشبابه، ومن كان ذا تسرّ بال وفراغ من الاستئصال، وقادراً على الظَّهْرِ وَالرَّكَابِ. ويدخل في «الثَّقَال» كُلٌّ مِنْ كَانَ يَخْتَلَفُ ذَلِكَ، مِنْ ضَعِيفِ الْجِسْمِ وَعَلِيهِ وَسَقِيمِهِ، وَمِنْ مَعْسَرٍ مِنَ الْمَالِ وَمَشْتَغِلٍ بِضَيْعَةٍ وَمَعَاشٍ، وَمِنْ كَانَ لَا ظَهْرَ لَهُ وَلَا رَكَابَ، وَالشَّيْخُ ذُو السِّنِّ وَالْعِيَالِ.

فَإِذَا كَانَ قَدْ يَدْخُلُ فِي الْخِفَافِ وَالثَّقَالِ مِنْ وَصْفِنَا مِنْ أَهْلِ الصَّفَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ صَفًّا دُونَ صَفٍّ فِي الْكِتَابِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا نَصَبَ عَلَى خُصُوصِهِ دَلِيلًا، وَجِبَ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِهِ بِالْتَّجَرُّ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، مَعَ رَسُولِهِ ﷺ، عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ أَسْوَاحِ الْخَفَةِ وَالثَّقَلِ. (١٠: ١٣٧)

النَّحَّاسُ: [نَقَلَ الْأَقْوَالَ ثُمَّ قَالَ:]

وهذه الأقوال متقاربة، والمعنى انفروا على كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَمِنْ أَجْمَعَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ قَوْلُ الْحَسَنِ: «فِي السَّرِّ وَالْيَسْرِ».

وقول أبي طلحة حسن، لَأَنَّ الشَّابَّ تَخَفَّ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ، وَالشَّيْخُ تَثَقَّلَ عَلَيْهِ. (٣: ٢١١)

الْقَيْسِيُّ: نَصَبَ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَضَرِّ فِي (انْفَرُوا) أَيْ انْفَرُوا رِجَالًا وَرُكْبَانًا. (١: ٣٦٣)

الْمَاوُزِدِيُّ: فِيهِ عَشْرَةُ تَأْوِيلَاتٍ: [وَذَكَرَهَا ثُمَّ قَالَ:]

والعاشر: خِفَافًا إِلَى الطَّاعَةِ وَثِقَالًا عَنْ الْمَافَلَةِ. الحادي عشر: خِفَافًا إِلَى الْمُبَارَزَةِ، وَثِقَالًا فِي الْمَصِيرَةِ. (٢: ٤٦)

الطُّوسِيُّ: هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ

نحوه عِرْزَةُ دُرُوزَةٍ (١٢: ١٤٠)، والمِراغِي (١٠: ١٢٣)، وَطَةُ الدُّرَّةِ (٥: ٣٦٧).

ابن البَقُوزِيّ: وفي معنى «خَفَافًا وَثِقَالًا» أحد عشر قولاً. [ثم نقل الأقوال إلى أن قال:]

والرَّابِع: أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس. ثم في معنى هذا الوجه قولان:

أحدهما: أَنَّ الخِفَاف: ذوو العسرة وقِلَّة العيال، والثَّقَال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء.

والثَّانِي: أَنَّ الخِفَاف: أهل الميسرة، والثَّقَال: أهل العسرة، حكى عن الرَّجَّاج. (٣: ٤٤٢)

الفَخْرُ الرَّازِيّ: والمراد انفروا سواء كنتم على الصِّفَةِ الَّتِي يَخْفُ عَلَيْكُمُ الْمِجَاهِدُ أَوْ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَنْقُلُ، وهذا الوصف يدخل تحته أقسام كثيرة. [ثم نقل بعض الأقوال وقال:]

والصَّحِيح ما ذكرنا إذ الكَلِّ داخل فيه، لأنَّ الوصف المذكور وصف كُلِّ، يدخل فيه كُلُّ هذه الجزئيات.

(١٦: ٦٩)

نحوه التَّيْسَابُورِيّ (١٠: ٩٣)، والمُحَازِن (٣: ٨٢)، القُرْطُبِيّ: «إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا» نصب على

الحال، وفيه عشرة أقوال: [ونقل بعضها ثم قال:]

والصَّحِيح في معنى الآية أَنَّ النَّاسَ أَمْرُوا جَمْلَةً، أَي انْفِرُوا خَفَّتْ عَلَيْكُمُ الْحَرَكَةُ أَوْ ثَقُلَتْ. وروي أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: أَهْلِي أُنْفِرُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَيْسَ عَلَى الْآخِضِ خَرْجٌ» التَّور: ٦٦.

وهذه الأقوال إِنَّمَا هي على معنى المثال في الثقل

(وَيَقَالُ) منه، أَوْ رُكْبَانًا وَمِشَاةً، أَوْ شِبَابًا وَشَيْوخًا، أَوْ مَهَازِيلَ وَسِيَّانًا، أَوْ صِحَاحًا وَبِرَاصًا. (٢: ١٩١)

نحوه التَّيْسَابُورِيّ (١: ٤١٦)، والتَّسَنِّي (٢: ١٢٦)، وَالطَّنَّطَاوِيّ (٥: ١٣٠).

ابن حَطَّيْطٍ: ومعنى الخِفَّةِ والثَّقَلِ هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة، وَأَمَّا مَنْ لَا يُمْكِنُهُ كَالْعَمِيِّ وَنَحْوِهِمْ، فَمُخَارَجٌ عَنْ هَذَا. [إلى أن قال:]

وذكر النَّاسَ مِنْ مَعَانِي الخِفَّةِ وَالثَّقَلِ أَشْيَاءَ لَا وَجْهَ لِتَخْصِيسِ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ، بَلْ هِيَ وَجُوهٌ مُتَّفَقَةٌ. [ثم نقل بعض الأقوال المتقدمة وقال:]

وقيل: الشَّجَاعُ هُوَ الخَفِيفُ، والجَبَانُ هُوَ الثَّقِيلُ، حَكَاهُ التَّنَاشُ. وقيل: الرَّاجِلُ هُوَ الثَّقِيلُ، وَالْفَارَسُ هُوَ الخَفِيفُ، قَالَه الْأَوْرَاعِي.

وهذان الوجهان الآخران يُمَكِّنَانِ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ بِحَسَبِ وَطْأَتِهِمْ عَلَى الْمَدَى، فَالشَّجَاعُ هُوَ الثَّقِيلُ وَكَذَلِكَ الْفَارَسُ، وَالْجَبَانُ هُوَ الخَفِيفُ وَكَذَلِكَ الرَّاجِلُ، وَكَذَلِكَ يَنْعَكِسُ الْفَقِيرُ وَالْفَنِيُّ، فَيَكُونُ الْفَنِيُّ هُوَ الثَّقِيلُ بِمَعْنَى صَاحِبِ الثَّقَلِ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ النَّاسَ أَمْرُوا جَمْلَةً. وهذه الأقوال إِنَّمَا هي على معنى المثال في الثقل والخِفَّةِ. (٣: ٣٧)

الطَّبْرِيّ: ثم أمر سبحانه بالمجاهد، وبين تأكيد وجوبه على العباد، فقال: (إِنْفِرُوا) أَي أَخْرِجُوا إِلَى الْقِتَالِ خِفَافًا وَثِقَالًا [ثم نقل بعض الأقوال وقال:]

وَالْوَجْهُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى الْجَمِيعِ، فَيَقَالُ: مَعْنَاهُ أَخْرِجُوا إِلَى الْمِجَاهِدِ خَفَّتْ عَلَيْكُمُ أَوْ شَقَّتْ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كُنْتُمْ، لِأَنَّ أَحْوَالَ الْإِنْسَانِ لَا تَغْلُو مِنْ أَحَدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ (٣: ٣٢)

والخفة.

(٨: ١٥٠)

ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ: أمر بالتغيير إلى الغزو، والخفة استتارة لمن يمكنه الشَّغْر بسهولة، والقتل من يمكنه بصعوبة.

[ثم ذكر بعض الأقوال ثم قال:]

وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة. (٢: ٧٦)

أبو عَيَّان: [نقل بعض الأقوال وأضاف:]

وقيل: مهازيل وسبائن، وقيل: سباقاً إلى الحرب كاطليمة وهو مقدم الجيش، والقتال: الجيش بأسره. والجُمُهور على أن الأمر موقوف على فرض الكفاية، ولم يقصد به فرض الأعيان.

وقال الحسن وعكرمة: هو فرض على المؤمنين،

حتى به فرض الأعيان في تلك المدة، ثم نُسَخ بقوله:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ التوبة: ١٢٢،

وانتصب (خِفَافًا وَثِقَالًا) على الحال. (٥: ٤٤)

ابن كثير: أمر الله تعالى بالتغيير العام مع رسول

الله ﷺ عام غزوة تبوك، لقتال أعداء الله من الزوم

الكفرة، من أهل الكتاب، وحسَّرت على المؤمنين في

الخروج معه على كلِّ حال في المنشط والمكررة والشَّر

واليسر، فقال: ﴿إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. [ثم نقل بعض

الأقوال المتقدمة وقال:]

هذا كله من مقتضيات الصوم في الآية، وهذا

اختيار ابن جرير.

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي: إنا كان التغيير إلى

دروب الزوم نفر الناس إليها خِفَافًا وَرُكْبَانًا، وإذا كان

التغيير إلى هذه السواحل نفروا إليها خِفَافًا وَثِقَالًا وَرُكْبَانًا

ومُتَنَةً، وهذا تفصيل في المسألة. (٣: ٤٠٣)

نحوه الشَّرِيبِيُّ. (١١: ٦١٧)

أبو الشَّوْهَد: حالان من ضمير الخاطبين، أي على

أي حال كان من يُسر وعُسر حاصلين، بأي سبب كان

من الصَّعَةِ والمرض أو الفنى والفقر، وقلة العيال

وكثرتهم، أو غير ذلك مما ينظمه مساعدة الأسباب

وعدمها، بمد الإمكان والقدرة في الجملة، وما ذكر في

تفسيرهما. [ونقل بعضها]

ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين بالإرادة، من

غير مقارنة للباقي. (٣: ١٥٠)

نحوه البرُوسُوي (٣: ٤٣٧)، والآكُوسي (١٠:

١٠٤)، والقاسمي (٨: ١٥٩).

ورشيد رضا: الخفاف بالكسر: جمع خفيف،

والثقال: جمع ثقل. والخفة والثقل يكونان بالأجسام

وصفتها من صفة ومرض، وغافة وسمين، وشباب

وكبر، ونشاط وكسل، ويكونان بالأسباب والأحوال،

كالقلة والكثرة في المال والعيال، ووجود الظهر

(الزَّاحلة) وعدمه، ونبوت الشواغل وانتفاءها.

فإذا أعلن التغيير العام، وجب الامتنال إلَّا في حال

العجز التام، وهو ما بينه تعالى في سورة التوبة الآية:

٩١، من هذا السياق ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى

النَّرَضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

نَصَحُوا لهُ وَرَسُولُهُ﴾، وعُذر القسم الثالث مشروط بما

إذا لم يجد الإمام أو نائبه ما ينفق عليهم، كما ذكرنا في

الآية. وستأتي. وماورد عن مفسري السلف من تفسير

الخفاف والثقال ببعض ما ذكرنا من الكليات، فهو

ذلك عُدْرًا يعتذر به لترك الخروج، كما أنَّ الجمع بين الأموال والأنفس في الذكر في معنى الأمر بالجهاد، بأي وسيلة أمكنت.

وقد ظهر بذلك أنَّ الأمر في الآية مطلق لا يأتي التقييد بالأعذار التي يسقط معها وجوب الجهاد، كالمرض والعنى والترح ونحو ذلك، فإنَّ المراد بالحفَّة والتَّقل أمر وراء ذلك.

محمد جواد مَسْغُونِيَّة: الخفاف: جمع خفيف، والمراد به هنا من يستطيع الجهاد يسر، والتَّقال: جمع ثقيل، وهو من يستطيع الجهاد بشيء من المشقة.

والآية تدلُّ على وجوب التَّغير العام، وإليك البيان: إذا حاول العدو أن يحتدي على دين الإسلام بتحريف كتاب الله ومأثبات من سنَّة نبيه، أو بصدِّ المسلمين ومنعهم عن إقامة الفرائض والشَّعائر الدِّينية، أو حاول الاستيلاء على بلد من بلادهم، إذا كان الأمر كذلك وجب على المسلمين أن يجهادوا هذا العدو، ويردَّعوه عن غيِّه وضلاله.

فإنَّ أمكن ردعه بجهاد بعض المسلمين، وجب الجهاد به كفاية إذا قام البعض سقط عن الكلِّ، وإذا أهملوا جميعًا فهم مسؤولون ومستحقون للعقاب بلا استثناء، وإذا توقف الزَّدع على التَّغير العام، كان الجهاد عينًا على الثُّبَان والتَّيَوُّج والنَّساء والمرضى، من كلِّ حسب قدرته.

قال صاحب الجواهر^(١): «إذا داهم المسلمين عدوٌّ من الكفار يُحْشَى منه على بيضة الإسلام، أو يريد الكافر

للتَّمثيل للحمصر. [ثمَّ نقل بعضها وقال:]

أقول: يمثل هذا التَّهم للقرآن والاهتداء به فتح سلفنا البلاد، وسادوا العباد، وكانوا خيرًا لهم من أبناء جلدتهم، والمشاركين لهم في ملَّتهم، ولم يبق لأحد من شعوب أمتنا حفظ من القرآن إلَّا تَقَيَّ بعضهم بتلاوته من غير فهم ولا تدبُّر، واشتغال آخرين بإعراب جملة، ونكث البلاغة في مفرداته وأسانيه، من غير علم ولا فقه فيها، ولا فكر ولا تدبُّر لما أودع من المعظَّات والعبر في مطاوعها، فهم يتشدَّقون بأنَّ «خِفَافًا وَثِقَالًا» منصوبان على الحال، ولا يرشدون أنفسهم ولا غيرهم إلى ما أوجباه على ذي الحال.

وقد يذكر من يستمى الفقيه فيهم ما قيل: من أنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَسَاكَنَ السُّورِيُّونَ يَتَخَفُوا كَافَّةً﴾ التوبة: ١٢٢، وهو زعم مخالف لما عليه الأئمَّة كآفة، من أنَّه لا تعارض بين الآيتين، كما سيأتي في تفسير الثانية.

ومثل هذا وذاك أضاع المسلمون ملكهم، وصار أكثرهم عبيدًا لأعدائهم.

الطُّبَّاءُ بِأَيِّ: الخفاف والتَّقال جمع خفيف وثقيل، والتَّقل بقرينة المقام: كناية عن وجود الموانع الشَّاغلة الصَّارقة للإنسان عن الخروج إلى الجهاد، نظير كثرة المشاغل المألَّية، وحبِّ الأهل والولد والأقرباء والأصدقاء الذي يوجب كراهة مغارقتهم، وفقد الزَّاد والرَّاحلة والسَّلاح ونحو ذلك، والحفَّة: كناية عن خلاف ذلك.

فالأمر بالتَّفرُّخ خفَّافًا وَثِقَالًا، وهما حالان متقابلان في معنى الأمر بالخروج على أي حال، وعدم اتِّخاذ شيء من

(١) الجواهر في الفقه لمحمد حسن النجفي. من كبار فقهاء الإجماع في القرن الثالث عشر الهجري.

التجارة أو الزراعة ونحوها، أو كالمحرص على الحياة، والخوف من الموت، أو الاستئصال لأعداء السفر، ومشقة الانتقال، والتعرض لمناصب الطريق، وما يتعرض له المسافر من حر أو برد، أو جوع أو ظمأ.

والثقال: جمع ثقل، وهو الذي تعرض له تلك العوارض التي تثقله، وتوهن عزمه على الجهاد، وتثقل خطوه في السعي إليه.

والأمر بالنظر إلى الجهاد موجه إلى الخفاف والثقال جميعاً، من القادرين على حمل السلاح. وليست هذه العوارض المادية أو المعنوية التي تعرض للمسلم بالتي تُفنيه من أن يكون في جبهة القتال مع إخوانه المجاهدين في سبيل الله، فهو أتم، خارج على أمر الله، إن هول يأخذ مكانه، ويؤدي الواجب المدعو إليه. (٥: ٧٧٨)

فضل الله: ويعود النداء الإلهي من جديد، ليستحثهم ويحرك فيهم إرادة الجهاد، من خلال إرادة الإيمان الحي في نفوسهم، فإذا ينتظر المؤمن أمام نداء الله إلا أن يستجيب له، لأن في ذلك الخير كل الخير، والتجاح كل التجاح، لو وعى الإنسان حقيقة الموقف وحقيقة الإيمان.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ لأن القضية ليست في مাত্রحون تحته من أنفال الإسلام في الحياة، إن النداء يُشبه الدعوة إلى التغيير العام على كل حال، بعيداً عن الظروف الموقرة أو المنشطة. (١١: ١١٩)

مكارم الشيرازي: والخفاف: جمع الخفيف، والثقال: جمع الثقل، ولها تين الكلمتين مفهوم شامل يستوعب جميع حالات الإنسان، أي انفروا في أية حالة

الاستيلاء على بلاد المسلمين وأسرههم وسبيهم وأخذ أموالهم، إذا كان كذلك وجب الدفاع على الحر والعبد والذكر والأنثى والسليم والمريض والأعمى والأعرج وغيرهم إن احتيج إليهم، ولا يتوقف على حضور الإمام ولا بذنه، ولا يختص بالمعتدى عليهم والمقصودين بالخصوص، بل يجب التهوض على كل من علم بالحال، وإن لم يكن الاحتذاء موجهاً إليه. هذا إذا لم يعلم بأن من يراد الاحتذاء عليهم قادرون على صد العدو ومقاومته.

هذا هو عهد الله أخذه على كل مسلم باتفاق جميع المذاهب، تماماً كاتفاقهم على وجوب الصوم والصلاة، والحج والزكاة. وقد ابتلي المسلمون والعرب الآن بحصاية صهيونية استعمارية اعتدت على دينهم وبلادهم، وقتلت وشردت وسجنت الألوف. فعلى كل عربي ومسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يجاهد بكل طاقاته ضد هذه المعصاة المشاة بدولة إسرائيل ﴿ذِكْرُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي التغيير خير للمسلمين في دينهم ودنياهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ النكبات: ١٦.

أجل، نحن نعلم بأن التغيير لجهاد إسرائيل واجب على كل مسلم، ولكن الذي يمننا عن جهاد إسرائيل هم القادة الخائفون، فليتنا أن نجاهد هؤلاء قبل كل شيء، لأنهم علة العلل. ولولا خيانتهم لدينهم وأمتهم، وطاعتهم السمية للصهيونية والاستعمار ما كان لإسرائيل عين ولا أثر. (٤: ٤٦)

عبد الكريم الخطيب: والخفاف: جمع الخفيف، وهو الذي لا يعوقه عن التفرغ إلى الجهاد مؤق، مادي أو نفسي، كالاشتغال بالحياة، وتشجير المال، ومعالجة

به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع .

(٥١٥ : ١)

ابن جُزَيِّ الكَلْبِيِّ : « السَّحَابُ الثَّقَالُ » وصفها بالنقل ، لأنها تحمل الماء . (١٣٢ : ٢)

ابن كثير : أي ويحملها منشاء جديدة ، وهي لكثرة ماؤها ثقيلة ، قريبة إلى الأرض . (٧٥ : ٤)

نحوه المُرَاغِي . (٨١ : ١٣)

أَبُو الشُّوَد : الثَّقَالُ بالماء ، وهي جمع ثقيلة ، وصف

بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع .

والواحدة : سحابة . يقال : سحابة ثقيلة وسحاب ثقيل ،

كما يقال : امرأة كريهة ونسوة كرام . (٤٤٣ : ٣)

نحوه الأَكُوسِي . (١١٨ : ١٣)

كنتم شُبَّانًا أم شيوخًا ، متزوجين أم غير متزوجين ، تعلمون أحدًا أم لا تعلمون ، أغنياء أم فقراء . مبتلين بشيء أم غير مبتلين ، أصحاب تجارة أو زراعة أم لستم من أولئك .

فكيف ما كنتم فعليكم أن تستجيبوا لدعوة الداعي

إلى الجهاد ، وأن تنصرفوا عن أي عمل شغلتم به ،

وتنهضوا مسرعين إلى ساحات القتال ، وفي أيديكم السلاح .

وماقاله بعض المفسرين : من أن هاتين الكلمتين

تعيان مثلًا واحدًا مما ذكرنا آنفًا ، لادليل عليه أبدًا ، بل

كان مثل مما ذكرناه مصداق جليٍّ لمفهوما الواسع .

(٥٨ : ٦)

الثَّقَالُ

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ السَّبِيلَ حَقًّا وَطَعْمًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ . الزَّعَد : ١٢

ابن عباس : السحاب الثقال بالمطر . (٢٠٦)

نحوه مجاهد وقتادة (ابن عطية ٣ : ٣٠٣) ، والطبري

(١٣ : ١٢٥) ، والزجاج (٣ : ١٤٣) ، والطوسي (٦ : ٢٣٠) .

ابن عطية : (الثقال) معناه : يحمل الماء ، وبذلك

فسر قتادة ومجاهد ، والعرب تصفها بذلك . (٣ : ٣٠٣)

الطبرسي : أي ويخلق السحاب الثقال بالماء ،

يرفعها من الأرض ، فيجريها في الجوف . (٣ : ٢٨٣)

ابن عربي : وينشئ سحاب السكينة ، الثقال بماء

العلم اليقيني ، والمعرفة الحقة . (١ : ٦٣٦)

البيضاوي : (الثقال) وهو جمع ثقيلة ، وإنما وصف

أَثْقَالًا - أَثْقَالُهُمْ

وَلَيُخْلِلَنَّ أَثْقَالُهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ . العنكبوت : ١٣

ابن عباس : أوزارهم يوم القيامة (وأثقالًا) مثل

أوزار الذين يضلونهم ، (مع أَثْقَالِهِمْ) مع أوزارهم .

(٣٣٣)

نحوه قتادة (الطبري ٢٠ : ١٣٥) ، وزيد بن علي

(٣١٥) ، والمسيدي (٧ : ٣٦٤) .

قتادة : من دعا إلى ضلالة كتب عليه وزرها ،

ووُزِّرَ من يعمل بها ، ولا ينقص ذلك منها شيئًا .

(التحاس ٥ : ٢١٧)

نحوه الزجاج . (٤ : ١٦٢)

ابن زيد : قوله : « لَيُخْلِلَنَّ أَوْزَارُهُمْ كَأَمَلَةٍ يَوْمَ

الطَّبْرِيِّ: يعني أَنَّهُمْ يحملون خطاياهم وأوزارهم في أنفسهم التي لم يعملوها بغيرهم، ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم.

وقيل: معناه يحملون عذاب ضلالهم، وعذاب إضلالهم غيرهم، ودعاهم لهم إلى الكفر، وهذا كقوله: «من سنَّ سَنَةً سيئةً» الخبير، وهذا كقوله: ﴿لِيُخَيَّلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ الآية. (٤: ٢٧٥)

نحوه ابن شهر آشوب (١: ١٨٩)، وابن الجوزي (٦: ٢٦١)، والبرقوسوي (٦: ٤٥٤)، والمرغني (٢٠: ١٢٢).

الْبَيْضاوي: أنقال ماقرفته أنفسهم ﴿وَأَنفَالًا مَعَ أَتْقَالِهِمْ﴾ وأنقالاً أخر معها لما تسبوا له بالإضلال والمحتل على المعاصي، من غير أن ينقص من أنقال من تبعهم شيء. (٢: ٢٠٥)

نحوه الكاشاني (٤: ١١٢)، والمشهدى (٧: ٥٠٨)، وشبر (٥: ٥١).

الغازن: أي أوزار أفعالهم التي عملوها بأنفسهم ﴿وَأَنفَالًا مَعَ أَتْقَالِهِمْ﴾ أي أوزار من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم.

فإن قلت: قد قال أولاً: ﴿وَسَاءُ مَا يَحْبِلُونَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُمْ﴾، وقال هاهنا: ﴿وَلِيُخَيَّلُوا أَتْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَعَ أَتْقَالِهِمْ﴾، فكيف الجمع بينهما؟

قلت: معناه أَنَّهُمْ لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه، ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزاراً بسبب إضلال غيرهم، فهو كقوله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه

الْقِيَمَةُ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضْلِلُهُمْ بَعْدَ عِلْمٍ آلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ» التحل: ٢٥، فهذا قوله: ﴿وَأَنفَالًا مَعَ أَتْقَالِهِمْ﴾. (الطَّبْرِيِّ: ٢٠: ١٣٥)

نحوه البغوي.

المازدي: فيه [وجوه]:

أحدها: أَنَّهُمْ أعوان الظلمة.

الثاني: أَنَّهُمْ أصحاب الدِّعِ إذا اتَّبَعُوا عليها.

الثالث: أَنَّهُمْ محدثو السنن الجائرة إذا عمل بها من بعدهم.

(٤: ٢٧٨)

الرابع: أي أَنَاتِهِم التي تُثَقِّلُهُمْ وتُثَقِّلُهُمْ من الثواب، كقوله: ﴿لِيُخَيَّلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ الآية.

(٨٠)

ابن قُطَيْبَةَ: يريد ما يلحقهم من إغوائهم لعائتهم

وأتباعهم، فإنه يلحق كلُّ داعٍ إلى ضلالة كفل منها

حسب الحديث المشهور: «أَيُّمَا دَاعٍ إِلَى هُدًى فَاتَّبَعْ عَلَيْهِ

فله مثل أجور من أتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً،

وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ» الحديث، وهي وإن كانت من

أفعالهم فلكونها بسبب غيرهم وعن غير كفر تلبسوه،

فَرَّقَ بينها وبين (أَتْقَالِهِمْ) ولم ينسبها إلى غيرهم بل

جعلها في رتبة أخرى فقط، فهم فيها إنما يزرون بوزر

أنفسهم، وقد يترتب حمل أنقال الغير بما ورد عن

النبي ﷺ: «أَنَّهُ يَنْقُصُ لِلْمَظْلُومِ بَأْنِ يُعْطَى مِنْ حَسَنَاتِ

ظَالِمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَبْقَ لِلظَّالِمِ حَسَنَةٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ

فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ». (٤: ٣٠٩)

نحوه القرطبي (١٣: ٣٣١)، وابن كثير (٥: ٣١١)،

والقاسمي (١٣: ٤٧٤١).

فهذه الذنوب هي من كبهم، لأحسب على أحد غيرهم، ثم إتيها من جهة أخرى من غرس الذين دعوهم إليها وأضلّوهم بها، فلا بد أن يطعموا من ثمرها الفاسد المشؤوم. (١٠: ٤١٣)

طُفَةُ الذَّرَّةِ: «الأنفال»: الأوزار، جمع ثقل، وهو استعارة، أطلق عليها لفظ الأنفال، وهي الأحوال التي تنقل حاملها وتُعبه، لأنها تُسبّب به التكدر والشقاء الطويل في جهنم يوم القيامة، وما بعده. وفيه تأويلان:

أحدهما: أن المراد به ما يحمل على الظالمين من سيئات من ظلموه بعد فراغ حسناتهم، قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: «يؤتى بالرجل يوم القيامة وهو كثير الحسنات، فلا يزال يقتصر منه حتى تُنفى حسناته، ثم يُطالب، فيقول الله عز وجل: اقتصوا من عبدي، فضول الملائكة: ما بقيت له حسنات، فيقول: خذوا من سيئات المظلوم، فاجعلوا عليه، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْضِرْ لِحُكْمِهِمْ وَأَنْفَالُهُمْ وَأَنْفَالُهُمْ﴾. أقول: وهذا في حق المسلم الموحد، لأن الكافر

لاحقة له، كما نوهت به آية الفرقان: ٢٣، ﴿وَقَدْ فَتَنَّا إِلَى تَغْيِيلِهِمْ مِنْ غَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْأَةً مَسْنُونًا﴾ وآية التور: ٣٩، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَغْصَانُهُمْ كَسَرَابٌ يَبْقِعُ فِيهِمْ لُطُوفُ الظُّلُمَاتِ نَارًا...﴾.

والمسلم الذي تذهب حسناته، ويطرح عليه من سيئات المظلومين، هو من سماء الرسول ﷺ المخلص.

والتأويل الثاني: أن المراد به رؤساء الكفر، ودعاة الشرّ والزّيلة، الذين يصدّون الناس عن الإيمان، أو عن الطاعة، أو عن عمل الخير. [ثم ذكر قول قتادة وآية

وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء] رواه مسلم. (٥: ١٥٧) أبو حيان: ﴿وَلْيَحْضِرْ لِحُكْمِهِمْ﴾ أنفال أنفسهم من كفرهم ومعاصيهم، (وأنفاله) أي آخر وهي أنفال الذين أغروهم فكانوا سبباً في كفرهم. ولم يبين من الذين يحملون أنفاله، فأمكن اندراج أنفال المظلوم بحملها للظالم كما جاء في الحديث: أنه يقتصر من الظالم بأن يخطي من حسنات ظالمه، فإن لم يبق للظالم حسنة أخذ من سيئات المظلوم فطرح عليه. (٧: ١٤٤)

أبو السعود: ﴿وَلْيَحْضِرْ لِحُكْمِهِمْ﴾ بيان لما يستتبعه قوهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم، بعد بيان عدم منفعة لحاطبهم أصلاً. والتعبير عن الخطايا بالأنفال للإيذان بنهاية ثقلها، وكونها قاذرة. واللام جواب قسم مضر، أي وبالله ليحملن أنفال أنفسهم كاملة (وأنفاله) أخر (مع أنفاليهم) لما تسببوا بالإضلال والحمل على الكفر والمعاصي، من غير أن يتنقص من أنفال من أضلّوه شيء. (٤: ١٦٦) نحوه الألويسي. (٢٠: ١٤٢)

العالملي: إن المراد: المعاصي، ومعاداة الأئمة، وعلى هذا يمكن تأويل الأنفال والتثليل ونحوهما، وما هو دالٌّ على ذلك مهما يناسب بأحد ما ذكر، على حسب المناسبة. (١١٢)

عبد الكريم الخطيب: أي إن هؤلاء الضالّين، الذين يعملون على إضلال غيرهم سيحملون فعلاً ذنوبهم هم، وذنوب الذين أضلّوهم، على حين لا يرفع عن كاهل الذين أضلّوهم ماحلوا من ذنوب.

[التحل: ٢٥: وأضاف:]

(٤٩٣)، وابن قُتيبة (٥٣٥).

مُجاهِد: مَنْ فِي الْقُبُورِ. (الطَّبْرِيّ: ٣٠: ٢٦٦)
الْفَرَّاء: لَنَفَثَ مَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ مَيِّتٍ.

(٢٨٣: ٣)

أَبُو عُيَيْيْدَةَ: إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ فِي بَطْنِهَا فَهُوَ يُقَالُ لَهَا، وَإِذَا
كَانَ فَوْقَهَا فَهُوَ يُقَالُ عَلَيْهَا. (٣٠٦: ٢)

مثله السَّجِسْتَانِيّ.

الطَّبْرِيّ: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتِ
أَحْيَاءً، وَالْمَيِّتُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ يُقَالُ لَهَا، وَهُوَ فَوْقَ ظَهْرِهَا
حَيًّا يُقَالُ عَلَيْهَا. (٢٦٦: ٣٠)

الرَّجَّاج: أَخْرَجَتْ كَنْزُهَا وَمَوَاتَهَا. (٣٥١: ٥)

مثله الطَّلَاطَوِيّ.

الْقُتَيْبِيّ: مِنَ النَّاسِ. (٤٢٣: ٢)

الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى: مَعْنَاهُ أَخْرَجَتْ سَافِيَهَا مِنَ
الْكَنْزِ، وَقَالَ قَوْمٌ: عَنَى بِهِ الْمَوْتَ، وَأَتَمَّهَا أَخْرَجَتْ
مَوَاتَهَا، فَسَمِيَ تَعَالَى الْمَوْتُ يُقَالُ، تَشْبِيهَا بِالْحَمْلِ الَّذِي
يَكُونُ فِي الْبَطْنِ، لِأَنَّ الْحَمْلَ يُسَمَّى يُقَالُ، قَالَ تَعَالَى:
﴿قُلْنَا أَتَقْلَبُ﴾ الْأَعْرَافَ: ١٨٩.

والعرب تقول: إِنَّ لَلْمَيِّتِ الشَّجَاعَ يُقَالُ عَلَى الْأَرْضِ،

فَإِذَا مَاتَ سَقَطَ عَنْهَا بِمَوْتِهِ يُقَالُ. [ثم استشهد بشعر]

(أُمَامِي الْمُرْتَضَى: ١: ٩٦)

الْمَاوُزْدِيّ: فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجَعٍ:

أَحَدُهَا: (١)

الثَّانِي: مَا عَلِيَا مِنْ جَمِيعِ الْأَشْقَالِ، وَهَذَا قَوْلُ

عَبَّكَرَمَةَ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ٣١ ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ
أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ وَحَمَلَ الذَّنُوبَ بِالْمَعْنِيَيْنِ
«الْأَوْزَارَ وَالْأَشْقَالَ» قِيلَ بِهِ: إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَقْبِلُهُ أَفْجَحُ شَيْءٍ صَوْرَةً، وَأَنْتَهَ رِجَاءً،
فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ
الْحَبِيبُ طَالَمَا رَكِبْتَنِي فِي الدُّنْيَا، فَأَنَا الْيَوْمَ أُرْكِبُكَ حَتَّى
أُخْرِجَكَ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ. فَيَرْكَبُهُ، وَيَسْتَخْطِي بِهِ
النَّاسَ، حَتَّى يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَقُولُ: إِنَّ الْفَاسِقَ وَالْفَاجِرَ لَيْسَا مِنْ ذَلِكَ بِجَعِيدٍ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ وَأَسْرَارِ كِتَابِهِ. (١٠: ٦٢٢)

مَكَارِمُ الشُّمَيْرَازِيِّ: وَيُقَالُ الذَّنْبُ هَذَا، هُوَ يُقَالُ
ذَنْبُ الْإِغْرَاءِ وَالْإِغْوَاءِ وَحَتَّى الْآخَرِينَ عَلَى الذَّنْبِ،
وَهُوَ يُقَالُ الشُّتَةُ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مِنْ سَنَةِ
سَنَةِ سَيِّئَةٍ فَعَلِيهِ وَزَرَهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَنْقُصَ مِنْ وَزَرِهِ شَيْءٌ.

الْمَهْمُ أَتَمُّ شُرَكَاءَ فِي آثَامِ الْآخَرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَنْقُصْ
مِنْ وَزَرِ الْآخَرِينَ وَلِفْهَمٍ مَقْدَارٍ مِنْ رَأْسِ الْإِبْرَةِ.

(١٢: ٣١٩)

أَتَقَالَهَا

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَتَقَالَهَا. الزُّرْزَال: ٢

ابْنُ عَبَّاسٍ: أُمُوهَا وَكَنْزُهَا. (٥١٦)

الْمَوْتِ. (الطَّبْرِيّ: ٣٠: ٢٦٦)

مَوَاتَهَا تُخْرِجُهُمْ فِي النُّفْخَةِ الثَّانِيَةِ.

مثله مُجَاهِدُ (الْقُرْطُبِيُّ: ٢٠: ١٤٧)، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ

ويعتدل قول الفريقين^(١)

ويعتدل رأياً: أخرجت أسرارها التي استودعتها.

(٣١٩: ٦)

الطُّوسِي: وأتقال الأرض: مافيا مدفون من الموتى وغيرها، فَإِنَّ الأرض تلفظ بكلِّ مافيا عند انقضاء أمر الدنيا، وتجديد أمر الآخرة. (٣٩٣: ١٠٠) القَسِيرِي: أي أمواتها، ومافيا من الكنوز والدَّفَان. (٣٢٣: ٦)

نحوه البَغَوِي (٥: ٢٩٢)، والْبَيْضَاوِي (٢: ٥٧١)، والنَّسَبِي (٤: ٣٧٢).

الرَّاضِي: قيل: كنوزها، وقيل: ماتصمتت من أجساد البشر عند المشرق والبعث. (٨٠)

الْمَيْتِي: كنوزها وموتاهها فتلقيا على ظهرها. ومن جملة في الدنيا قال: تُخرج كنوزها. وعنده (أَتَقَالَ): جمع ثَقُل بفتحين، وهو الشيء المصون الكريم على صاحبه.

وعند غيره (أَتَقَالَ): جمع ثَقُل، والإنسان حياً ثَقُل عليها وميتاً ثَقُل لها.

ويعتدل أَنْ «الْأَتَقَالَ» جمع، كقوله عز وجل: «سَتَنْفِرُ لَكُمْ أَيْمَةُ الثَّقَلَيْنِ» الرحمن: ٣١. فيكون المعنى: أخرجت الأرض الجبن والإنس من باطنها إلى ظاهرها، والله أعلم.

وفي الخبر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تتقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي، ويجيء السارق،

فيقول: في هذا قَطِعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً».

قوله: «أفلاذ كبدها» أراد أنها تُخرج الكنوز المدفونة فيها، وقينها: إخراجها. نحوه ابن كثير. (١٠: ٥٧٧) (٧: ٣٤٨)

الرَّمَحْشَرِي: الأتقال: جمع ثَقُل، وهو متاع البيت، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ النحل: ٧. جعل مافي جوفها من الدَّفَان أنقالاً لها. (٤: ٢٧٦)

ابن عَطِيَّة: والأَتقال: الموتى الذين في بطنها، قاله ابن عباس، وهذه إشارة إلى البعث. وقال قوم من المفسرين منهم منذر بن سعيد الرِّجَّاج والتَّشَّاش: أخرجت موتاهها وكنوزها، وليست القيامة موطناً لإخراج الكنوز، وإنما تخرج كنوزها وقت الدَّجَال.

(٥: ٥١٠) الطُّغْيَرِي: أي أخرجت موتاهها المدفونة فيها، تُخرجها أعباءً للجزاء، عن ابن عباس ومُجَاهِد والمُجَبَّاتِي. وقيل: معناه لفظت مافيا من كنوزها ومعادنها فتلقيا على ظهرها، ليراهن أهل الموقف. وتكون الفائدة في ذلك أن يتعسر العصاة إذا نظروا إليها، لأنهم عصوا الله فيها، ثم تركوها لاتقني عنهم شيئاً، وأيضاً فإنه تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. (٥: ٥٢٦) نحوه أبو الفَتْوح الرَّازِي. (٢٠: ٣٦٥)

الفَخْر الرَّازِي: في الأَتقال قولان: أحدهما: أنه جمع «ثَقُل» وهو متاع البيت،

(١) جاء في هامش هذا الكتاب: لم يذكر القول الثالث هنا فيعتدل قوله، ويعتدل قول الفريقين، هو القول الثالث.

و«تَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ» جمل مافي جوفها من الدفائن أُنْقَالًا لها. [تم ذكر قول أبي عبيدة وأضاف:]

وقيل: سمي الجن والإنس بالثقلين، لأن الأرض تنقل بهم إذا كانوا في بطنها، وينقلون عليها إذا كانوا فوقها.

تم قال: المراد من هذه الزلزلة: الزلزلة الأولى يقول: أخرجت الأرض أُنْقَالَهَا، يعني الكنوز فيمثل ظهر الأرض دهبًا ولأحد يلتفت إليه، كأن الذهب يصبح ويقول: أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلي، أو تكون الفائدة في إخراجها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْنَسُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ التوبة: ٣٥.

ومن قال: المراد منها الزلزلة الثانية وهي بعد القيامة، قال: تخرج الأُنْقَال، يعني الموق أحياء كالأمم تلده حيًا، وقيل: تلفظه الأرض ميتًا كما دفن، ثم يحييه الله تعالى.

والقول الثاني: أُنْقَالُها: أسرارها، فيومذ تكشف الأسرار، ولذلك قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ الزلزلة: ٤، فتشهد لك أو عليك. (٥٨: ٣٢)

نحوه الخازن (٧: ٣٤٨)، والثيسابوري (٣٠: ١٥٦)، ابن عربي: أي متاعها التي بها ذات قدر من الفسوى والأرواح وهينات الأعمال، والاعتقادات الراسخة في القلب، جمع «ثقل»، وهو متاع البيت.

ابن جزي الكلبي: يعني الموق الذين في جوفها، وذلك عند النفخة الثانية في الصور.

وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف، لأن إخراجها

للكنوز وقت الدجال. (٤: ٢١٣)

أبوحيان: [نقل كلام ابن عطية وأضاف:]

وقائل ذلك يقول: هو الزلزال يكون في الدنيا، وهو من أضرار الساعة، وزلزال يوم القيامة، كقوله: ﴿يَوْمَ تَزُجُّفُ الرُّوَّاقَةُ﴾ تشبيهاً للرواقفة التازعات: ٦، ٧.

فليرد عليه بذلك: إذ قد أخذ الزلزال عامًا باعتبار وقته، ففي الأول: أخرجت كنوزها، وفي الثاني: أخرجت موتاتها، وصدقت أنها زلزلتها، وأخرجت أُنْقَالَهَا.

وقيل: أُنْقَالُها: كنوزها، ومنه قوله: «تُلْقِي الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة».

وقال ابن عباس: موتاتها، وهو إشارة إلى البعث، وذلك عند النفخة الثانية، فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذي هو من الأضرار. (٨: ٥٠٠)

نحوه الشريبي: (٤: ٥٧٣)

أبو السعود: أي مافي جوفها من السموات والدفائن، جمع «ثقل» وهو متاع البيت، وإظهار الأرض في موقع الإضرار لزيادة التقرير، أو للإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض، أو لأن إخراج الأُنْقَال حال بعض أجزائها. (٦: ٤٥٨)

نحوه البيضاوي (٢: ٥٧١)، والكاشاني (٥: ٣٥٧)، والمشهدي (١١: ٤٧٤)، وشبر (٦: ٤٢٩).

البزوصوي: والأُنْقَال: كنوز الأرض وموتاتها، جمع «ثقل» بالكسر. وأما «ثقل» محركة فتعني المسافر وحشمه، على مافي «القاموس».

والمنعى وأخرجت الأرض مافي جوفها من دفائن

فالأفتال جمع «نَقَلَ» بالتحريك، وهو على سالي «القاموس» متاع المسافر وكلّ نقيس مصون. وتجوز به هاهنا على سبيل الاستعارة عن الثاني.

ويجوز أن يكون جمع «يَقْل» بكسر فسكون، بمعنى جعل البطن على التشبيه. والاستعارة أيضًا كما قال الشريف المرتضى في «الدُّرر» وأشار: إلى أنّه لا يطلق على ما ذكر إلّا بطريق الاستعارة. ومنهم من فسر «الأفتال» هاهنا بالأسرار، وهو مع مخالفته للأثور بعيد. (٢٠٩: ٣٠)

نحوه القاسمي. بنت الشاطئ: والأفتال: جمع نقل وهو المختل الشديد، والفتويون والمفترون متفقون على أنّ القتل هنا نقيض الخفة.

وانقر «الزَّاعِب» بالنَّص على أنّ أصل استعماله في الأجسام، ثمّ في المعاني. فن الأول: أنزلت المرأة فهي مُنْقِل، نُقِلَ حَمْلُهَا في بطنها. ومن الثاني: أنقله الهم، والقرم، والدَّين، والوزر.

وجاءت «الأفتال» في القرآن في ثلاث آيات: آية التحل: ٧، والقتل فيها ماضٍ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾. وآية السكوت: ١٣، والقتل فيها منوي ﴿وَتَبْعِيلُ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ شُكْلًا كَانُوا يَتَفَرَّقُونَ﴾ السكوت: ١٣، وآية الزلزلة: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

فا هذه الأفتال التي تُخرجها الأرض إذا زلزلت زلزالها؟ ثمّ نقلت الأقوال من الزَّعْشَرِيّ وأبي حَيَّان

وكنوزها، كما عند زلزال النفخة الأولى، الذي هو من أشرط الساعة، وكذا من أمواتها عند زلزال النفخة الثانية. (١٠: ٤٩٢)

الألوسي: فقد قال ابن عباس: أي موتها، وقال النقّاش والزّجاج ومنذرين سعيد: أي كنوزها وموتها، وروي عن ابن عباس أيضًا.

وهذه الكنوز على هذا القول غير الكنوز التي تُخرج أيام الدّجال، على ماوردت به الأغيار؛ وذلك بأن تُخرج بعضًا في أيامها وبعضًا عند النفخة الثانية. ولا بُدّ في أن تكون بعد الدّجال كنوز أيضًا، فتُخرجها مع ما كان قد بقي يومئذ.

وقيل: هو عند النفخة الأولى، (وَأَثْقَالُهَا): سالي جوفها من الكنوز، أو منها ومن الأموات، ويُعتبر الوقت محتمدًا.

وقيل: يحتمل أن يكون إخراج الموق كالكنوز عند النفخة الأولى، وإحيائها في النفخة الثانية، وتكون على وجه الأرض بين النفختين، وأنت تعلم أنّه خلاف ما ندلّ عليه النصوص.

وقيل: إنها زلزلة عند النفخة الأولى فتُخرج كنوزها، وتزلزل عند الثانية فتُخرج موتها، وأريد هنا بوقت الزلزلة ما بين الوقتين.

واقصر بعضهم على تفسير الأفتال بالكنوز، مع كون المراد بالوقت وقت النفخة الثانية، وقال: تُخرج الأرض كنوزها يوم القيامة ليراهها أهل الموقف، فينحسر العصاة إذا ظفروا إليها، حيث عصوا الله تعالى فيها، ثمّ تركوها لاتقني عنهم شيئًا. [إلى أن قال:]

وَالطُّبْرَسِيّ وَالزَّائِبِ إِلَى أَنْ قَالَتْ:]

ولانتف عند ما لم يتعلّق القرآن بذكره، بل يلفتنا في إخراج الأفعال هنا ما توحى به من اندفاع، للتخلّص من الثقل الباطن، فالثقل يتلف على التخفّف من جسده، ويندفع فيليه حين يحتاج له ذلك. والأرض إذ تُخرج أفعالها، تفعل ذلك كالدفع برغبة التخفّف من هذا الذي يثقلها، عندما حان الأوان. ونستأنس في هذا النهم بقوله تعالى في سورة الانشقاق: (٤، ٣): ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ هكذا، يشير انتظار أو تمهّل.

وهل تمسك الثقل حملها حين يأتي أوانه؟

وهل يتردّد من يبظه حمل ثقيل، في لقائه والتخلّي عنه إذا أتبع له ذلك؟

ولو كانت العبارة: وأخرجت الأرض ما في جوفها، لضاع هذا الإيحاء المنير، اللّفت إلى المعهود، من لهفة ذي الحمل الثقيل على التخلّي، بما يؤوده ويبظه.

(٨٨:١)

الطُّبَّاطِبَائِيّ: الأفعال جمع «ثقل» بفتحين، بمعنى

المتاع، أو خصوص متاع المسافر، أو جمع «ثقل» بالكسر فالسكون، بمعنى الحمل.

وعلى أي حال المراد بأفعالها التي تُخرجها: الموق على ساقيل، أو الكنوز والمعادن التي في بطنها، أو الجميع، ولكلّ قائل. وأوّل الوجوه أقربها ثمّ الثالث، لتكون الآية إشارة إلى خروجهم للحساب. (٣٤٢:٢٠)

محمد جواد مغنّيّه: أخرجت كلّ ما طوته في جوفها من أموات وكنوز ومدن وحضارات. (٥٩٨:٧)

عبد الكريم الخطيب: أي ما حملت في بطنها من أموات، فكأنّها تلدهم من جديد، كما تلد الأم أبناءها، بعد أن يتمّ حملها، وتنتقل به بطنها. (١٥: ١٦٥) مكارم الشيرازي: ذكر لها المفسرون معاني متعدّدة، قيل: إنّها البشر الذين يخرجون من أبدانهم على أثر الزلزال، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ الانشقاق: ٤.

وقيل: إنّها الكنوز الخبوء التي ترمي إلى الخارج، وتبعث الحسرة في قلوب عبّاد الدنّيا.

ويحتمل أيضاً أن يكون المقصود إخراج المواد الثابتة الدّائبة في باطن الأرض، وهو ما يحدث أثناء البراكين والزلازل، فإنّ الأرض في نهاية عمرها تدفع ما في أعماقها إلى الخارج، على أثر ذلك الزلزال العظيم.

يبدو أنّ التفسير الأوّل أنسب، مع إمكان الجمع بين هذه التفسيرات.

المُضْطَفُّوِيّ: مما هو ثقيل وزناً أو قيمةً ومعنى.

(٢٠: ٢)

أَفْعَالُكُمْ

وَتَحْمِلُ أَفْعَالُكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِآلِيقِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُفٌ رَّحِيمٌ. التحل: ٧ ابن عباس: أمتعتكم وزادكم. (٢٢١: ٣٥٠) نحوه الطُّبْرَسِيّ.

الطُّوسِيّ: يعني هذه الأنعام تحمل أفعالكم، وهو جمع «ثقل» وهو المتاع الذي ينقل حمله. (٣٦٢: ٦) نحوه الشُّرَيْبِيّ (٢١٧: ٢)، والطُّبَّاطِبَائِيّ (٢١١: ١٢)

٢- احتج منكر وكرامات الأولياء بهذه الآية، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الإنسان لا يمكنه الانتقال من بلد إلى بلد إلا بشقّ الأنفس، وحمل الأثقال على الجبال. ومثبوا الكرامات يقولون: إن الأولياء قد ينتقلون من بلد إلى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة، من غير تعب وتحمل مشقة، فكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلاً، ولما جمل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور، لأنه لا قائل بالفرق.

وجوابه: أننا نخصّص عموم هذه الآية بالأدلة الدالة على وقوع الكرامات والله أعلم. (١٩: ٢٢٨)

البرّوسوي: جمع «نقل» بفتح الناء والقاف، وهو متاع المسافر وحشمه، أي تحمل أمتعتكم وأحمالكم. (٥: ٨)

مثله محمود صافي (١٤: ٢٨٦)، والمرآغي (١٤: ٥٥). طه الدرة: الأثقال: جمع «نقل» وهو متاع السفر وما يحتاج إليه من آلات السفر، والأثقال: الأوزار والسبيلات، لأنها تنقل الإنسان، وتورث له المشقة والعذاب الأليم في نار الجحيم. (٧: ٣٧٤)

أثقلت

...فَلَمَّا تَخَفَّضْتُهَا حَمَلْتُ حَمَلًا خَفِيفًا قَرَوْتُ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلْتُ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتُنَا صَالِحًا لَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

الأعراف: ١٨٩

ابن عباس: نقل الولد في بطنها ثلثاً بوسوسة إبليس أنه بهيمة من البهائم. (١٤٣)

القشيري: الفتي له جمال بماله، والفقير له استقلال بماله، وشتان ماها! فالأغنياء يتجملون بأنماهم حين يرمعون وحين يسرحون، والفقراء يستقلون بمولاهم حين يصبحون وحين يمسون، أولئك تحمل أثقالهم جأهم، وهؤلاء يحمل الحق من قلوبهم أثقالهم. (٣: ٢٨٦)

الزاغبي: أي أحمالكم الثقيلة. نحوه المبيدي (٥: ٣٥١)، وشبر (٣: ٤٠١). البغوي: أحمالكم إلى بلد آخر غير بلدكم.

(٣: ٧٢)

نحو البضاوي (١: ٥٤٩)، والنسفي (٢: ٢٨١)، والقاسمي (١٠: ٣٧٨٠)، والططاوي (٨: ٧٣).

ابن عطية: والأثقال: الأمتعة، وقيل: المراد هنا الأجسام، كقوله: «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» الزلزال: أي أجسام بني آدم، واللفظ يحتمل المعنيين، قال النقاش: ومنه سمي الإنس والجن الثقلين.

(٣: ٣٨٠)

نحو ابن جرّي الكلبي (٢: ٥٠)، وأبو حيان (٥: ٤٧٦)، والقرطبي (١٠: ٧١)، والآلوسي (١٤: ٩٩).

ابن الجوزي: الإشارة بهذا إلى ما يطيق الحمل منها، والأثقال: جمع «نقل» وهو متاع المسافر. (٤: ٤٣٠)

نحو الحازن (٤: ٦٦)، وابن كثير (٤: ١٨١). الفخر الرازي: وفيه مسألان:

١- الأثقال: جمع «نقل» وهو متاع المسافر، لم تكونوا بالفيه إلا بشقّ الأنفس. [إلى أن قال:]

أقربت. وقرئ (أَقْبَلْتُ) على البناء للمفعول، أي أنقلها الحمل. (١٣٦: ٢)

نحوه التَّنْقِي (٢: ٩٠)، والمَرَاغِي (٩: ١٣٨)، ومحدث جواد تَمَنِّي (٣: ٤٣٤).

الطَّبْرَسِي: أي صارت ذات ثقل، كما يقال: أقمرت الشجرة: صارت ذات ثمر.

وقيل: معناه دخلت في الثقل، كما يقال: أصاف: دخل في الصيف، وأستى: دخل في الشتاء. والمعنى: لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به.

(٢: ٥٠٨)

نحوه القُرْطُبِي (٧: ٣٣٨)، والشَّرِيبِي (١: ٥٤٤)، وشَبْر (٢: ٤٤٥).

أبو الشعود: إذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها. ولأرب في أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلًا للثقل بالمعنى المذكور، إنما يقابلها الكُزْب الذي يعترى بعض من أول الحمل إلى آخره دون بعض أصلًا. (٣: ٦٥)

نحوه الكاساني (٢: ٢٥٩)، والبروسوي (٣: ٢٩٤)، والقاسمي (٧: ٢٩٢٠).

الألوسي: أي صارت ذات ثقل بكبر الحمل في بطنها، فالهزة فيه للصيرورة، كقولهم: أقرم وألبن، أي صار ذا ثمر ولبن.

وقيل: إنها للدخول في زمان الفعل، أي دخلت في زمان الثقل كأصبح: دخل في الصباح، والأول أظهر. [ثم قال نحو ما تقدم من أبي السُّود] (٩: ١٣٨)

هزة دُرُوزَة: كناية عن دوران الحمل الثاني. (٢: ١٩٤)

السُّدِّي: أي: كبر الولد في بطنها، جاء إيليس إلى حواء فخرقها، وقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؟ وما يدريك من أين يخرج، من دبرك فيقتلك، أو من قبلك؟ أو ينشق بطنك فيقتلك؟ فذلك حين ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمْ﴾. (٢٧٥)

الفَرَّاء: دنت ولادتها، أتاها إيليس فقال: ماذا في بطنك؟ فقالت: لأدري. قال: فلعله هيمة، فما تصمين لي إن دعوت الله لك حتى يجعله إنساناً؟ قالت: قل، قال: تُسمينه باسمي. قالت: وما اسمك؟ قال: الحرث، فسمته عبد الحرث، ولم تعرفه أنه إيليس. (١١: ٤٠٠)

الأخفش: وأما قوله: (أَقْبَلْتُ) فيقول: صارت ذات ثقل، كما تقول: أقرنا، أي صرنا ذوي ثمر، وألبنا، أي صرنا ذوي لبن، وأعشبت الأرض، وأكثأت. وقرأ بعضهم (فَلَمَّا أَتَقَلَّتْ).

نحوه ابن الجوزي (٣: ٣٠١)، والبيضاوي (١: ٣٨٠). الطَّبْرَسِي: فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفاً ثقیلاً، ودنت ولادتها، يقال منه: أنقلت فلانة: إذا صارت ذات ثقل بحملها، كما يقال: أقر فلان، إذا صار ذا ثمر. (٩: ١٤٤)

مسلة الزَّجَّاج (٢: ٣٩٥)، والطوسي (٥: ٦١)، والبسنوي (٢: ٢٥٧)، وابسن عطية (٢: ٤٨٦)، والفخر الرازي (١٥: ٨٩)، والثيسابوري (٩: ١٠٢)، والمخازن (٢: ٢٦٦)، وأبو حيان (٤: ٤٤٠)، وابن كثير (٣: ٢٦٣).

التَّحَّاس: أي استبان حملها. (٣: ١١٤)
الرَّمَحْشَرِي: حسان وقت ثقل حملها، كقولك:

أُنْقَلَتْهَا إِلَى ذُنُوبِهَا لِیَحْتَمِلَ عَنْهَا شَيْءٌ مِنَ الذَّنُوبِ لَمْ تَجِدْ ذلك، ولو كان الَّذِي تَدْعُوهُ أَبًا أَوْ إِبْنًا. (٣٦٨: ٢) مثله ابن قُتَيْبَةَ (٣٦٠)، والمساوِزْدِي (٤: ٤٦٨)، والطُّوسِي (٨: ٤٢٢).

الرَّمْخَصَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» وَبَيْنَ مَعْنَى «وَلَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ رِجْلِهَا لِتَفْخَلَ مِنْهُ شَيْءٌ»؟

قُلْتَ: الْأَوَّلُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَىٰ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي حُكْمِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُؤَاخِذُ نَفْسًا بِغَيْرِ ذَنْبِهَا.

وَالثَّانِي فِي أَنَّ لِيَاسِيَّاتٍ يَوْمَنْدُ لِمَنْ اسْتَفَاتَ، حَتَّىٰ أَنْ نَفْسًا قَدْ أُنْقَلَتْهَا الْأَوْزَارُ وَهَظَّتْهَا لَوَدَعَتْ إِلَىٰ أَنْ يَخْفَفَ بَعْضُ وَفَرَهَا لَمْ تُجِبْ وَلَمْ تُفْتِ، وَإِنْ كَانَ الْمَدْعُوُّ بَعْضُ قَرَابَتِهَا مِنْ أَبٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ أُخٍّ. (٣٠٥: ٣) نحوه أَبُو حَيَّانٍ. (٧: ٣٧٠)

الطَّبْرِي سِي: أَيُّ وَإِنْ تَدْعُ نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بِالْإِتْمَامِ غَيْرَهَا إِلَىٰ أَنْ يَحْتَمِلَ عَنْهَا شَيْئًا مِنْ إِنْهَا «لَا يَحْتَمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ». (٨: ٢٦٣)

نحوه ابن الجوزي (٦: ٤٨٣)، وابن كثير (٥: ٥٧٧)، البَيْضاوي: نفس أُنْقَلَتْهَا الْأَوْزَارُ. (٢: ٢٧٠) نحوه التَّنْسِي (٣: ٣٣٨)، والحازن (٥: ٢٤٦)، والشَّرْبِينِي (٣: ٣٢١)، وأَبُو الشَّوَد (٥: ٢٧٨)، والمِرَاغِي (٢٢: ١١٨)، ومحمد جواد تَنْبِيْهِ (٦: ٢٨٢).

النَّيْسَابُورِيُّ: أَيُّ نَفْسٌ ذَاتُ حِمْلٍ. (٢٢: ٧٤) ابن جُرَيْجٍ الْكَلْبِيُّ: «وَالْمُثْقَلَةُ» الثَّقِيلَةُ الْحَمْلُ أَوْ النَّفْسُ، الْكَثِيرَةُ الذَّنُوبِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا لَوْ دَعَتْ أَحَدًا إِلَىٰ أَنْ يَحْمِلَ عَنْهَا ذُنُوبَهَا لَمْ يَحْمِلْ عَنْهَا، وَحَدَفَ مَقُولَ (إِنْ

الطَّبَّاطِبَائِي: «فَسَمَرْتُ بِهِ» أَيُّ اسْتَمَرَّتِ الزَّوْجُ بِجَعْلِهَا تَذَهَبُ وَتَحْيَىٰ وَتَقُومُ وَتَقْعُدُ، حَتَّىٰ نَمَتْ الصَّلَافَةُ فِي رَحِمِهَا وَصَارَتْ جَنِينًا ثَقِيلًا، أُنْقَلَتْ بِهِ الزَّوْجُ. (٨: ٣٧٤) نحوه مَكَارِمُ الشَّيرَازِيِّ. (٥: ٣٠٠)

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبُ: أَيُّ أَنَّهُ كَلَّمَ مَرَّ الزَّمَنُ بِالْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، نَمَا وَكَبُرَ وَصَارَ ذَا أَسْرٍ وَاضِحٍ فِي حَيَاتِهَا، يَتَغَيَّرُ بِهِ تَرْكِيبُهَا الْجَسَدِيُّ، فَتَكْبُرُ بَطْنُهَا، وَيَتَغَيَّرُ خَطْوُهَا.

وهنا يَذْكُرُ كُلَّ مِنَ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ أَنَّ لَهَا وَلَدًا مَحْبَبًا فِي سِتْرِ الْغَيْبِ، سَتَمَحْضُ عَنْهُ الْأَيْتَامُ، فَيَضْرَعَانِ إِلَىٰ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَلَدُ نَبْتًا صَالِحَةً لَهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، يَجِدَانِ فِيهِ قُوَّةَ الْعَيْنِ، وَتَلْجُ الْفَوَادُ، وَقَدْ قَطَعَا عَلَىٰ أَنْفُسِهَا عَهْدًا أَنْ يَحْمَدَ اللَّهُ وَيَشْكُرَ لَهُ عَلَىٰ تِلْكَ النِّعَةِ. (٥: ٥٣٨) فَضَّلَ اللَّهُ: وَكَبُرَ حَمْلُهَا وَتَحَوَّلَ إِلَىٰ جَنِينٍ كَامِلٍ يَنْتَظِرُ لِحُلُظَةِ الْوِلَادَةِ، وَبَدَأَتْ الْأَكْلَامُ، وَبَدَأَ الْخَوْفُ عَلَىٰ النَّفْسِ وَحَلَّىٰ الْجَنِينَ، رَجَعَا إِلَىٰ اللَّهِ - أَيُّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ - فِي دَعَاءٍ مُتَوَشِّلٍ يَحْمِلُ مَعْنَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ. (١٠: ٣٠٥) الْمُصْطَفَوِيُّ: أَيُّ فَإِذَا جَسَدَتْ الْحَمْلُ وَصَبَرَتْهُ نَقِيلًا فِي أَمْرِ التَّغْذِيَةِ وَالْحِفْظِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَىٰ أَنَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا ثَقِيلًا فِي الظَّاهِرِ وَالْمَعْنَى، دَعَا اللَّهُ. (٢٤)

مُثْقَلَةٌ

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ رِجْلِهَا لَا يَحْتَمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ...

فاطر: ١٨

الْقَرَّاءُ: يَقُولُ: إِنْ دَعَتْ دَاعِيَةً ذَاتُ ذُنُوبٍ قَدْ

تَدْعُ) لدلالة المعنى وقصد الموم، وهذه الآية بيان وتكيد لمعنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

(١٥٧: ٣)

مكارم الشيرازي: (مُنْقَلَةٌ) بمعنى الحامل لحِملِ ثقل، ويقصد بها هنا حامل الوزر على حاتفه. (١٤: ٥٤)

مُنْقَلُونَ

١- أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُنْقَلُونَ.

الطور: ٤٠

القرطبي: مجهودون لما كلفتهم به. (١٧: ٧٦)

البيضاوي: مُحْمَلُونَ الثَّقَل، فلذلك زهدوا في اتباعه.

(٢: ٤٢٧)

مثله البروسوي (٩: ٢٠٤)، والآوسي (٢٧: ٣٨)، والمراعي (٢٧: ٣٣)، والطباطبائي (٢٣: ٢٠٨)، ونحوه المصدي (١٠: ٤٤).

فضل الله: رازحون تحت الثقل المادي الذي يُلقى عليهم، فيهربون منك ليتخلصوا منه، ولكنتك لا تفعل ذلك، لأنك لم تسألهم أجراً على تبليغ الرسالة.

(٢١: ٢٤٥)

مكارم الشيرازي: والمنقل: مشتق من الانتقال، ومعناه تحميل العبء والمشقة، فبناءً على هذا المعنى يكون المراد من الآية: ثرى هل تطلب منهم غرامة لتبليغ الرسالة إياهم، فهم لا يقدرّون على أدائها، ولذلك يرفضون الإيمان؟! (١٧: ١٧٦)

٢- أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُنْقَلُونَ.

القلم: ٤٦.

زيد بن علي: مناه: مولون. (٤٢٨)

الطوسي: أي مُحْمَلُونَ. (١٠: ٨٩)

نحوه الطبرسي. (٥: ٣٤٠)

القشيري: أي: ليس عليهم كلفة مقابل

ما تدعوهم إليه. (٦: ١٩٠)

المبيدي: لا يطبقونه. (١٠: ١٩٨)

مثله محمد جواد مغنيّه (٧: ٣٩٧)، والحجازي (٢٩:

١٩).

الشربيني: أي ثقل حمل الترامات عليهم في بذل المال، فتبطلهم ذلك عن الإيمان، والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك، بل يستولون بالإيمان على خزان الأرض، ويصلون إلى جنات النعيم. (٤: ٣٦٥)

البيضاوي: (مُنْقَلُونَ) بحملها، فيعرضون عنك.

(٢: ٤٩٧)

مثله الكاشاني (٥: ٢١٥)، والمصدي (١٠: ٥٧٤).

وشير (٦: ٢٦٧).

أبو الشعثه: مكلفون حملاً ثقيلاً فيعرضون عنك.

(٦: ٢٩٠)

نحوه البروسوي (١٠: ١٢٦)، والآوسي (٢٩:

٣٦)، والمراعي (٢٨: ٤٣).

القاسمي: أي من عزة ذلك الأجر منقلون، أي أنقلهم الأداء فتحاموا لذلك قبول نصيحتك، وتجنبوا الدخول فيها دعوتهم إليه، والمعنى: لم تطلب منهم على الهداية والتسليم أجراً فينقل عليهم حملة حتى يتبطلهم عن الإيمان. (١٦: ٥٩٠٧)

الرَّجَاجِ وَالْمَعْنَى تَنَاقَلْتُمْ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَفِي ﴿أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْآرْضِ﴾ عِنْدِي غَيْرُ وَجْهِ، مِنْهَا: أَنْ مَعْنَاهُ تَنَاقَلْتُمْ إِلَى الْإِقَامَةِ بِأَرْضِكُمْ، وَمِنْهَا: أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا. (٤٤٧: ٢)
نَحْوَهُ الْمُجَبِّدِيُّ. (١٣١: ٤)

الْمُجَبِّدِيُّ: هَذَا الْإِسْتِطَاءُ مَخْصُوصٌ بِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ،

لَأَنَّ جَمِيعَهُمْ لَمْ يَتَنَاقَلُوا عَنِ الْجِهَادِ، فَهُوَ عَمُومٌ أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ، بِدَلِيلِ ﴿أَرَضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ الْقُوَّةِ: ٣٨. هَذَا اسْتِفْهَامٌ يَرَادُ بِهِ الْإِنْكَارُ، وَمَعْنَاهُ أَمَرْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الْغَايَةَ عَلَى الْحَيَاةِ فِي الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ فِي التَّعْمِ الدَّائِمِ. (الطُّوسِيُّ ٣٠: ٢)

الطُّوسِيُّ: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْآرْضِ﴾ قِيلَ: فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِلَى الْمَقَامِ بِأَرْضِكُمْ وَوَطَنِكُمْ، الثَّانِي: لَمَّا أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الثَّرِّ وَالزَّرْعِ.

قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: دَعَا إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَغَزْوَةِ الطَّائِفِ، وَكَانَ أَيَّامَ إِدْرَاكِ الثَّمَرَةِ وَمَحَبَّةِ الْقَعْدِ فِي الظَّلِّ، فَصَانَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَالْآيَةُ مَخْصُوصَةٌ بِقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ جَمِيعِهِمْ، لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ جَمِيعَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِهِذِهِ الصِّفَةِ مِنَ التَّنَاقُلِ فِي الْجِهَادِ، وَهُوَ قَوْلُ الْمُجَبِّدِيِّ: (٢٥٥: ٥)

الرَّحْمَنِيُّ: (أَتَأْتِلْتُمْ) تَنَاقَلْتُمْ، وَبِهِ قَرَأَ الْأَعْمَشُ، أَيْ تَبَايَعْتُمْ وَتَقَاعَسْتُمْ، وَضَنَّ مَعْنَى الْمِيلِ وَالْإِخْلَادِ، فَمَذَى بِهِ إِلَى.

وَالْمَعْنَى: مَلَمَتْ إِلَى الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا وَكَرِهَتْ مَشَاقَّ الشَّرِّ وَمَتَاعِهَا، وَنَحْوَهُ ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْآرْضِ وَاتَّبَعَ هَوِيَّهَا﴾ الْأَعْرَافُ: ١٧٦.

مَكَارِمُ الْقَمِيرَازِيِّ: أَيْ إِذَا كَانَتْ حُجَّتُهُمْ أَنْ يَسْمَعَ دَعْوَتَكَ يَسْتَوْجِبُ أَجْرًا مَادِّيًّا كَبِيرًا، وَأَتَمُّهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ، فَإِنَّهُ حَدِيثُ كَذِبٍ؛ حَيْثُ إِنَّكَ لَمْ تَطَالِبْهُمْ بِأَجْرٍ، كَمَا لَمْ يَطْلُبْ أَيُّ مِنْ رَسَلِ اللَّهِ أَجْرًا. (٥٠٨: ١٨)

أَتَأْتِلْتُمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْزِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْآرْضِ.... التَّوْبَةُ: ٣٨

ابْنُ هَيْثَمٍ: اسْتَهْتَبْتُمْ الْجُلُوسَ عَلَى الْأَرْضِ. (١٥٧)
مُجَاهِدٌ: دَعَا إِلَى ذَلِكَ أَيَّامَ إِدْرَاكِ التَّغْلِ، وَمَحَبَّةِ الْقَعْدِ فِي الظَّلِّ. (الْمَاوُزِدِيُّ ٢: ٣٦٢)

تَنَاقَلْتُمْ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حِينَ أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ نَمْرَهَا. (ابْنُ الْمُزَنِّي ٣: ٤٣٧)
الضَّحَّاكُ: اطْمَأَنَنْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا، فَسَمَّاهَا أَرْضًا لِأَنَّهَا فِيهَا. (الْمَاوُزِدِيُّ ٢: ٣٦٢)

زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: مَعْنَاهُ تَنَاقَلْتُمْ. (٢٠٩)
أَبُو عُبَيْدَةَ: (أَتَأْتِلْتُمْ) مُجَازٌ «افْتَلَمْتُمْ» مِنَ التَّنَاقُلِ، فَأَدْغَمْتَ النَّاءَ فِي التَّاءِ فَفُتِلَتْ وَشُدَّتْ. (إِلَى الْآرْضِ) أَيْ أَخْلَدْتُمْ إِلَيْهَا فَأَقَمْتُمْ وَأَبْطَأْتُمْ. (١: ٢٦٠)
ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَرَادَ: تَنَاقَلْتُمْ، فَأَدْغَمَ النَّاءَ فِي التَّاءِ، وَأَحْدَثَ الْأَثْفَ لِيُسَكَّنَ مَا بَعْدَهَا.

وَأَرَادَ: قَدِمْتُمْ وَلَمْ تَخْرُجُوا، وَرَكَنْتُمْ إِلَى الْمَقَامِ. (١٨٦)
الطَّبْسَبَرِيُّ: يَقُولُ: تَنَاقَلْتُمْ إِلَى لَزُومِ أَرْضِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ، وَالْجُلُوسَ فِيهَا. [ثُمَّ ذَكَرَ مَعْرُوفَ (أَتَأْتِلْتُمْ) مُفَصَّلًا] (١٠: ١٣٣)
نَحْوَهُ الْبَغَوِيُّ. (٢: ٣٤٨)

وثانيها: بُعد المسافة والحاجة إلى الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به العادة في سائر الغزوات.
وثالثها: إدراك الشار بالمدينة في ذلك الوقت.
ورابعها: شدة الحر في ذلك الوقت.

وخامسها: مهابة عسكر الروم. فهذه الجهات الكثيرة اجتمعت فاقتضت تناقل الناس عن ذلك الفزو، والله أعلم.
(١٦: ٥٩)

نحوه الخازن (٣: ٧٦)، والسيابوري (١٠: ٨٨)، والقاسمي (٨: ٣١٥٤)، وطه الدرة (٥: ٣٦٠).

القرطبي: قال المفسرون: معناه أنقلتم إلى نعيم الأرض، أو إلى الإقامة بالأرض. وهو توبيخ على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وهو نحو من أدخل إلى الأرض.
(٨: ١٤٠)

أبو حنبل: لما أمر الله رسوله بغزوة تبوك، وكان زمان جذب وحر شديد، وقد طابت السرا: عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام، نزلت عتاباً على من تخلف عن هذه الغزوة. [إلى أن قال:]

وقرأ الأعشى (تأقَلْتُمْ) وهو أصل قراءة الجمهور (أَتَقَلْتُمْ)، وهو ماض بمعنى المضارع، وهو في موضع الحال، وهو عامل في (إذا) أي مالكم تتناقلون إذا قيل لكم: اخرجوا.

وقال أبو البقاء: الماضي هنا بمعنى المضارع، أي مالكم تتناقلون، وموضعه نصب، أي أي شيء لكم في التناقل، أو في موضع جر على مذهب الحنكلى، انتهى.

وهذا ليس بجيد، لأنه يلزم منه حذف «أن»، لأنه لا ينسبك مصدر إلا من حرف مصدرى والقفل، وحذف

وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وقرئ (أَتَقَلْتُمْ) على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ.
فإن قلت: فما العامل في (إذا) وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه؟

قلت: مادل عليه قوله: (أَتَقَلْتُمْ) أو (ما) في (مَالَكُمْ) من معنى الفعل، كأنه قيل: ما تصنعون إذا قيل لكم، كما تسلم في الحال إذا قلت: مالك قائماً. (٢: ١٨٩)
مثله السبي (٢: ١٢٦)، ونحوه البيضاوي (١: ٤١٥).
ابن عطية: قرأ الأعشى فيما حكى المهدوي وغيره (تَتَقَلْتُمْ) على الأصل، وذكرها أبو حاتم (تَتَقَلْتُمْ) بناءً، ثم ناء مستقلة، وقال: هي خطأ أو غلط، وصوب (تَتَقَلْتُمْ) بناءً واحدة وناء مستقلة أن لو قرئ بها.

وقوله: «أَتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» عبارة عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الفزو، لسكنى ديارهم والتزام غلهم وظلالهم، وهو نحو من أدخل إلى الأرض. (٣: ٣٤)
الطبرسي: أي تناقلتم وملتكم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها. [ثم حكى قول الجبائي:]
(٣: ٣٠)

الفخر الرازي: المروي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك، وذلك لأنه ^{لأنه} لما رجع من الطائف أقام بالمدينة وأمر بجهاد الروم، وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر، وطابت ثمار المدينة وأيسنت، واستظلموا غزو الروم وهابوه، فنزلت هذه الآية.

قال المحققون: وإنما استقل الناس ذلك لوجوه: أحدها: شدة الزمان في الصيف والقحط.

والإخلاء، أي اتأقَلْتُم مائلين إلى الدُّنْيَا وشهواتها الفانية
عَمَّا قَلِيل، وكرهتم مشاقَّ الغزو ومتاعيه المستتعة
للراحة الخالدة، كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدُوا إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَبَغَوْا
هُنَا﴾ الأعراف: ١٧٦.

أو إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكان ذلك في
غزوة تبوك في سنة عشر، بعد رجوعهم من الطائف
استنبروا في وقت عُسرة وقحط وقَيْظ، وقد أدركت غار
المدينة وطابت ظلالها مع بُدِّ الشَّمْسِ وكثرة المدوّ، فسقّ
عليهم ذلك.

وقيل: ماخرج رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلّا
ورّى بغيرها إلّا في غزوة تبوك، فبأنه عليه الصّلاة
والسّلام بيّن لهم المَقْبَدَ فيها ليستعدّوا لها. (١٤٧: ٣)
نحوه البرّوسوي. (٤٢٩: ٣)
الكاشاني: تاباطم مغلّدين إلى أرضكم والإقامة
بدياركم. (٣٤٢: ٢)

نحوه المشهدي. (١٩٠: ٤)
رشيد رضا: والتأقَل: التّباطؤ، فهو ضدّ الثّفر،
لأنّه من الثّقَلِ المقتضي للبطء، وهو يصدق على من لم
يستجب لدعوة الثّفر، وعلى من حاول أو استجاب
مبتاطمًا. [إلى أن قال:]

وقد عدّي به «إلى» لتضمّنه معنى التّسَلُّ والإخلاء
إلى الأرض، والميل إلى راحتها ونعيمها. (٤٢٣: ١٠)
الطّغطاوي: «تَتَأَقَلْتُمُ» أدغمت التّاء في الشّاء
فصارت تاء ساكنة فدخلت ألف الوصل، وضعت
«اتأقل» معنى مَالٌ مُضَدِّي به «إلى»، أي ملتم إلى الدُّنْيَا
وشهواتها، وكرهتم مشاقَّ الثّفر ومتاعه، فلمتم إلى

«أن» في نحو هذا قليل جدًّا أو ضرورة. وإذا كان التّقدير
في التأقل فلا يمكن عمله في (إذا) لأنّ معمول المصدر
الموصول لا يتقدّم عليه، فيكون النّاصب لـ(إذا) والمتعلّق
به في التأقل ما هو معلوم (لَكُمْ) الواقع خبرًا لـ(لَمَّا) [ثمّ
ذكر قول الزّحّشريّ وقال:]

والأظهر أن يكون التّقدير: مالكم تتأقلون إذا قيل
لكم: انفروا، وحذف لدلالة (اتأقلتم) عليه.

ومعنى «اتأقلتم إلى الأرض»: ملتم إلى شهوات
الدُّنْيَا حين أخرجت الأرض ثمارها، قاله مجاهد،
وكرهتم مشاقَّ الثّفر. (٤١: ٥)

نحوه الأكوسي. (٩٥: ١٠)
ابن كثير: أي تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدّعة
والخفص وطيب الثّبار. (٤٠١: ٣)

الشّريبيّ: ومعناه تاباطم وملتم عن الجهاد.
(٦١٣: ١)

أبو الشّعود: تاباطم وتعاستم، أصله: تأقلتم،
وقد قرئ كذلك، أي أي شيء حصل أو حاصل لكم، أو
ما تنصّون حين قال لكم النبي ﷺ: انفروا، أي اخرجوا
إلى الغزو في سبيل الله متأقلين. على أنّ الفعل ماضٍ لفظًا
مضارع معنًى، كأنّه قيل: تتأقلون.

فالعامل في الطّرف الاستقرار المقدّر في (لَكُمْ) أو
معنى الفعل المدلول عليه بذلك. ويجوز أن يعمل فيه
الحال، أي مالكم متأقلين حين قيل لكم: (انفروا).

وقرئ (أتأقلتم) على الاستفهام الإنكاريّ
التوبيخي، فالعامل في الطّرف حينئذٍ إنّما هو الأوّل (إلى
الأرض) متعلّق به (اتأقلتم) على تضمينه معنى الميل

الإقامة بأرضكم ودياركم. [إلى أن قال:]

وهذا يدلّ على وجوب الجهاد على كلّ حال وفي كلّ وقت، لافرق بين الأشهر الحرم وغيرها. (١٠٨: ٥) سيّد قطب: إنّها نقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصوّرات الأرض، نقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذات والمصالح والمتاع، نقلة الدعة والزحّة والاستقرار، نقلة الذات الغانية والأجل المهدود والهدف القريب، نقلة اللحم والدّم والتراب.

والتعبير يليق كلّ هذه الظلال بجرس ألفاظه (أناقلتم) وهي بجرسها تمثّل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الزاحون في جهد، فيسقط منهم في ثقل، ويلقيها بمعنى ألفاظه: ﴿أناقلتم إلى الأرض﴾. وما لها من جاذبيّة تشدّ إلى أسفل وتقاوم رغبة الأرواح والطلاق الأسواق. (١٦٥٥: ٣)

هجرة دُرُوزَة: أنقلتم مقاعدكم في الأرض. والجملة كناية عن عدم المسارعة إلى الاستجابة إلى دعوة التّرة في سبيل الله ومقابلتها بالبطء والتّناقل.

(١٢: ٤٠) محمود صافي: تدعو هذه الآية المؤمنين إلى أن ينفروا في سبيل الله، وتبيّن حالة التّناقل التي تحرّم عند ذلك.

ويستعمل القرآن الكريم الفعل (أناقلتم)، وإذا تدبّرنا هذا الفعل بجرسه وإيحائه، فإننا نراه يعبّر عن حالة التّباطؤ والاتصاق بالأرض، التي تعترى الإنسان عندما يَدْعَى إلى أمر ثَقِيل على نفسه، وتكاد نشعر بجرس هذا الفعل وإيحائه أنّه يُصوّر ذلك الجسم الثَقِيل المشدود إلى

الأرض، ونحن نحاول إنهاضه، ولكنّه يفلت من يدينا ويعود ليلتصق بالأرض.

وتأتي التّاء المشدّدة في أوّل الفعل، لتشارك في رسم هذه الحالة وإبرازها، ولو استبدلنا بالفعل «تَنَاقَلْتُمْ» الفعل (أناقلتم) الوارد في الآية لتلاشى ذلك الجرس والإيحاء وقوّة التّعبير، وانطقت القوّة السّارية في معنى هذا الفعل، وهذا جانب من جوانب إعجاز كلام الله عزّ وجلّ، وتعبّر عن كلام البشر. (٣٣٩: ٩)

المُراعِي: الخطاب للمؤمنين في جملتهم تربية لهم بما لعلّه وقع من منافقتهم وضعفائهم، أي يأتها الذين آمنوا ماألّذي عرض لكم بما يخلّ بالإيمان أو بكمالها، من التّناقل والتّباطؤ عن التّبوّس بما طلب منكم، وإخلاصكم إلى الزّاحّة واللذّة. حين قال لكم الرّسول: انفروا في سبيل الله، لقتال الرّوم الذين تجهّزوا لقتالكم والقضاء على دينكم الحقّ ألّذي هو سبيل سعادتكم؟

فآية صدق الإيمان بذل النفس والمال في سبيل الله كما قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزُنْجُوا وَجَاهَهُدُوا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المجرات: ١٥. [تمّ قال نحو ما تقدّم عن الفخر الرّازي] نحوه المجازي. (١١٩: ١٠) (٤٥: ١٠)

الطّبّا طَبَّائِي: (أناقلتم) أصله: تناقلتم، على وزان «أداركوا» وغيره، وكأنّه أشرب معنى الميل ونحوه فعدي به «إلى».

وقيل: ﴿أناقلتم إلى الأرض﴾ أي ملتم إلى الأرض متناقلين، أو تناقلتم مائلين إلى الأرض، والمراد بالتّفرّ في

(أَتَأَقْلُتُمْ) كناية عن الرغبة في البقاء في الوطن، وعدم التحرك نحو سُوح الجهاد، أو الرغبة في عالم المادة والصُّوق بزغارها والانتداد نحو الدنيا.

وعلى كلِّ حال فالآية تخاطب الَّذِينَ كانوا على هذه الحال من المسلمين - ضفاف الإيمان - لاجمعهم، ولا المسلمين الصادقين، وعاشقي الجهاد في سبيل الله. (٥١: ٦)

الْوُجُوه وَالنَّظَائِر

الدَّامِغَانِي: الأفعال على حشرة أوجه:

الزَّاد، الكنوز والأموات، الشَّدة، العظيم في القُدْر، التَّرجيح، الأوزار، الثَّقَل بعينه، الرُّكون، الشُّيوخ والمُعيل، الجَمْن والإِنْس.

فوجه منها: الأفعال: يعني الزَّاد، قوله في سورة التحل: ٧ ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ الآية.

والوجه الثاني: الأفعال: الكنوز والأموات، قوله في سورة الزَّلْزَل: ٢ ﴿وَأَخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي كنوزها وأمواتها.

والوجه الثالث: الثَّقِيل: التَّسْدِيد، قوله في سورة الذَّهَر: ٢٧ ﴿وَيَذَرُونُ ذُرَاهِمُ تَذَاتَا قَبِيلًا﴾ أي شديداً. والوجه الرابع: الثَّقِيل، أي العظيم في القُدْر والجلال، قوله في سورة المَزَّمَل: ٥ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ أي عظيماً في القُدْر، قال الحسن: العمل به، وقال مُجَاهِد: الحلال والحرام.

والوجه الخامس: الثَّقَل، يعني الرَّجْحَان، قوله في سورة المؤمنون: ١٠٢ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي

سبيل الله: الخروج إلى الجهاد. (٢٧٨: ٩)

مُحَمَّد جَوَاد مَسْغُونِيَّة: وَلَمَّا اسْتَفْرَ النَّبِيُّ ﷺ المسلمين لغزوة تبوك شقَّ ذلك على البعض منهم، وآثروا الميل إلى المغلود والإقامة في أرضهم ومبوتهم، وكان من عادة النَّبِيِّ إِذَا خَرَجَ إِلَى غَزْوَةٍ أَن يَوْمَهُ النَّاسُ أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَى غَيْرِهَا، لمصلحة الحرب الَّتِي تَسْتَدْعِي الكَثَّانَ، ولكنَّه صرَّح بهذه الغزوة ليكون النَّاس على بصيرة ممَّا يلاقيه فيها من المشاقِّ والمصائب.

واعتذر بعض المفسرين عَمَّن تباطأ وتثاقل بِأَنَّ الوقت كان شديد الحرارة، والنَّاس في ضيق من قِلَّة الطَّعَام، وبأَنَّ غَمَارَ المدينة كان قد تَمَّ صلاحها، وَأَنَّ وقت ظُفَاهَا. ومهما يكن فإنَّ الخطاب - بطبيعة الحال - موجَّه إلى المتثاقلين عن الجهاد. (٤٤: ٤)

فضل الله: فحذبتكم إليها، كما لو كانت هناك أفعال شديدة تشدُّكم إلى الأسفل، من الإخلاء إلى الأرض والاستكانة إليها، والاستسلام لقضاياها المادية، وقيمتها الحيوانية، والتَّطَلُّع إلى شهواتها، كناية تطلُّع إليها الحياة، بعيداً عن كلِّ عوامل السَّوِّ والانفتاح الَّتِي تجعل الإنسان يميلُ في السَّاء، حيث الثَّور والخير والإيمان، كَأَفَّاقِ الحَيَاةِ والحركة والإنتلاق، في ما يوحيه ذلك من الثَّمَرَد على كلِّ هذه الأفعال المادية الَّتِي تنقل قلبه وروحه وضميره، وفي ما يثيره في نفسه من معان روحية تَهْدِي بالإسْثْرَاق والحَبِّ والإيمان.

(١١١: ١١١)

مكارم الشَّيرازي: (أَتَأَقْلُتُمْ) فعل مشتق من الثَّقَل ومعناه واضح، إذ هو خلاف الخفيف، وجملة

والتَّثْلُ: الحمل الثقيل، والوزن، يقال: أحمله ثقله، أي وزنه، والجمع: أثقال.

والمشتال: مقدار من الوزن، والجمع: مشايل، ومشتال الشيء: ميزانه، يقال: ألقى عليه مشايله، أي مؤونه وثقله.

والمثقلة: رُخامة يثقل بها البساط.

والتثقلة: أثقال القوم، يقال: ارتحل القوم بثقلتهم وثقلتهم وثقلتهم، أي بأمتعتهم وبأثقالهم كلها.

والتثقل: المتاع والحشم، والجمع: أثقال.

وأنقلت المرأة: ثقل حملها في بطنها فهي مثقل.

والتثقة: ما وجد الرجل في جوفه من ثقل الطعام.

وتثاقل القوم: استنهضوا لنجدة فلم ينهضوا إليها، والتثاقل: التباطؤ من التعامل في الوطء، يقال: لأطأته وطء المتثاقل، وتثاقل عنه: ثقل، والمستثقل: الثقل من الناس، وبمعنى ثقال: هلي.

والتثقة: نسيئة غالبية، وقد أثقله النوم، فهو مثقل ومثثقل.

وثقل الرجل ثقلًا: اشتد مرضه فهو ناقل وثقيل، يقال: أصبح فلان ناقلًا، وقد أثقله المرض فهو مثقل.

وثقل إلى الأرض: أخذ إليها واطمأن فيها.

ورجلٌ ثقل: رزى، يقال: فيه ثقل، وهو ناقل.

وامرأةٌ ثقال: رزانٌ يكحال.

والتثقل: الشيء الثقيل الخطير المصون، وأصله يبيض تمام المصون، وهو السيد العزيز أيضًا، والجمع: أثقال.

والتثقلان: الجن والإنس، سمي بذلك لأنها كالثقل

رجحت، كقوله في القارعة: ٦ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، ونحوه كثير.

والوجه السادس: أثقالًا، يعني أوزارًا، فذلك قوله في سورة العنكبوت: ١٣ ﴿وَلَيُخْلِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ يعني أوزارهم، وذلك قوله: ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يعني وأوزارًا مع أوزارهم.

والوجه السابع: الثقل بعينه، قوله في سورة الأعراف: ٥٧ ﴿سَخَابًا ثِقَالًا﴾ يعني بالماء ﴿سُفْنَاهُ يُنَادٍ مَتَّيْتُ﴾ قوله فيها: ١٨٩ ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ يعني ثقل الولد في بطنها، ويقال: استبان حملها.

والوجه الثامن: الثقل: الزكون، قوله في سورة التوبة: ٣٩ ﴿أَنَّا قُلْنَا لَكَ الْإَرْضُ﴾ يعني ركنتم إلى أطيب المدينة والمجلوس بها.

والوجه التاسع: الثقال: الشيخ وأصحاب العيال، قوله في سورة التوبة: ٤١ ﴿وَإِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ يعني بالثقال: الشيخ.

والوجه العاشر: الثقلان: الجن والإنس، قوله في سورة الرحمن: ٣١ ﴿سَنُقْرِئُكَ أَلْفَ الثَّقَلَانِ﴾ يعني الجن والإنس. (٢٠٣)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثقل، وهو تقيض الحقة، يقال: ثقل الشيء يثقل بثقل وثقاله فهو ثقل، والجمع: أثقال. وثقل فلان الشيء: جعله ثقلًا، وأثقله: حمله ثقلًا، واستثقله: رآه ثقلًا، وثقل الشيء يثقله بيده ثقلًا: راز ثقله، يقال: ثقلت الشاة، أي رزتها.

١- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا بِهَا لَوْ بَدَتْ عَلَيْنَا سَبْعُ ثَمَازٍ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الأعراف: ١٨٧

٥- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيَا حَمَلًا خَفِيًّا فَسَوَّاهُ فَقُلْتَ أَفَلَيْتُ دَعَاؤَ اللَّهِ رَبِّهِمَا لَئِنْ أُبْقِيَتْ سَاحِلًا لَتَكُونُ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ١٨٩

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَالِكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُّوهُ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة: ٣٨

٧- ﴿أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْجِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمل: ٥، ٤

٨- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ الْفَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الذهر: ٢٧

٩- ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمُنْهَوٍّ الشَّحَابِ الثَّقَالِ﴾ الزمر: ١٢

١٠- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا بِقَالَا سُحُبًا لَيْلِيَّةً مَتَّيَ قَا نَزَلْنَا بِهِ السَّيَّءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٥٧

١١- ﴿إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ٤١

١٢- ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِلْهَا لِتَحْمِلَ مِنْهُ فَوَئْدًا قَرْيَةً...﴾

للأرض وعليها، وهما كتاب الله وعتره رسوله أيضًا، لأنهما عظيمَا الشَّانِ ونيسان، ومنه حديث الثقلين: الكتاب والعتره.

٢- ويعتبر الثقل في علم الطَّيِّبة: القوَّة التي تحرك الجُزْئِيَّاتِ المادِّيَّة، وعرفه الطَّيِّبِيُّونَ بِأَنَّهُ القوَّة التي بواسطتها تسقط الأجسام متى تُركت ونفسها. ويستج الثقل من جاذبيَّة الأرض التي تحرك جميع الأجسام.

٣- ما نَسَدَ وطأة الثقل هو شديد على الإنسان في يقلتة ونومه، وصحته وسقمه، وسفره وحضره، وجوعه وشبعه، وباطنه وظاهره. ناهيك من لفظ «الثقل»، إذ تلحظ وطأة التثقل به على اللهاة وأقصى الحنك الأعلى وطرف اللسان وروؤس الثنايا العليا وأصولها.

كما هو شديد على الأرض وما في حوزتها، من برّ وجهر، وحجر ومدر، وريح ومطر، وذخائر ومقابر، ونبات وحيوان...

الاستعمال القرآني

جاءت فعلًا ماضيًا مجزأً: ٤ مرّات، ومزیدًا من باب الإفعال مرّة. ومن باب التفاعل. و مرّة، صفةً بألفاظ متفاوتة مرّات عديدة:

١- ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ قَسَنَ ثَقُلَتْ سَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ السَّالِفُونَ﴾ الأعراف: ٨

٢- ﴿قَسَنَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ السَّالِفُونَ﴾ المؤمنون: ١٠٢

٣- ﴿فَلَمَّا عَزَّ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ القارعة: ٧، ٦

يلاحظ أولاً: أن مادة «نقل» وضمت للثقل المادي، ثم توسع استعمالها إلى الثقل المعنوي، فكثير من المواد اللغوية، وقد جاءت في القرآن بالمعنيين عبر محوريين: المحور الأول: النقل المادي وهو الأثقل وروداً، وجاء على أنحاء:

١- ساحو صريح فيها مثل «الانشقال» في (١٦) و(١٧): «وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ»، «وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَكُمْ»، وهي الأمتعة الثقيلة التي تحملها الدواب من بلد إلى بلد، وعليها حملت (١٨): «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»، فالمراد بها مائي جوف الأرض من الأسوات والمعادن والفلزات على اختلاف بينهم، فأني أريد بها فهي أجسام ثقيل.

٢- ماهو قريب من الصريح مثل «الثقال» في (٩) و(١٠) وصفاً للثحاب: «وَيُثَبِّتُ السَّحَابَ الثَّقَالَ»، «سَحَابًا ثِقَالًا»، فهي الثحاب الذي أثقل بالماء، وبه يفسرونه، ولعله تشبيه بالمرأة الحامل في «أثقلت» الآتي. وأما الآية (١١): «خَفَافًا وَثِقَالًا» فقد فسرناها - كما يأتي - بوجه ترجع إلى الثقل المعنوي.

٣- ومن هذا القبيل الآية (٥): «فَلَمَّا تَخَشَّيْهَا حَلَّتْ حَلًّا خَفِيفًا فَصَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ...» أي سارت ذاتقل، وهذا من معاني باب «الإفعال»، مثل: أثمرت الشجرة، أي سارت ذاتمر، فجاء الثقل هنا مقابل الخفة، وكلاهما جسماني. وقد فسروها بلوازمها، مثل: دنت ولادتها، واستبان حملها، وحن وقت نقل حملها، يردخل في الثقل، مثل: أصاف، أي دخل في الصيف، وأصبح، أي دخل في الصباح، وكبر حناها وتحول إلى

فاطر: ١٨

١٣، ١٤- «وَأَمْ تَشْتَلُهُمْ أَجْزَاءَهُمْ مِنْ مَعْرُومٍ مُقْتَلُونَ»

القلم: ٤٦، والطور: ٤٠

١٥- «قَبَائِي أَلَاءٍ وَبِحَا تَكَذَّبَانِ» سَفَرُكُمْ لَكُمْ آيَةٌ

الزحزن: ٣٠، ٣٦

١٦- «وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ

وَيُثَبِّتُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْسِرُونَ»

المنكوت: ١٣

١٧- «وَيَحْمِلُونَ أَثْقَالَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ لَيْلٍ لَمْ تَكُونُوا بِهَا لِيَبْغِيَهُ

إِلَّا يَشِقُّ الْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَوَاقِفٌ رَجِيمٌ» الثعل: ٧

١٨- «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزِلَتِهَا» وَأَخْرَجَتِ

الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا الزلزال: ١، ٢

١٩- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسْبَةً

يَضَاعِفَهَا وَيُؤْتِي مَنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» النساء: ٤٠

٢٠- «وَمَا يَغْرُبُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» يونس: ٦١

٢١- «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ

وَرَبِّي لَأَتِيَتْكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَنْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي

الْسَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» سبأ: ٣

٢٢- «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا

لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَخَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» سبأ: ٢٢

٢٣- «كَنْ يَتَمَلَّ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» الزلزال: ٧

٢٤- «وَمَنْ يَمْتَلِ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» الزلزال: ٨

جنين كامل.

١- ومنه الآية (٦): ﴿أَتَأْتُلُوكَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، أي تناقلتم إليها، وقد فسروها بلوازها أيضاً: قدمت ولم تخرجوا وركنتم إلى المقام، وتناقلتم إلى لزوم أرضكم ومسكنكم والجلوس فيها، أو إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم، أو إلى الشهوات، أو تخلفتم ونكلتم وتركتم الغزو، أو أترتم الحياة الدنيا الغانية على الحياة الآخرة الباقية، أو تباطأتم وتعاستم، أو ملتم إلى الإقامة فيها. وفي هذه الآية بحث:

أ- إنَّ (أَتَأْتُلُوكَ) ضمن معنى «ملتم»، فلهذا عُدِّي به إلى، مثل: ﴿أَخَذَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الأعراف: ١٧٦.

ب- إنَّ أصلها «أَتَأْتُلُوكَ» بمعنى الاستنهام، بالفتح في قراءة فادغمت «الهاء» في «الطاء» فشددت.

ج- إنَّها استنهام معناه الإنكار والتربيع، وكذلك الاستنهام في أولها: ﴿مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾.

د- العامل في (إِذَا) الفعل المفهوم من (مَالَكُمْ)، أي ما تصنعون إذا قيل لكم؟ أو ما دلَّ عليه (أَتَأْتُلُوكَ).

هـ- وقد قرئت «تناقلتم» و«تناقلتم»، ولم يذكرها الطبري، وليستا بمتواترتين.

و- قال بعضهم - كما حكى الطوسي - إنَّ هذا الاستبطاء صدر عن بعض المؤمنين دون جميعهم، فهو عموم أريد به الخصوص.

وكان عذرهم شدة الحر وإدراك الشار، واستعظام غزو الزوم، وشدة الزمان والقحط، ويُعد المسافة، والحاجة إلى الاستعداد الكثير الزائد على ما جرت به العادة في سائر الغزوات ونحوها.

والظاهر أنهم كانوا من المخرج أتباع عبد الله بن أبي رأس المنافقين، الذين تخلفوا في «أحد» وفي مواقف أخرى، إلا أنَّ الله تعالى لم ير مصلحة في بدء نكولهم أن ينصهم بالعباد ويرميهم بالتفاني، كما فعل بهم بعد الحرب وحكم عليهم بالكفر ﴿بِمَاءِهَا النَّبِيُّ﴾ مجاهد أنكَفَارُ وَالْمُتَأَفِّقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِجُهُمْ جَهَنَّمُ وَيُنْسُ الْمَصِيرَ التوبة: ٧٣. وهذه الآيات نزلت في شأن هؤلاء المنافقين من المخرج وغيرهم القاطنين داخل المدينة، ثم بدأ بالأعراب خارج المدينة: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا...﴾ ٩٧، ١٠١.

لكن الله استثنى المهاجرين والأنصار، كي لا تشملهم هذه الآيات، فقال: ﴿وَالشَّاهِدُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ التوبة: ١٠٠، ثم تعرَّض لحال الثائبين منهم في الآيات (١٠٢)، (١٠٥) من هذه السورة. ورجع ثانية إلى المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضراباً في الآيات (١٠٧)، (١١٠). وهكذا تتداخل أحوال هؤلاء وأولئك إلى آخر السورة. فأعطى الله كلَّ فرقة حقها، فلا تغفل، ولا تحكم على كلِّ منها بحكم واحد، لاحظ «المهاجرين» و«الأنصار».

المحور الثاني: القتل المعنوي، وهو على أنحاء أيضاً:

١- منه ما هو ظاهر في المرح والمشفقة، محتمل لنقل الكرامة، مثل: (٧): ﴿إِنَّا سَتَلْنَا عَلَىكَ قَوْلًا قَبِيلًا﴾، نزلت في شأن القرآن، وقد فسروها بوجوه، مثل: شديد بالأمر والنهي والوعيد والوعيد والحلال والحرام، أو العمل به ثقيل، أو ثقيلة فرائضه وسنته، أو ثقيل حمله لمشقة فيه، أو ثقل على المنافقين، أو ثقل لا يحمله إلا

قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مؤمنة ونحوها.

واحتملوا فيه الثقل في الكرامة لقولهم: «فَلَنْ ثَقِيلَ عَلَيَّ، أَي كَرِيم عَلَيَّ» قال الرضي: «وهذه استمارة... والمراد بها صفة القرآن بظلم القدر ورجاحة الفصل...». وكذلك ثقل في الميزان، خفيف في اللسان، أو ثقل في ميزان الحق.

وهانا بحث في أنه يخص النبي أو يعم غيره، فقوله: «سُئِلَ عَلَيْهِ» يصرفه إليه، فقد كان ثقيلاً عليه عند تلقيه الوحي - كما جاء في النصوص فيرجع إلى الثقل المادي - أو ثقل عليه حفظه وإيلاؤه ونحوها، لاحظ نصوص الفخر الرازي، وسيد قطب، والطبائبي، ففيها القول الفصل.

ومنه من عَمَّها، فقال محمد جواد مغنّي: «القرآن ثقل بكل ما في هذه الكلمة من معنى: هو ثقل في إعجازه وخلوده، وفي عقيدته وشريعته، وفي حربه ونضاله...»، ونحوه السيد فضل الله، لاحظ القرآن.

٢- ومنه ما هو صريح في الحرج والمشقة، لا يحتمل غيره، وصفاً له بنفسه أو بمعلّقه:

مثل الآية (٨): «وَيَذَرُونَ زَوَاجَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا»، أي ثقل هو لشدة، أو ثقل حسابه، أو قصاصه، أو ميزانه، أو تبعاته كلها. وقال ابن عطية: «إنه بمعنى ذا ثقل، فالوصف للنسب». مثل فعله: (أنقل).

ومن هذا القبيل الآية (١٢): «وَإِنْ تَذَعُ ثَقْلَةَ إِلَهِي جِئْتُهَا لَا يَحْتَمِلُ مِنْهُ قَوْمٌ»، أي نفس ذات ذنوب، حرجة من حملها، لا يحملها غيره.

وفيها نكتة، وهي أن الفرق بينها وبين صد الآية

«وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» عند الرّمثسري أن صدرها يدل على عدل الله؛ حيث لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها، وذيلها يدل على أن لا غياث يومئذ لمن استغاث، فلا يحمل ذنوبها غيره.

وعندنا أن صدرها وذيلها ينفيان الغياث، والحمل لفظاً، والمواخذة معنئاً، وأن ذيلها تفسير لصدرها، فلاحظ.

ومن هذا القبيل أيضاً الآية (١٣): «فَهُمْ مِنْ مَفْرُجٍ مُتَقَلَّبُونَ»، أي في حرج من حمل الترامات، وفي كلفة مما تدعوهم إليه، ومعلوم أنه حرج معنوي لا جسدي. وهانا نكتة، وهي أن (مُتَقَلَّبُونَ) و(مُتَقَلِّدُونَ) في هاتين الآيتين اسم مفعول من «أنقل» المتعدي. يقال: أنقله المرض، قال الحكيل: «المثقل: الذي تحمل فوق طاقته»، وليس من: (أنقلت المرأة) فهو لازم. لكن الحكيل قال في «وَإِنْ تَذَعُ ثَقْلَةَ إِلَهِي جِئْتُهَا»: «أي هي حاملة أوزاراً وخطايا»، فجعلها من: «أنقلت المرأة» وعندنا أنه من: أنقله المرض، فتأمل.

ومنه الآية (١١): «إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا»، فإنها - كما تقدم - وإن احتملت الثقل المادي، أو مع حقة البير ونقله، أو مع الجهاز وبدونه، إلا أن أكثرهم حملوه على المعنوي فقالوا: خفافاً من الاتباع وثقالاً بهم، أو خفافاً من العيال، وثقالاً معهم، أو شتاتاً وشيوخاً، أو ناشطين وغير ناشطين، أو خفافاً وهم أهل الميسرة، وثقالاً وهم أهل العسرة، أو رجالة وركباناً، أو ذوو شغل وصناعة وضيفة، فهو ثقل وغيره خفيف، أو شجاع فهو ضعيف، وجبان فهو ثقل، أو أصحاء ومرضى، أو خفافاً إلى

ويخافون شدائدھا وأهوالھا، فيرجع إلى المخرج.

٢- مظاهره الوزن المادّي، أطلق على الأعمال وجزائها استعارة في الآيات (١٩ - ٢٤). وهو ظاهر في مثل: ﴿قَرْنٌ يَتَقَلُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، والمراد بها قليل من العمل وجزائه، وفي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾. ومحمّل في ﴿وَمَا يَتَزَوَّدُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ...﴾ و﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لو أريد بها الأعمال، ولو أريد بها أن الناس لا يملكون شيئاً في السماوات والأرض، فالمراد به الثقل المادّي ونحوه، وهو الظاهر. وفيها نكات:

أ- المتقال في اللفّة: اسم آله لما يوزن به الشيء، وشاع استعماله في وزن خاصّ مقدّر بقدر قليل، وأريد به في الآيات وزن قليل من دون تقدير.

ب - أضيف (متقال) فيها إلى (ذرة) دائماً: (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ)، وصار مثلاً قرآنيّاً ساريّاً في كلّ شيء قليل، أي وزن ذرة، أو ثقل ذرة، وقالوا: الذّرة: الثّملة الصّغيرة، وهي من مصاديقها، لاحظ «ذرة»

ج - قال الزّجاج: الأعمال لا وزن لها، لكنّ الناس خوطبوا فيها بتطوي عليه قلوبهم بتمثيل ما يدرك بأبصارهم، لأنّ ما يَصْغُرُ أبين لهم، وهذا بيان للاستعارة المذكورة.

د - قال المشهدي في ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: «المتقال: من الثقل، وفي ذكره إيماء إلى أنّه وإن صغر قدره، عظم جزاؤه؛ حيث أثبت للذّرة ثقلًا، وإيماء إلى أنّ وضع الشيء في غير محلّه وإن كان صغيراً فهو عظيم ثقل في القبح»، وهذا جار في جميع الآيات.

الطّاعة ونقلاً عن المعصية، أو خفافاً إلى المبالغة ونقلاً في المصاربة ونحوها. والأوّل - وهو الثقل المادّي - أقرب. ٣- ومنه ما هو ظاهر في ثقل الكرامة، محتمل للثقل المادّي، أو للحرج والمشقة مثل الآيات: (١ - ٣)، وجاء فيها ﴿تَقَلَّتْ مُوَازِينُهُ﴾، و﴿خَفَّتْ مُوَازِينُهُ﴾. وقد فسر أكثرهم الوزن بالمحاسبة والثقل والخفة بمرجحان السمل وحسنه وضدها. فالوزن فيها، وثقل الأعمال وخفّتها كلّها معنويّة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من رجع عقله». واحتمل بعضهم فيها الوزن المادّي بحملها على وزن صحائف الأعمال، مع أنّ الصحائف لا يعلم أي أوراق أم علوم؟

ومن قال من المتكلمين بتجسّم الأعمال يوم القيامة - كما دلّت عليه الروايات - فتييسّر له حملها على الثقل المادّي، لاحظ كلمة (الميزان) في «وزن».

ومن هذا القبيل الآية (١٥): ﴿سَنَنْزِلُكُمْ أَتَمَّةً الْقُلُوبَ﴾، ولا شك أنّها الإنس والجنّ، لأنّها مخاطبان في سورة الرحمن، بيد أنّ الكلام في وجه تسميتها بالثقلين، والقول الزّاجع أنّه لحظ شأنها، كما جاء في حديث الثقلين.

وهناك قول بأنّها متقلان بالذنوب أو بالتكاليف، فيرجع إلى المخرج، أو هما تقيان على الأرض، فيرجع إلى الثقل المادّي الموجود في الإنس، وقالوا: إطلاقه على الجنّ من باب التغليب.

ومن هذا القبيل الآية (٤) في وصف القيامة: ﴿تَقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي عظمت وكبرت على أهل السماوات والأرض، أو عظم العلم بقيامها عليهم لخفائها. وقيل: شقّت عليهم، لأنّهم يتوقّعونها

ث ل ث

في ٢٠ سورة : ١٢ مَكِّيَّة، ٨ مدَنِيَّة
١٣ لَفْظاً، ٣٢ مَوْء : ١١ مَكِّيَّة، ٢١ مدَنِيَّة

و تَلَكَّتْ الْقَوْمُ أَثْلَهُمْ ثَلَاثًا، إِذَا أَخَذَتْ ثَلَاثُ أَمْوَالِهِمْ.	ثَلَاث : ٦ : ٤ - ٢	ثَلَاثَةُ : ١ - ١
قَدْ يُقَالُ : تَلَكَّتْ الرَّجُلَيْنِ، أَيِ كَانَا اثْنَيْنِ فَصَرَتْ لَهَا ثَلَاثًا.	ثَلَاثُونَ : ١ - ١	ثَلَاثُونَ : ١ - ١
و ثَلَاث وَ ثَلَاثٌ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا اللَّامُ وَلَا يُصَرَفَانِ.	ثَلَاث : ٢ : ١ - ١	ثَلَاثَانِ : ١ - ١
و التَّلَاثُ مِنَ الْأَشْيَاءِ : مَا كَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَثْنَاءَ.	ثَلَاثَةُ : ١٢ : ٩ - ٣	ثَلَاثَةُ : ١٢ : ٩ - ٣
و التَّلَاثُ مِنَ الْهَبْلِ : مَا كَانَ عَلَى ثَلَاثِ قُوسَى، وَ	ثَلَاثُ : ٢ : ٢ - ٢	ثَلَاثُ : ٢ : ٢ - ٢
كَذَلِكَ مَا يُنْسَجُ وَ يُخْفَرُ، وَ الْمَصْفُورُ وَ الْمُفْتُولُ.	ثَلَاثِي : ١ - ١	ثَلَاثِي : ١ - ١
و التَّلَاثُ : مَا أُخِذَ ثَلَاثَةً.	الثَّلَاثَةُ : ١ - ١	الثَّلَاثَةُ : ١ - ١

و الثَّلَاثَاءُ : لَمَّا جُمِلَ اسْمًا جُمِلَتِ الْمَاءُ الَّتِي كَانَتْ فِي
الْعِدَّةِ مَدَّةً، فَرَفَقًا بَيْنَ الْحَالَيْنِ، وَكَذَلِكَ الْأَرْبَعَاءُ مِنَ
الْأَرْبَعَةِ، فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ جُمِلَتْ بِالْمَدِّ تَوْكِيدًا لِلْأَسْمِ، كَمَا
قَالُوا : حَسَنَةٌ وَ حَسَنَاءُ، وَ قَصَبَةٌ وَ قَصَبَاءُ، حَيْثُ أُلْزِمُوا
الْتِمَازَ الْإِزَامَ الْأَسْمِ، وَكَذَلِكَ الشَّجَرَاءُ وَ الطَّرَفَاءُ، وَ كَانَ
فِي الْأَصْلِ نَعْتًا فُجِعِلَ اسْمًا، لِأَنَّ حَسَنَةً نَعْتُ، وَ حَسَنَاءُ
اسْمٌ مِنَ الْمُحْسَنِ مَوْضُوعٌ، وَ الْوَاحِدُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِوَزْنِ
«فَعْلَةٍ».

التَّصْوِصُ اللَّغَوِيَّةُ

كعب الأحبار : أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍ : أَنْبِئْنِي مَا الْمُثْلِيَّةُ ؟
فَقَالَ عَمْرٌ : وَ مَا الْمُثْلِيَّةُ، لَا أَبْتَأُ لَكَ ؟ فَقَالَ : هُوَ الرَّجُلُ
يَحِلُّ بِأَخِيهِ إِلَى إِمَامِهِ، فَيَبْدَأُ بِنَفْسِهِ فَيُغْنِيهَا ثُمَّ بِأَخِيهِ، ثُمَّ
بِإِمَامِهِ، فَذَلِكَ الْمُثْلِيَّةُ، وَ هُوَ شَرُّ النَّاسِ.

(الْأَزْهَرِيُّ : ١٥ : ٦٠)

الْخَلِيلُ : الثَّلَاثَةُ : مِنَ الْعِدَّةِ.

أَبُو زَيْد : الثاقفة إذا يَسَّ ثلاثة أخلافٍ منها، فهي ثَلُوثٌ. (الأزهري ١٥ : ٦١)

يقال : في العُشرِ عَشِير، وفي التَّسعِ تَسْع، وكذلك من العشرة إلى الخمسة. ولا يقال : رَسْعٌ و ثَلَيْتٌ. (ابن السكيت : ٥٨٨)

الأصمعي : الثلث، بمعنى الثُلث، ولم يعرفه أبو زيد. [ثم استشهد بشر] (الأزهري ١٥ : ٦١)

وليس في الورد ثَلثٌ، لأنَّ أَفْصَرَ الورد الرَّفْع، وهو أن تشرب الإبل كلَّ يوم، ثم اللَّبث وهو أن تَرِدَ يوماً وتَدَعُ يوماً، فإذا ارتفع من اللَّبث فاطْلَمَهُ الرَّبْع ثم الحِمْس، وكذلك إلى العِشْر. (المجوهري ١ : ٢٧٥)

أَبُو عُبَيْدٍ : ولم أسمع في سوابق الخيل من يوثق بعلمه اسماً لشيء منها إلاَّ الثاني والعاشر، فإنَّ الثاني اسمه المَصْلَى والعاشر السَّكَيْت، وما سوى ذَيْتِكَ، إنما يقال : الثالث والرابع، وكذا إلى التاسع. (الأزهري ١٥ : ٦٢)

ابن الأعرابي : إذا ملأت الثاقفة ثلاثة آنية، فهي ثَلُوثٌ. (الأزهري ١٥ : ٦١)

الثُلُوث : التي لها ثلاثة أخلاف.

(الأزهري ١٥ : ٦٢)

وناقةٌ ثَلُوثٌ : يَسَّت ثلاثة من أخلافها، وقيل : هي التي صرَّم أحد أخلافها، وذلك أن يكوى بنار حتى ينقطع، ويكون وشماً لها.

والثُلُوث أيضاً : التي تَمَلأ ثلاثة أقداح إذا حُلِيت، ولا يكون أكثر من ذلك، يعني لا يكون المملء أكثر من ثلاثة. والثلاثة، بالضم : الثلاثة. (ابن سيده ١٠ : ١٣٠)

ابن السَّكَيْت : وتقول : ثَلَثْتُ القوم فأنا أثْنُهُم، إذا

وإذا أرسلت الخيل في الرِّهان، فالأوَّل السابق، و الثاني المَصْلَى لانه يَثْلُو أصلاً الذي قبله، ثم يقال بعد ذلك : ثَلْتُ و رُبِعَ و جُمِس. [ثم استشهد بشر].

والثَلَيْت في وجه : واحد الثَلث، ولكن أحسن ما تكَلَّمْتُ به العرب أن يقال : عُسْر و ثُلْتُ، وكذلك المَثَلات والمَثَلَت، كقولك : جاءوا مَثَلَت مَثَلَت، ومُؤَخَّد مُؤَخَّد، ومُنْتَى مَنْتَى، لا يُجَزَّ، وكذلك ثَلات ثَلات، و رُباع رُباع، أي ثلاثة ثلاثة و أربعة أربعة، لا يُجَزَّ.

و الثَّلَائي : ما تُسَب إلى ثلاثة أشياء، أو كان طوله ثلاثة أذرع، ثَوْب ثَلَائي و رُباعي.

و غلام ثَلَائي و رُباعي و خماسي، ولا يقال : سداسي، لأنه إذا قُت له ستة أشبار صار رجلاً.

و الثَلث في الإبل : طِئَم يَوْمَيْن بعد شَرِئَيْن، ولكن لم يُسْتعمل إنما يُجَزَّج في القياس على الأظْهَاء. (٢١٤٨)

أَبُو هِمْو السَّيْبَانِي : يقال : أحاد و ثناء و ثَلات و رُباع و خُماس، وكذلك إلى العشرة، ويقال : مُؤَخَّد و مُنْتَى و مَثَلَت و مَرَبِع. (ابن السَّكَيْت : ٥٩٠)

الفَرَّاء : قالوا : كانوا اثنين فثَلَثْتها، وهذا مما كان التَّحَوُّيون يختارونه. (الأزهري ١٥ : ١٦)

كِسَاءٌ ثَلُوثٌ : مَنسُوجٌ من صَوْفٍ و قَطِرٍ و شَعْرِ. [ثم استشهد بشر]

(الأزهري ١٥ : ٦١)

تنبيه الثَلاتاء : ثلاثاءان. (الصَّغَايِي ١ : ٣٥٤).

أَبُو هُبَيْدَةَ : و تقول : كانوا تسعة و عشرين فَثَلَثْتُهُم، أي صرَّت بهم تمام ثلاثين. و كانوا تسعة و ثلاثين فَزَبَّعْتُهُم، مثل لفظ الثلاثة والأربعة، وكذلك إلى المائة. (المجوهري ١ : ٢٧٤)

وكانوا أحدَ عشرَ فَنَتَيْتُهُمْ، ومِى عشرة فأَحْذَهُنَّ
لَيْتَهُ، وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْتَيْنِ، هذا فيما بين اثني عشر إلى
العشرين.

و تقول : هو ثالث ثلاثة عشر، تعني هو أحدهم، و
في المؤنث : هو ثالث ثلاث عشرة، لا غير، الرفع في
الأول.

و تقول : هو ثالثُ عشر، و ثالثُ عشر، بالرفع و
النصب إلى تسعة عشر.

فمن رفع قال : أردتُ : ثالثُ ثلاثة عشر، فحذفت
الثلاثة و تركت ثالثاً على إعرابه.

و من نصب قال : أردتُ : ثالثُ ثلاثة عشر، فلما
أسقطت منها الثلاثة ألزمت إعرابها الأول، لِيَعْلَمَ أَنَّ
ها هنا شيئاً محذوفاً.

و مرادة مُثَلَّثُونَ، من ثلاثة آدمية.

و يقال للثلاثة التي صُرَّخَ خِلْفَ من أخلافها و تُخْتَلَبُ
من ثلاثة أخلاف : ثَلُوثٌ أيضاً. [ثم استشهد بشعر]
و يقال : مَثَلَّثُ مَثَلَّثٌ، و مؤنث مؤنث، و مثنى مثنى،
مثل ثَلات ثَلات.

و المَثَلَّثُوت من الجبال : ما قُتِلَ على ثلاث قُوى، و
كذلك ما يُنْجَسُ أو يُضْفَرُ.

و الثَلاتاء : اسم مؤنث ممدود، و علامة التأنيث المذة :
المجهولة، و التثنية : و الثَلاتوان، و الجمع : الثَلاتاوات، و
الأمثال، في الكثير.

و يقال : مضت الثَلاتاء بما فيها، و مضى الثَلاتاء بما
فيه، و مضت أيضاً الثَلاتاء بما فيها، مرةً تُرجع إلى اللَّفْظِ
و مرةً إلى المعنى.

كنت لهم ثالثاً، فإذا أخذت ثلث أسواقهم أو رُبْعها أو
خُمْسها ضمنت ثالث المستقبل، فتقول : ثَلَثْتُهُمْ
أَثْلَيْتُهُمْ. (٥٨٨)

و مَثَلَّثُ مَثَلَّثٌ، غير معروف لأنه معدول عن
جهته. (٥٩٠)

هو ثالث ثلاثة، و هي ثالثة ثلاث، فإذا كان فيه
مذكر، قلت : هي ثالث ثلاثة، فيقلب المذكر
المؤنث. (الأزهرى ١٥ : ٦٠)

ناقة ثَلُوت، إذا أصاب أحد أخلافها شيءٌ فَيَسِسَ.
[ثم استشهد بشعر] (الأزهرى ١٥ : ٦٢)

يقال : هو ثالث ثلاثة، مضاف، إلى العشرة، و لا
يسنون، فإن اختلفا فإن شئت نَوْنْتُ و إن شئت
أَضَفْتُ. (الجهوري ١ : ٢٧٦)

الذِّيَنُورِيُّ : الثَّلِثَان، مثال الطَّيْرَان : شجرة جنب
الْقَلْبِ، أخبرني بذلك بعض الأعراب، و هو الزُّبْرُق
أيضاً، و هو ثَمالة، و سمعت غيره يقول : الثَّلثَان.

(الصَّنَاعِي ١ : ٣٥٤)

شعر : [مثل كعب و أخاف :]

هكذا رواه الجُكْرَاوِيُّ عن أبي عوانة، بالتخفيف
«مُثْلَيْت» و إعرابه بالشدِّد مُثَلَّثٌ، من تَثْلِيثِ الشَّيْءِ.

(الأزهرى ١٥ : ٦٠)

تَمَلَّبَ : و أَثَلَّت القوم : صاروا ثلاثة.

(ابن سيده ١ : ١٢٩)

ابن دُرَيْد : و ثلاثاء من الأثام معروف.

(٤٠٨ : ٣)

الأزهرى : و يقال : فلان ثالث ثلاثة، مضاف.

و الثَّلَاثِيّ: منسوب إلى ثلاثة أشياء، أو كان طوله ثلاث أذرع.

و الثَّلَاثاء: اسم اليوم، جعل اسماً، و مدَّته هاء.

و الثَّلُوث من الإبل: التي ييس ثلاثة أخلاف من أخلافها. و المثلثة: التي لها ثلاثة أخلاف.

و الناقة ثَلِثَتْ ثَلْثًا، إذا صَفَتْ بين إناةين و ثلاثة آنية، و هي الثَّلَث.

و هذا يُلْثُ فلاته، أي نالَتْ ولدها.

و مرادة مَلُوثَة: من ثلاثة آدمة.

و غُلَّ آل فلان ثَلْثَى الثَّلِثِ و الثَّلْث، أي في كل ثلاثة أيام.

و المثلث: الناقة تنفجر في بركها حتى تُصيب صَعرَها الأرض.

و في المثل: «فلان لا يثني و لا يثلب» أي لا يتهنى و لا يثبّر. (١٠: ١٢٥)

الخطأبي: و يُلْثُ [الجارية] ولدها الثالث، و لا يقال: ناقةٌ ثَلِثَتْ، و لكن يقال: ولدت يُلْثًا. (٢: ٣١٦)

جاء في الحديث: «شرُّ الناس المثلث» تفسيره في الحديث: أنه الرجل الذي يحل بأخيه إلى إمامه فيهلك ثلاثة: نفسه و أخاه و إمامه. (٣: ١٩٩)

الجوهري: الثلاثة في عدد المذكّر، و الثلاث في عدد المؤنث.

و الثَلَاثاء: من الأيام و يجمع على ثلاثاوات.

و الثَّلَث: سهم من ثلاثة، فإذا فتحت الناء زدت ياءً فقلت: ثَلِث، مثل ثَمِين و سَبِيع و سَدِيس و خَمِيس و نَصِيف، و أنكر أبو زيد منها خَمِيساً و ثَلِيساً.

و يقال: اليوم الثلاثاء، و اليوم يوم الثلاثاء، و هذان يومَا الثلاثاء، و هؤلاء أيام الثلاثاء. و إن شئت: هذه أيام الثلاثاء.

و يقال: رَمِيناهم بثلاثة الأثافي، إذا رُمي القوم بأمر عظيم.

و ثالثة الأسافي: رُكن الجبل تُركَّب القِدْر على ذلك الرُكن و على إثنين.

و يقال لَوْضِين البعير: ذونلاث. [تم استشهد بشعر] و يقال: ذو ثَلَاثها و يَطْطُها و الجِلْدَتان، العُلَيَا و الجِلْدَةُ التي تُغْشَر بعد السَلَح.

و يثَلَّث: اسم موضع. و ثَلِثت: اسم موضع آخر. و أرض مثَلثة: لها ثلاثة أطراف، فيها المثلث الحادّ، و منها المثلث القائم.

و إذا أرسلت الخيل في الرّهان، فالأوّل السّابق و الثّاني المصّلي، ثم يقال بعد ذلك: ثَلَّث و رَيَّع و خَمَس. و الحروف الثّلاثية: التي اجتمع فيها ثلاثة أحرف. (١٥: ٥٩)

الصّاحِب: الثلاثة من العدد، ثَلَّثَتِ القوم أثْلَهُمْ، أي صيرتْ ثلثهم، و كذلك إذا صيرتهم قِمام ثلاثين. و رميناهم بثلاثة الأثافي، أي بدهاية، و هو رُكن الجبل. و يقال للوضين: ذو ثلاث.

و من الأجزاء: الثَّلَث و الثَّلِث و المثلث و المثلثات. و ثلاث: لا يدخل عليه الألف و اللّام و لا يُضَرَف. و المثلث: الثّشي على ثلاثة أثناء.

و المثلُوث: ما أخذ ثلثه. و هو بثلاث الثلث، أي واحدٌ من الثلاثة.

العشرة، ولا يتون. فإن اختلفا فإن شئت نَوْنَتْ وإن شئت أضفت، قلت: هو رابِعٌ ثلاثَةٌ ورابعٌ ثلاثَةٌ، كما تقول: هو ضاربٌ عمروً وضاربٌ عَصْرًا؛ لأنَّ معناه الوقوع، أي كملهم بنفسه أربعة. وإذا اتفقا فالإضافة لا غير لأنَّه في مذهب الأسماء، لأنك لم تُرد معنى الفعل وإنما أردت هو أحد الثلاثة وبعض الثلاثة، وهذا لا يكون إلا مضافاً. وتقول: هذا ثالث اثنين وثالث اثنين، المعنى هذا ثلث اثنين، أي صيرها ثلاثة بنفسه.

وكذلك هو ثالث عشر وثالث عشر، بالرفع والتصب، إلى تسعة عشر. فمن رفع قال: أردت: ثالث ثلاثة عشر، فعدلت الثلاثة وتركث ثالثاً على إعرابه. ومن نصب قال: أردت: ثالث ثلاثة عشر، فلما اسقطت منه الثلاثة ألزمت إعرابها الأول ليعلم أنَّ هاهنا شيئاً محذوفاً.

وتقول: هذا الحادي عشر والثاني عشر إلى العشرين، مفتوح كله، لما ذكرناه. وفي المؤنث هذه الحادية عشرة وكذلك إلى العشرين، تُدْخِلُ الهاء فيها جيماً.

وأهل المجاز يقولون: أتوني ثلاثتهم وأربعتهم إلى العشرة، فينصبون على كلِّ حال، وكذلك المؤنث أتيتني ثلاثهم وأربعتهم.

وغيرهم يجره بالمركات الثلاث، يجمله مثل كلهم، فإذا جاوزت العشرة لم يكن إلا التصب، تقول: أتوني أحد عشرهم، وتسعة عشرهم. وللنساء: أتيتني إحدى عشرتين، ونمائي عشرتين.

والتلوث، من التوق: التي تجمع بين ثلاث آنية

والثلاث، بالكسر، من قولهم: هو يشقي ثلثة الثلث، لا يستعمل الثلث إلا في هذا الموضع.

و ثلاث و ثلثت، غير معروف للعدل والصفة، لأنَّه عدل من ثلاثة إلى ثلاث و ثلثت، وهو صفة لأنك تقول: مررت بقوم مثني وثلاث، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَجِبَتِ غَفًى وَ ثَلَّثَتْ وَ رُبَاعً﴾ فاطر: ١ فوصف به، وهذا قول بيبيويه.

وقال غيره: إنما لم ينصرف لتكثُر العدل فيه في اللَّفْظ والمعنى، لأنَّه عدل عن لفظ اثنين إلى لفظ مثني وثُلاث، وعن معنى اثنين إلى معنى اثنين اثنين، لأنك إذا قلت: جاءت الخيل مثني، فالمعنى اثنين اثنين، أي جاءوا مزدوجين، وكذلك جميع معدول العدد. فإن صغرته صرفته فقلت: أحيد، وتُسيي، وتُليث، وتُبيج، لأنَّه مثل حُميرٍ، فخرج إلى مثال ما ينصرف. وليس كذلك أحمد وأحسن، لأنَّه لا يخرج بالتصغير عن وزن الفعل، لأنَّهم قد قالوا في التعمُّب: ما أتيلج زيدا وما أحتيينه. و ثَلَّثْتُ القوم أثلثتهم بالضم، إذا أخذت ثلث أموالهم. وأثْلَثْتُمُ بالكسر، إذا كنت ثالثهم أو كملتهم ثلاثة بنفسك. [ثم استشهد بشر]

وكذلك إلى العشرة، إلا أنك تفتح أربعتهم وأستبهم وأتسبهم فيها جيماً لمكان العين.

و نالته الأثافي: الحيد النادر من الجبل، يُجمع إليه صخرتان، ثم تُنْقَضُ عليها القِدر.

و أثَلَّتُ القوم: صاروا ثلاثة، وكانوا ثلاثة فأربعوا كذلك، إلى العشرة.

قال ابن السكيت: يقال هو ثالث ثلاثة، مضاف إلى

والتلاتون - من العدد - ليس على تضعيف الثلاثة، و لكن على تضعيف العشرة. ولذلك إذا سمعت رجلاً ثلاثين لم تقل في تحقيره: ثَلَاثُونَ، ولكن ثَلَاثُونَ. علل ذلك بيبيويه.

وقالوا: كانوا تسعة وعشرين فثلثتهم أثلاثهم، أي حيزت لهم تمام الثلاثين. وأثلاثوا: صاروا ثلاثين. كل ذلك على لفظ الثلاثة، وكذلك جميع العقود إلى المئة، تصريف فعلها كتصريف الآحاد.

والثلاثاء: من الأيام، كان حقه الثالث، ولكنه صيغ له هذا البناء، ليعزده به، كما فعل ذلك بالديران، والشباك. هذا معنى قول بيبيويه.

قال اللحياني: كان أبو زياد يقول: مضى الثلاثاء بما فيه، فيفرد ويذكر. وحكي عن ثعلب: مضت الثلاثاء بما فيها، فأثت.

وكان أبو الجراح يقول: مضت الثلاثاء بما فسين، يخرجها مخرج العدد. والجمع: ثلاثاوات، وأثالث. حكي الأخيرة المطرزي عن ثعلب.

وحكي ثعلب عن ابن الأعرابي: لا تكن ثلاثاويًا، أي ممن يصوم الثلاثاء وحده.

وشيء ثلث: موضوع على ثلاث طاقات. وثلثون: متقول على ثلاث قوًى.

وكذلك في جميع ما بين الثلاثة إلى العشرة، إلا الثمانية والعشرة.

وثلث الفرس: جاء بعد المصلي، ثم رجع، ثم خسن. والثلاثيت: أن يسقي الزرع سقية أخرى بعد الثنية. والثلاثي: منسوب إلى الثلاثة، على غير قياس.

تملؤها إذا حُلِيت، وكذلك التي تيسب ثلاثة من أخلافها. والثلثون: مزايدة تكون من ثلاثة جلود. وحبلٌ مثلوث، إذا كان على ثلاث قوًى.

وشيء ثلث، أي ذو أركان ثلاثة. والثلث من الشراب: الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه. ويقال أيضًا: ثلثت بناقته، إذا صر منها ثلاثة أخلاف. فإن صر خيلتين قيل: شطر بها.

فإن صر خيلًا واحدًا قيل: خلف بها، فإن صر أخلافها كلها جمع قيل: أجمع بناقته، وأكتمس.

(١: ٢٧٤)

ابن فارس: الثاء واللام والياء كلمة واحدة، وهي في العدد، يقال: اثنان وثلاثة. والثلاثاء من الأيام. [تم استشهد بشعر]

وثة الأثافي: الحسيد القادر من الجبل، يجمع إليه صخرتان ثم تثصب عليها القيدر. [تم استشهد بشعر] والثلوث من الإبل: التي تملأ ثلاثة آنية إذا حُلِيت. والثلثون: المزايدة تكون من ثلاثة جلود. وحبلٌ مثلوث، إذا كان على ثلاث قوًى.

(١: ٣٨٥)

ابن سيده: الثلاثة: من العدد معروف، والمؤنث ثلاث.

وثلاث الآتين، يملأها ثلثًا: صار لها ثلثًا. [تم استشهد بشعر]

وقوله: فلان لا يثني ولا يثلي، أي هو رجل كبير. فإذا أراد النهوض لم يثدر في مرة، ولا في مرتين، ولا في ثلاث.

وَأَتْلَفْتُهُمْ: صارت ثلثهم أو ثلثتهم، وأتلفت الدراهم فأتلفت هي، وأتلفت القوم: صاروا ثلاثاً.

وَحَبْلٌ مَثْلُوثٌ: مفتولٌ على ثلاثة قُوى. ورجلٌ مَثْلُوثٌ: أخذ ثلث ماله.

وَتَلَّتْ الفرس وَرَبْعٌ: جاء ثالثاً ورابعاً في السباق. ويقال: أتلّات و تلاتون عندك أو تلاتٌ و تلاتون؟ كنايةً عن الرجال والنساء.

وجاءوا ثلاث و تثلث، أي ثلاثة ثلاثة. و ناقةٌ ثَلُوثٌ: تُحْتَب من ثلاثة أخلاف.

والتلّاء والأربعاء في الأيام، جُعل الألف فيها بدلاً من الهاء نحو حَشَنَة وحَشَناء، فخصّص اللفظ باليوم، وحكي: تَلَّتْ الشيء تلتياً: جعلته على ثلاثة أجزاء.

وتَلَّتَ الجِشْر، إذا بلغ الرُطْب ثُلثَيْهِ، أو تَلَّتَ العُنب: أدرك ثُلثاه.

و توبٌ ثلاثيٌّ: طوله ثلاثة أذرع. (٨٠) الحريري: ويقولون للثَدِّ المُتَخَذ من ثلاثة أنواع

من الطيب: مُتَلَثٌّ. والصواب فيه أن يقال: مَثْلُوثٌ، كما قالت العرب: حَبْلٌ مَثْلُوثٌ، إذا أُبرِم على ثلاث قُوى، و كساءٌ مَثْلُوثٌ، إذا نُسِج من صُوفٍ ووبرٍ وشَعْرِ، ومزادة مَثْلُوتة، إذا أُخِذَت من ثلاثة جُلُود.

وأصل هذا الكلام مأخوذ من قولك، تَلَّتْ القوم فأنا تالٌ وهم مَثْلُوتون. (٩٥)

فأما «تلات» فإن أُفْرِدَ كقولك: يَشْتُ من التُّوق تلاتاً، كُتِب بالألف لانتفاء اللبس فيه بثُلث. وإن أُضيف أو وُصِف كقولك: جَلَبْتُ ثُلثَ ثُوبي وما فَعَلْتُ الثُّوقِ الثُلثَ،

وجاءوا ثلاث ثلاث، و سَفَلْتُ مَسَلْتُ، أي ثلاثة ثلاثة.

و تِلَّتِ الناقة: ولدها الثالث، وأطرده تَمَلَّب في ولد كل أنثى.

وقد أَتْلَفَتْ، وهي مُتِلِفٌ. ولا يقال: ناقةٌ يَلْتُ. و المُتَلَّت: الساعي بأخيه، لأنّه يُحِلِّك ثلاثة: نفسه، وأخاه، وإماته.

والتلث، والتلث من الأجزاء، معروف، يَحْدَدُ ذلك عند بعضهم في هذه الكُصور، وجمعها: أتلّات.

و تَلَّتُهُمْ يَمَلُّهُمْ: أخذ ثلث أموالهم، وكذلك جميع الكُصور إلى العُشر.

و المَثْلُوثُ: ما أخذ ثُلثُهُ. وكلّ مَثْلُوثٌ مَنهُوكٌ. وقيل: المَثْلُوثُ: ما أخذ ثُلثُهُ، والمَنهُوك: ما أخذ

ثُلثاه، وهو رأي القرويين في الرَجَزِ والمُسْرَحِ. والمِثْلَات من الثُلث، كالمِثْباع من الرُبْع.

وأتلت الكَرَمَ: فضّل ثُلثَهُ، وأكل ثُلثاه. وتَلَّتَ الجِشْر: أَرطَب ثُلثَهُ.

وإناء ثَلْتان: بلغ الكيل ثُلثَهُ، وكذلك هو في الشراب وغيره.

والتلّتان: شجرة عِنَب الثُّغَلْبِ. وتثليت: وادٍ عظيم مشهور. [ثم استشهد بـشمر]

(١٠: ١٢٩)

الرَّاعِب: الثلاثة والتلاتون، والتلات والتلاتة، و ثلاثة آلاي، والتَلَّت والتَلْتان. [إلى أن قال:]

و تَلَّتْ الشيء: جزّأته أتلّاتاً، وتَلَّتْ القوم: أخذت ثُلث أموالهم.

استشهد بشر]

و عليه ذو ثلاث، أي كساء عُمِل من صوف ثلاث من الغنم. [ثم استشهد بشر] (أساس البلاغة: ٤٦) سئل عن الإمارة فقال: «أولها سلامة، وثناؤها ندامة، وثلاثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل». أي ثانياً وثالثها بالكسر، وأما ثناء وثلاث فصفتان معدولتان عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة.

(الفائق ١: ١٧٧)

«أمر صلى الله عليه وآله وسلم بصيام الأواضح ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة».

أي بصيام أيام الأواضح، وهي الليالي البيض، جمع واضحة. والأصل: وواضح، فقلبت الواو الأولى همزة، فكولهم في جمع واسطة واصله: أواسط وأواصل.

و المعنى ثالث ثلاث عشرة، فحذف المضاف لعدم الالتباس، وكذلك الباقيتان. (الفائق ٤: ٦٦)

ابن الأثير: فيه: «لكن اشربوا ثنئي وثلاث وسموا الله تعالى» يقال: فعلت الشيء ثنئي وثلاث ورباع، غير مصروفات، إذا فعلته مرتين مرتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً.

وفيه: «دية شبيه العمد أثلاثاً أي ثلاث وثلاثون حقة، وثلاث وثلاثون جذعة، وأربع وثلاثون ثنية». وفي حديث قل هو الله أحد: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

جعلها تعدل الثلث، لأن القرآن العزيز لا يتجاوز ثلاثة أقسام، وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله و

كُتِب بحذف الألف لارتفاع اللبس فيه، وكذلك تكتب ثلثة وثلثين، بحذف الألف، لأن علامة الجمع الملتصقة بآخرها سَمَتْ من إيقاع اللبس فيها. (٢٠٢) الرَّمَحُشَرِي: حبل مَثْلُوث: قُتِل على ثلاث قوى. و مُزَادَة مَثْلُوثَة: عُمِلَت من ثلاثة جلود. [ثم استشهد بشر]

و مال مَثْلُوث: أَخَذَ ثَلْثَهُ، تقول: ثَلَيْتَ الثَّرَكَةَ. وأرض مَثْلُوثَة: كُرِبَتْ ثلاث مَرَّات، وَثْنِيَّتُهُ: كُرِبَتْ مَرَّتَيْنِ، وَقَدْ ثْنَيْتُهَا وَثْنَيْتُهَا.

و فلان يَثْنِي ولا يَثْلِي، أي يَمُدُّ من الخلفاء اثنين وها السبخان، وَيُطِلُّ غيرها. و فلان يَثْلِي ولا يَرَبِّع، أي يَمُدُّ منهم ثلاثة وَيُطِلُّ الرَّابِع.

و هذا شيخ لا يَثْنِي ولا يَثْلِي، أي لا يَقْدِرُ في المَرَّةِ الثَّانِيَةِ ولا الثَّالِثَةِ أَنْ يَنْهَضَ.

و هو يَسْقِي ثَلْثَهُ الثَّلْثَ بالكسر، أي مَرَّةً في ثلاثة أَيَّام. و هؤلاء يَكْرَهُها وَيُثْنِيهَا. وَيُثْلِهَا، أي ولدها الأوَّل والثَّانِي والثَّالِث، وكذلك إلى العشرة.

و ثوبٌ ثَلَاثِي: طوله ثلاث أَذْرُع. و ناقة ثَلُوثٌ: ثَمَلَا ثلاثة آتِيَةٍ فِي حَلْبَتِهِ، وَهِيَ الَّتِي يَبْسُ ثَلَاثَةً مِنْ أَخْلَافِهَا.

و يقال: خَلَفَ بِنَاقَتِهِ: صَرَّ خَلْقًا وَاحِدًا مِنْ أَخْلَافِهَا. وَشَطَّرَ بِهَا: صَرَّ خَلْقَيْنِ. وَثَلَّتْ بِهَا: صَرَّ ثَلَاثَةً. وَاجْعَ بِهَا: صَرَّ جَمِيعَهَا.

و من المجاز: الثَّلَثُ عُرَى ذِي ثَلَاثِهَا، إِذَا صَحَّرَتْ. [ثم استشهد بشر]

و الثَّلَاثُ: الْحَبْرُ صِيَان، وَ الْجَبَلُود، وَ الْكَرْشُ. [ثم

شْتَهَ فِي عِبَادِهِ.

[بشر]

وَالْأُنثَى: مَا يُنْسَبُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، أَوْ كَانَ طَوْلُهُ ثَلَاثَ أَذْرُعٍ، يُقَالُ: ثَوْبٌ ثَلَاثِيٌّ وَرُبَاعِيٌّ. وَكَذَلِكَ الْغَلَامُ، يُقَالُ: غَلَامٌ ثَلَاثِيٌّ، وَلَا يُقَالُ: شُدَاسِيٌّ، لِأَنَّهُ إِذَا تَمَتَّتْ لَهُ خُمْسٌ ^(١) صَارَ رَجُلًا.

وَالْأَسْمَاءُ وَالْأَفْصَالُ الثَّلَاثِيَّةُ: الَّتِي اجْتَمَعَ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ.

وَيُقَالُ لَوَظِيْنِ الْبَعِيرِ: ذُو ثَلَاثٍ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ]

[بشر]

وَيُقَالُ: ذُو ثَلَاثِيهَا: يَطْلُبُهَا وَالْجِلْدَتَانِ: الثَّلَاثِيَّةُ وَالْجِلْدَةُ الَّتِي تُقَسَّرُ بَعْدَ السَّلَاحِ.

وَالْثَلَاثَاءُ: لَمَّا جُمِعَ أَسْمَاءُ جُمِلَتْ الْمَاءُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْمَدَدِ مَدَّةً فَرَقًا بَيْنَ الْحَالِيْنَ، وَكَذَلِكَ «الْأَرْبَعَاءُ» مِنَ الْأَرْبَعَةِ، فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ جُمِلَتْ بِالْمَدِّ تَوْكِيدًا لِلْأَسْمِ، كَمَا قَالُوا: حَسَنَةٌ وَحَسَنَاءُ، وَنَحْوَهَا قَصَبَةٌ وَقَصَبَاءُ، حَيْثُ أُلْزِمُوا الثَّلَاثُ إِلَى الرَّامِ الْأَسْمِ، وَكَذَلِكَ الشَّجَرَاءُ وَالْخُرُفَاءُ، وَالوَاحِدُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْزَنُ قَعْلَةً. (١: ٣٥٣)

الْفَقْيُومِيُّ: الثَّلَاثُ: جُزْءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ، وَتَضَمُّنُ اللَّامِ لِلِإِتْبَاعِ وَتُسْكُنُ، وَالْمَجْمَعُ: أَثَلَاثُ، مِثْلُ عُنُقِيَّ وَاعْنَانِي. وَالثَّلَاثُ مِثْلُ كَرِيمٍ لَفَةٍ فِيهِ.

وَحُمِي الثَّلَاثُ، قَالَ الْأَطْبَاءُ: هِيَ حُمَى الْيَبَةِ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تَأْخُذُ يَوْمًا وَتُثَلِّعُ يَوْمًا، ثُمَّ تَأْخُذُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَهِيَ بَوْرُهَا. قَالُوا: وَالْعَامَّةُ تُسَمِّيهِا الْمُثَلَّثَةَ.

وَالثَّلَاثَةُ: عَدَدٌ تُثَبِّتُ الْمَاءَ فِيهِ لِلْمَذْكُورِ وَتُحَذِّفُ لِلْمَوْثُوتِ، فَيُقَالُ: ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَثَلَاثُ رِشْوَةٍ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ

وَلَمَّا اشْتَمَلَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ عَلَى أَحَدِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ التَّقْدِيسُ، وَارْتِزَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ مَتْنَهُ التَّقْدِيسُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: لَا يَكُونُ حَاصِلًا مِنْهُ مَنْ هُوَ مِنْ نَوْعِهِ وَشَبِيهِهِ، وَدَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وَلَا يَكُونُ هُوَ حَاصِلًا مِمَّنْ هُوَ ظَاهِرُهُ وَشَبِيهِهِ، وَدَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾. وَلا يَكُونُ فِي دَرَجَتِهِ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا لَهُ وَلَا فَرْعًا - مَنْ هُوَ مِثْلُهُ، وَدَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

وَيَجْمَعُ جَمِيعُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وَجَمَلُهُ: تَفْصِيلُ قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». فَهَذِهِ أَسْرَارُ الْقُرْآنِ، وَلَا تَنْتَاهِيَ أَمْتَالُهَا فِيهِ، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابِ بَيِّنٍ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «دَعَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَزَلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ ثَلَاثًا وَأَثْنَتَيْنِ، قَالَ: أَفَلَا تَقُولُ خَشْيًا؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ أَقُولَ بَنِيَرٍ حَكِيمٍ، وَأَقْضِي بَنِيَرٍ عَظِيمٍ، وَأَخَافُ أَنْ يُضْرَبَ ظَهْرِي، وَأَنْ يُشْتَمَ بَرِزْضِي، وَأَنْ يُؤْخَذَ مَالِي».

الثَّلَاثُ وَالْإِثْنَانُ هَذِهِ الْخِلَالُ الْخَمْسُ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: خَمْسًا، لِأَنَّ الْخَلَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِ، فَخَافَ أَنْ يَضِيْعَهُ، وَالْخِلَالُ الثَّلَاثُ مِنَ الْحَقِّ لَهُ، فَخَافَ أَنْ يَظْلِمَهُ، فَكَذَلِكَ فَرَّقَهَا. (١: ٢١٨)

الصَّفَاغَانِي: وَيَثَلُثُ عَلَى وَزْنِ يَضْرِبُ: مَوْضِعٌ، وَكَدَّ تَفْتَحُ الْأَمِّ، [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرٍّ]

وَتَثَلَّثَ: مَوْضِعٌ آخَرُ،

وَالثَّلَاثُ: مَوْضِعٌ، وَثَلَاثَانُ: مَوْضِعٌ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ]

الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ» أَنْتَ عَلَى مَعْنَى الْإِنْفُسِ، لَوْ أُرِيدَ الْأَشْخَاصَ ذُكِرَ بِالْهَاءِ فَقِيلَ: ثَلَاثَةٌ.

و تَلَثَّتْ الرِّجْلَيْنِ مِنْ بَابٍ «ضَرْبٍ»: صَرَتْ ثَالِثَهُمَا. وَ تَلَثَّتِ الْقَوْمُ مِنْ بَابٍ «قَتْلٍ» أَخَذَتْ ثَلَاثَ أَمْوَالِهِمْ.

و يَوْمَ الثَّلَاثَةِ مَدْمُودٌ، وَ الْجَمْعُ: ثَلَاثَاوَاتٍ بِقَلْبٍ الْهَمْزَةِ وَآوَاءُ.

الْفَيْرُوزَابَادِيُّ: الثَّلَاثُ: وَ بَضْعَتَيْنِ: سَهْمٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ كَالثَّلَاثِ.

و سَقَى ثَلَاثَهُ بِالْكَسْرِ، أَيْ بَعْدَ الثَّنَاءِ، وَ تَلَثَّتِ الثَّاقَةُ أَيْضاً: وَلَدَهَا الثَّالِثُ. وَ فِي قَوْلِ الْجَوْهَرِيِّ: وَ لَا تُسْتَعْمَلُ بِالْكَسْرِ إِلَّا فِي الْأَوَّلِ، نَقَطَ.

وَ ثَلَاثٌ وَ تَثَلَّثَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ: مَعْدُولٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ ثَلَاثَةً.

وَ تَلَثَّتِ الْقَوْمُ كَتَصَرَّ: أَخَذَتْ ثَلَاثَ أَمْوَالِهِمْ، وَ كَضَرْبٍ: كُنْتُ ثَالِثَهُمْ أَوْ كَمَثَلَهُمْ ثَلَاثَةً أَوْ ثَلَاثِينَ بِنَفْسِي. وَ ثَالِثَةُ الْأَثْمَانِي: الْهَيْكَلُ النَّادِرُ مِنَ الْجِبَلِ، يُجْمَعُ إِلَيْهِ صَخْرَتَانِ فَيُتَصَبَّ عَلَيْهِمَا الْقِدْرُ.

وَ أَثَلَّثُوا: صَارُوا ثَلَاثَةً. وَ الثَّلَاثُ: نَاقَةٌ تَمْلَأُ ثَلَاثَةَ أَوَانٍ إِذَا حَلَبَتْ، وَ نَاقَةٌ تَنْبَسُ ثَلَاثَةً مِنْ أَخْلَافِهَا، أَوْ صُغْرٌ يَخْلُفُ مِنْ أَخْلَافِهَا، أَوْ عُثْلَبٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَخْلَافٍ.

وَ الْمُثَلَّثَةُ: مُزَادَةٌ مِنْ ثَلَاثَةِ جُلُودٍ. وَ الْمُثَلَّثُ: مَا أَخَذَ ثَلَاثَةً، وَ حَبْلٌ ذُو ثَلَاثِ قُوَى. وَ الْمُثَلَّثُ: شَرَابٌ طَبِخَ حَتَّى ذَهَبَ ثَلَاثًا، وَ شَيْءٌ ذُو ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ.

وَ يَتَثَلَّثُ كَيَضْرِبُ أَوْ يَنْسَجُ، وَ تَثَلَّثَ، وَ ثَلَاثٌ

كَسَابٍ، وَ ثُلَاثَانِ بِالضَّمِّ: مَوَاضِعٌ.

وَ الثَّلَاثَانُ كَالْفَطْرِيَّانِ وَ يَحْرُكُ: عَنَبُ الثُّغْلَبِ.

وَ ذُو ثُلَاثٍ بِالضَّمِّ: وَضِيقُ الْبَعِيرِ.

وَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ بِالْمَدِّ وَ يُضَمُّ.

وَ ثَلَاثُ الْبَشَرِ ثَلَاثَةٌ: أَرْطَبُ ثَلَاثُهُ، وَ الْقَرَسُ: جَاءَ بَعْدَ الْمَصْلِيِّ.

وَ الْمَثَلُثُ وَ يَخْفَفُ: السَّاعِي بِأَخِيهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، لِأَنَّهُ يَمْلِكُ ثَلَاثَةً: نَفْسَهُ وَ أَخَاهُ وَ السُّلْطَانَ. (١: ١٦٩)

الطَّرِيحِيُّ: [نَحْوَمَا تَقْدَمُ عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي تَفْسِيرِهِ وَ أَصَافُ:]

وَ ذُكِرَ فِي «الْجَمْعِ»: أَنَّ الْقُرْآنَ قَصَصٌ، وَ أَحْكَامٌ وَ صِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى، وَ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» مَتَمَخِّصٌ لِلصِّفَاتِ. وَ قِيلَ: ثَوَابُهَا بِقَدْرِ ثَوَابِ ثَلَاثَةِ بَغِيرٍ تَضْعِيفٍ، وَ عَلَيْهِ فَيَلْزَمُ مِنْ تَكَرُّرِهَا اسْتِيْعَابُ الْقُرْآنِ وَ خَتْمُهُ.

وَ عَنْ بَعْضِ الْأَفَاضِلِ وَجْهٌ آخَرٌ، حَاصِلُهُ: أَنَّ مَقَاصِدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَمَّا كَانَتْ تَرْجِعُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ إِلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: مَعْرِقَةُ اللَّهِ، مَعْرِقَةُ السَّعَادَةِ وَ الشَّقَاوَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَ الْعِلْمُ بِمَا يَوْصِلُ إِلَى السَّعَادَةِ وَ يُبْعِدُ عَنِ الشَّقَاوَةِ. وَ سُورَةُ الْإِنْعِلَاصِ تَشْتَمِلُ عَلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، وَ هُوَ مَعْرِقَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَ تَوْحِيدُهُ، وَ تَنْزِيهِهِ عَنْ مِثَالِيَةِ الْخَلْقِ بِالْعِبَادِيَّةِ، وَ نَبِيِّ الْأَصْلِ وَ الْفِرْعَ وَ الْكَفْرِ - كَمَا سَمَّيْتُ الْقَاضِيَّةَ أُمَّ الْقُرْآنِ، لِاسْتِثْنَائِهَا عَلَى تِلْكَ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ - هَادِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ، لِاسْتِثْنَائِهَا عَلَى وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَصُولِ.

وَ فِي حَدِيثٍ مِنْ سَأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا حَالُ عِبَارَةٍ قَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ بَانِعٍ وَ قُلْتُ شَهِيداً. ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّهُ مِثْلُ

أجاز الثلاثاء، والثلاثاء كلتيهما كلٌّ من اللَّيْتِ بن سعد، والتَّهْدِيبِ، والصَّحاح - ذكر الثلاثاء في الهامش - والحكم، والقاموس، والتَّاج من الجاز، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن.

و اكتفى معجم مقاييس اللغة والوسيط بذكر الثلاثاء.

و عندما نقول : يوم الثلاثاء، يكفون بفتح التاء المضطّعة المدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد. ولا أرى أن تنقيد برأهم، لأنهم لم يُنْذَوْا حُجَّةً تؤيّد وجهة نظرهم.

و بعضهم يؤنّث الثلاثاء، و حكى عن شُعَلْب : «مضت الثلاثاء بما فيها»، فأنث. وكان أبو الجراح يقول : «مضت الثلاثاء بما فيه»، يخرجها عن العدد. وأنا أُجرح رأي أبي الجراح.

أما تنيتها عند الفراء ومستدرك التاج فهو : ثلاثاءان.

و تُجمع على ثلاثاوات، وأنالك، ثَمَلَبَ والمطرزَيّ و اللّسان، والتَّاج، والمتن، وثلاثاءات أقرب الموارد.

أَقْنَتُ الكتاب في الثلاثينيات

و يقولون : أَقْنَتُ الكتاب في الثلاثينيات، والصواب : أَقْنَتُهُ في الثلاثينيات، اعتماداً على قرار لجنة الألفاظ والأساليب في مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورة عام ١٩٧٣، ذلك القرار الذي وافق عليه مؤتمر المجمع، والذي نصّه :

«ترى اللجنة أن ألفاظ العقود يجوز أن تجمع بالألف والتاء، إذا ألحق بها ياء النسب، فيقال : ثلاثينيات، ويدلّ اللَّفْظُ حيثنّ على الواحد والثلاثين إلى التاسع

الثلاثة أيّاهات أيّاهات»، قيل : ربّما أريد بالثلاثة : الثلاثاء، و ربّما احتمل أن يراد بالثلاثة : عليّ عليه السلام، ومؤمن آل فرعون، حيث قيل : كان ملازمًا لفرعون مئة سنة وهو كاتم إيمانه، وقُتل صلبًا، ومؤمن آل ياسين حيث قيل : إنّ قومه توطّؤهُ حتّى خرج إحييله من دبره.

و في الحديث : «التَّصارى مثلثون غير موخدين» أي يعملون له سبحانه أبناً وزوجةً وهو نالهم.

و المثلث من السَّراب : ما طُبِعَ من عصير العنب حتّى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه، ويسمى بالثلثاء بالكسر والمدّ.

و «المثلثة» أن يؤخذ قفيز أرزّ وقفيز جمصّ وقفيز باقلاء أو غيره من الحبوب، ثم تُشرّز جميعاً وتُطبخ، ويسمى الكَرْكُور.

و قوله عليه السلام : «أفاض الماء ثلاث مرّات» يُقرأ بالنصب، لأنّ عدد المصدر مصدر.

و قوله : «ثلاثاً في إعادتها ثلاثاً» مفعول «قال» محذوفاً أو مضمناً في «أعاد»، ولا يصلح على ما قيل مفعولاً له «أعاد»، لأنّه يستلزم قول تلك الكلمة أربع مرّات. [تم ذكر للاستشهاد حديثاً عن الفضل بن شاذان و قول الشيخ الكليني و الشهيد الأوّل رحمّة الله عليهما فيه، فراجع.]

(١٢ : ٢٤٠)

القَدْنايَ : الثلاثاء، الثلاثاء

و يُضْطَنّون من يقول : الثلاثاء، و يقولون إنّ الصواب هو الثلاثاء، اعتماداً على المصباح واللسان.

و لكن :

المعنى عبارة أخرى عن قولهم : ثلاثة ثلاثة. (٢ : ٢١)

والتلاتين، وفي هذا المعنى لا يقال : ثلاثيات بغير ياء التسب.

(١٠٥)

النصوص التفسيرية

ثَلَثَ

١ - وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ اذْدَادُوا

الكهف : ٢٥

تثنيًا.

راجع (سنين).

٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ

أَيْمَانَكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَتْلَوْا الْحَمْدَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ

قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ

مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَازٍ لَكُمْ... التور : ٥٨

الفراء : نصها عاصم والأعمش ورفع غيرها.

الرفع في المربية أحب إليّ وكذلك أقرأ، والكسائي يقرأ

بالنصب، لأنه قد فسرهما في المرات وفي بعدها،

فكرهت أن تكرّر الثالثة. واخترت الرفع، لأنّ المعنى -

والله أعلم - هذه الخصال وقت العورات ليس عليكم

ولا عليهم جناح بعدهنّ، فمها ضمير يرفع الثلاث،

كأنك قلت : هذه ثلاث خصال، كما قال : ﴿سُورَةٌ

أَنزَلْنَاهَا﴾ التور : ١، أي هذه سورة، وكما قال : ﴿لَمْ

يُنَبِّئُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ

الْفَاسِقُونَ﴾ الأحقاف : ٣٥. (٢ : ٢٦٠)

الطبري : و قوله : ﴿ثَلَاثَ عَوَازٍ لَكُمْ﴾ اختلفت

القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة

﴿ثَلَاثَ عَوَازٍ لَكُمْ﴾ برفع الثلاث، بمعنى الخبر عن هذه

محمود شيت : ١ - أ - الثَلَاثُ - الثَلَاثُ : جزء من

ثلاثة، جمه : أثلاث. وخطّ الثَلَاثُ : ضرب من ضروب

الخطّ العربي.

ب - ثَلَاثُ : يقال : جاءوا ثَلَاثَ : ثلاثة ثلاثة.

ج - الثَلَاثُ : سطح يحيط به ثلاثة خطوط مستقيمة.

٢ - أ - أثَلْتُ الفصيل أو السريّة : قسمها إلى ثلاثة

أقسام للتدريب أو للحرب.

ب - ثَلَاثُ : يقال : نظام الثَلَاثُ : القوف بثلاثة

صفوف، مشوا ثَلَاثًا : مشوا في نظام ثَلَاثِي.

ج - الثَلَاثِي : يقال : التنظيم الثَلَاثِي : الفصيل من

ثلاث حضائر، والسريّة من ثلاثة فصائل...

د - اِثْلَلْتُ : يقال : التدريب على نظام اِثْلَلْتُ : جعل

القطعة العسكرية ثلاثة أقسام. (١ : ١٢٧)

المُضْطَفَّوِي : الظاهر أنّ الأصل الواحد في هذه

المادة هو العدد الخصوص، وبقي الخصوصيات إمّا

يستفاد من اختلاف الصيغ، فالثَلَاثُ كصَلْب صفة، فبدل

على ما ثبت له هذا العدد، وهذا المعنى يطبق على السهم

المتجزئ من ثلاثة أسهم من شيء، فإنّ مفهوم هذا العدد

ناهت حينئذ لهذا الجزء الداخلي، بخلاف الثالث الواقع

بعد الاثنين الخارج عن مفهومها.

و أمّا «الثَلَاثُ» فهو أيضًا صفة كشُّجَاع، وزيادة

الألف في هذه الصيغة تدلّ على الاستمرار والاستدامة،

أي ما ثبت له هذا العدد مستمرًا بالاستدامة، وهذا

الرفع على الوصف، و المعنى: هن ثلاث عورات
مخصوصة بالاستئذان. وإذا نصب لم يكن له محلّ وكان
كلاماً مستقراً للأمر بالاستئذان، في تلك الأحوال
خاصة. (٣: ٧٥)

الطبرسي: [ذكر قول أبي عليّ الفارسيّ و
أضاف:]

فإن قلت: إن قوله: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) زمان بدلالة أنّه
قُسر بزمان، و هو قوله: «مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ» و
ليس «العورات» بزمان، فكيف يصحّ و ليس هي هو.

قلت: يكون ذلك على أن تُفسّر الأوقات، كأنّه قال:
أوقات ثلاث عورات، فلما حذف المضاف أعرب
المضاف إليه بإعراب المضاف. (٤: ١٥٤)
نحوه ابن الجوزي. (٦: ٦١)

الفخر الرازي: [نحو أبي رُزّة و أضاف:]
قال النّقل: فكان المعنى ثلاث انكشافات، و المراد
وقت الانكشاف. (٢٤: ٣١)

٣- ... يَتْلِقُكُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ
فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ... الزمر: ٦
راجع «ظ ل م»: (ظلمات).

٤- إِنظِلُّوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ.
المسلات: ٣٠

راجع «ش ع ب»: (شُعَب).

ثَلَاثُونَ

و وَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بُولَاقٍ بِهِ إِحْسَانًا حَسَنَةً أُمَّهُ كَوْهًا

الأوقات التي ذكرت، كأنّه عندهم قيل: هذه الأوقات
الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا
إلا بإذن، ثلاث عورات لكم، لأنكم تضعون فيها ثيابكم،
و تخلون بأهليكم.

و قرأ ذلك عامة قراء الكوفة «ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ»
بنصب الثلاث على الرّدة على الثلاث الأولى، و كأنّ معنى
الكلام عندهم: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، و
الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات، ثلاث عورات لكم،
و الصواب من القول في ذلك: أنّها قراءة ثان متعارفا
المعنى، و قد قرأ بكلّ واحدة منها علماء من القراء،
فبأبيتها قرأ القارئ فصيب. (١٨: ١٦٣)

نحوه الزجاج (٤: ٥٢)، و أبو رُزّة (٥: ٥٠)، و
الطوسي (٧: ٤٥٩)، و ابن عطية (٤: ١٩٤)، و أبو الفتح
(١٤: ١٨٧)، و السّرمطي (١٢: ٣٠٥)، و أسحقيان
(٦: ٤٧٢)، و السّريني (٢: ٦٣٨)، و الأوسي (١٨: ٢١٣)،
و محمّد جواد مغنّيه (٥: ٤٣٩).

الفارسي: من رفع كان خبر المبتدأ محذوفاً، كأنّه
قال: هذا ثلاث عورات، فأجل بعد التفصيل. و من
نصب جعله بدلاً من قوله: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).
(الطبرسي: ٤: ١٥٤).

نحوه الواحدي (٣: ٣٢٨)، و البقوي (٥: ٧٣)،
و أبو البقاء (٢: ٩٧٧).

الرّمخسري: و قرئ «ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ» بالنصب
بدلاً عن (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أي أوقات ثلاث عورات.

فإن قلت: ما محلّ «لَيْسَ عَلَيْكُمْ»؟
قلت: إذا رفعت «ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ» كان ذلك في محلّ

و وَضَعَتْهُ كُرْهًا وَ حَمَلَهُ وَ فَضَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...

الأحقاف: ١٥

ابن عباس: إذا حملت تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهراً، وإن حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً. (القرطبي: ١٦: ١٩٣)
الطبري: و حمل أنه إياه جنيناً في بطنها و فصالها إياه من الرضاع، و غطها إياه، شرب اللبن ثلاثون شهراً.
(١٦: ٢٦)

الخصاص: روي أن عثمان أمر برجم امرأة قد ولدت لستة أشهر، فقال له علي: قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُهُ وَ فَضَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾. و قال: ﴿وَرَحْمَتُهُ وَ فَضَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾. لغمان: ١٤.
و روي أن عثمان سأل الناس عن ذلك، فقال له ابن عباس مثل ذلك.

و أن عثمان رجع إلى قول علي و ابن عباس: إن كل ما زاد في الحمل نقص من الرضاع، فإذا كان الحمل تسعة أشهر فالرضاع واحد و عشرون شهراً، و على هذا القياس جميع ذلك.

و روي عن ابن عباس أن الرضاع حولان في جميع الناس، و لم يفرقوا بين من زاد حمله أو نقص، و هو مخالف للقول الأول.

و قال مجاهد في: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَ مَا تَزَادُهَا﴾ الرعد: ٨، ما نقص عن تسعة أشهر أو زاد عليها.
(٣: ٣٨٩).

نحو ابن العربي (١٦٩٧: ٢)
الماوردي: الفصل: مدة الرضاع، فخذ: ستة

الحمل و الرضاع ثلاثون شهراً، و كان في هذا التقدير قولان:

أحدهما: أنها مدة قدرت لأقل الحمل و أكثر الرضاع، فلما كان أكثر الرضاع أربعة وعشرين شهراً، لقوله تعالى: ﴿وَحَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسِرَّ الرَضَاعَةَ﴾ البقرة: ٢٣٣، دل ذلك على أن مدة أقل الحمل ما بقي و هو ستة أشهر، فإن ولدته لتسعة أشهر لم يوجب ذلك نقصان الحولين في الرضاع، قاله الشافعي و جمهور الفقهاء.

الثاني: أنها مدة جمعت زمان الحمل و مدة الرضاع، فإن كانت حملته تسعة أشهر، أرضعت أحداً و عشرين شهراً، و إن كانت حملته عشرة أشهر، أرضعته عشرين^(١) شهراً، لتلازيم المدة فيها عن ثلاثين شهراً.
(٥: ٢٧٦)

الطوسي: بين أن أقل مدة الحمل و كمال مدة الرضاع ثلاثون شهراً، و أنها تكفلاً به حتى يبلغ حد الكمال.
(٩: ٢٧٥)

نحو الطبري: نحو البقوي: يريد أقل مدة الحمل و هي ستة أشهر، و أكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً. (٤: ١٩٥)
الزمخشري: و هذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر، لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل: ﴿وَحَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ بقيت للحمل ستة أشهر. (٣: ٥٢٠)
نحو شبر (٦: ١١)، و الطباطبائي (١٨: ٢٠١)

ابن عطية: و قوله: ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ يقتضي أن

فلنفرض أنه يتم خلقه في خمسة و ثلاثين يوماً، فيتحرك في سبعين يوماً، فإذا انضاف إليه مثلاً، وهو ستة وأربعون يوماً صار المجموع مئتين و عشرة أيام، وهو سبعة أشهر انفصل الولد، و لنفرض أنه يتم خلقه في أربعين يوماً، فيتحرك في ثمانين يوماً، فينفصل عند مئتين و أربعين يوماً، وهو ثمانية أشهر، و لنفرض أنه تمت الخلقة في خمسة و أربعين يوماً، فيتحرك في تسعين يوماً، فينفصل عند مئتين و سبعين يوماً، وهو تسعة أشهر، فهذا هو الضبط الذي ذكره أصحاب التجارب.

قال جالينوس: إنني كنت شديد التخصّص عن مقادير أزمانة الحمل، فرأيت امرأة ولدت في السنة و الأربع و الثمانين ليلة، و زعم أبو علي بن سينا أنه شاهد ذلك، فقد صار أقلّ مدة الحمل بحسب نصّ القرآن، و بحسب التجارب الطّبيّة شيئاً واحداً، و هو ستة أشهر. و أمّا أكثر مدة الحمل، فليس في القرآن ما يدلّ عليه. قال أبو علي بن سينا، في الفصل السادس من المقالة التاسعة من عنوان «الشّفاء»: بلغني من حيث وثقت به كلّ الثقة، أنّ امرأة وضعت بعد الرّابع من سني الحمل ولداً قد نبئت أسنانه و عاشر.

و حكى عن أرسطاطاليس أنه قال: أزمانة الولادة، و حبل الحيوان مضبوطة سوى الإنسان، فربّما وضعت الحبل لسبعة أشهر، و ربّما وضعت في الثّامن، و قلّما يعيش المولود في الثّامن إلّا في بلاد مميّنة مثل مصر، و الغالب هو الولادة بعد التّاسع.

قال أهل التجارب: و الذي قلناه: من أنّه إذا تضاعف زمان التّكوين تحرك الجنين، و إذا انضمّ إلى

مدة الحمل و الرّضاع هذه المدة، لأنّ في القول حذف مضاف، تقديره: و مدة حمل و فضاله، و هذا لا يكون إلّا بأن يكون أحد الطّرفين ناقصاً، و ذلك إمّا بأن تلد المرأة لستّة أشهر و ترضع عامين، و إمّا بأن تلد لتسعة على العرف و ترضع عامين غير ربع العام، فإن زادت مدة الحمل نقصت مدة الرّضاع، و بالعكس؛ فيترتّب من هذا أنّ أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، و أقلّ ما يرضع الطّفل عام و تسعة أشهر، و إكمال العامين هو لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة، و هذا في أمر الحمل هو مذهب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، و جماعة من الصّحابة، و مذهب مالك (عليه السلام).

الفخر الرازي: [شرح دلالة الآيتين على أنّ أقلّ مدة الحمل ستة أشهر ثمّ قال:]
رُوي عن عمر أنّ امرأة رُفعت إليه، و كانت قد ولدت لستّة أشهر، فأمر برجمها، فقال عليّ: لا رجم عليها، و ذكر الطّريق الذي ذكرناه، و هن عثمان أنّه همّ بذلك، فقرأ ابن عباس عليه ذلك.

و اعلم أنّ العقل و التجربة يدلّان أيضاً على أنّ الأمر كذلك، قال أصحاب التجارب: إنّ لتكوين الجنين زماناً مقدّراً، فإذا تضاعف ذلك الزّمان تحرك الجنين، فإذا انضاف إلى ذلك المجموع مثلاً انفصل الجنين عن الأمّ، فلنفرض أنّه يتمّ خلقه في ثلاثين يوماً، فإذا تضاعف ذلك الزّمان حتّى صار ستّين تحرك الجنين، فإذا تضاعف إلى هذا المجموع مثلاً و هو مئة و عشرون حتّى صار المجموع مئة و ثمانين و هو ستة أشهر، فحينئذ ينفصل الجنين.

الأطراف عن الضلوع و البطن يميّز الحسّ في بعض و
يخفى في بعض ؛ و ذلك يتمّ في تسعة أيّام أخرى، فيكون
المجموع ستة و ثلاثين يوماً.

و سادسها: أن يتمّ انفصال هذه الأعضاء بعضها
عن بعض و يصير بحيث يظهر ذلك الحسّ ظهوراً يثبّثاً و
ذلك يتمّ في أربعة أيّام أخرى، فيكون المجموع أربعين
يوماً، و قد يتأخّر إلى خمسة و أربعين يوماً، قال: و الأقلّ
هو الثلاثون. فصارت هذه التجارب الطيّبة مطابقة لما
أخبر عنه الصادق المصدوق في قوله ﷺ «يجمع خلق
أحدكم في بطن أمّه أربعين يوماً». قال أصحاب
التجارب: إن السقط بعد الأربعين إذا شقّ عنه السلالة و
وُضع في الماء البارد ظهر شيء صغير متميّز الأطراف.
[تمّ ذكر دلالة الآيتين على أقلّ مدّة الحمل و أكثر مدّة
الرضاع ثمّ قال:] و الفقهاء ربطوا بهذين الضابطتين
أحكاماً كثيرة في الفقه.

و أيضاً فإذا ثبت أن أقلّ مدّة الحمل هو الأشهر
الستّة، فيتقدّر أن تأتي المرأة بالولد في هذه الأشهر يبقى
جانبا مصوناً عن تهمة الزنى و الفاحشة، و بتقدير أن
يكون أكثر مدّة الرضاع ما ذكرناه، فإذا حصل الرضاع
بعد هذه المدّة لا يترتّب عليها أحكام الرضاع، فتبقى
المرأة مستورة عن الأجانب.

و عند هذا يظهر أنّ المقصود من تقدير أقلّ الحمل
ستّة أشهر و تقدير أكثر الرضاع حولين كاملين السعي
في دفع المضارّ و الفواحش و أنواع التّهمة عن المرأة،
فسبحان من له تحت كلّ كلمة من هذا الكتاب الكريم
أسرار صعبة و نفائس لطيفة، تعجز العقول عن

المجموع مثلاً انفصل الجنين، إنّما قلناه بحسب التقريب لا
بحسب التحديد، و إنّهُ ربّما زاد أو نقص بحسب الأيّام،
لأنّه لم يتمّ على هذا الضبط برهان، إنّما هو تقريب ذكره
بحسب التجربة، والله أعلم.

ثمّ قالوا: المدّة التي فيها تتمّ خلقة الجنين تنقسم إلى
أقسام:

فأولها: أنّ الرّحم إذا اشتملت على المنيّ و لم تنفذ
إلى الخارج استدار المنيّ على نفسه، منحصرّاً إلى ذاته و
صار كالكرة، و لما كان من شأن المنيّ أن يفسده
الحركات، لا جرم يشغ في هذا الوقت. و بالحرّيّ أن
خلق المنيّ من مادّة تحفّ بالحرّ إذا كان الغرض منه تكوّن
الحويوان و استحصاف أجزائه، و يصير المنيّ زبدًا في اليوم
السادس.

و ثانيها: ظهور النّقط الثلاثة الدّمويّة فيه؛ إحداها:
في الوسط و هو الموضع الذي إذا تمّت خلقته كان قلباً،
والثاني: فوق و هو الدماغ، والثالث: على اليمين و هو
الكبد، ثمّ إنّ تلك النّقط تتباعد و يظهر فيها بينها خيوط
حرّ؛ و ذلك يحصل بعد ثلاثة أيّام أخرى، فيكون المجموع
تسعة أيّام.

و ثالثها: أن تنفذ الدّمويّة في الجميع فيصير علقه، و
ذلك بعد ستة أيّام أخرى حتّى يصير المجموع خمسة عشر
يوماً.

ورابعها: أن يصير لها و قد تميّزت الأعضاء الثلاثة،
و امتدّت رطوبة النّخاع، و ذلك إنّما يتمّ باثني عشر يوماً،
فيكون المجموع سبعة و عشرين يوماً.

و خامسها: أن ينفصل الرأس عن المنكبين و

الإحاطة بكماها.

مدة الحمل ستة أشهر، وهو استنباط قوي صحيح، و

واقفه عليه عثمان و جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

قال محمد بن إسحاق عن معمر بن عبد الله الجهني،

قال: تزوج رجل مائة امرأة من جهينة فولدت له تسام

ستة أشهر، فاطلق زوجها إلى عثمان عليه السلام، فذكر ذلك له،

فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها بكى أختها، فقالت:

وما يُكيك؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى

غيره قط، فيقضي الله سبحانه وتعالى في ما شاء، فلما أتى

بها عثمان عليه السلام أمر برجمها، فبلغ ذلك علياً عليه السلام، فأشبه

فقال له: ما صنعت؟ قال: ولدت ثمانية أشهر، وهل

يكون ذلك؟ فقال له علي عليه السلام: أما تقرأ القرآن؟ قال:

بلى. قال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَ

فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾؟ قال: ﴿خَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فلم

نجد به بقي إلا ستة أشهر. قال: فقال عثمان عليه السلام: والله ما

ظننت بهذا، علي بالمرأة، فوجدوها قد فرغ منها. قال:

فقال معمر: فوالله ما التراب بالتراب ولا البيضة بالبيضة

بأشبه منه بأبيه، فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشك فيه.

قال: وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة، فما

زالت تأكله حتى مات، رواه ابن أبي حاتم، وقد أوردناه

من وجه آخر عند قوله عز وجل: ﴿فَأَنَّا أَكُولُ

الْقَابِلِينَ﴾. الزخرف: ٨١.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، ثنا فروة بن أبي

المغراء، حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إذا وضعت

المرأة تسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون

شهراً، وإذا وضعت لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة

و روى الواحدي في «السيط» عن عكرمة أنه

قال: إذا حملت تسعة أشهر أرضعتها أحدًا وعشرين

شهراً، وإذا حملت ستة أشهر أرضعتها أربعة وعشرين

شهراً، والصحيح ما قدمناه. (٢٨: ١٥)

القرطبي: [نحو الجصاص وأضاف:] وقيل: لم

يُعد ثلاثة أشهر في ابتداء الحمل، لأن الولد فيها خلفة و

علقة ومُضغة، فلا يكون له ثقل يُحس به، وهو معنى

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَشَّيَا حَمَلًا خَفِيًّا فَوَرَّتَ بِهِ﴾

الأعراف: ١٨٩. (١٦: ١٩٣)

البيضاوي: ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ كل ذلك بيان لما

تكاد به الأم في تربية الولد، مبالغة في التوصية بها، وفيه

دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، لأنه إذا حط

منه للفصال حولان لقوله: ﴿خَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ لمن أراد

أن يتم الرضاعة بقي ذلك، وبه قال الأطباء، ولعل

تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لاضطباطها، وتحقق

ارتباط حكم النسب والرضاع بها. (٢: ٣٨٧)

نحوه أبو السعود. (٦: ٧٣)

أبو حيان: [نحو ابن عطية وأضاف:]

وقد كشفت التجربة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر

كنص القرآن. [ثم ذكر قول جالينوس وابن سينا كما

تقدم عن الفخر الرازي] (٨: ٦٠)

ابن كثير: وقد استدلل علي عليه السلام بهذه الآية مع

آتي في لقمان: ١٤ ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، وقوله تبارك

وتعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ خَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ

لِئِنْ أَرَادَ أَنْ يَبْرِءَ الرِّضَاعَةَ﴾ البقرة: ٢٣٣، على أن أقل

أبوحنيفة: المراد منه الحمل على اليد، لو حُمِلَ على حمل البطن كان بيان الأقلّ مع الأكثر، انتهى.

قيل: ولعلّ تعيين أقلّ مدّة الحمل وأكثر مدّة الرضاع، أي في الآية، لانضباطها وتحقّق ارتباط النسب والرضاع بهما، فإنّ من ولدت لستّة أشهر من وقت التزوّج يثبت نسب ولدها كما وقع في زمان عليّ كرم الله وجهه، فحكم بالولد على أبيه، فلو جاءت بولد لأقلّ من ستّة لم يلزم الولد للزوج، و يفرق بينهما.

ومن مصّ ثدي امرأة في اثناء حولين من مدّة ولادته تكون المرضعة أمّاً له، ويكون زوجها الذي لبنها منه أباً له، قال في «المحقق» الفتوى في مدّة الرضاع على قولها، وفي «فتح الزحان» اتفق الأئمة على أنّ مدّة الحمل ستّة أشهر.

واختلفوا في أكثر مدّته، فقال أبوحنيفة: ستان، و المشهور عن مالك خمس سنين، وروي عنه أربع و سبع. وعند الشافعيّ و أحمد أربع سنين، و غالبها تسعة أشهر، انتهى. (٨: ٤٧٣)

الآلوسي: [نحو أبي حنّان و أضاف:]

لعلّ تخصيص أقلّ الحمل وأكثر الرضاع بالبيان في القرآن الكريم بطريق الصراحة و الدلالة، دون أكثر الحمل و أقلّ الرضاع و أوسطها، لانضباطها بعدم التقصّ و الزيادة، بخلاف ما ذكر، و تحقّق ارتباط حكم التّسب بأقلّ مدّة الحمل حتّى لو وضعته فيما دونه لم يثبت نسبه منه، و بعده يثبت و تبرّأ من الرّض، و لو أرضعت مرضعة بعد حولين لم يثبت به أحكام الرضاع في التناكح

عشرون شهراً، و إذا وضعت لستّة أشهر فحولين كاملين، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (٦: ٢٨١)

البُزْجُوسِيّ: و هذا دليل على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر، لما أنّه إذا حطّ منها للفصال حولان، لقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُسِمَّ الرُّضَاعَةَ﴾ يبقى للحمل ذلك، و به قال الأطباء. و في الفقه: مدّة الرضاع ثلاثون شهراً عند أبي حنيفة، و ستان عند الإمامين^(١).

و هذا الخلاف في حرمة الرضاع إمّا استحقاق أجر الرضاع فقدّر بحولين لها قوله تعالى: ﴿وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ البقرة: ٢٣٣، و له قوله تعالى: ﴿وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ذكر شيئين و هما الحمل و الفصال، و ضرب لها مدّة ثلاثين شهراً، و كان لكلّ واحد منها بكاملها كالأجل المضروب لذّين، لكن مدّة الحمل انتقصت بالدليل، و هو قول عائشة رضي الله عنها: «الولد لا يبق في بطن أمّه أكثر من ستين و لو بقدر ظلّ منزل». و الظاهر أنّها قالته سبحانه، لأنّ المقادير لا يحدّد إليها بالرّأي، فبقي مدّة الفصال على ظاهرها، و يُحمل قوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ على مدّة استحقاق أجرة الرضاع حتّى لا يجب نفقة الإرضاع على الأب بعد الحولين، و المراد السنة القمرية على ما أفادته الآية، كما قال: ﴿شَهْرًا﴾ لا الشَّمْسِيَّة.

و قال في «عين المعاني»: أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر، فبق ستان للرضاع، و به قال أبو يوسف و محمد. و قال

٢ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ آَلَفِينَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِأَوَّلِهِ وَلَا تَقُولُوا قَلْفَةً إِنْتَهَا فَخَيْرًا لَكُمْ... النساء : ١٧١

ابن عباس : ولد و والد و زوجة. (٨٦)
الغزاة : أي لا تقولوا : هم ثلاثة، كقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ قَلْفَةً زَايَعُهُمْ﴾ الكهف : ٢٢ فكل ما رأيته بعد القول مرفوعاً و لا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم. (٢٩٦ : ١)

نحوه أبو عبيدة. (١ : ١٤٤)
الطَّيِّبِي : يعني و لا تقولوا : الأرباب ثلاثة، و رفضت «الثلاثة» يمحذوف دل عليه الظاهر و هو هم، و معنى الكلام : و لا تقولوا : هم ثلاثة، و إبقاء جاز ذلك، لأنَّ القول حكاية، و العرب تفعل ذلك في الحكاية، و منه قول الله : ﴿سَيَقُولُونَ قَلْفَةً زَايَعُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ و كذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه، ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم.

ثم قال لهم جلّ ثناؤه متوعداً لهم في قولهم العظيم الذي قالوه في الله : انتهوا أيها القائلون : الله ثالث ثلاثة، عما تقولون من الزور و الشُّرك بالله، فإنَّ الانتهاء عن ذلك خير لكم من قبله، لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قيلكم ذلك، إن أقمت عليه، و لم تُنبِئوا إلى الحق الذي أمرتكم بالإتابة إليه، و الآجل في معادكم. (٣٧ : ٦)

نحوه الطوسي. (٣ : ٤٠٢)
الزَّجَّاج : الرفع لا غير، و رفعه بإضمار لا تقولوا :

و غيره، و في هذا خلاف لا يجب به. (٢٦ : ١٨)
القاسمي : لا يقال : بقي ثلاثة أشهر، لأنَّ أمد الرضاع حولان، لأننا نقول : إنَّ الحولين أمد من أراد تمام الأجل، و إلا فأصله أقل منها، كما يُبيَّن عنه قوله تعالى : ﴿عَوَّلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِيُنْزِلَ أَنْ يُسِيمَ الرُّضَاعَةَ﴾ البقرة : ٢٢٣ ولئن سلّم أنَّها أمدها، فيكون في الآية اكتفاء بالمعقود، و حذف الكسور، جرئاً على عرفهم في ذلك، كما ذكروه في حديث أنس في وفاته عليه السلام على رأس ستين سنة، مع أنَّ الصحيح أنَّه توفي عن ثلاث و ستين، كما يُبيَّن في «شرح الشَّاتِل»، قالوا : إنَّ الزَّائِدَ للأولى اقتصر فيها على المعقود و ترك الكسور، و سرَّ ذلك هو القصد إلى ذكر المهمَّ و ما يكتفي به، فما سبق له الكلام، لا ضبط الحساب، و تدقيق الأعداد. (١٥ : ٥٢٤٧)
مكارم الشَّيرازي : [ذكر ما قال المفسرون في الجمع بين الآيتين و أضاف :

ثمَّ إنَّه يمكن أن يستفاد من هذا التعبير القرآني أنَّه كلّما قصرت فترة الحمل يجب أن تطول فترة الرضاع؛ بحيث يكون المجموع (٣٠) شهراً. [ثمَّ نقل قول ابن عباس المتقدم و أضاف :

و القانون الطَّيِّبِي يوجب ذلك أيضاً، لأنَّ نواقص فترة الحمل يجب أن تُجبر بفترة الرضاع. (١٦ : ٢٤٦)

قُلْفَةً

١ - إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رُحْمًا بِقُلْفَةٍ أَلَا مِنْ السَّخِرَةِ مُتَرَكِّلِينَ. آل عمران : ١٢٤
راجع «م د د» (يُبدِّلُكُمْ).

آلهتنا ثلاثة.

(٢: ١٣٥)

الماوردي: في «الثلاثة» قولان:

أحدهما: هو قول النصارى: أب وابن وروح القدس، وهذا قول بعض البصريين.

والثاني: [هو قول الرجاج وقد تقدم] (١: ٥٤٦)

الواحد: قال الرجاج: لا تقولوا: آلهتنا ثلاثة،

يعني قولهم: الله وصاحبه وابنه. (٢: ١٤٣)

الزَّمَخْشَرِيُّ: (ثَلَاثَةٌ) خبر مبتدأ محذوف، فإن

صَحَّتْ الحِكَايَةُ عنهم أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هو جوهر واحد

ثلاثة أقانيم: أَقْنُومُ الأب، [وَأَقْنُومُ الابن] ^(١)، وَأَقْنُومُ

روح القدس، وَأَنَّهُمْ يريدون بِأَقْنُومِ الأب: الذَّات، و

بِأَقْنُومِ الابن: العلم، وبِأَقْنُومِ روح القدس: الحياة،

فتقديره: الله ثلاثة، وإِلَّا فتقديره: الآلهة ثلاثة، والذي

يَدُلُّ عليه القرآن التصريح منهم بأنَّ الله والمسيح ومريم

ثلاثة آلهة، وأنَّ المسيح ولد الله من مريم، ألا ترى إلى

قوله: ﴿وَمَا أَنتَ ثَلَاثٌ لِلنَّاسِ الْحَيُّ ذُو الثَّرْنَيْنِ﴾

دُونِ اللَّهِ المائدة: ١١٦ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ الْمَسِيحُ

ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٠ والشهور المستفيض عنهم أَنَّهُمْ

يقولون في المسيح: لا هويَّة ولا سويَّة، من جهة

الأب، والأُم، ويَدُلُّ عليه قوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى

بْنُ مَرْيَمَ﴾ النساء: ١٧١، فأنبت أَنَّهُ ولد لمريم أَصْل بها

اتصال الأولاد بأُمَّهاتها، وأنَّ اتصاله بالله تعالى من حيث

أَنَّهُ رسوله، وَأَنَّهُ موجود بأمره وابتداعه جسداً حياً من

غير أب، فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالأباء، وقوله

سبحانه... ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء: ١٧١ وحكاية

الله أوثق من حكاية غيره. (١: ٥٨٥)

ابن عَطِيَّة: المسمي: الله ثالث ثلاثة، فحذف

الابتداء والمضاف، كذا قدَّر أبو علي، و يحتمل أن يكون

المقدَّر: المعبود ثلاثة، أو الإله ثلاثة، أو الآلهة ثلاثة، أو

الأقانيم ثلاثة، وكيف ما تشبَّ اختلاف عبارات

النصارى فَإِنَّهُ يختلف بحسب ذلك التَّقدير. (٢: ١٣٩)

الطَّبْرِسِيُّ: [نحو الطَّبْرِيِّ إلى أن قال:]

هذا خطاب للنجاري، أي لا تقولوا: إلهنا ثلاثة، عن

الرَّجَّاج. وقيل: هذا لا يصح، لأنَّ النصارى لم يقولوا

بثلاثة آلهة، ولكنهم يقولون: إله واحد ثلاثة أقانيم: أب

وابن وروح القدس، ومثلاً لا تقولوا: الله ثلاثة: أب

وابن وروح القدس. وقد شبهوا قولهم: جوهر واحد

ثلاثة أقانيم، بقولنا: سراج واحد ثم نقول ثلاثة أشياء:

دهن وفتل ونار، وشمس واحدة وإِنَّمَا هي جسمٌ

وضوء وشعاع.

وهذا غلطٌ بعيد، لأنَّنا لا نعي بقولنا: سراج واحدٌ

أَنَّهُ شيء واحد بل هو أشياء على الحقيقة، وكذلك

الشمس كما تقول: عشرة واحدة وإنسان واحدٌ ودارٌ

واحدة، وإِنَّمَا هي أشياء متغايرة.

فإن قالوا: إنَّ الله شيء واحدٌ وإله واحد حقيقة،

فقولهم: (ثَلَاثَةٌ) متناقضة، وإن قالوا: إنَّه في الحقيقة

أشياء، مثل ما ذكرناه في الإنسان والسراج وغيرهما،

فقد تركوا القول بالوحد والحقوا بالمتشبهة، وإِلَّا فلا

واسطة بين الأمرين. (٢: ١٤٤)

الفَخْر الرَّاغِبِيُّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً إِنَّمَا خَيْرٌ

لَكُمْ﴾ وفيه مألطان:

﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي الْهَيْبَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المائدة: ١١٦.

الثالث : قال القراء : و لا تقولوا : هم ثلاثة. كقوله : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ وذلك لأن ذكر عيسى و مريم مع الله تعالى بهذه العبارة يوم كونها إلهين ، و بالجملة فلا نرى مذهباً في الدنيا أشد ركاكة و بُعداً عن العقل من مذهب النصارى. (١١٦ : ١١٦)

القرطبي : و النصارى مع فرقهم يجمعون على التثنية ، و يقولون : إن الله جوهر واحد و له ثلاثة أقانيم ، فيجعلون كل أقنوم إلهاً ، و يزنون بالأقانيم : الوجود و الحياة و العلم ، و ربما يعبرون عن الأقانيم بالأب و الابن و روح القدس ، فيزنون بالأب الوجود ، و بالروح الحياة ، و بالابن المسيح ، في كلام لهم فيه تحييط ، بيانه في أصول الدين .

و محصل كلامهم يؤول إلى التمسك بأن عيسى إله بما كان يجريه الله سبحانه و تعالى على يديه من خوارق العادات ، على حسب دواعيه و إرادته ، و قالوا : قد علمنا خروج هذه الأمور عن مقدور البشر ، فينبغي أن يكون المقتدر عليها موصوفاً بالإلهية ، فيقال لهم : لو كان ذلك من مقدوراته و كان مستقلاً به كان تخليص نفسه من أعدائه و دفع شرهم عنه من مقدوراته و ليس كذلك ؛ فإن اعترفت النصارى بذلك ، فقد سقط قولهم و دعواهم أنه كان يفعلها مستقلاً به ، و إن لم يسلّموا ذلك فلا حجة لهم أيضاً ، لأنهم معارضون بموسى عليه السلام ، و ما كان يجري على يديه من الأمور العظام ، مثل قلب الصا نعباناً ، و فلق البحر ، و اليد البيضاء ، و المن و السلوى و غير ذلك ،

المسألة الأولى : المعنى : و لا تقولوا : إن الله سبحانه و واحد بالجواهر ثلاثة بالأقانيم .

و اعلم أن مذهب النصارى مجهول جدّاً ، و الذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة ، إلا أنهم و إن سموها صفات فهي في الحقيقة ذوات ، بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى و في مريم بأنفسها ، و إلا لما جوزوا عليها أن تحلّ في الغير ، و أن تشارك ذلك الغير مرة أخرى ، فهم و إن كانوا يستعملونها بالصفات ، إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعدّدة قائمة بأنفسها ، و ذلك محض الكفر ، فلهذا المعنى قال تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ إِنِّي أَهْلُهَا﴾ .

فأما إن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات ثلاثة ، فهذا لا يمكن إنكاره ، و كيف لا نقول ذلك و إنّا نقول : هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام العالم الحي القادر المريد ، و فهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر ، و لا معنى لتعدّد الصفات إلا ذلك ، فلو كان القول بتعدّد الصفات كفراً لزم ردّ جميع القرآن و لزم ردّ العقل ، من حيث إنّا نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالماً غير المفهوم من كونه تعالى قادراً أو حياً .

المسألة الثانية : قوله : (ثَلَاثَةٌ) خبر مبتدأ محذوف ، ثم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدأ على وجوه :

الأول : ما ذكرناه ، أي و لا تقولوا : الأقانيم ثلاثة . الثاني : قال الزجاج : و لا تقولوا : ألهنا ثلاثة ، و ذلك لأن القرآن يدلّ على أن النصارى يقولون : إن الله و المسيح و مريم ثلاثة آلهة ، و الدليل عليه قوله تعالى :

و كذلك ما جرى على يد الأنبياء.

فإن أنكروا ذلك فنتكر ما يدعونه هم أيضًا من ظهوره على يد عيسى عليه السلام، فلا يمكنهم إثبات شيء من ذلك لعيسى، فإن طريق إثباته عندنا نصوص القرآن و هم ينكرون القرآن، و يكذبون من أتى به، فلا يمكنهم إثبات ذلك بأخبار التواتر.

و قد قيل : إن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى و ثمانين سنة بعد ما رفع عيسى، يُصلّون إلى القبلة، و يصومون شهر رمضان، حتى وقع فيما بينهم و بين اليهود حرب، و كان في اليهود رجل شجاع يقال له : بولس، قتل جماعة من أصحاب عيسى، فقال : إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا و جعدنا و إلى النار مصيرنا، و نحن مبنون إن دخلوا الجنة و دخلنا النار، و إن احتال فيهم فأضلّهم، فدخلوا النار، و كان له فرس يقال لها : العقاب، فأظهر الندامة و وضع على رأسه التراب، و قال للنصارى : أنا بولس عدوكم قد نوديت من السماء أن ليست لك توبة إلا أن تتصرّ، فأدخلوه في الكنيسة بيتًا، فأقام فيه سنة لا يخرج ليلاً و لانهًا حتى تعلم الإنجيل، فخرج و قال : نوديت من السماء أن الله قد قبل توبتك، فصدّقوه و أحبّوه، ثم مضى إلى بيت المقدس و استخلف عليهم فسُطّروا و أعلمه أن عيسى بن مريم إليه، ثم توجه إلى الرّوم و علمهم اللاهوت و الناسوت، و قال : لم يكن عيسى بالإنس فتأنّس و لا بجسم فتجسّم، و لكنّه ابن الله، و علم رجلاً يقال له : يعقوب ذلك، ثم دعا رجلاً يقال له : الملك فقال له : إن الإله لم يزل و لا يزال عيسى، فلمّا استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدًا واحدًا، و

قال له : أنت خالصتي و لقد رأيت المسيح في السّوم و رضي عني، و قال لكل واحد منهم : إنّي غداً أذبح نفسي و أتقرّب بها، فادع الناس إلى بحلتك، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، فلمّا كان يوم ثالث دعا كلّ واحد منهم الناس إلى بحلته، فتبع كلّ واحد منهم طائفة، فاقترلوا و اختلفوا إلى يومنا هذا، فجميع النصارى من الفرق الثلاث، فهذا كان سبب شركهم فيما يقال، والله أعلم.

(٦ : ٢٥)

البَيْضَاوِيّ : أي الآلهة ثلاثة : الله و المسيح و مريم، و يشهد عليه قوله تعالى ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أَهْلِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المائدة : ١١٦ أو الله ثلاثة إن صحّ أنّهم يقولون : الله ثلاثة أقاليم : الأب و الابن و روح القدس و يريدون بالأب : الذات، و بالابن : السلم، و بروح القدس : الحياة.

(١ : ٢٥٨)

نحوه التّسوي (١ : ٢٦٥)، و أبوالشّعود (٢ : ٢٢٦)، و البرّوسوي (٢ : ٣٣٠).

الخازن : يعني و لا تقولوا : الآلهة ثلاثة، و ذلك أن النصارى يقولون : أب و ابن و روح القدس.

و قيل : إنهم يقولون : إن الله بالجوهر ثلاثة أقانيم، و ذلك أنّهم أثبتوا ذاتًا موصوفة بصفات ثلاثة، بدليل أنّهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى و في مريم، فأثبتوا ذاتًا معدودة ثلاثة، و هذا هو محض الكفر، فلهذا قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ (١ : ٥٢٢)

أبوحيان : [نقل قول المتقدمين و أضاف :] قال أبو علي : التّقدير : الله ثالث ثلاثة، حذف المبتدأ و المضاف انتهى.

لو كان على أحدهما بطل الاتحاد، ومنهم من قال :
المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه، محدث من وجه.
ومن اليعقوبية من قال : إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئاً
وإنما مرت بها كمرور الماء بالميزاب، ومنهم من زعم أن
الكلمة كانت تُدخل جسد المسيح فتصدر عنه الآيات
التي كانت تظهر عنه، و تفارقه تارة، فتحله الآفات و
الآلام.

ومن النصارى من زعم أن معنى اتحاد اللاهوت
بالتاسوت ظهور اللاهوت على التاسوت و إن لم ينتقل
من اللاهوت إلى التاسوت شيء و لا حل فيه، و ذلك
كظهور نقش الطابع على الشمع و الصورة المرئية في
المرآة.

و منهم من قال : إن الوجود و الكلمة قديمان، و
الحياة مخلوقة. و منهم من قال : إن الله تعالى واحد و سبأه
أباً و أن المسيح كلمة الله تعالى و ابنه على طريق
الاصطفاء، و هو مخلوق قبل العالم، و هو خالق للأشياء
كلها.

و حكى المؤرخون و أصحاب النقل أن أريوس أحد
كبار النصارى كان يعتقد هو و طائفته توحيد الباري
ولا يشرك معه غيره، و لا يرى في المسيح ما يراه
النصارى بل يعتد رسالته، و أنه مخلوق بحسبه و
روحه، ففشت مقالاته في النصرانية فتكاثروا و اجتمعوا
بمدينة نيقية عند الملك قسطنطين و تناظروا، فشرح
أريوس مقالته، فرد عليه الأكسيدروس بطريق
الإسكندرية، و شنع على مقالته عند الملك، ثم تناظروا،
فطال تنازعهم، فتمتجب الملك من انتشار مقالاتهم و كثرة

الثلاثة حيي ناطق موجود، و صرحوا بالتثليث
كالمملكاية، و منهم من منع ذلك، و منهم من أثبت صفات
آخر كالقدرة و الإرادة و نحوها، لكن لم يجعلوها أقانيم،
و زعموا أن الابن لم يزل متولداً من الأب و إنما تجسده و
توحد به جسد المسيح حين ولده، و الحدوث راجع إلى
التاسوت، فالمسيح إله تام و إنسان تام، و هما قديم و
حادث، و الاتحاد غير مبطل لقدم القديم و لا لحدوث
الحادث، و قالوا : إن الصلب ورد على التاسوت دون
اللاهوت.

و ذهب بعض اليعقوبية : إلى أن الكلمة انقلبت لها
و دماً فصار الإله هو المسيح، و قالوا : إن الله هو المسيح
عميسى بن مريم، و روي عن يوحنا الإنجيلي أنه قال في
صدر إنجيله : إن الكلمة صارت جسداً و حلت فينا،
و قال : في البدء كانت الكلمة و الكلمة عنده الله و الله
تعالى هو الكلمة، و منهم من قال : ظهر اللاهوت
بالتاسوت بحيث صار هو هو، و ذلك كظهور الملك في
الصورة المشار إليه بقوله تعالى : ﴿فَسَمِّئْ لَهَا بِسْمًا
سَوِيًّا﴾ مريم : ١٧.

و منهم من قال : جوهر الإله القديم و جوهر
الإنسان الحدث تركبا تركب النفس الناطقة مع البدن، و
صارا جوهرًا واحدًا، و هو المسيح، و هو الإله، و
يقولون : صار الإله إنساناً و إن لم يصير الإنسان إلهًا، كما
يقال في الفحمة الملقاة في النار : صارت نارًا، و لا يقال :
صارت النار فحمة، و يقولون : إن اتحاد اللاهوت
بالإنسان الجزئي دون الكلي، و أن مريم ولدت إلهًا و أن
القتل و الصلب واقع على اللاهوت و التاسوت جميعًا، إذ

عليك في ردهم تنبيهاً للفائدة وتأكيذاً لإبطال تلك العقائد الفاسدة.

أما قولهم: بأن الله تعالى جوهر بالمعنى المذكور، فلا نزاع لنا معهم فيه من جهة المعنى بل من جهة الإطلاق اللفظي سمياً، والأمر فيه هيّن، وأما حصرهم الأقانيم في ثلاثة: صفة الوجود، وصفة الحياة، وصفة العلم فباطل، لأنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة لو طُوبوا بدليل المحصر لم يجدوا إليه سبيلاً سوى قولهم: بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه، وهو غير يقيني كما لا يخفى، ثم هو باطل بما تحقق في موضعه من وجوب صفة القدرة، والإرادة، والسمع والبصر والكلام.

فإن قالوا: الأقانيم هي خواص الجوهر وصفات نفسه، ومن حكمها أن تلزم الجوهر ولا تنعدها إلى غيره، وذلك متحقق في الوجود والحياة، إذ لا تعلق لوجود الذات القديمة بحياتها بغيرها، وكذلك العلم، إذ العلم مختص بالجوهر من حيث هو معلوم به، وهذا بخلاف القدرة والإرادة فإنها لا اختصاص لها بالذات القديمة بل يتعلقان بالغير مما هو مقدور ومراد، والذات القديمة غير مقدورة ولا مرادة، وأيضاً فإن الحياة عُجزى عن القدرة والإرادة، من حيث أن الحسي لا يخلو عنها، بخلاف العلم فإنه قد يخلو عنه، ولأنه ينتج أجزاء الحياة عن العلم لا اختصاص الحياة بامتناع جريان المسالفة والتفضيل بخلاف العلم.

قلنا: أما قولهم: إن الوجود والحياة مختصة بذات القديم - ولا تعلق لها بغيره - فسلم، ولكن يلزم عليه أن لا يكون العلم أقنوماً لتعلقه بغير ذات القديم إذ هو

اختلفا فيهم. وقام لهم البترك وأمرهم أن يبحثوا عن القول المرضي، فاتفق رأيهم على شيء فحزروه وسموه بالأمانة، وأكثرهم اليوم عليها، وهي:

«تؤمن بالله تعالى الواحد الأب صانع كل شيء، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد المسيح ابن الله تعالى الواحد بكر الخلاق كلها الذي وُلد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه الذي بيده أُنشئت العوالم، وخلق كل شيء الذي من أجلنا معاشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم، وصار إنساناً وحُبِلَ به وُلد من مريم البتول وأنجب، وصُلِبَ أيام فيلاطس ودفن، وقام في اليوم الثالث - كما هو مكتوب - وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، وتؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه وبعمودية واحدة لغفران الخطايا، والجهاعة واحدة قدسية كاطوليكية، وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين» انتهى.

وهذه جملة الأفاويل، وما لهؤلاء الكفرة من الأباطيل، وهي مع مخالفتها للعقول ومزاحمتها للأصول، مما لا مستند لها ولا معول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم، والأخذ بظواهر ألفاظ لا يعيطون بها علماً، على أن ما سمّوه «أمانة» لا أصل له في شرع الإنجيل، ولا مأخوذة من قول المسيح، ولا من أقوال تلاميذه، وهو مع ذلك مضطرب متناقض متهافت يُكذَّب بعضه بعضاً ويعارضه ويناقضه، وإذ قد علمت ذلك فاستمع لما يجلى

و لئن قالوا: إنا استدللنا على حلول العلم فيه
لاختصاصه بعلوم لا يشاركه فيها غيره.

قلنا: أولاً: لا نسلم ذلك، فقد روى التصاري
أنه لا يشاركه سئل عن القيامة فلم يجب، وقال: لا يعرفها إلا
الله تعالى وحده، وثانياً: سلمنا لكنه قد اختص عندكم
بأحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وبأشور لا
يقدر عليها غيره من المخلوقين بزعمكم، والقدرة عندكم
في حكم الحياة إنا بمعنى أنها عينها، أو ملازمة لها، فوجب
أن يقال: بحلول الحياة فيه، ولم تقولوا به.

وأما قول الملكايتي بالتثليث في الألهة، وأن كل
أقوم إله، فلا يخلو إنا أن يقولوا: إن كل واحد متصف
بصفات الإله تعالى من الوجود والحياة والعلم والقدرة،
و غير ذلك من الصفات، أو ألا يقولوا به، فإن قالوا به
فهو خلاف أصلهم، وهو مع ذلك ممنوع لقيام الأدلة على
امتناع إلهين.

و أيضاً فإنهم إنا أن يقولوا: بأن جوهر القديم أيضاً
إله أو ألا يقولوا. فإن كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم،
فإنهم يجمعون على الثالث، ويقولون هذا يلزم التريب،
وإن كان الثاني لم يحدوا إلى الفرق سبيلاً، مع أن جوهر
القديم أصل والأقانب صفات تابعة، فكان أولى أن
يكون إلهاً، وإن قالوا بالثاني فعاصله يرجع إلى منازعة
لفظية، والمرجع فيها إلى ورود الشرع بمجاوز إطلاق
ذلك.

وأما قولهم: بأن الكلمة امتزجت بجسد المسيح،
فيطلب امتناع حلول صفات القديم بنير ذات الله تعالى،
ودعواهم الاتحاد بمنتهى من جهة الدلالة والإلزام، أنا

معلوم به. فلئن قالوا: العلم إنا كان أقنوماً، من حيث كان
متعلقاً بذات القديم لا من حيث كان متعلقاً بغيره،
فيلزمهم أن يكون البصر أقنوماً لتعلقه بذات القديم من
حيث أنه يرى نفسه ولم يقولوا به، ويلزمهم من ذلك أن
يكون بقاء ذات الله تعالى أقنوماً لاختصاص البقاء
بنفسه وعدم تعلقه بغيره، كما في الوجود والحياة. فلئن
قالوا: البقاء هو نفس الوجود، فيلزم أن يكون الموجود
في زمان حدوثه باقياً، وهو محال.

وقولهم: بأن الإرادة تجزئ عن القدرة والإرادة، إنا
أن يريدوا به أن القدرة والإرادة نفس الحياة، أو أنها
خارجتان عنها لازمتان لها لا تفارقانها. فإن كان الأول
فقد نقضوا مذهبهم، حيث قالوا: إن الحياة أقنوم
لاختصاصها بجوهر القديم. والقدرة والإرادة غير
مختصتين بذات القديم تعالى، وذلك مشعر بالمغايرة ولا
اتحاد معها، وإن قالوا: إنها لازمة لها مع المغايرة فهو
ممنوع، فإنه كما يجوز خلق الحي عن العلم، فكذلك قد
يجوز خلقه عن القدرة والإرادة، كما في حالة النوم و
الإغواء مثلاً، وقولهم: إنه يمتنع أجزاء الحياة عن العلم
لاختصاص العلم بالمبالغة والتفضيل، فيلزم منه أن لا
تكون مجزئة عن القدرة أيضاً، لاختصاصها بهذا النوع
من المبالغة والتفضيل.

وأما قولهم: بأن الكلمة حلت في المسيح وتدرجت
به، فهو باطل من وجهين:

الأول: أنه قد تحقق امتناع حلول صفة القديم في
غيره، الثاني: أنه ليس القول بحلول الكلمة أولى من
القول بحلول الروح وهي الحياة.

المرض في حكم الجوهر، فقد التزموا محالاً مخالفاً لأصولهم، وإن قالوا: بامتناع اتحاد صفة نفس الجوهر بالمرض ونفس المرض بالجوهر، مع أن المرض والجوهر أقبل للتبدل والتغير فلأن يمتنع في القديم والمحدث أولى.

وقولهم: إن المسيح إنسان كلي، باطل من أربعة أوجه:

الأول: أن الإنسان الكلي لا اختصاص له بجزئي دون جزئي من الناس، وقد اتفقت التصاري أن المسيح مولود من مريم عليها السلام، وعند ذلك فيما أن يقال: إن إنسان مريم أيضاً كلي - كما حكى عن بعضهم - أو جزئي، فإن كان كلياً فيما أن يكون هو عين إنسان المسيح أو غيره، فإن كان عينه لزم أن يولد الشيء من نفسه وهو محال، ثم يلزم أن يكون المسيح مريم ومريم المسيح ولم يقل به أحد، وإن كان غيره فالإنسان الكلي ما يكون عامّاً مشتركاً بين جميع، وطبيعته جزء من معنى كل إنسان، ويلزم من ذلك أن يكون إنسان المسيح بطبيعته جزء من مفهوم إنسان مريم وبالعكس وذلك محال، وإن كان إنسان مريم جزئياً فمن ضرورة كون المسيح مولوداً عنها أن يكون الكلي الصالح لاشتراك الكثرة منحصراً في الجزئي الذي لا يصلح لذاته وهو ممتنع.

الثاني: أن التصاري مجمعون على أن المسيح كان مرثياً ومنازاً إليه، والكلي ليس كذلك.

الثالث: أنهم قائلون: إن الكلمة حلت في المسيح إما بجهة الاتحاد أو لا بجهة الاتحاد، فلو كان المسيح إنساناً كلياً لما اختص به بعض أشخاص الناس دون البعض، و

الأول فإتيها عند الاتحاد إما أن يقال: ببقائها أو بدمها، أو ببقاء أحدها وعدم الآخر.

أما على التقدير الأول فهما اثنان كما كانا، وإن كان الثاني فالواحد الموجود غيرهما، وإن كان الثالث فلا اتحاد للاتينية وعدم أحدها.

وأما على التقدير الثاني فن أربعة أوجه:

الأول: أنه إذا جاز اتحاد أقنوم الجوهر القديم بالمحدث، فما المانع من اتحاد صفة المحدث بالجوهر القديم؟ فلو قالوا: المانع أن اتحاد صفة المحدث بالجوهر القديم يوجب نقصه وهو ممتنع، واتحاد صفة القديم بالمحدث يوجب شرفه، وشرف المحدث بالقديم غير ممتنع، قلنا: فكأن ذات القديم تنقص باتحاد صفة المحدث بها فالأقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت المحدث فليكن ذلك محتماً.

الثاني: أنه قد وقع الاتفاق على امتناع اتحاد أقنوم الجوهر القديم بغير ناسوت المسيح، فالفرق بين ناسوت وناسوت؟ فلو قالوا: إنما اتحد بالناسوت الكلي دون الجزئي رددهناه بما ستعلمه قريباً إن شاء الله تعالى.

الثالث: أن مذهبه أن الأقانيم زائدة على ذات الجوهر القديم مع اختصاصها به، ولم يوجب قيامها به الاتحاد فإن لا يوجب اتحاد الأقنوم بالناسوت أولى.

الرابع: أن الإجماع منعقد على أن أقنوم الجوهر القديم مخالف للناسوت، كما أن صفة نفس الجوهر تخالف نفس المرض، و صفة نفس المرض تخالف الجوهر، فإن قالوا: يجوز اتحاد صفة الجوهر بالمرض أو صفة المرض بالجوهر حتى أنه يصير الجوهر في حكم المرض و

كالقُدرة والإرادة ونحوها فقد أصاب، خلا أن القول بإخراجها عن كونها من الأقانيم مع أنها مشاركة لها في كونها من الصفات تحكّم بحسب، والفرق الذي يستند إليه باطل كما علمت.

وأما قولهم: إن المسيح إنسان تامّ وإله تامّ، وهما جوهران: قديم وحادث، فطريق ردّه من وجهين: الأول: التمرّض لإبطال كون الأُنْثُوم المتحد بمجسد المسيح إلهًا، وذلك بأن يقال: إمّا أن يقولوا: بأنّ ما اتحد بمجسد المسيح هو إله فقط أو أنّ كلّ أُنْثُوم إله، كما ذهبت إليه الملكائيت، فإن كان الأول: فهو ممتنع لعدم الأولوية، وإن كان الثاني: فهو ممتنع أيضًا لما تقدّم.

الثاني: أنّه إذا كان المسيح مشتعلًا على الأُنْثُوم والتاسوت الحادث، فإمّا أن يقولوا: بالاتحاد، أو بحلول الأُنْثُوم في التاسوت، أو حلول التاسوت في الأُنْثُوم، أو أنّه لا حلول لأحدهما في الآخر، فإن كان الأول فهو باطل بما سبق في إبطال الاتحاد، وإن كان الثاني فهو باطل بما يطل حلول الصفة القديمة في غير ذات الله تعالى، وحلول الحادث في القديم، وإن كان الثالث، فإمّا أن يقال: بتجاورها واتصالها أو لا، فإن قيل بالأوّل فإمّا أن يقال: بانفصال الأُنْثُوم القديم عن الجوهر الحادث أو لا يقال به، فإن قيل بالانفصال فهو ممتنع لوجهين: الأوّل ما يدلّ على إبطال انتقال الصفة عن الموصوف، الثاني أنّه يلزم منه قيام حفة حال مجاورتها للتاسوت بنفسها وهو محال.

وإن لم يقل بانفصال الأُنْثُوم عن الجسور القديم، يلزم منه أن يكون ذات الجوهر القديم متصلة بمجسد

لما كان المولود من مريم مختصًا بحلول الكلمة دون غيره، ولم يقولوا به.

الزّابع: أن الملكائيت متفقون على أنّ القتل وقع على اللاّهوت والتاسوت، ولو كان تاسوت المسيح كليًا لما تصوّر وقوع الجزئي عليه.

وأما ما ذهب إليه نسطور: من أنّ الأقانيم ثلاثة، فالكلام معه في المصير على طرز ما تقدّم، وقوله: ليست عن ذاته ولا غير ذاته، فإن أراد بذلك ما أراد به الأُسْريّ في قوله: إنّ الصفات لا عين ولا غير فهو حق، وإن أراد غيره فغير مفهوم، وأما تفسيره العلم بالكلمة، فالترّاع معه - في هذا الإطلاق - لفظي، ثم لا يغلو إمّا أن يريد بالكلمة: الكلام النفسي أو الكلام اللساني، والكلام في ذلك معروف، وقوله: إنّ الكلمة اتحدت بالمسيح، بمعنى أنها أشرقت عليه، لا حاصل له، لأنّه إمّا أن يريد بإشراق الكلمة عليه ^{طريق} ما هو مفهوم من مثاله، وهو أن يكون مطروحًا لشعاعها عليه، أو يريد أنها متعلّقة به كمتعلّق العلم القديم بالمعلومات، أو يريد غير ذلك، فإن كان الأوّل يلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع، وفي جهة من مطروح شعاعها، ويلزم من ذلك أن تكون جسمًا، وأن لا تكون صفة للجوهر القديم وهو محال، وإن كان الثاني فهو حقّ غير أنّ تعلّق الأُنْثُوم بالمسيح بهذا التفسير لا يكون خاصّة، وإن كان الثالث فلا بدّ من تصويره ليتكلّم عليه.

وأما قول بعض التّسْطوريّة: إنّ كلّ واحد من الأقانيم الثلاثة إله حيّ ناطق، فهو باطل بأدّة إبطال التثليث. وأما من أثبت منهم لله تعالى صفات أخر

به ولم يوجد في شيء من الأناجيل. والظاهر أنه كذب. فإنه بمنزلة قول القائل: الدّينار عند الصّيريّ والصّيريّ هو الدّينار، ولا يكاد يتفوّه به عاقل.

وكذا قوله: إنّ الكلمة صارت جسداً وحلّت فينا غير مسلمّ القبوت، وعلى تقدير تسليمه يحتمل التّقديم والتّأخير، أي إنّ الجسد الذي صار بالتسمية كلمة حلّ فينا، وعنى بذلك الجسد عيسى عليه السلام، ويحتمل أنه أشار بذلك إلى بطرس كبير التلاميذ وصي المسيح، فإنه أقام بعده عليه السلام بتدبير دينه، وكانت التّصاري تفرّع إليه على ما تشهد به كتبهم، فكأنّه يقول: إن ذهب الكلمة أي عيسى الذي سمّاه الله تعالى بذلك من بيتنا، فإنّها لم تذهب حتّى صارت جسداً وحلّ فينا، يريد أن تدبّرنا حاضر في جسد بيتنا، وهو بطرس.

ومن الناس من خرج كلامه على إسقاط همزة الإنكار عند إخراجهم من العبرانيّ إلى اللّسان العربيّ، والمراد أصارت، وفيه بعد. ومن العجب العجيب أن يوحنا ذكر أن المسيح قال لتلاميذه: إن لم تأكلوا جسدي حقّ وتشربوا دمي فلا حياة لكم بعدى، لأنّ جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ، ومن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأبقيته فيه، فلنسمع لتلاميذه هذه الكلمة قالوا: ما أصعبها، من يطيق سماعها! فرجع كثير منهم عن صحبتها، فإنّ هذا مع قوله: إنّ الله سبحانه هو الكلمة والكلمة صارت جسداً في غاية الإشكال؛ إذ فيه أمر الحادث بأكل الله تعالى القديم الأزليّ وشربه، والحقّ أنّ شيئاً من الكلامين لم يثبت، فلا تتعلّق مؤنة التّأويل.

وأما قولهم: إنّ اللاهوت ظهر بالتاسوت فصار هو

المسيح ضرورة اتّصال أقدومها به، وعند ذلك فليس اتّحاد الأقدوم بالتاسوت أولى من اتّحاد الجوهر القديم به، ولم يقولوا بذلك. وإن لم يقل بتجاورها واتّصالها فلا معنى للاتّحاد بمجد المسيح، وليس القول بالاتّحاد مع عدم الاتّصال بمجد المسيح أولى من العكس.

وأما قول من قال منهم: إنّ الإله واحد، وأنّ المسيح وُلد من مريم، وأنّه عبد صالح مخلوق إلّا أنّ الله تعالى شرفه بتسميته ابناً، فهو كما يقول الموحّدون، ولا خلاف معهم في غير إطلاق اسم الابن.

وأما قول بعض اليعاقبة: إنّ الكلمة انقلبت لحماً ودماً وصار الإله هو المسيح فهو أظهر بطلاناً ممّا تقدّم، ويبيانه من وجهين:

الأوّل: أنّه لو جاز انقلاب الأقدوم لحماً ودماً مع اختلاف حقيقتيهما، لجاز انقلاب المستحيل ممكناً والممكن مستحيلاً، والواجب ممكناً أو ممثلاً، والممكن أو الممتنع - واجباً، ولم يبق لأحد وثوق بشيء من القضايا البديهيّة، ولجاز انقلاب الجوهر عرضاً والعرض جوهرًا، واللّحم والدمّ أقدومًا، والأقدوم ذاتاً والذات أقدومًا، والقديم حادثاً والحادث قديماً، ولم يقل به أحد من العقلاء.

والثاني: أنّه لو انقلب الأقدوم لحماً ودماً، فإنما أن يكون هو عين الدّم واللّحم اللّذين كانا للمسيح، أو زائداً عليه منضاً إليه، والأوّل ظاهر الفساد، والثاني لم يقولوا به.

وأما ما نقل عن يوحنا من قوله: في البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله والله هو الكلمة، فهو ممّا انفرد

ما قيل بقدمه، أو لغيره؛ فإن كان الأول فهو محال وإلا لكان الشيء الواحد قديماً لا أول له حادثاً له أول وهو متناقض، وإن كان الثاني فهو خلاف المفروض.

وأما قول من قال: إن الكلمة مرت بمرم كمرور الماء في الميزاب، فيلزم منه انتقال الكلمة وهو محتج كما لا يخفى، وبه يطل قول من قال: إن الكلمة كانت تدخل جسد المسيح تارة وتارقه أخرى.

وقوله: إن ما ظهر من صورة المسيح في الناسوت لم يكن جسماً بل خيلاً كالصورة المرتبة في المرأة، باطل لأن من أصلهم أن المسيح إنما أحيا الميت، وأبرأ الأكمه والأبرص بما فيه من اللاهوت، فإذا كان ما ظهر فيه من اللاهوت لا حقيقة له بل هو خيال محض لا يصلح لحدوث ما حدث عن الإله عنه.

والقول: بأن أقنوم الحياة مخلوق حادث، ليس كذلك لقيام الأدلة على قدم الصفات فهو قديم أزلي، كيف وأنه لو كان حادثاً لكان الإله قبله غير حي، ومن ليس بحي لا يكون عالماً ولا ناطقاً.

وقول من قال: إن المسيح مخلوق قبل العالم، وهو خالق لكل شيء، باطل لقيام الأدلة على أنه كان الله تعالى ولا شيء غيره.

وأما الأمانة التي هم بها معتزون، وبما حوته متعبدون، فيبان اضطرابها وتناقضها وتهاافتها من وجوه.

الأول: أن قوله: يؤمن بالواحد الأب صانع كل شيء، يناقض قوله: وبالرب الواحد المسيح إلخ مناقضة لا تكاد تخفى.

هو، فإما أن يريدوا به أن اللاهوت صار عين الناسوت كما يصترح به قوله: صار هو هو، فيرجع إلى تجويز انقلاب الحقائق، وهو محال كما علمت. وإما أن يريدوا به أن اللاهوت أنصف بالناسوت، فهو أيضاً محال لما ثبت من امتناع حلول الحوادث بالقديم، أو أن الناسوت أنصف باللاهوت، وهو أيضاً محال لامتناع حلول القديم بالحادث.

وأما من قال منهم: بأن جوهر الإله القديم وجوه الإنسان الحدث تركباً وصاراً جوهرًا واحدًا هو المسيح، فيباطل من وجهين: الأول: ما ذكر من إبطال الاتحاد، الثاني: أنه ليس جعل الناسوت لاهوتاً بتركبه مع اللاهوت أولى من جعل اللاهوت ناسوتاً من جهة تركبه مع الناسوت، ولم يقولوا به.

وأما جوهر الفحمة إذا ألقيت في النار، فلا نسلم أنه صار بعينه جوهر النار بل صار مجاوراً لجوهر النار، وغايته أن بعض صفات جوهر الفحمة وأعراضها بطلت بمجاورة جوهر النار، أما إن جوهر أحدهما صار جوهر الآخر فلا.

وأما قوله: إن الاتحاد بالناسوت الجزئي دون الكلّي فعال، لأدلة إبطال الاتحاد وحلول القديم بالحادث، وبذلك يطل قوله: إن مريم ولدت إلهاً، وقوله: القتل وقع على اللاهوت والناسوت معاً، على أنه يوجب موت الإله، وهو يدهي البطلان.

وأما قول من قال: إن للمسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه محدث من وجه، فيباطل لأنه إذا كان جوهر المسيح متحدًا لا كثرة فيه، فالحدوث إما أن يكره لعين

من السماء لخلاص الناس، و تجسّد من روح القدس، و صار إنساناً، و حُبِل به و وُلِد، فيه عدّة مفاسد.

منها: أن المسيح لا يختص بمجرّد الكلمة و لا بمجرّد الجسد بل هو اسم يختص هذا الجسد الذي ولدته مريم عليها السلام، و لم تكن الكلمة في الأزل مسيحا، فبطل أن يكون هو الذي نزل من السماء.

و منها: أن الذي نزل من السماء لا يخلو إمّا أن يكون الكلمة أو الناسوت، فإن زعموا أن الذي نزل هو الناسوت فكذب صراح لأنّ ناسوته من مريم، و إن زعموا أنّه اللاهوت، فيقال: لا يخلو إمّا أن يكون الذات أو العلم المعبر عنه بالكلمة، فإن كان الأوّل لزم لحقّ القناص للباري عزّ اسمه، و إن كان الثاني لزم انتقال الصفة و بقاء الباري بلا علم، و ذلك باطل.

و منها: أن قولهم: إمّا نزل خلاص معشر الناس، يريدون به أن آدم عليه السلام لما عصى أوتق سائر ذريته في حباله الشيطان و أوجب عليهم الخلود في النار، فكان خلاصهم بقتل المسيح و صلبه و التّشكيل به، و ذلك دعوى لا دلالة عليها. هب أنا سلّمناها لهم، لكن يقال: أخبرونا ممّ هذا الخلاص الذي تعني الإله الأزلّي له و فعل ما فعل بنفسه لأجله؟ و لم خلّصكم؟ و ممّن خلّصكم؟ و كيف استقلّ بخلّصكم دون الأب و الرّوح و الرّبوبيّة بينهم؟ و كيف ابتذل و امتنّ في خلاصكم دون الأب و الرّوح؟ فإن زعموا أن الخلاص من تكاليف الدّنيا و هوهمّا أكذبهم الحقّ، و إن كان من تكاليف الشّرع و أنّهم قد حطّ عنهم الصّلاة و الصّوم مثلاً أكذبهم المسيح و الحواريون بما وضّوه عليهم من

الثاني: أن قولهم: إنّ يسوع المسيح ابن الله تعالى بكر الخلاق، مشر بمحدث المسيح إذ لا معنى لكونه ابنه إلّا تأخّره عنه، إذ الوالد و الولد لا يكونان ممّا في الوجود، و كونها ممّا مستحيل بيدها العقول، لأنّ الأب لا يخلو إمّا أن يكون ولد ولدًا أو لم يكن، فإن قالوا: ولد ولدًا لم يزل، قلنا: فما ولد شيئًا إذ الابن لم يزل، و إن ولد شيئًا لم يكن، فالولد حادث مخلوق، و ذلك مكذب لقولهم: إله حقّ من إله حقّ من جوهر أبيه، و أنّه أتقن العوالم بيده و خلق كلّ شيء.

الثالث: أن قولهم: إله حقّ من إله حقّ من جوهر أبيه، يناقضه قول المسيح في الإنجيل: و قد ستل عن يوم القيامة فقال: لا أعرفه و لا يعرفه إلّا الأب وحده، فلو كان من جوهر الأب لعلم ما يعلمه الأب، على أنّه لو جاز أن يكون إله ثان من إله أوّل لجاز أن يكون إله ثالث من إله ثان، و لما وقف الأمر على غاية و هو محال.

الرابع: أن قولهم: إنّ يسوع أتقن العوالم بيده، و خلق كلّ شيء باطل مكذب لما في الإنجيل، إذ يقول متى: هذا مولد يسوع المسيح بن داود، و أيضًا خالق العالم لا بدّ و أن يكون سابقاً عليه، و أنّ يسوع المسيح و قد ولدته مريم؟ و أيضًا في الإنجيل إنّ إبليس قال للمسيح: اسجد لي و أعطيك جميع العالم، و أمملكك كلّ شيء، و لا زال يسجده من مكان إلى مكان، و يحول بينه و بين مراده، و يطمع في تبعده له، فكيف يكون خالق العالم محصوراً في يد بعض العالم؟! نوذ بالله تعالى من الضلالة.

الخامس: أن قولهم: المسيح الإله الحقّ الذي نزل

التكاليف.

الكذب الفاحش المستلزم للحدوث.

التاسع: أن قولهم: إن يسوع هذا الرب الذي صلب
و قُتل مستند للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين
الأموات والأحياء بمنزلة قول القائل:
لأُثبِتَكَ بعد الموت تتدبني

و في حياتي ما زودتني زاداً
إذ زعموا أنه في المرة الأولى عجز عن خلاص نفسه
حتى تمّ عليه من أعدائه ما تمّ، فكيف يقدر على
خلاصهم بمجملتهم في المرة الثانية؟

العاشر: أن قولهم: و نؤمن بمعمودية واحدة لغفران
الذنوب، فيه مناقضة لأصولهم، و ذلك أن اعتقاد
النصارى أنه لم تغفر خطاياهم بدون قتل المسيح، و
لذلك سمّوه جمل الله تعالى الذي يُحمل عليه الخطايا، و
دعوه مُخلص العالم من الخطيئة، فإذا آمنوا بأن المعمودية
الواحدة هي التي تغفر خطاياهم و تخلص من ذنوبهم،
فقد صرّحوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح، لاستقلال
المعمودية بالخلاص و المغفرة، فإن كان التعميد كافياً
للمغفرة، فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث. و إن كانت لا
تحصل إلا بقتله، فما فائدة التعميد و ما هذا الإيمان؟

هذه عشرة وجوه كاملة في ردّ تلك الأمانة وإظهار
ما لهم فيها من الخيانة، و من أمّن ظنّه ردها بأضعاف
ذلك.

بطلت أساتهم فن مضمونها

ظهرت خيانتها خلال سطورها

بدأوا بتوحيد الإله و أنشركوا

عيسى به، فالخلف في تمييزها

و إن زعموا أنهم قد خلصوا من أحكام الدّار
الآخرة، فن ارتكب محزناً منهم لم يؤاخذ، أكذبهم
الإنجيل و الثبوت، إذ يقول المسيح في الإنجيل: إنّي أقيم
النّاس يوم القيامة عن يميني و شمالي، فأقول لأهل اليمين:
فعلتم كذا و كذا، فاذهبوا إلى التعميم المُعدّ لكم قبل
تأسيس الدّنيا، و أقول لأهل الشّمال: فعلتم كذا و كذا
فاذهبوا إلى العذاب المُعدّ لكم قبل تأسيس العالم.

السادس: أن قولهم: و تجسّد من روح القدس،
باطل بنصّ الإنجيل، إذ يقول متى في الفصل الثاني منه:
إن يوحنا المعمدان حين صعد المسيح جاءت روح
القدس إليه من السّماء في صفة حمامة، و ذلك بعد ثلاثين
عمره.

السابع: أن قولهم: إن المسيح نزل من السّماء و
حملت به مريم و سكن في رحبها مكذب بقول لوقا
الإنجيلي: إذ يقول في قصص الحوارين في الفصل الرابع
عشر منه: إن الله تعالى هو خالق العالم بما فيه، و هو ربّ
السّماء و الأرض لا يسكن الهياكل، و لا تناله أيدي
الرّجال، و لا يحتاج إلى شيء من الأنبياء، لأنّه الذي
أعطى النّاس الحياة، فوجدنا به، و حياتنا و حركاتنا
منه، فقد شهد لوقا بأنّ الباري و صفاته لا تسكن
الهياكل و لا تناله الرّجال بأيديها، و هذا يناقض كون
الكلمة سكنت في هيكل مريم، و تحوّلت إلى هيكل
المسيح.

الثامن: أن قولهم: إنّه بعد أن قُتل و صلب قام من
بين الأموات و صعد إلى السّماء و جلس عن يمين أبيه، من

روي عن مَنِّي التلميذ أَنَّهُ قال: إِنَّ المسيحَ عندَ ما ودَّعهم قال: اذهبوا وعودوا الأُمم باسمِ الأَب والابن وروح القدس، و من هنا جعلوا مفتاحَ الإنجيلِ ذلك، كما أَنَّ مفتاحَ القرآنِ «بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ» و يوهَم كلامُ بعضِ منَّا أَنَّ هذه التَّسميةَ نزلت من السَّماءِ كالبسملةِ عندنا، لأنَّا نقول - على تقديرِ صحَّةِ الرِّواية، و دونها خُطُ القناد - : يَحتمَلُ أن يَردَ بالأب: المبدأ، فإنَّ القديما كانوا يَستَونَ المبادئَ بالأبَاء، و من الابن: الرُّسول، و مِنِّي بذلك تَشرِيفًا و إكرامًا كما سَمَّيَ إبراهيمَ ﷺ خليلًا، أو باعتبارِ أَنهم يَستَونَ الأَمارِ أبناء، و قد رَووا عن المسيحِ ﷺ أَنَّهُ قال: إِنِّي ذاهِبٌ إلى أبي و أَيْبكم، و قال: لا تَطْوَا صدقاتكم قَدَامَ النَّاسِ لِتَراءَوهم فَإِنَّه لا يَكونَ لَكم أَجرٌ عندَ أَيْبكم الَّذي في السَّماءِ.

و رَما يَقال: إِنَّ الابنَ يَعبُني الحبيبُ أو نَحْوُه، و يَشيرُ إلى ذلك ما رَواه أَنَّهُ ﷺ قال عَقبَ وحيِّه وصى بها الحواريين: لَكي تَكونوا أبناءَ أَيْبكم الَّذي في السَّماءِ، و تَكونوا ثابِتِينَ، كما أَنَّ أباكم الَّذي في السَّماءِ تامٌّ، و يَرادُ بروحِ القُدس: جبريلُ ﷺ، و المعنى عَمَّدوا بِبركةِ الله تعالى و رُسولِه صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيهِ و سَلَّمَ و المَلِكِ المُوَيَّدِ لِلأنبياءِ عَلَيمِ الصَّلَاةِ و السَّلَامِ عَلى تَبلغِ أَوامِرِ رَبيهم.

و في «كُشف الغَيبِ» عَن الفَرقِ بَينَ البَسمَلَتين لِلشَّيخِ عبدِ الغَني السَّابِغِيِّ قُدسَ سرِّه: أَنَّ بَسمَلَةَ التَّصارِي مَشيَرَةٌ إلى ثَلاثِ حَضَراتٍ لِلأَمْرِ الإِلَهِيِّ الواحِدِ الأَحَدِ: الغَيبِ المَطلقِ، فالأَب إِشارةٌ إلى الرُّوحِ الَّذي هو أَوَّلُ مَخلُوقٍ لَهِ تَعَالَى كما في الخَبرِ، و هو المَستَوى بِالعَقلِ و القَلَمِ و الحَقِيقَةِ المُتَحدِيةِ، و يَضافُ إلى الله تَعَالَى فيقال:

قالوا: بَأَنَّ إلهَهم عيسى الَّذي

ذَرَّ الوجودَ عَلى الخَلِيقَةِ كَما

خَلَقَ أَنَّهُ قَبلَ المَحلُولِ بِبَطنِها

ما كانَ أَغنى ذاتَه عَن مِثْلِها

هل كانَ مَحتاجًا لِشَربِ لَبانِها

أو أَنَّ يَربِّي في مَواطنِ حَجرِها

جَعَلوهُ رَيا جَوهَرًا مَن جَوهَر

ذَهبوا لَما لا يَرتَضِيهِ أَوَّلو النَهي

قالوا: و جاء مِنَ السَّماءِ عَنايَةُ

لِخَلاصِ آدمَ مَن لَظاءَ و حَمرَها

قَد نَتابَ آدمَ تَوبَةُ مَقبُولَةٍ

فَضالَهم جَعَلَ القَضاءَ بِغَيرِها

لو جاءَ في ظِلِّ الفَمامِ و حَولِ

شَرقًا سَلائِكةُ السَّماءِ بِأسَرها

و فدى الَّذي بِيَدَيهِ أَحكامُ طَينِ

بِالمَغو عَن كُلِّ الأُمُورِ و سَترِها

نَعمَ اجِتابِها مَحبَبًا و مَفضَّلًا

و وقاه مَن غَيبِ النُّفُوسِ و سَترَها

كَسَنتَ تَحمِلُونَ الإِلهَ مَقامِ

فَما تَراءَ نَفُوسُكم مَن شَركِها

مَن غَيرَ أَنَّ يَحتاجُ في تَخلِيفِ

كُلِّ الخَلاتِقِ أَنَّ تَوبَهُ بِضَعرَها

و يَشيَنُ الأَعداءَ بِما لا يَرتَضِى

مَن كَيدِها و بِما دَهي مَن مَكرِها

هَذي أَسانِيتُهم و هَذا شَرحِها

اللهُ أَكَبَرُ مَن مَعايَ كَفرِها

نَعمَ عَلمُ أَنَّهُ لا حِجَّةَ لِلتَّصارِي الغائِلينَ بِالتَّثْلِيثِ بِما

علمت من الوجود المحض، إلخ. و المخلوق هو الصورة الظاهرة في الوجود، المنبسط على الحقائق المتعين بحسب ماهيته المدومة، ولا شيء من المجرّد عن الماهية المتعين بذاته بالمقرن بالماهية المتعين بحسبها، وما يشهد لذلك قول الشيخ الأكبر قدّس سرّه في الباب الثامن والخمسين والخمسة من «الفتوحات» في حضرة البديع بعد بسط: وهذا يدلّك على أنّ العالم ما هو عين الحق، و إنّما ظهر في الوجود الحق، إذ لو كان عين الحق ما صحّ كونه بديعاً، وقوله في هذا الباب أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَبْلُغُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ١٩، انفراد سبحانه بعلمها، ونبي العلم عن كلّ ما سواه، فأثبتك في هذه الآية وأعلمك أنّك لست هو، إذ لو كنت هو لعلمت مفاتيح الغيب بذاتك، وما لا تعلمه إلّا بموقف فلست عين الموقف، وكذا قال غير واحد.

و قال الشيخ شرف الدّين إسماعيل بن سودكين في شرح التّجليات، نقلاً عن الشيخ قدّس سرّه أيضاً: لما ظهرت الممكنات بإظهار الله تعالى لها، وتحقّق ذلك تحقّقاً لا يمكن للممكن أن يُزيل هذه الحقيقة أبداً، فهي متواضعة لكبرياء الله تعالى خاشعاً له، وهذه سجدة الأبد، وهي عبارة عن معرفة العبد بحقيقته.

ومن هنا يُعلم حقيقة قوله سبحانه: «كنتُ سمعاً و بصراً» الحديث، ولما لاح من هذا المشهد لبعض الضّغاء لائح قال: أنا الحقّ فسكر و صاح، ولم يتحقّق لغيرته عن حقيقته انتهى.

و أمّا أنّهم لم يقولوا بالانحقاد، فلأنّ الانحقاد إمّا بصيرورة الوجود المحض المجرّد، المتعين بذاته وجوداً

روح الله تعالى للتّشريف و التّظيم (نقطة الله) تعالى، و روح القدس إشارة إليه أيضاً باعتبار ظهوره بصورة البشر السّوّي النّافخ في درع مريم (عليها السلام)، والابن إشارة إلى عيسى (عليه السلام)، و هو ابن لذلك الرّوح باعتبار أنّ تكوّنه بسبب نفخه، و الأب هو الابن، و الابن هو روح القدس في الحقيقة، والغيب المطلق منزّه مقدّس عن هذه الثّلاثة، فإنّه سبحانه من حيث هو لا شيء معه، و لا يمكن أن يكون معه شيء، فبمسئلة الإنجيل من مقام الصّفات الإلهية و الأنساء الرّبّانية، لا من مقام الذات الأقدسية. ثمّ لا يتوهّم متوهّم أنّ كلمات ساداتنا الصّوفيّة قدّس الله تعالى أسرارهم تُدندن حول كلمات النّصارى، كما يزعمه من لا اطلاع له على تحقيق كلامهم، و لا ذوق له في مشربهم، و ذلك لأنّ القوم - نفعا الله تعالى بهم - مبرؤون عمّا نسبته المجهويون إليهم، من اعتقاد التجسيم و العينية و الانحقاد و الحلول.

أمّا أنّهم لم يقولوا بالتّجسيم فلما تقرّر عندهم من أنّ الحقّ سبحانه هو الوجود المحض بذاته القاسم بذاته المتعين بذاته، و كلّ جسم فهو صورة في الوجود المنبسط على الحقائق المعبر عنه بالماء، متعيّنة بمقتضى استعداد ماهيته المدومة، و لا شيء من الوجود المجرّد من الماهية، المتعين بذاته بالصّورة المتعيّنة في الوجود، المنبسط بمقتضى الماهية المدومة، فلا شيء من الجسم بالوجود المجرّد عن الماهية المتعين بذاته، و تنعكس إلى لا شيء من الوجود، المجرّد عن الماهية، المتعين بذاته بجسم و هو المطلوب.

و أمّا أنّهم لم يقولوا بالعينية، فلأنّ الحقّ تعالى هو ما

لكن يختلف الحكم، لأنه بواسطة هذا الجهل الذي كان مثل المرأة لتجليته، وكما يعلم عقلاً أنّ القمر في نفسه ليس فيه من نور الشمس شيء، وإنّ الشمس ما انتقلت إليها بذاتها وإِنَّمَا كان لها مجلى، كذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء، ولا حلّ فيه وإِنَّمَا هو مجلى له وخاصّة و مظهر له، انتهى.

و هذا نصّ في نفي الحلول، و منشأ غلط المجوبين، المنكرين عدم الفهم لكلام هؤلاء السادة، فنعم الله تعالى بهم على وجهه، و عدم التمييز بين الحلول و التجلي، و لم يعلموا أنّ كون الشيء مجلياً لشيء ليس كونه معلّلاً له، فإنّ الظاهر في المرأة خارج عن المرأة بذاته قطعاً، بخلاف الحال في محلّ فإنّه حاصل فيه، فالظهور غير الحلول، فإنّ الظهور في المظاهر للواسع القدوس يجامع التنزيه بخلاف الحلول، نعم وقع في كلامهم التعبير بالحلول، و مرادهم به الظهور.

و كان الأولى بحسب الظاهر عدم التعبير بمثل ذلك، و لكن للقوم أحوال و مقامات لا تصل إليها أفهامنا، و لعلّ عذرهم واضح عند المنصفين، إذا علمت ذلك و تحقّقت اختلاف التصارى في عقائدهم، فاعلم أنّه سبحانه إنّما حكى في بعض الآيات قول بعض منهم، و في بعض آخر قول آخرين، و حكاية دعواهم ألوهية مريم عليها السلام كدعواهم ألوهية عيسى عليه السلام، ممّا نطق بها القرآن و لم يشع ذلك عنهم صريحاً، لكن يلزمهم ذلك بناء على ما حقّقته الإمام الرّازي رحمه الله تعالى، و التصارى اليوم ينكرونه و الله تعالى أسدق الغالطين، و يمكن أن يقال: إنّ مدّعي ألوهيتها عليها السلام صريحاً طائفة

مقترباً بالماهية المدومة، متعيّناً بحسبها أو بالعكس، و ذلك محال بوجهيه لأنّ التجرد عن الماهية ذاتي للحقّ تعالى، و الاقتران بها ذاتي للممكن، و ما بالذات لا يزول.

و في كتاب «المعرفة» للشيخ الأكبر قدّس سرّه، إذا كان الاتحاد مصيّر الذاتين واحدة فهو محال لأنّه إن كان عين كلّ منهما موجوداً في حال الاتحاد فهما ذاتان و إن عدمت العين الواحدة و ثبتت الأخرى فليست إلّا واحدة، و قال في كتاب «الياء» و هو كتاب الاتحاد: محال، و ساق الكلام إلى أن قال: فلا اتحاد أبديّة لا من طريق المعنى و لا من طريق الصورة، و قال في الباب الخامس من الفتوحات خطاباً من الحقّ تعالى للروح الكليّ: و قد حببتك عن معرفة كيفية إبدادي لك بالأسرار الإلهيّة، إذ لا طاقة لك بحمل مشاهدتها، إذ لو عرفتها لأحدت الإيتيّة و اتحاد الإيتيّة محال، فشاهدتك لذلك محال، هل ترجع إيتيّة المركّب إيتيّة البسيط؟ لا سبيل إلى قلب الحقائق، و أمّا إنهم لم يقولوا بالحلول فلاّتهم فسروا الحلول تارة بأنّه الحصول على سبيل التبيّة، و تارة بأنّه كون الموجود في محلّ قائماً به، و من المعلوم أنّ الواجب تعالى - و هو الوجود المحض القائم بذاته المتصيّن كذلك - يستحيل عليه القيام بغيره.

قال الشيخ الأكبر قدّس سرّه في الباب الثّاني و التّسمين و متّين من الفتوحات: نور الشمس إذا تجلّى في البدر يطي من الحكم ما لا يعطيه من الحكم بغير البدر، لا شكّ في ذلك، كذلك الاقتدار الإلهيّ إذا تجلّى في العبد يظهر الأنفال عن الخلق، فهو و إن كان بالاقتدار الإلهيّ،

(١٨٧٦) مسيحية. فاطر إلى هذا التناقض و التسموية،
يعترفون بأن الثلاثة آلهة، ثم يناقضون قولهم و ينكرون
ذلك.

و نقل العلامة الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه
«إظهار الحق» عن صاحب «ميزان الحق» التصراني أنه
قال: نحن لا نقول: إن الله ثلاثة أشخاص أو شخص
واحد، بل نقول بثلاثة أقانيم في الوحدة. و بين الأقانيم
الثلاثة و ثلاثة أشخاص بعد السماء و الأرض، انتهى.

قال رحمة الله: و هذه مغالطة صرفة، لأن الموجود لا
يمكن أن يوجد بدون الشخص، فإذا فُرض أن الأقانيم
موجودون و ممتازون بالامتياز الحقيقي، كما صرح هو
بنفسه في كتبه، فالقول بوجود الأقانيم الثلاثة هو بينه
القول بوجود الأشخاص الثلاثة. على أنه وقع في
الصحيفة التاسعة و العشرين من كتاب الصلاة، الرابع
في كنيسة انكلترا، المطبوع سنة (١٨١٨م) ما ترجمته:
أثما الثلاثة المقدسون و المباركون و المألون منزلة، الذين
هم واحد، يعني ثلاثة أشخاص و إلهاً واحداً، فوقع فيه
ثلاثة أشخاص صريحاً، و كذلك مملوءة بعبارات
مصرحة بأن عيسى ابن الله، و أنه الله، و أن مريم أم الله و
زوجة الله. و يسجدون لها و لصورتها السجود المحرم في
كتبهم لغير الله، كما يسجدون لله. نسأله سبحانه و تعالى
الحفظ، و نعوذ به من الخذلان، و تسويلات الشيطان.

و لقد شئ الغليل الأستاذ الجليل الشيخ رحمة الله في
«إظهار الحق» فساق في الباب الرابع منه، إبطال التثليث
بالبراهين الدامغة و الحجج البالغة، كما رد عليهم من
المسلمين و ممن أسلم منهم عدد وافر بفوت المصدر. و

منهم هلك قديماً، كالأطفاة اليهودية التي تقول عَزَّير
ابن الله تعالى على ما قيل، ثم إنه سبحانه بالغ في زجر
القاتلين، و أردف سبحانه النبي بقوله عَزَّوَجَلَّ من
قائل: ﴿إِنْتَهُوا﴾ عن القول بالتثليث. (٦: ٢٦ - ٣٦)
القاسمي: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ أي الآلهة ثلاثة:
الله، و المسيح، و مريم. كما يُنبئ عنه قوله تعالى ﴿هَؤُلَاءِ نَتَّ
قُلْتُ لِلنَّاسِ الْمُحْذَرُونَ وَ أَمْسَى السَّهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.
المائدة: ١١٦.

و قد ذكر السيد عبد الله الهندي في مناظرته مع
قسيس الهند حكاية عن مُناظره، أنه حكى أن فرقة من
النصارى تسعى (كولى رى دينس) كانت تقول: الآلهة
ثلاثة: الأب و الابن و مريم. قال: و لعل هذا الأمر كان
مكتوباً في نسخهم، لأن القرآن كذبهم، انتهى.

أو التقدير: و لا تقولوا: الله ثلاثة أقانيم. و في
تعاليمهم المدرسية المطبوعة الآن ما نصه: أخص أسرار
المسيحية سرّ الثالوث، و هو إله واحد في ثلاثة أقانيم:
الأب و الابن و روح القدس. و الأب هو الله، و الابن هو
الله، و روح القدس هو الله. و ليسوا ثلاثة آلهة بل إله
واحد موجود في ثلاثة أقانيم، متساوين في الجوهري، و
متميزين فيما بينهم بالأقنومية، و ذلك لأن لهم جوهراً
واحداً و لاهوتاً ذاتاً واحدة، و ليس أحد هذه الأقانيم
الثلاثة أعظم أو أقدم أو أقدر من الآخرين، لكون الثلاثة
متساوية في العظمة و الأريّة و القدرة، و في كل شيء ما
عدا الأقنومية. و لا نقدر أن نفهم جيداً هذه الحقائق،
لأنها أسرار غائقة العقل و الإدراك البشري. انتهى
كلامهم في تعليمهم المدرسي، المطبوع في بيروت سنة

متشابهات في الإنجيل و ما قبله من الكتب، قد بينتها كلمات محكمات في الإنجيل و ما قبله. كلها تنطق بعبودية المسيح و عبادته لله وحده، و دعائه و تضرّعه. و لما كان أصل الذين هو الإيمان بالله و رسله، كان أسر الذين تسويد الله و الإقرار برسله، فأرباب التثليث في الوجدانية، و الاتحاد في الرسالة، قد دخل في أصل دينهم من الفساد ما هو بين بظرة الله التي خطر الناس عليها، و بكتب الله التي أنزلها، انتهى.

و قد اجتمع لديّ، بمحمد تعالى، حين كتابة هذه السطور عشرون مؤلفاً في الردّ عليهم. و كلها، و لله الحمد، مطبوعة منتشرة، فلا حاجة للإطالة بالثقل عنها، لسهولة الوقوف عليها.

قال المازديّ في «أعلام النبوّة»: فأما النصاريّ فقد كانوا - قبل أن تنصّر قسطنطين الملك - على دين صحيح، في توحيد الله تعالى و نبوّة عيسى عليه السلام. ثمّ اختلفوا في عيسى بعد تنصّر قسطنطين، و هو أوّل من تنصّر من ملوك الرّوم، أي لأنّ الرّوم كانوا صابئة، ثمّ قهرهم على التنصّر قسطنطين لما ملكهم. فقال أوائل السّطوريّة: إنّ عيسى هو الله، و قال أوائل اليعاقبة: إنّ ابن الله، و قال أوائل الملكانيّة: إنّ الآلهة ثلاثة، أحدهم عيسى. ثمّ عدل أواخرهم عن التصريح بهذا القول المستنكر، حين استنكرته النّسوس، و دفعته المقول، فقالوا: إنّ الله تعالى جوهر واحد، هو ثلاثة أقانيم: أقيوم الأب، و أقيوم الابن، و أقيوم روح القدس. و أنّها واحدة في الجوهرية، و أنّ أقيوم الأب هو الذات، و أقيوم الابن هو الكلمة، و أقيوم روح القدس هو الحياة، و اختلفوا في

قد انتشر، و لله الحمد، في ذلك مؤلّفات نافعة، بل ردّ عليهم فرق كثيرة منهم. فقد جاء في كتاب «الرأي الصواب و فصل الخطاب» للقسّ جبّارة ما صورته: إنّ المسيحيّين الموحّدين الذين ظهرُوا منذ (٨٠٠) سنة في أميركا، و لهم الآن ثلاثون كنيسة، و الدرجة الأولى في المعارف و المدارس و الاجتماعات الأدبيّة، و كذلك هم في انكلترا ثلاثون كنيسة و تأليف عديدة معيّنة، و يعتبرون القرآن كما يعتبرون الإنجيل و التّوراة كتباً إلهيّة، لا يؤمنون بتثليث الآلهة، أي إنّهم لا يعتقدون بكون السيّد المسيح أو الرّوح القدس هو إله حقيقيّ، كآله الواجب الوجود، بل يعتقدون أنّ الله وحده هو الإله الحقّ، انتهى.

و فيه أيضاً ما لفظه: كلّ الكتب المنزلة تعلّم بالوجدانية و تني تثليث الآلهة، أو كون الله ثلاثة. و تعلن صريحاً بأوضح العبارة: أنّ الله واحد أحد، و أنّه لا إله حقّاً سواه، انتهى.

و في كتاب «سوسة سليمان» ذكر فرق منهم متعدّدة صارت إلى إنكار ألوهيّة المسيح و الرّوح القدس. و هذا الكتاب ساق من فهم العتيقة و الحديثة و اختلافهم ما يقضي بالمعجب، ممّا يؤيد ما قاله المحافظ ابن كثير: من أنّ لهم آراء مختلفة و أقوالاً غير مؤتلفة، و لقد أحسن بعض المتكلمين، حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصاريّ لا فارقوا عن أحد عشر قولاً، انتهى.

قال شيخ الإسلام تقيّ الدّين بن تيمية في «الرسالة القبريّة»: فنفرّق النصاريّ في التثليث و الاتحاد تفرّقا، و تشبّها تشبّها لا يقربه عاقل و لم يبيّن نقل، إلّا كلمات

﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب: ٣، أي به الكفاية لمن عرفه وعرف سنته في خلقه إذا وكلوا إليه أمورهم، ولم يحاولوا الخروج عن سنته وشرائعه بسوء اختيارهم.

قلنا: إن هذه العقيدة وثنية، نقلها الوثنيون المنتصرون إلى النصرانية، وقسروا بعض الألفاظ الواردة في كتبهم اليهودية على أن تعطيهم شبهة يتكئون عليها في هذا التضييل، وأرغموها عليه بضرب من التحريف والتأويل، هذبوا به آيات التوحيد القوية البنيان، العالية الأركان. أمّا كون هذه العقيدة وثنية فقد بيّنه علماء أوربة بالتفصيل، وأتوا عليه بالشواهد الكثيرة من الآثار القديمة والتاريخ، وإتانا تشير إلى قليل منها في هذا المقام.

التعليط هند البراهمة

قال موريس في ص (٣٥) من المجلد السادس من كتابه «الآثار الهندية القديمة» ما ترجمته: كان عند أكثر الأمم الوثنية البائدة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي أو الثالوثي. وقال دوان في ص (٣٦٦) من كتابه «خرافات الثوراة وما يماثلها في الأدیان الأخرى»: إذا رجعنا البصر إلى الهند نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو الثلاثي. ويسمّون هذا التعليط بلفظهم «تري موري» وهي عبارة مركبة من كلمتين بلفظهم التسنكريتي «تري» ومعناها ثلاثة، و«موري» ومعناها هيات أو أقانيم، وهي «برهما وشنو وسيفا» ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة فهي إله واحد برعهم.

وقد شرح المؤلف معنى هذه الأصول أو الأقانيم

الأقانيم، فقال بعضهم: هي خواص، وقال بعضهم: هي أشخاص، وقال بعضهم: هي صفات، وقالوا: إن الكلمة اتحدت بميسى، واختلفوا في الاتحاد.

ثم قال: وليس لهذه المذاهب شبهة تقبلها العقول، وفسادها ظاهر في المعقول، وقوله تعالى: ﴿انْتَهَوْا﴾ أي عن الثلاثية.

رشيد رضا: أي فإذا كان الأمر كذلك وهو المعقول، الذي لا تحتمل غيره القول، فآمنوا بالله إيماناً يليق به وهو أنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. تنزه عن صفات الحوادث، ونسبتها إليه واحدة، وهي أنها مخلوقة وهو الخالق، ومملوكة وهو المالك، وأن هذه الأرض في مجموع ملكه أقل من حبة رمل بالنسبة إلى الياض منها، ومن نقطة ماء بالنسبة إلى بحارها، فمن الجهل الفاضح أن يجعل له ندّ وكفواً فيها، أو يقال: إنه حلّ أو اتحد بشيء منها، وآمنوا برسله كلّهم، كما يليق بهم، وهو أنهم عبيد له، خصهم بضرب من العلم والهداية (الوحي) ليُعلموا الناس كيف يوحّدون ربهم ويعبدونه ويشكرونها، وكيف يزكّون أنفسهم، ويصلحون ذات بينهم. ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، أو: الله ثلاثة أقانيم، كلّ منها عين الآخر، فكلّ منها إله كامل، ومجموعها إله واحد. فسفّهُوا أنفسهم بترك التوحيد الخالص الذي هو ملّة إبراهيم وسائر الأنبياء ﷺ، والقول بالثلاثية الذي هو عقيدة الوثنيين الطغام، ثم تدعوا الجمع بين الثلاثية الحقيقي والتوحيد الحقيقي، وهو تناقض عُجِّلَ العقول ولا تقبله الأفهام. [إلى أن قال:]

هذه الأفعال إلهًا، وجعلوا أسماء الصفات أسماء ألقابهم و ذوات، ولما كانوا ناقلين بالتواتر كلمة التوحيد وأن الله إله واحد قالوا: **إِنَّ الثَّلاثَةَ وَاحِدٌ**، وكل واحد منها عين الثلاثة. وسرت هذه العقيدة إلى غيرهم من الوثنيين في الشرق والغرب.

وللهنود تماثيل للوحدة والتثليث رأيت واحدًا منها في دار العاديات التي بنتها الحكومة الهندية الإنكليزية في ضواحي مدينة بنارس - المقدسة عند البراهمة - وهو تمثال واحد له ثلاثة وجوه. ولله هو الذي قال عنه موريس في ص (٣٧٢) من المجلد الرابع من كتابه «آثار الهند القديمة»: لقد وجدنا في أنقاض هيكل قديم قوضه مرور القرون صما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، والمقصود منه الرمز للثلاث.

التثليث عند البوذيين

قال مستر فابر في كتابه «أصل الوثنية»: كما نجد عند الهنود نالوثًا مؤلفًا من برهما وشنو وسيفا، نجد عند البوذيين نالوثًا، فإتيم يقولون: **إِنَّ (بوذا) إله له ثلاثة ألقاب**. وكذلك بوذيو (جينست)، يقولون: **إِنَّ (جيفا) مثلث الألقاب** (قال): **والصينيتون** يعبدون بوذا ويستونونه (فو)، ويقولون: **إِنَّهُ ثلاثة ألقاب** كما تقول الهنود. وذكر رمزهم (أ.و.م)

وقال دونان في ص (١٧٢) من كتابه خرافات «التوراة الخ»: وأنصار لاوكونمذا الفيلسوف الصيني المشهور - وكان قبل المسيح بأربع سنين وست مئة (٦٠٤) يدعون «شيعة تاووه»، ويعبدون إلهًا مثلث الألقاب. وأساس فلسفته اللاهوتية أن «تاووه» هو

عندهم، وذكر أنهم يرمزون إليها بثلاثة أحرف وهي (أ.و.م)، وأنهم يصفون هذا الثالوث المقدس الذي لا ينقسم في الجوهر ولا في الفعل ولا في الاتحاد بقولهم: «برهما الممثل لمبادئ التكوين والخلق ولا يزال خلأًا إلهيًا، وهو (الأب)، وشنو يمثل حفظ الأشياء المكونة (أي من الزوال والفساد) وهو (الابن) المنبثق والمتحول عن اللاهوتية، وسيفا هو المهلك والمبني والمبدئ والمعيد - أي الذي له التصرف والتحويل في الكون - و هو (روح القدس). ويدعوونه: (كرشنا) الربّ الخالص والروح العظيم الذي ولد منه (شنو) الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس. فهو أحد الألقاب الثلاثة التي هي الإله الواحد. إلى آخر ما قال.

ومنهم أنهم يرمزون للأقنوم الثالث بصورة حمامة، وهذه عين عقيدة النصارى في التثليث من كل وجه فهي عقيدة برهمية وثنية، أخذها النصارى عن البراهمة وصاروا يدعونهم أخيرًا إلهيم.

وكان منتهى شوط أحد اليسوعيين في التفرقة بينها أن ثالوث البراهمة وأمثالهم نجس و ثالوث النصارى مقدس! فإذا قال لهم الوثنيون: الأمر بالعكس، فارجعوا إلى الأصل ودعوا المبتدع، فإذًا يمجّونهم؟

والذي يظهر لي أن التوحيد هو أصل عقيدة البراهمة وأن أول رسول أرسل إليهم وصف لهم الإله بثلاث صفات هي التي تظهر بها حقيقة الألوهية وهي: ١ - ما به الخلق والإيجاد، ٢ - الحفظ والإمداد، ٣ - التصرف والتغيير في عالم الكون والفساد. فلما طال عليهم الأمد و دبّت إليهم الوثنية جعلوا لكل فعل من

بلا توارثاً بهذه العقيدة الوثنية وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين (بل بقرون)، ولم تكن تعلم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام.

أقول: الذي يظهر لي أن الرسل الذين أرسلهم الله إلى المصريين وأمثالهم من القائلين بمثل قولهم هذا كانوا يقولون لهم: إن كل شيء خلق بكلمة الله، فلما طال عليهم الأمد وسرت إليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالإرادة والاختيار فقالوا ما قالوا: والحق أنها عبارة عن تعلق إرادة الله الواحد الأحد بالشيء الذي يريد خلقه، ومتى تعلقت إرادته بخلق شيء كان كما أراد ﴿لَمَّا أَفْوَهَ إِذَا أَوَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢. فلو لم يكن عندنا من إعجاز القرآن إلا بيان هذه الحقيقة التي ضلّت بها الأمم من أقدمها كالهنود والمصريين إلى أحدثها قبل الإسلام كالتصاري لكفى في الاستدلال على أنه من عند الله، فإنه بين لنا خلال تلك الأمم، والأصل المعقول المقبول الذي يتفق مع التوحيد الذي نقل عنهم أجمعين، فتجلى بذلك دين الله إلى جميع رسله نقيًا من أدراك الشرك ونزغات الشياطين.

التثليث عند الفرس وغيرهم من أهل آسية

قبال هيجين في ص (١٦٢) من كتابه «الانكلوسكسون»: كان الفرس يدعون مقروسا: الكلمة

(١) هذه العبارة كالجملة الأولى التي افتتح بها يوحنا إنجيله بلافرق.

المعل الأول الأزلي انبثق منه واحد، ومن الثاني انبثق ثالث، وعن هذا الثالث انبثق كل شيء. وهذا القول بالتوحد والائتاق أدهش العلامة موريس لأن قائله وثني.

التثليث عند قدماء المصريين

قال دوان في ص (٤٧٣) من كتابه المشار إليه آنفاً: وكان قسيو هيكل مغيب بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الذين يقولهم: إن الأول خلق الثاني و هما خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس. و سأل تولى ملك مصر الكاهن تيتشوكي أن يخبره: هل كان قبله أحد أعظم منه و هل يكون بعده أحد أعظم منه؟ فأجاباه الكاهن نعم يوجد من هو أعظم و هو الله قبل كل شيء ثم الكلمة و معها روح القدس، وهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة و هم واحد بالذات، و عنهم صدرت القوة الأبدية، فاذهب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة. قال المؤلف: لا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس «كلمة» هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالمسيحية. و «أبولو» المدفون في (دهلي) يدعي «الكلمة». و في علم اللاهوت الإسكندري الذي كان يعلمه (بلاطو) قبل المسيح بسنين عديدة «الكلمة هي الإله الثاني» و يدعي أيضاً ابن الله البكر.

و قال بونويك في ص (٤٠٢) من كتابه «عقائد قدماء المصريين»: أغرب عقيدة عمّ انتشارها في ديانة المصريين هي قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها منبثقة من الله، وأنها هي الله (١)، وكان

ذو ثلاثة أقانيم.

وجاء في كتاب «ترقي الأفكار الدينية» ص (٣٠٧) (١) أن اليونانيين: كانوا يقولون إن الإله مثلث الأقانيم، وإذا شرع قسيههم بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرّات (إشارة إلى الثالوث)، ويرشون المجتمعين حول المذبح ثلاث مرّات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع، ويعتقدون أن الحكاء قالوا: إنه يجب أن تكون جميع الأشياء المقدسة مثلثة، ولهم اعتناء بهذا العدد في جميع شعائرهم الدينية.

أقول: وقد اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم هذه الشعائر كلّها ونسخت بها شريعة المسيح التي هي التوراة، ويستون أنفسهم مع ذلك مسيحيين ويعلمون كلّ شيء باسم المسيح؛ فهل ظلم أحد من البشر بالانقياد عليه كما ظلم المسيح ﷺ؟ لا، ونقل دوان عن أورفيوس أحد كتاب اليونان وشعرائهم قبل المسيح بعدة قرون أنه قال: «كلّ الأشياء صنمها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم».

وقال فسك في ص (٢٠٥) من كتاب «الخرافات ومخترعوها»: كان الرومانيون الوثنيون القدماء يؤمنون بالثالوث: يؤمنون بالله أولاً ثمّ بالكلمة ثمّ بالروح.

وقال بارخورست في القاموس الصغرى: كان للفلنديين «البرابرة الذين كانوا في شمال بروسية» إله اسمه «تريكلاف» وقد وجد له تمثال في «هروتو نجر برج» له ثلاثة رؤوس على جسد واحد. أقول: تريكلاف مركّب من كلمة «تري» ومعناها ثلاثة وكلمة «كلاف» ولعلّ معناها إله.

والوسيط ومخلص الفرس. وقال مثل هذا دونلاب وبنصون. وقال دوان في كتابه الذي ذكر غير مرّة: كان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود، ويسمونها أوزمرد ومترات وأهرمن - فأوزمرد الخلاق، ومترات ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمن الملك. أقول: وقد بيّنت أنّ أصل هذا الاعتقاد، وكيف سرى إليه الفساد. والمشهور من مجوس الفرس الثنية دون الثلث، فكانوا يقولون بإله مصدر الثور والخير، وإله مصدر الظلمة والشر.

ونقل عن الكلدانيين والآشوريين والفينيقيين الإيمان بالكلمة على أنّها ذات تعبد، ويسمونها الكلدانيون (ممار) والآشوريون (مردوخ)، ويدعون مردوخ ابن الله البكر، وهكذا الأمم يأخذ بعضها عن بعض. وقد قال برتشرّد في ص (٢٨٥) من كتابه «خرافات المصريين الوثنيين»: لا يخلو شيء من الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع الثلث أو التولّد الثلاثي. ونقول: إنّ أديان أسلافه الغربيين كذلك، فإن لم تكن أعرق في الوثنية. فهم تلاميذ الشرقيين فيها، ولا سيما المصريين منهم، ولكنهم هم الذين شوّها الديانة المسيحية الشرقية فنقلوها من التوحيد الإسرائيلي إلى الثلث الوثني.

الثلث عند أهل أوربة اليونان والرومان وغيرهم

جاء في كتاب «سكان أوربة الأولين» ما ترجمته: كان الوثنيون القدماء يعتقدون أن الإله واحد ولكنّه

وسلب أموالهم لتكون جميع لذات الدنيا وشهواتها وزينتها وعظمتها خالصة لهم. فهل جاء المسيح لهذا، وبهذا أمر أم بضده؟

والله إني لأرى من عجائب أطوار البشر وقلوبهم للحقائق ولبسهم الحقّ بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية في الأرض: ديانة بنيت على أساس التوحيد الخالص المعقول جعلوها ديانة وثنية بتثليث غير معقول، أخذوه من تثليث اليونان والرومان المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة اقتباسًا مشوّهاً - ديانة شريعة ساويرة، نسخوا شريعتهما بمرمتها وأطلوها، واستبدلوا بها بدعًا وتقاليد غريبة عنها - ديانة زهد وتواضع وتقشف وإيثار وعبودية، جعلوها ديانة طمع وجشع وكبرياء وترف وأنثرة واستعباد للبشر - ديانة أصولها التي هم عليها مقتبس من الوثنية الأولى لم يرد كلمة تدلّ على عقيدتها عن أنبياء بني إسرائيل ولكنهم زعموا أنّها مستمدة من جميع كتب أنبياء بني إسرائيل، ديانة نسبوها إلى المسيح ﷺ وليس عندهم نصّ في كلامه في أصول عقيدتها التي هي التثليث، ولما بقي عندهم نصوص قاطعة من كلامه في حقيقة التوحيد والتّزويه وإبطال التثليث وعدم المساواة بين الأب والابن الذي أطلق لفظه مجازًا عليه وعلى غيره من الأبرار، على أنّه كان يعبر عن نفسه في الأكثر ب«ابن الإنسان».

لو لم يكن عندهم من التّصوص في هذه العقيدة إلّا مارواه يوحنا في الفصل السابع عشر من إنجيله لكني وهو قوله ﷺ: (٣) وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك

وقال دوان في ص (٣٧٧) من كتابه: كان الإسكندناويون يعبدون إلهًا مثلث الأفعانيم يدعونها أودين وتورا وفري. ويقولون: هذه الثلاثة الأفعانيم إله واحد. وقد وجد صنم يمثل الثالوث المقدّس بمدينة «أوسال» من أسوج وكان أهل أسوج ونروج والدّمارك يفاخر بعضهم بعضًا في بناء الهياكل لهذا الثالوث. وكانت تكون جدران هذه الهياكل مصفّحة بالذهب ومزينة بتماثيل هذا الثالوث. ويصورون «أودين» بيده حسام و«تورا» واقفًا عن شماله وعلى رأسه تاج ويده صولجان، و«فري» واقفًا عن شمال «تورا» وفيه علامة الذّكر والأُنثى. ويدعون أودين الأب، وتورا الابن البكر - أي ابن الأب أودين - وفري مانح البركة والنّسل والسّلام والنفى.

أقول: فهل ترك الأوربيون أديانهم الوثنية إلى دين المسيح ﷺ الذي هو التّوراة المبينة على أساس التوحيد الخالص، أم ظلّوا على وثنيّتهم وأدخلوا فيها شخص المسيح وجعلوه أحد آلهتهم التي كانوا يعبدون من قبل...؟؟ إنهم نقلوا عنه أنّه ما جاء لينقض التّاموس «شريعة موسى» ولما جاء ليتمّها، ولكن مقدّسهم بولس نقضها حجرًا وحجرًا ولبنة لبنة إلّا ذبيحة الأصنام والدّم المسفوح والزنا الذي لا عتاب عليه عندهم فأراحهم ومهد لهم السّبيل لتأسيس دين جديد لا يتفق مع دين المسيح ﷺ في عقائده ولا في أحكامه ولا في آدابه، وأبعد الناس عن دين المسيح الإفرنج الذين بدلوا الملايين من الدنانير لتصوير البشر كلّهم باسم المسيح وغرضهم من ذلك استبعاد جميع البشر بإزالة ملكهم

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا إِلَٰهُهُ﴾
الأعراف: ١٨٧.

ولو كان هؤلاء النصارى يقبلون نصوص إنجيل
برنابا لأتيناهم بشواهد منه على التوحيد مؤيدة
بالبراهين العقلية والثقلية على أن المسيح بشر رسول قد
خلت من قبله الرسل وليس بعدا فيهم، وناهيك
بالفصل الرابع والستين منه الذي يحتج به المسيح بما أتى
الله الأنبياء من الآيات على أن الآيات لاتنفي البشرية
والعبودية لله تعالى، وبالفصل الخامس والستين الذي
يحتج فيه بأقوال الأنبياء في التوحيد وأنه تعالى خلق كل
شيء بكلمته وأنه يرى ولا يرى، وأنه غير متجسد و
غير مركب و غير متغير، وأنه لا يأكل ولا يشرب
ولا ينام. ثم قال: «١٩ فإني بشر منظور وكنته من طين
تمشي على الأرض وفان كسائر البشر، ٢٠، وأنه كان لي
بداية وسبكون لي نهاية، وإني لأقدر أن أبدع خلق
ذبابه».

وحسبنا ما كتبناه هنا في مسألة التثليث الآن، وسنقي
بقية مباحثها إلى تفسير سورة المائدة. (١: ٨٦)
المراغي: ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة: الأب والابن
وروح القدس، أو الله ثلاثة أقانيم، كل منها عين الآخر،
وكل منها إله كامل، وبمجموعها إله واحد.

فإن في هذا تركا للتوحيد الذي هو ملّة إبراهيم
وسائر الأنبياء، وأتباعا لمقيدة الوثنيين، والجمع بين
التثليث والتوحيد تناقض تحيله العقول، ولا يقبله
أولو الألباب. (١: ٣٠)
نحوه الطباطبائي. (٥: ١٥٠)

أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته
فبين أن الله تعالى هو الإله وحده وأنه هو رسوله، وهذا
هو الذي دعا إليه القرآن، وكان يجب أن يكون أساس
عقيدتهم يرد إليه كل ما يوهم خلافه ولو بالتأويل،
لأجل المطابقة بين المعقول والمنقول.

ونقل مرقس في الفصل الثاني عشر من إنجيله أن
أحد الكتبة سأله عن أول الوصايا، قال: «٢٩ فأجابه
يسوع أول الوصايا اسمع يا إسرائيل الربّ إلهنا ربّ
واحد إلخ.. - ٣٢ فقال له الكاتب جيدا: يا معلم بالحقّ
قلت لأنه واحد وليس آخر سواه.. - ٣٤ فلما رأى
يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيدا عن ملكوت
السموات» فلم من هذا أن التوحيد الخالص هو العقيدة
المعقولة التي تؤخذ على ظاهرها بلا تأويل، فإن فرضنا
أنه ورد ما ينافيها، وجب ردّه أو إرجاعه إليها.

وروى يوحنا عنه في الفصل الأول من إنجيله أنه
قال: «٢٨ الله لم يره أحد قطّ» ومثله في الفصل الرابع من
رسالة يوحنا الأولى «١٢ الله لم ينظره أحد قطّ» وفي
الفصل السادس من رسالة بولس الأولى إلى أهل
نيونتاوس «١٦ لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه»
وقد رأى الناس المسيح والروح القدس.

وروى مرقس في الفصل الثالث عشر من إنجيله أنه
قال في الساعة ويوم القيامة مانصه: «٣٢ وأما ذلك اليوم
وتلك الساعة فلم يعلم بها أحد ولا ملائكة الذين في
السماء ولا الابن إلا الأب» فلو كان الابن عين الأب
لكان يعلم كل ما يعلمه الأب. وقوله ^{١٢} في القيامة
موافق لقول الله سبحانه في القرآن خطابا لخاتم رسله ﷺ

التثليث، وعدم صحة ألوهية المسيح ﷺ، وهذه النقاط هي:

١- لقد حصرت الآية بنوة السيد المسيح ﷺ بمریم ﷺ وإشارة البنوة - هذه الواردة في ستة عشر مكاناً من القرآن الكريم - إنما تؤكد أن المسيح ﷺ هو إنسان كسائر الناس، خلق في بطن أمه، ومر بدور الجنين في ذلك الرحم، وفتح عينيه على الدنيا حين ولد من بطن مریم ﷺ، كما يولد أفراد البشر من بطون أمهاتهم، ومر بفترة الرضاعة وترقى في حجر أمه، مما يثبت بأنه امتلاك كل صفات البشر، فكيف يمكن - وحالة المسيح ﷺ هذه - أن يكون إلهاً أزلياً أبدياً، وهو في وجوده محكوم بالظواهر والقوانين المادية الطبيعية، ويتأثر بالتحويلات الجارية في عالم الوجود؟! وعبارة المحصر التي هي (إنما) الواردة في الآية تحصر بنوة المسيح ﷺ بمریم ﷺ، وتؤكد على أنه وإن لم يكن له والد، فليس معنى ذلك أن أباه هو الله، بل هو فقط ابن مریم ﷺ.

٢- تؤكد الآية الكريمة أن المسيح ﷺ هو رسول الله ومبعوث إلى البشر من قبله سبحانه وتعالى، وأن هذه المنزلة - أي منزلة النبوة - لا تتناسب ومقام الألوهية. والمجدير بالذكر هو أن معظم كلام المسيح ﷺ الوارد قسم منه في الأنجيل المتداولة في الوقت الحاضر، إنما يؤكد نبوته وبعثه هداية الناس، وليس فيه دلالة على ادعائه الألوهية والربوبية.

٣- تبين الآية أن عيسى المسيح ﷺ هو كلمة الله التي أتى ألقاها إلى مریم ﷺ، حيث تقول: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

مكارم الشيرازي: أسطورة التثليث الوهمية:

تتطرق هذه الآية والآية التي تليها إلى واحد من أهم انحرافات الطائفة المسيحية، وهذا الانحراف هو اعتقاد المسيحيين بالتثليث، أي وجود آلهة ثلاثة، وبأنّي التطرق إلى هذا البحث في سياق البحوث القرآنية التي وردت في الآيات السابقة، عن أهل الكتاب والكفار.

فهذه الآية تحذر في البداية أهل الكتاب من المغالاة والتطرف في دينهم، وتدعوهم أن لا يقولوا على الله غير الحق؛ حيث تقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾ النساء: ١٧١.

لقد كانت قضية الغلو في حق القادة السابقين إحدى أخطر منابع الانحراف في الأديان السماوية، فالإنسان بما أنه يميل إلى ذاته يندفع بهذا الميل إلى إظهار زعمائه وقادته بصورة أكبر مما هم عليه، لكي يُضفي على نفسه الأهمية والعظمة من خلال هؤلاء القادة، وقد يدفع الإنسان التصور الواهي بأن الإيمان هو المبالغة والغلو في احترام وتظيم القادة، إلى الوقوع في مناهات هذا النوع من الانحراف الزهيب.

والغلو في أصله يطوي على عيب كبير يغدو المنصر الأساسي للدين - الذي هو عبادة الله وتوحيده - ولهذا السبب فقد عامل الإسلام الغلاة أو المغالين بعنف وشدة؛ إذ عرفت كتب الفقه والمقائد هذه الفئة من الناس بأنهم أشد كفراً من الآخرين.

بعد ذلك تشير الآية الكريمة إلى عدة نقاط، يعتبر كل واحد منها في حد ذاته دليلاً على بطلان قضية

إلى مزمير النساء: ١٧١.

وقد وردت عبارة: «كَلِمَةً» في وصف المسيح في عدد من الآيات القرآنية، وهذه إشارة إلى كون المسيح مخلوقاً بشرياً، إذ أن الكلمات مخلوقة من قبل الله، كما أن الموجودات في الكون من مخلوقاته هز وجل، فكما أن الكلمات تبين مكونات أنفسنا - نحن البشر - وتدل على صفاتنا وأخلاقنا، فإن مخلوقات الكون تحكي صفات خالقها وجماله، وتدل على جلاله وعظمته.

وعلى هذا الأساس فقد وردت عبارة «كَلِمَةً» في عدد من العبارات القرآنية، لتشمل جميع مخلوقات الله، كما في الآية (١٠٩) من سورة الكهف والآية (٢٩) من سورة لقمان، ويدعي أن الكلمات الإلهية تتفاوت بعضها عن البعض في المنزلة والأهمية، وعيسى عليه السلام يعتبر إحدى كلمات الله البارزة الأهمية، لكونه ولد من غير أب، إضافة إلى كونه يتمتع بمقام الرسالة الإلهية.

٤- تشير الآية إلى أن عيسى المسيح عليه السلام هو روح مخلوقة من قبل الله، حيث تقول: «وَوُضِعَ مِنْهُ» وهذه العبارة التي وردت في شأن خلق آدم - أو بعبارة أخرى خلق البشر أجمعين - في القرآن الكريم، إنما تدل على عظمة تلك الروح التي خلقها الله تعالى وأودعها في أفراد البشر بصورة عامة، وفي المسيح عليه السلام وسائر الأنبياء بصورة خاصة.

وعلى الرغم من أن البعض أساء الاستفادة من هذه العبارة، وفسرها بأن المسيح عليه السلام هو جزء من الله سبحانه وتعالى، مستنداً إلى عبارة (مِنْهُ) ولكن الواضح في مثل هذه الحالات أن كلمة «مِنْ» ليست للتبويض بل

تدل على مصدر ومنشأ، وأصل وجود الشيء.

وهناك طريقة تاريخية تذكر أنه كان هارون الرشيد طبيب نصراني، دخل يوماً في نقاش مع «علي بن الحسين الواقدي» الذي كان أحد المفكرين الإسلاميين في ذلك العصر، فقال له هذا الطبيب: «توجد في كتابكم السماوي آية تبين أن المسيح عليه السلام هو جزء من الله...» وتلا هذا النصراني الآية موضوع البحث، فرد عليه «الواقدي» مباشرة قائلاً هذه الآية: «وَسَخَّرَ لَكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ...» المجانية: ١٣، وأضاف مبيهاً أن كلمة (مِنْ) لو كانت تفيد التبويض، لاحتضى ذلك أن تكون جميع موجودات السماء والأرض - بناء على هذه الآية - جزء من الله، فلما سمع الطبيب النصراني كلام الواقدي أسلم في الحال، وسر إسلامه هارون الرشيد، فكافأ الواقدي بمجازاة مناسبة.

إن ما يثير العجب - إضافة إلى ما ذكر - هو أن المسيحيين يرون ولادة المسيح من أم دون أب دليلاً على ألوهيته، وهم ينسون في هذا الجبال أن آدم عليه السلام كان قد ولد من غير أب، ولأنهم، ولم ير أحد هذه النخبة الموجودة في آدم دليلاً على ربوبيته.

بعد ذلك تؤكد الآية على ضرورة الإيمان بالله الواحد الأحد وبأنبيائه، ونبي عقيدة الثلاث، مبشرة المؤمنين، بأنهم إن نبذوا هذه العقيدة فيكون ذلك خيراً لهم؛ حيث قالت الآية: «فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَّكُمْ...» النساء: ١٧١.

وتعيد الآية التأكيد على وحدانية الله قائلة: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ...» النساء: ١٧١، وهي تحاطب

وقد خلقت هذه القضية - التي لها حدان متناقضان - مشكلة كبيرة للمفكرين والباحثين المسيحيين.

فلو كان المسيحيون مستعدين لقبول مسألة التوحيد بأنها «مجازية» وقبول مسألة التثليث بأنها مسألة «حقيقية» أو قبول العكس، لأمكن تبرير هذا الأمر، ولكنهم يرون الحقيقة في الجمع بين هذين المتناقضين، فيقولون: إن الثلاثة واحد كما يقولون إن الواحد ثلاثة في نفس الوقت.

وما يلاحظ من ادعاء في الكتابات التبشيرية الأخيرة للمسيحيين، والتي توزع للناس الجهلاء، من أن التثليث شيء مجازي، إنما هو كلام مشوب بالزراء، ولا يتلاءم مطلقاً مع المصادر الأساسية للمسيحية، كما لا يتفق مع الآراء والمعتقدات الحقيقية للمفكرين المسيحيين.

ويواجه المسيحيون هنا قضية لا تتفق مع العقل، فالمعادلة التي افترضوا فيها أن $1 = 3$ لا يقبلها حتى الأطفال الذين هم في مرحلة الدراسة الابتدائية، ولهذا السبب ادعوا أن هذه القضية لا تتناسب بمقياس العقل، وطلبوا الإذعان بها عبر مأسو به بالزوية التعبدية القلبية.

وكان هذا التناقض منشأ للتباعد المحاصل لديهم بين الدين والعقل، وسبباً لجرح الدين إلى مناهات خطيرة، الأمر الذي اضطّرهم إلى القول بأن الدين ليس له صلة بالعقل، أو ليس فيه الطابع العقلائي، وأنه ذو طابع تبدي محض.

وهذا هو أساس التناقض بين الدين والعلم في منطق

المسيحيين، لأنهم حين يدعون التثليث يقبلون - أيضاً - بوحداية الله، فلو كان الله ولد لوجب أن يكون شبيهه، وهذه حالة تناقض أساس الوحداية.

فكيف - إذن - يمكن أن يكون الله ولد، وهو منزه من نقص الحاجة إلى زوجة أو ولد، كما هو منزه من نقائص التجسيم وأعراضه؟ تقول الآية: «شِبْهَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَدٌّ...» النساء: ١٧١، والله هو مالك كل ما في السماوات وما في الأرض، والموجودات كلها مخلوقاته وهو خالقها جميعاً، والمسيح عليه السلام - أيضاً - واحد من خلق الله، فكيف يمكن الادعاء بهذا الاستثناء فيه؟ وهل يمكن المملوك والمخلوق أن يكون أبناً للمالك والمخالق؟! حيث تؤكد الآية: «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...» النساء: ١٧١، والله هو المدبر والمحافظ والزائر والزاعي لمخلوقاته، تقول الآية: «وَكُنِّي بِمَا هُوَ وَكَيْلًا» النساء: ١٧١.

والحقيقة هي أن الله الأزلي الأبدى الذي يرعى جميع الموجودات منذ الأزل إلى الأبد لا يحتاج مطلقاً إلى ولد، فهل هو كسائر الناس لكي يحتاج إلى ولد يخلقه من بعد الموت؟

عقيدة التثليث أكبر خرافة مسيحية

ليس في الانحرافات التي نورط بها العالم المسيحي أكبر من انحراف عقيدة التثليث، لأن المسيحيين يعتقدون صراحة بالتألول الإلهي، وهم في نفس الوقت يصرحون بأن الله واحد! أي أنهم يرون الحقيقة في التثليث والتوحيد في آن واحد.

وفي هذه الحالة، أي دليل يوجب على الإنسان أن يعبد الله ولا يعبد الأصنام؟ وأي دليل يدعو المسيحيين إلى التبشير لديهم لا للأديان الأخرى؟

ومن هذا المطلق فإن الخصائص التي يراها المسيحيون لدينهم ويصرون على دعوة الناس للقبول بها، هي بحد ذاتها دليل على أن الدين يجب أن يُعرف بمطلق العقل، وهذا يناقض دعواهم حول قضية التثليث التي يرون فيها انفصال الدين عن العقل.

وليس هناك كلام يستطيع تحطيم الدين أشد وأقبح من أن يقال: إن الدين لا يمتلك طابعاً عقلانياً ومطلقاً، وأنه ذو طابع تعبدى محض.

٣- إن الأدلة العديدة التي يستشهد بها - في مجال إثبات التوحيد، ووحدانية الذات الإلهية - ترفض كل أنواع التثنية أو التثليث - فالله سبحانه وتعالى هو وجود مطلق لا يُحدّ بالمجهاث، وهو أزلي أبدي لا حدود لعلمه ولقدرته ولقوته.

ويدهي أنه لا يمكن تصوّر التثنية في الالتهائي^(١)، لأنّ فرض وجود لامتناهين يجعل من هذين الالتهيين متاهيين ومحدودين، لأنّ وجود الأول يفترق إلى قدرة وقوة وجود الثاني، كما أنّ وجود الثاني يفترق إلى وجود وخصائص الأول، وعلى هذا الأساس فإنّ كلا الوجودين محدودان.

المسيحية، فالعلم يحكم بأنّ الثلاثة لاتساوي الواحد، والمسيحية المعاصرة تصرّ على أنّها متساويان!

ويجب الالتفات هنا إلى عدّة نقاط حول هذا الاعتقاد المسيحي:

١- لم يشر أيّ من الأنابيل في الوقت الحاضر إلى مسألة التثليث، لذلك يعتقد الباحثون المسيحيون أنّ مصدر التثليث في الأنابيل خفيّ وغير بارز، وفي هذا المجال يقول الباحث الأمريكي المستر هاكس: «إنّ قضية التثليث تُعتبر في المهددين القديم والجديد خفية وغير واضحة». (القاموس المقدّس - ص: ٣٤٥، طبعة بيروت).

وذكر المؤرّخون أنّ قضية التثليث قد برزت بعد القرن الثالث الميلاديّ لدى المسيحيين، وإنّ منشأ هذه البدعة كان الغلو من جانب، واختلاط المسيحيين، بالأقوام الأخرى من جانب آخر.

ويرى البعض احتمال أن يكون مصدر التثليث عند المسيحيين وارداً من عقيدة التالوث الهندي، أي عبادة الهنود للآلهة الثلاثة^(٢).

٢- إنّ قضية التثليث القائلة بأنّ الثلاثة واحد تعتبر أمراً غير معقول أبداً، ويرفضها العقل بالبداهة، والشّيء الذي نعرفه هو أنّ الدين لا يمكنه أن يكون منفصلاً عن العقل والعلم، فالعلم الحقيقيّ والدين الواقعيّ كلاهما متّفقان ومتناسقان دائماً - ولا يمكن القول بأنّ الدين أمر تعبدى محض - لأننا لو أزعنا العقل جانباً عند قبول مبادئ الدين وأذهنا للعبادة العمياء الصّماء، فلانطبق لدينا ما يميّز به بين الأديان المختلفة.

(١) انظر دائرة المعارف للقرن العشرين (الفريد وجدي) في مادة «التالوث»...

(٢) استمالة خاطف شاع عند البعض حديثاً، وهو إدخال «آله التثريف على الحرف «لا» الشافية...» والصحيح تفسير ذلك إلى: غير المتناهي، وغير المحدود.

وليس أدلّ على ذلك من رفض هذا الأمر من قبل أيّ إنسان لم ينشأ في محيط مسيحيّ ولم يقرب منذ طفولته على هذه التعليلات الوهمية المخاططة؛ حيث تولّد مثل هذه التماييز المخافية لما تلمحه الفطرة الإنسانيّة، والمخالفة لما يحكم به العقل البشريّ، تؤكّد السّخط والاضمحراز لدى هذا الإنسان حين سماعه لها، وإذا كان المسيحيّون أنفسهم لا يرون بأساً في كلمات مثل «الله الأب» و«الله الابن» فما ذلك إلّا لأنّهم جيلوا على هذه التعلاليم المخاططة منذ نعومة أظفارهم.

٥ - لوحظ في السنين الأخيرة أنّ جماعة من المبشرين المسيحيّين يلجؤون إلى أمثلة سفسطائيّة من أجل خداع الجهلاء من الناس، في قبول قضية التثليث. من هذه الأمثلة قولهم: إنّ اجتماع التوحيد والتثليث ممّا يمكن تشبيهه بقرص الشّمس والثور والحمرارة الثّابعتين من هذا القرص؛ حيث إنّها ثلاثة أشياء في شيء واحد.

أو تشبيههم ذلك بانعكاس صورة إنسان في ثلاث مرايا في آن واحد، فهذا الإنسان مع كونه واحداً إلّا أنّه يظهر وكأنّه ثلاثة في المرايا الثلاث، كما يشبهون التثليث بالمثلث الذي له ثلاث زوايا من الخارج، ويقولون: بأنّ هذه الزوايا لو مدّت من الدّاخل لوصلت كلّها إلى نقطة واحدة.

لكنّا بالتأمّن قليلاً في هذه الأمثلة يتبيّن لنا أنّ لاصلة لها بموضوع بحثنا الحاضر، فقرص الشّمس شيء ونورها شيء آخر، والثور الذي يتكوّن من الأشمة فوق الحمرارة يختلف عن الحمرارة التي تتكوّن من الأشمة دون

وبعبارة أخرى: إنّنا لو افترضنا وجود لامتناهين من جميع الجهات، فلا بدّ حين يصل اللّامتناهي الأوّل إلى تخوم اللّامتناهي الثّاني ينتهي إلى هذا الحدّ، كما أنّ اللّامتناهي الثّاني حين يصل إلى حدّ اللّامتناهي الأوّل ينتهي هو أيضاً، وعلى هذا الأساس فإنّ كليهما يكونان محدودين، ولا تنطبق صفة على أيّ منهما بل هما متناهيان محدودان، والنتيجة هي أنّ ذات الله - الذي هو وجود لامتناه - لا يمكن أن تقبل التعدّد أبداً.

وهكذا فإنّنا لو اعتقدنا بأنّ الذات الإلهيّة تتكوّن من الأقسام الثلاثة، لا يستلزم أن يكون كلّ من هذه الأقسام محدوداً. ولا تصحّ فيه صفة اللّاحدود واللامتناهي، وكذلك فإنّ أيّ مركّب في تكوينه محتاجاً إلى أجزائه التي تتكوّن، فوجود المركّب يكون معلولاً لوجود أجزائه.

وإذا افترضنا التّركيب في ذات الله لزم أن تكون هذه الذات محتاجة أو معلولة لمعلّة سابقة، في حين أنّنا نعرف أنّ الله غير محتاج، وهو العلّة الأولى لعالم الوجود، وعلّة الملل كلّها منذ الأوّل وإلى الأبد.

٤- وبالإضافة إلى كلّ ما ذكر، كيف يمكن للذات الإلهيّة أن تتحدّد في هيكل إنسانيّ لتصبح محتاجة إلى الجسم والمكان والغذاء واللباس وأمنائها؟

إنّ فرض الحدود لله الأوّل الأبدّي، أو تجسّده في هيكل إنسان، ووضعه جنيّاً في رحم أمّ، يعتبر من أقيع التّهم التي تلصق بذات الله المقدّسة المخزّعة عن كلّ النقائص، كما أنّ افتراض وجود الابن لله - وهو يستلزم عوارض التّجسيم المختلفة - إنّما هو افتراض غير منطقيّ، وبعبارة العقل بعبارة مطلقة.

سبحانه. وعلى هذا الأساس فلا يمكن أن تتطابق نظرية التثليث المسيحية بالنظرية الصوفية القائلة بوحدة الوجود بأي شكل من الأشكال، علماً بأن النظرية الصوفية هذه قد دحضت وبان بطلانها.

٦- يقول بعض المسيحيين أحياناً: إنهم حين يستمن المسيح ﷺ به ابن الله، إنما يفعلون ذلك كما يفعل المسلمون في تسمية سبط الرسول ﷺ الحسين بن عليّ ابن أبي طالب ﷺ به تارة الله وابن تارة، أو كالتسمية التي وردت في بعض الروايات لعليّ بن أبي طالب ﷺ حيث سمي فيها بـ «ابن الله»، وهؤلاء المسيحيون يفسرون كلمة «تارة» بأنها تعني الدم، أي أنّ العبارة الواردة في الحسين الشهيد ﷺ تعني «دم الله وابن دمه». إن هذا الأمر هو عين الخطأ:

أولاً: لأنّ العرب لم تطلق كلمة التّار أبداً، لتعني بها الدم، بل اعتبرت التّار دائماً غطاء للدم، ولذلك فإنّ معنى العبارة أنّ الله هو الذي يأخذ من دم الحسين الشهيد، وأنّ هذا الأمر منوط به سبحانه وتعالى، أي أنّ الحسين ﷺ لم يكن ملكاً أو تائباً لعشيرة أو قبيلة معينة لتطالب بدمه، بل هو يخصّ العالم والبشرية جمعاء ويكون تائباً لعالم الوجود وذات الله المقدّسة، ولذلك فإنّ الله هو الذي يطالب ويأخذ من دم هذا الشهيد، فإنّ الحسين هو ابن عليّ بن أبي طالب ﷺ الذي استشهد في سبيل الله، والله هو الذي يطالب ويأخذ من دمه أيضاً.

الحمرء، وهذه الأشياء الثلاثة تختلف الواحدة منها عن الأخرى من حيث النظرة العلمية، وهي ليست مجموعها شيئاً واحداً من خلال هذه النظرة.

وإذا صحّ القول بأنّ هذه الأشياء الثلاثة شيء واحد، إنما يكون ذلك من باب التسامح، أو التعبير المجازي ليس إلّا.

والأوضح من ذلك مثال الجسم والمرايا الثلاث، فالصورة الموجودة في المرايا عن الجسم ليس إلا انعكاساً للثور، وبدعيّ أنّ انعكاس الثور عن جسم معين غير ذات الجسم، وعلى هذا الأساس فليس هناك أيّ اتحاد حقيقيّ أو ذاتيّ بين الجسم وصورته المنعكسة في المرآة، وهذه قضية يدركها حتى الدارس المبتدئ لعلم الفيزياء. أمّا في مثال الثلث فالأمر واضح كما في المثالين السابقين؛ حيث إنّ زوايا الثلث المتعددة لاحتلاقة لها بالبداهة بالامتداد الداخليّ الحاصل للزوايا، والذي يوصلها جميعاً إلى نقطة واحدة.

والذي يثير العجب أكثر من ذلك، هو محاولة بعض المسيحيين المستشرقين مطابقة قضية «التوحيد في التثليث» مع نظرية «وحدة الوجود» التي يقول بها الصوفيون^(١). والأمر الواضح من غير دليل في هذا الجمل، هو أنّنا لو قبلنا بالنظرية الخاطئة والمنحرفة القائلة بوحدة الوجود، لاقترضنا ذلك ممّا أن نذعن بأنّ كلّ موجودات العالم أو الكون هي جزء من ذات الله سبحانه وتعالى، بل الإذعان بأنّها هي عين ذاته.

وعند ذلك لا يبق معنى للتثليث، بل تصبح جميع الموجودات - صغيرها وكبيرها - جزءاً أو مظهرًا لله

(١) المراد بوحدة الوجود عند الصوفية، هي وحدة الوجود، ويستدلّون بها على أنّ الوجود ليس أكثر من واحد يظهر في صور مختلفة، وأنّ هذا الواحد هو الله.

قالوا: ثالث ثلاثة، وطائفة منهم قالوا: هو الله.

(الْعُرُوسِي ١: ٦٥٩)

الفَرَّاء: يكون مضافاً، ولا يجوز التثوين في (ثَالِث)

فتنصب الثلاثة، وكذلك [لو] قلت: واحد من اثنين، وواحد من ثلاثة، ألا ترى أنه لا يكون ثانياً لنفسه ولا ثالثاً لنفسه. فلو قلت: أنت ثالث اثنين، لجاز أن تقول: أنت ثالث اثنين، بالإضافة، وبالتثوين ونصب الاثنين وكذلك لو قلت: أنت رابع ثلاثة جاز ذلك، لأنه فعل واقع. (٣١٧: ١)

الطَّبْرِي: وهذا أيضاً خبر من الله تعالى ذكره، عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل، أنه لما ابتلاهم بعد حسابهم أنهم لا يثبتون ولا يثبتون، قالوا كفراً برّبهم وشركاً: الله ثالث ثلاثة.

وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق البقويّة والملكيّة والسطورية، كانوا - فيما بلغنا - يقولون: الإله القديم جوهر واحد، يعمّ ثلاثة أقانيم: أباً والدّاً غير مولود، وابناً مولوداً غير والدٍ، وزوجاً متّحدةً بينها، يقول الله تعالى ذكره مكدّماً لهم فيما قالوا من ذلك:

﴿وَمَآئِنِ إِلَهِ إِلَهِ وَاحِدٌ﴾ يقول: ما لكم معبوداً غيركم إلا معبود واحد، وهو الذي ليس بوالدٍ لشيءٍ،

ولامولود، بل هو خالق كل والدٍ ومولود. (٣١٣: ٦)

الرَّجَاج: معناه أنهم قالوا: الله أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة. ولا يجوز في ثلاثة إلا الجبر، لأنّ المعنى أحد ثلاثة. فإن قلت: زيد ثالث اثنين أو رابع ثلاثة، جاز الجبر والتّصّب. فأما التّصّب فعلى قولك: كان

وثانياً: حين يعبر في بعض الأحيان عن بعض أولياء الله بعبارة «يد الله» فإنّ هذا التعبير حكماً من باب التشبيه والكناية والجاز، ليس إلا.

فهل يميز أيّ مسيحيّ نفسه أن يقال في عبارة «ابن الله» الواردة عندهم في حقّ المسيح عليه السلام أنها ضروب من الجاز والكناية؟ بدعيّ أنه لا يقبل ذلك، لأنّ المصادر المسيحيّة الأصليّة اعتبرت صفة البنوّة لله سبحانه منحصرة بالمسيح عليه السلام وحده وليس في غيره، واعتبروا تلك الصّفة حقيقةً لاجمaziّة، وما يبادر إليه بعض المسيحيّين من الادّعاء بأنّ هذه الصّفة هي من باب الكناية أو الجاز، إنّما هو من أجل خداع البسطاء من الناس.

ولا يوضح هذا الأمر نحيل القارئ إلى كتاب «القاموس المقدّس» في مادة «الله» حيث يقول هذا الكاتب: بأنّ عبارة «ابن الله» هي واحدة من ألقاب منجي ومخلص وفادي المسيحيّين. وأنّ هذا اللقب لا يطلق على أيّ شخص آخر إلا إذا وجدت قرائن تبيّن بأنّ المقصود هو ليس الابن الحقيقيّ له^(١). (٤٨٣: ٣)

٣- لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. المائدة: ٧٣

ابن عباس: وهي مقالة المرقسية يقول: أب، وابن، وروح قدّس. (٩٨)

الإمام الباقر عليه السلام: أمّا المسيح فصوه وعظموه في أنفسهم حتى زعموا أنّه إله وأنّه ابن الله، وطائفة منهم

يَنْتَهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ... (٢: ٢١٣)
نحوه البَرْسُيَّ (٢: ٦٣)، والشَّرْبِينِيَّ (١: ٣٨٨)،
والْبَرْسُيَّ (٢: ٤٢٣).

ابن عَطِيَّة: هذه الآية إخبار مؤكد كالذي قبله،
وهو عن هذه الفقرة الناطقة بالتثنية، وهي فيا يقال:
الملكيّة وهم فرق منهم السّطورية وغيرهم، ولا معنى
لذكر أحوالهم في كتاب تفسير، إمّا الحقّ أنّهم عن
اختلاف أحوالهم كفّار، من حيث جعلوا في الألوهيّة
عددًا، ومن حيث جعلوا لميسى عليه السلام حكمًا إلهيًا.

(٢: ٢٢١)
الفَخْرُ الرَّازِيّ: إنّ المتكلمين حكوا عن النصارى
أنّهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أب، وابن،
وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كما أنّ الشّمس
اسم يتناول القرص والشّعاع والحرارة. وعنوا بالأب:
الذّات، وبالابن: الكلمة، وبالسّروح: الحياة، وأنبتوا
الذّات والكلمة والحياة، وقالوا: إنّ الكلمة التي هي كلام
الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر واختلاط
الماء باللّبن، وزعموا أنّ الأب إله، والابن إله، والسّروح
إله، والكلّ إله واحد.

واعلم أنّ هذا معلوم الجلال ببدية العقل. فإنّ
الثلاثة لا تكون واحدًا، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى
في الدّنيا مقالة أنّها فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة
النصارى. (١٢: ٥٩)

نحوه الثّيسابوريّ. (٧: ٦)
أبو البقاء: أي أحد ثلاثة، ولا يجوز في مثل هذا إلّا
الإضافة. (١: ٤٥٣)

القوم ثلاثة فرقتهم، وأنا رابعهم غدًا، أو رابع الثلاثة غدًا.
ومن جرّ فعل حذف التّونين، كما قال عزّ وجلّ: ﴿هَذَانِ
بَالِغُ الْأَعْتَابِ﴾ المائدة: ٩٥. (٢: ١٩٦)

الطّوسيّ: وهذا قسم آخر من الله بأنّه كفر من
قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ والقائلون بهذه المقالة هم
جمهور النصارى من الملكانيّة، واليعقوبيّة، والسّطوريّة،
لأنّهم يقولون: أب، وابن، وروح القدس إله واحد،
ولا يقولون: ثلاثة آلهة. ويؤمنون من العبارة، وإن كان
يلزمهم أن يقولوا: إنّهم ثلاثة آلهة. وما كان هكذا صحّ أن
يُحكى بالعبارة اللاّزمة. وإنّا قلنا: يلزمهم، لأنّهم
يسفولون: الابن إله، والأب إله، وروح القدس إله.
والابن ليس هو الأب. ومعنى ﴿ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ أحد ثلاثة.
(٣: ٢٠٢)

نحوه الطّبرسيّ (٢: ٢٢٨)، والقرطبيّ (٦: ٢٤٩)
الواحديّ: قالت النصارى: الإلهيّة مشتركة بين الله
ومريم وعيسى، وكلّ واحد من هؤلاء إله، والله أحد
ثلاثة آلهة. يبيّن هذا قول الله تعالى للمسيح: ﴿هَذَا نَتِ
قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المائدة:
١١٦.

ولابدّ أن يكون في الآية إخبار واختصار، لأنّ المعنى
أنّهم قالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة آلهة، فنُحذف ذكر الآلهة،
لأنّ المعنى مفهوم، ولا يكفر من يقول: إنّ الله ثالث ثلاثة
إذ لم يرد به الآلهة، لأنّه مامن اثنين إلّا والله ثالثهما بالعلم،
كقوله تعالى: ﴿عَايَنُوا مِنْ تَحْتِى ثَلَاثَةَ إِلَٰهٍ هُوَ رَبُّهُمْ﴾
المجادلة: ٧. والذي يبيّن أنّهم أرادوا بالثلاثة: الآلهة،
قوله في الرّدة عليهم: ﴿وَعَايَنُوا إِلَٰهَ الْإِلَٰهِ وَاحِدًا وَرَأَوْا

قيل: إنهم يقولون: إن الإلهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم، وكل واحد من هؤلاء إله، ويؤكد قوله تعالى للمسيح: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِيَّ حَتَّى مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ الْمَسَاءَةَ ١١٦﴾. فقوله تعالى: ﴿ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ أي أحد ثلاثة آله، وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَآئِنِ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. (٢: ٣٠٥)

نحوه الآلوسي.
القاسمي: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ أي أحد ثلاثة آله، بمعنى واحد منها، وهم الله ومريم وعيسى.

قال بعضهم: كانت فرقة منهم تسمى «كولي رى دينس» تقول: الآلهة ثلاثة: الأب والابن ومريم. وجاء في كتاب «علم اليقين»: أن فرقة منهم تسمى «المُرَيْتِينَ» قال: يعتقدون أن المريم والمسيح إلهان. قال: وكذلك البربرانيون وغيرهم، انتهى.

وأسلمنا عن ابن إسحاق أن نصارى نجران، منهم من قال بهذا أيضاً.

أو المعنى: أحد ثلاثة أقانيم، كما اشتهر عنهم. أي هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح القدس. وزعموا: أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد، كما قدّمنا عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نِسَاءً ١٧١﴾.

قال الرازي رحمه الله: واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإنّ الثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة. ولا يرى في الدنيا مقالة أشدّ فساداً وأظهر ظلماً من مقالة النصارى، انتهى.

التفسير: أي ثالث ثلاثة آله، والإشكال أنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة: ٧٣، وقال في الثانية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

والجواب: أن بعض النصارى كانوا يقولون: كان المسيح بينه هو الله، لأن الله ربما يتجلى في بعض الأزمان في شخص، فتجلى في الوقت في شخص عيسى، ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله، وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة: الله ومريم والمسيح، وأنه ولد الله من مريم. (ومِنْ) في قوله: ﴿وَمَآئِنِ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ للاستغراق، أي وماله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية، لاثنائي له، وهو الله وحده لا شريك له. (١: ٢٩٥)

أبو حيان: [نحو الفخر الرازي وأضاف]: ولا يجوز في العربية في (ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ) إلا الإضافة، لأنك لا تقول: ثَلَاثُ الثَلَاثَةِ. وأجاز النصب في الذي يلي اسم الفاعل الموافق له في اللفظ أحمد بن يحيى ثعلب، وردّه عليه، جعلوه كاسم الفاعل مع العدد الخالف، نحو رابع ثلاثة، وليس مثله إذ تقول: رُبعت الثلاثة أي صيرتهم بك أربعة. (٣: ٥٣٥)

أبو الشعود: شروع في بيان كفر طائفة أخرى منهم، ومعنى قولهم: ثالث ثلاثة ورابع أربعة، ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً، لا لثالث والرابع خاصّة، ولذلك منع الجمهور أن يُصَبَّ ما بعده بأن يقال: ثالث ثلاثة ورابع أربعة، وإنما ينصبه إذا كان ما بعده دونه بمرتبة، كما في قولك: عاشر تسعة وتسع ثمانية.

سَادُسُهُمْ» المجادلة: ٧، أي إلّا هو مصيرهم أربعة ومصيرهم ستة. ويجوز حينئذ إضافته وإعماله، كما يجوز الوجهان في جاعل ومصير، ونحوهما. وناظر تنمّة الأوجه.

وبما ذكرناه يُعَلِّمُ رَدَّ ما ذهب إليه الجاسمي في «شرح الكافية» من اعتبار الصّفة في نحو (ثالث ثلثة) حيث قال في شرح قول ابن الحاجب: «ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ» أي أحدها. لكن لا مطلقاً، بل باعتبار وقوعه في المرتبة الثالثة. قال: وإلّا يلزم جواز إرادة الواحد الأول من عاشر العشرة، وذلك مستبعد جداً، انتهى.

فكتب عليه بعض المحققين مانعته: الظاهر من عبارة «التوضيح» ومن كلام المصنّف أنّه لا يعتبر الوقوع في المرتبة الثانية أو الثالثة وهكذا... إذ يعد في الآيتين كون المراد به «ثَانِي اثْنَيْنِ» التسوية: ٤٠، «وَتَالِثٌ ثَلَاثَةً» المائدة: ٧٣، كونه في المرتبة الثانية أو الثالثة بل المراد أنّه بعض تلك العدة، بلا نظر لكونه في المرتبة الثانية أو الثالثة. إلّا أن يكون هذا باعتبار الوضع، وإن كان الاستعمال بخلافه. ولذا كتب العلامة عبد الحكيم على قوله: «وذلك مستبعد جداً» أي عند العقل، وإلّا فالاستعمال بخلافه، انتهى... (٢٠٩٨: ٦)

رشيد رضا: أكّد تعالى بالقسم أيضاً كفر الذين قالوا: إنّ الله الذي هو خالق السماوات والأرض وما بينهما ثالث أقانيم ثلاثة، وهي الأب والابن وروح القدس.

قال ابن جرير: «وهذا قول كان عليه جماهير التصاري قبل افتراق العقوبة والمكانية والسطورية»

وقد صُنِّفَتْ عدّة مصنفات في تزييف معتقدهم هذا، وهي شهيرة متداولة، والحمد لله.

اتَّفَقَ النُّحَاةُ واللُّغَوِيُّونَ على أنّ معنى قولهم: ثالث ثلاثة ورابع أربعة... ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً، لا الوصف بالثالث والرابع.

وفي «التوضيح وشرحه»: لك في اسم الفاعل الموصوغ من لفظ اثنين وعشرة وما بينهما أن تستعمله على سبعة أوجه:

أحدها: أن تستعمله مفرداً عن الإضافة، ليفيد الانصاف بمناه، فتقول: ثالث ورابع، ومعناه حينئذ واحد موصوف بهذه الصّفة، وهي كونه ثالثاً ورابعاً.

الوجه الثاني: أن تستعمله مع أصله الذي صيغ هو منه، ليفيد أنّ الموصوف به بعض تلك العدة المحتبئة لا غير؛ فتقول: خامس خمسة، أي واحد من خمسة لازائد عليها، ويجب حينئذ إضافته إلى أصله، كما يجب إضافة البعض إلى كلّ، كي زيد، قال تعالى: «إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ» التسوية: ٤٠، وقال تعالى: «ثَلَاثَةٌ كَفَرُوا قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» المائدة: ٧٣.

وزعم الأخفش وطُرب والكسائي وتعلّب أنّه يجوز إضافة الأول إلى الثاني، ونسبه لثاء، فلي هذا يجوز ثالث ثلاثة بجزر «ثلاثة» ونسبها، كما يجوز في «ضارب زيد».

الوجه الثالث: أن تستعمله مع مادون أصله الذي صيغ منه بمرتبة واحدة، ليفيد معنى التّصيير، فتقول: هذا رابع ثلاثة، أي جاعل الثلاثة بنفسه أربعة، قال تعالى: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

[إلى آخر ما تقدّم عنه].

الإله من عبارة: لإله إلا إله واحد، لأنّ (من) بعد (ما) تفيد استغراق التّبي وشموله لكلّ نوع من أنواع المستعدّ وكلّ فرد من أفرادها، فليس ثمّ تعدّد ذوات وأعيان، ولا تعدّد أجناس أو أنواع، ولا تعدّد جزئيات أو أجزاء. والتّصارى قد اقتبسوا عقيدة التّثليث عنّ قبلهم ولم يفهموها، وعقلاؤهم يتمنّون لو يقدرون على التّصّفي منها، ولكنّهم إذا أنكروها بعد هذه الشّهرة تبطل ثقة العامة بالتّصاريّة كلّها. كما قال أحد عقلاء القسوس لبعض أهل العلم المصريّ من الشّبان السّوريّين.

ومن الضّريب أنّهم يعترفون بأنّ هذه العقيدة لا تعقل، ولكنّ بعضهم يحاول تأنيس التّفوس بها، بضرب أمثلة لا تصدق عليها، ككون الشّمس مركّبة من الجرم المشتعل والثّور والحمرّة، قال الشّيخ ناصيف اليازجي:

نحن التّصارى آل عيسى المنتمي

حسب التّائس للسّبوتة مريم

فهو الإله ابن الإله وروحه

فثلاثة في واحد لم تقسم

للأب لاهوت ابنه وكذا ابنه

وكذاها والزّوج تحت تقمّ

كالشّمس يظهر جبرها بشعاعها

وبحرّها والكلّ شمس فاعلم

فهو يقول: إنّ رهبهم جوهر له أعراض كسانر

المجواهر والأجسام، ولكنّ العرض ليس عين الذات.

فحرارة الشّمس ليست شمساً، ولاهي عين الجرم

فكان هو وكثير من المفسّرين والمؤرّخين المتقدّمين يرون - بحسب معرفتهم بحال نصارى زمنهم وما يرون عنّ قبلهم - أنّ الذين يقولون من التّصارى: إنّ إلههم ثالث ثلاثة، هم غير الفرقة الّتي تقول منهم: إنّ الله هو المسيح بن مريم، وأنّ ثمّ فرقة ثالثة تقول: إنّ المسيح هو ابن الله وليس هو الله، ولثالث ثلاثة.

وأما التّصارى المتأخّرون فالَّذي نعرفه منهم وعندهم أنّهم يقولون بالثلاثة الأقانيم، وبأنّ كلّ واحد منها عين الآخر، فالأب عين الابن وعين روح القدس. ولما كان المسيح هو الابن كان عين الأب وروح القدس أيضاً.

ومن العجيب أنّ بعض متأخّري المفسّرين ينقلون أقوال من قبلهم في أمثال هذه المسائل ويقرّونها، ولا يبحثون عن حال أهل زمنهم، ولا يشرحون حقيقة عقيدتهم. وقد سبق لنا بيان عقيدة التّثليث، وكون التّصارى أخذوها عن قدماء الوثنيّين، فارجع إلى تفسير ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ في أوّخر سورة النساء «ص: ٨٦ - ٩٥ ج: ٦ تفسير» وبينّا قُبيلها عقيدة الصّلب والفداء «ص: ٢٣ - ٥٥ ج: ٦ تفسير» ثمّ بيّنا عقيدة التّثليث في تفسير الآية (١٩) من هذه السّورة «ص: ٧ - ٣٢ ج: ٦ تفسير».

قال تعالى رداً عليهم: ﴿وَعَايِنِ إِلَهُ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي قالوا قولهم هذا بلا رويّة ولا بصيرة، والحال أنّه ليس في الوجود ثلاثة آلهة ولا ثلثان ولا أكثر من ذلك، لا يوجد إله ما إلا إله متّصف بالوحدانيّة، وهو الله الّذي لا تركيب في ذاته ولا تعدّد، وهذه العبارة أشدّ تأكيداً لنفي تعدّد

الموعاخي: أي أقسم إن هؤلاء الذين ادّعوا أن الله هو المسيح بن مريم، قد كفروا وضلّوا ضلالاً بعيداً، إذ هم في إطرائه ومدحه غلوا أشد من غلو اليهود في الكفر به وتحقيره، وقولهم عليه وعمل أنه الصّديقة بيتنا عظيمًا. وقد صارت هذه المقالة هي العقيدة الشّائعة عندهم، ومن عدل عنها عدّ مارقاً من الذين. فقالوا: إن الإله مركّب من ثلاثة أصول يستوون: الأقانيم الثلاثة، وهي الأب والابن وروح القدس. فالمسيح هو الابن، والله هو الأب. وقد حلّ الأب في الابن واتّحد به، فكوّن روح القدس، وكلّ واحد من هذه الثلاثة عين الآخرين. وخلاصة ذلك: الله هو المسيح والمسيح هو الله، كما يزعمون.

ثم ذكر أن المسيح يكذبكم في ذلك، فعكس عنه: «وَقَالَ الْمَسِيحُ يَأْتِي إِسْرَءِيلُ بِأَنْتُمْ أَغْبُؤُوا اللَّهَ زَهْيً وَزَيْكُمُ» المائدة: ٧٢، أي والحال أن المسيح قال لهم ضد ما يقولون، فقد أمرهم بعبادة الله وحده، معترفاً بأنّه ربّه وربّهم، ودعا بني إسرائيل الذين أرسل إليهم إلى عبادة الله وحده، ولا يزال هذا الأمر محفوظاً في الأنجيل التي كتبت ليان بعض سيرته، في إنجيل يوحنا: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي» وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته فدين المسيح مبنّى على التوحيد المحض، وهو دين الله الذي أرسل به جميع رسله.

وفي هذه المقالة تنبيه إلى ماهو الحقّة القاطمة على فساد قول التّصاري، لأنّه لا يفرّق بين نفسه وغيره في أن دلائل المحدث ظاهرة على الجمع.

ولاعين الضّوء. فإذا لا يصح أن يكون الابن وروح القدس عين الأب! وقد أورد صاحب «إظهار الحق» الحكاية الآتية، في بيان تخبطهم في هذه المسألة، قال: «نقل أنه تنصّر ثلاثة أشخاص وصلّهم بعض القسيسين العقائد الصّوريّة سيّما عقيدة الثّلاثيّة. وكانوا في خدمته، فجاء محبّ من أحبّاء هذا القسيس وسأله عن تنصّره، فقال: ثلاثة أشخاص تنصّروا، فسأل هذا المحبّ: هل تعلّموا شيئاً من العقائد الصّوريّة؟ فقال: نعم، وطلب واحداً منهم ليرى محبّه، فسأله عن عقيدة الثّلاثيّة، فقال: إنك علّمتني أن الآلهة ثلاثة، أحدهم الذي هو في السّماء، والثاني الذي تولّد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمامة على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة. فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم وسأله، فقال: إنك علّمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلّ واحد منهم فالباقي إلهان. فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكياً بالنسبة إلى الأوّلين وحريصاً في حفظ العقائد فسأله، فقال: يامولاي حفظت ما علّمتني حفظاً جيّداً، وفهمت فهمًا كاملاً، بفضل السيّد المسيح: أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، وصلّ واحد منهم ومات، فأت الكلّ لأجل الاتحاد، وإلاّ الآن، وإلاّ يلزم نفي الاتحاد.

أقول: لا تنصير للمسؤولين، فإنّ هذه العقيدة يحبط فيها الجهلاء هكذا، ويتعير عليها وهم، ويعترفون بأنّها معتقدهم ولا تفهم، ويعجزون عن تصويرها وبيانها.

وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَيْنُ الْآخَرِ، فَالْأَبُ عَيْنُ الْإِبْنِ
وعَيْنُ رُوحِ الْقُدُسِ، وَلَمَّا كَانَ الْمَسِيحُ هُوَ الْإِبْنُ كَانَ عَيْنُ
الْأَبِ وَرُوحُ الْقُدُسِ أَيْضًا، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا سَلَفَ أَنَّ
النَّصَارَى أَخَذُوا عَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ مِنْ قَدَمَاءِ الْوَيْثِيِّينَ.

(١٦٥: ٦)

مُحَمَّدُ جَوَادُ مَغْنِيهِ: (ثَالِثُ) خَبَرُ (إِنَّ) وَ(ثَلَاثَةُ)
بِمُرُورِ الْإِضَافَةِ، وَلَا يَجُوزُ (ثَلَاثَةُ) بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ
مَفْعُولٌ لَ(ثَالِثُ) كَمَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: ضَارِبٌ زَيْدًا،
عَلَى أَنْ يَكُونَ زَيْدٌ مَفْعُولًا لَ(ضَارِبِ). لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي
(ثَلَاثَةُ)؛ إِذْ يَصِيرُ الْمَعْنَى الثَّالِثُ جَعَلَ الثَّلَاثَةَ ثَلَاثَةً، وَهَذَا
بَاطِلٌ وَغَيْرُ مُرَادٍ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الْمُرَادَ وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ،
لَا جَاعِلَ الثَّلَاثَةَ ثَلَاثَةً. أَجَلٌ، إِذَا قُلْتَ: رَابِعٌ ثَلَاثَةً، يَجُوزُ
أَنْ تَجْزَأَ «ثَلَاثَةً» بِالْإِضَافَةِ، وَأَنْ تُنْصِبَهَا مَفْعُولًا لِرَابِعٍ،
عَلَى مَعْنَى جَاعِلِ الثَّلَاثَةَ أَرْبَعَةً. [إِنَّ أَلْ قَالَ:]

أَنْكَرَ سَيِّحَانَهُ عَلَى النَّصَارَى أَوَّلًا تَأْيِيهِ السَّيِّدِ
الْمَسِيحِ ﷺ، ثُمَّ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَعْلَهُمُ اللَّهَ
وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَبُ، وَالْمَسِيحُ هُوَ
الْإِبْنُ، ثُمَّ حَلَّ الْأَبُ فِي الْإِبْنِ وَاتَّحَدَ بِهِ فَكَوَّنَ رُوحَ
الْقُدُسِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ هُوَ عَيْنُ الْآخَرِ،
وَهُوَ غَيْرُهُ.

وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ (١٧) مِنْ
هَذِهِ السُّورَةِ، وَالْآيَةِ (١٧١) مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ.

(١٠٣: ٣)

الطَّبَّاطَبَانِيُّ: «ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» أَيُّ أَحَدِ الثَّلَاثَةِ:
الْأَبُ وَالْإِبْنُ وَالرُّوحُ، أَيُّ هُوَ يُنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ
الثَّلَاثَةِ، وَهَذَا لَازِمٌ قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْأَبَ إِلَهٌ، وَالْإِبْنَ إِلَهٌ،

وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمُ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، أَتَبَهُ
بِالتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْوَعِيدِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ مَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ
وَمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» الْمَائِدَةُ: ٧٢، أَيُّ إِنَّ كُلَّ مَنْ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ مَلِكٍ أَوْ بَشَرٍ أَوْ كَوْكَبٍ أَوْ حِجَرٍ أَوْ
غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَجْعَلُهُ يَدًّا لَهُ أَوْ مَتَّعِدًّا بِهِ، أَوْ يَدْعُوهُ لِيُجَلِّبَ
نَفْعًا أَوْ دَفْعَ ضَرَرٍ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَقَرُّ بِهِ إِلَهُ زَلْفَى فَيَتَّخِذَهُ
شَفِيعًا لِيُؤْتِرَ فِي إِرَادَتِهِ تَعَالَى وَعِلْمُهُ، وَيَجْعَلُهُ عَلَى شَيْءٍ
غَيْرِ مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَخُصَصَتُهُ إِرَادَتِهِ فِي الْأَزَلِ، مَنْ
يَفْعَلُ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ،
وَيَمَقْتَضِي شَرْعَهُ الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَى جَمِيعِ رُسُلِهِ، فَلَمَّا وَدَى
لَهُ إِلَّا النَّارَ الَّتِي هِيَ دَارُ الْعَذَابِ وَالذَّلِّ وَالْهَوَانِ،
وَمَا لِلظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِشِرْكِهِمْ بِاللَّهِ مِنْ نَصِيرٍ يَنْصُرُهُمْ
وَلَا شَفِيعٍ يَنْقِذُهُمْ مِمَّا يَحِلُّ بِهِمْ «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» الْبَقَرَةُ: ٢٥٥.

وَفِي هَذَا لِيَأْمُرَ إِلَى أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى
كَثِيرٍ مِنَ الْقَدَّاسِينَ، إِذْ كَانَتْ وَثْنِيَّةُ الشَّفَاعَةِ قَدْ فَتَتْ
فِيهِمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَصْلِ دِينِهِمْ.

«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» الْمَائِدَةُ:
٧٣، أَيُّ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، ثَالِثُ أَقَانِيمِ ثَلَاثَةٍ: أَبٌ وَالِدٌ غَيْرُ
مَوْلُودٍ، وَابْنٌ مَوْلُودٌ غَيْرُ وَالِدٍ، وَزَوْجٌ مُتَّبِعَةٌ بَيْنَهُمَا:

وَالْخُلَاصَةُ: إِنَّ الْفَرْقَ ثَلَاثَةٌ: ١- إِنَّ إِلَهُهُمْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ،
٢- إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ٣- إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ
وَلَيْسَ هُوَ اللَّهُ.

وَالْمُتَأَخَّرُونَ مِنَ النَّصَارَى يَقُولُونَ بِالْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ،

وإنما يعضون الكلمة مضماً، ويستمنون إليها انتهاء، بخلاف غير العامة منهم، وهم الذين ينسب الله سبحانه إليهم اختلاف المذاهب، ويقررون ذلك بغيرهم، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَقْبِعُوا الْبَيْنَ وَلَا تَشْفَوْا فِيهِ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَاعْتَفَوْا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بِمُخَيَّاتٍ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: ١٣، ١٤.

فالكفر الحقيقي الذي لا ينتهي إلى استضعاف - وهو الذي فيه إنكار التوحيد والتكذيب بآيات الله - إنما يتم في بعضهم دون كلهم، وإنما أوعد الله بالنار الخالدة الذين كفروا وكذبوا بآيات الله، قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٣٩، إلى غير ذلك من الآيات ...

ولعل هذا هو السر في التبيين الظاهر، من قوله: ﴿لَيَسْخَرَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أو أن المراد به الإشارة إلى أن من التصارى من لا يقول بالتثليث، ولا يعتقد في المسيح إلا أنه عبد الله ورسوله، كما كانت على ذلك مسيحيوا الحبشة وغيرها، على ما ضبطه التاريخ، فالمنى: لمن لم ينته التصارى عما يقولون - نسبة قول بعض المجاعة إلى جميعهم - ليمتن الذين كفروا منهم - وهم القائلون بالتثليث منهم - عذاب أليم.

وربما وجهوا الكلام، أعني قوله: ﴿لَيَسْخَرَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ بأنه من قبيل وضع الظاهر موضع المضر، والأصل: ليمسئهم، انتهى. وإنما عدل إلى وضع

والزوج إله، وهو ثلاثة، وهو واحد يضاعون بذلك، نظير قولنا: إن زيد بن عمرو إنسان، فهناك أمور ثلاثة هي: زيد وابن عمرو والإنسان، وهناك أمر واحد وهو المنصوت بهذه الثنوت، وقد غفلوا عن أن هذه الكثرة إن كانت حقيقة غير اعتبارية أوجب الكثرة في المنصوت حقيقة، وأن المنصوت إن كان واحداً حقيقة أوجب ذلك أن تكون الكثرة اعتبارية غير حقيقية، فالجمع بين هذه الكثرة العددية والوحدة العددية في زيد المنصوت بحسب الحقيقة، مما يستكف العقل عن تعقله.

ولذا ربما ذكر بعض الدعاة من التصارى أن مسألة التثليث من المسائل الماثورة، من مذاهب الأسلاف التي لا تقبل الحل بحسب الموازين العلمية، ولم ينتبه أن عليه أن يطالب الدليل على كل دعوى يقرع سمعه، سواء كان من دعاوي الأسلاف أو من دعاوي الأخلاف. [إلى أن قال:]

ولما كان القول بالتثليث الذي تضمنته كلمة ﴿إِنَّ اللَّهَ تَالِثٌ ثَلَاثَةً﴾ ليس في وسع عقول عامة الناس أن تتعقله، فأغلب التصارى يتلقونه قولاً مذهبياً مسلماً بلفظه، من غير أن يفكروا معناه، ولا أن يحكموا في تعقله، كما ليس في وسع العقل التسليم أن يحمله عقلاً صحيحاً، وإنما يتعقل كاستعقل الفروض الهائلة كالإنسان الإنسان^(١)، والعدد الذي ليس بواحد ولا كثير ولا زوج ولا فرد، فلذلك تسلمه العامة تسليماً من غير بحث عن معناه، وإنما يعتقدون في الجبوة والأبوة شبه معنى الشرف، فهؤلاء في الحقيقة ليسوا من أهل التثليث،

(١) الضمير، «كالإنسان الذي هو ليس بإنسان» لأن (أنا) الشرف لا تدخل على حرف (أنا) الثانية، وغيرها من الحروف.

يكون مريم فتاة كانت تؤمن بالله وتعبده، وتصرّح بأن عيسى تولّد منها كالإنسان من الإنسان، وتصرّح بأن عيسى كان رسولاً من الله إلى الناس كسائر الرّسل، وتصرّح بأنّ عيسى وأُمّه مريم كانا يأكلان الطّعام. فهذه أمور صرّحت بها الأناجيل، وهي حجج على كونه ﷺ عبداً رسولاً.

ويمكن أن تكون الآية مسوقة لنبي ألهيته المسيح وأُمّه كليها، على ماظهر من قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ الْحَمِيمِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ المائدة: ١١٦، أنه كان هناك من يقول بألهيتها كالمسيح، أو أنّ المراد به اتّخاذها إلهاً، كما يُنسب إلى أهل الكتاب أنّهم اتّخذوا أحيارهم ورجالهم أرباباً من دون الله، وذلك بالخشوع لها ولهم، بما لا يخضع لبشر بمثله.

وكيف كان فالآية على هذا التقدير تنفي عن المسيح وأُمّه معاً الألهية، بأنّ المسيح كان رسولاً كسائر الرّسل، وأُمّه كانت صديقة، وهما معاً كانا يأكلان الطّعام، وذلك كلّه ينافي الألهية. (٦: ٧٠)

مكارم الشيرازي: سبق أن أشرنا إلى أنّ تاريخ المسيحية يقول: لم يكن التثليث معروفاً في القرون الأولى من المسيحية، ولاحقاً على عهد المسيح ﷺ، بل إنّ الأناجيل الموجودة - على الرّغم من كلّ ما فيها من تحريفات وإضافات - ليس فيها أدنى إشارة إلى التثليث، وهذا ما يعترف به المحقّقون المسيحيّون أنفسهم، وعليه فإنّ ماورد في الآية المذكورة عن إصرار المسيح ﷺ على مسألة التّوحيد إنّما ينسجم مع المصادر المسيحية الموجودة، ويُعتبّر من دلائل عظمة القرآن.

الموصول وصلته مكانه ليدلّ على أنّ ذلك القول كفر بالله، وأنّ الكفر سبب العذاب الذي توعّدهم به.

وهذا وجه لا بأس به لولا أنّ الآية مصدّرة بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وظهيره في الجهد قول بعض آخر: إنّ (من) في قوله: (بينهم) بيانية، فإنّه قول من غير دليل.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ غُفُورٌ رَجِيمٌ المائدة: ٧٤، تحضيض على التوبة والاستغفار، وتذكير بمغفرة الله ورحمته، أو إنكار أو توبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ المائدة: ٧٥، ردّ لقولهم: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أو لقولهم هذا وقولهم المكسّي في الآية السابقة: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ جيئاً، ومحصله اشتغال المسيح على جوهره الألهية، بأنّ المسيح لا يفارق سائر رسل الله الذين توفّاهم الله من قبله، كانوا بشرًا مرسلين من غير أن يكونوا أرباباً من دون الله سبحانه، وكذلك أمّه مريم كانت صديقة تصدق بآيات الله تعالى وهي بشر. وقد كان هو وأُمّه جيئاً يأكلان الطّعام، وأكل الطّعام مع ما يتعبّه مبنّى على أساس الحاجة التي هو أوّل أماره من أمارات الإمكان والمصنوعية، فقد كان المسيح ﷺ ممكناً متولّداً من ممكن، وعبداً ورسولاً مخلوقاً من أمّه، كانا يعبدان الله، ويمرّيان في سبيل الحاجة والافتقار، من دون أن يكون ربّاً.

وما يبد القوم من كتب الإنجيل معترفة بذلك تصرّح

يكون ثلاثة أشياء؟ أمن المقول أن يتساوى الثلاثة مع الواحد؟!

إن ما يؤيد هذه الحقيقة هو أننا لا نجد بين المسيحيين أية طائفة لا تؤمن بالآلة الثلاثة!

ويرد القرآن عليهم ردًا قاطعًا، فيقول: ﴿وَصَامِنَ إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ وفي ذكر (ين) قبل (إله) نبي أقوى لأي معبود آخر.

ثم يندرجهم بلهجة قاطعة: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١٠٢: ٤)

٤- وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ...

ابن عباس: وتجاوز عن الثلاثة الذين خلقوا تويتهم كعب بن مالك وأصحابه.

جابر بن عبد الله: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرة بن ربيعة، وكلهم من الأنصار.

(الطبري ١١: ٥٧)

مثله سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وأبو مالك، وعكرمة. (الطبري ١١، ٥٧)، والقراء (١: ٤٥١)، والماوردي (٢: ٤١٣)، والطوسي (٥: ٣٦٤)، والبخاري (٢: ٣٩٧)، والزقششري (٢: ٢١٨)، والفخر الرازي (١٦: ٢١٧)، والبخاري (١: ٤٣٥)، والهازمي (٣: ١٣٠)، ورشد رضا (١١: ٦٦).

الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى

بهذه المناسبة بنهي الالتفات إلى أن الموضوع الذي تناوله الآية هو الفلوق وحدة المسيح بالله، أو بعبارة أخرى، هو «التوحيد في الثلثية»، ولكن الآية التالية تشير إلى مسألة «تعدد الآلهة» في نظر المسيحيين، أي «الثلثية في التوحيد»، وتقول: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ لَارِبٌ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾».

اعتقد كثير من المفسرين، ومنهم الطبرسي في «مجمع البيان»، والشيخ الطوسي في «التيبان» والفخر الرازي والقرطبي في تفسيرهما، أن الآية السابقة تشير إلى فرقة من المسيحيين باسم «اليعاقبة» يعتقدون أن الله متحد بالمسيح ﷺ، وهذه الآية وردت بشأن فرقة أخرى هي «الملكانية» و«السطورية» الذين يقولون بالأقنيم الثلاثة، أو الآلهة الثلاثة.

غير أن هذه النظرة عن المسيحية - كما سبق أن قلنا - لا تتطابق مع الحقيقة، لأن الاعتقاد بالثلثية عام بين المسيحيين كافة، كما أن التوحيد بيننا نحن المسلمين عقيدة عامة قطعية، ولكنهم في الوقت الذي يعتقدون حقًا بثلثية الأرباب، يؤمنون أيضًا بالوحدة الحقيقية، فالتين: أن ثلاثة حقيقيين يؤمنون واحدًا حقيقيًا!

الفأهر أن الآيتين المذكورتين تشيران إلى جانبين مختلفين لهاتين القضيتين: في الأولى إشارة إلى وحدة الآلهة الثلاثة، وفي الثانية إشارة إلى تعددها، وتوالي المسألتين هو في الحقيقة إشارة إلى واحد من الأدلة الواضحة على جلال عقيدتهم، فكيف يمكن له أن يكون مرةً واحدًا مع المسيح وروح القدس، ومرةً أخرى

النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ۖ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا ۖ التوبة: ١١٧، ١١٨، وهؤلاء الثلاثة للذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُوزَ لَبَنٍ أَلْوَنٍ لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وَإِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَكُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۖ التوبة: ١٠٦ فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم ...

فتأويل الكلام إذن: ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة، فأرجأهم عمن تاب عليه، ممن تخلف عن رسول الله ﷺ. (١١: ٥٦)

ابن عطية: والثلاثة هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية الواقفي، ومرارة بن الربيع العامري، ويقال: ابن ربيعة، ويقال: ابن ربيعة.

البهزوسي: أي وتاب الله على الثلاثة الذين أخر أمرهم ولم يقطع في شأنهم بشيء، إلى أن نزل فيهم الوحي، وهم كعب بن مالك الشاعر ومرارة بن الربيع التنبري وهلال بن أمية الأنصاري، يجمعهم حروف كلمة مكة، وآخر أسماء آبائهم عكة. (٣: ٥٢٧)

الأكوسي: هم كعب بن مالك من بني سلمة، وهلال ابن أمية من بني واقف، ومرارة بن الربيع من بني عمرو ابن عوف، ويقال فيه: ابن ربيعة، وفي مسلم وغيره وصفه بالعامري، وصوب كثير من المحدثين: العمري بدله. (١١: ٤٦)

٥ - فَفَقَرُوها فَقَالَ تَتَشَكُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَغَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ. هود: ٦٥

راجع «ي و م» (أَيَّام).

٦- وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. الواقعة: ٧

راجع «زوج» (أَزْوَاجًا).

٧- وَاللَّيْلِ يَسْشَنُ مِنَ السَّجْبِضِ مَنْ يَسْأَلُكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْلِ لَمْ يَحْضَنْ ... الطلاق: راجع «ع د د» (فَعِدَّتُهُمْ).

الثُّلُث

١-... فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ... النساء: ١١

٢-... فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مَضَاجٍ... النساء: ١٢

راجع «ورث» (وَرِثَهُ).

ثُلُثُهُ - ثُلُثِي

إِنَّ ذَٰلِكَ يَتْلُمُ أَنَّكَ تَأْمُرُ أَذْنَ مِنْ ثُلُثِي الثَّلِثِ وَيُضَفُّهُ وَثُلُثُهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَلَكَ... المزمل: ٢٠

ابن عباس: وتقوم ثلث الليل، ويقال: (وَصَفَةُ) أَقْلٌ من نصف الليل وثلثه، إذا قرأت بالخفض. (٤٩١)

الفراء: قرأها عاصم والأعمش بالنصب، وقرأها أهل المدينة والحسن البصري بالخفض، فمن خفض أراد: (تَقْرَأُ) أَقْلٌ من الثلثين، وأقل من التصف، ومن الثلث. ومن نصب أراد: (تَقْرَأُ) أدنى من الثلثين، فيقوم

غير عارف بالمقدار في ذلك التحديد، بدلالة قوله بعدها: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ المزمّل: ٢٠. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْدُوّ الثَّلَثِ وَالْثَّهَارِ﴾، فكأنه قال: أنا أعلم من مقادير قيامك بالليل ما لا تعلمه من تحديد الساعات من آخر الليل.

قال أبو حنيفة: الاختيار الخفض في (نصفه وثلاثة) لأن الله تعالى قال: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ فكيف يقدر على أن يعرفوا نصفه وثلاثة.

وقرأ الباقون بالنصب، بوقوع الفعل، أي يقوم نصفه وثلاثة. وحيثهم في ذلك أن النصب أصح في النظر. قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي صل الليل إلا شيئاً يسيراً منه تمام فيه وهو الثلث، والثلث يسير عند الثقلين، ثم قال: ﴿نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ المزمّل: ٢، ٣، أي من الثلث قليلاً، أي نصفه أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد على النصف إلى الثقلين، فإذا قرأت بالخفض كان معناه أنهم قد كانوا يقومون أقل من الثلث، وفي هذا عاقلة لما أمروا به، ولأن الله تعالى قال: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، إلى الثلث، أو زد على الثلث، ولم يأمرهم بأن ينقصوا من الثلث شيئاً.

وأما قوله: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أي لن تطيقوه، كما قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا» أي ولن تطيقوا. والله أعلم. (٧٣١)

الطوسي: [نحو أبي زُرْعَةَ وأضاف:]

وفي الناس من قال: هذه الآية ناسخة لما ذكره في أوّل السورة من الأمر المحتم بقيام الليل إلا قليلاً أو نصفه أو انقص منه. وقال آخرون: إنما نسخ ما كان فرضاً إلى

النصف أو الثلث. وهو أشبه بالصواب، لأنه قال: أقل من الثقلين، ثم ذكر تفسير التلّة لتفسير أقل من التلّة. ألا ترى أنك تقول للرجل: لي عليك أقل من ألف درهم ثمانية أو تسعة، كأنه أوجه في المعنى من أن تفسر قلّة أخرى، وكلّ صواب. (١٩٩: ٣)

الطبري: اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بالخفض (ونصفه وثلاثة) بمعنى وأدى من نصفه وثلاثة، إنكم لم تخلقوا العمل بما افترض عليكم من قيام الليل، فقوموا أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلاثة. وقرأ ذلك بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة بالنصب، بمعنى إنك تقوم أدنى من ثلثي الليل، وتقوم نصفه وثلاثة.

والصواب من القول في ذلك: أنها قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فسيب. (٢٩: ٢٩٩)

نحو البويّ (٥: ١٧٠)، والمكبري (٢: ١٢٤٨). الرّجاء: فمن قرأ (نصفه) بالنصب (وثلاثة) فهو بين حسن، وهو تفسير مقدار قيامه، لأنه لما قال: ﴿أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ كان نصفه ميّناً لذلك الأدنى، ومن قرأ (ونصفه وثلاثة) فالمعنى وتقوم أدنى من نصفه ومن ثلثه. (٥: ٢٤٣)

أبو زرعة: قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: (ونصفه وثلاثة) بالكسر، حملوه على الجواز، أي تقوم أدنى من نصفه ومن ثلثه. والمعنى في ذلك يكون على تأويل: إن ربك يعلم أنك تقوم أحياناً أدنى من ثلثي الليل، وأحياناً أدنى من نصفه، وأحياناً أدنى من ثلثه،

أن صار ثلثاً.

منه . ويمتثل أنهم أمروا بقيام نصف الليل ، ورُخص لهم في الزيادة والتقصان ، فكانوا يستنهون في الزيادة إلى قريب من الثلثين ، وفي النصف إلى الثلث . ويمتثل أنهم قُدِّر لهم النصف وأنقص إلى الثلث ، والزيادة إلى الثلثين . وكان فيهم من يبي بذلك ، وفيهم من يترك ذلك إلى أن تُسخ عنهم . وقال قوم : إنما افترض الله عليهم الربع ، وكانوا ينقصون من الربع . وهذا القول تحكّم .

(١٩ : ٥٢)

أبو حنيفة : وقرأ الجمهور (مِنْ ثُلُثَيْ) بضم اللام ، والمسن وشيبة وأبو حنيفة وابن السميع وهشام وابن مجاهد عن قبل فيها ذكر صاحب «الكامل» بإسكانها ، وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيها ذكر صاحب «اللوام» . وقرأ العريّان ونافع (وَنُصْفَهُ وَثُلُثَيْهِ) بجرهما عطفاً على (ثُلُثَيْ اللَّيْلِ) وباقي السبعة وزيد بن عليّ بالنصب عطفاً على (أَذْنَى) لأنه منصوب على الظرف ، أي وقتاً أدنى من ثلثي الليل .

فقرءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في أول السورة ، لأنه إذا قام الليل إلّا قليلاً صدق عليه أدنى من ثلثي الليل ، لأنّ الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئاً من الثلثين فيصدق عليه قوله : (إلّا قليلاً) وأما قوله : (وَنُصْفَهُ) فهو مطابق لقوله أو لانه ، وأما (ثُلُثَيْهِ) فإنّ قوله «أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً» قد ينتهي التقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلث الليل . وأما قوله (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) فإنه إذا زاد على النصف قليلاً كان الوقت أقلّ من الثلثين ، فيكون قد طابق قوله «أَذْنَى مِنْ ثُلُثَيْ اللَّيْلِ» ويكون قوله تعالى : «نُصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً»

وقد قلنا : إنّ الأمر في أول السورة على وجه التدب ، فكذلك ها هنا فلا وجه للثاني حتّى يُسخ بعضها ببعض ، يقول الله تعالى لشيء : إِنَّ رَبَّكَ يَاعْتَمِد لِيَعْلَم أَنَّكَ تَعْمُ أَقْلَ من ثُلثي الليل وأقلّ من نصفه ومن ثلثه ، فين جرّ ذلك . ومن نصب فعناه : إِنَّكَ تَعْمُ أَقْلَ من ثُلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ، وتقوم طائفة من الذين معك على الإيمان .

(١٠ : ١٦٩)

الرَّمْعُشَرِيّ : وقرئ (وَنُصْفَهُ وَثُلُثَيْهِ) بالنصب ، على أَنَّ أَقْلَ من الثلثين ، وتقوم النصف والثلث ، وهو مطابق لما مرّ في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث ، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين . وقرئ (وَنُصْفَهُ وَثُلُثَيْهِ) بالجرّ ، أي تقوم أقلّ من الثلثين وأقلّ من النصف والثلث ، وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين ، والثلث وهو أدنى من النصف ، والربع وهو أدنى من الثلث ، وهو الوجه الأخير .

(٤ : ١٧٨)

نحوه الفخر الرازي (٣٠ : ١٨٦) ، والنيسابوري (٢٩ : ٨٦) .

ابن عطية : وقرأ ابن كثير في رواية شبل عنه (وَثُلُثَيْهِ) بكون اللام .

(٥ : ٣٩٠)

القرطبي : [ذكر اختلاف القراءات وأضاف بعد قول الرّاء :] التّشيريّ : وعلى هذه القراءة يمتثل أنهم كانوا يصيرون الثلث والنصف لحقّة القيام عليهم بذلك القدر ، وكانوا يزيدون ، وفي الزيادة إصابة المقصود . فأما الثّلثان فكان ينقل عليهم قيامه فلا يصيبونه ، وينحون

والبروسوي (١٠: ٢١٨)، والاكوسوي (٢٩: ١١٠).

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة الثلث، وهو الثالث من خيل الزمان، يقال: ثَلَّثَ الفرس، أي جاء بعد المصلي، وهو الثاني الذي يلي السابق، والرابع ربيع، والخامس جنس، والثَلَّثَ أيضاً: ثالث ولد الناقة، وقد أثَلَّتْ فهي مُثَلِّث، وثالث أولاد المرأة، يقال: هذا ثَلَّثُ فلانة. وهو السبق بعد الثنيا، يقال: هو يسبق غَلَّةَ الثَلَّثِ، أي مرة في ثلاثة أيام، ويسمى التثليث أيضاً.

والثلاث في المؤنث والثلاثة في المذكر من العدد، يقال: ثَلَّثَ فلان الاثنين يثليهما ثَلَّثًا، أي صار لها ثالثًا، وَثَلَّثَ القومَ أَثْلِيَهُمْ: كُنْتُ ثالثهم، وأثَلْتُ القوم: صاروا ثلاثة، وكانوا ثلاثة فأربعوا، ويقال: جاءوا ثلاثُ ثلاثٍ وَثَلَّثَ ثَلَّثًا، أي ثلاثة ثلاثة.

ومنه أيضاً: هو ثالثُ ثلاثة، وهي ثالثة ثلاثٍ، وهو رابعُ ثلاثة، على الإضافة، وهو رابعُ ثلاثة، على القطع. وهو ثالثُ عشر بالرفع، وثالثُ عشر بالنصب، وهو ثالثُ ثلاثة عشر، وثالثُ ثلاث عشرة.

والثلاثي: منسوب إلى الثلاثة على غير قياس، يقال: ثوبٌ ثلاثي، أي طوله ثلاثة أذرع، والكلمات الثلاثية: هي التي اجتمعت فيها ثلاثة أحرف.

وذو ثلاث: الوضين، وهو حزام عريض منسوج على ثلاث من جلد أو شعر.

والثلاثون: جمع «ثلاث»، إلحاقاً بجمع المذكر السالم، إلا أنه ليس على تضمين الثلاثة كما يبدو من اللفظ - بل

شرحاً لهم ما دلّ عليه قوله: ﴿ثُمَّ الْيَلَّ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وعلى قراءة النصب قال الحسن وابن جنيث: معنى (تَحْصُوهُ) تطيقوه، أي قدر تعالى أنهم يقدرون الزمان على ما مر في أول السورة فلم يطيقوا قيامه لكثرتة وشدته، فحَقَّقَ تعالى عنهم فضلاً منه، لالمة جهلهم بالتقدير وإحصاء الأوقات.

وأما قراءة الجر فالمعنى أنه قيام مختلف، مرة أدنى من الثلثين، ومرة أدنى من النصف، ومرة أدنى من الثلث، وذلك لتعذر معرفة البشر مقادير الزمان مع عذر التوهم، وتقدير الزمان حقيقة إنما هو لله تعالى، والبشر لا يحصون ذلك، أي لا يطيقون مقادير ذلك ﴿فَتَنَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي رجع بهم من الثقل إلى الخفة، وأمرهم بقيام ما تيسر.

وعلى القراءةين يكون علمه تعالى بذلك على حسب الوقوع منهم، لأنهم قاموا تلك المقادير في أوقات مختلفة، قاموا أدنى من الثلثين ونصفًا وثلاثًا، وقاموا أدنى من النصف وأدنى من الثلث، فلاتنا في بين القراءةين.

وقرأ الجمهور (وَتَلَّسَّ) بضم اللام، وابن كثير في رواية شبل بإسكانها، (وَطَائِفَةٌ) مطوف على الضمير المستكن في (تَقُومُ) وحسنه الفصل بينها.

وقوله: ﴿وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَكَهَ﴾ دليل على أنه لم يكن فرضاً على الجميع، إذ لو كان فرضاً لكان التركيب «والذين مَكَهَ» إلا أن اعتقد أنهم كان منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه، فيمكن إذ ذاك الفرضية في حق الجميع.

نحو الشريبي (٤: ٤٢١)، وأبو السعود (٥: ٢٠٦)،

وثالثة الأثافي: ركن الجبل، تركب القدرُ على ذلك الركن وعلى أُنْفَيْتَيْن. يقال: مجازًا: رماه الله بثلاثة الأثافي، أي رماه بالذاهية العظيمة والأمر العظيم. ومن المجاز أيضًا قولهم: فلان لا يتي ولا يثلي، أي رجل كبير.

٢- ويكاد النظام العدديّ العربيّ يضاهي النظام العدديّ العربيّ في الأعداد الأصليّة المفردة والمركبة تذكيرًا وتانيّةًا، وفي الكسور والعقود والمئات والألوف. بيد أن العرب اشتقت صيغة فريدة من الأعداد على وزن «فاعل» للمذكّر و«فاعلة» للمؤنث، واستعملتها في الإضافة والصفة، فثال الإضافة: ثالثُ ثلاثةٍ للمذكّر، وثالثة ثلاثٍ للمؤنث. ومثال الصفة: الصفّ الثالث للمذكّر، والساعة الثالثة للمؤنث، ولم تعهد هذه الصيغة في سائر اللغات السامية.

وامتاز العدد «ثالث» و«ثلاثة» بهذه الصياغة، إذ لم يرد من الأعداد ما كان على وزن «فَعَال» و«فَعَالَة». وقد اختصّ هذا البناء بمصادر أفعال على أوزان مختلفة، منها ما يشابه وزنين من أفعال هذه المادة، مثل: حصَدَ الزَّرْعَ يَحْصُدُه حَصَادًا: قطعه بالمنجل، وخَسَرَ الشَّيْءَ يَخْسِرُهُ خَسَارًا: نفسه.

٣- وأدخل التصاري لفظ «ثُلُوتًا» التريائي في العربية، وأصبح بلفظ «ثالوث» بعد التعريب، ومأثر وزن «فاعول» عن العرب من هذه المادة، وهو يدل على المبالغة في الرية، مثل: الهاذور: الخائف من الناس لا يماشرهم، والقاموس: معظم ماء البحر وغيرها. وهو عند التصاري ماركب من ثلاثة، ثم أضفوا عليه

على تضيف العشرة، يقال: أثلوا، أي صاروا ثلاثين، وكانوا تسعة وعشرين فأثلتهم، أي صرّ بهم تمام ثلاثين، وكذا كانوا تسعة وثلاثين فأرستمهم. والثلاثاء: اليوم الثالث من أيام الأسبوع، على عدّ الأحد أوّل أيامه، وكان يدعى «الجبار» في الجاهلية، يقال: مضت الثلاثاء، بما فيها، ولاثنين ثلاثاويًا، أي من يصوم الثلاثاء وحده، والجمع ثلثاوات وأثالث. وشيء مُثَلَّثٌ: ذو أركان ثلاثة، وما وضع في ثلاث طاقات.

والثَلُوث: ما بين الثلاثة إلى العشرة، إلّا الثمانية والعشرة، وما يسج أو يضفر، والثلوث من الحبال: ما قيل على ثلاث قوى، وكساء ثلوث: منسوج من صوف ووبر وشعر.

وأرضٌ مُثَلَّثَةٌ: لها ثلاثة أطراف، فيها المثلث الحادة، ومنها المثلث القائم.

ويزادة ثلوثوة: تكون من ثلاثة جلود. وثاقفة ثلوث: يسيث ثلاثة من أخلائها، وهي مُثَلَّثَةٌ أيضًا، يقال: ثَلَّتْ بناقته، أي صرّ منها ثلاثة أخلاف. والثلوث من التوق أيضًا: آتي ثلثا ثلاثة أقداح إذا خليت. والثلث: سهم من ثلاثة، ويقال له أيضًا: الثلث، يقال: ثَلَّتْ القوم أثْلَهُم، أي أخذت ثلث أسوأهم. والثلوث: مأخوذ ثلثه، والثلوث من الشعر: الذي ذهب جزآن من ستة أجزائه. وأثلث الكرم: فضّل ثلثه وأكل ثلثه. وثَلَّتَ البشر: أرطب ثلثه. وإنّا ثُلثان: بلغ الكيل ثلثه. والمثلث من الشراب: الذي طُيخ حتى ذهب ثلثه.

وَيُحْكَمْ لَهُ الشُّكْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنْ تَضَرَّعْتُمْ إِلَى الرَّبِّ: ٦
٤- ﴿وَانظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾

المرسلات: ٣٠

٥- ﴿وَلَبِقُوا فِي كُفَيْهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سَبْعِينَ وَارْدًا ذَوَا

بَشَاطَةٍ﴾ الكهف: ٢٥
ثلاثة:

٦- ﴿...فَنَنْتَقِعْ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ لَمَّا اسْتَبَسَّرَ مِنَ
الْهَيْدَى لَمَنْ لَمْ يَحِذْ قَبِيحَاتِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَتَبَعَهُ إِذَا
رَجَعْتُمْ يَلِكْ عَشْرَةَ كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ البقرة: ١٩٦

٧- ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَنَشَأَ آلَا تُكَلِّمُ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادَّكُرَ بِكَ كَافِرًا كَثِيرًا وَسَمِعَ
بِالْقِسِيِّ وَالْإِبْرَارِ﴾ آل عمران: ٤١

٨- ﴿يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيَاتِ فَكُنَّا زُتْرًا يُطْعَمُ
عَشْرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْفَتُهُمْ
أَوْ قَهْرِيوَ رَقَبَةٍ لَمَنْ لَمْ يَحِذْ قَبِيحَاتِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ
أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ...﴾ المائدة: ٨٩
٩- ﴿فَقَرَّوْهَا فَقَالَ تَمَسَّحُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ
وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ هود: ٦٥

١٠- ﴿وَاللَّيْلِ يَمِينٍ مِنَ السَّجِيسِ مِنْ نِسَائِكُمْ
إِنْ ازْتَبَيْتُمْ فَيَدْتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْلِ لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ
الْأَحْصَاءُ أَجْلُهُمْ أَنْ يَضَعْنَ حُلَاهُنَّ وَعَنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَمَّا
مِنْ أَمْرِ يُسْرَءِيلَ﴾

١١- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ
وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ...﴾

البقرة: ٢٢٨

القدسية، فقالوا: الثالث الأقدس، ويعنون به الرب من
حيث إنه ثلاثة أقانيم، أي أصول، وهي: الأب، أي
خالق السماء والأرض، والابن، أي يسوع ابن الله
المولود من الأب، والروح القدس، أي الرب الههسي
المنبثق من الأب والابن، فما ندري أهى ثلاثة في واحد،
أم واحد في ثلاثة؟ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْفِقُونَ﴾.

والتالوت الأقدس لفظ مبتدع في المسيحية أيضًا،
فلم يعرف في الكتاب المقدس، وحدث حول أقانيمه
الثلاثة في اللاهوت جدل شديد بين التمساري خلال
العصور الماضية.

الاستعمال القرآني

ثلاث:

جاء منها ١٣ لفظاً أسماً وأوصافاً للمد (٣٢) مرة:
١- ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَنَشَأَ آلَا تُكَلِّمُ
النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ مريم: ١٠
٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْخِرْ لَكُمْ الَّذِينَ خَلَقْتُمْ
أَيْمَانَكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْقُوا إِلَهُكُمْ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ
قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَازٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ التور: ٥٨

٣- ﴿وَخَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رُوحَهَا
وَأَنزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَلَاثِينَ زَوْجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُحُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثِ ذِكْرُ اللَّهِ

١٢- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ تُحَدِّثُوا
رَبَّكُمْ بِقَلْفٍ مِنَ الْمَسْلِكَةِ مُزَوِّجِينَ﴾

آل عمران: ١٢٤

١٣- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَكَانَ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ النساء: ١٧١

١٤- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ فَذُوقُوا
عَذَابَ اللَّهِ الْإِلَهَ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَشْفَوْا عَنْكَ يَقُولُونَ لَيْسَ
بِالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة: ٧٣

١٥- ﴿لَقَدْ نَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ... وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَلُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ...﴾ التوبة: ١١٧، ١١٨

١٦- ﴿يَقُولُونَ ثَلَاثَةً وَإِبْهَمُ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ ثَمَنَةً
سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجْسًا بِالْغَيْبِ يَقُولُونَ سَبْعَةً وَفَامِنْهُمْ
كُلُّهُمْ قُلُوبٌ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ...﴾ الكهف: ٢٢

١٧- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ خَالِقُهُ لَا هُوَ بِإِغْمَاةٍ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا دَأْبُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ
أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهِمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ المائدة: ٧

١٨- ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ ۚ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ الواقعة: ١٧، ١٨

ثالث:

١٩- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ابْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْا

بِقَالِهِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ يس: ١٤

الثالثة:

٢٠- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۚ وَغَدَاةَ الثَّالِثَةِ

الْآخَرَىٰ﴾ التجم: ١٩، ٢٠

ثلاث:

٢١- ﴿وَإِنْ جِئْتُمْ إِلَّا مُقَسِّطِينَ أَلَا تَقْصِرُونَ فِي الْبَيْتَانِ فَانْكَبُوا
مُطَابِقَ لَكُمْ مِنَ الْمَاءِ مَغْفًى وَثَلَاثَ رُزْبَاعٍ فَإِنْ جِئْتُمْ إِلَّا
تَقْدِيرًا فَوَاجِدَةً...﴾ النساء: ٣

٢٢- ﴿أَتَحْمَدُ اللَّهَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ
الْمَسْلِكَةِ رُشْلًا أَوْ لِي أَجْنِبَةٍ مَغْفًى وَثَلَاثَ رُزْبَاعٍ يَزِيدُ فِي
الْحَقْلِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١
ثلاث، الثلث، ثلثا، ثلثان، ثلثي،

٢٣- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ
الْأُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ
كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
الشُّدُّ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ
وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِلْأُمِّ ثُلُثُ مَا تَرَكَ وَلِلْأَبِ ثُلُثَانُهَا
الشُّدُّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ لَتَنَزِلَ وَرَثَتُكُمْ إِلَيْكُمْ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفَقًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١١

٢٤- ﴿...وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ
أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُّ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ
مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(٢٨) حول الوقت، فالأول مرفوع بتعين أمد الحمل والرضاع بالشهور: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، والثاني منصوب بليالي مواعدة الله موسى عليه السلام: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾.

وفيها نكات:

١- أنها محبات بالعدد «أربعين»: ﴿وَيَبْلُغْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ و﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وهذا العدد رمز الكمال في الكتاب والسنة وعند الناس، لاحظ «أربعين» من (رب ع).

٢- أن الآيتين تحويان معاً «اللَّيْل» مرتين، و«الشَّهْر» و«السَّنة» مرة، وجمعها أربعة، وهي أهم الأوقات، وكذا تحوي (٦) إلى (٩) الأيام (٤) سرات، وهي الأصل في الأوقات، والباقي فرع منها أو مرتب منها. ٣- تمدد مدة الحمل والرضاع فرصة لاستكمال جسم الجنين والطفل بالدم واللبن، وهي مؤقتة بالشهور. وتعد مدة مواعدة موسى فرصة لاستكمال روح موسى بتكليم الله إياه، وتزويده بالوحي والأنوار، وهي مؤقتة بالليالي دون الشهور والسنين والأيام، لاحظ «ليلة» من (ل ي ل).

سابعاً: يظهر بالتأمل في الآيات أنه جاء من مادة (ث ل ث) ما يخص الوقت (١٢) مرة: «الأيام» أربع مرات في (٦) إلى (٩)، ووقت «النَّهَار» مرة واحدة في (٢)، و«الليلة» مفرداً وجمعاً ثلاث مرات في (١) و(٢٦)، و«الشَّهْر» مفرداً وجمعاً مرتين في (١٠) و(٢٧)، و«السَّنة» مفرداً وجمعاً مرتين أيضاً في (٥) و(٢٧). وجاء سائر الآيات عشرين مرة في غير الوقت،

و«رباع»، وفي سياق الرضى والقرحيب، فجاءت الأولى زيادة في لذة الرجال وتسكيناً لشهوتهم، والثانية زيادة وسرعة في رسالة الملائكة وتسكيناً لعطش الأنبياء إلى الوحي، فالأولى موهبة ومدد مادي للبشر، والثانية موهبة ومدد معنوي للملائكة، وفيها نكات:

١- إن «ثلاثاً» في الأولى لا يتجاوز «الرَّباع»، بل قد يتنازل إلى واحدة: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ تَفْعِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، وفي الثانية يتجاوز: ﴿يَبْزِدُ فِي الْحَقِّ مَا يَشَاءُ﴾. وهذا هو الفارق بين الأمر المادي والمعنوي، فالأول محدود بحد، والثاني لا يحد بحد.

٢- إن كلمات «ثني» و«ثلاث» و«رباع» جاءت فيها منكرة، لأنها حال لما قبلها، والمعدود بها كالتكرار: ﴿عَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ و﴿أُولَىٰ أُخْتَيْكُمْ﴾، إضافة إلى أن الأصل في الأعداد التذكير، لاحظ (ع د).

٣- إن الأزواج المتعددة مثل الأجنحة المتعددة هي من أسباب الكمال والرفاه.

٤- إن «ثلاثاً» جاء -مثل «ثالث» و«ثالثة»- مرتين، وكل منها خاص بالرسول من البشر أو من الملائكة.

خامساً: جاء «ثَلَاث» ست مرات: ثلاث مرات مفرداً رفصاً ونصباً وجراً في (٢٣) و(٢٤) و(٢٦): ﴿فَلَا تُكَلِّمُ الْفُلُكُ﴾ و﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ و﴿يُضْفَعُ وَثُلُثُهُ﴾، وثلاث مرات ثني رفصاً وجراً فقط في (٢٣) و(٢٥) و(٢٦): ﴿فَلَهُنَّ ثَلَاثُ عَاثَرَكِ﴾ و﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ بِمَا تَزَوَّجَا﴾ و﴿أَذْنِي مِنْ ثَلَاثِ آتِلِي﴾، واثنتان منها في (٢٦) حول وقت صلاة الليل، والباقي في سهم الإبر. سادساً: جاء «ثلاثون» في (٢٧) و«ثلاثين» في

و(٢٦)، وثلاثون وأربعون كلٌّ منها مرتين: (٢٧) و(٢٨)، و«الأربعون» فيها مَكْلٌ لـ«الثلاثين»، وعشرة مرتين: (٦) و(٨)، وكلاهما جاء مع «قَسَنَ لَمْ يَحْذِقِيَّتَهُمْ ثَلَاثَ أَهَامٍ»، واثنين ثلاث مرّات: (١٩)، و(٢٣)، و(٢٥)، وكلٌّ من سبعة وغاية أو ثامن مرتين: (٣) و(٦) و(١٦)، وثالث مرتين: (١٧) و(١٩)، وتسع مرّة: (٥)، وكلٌّ من مئة وآلاف مرّة: (٥) و(١٢)، ففيها نوع من التوازن بين الأرقام، كما أنَّ فيها توازن بين المواضيع، فجاء مرتين في التثنية: (١٣) و(١٤)، وفي الحسب: (١٢) و(١٥)، وفي أصحاح الكهف: (٥) و(١٦)، وفي الطلّاق: (١٠) و(١١)، ومع ظلٍّ وظلمات: (٣) و(٤)، وثلاث مرّات في الإرث: (٢٣) إلى (٢٥)، ومرّة في أهل النجوى: (١٧)، وأهل الحشر: (١٨)، واليتامى: (٢١)، والحج: (٦)، وصلاة اللّيل: (٢٧)، وكفارة البين: (٨)، وذكرنا: (٧)، وقوم نوح: (٩) وهكذا. تاسماً: لقد أسهبوا في موضعين جمعاً بين آيتيها، أحدهما: شريعة، والآخر: عقيدة، وهما: مدّة الحمل، والتثنية. ونكتي هنا بالجمع بين آيتيها وبيان ما فيها من الثكاث، ونحيل القراء في المباحث التفهيمية أو العقلية إلى النصوص.

الموضع الأوّل: مدّة الحمل: جاءت فيها ثلاث آيات: اثنتان مكّيتان، وواحدة مدنيّة:

- ١- «وَوَشَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ...» (الأحقاف: ١٥)
- ٢- «وَوَشَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا

منها ستّ في سهم الإرث، وهي «الثلث» مفرداً ومتّقى في (٢٣) إلى (٢٥). كما جاء منها (خمس) معرّفة باللام في (١٥) و(٢٠) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥)، وستّ عشرة منها معرّفة بالإضافة في (١) و(٢) و(٥) إلى (١٢) و(٢٣) و(٢٦)، وجاء سائر الآيات - وهي إحدى عشرة - مكررة في (٣) و(١٣) و(١٤) و(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) و(٢١) و(٢٢) و(٢٧) و(٢٨)، منها (١١) آية مكّية، و(٢١) آية مدنيّة، فالمدنيّ ضعف المكّي تقريباً، لأنّ المدينة كانت بلد التشريع والحساب.

تامّاً: والذي يجلب النظر أنّها جاءت مفردة عن باقي الأعداد (١٢) مرّة: (١) و(٢) مكرّرين و(٤) و(٧) و(٩) و(١٠) و(١١) و(١٣) و(١٥) و(١٨) و(٢٠)، وجاءت مع عدد آخر ١٨ مرّة: (٣) مع الثمانية، و(٥) مع مئة وتسع، و(٦) مع سبعة وعشرة، و(٨) مع عشرة، و(١٢) مع آلاف، و(١٤) مع ثالث، و(١٧) مع رابع وخمسة وسادس، و(١٦) مع هذه الأعداد إضافه إلى سبعة وثامن، و(١٩) مع اثنين، و(٢١) و(٢٢) مع متّقى ورباع، و(٢٣) مع ثنتين والستس، و(٢٤) مع الستس، و(٢٥) مع الأنثيين، و(٢٧) مع الأربعين، و(٢٨) مع عشر وأربعين.

كما أنّ مادّلٍ منها على مضاعف متل: متّقى وثلاث ورباع ثلاثة مكرّرة والمجموع ستّ: (٢١) و(٢٢)، ومادّلٍ على جزء العدد «ثُلث» مفرداً ثلاث مرّات: (٢٣) و(٢٥) و(٢٦)، ومتّقى ثلاث مرّات: (٢٣) و(٢٥) و(٢٦) والمجموع ستّ، والستس ثلاث مرّات: (٢٣) مرتّين و(٢٤) مرّة، والنصف ثلاث مرّات: (٢٣) و(٢٥)

عَلَى وَهْنٍ وَفَصَالُهُ لِي عَامَتَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ إِلَى
الْمُسْبِرِ» لقمان: ١٤

٣ «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ
إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ الرِّضَاعَةَ... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ
بَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ
تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَكُمْ
بِالْمَعْرُوفِ...» البقرة: ٢٣٣

وفيهما جهات من البحث:

الأولى: أَنَّ الْمُسْتَرِئِينَ وَالْفُقَهَاءَ اهْتَمَوْا بِأَسْيِ
الْأَحْقَافِ وَالْبَقَرَةِ، وَسَكَنُوا عَنْ آيَةِ لِقَامٍ مَعَ دَخْلِهَا فِي
الْمَوْضُوعِ، فَجَعَلُوا بَيْنَهُمَا بِحَمْلِ الْأَوَّلَى عِلًّا أَقَلَّ مَدَّةِ
الْحَمْلِ - وَهِيَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ - وَأَكْثَرَ مَدَّةِ الرِّضَاعِ، وَهِيَ
حَوْلَانِ. وَأَوَّلُ مَنْ اسْتَنْبَطَ ذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَتَبِعَهُ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَمَنْ تَلَاهُ كَمَا جَاءَ فِي النُّصُوصِ. وَلَا بَأْسَ بِهَذَا
الْجَمْعِ، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْتَهِي بِهِ كَمَا يَأْتِي.

الثانية: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَدَّوْا أَكْثَرَ مَدَّةِ
الْحَمْلِ بِسِتِّينَ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ، لَاحِظِ
النُّصُوصَ. وَخَالَفَهُمُ الْإِمَامِيَّةُ فِي ذَلِكَ، فَالْقَوْلُ الْمَشْهُورُ
عِنْدَهُمْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.^(١)

الثالثة: أَنَّ أَقَلَّ مَدَّةِ الرِّضَاعِ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ
(٢٦) شَهْرًا، وَأَكْثَرُهَا أَنَّ الْأَقْلَّ مِنْهُ جَفَاءٌ عَلَى الطِّفْلِ، إِلَّا
فِيمَا اسْتَسْنَى نَادِرًا.^(٢)

الرابعة: يَحْظُرُ بِالْبَالِ أَنَّ الْآيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ الْمُكَتَبَتَيْنِ لَمْ
يَتَرَضَّا لِلتَّشْرِيعِ، بَلْ لِبَيَانِ مَا كَانَ تَجْرِي عَلَيْهِ الْعَادَةُ
بَيْنَ النَّاسِ حِينَ ذَلِكَ مِنْ مَدَّةِ الْحَمْلِ وَالرِّضَاعِ مَقَامًا ثَلَاثُونَ
شَهْرًا، وَغَمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَتَّفِقُ مَدَّةَ الرِّضَاعِ حَتَّى يَبْلُغَ قَامَ

المولودين. وسياقتها الوصية بالوالدين وإيفاء حقوقها
والإحسان إليهما بإزاء إيلادهما وحضانتها الولد،
وماتنحمله الأم بالذات من الصغويات. فبدأ الله فيها
بقوله: «وَوَضَعْنَا الْإِنْسَانَ بِرْءَالِدَيْهِ»، حيث كان لها
دخل في نشأته. ثم التفت إلى هموم الأم في حملها، حيث
قال في الأولى: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا»،
وفي الثانية: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا وَعَلَى وَهْنٍ»، أي أنها
كانت مكروهة في حملها ووضعه، وكان يعرض لها في
حملها وهنٌ بعد وهن، لأنه كلما يكبر الجنين في بطنها
يعرض لها وهن كثير حتى تضمه، فيمثل لنا هذا السياق
هموم الأم ومعاناتها في حمل الطفل.

ثم تعرض فيها لمشقة الرضاعة إلى جنب الحمل،
وهي على عهدة الأم أيضًا، وعلى الأب الثقة. فجمع في
الأولى مدة الحمل والرضاع في ثلاثين شهرًا، وكانت
المتعارفة لها في مكة وغيرها، واكتفى في الثانية ببيان
أكثر مدة الرضاع - وهي حولان - إسعافًا في وصف
ماتكايده الأم.

هذا ما في الآيتين المكتبتين وفارقًا لسياق الآيات
المكتبة، أما الآية الأخيرة المدنية فسياقها التشريع لحكم
الرضاع ومدته جريًا على ما اعتاده الناس من إكمال
المولودين - وهو الأولى - أو الاكتفاء بما دونها، حيث قال:
«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُنْعِمَ الرِّضَاعَةَ»، فلم يحتم الإكمال، بل خصه بن أراد
أن يتم الرضاعة. وفيه تصريح بأن إتمام الرضاعة بإكمال

(١) جواهر الكلام (٣٦، ٢٢٥).

(٢) المصدر السابق (٣١، ٣٧٧).

وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ... النساء: ١٧١

٢- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾

المائدة: ٧٣

وفيها جهات من البحث:

المجهة الأولى: أنها آيتان مديتتان قد جرى البحث فيها وفي آيات قبلها وبعدها حول السيد المسيح عليه السلام ويدعى القلوة فيه، خطأً لأهل الكتاب، والمراد بهم النصارى دون اليهود، لأن النصارى وإن كانوا قلوبين في داخل المدينة، إلا أن جماعتهم - في شبه الجزيرة العربية، ولاسيما في ناحية اليمن وفي نجران بالذات، وكذا في الشام وما والاها إلى بلاد الروم - كانت كبيرة، وقد اتفق بهم الدعاة المسلمون بعد الهجرة عقب التقاطع باليهود الذين تحدث عنهم القرآن في البقرة - وهي أول سورة مديّة - في السنة الثانية من الهجرة، ثم تحدث في السنة الثالثة عن النصارى في سورة آل عمران، وهي ثالثة المديتات بعد البقرة والأنفال عند الجمهور، فقد جاء فيها حديث امرأة عمران، وولادة مريم، ثم بشارتها بعيسى وما آتاه الله من الآيات والمعجزات، ابتداء من الآية (٣٥) إلى (٦٦)، وجاء في الأخيرة حديث المبالغة مع نصارى نجران في شأن عيسى، لاحظ (ب هـ ل)، وقد ختم الله هذا السياق بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَضَى الْمُقَيَّدُ وَعَامِنٌ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَنْ هُوَ الْغَيْرُ الْحَكِيمُ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمُفْهِمِينَ ﴿آل عمران: ٦٢، ٦٣.

ثم بدأ بخطاب أهل الكتاب مرة بعد أخرى، وهو يعم الفريقين: اليهود والنصارى، وجملة منها خاصة بالنصارى، ابتداء من (٦٤) وانتهاء بـ (٩٩)، وقال في

المحولين، لكن فيه رخصة لمن لا يريد أن يثبتها، وفي ذيل الآية ترخيص للوالدين بفصال الأولاد عن تراش منها وتشاور فيما دون المدة المعتادة، وفيه ترخيص آخر لها في الاسترضاع للأولاد بغير الأم، لاحظ النصوص.

الخامسة: قد ظهر بهذا البيان أن الجمع بين ثلاثين شهراً وحولين كاملين في الآيات لا ينحصر بالاحتفاظ في الرضاع بالمولين دائماً وتقليل مدة الحمل إلى ستة أشهر، بل الأخرى ببقايا الآيات - ولاسيما الأخيرة - هو الترخيص في تقليل مدة الرضاع، وعليه فدلالتها على أقل مدة الحمل - وهي ستة أشهر - ليست قطعية.

السادسة: جاءت ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ...﴾ - مع ما فيها من التأكيد للارضاع والاسترضاع والعناية بالأولاد - بعد آيات الطلاق مباشرة، رعاية لحال الأولاد بعد وقوع الطلاق واحتلال الحياة الزوجية بين الزوجين، حيث إن أهم ما يجب الاهتمام به حينذاك هو رضاع الطفل، كي لا تختل حياته باختلال الحياة الزوجية.

هذا في آيات سورة البقرة، وكذا في سورة الطلاق، فيقول بعد آيات في شأن الطلاق: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْضَعْنَّ أَجُوزَهُنَّ وَاتَّقُوا بَيْنَكُمْ بِمِثْلِ مَا تَفْعَلُونَ وَإِنْ تَفَاعَلْتُمْ فَتَرْضَعُوا لَكُمْ...﴾ الطلاق: ٦، لاحظ (ر ض ع).

الموضع الثاني: التثليث: وفيه آيتان (١٣) و (١٤) متكررتان بهذا الترتيب:

١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رُسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ أَلْقَمًا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِهِ وَرُسُولِهِ

الآخيرة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ تَبْغُونَهَا عِوَجًا...﴾ آل عمران: ٩٩. واستمر الحديث عنهم إلى آخر السورة.

وقيل في وجه الاتصال بين سورتي الأنفال وآل عمران: إنَّ في الأولى تفصيل غزوة بدر، وفي الثانية غزوة أحد. أما في وجوه الاتصال بين سورتي البقرة وآل عمران، ففي النار (٣: ١٥٣): «فنها أن كلًّا منها حاج أهل الكتاب، ولكن الأولى أفاضت في محاجة اليهود، واختصرت في محاجة النصارى، والثانية بالعكس، والنصارى متأخرون عن اليهود في الوجود، وفي الخطاب بالدعوة إلى الإسلام، فناسب أن تكون الإفاضة في محاجتهم في الثانية. ومنها: ما في الأولى من التذكير بخلق آدم، وفي الثانية من التذكير بخلق عيسى، وتشبيه الثاني بالأول في كونه جاء بديما على غير سنة سابقة في الخلق. وذلك يقتضي أن يذكر كل منها في السورة التي ذكر فيها».

الجهة الثانية: أنَّ القرآن تحدّث عن رفض الفلّو في عيسى عليه السلام خلال طوائف من الآيات:

- ١- ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٥٩
- ٢- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغْيٍ حَاجَّكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَالَوْا نَذْغُ أَنْتُمْ نَا...﴾ آل عمران: ٦١
- ٣- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ آل عمران: ٦٤
- ٤- ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ

وَالشُّعْرَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُتَّخِذُوا الْمَسْكَنَةَ وَالشَّيْبَانَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

آل عمران: ٧٩، ٨٠

٥- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثٌ تِلْكَ الشُّعْرَاتُ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَسْكَنَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْمِلْهُمْ إِلَهُ جَبِيقًا﴾

النساء: ١٧١ - ١٧٢

٦- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَهُوَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْقَصِيرُ﴾

المائدة: ١٧

٧- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثٌ وَنَادَى إِلَهُهُ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ أَقْبَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ خَالِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُوْلُو صِدْقَةٍ سَمَاتَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَفَنُظَرُ كَيْفَ يُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ نَنْظُرُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ

الْأَهْزَابِ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ
آلِهِمْ ﴿٥٧-٦٥﴾ الزخرف:

المجعة الثالثة: في هذه الآيات بحوث هامة في شأن
عيسى عليه السلام:

١- أن أكثرها مديحة خطاباً للتصاري القاطنين بها
وبغيرها من قري الجزيرة عند التعانهم بالمسلمين بعد
الهجرة، ابتداء من السنة الثالثة إلى العاشرة، وهي السنة
التي نزلت فيها المائدة على المشهور عند الجمهور، في
ثلاث سور: آل عمران والتساء والمائدة. في الأولى ست
آيات، وفي الثانية آيتان، وفي الثالثة ثماني آيات. وقد
سبقت.

فيبدو منها أن المسلمين كانوا يقيمون روابط مع
التصاري خلال هذه المدة، أي من السنة الثالثة إلى
العاشرة، إلا أن موقف اليهود من المسلمين كان بعد
الهجرة أشد وأقوى من التصاري كما يفهم من القرآن
والسيرة النبوية، حيث انتهى إلى طردهم من المدينة أو
قتلهم.

أما عدد الآيات المكية في هذا المضمار فأقل من
المدينة، ففي مريم أربع آيات، وفي الزخرف تسع. وليس
شيء منها خطاباً للتصاري. إذ لم يكن هناك حينذاك
اتصال بينهم وبين المسلمين، وإنما جاءت في مكة دفعتاً
لمحبة المشركين الذين كانوا يحتجون لأهلهم بألوهية
عيسى عند التصاري. وقد صرح بها في آيات الزخرف
٥٧، ٥٨: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
يَصِدُّونَ﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا
جَدَلًا بَلْ لَهُمْ قَوْمٌ فَخِصُّونَ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ اتَّخَذْتَهُ عَلَيْهِ
وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ... وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِجِّي
وَرِجْلَكُمْ فَاسْأَلُوهُ هَذَا حِرَاطٌ مُسْتَبِيمٌ فَاخْتَلَفَ

ضَرًّا وَلَا تَفْعَا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٣-٧٧﴾ فَلْيَاغْزِلِ الْكِتَابِ
لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧-٧٧﴾
المائدة: ٧٣-٧٧

٨- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّتِي الْهَيْكَلِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ بِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ نَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آخِذُوا
اللَّهَ رَبًّا وَرِجْلَكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ نَهِيًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا
تَوَلَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الْوَهَّابُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ﴾ المائدة: ١١٦، ١١٧

٩- ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ
يَسْتَشِرُّونَ ﴿١١٦﴾ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَخْذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا
قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي
وَرِجْلَكُمْ فَاسْأَلُوهُ هَذَا حِرَاطٌ مُسْتَبِيمٌ ﴿١١٨﴾ فَاخْتَلَفَ
الْأَهْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمَ
عَظِيمٍ﴾

مريم: ٣٤-٣٧

١٠- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
يَصِدُّونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا
جَدَلًا بَلْ لَهُمْ قَوْمٌ فَخِصُّونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ اتَّخَذْتَهُ عَلَيْهِ
وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ... وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى
بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِجِّي
وَرِجْلَكُمْ فَاسْأَلُوهُ هَذَا حِرَاطٌ مُسْتَبِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ

(ب ن و) - وقد أبدعها بقوله في (١): ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. أي في الولادة الخارقة للعادة، وقد سبق فيها آدم عيسى، ولم يكن إلهاً. وفي (٦): ﴿قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾. أي: هانتهم متعرفون بأن عيسى هو ابن مريم. فكيف يقولون: إنه ابن الله؟!

٣- أبطل الله تلك الشبهة في (٧) مستدلًا بأن عيسى وأمه كانا بشرين يأكلان الطعام: ﴿عَالِمِ السَّيِّئِ إِنَّ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَبِيحَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُنِيبُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾. أي إذا كانا يأكلان الطعام، فهما كسائر أفراد البشر تغذية وتغلية، فكيف يكونان إلهين؟

٤- وبأن عيسى وأمه لا يمكن أن يكونا للناس ضرراً ولا نفعاً، فكيف يكونان إلهين يعبدونها؟ قال في (٧): ﴿قُلْ أَتَقْبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، أي أن الله هو المختص بوصف «السميع العليم»، وهو الذي يضر وينفع، فهو الإله دون المسيح وأمه.

٥- وفي (٦) بأن الله إذا أراد أن يهلك المسيح وأمه فلا يمتعه شيء من ذلك: ﴿قُلْ قَسَمٌ بِمِلْكِ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ...﴾، أي إذا كانا إلهين فكيف يهلكان؟ ثم إذا هلكا فمن يملك السماوات والأرض، فالله الذي ملكهما هو الذي يهلكهما، فهو الإله دونهما.

٦- وفي (٥) بأن الله غني عن الولد، ولا يتخذ لنفسه

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَشُونَ﴾ ما كان له أن يتخذ من ولد... غني ألوهيته باعتباره هو في التوريتين بأنه عبد الله، وأن هذا - أي توحيد الله بالألوهية - هو الصراط المستقيم. ثم نبه في الزخرف على أن المشركين لم يذكروا ألوهية عيسى إلا جدلاً، لأنهم لم يعترفوا به ولا برسالته، وأنكروها كما أنكروا رسالة غيره من الأنبياء ﷺ.

٢- لما كانت شبهة ألوهية عيسى نشأت من ولادته بشكل غير معتاد وبلا أب، أصّر القرآن على شرحها مرات، أولها في سورة مريم المكية (٢) إلى (٣٣)، حيث بدأها بدعاء زكريا ربّه ليهب ولداً، رغم شيخوخته وهرمه ودقة عظمه، ناهيك من عقم امرأته: فوهبه الله بحبي خرقاً لتوايس الطبيعة، ليكون شاهداً على ولادة عيسى كذلك. ثم أتاهها قصة مريم، إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فتعلّق لها روح الله بشراً سوياً... فحملته مريم، ثم قال: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فدفع الله بذلك شبهة التصاري في عيسى، دحضاً لجدل المشركين المشار إليه في سورة الزخرف المكية. وقد كثرها في آل عمران (٣٥) إلى (٤٧) المدنية، لإبطال تلك الشبهة عند التصاري أنفسهم، فبدأها بقصة امرأة عمران وإيلادها مريم، وأن زكريا كفّلها، ثم رأى منها الأعاجيب. ولم يكن له ولد، فقال الله الذريّة الطّبيّة: ﴿هَئِلِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ...﴾ آل عمران: ٣٨. - وقد بسطنا القول في سرّ تأكيد القرآن للتبشير بعيسى بن مريم، دفعا لشبهة ألوهيته، لاحظ «ابن» من

٩- وَأَنَّ الْقَوْلَ بِأُلُوهِيَّةِ عِيسَى غُلُوٌّ فِي الدِّينِ (٥):
«يَأْخُذُ الْكِتَابَ لَا تَتَّقُوا فِي دِينِكُمْ» (٧): «قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ». لاحظ «غلو» من
(غ ل و).

١٠- وَأَنَّ فِي كَلَامِ التَّصَارُفِ تَنَافُضًا، فَبَاتِهِم قَالُوا
مَرَّةً: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ (٧): «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»، أي أَنَّ اللَّهَ هُوَ عَيْنَ الْمَسِيحِ،
وهذا يقتضي اتحادهما ذاتًا أو وجودًا، وَأَنَّ اللَّهَ لَاجِبُود
لَهُ إِلَّا فِي الْمَسِيحِ.

وقالوا في نفس الوقت: إِنَّ الْمَسِيحَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةِ (٧)،
أَوْ قَالُوا بِثَلَاثَةِ آلِهَةٍ (٥): «وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً»، فهذه أقوال
متناقضة لهم، وقد صرح القرآن بأنهم قالوا بها، فهل
هذه الآيات تشير إلى ثلاثة أقاويل لهم، كما جاء في
بعض النصوص؟ أو أنها ترجع إلى قول واحد، يجمعها
قولهم: «جوهر واحد وأقانيث ثلاثة»؟

وعندنا أنها تحكي تشتتهم واضطرابهم في التعبير،
لترددهم في فهم التثليث، بحيث اعترف عظماءهم بأنَّ
التثليث لا يدرك بالعقول، بل تؤمن به القلوب.

١١- وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي الثَّلَاثَةِ، هَلْ هُمْ اللَّهُ وَعِيسَى
وَمَرْيَمُ؟ وَهِيَ عَقِيدَةُ بَعْضِ فِرَقِهِم الَّتِي نَسَبَتْ
بِهَا الْمَرْيَمِيَّةَ، أَوْ هُمْ اللَّهُ وَعِيسَى وَرُوحُ الْقُدُسِ؟ وَهَذَا هُوَ
الشَّاعِرُ فِي عَصْرِنَا، وَلَا قَائِلَ الْآنَ بِالْأَوَّلِ، لَاحِظْ
النُّصُوصَ الطَّوِيلَةَ ذِيلَ الْآيَاتِ، وَلَا سِمَا نَصَّ الْاَلُوسِيَّ
وَرَشِيدَ رَحَا.

١٢- رَكَزَ الْقُرْآنُ - إِسْوَافَةً إِلَى قَوْلِهِم بِالتَّثْلِيثِ - فِي
أَتَمِّمِ اعْخُذُوا عِيسَى وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ (٨): «يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

وَلَدَا، وَهُوَ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ
وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ...»، وَفِي (٩): «مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَخْذَ مِنْ وَلَدٍ
سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ...»،
أَي أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِيَدِهِ أَرْسَلَهُ
الْأُمُورَ، فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَيُوجَدُهُ بِإِرَادَتِهِ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ
إِلَى مَعِينٍ وَسَبَبٍ، فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ.

ويخطر بالبال في هاتين الآيتين أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنَ الْآيَةِ
الْأُولَى أَنَّهُ غَنِيٌّ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنَّهُ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ. وَمِنَ الثَّانِيَةِ أَنَّهُ مَعَ غَنَاتِهِ عَنِ الْوَلَدِ فَلَا يَخْذُ
أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَلَدًا لِنَفْسِهِ. وَهَذَا دَحْضٌ لِرَأْيِ مَنْ
يَقُولُ: إِنَّ عِيسَى لَيْسَ وَلَدًا لَهُ حَقِيقَةً، بَلْ اعْخُذْهُ وَلَدًا
لِنَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا لَهُ.

٧- كَمَا رَكَزَتِ الْآيَاتُ فِي رَفْضِ الشِّرْكِ، وَعِبَادَةِ
غَيْرِ اللَّهِ، وَاعْخُذَ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضَهُمْ وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي (٤)، وَأَنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ فِي: (٤)
و(٦) و(٧) و(٩)، وَأَنَّ الْمَسِيحَ نَفْسَهُ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ
(٩): «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ»، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَقُولَ:
إِنِّي وَلَدُ اللَّهِ (٨): «عَاثِلْتُ لَكُمْ إِلَّا مَا عَاثَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ»، وَ(٩): «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ»، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِرَسُولٍ أَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى
عِبَادَتِهِ فِي (٤).

٨- وَأَنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ وَاعْخُذَ وَلَدَ لَهُ هُوَ اسْتِكْبَارٌ
وَاسْتِكْفَافٌ عَنِ عِبَادَتِهِ (٥): «وَمَنْ يَسْتَكْبِفْ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَخْشَرُهُمُ إِلَهُ جَمِيعًا»، لَاحِظْ
«استكبار» مِنْ (ك ب ر) و«استكفاف» مِنْ (ن ك ف).

١٣- كشف القرآن عن أمرين هامّين في شأن اعتقاد

النصارى الثلاثي وغلوهم في عيسى:

أحدهما: أنهم أخذوه بمن سبقهم من الأمم الضالّة
(٧): ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا
وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وقد تبه صاحب «المنار» فيما
تقدّم من كلامه على وجود الثلاثي بين كثير من الأمم
السابقة، ومنهم الروم، فتأثرت النصارى بهم.

ثانيها: وجود الاختلاف البارز بين النصارى في
شأن عيسى وفي تفسير الثلاثي، وهذا مشهود في
تاريخهم بين طوائفهم إلى عهدنا (٩): ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَسْتَخْتَرُونَ﴾ فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ، و(١٠): ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ﴾، والتعبير عن طوائفهم الذين اختلفوا
به «الأحزاب» مرتين، إيماء إلى عمق الاختلاف والتنازع
بينهم فيما اعتقدوه، وأن كلّ حزب بما لديهم فرحون،
لاحظ (الأحزاب) من «ح ز ب».

وهل هذا الخلاف حدث بينهم بعد عيسى - كما يومئ
إليه (٨): ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ سَبِيلٍ شَهِيدًا مَادَعْتُمْ فِيمَ لَكُمْ فَلَمَّا
تَوَقَّعْتُمْ كُنْتُمْ أَنتَ الْوَقِيبَ عَلَيْهِمْ؟﴾ وقد تقدّم عن
صاحب «المنار» وغيره أن الثلاثي لا أثر له في الأناجيل،
وتقدّم عن بعضهم أن اختلافهم في تفسيره ظهر بعد أن
جمع «قسطنطين» جميع طوائفهم في بلاطه - أو حدث في
حياته كما نصّ عليه إنجيل «برنابا»، ففيه نصوص كثيرة
تحكي أن قسطنطين كبيراً من رسالته جاء في رفض هذا
الضلال المبين الذي نشأ من قبل خصومة اليهود، إفساداً

مَأْنَتْ قُلْتُ لِلثَّالِثِ الْخُذُونِي وَأَتَى الْخَلِيفَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
و(٦): ﴿قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُسَلِّكَ
السَّبِيلَ إِنَّهُ زَوَّجٌ وَأَمَةٌ﴾ فهل كانت هذه عقيدة بعضهم
بإزاء الثلاثي؟ أو أنها ليست سوى رفض ألوهية عيسى
وأتمه. وكانوا يعبدونها مع الله؟ الظاهر أنها كانت عقيدة
- سوى الثلاثي - عند الفرقة «المريمية»، فيؤيد اعتقاد
بعض النصارى بذلك حينذاك.

وقد طرح الطبرسي (٦: ٢٦٨) في ذلك سؤالاً: هل
اتخذ أحد من النصارى مريم إلهاً؟ وأجاب عنه بوجوه،
منها: أنها إشارة إلى الفرقة «المريمية» التي حكاهما عن
الشيخ الطوسي. ومنها: أنهم حين اعتقدوا في المسيح
أنه إله لزمه القول بألوهية مريم، لأن الولد من جنس
الوالدة. ومنها: أنهم لما عظموها تعظيم الآلهة أطلقوا
اسم الآلهة عليها.

وقد بسط صاحب المنار (٧: ٢٦٢) الكلام في ذلك
بقوله: «أما أم عيسى عبادتها كانت مستقفاً عليها في
الكنائس الشرقية والغربية بعد «قسطنطين»، ثم أنكرت
عبادتها فرقة «البروتستانت» التي حدثت بعد الإسلام
بعده قرون». ثم بين أن عبادتها كانت عبارة عن صلاة
ودعاء واستغاثة واستشفاع وصيام ونحوها، إلى أن
قال: «ولكن لا تحرف عن فرقة من فرقهم إطلاق كلمة
«إله» عليها، بل يسمونها «والدة الإله»، ويصرّح بعض
فرقهم بأن ذلك حقيقة لا مجاز، والقرآن يقول هنا: إنهم
اتخذوها وابناً إلهين، والاتخاذ غير التسمية، فهو
يصدق بالعبادة، وهي واقعة قطعا...»، ثم ذكر نصوصاً
في عبادة النصارى لمريم، فلاحظ.

«الكلمة» عليه أيضاً في آل عمران: ٣٩، خطاباً لتركيا: «أَنَّ اللَّهَ يَشْرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» قال الطبرسي (٢: ٤٢٨): «أي مصداقاً بعيسى، وعليه جميع المفسرين وأهل التأويل، إلا ما حكي عن أبي عبيدة أنه قال: بكتاب الله...». وفي (٤٥) أيضاً خطاباً لمرم: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». وظهرها أن عيسى هو كلمة الله ألقاها إلى مريم، وليس المراد أنه بشارة الله بعيسى كما قيل. وقد ذكر رشيد رضا (٣: ٣٠٤) في سر إطلاق الكلمة عليه وجوهاً أربعة، أولها: «أنه خلق بكلمة الله «كن» من دون أب». وذكر في (٦: ٨٢) وجه التعبير به ألقاها، كما ذكر الفخر الرازي (٨: ٣٨) خمسة وجوه، واختار الطباطبائي (٥: ١٧٥) أنه كلمة «كن» التي ألقيت إلى مريم البتول، وبعت عنها تفصيلاً في (٩: ١٩٢)، فلاحظ.

وقد جاء في أول إنجيل يوحنا: «في البدو كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً، وحلّ بيتنا، ورأينا مجده...». وهذا هو مبدأ عقيدة النصارى بأن عيسى هو الله، وأنه كلمة الله. والقرآن يصدق بأنه كلمة الله، وينكر أنه الله أو ابن الله. وعند النصارى بحث طويل في فلسفة اللاهوت حول «الكلمة»، لاحظ «الكلمة» من (ك ل م). الثالث: أنه روح من الله، وذكر في المنار (٦: ٨٢) فيه وجهين: أحدهما: أنه مؤيد بروح القدس، كما قال: «وَأَيُّدُنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ» البقرة: ٨٧. وثانيهما: أنه خلق بنفخ من روح الله، وهو جبرئيل، كما قال:

لدينه وإهانة لشخصه، كما أشاعوا أجدونته أدهاته أنه ملك بني إسرائيل الموعود، ليستثيروا الزوم عليه، وقد تحققت بذلك آمانيهم.

١٤- وكل ذلك إبطال لمزاعم النصارى في عيسى، والذي أنبته القرآن في (٥): «وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقِيَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...»، وهي ثلاثة أوصاف لعيسى:

الأول: أنه رسول الله، وقد كرّر في (٧): «وَالْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ»، وفي (١٠): «إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَءِيلَ»، وفي قوله: «وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» آل عمران: ٤٩.

والذي يلفت النظر أن القرآن أبان فيها أن عيسى رسول إلى بني إسرائيل خاصة، وليس إلى الناس عامة كما تدّعيه النصارى، وهذا يحتاج إلى دراسة جديدة.

كما أبان أن الله جملة مثلاً لبني إسرائيل، قال الطبرسي (٩: ٥٣): «أي آية لهم ودلالة يعرفون به قدرة الله تعالى على ما يريد، حيث خلقه من غير أب، فهو مثل لهم يشبهوا به ما يرون من أعاجيب صنع الله». وقال الطباطبائي (١٨: ١١٧): «آية عجيبة إلهية يسر ذكره كالأمثال السائرة»، ويبدو منها أن الله أزال به شبهة النصارى في المسيح الناشئة من ولادته من غير أب ببيان أنه آية من آيات الله كسائر آياته.

الثاني: أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم، وأطلقت

الأمر ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الإسراء: ٨٥. ولما كان عيسى عليه السلام كلمة «كن» التكوينية - وهي أمر - فهو روح»، لاحظ «الروح» من (روح).

﴿فَسَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ الأنبياء: ٩١، وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ مريم: ١٧. وحكى عن بعض أن المراد بالروح التفنن، ثم احتمل هو أن المراد به الروح والتفنن معاً. وقال الطَّبَّاطَبَايَ (٥: ١٤٩): «الروح من

ث ل ل

ثُلَّةٌ

لفظ واحد، ٣ مَرَّات في سورة مَكِّيَّة

النُّصُوصُ اللُّغَوِيَّةُ

الْعَلِيلُ : وَثُلَّ حَرَشُهُ ، أَي زَال قِوَامُ أَمْرِهِ ، وَأَقْلَهُ اللَّهُ .
ويقال لِمَرْشِ الْكَرْمِ ، وَعَرْشِ الْعَرِيشِ الَّذِي تَتَخَذُ
مِنْهُ ظِلَّةٌ وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِذَا انْهَدَمَ : قَدْ ثُلَّ .
وَالثُّلَّةُ ^(١) : قَطِيعٌ مِنَ الْعَنَمِ غَيْرُ كَثِيرٍ . [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ
بِشَرٍ]

وَالثُّلَّةُ : جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرَةٌ .

وَالثُّلَّةُ : تَرَابُ الْبَيْتِ .

وَالثُّلَّةُ : الْهَلَاكُ ، وَكَذَلِكَ الثُّلَّةُ وَالثَّلَالُ . [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ

بِشَرٍ] ^(٨: ٢١٦)

الْأَصَمِيُّ : الثُّلَّةُ : الْهَلَاكُ ، يُقَالُ مِنْهُ : ثُلَّتُ الرَّجُلَ
أَتْلَهُ تَلًّا وَتَلَّلًا .

الثُّلَّةُ : الْقَرَابُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ . (الْأَزْهَرِيُّ ١٥ : ٦٣)

ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : وَقَدْ ثُلَّ ، إِذَا هَلَكَ وَثُلَّ ، إِذَا

اسْتَغْفَى .

وَالثُّلَّةُ : الْهَدْمُ ، بِضَمِّ الشَّاءِ يَنْ . وَالثُّلَّةُ أَيْضًا :
مَكِّيَالٌ صَغِيرٌ . (الْأَزْهَرِيُّ ١٥ : ٦٥)
أَبُو عُبَيْدٍ : وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
«لَا يَجِيءُ إِلَّا فِي ثَلَاثَ : ثُلَّةُ الْبَيْتِ ، وَطَوِيلُ الْفَرَسِ ، وَحَلَقَةُ
الْقَوْمِ» .

أَرَادَ بِثُلَّةِ الْبَيْتِ أَنْ يَحْتَفِرَ الرَّجُلُ بِئْرًا فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ
بِمِلْكٍ لِأَحَدٍ ، فَيَكُونُ لَهُ مِنْ حِوَالِي الْبَيْتِ مِنَ الْأَرْضِ
مَا يَكُونُ مَلِكًا لثُلَّةِ الْبَيْتِ ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مِنْ تَرَابِهَا ،
لَا يَدْخُلُ فِيهِ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، حَرِيمًا لِلْبَيْتِ .

وَالثُّلَّةُ أَيْضًا : جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَنَمِ وَأَصَوْفُهَا .

وَكَذَلِكَ الْوَيْرُ أَيْضًا : ثُلَّةٌ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ الْحَسَنِ : «إِذَا
كَانَ لِلْيَتِيمِ مَاشِيَةٌ فَلِلْوَصِيِّ أَنْ يَصِيبَ مِنْ ثُلَّتِهَا وَرَسُولُهَا» .
أَي مِنْ صَوْفِهَا وَلِبْنِهَا . (الْأَزْهَرِيُّ ١٥ : ٦٣)

(١) الطَّاهِرُ : الثُّلَّةُ ، بِنَتْجِ الثَّاءِ ، حَسَبَ مَا ذَكَرَهُ جَمِيعُ الْمُتَوَسِّتِينَ
فِي كِتَابِهِمْ .

جمع الثَّلَّة من الغنم: يَثَلُّ.

فَأَنَّا الثَّلَّةُ: بضمَّ التَّاءِ، فالجماعة من النَّاسِ، قال الله تعالى: ﴿ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الواقعة: ٤٠، ٣٩ (الأزهرى: ١٥: ٦٤)

نحوه الخطَّابيّ. (١: ٤٩٨)

ابن السَّكَيْتِ: وقد ثَلَّتْ التُّرابُ في القبر فأَنَّا أَثَلُّ، وقد نَلَّ الدَّرَاهِمُ يَثَلُّهَا ثَلًّا، وقد سَحَلَهَا يَسَحُلُهَا، إذا صَبَّهَا. (إصلاح المطلق: ١٩١)

ويقال: قد أَثَلَّتْ الشَّيْءَ، إذا أَمَرْتَ بِإِصلاحه، وقد ثَلَّتْهُ، إذا هَدَمْتَهُ وَكسَرْتَهُ.

ويقال للقوم إذا ذهب عَزَمُهُم: قد ثَلَّ عَرَشُهُم.

(إصلاح المطلق: ٢٤٦)

ويقال: أَثَلَّ الرَّجُلُ فَهُوَ مُثَلِّلٌ، إذا كَثُرَتْ ثَلَّتُهُ. وَالثَّلَّةُ: الصَّوْفُ.

ويقال: لِلصَّوْفِ وَالشَّعْرِ وَالْوَبَرِ إذا اجتمع: ثَلَّةٌ، فإذا انفرد الشَّعْرُ وَحده أو الْوَبَرُ وَحده لم يُقَالْ له: ثَلَّةٌ.

ويقال: كَسَاءٌ جَيِّدٌ الثَّلَّةُ، أي جَيِّدُ الصَّوْفِ.

ويقال لِلصَّانِ الْكثِيرَةِ: ثَلَّةٌ، ولا يُقَالُ لِلْمِعْزَى: ثَلَّةٌ، فإذا اجتمعت قِيلَ لَهَا جَمِيعًا: ثَلَّةٌ.

ويقال: قد نَلَّ اللهُ عَرْشَهُ يَثَلُّهُ، وَثَلَّ عَرْشَهُ أَجُود، إذا ذهب عَزَمُهُ وَشَرَفَهُ. (إصلاح المطلق: ٢٦٦)

ابن دُرَيْدٍ: نَلَّ الْبَيْتَ يَثَلُّهُ ثَلًّا، إذا هَدَمَهُ.

وَنَلَّ عَرْشَ الرَّجُلِ، وذلك إذا تَضَعَّصَتْ حاله.

والمصدر: الثَّلَّ والثَّلَلُ. [تم استشهد بشعر]

وربما قيل: نَلَّ عَرْشَ فلان وعَرْشَهُ، إذا قُتِلَ، هكذا يقول الْأَصْمَعِيُّ. [تم استشهد بشعر إلى أن قال:]

وَالثَّلَّ وَالثَّلَلُ: الْهَلَاكُ. [تم استشهد بشعر]

وَالثَّلَّةُ: الصَّوْفُ. [تم استشهد بشعر]

وَالثَّلَّةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، وكذلك قد فُسِّرَ في التَّنْزِيلِ، والله أعلم.

وَالثَّلَّةُ: تَرَابُ الْبِرِّ. (١: ٤٧)

الأَزْهَرِيُّ: في حديث عمر: «رُئِيَ فِي الْمَنَامِ فَسُتَلَّ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: كَادَ يَثَلُّ عَرْشِي» هذا مَثَلٌ يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ إِذَا ذَلَّ وَهَلَكَ.

يقال: ثَلَّتْ الشَّيْءَ، إذا هَدَمْتَهُ وَكسَرْتَهُ. وَأَثَلَّتُهُ، إذا أَمَرْتَ بِإِصلاحه.

يقال: ثَلَّتْ التُّرابُ فِي الْقَبْرِ وَالْبِرُّ أَثَلُّهُ ثَلًّا، إذا أَهْدَمْتَهُ فِيهِ بَعْدَ مَتَاعِهِ، وَقَالَ فُلَانٌ الدَّرَاهِمُ يَثَلُّهَا ثَلًّا، إذا صَبَّهَا كَذَلِكَ.

(١٤: ٦٤)

الصَّاهِبُ: وَفِي الْمَثَلِ: «لَا تَتَخَذْ صَنَاعَ ثَلَّةٍ» أَيِ صَوْفًا.

وَالْمِثْلُونَ: أَصْحَابُ ثَلَّةٍ مِنَ الْغَنَمِ. وَالثَّلَّةُ: طَهِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ غَيْرُ كَثِيرٍ، وَجَمْعُهُ: يَثَلُّ. [تم استشهد بشعر]

وَأَثَلَّتْ الشَّيْءَ: أَصْلَحْتَهُ، وَثَلَّتْهُ: هَدَمْتَهُ.

وَالثَّلَّةُ: يَثَلُّ الْبِرُّ، وكذلك الثَّلَّةُ - بِالْفَتْحِ - وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا جَمِيَّ فِي ثَلَّةِ الْبِرِّ».

وَالثَّلَّةُ: جَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَثِيرَةٍ، وكذلك مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَالثَّلَّةُ فِي مَوَارِدِ الْإِبِلِ: طَيْمٌ يَوْمِينَ بَيْنَ شُرْبَيْنِ.

وَالثَّلَالُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَفْصِ.

وَالثَّلَّةُ: شَيْءٌ كَهَيْئَةِ الْمَنَارَةِ فِي الصَّحَرَاءِ يُسْتَظَلُّ

تَحْتَهَا.

وَنَلَّكَ الرِّعَاءَ أَثْلَهُ وَانْتَلَّكَ: أَخَذَتْ مَا فِيهِ.

وَنَلَّالٌ مَنْ نَمَّرَ، أَيْ صَبَّرَ مِنْهُ.

وَنَلَّ الدَّرَاهِمَ، أَيْ صَبَّهَا، فَانْتَلَّتْ.

وَنَلَّ الْبِرْدُونَ: دَمَى بِرَوْنِهِ.

وَانْتَلَّ النَّاسَ عَلَيْنَا: انصَبُوا.

وَالْتَلَّ: الْهَلَاكُ، يُقَالُ: تَلَّ تَلًّا، وَاتَّلَّ: مِثْلُهُ. وَكَذَلِكَ

الْتَّلَالُ.

وَانْتَلَّ الْقَوْمُ، بِمَعْنَى انْتَالُوا.

وَالْمُتَلَّلُ: الْجَامِعُ لِلْمَالِ، الْمُصْلِحُ لَهُ. (١٠: ١٢٧)

الْجَوْهَرِيُّ: يُقَالُ لِلضَّانِّ الْكَثِيرَةِ: تَلَّةٌ. [إِلَى أَنْ

قَالَ:]

وَتَلَّةُ الْبَرِّ أَيْضًا: مَا أُخْرِجَ مِنْ تَرَابِهَا.

وَالْتَلَّةُ بِالضَّمِّ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

وَتَلَّتِ الدَّابَّةُ تَلَّلًا، أَيْ رَأَتْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ ذِي

حَافِرٍ.

وَتَلَّتْ الْقَرَابُ فِي الْبَرِّ وَغَيْرِهَا، إِذَا جِلَّتْ.

وَتَلَّتْ الدَّرَاهِمَ تَلًّا: صَبَّهَا.

وَتَلَّتْ الْبَيْتَ أَثْلَهُ: هَدَمَتْ، وَهُوَ أَنْ تَحْفَرُ أَصْلُ

الْحَائِطِ تَتَدَفَعُ فَيَنْقَاضُ، وَهُوَ أَهْوَلُ الْهَدْمِ. (٤: ١٦٤٨)

إِبْنُ فَارِسٍ: النِّسَاءُ وَالْأَمَّانُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ:

أَحَدُهُمَا: التَّجَمُّعُ، وَالْآخَرُ: التَّفْطُوتُ وَالْهَدْمُ وَالذَّلُّ.

فَالْأَوَّلُ: التَّلَّةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ الْعَمْرِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

يَعْنِي بِهَذَا الْاسْمِ الضَّانَّ. وَلِذَلِكَ قَالُوا: حَبِلُ تَلَّةٍ أَيْ

صَوْفٍ، وَقَالُوا: كَسَاءٌ جَيِّدٌ التَّلَّةُ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرْحِ]

وَالْتَّلَّةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَلَّةٌ مِّنَ

الْأَوْبِينِ﴾ وَتَلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿الْوَاقِعَةُ: ٣٩، ٤٠.

وَالثَّانِي: تَلَّتْ الْبَيْتَ: هَدَمَتْهُ.

وَالْتَّلَّةُ: تَرَابُ الْبَرِّ. وَالتَّلَّلُ: الْهَلَاكُ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ

بِشَرْحِ]

وَيُقَالُ: تَلَّ عَرْشُهُ، إِذَا سَاءَتْ حَالُهُ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ

بِشَرْحِ]

وَقَالَ قَوْمٌ: تَلَّ عَرْشُهُ وَعَرْشُهُ، إِذَا قُتِلَ. [تَمَّ

اسْتَشْهَدَ بِشَرْحِ] (١: ٣٦٨)

أَبُو هَلَالٍ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ وَالْفَوْجِ وَالتَّلَّةِ وَالزُّمَرَةِ

وَالْحِزْبِ:

أَنَّ الْفَوْجَ: الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَوَزَّيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ التَّصَرُّ:

٢، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْلَمُونَ فِي وَاقْتٍ، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ

الْآيَةُ، وَقَبِيلَةٌ قَبِيلَةٌ. وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ لِلتَّلَّةِ: فَوْجٌ كَمَا

يُقَالُ لَهُمْ: جَمَاعَةٌ.

وَالْتَّلَّةُ: الْجَمَاعَةُ تَتَدَفَعُ فِي الْأَمْرِ جَمْلَةً مِنْ قَوْلِكَ:

تَلَّتْ الْحَائِطُ، إِذَا خَضَعَتْ أَسْفَلَهُ فَانْدَفَعُ سَاحِطًا كُلَّهُ، ثُمَّ

كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سَمِيَ كُلُّ بَشَرٍ تَلًّا، وَمِنْهُ تَلَّ عَرْشُهُ.

وَقِيلَ: التَّلَّلُ: الْهَلَاكُ، وَالزُّمَرَةُ: جَمَاعَةٌ لَهَا صَوْتٌ

لَا يَمْنَحُهُمْ، وَأَصْلُهُ مِنَ الزَّمَارِ، وَهُوَ صَوْتُ الْأَتْنِ مِنَ التَّعَامِ،

وَمِنْهُ قِيلَ: الزُّمَرَةُ، وَقَرَّبَ مِنْهَا الرُّجُلَةُ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ لَهَا

رَجُلٌ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الزُّمَرَةُ: جَمَاعَةٌ فِي تَفَرُّقَةٍ، وَالْحِزْبُ:

الْجَمَاعَةُ تَتَحَزَّبُ عَلَى الْأَمْرِ، أَيْ تَتَمَاعُونَ. وَحِزْبُ

الرَّجُلِ: الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَعِينُهُ فَيَقْوَى أَمْرُهُ بِهِمْ، وَهُوَ مِنْ

قَوْلِكَ: حَزَبَنِي الْأَمْرَ، إِذَا اسْتَدَّ عَلَيَّ، كَأَنَّهُ قَرِي إِذَا

المرء^(١).

(٢٢٩)

منلول.

الطُوسِيّ: والثَّلَّةُ: الجِماعَةُ، وأصله: القِطْمَةُ، من قولهم: ثَلَّ عَرشَهُ، إذا طُلعَ ملكه يهدمُ سريره. والثَّلَّةُ: القِطْمَةُ من النَّاسِ.

(٢١٣: ٥)

مثله الطُّبْرَسِيّ.

الرَّوَاغِبُ: الثَّلَّةُ: قِطْمَةٌ مجتمعة من الصَّوْفِ، ولذلك قيل للمقيم: ثَلَّةٌ، ولاعتبار الاجتماع قيل: ﴿ثَلَّةٌ مِنْ الْأَوَّيْنِ﴾ وَثَلَّةٌ مِنَ الْأَجْرَيْنِ ﴿الواقعة: ٣٩، ٤٠، أي جماعة.

وثلثتُ كذا: تناولتُ ثَلَّةً منه، وثَلَّ عرشه: أسقط ثَلَّةً

منه.

والتَّلُّ: قِصْرُ الأَسنانِ لسقوط لثتيه، ومنه أَثَلَّ قَه:

سقطت أسنانه.

وتثَلَّتْ الرِّكْبَةُ، أي تهدمت.

(٨١)

الْمِثْبَدِيُّ: والثَّلَّةُ في اللُّغَةِ: الجِماعَةُ من النَّاسِ، والثَّلَّةُ يفتح الثاء: الجِماعَةُ من النِّساءِ.

(٤٤٤: ٩)

الرَّمَحَسَرِيُّ: لا يترقُّ بين الثَّلَّةِ وبين هذه الثَّلَّةِ،

الثَّلَّةُ: جماعة من النِّسَمِ، والثَّلَّةُ: جماعة النَّاسِ. [ثمَّ

استشهد بشعر]

ويؤفلان مُثْلُونَ: أصحاب غنم. وكساء جيد الثَّلَّةِ، أي الصَّوْفِ، سمي باسم ما هو منه، كنسبة المطر بالنِّساءِ. وفي الحديث في ماشية اليتيم: «للوحي أن يُصيب من ثَلَّتْها وِرثِلْها».

وفي المثل: «خرقاء وجدت ثَلَّةً». وقد أثَلَّ فلان:

كثر عنده الصَّوْفُ.

وثلَّثَ عرش البيت، وهو سقفه: هدمته، ويسيت

ومن الجاز: ثَلَّ عرشه، إذا ذهب قوام أمره. وفلان كثير الثَّلَّةِ، إذا كان أشعر البدن. [ثمَّ استشهد بشعر]

(أُساس البلاغة: ٤٧)

الصَّخَانِيّ: الثَّلَّةُ: القِطْمَةُ العظيمة من الإبل، والقطمة اليسيرة منها.

(الأضداد: ٢٢٥)

الفيروز آبادي: الثَّلَّةُ: جماعة النِّسَمِ أو الكثيرة منها، أو من الضَّان خاصةً، جمعه: كَيْدَرٌ وبيلال.

والصَّوْفُ وحده ومجتمعاً بالشَّعَرِ والوَرَبِ. وأثَلَّ فهو مُثِلٌّ: كثر عنده الثَّلَّةُ.

وما أخرج من تراب البئر، جمعه كَصَرَدٌ، وقد ثَلَّ البئر.

وكانتارة في الصحراء يُسْتَظَلُّ بها، وموارد الإبل: ظِلْمَةٌ يومين بين شريين.

وبالضَّمِّ: الجِماعَةُ مَنًا، والكثير من الدِّراهم ويفتح، وبالكسر: الهلكة، جمعه: كَحِيبٌ، وثَلُّهُمْ قُلًا وثَلَّلًا:

أهلكهم.

والدَّاهِيَةُ: رَأَتْ، والْتَرَابُ اجْتَمَعَ أو الكَيْبُ: حرَّكه بيده أو كسره من إحدى جوانبه كَثَلَّتْهُ، والذَّكَارُ: هَدَمَهُ

فَتَثَلَّلَ، والْتَرَابُ في البئر: هَالَهُ، والدِّراهم: صَبَّاهُ، والله تعالى عرشه: أمانته، أو أذهب ملكه أو عزه.

والثَّلُّ حرَّكَةُ: الهلاك، وفي القَمِّ أن تُسْقَطَ أسنانه. وأثَلَّتْهُ، إذا أَمَرَتْ بإصلاح ما ثَلَّ منه.

والثَّلُّلُ كَهْدُودُ: الهذم، وكأَمِيرٍ: صوت الماء أو صوت أنصبايه.

وهو سقفه: هدمته. ومن الجاز: ثُلُ عرشه، إذا ذهب قوام أمره.

٣- وذكر كلٌّ من الصّاح، ومعجم مقاييس اللغة، والحكم، واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والمتن، والوسيط أنّ معنى: ثُلُ الدّار: هدمها، الثّل هو أن تحفر أصل الحائط، ثمّ تدفنه فينهدم، وهو أهون الهدم.

٤- وذكر: ثُلُ الرّجل يثله ثلاً وثلاً: أهلكه، كلٌّ من: الأصمعيّ، والصّاح، والحكم، واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والمتن.

٥- وذكر ابن الأثيريّ أنّ معنى: ثُلُ عرشه: أهدم ملّكه. ب- ذهب عرّه.

٦- وذكر ابن الأثيريّ والوسيط أنّ معنى: ثُلُ فلان هو: هلك.

٧- وذكر «ثُلُ عرشه» كلٌّ من: زهير بن أبي سلمى. [تمّ استشهاد بشعر]

وابن الأثيريّ، ومعجم مقاييس اللغة، والأساس (بجاز)، ومدّ القاموس.

٩- وذكر أنّ معنى: أَثْلُ الشّيء: هدمته، كُلٌّ من: ابن الأثيريّ، واللّسان، والمتن، والوسيط.

١٠- وذكر أنّ معنى: أَثْلُ عرشه: أصله، أو أمرٌ بإصلاحه، كُلٌّ من: طُروب في أصداده، وابن الأثيريّ، والصّاح، والحكم، واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والمتن.

١١- وذكر الحكم، ومفردات الرّاجب، واللّسان، والقاموس، والتّاج، ومحيط المحيط، والمتن أنّ معنى تتلّ

والثّل: ضرب من المنخفض. وانتلّوا: اتناولوا. والمتلّل كُمَحَدَث: الجامع للمال.

والثّل كُرْبِي: العرّة المألكة.

والثّلّان بالضمّ: حبّ الثّعلب، ويبيس الكلاب، ويكسر وهو أعلى.

٣: ٣٥٤) متجمّع اللّغة: الثّلّة بالضمّ: الجساعة قلت أو كثرت.

١: ١٧٣)

العذنانيّ: ثُلُ العرش وأثله جاء في التّصانّف: ثُلُ العرش: دكّه أو رفّته. والمحققة هي أن ثُلُ العرش أو الدّار، تعني دكّها، ولا تعني رضمها، وليس الفعل «ثُلُ» من الأضداد.

وأخطأ أيضاً طُروب حين ذكر في كتابه «الأضداد»: «قد ثلّثت عرشه، إذا هدمته وأفسدته، وأثلّثت عرشه: إذا أصلحته». والفعل (أثّل الشّيء) يعني هدمته، (وأثّل العرش) يعني أصلحته، أو أمرٌ بإصلاحه. فالفعل «أثّل» من الأضداد، وليس الفعل «ثُلُ» منها. ولما كان الفعل «ثُلُ» ثلاثياً، والفعل «أثّل» رباعياً، كان اعتبارها ضدّين خطأ، لأنّ المعنيين المتضادين يجب أن يكونا لفعل واحد، سواء أكان ثلاثياً أم غير ثلاثيّ.

جاء في «النهاية» وفي حديث عمر رضي الله عنه: «رُئي في المنام وسئل عن حاله. فقال: كاد يثُلُ عرشي». أي يهدم ويكسر.

أما ما قالته المعاجم:

١- فقد اكتفى الرّاجب الأصفهانيّ بقوله: ثُلُ عرشه: أسخط ثلّة (قطعة) منه.

٢- واكتفى «الأساس» بقوله: ثلّثت عرش البيت،

النصوص التفسيرية

١- ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. الواقعة: ١٣
ابن عباس: جماعة من أوائل الأمم، كلها قبل أمة
عمد عليه الصلاة والسلام. (٤٥٣)

الضَّحَاك: الشَّطْر وهو التَّصَف. (الماوردي: ٥: ٤٤٩)
أَبُو عُبَيْدَةَ: تجمي. جماعة وأمة، وتجمي. بقبّة.

ابن قُتَيْبَةَ: جماعة. (٢: ٢٤٨)
مثله السَّجِسْتَانِيّ.

الرَّجَاج: (ثَلَّةٌ) رفع على معنى هم ثَلَّةٌ، والثَّلَّةُ:
الجماعة، وهذا - والله أعلم - معنى «ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ»
أي جماعة ممن عاين الأنبياء وصدق بهم، فالذين عاينوا
جميع النبيين وصدقوا بهم أكثر ممن عاين النبي ﷺ،
وذلك قوله في قصة نوح: «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ» فَأَمَّنُوا فَتَقَاتَلْنَا لَهُمْ إِلَى جِئِ الْصَّافَاتِ:
١٤٧، ١٤٨، هؤلاء سوى سائر من آمن بجميع الأنبياء
ممن عاينهم وصدقهم.

ويموز أن يكون «الثَّلَّة» بمعنى قليل من الأولين
وقليل من الآخرين، لأن اشتقاق الثَّلَّة من القطعة.
والثَّل: الكسر والتقطع، والثَّلَّة نحو الفنة والفرقة.

القَصِي: هم أتباع الأنبياء. (٢: ٣٤٨)
القَصِيرِي: الثَّلَّة: الجماعة. ويقال: «ثَلَّةٌ مِنْ

الْأَوَّلِينَ»: الذين شاهدوا أنبياءهم «وَقَلِيلٌ مِنَ
الْآخِرِينَ» الواقعة: ١٤، الذين شاهدوا نبيينا ﷺ

(١: ٨٧)

هو انتهت، وذكر اللسان والمحيط، أن معنى تَتَلَّ هو تهتد
وتساقط شيئاً بعد شيء.

١٢- وذكر الحكم، والتاج، والمتن أن معنى اتَّكَلَّ هو:
انتهت.

لذا قل:

١- تَلَّ الدَّارَ وَأَتَلَهَا: هدمها.

ب- تَلَّ الْفَرْشَ: ١- هَدَمَ الْمَلِكُ. ٢- قَضَى عَلَى الْفَرْشِ.

ج- تَلَّ الرَّجُلَ: هلك.

د- تَلَّ الرَّجُلَ: أهلكه.

هـ- أَتَلَّ الْفَرْشَ: ١- هَدَمَهُ. ٢- أَصْلَحَهُ أَوْ أَمَرَ

بإصلاحه.

و- تَلَّكَتِ الدَّارَ: تَهَدَّمَتْ.

ز- أَتَلَّتِ الدَّارَ: تَهَدَّمَتْ. (١٠٦)

محمود شيت: تَلَّ المسلمون عَرشَ كسرى:

أذهبوا سلطانه، والجيش الأعداء: أهلهم.

ثَلَّةٌ: جماعة من الفرسان أكثر من حضيرة، وأقل من

رعيل. (١: ١٢٨)

المُصْطَفَوِيُّ: والظاهر أنَّ الأصل الواحد في هذه

المادة: هو التَّجَمُّع بعد التَّفَرُّق، وبإزالة خصوصيات

التَّشْغِيشِ ومحوها، وهذا المعنى باعتبار الجريان السابق

سقوط وهدم وهلاك وذلة، فما دام لم ينهدم التَّشْغِيشُ

وآثاره لا يتحقق مفهوم التَّجَمُّع، وهو حذف الاعتبارات

الشَّخْصِيَّةِ وإلغاء القيود.

فاستعمال هذه الكلمة في موارد الهدم والسقوط من

دون اعتبار قيد التَّجَمُّع، أو في مورد التَّجَمُّع من دون

اعتبار قيد إلغاء الشَّخْصِيَّاتِ: مجاز. (٢: ٢٣)

وعلى هذا قيل: إِنَّ الصَّحَابَةَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ صَبَّ عَلَيْهِمْ قُلْتُهُمْ، فَنَزَلَ بِعَدِّهِ «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» الواقعة: ٣٩، ٤٠. وهذا في غاية الصَّفِّ من وجوه:

أحدها: أَنَّ عَدَدَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بَلْ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ مَضَى فِي غَايَةِ الْقَلَّةِ، فَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْشَاءِ اللَّهِ عَلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَمَا هَذَا إِلَّا خَلْفٌ غَيْرُ جَائِزٍ.

وثانيها: أَنَّ هَذَا كَالنَّسَخِ فِي الْأَخْبَارِ، وَأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْبُيُودِ.

وثالثها: ماورد بعدها لا يرفع هذا، لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْأَوَّلِينَ هُنَا فِي السَّابِقِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وهذا ظاهر، لِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَفَرُوا وَرَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَصَفَا عَنْهُمْ أُمُورًا لَمْ تَنْفَعْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَجَعَلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الشَّفَاعَةَ، فَكَثُرَ عَدَدُ التَّاجِبِينَ وَهُمْ أَصْحَابُ الْبَيْتِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَأْتُمْ وَلَمْ يَرْتَكِبِ الْكَبِيرَةَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُمْ فِي غَايَةِ الْقَلَّةِ وَهُمْ السَّابِقُونَ.

ورابعها: هذا تَوْحُّمٌ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَفْرَحُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» دَخَلَ فِيهِمُ الْأَوَّلُ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَانْتَهَى بِعَدِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِذَا جَعَلَ قَلِيلًا مِنْ أُمَّةٍ مَعَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوَّلِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي دَرَجَةِ وَاحِدَةٍ، يَكُونُ ذَلِكَ إِنْشَاءً فِي حَقِّهِمْ، وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «عِلَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

الوجه الثاني: المراد منه: السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَهُمُ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا،

نَحْوَهُ الْكَاشَانِيُّ. (١٢١: ٥)
الواحدِي: يَعْنِي مَنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى زَمَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ. وَالثَّلَاثَةُ: جَمَاعَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةِ الْعَدَدِ.

(٢٣٣: ٤)
نَحْوَهُ الْبَغَوِيُّ (٥: ٦)، وَالْحَازِنُ (٧: ١٣)، وَمِثْلُهُ الْبَيْهَقِيُّ (٢٧: ٧٧).

الرَّمَحَشَرِيُّ: وَالثَّلَاثَةُ: الْأُمَّةُ مِنَ النَّاسِ الْكَثِيرَةِ. [ثم استشهد بشعر]

وقوله عَزَّوَجَلَّ: «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» كُنِيَ بِهِ دَلِيلًا عَلَى الْكَثَرَةِ، وَهِيَ مِنَ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْكُسْرُ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ مِنَ «الْأُمَّةِ» وَهُوَ الشَّجُّ، كَأَنَّهَا جَمَاعَةٌ كُسِرَتْ مِنَ النَّاسِ وَطُعِمَتْ مِنْهُمْ، وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّابِقِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ كَثِيرٌ، وَهُمْ الْأُمَّةُ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ﷺ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ (٤: ٥٣) نَحْوَهُ التَّنَوُّيُّ (٤: ٢١٥)، وَالطَّلَاوِيُّ (٢٤: ٧٩).

ابن عَطِيَّةٍ: الثَّلَاثَةُ: الْجَمَاعَةُ وَالْفِرْقَةُ، وَهُوَ يَقَعُ لِلْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ. وَاللَّخْظُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يُحْطَى أَنَّ الْجُمْلَةَ «مِنْ الْأَوَّلِينَ» أَكْثَرُ مِنَ الْجُمْلَةِ «مِنْ الْآخِرِينَ» وَهِيَ آتِي عَرَبُهَا بِالْقَلِيلِ. (٥: ٢٤١)

الطَّبْرَسِيُّ: أَيُّ هُمُ الثَّلَاثَةُ، يَعْنِي جَمَاعَةٌ كَثِيرَةُ الْعَدَدِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ. (٥: ٢١٥)

نَحْوَهُ الْبَيْهَقِيُّ (٢: ٤٤٦)، وَالْمُرَاضِيُّ (٢٧: ١٣٦).
الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: (الْأَوَّلِينَ) مَنْ هُمْ؟ نَقُولُ: الْمَشْهُورُ أَنَّهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَ نَبِيِّنَا ﷺ. وَإِنَّمَا قَالَ: (ثَلَاثَةً) - وَالثَّلَاثَةُ: الْجَمَاعَةُ الْعَظِيمَةُ - لِأَنَّ مَنْ قَبْلَ نَبِيِّنَا مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ مَنْ كَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِهِمْ إِذَا جُمِعُوا يَكُونُونَ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِنَ السَّابِقِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ.

لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَسَوَّىٰ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾ الحديد: ١٠، الآية ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الذين لم يلقوا بهم من خلفهم. وعلى هذا فقولوه: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ الواقعة: ٧، يكون خطاباً مع الموجودين وقت التنزيل، ولا يكون فيه بيان الأولين الذين كانوا قبل نبينا ﷺ. وهذا ظاهر، فإن الخطاب لا يتعلق إلا بالموجودين من حيث اللفظ، ويدخل فيه غيرهم بالذكي.

الوجه الثالث: ﴿ثَلَاثَةً مِنَ الْآلِئِينَ﴾. الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنفسهم، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمُ الطَّوْر: ٢١، فالؤمنون وذرياتهم إن كانوا من أصحاب اليمين فهم في الكثرة سواء، لأنَّ كُلَّ صَبِيٍّ مَاتَ وَاحِدٌ أَبَوَيْهِ مؤمن فهو من أصحاب اليمين، وأما إن كانوا من المؤمنين السابقين، فقلما يدرك ولدهم درجة السابقين، وكثيراً ما يكون ولد المؤمن أحسن حالاً من الأب، لتقصير في آية ومعية لم توجد في الابن الصغير، وعلى هذا فقولوه: ﴿الْآخِرِينَ﴾ المراد منه: الآخرون التابعون من الصغار.

(٢٩: ١٤٨)

أبو الشعود: خبر مبتدأ محذوف، أي هم أمّة جنة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام، وعلى من بينهما من الأنبياء العظام.

البزوصوي: أي هم أمم كثيرة من الأولين غير محصورة العدد، وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا ﷺ، وعلى من بينهما من الأنبياء العظام. وهذا التفسير مبني على أن يراد بالسابقين غير الأنبياء.

واشتقاق «الثلة» من الثَّلْ، وهو الكسر، وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بني آدم. (٩: ٣٢٠)

الأوسى: ﴿ثَلَاثَةً مِنَ الْآلِئِينَ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي هم ثلثة إلخ، وجوز كونه مبتدأ خبره محذوف، أي منهم، أو خبراً أولاً أو ثانياً لدلّ (أولئك). وجوز أبو البقاء كونه مبتدأ والخبر ﴿عَلَىٰ شُرُفٍ﴾ الواقعة: ١٥، والثلثة في المشهور: الجماعة كثرت أو قلت، وقال الزمخشري: الأمّة من الناس الكثيرة. وأنشد قوله:

وجاءت إليهم (ثَلَاثَةً) خندفية

(ببيض كثير من السيل مزبد)

وقوله تعالى بعد: ﴿وَقَلِيلٌ﴾ إلخ كفى به دليلاً على الكثرة، انتهى.

والظاهر أنه أنشد البيت شاهداً لمعنى الكثرة في «الثلة» فإن كانت الباء تجريدية وهو الظاهر فنص، وإلا فالاستدلال عليها من أن المقام مقام مبالغة ومدح، وأما استدلاله بما بعد، فذلك لأنّ التقابل مطلوب، لأنّ «الثلة» لم توضع للقليل بالإجماع حتّى يُعمل ما بعد على التّفنّ، بل هي إبتا للكثرة والاشتقاق عليها أدلّ، لأنّ «الثل» بمعنى الصّبّ وبمعنى الهدم بالكليّة، والثلة بالكسر: الضأن الكثيرة. ولما أطلق الجماعة كالفرقة والقطعة من «الثل» بمعنى الكسر، كأنها جماعة كُشرت من الناس وقُطعت منهم، إلا أنّ الاستعمال غلب على الكثير فيها، فالمعنى جماعة كثيرة من الأولين وهم الناس المتقدمون، من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام، وعلى من بينهما من الأنبياء العظام.

(٢٧: ١٣٤)

نحوه الطَّبْرِيّ: (٢١٩: ٥)

الإمام الصادق عليه السلام: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ»:

حزقيل مؤمن آل فرعون، «وَتَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»: عليّ

بن أبي طالب عليه السلام [وهذا تأويل] (الكاشاني: ٥: ١٢٥)

الفوّاء: ورفضها على الاستئناف، وإن شئت جعلتها

مرفوعة، تقول: ولأصحاب اليمين ثلثان: ثلّة من هؤلاء،

وثلّة من هؤلاء، والمعنى هم فرقتان: فرقة من هؤلاء،

وفرقة من هؤلاء. (١٢٦: ٣)

الطَّبْرِيّ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» يعني جماعة من

الذين مضوا قبل أئمة محمد عليه السلام، «وَتَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»

يقول: وجماعة من أئمة محمد عليه السلام. (١٨٩: ٢٧)

الزّجاج: معناه - والله أعلم - جماعة ممن تبع

النبي عليه السلام وعابنه، وجماعة ممن آمن به وكان بعده.

(١١٣: ٥)

القُصَمِيّ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ»: من الطبقة الأولى التي

كانت مع النبي عليه السلام، «وَتَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» قال: بعد

النبي عليه السلام من هذه الأمة. (٣٤٩: ٢)

مثله الكاشاني: (١٢٥: ٥)

الطُّوسِيّ: فالثَلّة: القطعة من الجماعة، فكأنّه قال:

جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين. وإذا ذكر

بالتنكير كان على معنى البعض من الجملة، كما تقول:

رجال من جملة الرجال.

وفائدة الآية أنّه ليس هذا لجميع الأولين

والآخرين، ولأنّما هو لجماعة منهم. وروي عن النبي عليه السلام

أنّه قال: «إِنِّي لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة» ثمّ

تلا قوله: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» وَتَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ». وقال

القاسميّ: أي هم جماعة كثيرة من الذين سبقوا،

لرسوخ إيمانهم وظهور أثره في أفعالهم من العمل الصالح

والدّعوة إلى الله، والصبر على الجهاد في سبيله، إلى غير

ذلك من المناقب التي كانت ملكات لهم. (٥٦٤٨: ١٦)

محمد جواد مغنّيّه: (الشّايخون) الذين لهم عند

الله المنزلة العُليا، هم جماعة كثيرة من الأولين، وقليلة

من الآخرين.

واختلف المفسرون في مَنْ هُم الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ

في هذه الآية؟

فقال فريق منهم: إنّ المراد بالأوّلين: من آمن

وسبق إلى الخيرات قبل محمد عليه السلام. وقال الفريق الآخر:

إنّ كلّاً من الأولين) والآخرين) من أئمة محمد عليه السلام.

وفي رأينا أنّ الأولين) إشارة إلى عصر الإسلام

الذهبيّ يوم كان له قوّة وسلطان، وكان المسلمون

يؤمنون به قولاً وفعلاً، ويدافعون عنه بالأرواح

والأموال. وأنّ الآخرين) إشارة إلى الثَلّة القليلة من

المؤمنين، في العصور المتأخّرة. (٢٢١: ٧)

٢- ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَتَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ.

الواقعة: ٣٩، ٤٠.

النبي عليه السلام: هما جميعاً من أمتي.

(الطَّبْرِيّ: ٢٧: ١٩١)

عطاء: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» من المؤمنين الذين

كانوا قبل هذه الأئمة «وَتَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» من مؤمني

هذه الأئمة.

(الواحدي: ٥: ٢٣٥)

مثله مقاتيل.

وقد سبقت نصوص كثيرة حول الآيتين في (أخ ر):
الآخرين) فلاحظ.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة الثلثة، أي جماعة الغنم، وكذا الثقل، أي الهلاك. ثم أطلق الأصل الأوّل على صوف الغنم مجازاً، لأنّه منه، كسمية المطر بالسّماء، كما قال الرّحّضريّ.

يقال منه: كساء جيّد الثلثة، أي الصّوف، وكذا حبل ثلّة، أي صوف، ورجلٌ مُثِلٌ: كثير الثلّة.

وقيل: الثلّة: الصّوف والشعر والوبر، يقال: عند فلان ثلّة كثيرة، أي اجتمع الصّوف والشعر والوبر، وجمع الثلّة: ثلّ.

والثلّة: الجماعة من النّاس، يقال: قد أثل الرّجل فهو مُثِلٌ، أي كثرت عنده الثلّة.

ويقال من الأصل الثّاني: ثلّك الرّجل أثله ثلّاً وثلّلاً، أي أهلكه.

ومنه: ثلّ الثّيب يثله ثلّاً: هذمه، وتثّل الجدار: تهدّم وتساقت شيئاً بعد شيء.. وثلّ عرش فلان ثلّاً: هدم وزال قوام أمره، وثلّ الله عرشهم وأثله: هدم ملّكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عزهم: قد ثلّ عرشهم. وثلّك الثّراب في القبر والبر أثله ثلّاً: هلكه، وتثّل الثّراب: ماز وتحرك، فذهب وجاء.

وثلّ الشّيء وأثله: هدمه وكسره، وأثله: أمر بإصلاحه، وهو يفيد معنى السلب.

٢- والثلّة: الثّراب الذي يخرج من البئر، وقد ثلّ

الحسن: سابقوا من مضى أكثر من سابقينا، فلذلك قيل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. وفي التّابعين ﴿وَوُثْلَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾. (٩٨: ٩)

البزوصوي: أي هم أئمة من الأوّلين وأئمة من الآخرين. وفي الحديث: «هم جميعاً من أئمتي» أي الثّلاثان من أئمتي. فصل هذا التّابعون بإحسان ومن جرى مجراهم ثلّة أوّل، وسائر الأئمة ثلّة أخرى في آخر الزّمان.

(٩٨: ٩٣)
المراغي: أي أصحاب البين جماعة من مؤمني الأمم السّالفة، وجماعة من مؤمني أئمة محدّد.

(٢٧: ١٣٩)
محمّد جواد مغنّيه: الكلام مستأنف، ومعناه أنّ أصحاب البين بعضهم من عصر سابق، وآخرون من عصر لاحق، وهم بطبيعة الحال أقلّ عدداً من أصحاب النّبال الذين يشير إليهم في الآيات الثّالية، هم أقلّ لأنّ الصّالحين قليل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ بَنِي آدَمَ الشّكُورُ﴾. سيأ: ١٣.

الطّباطبائي: [تقدّم كلامه في «أخ ر» فراجع] (١٩: ١٢١)

المصطفوي: أطلقت هذه الكلمة صفةً على السّابقين وأصحاب البين، فبأنهم ألّفوا شخصياتهم وأسقطوا اعتبارات هذه الدّنيا الدّنيّة وأزالوا التّلوّنات، فصاروا إخواناً مجتمعين ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ المجر: ٤٧.

ولا يبعد أن تكون الثلّة على صيغة «فصلة» كاللقمة، أي، ما يثّل. (٢٣: ٢٢)

مَا أَصْحَابِ الْمَشْأَنَةِ • وَالشَّابِقُونَ السَّابِقُونَ • أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ • فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ • ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ • وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ •

وقد نلت الله الأصناف مرة أخرى في ذيل: هذه السورة في (٨٨ - ٩٤) دون ذكر الأولين والآخرين، فقال: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ • وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِينَ • فَسَلَامٌ لَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّعِيمِ • وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ • فَنُزُلٌ مِنْ حَبِيمٍ • وَتَضَلُّعٌ بِجَهَنَّمَ • يَدُ أَتَمَّ عَمَّرَ فِيهَا بَدَل (أَصْحَابِ النَّهْلِ) بِ (الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ).

أما في وسط السورة فذكرت (ثَلَاثَةٌ) وصفًا لأصحاب اليمين، حيث قال: ﴿لِأَصْحَابِ النَّعِيمِ • ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ • وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ثم ذكر حال أصحاب النَّهْلِ.

ثانيًا: جاءت (ثَلَاثَةٌ) في الأولى - وهي وصف لحال المقرَّبين - مرة واحدة مقابلة ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، فهي ظاهرة في الجساعة الكثيرة كما استظهره الزَّمَخْشَرِيُّ. أي أَنَّ المقرَّبين صنفان: جماعة كثيرة من الأولين، وجماعة قليلة من الآخرين. أما في الثانية فكلَّاهما وصف لأصحاب اليمين دون يميني (قَلِيلٌ) فيها، فهما ستان، قليلين كانوا أو كثيرين، أي أَنَّ أصحاب اليمين منهم جماعة من الأولين، وجماعة من الآخرين، وبذلك يبدو أَنَّ بين المقرَّبين وبين أصحاب اليمين تفاوتًا بالنسبة إلى (الآخرين)، فهم قليل من المقرَّبين، وكثير من أصحاب اليمين، مثل الأولين منهم.

البرز يتلَّها ثَلَا: أخرج تراها، ولملَّه من الثَّلَّة بالفتح، أو الثَّلَّة بالضم، وهو الثَّلَّة والثَّلَّة أيضًا.

ونحسب قوهلم: ثَلَّ القَراهم يتلَّها ثَلَا، أي صَبَّها، من الثَّلَّ والثَّلَّة بالقاء، وهو صَبَّ الحبل في البرز عند الاستسقاء، ومنه الحديث: «وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ غُلَّتْ فِي يَدِي».

٣- كما أَنَّ بَيْنَ «الثَّلَّ» و«الْقَلَّ» شيء من الاشتقاق الأكبر، فالْقَلَّ: الجساعة، والفليل والفليلة: الشَّرَّ المجتمع. والقَلَّ أيضًا: الكسر والضرب، والفليل: ناب البعير المتكسر.

يبد أَنَّ «الْقَلَّ» يستعمل في الجمع المنهزم، يقال: قَلَّ القوم يتلَّهم قَلًا: هزَمهم. وأصله - كما قال ابن سيده - من الكسر، يقال: انْقَلَّ سَهْلُهُ، أي انكسر.

الاستعمال القرآني

جاء منها لفظ واحد ثلاث مرَّات، في سورة مَكِّيَّة: مرة في صدرها، ومرتين في وسطها:

١- ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ • وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

الواقعة: ١٣، ١٤

٢- ﴿لِأَصْحَابِ النَّعِيمِ • ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ •

وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الواقعة: ٣٨ - ٤٠

يلاحظ أولًا: أَنَّ مصداق «ثَلَاثَةٌ» مختلف في الموضعين، ففي صدر السورة هي تفسير له السابقين السابقين، وهم ثالث أصناف الناس في الآخرة؛ حيث قال في (٧ - ١٤) خطابًا لهذه الأمة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً • فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ • وَأَصْحَابُ الْمَشْأَنَةِ

الهجرة، ونشروا هذا الدين شرقاً وغرباً، وهم جمهور المسلمين عامة، دون فريق منهم خاصة، ولكن كثيراً من أهل مذهبه لا يرضون بهذا الترحيب والتشريب، فيدينون أولئك بما نعلم منهم ونقرأ. وكيف كان، فقايله في الشطر الأول حق، وأما الشطر الثاني من كلامه فإيثاس من اللاحقين، وأنى نعلم ماذا سيحدث فيما بعد؟ ولا سيما مع البشارة الأكيدة في الكتاب والسنة بغلبة هذا الدين على غيره من الأديان، ولا سيما في عصر الإمام المهدي عليه السلام، حيث يملأه به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ونحن وإن نوافقه على الترحيب بالأولين وعلى هذا التقصير - بل التقصير - في المتأخرين من المسلمين، لكننا لانوافقه على حمل الآية عليهم.

هذا كله في الآية الأولى، أما الآية الثانية فكلما التئمت فيها تفسير لأصحاب اليمين كما تقدم، وإن وقع بينهم خلاف فيها أيضاً في أنها من هذه الأمة، استناداً إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: «ها جميعاً من أمتي». أو أن (الأولين) خاص بالأُمم السابقة، و(الأخريين) خاص بهذه الأمة، وهو مروى أيضاً عن بعض الأمة عليهم السلام.

والأقرب عندنا هو الأول، لأن سياق السورة - من أولها إلى آخرها - خطاب للمسلمين، ولامانع من وجود هذه الأصناف الثلاثة في الأُمم الأخرى أيضاً، بل هذا أمر طبيعي، فالتفاوت بين الناس في كل زمان موجود.

رابطاً جاء تفسير «تِلْكَ» في التصوص بالكثرة والقلّة معاً، وهي في الأصل بمعنى الجمع والمجموع، وهو إلى الكثرة أقرب من القلّة، إلّا أنه لم تؤخذ «الكثرة» في

ثالثاً: هناك خلاف بينهم في تفسير (الأولين) و(الأخريين) في الآيتين، فالأكثر حملوا (الأولين) في الآية الأولى على الأُمم السابقة، و(الأخريين) على هذه الأمة. فقالوا: إن السابقين منهم أكثر من السابقين من هذه الأمة، وردة الفخر الرازي هذا الرأي بأنه خلاف ما وعده الله في هذه الأمة من الكرامة.

وبعض جعلهم جميعاً من هذه الأمة، فالسابقون من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان لهم الدرجة العليا بالنسبة إلى الذين بعدهم من المؤمنين. فقلّ فيهم من يوازي أولئك، كيف وقد جاء فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ التوبة: ١٠٠، و﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الحديد: ١٠.

ويشهد على هذا الوجه ما سبق منا أن الأصناف الثلاثة في هذه الأمة هم مخاطبون بقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، وهي خطاب للمسلمين دون الأُمم الأخرى.

وقال محمد جواد ثنائي: «إن (الأولين) إشارة إلى عصر الإسلام الذهبي، يوم كان له قوة وسلطان، وكان المؤمنون يؤمنون به قولاً وعلماً ويدافعون عنه بالأرواح والأموال. وأن (الأخريين) إشارة إلى القلّة القليلة من المؤمنين في العصور المتأخرة».

وتقول: الشطر الأول منه ترحيب بأولئك الذين حملوا لواء الإسلام على عواتقهم في القرون الأولى بعد

هذا في صدر السورة، يستمر إلى أواسطها، أما في ذيلها فبدأ بالمقرئين، ذاكراً فيهم خصلة واحدة جامعة لما ذكرها بشأنهم في صدرها، وهي: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَجِيمٌ﴾، وثناهم بأصحاب اليمين، ذاكراً فيهم جملة واحدة جامعة أيضاً، وهي: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، وتلثمهم بقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ فَنُزِّلَ مِنْ جَبِيمٍ ﴿وَتَضِلُّهُمْ﴾ بجميم ﴿بَدَلِ أَصْحَابِ الشَّعَالِ﴾، وهي جامعة أيضاً لما وصفهم به أولاً، فذيل هذه السورة كالفذلكة لصدرها، لاحظ (ي من) و(ش مل) و(ق رب) و(س بق).

مفهومها - كما سبق - بل تستلزمها، ونحن مع «يَجْمَعُ اللُّغَةُ»، حيث فسرها به الجماعة قلَّت أو كثرَت.

خامساً: أنَّ للبحث حول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والمقرئين موضعاً آخر، إلَّا أننا لانضنَّ هنا بذكر نكتة، وهي أنَّ هذه السورة عدَّدت الأصناف الثلاثة، بدءاً بأصحاب اليمين في أولها، ثم أصحاب الشمال، ثم المقرئين. إلَّا أنَّها قدَّمت بيان حال المقرئين في (١٢) آية: (١٥ - ٢٦) تكريماً لهم، وثناهم بأصحاب اليمين في (١٤) آية: (٢٧ - ٤٠)، وتلثمها بأصحاب الشمال في (١٦) آية: (٤١ - ٥٦).

ث م ر

٦ ألفاظ، ٢٤ موة: ١٥ مكية، ٩ مدنية
في ١٢ سورة: ٩ مكية، ٣ مدنية

وَمَرَّتْ لِلنَّمِ، أَي خَبَطَتْ الشَّجَرُ لَهَا لِيَنْتَبِرَ الْوَرَقُ.
(٨: ٢٢٣)
سَبْيَوِيه: فِي الشَّرِ تَمَرَةٌ، وَجَمْعُهَا: تَمَرٌ، كَسَمَرَةٍ
وَسَمَرٍ، وَلَا يُكْثَرُ لِقَلَّةِ «فُعْلَةٍ» فِي كَلَامِهِمْ.

(ابن سيده ١٠: ١٤٧)

ابن سُمَيْل: [إِذَا أَدْرَكَ اللَّبَنُ لِيُحْمَضَ فَظَهَرَ عَلَيْهِ
تَحِبُّبٌ وَزَيْدٌ، فَ] هُوَ التَّمِيرُ، وَذَلِكَ إِذَا حُمِضَ قُرْنِي عَلَى
أَمْثَالِ الْحَصَفِ فِي الْجِلْدِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ فَيَصِيرُ زَيْدًا. وَمَادَامَتْ
صَغَارًا، فَهُوَ تَمِيرٌ. وَقَدْ تَمَرَ السَّقَاءُ، وَأَتَمَرَ.
وَإِنْ لَبَنًا لِحَسَنِ التَّمْرِ، وَقَدْ أَمَرَ بِخَاضِكَ.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٥: ٨٤)

ثمرة الرأس: جلده. (ابن منظور ٤: ١٠٧)
الْفَوَاءُ: وَجَعُ النَّسَارِ: تَمَرٌ، مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتُبٍ، وَجَمْعُ
التَّمْرِ: أَمْثَارٌ، مِثْلُ عَنَقٍ وَأَعْنَاقٍ. (الْجَوْهَرِيُّ ٢: ٢٠٥)
أَبُو زَيْدٍ: أَمَرَ الشَّجَرُ: خَرَجَ ثَمَرُهُ.

تَمَرَات ٤: ٤
تَمَرُهُ ٤: ٣-١
تَمَرَةٌ ١: ١-١
أَمَر ١: ٢-١

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْخَلِيلُ: الْقَصَرُ: حِلُّ الشَّجَرِ.
وَالشَّرُ: أَنْوَاعُ الْمَالِ. وَالْوَلَدُ ثَمَرَةُ الْقَلْبِ.
وَأَتَمَرَتِ الشَّجَرَةُ.
وَالْعَقْلُ الْمُشْتَرِ: عَقْلُ الْمُسْلِمِ، وَالْعَقْلُ الْمَقِيمُ: عَقْلُ
الْكَافِرِ. وَتَمَرَ اللَّهُ: مَالَكُ.
وَالثَّامِرُ: نَوْؤٌ بَقِيَّةٌ تَسْمَى الْحُطَّاسُ، وَهُوَ أَحْمَرُ
شَدِيدُ الْحُمْرَةِ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّهِ]
وَقَدْ أَمَرَ السَّقَاءُ، إِذَا أُنْ أُنْ يَحْمَضُ، وَسَقَاءٌ مُثْمِرٌ.
يَقَالُ: الثَّامِرُ: اسْمٌ لِلشَّجَرَةِ، وَمَنْ أُنْشِدَ: «كَشَمَرِ
الْحُطَّاسُ» حَتَّى بِهِ الْخُفْلُ.

القامر: اللؤبياء. (ابن سيده ١٠: ١٤٧)

تَغْلَبُ: التَّسْمِرَةُ: الشَّجَرَةُ. (ابن سيده ١٠: ١٤٧)

ابن دُرَيْدٍ: والشمر معروف، ثمَّ كلَّ شيء من الشَّجَرِ ثَمَرَةٌ وثَمَارٌ وَثَمَرٌ وَثَمَرٌ.

والشَّجَرُ القَامِرُ: الَّذِي قد بلغ أَوَانَهُ أَنْ يُشْمِرَ، والمُشْمِرُ: الَّذِي فيه ثَمَرٌ.

وقد سمَّت العرب ثامراً ومُثْمِراً.

وَمَثَرُ الرَّجُلِ مَالُهُ، إِذَا أَحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ كَذَلِكَ فِي الدَّعَاءِ: «ثَمَّرَ اللَّهُ لَهُ مَالَهُ» أَيَّ أَمَامَهُ.

وليلة ابن غير: اللَّيْلَةُ القَمَرَاءُ. (٢: ٤٦)

القَالِي: المَثْمَرُ والمُنْتَمَى واحد في المعنى.

(٢: ٢١١)

الأَزْهَرِيُّ: [نقل قول ابن الأعرابي ثم قال:]

القَامِرُ: مانضج، وقد ثَمَرَ القَمَرُ يَشْمُرُ فهو شَامِرٌ.

[ونقل قول الحَكِيلِ ثم قال:]

قلت: أراد به حُمْرَةً ثَمَرَهُ عند إِيْنَاعِهِ. [ثمَّ استشهد

بشعر] (١٥: ٨٤)

[ونقل أيضاً قول ابن شُمَيْلٍ ثم قال:]

قلت: وهي غِمْرة اللَّبَنِ أيضاً.

وَالشُّمْرَاءُ: جَمْعُ الشُّمْرَةِ، مِثْلُ: الشُّجَرَاءِ جَمْعُ

الشَّجَرَةِ. [ثمَّ استشهد بشعر]

ثَمَرَ الشَّمْرِ، إِذَا نَضِجَ، وَثَمَرَ الشَّجَرِ، إِذَا طَلَعَ ثَمَرُهُ.

(١٥: ٨٥)

الصَّاحِبُ: [بحو الحَكِيلِ وأضاف:]

وَأَثَمَرَتِ الشَّجَرَةُ هِيَ مُثْمِرَةٌ. مكان مشعور: فيه ثَمَرٌ.

ويقال للثَّامِرِ: ثَمَرٌ.

وَأَثَمَرَ الثَّمَرُ: اجتمع.

وَأَثَمَرَ الرَّجُلُ: كَثُرَ مَالُهُ. (الأَزْهَرِيُّ ١٥: ٨٣)

الأَصَمْتِيُّ: إِذَا أَدْرَكَ اللَّبَنُ لِيَمْخَضَ فَظَهَرَ عَلَيْهِ

تَحَبُّبٌ وَزَيْدٌ هُوَ الْمُشْمِرُ. (الأَزْهَرِيُّ ١٥: ٨٤)

أَبُو عُبَيْدٍ: حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَطْعَمُ فِي ثَمَرٍ

وَلَا كَثَرٍ». الْكَثَرُ: جُمَارُ الثَّخْلِ فِي كَلَامِ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ

الْجَذْبُ أَيْضًا. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «فِي الثَّمَرِ» فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ الثَّمَرَ

الْمَحْلُوقَ فِي الثَّخْلِ الَّذِي لَمْ يُجَذِّدْ، وَلَمْ يُحَرِّزْ فِي الْجَرَيْنِ.

(١: ١٧٣)

ابن الأعرابي: أَثَمَرَ الشَّجَرُ، إِذَا طَلَعَ ثَمَرُهُ قَبْلَ أَنْ

يَنْضِجَ فَهُوَ مُثْمِرٌ. (الأَزْهَرِيُّ ١٥: ٨٤)

ابن السَّكَيْتِ: وَالشَّمِيرَةُ: أَنْ يَظْهَرَ الزَّيْدُ قَبْلَ أَنْ

يَجْمَعَ، وَيَبْلُغُ إِثْمَهُ مِنَ الصَّلَوحِ. يُقَالُ: قَدْ ثَمَرَ السَّقَاءُ

وَأَثَمِرَ. [إصلاح المطلق: ٣٥١]

قيس: فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّهُ أَخَذَ بِشَمْرَةِ

لِسَانِهِ» يَرِيدُ أَنَّهُ أَخَذَ بِطَرَفِ لِسَانِهِ، وَكَذَلِكَ ثَمَرَةُ السُّوطِ:

طَرَفُهُ. (الأَزْهَرِيُّ ١٥: ٨٥)

أَبُو الْهَيْثَمِ: ثَمَرَةٌ ثَمَرٌ ثَمَرٌ. ثَمَرٌ ثَمَرٌ، جَمْعُ الْجَمْعِ.

وبعضهم يقول: ثَمَرَةٌ، ثَمَرٌ ثَمَرٌ، ثَمَرٌ ثَمَرٌ.

(الأَزْهَرِيُّ ١٥: ٨٤)

الدِّيَنُورِيُّ: ثَمَرُ الثَّابِتِ، بِشَدِّ الْمِيمِ: نَفْضَ نَوُوذِهِ

وَعَقْدَ ثَمَرِهِ.

أَرْضٌ غَمِيرَةٌ: كَثِيرَةُ الشَّجَرِ، وَشَجَرَةٌ غَمِيرَةٌ وَمَخْلَةٌ

غَمِيرَةٌ: مُثْمِرَةٌ.

إِذَا كَثُرَ حَمْلُ الشَّجَرَةِ أَوْ ثَمَرُ الْأَرْضِ هِيَ ثَمَرَاءٌ.

وَالْمُثْمِرُ: الَّذِي بَلَغَ أَنْ يُجْنَى.

والشجرة ما يظهر من الرُيد قبل أن يجتمع ويبلغ إناه من الصلوح، يقال: قد نَمَرَ السقاء تَمِيرًا، وكذلك أَمَرَ، إذا ظهر عليه حَبَب الرُيد، [إلى أن قال:]

ونَمَرَ الشياط: عَقَدَ أطرافها. (٢: ٦٠٥)

ابن فارس: النَّاء والميم والزَّاء أصل واحد، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، ثم يُحْمَل عليه غيره استعارَة. [ثم ذكر قول ابن دُرَيْد وقال:]

والشجرة من اللَّين حين يُصير فيصير مثل الجَسار الأبيض، وهذا هو القياس. ويقال لُعْقَدَة السُّوط: نَمْرَة، وذلك تشبيه.

ومما شَذَّ عن الباب ليلة ابن تَمِير، وهي اللَّيلة القنءاء. ومأدري ما أصله. (١: ٣٨٨)

الهُزَوِيُّ: في الحديث: «لَا تَطْعَمَ فِي نَمْرٍ وَلَا كَثَر» التمر: الرُّطْب مادام في رأس النخلة، فإذا صُرِم فهو الرُّطْب، فإذا كُنِز فهو التمر. ويقال: نَمَرَ التمر ينْمُرُ نَمْرًا، فهو نامر. إذا نضج، وأَمَرَ الشجر، إذا أطلع نَمْرَه.

التمر: ما أخرجه الشجر. والتَّمْر: المال. ويكون التمر جمع نَمْرَة. (١: ٢٩٥)

ابن سيده: التمر: حمل الشجر، وأنواع المال، واحدة: نَمْرَة. وجمع التمر: نَمَارٌ، ونَمْرٌ: جمع الجمع. وقد يجوز أن يكون التمر جمع نَمْرَة، كخَشَبَة وخَشَب، وأن لا يكون جمع نَمَار، لأنَّ باب خَشَبَة وخَشَب أكثر من باب رَهان ورُهْن، أعني أن جمع الجمع قليل في كلامهم.

[ثم حكى كلام سيويه وأضاف:]

ولم يملك التَّمْرَة أحد غيره.

ونَمَرَ الله ماله: كَثَرَه.

ومال نَمْرٌ مشور: كثير، وقوم مشورون، ونَمَرهم الله: أنماهم. والنَّسَار: الثَّيَاب، والنَّسَر: المال الكثير، ونَمَرَ الرَّجُل: تَمَوَّل، وأَمَرَ الرَّجُل: كَثُرَ ماله. ونَمْرَة الذُّكْر: قُلُوبُهُ، وجمعا: نَمَار. ونَمَرَ السُّوط: عَذَّبْتَهُ، والجمع: الأَنَمَار. وطَرَفَ اللسان: نَمَرْتُهُ.

ونَمْرَةٌ من سحاب ونَمْرٌ: أَطْعَمَ منه. والتسماء: جبل، ويقال: شجر.

والمُتَمَر: اللَّين إذا نُحِضَ فَيُرَى عليه أمثال الحَصَف في الجلد، ثم يجتمع فيصير رُيْدًا، يقال: نَمَرَ اللَّين والسقاء، وأَمَرَ أيضًا، وهي الشجرة.

والتَمِير: الذي لم يَخْرُج رُيْدُه بعد. ويقولون: لَأَقْفَلُهُ مائِزًا ابن تَمِير، وهو اللَّيل المُقْبِر. (١٠: ١٤٣)

الغَطَّايِي: ونَمْرَة السُّوط: عَذْبَتُهُ، وهي طرفه المرسل. [ثم استشهد بشعر]

ومن هذا نَمْرَة اللسان، وهي عَذْبَتُهُ. وقال رجل: رأيت ابن عباس أخذًا بَشْرَة لسانه، وهو يقول: وَيَكُنْ قل خيرًا نَقَمْتُمْ، وأُشْيِكُ عن شَرِّ تَسْلَم. (٢: ٢٦٥) الجوهرِي: النَّمْرَة: واحدة التمر والنمرات، وجمع التمر: نَمَار، مثل جَبَل وجبال.

والتَّمْر أيضًا: المال المُشْتَر، ويُحْفَف ويُثَقَّل. ويقال: أَمَرَ الشجر، أي طَلَعَ نَمْرَه.

وشجر نامر، إذا أدرك نَمْرَه، وشجرة نَمراء، أي ذات نَمْر. [ثم استشهد بشعر]

والشَّجَر: كالتَّشَر. [ثم استشهد بشر]

ثمَّ الشَّجَر، وأَمَر: صار فيه التَّشَر.

وقيل: القامر: الَّذِي بلغ أوان أن يُشمر، والمُشْمِر:

الَّذِي فيه ثمر. وقيل: ثمر مُشْمِر: لم ينضج، وثامر: قد

نَضِج. [ثم استشهد بشر]

وقيل: الثامر: كلُّ شيء خرج ثمره.

والتَّشَرُّ: الذهب والفضة، حكاية الفارسي، يرفعه

إلى مُجَاهِد في تفسير قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ الكهف: ٣٤،

فيمين قرأ به. قال: وليس ذلك بمعروف في اللغة.

وَمَرَّ ماله: نَمَا.

وأَمَر الزَّجَل: كثر ماله.

والمقل المُشْمِر: عقل المسلم، والمقل المعقيم: عقل

الكافر.

والتشمر من اللَّبَن: مالم يُفْرَج زُبْدُه. وقيل: التشمير،

والتشميرة: الَّذِي ظهر زُبْدُه.

وقيل: التشميرة: أن يظهر الزُّبْدُ قبل أن يجتمع،

ويبلغ إناه من الصُّلوح.

وقد مَرَّ السَّعَاءُ تشميراً، وأَمَر.

وقيل: المُشْمِر من اللَّبَن: مالم يُفْرَج زُبْدُه، وذلك عند

الرَّؤُوب.

وابن عمير: اللَّبَلُ المُشْمِر. [ثم استشهد بشر]

وناير، ويثير: اسبان، مقلوبة [ر ت م]...

(١٠: ١٤٦)

الرَّوَاحِب: التَّحَر: اسم لكلِّ ما يعطَّم من أعيال

الشَّجَر، الواحدة: ثَمرة، والجمع: ثمار وثمرات. [إلى أن

قال:]

ويقال: ثَمَر الله ماله، ويقال لكلِّ نفع يصدر عن

شيء: ثمرته، كقولك: ثَمرة العلم: العمل الصَّالح، وثمره

العمل الصَّالح: الجنَّة، وثمره السُّوط: عُقْدَةُ أطرافها،

تشبيهاً بالتمر في الهيئة والتدلي عنه، كتدلي التمر عن

الشَّجَر.

والتَّحْمِرة من اللَّبَن: ما تَحَبَّب من الزُّبْد، تشبيهاً

بالتمر في الهيئة وفي التحصيل عن اللَّبَن. (٨١)

الرَّمْطُ حُمْرِيّ: شَجَر مُشْمِر، وله ثمر وثمر وثمار، وثمره

حسنة، واشترت ثَمرة بستانه.

ومن الجاز: دَقَّ الجِلَاد ثَمرة سوطه. وسوط عظيم

الثمرة، وهي العُقْدَةُ في طرفه. [ثم استشهد بشر]

وفي الحديث: «تكون في آخر الزَّمان فتنة كثرمة

السُّوط يتبعها ذُباب السيف».

وَقَطِفَت ثَمرة فلان، إذا طُهر وهي قُلْفَتُه، وَقَطِفَت

ثماره. [ثم استشهد بشر]

وفلان خَصِي بَثرة قلبه: بمودَّته. [ثم استشهد

بشعر]

وفي السَّاء ثَمرة وَثْمٌ: قُلْفُحٌ من سحاب.

وضربني بثمره لسانه: بَعَثَها إذا لَسَنَكَ.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ الكهف: ٣٤، أي مال، واطر ثمر

مالك وغماءه، ومال ثمر: مبارك فيه.

وأَمَر القوم، وثمرُوا ثَموراً: كثر مالهم، وثمر ماله يَتَمَر:

كثر، وفلان يحدود ما يثمر له مال، وثمر ما له تَمِيرًا.

وإن لَبَنَكَ لِحَسَن التمر، وهو ما يُمرى عليه إذا نَحَضَ

من أَسْثال الحَصَف في الجلد. ولبن مُثْمَر، وقد ثَمَر تَمِيرًا،

وأَمَر إقارًا.

وفي حديث المايمة: «فأعطاء صفقة يده، وعمرة قلبه» أي خالص عهده.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه أخذ بشرة لسانه» أي بطرفه.

ومنه حديث الحد: «فأني بسوط لم تقطع ثمرته» أي طرفه الذي يكون في أسفله. (١: ٢٢١)

الفَيُومِيّ: الثمر بفتحين، والثمرَة مثله، فالأول مذكر، ويجمع على ثمار، مثل جبل وجبال، ثم يجمع الثمار على ثمر، مثل كتاب وكتب، ثم يجمع على ثمار، مثل عتي وأعتاق.

والثاني مؤنث، والجمع: ثمرات، مثل قصبة وقصبات.

والثمر: هو الحقل الذي تُخرجُه الشجرة سواء أكل أو لا، فيقال: ثمر الأراك وثمر النخيل، وثمر الدوم وهو الحقل، كما يقال: ثمر التخل، وثمر العنب.

قال الأزهري: «وأثمر الشجر: أطلع ثمره» أول ما يخرج، فهو مثير، ومن هنا قيل لما لانفع فيه: ليس له ثمرَة. (١: ٨٤)

الفَيُورُزُ إبادي: الثمر محرّكة: حقل الشجر، وأنواع المال كالثمار كحساب.

الواحدة: ثمرَة وثمرَة كثرَة، الجمع: ثمار، وجمع الجمع: ثمر، وجمع جمع الجمع: ثمار، والذهب والفضة.

والثمرَة: الشجرة، وجلدة الرأس، ومن اللسان: طرفه، ومن السوط: عُقْدَة أطرافه، والثلل والولد: وثمر الشجر وأثمر: صار فيه الثمر. أو الثامر:

وشرب الثميرة، وهي اللبن المُسَمَّر، والمرب تقول: لثانا الله مضميره، وأسقانا عميره. [ثم استشهد بشعر]

«ابن مسعود رضي الله عنه أتاه رجل يابن أخيه، وهو سكران، فأمر بسوط فدقّت ثمرته». ثمرَة السوط: الثمّنة في طرفه، وإنما أمر بدقّها لتلين، تخفيفاً عنه.

(الفائق ١: ١٧٣)

[في حديث عن عمرو بن مسعود مع معاوية] «ما تسأل عمن ذكبت بثمرته وقطعت ثمرته، وكثر منه ما يحب أن يثقل...»

ثمرته: نسله، شبهه بثمر الشجرة، كما يقال: هذا فرع فلان وشعبته. ويجوز أن يكتفى بها عن العضو، ويريد انقطاع قدرته على الملازمة، وانقطاع شهوته.

(الفائق ١: ١٧٤)

المُديني: في حديث معاوية، قال لجارية: «هل عندك قرى؟ قالت: نعم خبز خير، ولبن غير، وخيش جبر». اللبن الثمير: الذي قد تحبب زبدُه فيه فظهرت قيمته، يقال: أثمر اللبن: صارت له ثميرة - والمُسَمَّر: اللبن الذي يُحَضُّ فأظهر الزبد - أي عندي لبن يزبد، لم يُخَرَج زبدُه منه. (١: ٢٧٢)

ابن الأثير: حديث علي رضي الله عنه: «ذاكيا نبتها، ثامراً فرعها». يقال: شجر ثامر، إذا أدرك ثمره. وفيه: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ثمره فؤاده؟ فيقولون: نعم».

قيل للولد: ثمرَة، لأن الثمرة ما ينتجها الشجر، والولد ينتج الأب.

واحدته: ثمرة، وتجمع ثمرة: على ثمار وثمرات.

يقال: أثمر الشجر، إذا طلع ثمرة.

وقد يكتفى بالثمر والثمرات عن المال المستفاد.

(١٧٣: ١١)

المُضْطَفَّقِيُّ: إن الثمر عبارة عن كل ما يحصل

ويتولد من شيء، سواء كان مما يتطعم أم لا، وسواء

كان مطلوباً أو غير مطلوب، خلواً أو مراً، في كل شيء

بحسبه. وقد أطلق في الأنعام: ٩٩، ١٤١، على ثمر كل

من التخل والزروع والزيتون والزمان، وسائر الثبات،

وكذا في آيات أخر.

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التخل: ٦٩، أي من

كل ما يتولد من نبات، ﴿فَاَخْرِجِي بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا

لَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢، أي من ثمرات الشجر والزروع،

﴿وَتَنصِبِ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ﴾ البقرة:

١٥٥، ثمرات من كل نبات. هذا في المحسوسات، وكذلك

في الثمرات المعنوية المعقولة. (٢٨: ٢)

النصوص التفسيرية

ثَمَرٌ

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ

مَالًا وَأَعَزُّ نَفْوَ. الكهف: ٣٤

ابن هبّاس: يعني أنواع المال. (الطبري ١٥: ٢٤٥)

معناه: وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه، كما

يملك الناس ثماراً لا يملكون أصلها. (الطبري ٣: ٤٦٨)

كان له معها جميع الأموال.

ماخرج ثمرة، والمُثْمِر: مابلغ أن يُحْيى.

والثمراء: جمع الثمرة، وشجرة بئينا، وهضبة

يشق الطائف منها يلي الشراة، ومن الشجر: ماخرج

ثمراً، والأرض الكثيرة الثمر كالثمرة.

وتمر الرجل: غول، وللغتم: جمع لها الشجر.

ومالٌ ثمر ككتيف، ومشور: كثير، وقوم مشورون.

والثمرة: ماظهر من الزبد قبل أن يجتمع، واللبن

الذي ظهر زبدُه، أو الذي لم يُخْرِجْ زَبْدُه كالشعر فيها.

وتمر السقاء تميم: ظهر عليه تحبب الزبد كأتمر،

والثبات: نَصَفُ ثَوْرِهِ وعقد ثمره، والزجل ساله: نساء

وكثره. وأتمر: كثر ماله.

والثامر: اللبيب، ونور الحشاش.

وابن قير: الليل المغير.

وتمر: واد، وبالتهريك: بلدة باليمن.

ومانسي لك بغيره كفرحة، أي مالك في نفسي

حلاوة. (٣٩٧: ١١)

الطَّرِيحِي: الثمر بالتهريك: الرطب مادام في

رأس التخل، فإذا قطع فهو الرطب. ويقع على كل الثمار

أكلت أو لم تؤكل، كثمرة الأراك والعوسج. واحده: ثمرة.

ويغلب على ثمر التخل.

وقوله ﷺ: «أنت أعطتك من ثمرة قلبها» هو على

الاستعارة. [لأن قال:]

واستثار المال: استنأوه، ومنه الحديث: «استثار

المال تمام المروءة». ولعله يريد الصدقة منه، فإن المال

ينمو بسببها، أو استنأوه بإنفاقه بالمعروف. (٢٣٧: ٣)

مَجْمَعُ اللَّفْظَةِ: الثمر: هو ثمر الشجر، اسم جنس

وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع «نمرة» كما تجمع الخشبة خشباً.

وقرأ ذلك بعض المدتئين: (وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ) بفتح الناء والميم، بمعنى جمع النمرة، كما تجمع الخشبة خشباً، والقصبه قصباً.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ (وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ) بضم الناء والميم، لإجماع المجتهدين من القراء عليه، وإن كانت جمع غار، كما [أن] الكتب جمع كتاب.

(٢٤٥: ١٥) نحوه أبوزرعة (٤١٦)، والطوسي (٧: ٤١)، والميمني (٥: ٦٩٠).

الزجاج: وقرئت (نمر)، وقيل: النمر: ما أخرجه الشجر، والشمر: المال، يقال: قد نمر فلان مالا.

والشمر هاهنا أحسن، لأن قوله: «يَكِلْنَا الْجَسْتَيْنِ أَنتَ أَكْلَهُمَا» الكهف: ٣٣، قد دلّ على النمر، ويجوز أن يكون نمر جمع نمرة وغار^(١) ونمر. (٢٨٥: ٣) نحوه الأزهري. (٨٥: ١٥)

النحاس: ويقرأ (نمر) فالتنمر معروف. وفي النمر قولان:

أ - [أحدهما قول مجاهد وقد تقدم عن القراء]

ب - وقال أبو عمران الجوني: النمر: أنواع المال، والنمر: الثمرات.

ج - وقال أبو يزيد المديني: النمر: الأصل، والنمر: النمرة.

مثله قتادة. (الطبرسي ٣: ٤٦٨)

مجاهد: ما كان في القرآن من «نمر» بالضم، فهو مال وما كان من «نمر» مفتوح فهو من النمار.

(القراء ٢: ١٤٤)

ذهب وفضة. (الطبرسي ١٥: ٢٤٥)

قتادة: من كل المال. (الطبرسي ١٥: ٢٤٥)

ابن زيد: النمر: الأصل. (الطبرسي ١٥: ٢٤٦)

أبو عبيدة: (كَانَ لَهُ نَمْرٌ) وهو جماعة النمر.

(١: ٤٠٢)

الطبرسي: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته

عامة قراء المجاز والعراق (وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ) بضم الناء والميم.

واختلف قارئو ذلك كذلك، فقال بعضهم: كان له

ذهب وفضة، وقالوا: ذلك هو النمر، لأنها أموال كثيرة، يعني مكثرة.

وقال آخرون: بل عني به: المال الكثير من صنوف الأموال.

قرأها ابن عباس: (وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ) بالضم.

وقال آخرون: بل عني به الأصل. [ونقل أقوال

المفسرين ثم قال:]

وكان الذين وجهوا معناها إلى أنواع من المال،

أرادوا أنها جمع غار جمع نمر، كما يجمع الكتاب كتباً والمهار محراً.

وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة (نمّر)

بضم الناء وسكون الميم، وهو يريد الضم فيها، غير أنه سكتها طلب التخفيف.

(١) ذكر معقن كتاب النحاس (٤١: ٢٤٠) قوله: ينسار جمع نمر.

وكأنه يريد بالأصل الشجر، وما أشبهها.

وهذه الثلاثة الأحوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أن الشجر: المال.

والقول الآخر: أبان بن تغلب عن الأعمش: أن الحجاج قال: «لو سمعت أحدا يقول: (وَكُنَّ لَهُ ثَمَرٌ) لَقَطَعْتُ لسانه. فقلت للأعمش: أناخذ بذلك؟ قال: لا، ولا يثمة عين. فكان يقرأ (ثَمَرًا) ويأخذه من جمع الثمر». فالتقدير على هذا القول، أنه جمع ثمرة على ثمار، ثم جمع ثَمَرًا على ثَمَر، وهو حسن في العربية، إلا أن القول الأول أنشبه - والله أعلم - لأن قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ﴾ أثبت أكلهما الكهف: ٣٣. يدل على أن له ثمرًا.

(٤: ٢٣٩)

الماوردي: قرأ عاصم بفتح التاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم التاء وإسكان الميم، وقرأ الباقون (ثَمَرًا) بضم التاء والميم.

وفي اختلاف هاتين القرائتين بالضم والفتح قولان: أحدهما: معناها واحد، فعلى هذا فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أنه الذهب والفضة، قاله قتادة، لأنها أموال ثميرة.

الثاني: أنه المال الكثير من صنوف المال، قاله ابن عباس لأن تنميره أكثر.

الثالث: أنه الأصل الذي له ثناء، قاله ابن زيد، لأن في الثناء تنميرًا.

والقول الثاني: أن معناها بالضم والفتح مختلف، فعلى هذا في الفرق بينهما، أربعة أوجه:

أحدها: أنه بالفتح جمع ثمرة، وبالضم، جمع ثمار.

الثاني: أنه بالفتح ثمار التخييل خاصة، وبالضم جميع الأموال، قاله ابن بحر.

الثالث: أنه بالفتح ما كان ثماره من أصله، وبالضم ما كان ثماره من غيره.

الرابع: أن الثمر بالضم الأصل، وبالفتح الفرع، قاله ابن زيد.

وفي هذا الثمر المذكور قولان:

أحدهما: أنه ثمر الجنتين المتقدم ذكرهما، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنه ثمر ملكه من غير جنتيه، وأصله كان لغيره كما يملك الناس ثمارًا لا يملكون أصولها، قاله ابن عباس، ليجتمع في ملكه ثمار أمواله وثمار غير أمواله، فيكون أعمّ ملكًا. (٣: ٣٠٦)

المصنفصري: أي أنواع من المال، من ثمر ماله إذا كثر.

وعن مجاهد: «الذهب والفضة»، أي كانت له إلى الجنتين الموصفتين الأموال الدائرة من الذهب والفضة وغيرهما، وكان افر اليسار من كل وجه، متمكنًا من عبادة الأرض كيف شاء. (٢: ٤٨٤)

ابن عطية: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحزمة والكسائي وابن عباس ومجاهد وجماعة قراء المدينة ومكة (ثَمَرًا) و(يُثْمِرُهُ) بضم التاء والميم، جمع ثمار. وقرأ أبو عمرو والأعمش وأبو رجا بسكون الميم فيها تخفيفًا وهي في المعنى كالأولى، ويتجه أن يكون جمع ثمرة. كبكنة وبذن، وقرأ عاصم (ثَمَرًا) و(يُثْمِرُهُ) بفتح الميم والتاء

نحوه القاسمي. (١١: ٤٠٥٧)

الآلوسي: (نمر): أنواع المال، كما في القاموس وغيره. ويقال: نمر، إذا تمول، وحمله على حمل الشعر - كما فعل أبو حيان وغيره - غير مناسب للنظم. [ثم نقل القراءات كما تقدم عن ابن عطية] (١٥: ٢٧٤) عِزَّة ذُرْوَذَة: الشعر هنا بمعنى كثرة المال الذي أثمر على صاحبه. (٦: ٢١)

الطَّبَّاطِبَائِي: الضمير للرجل، والشعر: أنواع المال، كما في الصحاح وعن القاموس، وقيل: الضمير للشغل والشعر ثمره، وقيل: المراد كان للرجل ثمر ملكه من غير جنته. وأول الوجوه أوجهها ثم الثاني. ويمكن أن يكون المراد من إيتاء الجنتين أكلها من غير ظلم: بلوغ أشجارهما في الرشد مبلغ الإنماء وأوانه. ومن قوله: «وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ» وجود الشعر على أشجارها بالفعل كما في الصيف، وهو وجه خال عن التكلف.

(١٣: ٣٠٩)

ثَمَرُهُ

١... أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْجِهِ إِنْ فِي ذَلِكَمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. الأنعام: ٩٩ مُجَاهِد: الثمر: هو المال، والشعر: ثمر الشغل.

(الطَّبَّي: ٧: ٢٩٥)

ابن قُتَيْبَةَ: «أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ» وهو غَضٌّ.

الطَّبَّي: اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة، وبعض أهل البصرة: «أَنْظُرُوا

فيها، وهي قراءة أبي جعفر والحسن وجابر بن زَيْد والمجَّاج.

واختلف المتأولون في «الشعر» بضم التاء والميم، فقال ابن عباس وقتادة: «الشعر» جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك. [ثم استشهد بشعر] وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة، وقال ابن زَيْد: (الشعر) هي الأصول فيها الشعر كأنها غار وثمر كتاب وكشب.

وأما من قرأ بفتح التاء والميم، فلامشكال في أن المعنى: ما في رؤوس الشجر من الأكل، ولكن فصاحة الكلام تقتضي أن يُعبرَ إيجازاً عن هلاك الشعر والأصول، بهلاك الشعر فقط، فخصصها بالذكر؛ إذ هي مقصود المستغل.

وإذ هلاك الأصول إنما يسوء منه هلاك الشعر الذي كان يرجى في المستقبل، كما يقتضي قوله: «إِنْ لَهُ ثَمَرٌ» إِنْ لَهُ أَصُولٌ، كذلك تقتضي الإحاطة المطلقة بالشعر، إِنْ الْأَصُولُ قد هلكت، وفي مصحف أبي (وَأَيْتَاءُ ثَمَرًا كَثِيرًا). وقرأ أبو رجاء (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ) بفتح التاء وسكون الميم. (٣: ٥١٦)

نحوه الفخر الرازي (٢١: ١٢٥)، والسيابوري (١٥: ١٣٢)، وأبو حيان (٦: ١٢٥).

البيروني: أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله الذي ذكر. وقال الشيخ في تفسيره: ففتحتن جمع ثمرة، وهي الجني من الفاكهة. وذكرها - وإن كانت الجنة لا تخلو عنها - لإيدان بكثرة الحاصل له في الجنتين، من الثمار وغيرها. (٥: ٢٤٥)

والبُرُوسِيَّ (٣: ٧٤)، والألُوسِيَّ (٧: ٢٤).

الفُغْرُالْوَازِيَّ: [نحو الطَّيْرِي وَأَصَاف:]

قوله: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى تَمْرِهِ إِذَا أَمَرَ﴾ أمر بالنظر في حال التمر في أوّل حدوتها. (١٣: ١١١)

أُبُوحَيَّان: تبه على حالين: الابتداء وهو وقت ابتداء الأثمار، والانتهاه وهو وقت نضجه، أي كيف يُخرجه خشباً ضعيفاً لا يكاد يستتفع به، وكيف يعود نضجاً مستعلاً على منافع.

وتبه على هاتين الحاليتين وإن كان بينهما أحوال يقع بها الاعتبار والاستبصار، لأنها أغرب في الوقوع، وأظهر في الاستدلال. (٤: ١٩١)

مكارم الشَّيرازِيَّ: تُرَكِّز الآية على ثمرة الشجرة، وعلى تركيب ثمرة الشجرة إذا أثمرت، وكذلك على نضج الثمرة إذا نضجت. ففها دلائل واضحة على قدرة الله وحكمته للمؤمنين من الناس: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى تَمْرِهِ﴾ الآية.

مانقروء اليوم في علم النبات عن كيفية طلوع الثمرة ونضجها يكشف لنا عن الأهمية الخاصة التي يولها القرآن للأثمار؛ إذ إن ظهور الثمرة في عالم النبات أشبه بولادة الأبناء في عالم الحيوان، فخطقة الذكر في النبات تخرج من أكياس خاصة بطرق مختلفة - كالزرايح أو الحيوانات - وتحطّ على القسم الأنثوي في النبات، وبعد التلقيح والتركيب تتشكّل البيضة الملقحة الأولى. وتحيط بها مواد غذائية مشابهة لتركيبها، إن هذه المواد الغذائية تختلف من حيث التركيب، وكذلك من حيث الطعم والخواص الغذائية والطبيّة. فقد تكون ثمرة - مثل

إلى تَمْرِهِ﴾ بفتح التاء والميم، وقرأه بعض قراء أهل مكة وعامة قراء الكوفتين (إلى تُثْمَرِهِ) بضمّ التاء والميم.

فكان من فتح التاء والميم من ذلك وجه معنى الكلام: انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي ستمينا من الثغل والأعشاب والزيتون والزّمان إذا أثمر، وإن الثمر: جمع ثمرة، كما التقصب جمع قصبة، والخشب جمع خشبة.

وكان من ضمّ التاء والميم، وجه ذلك إلى أنّه جمع ثمار، كما الثمر جمع جمار، والجسرب جمع جراب. [إلى أن قال:]

الأعمش، عن يحيى بن وقاب، أنّه كان يقرأ (إلى تَمْرِهِ) يقول: هو أصناف المال.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ (أَنْظُرُوا إِلَى تَمْرِهِ) بضمّ التاء والميم، لأنّ الله جلّ ثناؤه وصف أصنافاً من المال، كما قال يحيى بن وقاب. وكذلك حبّ الزّرع المتراكب، وقُتُون الثغل الدانسة، والجَنَات من الأعشاب والزّيتون والزّمان، فكان ذلك أنواعاً من الثمر، فجُمعت الثمرة ثمرًا، ثمّ جُمع الثمر ثمرًا، ثمّ جُمع ذلك فقيل: (أَنْظُرُوا إِلَى تَمْرِهِ) فكان ذلك جمع الثمار، والثمار: جمع الثمرة؛ وإنماره: عقد الثمر. (٧: ٢٩٤)

نحوه الزَّجَّاج (٢: ٢٧٦)، وأبو زُرَّعة (٢٦٤)، والقيسي (١: ٢٨١)، والموازدي (٢: ١٥٠)، والمجدي (٣: ٤٣٦)، وابن عطية (٢: ٣٢٨)، والمكبري (١: ٥٢٥). الزَّمْعَشْرِيّ: إذا أخرج ثمره، كيف يخرج شتلاً ضعيفاً، لا يكاد يستتفع به. (٢: ٤٠)

نحوه التَّنَسِّي (٢: ٢٦)، وأبو الشُّعُود (٢: ٤٢١)،

قواعدها الداخلية، وأخذ كل منها حصتها من الماء والغذاء، وهذا كله مما نراه بالعين. ولو وضعنا ذرات هذه القشرة تحت المجهر لرأينا عالماً صاحباً، وتراكيب عجيبة مدهشة محسوبة بأدق حساب.

فكيف يمكن لعين باحثة عن الحقيقة أن تنظر إلى هذه القشرة. ثم تقول: صانها لا يملك علماً ولا معرفة!!
 إِنَّ الْقُرْآنَ إِذْ يَقُولُ: ﴿أَنْظُرُوا﴾ إِنَّمَا يَرِيدُ هَذِهِ النُّظْرَةَ الدَّقِيقَةَ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْقَشَرَةِ لِلْوَصُولِ إِلَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المراحل المتعددة التي تمر بها القشرة منذ فجاعتها حتى نضجها تُشير إلى البناء، لأن «التحولات» الداخلية في القشرة لا تنفك عن العمل في تغيير تركيبها الكيميائي، إلى أن تصل إلى المرحلة النهائية ويثبت تركيبها الكيميائي النهائي، أن كل مرحلة من هذه المراحل دليل على عظمة الخالق وقدرته.

ولكن لابد من القول - بحسب تعبير القرآن - إِنَّ الَّذِينَ يَحْتَمِلُونَ الْحَقِيقَةَ وَيَرَوْنَهَا، هُمُ الَّذِينَ يَحْتَمِلُونَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِلَّا فَمِنْ الصَّنَادِ وَالْمَكَايِدِ وَالْإِهْمَالِ وَالْتِسَاهُلِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَرَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ.

(٤: ٣٧٤)

٢- كُلُّوْا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ... الأنعام: ١٤١
 ابن كعب القرظي: من رطبه وعنبه.

(الطَّبَرِيُّ ٨: ٥٣)

أَبُو عُبَيْدَةَ: جَمِيعُ ثَمَرَةٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا: مَنْ (تَمَرَّهَ)

العنب والزَّيْتَان - فِيهَا مَنَاتٌ مِنَ الْحَبِّ، كُلُّ حَبَّةٍ مِنْهَا تُعْتَبَرُ جَنِيَّةً لِشَجَرَةٍ أُخْرَى، وَلَهَا تَرْكِيبٌ مُعَقَّدٌ عَجِيبٌ.

إِنَّ شَرَحَ بَنِي الْأَحْمَارِ وَالْمَوَادِّ الْعَذَائِيَّةِ وَالطَّبَائِيَّةِ خَارِجٌ عَنْ طَاقِ هَذَا الْبَحْثِ، وَلَكِنْ مِنَ الْحَسَنِ أَنْ نَضْرِبَ مَثَلًا بِشَرَةِ الزَّيْتَانِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

إِذَا شَقَقْنَا زَيْتَانَةً وَأَخَذْنَا إِحْدَى حَبَاتِهَا وَنَظَرْنَا خِلَالَهَا بِأَنْجَاهِ الشَّمْسِ أَوْ مَعْدَرِ ضَوْءٍ آخَرَ نَجِدُهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ أَقْسَامٍ أَصْغَرَ، وَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ صَغِيرَةٍ مَمْلُوءَةٌ بِمَاءِ الزَّيْتَانِ، قَدْ رَصَفَتْ الْوَاحِدَةَ إِلَى جَنْبِ الْأُخْرَى، فِي حَبَّةِ الزَّيْتَانِ الْوَاحِدَةِ قَدْ تَكُونُ الْمَنَاتُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَارِيرِ الصَّغِيرَةِ جَدًّا، يَجْمَعُ أَطْرَافَهَا غِشَاءٌ رَقِيقٌ هُوَ غِشَاءُ حَبَّةِ الزَّيْتَانِ الشَّكَافِ نَفْسِهِ، ثُمَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ التَّغْلِيفِ أَكْمَلُ وَأَمْتَنُ وَأَبَدُ عَنْ الْخَطَرِ، رُكَّبَ عِدَدٌ مِنَ الْحَبَّاتِ عَلَى قَاعِدَةٍ فِي ظِلَامٍ مُعَيَّنٍ، وَلَقَدْ فِي خِلَافٍ أَبْيَضٍ سَمِيكَ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي الْقَشَرُ السَّمِيكَ جَدًّا يَلْفُ الْجَمِيعَ لِيَحُولَ دُونَ غُودِ الْهَوَاءِ وَالْجَرَائِمِ، وَلِقَاوَةِ الصَّعْبَاتِ، وَلِتَقْلِيلِ تَبَخُّرِ مَاءِ الزَّيْتَانِ فِي الْحَبَّاتِ إِلَى أَقَلِّ حَدٍّ مُمْكِنٍ.

إِنَّ هَذَا التَّرْتِيبَ فِي التَّغْلِيفِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الزَّيْتَانِ، فَهَنَّاكَ فَوَاكِهُ أُخْرَى، مِثْلُ الْبَرْتَقَالِ وَالْأَلْمُونِ، لَهَا تَغْلِيفٌ مِمَّاثِلٌ، أَمَّا فِي الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتَانِ، فَالتَّغْلِيفُ أَدَقُّ وَأَلْطَفُ. وَلَمَّا لَمْ يَنْسَ الْإِنْسَانُ حَذَا حَذُوْ هَذَا التَّغْلِيفِ عِنْدَمَا أَرَادَ نَقْلَ السَّوَابِلِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، فَهُوَ يَصِفُّ الْقَنَاقِي الصَّغِيرَةَ فِي عُلْبَةٍ وَيَضَعُ بَيْنَهَا مَادَّةً لَيِّنةً، ثُمَّ يَضَعُ الثَّلَبَ الصَّغِيرَةَ فِي عُلْبٍ أَكْبَرَ، وَيَحْمِلُ مَجْمُوعَهَا إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِقْرَارُ حَبَّاتِ الزَّيْتَانِ عَلَى

يدرك وينبع، فالكرم ينتفع بثمره حصرًا فعبارة قريبًا،
والتخل يؤكل ثمره بئرًا فربطًا فثمرًا، والقمع يطحن
ويؤكل خبرًا أو يطبخ أو يملح حلوى على أشكال شتى،
(٥٢: ٨)

عبد الكريم الخطيب: وفي التقييد الوارد على الأكل
من الثمر، بقوله: (إذا أثمر) تقييد للأطوار بهذه الجينات
وتلك الزروع، وملاحظة أطوار الحياة التي تنتقل فيها،
وأنها لم تصل إلى هذا الطور الذي تعمل فيه الثمر الذي
يصلح للأكل، إلا بعد أن قطعت طريقًا طويلًا، في نموها
وتطورها.

وشأنها شأن الإنسان يكون بذرة في بطن أمه، ثم
ينشق عنه الرحم وليدًا، طفلًا، فغلامًا، فصبًا،
فكهلًا، فشيخًا.

مكارم الشيرازي: ماذا تعني جملة ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾؟...
الظاهر أن هذه الجملة تهدف إلى تقرير وبيان أن
بمجرد ظهور الثمار على هذه الأشجار، وظهور سنابل
القمح، والمحبوب في الزرع يميز الانتفاع بها، حتى إذا لم
يُط منها حقوق الفقراء بعد، وإنما يجب إيتاء هذا الحق
لأهله حين حصاد الزرع، وقطاف الثمر. (٤: ٤٥٠)

٢- لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ.

يس: ٣٥

أبو عبيدة: بجاز هذا بجاز قول العرب يذكرون
الأتين ثم يقتصرون على خبر أحدها، وقد أشركوا
ذاك فيه وفي القرآن ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالنِّقْصَةَ
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣٤. [تم استشهد

فضمها، فإنه يجعلها جميع ثمر. (١: ٢٠٧)
الطبري: كلوا من رطبها ما كان رطبًا ثمره.

(٥٣: ٨)
السيوطي: حين يكون غصًا. هذه رخصة للمالك
أن يأكل عند إدراكه قبل إخراج حق الله منه.
(٣: ٥٠٧)

الزمخشري: قرئ (ثمره) بضمين. فإن قلت:
ما فائدة قوله: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ وقد علم أنه إذا لم يُثمر لم
يؤكل منه؟

قلت: لما أبيع لهم الأكل من ثمره قيل: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾
ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر، الثمر،
لتلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأبيع. (٢: ٥٦)
نحو الزاوي (مسائل الزاوي: ٨٩)، ورشيد رضا
(٨: ١٣٦).

أبو حيان: وتقدم النظر - وهو الفكر - على الأكل
لهذا السبب. وهذا أمر بإباحة الأكل، وقيدته بقوله: ﴿إِذَا
أَثْمَرَ﴾ وإن كان من المعلوم أنه إذا لم يثمر فلا أكل، تنبيهاً
على أنه لا يُنظر به محل إدراكه واستوائه بل متى أمكن
الأكل منه فُعل. (٤: ٢٣٧)

أبو السعود: أي من ثمر كل واحد من ذلك ﴿إِذَا
أَثْمَرَ﴾ وإن لم يُدرك ولم ينع بعد، وقيل: فائدته رخصة
للمالك في الأكل منه، قبل أداء حق الله تعالى.

(٢: ١٤١)
نحو البروسوي (٣: ١١٢)، والأكوسي (٨: ٣٨).
المرآسي: وفائدة قوله: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ بيان أن أول
وقت لإباحة الأكل هو وقت الإنمار، وليس بلام أن

عائد على الماء الذي يتخسّنه قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا بِهِيَ مِنْ
الْعَيْنِ﴾ يَس: ٣٤، لأنّ التقدير ماء. وقالت فرقة: هو
عائد على جميع ما تقدّم مجعلاً، كما أنه قال: من ثمّ ما ذكرنا.
[ثمّ ذكر قول أبي عبيدة وأضاف:]

وهذا وجه في الآية ضعيف. (٤: ٤٥٣)

الطَّيْرُ سَي: أي من ثمّ التّخيل، ردّ الضمير إلى أحد
المذكورين، كما قال: ﴿وَلَا يَسْتَفْهِتُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
التوبة: ٣٤. (٤: ٤٢٣)

الفَخْرُ الْوَازِي: الضمير في قوله: ﴿مِنْ ثَمَرِهِ﴾ عائد
إلى أي شيء؟

نقول: المشهور أنّه عائد إلى الله، أي ليأكلوا من ثمّ
الله. وفيه لطيفة، وهي أنّ الشّار بعد وجود الأشجار
وجريان الأنهار لم توجد إلّا بالله تعالى، ولولا خلق الله
ذلك لم توجد؛ فالتّشعر بعد جميع ما يظنّ الظّانّ أنّه سبب
وجوده ليس إلّا بالله تعالى وإرادته فهي ثمرة.

ويحتمل أن يعود إلى التّخيل، وترك الأعراب
لحصول العلم بأنّها في حكم التّخيل، ويحتمل أن يقال:
هو راجع إلى المذكور، أي من ثمّ ما ذكرنا، وهذان
الوجهان نغلهما الزّخشي.

ويحتمل وجهاً آخر أغرب وأقرب، وهو أن يقال:
المراد من «التّشعر» الفوائد، يقال: ثمرة التّجارة الرّبح،
ويقال: ثمرة العبادة الثّواب، وحيث إنّ الضمير عائداً
إلى التّشجير المدلول عليه، بقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا بِهِيَ مِنْ
الْعَيْنِ﴾ يَس: ٣٤، تتجبراً ليأكلوا من فوائد ذلك
التّشجير. وفوائده أكثر من الشّار بل يدخل فيه ما قال
الله تعالى: ﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، إلى أن قال:

[بشعر] (٢: ١٦٦)
الطُّوسِي: أي غرضنا نفعهم بذلك، وانّفاعهم بأكل
ثمّار تلك الجّئات. (٨: ٤٥٧)

الواحدِي: يعني من ثمرة التّخيل، وهو في اللفظ
مدكّر. (٣: ٥١٣)

البَقَوِي: يعني من الثمر الحاصل بالماء. (٤: ١٣٤)
المُتَبَيِّنِي: أي ثمّ الماء، لأنّ الماء أصل الجميع،
وقيل: من ثمّ ذلك، قرأ حمزة والكسائي (مِنْ ثَمَرِهِ)
بضمّتين، والباقون (ثَمَرِهِ) بفتحيتين. (٨: ٢٢٥)

الزّمَخْشَرِي: وقري (ثَمَرِهِ) بفتحيتين وضمتين
وضمّة وسكون، والضمير لله تعالى. والمعنى: ليأكلوا ممّا
خلقه الله من الثمر (و) من «مَاعَقِلَتُهُ أَيْدِيهِمْ» من
الفرس والسّي والآبار، وغير ذلك من الأفعال، إلى أن
بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعني أنّ الثمر في نفسه فعل
الله وخلقه، وفيه آثار من كدّ بني آدم.

وأصله: من ثمّنا، كما قال: (وَجَعَلْنَا) (وَقَفَّيْنَا)،
فنقل الكلام من التّكلم إلى النّية على طريقة الالتفات.
ويجوز أن يرجع إلى التّخيل، وتترك الأعراب غير
مرجوع إليها، لأنّه علم أنّها في حكم التّخيل فيما علق به
من أكل ثمّره، ويجوز أن يراد من ثمّ المذكور، وهو
الجّئات. [ثمّ استشهد بشعر]

ولك أن تجعل (ما) نافية على أنّ «التّشعر» خلق الله،
ولم تعمله أيدي النّاس، ولا يقدرون عليه ...

(٣: ٣٢١)

نحوه الشّرّبي:
ابن عَطِيَّة: والضمير في (ثَمَرِهِ) قالت فرقة: هو

(٣: ٣٤٩)

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا عِثًّا ۖ وَعُتْبًا وَقُضْبًا ۖ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ
وَعَدَائِيَّ غُلَبًا ۖ وَقَاسِيَةً وَأَبْجًا ۖ عَسَىٰ ۚ ٢٥-٣١.
والتعبير أقرب في الذكر من التخيل، ولو كان عائداً إلى
الله لقال من ثمرنا، كما قال: (وَجَعَلْنَا) (وَقَبَّرْنَا).

(٢٦: ٦٧)
نحوه النيسابوري (٢٣: ١٥)، وأبوحيان (٧: ٣٣٥).
القرطبي: الماء في (قمره) تعود على ماء العيون،
لأن الثمر منه اندرج، قاله المبرجاني والمهدوي
وغيرها.

وقيل: أي لياكلوا من ثمر ما ذكرنا، كما قال: ﴿وَأَنْ
لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نَّشِبِكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِ﴾ النحل:
٦٦. (١٥: ٢٥)

البيضاوي: ثمر ما ذكر، وهو الجئات. وقيل:
الضمير ثمالي، على طريقة الانفات والإضافة إليه،
لأن الثمر يخلفه. (٢: ٢٨٠)

نحوه أبو السعود. (٤: ٢٥٣)

صدر المتألمين: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ أي ثمر
التخيل، اكتفاء به، لأنه علم أن الأعناب في حكم
التخيل أو ثمر أحد المذكورين، أو الجئات بالتأويل
المذكور.

والنكتة في إثبات هذه الغاية فيها نحن يصده، من
تطبيق هذه الآية على أحوال الأرواح الإنسية بحسب
المعاد، هي أنه كما أن الفرض الأصلي، من غرس
الأشجار وتحصيل الثمار هو الثبوت بها والقرقي إلى
غاية التسوء الصوري والأشد الظاهري، وكذلك
الفرض من تحصيل المعارف والصور العلمية الحاصلة بما

الإضافة الفاعلية وعين الاستفاضة القالبية، هو تكيل
النشأة الثانية الإنسانية، وبلوغها إلى غاية فطرتها
الروحية، وأشد حقيقتها الممنونة، [تم نقل كلام
الزحسري] (٥: ٨٣)

البروسوي: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ متعلق بـ(جَعَلْنَا)،
وتأخيره عن تعجير العيون، لأنه من مبادئ الإنمار، أي
وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب، ورثبنا مبادئ
أثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجئات والتخيل،
ويواظبوا على الشكر أداء لحقوقنا، فقيه إجراء الضمير
يجري اسم الإشارة. (٧: ٣٩٤)

الآلوسي: [نحو البروسوي وأضاف]:
وضمير (قمره) عائد على الجعول وهو (الجئات)
ولذا أفرد وذكر، ولم يقل: من ثمرها أي الجئات، أو من
ثمرها أي التخيل والأعناب، ومثله ما قيل عائد على
المذكور، والضمير قد يجري بجرى اسم الإشارة. [تم
استشهد بشعر]

وقيل: عائد على الماء لدلالة العيون عليه، أو لكون
الكلام على حذف مضاف، أي ماء العيون. وقيل: على
التخيل، واكتفى به للعلم باشتراك الأعناب معه في ذلك.
وقيل: على التعبير المفهوم من (قَبَّرْنَا).

والمراد بـ(قمره) فوائده، كما تقول: ثمرة التجارة
الربح، أو هو ظاهره والإضافة لأدنى ملابسة، والكل
كما ترى.

وجوز أن يكون الضمير له عز وجل، وإضافة
«الثمر» إليه تعالى، لأنه سبحانه خالقه، فكأنه قيل:
لياكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر. وكان الظاهر: من

إلى التَّخِيل، لِأَنَّهُ الْمَقْدَمُ رَتَبَةٌ عَلَى الْعَنْبِ، وَهُوَ أَكْثَرُ أَنْوَاعًا وَأَلْوَنًا مِنْهُ، فَلَا يَمْدُونُ أَنْ يَكُونَ الْعَنْبُ لَوْنًا مِنْ أَلْوَانِ الشَّرِّ.

(١٢: ٩٣٠)

مَكَارِمُ الشَّيْءِ الرَّائِي: نَعَمْ، ثَمَارُ عَلَى شَكْلِ غِذَاءٍ كَامِلٍ، تَظْهَرُ عَلَى أَغْصَانِهَا، قَابِلٌ لِلأَكْلِ بِمَجَرَّدِ جَنْبِهَا مِنْ أَغْصَانِهَا، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى طَبِخٍ أَوْ آيَةٍ تَغْيِيرَاتٍ أُخْرَى، ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى غَايَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِهَذَا الْإِنْسَانِ وَكَرَمِهِ.

حَتَّى أَنْ ذَلِكَ الطَّعَامُ الْجَاهِزُ الَّذِي يُمْكِنُ تَجْمِيعُهُ وَتَعْلِيهِ، لَكِي يُحْفَظَ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، بِدُونِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ قِيَمَتِهِ الْغَذَائِيَّةِ شَيْءٌ، عَلَى خِلَافِ الْأَغْذِيَّةِ الَّتِي يَصْنَعُهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَوَادِّ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي أَعْطَاهَا اللَّهُ لَهُ، فَهِيَ غَالِبًا مَا تَكُونُ سَرِيعَةً التَّلَفِّ وَالْفَسَادِ.

وَيُوجَدُ تَفْسِيرٌ آخَرُ أَيْضًا لِمَعْنَى الْآيَةِ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِالنَّظَرِ: وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَرِيدُ الْإِشَارَةَ إِلَى الْفَوَاكِهِ الَّتِي يُمْكِنُ اسْتِفَادَةُ مِنْهَا، دُونَ إِدْخَالِ تَخْيِيرِ عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ إِلَى أَنْوَاعِ الْأَغْذِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي يُمْكِنُ الْحَصُولُ عَلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْفَوَاكِهِ، بِالْقِيَامِ بِبَعْضِ الْأُمُورِ.

فِي التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ تَكُونُ (مَا) فِي الْجُمْلَةِ نَافِيَةً، بَيْنَمَا فِي التَّفْسِيرِ الثَّانِي تَكُونُ مُوَصُولَةً.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَالْمُحْدَفُ هُوَ تَحْرِيكُ حَسِّنٍ تَنْخِيسٍ الْحَقِّ، وَالشُّكْرُ فِي الْإِنْسَانِ، لَكِي يَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى أَوَّلِ طَرِيقٍ مَرَقَّةٍ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الشُّكْرِ، لِأَنَّ شُكْرَ الْمُنْعَمِ أَوَّلُ قَدَمٍ فِي طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ.

(١٤: ١٦٤)

ثُمَّ نَرَى، لِضَمِيرِ الْعِظَمَةِ عَلَى قِيَاسِ مَا تَقَدَّمَ، إِلَّا أَنَّهُ التَّفَتُّ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى النَّبِيَّةِ، لِأَنَّ الْأَكْلَ وَالشَّيْءَ مَا يُشْغَلُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُنَاسِبُ النَّبِيَّةَ؛ فَالْإِلْتِصَاقُ فِي مَوْقِعِهِ.

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ مِظَانِهِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ ضَمِيرٍ الْوَاحِدِ الْمُطَاعِ، لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِالْإِحْيَاءِ وَالْجَمْعِ وَالتَّغْفِيرِ، وَقَدْ أُسْنَدَتْ إِلَيْهِ.

وَرَدَ بِأَنَّ مَاسِقِي أَفْخَمَ، لِأَنَّهَا أَفْصَالُ عَامَّةِ التَّغْفَعِ، ظَاهِرَةٌ فِي كِبَالِ الْقُدْرَةِ؛ وَالشَّرُّ أَحْطَى مَرْتَبَةٍ مِنَ الْحَبِّ، وَلِذَا لَمْ يُورَدَ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَاصِ، فَلَا يَسْتَحَقُّ ذَلِكَ التَّغْفِيمَ، كَيْفَ وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمُ الشَّرَّ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى وَكَهَالَهُ بِفِعْلِ الْآدَمِيِّ، وَبِمَا تَقَدَّمَ يَسْتَفْنِي عَنْ ذِكْرِ.

(٢٣: ٧)

الطَّبَّاءُ طَبَّائِي: ﴿مِنْ قَرِوَةٍ﴾ قِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْمَجْمُوعِ مِنَ (الْجَنَاسَاتِ) وَلِذَا أُفْرِدَ وَذُكِّرَ وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ ثَمَرِهَا، أَيْ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَاسَاتِ، أَوْ مِنْ ثَمَرِهَا، أَيْ مِنْ ثَمَرِ التَّخْيِيلِ وَالْأَعْنَابِ.

وقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْمَذْكُورِ، وَقَدْ يَجْرِي الضَّمِيرُ بِمَجْرَى اسْمِ الْإِشَارَةِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَفِي مَرْجِعِ ضَمِيرِ ﴿مِنْ قَرِوَةٍ﴾ أَقْوَالُ آخَرُ رَدِيئَةٌ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: إِنَّ الضَّمِيرَ لِلتَّخْيِيلِ فَقَطْ. وَقَوْلُ آخَرٍ: إِنَّهُ لِلْمَاءِ لَدَلَالَةٌ الْعِيُونِ عَلَيْهِ، أَوْ بِحَذْفِ مُضَافٍ وَالتَّغْدِيرِ: مَاءُ الْعِيُونِ. وَقَوْلُ آخَرٍ: إِنَّ الضَّمِيرَ لِلتَّغْفِيرِ الْمَفْهُومِ مِنْ (فَجَّرْنَا)، وَالْمُرَادُ بِالشَّرِّ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ: الْفَائِدَةُ. وَقَوْلُ آخَرٍ: إِنَّ الضَّمِيرَ لَهُ تَعَالَى، وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ خَلَقَهُ وَمَلَكَهُ.

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْغَطِيبُ: وَالضَّمِيرُ فِي (قَرِوَةٍ) يَعُودُ

ثَمَرَة

ابتدئ من ثمرة، وتزيله تنزيل أن تقول: رزقني فلان، فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من رمان.

وتحريره أن (رَزَقُوا) جعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجَنَات، ثم جعل مقيداً بالابتداء من ضمير الجَنَات مبتدأ «مِنْ ثَمَرَةٍ»، وليس المراد بالثمرة: الثَّاقَاة الواحدة أو الثَّامَنَة الفَذَّة على هذا التفسير، وإنما المراد التَّوَع من أنواع الثَّاه.

ووجه آخر، وهو أن يكون «مِنْ ثَمَرَةٍ» بياناً على منهاج قولك: رأيت منك أسداً، تريد أنت أسد، وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة: التَّوَع من الثَّاه، والجَنَات: الواحدة. (٢٥٩: ١)

نحوه الفَخْر الرَّايزي (٢: ١٢٩)، والثَّاه بورني (١: ٢١١).

أبو حَتَّان: (مِنْ) في قوله: (مِنْهَا) هي لا ابتداء الغاية، وفي «مِنْ ثَمَرَةٍ» كذلك، لأنه بدل من قوله: (مِنْهَا) أعيد معه حرف، كقوله تعالى: «كُلُّنَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا» الحج: ٢٢، على أحد الاحتمالين، وكلتاها تتعلق بـ (رَزَقُوا) على جهة البذل كما ذكرنا، لأن الفعل لا يقتضي حرفي جر في معنى واحد إلا بالطف، أو على طريقة البذل، وهذا البذل هو بدل الاختلال.

وقد طول الزَّحْشَرِي في إهراب قوله: «مِنْ ثَمَرَةٍ»، ولم يوضحه بالبذل، لكن تنيله يدل على أنه مراده، وأجاز «أن يكون «مِنْ ثَمَرَةٍ» بياناً على منهاج قولك: رأيت منك أسداً، تريد: أنت أسد». انتهى كلامه.

وَيَنْشُرُ الَّذِينَ أَسْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ... البقرة: ٢٥
المأوردِي: أي غار شجرها.
الطُّوسِي: (مِنْ) زائدة، والمعنى: كلما رزقوا ثمرة، و(مِنْهَا) يعني من الجَنَات، والمعنى: أشجارها، وتقديرها: كلما رزقوا من أشجار البساتين التي أعدها الله للمؤمنين.

وقال الرُّمَّانِي: هي بمعنى التَّبْيِض، لأنهم يُرزقون بعض الثمرات في كل وقت. ويجوز أن تكون بمعنى تبيين الصَّفة، وهو أن يبين الرِّزْق من أي جنس هو. (١٠٨: ١)

الواحدِي: (مِنْ) صلة أي ثمرة. ويجوز أن تكون للتَّبْيِض، لأنهم إنما يُرزقون بعض ثمار الجنة. (١٠٤: ١)

المُتَبَدِّي: (مِنْ) للتبيين، وقيل: للتَّبْيِض. (١٠٩: ١)

الزَّحْشَرِي: إن قلت: ما موقع «مِنْ ثَمَرَةٍ»؟ قلت: هو كقولك: كلما أكلت من بستانك من الرِّمَّان شيئاً حدثك، فوقع «مِنْ ثَمَرَةٍ» موقع قولك: من الرِّمَّان، كأنه قيل: كلما رزقوا من الجَنَات من أي ثمرة كانت من ثاقها أو رمانها أو غيرها أو غير ذلك رزقاً قالوا ذلك.

فـ (مِنْ) الأولى والثانية كلتاها لا ابتداء الغاية، لأنَّ الرِّزْق قد ابتدئ من الجَنَات، والرِّزْق من الجَنَات قد

وكون (ين) للبيان، ليس مذهب المحققين من أهل
المرية بل تأولوا ما استدل به من أثبت ذلك. ولو فرضنا
بجمي (ين) للبيان لما صح تقديرها للبيان هنا، لأن
القائلين بأن (ين) للبيان قدروها بضم، وجعلوه صدرًا
لموصول صفة إن كان قبلها معرفة، نحو ﴿فَسَاجِدُوا

الرُّوحَ مِنَ الْآوْتَانِ﴾ المص: ٣٠، أي الرُّوحَ الذي هو
الأوتان. وإن كان قبلها نكرة فهو يعود على تلك النكرة،
نحو: مَنْ يَضْرِبُ مِنْ رَجُلٍ، أي هو رجل.
و(ين) هذه ليس قبلها ما يصلح أن يكون بيانًا له
لانكرة ولا معرفة، إلا أن كان يشتمل لذلك أنها بيان لما
بعدها، وأن التقدير: «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا رِزْقًا مِنْ تَمَرَةٍ»
فتكون (ين) مبيّنة لـ(رِزْقًا) أي رزقًا هو تمر، فيكون في
الكلام تقديم وتأخير، فهذا ينبغي أن يترى كتاب الله عن
مثله.

وأما: «رأيت منك أسدًا» فـ«ين» لا ابتداء الغاية أو
للغاية ابتداء وانتهاء، نحو أخذته منك. ولا يراد بـ(تمرة):
الشخص الواحد من التفاح أو الزمان أو غير ذلك، بل
المراد - والله أعلم - التوع من أنواع الثمار، قال
الزَّمَخْشَرِيُّ: «وعلى هذا، أي على تقدير أن تكون (ين)
بيانًا، يصح أن يراد بالتمرة: التوع من الثمار،
والجئات: الواحدة».

وقد اخترنا أن (ين) لا تكون بيانًا، فلاحظنا ما لبني
عليه، مع أن قوله: «والجئات: الواحدة» مشكل يحتاج
فهو إلى تأمل. (١: ١١٤)

البُرُوسِيُّ: ليس المراد بالتمرة: التفاحة الواحدة
أو الزمانة الفضة، وإنما المراد: نوع من أنواع الثمار.

تَمَرَاتِ

١- وَمِنْ تَمَرَاتِ التَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَشْخُذُونَ مِنْهُ
سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا...
التحل: ٦٧
الزَّمَخْشَرِيُّ: إن قلت: يَم تعلق قوله: ﴿وَمِنْ
تَمَرَاتِ التَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ونسقيكم من ثمرات
التخيل والأعنب، أي من عصيرها، وحذف لدلالة
(نُسْقِيكُمْ) قبله عليه. (٢: ٤١٦)
مثله الفخر الرازي. (٢٠: ٦٨)

ابن عطية: يجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِنْ تَمَرَاتِ﴾
عطفًا على (الأنعام) التحل: ٦٦، أي ولكم من ثمرات
التخيل والأنعام عبرة ويجوز أن يكون عطفًا على (بما)
التحل: ٦٦، أي ونسقيكم أيضًا مشروبات من ثمرات.
(٣: ٤٠٥)

قالوا: كما أفرد أنثى كذلك ينبغي أن يكون (من ثَمَرَةٍ) مفردة، ويكون المراد: أجناس الثمار.

وكذلك «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى» ليس بواحدة، إنما هو أجناس الإناث، ويقوي الإفراد أيضاً قوله: «وَمِنْ أُنْثَى» قال أبو عمرو: ولو كانت (مِنْ ثَمَرَاتٍ) لكانت من أُنْثَاهُنَّ. (٦٣٧)

البُسرُوسِيّ: (ومن) مزيدة للتخصيص على الاستتراق، فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة. (٨: ٢٧٥)

الثَّمَرَات

١- وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ... البقرة: ٢٢

الطَّبْرِيّ: يعني بذلك أنه أنزل من السماء مطراً، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض، من زرعهم وغرسهم ثمرات رزقاً لهم، غذاءً وأقواتاً. (١: ١٦٢) نحوه الطُّوسِيّ. (١: ١٠١)

الواحدِيّ: (الثَّمَرَات): جمع ثمرة، وهي حمل الشجرة في الأصل، ثم صارت اسماً لكل ما ينتفع به، مما هو زيادة على أصل المال، يقال: ثمر الله ماله، وعقل مثير، إذا كان يجدي صاحبه إلى رشد. والثمرة تستعمل فيما ينتفع به ويستمتع مما هو فرع الأصل. قال المفسرون: أراد بـ(الثَّمَرَات) جميع ما ينتفع به، مما يخرج من الأرض. (١: ٩٨)

الزَّمخَشَرِيّ: (ومن) في «وَمِنْ الثَّمَرَاتِ» للتبعية، بشهادة قوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ

مِثْلِهِ الثَّمَرَاتِ». (١٠: ١٣٨)

أَبُو عَيَّانٍ: والظاهر تحلق «مِنْ ثَمَرَاتٍ» بـ(تَتَخَذُونَ) وكُثِّرَت (مِنْ) للتأكيد، وكان الصمير مفرداً راعياً لهذوف، أي ومن عصير ثمرات، أو على معنى الثمرات وهو الثمر، أو بتقدير (مِنْ) المذكور «تَمْ نَقْل قول الزَّمَخْشَرِيّ وقال: [

وهذا الذي أجاز، قاله الحوفي، قال: أي وإن من ثمرات وإن شئت شيء بالرفع بالابتداء، (وَمِنْ ثَمَرَاتٍ) خبره. (٥: ٥١٠)

٢- إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ الشَّاعِرِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَنْثَاهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى... فصلت: ٤٧

الطَّبْرِيّ: [حكى قراءة قراء المدينة (مِنْ ثَمَرَاتٍ) وقراء الكوفة (من ثمرة) ثم قال:] وبأي القراءتين قرئ ذلك فهو عندنا صواب، لتقارب معنيهما مع شهرتهما في القراءة. (٢٥: ١)

نحوه الطُّوسِيّ. (٩: ١٣٤) أَبُو زُرْهَةَ: قرأ نافع وابن عامر وحفص: «وَمِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَنْثَاهَا» بالأنف على الجمع، وحجبتهم أنها مكتوبة في المصاحف بالثاء. وأخرى: وهي أنه ليس يراد ثمرة دون ثمرة، وإنما يراد جمع الثمرات، ويقوي الجمع قوله: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا» فاطر: ٢٧.

وقرأ الباقون: (وَمِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَنْثَاهَا) على واحدة، لأن «الثمرة» تؤدي عن الثمار، لأنها الجنس. وحجبتهم قوله: «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى» فاطر: ١٠.

أنواعه، ولا ضرورية تدعو إلى ارتكاب أَنْ (الشَّرَاتِ) من باب المجموع ألتي يتفاوت بعضها موضع بعض لاتقانها في الجمعية، نحو ﴿كَمْ تَزْكُوا مِنْ جَنَاتٍ﴾ الدَّخَانُ: ٢٥، و﴿ثَلَاثَةُ قُرُوبٍ﴾ البقرة: ٢٢٨، فقامت (الشَّرَاتِ) مقام الثمر أو الثمار، على ما ذهب إليه الرُّمَّحِيُّ.

لأنَّ هذا من الجمع المثلَّ بالآلف واللام، فهو وإن كان جمع قلَّة فإنَّ الآلف واللام ألتي للمعوم تنقله من الاختصاص لجمع القلَّة للمعوم، فلا فرق بين: الثمرات والثمار، إذ الآلف واللام للاستراق فيها [إلى أن قال:] وأبعد من جعل «مين» زائدة، وجعل الآلف واللام للاستراق لوجهين:

أحدهما: زيادة (مين) في الواجب، وقيل: معرفة، وهذا لا يقول به أحد من البصريين والكوفيين إلَّا الأخفش.

والثاني: أنه يلزم منه أن يكون جميع الثمرات ألتي أخرجها رزقاً لنا، وكم من شجرة أثمرت شيئاً لا يمكن أن يكون رزقاً لنا، وإن كانت للتبعض كان بعض الثمار رزقاً لنا وبعضها لا يكون رزقاً لنا، وهو الواقع، وناسب في الآية تنكير الماء، وكون (مين) دالَّة على التبعض وتنكير الرزق، إذ المعنى وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات بعض رزق لكم، إذ ليس جميع رزقهم هو بعض الثمرات، إنما ذلك بعض رزقهم. و﴿مِنْ الشَّرَاتِ﴾ يحتمل أن يكون في موضع المفعول به بدلاً (أخرج) ويكون على هذا (رزقاً) منصوباً على الحال...

الشَّرَاتِ﴾ الأعراف: ٥٧، وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ﴾ فاطر: ٢٧، ولأنَّ المنكرين، أعني (ماء) و(رزقاً) يكتفانه، وقد قصد بتنكيرها معنى البضية، فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم.

وهذا هو المطابق لصحة المعنى، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات. ويحوز أن تكون للبيان، كقولك: أنفقت من الدراهم ألفاً. فإن قلت: فالقصر المُخْرَج بماء السماء كثير جسم، فلم قيل: الثمرات دون الثمر والثمار؟ قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن يقصد بـ(الشَّرَاتِ) جماعة الثمرة ألتي في قولك: فلان أدركت ثمرة بستانه، تريد: غماره، وظهيره قوهم: كلمة «المسودرة» لتقصيدة، وقولهم للقرية: «المدره» وإنما هي مدر متلاحق.

والثاني: أن المجموع يستأور بعضها موقع بعض لاتقانها في الجمعية، كقوله: ﴿كَمْ تَزْكُوا مِنْ جَنَاتٍ﴾ الدَّخَانُ: ٢٥، و﴿ثَلَاثَةُ قُرُوبٍ﴾ البقرة: ٢٢٨، ويعضد الوجه الأوَّل قراءة حمَّد بن السميع (مِنْ الشَّرَاتِ) على التوحيد.

نحوه الشَّخْرُ الرَّازِي (٢: ١١١)، والبَيْضَاوِي (١: ٣٣)، والنَّيْسَابُورِي (١: ١٩٧)، والشَّرْبِينِي (١: ٣٣)، وأبو السُّعُود (١: ٨٤).

أبو حنَّان: (مِنْ الشَّرَاتِ) من للتبعض، والآلف واللام في (الشَّرَاتِ) لتعريف الجنس، وجمع لاختلاف

المصدر لـ(أَخْرَجَ).

وإِذَا لِلتَّبِينِ، فَرَزَقَ بِمَعْنَى مَرْزُوقَ مَفْعُولَ لـ(أَخْرَجَ)،
وَلَكُمْ) صَفْتُهُ، وَقَدْ كَانَ (بَيْنَ الثَّمَرَاتِ) صَفْتُهُ أَيْضًا إِلَّا
أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ حَارَ حَالًا عَلَى الْقَاعَةِ فِي أَمْتَالِهِ، وَفِي تَقْدِيمِ
الْبَيَانِ عَلَى الْمُسَبِّحِ خِلَافَ، فَجَوَّزَهُ الزَّعْتَشَرِيُّ
وَالكَثِيرُونَ، وَمِنَهُ صَاحِبُ «الذَّرِّ المَصُونِ» وَغَيْرُهُ.

وَاحْتِمَالُ جَعْلِهَا ابْتِدَائِيَّةً - بِتَقْدِيرٍ: مِنْ ذِكْرِ الثَّمَرَاتِ
أَوْ تَفْسِيرِ الثَّمَرَاتِ بِالذَّرِّ - تَعَصَّفُ لَامْرَةً فِيهِ.

و(أَلْ) فِي (الثَّمَرَاتِ) إِثْمًا لِلْجِنْسِ أَوْ لِلِاسْتِغْرَاقِ
وَجَعْلِهَا لَهُ، وَ(مِنْ) زَائِدَةٌ، لَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ زِيَادَةَ (مِنْ)
فِي الْإِيجَابِ، وَقِيلَ: مَعْرِفَةٌ، مِمَّا لَمْ يَقُلْ بِهِ إِلَّا الْأَخْفَشُ،
وَيُزَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الثَّمَرَاتِ الَّتِي
أُخْرِجَتْ رِزْقًا لَنَا، وَكَمْ شَجَرَةٌ أُنْمِرَتْ مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ
رِزْقًا.

وَأَنَّى يَجْمَعُ الْقَلَّةُ مَعَ أَنَّ الْمَوْضِعَ مَوْضِعُ الْكَثَرَةِ، فَكَانَ
الْمُنَاسِبُ لِذَلِكَ (مَنْ الثَّمَرَاتِ) لِلْإِيْمَاءِ إِلَى أَنَّ مَا بَرَزَ فِي رِيَاضِ
الْوُجُودِ بَفَيْضِ مِيَاهِ الْمَجْدِ كَالْقَلِيلِ بِلِ أَقْلٍ قَلِيلٍ بِالنِّسْبَةِ
لِنَمَارِ الْجَنَّةِ، وَلِذَا أُخْرِجَ فِي مَمَالِكِ الْغَيْبِ.

أَوْ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ أَجْنَاسَهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّ بَعْضَهَا
يُؤْكَلُ كُلَّهُ، وَبَعْضُهَا ظَاهِرُهُ فَقَطْ، وَبَعْضُهَا بَاطِنُهُ فَقَطْ،

الْمَشِيرُ ذَلِكَ إِلَى مَا يُشِيرُ قَلِيلَةٌ لَمْ تَبْلُغْ حَدَّ الْكَثَرَةِ

وَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ التِّبْيَاوِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَنَّهُ سَاغَ هَذَا
الْمَجْمَعُ هُنَا، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِ(الثَّمَرَاتِ) جَمْعَ ثَمَرَةٍ، أَرِيدَ بِهَا
الْكَفَرَةَ، كَالثَّمَارِ، مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: أَدْرَكَتْ ثَمَرَةً بَسْتَانِكَ،

وَلَيْسَتْ التَّاءُ لِلْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ بَلْ لِلْوَحْدَةِ الِاعْتِبَارِيَّةِ،
وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ السَّمِيعِ (مِنْ الثَّمَرَةِ).

الْبُسْرُوسِيُّ: «مِنْ الثَّمَرَاتِ» هِيَ هَاهُنَا

الْمَأْكُولَاتُ كُلُّهَا مِنَ الْحُبُوبِ وَالْفَوَاكِهِ وَغَيْرِهَا، مِمَّا يُخْرِجُ
مِنَ الْأَرْضِ وَالشَّجَرِ، كَمَا فِي «التَّيْسِيرِ» (١١: ٧٥)

«وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ...» تَحْقِيقُهُ أَنَّ

الْمَاءَ هُوَ الْقَرَّانُ، وَثَمَرَاتُهُ: الْهَدَى وَالتَّقَى وَالثَّوْرُ وَالزَّحْمَةُ
وَالشَّفَاءُ، وَالدَّبْرَةُ وَالْيَمْنُ وَالسَّعَادَةُ وَالْقَرِيْبَةُ وَالْحَقُّ

الْيَقِينُ، وَالتَّجَاةُ وَالزُّهْمَةُ وَالصَّلَاحُ وَالْفَلَاحُ وَالْحِكْمَةُ
وَالْحِلْمُ، وَالْعِلْمُ وَالْآدَابُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْعَزَّةُ وَالْفَنَى،

وَالْتَمَسْتُكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَالِاعْتَصَامَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمُتَيْنِ،
وَجَمَاعَ كُلِّ خَيْرٍ وَخَتَامَ كُلِّ سَعَادَةٍ، وَزَهْوَقَ بِأَطْلِ

الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيَّ عِنْدَ مَجِيءِ تَجَلِّيَاتِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ
الزَّيْنَاتِيَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» الْإِسْرَاءُ: ٨١

فَأَخْرَجَ بِمَاءِ الْقَرَّانِ هَذِهِ الثَّمَرَاتِ مِنْ أَرْضِ قُلُوبِ

عِبَادِهِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِإِخْرَاجِ
الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَكَانَ لِلْهِيَوَانَاتِ فِيهَا رِزْقٌ، وَلَكِنْ

بِجَنَّةِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا عَمَّا لَا تَدْرِكُهُ الْعُقُولُ الْمَشْوِيَّةُ بِالْوَهْمِ
وَالْخَيَالِ بَلْ تَدْرِكُهُ الْعُقُولُ الْمُؤَيَّدَةُ بِتَأْيِيدِ الْفَضْلِ وَالْقَوَالِ.

(١١: ٧٨)

الْأَلُوسِيُّ: (مِنْ) الثَّانِيَةِ إِثْمًا لِلتَّبِينِ، إِذْ كَمْ مِنْ ثَمَرَةٍ

لَمْ تَخْرُجْ بِتَدٍّ، فَدَارِزًا) حَيْثُ ذَكَرَ بِالْمَعْنَى الْمَصْدَرِيَّ مَفْعُولَ لَهُ
لـ(أَخْرَجَ)، وَ(لَكُمْ) ظَرْفٌ لِمَوْ مَفْعُولٍ بِهِ لـ(رَزَقَ) أَيُّ

أَخْرَجَ شَيْئًا مِنَ الثَّمَرَاتِ، أَيُّ بَعْضَهَا، لِأَجْلِ أَنَّهُ
رِزْقُكُمْ.

وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ (بَعْضُ الثَّمَرَاتِ) مَفْعُولَ (أَخْرَجَ)،
و(رِزْقًا) بِمَعْنَى مَرْزُوقًا حَالًا مِنَ الْمَفْعُولِ، أَوْ نَصَبًا عَلَى

كان، فاستجاب الله دعاء إبراهيم في المسألتين جميعاً، فقال في موضع آخر: ﴿أَوَلَمْ نُنْشِئْ لَهُمْ خَوْفًا أَيْنًا يُجِيبِي إِلَيْهِ تَحَوُّاتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧. (١: ٢١٠)

التيسابوري: (من) للانداء للتبويض، بدليل قوله: ﴿يُجِيبِي إِلَيْهِ تَحَوُّاتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧. (١: ٤٤٥)

أبو حيان: (و(من) في قوله: ﴿مِنْ التَّحَوُّاتِ﴾ للتبويض، لأنهم لم يُرزقوا إلا بعض التمرات. وقيل: هي لبيان الجنس، و(تن) بدل من (أهله) بدل بعض من كل، أو بدل اشتغال مخصص لما دلّ على المبدل منه.

وفائدته أنه يصير مذكوراً مرتين إحداهما بالعموم السابق في لفظ المبدل منه، والثانية بالتخصيص عليه، وتبين أن المبدل منه إنما عني به وأريد البدل، فصار مجازاً إذ أريد بالعام الخاص، هذه فائدة هذين البدلين، فصار في ذلك تأكيد وتثبيت للمعلق به الحكم وهو البدل، إذ ذكر مرتين. (١: ٢٨٤)

أبو السعود: من أنواعها: بأن تجعل يقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجيئ إليه من الأخطار التاسعة. وقد حصل كلاهما حتى أنه يجتمع فيه الفواكه الرئيسية والصيفية والخريفية، في يوم واحد. (١: ١٩٦)

نحوه الأوسى. (١: ٣٨٢)

البزوصوي: جمع ثمرة، وهي المأكولات مما يخرج من الأرض والشجر، فهو سؤال الطعام والفواكه. وقيل: هي الفواكه. وأما خص هذا بالسؤال، لأن الطعام المجهود مما يكون في كل موضع، وأما الفواكه فقد

أو لأن المجموع يتعارف بعضها موقع بعض، كقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ خِثَابٍ﴾ الدخان: ٢٥، و﴿تَلَقَّ قُرُوبُ﴾ البقرة: ٢٢٨.

أو لأنها لما كانت محلاة بالآدم خرجت عن حدّ القلّة، لا يخلو صفاؤه عن كدر، كما يسفر عنه كلام الشهاب.

وإذا قيل: بأن جمع السلامة المؤنث والمذكر موضوع للكثرة أو مشترك - والمقام يخصه بها - اندفع السؤال وارتمع المقال، إلا أن ذلك لم يذهب إليه من الناس إلا قليل. (١: ١٨٨)

رشيد رضا: (التحولات): ما يحصل من الثبات نجيماً كان أو شجراً. (١: ١٨٨)

فضل الله: من البذور المنتثرة في أعقابها وسطوحها. (١: ١٧٠)

مكارم الشيرازي: وإخراج التمرات مدعاة للشكر على رحمة رب العالمين لعباده، ومدعاة للإذعان بقدرة رب العالمين في إخراج ثمر مختلف أنواعه، من ماء عديم اللون، ليكون قوتاً للإنسان والحيوان. (١: ١٠٤)

٢- وإذ قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... البقرة: ١٢٦

الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مِنْ الثَّمَرَاتِ﴾: القلوب، أي حبهم إلى الناس ليتابوا ويعودوا إليهم.

(التروسي: ١: ١٢٤)

الواحدى: يعني أنواع حمل الأشجار من أي نوع

بالمكاشفات والمعارف القلبية والمجاهدات الزوحيّة،
عند صفاء بواطنكم وخلوص نصّار قلوبكم بنار الرياضة.

(٢٤: ٢)

رشيد رضا: أمّا (الشُّرَات) فهي على أصلها،
وكان معظمها ثمرات التَّخِيل.

(٤٠: ٢)

الطَّالِقَانِي: (الشُّرَات) يعني كلّ ما يعمّ ثمرات
الحياة، من حرث ونسل وفواكه.

(٢٣: ٢)

الطَّبَّاطِبَانِي: (الشُّرَات) الظَّاهر أنّها الأولاد،
فإنّ تأثير الحرب في قلة النسل بموت الرجال والشُّبَّان

أظهر من تأثيره في نقص ثمرات الأشجار. وربما قيل: إنّ

المراد ثمرات التَّخِيل، وهي التمر.

(١١: ٣٥٣)

نحوه فضل الله.

(٣: ١١٧)

٤... لَهْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشُّرَاتِ البقرة: ٢٦٦

الزَّمْعَفَرِيّ: يجوز أن يريد به (الشُّرَات): المنافع
التي كانت تحصل له فيها، كقوله: ﴿وَكَانَ لَهُ قُصْرٌ﴾

الكهف: ٣٤، بعد قوله: ﴿جُعْتُ مِنْ أَغْطَابٍ وَخَفَقْنَاهَا﴾

يُنْخَلٍ الكهف: ٣٢.

نحوه التَّنْسِي (١: ١٢٤)، والمَرَاغِي (٣: ٣٨)،

والطَّالِقَانِي (٢: ٢٣٧).

أبو البركات: ﴿لَهْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشُّرَاتِ﴾ في

موضع نصب على الحال من (أَحَدُكُمْ). (١: ١٧٥)

القرطبي: يريد ليس شيء من الشَّارِ إلّا وهو فيها

نابت.

أبو حيان: وهذه الجملة مركبة من مبتدأ وخبر،
فعل مذهب الأخفش (بن) زائدة، التقدير: له فيها كلّ

تندر، فسأل لأهل الأمن والسَّعة ممّا يطيب العيش
ويدوم، فاستجاب له في ذلك.

(١: ٢٢٧)

نحوه رشيد رضا.

(١: ٤٦٤)

مكارم الشَّيرازي: وللمفترين آراء عديدة في
معنى (الشُّرَات)، ويبدو أنّ معناها واسع يشمل الثَّعم

(١: ٣٣١)

المادية والثَّعم المعنوية.

(١: ٣٣١)

لاحظ: (رزق).

(١: ٣٣١)

٣- وَلَيُلْوَظَكُمْ بِخَوْفٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشُّرَاتِ وَيُبَشِّرُ الصَّابِرِينَ ...

البقرة: ١٥٥

الشَّافعي: المراد موت الأولاد، وولد الرجل ثمرة
قلبه.

(٢: ١٧٤)

نحوه الطَّبْرسي (١: ٢٢٧)، والميبدني (١: ٤١٨)،
والزَّمْعَفَرِي (١: ٣٢٤)، والفخر الرازي (٤: ١٧٠).

(١: ٣٢٤)

الواحدني: يعني الموانع، وأن لا تخرج الثمرة كما
كانت تخرج.

(١: ٢٣٦)

نحوه الشَّيرازي.

(١: ١٠٥)

أبو حيان: يعني الموانع في الثمرات، وقلة
النَّبات، وانقطاع البركات.

(١: ٤٥٠)

نحوه التَّنْسِي.

(١: ٨٤)

الآلوسي: (الشُّرَات) موت الأولاد، وإطلاق
الثمرة على الولد مجاز مشهور، لأنّ الثمرة كلّ
ما يستفاد ويحصل، كما يقال: ثمرة العلم العمل.

(٢: ٢٢)

﴿وَالشُّرَاتِ﴾ أي الملاذِّ التَّفسائية، لتلذّوا

٥... فَأَخْرَجْنَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...

الأعراف: ٥٧

الشَّرْبِيِّينَ: أي من كل أنواعها. (١: ٤٨٣)

مثله أبو الشعود. (٢: ٥٠٠)

الْبُرُوسِيِّ: أي من كل أنواعها، والظاهر أن

الاستغراق عرفي. (٣: ١٨٠)

الْأَلُوسِيِّ: أي من كل أنواعها، لأن الاستغراق غير

مراد ولا واقع، وهذا أبلغ في إظهار القدرة المراد. وقيل:

إن الاستغراق عرفي، والظاهر أن المراد التكاثر.

وجوز بعضهم أن تكون (بِ) للتبويض وأن تكون

لتبيين الجنس. (٨: ١٤٦)

رشيد رضا: أي: جميع أنواعها، على اختلاف

طعومها وألوانها وروائحها. وليس المراد أن كل بلد ميت

ينزل الله فيه الماء يخرج به جميع الثمرات التي خلقها في

الأرض. (٨: ٤٦٩)

نحوه المرافي. (٨: ١٨١)

٦- وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا

الْفُتُوحَاتِ لِقُلُوبِهِمْ يَذْكُرُونَ. الأعراف: ١٣٠

الْفُتُوحَاتِ: واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم

وغللتهم إلا القليل. (٩: ٢٨)

الْمُتَّبِعِدِّي: يعني حبس المطر فنقص ثمارهم.

(٣: ٧٠٩)

لاحظ «س ن ن» (السنين)

٧- وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاقِ

الْثَّمَرَاتِ، عَلَى إِرَادَةِ التَّكْثِيرِ بلفظ العموم، لا أن العموم

مراد.

ولا يجوز أن تكون زائدة على مذهب الكوفيّين،

لأنهم شرطوا في زيادتها أن يكون بعدها نكرة، نحو: قد

كان من مطر.

وأما على مذهب جمهور البصريّين فلا يجوز زيادتها،

لأنهم شرطوا أن يكون قبلها غير موجب وبعدها نكرة،

ويحتاج هذا إلى تنقيح قد ذكرناه في كتاب «منهج

السالك» من تأليفنا.

ويخرج مذهب جمهور البصريّين على حذف

المتبداً المحذوف، تقديره: له فيها رزق أو ثمرات من كل

الثمرات. [ثم استشهد بشعر]

وكذلك ﴿وَمَا يَأْتِي إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ الصّافّات:

١٦٤، أي وما أحد منّا فـ (أحد) مبتدأ محذوف، و (منّا)

صفة، وما بعد (إلا) جملة خبر عن المبتدأ. (٢: ٣١٤)

أبو الشعود: [نحو أبي حنّان وأضاف:]

ليس المراد بـ (الثمار) العموم بل إنما هو التكاثر،

كما في: ﴿وَأَوْثِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٢٣.

(١: ٣٠٩)

مثله البروسوي. (١: ٤٢٧)

الآلوسي: [قل كلام أبي الشعود ثم قال:]

ومن الناس من جوز كون المراد من (الثمار):

المنافع، وهذا يجعل ذكر ذنك الجنس لعدم احتواء

الجنّة على ماسواها، ومنهم من قال: إنّ هذا من ذكر

العام بعد الخاصّ للتعميم، وليس بشيء. (٣: ٣٧)

وَأَنْتَاهَا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...

الزهد: ٣

لاحظ: «زوج» (زوجين)

٨- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ...

إبراهيم: ٣٢

أبومسلم الأصفهاني: لفظ (الثمرات) يقع في الأغلب على ما يحصل على الأشجار، ويقع أيضاً على الزروع والنبات، كقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الأنعام: ١٤٦.

(الفخر الرازي: ٩: ١٢٧)

الزمخشري: ﴿وَمِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان للرزق، أي أخرج به رزقاً هو ثمرات. ويجوز أن يكون (وَمِنَ الثَّمَرَاتِ) مفعول (أَخْرَجَ) و(رِزْقًا) حالاً من المفعول، أو نصباً على المصدر من (أَخْرَجَ) لأنه في معنى رزق.

(٢: ٣٧٩)

الفخر الرازي: [نقل كلام أبي مسلم ثم قال:] والمراد أنه تعالى إنما أخرج هذه الثمرات لأجل أن تكون رزقاً لنا، والمقصود أنه تعالى قصد بتخليق هذه الثمرات إيصال الخير والمنفعة إلى المكلفين. لأن الإحسان لا يكون إحساناً إلا إذا قصد الحسن بفعله إيصال النفع إلى الحسن إليه.

(١٩: ١٢٧)

أحدهما: الولد، كقوله: ﴿وَتَنْصِبُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ البقرة: ١٥٥.

والثاني: الثمار بعينها، كقوله تعالى: ﴿أَنْتَظِرُوا إِلَيَّ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَتَّعِبْهُ﴾ الأنعام: ٩٩، وقوله: ﴿وَأَحْيِثْ بِقَتَرِهِ﴾ الكهف: ٤٢، وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ الأنعام: ١٤١، وقوله: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ يس: ٣٥.

(١٦٣)

الدامغانى: الثمرات على أربعة أوجه: الثمر: المال مضموماً، الثمر: الفواكه، الأولاد على قول بعض المفسرين، الثور والورد. فوجه منها: الثمر مضموماً هو المال، قال الله تعالى: ﴿وَكُنْ لَهُ قَرْنٌ الْكَهْفِ: ٣٤﴾، يعني المال.

والوجه الثاني: الثمرة: الفواكه بعينها، قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّجِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَوًا﴾ التحل: ٦٧، يعني الفواكه، كقوله: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ الأنعام: ١٤١، ونحوه كثير.

والوجه الثالث: الثمرات: يعني الأولاد، قوله: ﴿وَتَنْصِبُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ البقرة: ١٥٥، يعني الأولاد الصغار.

والوجه الرابع: الثمرات يعني الرزق من الثور، قوله: ﴿كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التحل: ٦٩، يعني الثور والورد خاصة.

(٢٠١)

مثله الفيروز آبادي. (بصائر ذوي التمييز: ٢: ٣٣٩)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثمر، وهو حمل الثمر،

الوجوه والنظائر

الحيري: الثمار على وجهين:

الكاظم عليه السلام، قال: «استثمار المال تمام المروءة»^(١)، وعقّب الجلسي بقوله: «وفي الكافي: استثمار المال، أي استناؤه بالتجارة والمكاسب»^(٢).

٣- وقد استعمل «الاستثمار» ومشتقاته في العصر الراهن على نطاق واسع، ويعني في الاقتصاد: إنتاج السلع الرأسمالية التي تزيد رأس مال البلد، كإنشاء مصنع أو دار، فيؤدي ذلك إلى ارتفاع الطاقة الإنتاجية وتنشيط الحركة الاقتصادية.

ولكن لا يعمد شراء دار مشيدة أو مصنع قائم استناؤه، لأن ذلك لا يزيد رأس مال البلد، بل يزيد مال صاحبه فقط. وينتج عن ذلك تكديس الأموال في أرصدة طبقة المستغلين، وتوقف حركة التنمية، وضعف القوة الشرائية، وشيوع البطالة بين الناس. ولذا تعمل الدول دائماً على تشجيع الاستثمار بشتى الوسائل، تقادياً من الوقوع في الأزمات الاقتصادية.

الاستعمال القرآني

جاء منها فعل ماضٍ مرتين، واسم: مفرداً^(١) مرّات، وجمعاً^(٢) مرّة:

١- «وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ عَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ الشُّعْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّومَانَ مُسْتَصْبًى وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ أَنْظَرُوا

واحدة ثمرة، وجمعه عِجَارٌ وثمر وأثمار، يقال: شجرة ثمراء، أي ذات ثمر، وثمر الشجر وثمر: طلع ثمرة قبل أن ينضج فهو مُثْمِر، وشجرٌ ثامر: أدرك ثمرة، يقال: ثمر الثمر يثمر يثمر فهو ثامر، وشجرة ثميرة ومخلدة ثميرة، أي كثيرة الثمرة، ومثله: أرضٌ ثميرة، وثمر الثبات: نفع نوره وعقد ثمره.

كما أطلقت الثمرة على الشجرة نفسها للمقاربة، وعلى الولد، لأن الثمرة ما ينتجه الشجر، والولد ينتجه الأب، ويقال له مجازاً: ثمرة القلب.

ومن المجاز أيضاً: أثمر الزيد: اجتمع فهو مُثْمِر، وقد ثمر السقاء تميئاً، وإن لبك لحسن الثمر، وقد أثمر مخاضك، إذا ظهر فيه الزيد، وثمر اللبن وثيرته: زيدته.

ومنه: ثمر ماله: نماء، يقال: ثمر الله مالك، أي كثره، وأثمر الرجل: كثر ماله، والثمر: المال المُثْمَر والمُثْمَر.

ومنه أيضاً: ثمرة اللسان واللسوط، أي طرفاها، وثمره الرأس: جلده.

والعقل المُثْمِر: عقل المسلم، ونقيضه العقل العقيم، وهو عقل الكافر.

٢- ولم يرد في المعاجم «الاستثمار» ومشتقاته من (تكملة) كما رأيت، وهذا ينفي ظاهراً عن عدم استعمال العرب لهذه الصياغة. ولكن أثرت عن أمّة أهل البيت - وهم عرب أقبح - أحاديث ثلاثة تتضمن ألفاظاً من هذا الباب، الأول: مروى عن الإمام علي عليه السلام، حيث قال: «من عادى الناس استثمار الندامة»^(١). والثاني:

منه أيضاً، وهو قوله: «يُستثمر العدو بالإقرار أكثر مما يُستثمر بالاعتذار»^(٢). الثالث: ماروي عن الإمام

(١) غرر الحكم (٤١٢)

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكافي (١، ٩٨).

(٤) بحار الأنوار (١، ١١١).

٩- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَلَّتْ سَحَابًا مِّثْقَالًا مِثْقَالُ بُرَّةٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ السَّاءَ فَأَخْرِجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
الأعراف: ٥٧

١٠- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾

إبراهيم: ٣٢

١١- ﴿يُنَبِّئُ لَكُمْ يَوْمَ الرِّزْقِ وَالزَّيْتُونِ وَالنَّجِيلِ وَالْأَنْثَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّعَٰلَمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
التحل: ١١

١٢- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّجِيلِ وَالْأَنْثَابِ تَسْجُدُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّعَٰلَمٍ يَعْقِلُونَ﴾

التحل: ٦٧

١٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾
فاطر: ٢٧

١٤- ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ إَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَرْسَالُكَ أَيَّامًا مِنْ شَهِيدٍ﴾
فصلت: ٤٧

١٥- ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ﴾

البقرة: ١٥٥

١٦- ﴿أَيُّدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَأَنْتَابٍ جَبْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ

إِلَىٰ تَمْرٍ إِذَا أَمْزَرَ وَيَسْمِعُ أَنْ فِي ذُلِّكُمْ لَآيَاتٍ لِّعَٰلَمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
الأنعام: ٩٩

٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَغْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَغْرُوشَاتٍ وَالزُّرْعِ غُثْلًا مُّكْلَهُ وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتَانِ مُنْتَابًا وَغَيْرَ مُنْتَابِهِ كَلَّا مِنْ تَمْرٍ إِذَا أَمْزَرَ وَأَنْشَأَ عَقَّةً يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُخْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾
الأنعام: ١٤١

٣- ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ أَنْتَ أَكَلْتَهُمَا وَلَمْ تغْلِظْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا • كَانَ لَهُ تَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَهْرًا﴾ الكهف: ٣٣، ٣٤

٤- ﴿وَأُحِيطَ بِقَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَتَقَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرْوَيْهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾
الكهف: ٤٢

٥- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا - أَيْ فِي الْأَرْضِ - جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَنْثَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ • لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ يس: ٣٤، ٣٥

٦- ﴿وَيَسَّرَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّوا شَرَبُوا وَرَوْحًا مِنْهَا مِنْ تَمْرٍ وَرِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُودُوا بِهِ مُنْتَابًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْهَارٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

البقرة: ٢٥

٧- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُسْلِمُونَ... وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَطْفُورَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ...﴾ محمد: ١٥

٨- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاقًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِهَ إِندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
البقرة: ٢٢

في الزَّعد - إن قلنا: إنها مدنية - إلا أن سياقها مكِّي، لاحظ فصل «المكِّي والمدني» من المدخل. ومعلوم أن ذكر آثار الله دلالة على التوحيد ونفي الشرك أمست بمكة وأنسب، رغم عدم خلو الآيات المدنية منها، تذكرها لما سبق في مكة، بيد أن سياقها تشرع وتغنين.

ثانياً: أنها جاءت جميعاً في ثمار الدنيا، إلا (٦) و (٧) فهي في ثمار الجنة، وكلاهما مدني. ولم تأت في المكيات إلا ثمار الدنيا، دلالة على التوحيد، ورفضاً للشرك الزاسخ فيها، وتذكيراً بمراتب الله على العباد.

ثالثاً: جاء الفصل (أَمْزَرَ) مع (تَمَرَوْ) في (١) و (٢): ﴿أَنْظُرُوا إِلَى قَمَرِهِ إِذَا أَثَرُ وَيُشِيرُهُ﴾ و﴿كُلُوا مِنْ قَمَرِهِ إِذَا أَثَرُ﴾، وفيها يحوت:

١- ماوجه توقيت (قَمَره) وتقييده (بِإِذَا أَثَرُ)؟ مع أنه لا ينظر إليه ولا يؤكل منه قبل أن يشمر، فالتقيد يبدو زائداً.

وأجيب عنه في ﴿كُلُوا مِنْ قَمَرِهِ إِذَا أَثَرُ﴾ بأنه إياحه لأكله وقت طلوعه، ولا ينظر إدراكه وينعه، أو إياحه لأكله قبل أداء زكاته.

وفيه أن الآية مكية، وليس سياقها تشرعياً، بل تذكيراً لعم الله. لكنه منقوض بأنه قال بعدها: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُشْرِكُوا﴾.

وعندنا أنه حين طلوعه لا يُمَدَّ مرة يصلح للأكل، ولا يقال فيه: إنه أتمر، بل المفهوم منه إذا أكمل ثمرة وصار ذا ثمر، فكلوا من هذه الثمار الصالحة للأكل، وهو الغاية من إنباتها.

وأما الجواب عن ﴿أَنْظُرُوا إِلَى قَمَرِهِ إِذَا أَثَرُ﴾

الشَّعْرَابِ... البقرة: ٢٦٦

١٧- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّعْرَابِ مَنْ أَمِنَ مِنْهُمْ يَرْحَمُ اللَّهُ وَالْعِزُّ الْأَخِيرُ﴾ البقرة: ١٢٦

١٨- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيَتِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الشَّعْرَابِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧

١٩- ﴿وَقَالُوا إِنَّا نَسْبَحُ الْهَدْيَ مَعَكَ نَسْخَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَسْكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ قَسْرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

التقصص: ٥٧

٢٠- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الشَّعْرَابِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ الأعراف: ١٣٠

٢١- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الزَّعد: ٣

٢٢- ﴿يُمْكِلِي مِنْ كُلِّ الشَّعْرَابِ فَاسْأَلْنِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا مَخْرُجٍ مِنْ بَطُونِنَا شَرَابٍ مَخْلُفٍ آلَوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾

التَّحل: ٦٩

يلاحظ أولاً: أن أكثر هذه الآيات مكية، تذكر فيها آيات الله وآثاره في خلقه، والمدنية منها أربع، وهي الآية (٧) في سورة محمد، و (٦) و (٨) في البقرة، و (٢١)

وفي الثانية ﴿وَلَا تُنْشَرُوا أَنَّهُ لَا يُغِيثُ الْمُشْرِكِينَ﴾، لأن ذكر آيات الله فيها للأكل. فالآيتان متاسقتان في ذكر الجنات وعدة الأشجار والشمار، متوافقتان في الفرض والغاية، لاحظ (ركب) و (اشبها) و (عروض) و (قن) و (أكل).

٢- يرجع الضمير في (نَمَرٍ) و (يَنْعِيهِ) في الأولى، وفي (نَمَرٍ) و (حَقَّةً) و (حَصَاوِرٍ) في الثانية إلى ما ذكر من الأشجار والجنات، وهذا أحسن الوجوه التي ستأتي عنهم في (٥): ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، وفيها ضائر أخرى ترجع إلى ما ذكر أيضاً.

رابعاً: أَنَّ الْآيَتَيْنِ (٣) و (٤) من قصة الرجلين اللذين كان لأحدهما جنتان، فكفر بالله، واعتز وأفتخر بها على صاحبه المؤمن الذي كان يحاوره ويظهله بأن لا يكفر ولا يشرك بالله، فلم يقبل منه، فأصيب بجنتيه، وأصبح نادماً، بدءاً بـ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾، وانتهاءً بـ ﴿وَسَاكِنًا مُنْتَصِرًا﴾ الكهف: ٣٢-٤٣. وقد وقع خلاف في (٣): ﴿وَتَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ حول أمرين:

أحدهما: قراءة «ثَمَرٌ» ككسب، أو «ثَمَرٌ» كقُفْل، أو «ثَمَرٌ» كقَمَر، ورجع الطبري الأول بحجة إجماع القراء عليه، وأنه جمع «ثَمَرَةٍ» مثل: كِتَابٍ وَكُتُبٍ، وَجَارٍ وَحُمُرٍ. ثم اختلفوا في معناه فقيل: الثَمَرُ: المال كالذهب والفضة، من قولهم: «قد ثَمَرَ فلانٌ مالاً». أو هو أصل الشجرة، وقرئوا بينه وبين «الثَمَرِ»: فهو ثمر الشجرة، قال ابن زيد: «الثَمَرُ بالضم: الأصل، وبالفتح: الفرع»، وقد أطلوا الكلام فيها، لاحظ النصوص.

وَيَنْعِيهِ﴾ فأوضح، لأنه أمر بالنظر والتفكير في أن الله كيف يخرج ثماراً خشيلة، لا يكاد يستفح بها، ثم تعود ناضجةً وفيها منافع، وتكون بين المائتين أحوال، يحصل بها الاعتبار والاستبصار، ولهذا ضمَّ (يَنْعِيهِ) إلى (نَمَرٍ)، فإن هذه تشير إلى الحالة الأولى، وذلك إلى الحالة الأخيرة، ويشمل الفعل (أَفْتَرَى) هنا الحالات جميعاً.

٢- جاء في أولى آيتي الأنعام - وهي مقدمة - ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾، وفي الثانية: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، فأمر أولاً بالنظر في تكون الثمار وتحولها، والاعتبار بها، ثم بأكلها والإفادة منها، إشعاراً بأنه ينبغي للعبد أن يعتبر ويستبصر بما وهبه الله من النعم، ثم يستفيد منها، ولا يكون كالأنعام تجهل ماتاً كل، ولا تنفق من أين جاءت هذه النعم؟ وما هي منافعها؟ ومن هو واهبها؟

٣- بدأ في الأولى بإزالة الماء من الثمار، وإخراج الثبات والخضرة والحب، تهيداً لإخراج جنتات من الأعناب والزيتون والزمان. أما في الثانية فالتكى بما قدمه من أسباب الثبات في الأولى، وبدأ بإنشاء الجنات.

وذكر في الأولى ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾، وفي الثانية (الزُّرْع) بدل ذلك، ووصف التخل في الأولى ﴿وَمِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾، وفي الثانية ﴿مُتَعَلِّقًا أَكْثَلُ﴾، وفي الأولى ﴿مُتَشَابِهٌ وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ﴾، وفي الثانية ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ﴾، وفي الأولى ﴿جَنَّاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ﴾، وفي الثانية ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ - وهي للأعناب وغيرها - ﴿وَعُودٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾، وفي الأولى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، لأن سياقها ذكر آيات الله، للنظر والاعتبار، حيث قال: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾،

على الالتفات من التَّكَلُّمِ (فَجَرْنَا) إلى الغيبة؟ والأوَّل هو الأوَّل، كما تقدَّم في (٣)، وقد عدَّ الطُّبَّاطِبَانِي سائر الأقوال رديئة.

٤- قد طَبَّقَ صدر المتألِّهين هذه الآية على أحوال الأرواح الإنسيَّة بحسب المعاد، تنبيهاً للمعارف العلميَّة المصاحلة بماء الإفاضة الإلهيَّة وبلوغها إلى غايتها الروحيَّة... بالتَّسَارِ أَلَّتِي غَايَتِهَا التَّقَوُّنُ بِهَا. وأصل هذا التَّحَوُّنُ من التَّأْوِيلِ يُوَدِّلُ إلى محيِّ الدِّينِ بنِ عربيٍّ، صاحب الفتوحات، وتبعه من جاء بعده من العرفاء والمفسرين والشُّعراء. وله أصل في القرآن، فقد جاء ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جَلْنِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا النَّارُ فَتَنْبُتُ النَّارُ فَيَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ الرَّعد: ١٧.

٥- عَطَفَ «عَايَمَلْتُهُ أَيَّدِيهِمْ» على (تَمَرِهِ)، تنبيهاً على أنَّ السَّعِيرَ وإن كان من خلق الله، إلَّا أنَّ للإنسان أباي في نشوئها وغرسها وسقيها ونمادها - كأسباب لبلوغها إلى غاياتها - وترغيباً للنَّاسِ في العمل، وتحذيراً من الإهمال والتَّسَاهُلِ في غير محلِّه، وتقديرًا لأصْلَاهُمْ. وقد قيل: إنَّ «ما» نافية، أي ليس لكم يد في نشوئها، مثل: ﴿مَا تَنْتُمُ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ الواقعة: ٦٤، وهو بعيد.

سادساً: جاءت الآيتان (٦) و(٧) - كما سبق - بشأن غمار الجنة، وفيها بحوث:

١- ليس فيها ذكر لإنزال الماء من السَّماء وإنبات

ولنا رأي خاص في ذلك، وهو أنَّ المناسب للجنَّتين هو «الشَّعْر» بالفتح، وهو اسم جنس لـ «ثمرة» أو جمع لها، كالخَسْبِ والخَشْبَةِ. كما أنَّ ذكر الجنَّتين من الأعناب والتخل يعني من ذكر الأصل بلفظ «ثمرة» مرَّة ثانية. والشَّاهد عليه أنَّه قرئ في (٤): ﴿وَأُجِيطَ بِشَعْرِهِ﴾ بالفتح فقط، وهذا نفس الأوَّل. فحاصل القصة أنَّه كان لأحدهما جنتان، فيها أنواع من التَّسَارِ، فلم يشكر الله بها فتلفت، فأصبح يقلبُ كَفَبَهُ على ماأنفق فيها، نادماً على كفره وشركه بالله تعالى.

ثانيها: الضمير في «لَهُ»، أيرجع إلى الرَّجُل أم التخل؟ والأوَّل هو الصَّواب، لرجوع الضَّامِّ الأخرى إليه حتَّى نهاية القصة، ومنها في (٤): ﴿وَأُجِيطَ بِشَعْرِهِ﴾ خامساً: في (٥): ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ بحوث:

١- (لِيَأْكُلُوا) متعلّق: بِ(جَعَلْنَا) دون (فَجَرْنَا) كما قيل، وإن كان أقرب، لأنَّ الضمير في (تَمَرِهِ) يرجع إلى ما ذكر من الجنَّات كما يأتي، ولأنَّ (فَجَرْنَا) شرح لسير الجنَّات، فهو فرع على (جَعَلْنَا).

٢- قال الرَّحْمَنُ شَرِيَّ إِنَّ «ثمرة» قرئ بثلاث قراءات هنا أيضاً، مثل (٣)، واكتفى المبيِّنُ هنا بقرأتين: «ثمرة» و«ثمرة». والأوَّل الفصح عندنا، لأنَّه بمعنى الثَّمرة، وهو المناسب للجنَّات والتَّخِيل والأعناب، كما تقدَّم في (٣).

٣- اختلفوا في مرجع الضمير في (تَمَرِهِ)، أهو ما ذكر من الجنَّات أم التَّخِيل، وترك «الأعناب» للعلم بها، وله ظهير في القرآن، أو التَّخْمِير، أو ماء الميون، أو إلى الله

الزَّرع والأشجار به، لأنَّ جَنَاتِ الآخرة وثمارها لا تنبت بماء السماء، بل هي مخلوقة من أعمال العباد الصالحين، كما جاء في الأحاديث ويستظهر من الآيات.

٢- وليس في الآيات الكثيرة بشأن الجنة والجَنَّات في الآخرة ذكر لأشجارها وأنواعها، كما جاء في جَنَّات الدنيا، إلا من طريق التيسار كما يأتي. رغم أنَّه جاء ذكر الشَّجر والشَّجرة في الجحيم مرَّات: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ طَعَامُ الْآثِمِينَ الشَّخَن: ٥٣، ٤٤ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْبَاءُ السَّالُونَ السَّكَدُونَ﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُّقُومٍ الواقعة: ٥١، ٥٢، ونحوها، وكلَّها ذمٌّ. نعم جاء ذكر الشَّجرة مرَّات في الجنة التي أخرج منها آدم وزوجه بالأكل منها، وقد نبها عنها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٣٥، وسياقها الذمُّ أيضًا، لاحظ (ش ج ر).

٣- ولم يرد فيها اسم الشَّار أيضًا إلا مرَّتين روياً: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ التَّابَا: ٣١، ٣٢، و﴿بَيْتًا - أي في الجنَّتين - فَكِهَتْ وَغُلٌّ وَزُفْرَانٌ﴾ الزَّمَن: ٦٨. بينما جاء في (٦): ﴿كُلُّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾، أي أنَّ ثمار الجنة شبيهة بثمار الدنيا، وجاء في (٧): ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، أي الثمرات التي عرفوها، وأكلوها في الدنيا، فالدُّنيا مرآة الآخرة، والمجازء مُسَاغٌ للعمل. ويبدو أنَّ التَّركيز في تشابهها لما رَزَقوا من قبل في الدُّنيا، لمزيد التَّرعيب في العمل، وتذكُّار بما التذوُّ بأكله وطعمه ورؤيته وألوانه وأنواعه، لاحظ (ش ب هـ).

٤- اختلفوا في (٦): ﴿كُلُّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾، أن تكون «مين» الثانية بدلًا من الأولى، وكلَّها لا ابتداء الغاية، مثل: كُلُّمَا أَكَلْتُ مِنْ بَسْتَانِكَ مِنَ الزَّمَانِ، أي كُلُّمَا رَزَقُوا مِنَ الْجَنَّاتِ مِنْ أَيْ ثَمَرَةٍ كَانَتْ: مِنْ تَقَاحِهَا أو رَمَانِهَا أو عَنِهَا؟ وقد أوضحه الرَّعْشَرِيُّ. وعليه فكلَّتاهما: الأولى والثانية متعلِّق بِدَرَزَقُوا على سبيل بدل الاشتغال، فهي من قبيل ﴿كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ الحج: ٢٢، على أظهر الاحتمالين فيها.

أو «مين» هذه للتبيين، مثل: رأيت منك أسدًا، أي هي بيان له منها». وأورد عليه أبو حنَّان: أوَّلًا: بأنَّ جمعي «مين» للبيان ليس مذهب المحقِّقين من أهل الرِّيَّة، وهي في «رأيت منك أسدًا» لا ابتداء الغاية.

وثانيًا: بأنَّ «مين» البيانية يجب أن يكون قبلها اسم معرفة أو نكرة، مثل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرُّجُسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الحج: ٣٠، و«مَنْ يَضْرِبُ بِنِ رَجُلٍ»، وليس هنا قبلها اسم لا معرفة ولا نكرة، وكونها بيانًا لما بعدها (رِزْقًا) ينبغي أن يترَّه كلام الله منه.

أو هي للتبعيض، لأنَّهم يَرَزَقون بعض الثمرات في كلِّ وقت وكلَّها، وهذا هو الأقرب عندنا.

٥ - ثم اختلفوا في المراد بـ«ثمرة»، أهى الجنس والفرع، أو الشَّخص، يعني من أي نوع من الثمرة، أو أي فرد منها؟ رَجَّح الرَّعْشَرِيُّ الفرع بناءً على كون «مين» لا ابتداء الغاية، والفرد بناءً على كونها بيانية، وهو المناسب للتبعيض. إلا أنَّ الأظهر هو الأوَّل بناءً على

والأعشاب ثمر أو شيء يتخذون منه سكرًا، وهذا الأخير هو الأقرب إلى السياق وأقل تكلفًا.

ناسيًا: جاء في (١٣): «فَاخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا». وهذا تركيز في اختلاف ألوان الثمرات التذاذ للأبصار، ومثله في الزرع: «ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ (أي بالماء الذي أنزل من السماء) زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» الزمر: ٢١. وفي المسل: «يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا (أي بطون النحل) ثَمَرَاتٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» النحل: ٦٩. وجاء مثله في الجبال وكل ساذر في الأرض، وفي الأتعام والدواب، وفي الإنسان تدليلاً على قدرة الله، حيث يخرج من شيء واحد ألوانًا مختلفة، لاحظ (ل و ن).

كما ركز في اختلاف الطعم والأكل التذاذ للذائقة: «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَبَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صَيَّانَةٌ وَغَيْرُ صَيَّانٍ يَسْرِى سَاءً وَاحِدٌ وَنُفُوسٌ بَغْهَاتٌ عَلَى الْفُكْهِلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ» الزمد: ٤. «وَالشَّجَلُ وَالزُّرْعُ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ...» الأنعام: ١٤١. كل ذلك دليل على سعة قدرة الله وقام نعمته للإنسان.

عاشراً: في (١٤) بمحوت:

١- اختلاف القراءة في «وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَنْحَامِهَا» مفرداً وجمعاً، وقد صوبها الطبرسي، لتقارب معناها وشهرتها في القراءة. وأيد الآخرون الجمع، لأن المراد بها جميع الثمرات، مثل (١٣): «فَاخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا»

وأيد بعضهم المفرد، لأنه جنس شامل للجمع، ولأن ما بعدها «وَمَا تَخْرُجُ مِنْ أَنْفٍ» مفرد فينبغي أن

جميع الوجوه، لأن قوله: «هَذَا الَّذِي زُرَقْنَا مِنْ قَبْلُ»، أريد به النوع قطعاً دون الفرد.

٦- والمراد بـ «مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» في (٧) هو النوع أيضاً، أي من جميع أنواع الثمرات التي عرفوها في الدنيا، والآم في (الثمرات) للمهد - أي الآتي عرفوها في الدنيا - دون الاستغناء، لأنه مفهوم من (كُلِّ).

سابعاً: جاء في (٧) و (٩) و (١١) و (١٦) و (٢١) و (٢٢) «مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» وفي (١٩) «ثَمَرَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ» وجاء (مِنْ الثَّمَرَاتِ) في (٨) و (١٠) و (١٧) و (١٨) و (٢٠)، و (ثَمَرَاتٍ) في (١٣)، و (مِنْ ثَمَرَاتٍ) في (١٤)، ويبدو أنه لا فرق بينها إلا بسعة الاستغناء نصاً أو إيماء، ولكل مقام مقال.

ثامناً: في (١٢): «وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا» خصت الثمرات بالنخيل والأعشاب، لأنهم كانوا يتخذون السكر منها فقط، فلامعوم فيها كغيرها من الآيات، لاحظ (س ك ر).

وقيلها: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسَبِّحُكُمْ بِهَا فِي بُطُونِهِ...». فاختلوا في متعلق (مِنْ ثَمَرَاتٍ)، فقيل: إنه متعلق بفعل محذوف: «نُسَبِّحُكُمْ»، أي ونسبحكم من ثمرات النخيل والأعشاب - والسبي منها باعتبار السكر المتخذ منها - أو عطف على (الأنعام) أي ولكم في ثمرات النخيل والأعشاب لعبرة، أو عطف على (مسا)، أي ونسبحكم من ثمرات النخيل والأعشاب. أو متعلق بما بعده: «تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا»، وكررت «من» للتأكيد، والضمير في (مِنْهُ) يرجع إلى ما ذكر، وله نظائر في ماسبق. أو خبر لمبتدأ محذوف، أي ومن ثمرات النخيل

(١٥): ﴿وَنَفْسٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشُّجَرَاتِ﴾، فعملها الأكثر على موت الأولاد، لأنَّ ولد الرجل ثمرة قلبه. قال الآلوسي: «إطلاق الشجرة على الولد مجاز مشهور». وقال الطَّباطبائي: «الظاهر أنَّها الأولاد، فإنَّ تأثير الحرب في قلة النسل بموت الرجال والنِّسَبان أظهر من تأثيره من نقص ثمرات الأشجار». يريد أنَّ الآيات وردت بشأن القتال، فقبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنَّهُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٣﴾. كما بدأ هذه الآية بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْسٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشُّجَرَاتِ﴾ البقرة: ١٥٣ - ١٥٥، وختمت بقوله: ﴿وَيُبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. فالأموال تشمل ثمرات الأشجار، والأنفس هي نفوس المقاتلين، والشُّجَرَات: ثمرات قلوبهم، وهم أولادهم، والصبر على ذهابهم أشقَّ تحملاً وأوفى جزاءً.

وقيل: إنَّ الشُّجَرَات هنا ثمرات الأشجار، وقيل: تعمَّ كلَّ ثمرات الحياة من حرث ونسل وفواكه، والأوَّل هو الأولى. وهذه الآية وحيدة في ذكر ثمرات القلوب، وهم الأولاد.

وقيل: هي اللَّذَّةُ المعنوية والانتذاذ بالمكاشفات والمعارف القلبية والمشاهدات الزَّوْحِيَّة عند صفاء الباطن وخلوص نضارة القلوب بنار الرِّياضة. وهذا من قبيل ما تقدَّم في (٥)، وفي تأويل المادِّي بالمعنوي، ولا بأس به، إلَّا أنَّه لا يطبق على السياق في الآية، ولا سيما مع تأكيد الصبر، فإنَّ الصبر أوفى بالمصيبة من

تكون «من ثمرة» مفرداً، ويراد بكلِّ منها الجنس. ولقوله: ﴿مِنَ أَكْمَامِهَا﴾، ولو كانت «من ثمرات» لكان «من أكمامهنَّ» - وفيه نظر - وهذا هو الأوَّل عندنا.

٢- معنى «مين» في «من ثمرات» وفي ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ التخصيص على الاستفراق، سواء كانت زائدة - كما قاله البرُّوسوي - أم غير زائدة. وهو الزاجح عندنا. أمَّا «مين» في ﴿مِنَ أَكْمَامِهَا﴾ فهي لابتداء الغاية، متعلِّقة بـ «تخرج».

٣- ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي من أوعيتها وعُظْمُهَا، وهذا هو الموضع الوحيد الذي ينصُّ في القرآن على موطن انعقاد الثَّمار قبل صلاحها. وعبر عنها بـ «أكمامها» كما قال الطُّبرسي (٥: ١٨): «الأكمام: جمع كِم، وكِم: جمع كُمَّة، عن ابن خالَوَيْه، وقيل: هي جمع كُمَّة، عن أبي عَيشَةَ، وهي الكَفْرَى، وتكَمُّ الرجل في ثوبه، إذا تلفَّ به».

٤- أحصى الله في هذه الآية علمه بوقت القيامة وما تخرج من ثمرات من أكمامها - أي يعلم بها وهي في أكمامها - وما تحمل كلُّ أنثى أنَّه ذكر أو أنثى، ولا تضعه إلَّا في الوقت الذي علم سبحانه أنَّها تضع فيه. قال الطُّبرسي (٥: ١٨): «فيعلم الله سبحانه قدر الثَّمار وكيفيتها وأجزائها وطعومها وروائحها، ويعلم ما في بطون الحبال، وكيفيتها انتقالها حالاً بعد حال حتَّى يصير بشراً سوياً». والذي يلفت النظر فيها هو توالي ما تحمل كلُّ أنثى، وما تحمل الأكمام وتخرج من الثَّمار، وفيه من المناسبة والتناسق ما لا يخفى.

الحادي عشر: اختلفوا في المراد بالثمرات في

زوجان كالأشجار، وهذا بين في التحل. وجاء ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ الذاريات: ٤٨، وهذه تعم الأشياء كلها، و﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ قَائِمَةٍ زَوْجَانِ﴾ الرحمن: ٥٢، وهذه خاصة بغواكه الجنتين المذكورتين في ﴿وَلَوْ أَنَّ خَلْقَ مَقَامِ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الرحمن: ٤٦، وزوجية الأشياء المادية قاطبة يؤيدها العلم الحديث، لاحظ (زوج).

الخامس عشر: جاء التأكيد لكون الثمرات للعباد في الحياة الدنيا في الآيات (٦) و(٨) و(١٠) و(١٢) و(١٧) و(١٨) و(١٩). وفي (٦) أنها رزق لهم في الجنة مثل رزق الدنيا: ﴿كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، والرزق ظاهر في الأكل، وقد جاء في (٢): ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، وفي (٥): ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾، وفي (٢٢) خطاباً للنحل: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، وفي (٢): ﴿ثُمَّ لِيَأْكُلَنَّ﴾، وفي (٣): ﴿كُلْنَا مِنَ الْجَنَّةِ أَتَتْ أَكْلَهَا﴾، والأكل فيها بيان للرزق، لاحظ (رزق).

المعارف، اللهم إلا أن يكون صبراً على التهمة وعمل المشق الزباني، والجذبة الإلهية، أي صبراً على الابتهاج دون البلاء.

الثاني عشر: الآيات (١٧) و(١٨) و(١٩) خاصة بالثمرات التي رزق بها أهل مكة في جوار البيت الحرام، فقد دعاهم أبوه إبراهيم في (١٧) و(١٨) بأن يرزقهم من الثمرات من دون تبيين أنها من نفس البلد، أو يجيئ إليه من خارجه، لكن نص في (١٩) على أنها تجي من الخارج: ﴿أَوْ لَمْ تُنَمَسِكُنَّ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حَرَمٌ أَمَّا يُجَنَّبِي فَإِنَّهُ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. فقد استجيب دعاء إبراهيم في أهل مكة، حيث كانوا يستمتعون إلى عصر النبي ﷺ بذلك، ولا يزالون إلى عصرنا، والحمد لله رب العالمين.

الثالث عشر: جاء في (٢٠) ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، وأريد به نقص ثمرات الزرع والأشجار دون الأولاد، لأن قبلها: «أخذهم بالسنين»، وهي جمع سنة، أي القعط، وهو احتباس الأمطار وشحة الشار. الرابع عشر: جاء في (٢١): ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْ فِيهَا زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾، أي أن الثمرات نفسها

ث م م

ثَمَّ

لفظ واحد، ٤ مرّات، في ٤ سور: ٢ مَكِّيَّتان، ٢ مدَنِيَّتان

النُّصُوصُ اللُّغَوِيَّةُ

(الأزْهَرِيُّ ١٥: ٧٠)

ابنُ حُمَيْلٍ: المِثْمُ: الَّذِي يَزْعَى عَلَى مَنْ لَارَاعِي لَهُ، وَيَقْفِرُ مِنْ لَظْهَرِهِ، وَيَنْتَمِ مَاعِجَزَ عَنْهُ الْحَسِي مِنْ أَمْرِهِمْ.

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ شَدِيدًا يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ الصَّاعِغَةِ، وَيَعْمَلُ الزِّيَادَةَ وَيُرْدُ الرِّكَابَ، قِيلَ لَهُ: مِثْمٌ. وَإِنَّهُ لِمِثْمٌ لِأَسَافِلِ الْأَنْبِيَاءِ. (الأزْهَرِيُّ ١٥: ٧٠)

أَبُو عَمْرٍو الثَّيْبَانِيُّ: الثَّمُّ: الرُّمُّ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ] (الأزْهَرِيُّ ١٥: ٧٠)

الْفَرَّاءُ: ثَمَّ: لَا تَكُونُ فِي الطُّوفِ إِلَّا لشيءٍ بَعْدَ شيءٍ. وَأَمَّا «ثَمَّ» بِفَتْحِ الثَّاءِ، فَإِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَكَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا زَأَيْتَ ثَمَّ زَأَيْتَ نَجِيمًا﴾ الدَّهْرُ: ٢٠.

(الأزْهَرِيُّ ١٥: ٧١)

الْقِسِيمَةُ: التَّامُورَةُ الْمُشْدُودَةُ عَلَى الرَّأْسِ، وَهِيَ الثَّقَالُ، وَهُوَ الْإِبْرِيْقُ. (الأزْهَرِيُّ ١٥: ٧٢)

الْخَلِيلُ: ثَمَّ: مَعْنَاهُ هُنَاكَ لِلتَّجْعِدِ، وَهُنَاكَ لِلتَّقْرِيبِ. وَثَمَّ: حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ التَّسْقِ، لِاتِّشْرَافِهَا بِمَا بَعْدَهَا، إِلَّا أَنَّهَا تَبَيَّنَ الْآخِرُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْزِمُهَا «هَاءَ» التَّأْنِيثِ فَيَقُولُ: ثُمْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَالثَّمَّةُ: قَبْضَةٌ مِنْ حَشِيشٍ، أَوْ أَطْرَافُ شَجَرٍ يُوْرِقُهُ، يُعْتَلُّ بِهِ شَيْءٌ، يُقَالُ: اسْتَحْطَا بَشْطَةً أَوْ ثَرِيَّةً. وَالشَّامُ: مَا كَثُرَ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ فَوُضِعَ نَصْدًا لِلثِّيَابِ وَنَحْوِهِ، وَإِذَا يَسَّ فَهُوَ الشَّامُ.

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ شَجَرُ اسْمِهِ الشَّامُ، الْوَاحِدَةُ: ثَمَامَةٌ. وَتَمَّتْ الشَّيْءُ أَمَّهُ ثَمَّ: أَصْلَحَتْهُ وَأَحْكَمَتْهُ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ] (٨: ٢١٨)

الْأُمُومِيُّ: الثَّمُومُ مِنَ الثَّمَنِ، الَّتِي تَقْلَعُ الشَّيْءَ بِهَا. يُقَالُ لِلشَّيْخِ إِذَا كَبُرَ وَهَرِمَ: انْتَمَّ انْتِمَاءً.

الصَّاحِب : [نحو الخليل وأصاف:]

وَتَمَّ الشَّيْءُ: حُشِيَ.

وَتَمَنَّتْ الوَطْبُ تَمِينًا، إِذَا جَعَلَتْ تَحْتَهُ نَمَّةً.

وَالشَّمَّةُ: الوَضَمُّ.

وَتَمَنَّتْ السَّاءُ: غَطَّيَتْهَ بِالشَّامِ. وَالشُّومُ: الشَّامُ.

ويقولون: «هو لك على طرف الشَّام» أي هو لك:

ممكّن لك، وقيل: ظاهرٌ واضحٌ. و«هو على الشَّمَّة» مثله.

وَالشَّمُّ: إصلاح الشيء وإحكامه، ثُمَّتُهُ أَشْمُهُ، أَي

رَمَتْهُ، وَهُوَ يَمُتُّ لَهُم يَمَتُّ، وَمِنَ المَدِينِ: «كَتَا أَهْلُ مَمَّةَ

وَرَمَتْهُ».

وَانْتَمَّ السَّيْخُ انْتِمًا، إِذَا كَبِرَ وَتَوَلَّى، وَالشَّخَّةُ: السَّيْخُ

البالي.

وَالشُّنْمَةُ: الشُّنْفَةُ وَالرَّزْدُ. وَتَمَمَّ عَنْ الشَّيْءِ:

تَوَقَّفَ وَتَحَبَّسَ.

وَالشُّنْفَةُ: أَنْ لَا يَجِدَ العَمَلُ، وَأَنْ تُشَقَّ الْفِرْزَةُ إِلَى

العُمُودِ لِیُحَقَّقَ فِيهَا اللَّبَنُ.

وَالقَوْمُ فِي تَمَنَّةٍ، أَي فِي قِتَالٍ وَتَخْلِيطٍ.

وَالشَّمَامُ: الَّذِي إِذَا أَخَذَ شَيْئًا تَمَنَّمَهُ، أَي قَهَرَهُ

وَكَسَرَهُ.

وَالشُّومُ مِنَ الشَّاءِ: الَّتِي تَقْلَعُ الشَّيْءَ فِيهَا.

وَالشَّمُّ: الْأَكْلُ الجَيِّدُ.

وَالْمَيْتَةُ: الْمَيْتَةُ.

وَلَيْسَ لَهُ شَمٌّ وَلَا زَمٌّ: الشَّمُّ: الْقَاشُ.

وَالشَّمَمُ: الْكَلْبُ السُّلُوقِي.

أَبُو عُبَيْدٍ: فِي حَدِيثِ عُرْوَةَ حِينَ ذَكَرَ أَحَبَّيْحَةَ بِنَ
الْجَلَّاحِ وَقَوْلَ أَخْوَالِهِ فِيهِ: «كَتَا أَهْلُ مَمَّةَ وَرَمَتْهُ حَتَّى
اسْتَوَى عَلَى عَمَّتِهِ^(١)».

هَكَذَا يَمَدُّونَهُ: أَهْلُ مَمَّةَ وَرَمَتْهُ، بِالشَّمِّ، وَوَجْهَهُ
عِنْدِي تَمَمٌ وَرَمَتْهُ، بِالْفَتْحِ.

وَالشَّمُّ: إِصْلَاحُ الشَّيْءِ وَإِحْكَامُهُ، يُقَالُ مِنْهُ: تَمَنَّتْ
أَتَمَّ نَسًا.

ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: تَمَّ إِذَا حُشِيَ، وَتَمَّ إِذَا أُصْلِحَ.

(الْأَزْهَرِيُّ: ١٥: ٦٩)

ابْنُ السَّكَيْتِ: وَتَمَّ الطَّعَامُ نَسًا، إِذَا أَكَلَ جَيِّدَهُ

وَرَدِيَّتَهُ، وَقَدْ تَمَّ مَا عَالَى الْخَوَانِ.

وَانْتَمَّ جَسْمُ فُلَانٍ، أَي ذَابَ، مِثْلُ انْتَمَّ.

قَوْلُهُمْ: «مَالَهُ شَمٌّ وَلَا زَمٌّ، وَمَا يَمْلِكُ شَمٌّ وَلَا زَمًّا»

فَالشَّمُّ: قَاشَ أَسَاقِيهِمْ وَأَيَّتِهِمْ، وَالزَّمُّ: نَرَمَتْهُ الْبَيْتَ.

(الْجَوْهَرِيُّ: ٥: ١٨٨١)

ابْنُ دُرَيْدٍ: تَمَنَّتْ الشَّيْءُ: أَتَمَّهُ تَمَّةً وَنَسًا، إِذَا

جَمَعَتْهُ. وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْحَشِيشِ.

وَالشَّمَّةُ: الْقِيْضَةُ بِالأَصَابِعِ مِنَ الْحَشِيشِ. وَتَمَنَّتْ

يَدِي بِالْأَرْضِ أَوْ بِالْحَشِيشِ، إِذَا مَسَحَتْهَا بِهِ. وَوَطَّبَ

مَنْسُومٌ، إِذَا غَطَّيَ بِالشَّامِ.

(٤٧: ١١)

الْأَزْهَرِيُّ: سَمِعْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ: تَمَنَّتْ السَّاءُ، إِذَا

فَرَشَتْ لَهَا الشَّامَ، وَجَعَلَتْهُ فَوْقَهُ لِكُلِّ تَصْيِيهِ الشَّمْسِ

فَيَتَقَطَّعُ لَبَنَهُ.

وَالشَّامُ: نَبْتٌ مَعْرُوفٌ وَلَا تَجْهَدُ الشَّمَّ إِلَّا فِي

الْجَدُودِ. وَهُوَ الشَّمَّةُ أَيْضًا، وَرَبْمَا خَفِيفٌ، قَتِيلٌ: الشَّمَّةُ.

وَالشَّمَّةُ: الشَّامُ.

(١) فِي الْأَصْلِ اضْطَرَبَ فِي الْمِرْكَاتِ. فَضَبَطْنَاهَا طَبْطًا
لِلضَّحَاكِ وَالْمَقَائِيسِ وَاللَّسَانِ وَالْأَنَاسِ.

وَنَمَسُوا بِنَا سَاعَةً وَنَمِيتُوا، أَي تَلَبَّثُوا وَرَوَّحُوا.

(١٠٠: ١٣٣)

الْبَجَوَهْرِيُّ: نَمَسْتُ الشَّيْءَ: جَمَعْتَهُ، يُقَالُ: هُوَ يَنْمِثُهُ وَيَنْمِثُهُ، أَي يَكْتَسِبُهُ، وَيَجْمَعُ الْجَيِّدَ وَالرَّذِيءَ.

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: جَمَعْتُ بِي الذَّهْرَ عَنْ قَمَّةٍ وَزَمَمَهُ، أَي عَنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ. (١٨٨١: ٥)

ابْنُ فَارِسٍ: نَمَسْتُ النَّاءَ وَالْمِيمَ أَصْلَ وَاحِدٍ، هُوَ اجْتِمَاعُ فِي لَيْنٍ، يُقَالُ: نَمَسْتُ الشَّيْءَ نَسَمًا، إِذَا جَمَعْتَهُ. وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْحَشِيشِ. [لَيْلٌ أَنْ قَالَ:]

وَمَتَّ الشَّاةُ التَّبْتَ بِغِيهَا: فَلَمَسَتْهُ، وَمِنَ الْحَدِيثِ: «كَتَبْنَا أَهْلَ قَمَّةٍ وَزَمَمَهُ» أَي كَتَبْنَا نُسَمَّهُ قَمًّا، أَي نَجْمَعُهُ جَمْعًا.

(٣٦٩: ١)

ابْنُ سِيدِهِ: [يُنْقَلُ بَعْضُ أَقْوَالِ اللَّغَوِيِّينَ وَأَصَافٍ:] وَنَمَسْتُ الشَّيْءَ يَنْمِثُهُ، وَنَمَسَهُ: وَطِنَهُ. وَالْأَسْمُ: النَّتْمُ، وَكَذَلِكَ نَمَسْتُ الْوُطْأَةَ.

وَنَمَسَ الْكَسْرُ: لَغَنَ فِي نَمَسٍ. وَيُقَالُ: «لَاكَ ذَلِكَ عَلَى النَّسَمَةِ» يُضْرَبُ مَثَلًا فِي النَّجَاحِ.

وَمَا يَمْلِكُ قَمًّا وَلَا زَمًّا، أَي قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا. لَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّتِيِّ.

وَالنَّشَامُ: شَجَرٌ، وَاحِدَتُهُ: نَشَامَةٌ، وَنَمَّةٌ، عَنْ كُرَاعٍ، وَلَا أَدْرِي كَيْفَ ذَلِكَ، وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلَهُمْ: «هُوَ لَكَ عَلَى رَأْسِ النَّسَمَةِ» وَبِهَا سَمِيَ الرَّجُلُ.

وَالنَّشَامُ: مَا يَتَّسِقُ مِنَ الْأَغْصَانِ الَّتِي تَوْضَعُ تَحْتَ النَّضْدِ.

وَبَيْتٌ مَثْنُومٌ: مُنْطَقِيٌّ بِالنَّشَامِ، وَكَذَلِكَ الْوُطْبُ.

وَقَمَّةٌ أَيْضًا: بِمَعْنَى قَمَّةٍ.

وَنَمَسْتُ، وَنَمَسْتُ، كَلَّمَهَا حَرْفَ نَسَقٍ، وَالْفَاءُ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِدَلٍّ مِنَ النَّاءِ، لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ. (١٠٠: ١٣٥)

الزَّمَمُ خَفَرِيٌّ: «كَتَبْنَا أَهْلَ قَمَّةٍ وَزَمَمَهُ» أَي أَهْلَ إِصْلَاحِ شَأْنِهِ وَالِاهْتِمَامِ بِأَمْرِهِ.

نَمَسْتُ الشَّيْءَ يَنْمِثُهُ وَزَمَمَهُ يَزِمُهُ، إِذَا جَمَعَهُ وَأَصْلَحَهُ.

وَفُلَانٌ لَا يَمْلِكُ نَسَمًا وَلَا زَمًّا.

وَفُلَانٌ يَنْتَمِ يَنْمِثُهُ، إِذَا كَانَ يَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَمِنَ الْجَزَائِرِ: هُوَ لَكَ عَلَى طَرَفِ النَّشَامِ، وَعَلَى ظَهْرِ النَّسَمَةِ، إِذَا كَانَ هَيَّانَ الْمُنَاقَلَةِ.

وَتَكَلَّمَ فَمَا تَنْتَمِ وَلَا تَنْتَمِ، أَي مَا تَوَقَّفَ.

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٨)

عُرْوَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَكَرَ أُحْيِيَّةُ بْنُ الْجَلَّاحِ، وَقَوْلُ أَخْوَالِهِ فِيهِ: «كَتَبْنَا أَهْلَ قَمَّةٍ وَزَمَمَهُ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى عُنْتِهِ» وَقِيلَ: الصَّوَابُ الْفَتْحُ فِي نَسَمَةٍ وَزَمَمَةٍ.

النَّمَسُ: الْجَمْعُ، وَالزَّمَمُ: الْمَرْئِيَّةُ، وَأَمَّا النَّتْمُ وَالزَّمَمُ فَلَا يَظْلُمَانِ مِنْ أَنْ يَكُونَا مَصْدَرَيْنِ كَالْحَكْمِ وَالشُّكْرِ وَالْكَفَرِ، أَوْ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ كَالذَّخْرِ وَالْغُرْفِ وَالْخَبْرِ.

وَالْمَعْنَى: كَتَبْنَا أَهْلَ تَرْبِيَّتِهِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِمَجْمَعِ أَمْرِهِ وَإِصْلَاحِ شَأْنِهِ، أَوْ مَا كَانَ يَرْتَفِعُ مِنْ أَمْرِهِ بِمَجْمُوعَةٍ مُصْلَحَةٍ، فَإِنَّا كَتَبْنَا الْمُحْصِلِينَ لَهُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ.

(الْفَائِقُ ١: ١٧٥)

الْفَيْوَمِيُّ: نَمَسْتُ: حَرْفٌ عَطْفٌ وَهِيَ فِي الْمَفْرَدَاتِ لِلتَّرْتِيبِ يَهْمَلُ.

وَقَالَ الْأَخْفَشُ: هِيَ بِمَعْنَى «الْوَاوِ» لِأَنَّهَا اسْتَعْمِلَتْ فِي تَرْتِيبِهَا، نَحْوُ: وَاللَّهُ نَمَسْتُ وَاللَّهُ لَا أَفْعَلْنَ، تَقُولُ:

ماصَنَتَ اليومَ ثُمَّ ماصَنَتَ أَسْأَعَجَبُ» لَأَنَّ «ثُمَّ» فِيهِ

لترتيب الإخبار ولا تراخي بين الإخبارين.

وَتَمَّ بِالْفَتْحِ: اسْمٌ يُشَارِبُهُ، بِمَعْنَى هَئِكَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ،
ظَرَفٌ لَا يَتَصَرَّفُ، فَقَوْلُ مَنْ أَعْرَبَهُ مَفْعُولًا لِدَرَأَيْتَ «فِي
﴿وَأَذًا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ الدَّهْرُ: ٢٠. وَهَمَّ.

وَتَمَّ الْقَرْصَ وَمُنْتَهَى: مَنْطَقُ سُرَّتِهِ.

وَتَمِيمُ الْعَظَمِ: إِيَّائِهِ.

وَالشُّنْثَامُ: مَنْ إِذَا أَخَذَ الشَّيْءَ كَسَرَهُ.

وَالشُّبَامُ وَالشُّنُومُ كُفْرَابٌ وَيَنْبُوتُ: نَبْتُ مَعْرُوفٍ،
وَقَدْ يَسْتَمَلُّ لِإِزَالَةِ الْبَيَاضِ مِنَ الْعَيْنِ، وَاحْدَتُهُ بِلَهَاءٍ.
وَبَيْتٌ مُنْعَمٌ: مُطْلَى بِهِ.

وَيَقَالُ لِمَا لَا يَبْسُرُ تَنَاوُلُهُ: عَلَى طَرَفِ الشُّبَامِ، لِأَنَّهُ
لَا يَطُولُ.

وَصُغِيرَاتُ الشُّبَامِ: إِحْدَى مَرَاهِلِهِ ﴿وَالَّذِينَ﴾ إِلَى بَذْرِ.

وَالشُّعَّةُ بِالْكَسْرِ: الشَّيْخُ، وَانْتَمَ: شَاخَ.

وَالشُّعْنَةُ: تَطْلِيَةُ رَأْسِ الْإِنَاءِ وَالْإِحْتِيَاسُ، يُقَالُ:
تَشْمُوا بَنَاتُ سَاعَةٍ، وَأَنْ لَا يَجَادَ الْعَمَلُ، وَأَنْ تُشْنِقَ الْقِرْبَةُ إِلَى
الْعُمُودِ لِيُحَقْنَ فِيهَا اللَّيْنُ.

وَهَذَا سَيْفٌ لَا يَجْتَمِعُ نَصْلُهُ: لَا يَسْتَيُّ إِذَا ضَرَبَ بِهِ
وَلَا يَرْتَدُّ.

وَالْمَتَمَكِّيسَتَنُ: مَنْ يَرعى عَلَى مَنْ لَارَاعِي لَهُ، وَيُغْفِرُ
مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَيَتَمَّ مَا عَجَزَ عَنْهُ الْحَيُّ مِنْ أَمْرِهِمْ.

وَتَتَنَّمُ عَنْهُ: تَوَقَّفَ، وَمَا تَتَنَّمُ: مَا تَلْتَمَسُ. (٤: ٨٧)

مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِيرَاهِيمُ: ثَمَّ وَغَمَةٌ: اسْمٌ يُشَارِبُهُ
إِلَى الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، بِمَعْنَى هُنَاكَ.

ثَمَّ: حَرْفٌ عَطْفٌ لِلتَّرْتِيبِ وَالْتَرَاخِي فِي الزَّمَنِ. (١: ٩٧)

وَحَيَاتِكَ ثَمَّ وَحَيَاتِكَ لِأَقْوَمَنَ.

وَأَمَّا فِي الْجُمْلِ فَلَا يَلِيزُ التَّرْتِيبُ بَلْ قَدْ تَأْتِي بِمَعْنَى
الْوَارِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾
يُونُسَ: ٤٦، أَيْ وَاللَّهِ شَهِيدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،
فَإِنَّ شَهَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ حَادِثَةٍ، وَمِثْلُهُ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الْبَلَدُ: ١٧.

وَتَمَّ بِالْفَتْحِ: اسْمٌ إِشَارَةٌ إِلَى مَكَانٍ غَيْرِ مَكَانِكَ.

وَالشُّبَامُ وَزَانُ غُرَابٍ: نَبْتُ يُسَدُّ بِهِ خِصَاصُ
الْبُيُوتِ، الْوَاحِدَةُ: ثُمَامَةٌ، وَبِهَا سَمِيُّ الرَّجُلِ. (٨٤)
الْفَيْرُوزُ أَبَادِيٌّ: نَسَبُهُ: وَطَنُهُ كُنْتَمَةُ، وَأَصْلُهُ،
وَجَمْعُهُ. وَفِي الْحَشِيشِ أَكْثَرُ اسْتِمْعَالًا.

وَالشُّعَّةُ بِالضَّمِّ: الْقَبِيضَةُ مِنْهُ، وَيَدْعُو بِالْحَشِيشِ:
مَسَحَتَهَا، وَالشَّاءُ الثَّنْبُ: قَلَعْتُهُ بَغْيًا فِيهِ تَمُومٌ، وَالطَّمَامُ:
أَكَلَ جَيِّدٌ، وَرَدِيئَةٌ.

وَرَجُلٌ يَتَمَّ وَيَقُمُّ وَيَنْتَعُ وَيَقْتَعُ بِكَسَرِهِنَّ، إِذَا كَانَ
كَذَلِكَ.

وَانْتَمَّ عَلَيْهِ: انْتَالَ، وَجَسَمُهُ ذَابَ.

وَمَالُهُ ثَمَّ وَلَا يَزُومُ بِضَمِّهَا: فَالْثَمُّ: قُشَاشُ أَسَاقِيمِ
وَأَنْبِيَتِهِمْ، وَالزُّومُ: مَرَمَةُ الْبَيْتِ.
وَتَمَّ: حَرْفٌ يَقْتَضِي ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

التَّشْرِيكَ فِي الْحُكْمِ، أَوْ قَدْ يَتَخَلَّفُ بِأَنْ تَقَعَ زَائِدَةٌ،
كَمَا فِي «أَنْ لَا تَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثَمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ»
التَّوْبَةُ: ١١٨.

الثَّانِي: التَّرْتِيبُ أَوْ لَاتَقْضِيهِ، كَقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَذَا
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ ثَمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ السَّجْدَةَ: ٧، ٨
وَالثَّالِثُ: الْمُهْلَةُ، أَوْ قَدْ تَخَلَّفَ كَقَوْلِكَ: «أَعْجَبَنِي

عنها بهاء ساكنة يُبْتَهَا في حال الوقف فقط، ويُسَوِّمُهَا: «هَاء السَّكْت».

ويرى صاحب «التعوي الوافي»: أَنَّ كُلَّ هَذِهِ لَهْجَاتٍ، نحن في غنى عنها اليوم، وَأَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَكْتَفِيَ بِالْكَلِمَةِ بِمَجْرَدَةِ مَنْ كُلِّ زِيَادَةٍ، أَوْ مَعَ زِيَادَةِ التَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ، الْمُتَعَرِّكَ بِالْفَتْحَةِ، مِمَّا لِلْأَرَاءِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لِأَدَاخِي هَا فِي حَيَاتِنَا الْقَائِمَةِ، وَلَا تُرْهَأُ لَهَا سِوَى التَّاءِ وَالْإِبْهَامِ. (١٠٧) الْمُضْطَفُّوْنَ: [تَقُلُّ أَقْوَالُ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ ثُمَّ قَالَ:] وَلَا يَحْتَنِي التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَذِهِ الْمَعَانِي، فَإِنَّ فِي الْمَطْفِ مَعْنَى جَمْعٍ، وَكَذَا فِي الْإِشَارَةِ إِلَى بَعِيدٍ مِنَ الْمَكَانِ فَيَقَرُّ بِهِ وَيَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هُنَاكَ. وَأَمَّا التَّرَاخِي فَلَمَلَهُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِصْلَاحِ، فَإِنَّ مَرْجِعَ الْإِصْلَاحِ إِلَى رَفْعِ الْمُسَبَّدَاتِ وَالْمَوَانِعِ وَالْفَوَاصِلِ.

فَالْأَصْلُ الْوَاحِدُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ: هُوَ الْجَمْعُ بِقِيْدِ الْإِصْلَاحِ، أَيْ الْجَمْعُ فِي مُرُودٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْإِصْلَاحِ، وَرَفْعِ الْخِلَافِ وَالْفَصْلِ.

فَفِي كُلِّ مُرُودٍ تَسْتَمَلُّ فِيهِ كَلِمَةٌ: ثُمَّ أَوْ ثُمَّ، لَا تَخْلُو عَنْ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُنْصَوِّصِيَيْنِ: خُصُوصِيَّةُ مَفْهُومِ الْجَمْعِ، وَخُصُوصِيَّةُ مَفْهُومِ رَفْعِ الْبُيُودِ وَالْفَصْلِ، فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّقْرِيبُ بِالْإِشَارَةِ، وَهِيَ مَعْنَى اسْمِيٍّ، فَلَنُظْهِرُ «ثُمَّ» بِالْفَتْحِ وَهُوَ اسْمٌ. وَإِنْ كَانَ بِالطَّفِ، وَهُوَ مَعْنَى حَرْفِيٍّ، فَهُوَ حَرْفٌ. (٢٤)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

١- وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُهُ إِنَّ إِلَهَ الْوَسْطَى وَاسِعٌ عَلِيمٌ. البقرة: ١١٥

الْعَذَنَانِي: ثُمَّ، تُثَمَّتْ، تُثَمَّتْ، ثُمَّ، ثُمَّ.

وَيَخْلُطُونَ بَيْنَ حَرْفِ الْمَطْفِ «ثُمَّ» وَاسْمِ الْإِشَارَةِ «ثُمَّ». فَحَرْفُ الْمَطْفِ «ثُمَّ» يَسْتَعْمَلُ لِلتَّقْرِيبِ مَعَ التَّرَاخِي أَوْ «الْمُهْلَةِ» كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ «الْمَغْنِي»، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ: ٨ و ٩، مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ: ﴿وَيَذَّأَخُلُ الْإِنْسَانُ مِنْ جَلِينٍ﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّيْنَاهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ رُوحِهِ. وَنَحْوُ: وَلَدٌ وَسِيمٌ ثُمَّ تَمِيمٌ. لَوْ كَانَا تَوَاحِشَ، لَقُلْنَا: فَتَمِيمٌ.

وَقَدْ تَكُونُ «ثُمَّ» لِمَجْرَدِ الطَّفِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرْحِ] وَلِلتَّجَمُّبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ (١٥) مِنْ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ: ﴿ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

وَتَقَعُ زَائِدَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ: (١١٨) مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿وَوَظَّنُوا أَنْ لَا غَلَجًا مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾.

وَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَى «ثُمَّ» تَاءُ التَّأْنِيثِ، لِإِفَادَةِ التَّأْنِيثِ اللَّفْظِيِّ، فَتَخْصُصُ بِطَلْفِ الْجَمَلِ، نَحْوُ: مَنْ رَأَى فُرْصَةَ الْإِسْتِنَادِ، دَفَاعًا عَنْ وَطْنِهِ، سَانَعَهُ لَهُ، ثُمَّتْ (يَبْجُوزُ ثُمَّتٌ) تَقَاسَمَتْ عَنْ اغْتِنَامِهَا، عَاشَ ضَمِيرُهُ فِي جَمْعِهِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرْحِ]

أَمَّا «ثُمَّ» فَهُوَ اسْمٌ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي (٦٤) مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ: ﴿وَأَزَلُّنَاكُمْ ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾ أَزَلُّنَا: أَزَلُّنَا: قَرَّبْنَا.

و«ثُمَّ» ظَرْفٌ مَكَانٌ لَا يَتَصَرَّفُ، وَقَدْ تَلَحُّقَتْهَا تَاءُ التَّأْنِيثِ الْمَضْبُوطَةِ - غَالِبًا - بِالْفَتْحِ، فَيَقَالُ: ثُمَّتٌ.

وَمِنْ الرُّبُوبِ مَنْ يَسْكُنُ هَذِهِ التَّاءَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَفْنِي عَنْهَا فِي حَالِ الْوَقْفِ فَقَطْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَفْنِي

يريد: إذا نظرت، ثم إذا رميت ببصرك هناك رأيت
نميشاً. (٢١٨: ٣)
الطَّبْرِي: وعُني بقوله: (ثم: الجنة. (٢٢١: ٢٩)
الزَّجَّاج: (ثم) يعني به الجنة، والعامل في (ثم) معنى
رأيت، المعنى وإذا رأيت ببصرك ثم.

وقيل: المعنى: وإذا رأيت ما ثم رأيت نميشاً. وهذا
غلط، لأن «ما» موصولة بقوله: «ثم» على هذا التفسير،
ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. ولكن (رَأَيْتَ)
يتمدّى في المعنى إلى (ثم). (٢٦١: ٥)
نحوه الطَّرْطُي: (١٩٤: ١٩)

الزَّمْعَشْرِي: (ثم) في موضع النصب على الظرف،
يعني في الجنة. [ثم ذكر نحو الزَّجَّاج] (١٩٩: ٤)
أبو حنّان: و(ثم) ظرف، العامل فيه (رَأَيْتَ) وقيل:
التقدير: وإذا رأيت ما ثم، فحذف «ما» كما حذف في
قوله: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» الأنعام: ٩٤، أي ما بينكم.
[وحكى قول الزَّجَّاج والزَّمْعَشْرِي ثم قال:]

وليس بخطأ جُمع عليه بل قد أجاز ذلك الكوفيون
وتم شواهد من لسان العرب. [ثم استشهد بشعر]
وقال ابن عطية: (ثم) ظرف، العامل فيه (رَأَيْتَ) أو
معناه. التقدير: رأيت ما ثم، حذف «ما».

وهذا فاسد، لأنه من حيث جعله معمولاً لـ (رَأَيْتَ)
لا يكون صلة له «ما» لأن العامل فيه إذاً محذوف، أي
ما استقر ثم.

وقرأ الجمهور (ثم) بفتح التاء، وحيد الأعرج. (ثم)
بضم التاء حرف عطف، وجواب (إذا) على هذا محذوف،
أي وإذا رميت ببصرك رأيت نميشاً. (٣٩٩: ٨)

الطَّبْرِي: (فَتم) فإنه بمعنى هنالك. (٥٠٥: ١)
الزَّجَّاج: معنى الآية أنه قيل فيها: إنه يعني به البيت
الحرام. ف قيل: «أَيَسْتَأْذِنُوا فَمَا وَجْهَهُ اللهُ» أي
فاقصدا وجه الله يتيحكم القبلة. ودليل من قال هذا
القول قوله: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» البقرة: ١٤٩. (١٩٧: ١)
نحوه الطَّرْطُي: (٧٩: ٢)

أبو السَّعُود: (ثم) اسم إشارة للمكان البعيد
خاصة، مبني على الفتح، ولا يتصرف سوى الجر
بـ «من»، وهو خبر مقدم، و(وَجْهَهُ اللهُ) مبتدأ، والجملة في
محل الجزم على أنها جواب الشرط، أي هناك جهته التي
أمر بها، فإن إمكان التولية غير مختص بمسجد دون
مسجد، أو مكان دون آخر، أو فتم ذاته بمعنى المحصور
العلمي، أي فهو عالم بما يفعل فيه ومُتيب لكم على ذلك.
(١٨٦: ١)

رشيد رضا: أي أي مكان تستقبلونه في صلاتكم
فهناك وجه القبلة التي أمر الله بأن يتوجه إليها.

(٤٣٤: ١)

نحوه المَرَاغِي: (١٩٩: ١)
راجع «وج هـ».

٢- وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَمِيْشًا وَمِثْلًا كَبِيْرًا.

الذَّهْر: ٢٠

الْقَزَّاء: يقال: إذا رأيت ما ثم رأيت نميشاً، وصلح
إضمار «ما» كما قيل: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» الأنعام: ٩٤.
والمعنى: ما بينكم، والله أعلم. ويقال: (إذا رأيت ثم)

عند الجذب، واحدته: ثَمَّة.

والثَّام أيضًا: ما يَس من الأغصان التي توضع تحت التَّعد، أي السرير، يقال: ثَمَّت الشيء ثَمَّةً، أي رَغِمه بالثَّام، وَثَمَّت السَّقاء: فرشت له الثَّام وجعلته فوقه، لئلا تصيبه الشمس فينقطع لبنه.

وبيتٌ مَتموم: مغطى بالثَّام، وشاءَ نَمومٌ: تأكل الثَّام. وفي المثل: «هو على طرف الثَّام» أي قريب المتناول، سهل المرام، لأنَّ الثَّام شجرة لا تنطول.

والثَّم: الثَّام، واحدته: ثَمَّة. يقال: ثَمَّت السَّقاء ثَمَّةً، أي جعلت تحت الثَّمَّة، وفي المثل: «هو على رأس الثَّمَّة»، يضرب لنجاح الحاجة، و«هو أبوه على طرف الثَّمَّة»، يقال: لمن يُسبه أباه.

والثَّمَّة أيضًا: القُبضة من الثَّام ومن كلِّ حشيش، على التَّمة، يقال: ثَمَّ يده بالحشيش أو الأرض، أي مسحها.

ويقال على الإبتاع: جَمَعَ بي الدَّهر عن ثَمِّه وَزَمِّه، أي عن قليله وكثيره، وما يملك ثَمًّا ولا زَمًّا، أي قليلًا ولا كثيرًا.

والثُّموم من النعم: التي تطلع الشيء فيها، يقال: ثَمَّت الشاة الشيء والنبات فيها ثَمُّه ثَمًّا، وكذا كلٌّ ما مرَّت به.

ومنه أيضًا: ثَم الشيء يَثُمُّه ثَمًّا، أي جمعه، وأكثر ما يستعمل في الحشيش ولاسيما الثَّام، لكثرة أغصانه وتجمُّعها، وهو يَثُمُّه ويَثُمُّه، أي يكتسه ويجمع الجسد والزادي، فيقال: رجل يَثُم ويَقُم، ويَثُمُّه ويَقُمُّه، على المبالغة.

٣. مُطَاعٌ ثَمَّ آمِين.

الزَّمخشرى: (ثَمَّ) إشارة إلى الطَّرَف المذكور، أعني عند ذي العرش، على أنه عند الله مطاع في سلاته المقربين، يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه.

وقرى (ثَمَّ) تنظيمًا للأمانة، وبيانًا لأنها أفضل صفاته المدودة. (٤: ٢٢٤)

البَيْضَاوي: (ثَمَّ) يحتل اتصاله بما قبله وما بعده.

(٢: ٥٤٣)

نحوه أبو السعود. (٧: ٣٨٧)

الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الدَّامِغَانِي: (ثَمَّ) على وجهين: ثَمَّ بمعنى «الواو» ثَمَّ بعينه.

ر فوجه منها: ثَمَّ يعني «الواو» قوله: ﴿ثَمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى سَائِقِلَوْنَ﴾ يونس: ٤٦، يعني والله شهيد، كقوله: ﴿ثَمَّ اسْتَوَى عَلَى الْقَرْشِ﴾ يونس: ٣، يعني واستوى.

والوجه الثاني: ثَمَّ بعينه، لاستقبال قوله: ﴿ثَمَّ إِنَّ زَيْلَهُ لِلَّذِينَ غَمَلُوا الشُّوءَ﴾ النحل: ١١٩، وقوله: ﴿ثَمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ﴾ فاطر: ٣٢، ونحوه كثير. (٢٠٥)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثَّام، وهو نبات برِّي ضعيف قصير كثير الأغصان، ذو خوص أو ما يشبهه، يُحشى به ويُسدَّ به خصاص البيوت، وتُتخذ منه المكائس، ويُظلل به المراد فيبرد، ولأنَّ كلَّ الدوابِّ إلَّا

وظييره في هذا الباب قولهم: ساخت رجله في الأرض وساخت، أي دخلت، والوُطُس والوُطُ: الضرب الشديد بالحف.

وأما مَنَ الفرس ومَنَتَه - أي منقطع شِرتَه - فهو إما يدل على من السِّن أيضاً، من قولهم: سُومَ الفرس، أي فروجه، واحدها: سَم، وإما تصعيف «المَنَم» بالناء، وهو منقطع عرق الشِرة.

الاستعمال القرآني

جاء (نَمَ) أربع مرات:

- ١- ﴿وَهُوَ الْمَشْرِقِيُّ وَالْمَغْرِبِيُّ فَأَنْتُمْ تَنْوُلُونَ﴾ البقرة: ١١٥
 - ٢- ﴿وَأَرْزُقْنَاهُ أَفْزَقًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الشعراء: ٦٤
 - ٣- ﴿وَإِذَا زَأَيْتَ نَمَّ زَأَيْتَ نَبِيئًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ الذَّهَر: ٢٠
 - ٤- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مَّطَّاعٌ مِّنْ أَمِينٍ﴾ التَّكْوِير: ١٩- ٢١
- يلاحظ أولاً: أَنَّ (نَمَ) - وهي للإشارة إلى المكان البعيد - جاءت مرّتين في سورتين مكّيتين، وهما: الشعراء والتكوير، ومرّتين أيضاً في سورتين مدنيّتين، وهما: البقرة والذَّهَر، وكلّها إشارة إلى رحاب الله، ولم تأت في غيرها. فكأنّها في عُرْف القرآن خاصّة بالعرّة الإلهيّة التي لا تُناصب، والزّفة التي لا تُطاول، دون الأشياء والأمكنة المتارفة عند التّاس.

ففي (١) إشارة إلى ما ستقبله التّاس في صلاتهم، وهو وجه الله ذو الجلال الذي لا يساوى، والسّلطان

ثمّ استعمل في الوُطء والمَهرَم والكِبَر، تشبيهاً بالثَّمام اليابس، يقال: نَمَ الشَّيْءُ يَنْمُو ونَمَتُهُ، أي وطئه، وانتمَ الشَّيْخُ انْتِمَاءً، ولَّى وكَبَرَ وهَرَمَ، وانتمَ جسم فلان: ذاب.

٢- وقد ألحق لفظ «نَمَ» بهذه المادّة، وهو ظرف مكان، يشار به إلى المكان البعيد، وهو اسم مبني على الفتح، لالتقاء الساكنين، واختيرت الفتحة بدل الضمّة والكسرة لأنّها أخفّ الحركات، وحلّت البناء هي الإيham. ويقال أيضاً: نَمَتْ ونَمَتْ.

كما ألحق لفظ «نَمَ» بهذه المادّة أيضاً، وهو حرف عطف يفيد التّرتيب والتّراخي، وتلحقه الناء، فيقال: فَتَلَّ كذا وكذا، نَمَّتْ فَتَلَّ كذا. ويُبدل فيه الفاء من الناء، أو هي لغة فيه، يقال: رأيت عمراً نَمَّ زيداً. ولا يستقيم ردّ «نَمَ» و«نَمَّتْ» إلى هذه المادّة كسائر مشتقاتها. كما فعل بعض - فإنّه تمحل واضح، لأنّ الأوّل اسم مبهم، والثاني حرف.

٣- وردّ ابن فارس مشتقات هذه المادّة إلى ما أسماه «اجتماع في لين»، وأراد بهذا القيد الإصلاح، وإن لم يصحّح به. وجعل بعض هذا المعنى - أي الإصلاح - الرّأس والأصل لهذه المادّة، نظراً إلى قولهم: نَمَتَ الشَّيْءُ أَكْثُهُ نَمًّا، أي نَمَتَهُ بالثَّمام، ومنه: نَمَّ يَنْمُو نَمًّا، أي أصلح، ونَمَّتْ أمورِي: أصلحتها ودرمتها، والميم: الذي يرعى على مَنْ لاراعي له، ويَنْمُو ما جازع عن المي من أمرهم.

ولعلّ ناه بدل من السِّن، إذ يقال منه: سَمَتَ الشَّيْءُ أَكْثَهُ، أي أصلحته، وسَمَّتْ بين القوم: أصلحت.

الَّذِي لَا يَدَانِي، وهذا يخصّ التشريع.

وفي (٢) إشارة إلى مظهر من مظاهر قدرة الله في خلاص موسى وقومه من فرعون وقومه بسق البحر، وإنجاء الأولين، ثم إهلاك الآخرين.

وفي (٣) إشارة إلى ذلك التعميم العظيم في الجنة للأبرار، وهذا خاص بالآخرة.

وفي (٤) إشارة إلى مقام القرب الربوبي، صاحب العرش العظيم الذي وكل هناك جبرائيل - وهو أعظم ملائكته - مطاعاً أميناً على الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين.

فسبحان الله، حيث غصص هذه الكلمة (ثم) بالإشارة إلى ذلك المقام العالي الربوبي، سواء في الدنيا أو في الآخرة. وهذه نكتة لم يدركها المفسرون، فخذها تفهم.

ثانياً: اختلفوا في معنى الآية (١) وفي سبب نزولها، قال الطبرسي (١: ١٩١): «اختلف في سبب نزول هذه الآية، فقيل: إن اليهود أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة من بيت المقدس، فزلت الآية ردّاً عليهم. عن ابن عباس، واختاره الجبائي، قال: بين سبحانه أنه ليس في جهة دون جهة، كما تقول الجئمة.

وقيل: كان للمسلمين التوجه حيث شاءوا في صلاتهم، وفيه نزلت الآية، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿قُولُوا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة: ١٤٩، عن قتادة قال: وكان النبي ﷺ قد اختار التوجه إلى بيت المقدس، وكان له أن يتوجه حيث شاء.

وقيل: نزلت في صلاة التطوع على الراحلة، تُصلّيها

حينما توجهت إذا كنت في سفر، وأما الفرائض فبقوله: ﴿وَحِينَئِذٍ تَأْتِيكُمْ قَوْلُوا لِيُجْوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة: ١٤٤، يعني أن الفرائض لا تُصلّى إلا إلى القبلة. وهذا هو المروي عن أنس بن مالك، قالوا: وصل رسول الله ﷺ إيماء على راحلته أينما توجهت به، حيث خرج إلى خيبر، وحين رجع من مكة، وجعل الكعبة خلف ظهره.

وروي عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة، فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة، هي هاهنا قبيل الشمال، فصلّوا وخطّوا خطأ، وقال بعضهم: القبلة هاهنا قبيل الجنوب، وخطّوا خطأ، فلما أصبحوا وطلمت الشمس، أصبحت تلك الخطوط تغير القبلة، فلما قتلنا من سفرنا سألتنا النبي ﷺ عن ذلك، فسكت، فأنزّل الله تعالى هذه الآية.

وقال في معنى ﴿فَأَنبَأْنَا تَوَلُّوْا فَهَمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾: (١): (١٩١) «أي أينما تولّوا وجوهكم فهناك وجه الله، أي قبلة الله، عن الحسن ومجاهد وقاتدة... وقيل: معناه فتم الله يعلم ويرى، فادعوه كيف توجهتم... وقيل: معناه فتم رضوان الله، يعني الوجه الذي يؤدي إلى رضوانه، كما يقال: هذا وجه الصواب، عن أبي علي والرّماني».

وعندنا أن الأقرب إلى الصواب - مع ملاحظة سائر الآيات في هذه السورة بشأن تغيير القبلة، حيث واجه اعتراض اليهود في المدينة، كما قال: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْهُمْ عَنْ مَسْجِدِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ البقرة: ١٤٢ - هو أن الآيات كلّها مدنية، نزلت بشأن تغيير القبلة عن بيت المقدس

إلى الكعبة . وهذا ما كان يتصناه المؤمنون والتي بالذات ، كما قال : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ الْبَقَرَةُ : ١٤٤ .

فهذه الآية ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقِيُّ وَالْمَغْرِبِيُّ ﴾ تعهد لردّ دعوالمهم ، حيث زعموا أَنَّ القبلة تعبير عن مكان الله ، فأبطل زعمهم هذا قبل إعلان تغيير القبلة بأنّه ليس لله مكان وجهه ، وليس في المشرق والمغرب ، فإنها لله وليسا جهة له . بل (أيضا) تولّوا فتمّ وجه الله) وقد أعاها مرة أخرى في آية تغيير القبلة هذه ، تأكيداً لما ذكره أولاً ، وكذا في ﴿ تَبَيَّنَ الْبَرُّ أَنَّ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِيِّ وَالْمَغْرِبِيِّ ﴾ البقرة : ١٧٧ .

وماكانت القبلة الأولى باختيار النبي - كما قيل - بل بإرشاد الله كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعْلَمَ مِنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَيْنَا عَقِبَيْهِ ﴾ البقرة : ١٤٣ . وقد كانت هذه الحادثة امتحاناً للمؤمنين الصادقين الذين رضوا بقبلة اليهود وهم منهم متنفرون ، وعليهم غاضبون . وكانت أيضاً إغراء واستألة لليهود ، حيث أقرّ الإسلام قبلتهم ، فأحسنوا الظنّ بالإسلام ، ولما غيرّها صوب المسجد الحرام أنكروها ، بل أمروا على رفضها ، كما قال : ﴿ وَلَوْ لَوْنٌ أَتَيْنَتْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَكُلُّ أَيْمَةَ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ البقرة : ١٤٥ .

أما الاحتجاج بالآية على جواز الاكتفاء بمجهة المشرق والمغرب في صلاة الثالثة أو الفريضة في السفر ، فهذا احتجاج بالسنة دون الكتاب ، لاحظ "ق ب ل" .

ثالثاً : مثل الله تعالى في (٢) قدرته القاهرة في نجاة موسى ومن معه ، وهلاك فرعون ومن معه بأحسن بيان ،

في آيات قبلها ومعدّها : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا فِي الْأَيْمَانِ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ فَاسْمِعْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى إِذَا تُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ الْوَجْهُ ﴾ البقرة : ٦٨ - ٦٩ .

وقد عبر قبل هذه الآيات عن الفريقين بأسمائهما : موسى وبني إسرائيل في جانب ، وفرعون وأتباعه في جانب آخر ، أمّا في هذه الآيات فقد ذكر موسى ومن معه ثلاث مرّات ، ولم يعبر عن فرعون وقومه إلا بلفظ (الأخريين) مرّتين ، تحقيراً لهم وكسراً لشوكتهم وكبحاً لطغيانهم واستكبارهم . ويرمز لفظ (ثم) معهم في السورة الأولى إلى ذروة قهر الله وقدرته ، أي أنّه تعالى أزلهم هناك وقرب هؤلاء البعداء عن ساحة الرحمة والامتنان إلى مذلة التي والافتتان .

رابعاً : في (٣) يموت :

١ - أشار الله بلأثم إلى تلك المواقف الكريمة العالية للأبرار في الجنة التي سردها في (١٥) آية - (٥ - ١٩) - تأكيداً لنهاية علوّها يبعدها عن العبد وقربها إلى الرّب ، فقال : ﴿ وَإِذَا زُلْزِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَزُلْزِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَزُلْزِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

وهذا السياق بالذات منفرد في القرآن ، حيث جاء بلسان الفرض والتقدير ﴿ وَإِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ ، كأنّه أمر مستبعد ، قلّما يقع ويصدق أن يتمكن إنسان من نظر ورؤية ذلك الزحباب المفدّس الفائق ، فلو حدث أن رأى أحد (ثم) رأى نعيمًا وملوكًا كبيرًا ، فناظر بين (نعيماً) و(ملوكًا)

جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» الذَّهَر: ٢٦، ٢٢. رَطَّا
بسينها وسين ما ومنهم به من الأعمال: ﴿يُوقُونَ
بِالنَّذْرِ...﴾ إلى قوله: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾
الذَّهَر: ٩٧، أي أنكم إذا لا تريدون جزاء وشكراً من
هؤلاء الأيتام والمساكين والأسرى، فإنما نجزيكم
ونكيل لكم بصاع الملوك في هذه النعم الكبرى، ﴿وَكَانَ
سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ الذَّهَر: ٢٢. لاحظ (ب ر): الأبرار،
فتجد فيها بحثاً وافياً حول هذه الآيات.

٣- قال بعضهم: معناها «وإذا رأيت ما تمم» بحذف
الموصول، وهو مفعول (رَأَيْتَ)، كما قيل في ﴿لَقَدْ تَطَطَّعَ
بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، أي ما بينكم. وردة الآخرون بأنَّ
(ثُمَّ) حينئذ تكون صلة له «ما»، ولا يجوز حذف الموصول
وترك الصلة. وأجاب عنه أبو حنيفة بأنَّ ذلك ليس بمغفل
بجمع عليه، بل قد أجازها الكوفيون، وثم شواهد من
لسان العرب.

وأما الطَّبَرِيُّ فقال: «وعنى بقوله: (ثُمَّ) الجنة» ونحوه
الزَّجَّاج، فجعله مفعول (رَأَيْتَ)، وجعله الزَّجَّاجُ
ظرفاً له، أي إذا رأيت في الجنة. والأولى أنه مفعول له،
لكن أريد به تلك المواقف المذكورة والمجرى الذي أحاط
بها، دون الجنة نفسها كما قاله الطَّبَرِيُّ، فهذا أوفق بما
عبرنا عنه به «عرف القرآن».

خامساً: جاءت (ثُمَّ) في (٤) بسياق يشبه سياق (٣)
إشارة إلى جؤ الملك، حيث قال بشأن جبرائيل في
رحاب القدس الإلهي، صاحب العرش العظيم: ﴿ذِي
قُوَّةٍ﴾ أي فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ
الرسالة ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، والمرش رمز

بالتكثير، إشعاراً بأنها لا يدرَك وصفها وعظمتها. ثم
جمعها في وصف (كَبِيرًا) بالتكثير أيضاً لنفس السبب،
كأنها لا يوصفان ولا يحدان إلا به (كَبِيرًا) وكفى. ويشعر
الجمع بين (نَعِيمًا) و(مُلْكًا) أيضاً ببلوغ النعمة نهايتها،
فإن نهاية سعة النعمة هي الملك، فالأبرار ملوك الجنة،
يسمهم ما يسع الملوك في سلطانهم.

قال الطَّبَرِيُّ (٥: ٤١١): «نَعِيمًا خَظِيرًا وَمُلْكًا
كَبِيرًا، لا يزول ولا يفنى، عن الصادق عليه السلام. وقيل:
(كَبِيرًا) أي واسعًا، يعني أن نعيم الجنة لا يوصف كثرة،
وإنما يوصف بعضها. وقيل: الملك الكبير استئذان
الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام. وقيل: هو أنهم
لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه. وقيل: هو أدناهم منزلة
يظهر في ملكه من مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى
أدناه. وقيل: هو الملك الدائم الأبدي في نفاذ الأمر
وحصول الأمان».

٢- كَأَنَّ هَذِهِ آيَةُ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ...﴾ إجمال
وفذلكة لتلك النعم العظام الجامعة للشرب واللباس
وطواف النملان عليهم، والسقي بأيديهم من أواني الفضة
والقوارير، ومن الكأس والسلسيل. وهذه هي حياة
الملوك في الدنيا. فوقت الفذلكة موضعها: حيث جمعتها
في «نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا». ولم يكتف بها، بل أتمها
ووصفها مرة أخرى بما يخص الملوك من دون تكرار
حرف العطف، وكأنها شرح لهذا الإجمال، وتركيز بعد
تركيز في أنهم ملوك حقاً، فقال: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ مَنُذَرِيں
خُضْرٌ وَأَشْهَرَةٌ وَخُلُوعٌ مُّسَوِّدٌ مِنْ يَدَيْهِمْ وَهُمْ
قَرَابَاطٌ مُّطَوَّرٌ﴾، ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ

القدرة والسطة والسيطرة للملوك، والله ذو العرش ملك الملوك، وعرشه محيط بالعالم فجبرائيل مكيّن عنده كالوزير الأعظم عند ملوك الدنيا.

قال الطبرسي (٥: ٤٤٦): «معناه متمكّن عند الله، صاحب العرش وخالفه، رفيع المنزلة، عظيم القدرة عنده، كما يقال: فلان مكيّن عند السلطان، والمكانة:

القرب، ﴿مُطَاعٍ تَمَّ﴾ أي في السماء عند المحضرة الربوبية تطيعه ملائكة السماء... (أمين) على وحي الله ورسالاته إلى أنبيائه. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال لجبرئيل: ما أحسن ما أتى عليك ربك: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ﴿مُطَاعٍ تَمَّ أَمِينٍ﴾! لما كانت قوّتك؟ وما كانت أمانتك؟... الحديث»

ث م ن

٧ ألفاظ ١٩ مرة: ٨ مكِّيَّة، ١١ مدنيَّة

في ١٣ سورة: ٧ مكِّيَّة، ٦ مدنيَّة

ثانيهم ١: ١	ثمانين ١: ١	يقال: ثمانية رجال، وثمانى نساء، ولا يقال: ثمان.
ثمانىي ١: ١	الثَّمن ١: ١	[ثم استشهد بشعر]
ثمانية ٤: ٤	ثَمَنًا ١٠: ١٠	هن ثمانى عشرة امرأة، مفتوحة الياء، هما اسمان
بَثْن ١: ١		جُملاً اسماً واحداً، فُتحت أواخرها.

(الأزهرى ١٥: ١٠٧)

ابن الأعرابي: المِثْمَنَةُ: الخِلافة.

(الأزهرى ١٥: ١٠٧)

أبو عبيد: الثَّمن والثَّمين: واحد. [ثم استشهد
بشعر]

ابن السكيت: والثَّمن: مصدر ثَمَنْتُ القوم
أَتَمُّهُمْ، إذا أخذت ثَمَنَ أموالهم، ومصدر ثَمَنْتُهُمْ أَتَمُّهُمْ،
إذا كنت لهم ثامناً.

والثَّمن: ثمن السِّلعة. (إصلاح المطلق: ٥٦)

شَير: ثَمَنْتُ الشيء، إذا جمعته، فهو ثَمْنٌ.

وكساء ذو ثَمَاني: عُجل من ثَمَاني جِزرات. [ثم]

النُّصوص اللُّغويَّة

الليث: ثَمَنَ كُلَّ شيء: قيمته. (الأزهرى ١٥: ١٠٦)

يسبيويه: ثَمَاني إذا سَمِيتَ به رجلاً فلا تُصَرَف، لأنَّها
واحدة كقَتَاق.

وياء ثَمَاني كياء قُرِّي ويُحْتَق، لحقت كلعاق ياء ثَمَاني
وشَأَم، وإن لم يكن فيها معنى إضافة إلى بلد ولا إلى أب،
كما لم يك ذلك في بَحْتِي. (٢٣١: ٣)

الريساوي: أَثَمَنْتُ الرِّجْلَ متاعه، وأَثَمَنْتُ له، بمعنى
واحد. (الأزهرى ١٥: ١٠٦)

الأصمعي: الثَّمانى: ثَبَتَ. (الأزهرى ١٥: ١٠٦)

التسب، كما قالوا: دُهرَي وسُهْلَي، وحذفوا منه إحدى ياءي التسب وعوضوا منها الألف، كما فعلوا في المنسوب إلى الين، فثبتت ياءه عند الإضافة كما ثبتت ياء القاضي، فنقول: ثَمَانِي نِسْوَةٍ وَثَمَانِي سَائَةٍ، كما نقول: قاضي عبد الله، وتسقط مع التثنية عند الرفع والجر، وتثبت عند التسب، لأنه ليس بجمع فيجري مجرى جَوَارٍ وَسَوَارٍ في ترك الصّرف. وما جاء في الشعر غير مصروف فهو على توهم أنه جمع.

وقولهم: التوب سَبْعٌ فِي ثَمَانٍ، كان حقه أن يقال ثمانية، لأنَّ الطَّوْلَ يذرع بالذراع وهي مؤنثة، والعرض يُشَبَّرُ بالشَّبر وهو مذكر. وإنما أتوه لما لم يأتوا بذكر الأشبار، وهذا كقولهم: صننا من الشهر خمسًا، وإنما يراد بالصوم الأيام دون الليالي، ولو ذكر الأيام لم يجد بُدًّا من التذكير.

وإن صقرت الثمانية فأنت بالخيار: إن شئت حذف الألف، وهو أحسن، فقلت: ثَمْنِيَّة. وإن شئت حذفت الياء فقلت: ثَمْنِيَّة. فليت الألف ياءً وأدغمت فيها ياء التصغير، ولك أن تعوض فيها. [ثم استشهد بشر]

وَمَنْعَتُ الْقَوْمِ أَمْنُسُهُمْ بِالْقَمَرِ، إِذَا أَخَذَتْ ثَمْنَنُ أَمَاطَهُمْ، وَأَمْنُسُهُمْ بِالْكَسْرِ، إِذَا كُنْتَ ثَامِنَهُمْ. وَأَمْنَنُ الْقَوْمِ: صَارُوا ثَمَانِيَّةً.

وشيءٌ ثَمْنَنٌ: جُعِلَ لَهُ ثَمَانِيَّةُ أَرْكَانٍ. وَأَمْنَنُ الرَّجُلِ، إِذَا وَرَدَتْ إِلَيْهِ ثَمْنَنًا، وَهُوَ ظِمٌّ مِنْ أَظْلَانِهَا.

وقولهم: «هو أحق من صاحب ثَمَانِينَ»، وذلك أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَشَرَ كَسْرَى يُشْفَرُ شَرُّهَا، فَقَالَ:

[استشهد بشر] (الأزهرى ١٥: ١٠٧) ابن دُوَيْدُ: الثَمْنَنُ معروف، وَأَمْنَنُ الشَّيْءِ هُوَ ثَمْنَنٌ وَثَمْنَنٌ، إِذَا كَثُرَتْ ثَمَنُهُ.

وَمَثَلٌ مِنَ الْعَدَدِ مَعْرُوفٌ، وَيَجْمَعُ الثَّمْنَنُ أَثْمَنًا وَأَثْمَانًا. [ثم استشهد بشر]

وَالثَّمْنَيْنِ وَالثَّمْنَنِ: الْجَزَاءُ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ مِنْ أَيْ مَالٍ كَانَ. قَلَّ أَوْ كَثُرَ. وَيَجْمَعُ ثَمْنٌ عَلَى ثَمْنٍ وَأَثْمَانٍ. [ثم استشهد بشر] (٥: ٢)

الفَصَاحَةُ: الثَّمْنَنُ مَعْرُوفٌ، وَجَمْعُهُ: أَثْمَانٌ. وَتَوْبٌ ثَمْنَنٌ: كَثِيرُ الثَّمْنَنِ. [ثم استشهد بشر] وَالثَّمْنَيْنِ: الَّذِي يُوْرَدُ إِلَيْهِ ثَمْنَنًا، وَالْقَوْمُ مُثْمِنُونَ: يُلْهِمُ تَوَابِينَ، وَفِي الْمَثَلِ: «أَحَقُّ مِنْ رَاحِي ضَانٍ ثَمَانِينَ». وَأَمْنَنُ الْبَيْعِ: جُعِلَ لَهُ ثَمْنَنًا. وَالثَّمْنَنُ وَالثَّمْنَيْنِ: جِزَاءٌ مِنْ ثَمَانِيَةٍ.

وَكَسَاءٌ ذُو ثَمَانٍ، أَيْ عَمَلٌ مِنْ ثَمَانِيَةِ جِزَرَاتٍ مِنَ الصُّوفِ. وَالمِثْمَنَةُ: أَعْظَمُ مِنَ المِخْلَافَةِ، يَجْتَلِ فِيهَا الرَّاحِي طَعَامَهُ.

وَالثَّمَانِي: ثَبَتَ، وَأَرْضٌ أَيْضًا، وَهَضْبَاتٌ غَيْرُ مُشْرِفَاتٍ. وَالمِثْمَنُ: الْمَسْجُومُ.

وَالثَّمَانَيْنِ: جِوَاءٌ لِبَنِي ظَالِمٍ مِنْ مُخِيرٍ.

وَالثَّمِينَةُ: اسْمُ أَرْضٍ، فِي قَوْلِ سَاعِدَةَ. (١٠: ١٥٧) الجَوْهَرِيُّ: «ثَمَانِيَّةُ رِجَالٍ وَثَمَانِي نِسْوَةٍ» وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَنْسُوبٌ إِلَى الثَّمْنَنِ، لِأَنَّهُ الْجِزَاءُ الَّذِي صِيرَ السَّبْعَةُ ثَمَانِيَّةً، فَهُوَ ثَمْنَنُهَا، ثُمَّ فَتَحُوا أَوَّلَهُ لِأَنَّهُمْ يَغَيِّرُونَ فِي

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا بَيِّنَاتٍ لِّسْمَاعِ قَلِيلًا﴾

البقرة: ٤١، فأدخل الباء في الآيات، وقال: ﴿وَقَرَّوْهُ بِقَتْنٍ يَحْسِبُ﴾ يوسف: ٢٠، فأدخل الباء في التسن، قال القراء: هذا لأن العروض كلها أنت مخير في إدخال الباء فيها، إن شئت قلت: اشتريت بالتوب كساء، وإن شئت قلت: اشتريت بالكساء ثوبا، أيها جعلته ثوبا لصاحبه جاز. فإذا جئت إلى الدرهم والدنانير وضعت الباء في التسن، لأن الدرهم أبداً تَن. (١٩٨)

الهزوي: التسن: قيمة الشيء. جعل التسن مُشْتَرَى كسائر السلع، لأن التسن والمُتَسَن كلاهما مبيع، ولذلك أجيز: شَرَيْتُ، بمعنى بَعْتُ. (٢٩٨)
ابن سيده: التسن، والتسن، والتسين من الأجزاء: معروف يطرد ذلك عند بعضهم في هذه الكسور، وهي الأثمان.

وَتَمَنَّمُ يَتَمَنَّمُ - بِالضَّمِّ - تَمَنَّا: أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

والقبانية: من العدد، معروف أيضاً.

ويقال: ثمان، على لفظ يمان، وليس يَنْسَب، وقد

جاء في الشعر غير معروف. [ثم استشهد بشر]

وقال أبو علي الفارسي: ألف ثمانٍ للثَّسب.

قال ابن جني: فقلت له: لم زعمت أن ألف ثمانٍ للثَّسب؟

فقال: لأنها ليست بجمع مكسر، فتكون كصحار.

قلت له: نعم، ولو لم تكن للثَّسب لَرَمَتْهَا المَاءُ أَلْبَتَّةَ،

نحو عَابَقِيَّةٍ وكِرَاهِيَّةٍ وسِبَاهِيَّةٍ؟ فقال: نعم، هو كذلك.

وحكى ثعلب: ثمان، في حدة الرَّفْع. [ثم استشهد

بشعر]

سلي ماشتت، فقال: أَسْأَلُكَ حَاضَةً ثَمَانِينَ.

والتسن: ثَمَنُ المبيع، يقال: أَقْنَتُ الرَّجُلَ مَتَاعَهُ،

وَأَقْنَتُ لَهُ. [ثم استشهد بشر]

والتسين: التَّسْنُ، وهو جزء من التَّسَانِيَةِ. [ثم

استشهد بشر]

وشيء ثمين، أي مُرَكَّبُ التَّسْنِ.

وثمانية: اسم موضع. (٥: ٢٠٨٨)

ابن فارس: الثاء والميم والثون أصلان: أحدهما

عِوَضُ مَا يُبَاعُ، والآخر جزء من ثمانية.

فالأول قولهم: بَعْتُ كَذَا وَأَخَذْتُ مِنْهُ. [ثم استشهد

بشعر]

وأما التَّسْنُ فواحدٌ من ثمانية. يقال: تَمَنَّتِ الْقَوْمُ

أَتَمَّتْهُمْ إِذَا أَخَذَتْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. والتَّسْنُ: التَّسْنُ. [ثم

استشهد بشر]

ومما شَذَّ عن الباب (ثَمِينَة) وهو بلد. [ثم استشهد

بشعر]

ومنه أيضاً المِثْمَنَةُ، وهي المِخْلَافَةُ. (١: ٣٨٦)

أبو هلال: الفرق بين التَّوَضُّ والتَّسْنِ: أَنَّ التَّسْنَ

يُسْتَعْمَلُ فِيكَانَ عَيْنًا أَوْ وَرْقًا، وَالتَّوَضُّ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ

وَمِنْ غَيْرِهِ، تَقُولُ: أَعْطَيْتُ ثَمَنَ السَّلْعَةِ عَيْنًا أَوْ وَرْقًا،

أَعْطَيْتُ عِوَضَهَا مِنْ ذَلِكَ أَوْ مِنَ التَّوَضُّ. وَإِذَا قِيلَ:

التَّسْنَ مِنْ غَيْرِ الْعَيْنِ وَالْوَرَقِ فَهُوَ عَلَى التَّشْبِيهِ.

الفرق بين القيمة والتسن: أَنَّ الْقِيَمَةَ هِيَ الْمَاوِيَةِ

لِمَقْدَارِ الْمَثْنِ مِنْ غَيْرِ تَقْصَانٍ وَلَا زِيَادَةٍ، وَالتَّسْنَ قَدْ

يَكُونُ بِحَسَابٍ وَقَدْ يَكُونُ وَفَقًا وَزَانِدًا. وَالْمَلِكُ لَا يَدُلُّ عَلَى

التَّسْنَ، فَكُلُّ مَا لَهُ ثَمَنٌ مَمْلُوكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ ثَمَنٌ.

وَمَنْهُمْ يَكْتُمُ قَوْلًا كَانَ لَهُمْ ثَمًا.

وَالشُّنُّنُ مِنَ الْقَرُوضِ: مَا بَقِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ.

وَالشُّنُّ: الْإِلِيلَةُ الثَّامِنَةُ مِنَ أَطْلَاءِ الْإِبِلِ.

وَالشَّانُونُ: مِنَ الْعِدَدِ، مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ

الَّتِي قَدْ يُوصَفُ بِهَا. [ثم استشهد بشر]

وَالشَّامِيُّ: مَوْضِعٌ بِهِ هَضَابٌ مَعْرُوفٌ أَرَاهَا ثَمَانِيًا. [ثم

استشهد بشر]

وَالشُّنُّ: مَا اسْتَحَقَّ بِهِ الشَّيْءُ، وَالْجَمْعُ: أَشْهُانُ،

وَأَمَّنْ، لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ أَدْنَى الْعِدَدِ. [ثم استشهد بشر]

(١٠: ١٦٧)

الشَّانِيَّةُ: عِدَدٌ بِلِي السَّبعةِ لِلْمَعْدُودِ الْمَذْكُورِ، وَمَحْذُفٌ

الْهَاءُ لِلْمَوْثُتِ، مَنَ الْقَوْمِ يَكْتُمُهُمْ قَوْلًا: حَارِ ثَامِنِهِمْ.

وَأَمَّنْ الْقَوْمِ: صَارُوا ثَمَانِيَةً. وَشُكِّنَ: جَعَلَهُمْ ثَمَانِيَةً،

وَالشَّيْءُ: جَعَلَ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَرْكَانٍ.

وَإِذَا أُخِيفَ الشَّانِيَّةُ إِلَى مَوْثُتٍ تُحْذَفُ الْهَاءُ وَتُجَبَّتْ

الْيَاءُ، تَقُولُ: جَاءَ ثَمَانِي نِسْوَةٍ، وَرَأَيْتُ ثَمَانِي نِسْوَةٍ.

وَإِذَا لَمْ تَضَفْ قُلْتَ: عِنْدِي مِنَ الْبَقَرِ ثَمَانِي، بِمَحْذُفٍ

الْيَاءِ، وَغَرَسْتُ مِنَ الشَّجَرِ ثَمَانِيًا.

وَأَنْتَ فِي الْمَرْكَبِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ سُكُونِ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا،

تَقُولُ: عِنْدِي ثَمَانِي شَجَرَةً وَثَمَانِي عَشْرَةً؛ وَتُحْذَفُ

الْيَاءُ بِشَرْطِ فَتْحِ الثَّوْنِ.

فَإِنْ كَانَ الْمَعْدُودُ مَذْكُورًا قُلْتَ: عِنْدِي ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ

رَجُلًا يَأْتِيَاتُ الْهَاءُ. وَيَقَالُ: هُوَ ثَامِنٌ ثَمَانِيَةً.

(الإفصاح ٣: ١٢٥٣)

الْعُلُوسِيُّ: فَالْثَمْنُ وَالْعَوْضُ وَالبُكْلُ ظَانِرٌ، وَبَيْنَهَا

فَرْقٌ، فَالْثَمْنُ: هُوَ الْبَدَلُ فِي الْبَيْعِ مِنَ الْمَعِينِ أَوْ الْبُرْقِ.

وَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِهَا كَانَ مُشَبَّهًا بِهَا وَمَجَازًا.

وَالْعَوْضُ: هُوَ الْبَدَلُ الَّذِي يَنْتَفَعُ بِهِ كَانْتِهَا مَا كَانَ.

وَأَمَّا الْبَدَلُ: فَهُوَ الْجَمْعُ لِلشَّيْءِ مَكَانَ غَيْرِهِ.

وَيَقَالُ: ثَمَنَ تَمِينًا، وَثَامَنَهُ ثَمَانَةً. وَيَجْمَعُ الثَّمْنُ:

أَثْمَانًا وَأَثْمَانًا. [ثم استشهد بشر]

وَالثَّمْنُ: جِزَاءٌ مِنَ الثَّمَانِيَةِ أَجْزَاءً، مِنْ لَيْ مَالٍ كَانَ.

وَتَوْبُ ثَمِينٍ، إِذَا كَانَ كَثِيرَ الثَّمْنِ. [ثم ذكر الفرق

بَيْنَ الثَّمْنِ وَالْقِيَمَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ عَنْ أَبِي هَلَالٍ] (١: ١٨٧)

الرَّاعِبُ: الثَّمْنُ: اسْمٌ لَمَّا يَأْخُذُ الْبَائِعُ فِي مَقَابِلَةِ

الْمُبِيعِ عَيْنًا كَانَ أَوْ سِلْقَةً، وَكُلٌّ مَا يَحْصِلُ عَوْضًا عَنْ شَيْءٍ

فَهُوَ ثَمَنُهُ. [إلى أَنْ قَالَ:]

وَأَثْمْتُ الرَّجُلَ بِثَمَانَةٍ وَأَثْمْتُ لَهُ: أَكْثَرْتُ لَهُ الثَّمْنَ،

وَشَيْءٌ ثَمِينٌ: كَثِيرُ الثَّمْنِ.

وَالثَّمَانِيَّةُ وَالشَّانُونُ وَالشُّنُّ: فِي الْعِدَدِ، مَعْرُوفٌ.

وَيَقَالُ: ثَمَنَتْهُ: كُنْتُ لَهُ ثَمَانًا، أَوْ أَخَذْتُ ثَمَنَ مَالِهِ.

(٨٢)

نَحْوُهُ الْفَيْرُ وَزَابَادِي. (بصائر ذوي التمييز ٢: ٣٤٣)،

وَيَجْمَعُ اللَّفْظُ (١: ١٧٤)، وَمَحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ (٩٧).

الْعَصْرِيُّ: يَقُولُونَ لِمَنْ يَكْثُرُ ثَمَنُهُ: ثَمِينٌ،

فَيُؤَمَّرُونَ فِيهِ، لِأَنَّ «الْثَمِينَ» عَلَى قِيَاسِ كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ

الَّذِي صَارَ لَهُ ثَمَنٌ وَلَوْ قَلَّ. كَمَا يَقَالُ: غُصْنٌ مُورِقٌ، إِذَا بَدَأَ

فِيهِ الْوَرَقُ، وَشَجَرٌ مُثْمِرٌ إِذَا أَخْرَجَ الْقَمْرَةَ، وَالْمَرَادُ بِهِ

غَيْرُ هَذَا الْمَعْنَى، وَوَجْهُ الْكَلَامِ أَنْ يَقَالُ فِيهِ: ثَمِينٌ، كَمَا

يَقَالُ: رَجُلٌ لَمِيمٌ، إِذَا كَثُرَ لِحْمُهُ، وَكَبِشٌ شَحِيمٌ، إِذَا كَثُرَ

شَحْمُهُ. وَفِي كَلَامِ بَعْضِ الْبُلْغَاءِ: «قَدَّرَ الْأَمِينُ

(٥٥)

ثَمِينٌ».

(١: ٢٧٥)

ابن الأثير: يقال: ثامت الزجل في الميع أنامته، إذا قاولة في ثمة، وسامته على بيته واشتراته.

(١: ٢٢٣)

القيومي: الثسن: العوض، والجمع: أثمان، مثل سبب وأسباب، وأثن قليل، مثل جبل وأجبل.

وأثنت الشيء وزان أكرمه: بعته بشئ، فهو ثمن، أي مبيع بشئ.

وتثنته تثميناً: جعلت له ثمنًا بالحدس والتخمين. والثمن بضم الميم للإتياع، وبالتسكين جزء من ثمانية أجزاء.

والثمين مثل كريم: لغة فيه.

وثمنت القوم من باب «ضرب»: حيرت ثامتهم، ومن باب «قتل»: أخذت ثمن أموالهم.

والثمانية بالهاء: للمعدود المذكور، وبهذا للمؤنث، ومنه: «سبع ليالٍ وثمانية أيام» الحاقه: ٧.

والقوب سبع في ثمانية، أي طوله سبع أذرع وعرضه ثمانية أشبار، لأن «الذراع» أنش في الأكثر، ولهذا حذفت العلامة معها، والشبر مذكر.

وإذا أضفت «الثنائية» إلى مؤنث ثبتت الياء ثوبتها في القاضي، وأعراب إعراب المتقوس، تقول: جاء ثماني نشوة، ورأيت ثماني نسوة، تظهر الفتحة.

وإذا لم تُضِف قلت: عندي من النساء ثمان، ومزوت منهن بيتان، ورأيت ثماني.

وإذا وقفت في المركب تخيرت بين سكون الياء وفتحها، والفتح أفصح، يقال: عندي من النساء ثماني

يقولون: عندي ثمان نسوة وثمان عشرة جارية وثمان مائة درهم، فيحذون الياء من «ثمان» في هذه المواطن الثلاثة، والصواب إثباتها، فيقال: ثماني نسوة وثمان عشرة جارية وثمان مائة، لأن «الياء» في ثمان ياء المتقوس، وياء المتقوس تثبت في حالة الإضافة وحالة التصب، كالياء في قاض.

والتصغير: ثمتهم أثمتهم: كنت ثامتهم بالكسر، وبالثم: أخذت ثمن أموالهم.

وكانوا سبعة فاثمتوا، أي صاروا ثمانية. وأخذت فلانة ثمنها من تركة زوجها. [ثم استشهد بشر]

وليل نواس: من الثسن، بمعنى الظلم. وكساء ذو ثمان: عُيل من ثمان جزات. [ثم استشهد بشر]

ومتاع ثمن: كثير الثسن، وسيلعة ثمنية، وقد ثمنت ثمانية. وتقول: هذا المتاع الثمين، لك منه الثمين.

وأثنت الرجل بمناعه، وأثنت له: أعطيته ثمة. وأثنت البيع: سميت له ثمنًا. [ثم استشهد بشر]

وثن هذا المتاع: بين ثمة، كما تقول: قومه. وثن بين يدي البائع الثمن والمثمن أو المثسن.

(أساس البلاغة: ٤٨)

الصدني: في حديث بناء المسجد: «ثاموني بما طلكم». أي قروا معي ثمة ويؤني بالثمن، وكذلك أثموني به.

وأثن له به: أعطاه ثمة. وثن متاعه: قوته.

الشم، وتدل على ما يتولد ويحصل من شيء. وأما العدد الخصوص فالتحقيق أنه مأخوذ من اللغة العبرية، وليس مأخوذاً من هذه المادة، لعدم التناسب بينها.

فيقال في العبرية: **בְּלִילָה** ١٦٦٣ شمونا = ٨، فتحوّلت في العربية إلى ثمانية، وكذلك سائر الأعداد. (٢: ٢٩)

النصوص التفسيرية

ثَمَنًا

١... وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونِ.

البقرة: ٤٦

الحسن: هو الدنيا بمذاخيرها. (التفسير: ١: ٤٥)
الفراء: وكل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن، وأدخلت الباء في المبيع أو المشتري، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشئين لا يكونان ثمنًا معلومًا، مثل الدنانير والدرهم، فمن ذلك: اشترت نوبًا بكساء، أيها شئت تبعله ثمنًا لصاحبه، لأنه ليس من الأثمان؛ وما كان ليس من الأثمان، مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا.

فإن جئت إلى الدرهم والدنانير وضعت الباء في الثمن، كما قال: «وَقَرَوُا يَمْعَيْنِ يَحْمِي دَرَاهِمَ مَقْدُودَةٍ» يوسف: ٢٠، لأن الدرهم غن أبداً، والباء إنما تدخل في الأثمان، فذلك قوله: «اشْتَرَوْا بِآيَاتِي اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» التوبة: ٩، «اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِآخِرَةِ» البقرة: ٨٦، «اشْتَرَوْا الضَّلَاةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالتَّغْفِيرِ» البقرة: ١٧٥.

عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَمُحَذَفُ الْيَاءِ فِي لُغَةِ بَشَرٍ فَتَحَ التَّوَنَ.

فإن كان الممدود مذكراً قلت: عندي ثمانية عشر رجلاً، بإثبات الهاء. (٨٤)

الغبرور ابادي: الثمنُ الصَّغِيرُ وبضئتين وكأثير: جزء من ثمانية أو يطرُد ذلك في هذه الكسور، الجمع: أثمان.

وَتَمَنَّهُمْ: أَخَذَ ثَمَنَ ما لهم، وكَفَرْتَهُمْ: كان تامنهم. وثمان كمان: عَدَّةٌ وليس بنسب، أو في الأصل منسوب إلى «الثمن» لأنه الجزء الذي صير السبعة ثمانية فهو ثمنها، ثم فتحوا أولها لأنهم يغيرون في النسب، وحذفوا منها إحدى ياءي النسب، وعوضوا منها الألف، كما فعلوا في المنسوب إلى الين فبقيت ياءه عند الإضافة كما تَبَيَّنَتْ ياء الغاضي، فتقول: ثمانى نشوة وثمانى مائة، وتسطع مع التنوين عند الزفع والجر، وتثبت عند النسب. [ثم استشهد بشر]

وكمعظم: ما جعل له ثمانية أركان، والمسموم والمحموم.

والثمن بالكسر: الليلة الثامنة من أظاء الإبل. وأثن: وردت إليه ثمنًا، والقوم: صاروا ثمانية. وثن الشيء محرّكة: ما استحقّ به ذلك الشيء، الجمع: أثمان وأثن.

وَأَنَّهُ يَلْفَنَّهُ وَأَثْنُ لَهُ: أعطاه ثمنها. وثمانين: بلد بناء نوح عليه السلام، لما خرج من السفينة ومعه قانون إنسانًا. (٤: ٢٠٩)

المُضْطَقَّقِيُّ: والظاهر أن الأصل الواحد في هذه الكلمة: هو الوض في مقام المعاملة، وقريب منها كلمة

ابن عَطِيَّة: يعني الدنيا ومدتها، والعيش الذي هو
نزر لا خطر له. (١٣٥: ١)

الْفَقْرُ الْوَازِي: الاشتراء يوضع موضع الاستبدال،
فكذا التَّخَن يوضع موضع البدل عن الشيء والعرض
عنه، فإذا اختير على ثواب الله شيء من الدنيا فقد جعل
ذلك الشيء ثَمًّا عند فاعله. (٤٢: ٣)

الْبَيْضَاوِي: ولانستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها
حفظوا الدنيا، فإتباعها وإن جَلَّت، قليلة مستزلة،
بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حفظوا الآخرة بترك
الإيمان. (٥٣: ١)

نحوه الْبُرُوسِي (١١٨: ١)، وأبو السُّعُود (١٢٨: ١).
أَبُو حَيَّانٍ: والمعنى - والله أصلم - ولانستبدلوا
بآياتي العظيمة أنبياء حقيرة غيبة ولو أدخل الباء
على «التَّخَن» دون الآيات لانعكس هذا المعنى، إذ كان
يصير المعنى أنهم هم بذلوا ثَمًّا قليلًا وأخذوا الآيات.
(١٧٨: ١)

٢- إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ
وَيَفْتَرُونَ بِهِ كَذِبًا قَلِيلًا... البقرة: ١٧٤
السُّدِّي: كتموا اسم محمد ﷺ، وأخذوا عليه طمعا
قليلا، فهو القمن القليل. (١٢٨)

الْمَاوُزِدِّي: يعني قبول الرُشَى على كتم رسالته
وتغيير صفته، وسماه قليلا لانقطاع مدته وسوء
عاقبته. وقيل: لأن ما كانوا يأخذون من الرُشَى كان
قليلا.

(٢٢٣: ١)

فأدخل الباء في أي هذين شئت حتى تصير إلى
الدَّانِير والدَّرَاهِم، فَإِنَّكَ تُدْخِلُ الباءَ فَيَنْعَمُ مع العروض،
فإذا اشترت أحدهما - يعني الدَّانِير والدَّرَاهِم -
بصاحبه أدخلت الباء في أيهما شئت، لأنَّ كُلَّ واحد منهما
في هذا الموضع بيع وثمن.

فإن أحببت أن تعرف فرق ما بين العروض وبين
الدَّرَاهِم، فَإِنَّكَ تعلم أنَّ من اشترى عبداً بألف درهم
معلومة، ثم وجد به عيباً فردّه، لم يكن له على البائع أن
يأخذ ألفه بعينه، ولكن ألفاً. ولو اشترى عبداً بجمارية ثم
وجد به عيباً لم يُرجع بجمارية أخرى مثله، فذلك دليل
على أنَّ العروض ليست بأثمان. (٣٠: ١)

نحوه الطُّبْرُسِي.
الْبَغَوِي: أي عوضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أنَّ
رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من
سَفَلَتِهِمْ وَجَهَاتِهِمْ، يأخذون كلَّ عام منهم شيئاً معلوماً
من زروعهم وضروعهم ونقودهم، فخافوا أنهم إن بينوا
صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تقوتهم تلك المأكلة، فغيروا
نعتهم وكتموا اسمه عنهم، فاختاروا الدنيا على
الآخرة. (١١٠: ١)

نحوه الشَّرِيفِي.
الرَّمْخَمَقَرِي: والْتَمَنَ القليل: الرِّثَاسَةُ التي كانت
لهم في قومهم، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا تبعاً
لرسول الله ﷺ فاستبدلوا، وهي بدل قليل ومتاع يسير
بآيات الله والحق الذي كلَّ كثير إليه قليل وكلَّ كبير
إليه حقير، فإبال القليل الحقير. (٢٧٦: ١)
نحوه الثَّيَّسَابُورِي. (٢٩٧: ١)

وقبل التسعة من العدد، كما يقدّر الرُّبْع مقدار الكيل، وهو أربعة أقداح، والسِّدْس مقدار سنّ الإبل، وهو السَّنة الثامنة، والثَّانِي مقدار سنّ الفرس، وهو دخول السَّنة الرابعة، وغير ذلك مما جاء في اللغة.

ويقال منه: تَمَتَّه يَتَمَتَّهُ تَمَتًّا، أي كان لهم ثَمَنًا، وأَمَّنَ القوم: صاروا ثمانية، وكساء ذو ثمان: عُيْل من ثماني جزّات، وشيء مُتَمَنُّ: جُعِلَ له ثمانية أركان، والمُتَمَنُّ من العروض: ما يني على ثمانية أجزاء.

والثُّمْن والثُّنُّ: جزء من الثَّمانية، والجمع: ثَمَنان، يقال: تَمَتَّه يَتَمَتَّهُ تَمَتًّا، أي أخذ ثَمَنَ أموالهم، والتمين: جزء من الثَّمانية أيضًا، وكذا جاء «قَمِيل» في سائر الأعداد من الثلاثة إلى العشرة، وهي: التَّالِث والتَّاسِع والخميس والسِّدْس والسَّبْع والثَّمِين والتَّسْع والعشر.

والثُّنُّ: اللَّيْلَةُ الثامنة من أطهاء الإبل، يقال: أَمَّنَ الرَّجُل، أي وردت إليه ثَمَنًا.

والثَّمانية: لا يصرف لشبهه بجوارٍ لفظًا لاسمعي، يقال: هم رجالٌ ثمانية، وهن نساءٌ ثمان، ومررتُ برجالٍ ثمانية، ونساءٍ ثمان، ورأيتُ رجالًا ثمانية، ونساءً ثماني، وهم ثمانية عشر رجلًا، وهن ثماني عشرة امرأة، ومررتُ بثمانية عشر رجلًا، وثمانٍ عشرة امرأة، ورأيتُ ثمانية عشر رجلًا، وثمانٍ عشرة امرأة.

والثَّمانون: ملحق بجمع المذكر السالم كسائر العقود، وهو من الأسماء التي يوصف بها، يقال في المثل: «هو أحقُّ من صاحبِ ثمانين»، ويُروى بالفاظ مختلفة.

٢- وعدّ بعضهم العدد ثمانية وسائر الأعداد العربية

نحوه القُرطبي: (٢: ٢٣٤)
البَغَوِيُّ: أي عَوْضًا يسيرًا، يعني المأكَل الَّذِي يُصِيبُونَهَا مِنْ سَفَلَتِهِمْ. (١: ٢٠٢)

الطَّبْرِسِيُّ: أي يستبدلون به عرضًا قليلًا، وليس المراد أنهم إذا اشترَوْا به ثَمَنًا كثيرًا كان جائزًا بل الفائدة فيه أن كلَّ ما يأخذونه في مقابلة ذلك من حُطام الدُّنْيَا فهو قليل. وللحرب في ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور، ومثله في القرآن كثير. [فلاحظ] (١: ٢٥٨)
الفَخْرُ الرَّازِيُّ: كان غرضهم من ذلك الكتمان: أخذ الأموال بسبب ذلك، فهذا هو المراد من اشترائهم بذلك ثَمَنًا قليلًا. (٥: ٢٩)

البَيْهَقِيُّ: عَوْضًا حَقِيرًا. (١٦: ٩٦)
نحوه أبو السعود (١: ٢٣٣)، والبُزْجَوِيُّ (١: ٢٧٩)، والأكوسِّي (٢: ٤٣).

القاسمي: أي مما يمتصون به من لذات العاجلة. وقُلِّله لحقارته في نفسه. (٣: ٣٨٤)
وهذا المعنى جاء سائر الآيات وستداولها بالبحث في الاستعمال القرآني.

الأصول اللُّغَوِيَّة

١- الأصل في هذه المادَّة: الثَّمَن، أي قيمة الشيء وقَدْرُه، والجمع: ثَمَنان وأَمَّن. يقال: ثَمَنْتُ الرَّجُلَ في البيع أَنَمَتُهُ، إذا قاولته في ثَمَنه، وساوته على بيمه واشترائه. وشيءٌ ثَمِينٌ: مرتفع الثَّمَن، على المبالغة، مثل: رحيم وعظيم.

ومنه أيضًا: العدد ثَمَانٍ، لأنَّه يقدَّر ما يقع بعد السَّبعة

٤- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَتْلَسَخُمْ فِي بِحُلُونِ
أُفْهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ تَحْدِ خَلْقِي فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالِي تَصْرُفُونَ الزمر: ٦
٥- ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا بِرِجِّ صَرَصِرٍ عَابِيَةٍ
شَحْرَهَا عَلَيْهِمْ سِنِعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ
فِيهَا صَرْصَرًا مَا كَانُوا يَحْسَبُونَ أَعْجَازُ غَاوِيَةٍ المائدة: ٦٠
٦- ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ
فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ المائدة: ١٧

٧- ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةٍ مُشَدَّاتٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ التور: ٤
٨- ﴿... فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الشُّهُومُ بِمَا تَزَكَّمْنَ
مِنْ بَغْيٍ وَصِيَّةٍ تَوُصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُؤْرَثُ
كَتَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
الشُّهُومُ النساء: ١٢

ب: الشُّهُومُ

٩- ﴿وَمَرْوَةُ بَغْيٍ بِطِحْسٍ ذَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا
بِهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ يوسف: ٢٠

١٠- ﴿وَأَيُّوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ
وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا بِآيَاتِي تَسْلًا قَلِيلًا
وَالَّذِينَ يَأْتُونَكَ

١١- ﴿وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِإِلهِهِ
وَمَا أَنزَلَ إِلَيْهِمْ خَائِبِينَ هَلْ يَأْتِشَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَسْلًا
قَلِيلًا آل عمران: ١٩٩

١٢- ﴿... فَلَا تَقْتُلُوا النَّاسَ وَارْتَدُّوا

عِيرِيَةِ الْمَنَاشِءِ، وَهُوَ كَلَامٌ مُلْقَى عَلَى حَوَائِجِهِ، لِأَنَّ اللُّغَاتِ
السَّامِيَّةَ - كَمَا نَوَهْنَا مَرَارًا - قَدْ قُدَّتْ مِنْ أَدِيمٍ وَاحِدٍ،
وَشُقَّتْ مِنْ نَبْهَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَبَيِّنَ فِي
أَصْلِ لَفْظٍ مِنَ أَلْفَاظِهَا إِلَّا مَادَلَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ، وَظَهَرَ فِيهَا
بِرْهَانٌ، كَالِاتِّمَارِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ الدَّلِيلِيَّةِ، وَاللَّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ أَقْدَمُ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ، رَاجِعٌ «المدخل».

الاستعمال القرآني

فيها (١٩) آية في محاور:

أ: العدد

١- ﴿يَتَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِيَهُمْ
كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحَارِ
فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَبِطْ فِيهِمْ أَخَذًا

الكهف: ٢٢

٢- ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ
عَلَى أَنْ تَأْجُوزَ بِنَامِي فَإِنْ أَتَمَعْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَعَالِيكَ أَنْ أَتُكِّسَ عَلَيْكَ سِتْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ القصص: ٢٧

٣- ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَوْلَةٌ وَفَرَسًا كَلُوا مِنْهَا وَزَكَّاهُمْ
اللَّهُ وَلَا تَسْجَعُوا خُطُوبَ الْغِيظَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
نَسَابِيَةُ أَزْوَاجٍ مِنَ السَّانِ الثَّانِي وَمِنَ الْحَفَرِ الثَّانِي قُلْ
الذَّكَوَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأَنْثَيْنِ أَمْ اسْتَمْتَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
الْأَنْثَيْنِ تَسْجَعُونَ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ
الْثَّانِي وَمِنَ الْبَقَرِ الثَّانِي قُلْ الذَّكَوَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْأَنْثَيْنِ...

الأنعام: ١٤٢ - ١٤٤

شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَكِنَ الْآيِينَ ﴿١٠٦﴾ المائدة: ١٠٦
 يلاحظ أولاً: أنه قد جاءت في المور الأول - أي
 العدد - خمس كلمات:

الأولى: «ثامن» في (١) «وَتَأْمِينُهُمْ كُلُّهُمْ»، وهي
 جزء من قصة أصحاب الكهف، قال الطَّبَّاطِبَائِي (١٣):
 (٢٦٧): «والآية من معارك آراء المفسرين، ولهم في
 مفرداتها، وفي ضائرها الجمع التي فيها وفي جملها، اختلاف
 عجيب، والاحتمالات التي أبدوها في معاني مفرداتها،
 ومراجع ضائرها، وأحوال جملها، إذا ضربت بعضها في
 بعض بلغت الألوف...»
 وفيها بحوث:

الأول: أن لفظ «ثامن» مفرد في الآية، وجاء في
 غيرها بألفاظ أخرى، كما أن القصة فريدة في القرآن في
 نوعها، فلم تتكرر كما تكررت جملة من القصص،
 ولا سيما قصص الأنبياء والأمم، فشابه هذا اللفظ
 القصة عدداً.

الثاني: قال الطَّبَّاطِبَائِي أيضاً: «ومن لطيف صنع
 الآية في عدد الأقوال ظمها العدد من ثلاثة إلى ثمانية ظملاً
 متواليًا، ففيها ثلاثة رابعها، خمسة سادسها، سبعة
 وثمانها». ولقد اكتشفنا نحن من لطائفها أشياء أخرى:
 ١- أن كل جملة مبتدأ محذوف، أي هم ثلاثة، هم
 أربعة، هم سبعة، فلو ذكر المبتدأ ثلاث مرات أو مرة
 واحدة، لأخل بالانظم في المسالطين، فحذف رأساً
 لوضوحه.

٢- أنه روعي التذكير والتأنيث فيها بدقة بالغة، كما
 هو المعتاد من الثلاثة إلى العشرة معكوسة، وفي العدد

بآياتي تمنا قليلاً وعن لم يحسبكم بما أنزل الله فأولئك هم
 الكافرون ﴿١٣﴾ المائدة: ٤٤

١٣- «وَاشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَوَضُّوا عَنْ
 سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» التوبة: ٩
 ١٤- «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ
 وَيَشْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا
 النَّارَ وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ» البقرة: ١٧٤

١٥- «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا
 قَلِيلًا أُولَئِكَ لَآخِلَاقٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ
 وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»
 آل عمران: ٧٧

١٦- «وَلَا تُفْسِدُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ
 اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» النحل: ٩٥
 ١٧- «وَأَذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُوهُ فَبَيَّنَّوهُ وَزَادَ ظُهُورُهُمْ
 وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبَشَّسَ مَا يَشْتَرُونَ»

آل عمران: ١٨٧
 ١٨- «قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ
 يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ
 مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقِيلَ لَهُمْ مِمَّا يَكْفُرُونَ» البقرة: ٧٩
 ١٩- «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا خَضَرَ
 أَحَدُكُمْ الْحَوْثَ بَيْنَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ
 أَخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ
 مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَقْبِضُوهُنَّ مِنْ بَدَنِ الْمَوْتِ فَتُجْمَعُ
 بِاللَّهِ إِنْ أَرَيْتُمْ لِانْتِفَاحِي بِهِ تَمَنَّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا تَلْمِزْهُ

لقد عاشت الأشرار ذاك ابن نوح
ففضيحت الكرام النار من آل نوح
وكلب لأهل الكهف أنا لهم تنج

فأضحي لهم كنفوا قريضا ليوح^(١)
٦- جاءت ١٨ آية من السورة في أصحاب الكهف
(٩- ٢٦)، وقد سموا (أصحاب الكهف) مرة (٩) و(فئتيه)
مرتين (١٠) و(١٣)، وأشار إليهم بالضمائر مراراً، مع
أنه ذكر (كلهم) أربع مراراً: ثلاث منها في آية واحدة،
وفي هذا فضل كبير.

٧- يدوان بين «الكهف» و«كلب» في الآيات
تجانس لفظي، وتوازن عددي، إذ كثر كل منها أربع
مراراً: (الكهف) غير مضاف، و(كلبهم) مضاف إليهم.
وقد كثر (كهفهم) في (١٧) و(٢٥) مرتين أخريين، نصف
عدد (كلبهم)، في إضافة «كهف» و«كلب» إليهم تكرير
لها، مع تفاضل ملحوظ بينها، يجعل «كلب» ضعف
«كهف».

الثالث: في (سَيَعُولُونَ) إخبار بالغييب عما وقع من
الزجاج في عددهم - (الطبرسي ٣: ٤٩٠)، بعد نزول
الآيات - بين وفد نصارى نجران عند النبي ﷺ، فقالت
اليهووية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت
السطورية منهم: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، ففي

الترتيب موافقة بين الصفة والموصوف. فالعدد الأول
جاء في كل جملة مؤنثاً، تبيناً عن أصحاب الكهف،
وجاء العدد الثاني منها مذكراً، تبيناً عن كلبهم.

٣- أنه عبر عنهم بالأعداد: ثلاثة، خمسة، سبعة،
منفصلة بعضها عن بعض. ثم عبر عن كلبهم بالأعداد:
رابعهم، سادسهم، ثامنهم، منفصلة أيضاً بتداخل
وتلفيق بينها، أي أنهم كونوا أصل الأعداد، وكان كلبهم
يكملها دائماً، لأن معنى (رابعهم) أنه زاد على الثلاثة
وأكملها، وهكذا (سادسهم) و(ثامنهم). فكانت عدد
كلبهم من جعلتهم، غير أنه بشكل متميز، فأضافه إليهم
ثلاث مراراً بأعداد تناير أعدادهم.

٤- كثر (الكلب) فيها ثلاث مراراً، وهي مع قوله:
﴿وَكَلْبُهُمْ طَائِطٌ ذَرَّاعُهُ بِالْوَصِيدِ﴾ الكهف: ١٨، تصبح
أربعاً، وفيه تكرير وتعظيم لكلبهم، وأتيا تكرير وتعظيم
٥- جاء الكلب فيها أربع مراراً، وكلها في سياق
المدح والتكريم، لإضافته إليهم. وجاء مرة أخرى في
القرآن غير مضاف: ﴿فَسَلَّهْ كَمَلَّ الْكَلْبُ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهِ
يَلْقَى أَوْ تَرْمُهُ يَلْقَى﴾ الأعراف: ١٧٦، دلتا لصفة من
صفاته. وهو أنه يلهث، سواء تحمل عليه أم تتركه،
فلا فرق لديه في المالتين، تبيلاً لمن هو ضال، سواء
وعظه أم لم تعظه، كقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُكُمْ أَوْ أَعَزَّوْهُمُ
أَمْ أَنْتُمْ صَائِمُونَ﴾ الأعراف: ١٩٣، لاحظ «ل هـ».

وبذلك أبان أن الكلب قد اكتسب بملازمة أصحاب
الكهف شرفاً إنسانياً، لم يكن يملكه قبل ذلك، ونعم

ماقال السعدي، الشاعر الفارسي:
ما ترجمته:

(١) لقد ترجمنا هذين البيتين من الفارسية، وهذا فيها:

يسر نوح بآيدان بنوشست خاندان نيزتش كم شد
سك اصحاب كهف روزي چند بي مرود گرفت و مردم شد
و قريص متروك ويرج: من أساء الشمس، وهو إشارة إلى قوله
تعالى: ﴿تَقَرَّبْهُمْ فَاذْ الشَّمْسُ﴾ الكهف: ١٧، أي
تجاوزهم وتتركهم.

(سَيَكُونُونَ) إخبار بالغيب. ونبي لما قالوه رجماً بالغيب، وفيه لطف كبير.

الزَّالِج: جاء بعد نقل قول الفرقتين قيد (زَجَّجَا بِالْقَيْبِ)، أي قولاً بغير علم، أو ظناً بالغيب بلايين، وهذا يعم القولين، فهو رفض لها. ثم حكي قول المسلمين: «وَيَكُونُونَ سَبْعَةً وَثَمَانِيَةً كَلْبُهُمْ»، ولم يعقبه بشيء. يدل على زيفه، بل ربما أيده بقوله: «قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» كما قيل، أو بإضافة «واو» الثنائية كما يأتي.

الخامس: جاء (وَتَأْتِيَهُمْ) مع الواو، ومقابلها من دون «واو»، فقالوا: إنها «واو» الثنائية. قال ابن عباس: «حين وقعت (الواو) انتطعت العدة، أي لم يبق بعدها عدة عادة فيلغظ إليها، وثبت أنهم سبعة وثمانهم كلهم على القطع والثبات» الميزان (١٣: ٢٦٩). وقال الطبرسي (٣: ٤٥٩): «وأما من قال: هذه (واو) الثنائية، واستدل بقوله: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» الزمر: ٧٣، لأنَّ للجنة ثمانية أبواب، فشيء لا يعرفه النحويون»، وفيه تفصيل لإعراب هذه الآية فلاحظ.

وقد ذكر الفخر الرازي (٢٢: ١٠٧) هذا الوجه، ولم يقتنع به، بل قال: «هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة لنكرة، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَقْلُومٌ» الحجر: ٤.

وفائدتها تأكيد ثبوت الصفة للموصوف، والدلالة

على أَنَّ اتصافها بها أمر ثابت مستقر، فكانت هذه «الواو» دالة على صدق الذين قالوا: إنهم كانوا سبعة وثمانهم كلهم، وأنهم قالوا قولاً متقرراً متحققاً عن ثبات وعلم وطمأنينة نفس، وقد أيد الطَّبَّاطِبِيُّ هذا الرأي.

وعندنا أنَّ في الآية قد كثر (يقولون) ثلاث مرَّات عطفاً لبعضها على بعض، تأكيداً لمقال كل فريق وفصله عن مقال الآخرين. وقد جاءت «وَأَبْهَتُهُمْ كَلْبُهُمْ» جملة وصفية لـ «ثَلَاثَةً»، وهكذا «سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» وصفاً لـ «خَمْسَةً». أمَّا «وَتَأْتِيَهُمْ كَلْبُهُمْ» فجاءت حالاً لـ «سَبْعَةً»، وليست عطفاً على ما قبلها، تريقاً بينها وبين الوصفين السابقين، وتنبهاً على أنه القول الحقُّ الذي صدر: عن علم ويقين دون رجح بالغيب. فلا (الواو) حالية، وليست بماطقة، والحال أسوأ وأقرب وألصق بذی الحال من الوصف بالموصوف، فاختصاص هذه بالواو وفصلها عما قبلها بذلك كمثلم لها على أنها الحق، والله أعلم.

السادس: أنَّ قوله: «فَلَا تَمَّارَ فِيهِمْ إِلَّا بِرَأْءِ ظَاهِرِهِ...» يشر بأنَّ البحث في عددهم - وقد شغل الفريقين قرناً - ليس فيه نفع، ويحكي في نفس الوقت عن ثقافة فرق النصارى يوم ذاك حيث شغلهم ما لم يكن فيه نفع.

الثانية: «ثماني»، جاءت مرة واحدة أيضاً في (٢): «وَعَلَىٰ أَنْ تَأْخُذَ بِنِجْمَانِي هَجْعٌ»، قال الطبرسي (٤: ٢٤٩): «أي تكون أجيراً لي ثماني سنين»، وفيها بحث: ١- «الباء» في «ثماني» أصلياً كالجوارى، وهو مذكور

٣- وقال بشأن ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: «معناه ثمانية أفراد، لأنَّ كُلَّ واحد من ذلك يستمى زوجاً، فالذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر، كما قال تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ الأحزاب: ٣٧. وقيل: معناه ثمانية أصناف ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني الذكر والأنثى، ﴿وَمِنَ النُّعُورِ اثْنَيْنِ﴾: الذكر والأنثى... وقيل: إنَّ المراد بالاثنتين الأهلي والوحشي من الضأن والمعر والبقر، والمراد بالاثنتين من الإبل البراب والبهاقي، وهو المروئي عن أبي عبد الله عليه السلام. ولما خصَّ هذه الثمانية لأنثى جميع الأنعام التي كانوا يحرثون منها ما يحرثون على ماتقدم ذكره...».

٤- وذكر في آية الزمر: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْقَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وجوهاً في معنى «الإنزال»، فلاحظ (٤: ٤٩٠) (ونزل).

٥- وجاءت (ثمانية) في المرة الثالثة في الأوقات (٥): ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، وهي شرح لإهلاك قوم عاد بالزنج، وقيلها إهلاك قوم ثمود بالطاغية، أي الزجفة. وقد ذكر الله قوم عاد وعود معاً في كثير من الآيات - كما يأتي في نود - حتى صاروا مثلاً في الثقافة الإسلامية قاطبة، قال الشاعر الفارسي: ماترجته:

هي الشمس عين الشمس للكون نضيء

ضاءت على أجداد عاد وثمود^(١)

وقد لاحظ فيها التذكير والتأنيث متعاكساً: ﴿سَبْعَ

غير منصرف وصفاً للمؤنث، و(حجج) تمييز له، وهي مؤنثة، وعكسه (ثمانيه)، فهي مؤنثة، وموصوفاً مذكر كما يأتي.

٢- قد سبق بحث في (إحداها) في الآية أنها هي التي أنكحها أبوها موسى، لاحظ «أح د».

٣- أثار الفخر الرازي (٧: ٢٣٩) أسئلة حول هذه الآيات، ولا سيما في مدة استجار موسى ثماني إلى عشر سنين، وحول جعل الخدمة لشعب مهراً لابنته، لاحظ «ن ك ح» ونص الطبرسي فيما تقدم.

الثالثة: «ثمانية»، وفيها محو أيضاً:

١- جاءت ٤ مرات: مرتين بلفظ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ للأنعام الأهلية الأربع: الضأن والمعر والإبل والبقر، في (٣) و (٤) في سورتين مكيتين: «الأنعام» و (الزمر)، فأجلها في (الأنعام) أولاً - تفسيراً لصدر الآية: ﴿وَمِنَ الْقَنْعَامِ حَمَلَةَ وَغَرَضًا﴾ - ثم فصلها بقوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ النُّعُورِ اثْنَيْنِ... مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾. واكتفى بإجمالها في (الزمر: ٦) المتأخرة عنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْقَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ مع اختلاف سياقها، ففي (الأنعام) إبطال لما حرّمه المشركون من عند أنفسهم. وقد كرّر فيها: ﴿قُلْ أَلَذَّكَّرِينَ حَوْمَ أَمِ الْإِنْتَقِينَ أَمَا اسْتَشْتَلْتُمْ عَلَيْهِمْ أَزْوَاجَ الْإِنْتَقِينَ﴾ تأكيداً له وتوبيخاً لهم. وفي (الزمر) تنبيه على نعم الله للعباد، ولا يخلو سياق آية (الأنعام) من هذا أيضاً.

٢- قال الطبرسي (٢: ٣٧٧)، بشأن هذا الإجمال والتفصيل في الأنعام: «ولما أجل ثم فصل المجل، لأنه أراد أن يقرّر على شيء منه، ليكون أمداً في التوبيخ من أن يذكر ذلك دفعة واحدة».

(١) وأصله،

ابن هان جشمه خورشيد جهان افروز است

که هي تاغت بر آراگه عاد و ثمود

١- قد جمع الله في هذه الآية وألّٰى تلتها: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَيْتُ مِنْ مِصْرَ﴾ بين «شري» و«اشترى»، بنسبة «شري» إلى جماعة، و«اشترى» إلى واحد. وفيها خلاف، فقد ذكر الطُّبرسي (٥: ٣٤٦): «ثمانية باعوه، أُنهم إخوة يوسف - فرجحه - أو هم الواجدون له بمصر، أو الذين أخرجوه من الجُبِّ باعوه من السَّيَّارة. وكلّ هذه الأقوال مخالفة لسياق الآيات: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوه بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِخَسٍ ذَرَاهِمَ مَغْدُودَةٍ وَكَانُوا بِهِ مِنَ الرَّاهِبِينَ» وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَيْتُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَسْكُوئِي عَنِّي أَنْ تَصَفَّقَا أَوْ تَسْخِذُوهُ وَلَئِكَ يَوْسُفُ: ١٩ - ٢١.

فإنَّ السَّيَّارة هم الذين اتَّخذوه بضاعة وباعوه بشمن بخس، بعدما أدلى واردهم دلوه، وبشَّره بالغلَام. كما أنَّ الَّذي اشتراه من مصر هو الَّذي احتفظ به، وأوصى امرأته بإكرام منواه وأغناذه، ولذا، وهو عزيز مصر، دون الَّذي سمَّوه مالك بن زعر وأصحابه. فالمفهوم منها أنَّ السَّيَّارة حملوه إلى مصر، وباعوه من المزيِّز أو من وكيله، وليس هناك إلَّا بيع وشراء واحد.

٢- وكذلك اختلّفوا في عدد الدَّراهم وفيمن زهدوا فيه، فلاحظ.

٣- يبدو أنَّ هذا البيع والشَّراء ليوسف آخر ما كابد من إخوته، وأوّل رحلة من الفلاح والنعمة، فقد قال تعالى بعد ﴿وَأَوْسَخِذُوهُ وَلَئِكَ مِيسِرَةٌ﴾: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ...﴾.

٤- نصَّ على أنَّهم باعوه بشمن بخس دراهم

لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ». فبدأ المذاب في اليوم الأوّل، وانتهى في اليوم الثامن، وكانت خلالها سبع ليالٍ.

٦- وجاء في المرّة الرّابعة وصفًا لحاملي عرش الرّب يوم القيامة في (٦)، قال الطُّبرسي (٥: ٣٤٦): «ثمانية من الملائكة، عن ابن زَيْد، وروي ذلك عن النبي ﷺ أنَّهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين، فيكونون ثمانية. وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلَّا الله تعالى، عن ابن عباس»، لاحظ «ع ر ش».

٧- أنَّ (ثَمَانِيَةَ) جاءت ثلاث مرّات في سياق الإنعام والإجلال، ومرّة واحدة - وهي (٥) - في سياق الذّمّ والمذاب، فالرحمة غلبت عليها. نعم لو كان السياق الغالب في (٣) توبيخًا للمشرّكين، لتناصفت الآيات الأربع الرّحمة والمذاب نصفين متساويين.

٨- وحظّ سورة «الحاقة» نصف من الأربعة، بما فيها من المذاب في (٥) والرّحمة والإجلال في (٦). الرّابعة: (ثَمَانِينَ) مرّة واحدة في (٧): ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾، وهي حدّ قذف المحصنات، وسياقها ذمّ. الخامسة: «الْثَمَنُ» مرّة واحدة في إرث الرّوجات، وسياقها تشريع.

ثانيًا - جاءت في المحور الثاني: (الْثَمَنُ) ١١ آية: (٩) - (١٩) في سياقين:

الأوّل: مقابل المبيع: مرّة واحدة في قصّة يوسف ﷺ في (٩): ﴿وَشَرَوْهُ بِحَسَنٍ بِخَسٍ ذَرَاهِمَ مَغْدُودَةٍ﴾، فجاء «الْثَمَنُ» فيها بعد (شَرَوْهُ)، أي باعوه بشمن بخس. وفيها محو:

قليلًا» تبصيرًا قرآنًا، يجري بين الناس مجرى الأمثال.

٣- سيأتي البحث في «الاشتراء» لاحقًا.

٤- المراد بآيات الله: آيات القرآن، لاحظ «أي ي».

ب - «الكتاب» في آيتين: (١٤) و(١٨)، والمراد

بالكتاب في (١٤) القرآن، فجاء الكتاب فيها مكان

«الآيات» في غيرها. وهذا ذم لمن يشتري ويستبدل

بكتاب الله ثمنًا قليلًا، وسياقه سياق متقدم. وفي (١٨)

الكتاب الذي يكتبونه بأيديهم ناسيته إلى الله،

ليكتسبوا به المال، وسياقه يفاير الأول، وكلاهما ذم، إلا

أن الأول أريد به بذ كتاب الله بأخذ بدله من المال.

والثاني أريد به جعل الكتاب كذبًا مقابل مال، فلاحظ.

ج - «العهد» في (١٥ - ١٧)، وقد عبر عنه في (١٥)

و(١٦) بالعهد (الله)، وفي (١٧) بميثاق الذين أوتوا

الكتاب) فهذا ميثاق الكتاب، وكلاهما عبارة عما أخذه

الله من اليهود والموانيق من أهل الإيمان للوفاء به.

د - «اليمين» في (١٩)، وهي القسم بالله للوصية من

قبل عدلين والمراد به أنها يعلنان بأنها لا يشتريان بهذا

القسم ثمنًا قليلًا.

تذييل: في سياق هذه الآيات التشر بمحوت:

١- الاشتراء في أصل اللغة يقابل البيع، بخلاف

«الشراء»، فإنه البيع نفسه، وهذا يشعر بأنها بمعنى

تبديل شيء بشيء في المعنى العام. ومن أجل ذلك

فسروه بالاستبدال، حملًا للخاص على العام، وقالوا: إن

المراد بها أنهم يستبدلون بآيات الله ونحوها شيئًا قليلًا

وعوضًا ضئيلًا. وقد تقدم في التوضيح عن الفخر الرازي

«أن الاشتراء يوضع موضع الاستبدال، والتمن موضع

معدودة، فأتى بأربع كلمات - تمن، بمنس، دراهم،

معدودة - نكرة تحقيرًا لها، وأكدها بـ ﴿وَكَاْنُوا فِيهِ مِنْ

الرَّاهِدِينَ﴾، أي الذين باعوه لم يقدرّوه حق قدره،

فنفعلوا عمن يعملون منهم من شخصية فذة، فباعوه بهذا

التمن البخس.

٥ - ونجد في التفسير - ولاسيما المرفائية منها -

أسرارًا في هذا البيع والشراء، وقد طبّوه على الإنسان

الذي كرمه ربه بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الإسراء:

٧٠، حيث يبيع نفسه من الشيطان الرجيم بشيء تافه

من اللّٰه واللّٰعب، فلاحظ.

٦- كما أن «يوسف» عند أهل الله هو رمز الإنسان في

سيرته إلى الله، وما يلقاه من التصب والعناء،

وما يكابده من الصبر على الإغواء. كما أنه رمز العقّة

والأمانة أيضًا أمام العزيز وأسرته، ورمز المصمّة

والتقوى أمام الله، لاحظ «يوسف».

القائي: المبيع نفسه دون ما يقابله، وقد جاء (تمنًا)

في (١٠) آيات مفعولًا للفعل «اشترؤا»، والتمن الذي

يشترّون به هذا الثمن أربعة أشياء:

أ- «آيات الله» في ٤ آيات: (١٠) إلى (١٣)، اثنتان

منها - (١٠) و(١٢) - نهي: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

قَلِيلًا﴾، واثنتان خبر: (١١) ﴿لَا تَفْتَرُونَ بِآيَاتِي إِلَهَ ثَمَنًا

قَلِيلًا﴾، و(١٣): ﴿اشْتَرُوا بِآيَاتِي إِلَهَ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وفها بمحوت:

١- السياق فيها جيمًا ردع وتوبيخ على الفعل، أو

مدح لتركه كما في (١١).

٢- لقد أصبح هذا المضمون «الاشتراء بآيات الله ثمنًا

البدل والعوض». الاستبدال فيه بمعنى الاستبدال كما ذكره، وأن الثمن

بمعنى العوض تجوزًا، تشبيهاً بالبيع والشراء، فذكر
«الثمن» الخاص بالبيع شاهد على هذا التجوز.

٢- جاء في تسع منها: (١٠) إلى (١٨) ﴿تَمَسَّنَا

قَلِيلًا﴾ - والمراد به عرض الدنيا - ذمًا ولومًا لهم، وليس

معناه أنهم لو استبدلوا بها ثمنًا كثيرًا فلا لوم عليهم، بل

أريد به أن كلّموا استبدلوه بآيات ونحوها فهو قليل مها

كان ولو كانت الدنيا بخذا فغيرها، واختاره الطبرسي في

بعض الآيات. واكتفى في (١٩) بلائنا دون وصفه

بلا قليلًا لاختلاف سياقها عما قبلها فإنها ليست ذمًا

ولومًا بل قسم فلاحظ.

٣- لقد فسروا ﴿تَمَسَّنَا قَلِيلًا﴾ في كل آية بما يناسبها،

كالزنازة أو الرزوة على كتابان الحق في (١٠).

وعن أبي حيان «لاستبدلوا بآياتي العظيمة أشياء

حقيرة خسيسة، ولو أدخل «الباء» على الثمن دون

الآيات، انعكس المعنى بأنهم بذلوا ثمنًا قليلًا وأخذوا

الآيات، كما انعكس الذم مدحًا.

وعن الفراء ما حاصله: أن كل ما في القرآن نُصِبَ

فيه «تَمَسَّنَا» وأدخلت «الباء» في المبيع، يأتي فيما لا يكون

الثمن معلومًا كالدينار والدرهم، مثل: اشتريت ثوبًا

لك، فلك أن تجعل أثنهما ثمنًا لصاحبه، فإذا ذكرت الدرهم

والدينار وضعت «الباء» في الثمن، كما في ﴿وَشَرَوْهُ

بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ يوسف: ٢٠، لأن الدرهم

ثمن أبداً».

وفيه أن الثمن دائماً ما دخلت عليه «الباء»، سواء

كان درهماً أو عوضاً، وإنما الفرق في مثل هذا السياق أن

ث م و د

نمود

لفظ واحد، ٣٦ مرة: ٢٤ مكية، ٢ مدنيستان

في ٢١ سورة: ١٩ مكية، ٢ مدنيستان

النصوص اللغوية

القيظ انقطع فهو غَد، وجمعه: غَدا. (الأزهرى: ٩١: ٩١٤)

ابن السكيت: وغدّه يمتدّه غَدًا وغُدًا، إذا ألحّ عليه

وأخرج ماعنده، وأخنى عليه وألحف. (٦٧٤)

ورجل مَنمود: يكثر غشيان النساء

(إصلاح المطلق: ٣٧٢)

ابن دُرَيْد: والثَّغْد: الماء القليل الذي لا مادة له،

ويقال: تَغَدَّتْ فلانًا النساء، إذا أكثر الجساع حتى ينقطع

ماؤه، وفلان مَنمود، إذا كثر السؤال عليه حتى ينفد

ماعنده. (٣٨: ٢)

أبو مالك: الثَّغْد: أن تتمد إلى موضع يلزم ماء

النساء، تجعله صغًا، وهو المكان يجتمع فيه الماء، وله

مسايل من الماء، وتحفر فيه من نواحيه ركايًا فتملؤها

من ذلك الماء، فيشرب الناس الماء الطاهر حتى يجفّ إذا

أصابه بوارح القيط، وتبقى تلك الركايًا، فهي النساء. [تم]

القليل: الثَّغْد: الماء القليل يبق في الأرض الجند،

ويقال: الثَّغْد: الماء القليل يظهر في الشتاء ويذهب في

الصيف.

والإمجد: حجر الكحل. (٢٠: ٨)

يسميونه: يكون [نمود] اسمًا للقبيلة والحى، وكونه

لها سواء. (ابن منظور ٣: ١٠٥)

الأصمعي: [نمود] هو ماء المطر يبق متحورًا تحت

رمل، فإذا كشف عنه أدته الأرض.

وتركانهم يَصُونُ النساء. (أساس البلاغة: ٤٧)

أبو حنيفة: والمنمود: الذي قد غدّه الناس، أي قد

ذهبوا به فلم يبق إلّا القليل. (٧٠: ١)

ابن الأعرابي: الثَّغْد: يجتمع فيه ماء النساء،

فيشرب به الناس شهرين من الصيف، فإذا دخل أول

استشهد بشر]

يقال: أصبح فلان مثنوداً، إذا أُلج عليه في السؤال حتى فني ماعنده، وكذلك إذا مُدته النساء فلم يبق في صلبه ماء. (الأزهري: ١٤: ٩١)
الأزهري: مَثُود: حي من العرب الأول، يقال: إنهم من بقة عاد، بقت الله إليهم صالحاً وهو نبي عربي.

واختلف القراء في إبرائه في كتاب الله، فهم من صرفه، ومنهم من لم يصرفه، فمن صرفه ذهب به إلى الحمي، لأنه اسم عربي مذكر، سمي بمذكر، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة وهي مؤنثة. (٩٢: ١٤)
نحوه المديني. (٢٧٢: ١)

الصاحب: السد: القليل من الماء، يبق في الأرض الجند، وكذلك التامد. وقيل: مكان غليظ يحفرون فيه ركاباً وقد أهما حبس لا يجاوز الماء.

والإنماد: استخراج الماء القليل. والمثنيذ: الثمين، أمماد الغلام، ومثد ولد الأسد يمثد مَثُوداً، سمن وتحرك.

ومَثُذُ أثد: أعطيت، واستثدني فلان: طلب معروف.

والثسد: الإلحاف في المسألة. ومَثُذُ النساء: استخرجن ماء صلبه. ومَثُذُ الناقة: حلبت كل ما في ضرعها.

ورجل مثنود: أفني ماعنده بالسؤال. (٩: ٢٨٤) الجوهري: [نحو ما تقدم عن بعض اللغويين

وأضاف:]

وأثد الرجل وأثد بالإدغام، أي ورد السد.

وروضة السد: موضع.

والتامد: من التهم حين قَرَم، أي أكل. (٢: ٤٥١)
ابن فارس: التاء والميم والدال أصل واحد، وهو القليل من الشيء، فالتسد: الماء القليل لامادة له. [إلى أن قال:]

والتامد: من التهم حين قَرِم، لأن الذي يأخذه يسير.

ومما شذ عن الباب «الإنماد» وهو معروف، وكان بعض اللغاة يقول: هو من الباب، لأن الذي يستعمل منه يسير. وهذا ما لا يوقف على وجهه. (١: ٣٨٨)

الهريري: في حديث طهمة: «وافجر لهم السد» السد: الماء القليل.

مثله ابن الأثير. (١: ٢٢١)

ابن سيده: السد والسد: الماء القليل الذي لامادة له، وقيل: هو القليل يبق في الجند، وقيل: هو الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف.

والشاد كالسد، وقيل: الشاد: الحفر يكون فيها الماء القليل، ولذلك قال أبو عبيد: سُجرت الشاد، إذا مُثت من المطر، غير أنه لم يفسرها.

ومَثَد يمثد مَثُذاً، ومَثَدَه، واستثدته: نبت عنه التراب ليخرج. (٩: ٢٩٧)

الزمخشري: لو كنتم ماء لكنتم مَثُذاً، أي قليلاً. ومَثَد الماء يمثد فهو تامد.

وأثد العين: كحلها بالإنماد.

ومن الجاز: أصبح فلان مثنوداً: فني ماء صلبه، والنساء مَثُذ.

الماء القليل الذي لامادة له، والكلام استمارة. (٢٠: ٣)
 محمد إسماعيل إبراهيم: ثمود: قوم من أقدم
 الأقسام بعد قوم عاد، وتُعرف بعد الثانية، وكانت
 مساكنهم التي يحتويها من الجبال في موضع يسمى
 به «الحيجر» بين الحجاز والشام إلى وادي القُرى، في
 الطريق الموصل بين المدينة وتبوك، وهم قوم صالح عليه السلام.

(٩٧: ١)

هي [ثمود] قبيلة مشهورة باسم جدّهم ثمود أخسي
 جديس، وهما من أبناء عابر بن إرم بن سام بن نوح،
 وكانوا عرباً من العاربة، يسكنون الحيجر بين الحجاز
 وتبوك. (١٤: ٢)

المُضْطَفَّوِي: إن كلمة «ثمود» كانت في الأصل
 اسماً لواحد من أحفاد نوح، وهو ابن كاتر بن إرم بن سام
 بن نوح، وقد تقدّم في «إرم» ما يتعلق بها، ثم إن لفظة
 «ثمود» لا يبعد أن يكون على وزن «ذلول» صفة مشبهة،
 سُمّي به الرجل لِهزاله في جسمه، وهو في مقابل كاتر اسم
 أبيه.

وتسمية القوم باسم جدّهم متداول في العرب، كما
 في أكثر القبائل، واستفيد من الكلمات المنقولة أن لسانهم
 كان عربياً، وأن أصلهم كانت بقرب من تبوك، في الجانِب
 الشّال الغربي من المدينة. (٢٧: ٢)

النُّصُوص التفسيرية

١- وَاللّٰى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمُ اعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ... الأعراف: ٧٣
 ابن إسحاق: لما أهلك الله عاداً وتفضّى أمرها

ورجل مشعور: كثر عليه السّؤال حتّى أنفدوا
 ماعنده، وأصبح الناس يشمدونه. [ثم استشهد بشر]
 وقد استشدني فلان فشددته، أي استطاني
 فأعطيه. وتعدت الثقة بالهلب: اشتغقتها.

(أساس البلاغة: ٤٧)

الفَيَّوَمِي: الإجمد بكسر المهملة والميم: الكُحل
 الأسود، ويقال: إنّه مُعَرَّب. قال ابن البيطار في «المنهاج»
 هو الكُحل الأصفراني، ويؤيده قول بعضهم، ومصادنه
 بالمشرق. (٨٤)

الغَيْرُوزُ إِيَادِي: الثُّنْدُ ويحذف وككتاب: الماء
 القليل لامادة له، أو ما يبق في الجسد، أو ما يظهر في
 الشّتاء ويذهب في الصّيف.

ومثّده وأثّده واستثّده: اتّخذهُ، واتّخذ، واتّخذ
 على «افعل»: وزده.

والمشعور: ماء نغد من الزّحام عليه إلّا أقلّه، ورجل
 شتل فأفنى ماعنده عطاء، ومن تمدّته النساء، أي نزلن
 ماءه.

والإجمد بالكسر: حجر للكحل.

وكأحمد: موضع ويضم الميم.

ومثّده وأثّده: سبّنه.

واستثّده: طلب معروفه.

وتمود: قبيلة، ويصرف وتضمّ التاء، وقرئ به أيضاً.

(٢٩٠: ١)

الطُّرَيْحِي: أخو ماتقدّم عن الأزهرّي وأضاف:

وفي الحديث: «من لم يأخذ العلم عن رسول

الله ﷺ يَصُونُ الشَّادَ وَيَذْعُونَ النَّهْرَ العظيم» الشّاد: هو

عمرت نمود بعدها، واستخلفوا في الأرض، فزولوا فيها وانتشروا، ثم عتوا على الله.

فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله، بعث إليهم صالحاً - وكانوا قوماً عرباً، وهو من أوسطهم نسباً، وأفضلهم موضعاً - رسولاً، وكانت منازلهم الحِجر إلى قَرْح، وهو وادي القُرى، وبين ذلك ثمانية عشر ميلاً، فيها بين الحجاز والشام، فبعث الله إليهم غلاماً شاباً، فدعاهم إلى الله، حتى شمت وكبر، لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون.

فلما ألح عليهم صالح بالدعاء، وأكثر لهم التعذير، وخوفهم من الله العذاب والنقمة، سألوه أن يرهم آية تكون مصداقاً لما يقال، فيما يدعوهم إليه، فقال لهم: أي آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله، في يوم معلوم من السنة - فتدعو إلهك وتدعو آلهتنا، فإن استجيب لك آتيناك، وإن استجيب لنا آتيتنا، فقال لهم صالح: نعم.

فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك، وخرج صالح معهم إلى الله، فدعوا أوثانهم وسألوها ألا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به، ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدُمَيْل، وكان يومئذ سيد عمود وعظيهم: يا صالح، اخرج لنا من هذه الصخرة - لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها: الكانية - ناقة مخترجة جوفاء وبراء - والمخترجة: ما شاكلت البُخت من الإبل - وقالت نمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو، فإن فعلت آمناً بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو

حق، وأخذ عليهم صالح موافقتهم، لأن فعلت وفعل الله لتصدقني ولتؤمنن بي؟ قالوا: نعم، فأعطوه على ذلك عهدهم، فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة، كما وصفت.

الطَّبْرِي: (نمود) هو نمود بن عابر بن إرم بن سام ابن نوح، وهو أخو جد يس بن عابر، وكانت مساكنها «الحِجر» بين الحجاز والشام إلى وادي القُرى وماحولها. ومعنى الكلام: وإلى بني نمود أخاهم صالحاً. وإنما مُنع (نمود) لأن نمود قبيلة، كما ينكر قبيلة. (٨: ٢٢٤)

نحوه أبوحيان (٤: ٣٢٧)، والفَرطِيُّ (٧: ٢٣٨). الرَّجَّاج: و(نمود) في كتاب الله مصروف وغير مصروف، فأما المصروف فقولُه: ﴿أَلَا إِنَّ نَسْرُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدُ لِقَوْمِ هُودَ﴾: ٦٨، الثاني غير مصروف. فالذي صرفه جعله اسماً للحي، فيكون مذكراً سمي به مذكراً، ومن لم يصرفه جعله اسماً للقبيلة. (٢: ٣٤٨)

نحوه الطُّوسِي (٤: ٤٧٩)، والفَخْر الرَّايزِي (١٤: ١٦٦).

السَّجِسْتَانِي: (نمود) قول من السَّند، وهو الماء القليل. ومن جعله اسم قبيلة أو أرض لم يصرفه، ومن جعله اسم حي أو آب صرفه، لأنه مذكر. (٦٦) نحوه الزَّعْتَرِي (٢: ٨٩)، والبَيْضاوي (١: ٣٥٦)، والنَّسِّي (٢: ٦٦)، والثَّيَّسَابُورِي (٨: ١٦٤).

ابن كثير: وهم قبيلة مشهورة، يقال: نمود باسم جدِّهم نمود أخي جد يس، وهما ابنا عابر بن إرم بن سام ابن نوح، وكانوا عرباً من العاربة يسكنون «الحِجر» الذي

بين المجاز وتبوك. [إلى أن قال:]

وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك، فبعث الله فيهم رجلاً منهم، وهو عبد الله ورسوله صالح بن عبد بن ماسح بن عبيد بن حاجر بن نمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً، فأمنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمال والفعال، وهتوا بقتله، وقتلوا الثقة التي جعلها الله حجة عليهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. [ثم ذكر الآيات إلى أن قال:]

وكثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر (عاد ونمود) كما في سورة براءة، وإبراهيم، والفرقان، وسورة ص، وسورة ق، والتجيم، والفجر. ويقال: إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرها أهل الكتاب، وليس لها ذكر في كتابهم التوراة. ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنها، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَكِيمٌ﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ... ﴿إبراهيم: ٨، ٩.

الظاهر أن هذا من تمام كلام موسى مع قومه، ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرها جيداً ولا اعتنوا بحفظه، وإن كان خبرها كان مشهوراً في زمان موسى عليه السلام.

والمقصود الآن - ذكر قصتهم، وما كان من أمرهم، وكيف نجي الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به، وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوتهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام. [ثم ذكر قصة صالح فراجع]

(البدية والنهاية ١: ١٣٠، ١٣٥)

الشَّريين: أي وأرسلنا إلى نمود قبيلة أخرى من العرب، سموا باسم أبيهم الأكبر. وهو نمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. [إلى أن قال:]

واتفق القراء السبعة هنا على عدم صرف (نمود) مراداً به القبيلة. وقرئ مصحوقاً في غير هذه السورة بتأويل الحي أو باعتبار الأصل، وهو أنه اسم لأبيهم الأكبر أو للواء القليل.

نحوه أبو السعود (٢: ٥٠٨)، والبروسوي (٣: ١٨٩)، والاكوسي (٨: ١٦٢).

الطُّبَّاطِيَّ: (نمود) أمة قديمة من العرب، سكنوا أرض اليمن بالأعقاب، بعث الله إليهم أخاهم صالحاً وهو منهم.

٢- وَاللّٰى نَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ.

الفراء: وقد اختلف القراء في (نمود) فهم من أجراء في كل حال، ومنهم من لم يجزه في حال... فقرأ بذلك حمزة. ومنهم من أجرى (نمود) في التصب لأنها مكتوبة بالالف في كل القرآن إلا في موضع واحد ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُهْجِرَةً﴾ الإسراء: ٥٩.

فأخذ بذلك الكسائي فأجرها في التصب ولم يجزها في المنفض ولا في الزلج إلا في حرف واحد، قوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ هود: ٦٨، فسألوه عن ذلك فقال: قرئت في المنفض من الجُزى، وقيح أن يجتمع الحرف مرتين في موضعين ثم يختلف،

وَتَسْمُودًا﴾ الفرقان: ٣٨، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ تَسْمُودًا كَفَرُوا
رَبَّهُمْ﴾ هود: ٦٨، وقال: ﴿وَأَتَيْنَا تَسْمُودَ الثَّاقِفَةِ﴾
الإسراء: ٥٩.

فلذا استوى في (تسمود) أن يكون مرة للقبيلة ومرة
للحي، ولم يكن لحمله على أحد الوجهين مزية في الكثرة.
فن صرف في جميع المواضع كان حسناً، ومن
لم يصرف أيضاً كذلك، وكذلك إن صرف في موضع
ولم يصرف في موضع آخر، إلا أنه لا ينبغي أن يخرج
عنا قرأت به القراء، لأن القراءة شئنة، فلا يجوز أن
تحمّل على ما يجوز في العريضة حتى تنضم إليه الرواية.

(الطوسي: ٦: ٢٢)

نحوه الكرمانى: (٩٩)
أبو زرعة: قرأ حمزة وحفص ﴿أَلَا إِنَّ تَسْمُودًا
كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ بغير تنوين، وكذلك في الفرقان،
والعنكبوت، والتجم، ودخل معها أبوبكر في التجم،
وقرأ الباقر بالتنوين.

فن ترك التنوين جملة اسماً للقبيلة، فاجتمعت
علتان: الشريف والتأنيث، فامتنع من الصرف. ومن
نوّن جملة اسماً مذكراً للحي أو رئيس، وحجبت في ذلك
المصنف، لأنّه مكتوبات في المصنف بالألف.
وزاد الكسائي عليهم حرفاً خامساً وهو قوله: (أَلَا
يُنْعَدُ تَسْمُودٌ) مؤنّثاً. وقال: إنّما أجريت الثاني لقربه من
الأول، لأنّه استفتح أن ينوّن اسماً واحداً ويدع التنوين
في آية واحدة، ويخالف بين اللفظين.

وقد جود الكسائي فيها قال، لأنّ أباعمره سئل لم
شدّدت قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ

فأجريت له لقبه منه. (٢: ٢٠)

٣- أَلَا إِنَّ تَسْمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بِهَذَا تَسْمُودُ.

هود: ٦٨

الفارسي: الأسماء التي تجري على القبائل
والأسماء على أصحاب:

أحدها: أن يكون اسماً للحي أو للأب.

والثاني: أن يكون اسماً للقبيلة.

والثالث: أن يكون غلب عليه الأب دون الحي
والقبيلة.

والرابع: أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على

الوجهين، ولا يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر في
الكثرة.

فما جاء اسماً للحي قولهم: ثقيف وقريش، وكلها
لا يقال فيه: بنو فلان.

وأما ما جاء اسماً للقبيلة فنحو تميم بنت مرّة. قال
بيهقي: سمعناهم يقولون: قيس ابنة عيلان، وتميم
ساحبة ذلك، وقال: تغلب ابنة وائل.

وأما ما غلب عليه اسم أمّ الحي أو القبيلة، فقد
قالوا: بأهله بن أعصر، وقالوا: يصغر، وباهلة: اسم
امرأة، قال بيهقي: جعل اسم الحي، ويجوز لم يجعل
اسم قبيلة، وسدوس أكثرهم يجعله اسم للقبيلة، وتيم
أكثرهم يجعله اسم قبيلة. ومنهم من يجعله اسم الأب.

وأما ما يستوي فيه اسم قبيلة، وأن يكون اسماً
للحي، فقال بيهقي: نحو تسمود وعاد، وسماها مرّة
للقبيلتين ومرة للحيين، فكثرتا سواء، قال: ﴿وَعَادًا

(٢٠: ١٤٩)

الرَّحْمَنُ شَرِيٌّ: منصوب بإضمار: أهلكنا، لأن قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرُّجْفَةَ﴾ المنكوت: ٣٧، يدل عليه لأنه في

(٢٠: ٦)

معنى الإهلاك.

(٢: ٢١٠)

نحوه التَّبْضَاوِي.

القَرُطَبِيُّ: قال الكِسَائِيُّ: قال بعضهم: هو راجع إلى أول السّورة، أي ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادًا وغمود. قال وأحبب إلي أن يكون مخطوفاً على ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرُّجْفَةَ﴾، وأخذت عادًا وغمودًا.

وزعم الزّجاج: أن التقدير: وأهلكنا عادًا وغمودًا.

(١٣: ٣٤٣)

الألوسي: (وَتَسْمُودًا) بالتثنية بتأويل الهي، وهو على قراءة ترك التثنية بتأويل القبيلة. وقرأ ابن وثاب (وَعَادًا وَتَسْمُودًا) بالخفض فيها والتثنية، عطفاً على (تَمْدِينَ) على مافي «البحر» أي وأرسلنا إلى عاد وغمود.

(٢٠: ١٥٨)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: السّند، وهو مكان يجتمع فيه ماء قليل لا يمدّه ماء آخر، وهو السّند أيضاً، والجمع أنماد، ويقال له: السّهاد، يقال: انتشدت قمداً، أي اتخذته، وانتشد الرجل وأتمد: ورد السّند، وتمد السّند يمدّه قمداً، وأتمده واستمده: كبث عنه القرباب ليخرج ماؤه. وماء سمود: كثر عليه الناس حتى فني ونفذ إلا أقله.

ويقال منه مجازاً: تمّدت فلاناً النساء، أي ترزقن ماءه من كثرة الجباع، ولم يبق في صلبه ماء، فهو سمود.

أَيُّهُمُ الْأَنْعَامُ: ٣٧، وأنت تخفف (يُزَل) في كل القرآن؟ فقال: لقرب من قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ الأنعام: ٣٧.

فإن سأل سائل فقال: قوله: ﴿وَأَنْشِئْنَا تَسْمُودًا ثَائِفَةً﴾ الإسراء: ٥٩، من موضع نصب فهلا تون كسا تون سائر المنصوبات؟

الجواب: أن هذا الحرف كُتب في المصحف بنير ألف، والاسم المنون إذا استقبله ألف ولام جاز ترك التثنية، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ التوحيد: ١، ٢. (٣٤٥)

الطُّوسِي: قرأ الكِسَائِيُّ وحده (تَمُود) بـمخفف الدال وتويناها، والياقون بنير صرف. وقرأ حمزة وحفص ويسمى ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا﴾ هود: ٦٨، وفي الفرقان ﴿وَعَادًا وَتَسْمُودًا﴾ الفرقان: ٣٨، وفي المنكوت ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَتَى﴾ النجم: ٥١، بنير توين فين، وافقه يحيى والعلمي والسفوي في سورة النجم.

قال الفراء: قلت للكِسَائِيِّ: لم صرفت (تَمُود) هنا؟ فقال: لأنه قرب من المنسوب، وهو مجرور، وإنما صرف (تَمُود) في النصب دون الجرّ والرفع، لأنه لما جاز الصرف اختير الصرف في النصب، لأنه أخف. (٦: ٢٢) وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَّيْنَاهُمْ فَأَسْبَحُوا الْقُفَى عَلَى الْهَدْيِ...﴾ فصلت: ١٧

٣- وعَادًا وَتَسْمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَائِلِهِمْ...

المنكوت: ٣٨

الطَّبْرِي: واذكروا أنها القوم عادًا وغمود.

اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَسَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ زُودُوا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ • وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ شُهُوبِهَا قُصُورًا وَتَسْتَحْيُونَ الْجِبَالِ أَنْ يَقُومُوا فَاذْكُرُوا الْآلَةَ اللَّهَ وَلَا تَتَخَفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ • قَالَ السَّعْلَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَخْفُوا لِمَنْ أَمْسَ مِنْهُمْ أَنْتُمْ لَنْ تُبْلَغُوا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ • قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ • فَفَقَرُوا الثَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا تَعْبُدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ • فَأَخَذْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْصَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ • فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْقُومُ لَقَدْ أَهْلَقْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَنصَحُونَ النَّاصِحِينَ ﴿الأعراف: ٦٥ - ٧٩﴾

٢. «وَالسَّيِّئَاتِ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَأْقُومُ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ • يَأْقُومُ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ • وَيَأْقُومُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِبِينَ • قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ • إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ • مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَبِيسًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُون • إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَهْلَكْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ

رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ • وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجِيَّتَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْنُنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ • وَتِلْكَ عَادُ جَعَدُوا بِأَيَّاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَبِيدٍ • وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا يَأْقُومُ أَغَاثًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا يَعْلَمُونَ إِعَادَ إِعَادَ قَوْمِ هُودٍ • وَالسَّيِّئَاتِ نَحْسُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَأْقُومُ اغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ • قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا فِي شَكٍّ مِمَّا دُعُوا إِلَى اللَّهِ مَرْبٍ • قَالَ يَأْقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأُنْهِيَ مِنْهُ رَحْمَةً فَكَيْفَ يُنصَرِّفُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَضْيِيعٍ • وَيَأْقُومُ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ زُودُوا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ • فَفَقَرُوا هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ قَدْ زُودُوا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ • وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَصَاحِبُوهَا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ • كَانُوا لَمْ يَغْنَوْهَا إِلَّا أَنْ قَوْمًا اتَّخَذُوا رَبَّهُمْ أَلَا يَعْلَمُونَ ﴿هود: ٥٠ - ٦٨﴾

٣. «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ ضَاعِقَةً يَسُفُ ضَاعِقَةً عَادٍ وَثَمُودَ • إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مِنْ سَمَاءٍ مَائِدَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ • فَلَمَّا عَادَ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَزِدْ

أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مُنْهَمُ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَخَذُلُونَ ﴿١٧﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْزَرُ وَهُمْ لَا يُصْزَوْنَ ﴿١٨﴾ وَأَمَّا قُودُ فَهَذَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَنَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُلُوكِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٩﴾ فَصَلَّتْ ١٣-١٧
ع ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْتُمْ وَرُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
التوبة: ٧٠

٥ - ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَعَادُ وَثَمُودُ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَخْلُقُهُم
الْآلِهَةُ﴾
إبراهيم: ٩

٧- هُوَ قَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعِزَّنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا •
وَعَادًا وَنَعْمًا وَأَمْثُلًا لِّأُولَئِكَ عَذَابًا مُّهِينًا •
كَبِيرًا ﴿٣٨﴾

الفرقان: ٣٧ و ٣٨

٨ - ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ
هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَعْرَضَ
عَنْ السَّعَالَيْنِ • أَتَبْتُونَ بِكُلِّ رِيعٍ إِنَّمَا يَسْتَبْشِرُونَ
وَيَسْتَعْجِدُونَ مَتَابِعَ لَعَلَّكُمْ تَهْلِكُونَ • وَإِذَا بَطُلْتُمْ
بِمَتْنِكُمْ جَبَّارِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الَّذِي
أَمَرَكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ • أَمَدَّكُمْ بِأَنْقَامٍ وَبَيِّنَ • وَجَسَّابَ

وَعُيُونٌ • إِبْنُ أَحَاثٍ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ • قَالُوا
سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوُوعِلْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ • إِنَّ هَذَا إِلَّا
خُلُقُ الْأَوَّلِينَ • وَمَا نَحْنُ بِمُتَذَكِّرِينَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ
الْقَبْرِ الْوَجِيمَ • كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُسَوِّلِينَ • إِذْ قَالَ
أَخُوهُمْ صَاحِبُ آلَا تَتَّقُونَ • إِبْنُ نَكَمٍ وَشَوْلُ أَسِينَ •
فَاتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا نَسَلَكُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ
أَخْرَجَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ • أَتُحَرِّكُونَ فِي مَاهِقُنَا
أَمِينِينَ • فِي عَنَابٍ وَعُيُونٍ • وَزُدُّوعٍ وَعُغْلٍ طَلَفُنَا
فَضِيمَ • وَتَنَجَّحُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَتَوَلَّوْنَ فَارِجِينَ • فَاتَّبَعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا • وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ • الْأَذِينَ
يُطِيعُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُطِيعُونَ • قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ
مِنَ الْمُسْتَعْرَبِينَ • مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَبِيتَ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ هَؤُلَاءِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ
شِرْبٌ يَوْمَ مَقْلُومٍ • وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
يَوْمَ عَظِيمٍ • فَتَقَرَّبُوا فَاسْتَبَعُوهَا نَادِمِينَ • فَأَخَذَهُمُ
الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ • وَإِنَّ
رَبَّكَ لَمَوْ الْقَبْرِ الْوَجِيمَ

الشعراء: ١٢٣ - ١٥٩

۹۔ ﴿وَعَادَا وَفُؤَادَا وَفَدَّيْنِي لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ
وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا
مُضِلِّينَ﴾
الْعنكبوت: ۳۸

١٠- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَهِنُوعُونَ ذُرِّ
الْأَوْتَادِ وَشُعُوبٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ
الْأَغْرَابُ﴾ ص: ١٢-١٣

١١- ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ
يَوْمِ الْأَخْزَابِ﴾ • مِثْلَ دَأْبٍ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا لَهُمْ يُبْهِدُ ظُلُمًا لِّلْغَيَاةِ

المؤمن: ٣٠ و ٣١

١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ

وَسُوءُۙ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۚ ق: ١٢ و ١٣

١٣- ﴿وَبِئْسَ عَادٌ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْبُحَّ الْعَقِيمَ ۚ

عَاذَرُوا مِنْ شَيْءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ عِزًّا ۖ إِنَّا جَعَلْنَاهُمْ قَوْمًا مُّسْتَضَرِّينَ ۚ

نُوحٌ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذَا جَبْنَ ۖ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ۚ

فَاغْرَقْنَاهُمُ الْغَاسِقَةُ ۖ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۚ فَاسْتَعْطَوْا مِنْ بَنِي

وَعَاثُوا مِثْلَ مَثَلِهِمْ ۚ الذَّارِيَات: ٤١ - ٤٥

١٤- ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۖ وَنُوحًا هَسَةً

أَبْنَىٰ ۚ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكُنْتَ كَأَنَ عَذَابٍ وَنُذْرٍ ۚ إِنَّا

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ بِهَٰذَا حَذَرَكَ إِلَىٰ يَوْمٍ تَحْسِبُهُ ۚ

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَجْعَالٌ خَلْقٍ مُّصَفَّرٍ ۚ فَكَفَيْتَ كَأَنَ

عَذَابٍ وَنُذْرٍ ۚ وَلَقَدْ يَمُرُّنَا الْفُلَانُ لِيَلْذُكِرَ قَبْلُ مِنْ

مُذَكِّرٍ ۚ كَذَّبَتْ قَوْمُ الْتُّدْرِ ۚ القمر: ١٨ - ٢٣

١٦- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ وَعَادٍ بِالْقَارِعَةِ ۚ فَإِذَا هُمْ

فَاقْبَلُوكَ بِالطَّاغِيَةِ ۚ وَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا بِرِجِّ حَضْرَمٍ

عَاقِبَةٍ ۚ الحاقة: ٤ - ٦

١٧- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۖ إِمْرًا ذَاتَ

الْعِمَادِ ۖ أَهْلِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ ۖ وَنُوحُودُ الْبَنِينَ

جَاءُوا الصُّخْرَ بِالْوَادِ ۖ النجر: ٦ - ٩

١٨- ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا كَثِيرًا عَادُ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْمَغَافِ ۖ وَقَدْ

خَلَقَ التُّدْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ قَالُوا أَجِئْتَنَا

بِنَافِلَتِنَا عَنْ إِلَٰهِنَا قَالَتَا هِيَ تَعْبُدُونَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ

الصَّادِقِينَ ۚ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّثْلًا لِّبَنِيكُمْ

عَادُوسًا مِّثْلَ بَنِيكُمْ قَوْمًا يَهْتَلُونَ ۚ فَلَمَّا رَأَوْهُ

عَارِضًا مُّشْتَبِهًا قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ

هُوَ عَارِضٌ مُّشْتَبِهٌ بِوَجْهِهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ تَذَكَّرُ كُلُّ شَيْءٍ

بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَزِي إِلَّا مَنَاجِلَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي

الْقَوْمَ السُّخْرِيَّ ۚ وَلَقَدْ عَكَّبْنَا هُمْ بَيْنَ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ

بَيْنَهُ وَجَعَلْنَا هُمْ تَحْتَهُ وَأَبْصَارًا ۚ وَأَقْبَدَهُ قَسَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ

مَسْهُهُمُ وَلَا أَبْصَارَهُمْ وَلَا أَلْبَسَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا

يَتَّبِعُونَ بِسَانَاتِ اللَّهِ وَخَسَائِي يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ۚ الأحقاف: ٢١ - ٢٦

١٩- ﴿...أَلَا يَهْدَىٰ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَعْبُدُونَ قَوْمًا

هَٰؤُلَاءِ ۚ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۚ هود: ٩٥

٢٠- ﴿...وَأَتَيْنَاهُمُ الْبُحَّ الشَّامَّةَ شَيْعِرَةً فَظَلَمُوا

بِهِمَا... ۚ الإسراء: ٥٩

٢١- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ صَالِحًا أَنِ

اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۚ التمل: ٤٥

٢٢- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۖ فِرْعَوْنُ وَنُوحُودُ ۚ

البروج: ١٧ و ١٨

٢٣- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ يَهُودُوسَ ۚ الشمس: ١١

يلاحظ أولاً: أَن عَادًا وَنُوحًا جَاءَا مَعًا فِي (١ - ١٧)

مِنَ الْآيَاتِ، وَجَاءَ عَادٌ مِّنْفَرَدًا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي (١٨)،

وَنُوحُودٌ مِّنْفَرَدًا خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي (١٩ - ٢٣)، فَكَانَ جَمْعًا:

نُوحُودٌ (٢٦) مَرَّةً، وَعَادٌ (٢٤) مَرَّةً، فَجَاءَا مَعًا تِسْعَ مَرَّاتٍ

مُتَعَادِينَ ضَمَّنَ آيَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ: (٣ - ٧) وَ(٩) وَ(١٠)

وَ(١١) وَ(١٦)، وَثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُّتَعَادِينَ ضَمَّنَ آيَتَيْنِ

مُتَصَلَّتَيْنِ، وَهِيَ: (١٢ - ١٤)، أَوْ مُتَفَصَّلَتَيْنِ، وَهِيَ: (١) -

عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحَ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، إذ لم يكن الغرض فيها حكاية قصصها تصيلاً، بل العبارة بها لمن اعتبر. عاشراً: قد جاءت قصصها في سورتي الأعراف وهوود منفصلة، ففي الأعراف قصة عاد في (٨) آيات: (٦٥ - ٧٢)، وقصة ثمود في (٧) آيات: (٧٣ - ٧٩).

وفي «هود» قصة عاد في (١١) آية: (٥٠ - ٦٠)، وقصة ثمود في (٨) آيات: (٦١ - ٦٨)، وكذا في سورة الأحقاف، فيها قصة عاد في (٦) آيات: (٢١ - ٢٦).

أما في غيرها من السور فجاءت قصصها موجزة تذكاراً وعبرة، فلاحظ الآيات.

الحادي عشر: وقد ركز القرآن في الآيات أموراً:

١- عبادة الله وحده: «اعْبُدُوا اللَّهَ عَالِمُكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»، وقد كررت (٤) مرّات في الأعراف وهوود، ومرّة واحدة في الأحقاف في عاد: «أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ».

٢- استنكارهم وتسفيه نبيهم وتكذيبه: «إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» الأعراف: ٦٦، «فَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي أَمْثَلُمْ بِهِ كَاذِبُونَ» الأعراف: ٧٦، «وَمَنْحَنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَنْحَنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» هود: ٥٣، ٥٤، «قَالُوا يَا ضَالُّ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ» هود: ٦٢، «قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ» الأحقاف: ٢٢. وقد جاء تكذيبهم وإنكارهم في غيرها من الآيات أيضاً.

ونمود، لأن الله جمع فيها بين المنافقين والكفار فيما قبلها: «وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...»، ثم ذكرهم بالأسم السابقة: «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشْدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَسْمَاءً وَأَوَّلَآدًا فَاسْتَقْبَحُوا بِحِلَالِهِمْ فَنَسْتَقْتَعُمْ بِحِلَالِكُمْ كَمَا اسْتَقْتَعْتُمْ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِحِلَالِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا...» التوبة: ٦٩، ٦٨. ثم ذكرهم بما كان يذكر المشركين قبل الهجرة من قصص قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، إشعاراً بأن هؤلاء المنافقين بلغوا في الكفر مبلغ مشركي مكة، فيخاطبون بما خاطبوا به. ولم يكتف به بل جمع بين الفريقين مرّة أخرى في (٧٣): «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَعَاوِهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ».

أما آية الحج فهي من مؤيدات كونها مكّية، ولها مؤيدات أخرى، لاحظ بحث المكّي والمدني من المدخل. تاسماً: أن عاداً وثموداً كانا حيّين من أحياء العرب السارية - كما سبق - وكانا يعبدان الأصنام، ويسكنان أرضاً بين حضرموت وعمان تسمى «الأحقاف»، كما قال تعالى في (١٨): «وَإِذْ ذُكِّرُوا بَعْدَ إِذِ انْتَدَوْا قَوْمُهُ بِالْأَحْقَافِ»، والأحقاف هي أكنية الزمل. وكان ثمود خلفاء عاد في تلك الأرض - كما سبق - ولهذا جاء عاد قبل ثمود فيما ذكرنا ممّا من الآيات، إلّا في (١٢) و(١٦) فإنّ ثمود قدّم فيها لكنته لفظية، وهي رعاية ضرب من الجناس. ففي (١٢): «وَأَصْحَابُ الرُّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ»، وفي (١٦): «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا فَذُكِّرُوا بِآيَاتِنَا وَأَنَّا

هود: ٦٤-٦٨، وجاء إيمانهم وعذابهم في غيرها من الآيات أيضاً.

٥ - لنهمم ويؤمنهم عن رحمة الله: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِثُوا لِقَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، ﴿أَلَا إِنَّ مُوَدَّا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِثُوا لِقَوْمِهِ﴾ هود: ٦٨ و٦٠.

٦ - التأكيد فيها مرات حول أخوة هود وصالح لقومها، كما جاءت في غيرها من الأنبياء تقريباً لهم من أمهم واستالة للأم، لاحظ «أخ و».

٧ - قد خص الله موداً بإخراج ناقة لهم من الجبل آية لهم، وقد سبق أنفاً.

٨ - قد فرق الله بينها في الجرم وفي العذاب: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَبْلِيَهُمْ فِي عَذَابِ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾، وأما مُوَدَّا فَهَذَا نَاهُمْ فَاسْتَكْبَرُوا الْعِزِّي عَلَى الْهُدَىٰ فَآخَذْنَاهُمْ سَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فصلت: ١٥-١٧

فقد عد جرم عاد الاستكبار في الأرض بغير الحق حتى قالوا: ﴿عَنْ أَشَدِّ مِمَّا قُوَّةٌ﴾، وجعدهم المستمر بآيات الله أيضاً الناشئ عن استكبارهم. فرد الله عليهم بـ ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فصلت: ١٥، وعذبهم بريح صرصر مستمرة في أيام نحسات، ليعذبهم عذاب الخزي في الدنيا بإزاء استكبارهم، ووعدهم بعذاب الآخرة عذاباً لا ينتصر لهم أحد، وهو خزي آخر. وقد أخبر الله عن إهلاك عاد بالزنج في (١٣)

٣ - دعوتهم إلى الاستغفار والتوبة، ففي عاد: ﴿وَيَأْتِيهِمْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ...﴾، وفي مود: ﴿فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ قُرْبَ مَجِيئِهِ﴾ هود: ٥٢، ٦١.

٤ - إيمانهم بالعذاب والدمار وإيقاعها بهم وإنجاء هود وصالح ومن آمن بها: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَصَبٌ... فَاسْتَظْهِرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظَرِينَ﴾، فَأَلْحَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرِجْسٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا عَاوِمِينَ﴾ الأعراف: ٧٦، ٧٧، ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَحِينَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرِجْسٍ مِنَّا وَحُيِّنَاتُ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هود: ٥٧، ٥٨، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مَطْرُونًا بَلْ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ بِهِ رَبِّعُ فِيهَا عَذَابِ الْإِيمِ... تَذَكَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُزَيُّ إِلَّا مَسَاجِدَهُمْ كَذَلِكَ نَحْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأحقاف: ٢٤، ٢٥.

وجاء في مود: ﴿فَعَقَرُوا الشَّاقَّةَ وَعَتَوْا عَنْ أَسْرِ رَبِّهِمْ... فَآخَذْنَاهُمُ الرُّجْعَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَالِينَ﴾ الأعراف: ٧٧، ٧٨، ﴿وَيَأْتِيهِمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَعَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَنَكَّلُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَحِينَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرِجْسٍ مِنَّا وَمِنْ بَنِي إِدْرِيسَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْغَلِيظُ﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَالِينَ﴾ كَأَن لَّمْ يَتَذَكَّرُوا...﴾

المزى في عاد جزاء لاستكبارهم.

فعل ماذكروه الصّاعقة تمّ أنواع العذاب من الرّيح والرّجفة وغيرها، وبذلك تتلّام الآيات.

ولنا رأي آخر، ولعلّه أولى بما ذكروه، وهو أنّ الصّاعقة جاءت في الآيات بمعناها المعروف، وهي النّار التي تنزل من السّماء، وأنها تثير تارة ريحاً حارّاً عاتية، تبدو بشكل صيحة، وأخرى رجفة، وثالثة حرقاً. وقد أثارت الصّاعقة على عاد ريحاً حارّاً عاتياً عاتية، وعلى غود الصّيحة: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصّيحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِحِينَ﴾ هود: ٦٧، أورجفة: ﴿فَأَخَذْتُمُ الرّجفةَ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَانِحِينَ﴾ الأعراف: ٧٨، وجاء مثل ذلك في قوم شيب في الأعراف: ٩١، وفي العنكبوت: ٣٧، وهي المراد بالطّاغية في (٢٢).

الثاني عشر: لقد عبّر الله عن عاد وحمود بقوم هود وقوم صالح، رديفاً لقوم شيب، خطاباً لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجِئُ شِقَاقِي أَنْ يَصْبِحَكُمْ مِثْلُ نَارٍ خَالِصَةٍ قَوْمِ نُوحِ أَوْ قَوْمِ هُودِ أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ هود:

٨٩

الثالث عشر: جاءت قصص عاد وحمود في القرآن عقيب قصّة نوح مباشرة في الأعراف وهود والشّعراء والقر. فجاءت قصّة نوح في الأعراف موجزة في (٦) آيات: (٥٩ - ٦٤)، وفي القر في (٨) آيات: (٩ - ١٦)، وفي هود مفصلة - وهي أطولها في القرآن - في (٢٥) آية: (٢٥ - ٤٩)، وفي الشّعراء - وهي تتوسط بينهما - في (١٨) آية: (١٠٥ - ١٢٢).

و(١٦) و(١٨) أيضاً. ووصف الرّيح في (١٣) بالعميم، وهو ريح لا يجدي إلّا الدّمار دون الأضرار، فإنّ الأضرار تنشأ من الرّياح لا من ريح، كما تكرر في القرآن، لاحظ «روح». وقد عدّوه في (١٨) ريحاً مطراً ففاه الله: ﴿بَلْ هُوَ مَا تَشْتَقِلُونَ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أمّا «حمود» فقد جنّبتهم الاستكبار والكفر وعقر الثّاقّة والعتر عن أمرهم والتشكيك في رسالة صالح وتسميره بالكذب تارة، وأخرى عدّ جنّبتهم - بعد أن دعاهم إلى ما هداهم - استجاب العمى على الهدى في (٤) علم بأنّ استجابهم العمى على الهدى ناتج مما سبق من الكفر والاستكبار، وماتبها من الجنّيات. فنسب إليهم مرتبة من المراتم التي يترتب بعضها على بعض، فذكر هنا أقبح مراتبها، وهو اختيار العمى على الهدى، أي الظّلاله على الهداية، وفيه جناس لطيف بذكر العمى - استمارة من الضّلال - مقابل الهدى.

٩- وعدّ عذابهم في (٤) الصّاعقة دون الرّجفة، كما جمل عذاب عاد وحمود ممّا الصّاعقة في صدر آيات فصلت (٣): ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

والصّاعقة - كما قال الطّبرسي (٥: ٧) - «المهلكة من كلّ شيء»، وهي في العرف اسم النّار التي تنزل من السّماء فتحرق. وقال الفخر الرّازي (٢٧: ١١٤): صاعقة العذاب: داهية العذاب. وقال الطّباطبائي (١٧: ٣٧٧): «فأخذتهم صيحة العذاب ذي المذلّة، أو أخذهم العذاب بناء على كون الصّاعقة بمعنى العذاب، والإضافة - في صاعقة العذاب - ببيانته». وعذاب الهون هنا مثل عذاب

أَن مَوْسَى أَخْبَرَهَا: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيْرٌ جَبِيْرٌ﴾ أَلَمْ يَأْتِيَكُمُ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُوْدٌ...؟ إِبْرَاهِيْمُ: ٨، ٩. فاستظهر أَن هذا من كلام موسى مع قومه، ولكن لم يُضبط خبرهما، وإن كان مشهورًا في زمن موسى. وقد قطع في ذيل هذه الآية (ج ١٢: ٢٣) أَنَّهُ من كلام موسى، فقال: «يذكر قومه من أيام الله في الأمم الماضية مَنْ فَنِيَتْ أَشْخَاصَهُمْ، وَخَسِدَتْ أَنْفُسَهُمْ، وَعَفَتْ أَنَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ...».

واحتمل الطَّبْرَسِيّ (٣: ٣٠٥) أَنَّهُ من كلام موسى، أو خطاب من الله إِلَى نَبِيِّائِهِ. وقد حكى الفَخْرُ الرَّازِيّ (١٩: ٨٨) الوجهين عن أَبِي مُسْلِمٍ الْأَصْهَانِيّ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَرِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهُ ابْتِدَاءُ مَخَاطِبَةِ لِقَوْمِ الرَّسُولِ ﷺ».

وهذا هو الْمُتَعَيِّنُ عِنْدَنَا، لِأَنَّ مَوْسَى لَمْ يَكُنْ يَخَاطَبُ قَوْمَهُ بِهَذَا التَّفْصِيلِ عَنْ عَادٍ وَثَمُوْدٍ وَمَنْ تَلَاهَا مِنَ الْأُمَمِ الْبَائِدَةِ مِنْ غَيْرِ نَسْلِ إِبْرَاهِيْمِ، وَإِلَّا لَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ فِي التَّوْرَةِ، وَلَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْأَقْوَامُ الْمُحَاصِرُونَ لِبَنِي إِسْرَائِيْلَ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتُلُونَ فِي فِلَسْطِيْنِ وَنَوَاحِيهَا. بَلْ هَذَا الْأُسْلُوبُ مَائِلٌ لِأَسَالِيْبِ الْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ خُطَابًا لِلْمُشْرِكِيْنَ، فَلَاخِظْ.

السادس عشر: جاء في (١٤): ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأَوَّلَى﴾، فاستظهروا مِنْهَا أَنَّ عَادًا عَادَانِ: الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةَ. قَالَ الطَّبْرَسِيّ (٥: ١٨٣): «وَهُوَ عَادُ بَنِ إِدْرِمْ، وَهُمْ قَوْمُ هُوْدٍ، أَهْلُكُمُ اللهُ بِرَيْحِ مَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، وَكَسَانُ لَهُمْ عَقِبٌ، فَكَانُوا عَادَ الْآخَرَى». وَقَالَ

وَبَدَأَتْ قِصَّةُ عَادٍ وَثَمُوْدٍ فِيهَا بَعْدَ قِصَّةِ نُوحٍ، وَكُرِّرَ اسْمُهَا بَعْدَ اسْمِ نُوحٍ فِي (٤) وَ(٥) وَ(٦) وَ(٧) وَ(١٠) وَ(١١) وَ(١٢). وَكَذَا جَاءَتْ فِي الْآيَةِ (١٣) مِنَ الْعَنْكَبُوْتِ، إِلَّا أَنَّهَا تَخَلَّلَتْ بَيْنَ قِصَّتَيْهَا وَقِصَّةُ نُوحٍ قِصَصُ إِبْرَاهِيْمِ وَلُوطٍ بِتَفْصِيْلٍ، وَقِصَّةُ شُعَيْبٍ بِإِيجَازٍ. مَعَ أَنَّ قِصَّةَ نُوحٍ جَاءَتْ فِيهَا مُوجِزَةً أَيْضًا فِي آيَتَيْنِ: (١٤) وَ(١٥).

أَمَّا فِي الذَّائِرَاتِ (٤٦) فَقَدْ جَاءَتْ قِصَّةُ نُوحٍ بَعْدَ قِصَّةِ عَادٍ وَثَمُوْدٍ عَلَى التَّحْوِ التَّالِي: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، وَكَذَا فِي النَّجْمِ (٥٢): ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمُ﴾. وَجَاءَتْ مَعًا فِي الْمَسَاقَةِ وَالْفَجْرِ وَفُصِّلَتْ، وَجَاءَتْ «ثَمُوْدُ» فِي الْبُرُوجِ وَالشَّمْسِ دُونَ نُوحٍ، حَسَبَ مَا يَفْتَضِيهِ الْمَقَامُ.

الزَّائِعُ عَشْرُ: جَاءَتْ قِصَصُ إِبْرَاهِيْمِ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ مَعًا فِي الْأَعْرَافِ وَهُوْدٍ، وَانْفَرَدَتْ قِصَّةُ هُوْدٍ عَنْهَا فِي الشُّعْرَاءِ كُلِّهَا بَعْدَ قِصَّتَيْ عَادٍ وَثَمُوْدٍ. أَمَّا فِي الْعَنْكَبُوْتِ فَقَدْ جَاءَتْ قِصَّتَا إِبْرَاهِيْمِ وَلُوطٍ مَفْصَلَةً بَعْدَ قِصَّةِ نُوحٍ، وَجَاءَتْ عَقِيْبَهَا قِصَّةُ شُعَيْبٍ وَعَادُ وَثَمُوْدُ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مُوجِزَةٍ.

وَوَظَرَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ الْقُرْآنَ رَكَزَ فِي إِرْدَافِ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ حَسَبِ التَّارِيخِ، إِلَّا فَمَا اسْتَنِي لِنَكْتَةٍ، وَأَنَّ عَادًا وَثَمُوْدًا كَانَا فِي الْفَتْرَةِ بَيْنَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيْمِ ﷺ.

الحامس عشر: تَقَدَّمَ فِي التَّصَوُّصِ عَنِ الْعُلَّاطِيَّاتِ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَعْرِفُوا خَبَرَ عَادٍ وَثَمُوْدٍ، وَلَمْ يَرِدْ ذِكْرُهَا فِي التَّوْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: «لَكِنْ فِي الْقُرْآنِ مَا يَدُلُّ عَلَى

وقد تأخر في الآيات ماحقه التقديم، مثل (٢٥): ﴿فَلَهُ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾. وكما لها من ظهير في القرآن، فالوصف بالأولى ليس للتمييز، بل لبيان تقدمهم في عمود الزمان، كما أشار إليه الفخر الرازي.

السادس عشر: اختلفوا في قراءة (ثمود) منصرفاً وغير منصرف، لاختلافهم في تذكيره وتأنيته تعبيراً عن المهي أو القبيلة، وليس المراد به الشخص الذي هو جذمهم الأعلى، بل قومه، لذا فسره بعضهم بعيني ثمود، فهو علم للقوم دون الشخص. لكن القراءة في الآيات ليست على وتيرة واحدة، بل هي في موضع بالثنوين والانصراف، وفي موضع آخر بدونها.

وقد قسم الفارسي أسماء القبائل على أقسام، وبين حكمها في الانصراف وعدمه. وقال في (ثمود): «فن صرف في جميع المواضع كان حسناً، ومن لم يصرف أيضاً كذلك، وكذلك إن صرف في موضع، ولم يصرف في موضع آخر، إلا أنه لا ينبغي أن يخرج عما قرأت به القراء، لأن القراءة شتة، فلا يجوز أن تحمل على ما يجوز في العربية حتى تضم إليه الرواية». فلاحظ نصه.

الفخر الرازي (٢٩: ٢٣): «قيل: بالأولى) تميزت عن قوم كانوا بمكة هم عاد الأخرى، وقيل: (الأولى) لبيان تقدمهم لتمييزه، تقول: زيد العالم جاءني، فستصفه لتمييزه، ولكن لتبين علمه» وقال الطباطبائي (١٩: ٥٠): «وهم قوم هود التي عليه السلام، ووصفوا بالأولى) لأن هناك عاداً الثانية هم بعد الأولى».

ونحن نقول: ليس في القرآن ولا في التاريخ وقصص الأنبياء ذكر لعادين، رغم ذكر عاد فيه مرات. ولا يجوز الالتزام بهما بمجرد كلمة (الأولى) في هذه الآية، بل السر فيها هو تنابع الروي في سورة التجم من أولها إلى الآية (٥٦) قبيل آخرها. فالروى فيها يدور على ألف المقصورة، مثل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، وفيها كلمات جيء بها رويًا لا موجب سواء، مثل الآية (٤): ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَخْيٌ يُوحَى﴾، و (١٠): ﴿فَأَوْخَىٰ إِلَيْهِ غَيْثٌ مِّنْ أَوْخَى﴾ و (١٦): ﴿إِذْ يَخْشَى الْفُتُورَ مَا يَلْمِزُ﴾ و (٢٠): ﴿وَعَنْوَةَ الْغَالِغَةِ الْآخِرَى﴾ و (٥١): ﴿وَوَعْدُهَا قَسًا آتَى﴾، وهي عطف على ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾، أي أهلك ثمود، فلاموجب للإتيان بدًا آتَى) سوى الروي.

ث ن ي

١٣ لفظاً، ٢٩ مرة: ١٦ مَكِّيَّة، ١٣ مدنيَّة

في ١٨ سورة: ١٢ مَكِّيَّة، ٦ مدنيَّة

يشنون ١:١	اثني عشر ١:١	ولا عن وجهه.
ثاني ٢:٢	اثنا عشر ١:٢	وَنَبَّيْتُ الشَّيْءَ ثَنِيَّةً: جعلته اثنتين.
اثنان ١:١	اثنتي عشر ١:١	وَنَقَى رَجُلُهُ عَنْ دَاهِيَتِهِ: ضَمَّ سَاقَهُ إِلَى فَخِذِهِ، فَغَزَلَ مِنْ دَاهِيَتِهِ.
اثنتين ١٠:٨-٢	مثنى ٣:٢-١	وَنَبَّيْتُ الرَّجُلَ فَأَنَا ثَانِيَةً، وَأَنْتَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ، لَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا كَذَلِكَ. لَا يُقَالُ: ثَنَيْتُ فَلَانًا، أَيْ صَرَفْتُ ثَانِيَةً، كَرَاهِيَةِ الْإِثْبَاسِ. وَتَقُولُ: صَرَفْتُ لَهُ ثَانِيًا، أَوْ مَعَهُ ثَانِيًا.
اثنتين ٤:٢-٢	مثنى ١:١	
اثنا عشر ١:١	المثنى ١:١	
يستنون ١:١		

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْعَلَلِيلُ: الثَّنِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا يَبْقَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ أَطْبَاقًا، كُلٌّ وَاحِدٌ: ثَنِيٌّ، حَتَّى قِيلَ: أَتَاءَ الْحَسِيَّةِ: طَافَ بِهَا إِذَا اضْطَوَّتْ.	واثنان: اسمان قرينان لا يفردان، كما أَنَّ الثَّلَاثَةَ: أسماء مقترنة لا تَفَرَّقُ. واثنان: على تقدير: اثنتان إلى اثنتان لا تفردان. والأكثف في «اثنتين» ألف وصل. وربما قالوا: ثَنَان، كما قالوا: هي ابنة فلان، وهي بنته.
فإذا أردت إنشاء الشَّيْءِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، قُلْتَ: ثَنَيْتُهُ ثَنِيًّا، حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ يَرِيدُ وَجْهًا فَيُثَنِّيهِ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ، وَذَهَابَهُ عَلَى بَحِيَّتِهِ، وَيُقَالُ: لَا يَبْنِيْ فُلَانٌ مِنْ قَرْزِهِ	وَالثَّنِيُّ: التَّلَوِّي فِي الْمَشْيَةِ.
	وَالثَّنِيَّةُ: أَعْلَى مِثْلِ فِي رَأْسِ جَبَلٍ، يُرَى مِنْ بَعِيدٍ فَيُحْفَرُ.

فأشبهت الماء، ومن ثم قالوا: يذروان، فجاءوا به على الأصل، لأن الزيادة فيه لا تفارقه.

وسألت الخليل رحمه الله، عن قولهم: عقلته بنتايتين وهتاين لم لم يحزوا؟ فقال: تركوا ذلك حيث لم يغرد الواحد. (ابن منظور ١٤: ١٢١)

الليث: إذا أراد الرجل وجهًا فصرفته عن وجهه، قلت: ثنيته ثنيًا.

ويقال: فلان لا يثني عن قرينه، ولا عن وجهه. وإذا فعل الرجل أمرًا ثم ضم إليه أمرًا آخر، قيل: ثنى بالأمر الثاني يثني ثنيًا. (الأزهري ١٥: ١٤١)

ويقال للرجل إذا نزل من دابته: ثنى وركه فزول.

ويقال للرجل الذي يُبدأ بذكره في مسعاة أو محمّدة أو علم: فلان به ثنى الخاصر، أي تحنى في أول من يُعدّ ويذكر.

ويقال في التأنيث: اتنان، ولا تُتردان.

(الأزهري ١٥: ١٤٢)

سيمويه: حكى عن بعض العرب: «اليوم الثني»، أما قولهم: «الانتان» فإنما هو اسم اليوم، وإنما أوقسته العرب على قولك: «اليوم يومان» واليوم خمسة عشر من الشهر، ولا يثني. والذين قالوا: «أثناء» جاءوا به على الإثني، وإن لم يتكلم به، وهو بمنزلة القلّاتاء والأربعاء، يعني أنه صار اسمًا غالبًا.

(ابن سيده ١٠: ١٩٦)

أبو عمرو السيباني: قال الأكوعي: امرأة ثني، إذا ولدت اثنين، وثنيها: ولدها الثاني، ولم يقل فوق ذلك: ثلث ولا رباع.

والثنية: أحب الأولاد إلى الأم. [ثم استشهد بشر]

والثني من غير الناس: ماسطقت ثنيًا الراضعتان، وبثنت له ثنيان أخريان، فيقال: قد أنثى، والظهي لا يزداد على الإثناء، ولا يثدس إلا البعير. وجاءوا ثني، لا يصرف، وثني ثني أيضًا. والثني: الثاني من أوتار العود.

والثاني: آيات فاتحة الكتاب، وفي حديث آخر: المثاني: سور أولها البقرة، وآخرها براءة. وفي ثالث: المثاني: القرآن كله، لأن القصص والأنبياء تنثي فيه. والثني: ضمّ واحد إلى واحد، والثني: الاسم، يقال: ثني هذا القوب.

والثني: بعد البكر. [ثم استشهد بشر]

والثناء: تعمدك لشيء ثني عليه بحسن أو قبيح. والثناء: ثني عقل البعير ونحوه، إذا عقلته بمجل ثني، وكل واحد من ثنيته فهو ثناء.

وعقلت البعير يثناين، يظهرون الباء بعد الألف، وهي المدّة التي كانت فيها، ولو مدّ مدًا لكان صوابًا، كقولك: كساء وكساوان وكساءان، وساء وسباوان وسباءان.

والثني من الرجال، مقصور: الذي بعد السيد، وهو الثنيان. [ثم استشهد بشر] (٨: ٢٤٢)

«حديث عمرو بن دينار، قال: رأيت ابن عمر ينحر بدنته وهي باركة مثنية بنتاين»

قال سيبويه: سألت الخليل عن «الثناين» فقال: هو بمنزلة الثمانية، لأن الزيادة في آخره لا يفارقه

الثَّقِي من الجبل والوادي: منقطعه. ومَثْنِي الأَيادي:
أن يعيد معروفة مرتين أو ثلاثاً. (الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٣٧)
الثَّقِيَّة في الجبل: علوّ فيه، والجمع: الثَّنايا.

(المَدِينِيّ ١: ٢٧٧)

في حديث النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَمْنِي فِي الصَّدَقَةِ»: هو
مقصور بكسر الثاء، يعني لا تؤخذ في السنة مرتين.

(أَبُو عُبَيْدٍ ١: ٦٧)

اللَّحِيانِيّ: الثَّقِيَّة: أن يفوز قِدْح رجل منهم
فينجو ويغنى، فيطلب إليهم أن يعيدوه على خطار.

(ابن سيده ١٠: ١٩٧)

ومضى نبي من الليل أي وقت. (ابن سيده ١٠: ١٩٨)
أَبُو عُبَيْدٍ: إذا دخل الإبل في السنة الخامسة، فهو
حيث: جَذَع، والأُنثى: جَذَعَة، وهي التي تؤخذ في
الصدقة إذا جاوزت الإبل ستين، ثم ليس شيء في
الصدقة سن من الأسنان من الإبل فوق الجذعة، فلا يزال
كذلك حتى تمضي الخامسة، فإذا مضت الخامسة ودخلت
السنة السادسة وأُتِيَ ثَبْتُهُ فهو حيث: ثَنِيّ والأُنثى:
ثَنِيَّة، وهو أدنى ما يميز زمن أسنان الإبل في الثمر.

(٤٠٩: ١)

عمرو بن قيس السُّكُونِيّ قال: سمعت عبد الله بن
عمرو يقول: «من أشرط الساعة أن توضع الأغيار
وتُرفع الأشرار، وأن تُقرأ المَنَاشَة على رؤوس الناس
لأشفيهم».

قيل: وما المَنَاشَة؟ قال: ما استُكْتَب من غير كتاب
الله عز وجل.

فسألت رجلاً من أهل العلم بالكتب الأول قد

وقال الطَّائِي: الثَّنِيّا من الجزور: الرأس والقلب، إلا
أن تُرداد.

المَنَاشَة: طرف الرُّمَام في الجِشاش. (١: ١٠٥)

هؤلاء رجال ثَنِيَّة، وهم: الأخشاء، وهو ثَنِيَّة، إذا

كان خسيس أهل بيته. (١: ١٠٦)

الثَّنِيّا: الرأس والإهاب والأكارع. (١: ١٠٨)

قال الأَكوعِيّ: المَنَاشَة: حروة الرُّمَام التي تكون في
البُرَّة. (١: ١٠٩)

يقال: أحادٌ وثَناءٌ وثلاثٌ وزِياعٌ وحماسٌ، وكذلك
إلى العشرة. (ابن السَّكَيْت: ٥٩٠)

مَثْنِي الأَيادي: أن يأخذ القسم مرة بعد مرة.

(الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٣٧)

الثَّنايا: هي العقاب. (الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٤٠)

يَنبَاهُ، وَتَبَاهُ، لِلطَّلْعِ، وَشَاءَ وَتَشَاءَ، لِلجَلْبِ.

ابن السَّكَيْت [إصلاح المطلق: ١٢٠]

أَبُو عُبَيْدٍ: مَثْنِي الأَيادي: هي الأنصاء التي كانت
تُفصل من جزور الميسر، فكان الرجل الجواد يشرها
فيقطعها الأبرام. (الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٣٧)

أَبُو زَيْدٍ: يقال: عَقَلْتُ البعير بشنّين، إذا عَقَلْتُ
يديه بطرفي جبل. وعَقَلْتُهُ بشنّين، إذا عَقَلْتُ يداً واحدة
بمقدنين. (الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٣٥)

الأَصْمَعِيّ: ويقال: ناقة ثَنِي، إذا ولدت بطنين،
ورثتها: ماني طنها. (الأضداد: ٤٦)

ناقة ثَنِي، إذا ولدت طناً واحداً، ويقال فيه أيضاً:
إذا ولدت بطنين. [ثم استشهد بـ]

ولدها الثاني: ثَنِيها.

(ابن سيده ١٠: ١٩٦)

ليس [في الإبل] قبل القني اسم يستى، ولا بعد

(ابن سيده ١٠: ١٩٩)

يقال: أنشئ، إذا قال خيراً أو شراً، وأنشئ، إذا

اغتتاب. (ابن منظور ١٤: ١٢٤)

ابن السكيت: يقال: صرفته عن الأمر أصرفه

صرفاً، وثنيته أنثيه نثياً، ورذعته أزدعته رذعاً، وقذعته

قذعاً. (٥٥١)

ويقال: مَوْحِدٌ وَمَنْشَى وَمَثَلٌ وَمَرْزِعٌ، ويقال:

أدخلوا أحاداً أحاداً... وكذلك ادخلوا ثثنى ثثنى ومثلث

مثلث.

ويقال: هو ثاني اثنين، أي أحد اثنين، وكذلك هو

ثالث ثلاثة ورابع أربعة.

وكان القراء والتحليل لا يميزان فيها إلا الإضافة،

لأنها في مذهب الأصماء، كأنه قال: هو أحد ثلاثة وأحد

أربعة، وكذلك إلى العشرة، وكان الكيساني يميز النصب.

قال القراء والتحليل: فإذا اختلفا فقلت: هو ثالث

اثنين أو رابع ثلاثة، فإن لك الوجهين: حذف التثنية

والإضافة، والتثنية والنصب، فتقول: هو ثالث اثنين

وهو ثالث اثنين، وهو رابع ثلاثة ورابع ثلاثة. كما تقول:

هو مُكْرَمٌ عِندَ اللَّهِ وهو مُكْرَمٌ عِندَ اللَّهِ. (٥٩٠)

شَهِيرٌ شُئِلَ الشَّيْءُ عَنِ الْإِمَارَةِ، فقال: «أولها

ملامة، وثناؤها ندامة وثلاثها عذاب يوم القيامة إلا من

عدك».

ثناؤها، أي ثانيها، وثلاثها: ثالثها. وأما ثناء وثلاث

فصروفاً عن ثلاثة ثلاثة واثنين اثنين، وكذلك رُباع

عربها وقرأها عن المثناة، فقال: إن الأخبار والزُهبان

من بقي إسرائيل بعد موسى وضوا كتاباً فيما بينهم على

ما أرادوا، من غير كتاب الله تبارك وتعالى، فستوه:

المثناة، كأنه يعني أنهم أحلوا فيه ماشاءوا وحرّموا فيه

ماشاءوا، على خلاف كتاب الله تبارك وتعالى، فهذا

عرّفنا تأويل حديث عبد الله بن عمرو أنّه إنّما كره

الأخذ عن أهل الكتب لذلك المعنى. (٣٢٩: ٢)

يقال للذي يحمي ثانياً في السؤدد ولا يحمي أولاً:

يُنْفِي مَقْصُورٌ، وثنيان، وثني، كلّ ذلك يقال. [تم استشهد

بشراً]

والثني من الوادي والجبل: منطفه، وثني الحبل:

مأثنته. (المجوهري ٦: ٢٢٩٤)

ابن الأعرابي: الفرس إذا استتمّ الثالثة ودخل في

الرابعة: ثني، فإذا أنقأ ألقى رواضه، فيقال: أنقأ وأدرم

للإثناء.

وإذا أنقأ سقطت رواضه وثبت مكانها سن:

فبات تلك السنّ هو الإثناء، ثم تسقط ألقى ثلثها عند

إرباعه.

والثني من الغنم: الذي استكمل الثانية ودخل في

الثالثة. والأثني: ثنية.

وولد البقرة أول سنة: تبع، ثم هو جدّع في السنة

الثانية، مثل الشاة سواء. (الأزهرّي ١٥: ١٤٠)

فلان لا يثني ولا يثليث، أي هو رجل كبير، فإذا أراد

النهوض لم يقدر في مرة ولا مرتين ولا في الثالثة.

(ابن سيده ١٠: ١٩٥)

لا تكن إثنوياً، أي ممن يصوم الاثنين وحده.

ويُغنى .

(الأزهرى ١٥ : ١٤١)

الجاحظ : الذَّكَر تيس ، والأنثى عنز . ثم يكون جذعًا في السنة الثانية ، والأنثى : جذعة . ثم ثنيًا في الثالثة ، والأنثى : ثنية ، ثم يكون رباعيًا في الرابعة ، والأنثى : رباعية .

(٤٩٨ : ٥)

ابن قُتَيْبَة : وهو [الثَّني] أن يبيع شيئًا جزأًا ، فلا يجوز أن يشتري منه شيئًا ، قلَّ أو كثر .

وتكون «الثَّني» في المزارعة : أن يشتري بعد النصف أو الثلث كَيْلًا معلومًا .

(الحرزوي ١ : ٣٠٠)

الحرزبي : قوله عنه : «ثني عليه رجلًا» يقول : أكل على ذلك ، ومال طعمًا فيه .

(٤١٧ : ٢)

المُبْرَد : الثنايا : جمع ثنية ، والثنية : الطريق في الجبل .

(٢٢٦ : ١)

إن أوسع الطريق في الجبل وعلا ، فهو ثنية . [ثم استشهد بشعر]

(٣٨١ : ١)

إنما أجازوا دخول اللام عليه [اثنين] لأنَّ فيه تقدير الوصف ، ألا ترى أنَّ معناه : اليوم الثاني ، وكذلك أيضًا اللام في الأحد والثلاثاء والأربعاء ونحوها ، لأنَّ تقديرها : الواحد والثاني والثالث والرابع والخامس والجامع والثابت .

(ابن سيده ١٠ : ١٩٦)

قُطَلَب : أتناؤه ومثانيه : قُوَاه وطاقاته ، واحدها : ثنيٌّ ومثناة ومثناة .

(ابن سيده ١٠ : ١٩٣)

[جمع الانسان] أنانين ، ويوم «الاثنين» لا يثنى ولا يجمع ، لأنَّه مُثنًى ، فإن أُسبِبت أن تجمعه كأنه صفة الواحد ، كأنَّ لفظة مثنًى للواحد . قلت : أنانين .

(ابن منظور ١٤ : ١١٨)

ومضى ثني من الليل أي ساعة . (ابن منظور ١٤ : ١٢٥)

الرَّجَّاج : ثنَّيت الرَّجُل ، إذا عطفته ، وأثنت على الرَّجُل خيرًا ، إذا مدحته .

(فعلت وأفعلت : ١٩١)

ابن دُرَيْد : ثني كل شيء : طيبه ، والثَّنيَة : المثناة : حبلان من صوف أو شعر .

(٥٢ : ٢)

والثَّناء : يقال : ثنَّي عليه ثناء حسنًا وثناءً ، والاسم : الثَّناء ، ولا يكون إلَّا في الخير إذا كان ممدودًا .

يقال : أثنت عليه إناء ، والاسم : الثَّناء ، لا يكون إلَّا في الخير ، وهو الثَّبت . وربما استعمل في الشَّرِّ ، زعموا .

والثَّنا يكون في الخير والشَّرِّ ، وكلاهما يصلح هذا في موضع هذا ، وهذا لا يصلح في موضع هذا . والثَّناء لا يكون إلَّا في الذَّكر الجميل .

وثني القوم : الذين دون السادة ، رجل ثنيٌّ ، والجمع : ثناء ، والأثنا : الذين هم دون السادة ، فلان من أثناه بني فلان ومن ثنيانهم ، إذا كان من دون ساداتهم .

والثَّناية : الجبل من الشَّرِّ أو الصَّوف .

(٢٢٠ : ٣)

ويقال : فلان ثنيان بني فلان ، إذا كان يلي سيدهم .

ويقال : حلفت بيننا ما فيها ثنية ولا ثني مَقْصُور .

ويقال : فعل ذلك ثني الأيادي ، أي يداً بعد يد .

ويقال : ناقة ثنيٌّ ، إذا كانت قد ولدت بعد بكرها ولداً آخر ، والجمع : أثناء ، ممدود .

(٤٦٩ : ٣)

القالي : إذا دخل [ولد الناقة الذَّكَر] في السادسة فهو ثنيٌّ والأنثى : ثنية .

(٢٢ : ١)

والثَّني : الولد الذي بعد الولد الأوَّل ، فالأوَّل يُكْرَم ، والثَّاني يُثَيِّ .

(٨٨ : ٢)

وأثناؤه : جمع ثني ، يريد أصطافه ، وأثناء الوادي :

يُجزء التحويتون. [ثم ذكر سؤال سيبويه من الحليل وأضاف:]

قلت: وهذا خلاف ما ذكره اللبث في كتابه، لأنه أجاز أن يقال لواحد «الثانين»: ثناء.

والحليل يقول: لم يحزوا «ثانين» لأنهم لا يفردون الواحد منها. [إلى أن قال:]

قال شير: وقال القراء: لم يحزوا «ثانين» لأن واحده لا يفرّد.

قلت: والبصريون والكوفيون اتفقوا على ترك الهزء في «الثانين» وعلى ألا يفرّد الواحد.

قلت: والحيل يقال له: الثانية.

وأما قالوا: ثانين، ولم يقولوا: ثانيتين، لأنه حيل واحد تُشدُّ بأحد طرفيه يد البعير، وبالطرف الآخر اليد الأخرى، فيقال: ثنيت البعير ثنائين، كأن «الثنائين» كالواحد، وإن جاء بلفظ اثنين، ولا يفرّد له واحد.

ومثله: المذروان: طرفا الآليتين، جعل واحداً، ولو كانا اثنين لقليل: ومذريان. وأما العقال الواحد، فإنه لا يقال له: ثنائية، إنما الثانية: الحيل الطويل. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: فلان ثاني اثنين، أي هو أحدهما، مضاف. ولا يقال: هو ثاني اثنين، بالثنوين.

وثنيا الحيل: طرفاه، واحدهما: ثني. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: رنّ فلان أثناء الحيل، إذا جعل وسطه أرباقاً، أي نَشَأَ للنَّاء يُشَقُّ في أعناق البهائم.

وأثناء الحية: مطاوعها إذا تحوّت.

مانعرج منه، وكذلك محانيه وأصواحه. (٢: ٢٤٦)

السيرافي: إن فلاناً ليصوم الاثنين، وبعضهم يقول: ليصوم الثني على «قول» مثل ثدي.

(ابن منظور ١٤: ١١٨)

الأزهري: وروي عن ابن عباس أنه قال: (ألا إنهم يثنون صدورهم) هود: ٥، قال القراء: وهو في الرمية، بمنزلة «تنشي» وهو من الفعل: «افترعت». قلت: وأصله من: ثنيت الشيء، إذا حنّته وعطفته

وطوّيته.

واشتوي صدره على البضاء، أي انحنى وأطوى.

وسمعت أعرابياً يقول لراعي إبل أوردتها الماء جملة:

ألا وائني وجوهها عن الماء، ثم أوبل منها رشلاً رشلاً.

أي قليباً قليباً، أراد بقوله: ائني وجوهها، أي أضرف وجوهها عن الماء، لئلا تردهم على الحوض فتهمد.

ويقال للفراس إذا ثني عنق دابته عند خصره: جاء ثائني العنان.

ويقال للفرس نفسه: جاء سابقاً ثائناً، إذا جاء وقد

ثنى عنقه نشاطاً، لأنه إذا أعيا مدّ عنقه، وإذا لم يثنى ولم يجهد وجاء سيره خفواً غير مجهود: ثنى عنقه. [ثم استشهد بشعر]

وفي حديث عمرو بن دينار، قال: رأيت ابن عمر ينحر بدنته وهي باركة مثنية ثنائين - غير مهموز -

وذلك أن يعقل يديه جميعاً بعقالين، ويسمى ذلك الحيل: الثانية. [ثم ذكر قول الحليل في قوله: «وعقلت البعير ثنائين» وأضاف:]

قلت: أغفل اللبث الملة في «الثنائين» وأجاز مالم

ويقال: حلف فلان ميثاً ليس فيها ثنياً، ولا ثنوى، ولا ثنية ولا ثنوية، ولا استثناء، كله واحد. وأصل هذا كله من «الثني» وهو الكف والزّد، لأنّ المالك إذا قال: والله لأفعل كذا وكذا إلّا أن يشاء الله غيره، فقد ردّ ما قاله بمشيئة الله غيره.

وروي عن كعب أنّه قال: «الشّهداء ثنية الله في الأرض»

تأوّل قول الله تعالى: ﴿وَنُفِثَ فِي السُّورِ فَصَبَّحَ مَنْ فِي السُّنُوفِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الزّمر: ٦٨، فالذين استثناءهم - عند كعب - من الصّبح الشّهداء، لأنّهم عند ربّهم أحياء يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، فإذا صُبح الخلق عند الثّمخة الأولى لم يُصعقوا. وهذا معنى كلام كعب.

والثّنيا، المنهي عنها في البيع: أن يستثنى منه شيء مجهول فيفسد البيع، وكذلك إذا باع جزواً بمن معلوم واستثنى رأسه وأطرافه، فإنّ البيع فاسد.

والثّنيا من المزور: الرّأس والقوائم، وسميت ثنياً، لأنّ البائع في الجاهلية كان يستثنى إذا باع المزور، فسُميت للاستثناء: الثّنياً. [ثمّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

ويقال: ثني الثوب، لما كُفّ من أطرافه، وأصل الثّني: الكفّ. (١٥: ١٣٤ - ١٤١)

الصّاحب: [نحو الخليل وأصاف:]

والثّنية في اليكف: خشفة تشدّ بالهمل إليه.

والثّنية: حبل الفرس؛ وكذلك الثّنية، والثّثاني: الميال، وطرف الزّمام الدقيق. وتفتح الميم أيضاً. [إلى

وأثناء الوشاح: ماثنى منه. [ثمّ استشهد بشعر] وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: «لا ثني في الصدقة» مقصور.

قال أبو سعيد: لسنا ننكر أنّ «الثّني» إصادة الشيء مرّة بعد مرّة، ولكنّه ليس وجه الكلام ولا معنى الحديث، معناه: أن تصدّق الرّجل على آخر بصدقة، ثمّ يدوله فيريد أن يسرقها، فيقال: «لا ثني في الصدقة» أي لا رجوع فيها، فيقول المتصدّق عليه: ليس لك عليّ عُصرة الوالد، أي ليس لك رجوع كرجوع الوالد فيما يعطي ولده. [ثمّ نقل قول الأصمعيّ وقال:]

قلت: والذي سمعته من العرب، يقولون للثّاقة إذا ولدت أول ولد تلده: فهي يكرّ وولدها أيضاً يكرها. فإذا ولدت الولد الثّاني: فهو ثنيّ، وولدها الثّاني ثنيها، وهذا هو الصّحيح. [إلى أن قال:]
وثنايا الإنسان في فمه: الأربع التي في مقدّم فيه: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل.

البيعر إذا استكمل الخامسة وطمن في السادسة فهو ثنيّ، والأثني: ثنية، وهو أدنى ما يجوز من سنّ الإبل في الأضاحي، وكذلك من البقر والمجزى. فأما الضّأن فيجوز منها المندخ في الأضاحي. [إلى أن قال:]
وإنما سمي البيعر ثنيّاً، لأنّه أثنى ثنيته.

أبو عبيدة عن أبي عمرو: الثّنايا هي العقاب، قلت: والعقاب: جبال طوال بعرض الطّريق، فالطّريق تأخذ فيها.

وكلّ عقبة مسلوكة: ثنية، وجمعها: ثنايا، وهي المدارج أيضاً. [إلى أن قال:]

أن قال:

الثاني، وكذلك إذا حُلِيَتْ قَمِيْن.

والثنية: أعلى مسيل في رأس جبل، يُرى من بعيد فيُعرف، وهي العقبة أيضًا، وجمعها: ثنايا.

ويقال: ثَنَيْتُ الشَّيْءَ أَثْنِيَهُ، وَثْنَيْتُهُ عَنْ وَجْهِهِ، إِذَا رَدَدْتَ عَوْدَهُ عَلَى بَدَنِهِ، وَأَثْنَيْتُهُ: مَثَلَهُ.

وأثناء الوادي: أحنأؤه، ومثانيه: محانيه.

والثني: التلوي في المشي.

والثنية: أحب الأولاد إلى الأم.

وثني فلان: فضل فلانًا ثانيًا.

والثني: ضم واحد إلى آخر، والثني: الاسم. وثني عِناثه عني: أعرض، وجاء ثانيًا من عنائه، أي أخيرًا، يقال: أثني الفرس.

والثني: ضم واحد إلى آخر، والثني: الاسم.

وثني عِناثه عني: أعرض، وجاء ثانيًا من عنائه، أي

جاء وادعًا.

وفلان ثنيي، أي خاصي وهم ثناياي.

وفلان لاثنى به المختصر، أي لايمد ثانيًا.

والثني، بوزن القمي: جمع الثني من الإبل، والثنيان جمع.

وثني ثنية، إذا قتل أمرأتم ضم إليه آخر. وثني الرجلين أشجها، وأنا ثانيها. واثنتان: على تقدير ضم

اثنته إلى اثنته، لاخرودان.

وهو يركب الناس ثنيته، أي بناحيته.

وجاء القوم مثنى مثنى، وثناء ثناء.

والثناء: الفناء، وجمعه: أثنية.

والثني: مقصور: الذي بعد السيد، والثنيان مثله.

والثني: من أوتار العود. وقيل: مادون المثنى من

فلان ثنيان بي فلان، أي يلي سيدهم وجمع الثني: ثنية.

السور، وما فوق المفصل.

وأمر ثني، أي ثان. وحلبيث الناقة ثني. ويوم الثني:

والمثاني: آيات سورة فاتحة الكتاب. وقيل: من

يوم الاثنين، وفي الحديث: «لايسئ في الصدقة» أي

سورة البقرة إلى براءة. وقيل: القرآن كله، لقوله تعالى:

لايؤخذ مرتين في السنة.

﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَعَانِي﴾ الزمر: ٢٣، وسمي بذلك لأنَّ

القصاص والأثبات ثنيت فيه.

وجمع الاثنين من الأيام: أثنان وأثنانين.

والثاية: الثعاس الذي يُجمل في البكرة إذا اتسعت.

وقوله^(١):

والثيا من المجرور: الرأس والقوائم، لأنَّ الجزار

غير مائتي ولايكر*

يستنيها لنفسه.

أي ليس بأول مرة ولايثنى ثانية.

وقيل في قوله^(٢):

والثاوة: بمعنى أن يكون الرجل ثانيًا.

* مذكرة الثيا...

وفلان يثني ولايكلت، أي يعد من الخلفاء اثنتين

قوائها ورأسها. وقيل: هي النظرة الثانية، أي إنَّ

وينكر غيرها.

وناقة ثني، وكذت هلتين. وأثنت الهامل: وضعت

النظرة الأولى غليل والثانية تحقّق.

وفي الحديث: «نهى النبي ﷺ عن الثّناء» وذلك أن بيع الرجل الشيء جزافاً، فلا يجوز له أن يستني منها شيئاً قلّ أو كثر، لأنّه لا يدري كم يبق منه. وهي في المزارعة: أن يستني بعد التصف أو الربع أو الثلث كَيْثَلاً معلوماً، وهي الثّوى.

والاستثناء في العين أصله: من ثَبَّثُ الشيء، أي زَوَيْتُهُ.

ومنى الأيادي: الأصابع التي كانت تفضل من الجزور في الميسر عن السهام، فكان الجسود يشتريها فيطمعها الأبرام، وهو أن يعيد معرفه مرّتين.

وثنائي الدآبة: برقاء وركبائه. (١٠: ١٧٨) ابن جني: اللام في «الاثنتين» غير زائدة، وإن لم تكن الاثنان صفة. (ابن سيده ١٠: ١٩٦)

لو كانت ياء التثنية في «الثّنائين» إعراباً أو دليل إعراب، لوجب أن تغلب الياء التي بعد الألف همزة، فيقال: عقلته بثناءين، وذلك لأنّها ياء وقعت طرّقاً بعد ألف زائدة، فجري مجرى ياء رداء ورماء وظياء.

(ابن سيده ١٠: ١٩٨) ثناء الذّكر وفتاؤها أصلاً، لأنّ الثّناء من ثنى يثني، لأنّ هناك تنثني عن الانبساط فهي آخرها واستقصاء حدودها، وفتاؤها من فني يفي، لأنك إذا تناهيت إلى أقصى حدودها فَنَيْتَ. (ابن سيده ١٠: ١٩٩)

الجوهري: الثّاية: جبل من شمر أو صوف. [ثمّ استشهد بشعر]

وأما الثّناء ممدود: فيقال البعير، ونحو ذلك من جبل

منّي. وكلّ واحد من ثنّيه فهو ثناء، لو أفرد تقول: عقلت البعير ثنّائين، إذا عقلت يديه جمّاً جيّماً بجبل أو بطري حبل. وأما لم يمز، لأنّه لفظ جاء منّي لا يفرد واحده فيقال: ثناء، فتركت الياء على الأصل، كما فعلوا في يلدزوين، لأنّ الأصل الهزرة في ثناء لو أفرد «ياء»، لأنّه من «ثنّيت» ولو أفرد واحده لقيل: ثناءان، كما تقول: كساءان ورداءان.

والثّني: واحد أثناء الشيء، أي تضاعفه. تقول: أخذت كذا في ثني كتابي، أي في طيه.

والثّني أيضاً من الثّوق: التي وضعت جنتين، وثنيها: ولدها، وكذلك المرأة. ولا يقال: ثلث، ولا فوق ذلك. والثّني مفعول: الأرمعاً مرّتين.

والثّناء بالضمّ: الاسم من الاستثناء، وكذلك الثّوى بالفتح.

ويقال: جاءوا منّي منّي، أي اثنين اثنين، ومنّي وثناء غير معروفين، لما قلناه في «ثلاث» من باب الثّاء. وفي الحديث: «من أشرط التساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ المنة على رؤوس الناس فلاتغير»، يقال: هي التي تستى بالفارسية «دوبيتي» وهو الفناء. وكان أبو حنيفة يذهب في تأويله إلى غير هذا.

وثنيت الشيء ثنّاً: عطفته. وثناه، أي كفه، يقال: جاء ثنائياً من عنانه. وثنّيته أيضاً: صرفته عن حاجته، وكذلك إذا صرّت له ثنائياً.

وثنّيته تنثية، أي جعلته اثنين.

في الزَّفْع والتَّصَب والمَغْفَض، إِلَّا اثْنِي عَشَرَ فَإِنَّكَ تُعْرَبه
على هجاءين.

وتقول للمؤث: اثنتان، وإن شئت ثنتان، لأنَّ
الألف إنما اجتلبت لسكون التاء، فلما تحرَّكت سقطت.
ولو سَمِيَ رجل باثنين أو باثني عشر، لقلت في
النسبة إليه: ثنوي، في قول من قال في ابن: بنوي، واثني،
في قول من قال: ابني. [ثم استشهد بشر]

وانسني، أي انسطف. وكذلك اثنوني، على
«افتوزعل».

وأثنى عليه خيرًا، والاسم التَّناء.

وأثنى، أي ألقى نصيبه.

وثننى في مشيته: تأوَّد.

ولمثنائي من القرآن: ما كان أقلَّ من المِثْنين.
وتسمَّى فاتحة الكتاب: مثنائي، لأنها تنبئ في كلِّ ركعة،
ويسمَّى جميع القرآن: مثنائي أيضًا، لاقتران آية الرَّحمة
آية العذاب. (٢٢٩٦-٢٢٩٣: ٦)

ابن فارس: التَّناء والتَّون والياء أصل واحد، وهو
تكرير الشيء مرَّتين، أو جعله شيئين متواليين أو
متباينين، وذلك قولك: ثنيت الشيء ثنيتًا. والاثنتان في
العدد معروفان.

والثنى والثَّنيان: الَّذي يكون بعد السَّيد، كأنه ثانيه.
[ثم استشهد بشر]

ويقال: امرأة ثنَّى: ولدت اثنين، ولا يقال: ثلثت،
ولا فرق ذلك.

والثَّناية: جبل من شمر أو صُوف، ويحتمل أنه سمي
بذلك لأنه يثنى، أو يمكن أن يُثنى. [ثم استشهد بشر]

والثَّنيان بالضم: الَّذي يكون دون السَّيد في المرتبة،
والجمع: ثنية. [ثم استشهد بشر]

وفلان ثنية أهل بيته، أي أرذلهم.

والثَّني والثَّني بضم التاء وكسرهما، مثل الثَّنيان. [ثم
استشهد بشر]

والثَّنية: واحدة الثَّنايا من السَّن.

والثَّنية: طريق العقبة، ومنه قولهم: فلان طَلَّع
الثَّنايا، إذا كان ساميًا لمعالي الأمور، كما يقال: طَلَّع
أُنْجِد.

والثَّني: الَّذي يلقى نصيبه، ويكون ذلك في الظُّلف
والمخافر في السنة الثالثة، وفي الخفِّ في السنة السادسة.
والجمع: ثنيان وثناء، والأثنى: ثنية، والجمع: ثنَّيات.

واثنان من عدد المذكر، واثنان للمؤث. وفي
المؤث لغة أخرى: ثنتان بمجذف الألف، ولو جاز أن يُعْرَد
لكان واحده: اثني واثنته، مثل ابن وابنة. وألفه ألف
وصل، وقد قطعها الشَّاعر على التَّوهم. [ثم استشهد
بشر]

ويوم الاثنين: لا يثنى ولا يجمع، لأنَّه مثنى، فإن
أحببت أن تجمعه كأنه صفة للواحد، قلت: أثنين.

وقولهم: هذا ثاني اثنين، أي هو أحد الاثنين،
وكذلك ثالث ثلاثة مضاف، إلى العشرة، ولا يثنى.

فإن اختلفا فأنت بالخيار: إن شئت أضفت، وإن
شئت نَوَّنت، وقلت: هذا ثاني واحدٍ، وثاني. المعنى: هذا
ثني واحدًا. وكذلك ثالث اثنين، على ما فسرناه في باب
«التَّاء».

والعدد منصوب ما بين أحد عشر إلى تسعة عشر،

نشره، ويقولون: جاءني نثًا خير ساءني، يريدون
انتشاره واستفاضته.

وقال أبو بكر: «النثاء» بالمد لا يكون إلا في الخير،
وربما استعمل في الشرّ، و«النثاء» يكون في الخير والشرّ،
وهذا خلاف ما حكاه أبو أحمد.

و«النثاء» عندنا هو بسط القول مدحًا أو ذمًا
و«النثاء» تكريره، فالفرق بينها بين (٣٧)

الفرق بين الاستثناء والمطف: أنك إذا قلت:
ضربت القوم، فقد أخبرت أن الضرب قد استوفى
القوم، ثم قلت: وعمراً، فعمرو غير القوم، والفعل الواقع
به غير الفعل الواقع بالقوم، وإنما أشركته معهم في فعل
ثان وصل إليه منك. وليس هذا حكم الاستثناء، لأنك
تمنع في الاستثناء أن يصل فعلك إلى جميع المذكور.

(٤٩)

الفرق بين قولك: منته عن الفعل، وبين قولك:
نتيته عنه: أن «المنع» يكون عن إحياء الفعل، و«النتية»
لا يكون إلا المنع عن إتمام الفعل، تقول: نتيته عنه، إذا
كان قد ابتدأ فنتته عن إتمامه واستبقائه.

وإلى هذا يرجع الاستثناء في الكلام، لأنك إذا
قلت: ضربت القوم إلا زيداً، فقد أخبرت أن الضرب
قد استمر في القوم دون زيد، فكانت أطلقت الضرب
حتى إذا استمر في القوم نتيته فلم يصل إلى زيد. (٩٢)
الهُزُويّ: و«النثياء» المنهي عنها في البيع: أن
يستثنى منه شيء مجهول، فيتشد البيع. [تم ذكر قول ابن
قُتَيْبَةَ وأضاف:]

و«النثياء» في الجزور: الرأس والقوائم.

والنثياء من الجزور: الرأس أو غيره إذا استثناء
صاحبه.

ومعنى الاستثناء من قياس الباب، وذلك أن ذكره
يتميّز مرة في الجملة ومرة في التفصيل، لأنك إذا قلت:
خرج الناس، في الناس زيد وعمرو، فإذا قلت: إلا
زيداً، فقد ذكرت به زيداً مرة أخرى ذكرًا ظاهرًا.
ولذلك قال بعض النحويين: إنه خرج مما دخل فيه،
فعمل فيه ما عمل عشرون في الدرهم. وهذا كلام
صحيح مستقيم.

والمثناة: طرف الزمام في الخشاش، كأنه ثاني
الزمام.

والمثناة: ما قرئ من الكتاب وكثر، قال الله تعالى:
﴿وَلَقَدْ أَنْثَاكَ سَبْعًا مِنَ الْهَافِي﴾ المجر: ٨٧، أراد أن
قراءتها تكثر وتكثر. (١: ٣٩١)

أبو هلال: الفرق بين المدح والنثاء: أن النثاء مدح
مكثر، من قولك: نثيت الخيط، إذا جعلته طاقين،
ونثيته بالتشديد إذا أضفت إليه خيطاً آخر، ومنه قوله
تعالى: ﴿سَبْعًا مِنَ الْهَافِي﴾ المجر: ٨٧، يعني سورة
الحمد، لأنها تكثر في كل ركعة.

الفرق بين النثاء والنثاء - على ما قال أبو أحمد الحسن
ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله - أن «النثاء» يكون في
الخير والشرّ، يقال: أنثى عليه بخير وأنثى عليه بشرّ،
و«النثاء» مقصور لا يكون إلا في الشرّ. ونحن سمعناه في
الخير والشرّ.

والصحيح عندنا أن «النثاء» هو بسط القول في مدح
الرجل أو ذمه، وهو مثل التث: تثت الحديث نثاً، إذا

وليس في الكلام تاء مبدلة من الياء في غير «افتمل»
إلا فيها حكاه سيبويه، من قولهم: «اشتتوا» ومأخذاه
أبو علي من قولهم: «ثنتان».

وثنتى الشيء: جعله اثنتين.

واتنتى - افتمل منه - أصله: انتنتى، فقلبت التاء تاء،
لأنَّ التاء أخت التاء في الهمس، ثم أدغمت فيها. [ثم
استشهد بشعر]

هذا هو المشهور في الاستعمال، والقوي في القياس.
ومنهم من يقلب تاء «افتمل» تاء، فيجعلها من لفظ التاء
قبلها، فيقول: «أنتى»، وأترد، وأتأر، كما قال بعضهم في:
أذكرك (أذكر) يوسف: ٤٥، وفي «اصطلحوا» «اصلحوا».
وهذا ثاني هذا، أي الذي شغفه، ولا يقال: ثنتته. إلا
أنَّ أبا زيد قال: هو واحد فأنثته، أي كن له ثانياً.

وشربت أثناء القدح، وشربت أنتى هذا القدح، أي
اثنتين مثله، وكذلك: شربت أنتى مد البصرة، واثنتين بمد
البصرة.

وثنتت الشيء: جعلته اثنتين.

وجاء القوم ثنتى، وثناء، وكذلك النسوة، وسائر
الأنواع: أي اثنتين اثنتين، وثنتين ثنتين. [ثم استشهد
بشعر]

والإثنان: من أيام الأسبوع، لأنَّ الأول عندهم
الأحد، والجمع: أثناء، وحكى الخطَّاب عن ثعلب: أثنانين.
[ثم نقل قول سيبويه والعمياني وقال:]

وكان أبو زياد يقول: «مضى الاثنان بما فيه» فيؤخذ
ويذكر، وكذا يفعل في سائر أيام الأسبوع كلها، وكان
يؤنث الجمعة.

ومنه الحديث: «كان لرجل ناقة نجيبة فمرست،
فباعها من رجل واشترط ثنتياها» أراد قوائها ورأسها.
(١: ٣٠٠)

الفعالي: إذا كان [ولد الناقة] في السادسة وألتي
ثنتيته فهو ثنتي.

إذا وضعت [الفرس] أنه، فهو مهر، ثم فلولو. فإذا
استكمل سنة، فهو حولي، ثم في الثانية: جدع، ثم في
الثالثة: ثنتي. (١١٤)

وكل من أولاد الضأن والمز في السنة الثانية: جدع
وفي الثالثة: ثنتي.

وأول ما يولد للفلي، فهو طلاً، ثم خشف، ورشاً ثم
غزال، وشادن، ثم شصر ثم جدع. ثم ثنتي إلى أن يموت.
(١١٦)

فإذا كانت [المرأة] لاحسك بولها فهي مثناة. (١٦٩)
ابن سيده: ثنت الشيء ثنتاً: ردَّ بعضه على بعض،
وقد ثنتت وانتثي.

وثنتي الحية: انتأواها، وهو أيضاً: ماتتج منها إذا
تستت، والجمع: أثناء. [ثم استشهد بشعر]

وأثناء الرادي: معاطفه وأجزاعه.
وشاة ثانية، بنية الثني: ثنتي عنقها لغير حلة.
وثنتي رجله عن دابته: ضمته إلى فخذه، فزول.

والاثنان: خيف الواحد، والمؤنث: الثنتان، تأؤه
مبدلة من ياء، ويدل على أنه من الياء أنه من «ثنتت»
لأنَّ الاثنتين قد ثنتي أحدهما إلى صاحبه، وأصله: ثنتي،
يدل على ذلك جمعهم إثناء على أثناء، بمنزلة أبناء
وأخاء، فنقلوه من قتل إلى قتل، كما فعلوا ذلك في بنت.

استشهد بشعر]

ورجل ثنيان: لأرأي له ولا عقل.

ورأي ثنيان: غير سديد.

والثنية من الأخضراس: أول ما في القم وللإنسان.

والحفّ والتسّع ثنيان من فوق، وثنيان من أسفل.

والثني من الإبل: الذي يُلقي ثنيته؛ وذلك في

السادسة، ومن الغنم: الدّاخل في السنة الثانية، ثنيًا كان

أو كبشًا.

وقيل: لابنة الحُس: هل يلقي الثني؟ قالت:

والقاحه أنبيء، أي طيء.

والأثني ثنية. والجمع من ذلك: كَلَه: بُنَاءٌ وَثْنَاءٌ

وثنيان. وحكى سيّويه: ثُن.

وأثنى البعير: صار ثنيًا. وقيل: كلّ ما سقطت ثنيته

من غير الإنسان: ثني.

والطهي ثني بعد الإجذاع، ولا يزال كذلك حتى

يموت.

والثنية: الطريقة في الجبل كالقُنب. وقيل: الطريقة

إلى الجبل، وقيل: هي العقبة، وقيل: هي الجبل نفسه.

والثناء: ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم، وخَصَصَ

بعضهم به المدح، وقد أثبت عليه. [ثم استشهد بشعر]

وثناء الدّار: فناءها. [ثم نقل قول ابن جني وقال:]

فإن قلت: هلّا جعلت إجماعهم على: أفنية، بالقاء،

دلالة على أن الثّاء في «ثناء» بدل من فاء «فثناء» كما

زعمت أن فاء «جذّفي» بدل من ثاء «جذّث» لإجماعهم

على أجدات؟ فالفرق بينها وجودنا لبناء من الاشتقاق

ما وجدناه انشاء، ألا ترى أن الفعل تصرف منها جميعًا؟

وكان أبو الجراح يقول: «مضى السبب بما فيه،

رمضى الأحد بما فيه، ومضى الاثنين بما فيها، ومضى

الثلاثاء بما فيها، ومضى الأربعاء بما فيها، ومضى

الخميس بما فيها، ومضت الجمعة بما فيها» كان يخرجها

مخرج العدد

والثاني من أوتار العود: الذي بعد الأوّل، واحدها:

ثُنيّ.

والثاني من القرآن: ما ثني مرّة بعد مرّة، وقيل:

فاتحة الكتاب. قال ثعلب: لأنّها ثُنيّ مع كلّ سورة.

وقيل: الثاني: سور، أوّلها البقرة وآخرها براءة.

وقيل: ما كان دون الميتين، وقيل: القرآن كلّّه. [ثمّ

استشهد بشعر]

وقال اللّحياني: الثنية: أن يفوز قِدَح رجل منهم،

فينجو ويغنم، فيطلب إليهم أن يميّدوه على خطر،

والأوّل أقيس وأقرب إلى الاشتقاق. وقيل: هو

ما استكتب من غير كتاب الله.

وسُني الأيادي: أن يأخذ القسم مرّة بعد مرّة.

وناقة ثنيّ، إذا ولدت اثنين، وقيل: إذا ولدت ثلاثًا

واحدة، والأوّل أقيس. وجمعها: ثُناء كظفر وظُور.

ورثيها: ولدها. [ثمّ استشهد بشعر]

والتواني: القرون التي بعد الأوائل.

والثني في الصدقة: أن تؤخذ في العام مرتين.

والثني: هو أن تؤخذ نائقتان في الصدقة مكان

واحدة.

والستنة والمثناة: جبل من صُوف أو شعر.

والثني من الرجال: بعد السبّ، وهو الثنيان. [ثمّ

الكلمة، ويقال ذلك باعتبار العدد، أو باعتبار التكرير الموجود فيه، أو باعتبارها معاً، قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ الآية: ٤٠، ﴿وَمِنَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة: ٦٠، وقال: ﴿مُتْنًى وَتَلْكَ وَرَبَاعٌ﴾ النساء: ٣، فيقال: ثنيته تنية: كنت له ثانياً، أو أخذت نصف ماله، أو ضمنت إليه ما صار به اثنين.

الثْنَى: ما يعاد مرتين. [إلى أن قال:]

وامرأة ثني: ولدت اثنين، والولد يقال له: ثني. وحلف يميناً فيها ثني وثنوي وثنية وثنوية.

ويقال للاروي الشيء: قد ثناه، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمَسُّونَ صُدُورَهُمْ﴾ هود: ٥.

والثني من الشاة: ما دخل في السنة الثانية، وما سقطت ثنيته من البعير، وقد أثني. وثنيث الشيء: أثنيه: عقدته بثنائين، غير مهموز. قيل: ولقأ لم يُمَرَّز، لأنه بني الكلمة على التنية ولم يثن عليه لفظ الواحد.

والمثناة: ماثنى من طرف الزمام.

والثنيان: الذي يثنى به إذا عُد السادات.

وفلان ثنية كذا: كناية عن قصور منزلته فيهم.

والثنية من الجبل: ما يحتاج في قطعه وسلوكه إلى صعود وصُودود، فكأنه يثنى السير.

والثنية من السن تشبيهاً بالثنية من الجبل في الهيئة والصلاة.

والثني من المزور: ما يثنيه جازره إلى ثنيته من الرأس والصلب، وقيل: الثنوي.

والثناء: ما يذكر في حماد الناس فيثنى حالاً فعلاً ذكره، يقال: أثني عليه.

ولسنا نعلم له جَذَفٌ بالفاء تصرّف «جَذَت» فلذلك قضينا بأن الفاء بدل من التاء، وجعله أبو عبيدة في المبدل.

واستثنت الشيء من الشيء: حاشيته.

والثنية: الثغلة المستتنة من المساومة.

وحلقة غير ذات ثنوية: أي غير محللة.

والثنيا، والثنوي: ما استثنيته، فُلبت ياءه واولاً للتصريف، وتعويض الواو من كثرة دخول الياء عليها، وللفرق أيضاً بين الاسم والصفة، [ثم استشهد بشعر]

(١٠: ١٩٣)

الثني: الثنس في القاتلة، والأنثى: ثنية. وأثنى الثنس: صار ثنياً.

(الإفصاح ٢: ٧٨٤)

الثني: بعد الجذع، الجمع: ثناء وثنيان، وقيل: الثنية: البقرة في القاتلة.

أثنى الحيوان: أثنى ثنيته فصار ثنياً.

(الإفصاح ٢: ٧٩٩)

الثني: ثنا الشيء يثنيه ثنياً: عطفه وردّ بعضه على بعض، فأنثى واثني وثنى، أي انطفأ وارتدّ بعضه على بعض.

(الإفصاح ٢: ١١٧٣)

الثني: ثناء عن مراده يثنيه ثنياً: صرفه عنه.

(الإفصاح ٢: ١٣٦٩)

الطُوسِيّ: أصل الثني: اللطف، تقول: ثنيته عن كذا، أي عطفه ومنه: الاثنان، لطف أحدهما على الآخر.

في المعنى: ومنه: الثناء، لطف المناقب في المدح. ومنه: الاستثناء، لأنه عطف عليه بالإخراج منه. (٥: ٥١٦)

منه الطُّبْرَسِيّ.

الزَّاهِبُ: الثني والاثنان أصل لمصترفات هذه

لنفسه من الرأس والأطراف، وأبيك هذه الشاة ولي
ثنيها.

وهذه هبة ليس فيها شئونة وثنيًا، أي استثناء.
وهو ثنيي من القوم، أي خاصتي، وهؤلاء ثناباي.
[ثم استشهد بشعر]

ومن الجاز: ثنيت فلانًا على وجهه، إذا رجعته إلى
حيث جاء، وثني عنانه عني، ولوى جذاره، إذا أعرض،
وجاء ثانيًا من عنانه، إذا جاء ظافرًا ببيته.

وفلان ثنني به المخاصم، أي يُدأ به، ولا تُثنى به
المخاصم، أي لا يؤخذ به. وعرفت ذلك في أثناء كلامه.
وثني فلان رجله، أي جلس. وهو طلاع الثنايا، أي
ركاب المشاق.

وثنني في صدري كذا، أي تردد. (أساس البلاغة: ٤٨)
«لما فرغ ^{الملك} من قتال أهل بدر، أتاه جبريل على
فرس أنثى حراء، عاقداً ناصيته، عليه درعه، وزمعه في
يده، قد عصم نتيه الفبار...»

يجوز أن يراد بالثنية: الطريق الذي أتى فيه. وأن
الفبار قد عصمه، أي منعه وصدّه. (الفائق ٢: ٤٣٧)
المدني: في الحديث: «من يصعد نية المُرار، حطَّ
عنه ما حطَّ عن بني إسرائيل» يعني حين انتصروا قوله:
«اذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا» النساء: ١٥٤.

قال الأستمي: الثنية في الجبل: علو فيه، والجمع:
الثنايا. وقال غيره: هي أعلى المسيل في رأس الجبل.
والثنية: العقبة، والجبل، والطريق في الجبل علو فيه،
والجمع: الثنايا. وقال غيره: والمرتع من الأرض.
«ثنية مُرار» بضم الميم، ما بين مكة والمدينة من

وتنني في مشيته: نحو تبخر. [إلى أن قال:]
والاستثناء: إيراد لفظ يقتضي رفع بعض ما يوجبه
عموم لفظ متقدم، أو يقتضي رفع حكم اللفظ.
فما يقتضي رفع بعض ما يوجبه عموم اللفظ، قوله
عز وجل: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَالُوحي إِلًا مَسْخُومًا عَلَى
طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ» الأنعام: ١٤٥.

وما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ، فنحو قوله: والله
أفضلن كذا إن شاء الله، وإمرأته طالق إن شاء الله،
وعبد عتيق إن شاء الله، وعلى هذا قوله تعالى: «إِذْ
أَقْسَمُوا لِيَصْرِفُهَا عَنْ مِصْرٍ» ولا يَنْشَفُونَ» القلم:
١٧، ١٨.

الرّمّ مخفري: دسه في نني نويه. وكل شيء نني
بعضه على بعض أطواقًا، فكل طائي من ذلك: نني، حق
يقال: أثناء الهية لخطاها، ونشبه الرّيا بأثناء الوشاح.
[ثم استشهد بشعر]

وأخذوا في نني الجبل والوادي، أي في مُنتطفه.
وليس هذا من فعلاته يكر ولا نني. وقبض يثنى الجبل،
وهو ما فضل في كفه إذا قبض عليه. وعقل البعير
بثنايتين، وهو أن يعقل يديه جميعًا بطري جبل. وعقد
المنية في الخيشاش والثنائي في الأخيصة، وهي طرف
الرّزام.

وثني الرد فانتني، وثنني النسن وقوام الجارية،
وثني وسادته فجلس عليها، وثني رجله فنزل.
وهما بدء قومها وثنيانهم، أي أولهم في السيادة
والذي يليه.

ونحر المزار الثاقه وأخذ الثنايا، وهي ما يستنيه

مُسِرَّ ومُسْتَرَّ.

وقيل: الجَذَع من الضَّانَّ يَجْذَعُ لثمانية أشهر.

في الحديث: «من أحتق أو طلق ثم استثنى فله ثنياء»

أي من شرط في ذلك شرطاً أو علقه على شيء فله

ما شرط، أو استثنى منه شيئاً فله ذلك، مثل أن يقول:

طَلَّقْتُهَا ثَلَاثاً إِلَّا وَاحِداً، أو طَلَّقْتُهَا إِلَّا فَلانة، أو أَعْتَقْتُهُمْ

إِلَّا فَلاناً، والله تعالى أعلم.

وقيل: الاستثناء مشتق من «الاثْنَيْنِ» لَأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ

بشيء فقد أفاد به فائدة، فإذا استثنى منه أفاد فائدة

ثانية.

في الحديث: «من قال: كذا عقيب الصلاة وهو ثان

رجلَه» أي كما هو قاعد في التشهد، لَأَنَّ السُّكُوتَ فِي التَّشَهُّدِ

أَنْ يَنْتَهِى رَجُلُهُ الْيُمْنَى.

وفي حديث آخر: «من قال عقيب الصلاة: كذا قبل

أَنْ يَنْتَهِى رَجُلُهُ».

وهذا ضدُّ الأوَّل في اللَّفْظ، وفي المعنى موافق له، لَأَنَّ

معناه قاله قبل أَنْ يصرف رجلَه عن حالتها الَّتِي هِيَ

عليها في التَّشَهُّدِ، فتوافق معنى الحديثين.

في حديث أبي هريرة: «كان ينتبه عليه أثناء من

سنته».

الأثناء: جمع ثَنِي، وهو ماثِي.

وفي حديث الصلاة: «صلاة الليل مثنى مثنى» أي

ركعتان ركعتان، بتشهد وتسليم، فهي ثنائية

لارباعية، ومثنى مثنى مدول عن اثنين اثنين.

ومنه حديث الهديبية: «دعوهم يكن لهم بدء

الفجور ونهاء» أي أوَّلُه وآخره. (١: ٢٧٧ - ٢٨٠)

طريق الهديبية. وإنما قال ذلك، لَأَنَّهَا عَقِبَةُ شاقَّة وصلوا

إليها ليلاً، حين أرادوا مكة سنة الهديبية، فرحبهم في

صمودها، والله عز وجل أعلم.

في حديث الحَبَّاج أَنَّهُ قَالَ: «طَلَّحَ الثَّيَابُ» أي هو

جَلَّدَ يَطْلَعُ الثَّيَابُ فِي ارتفاعها وصحوبها، ومعناه: أَنَّهُ

يرتكب الأمور العظام.

في حديث الأُحْصِيَّة: «أَنَّهُ أَمَرَ بِالْجَذْعَةِ مِنَ الضَّانِّ

وَالثَّنِيَةِ مِنَ الْمِزَّةِ».

الثَّنِيَّة من الفم: ما لها سستان ودخلت في الثَّالِثَةِ،

وقيل: ما لها سنة تامة ودخلت في الثانية، والذَّكَر: ثَنِيٌّ.

وَالثَّنِي مِنَ الْبَقَرِ: ما تَمَّ له ثلاث سنين ودخل في الرَّابِعَةِ.

وقيل على مذهب الإمام أحمد: ما تَمَّ له سنة من

الحَمَز، ودخل في الثانية، ومن البقر: ما تَمَّ له سستان

ودخل في الثَّالِثَةِ، وأما من الإِبِل فما تَمَّ له حَمْسُ سنين

ودخل في السَّادَةِ.

وقيل: بل لا يكون من الإِبِل ثَنِيًّا حَتَّى يُلْقَى ثَنِيَّتِهِ

الرَّاضِعَتَيْنِ، وهما المُقَدَّمَتَانِ، وَنَبَتْ أُخْرَيَانِ، وذلك في

الثَّالِثَةِ.

قلت: ويجوز أن يكون اختلافهم هذا، إِنَّمَا حصل من

حيث الوجود، لَأَنَّهُ إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَسْمَى شَيْئاً بِإِسْقَاطِ

ثَنِيَّتِهِ، فَقَدْ يَخْتَلِفُ ذَلِكَ، عَسَى فِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْفَمِ

وغيرها كَالْأَدَمِيِّ. وقد يختلف سقوط الثَّنَيْنِ وَنَبَاتِهَا فِي

أَخَوَيْنِ فَكَيْفَ فِي أَجَنِّيَيْنِ! والله تعالى أعلم.

والفعل من ذلك أَنْتَى يَنْتَى، إِذَا نَبَتْ لَهُ ثَنِيَّةٌ، وَالْجَذْعُ

مِنَ الضَّانِّ يَنْزُو فَيُلْقِشُ، فَلِهَذَا أُجِيرَ فِي الْأُحْصِيَّةِ، وَمِنَ

الْمِزْزَى لَا يُلْقِشُ حَتَّى يَصِيرَ شَيْئاً، وَيُقَالُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ:

والاستثناء «استعمال» من ثَبِتَ الشيء أثبت ثبُتًا،
من باب «رعى» إذا عطفه ورددته. وَثَبَّتَهُ عن مُرادِهِ،
إذا صرّفته عنه.

وعلى هذا فالاستثناء: صرف العامل عن تناول
المستثنى، ويكون حقيقةً في المتصل وفي المنفصل أيضًا،
لأنَّ «إلّا» هي التي عدّت الفعل إلى الاسم حتى نصّبه،
فكانت بمنزلة الهزمة في التعدية. والهزمة تعدّي الفعل إلى
الجنس وغير الجنس حقيقة وفاقًا، فكذلك ماهو
بمنزلة ما.

وَتَبَيَّنَ ثَبُتًا، من باب «رعى» أيضًا: صرحت معه ثانيًا.
وَتَبَيَّنَ الشيء بالتثنية: جعلته اثنين.

وَأَثَبْتُ على زيد بالألف، والاسم: الثناء بالفتح
والمدح، يقال: أَثَبْتُ عليه خيرًا وبغير، وَأَثَبْتُ عليه شرًا
وبشر، لأنّه بمعنى وصفته هكذا. نصّ عليه جماعة منهم
صاحب «الحكم» وكذلك صاحب «البارع» وعزاه إلى
الحكيل، ومنهم محمد بن القوطية، وهو المختار...

وتَبَيَّنَ على ذلك من عُرِفَ بالعدالة واشتهر بالضبط
وصحة المقالة وهو السُّرْقُطِيُّ وابن القَطَّاع، واقتصر
جماعة على قولهم: أَثَبْتُ عليه بغير، ولم ينفوا غيره.
ومن هذا اجترأ بعضهم فقال: لا يستعمل إلّا في
الحسن. وفيه ظر، لأنّ تخصيص الشيء بالذكر لا يدلّ
على نفيه عمّا عداه، والزيادة من الثقة مقبولة.

ولو كان «الثناء» لا يستعمل إلّا في الخير كان قول
القاتل: أَثَبْتُ على زيد كافيًا في المدح، وكان قوله: وله
الثناء الحسن، لا يفيد إلّا التأكيد. والتأسيس أولى فكان
في قوله: «الحسن» احتراز عن غير الحسن، فإنّه

ابن بَرَزِي: [نسقل قول الجوهري] «أما الثناء
ممدود... ثم قال: [

إنّا لم نجد له واحد، لأنّه حبل واحد، تُشَدُّ بأحد
طرفيه اليد وبالطرف الآخر الأخرى، فهذا كالواحد.
(ابن منظور ١٤: ١٢١)

ابن الأثير: ومنه حديث عائشة رضي الله عنها
تصف أباه: «فأخذ بطرفيه وربّيت لكم أثناء» أي
مالئني منه، واحدها: ثَبِيٌّ، وهو سماع طائف القوب
وتضاعيفه.

ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كان يثنيه
عليه أثناء من سعة» يعني ثوبه.

وفي صفته ﷺ: «ليس بالطويل المثني» هو الذاهب
طولًا، وأكثر ما يستعمل في طويل لا عرض له.

(١: ٢٢٤)

الْعَيُومِيُّ: الثَبِيَّة: من الأسنان، جمعها: ثنابا
وثنابات وفي الفم أربع.

والتَّبِي: الجمل يدخل في السنة السادسة، والثاقه:
ثبيّة.

والتَّبِي أيضًا: الذي يلقي ثبته، يكون من ذوات
الظلف والحافر في السنة الثالثة، ومن ذوات الحفّ في
السنة السادسة، وهو بعد المبدّع، والجمع: ثَبَاء بالكسر
والمدح، وثَبَان مثل رغيف ورُغفان.

وأثنى، إذا أثنى ثبته، فهو ثَنِيٌّ «فعليل» بمعنى الفاعل.
والتَّبِيَا بضمّ التاء مع الياء، والتَّبَوَى بالفتح مع
الواو: اسم من الاستثناء، وفي الحديث: «من استثنى فله
ثَبِيّة» أي مالم يستثناء.

إثنان وإثنان. وفي لغة تميم «ثنتان» بغير همزة وصل.
ولا واحد له من لفظه. والثاء فيه للتأنيث، ثم سمي
اليوم به، فقيل: يوم الاثنين. ولا يثنى ولا يُجمع، فإن
أزدت جَمْعَهُ قَدَّرْتَ أَنَّهُ مفرد، وجمعت على: أثنانين.
وقال أبو علي الفارسي: وقالوا في جمع الاثنين:
أثناء. وكأنه جمع المفرد تقديرا، مثل سبب وأسباب.
وقيل: أصله: ثني، وزان جمل، ولهذا يقال: ثنتان.
والوجه أن يكون اختلاف لغة، لاختلاف اصطلاح.

وإذا عاد عليه ضمير جاز فيه وجهان: أوضحهما
الإفراد على معنى اليوم، يقال: مضى يوم الاثنين بما فيه.
والثاني: اعتبار اللفظ، فيقال: بما فيها.
وأثناء الشيء: تضاعفه، وجاءوا في أثناء الأمر،
أي في خلاله. تقدير الواحد: ثني أو ثني، كما تقدم.
(١: ٨٥)

الفيروز ابادي: ثني الشيء كسني ورسي: ردّ
بعضه على بعض، فشئى واشئى واشئوى: انطفئ.
وأثناء الشيء وثنايه: ثواه وطاقاته، واحدها: ثني
بالكسر، وثناة، ويكسر.

وثني الحية بالكسر: انتنأها أو ساتنوج منها إذا
تننت، ومن الوادي: مُنْطَفَئُهُ، الجمع: أثناء.
وشاة ثانية: بيئة الثني بالكسر، تنني عنقها لغير
علّة.

والاثنتان: ضعف الواحد، والمؤنث: ثنتان، وأصله:
ثني، لجمعهم إياه على أثناء.

وثناه تننية: جملة اثنين، وهذا واحد فأنثيه: كن
ثانيه، وهو لا يثنى ولا يثليث، أي كبير لا يقدر أن ينهض

يستعمل في التوعين، كما قال: والخير في يدك والشرّ
ليس إليك.

وفي الصحيحين: «مروا بمنزلة فأتوا عليها خيرا»،
فقال عليه الصلاة والسلام: وجبت، ثم مروا بأخرى
فأتوا عليها شرا، فقال عليه الصلاة والسلام: وجبت.
ومثل عن قوله: «وجبت»، فقال: هذا أنثيتهم عليه خيرا
فوجبته له الجنة، وهذا أنثيتهم عليه شرا فوجبته له
النار...».

وقد نقل التوعان في واقتنين تراخى إحداهما عن
الأخرى، من العدل الضابط عن المعدل الضابط عن
العرب الفصحاء عن أفصح العرب، فكان أوثق من نقل
أهل اللغة، فإنهم قد يكتفون بالنقل عن واحد ولا يعرف
حاله، فإنه قد يعرض له ما يجزئه عن حيز الاعتدال من
دهش وسكر وغير ذلك، فإذا عُرِف حاله لم يحتج
بقوله، ويرجع قول من زعم أنه لا يستعمل في الشرّ إلى
التي وكأنه قال: لم يُسمع، فلا يقال والإثبات أولى، وفيه
دُرٌّ من قال: وإن الحق سلطان سطاوع ومخالفة أبدا
سبيل.

وقال بعض المتأخرين: إنما استعمل في الشرّ في
«الحديث» للازدواج، وهذا كلام من لا يعرف اصطلاح
أهل العلم بهذه اللفظة.

والثناء للذكر كالثناء وزنا ومعنى.
والثني بالكسر والقصر: الأمر يُعاد مرتين.

والاثنتان: من أسماء العدد اسم للثنائية، حُوِّقَتْ لاه
وهي ياء، وتقدير الواحد: ثني، وزان سبب، ثم عُوِّضَ
همزة وصل فقيل: اثنتان. وللمؤنث: اثنتان، كما قيل:

لا في مرة ولا في مرتين ولا في الثالثة.

وجاءوا مثنى ومثنى وكُثِّرَ، أي اثنين اثنين وثلثين اثنين.

والاثنتان والثلاثون «إلى» يوم في الأسبوع، الجمع: أثناء وأثنان. وجاء في السَّمر: يوم اثنين بلالام. والإثنوي: من يصومه دائماً وحده.

والثاني: القرآن، أو مائتي منه مرة بعد مرة، أو الحمد أو البقرة إلى براءة، أو كل سورة دون الطول ودون الميتين. وفوق المفصل، أو سورة الحج والشمس والقصاص والعنكبوت والتور والأنفال ومريم والزوم ويس والفرقان والحجر والزعد وسبأ والملائكة وإبراهيم وص ومحمد ﷺ ولقمان والغرف والزخرف والمسؤمن والسجدة الأحقاف والمجانية والدخان والأحزاب.

ومن أوتار العود الذي بعد الأول، واحدها: مثنى. ومن الوادي: معافطه. ومن الدابة: رُكبتاها ويزفقاها.

«ولا يثنى في الصدقة» كـ«إلى» أي لا تؤخذ مرتين في عام، أو لا تؤخذ ناقتان مكان واحدة، أو لاجتماع فيها. وإذا ولدت ناقة مرة ثانية فهي ثني، وولدها ذلك ثنيها. ومثنى الأيادي: إعطاء المعروف مرتين فأكثر. والأنصاء: الفاضلة من جزور المسير، كان الرجل الجواد يشترها وطعمها الأبرام.

والمتناة: جبل من صوف أو شعر أو غيره ويكسر، كالنَّاية والثَّاء بكسرها.

وما استكتب من غير كتاب الله، أو كتاب فيه أخبار

بنو إسرائيل بعد موسى، أحلوا فيه وحرموا ماشاءوا، أو هي البناء، أو التي تسمى بالفارسية «دويثي».

والثَّيان بالضم: الذي بعد السيد كالثني بالكسر. وكهْدَى وإلى، جمع: ثنية، ومن لا رأي له ولا عقل، والفاقد من الرأي.

وثني من الليل بالكسر: ساعة أو وقت. والثنية: العقبة أو طريقها، أو الجبل، أو الطريقة فيه أو إليه.

والشهداء الذين استنابهم الله عن الضعفة، ويعني الاستثناء.

ومن الأضراس: الأربع التي في مقدم الفم: شتان من فوق، وثنان من أسفل.

والثقة الطاعة في السادسة، والبعير: ثني، والفرس الداخلة في الزاوية والثاء في الثالثة كالبقرة، والثخلة المستنائة من المساومة.

والثنا بالضم: من الجوز: الرأس والقوائم، وكل ما استثنيت كالثنوي والثنية.

والمتناة: موضع.

ومثنى: اسم.

وأثنى وأثنى كافضل: ثني.

وأثنى البعير: صار ثنياً.

والثنا بالفتح، والثنية: وصف بمدح أو ذم، أو خاص بالمدح، وقد أثنى عليه وثني.

وككتاب: الفناء، وعقال البعير، عن ابن السكيت.

(٤: ٣٦٠)

العَدَنَانِي: يقولون: هذا أمر ثنوي، أي يبيح بعد

غيره أهمية، والصواب: هذا أمر ثانوي.

أما الثنوي فهو الذي يدين بالمانوية، وهو مذهب يقول بإلهين اثنين: إله للخير، وإله للشر، ويُرْمَزُ لهما بالثور والظلام. والثنوي أيضاً: نسبة إلى اثنين واثنين.

ومن معاني الثانوي:

١- مايلي الأول في المرتبة.

٢- التعليم الثانوي: مرحلة تعليمية تُجَدِّد للتعليم

الجامعي.

٣- الثانوي: نسبة إلى ثان وثانية.

يوم الاثنين أو الإثنين، أو الإثنين أو الاثنين.

ويقولون: يوم الإثنين، بوضع همزة مكسورة تحت

الألف، اعتماداً على مختار الصحاح، الذي أخطأ في نقل

الهمزة عن الصحاح، الذي يكتبها همزة وصل، هو

ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط: يوم

الاثنين.

ويجوز أيضاً أن نضع كسرة تحت ألف اثنين، بدلاً

من همزة الوصل: يوم الإثنين، اللسان والمد.

ويجوز أن نقول: الاثنان، المعجم الكبير، أو الإثنين

القاموس، وأقرب الموارد، أو كليهما: الاثنان والإثنان

اللسان والمد. [ثم نقل كلام سيويه والسيباني وابن

سيده وابن جني وقال:]

وقال محيط المحيط: يجوز أن نقول: يوم الاثنين

والثني.

ويجمع الاثنين على:

١- أثناء سيويه، والمحسن الشيرازي، وأبو علي

الفارسي، وابن سيده، وابن بري، واللسان، والمصباح،

والتاج، والمد، ومحيط المحيط، والمتن.

٢- وأثنانين، الفراء، والصحاح، وابن سيده،

والتحار، واللسان، والمصباح، والتاج، والمد، ومحيط

المحيط، والمتن.

٣- وثني، اللسان، ومستدرک التاج، الذي قال:

وحكى بعضهم أنه ليصوم الثني، وأخطأ المتن حين قال:

إنه ثني.

جاء الجنود مثنى أو ثناء لاثنين اثنين.

ويقولون: جاء الجنود اثنين اثنين، أو جاءوا ثلاثة

ثلاثة، والصواب: جاء الجنود مثنى أو ثناء، أو جاءوا

مَثَلَتْ وَثَلَتْ.

أما قول الشاعر:

إِذَا شَرِينَا أَزَيْمًا أَزَيْمًا

فقد لَيْسَ الْفَرْوُ بَيْنَ دَاخِلِ

فقد يكون ضَرْوَرَةً شَرِينَةً لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى الْوِزَنِ.

ورقياً كان الشاعر ممن لا يُخْتَجُّ بِكَلَامِهِمْ، لأن البيت يبدو

رَكِيكاً مَثْنِيّاً سَخِيفَ الْمَعْنَى.

أَتَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا.

ويقولون: أَتَيْتُ عَلَى الْعَلَمَةِ فُلَان، أي مذخئه،

ويعتمدون في ذلك على:

أ- الصحاح والتحار اللذين قالاً: أتى عليه خيراً.

ب - وعلى مفردات الرَّاغب، الذي قال: والثناء

ما يذكر في تحاميد الناس، يقال: أتى عليه.

ج - وعلى الوسيط الذي قال: أتى على فُلَان،

وصفه بخير.

وهذا خطأ، لأن «الثناء» يكون خيراً أو شراً،

الجملة.

ب - أَتَيْتُ عَلَيْهِ شَرًّا، أو بَشَرًا.

ج - أَتَيْتُ ضَلَه. (١٠٨)

المُضْطَفَّوْنِي: التحقيق أَنْ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ: هُوَ الْإِنْطَافُ وَالصَّرْفُ، وَهَذِهِ الْحَيْثِيَّةُ تَطْلُقُ عَلَى الْقَوْدِ وَالتَّكْرِيرِ وَالْجَبَلِ الْمُتَنَّى وَغَيْرِهَا.

وَأَمَّا الْعَدَدُ الْخَصُوصُ: فَهُوَ بِإِعْتِبَارِ تَكَرَّرِ الْوَاحِدِ وَعَوْدِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى، فَالْإِتْنَانُ هُوَ الْعَدَدُ الْمَكْرُورِ الْمُتَضَاعَفُ مِنَ الْوَاحِدِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْعَدَدِ مَأْخُذًا مِنْ مَادَّةٍ «نَيْمٍ» الْعَبْرِيَّةِ، فَيَكُونُ الْإِسْتِقَاقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى انْتِرَاعِيًّا.

وَأَمَّا الْإِسْتِنَاءُ: فَهُوَ بِإِعْتِبَارِ الْإِنْصِرَافِ وَالْإِنْطَافِ عَنْ الْكَلِمَةِ السَّابِقَةِ، مَوْضُوعًا أَوْ حُكْمًا. (٣١: ٢)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

يَتَنَوَّنَ

أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَشْفَعُوا مِنْهُ أَلَا جَبِينَ
يَسْتَشْفَعُونَ يَتَنَوَّنُونَ يَتَلَمَّعَانِ يَسِيرُونَ وَمَا يُعْلَنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ
يَذَاتُ الصُّدُورِ. هود: ٥

ابن عَبَّاسٍ: يَضْرِبُونَ فِي قُلُوبِهِمْ بُخْضَ مُحَمَّدٍ ﷺ
وعداوته. (١٨١)

يُكُونُونَ. (الطَّبَرِيُّ ١١: ١٨٥)

يَكُونُونَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ. (الطَّبَرِيُّ ١١: ١٨٥)

(تَنَوَّنُوا) صُدُورَهُمْ: السَّلَامُ فِي اللَّهِ وَعَمَلُ

وَالصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ: أَتَيْتُنَا عَلَى فُلَانٍ خَيْرًا، إِذَا أَرَدْنَا مَذْحَهُ، أَوْ: أَتَيْتُنَا عَلَيْهِ شَرًّا، إِذَا أَرَدْنَا ذَمَّهُ. يُؤَيِّدُنَا فِي ذَلِكَ:

١- مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَتَنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا. فَقَالَ ﷺ: وَجِبَتْ. ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَتَنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ ﷺ: وَجِبَتْ. وَشَبَّاهُ عَنْ قَوْلِهِ: وَجِبَتْ، فَقَالَ: هَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ.

٢- وَأُورِدَ: أَتَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، كُلٌّ مِنْ: الْخَلِيلِ ابْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَمُحَمَّدَ بْنِ الْقُوطَيْبَةِ، وَالتَّهْذِيبِ، وَالْحَكَمِ، وَابْنِ الْقَطَّاعِ، وَالشَّرْقُطِيِّ، وَاللَّسَانَ، وَالْمَصْبَاحِ، وَالْقَامُوسِ، وَالتَّاجِ، وَمِحْطَ الْهَيْطِ، وَالْمَتَنِ.

٣- وَأَضَافَ جُمْلَةً: «أَوْ خَاصًّا بِالْمَذْحِ» كُلٌّ مِنْ الْقَامُوسِ، وَمِحْطَ الْهَيْطِ، وَالْمَتَنِ، الْمَذْكُورِينَ فِي الرِّقْمِ (٢).
٤- وَأَضَافَ جُمْلَةً: «وَإِذَا اخْتَابَ» كُلٌّ مِنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ، وَاللَّسَانَ، وَالتَّاجِ، الْمَذْكُورِينَ فِي الرِّقْمِ (٢).

٥- وَأَضَافَ الْمَصْبَاحَ كَلِمَتِي: بَخِيرَ وَبَشَرَ، فَصَارَتْ جُمْلَتُهُ:

أ- أَتَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا وَبَخِيرَ.

ب - أَتَيْتُ عَلَيْهِ شَرًّا وَبَشَرَ.

٦- يُجِيرُ التَّجْرِيزِي، فِي شَرْحِ دِيْوَانِ حَسَّاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ، أَنْ نَقُولَ: أَتَيْتُ ضَلَهَ. وَيَقُولُ: «رَبَّمَا جَازَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفِعْلَ (أَتَيْتُ) يَحْمِلُ مَعْنَى الْفِعْلِ مَذْحَ» أَيِ أَشْرَبَ مَعْنَاهُ. لَذَا قُلْ:

أ- أَتَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا، أَوْ بَخِيرَ. «أَنَا أَوْسَرُ هَذِهِ

السِّيَّات. [هذه قراءة]

مثله جِكْرَمَة. (الطَّبْرِي ١١: ١٨٥)

كانوا لا يأتون النساء ولا المناط إلا وقد تمشوا

بشبابهم، كراهة أن يفضوا بروجهم إلى النساء.

(الطَّبْرِي ١١: ١٨٥)

مُجَاهِد: شَكَا وَاِمْتَرَأَ فِي الْحَقِّ، لِيَسْتَخْفُوا مِنْ اللَّهِ

إِنْ اسْتَطَاعُوا. (الطَّبْرِي ١١: ١٨٣)

تَضِيقُ شَكًّا. (الطَّبْرِي ١١: ١٨٣)

الْحَسَن: يَتَوْنَهَا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَفْرِ.

(الطُّوسِي ٥: ٥١٦)

قَتَادَة: كَانُوا يَحْنُونُ صُدُورَهُمْ لِكَيْلَا يَسْمَعُوا كِتَابَ

اللَّهِ. قَالَ تَالِي: ﴿أَلَا جِبْنَ يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ يَغْلُمُ

مَائِيرُونَ وَعَائِلُونَ﴾. وَذَلِكَ أَخَى مَا يَكُونُ ابْنُ آدَمَ

إِذَا حَنَى صَدْرَهُ، وَاسْتَفْشَى بَشِيهِ، وَأَضْمَرَ هِمَّ فِي نَفْسِهِ،

فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَيْهِ. (الطَّبْرِي ١١: ١٨٤)

نَحْوَهُ الْقَرَاءَةُ. (الْأَزْهَرِي ١٥: ١٣٣)

السُّدِّي: أَيِ يُعْرَضُونَ بِقُلُوبِهِمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: نَتَيْتُ

عَنَانِي. (الْبَغَوِي ٢: ٤٢٩)

الْكَلْبِيُّ: نَفَى صُدُورَهُمْ: كَنَاءَةٌ عَنْ نَفَاهِهِمْ.

(النَّبَايُورِي ١٢: ٨)

ابْنُ زَيْدٍ: هَذَا حِينَ يَنَاجِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(الطَّبْرِي ١١: ١٨٤)

الْقَرَاءَةُ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ (تَتَوْنُ صُدُورُهُمْ)

وَهُوَ فِي الرِّبَةِ بِمَزَلَةٍ (تَتَنَّى)، [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر]

وَهُوَ مِنَ التَّمَلُّ: أَفْضَعَلَتْ. (٤: ٢)

يَتَوْنَهَا عَلَى عِدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

مِثْلَهُ الرَّجَاجُ.

(الطُّوسِي ٥: ٥١٥)

ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيِ يَطْوُونَ مَا فِيهَا، وَيَسْتَرُونَهُ.

(٢٠١)

الْجُبَّائِيُّ: يَتَنَّى الْكَافِرُ صَدْرَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْنَاءِ،

فِي خُطَابِهِ لِكَافِرٍ مِثْلَهُ يَمْنُ يَنْتَصُهُ، تَسْلًا يَعْرِفُ اللَّهَ

مَا أَضْمَرَهُ. (الطُّوسِي ٥: ٥١٦)

الطَّبْرِي: اخْتَلَفَتْ الْقَرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ

يَتَتَوْنَ صُدُورُهُمْ﴾. فَقَرَأَهُ حَامَةُ الْأُمَّارِ، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ

يَتَتَوْنَ صُدُورُهُمْ﴾ عَلَى تَقْدِيرِ «يَفْعَلُونَ» مِنْ نَتَيْتُ،

وَالصَّدُورُ مَنْصُوبَةٌ. [تَمَّ نَقْلُ الْأَقْوَالِ الْمُتَّفَقَةِ إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ

تَتَتَوْنَ صُدُورُهُمْ﴾ عَلَى مِثَالِ: تَحْلُولِي التَّمْرَةَ

«تَقْوُجِلُ». [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ حَدَّثَنَا: مَا عَلَيْهِ قَرَأَهُ

الْأُمَّارِ، وَهُوَ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَتَوْنَ صُدُورُهُمْ﴾ عَلَى مِثَالِ

«يَفْعَلُونَ»، وَالصَّدُورُ نَصَبٌ بِمَعْنَى: يَحْنُونُ صُدُورَهُمْ

وَيَكْتَبُونَهَا.

حَدَّثَنَا عُبَيْدٌ قَالَ: سَمِعْتُ الضَّحَّاکَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَتَوْنَ صُدُورُهُمْ﴾ يَقُولُ: تَتَتَوْنَ صُدُورَهُمْ،

وَهَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي تَأَوَّلَهُ الضَّحَّاکُ عَلَى مَذْهَبِ قِرَاءَةِ

ابْنِ عَبَّاسٍ، إِلَّا أَنَّ الَّذِي حَدَّثَنَا هَكَذَا ذَكَرَ الْقِرَاءَةَ

وَالزَّوَايَةَ، فَإِذَا نَ كَانَتْ الْقِرَاءَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا أَوَّلَى الْقِرَاءَتَيْنِ

فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقَرَاءَةِ عَلَيْهِ.

فَأَوَّلَى التَّأْوِيلَاتِ بِأَوَّلِ ذَلِكَ، تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ:

إِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِاللَّهِ، أَنَّهُ يَعْنِي عَلَيْهِ

مَا أَضْمَرَهُ نَفْسُهُمْ، أَوْ تَنَاجَوْهُ بَيْنَهُمْ.

وقيل: يعطون، ومنه نقي القوب. (٢: ٤٢٩)

نحوه الميبدئي (٤: ٣٥٣)، والحازن (٣: ١٧٨)
الزمتخصري: يزورون عن الحق وينحرفون عنه،
لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدرة، ومن أوزر عنه
وانحرف نى عنه صدره، وطوى عنه كشدته. (٢: ٢٥٨)
مثله النسفي (٢: ١٨٠)، ونحوه أبو السعود (٣: ٤).
ابن عطية: تظانوا وتوا صدورهم كالمستر،
وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بياهم، تباعدا
منه وكرامة للقاته، وهم يظنون أن ذلك يحق عليه وعلى
الله عز وجل، فنزل في ذلك.

و(صدورهم) منصوبة على هذا (يشنون). وقيل:
هي استارة للقل والمحمد الذي كانوا ينطون عليه، كما
تقول: فلان يطوي كشدته على عداوته، وبني صدره
عليها.

فمن الآية ألا إثم يسرون العداوة ويتكتمون بها
لثغني في ظنهم عن الله، وهو تعالى حين تنشعب بياهم
ولبلاغهم في السر يعلم مايسرون.
وقرأ سعيد بن جبير (يشنون) بضم الياء والقون من
«أنى»، وقرأ ابن عباس (ليشنون).

وقرأ ابن عباس أيضاً ومجاهد وابن يعمر وابن بزى
ونصر بن عاصم والمخندري وابن إسحاق وابن رزين
وعلي بن الحسين وأبو جعفر محمد بن علي ويزيد^(١) بن
علي، وجعفر بن محمد وأبو الأسود والضحاك (تشنوني
صدورهم) برفع «الصدور» وهي تحتل المحنيين
المتقدمين في (يشنون)، وزنها «تفعول» على بناء

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية، لأن قوله:
«لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ» بمعنى ليستغفوا من الله، وأن الهاء في
قوله: (يشن) عائدة على اسم الله، ولم يحركم ذكر. [إلى
أن قال:]

إذا صح أن ذلك كذلك، كان معلوماً أنهم لم يحذروا
أنفسهم أنهم يستغفون من الله إلا بجهلهم به، فلما
أخبرهم جل ثناؤه أنه لا ينجى عليه سر أمورهم
وعلايتها على أي حال، كانوا تنشوا بالثياب، أو ظهورا
بالبراز. (١١: ١٨٣، ١٨٦)

الزجاج: أي يسرون عداوة النبي ﷺ
وقيل: إن طائفة من المشركين قالت: إذا أضلنا
أبوابنا وأرغينا ستورتنا، واستشفينا ثيابنا، وثبنا
صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم بنا، فأعلم -
عز وجل - بما كتموه، فقال جل ثناؤه: «أَلَا جِنَّةٌ
يَسْتَشْفُونَ ثِيَابَهُمْ يَقْلُمَ مَائِيرُونَ وَعَائِلُونَ».

وقرئت (أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونِي صُدُورُهُمْ) قرأها
الأعمش ورويت عن ابن عباس (تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ)
على مثال «تَشْنُونِي» ومعناها المبالغة في الشيء، ومثل
ذلك قد أحلولى الشيء إذا بلغ الغاية في الحلاوة.

(٣: ٣٨)

التشيري: أي يسترون ما تطوي عليه عقائدهم،
ويُضرون للرسول ﷺ وللؤمنين خلاف ما يظهرون،
والحق سبحانه سطلع على قلوبهم ويعلم خفايا
صدورهم. (٣: ١٢٣)

البغوي: أي يخفون ما في صدورهم من الشحنة
والعداوة.

الوجه الثاني: روي أَنَّ بعض الكفار كان إذا مرَّ به رسول الله تَنَّى صدره ووتَّى ظهره واستنشى ثيابه، والتقدير كَأَنَّهُ قيل: إِيَّاهُمْ يتصَرَّفون عنه ليستخفوا منه حين يستنسون ثيابهم، ثَلَا يسمعون كلام رسول الله وما يملكون من القرآن، وليقولوا في أنفسهم ما يشتون من الظَّن.

العُكْبَرِيُّ: الجمهور على فتح الياء وضَمَّ التَّون، وماضيه «تَنَّى». ويُقرأ كذلك إلا أَنَّهُ بضمَّ الياء وماضيه «أَتَنَّى»، ولا يعرف في اللغة، إلا أَن يقال: معناه عرضها للإِثْناء، كما تقول: أَهْنَأُ الفرس إذا عَرَضْتَهُ للبيع، [ثم ذكر بعض الأقوال والقراءات كما سبق عن ابن عطية، فراجع]

البَيْضَاوِيُّ: يثنونها عن الحق وينحرفون عنه، أو يطفونها على الكفر وعداوة النبي ﷺ، أو يولَّون ظهورهم.

وقرى (تُنُونِي) بالياء والثاء من «أَتُونِي» وهو بناء المبالغة، و(تُنُون) وأصله: يثنون، من «النَّ» وهو الكَلَام الضعيف، أراد به: ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثَنِي، و(يَتُنُون) من اثنانَ كَأَيَّاحٍ بالهمزة.

(١: ٤٦٦)

أَبُو حَتَّى: (يتنون) مضارع «ثَنَى» قراءة الجمهور، وقرأ سعيد بن جُبَيْرٍ (يَتُنُون) بضمَّ الياء مضارع «أَتَنَى» (صُدُّوهُمْ) بالثب.

قال صاحب «اللُّوْع»: ولا يعرف الإِثْناء في هذا الباب إلا أَن يراد به وجدتها مثبته مثل أحمده وأمجده، ولعلَّ فتح التَّون، وهذا ممَّا فعل بهم، فيكون نصب

مبالغة لتكرار الأمر، كما تقول: اعشوشب الأرض واحلولت الدنيا، ونحو ذلك. [ثم ذكر قول ابن عباس وقراءته (تَتُنُون) وأضاف:]

وقال أبو حاتم: هذه القراءة غلط لا تتبعه. وقرأ نصر ابن عاصم ويحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق (يَتُنُونِي) بتقديم التَّون على الثاء.

وقرأ عروة وابن أبي أزيى والأخشي (تَتُنُون) بناءً مثلثة بعدها نون مفتوحة بعدها واو مكسورة.

وقرأ أيضاً هما ومُجَاهِدٌ فيها روي عنه (تَتُنَان) بهمزة بدل الواو، وهاتان مشتقة من «النَّ» وهي العُشْبُ المُنَيَّ بسهولة، فشبه صدورهم به، إذ هي مجمية إلى هذا الاخطاء على المكر والمدح.

وأصل (تَتُنُون): تَتُنُون، سَكَنَتِ التَّون المكسورة ونقلت حركتها إلى الواو التي قبلها، وأدغمت في التَّون التي بعدها. وأما (تَتُنَان) فأصلها: تَتُنَان، مثل تَحْمَارٌ ثم قالوا: اثنانَ، كما قالوا: احمارٌ وإيّاها.

نحو الطَّبْرَسِيِّ (٣: ١٤٢)، والثرطُمِيِّ (٩: ٥).

الفَخْرُ الرَّازِيُّ: في الآية وجهان:

الوجه الأول: روي أَنَّ طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقتنا أيواننا وأسلنا ستورنا، واستفشنا ثيابنا وثنيينا صدورنا على عداوة محمّد، فكيف يعلم بنا؟

وعلى هذا التقدير: كان قوله: ﴿يَتُنُونُ صُدُّوهُمْ﴾ كناية عن التفاق، فكأنه قيل: يضررون خلاف ما يظنون ليستخفوا من الله تعالى، ثمَّ به بقوله: ﴿أَلَا جِئَ يَتَتَفَتُّونَ ثِيَابَهُمْ﴾ على أَنَّهُم يستخفون منه حين يستنسون ثيابهم.

وقرأ نصر بن عاصم وابن يعمر وابن أبي إسحاق
(يَسْتَوْنَ) بتقديم التّون على التّاء.

فهذه عشر قراءات في هذه الكلمة، والصّير في
(إِثْمُ) حائد على بعض من بحضرة الرسول ﷺ من
الكفار، أي يطوون صدورهم على عداوته. (٥: ٢٠٢)
الشيوطي: ليس في القرآن لفظ على «افعلعل»
إلا في قراءة ابن عباس (أَلَا إِيْثُمُ يَسْتَوْنَ صُدُوْرُهُمْ).
(٤: ١٥٦)

البزوصوي: من ثنى يثني، أي عطف وصرف.
والمنى يحطون صدورهم على ما فيها من الكفر
والإعراض عن الحقّ وعداوة النبي ﷺ بحيث يكون
ذلك مخفياً مستوراً فيها، كما تُطَف الثّياب على ما فيها من
الآشياء المستورة. (٤: ٩٤)

الألويسي: (يَسْتَوْنَ) يفتح الياء مضارع ثنى الشيء،
إذا لَوّاه وعطفه، ومنه على ما قيل: الاتنان، لطف
أحدهما على الآخر، والثّناء لطف الثّناقب بعضها على
بعض، وكذا الاستثناء للطف على المستثنى منه
بالإخراج. وأصله: يثنيون، فأعلّ الإعلال المعروف في
نحو يرمون.

وفي المراد منه احتمالات: منها أنّ الثّني كناية أو مجاز
عن الإعراض عن الحقّ، لأنّ من أقبل على شيء واجهه
بصدره، ومن أعرض صرّفه عنه، أي إثمهم يستون
صدورهم عن الحقّ، ويتحرّفون عنه، والمراد
استمرارهم على ما كانوا عليه من التّوليّ والإعراض،
المشار إليه بقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إلخ.
ومنها: أنّه مجاز عن الإخفاء، لأنّ ما يعمل داخل

(صُدُوْرُهُمْ) يزرع الجواز، ويموز على أن يكون
(صُدُوْرُهُمْ) رفعا على البدل، بدل البعض من الكلّ.

وقرأ ابن عباس أيضًا وصروة وابن أبي أيزي
والأعشى (يَسْتَوْنَ) ووزنه «يفعلعل» من «الثّنى» بني
منه «افعلعل» وهو ما هنّ وضعف من الكلّ وأصله:
يثنون، يريد مطاوعة نفوسهم للشيء، كما يثنى الهشّ
من الثّبات. أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم،
(وصدورهم) بالرفع.

وقرأ عروة ومجاهد أيضًا كذلك إلا أنّه هز فقرأ
(يَسْتَوْنَ) مثل يطمئنّ، (وصدورهم) رفع. وهذه ممّا
استثقل فيه الكسر على الواو كما قيل: إشاح.

وقد قيل: إنّ (يَسْتَوْنَ) يفعلّ من «الثّنى» المتقدّم، مثل
تحمّز وتصفاة، فحرّكت الألف لاتساقها بالكسر،
فانقلبت همزة.

وقرأ الأعشى (يَسْتَوْنَ) مثل «يفعللون» مهموز
اللام، (صُدُوْرُهُمْ) بالنصب.

قال صاحب «اللّوام»: ولا أعرف وجهه، لأنّه
يقال: ثنيت، ولم أسمع ثأت. ويموز أنّه قلب الياء ألفًا
على لغة من يقول: أعطأت في أعطيت، ثمّ هز على لغة
من يقول: ﴿وَلَا الضّالِّينَ﴾. وقرأ ابن عباس (يستوي)
بتقديم التّاء على التّون وبغير نون بعد الواو، على وزن
«ترعوي» قال أبو حاتم: وهذه القراءة غلط لا تتجّه،
انتهى.

وأما قال: ذلك، لأنّه لاحظ الواو في هذا الفصل
لا يقال: تنوته فانتوى، كما يقال: رعوته أي كخفته
فارعوى فانكفّ، ووزنه «افعلّ».

الآية نزلت في بعض الكفار الذين كانوا إذا لقهم النبي ﷺ تطامنوا وتناولوا صدورهم كالمتستر، وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بشياهم، تباعدًا منه وكراهة للقاءه عليه الصلاة والسلام، وهم يظنون أنه يخفى عليه ﷺ، لكن ظاهر قوله تعالى الآتي: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقتضي عود الضمير إليه تعالى. واختار بعض المحققين الاحتمال الثاني من الاحتمالات الثلاث، وأمر التعليل والضمير عليه ظاهر. [ثم ذكر أقوال المفسرين كابن عباس وأبي حنيفة وعبد الله بن شداد وله بحث مستوفى في القراءة فراجع] (١١: ٢٠٩) رشيد رضا: فسر بعضهم نفي الصدور هنا بالإعراض النائم، والاستدبار للرأس عند تلاوة القرآن، وهو أبلغ من نفي المطف والجانب. وفسره آخرون بطيها على ما هو مكنون فيها من الكراهة والمداوة له ﷺ.

والأقرب أن يكون تصويرًا لما كان يحاوله بعض الكفار. ثم المناققين عند سماع القرآن، من الاستخفاء بتكيس الرأس، ونفي الصدر على البطن - كما يطوي الثوب - حتى يخفى فاعله بين الجمع، خجلًا مما فيه من القرع والصداع.

فالمنعى ألا إن هؤلاء الكافرين الكارهين لدعوة التوحيد يحنون ظهورهم وينكسون رؤوسهم، كأنهم يحاولون طي صدورهم على بطونهم عند سماع القرآن، وهو معنى بليغ وواقع، وأدى إلى التعليل بقوله: ﴿يَسْتَفْتُوا مِنْهُ﴾ أي من النبي ﷺ. (١٢: ١٠) هزة دَوَوَزة يلوونها كما يفعل الذي يريد أن يخفي

الصدر فهو خفي، أي أنهم يضمرون الكفر والتولي عن الحق وعداوة النبي ﷺ. ومنها: أنه باق على حقيقته، والمنعى أنهم إذا رأوا النبي عليه الصلاة والسلام فعلوا ذلك وولّوه ظهورهم. والظاهر أن اللام متعلقة بـ (يسنون) على سائر الاحتمالات. وكان بعضهم رأى عدم صحة التعليل على الاحتمال الأول، لما أن التولي عن الحق لا يصلح تعليله بالاستخفاء لعدم السببية، فقدّر لذلك مستعملًا فعل الإرادة على أنه حال، أو مطوف على ما قبله، أي ويريدون ليستخفوا من الله تعالى، فلا يطلع رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على أغراضهم، وجعله في قود المعنى إليه من قبيل الإخبار في قوله تعالى: ﴿اضْمِرْ بِكَ يَصَدِّكَ أَكْبَرُ فَاَتْلُوهُ﴾ الشعراء: ٦٣، أي فاضرب فانطلق.

لكن لا يخفى أن انسياق الذهن إلى توسيط الإرادة بين نفي الصدور والاستخفاء ليس بمباعدة انسياقه إلى توسيط الضرب بين الأمر والانطلاق، كما ذكره العلامة القسطلاني وغيره.

وقيل: إنه لاحاجة إلى التقدير في الاحتمالين الأولين، لأن اغراضهم عن الحق بقلوبهم، وعطف صدورهم على الكفر والتولي، وعداوة النبي ﷺ وعدم إظهارهم ذلك يجوز أن يكون للاستخفاء من الله تعالى، لجهلهم بما لا يجوز على الله تعالى.

وأما على الاحتمال الثالث فظاهر أنه لا بد من التقدير، إلا أن يعاد الضمير منه إلى الرسول ﷺ، وهو الذي يقتضيه سبب النزول، على ما ذكره أبو حنيفة من أن

ظواهر، أي إتهم يطوون صدورهم وقلوبهم على العداوة
للرسول والبض لرسالته. (١٢: ١٤)

مكارم الشيرازي: من أجل أن نهم الآية فهنا
دقيقاً ينبغي أن نتضح لنا كلمة يتشون بجلاء، فكلمة
(يتشون) من مادة «ثني» وهي في الأصل تعني ضم أقسام
الشيء بإدناء بعضها إلى بعض، فتلاً في طي قطعة القماش
والثوب يقال: ثني ثوبه، وإنما يقال للشخصين على سبيل
المثال: «أثنان» فلأجل أن انضم واحد إلى جانب الآخر،
ويقال للساحدين: «مشنون» كذلك، لأنهم يعدون
الصفات البارزة واحدة بعد الأخرى.

وهذه المادة تعني الاختناء أيضاً، لأن الإنسان بعمله
هذا وهو الاختناء يقرب أجزاء من جسمه بعضها إلى
بعض.

وتأتي هذه المادة بمعنى أن تجد العداوة والبغضاء
والحقد طريقها إلى القلب أيضاً، لأن الإنسان بهذا العمل
يقرب عداة الشخص - أو أي شيء آخر - إلى القلب،
ومثل هذا التعبير موجود في الأدب العربي، إذ يقال:
«أنتوتني صدره على البغضاء».

ومع الأخذ بنظر الاعتبار بما ورد آنفاً من معاني لمادة
«ثني» فلا يبعد أن تكون كلمة «يتشون» مشيرة إلى كل
عمل خفي - ظاهري وباطني - قام به أعداء النبي ﷺ،
فن جهة هم يضررون العداوة والبغضاء في القلوب
ويبدون الحب في لسان ذلك جميل، ومن جهة أخرى
يقرّبون رؤوسهم بعضها إلى بعض عند التحدث،
ويتشون الصدور ويستشفون القياض، لئلا تنكشف
مؤامراتهم وأقوالهم السيئة التي يديرونها في ما بينهم على

نفسه من غيره. (٥٧: ٤)

الطبيباني: أنهم يميلون بصدورهم إلى خلف
ويطأطئون رؤوسهم ليشتفوا من الكتاب، أي من
استماعه حين تلاوته. وهو كناية عن استغفائهم من
النبي ﷺ، ومن حضر عنده حين تلاوة القرآن عليهم
للشبح، لتأيروا هناك فتزلمهم المحجة. (١٠: ١٤٧)
محمد حسنين مخلوف: يطوونها على
ما يسترونه من العداوة والبغضاء، من ثني الثوب، إذا
طويته على ما فيه من الأشياء المستورة. (٣٥٨)
عبد الكريم الخطيب: أي يبطونها، ويطوونها
على ما بداخلها من شر، وزور، وهتان.

هذا تقرير لواقع المشركين وأصحاب الضلالات،
مع أنفسهم، إذ لما في صدورهم من منكرات الأمور،
وعوارها يحاولون جاهدين أن يخفوا هذا المنكر الذي
ضمت عليه صدورهم، ويداروا هذا الشوار الذي إن ظهر
للناس فاحت منه ربح خبيثة، تضعضعهم وتغزيم بين
الناس، فهم أبداً على حذر وحرص، من أن يطلع أحد
على هذا الفعل الفاضح الذي اتخذوا له من صدورهم
مسرحاً يتحرك عليه، ويعيش فيه.

فالسلوب هنا خبري، يقرر حقيقة واقعة، وهي
أن هؤلاء أصحاب منكرات، يطوون عليها صدورهم
حتى لا يطلع عليها أحد، وقد بلغ بهم سوء ظنهم بالله،
وجهلهم بآله من صفات الكمال، أنهم يظنون بهذا الفعل
أنهم يحولون بين الله تعالى، وبين أن يعلم ما هم عليه من
منكر. (٦: ١١٠٣)

فضل الله: وثني الشيء: عطف بعضه على بعض

هيئة رموز، لتلاّ يطلع أحد على نياتهم.

لذلك فإن القرآن يحقّب مباشرة مضيماً أن
احذروهم، فإنهم حين يستخفون تحت ثيابهم، فإن الله
يعلم ما يخفون وما يعلنون. (٤٣١: ٦)

ثَانِي

١...إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
لَا تَحْزَنْ إِنَّا لِلَّهِ مُتَقَاتِلُونَ... التوبة: ٤٠

الطَّبْرِيّ: أخرجوه وهو أحد الاثنين، أي واحد
من الاثنين، وكذلك تقول العرب: «هو ثاني اثنين» يعني
أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، ورابع أربعة، يعني: أحد
الثلاثة، وأحد الأربعة، وذلك خلاف قولهم: هو أضو
سنة، وغلّام سبعة، لأنّ الأخ والغلّام غير السنة
والسبعة، وثالث الثلاثة: أحد الثلاثة، وإنما حتى جلّ
تناؤه بقوله: «ثَانِي اثْنَيْنِ» رسول الله ﷺ، وأباهيكر
رضي الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجا هارين من
قريش، إذ هتا يقتل رسول الله ﷺ، واختفيا في الغار.

(١٣٥: ١٠)

الرَّجَّاح: «ثَانِي اثْنَيْنِ» منصوب على الحال،
المعنى فقد نصره الله أحد اثنين، أي نصره منفرداً إلّا من
أبي بكر رضي الله عنه. (٤٤٩: ٢)

القيسيّ: نصب (ثاني) على الحال من الهاء في
(أَخْرَجَهُ) وهي تعود على النبي ﷺ، تقديره: إذ أخرجه
الذين كفروا منفرداً من جميع الناس إلّا أبي بكر رضي الله
عنه، ومعناه أحد اثنين.

وقيل: هو حال من مضمر محذوف، تقديره: فخرج

ثاني اثنين.

(٣٦٢: ١)

الماورديّ: أي أحد اثنين، وللمرب في هذا
مذهب أن تقول: خامس خمسة، أي أحد خمسة.

(٣٦٤: ٢)

الطوسيّ: معنى «ثَانِي اثْنَيْنِ» أحد اثنين،
يقولون: هذا ثاني اثنين، وثالث ثلاثة ورابع أربعة،
وخامس خمسة، لأنّه مشتقّ من المضاف إليه. وقد
يقولون: خامس أربعة أي خمس الأربعة بصيره فيهم بعد
أن لم يكن. (٢٥٧: ٥)

الرَّسْفَرِيّ: أحسد اثنين، كقوله ثالث
ثلاثة... وانتصابه على الحال، وقمرئ (ثَانِي اثْنَيْنِ)
بالسكون. (١٩٠: ٢)

ابن عطية: معناه أحد اثنين، وهذا كالثالث ثلاثة
ورابع أربعة، فإذا اختلف اللفظ فقلت: رابع ثلاثة،
فالمعنى صير الثلاثة بنفسه أربعة.

وقرأ جمهور الناس (ثَانِي اثْنَيْنِ) بنصب الياء من
«ثاني». قال أبو حاتم: لا يعرف غير هذا.

وقرأت فرقة (ثَانِي اثْنَيْنِ) بسكون الياء من (ثاني).
قال أبو الفتح: حكاه أبو عمرو بن العلاء، ووجهه أنّه
سكّن الياء تشبيهاً لها بالآلف. فهذه كقراءة «ثَانِي مِنْ
الرَّيْزِ» البقرة: ٢٧٨. (٢٥: ٣)

نحوه الرُّطْبِيّ (٨: ١٤١)، وأبو حنّان (٥: ٤٣).

الطَّبْرِيّ: [نحو الطوسيّ] وأضاف:

فالأوّل إضافة حقيقة محضة، والثاني إضافة غير
محضة، إذ هو في تقدير الانفصال. [إلى أن قال:]

يعني أنّه كان هو وأبو بكر. (٣١: ٣)

من قبله. (١٠: ٤٢٦)

مكارم الصِّيرَازِي: وهذا التعبير إشارة إلى أنه لم يكن معه في هذا السفر الشَّاقُّ إلَّا رجل واحد، وهو أبو بكر.

٢- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ۖ قَاتِي عَظِيمٍ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ.

الحج: ٨ و ٩

ابن عباس: لا ويا عنقه، مُعرِّضًا عن الآيات، مكذِّبًا بمحمد ﷺ والقرآن. (٢٧٧)

مستكبرًا في نفسه. (الطَّبْرِيّ ١٧: ١٢١)

يُعرض عن ذكره. (الطَّبْرِيّ ١٧: ١٢١)

نحوه الفراء. (٢: ٢١٦)

هو صاحب البدعة. (الْقُرْطُبِيُّ ١٢: ١٦)

مُجاهِد: يعرض عن الحق. (الطَّبْرِيّ ١٧: ١٢١)

نحوه ابن جُرَيج. (الْبَغَوِيُّ ٣: ٣٢٥)

لاي عنقه.

مثله قتادة. (الْبَغَوِيُّ ٣: ٣٢٥)

الصَّحَّاح: شاعراً بأنَّه. (أَبُو حَتَّى ٦: ٣٥٤)

ابن زَيْد: لا ويا رأسه، مَرَضًا مَوْتًا، لا يريد أن

يسمع ما قيل له. (الطَّبْرِيّ ١٧: ١٢١)

مَرَضًا عَمَّا يُدْعَى إِلَيْهِ تَكْبَرًا. (الْبَغَوِيُّ ٣: ٣٢٥)

الطَّبْرِيّ: [ذكر الأحوال ثم قال:]

وهذه الأحوال الثلاثة مقاربات المعنى، وذلك أنَّ من

كان ذا استكبار، فن شأنه الإعراض عمَّا هو مستكبر

عنه ولَّى عنقه عنه والإعراض.

الفَخْرُ الرَّازِي: ﴿قَاتِي اثْنَيْنِ﴾ نصب على الحال،

أي في الحال التي كان فيها ثاني اثنين. وتفسير قوله: ﴿قَاتِي اثْنَيْنِ﴾ سبق في قوله: ﴿ثَابِتٌ ثَلَاثَةً﴾.

وتحقيق القول أنه إذا حضر اثنان فكلُّ واحد منهما يكون ثانيًا في ذلك الاثنين للآخر، فلهذا السبب قالوا: يقال: فلان ثاني اثنين، أي هو أحدهما. [ثم قال نحو الزَّمَخْشَرِيُّ] (١٦: ٦٢)

أبو السعود: حال من ضميره عليه الصَّلَاة والسلام. وقرئ بسكون الياء على لغة من يُبْرِئُ النَّافِصَ بجري المقصور في الإعراب، أي أحد اثنين، من غير اعتبار كونه عليه الصَّلَاة والسلام ثانيًا، فإنَّ معنى قولهم: ثالث ثلاثة ورابع أربعة، ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقًا لا الثالث والرابع خاصة.

ولذلك منع المجهول أن يُصَبَّ مابعدهُ بأنَّ يقال: ثالثُ ثلاثة ورابعُ أربعة، وقد مرَّ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المائدة: ٧٣، وجعله عليه الصَّلَاة والسلام ثانيها لمشي الصَّدِيقِ أمامه، ودخوله في الغار أولًا لكنسه وتسوية البساط، كما ذكر في الأخبار، تمحل مستغنى عنه. (٣: ١٤٩)

نحوه البُزْؤَسِيُّ (٣: ٤٣٠)، والأكوسِيّ (١٠: ٩٦).

رشيد رضا: أي أحدهما، فإنَّ مثل هذا التعبير

لا يعتبر فيه الأوليّة ولا الأولوية، لأنَّ كلَّ واحد منهما ثانٍ للآخر، ومثله ثالث ثلاثة ورابع أربعة، لا معنى له إلَّا أنَّه واحد من ثلاثة أو أربعة، به تمَّ هذا العدد. على أنَّ التَّرتيب فيه إمَّا يكون بالزَّمان أو المكان، وهو لا يدلُّ على تفضيل الأوَّل على الثاني ولا الثالث أو الرابع على

وذلك أَنَّ صاحبَ الْكِبَرِ يَرِدُ وَجْهَهُ حَتَّى يَتَكَبَّرَ عَنْهُ،
فَهُوَ يَرِدُ وَجْهَهُ وَيَصْرُ خَذَهُ وَيُولِي صَفْحَتَهُ وَيَلْوِي عُنُقَهُ
وَيَنْثِي عِطْفَهُ، وهذه عبارات المفسرين. (٤: ١٠٩)
الْقَرُطُوبِيُّ: «ثَانِي عِطْفِيهِ» نصب على الحال،
ويتأول على معنيين:

أحدهما: روي عن ابن عباس أَنَّهُ قَالَ: هو النَّصْرُ
ابن الحارث لوى عنقه مرعاً وتَحَطَّأً.
والمعنى الآخر: [وهو قول القراء المتقدم، إلى أن
قال:]

ويقال: ثَنَى فلان عُنَى عِطْفَهُ، إذا أَعْرَضَ عَنْكَ،
فالمعنى أي هو مُعْرِضٌ عن الحق في جداله، ومَوْلٍ عن
النظر في كلامه، وهو كقوله تعالى: «وَلَوْ لَمْ تُشْتَكِرْ لَكَانَ لَمْ
يُشْتَقِهَا» لقمان: ٧، وقوله تعالى: «لَوْ زَاوَوْا سَهْمُكُمْ»
المستافون: ٥، وقوله: «أَعْرَضَ وَتَأَاجَبَانِيهِ»
الإسراء: ٨٣، وقوله: «وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَقِنُ»
القيامة: ٢٣.

(١٢: ١٥)
الْيَنْضَاوِيُّ: متَكَبَّرًا، وَثَنِي العطف: كناية عن
التَّكَبَّرَ كُلِّيَّ الجيد، أو مُعْرِضًا عن الحق استخفافًا به.
(٢: ٨٦)

الشَّرِييْنِي: حال، أي لاوِيَّ عنقه تَكَبَّرًا عن
الإيمان، كما قال تعالى: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى
مُشْتَكِرًا» لقمان: ٧.
أَبُو الشَّوْعَدِ: حال أخرى من فاعل (يُجَاوِلُ) أي
عاطفًا لجناحه وطاويًا كشحه، مُعْرِضًا متَكَبَّرًا. فَإِنَّ ثَنَى
العطف: كناية عن التَّكَبَّرَ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ
هَذَا الْفَاحِشَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَنَّهُ مِنْ كِبَرِهِ إِذَا دُعِيَ إِلَى
اللَّهِ، أَعْرَضَ عَنْ دَاعِيهِ، وَلَوَّى عُنُقَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَسْمَعْ
مَا يَقَالُ لَهُ اسْتِكْبَارًا. (١٧: ١٢١)
الرُّجَّاحُ: وَ(ثَانِي) مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَمَعْنَاهُ
التَّوْنِ، وَمَعْنَاهُ ثَانِيًا عِطْفَهُ.

وجاء في التفسير: أَنَّ مَعْنَاهُ لَاوِيًا عَنْقَهُ، وَهَذَا
يُوصَفُ بِهِ، فَالْمَعْنَى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يِمَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ مُتَكَبِّرًا. (٣: ٤١٤)

التَّحْرِيفُ الرُّضْيِيُّ: هذه استعارة، والمراد بها - والله
أَعْلَمُ - الصَّفَةُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ سَمَاعِ الرَّشْدِ، وَلَيْ الْعُنُقِ
عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِسَمَاعِ الشَّيْءِ الَّذِي
لَا يَلَامُهُ فِي الْأَكْثَرِ يَصْرِفُ دُونَهُ بَصَرَهُ، وَيَنْثِي عَنْهُ عَنْقَهُ.
(تلخيص البيان: ٢٣٧)

القشيري: يريد أَنَّهُ مُتَكَبِّرٌ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، زَاهِدٌ
فِي التَّحْصِيلِ، غَيْرُ وَاضِعٍ ظَرَّهُ مَوْضِعَهُ؛ إِذْ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ
لَهَانَ عَلَيْهِ التَّخَلُّصُ مِنْ شُبْهَتِهِ. (٤: ٢٠٤)
الْبَغَوِيُّ: مُتَبَخَّرًا لَتَكَبَّرَهُ. (٥: ٤)

الرَّمَحْشَرِيُّ: وَثَنِي المِطْف: عبارة عن الْكِبَرِ
وَالْحَيَلَاءِ، كَتَصْغِيرِ الْحَدِّ، وَلَيْ الْجيد. (٣: ٦٦)

ابن حَقِيَّة: (ثَانِي) حال من ضَمِيرٍ فِي (يُجَاوِلُ)
وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مِنْ (مَنْ) لِأَنَّهَا ابْتِدَاءٌ، وَالْإِبْتِدَاءُ إِنَّمَا
عَمَلُهُ الرُّفْعُ لَا النِّسْبُ، وَإِضَافَةُ (ثَانِي) غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهَا،
لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْإِنْفِصَالِ، إِذْ تَقْدِيرُهَا: ثَانِيًا عِطْفَهُ. وَقَوْلُهُ:
«ثَانِي عِطْفِيهِ» عبارة عن التَّكَبَّرَ الْمَرَضِ، قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ.

وتأويل اللذين قالوا: هما وصيتان لاشاهدان، قوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ﴾ بمعنى الحضور والشهود لما يوصيها به المريض من قوله: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرته. وأولى التأويلين بقوله: ﴿اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ تأويل من تأوله بمعنى أتهما من أهل الملة، دون من تأوله أتهما من حي الموصي.

الزجاج: «والشهادة» ترتفع من جهتين: أحدها: أن ترتفع بالابتداء، ويكون خبرها (اِثْنَانِ) والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فتعذف شهادة ويقوم اثنان مقامها.

ويجوز أن يكون رفع ﴿شَهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ﴾ على قوله^(١): وفيما فرض الله عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع (اِثْنَانِ) بدلالة ﴿شَهَادَةُ﴾، والمعنى أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم. نحوه الزقشقرقي (١: ٦٥٠)، وأبو السعد (٢: ٣٣٠)، وأبو البركات (١: ٣٠٨).

الماوردي: في قوله تعالى: ﴿اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ تأويلان: أحدهما: يعني من المسلمين... والثاني: من حي الموصي... وفيها قولان:

أحدهما: شاهدان يشهدان على وصية الموصي، والثاني: أتهما وصيتان. الطوسي: خبر المبتدأ الذي هو ﴿شَهَادَةُ﴾، وتقديره: شهادة بينكم شهادة اثنين على ما بيناه^(٢).

وقرئ بفتح العين، أي مانعًا لتعطفه. (٤: ٣٧٠) نحوه البروسوي. (٦: ٩) الآلوسي: حال من ضمير (يُجَادِلُ) كالجار والمجرور السابق، أي لاويًا لجانبه، وهو كتابة عن عدم قبوله، وهو مراد ابن عباس بقوله: متكبرًا، والضحك بقوله: شاعنًا بأنفه. وابن جرير بقوله: معرضًا عن الحق.

(١٧: ١٢٢) الطباطبائي: وقني اللفظ: كتابة عن الإعراض، كأن المرص يكسر أحد جانبيه على الآخر.

(١٤: ٣٤٩)

نحوه فضل الله. (١٦: ٢٣)

اِثْنَانِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ بَيْنَ الْوَصِيَّةِ اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ...

المائدة: ١٠٦

القرآن: يقول: شاهدان أو وصيتان، وقد اختلف فيه. ورفع «الاثنين» بالشهادة، أي ليشهدكم اثنان من المسلمين.

الطبري: واختلفوا في صفة «الاثنين» اللذين ذكرها الله في هذه الآية ماهي؟ وماها؟

فقال بعضهم: هما شاهدان يشهدان على وصية الموصي. وقال آخرون: هما وصيتان.

وتأويل اللذين زعموا أتهما شاهدان، قوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنَيْكُمْ﴾ ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم.

(١) أي مرتبداً.

(٢) راجع منهده.

(٤٥٥: ٢)

راجع: «ش هـ»

اثنَين

١- وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ. التحل: ٥١

ابن عَطِيَّة: وقوله: (اثنَين) تأكيد وبيان بالعدد،
وهذا معروف في كلام العرب أن يبين الممدود بذكر عدده
تأكيداً، ومنه قوله: ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لَأَنَّ لَفْظَ (إِلَهُ) يقتضي
الافتراق.

وقال قوم منهم: المفعول الثاني محذوف تقديره:
معبوداً أو مطاعاً ونحو هذا.

وقالت فرقة: المفعول الأول (اثنَين)، والثاني قوله:
(إِلَهَيْنِ). وتقدير الكلام: لا تتخذوا اثنين إلهين.

(٣٩٩: ٣)

الطَّبْرَسِي: أي لا تعبدوا مع الله إلهاً آخر فتشركوا
بينها في العبادة، لأنّه لا يستحقّ العبادة سواء، وذكر
(اثنَين) كما يقال: فعلت ذلك لأمرين اثنين. (٣٦٥: ٣)
القُرطُبي: قيل: المعنى لا تتخذوا اثنين إلهين،
وقيل: جاء قوله: (اثنَين) تأكيداً. ولما كان إله الحق
لا يتعدّد وأن كلّ من يتعدّد فليس بإله، اقتصر على ذكر
الاثنين، لأنّه قصد نفي التعديد. (١١٣: ١٠)

البيضاوي: ذكر العدد مع أنّ الممدود يدلّ عليه
دلالة على أنّ ساق التّهي إليه، أو إيماؤه بأنّ الاثنينية
تتأني الألوهية، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ
وَاحِدٌ﴾ للدلالة على أنّ المقصود إثبات الوحدةيّة دون

(٤٧: ٤) لَأَنَّ الشَّهَادَةَ لَتَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ.

البغوي: أي يشهد اثنان، لفظه خبر، ومعناه أمر.

وقيل: إنّ معناه أنّ الشَّهادة فيما بينكم على الوصية

(٩٧: ٢)

عند الموت اثنان.

(٨٦: ٢)

نحوه الحازن.

الفخر الرازي: في الآية حذف، والمراد أن يشهد
ذوا عدل منكم، وتقدير الآية: شهادة ما بينكم عند
الموت الموصوف، هي أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم،
ولمّا حسن هذا الحذف لكونه مملوئاً. (١٢: ١١٥)

القُرطُبي: وقوله: (اثنان) يقتضي بطلقة

شخصين، ويحتمل رجلين، إلّا أنّه لما قال بعد ذلك:

(ذَوَا عَدْلٍ) بيّن أنّه أراد رجلين، لأنّه لفظ لا يصلح إلّا

للمذكر، كما أنّ «ذواتا» لا يصلح إلّا للمؤنث. [ثم قال

نحو ما تقدّم من الزّجاج]

أبو حنّان: ويرتفع (اثنان) على أنّه خبر مبتدأ

محذوف، التقدير: الشاهدان اثنان ذوا عدل منكم، أو

على الفاعلية، التقدير: يشهد اثنان، وقيل: (شهادة)

و(اثنان) مرتفع به على الفاعلية. (٣٨: ٨)

البروسوي: واختلفوا في هذين الاثنين، فقال

قوم: هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون: هما الوصيان، لأنّ الآية نزلت فيها،

ولأنّه قال: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ تَحْدِ الشُّلُوءِ فَيُنَاسِنُ﴾

ولا يلزم الشاهدين الإيلاء وإن صحّ إلى واحد، إلّا أنّه

ورد في الآية الإيلاء إلى اثنين احتياطاً واعتصاماً

لأحدهما بالآخر، فعلى هذا تكون «الشَّهادة» بمعنى

المضور، كقولك: شهدت وصية فلان، بمعنى حضرت.

الإلهية، أو للتشبيه على أَنَّ الوحدة من لوازم الإلهية.

(٥٥٨: ١)

الشيوطي: إِنَّ (الْهَيْئَتَيْنِ) للثنائية، فائتني بعده صفة مؤكدة للتثني عن الإسماء، وإفادة أَنَّ التثني عن الإلهين إِنَّمَا هو لخص كونها اثنتين فقط، لا لخص آخر من أَنهما عاجزين أو غير ذلك، ولأَنَّ الوحدة تطلق ويراد بها التوحيد، كقوله ﷺ: «إِنَّمَا نَحْنُ وَبَيْنَ الْمَطْلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» تطلق ويراد بها نبي العدة، والثبوت باعتبارها، فلوقيل: «لَا تَسْجُدُوا لِلْهَيْئَتَيْنِ» فقط، لِقَوْلِهِمْ أَنَّهُ نَهَى عَنْ اتِّخَاذِ جَنَسَيْنِ آفَةٍ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يُتَّخَذَ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ عِدَّةُ آفَةٍ، وَلِهَذَا أَكَّدَ بِالْوَحْدَةِ قَوْلَهُ: «إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ».

(٢٢٣: ٣)

النهارندي: بداهة كون التعدد والتثني منافيا للألوهية التي لا تكون إلا لواجب الوجود، الذي يتمتع أن يماح الحدود التي هي تلازم الاتينية، فإذا ثبت ذلك فإلهمكم ومعبودكم بالاستحقاق «إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ».

(٢٩٣: ٢)

فضل الله: يختلف أسلوب القرآن في معالجة مسألة «الشرك والتوحيد» فهو لا يتحدث عنها هنا كمسألة خاضعة للأخذ والرد، بل كأمر إلهي، يفرض الفكرة بوصفها خطأ عمليا يمنع الناس من تجاوزه، لأنه يمثل الحقيقة. ولعلَّ سرَّ القوة في ذلك، هو أَنَّ المشركين لا ينكرون على الله صفة الألوهية، وأنهم لا يعبدون الآلهة الأخرى التي يطونها هذه الصفة، إلا لقرئها من الله، أو لوجود بعض خصائص القوة فيها.

وبهذا نعرف أَنَّ أسلوب الحسم يملك من ناحية

إيجائية قوة تفوق ما يملكه الأسلوب الموضوعي في طرح الفكرة، في مواجهة فكرة أخرى، لأنهم إذا كانوا يريدون تلك الآلهة لتقرئهم إلى الله ذلي، فن البديهي أن يكون المنع الإلهي عن اتخاذه إله آخر، مُسْقَطًا لدعواهم وممارستهم بشكل حاسم.

وهذا ما نستوحيه من الفقرة التأكيدية التالية «إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ» لتقرير حقيقة الوحدانية بأسلوب مؤكد، ثم إطلاق التحذير بأسلوب تهديدي «فَيَا أَيُّهَا فَازِهِيُونَ» بما يعنيه الحصر من أمر عدم الانقياد لأية قوة أخرى، توحى بالخوف أو بالزهوة، وتدفع الناس إلى عبادتها من دون الله، وحصر الانقياد بالله، لأنه القوة الوحيدة التي تسقط أمامها كلَّ القوى بها كانت عظيمة وكبيرة وعظيمة.

(٢٣٩: ١٣)

٢- فَلَمَّا أَجَلَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ. هود: ٤٠

٣- مِنْ كُلِّ الْقَوْمَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.

الرعد: ٣

لاحظ «زوج» (زَوْجَيْنِ).

٤- ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ النَّسْرِ اثْنَيْنِ...

الأنعام: ١٤٣

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ: «مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ». أَهْلِي وَوَحْشِي. (الطوسي: ٤: ٣٢٥)

الطوسي: نصب (الثنيتين) بتقدير: أنشأ من الصان اثنين، ولو رفع على تقدير: منها ماعز اثنان، كما تقول:

بناصبه، وهو العامل في (من) أي أنشأ من الضأن زوجين: الكبش والتمجة. وقرئ (اثنان) على الابتداء. (١٤٢: ٢)

نحوه البرؤوسوي. (١١٣: ٣)
الآلوسي: قوله: ﴿وَمِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ على معنى زوجين اثنين: الكبش والتمجة. ونصب (اثنين) قيل: على أنه بدل من ﴿فَمَائِنَةُ أَرْوَاحٍ﴾ بدل بعض من كل أو كل من كل، إن لوحظ العطف عليه منصوب بناصبه والجار متعلق به.

وقال العلامة الثاني: الظاهر أن (مِنَ الضَّأْنِ) بدل من (الأنعام)، و(اثنين) من ﴿حَمَلُوهُ وَفَرَسُوا﴾ الأنعام: ١٤٢، أو من ﴿فَمَائِنَةُ أَرْوَاحٍ﴾ إن جوزنا أن يكون للبدل بدل، وجوز أن يكون البدل (اثنين). (وَمِنَ الضَّأْنِ) حال من التكرة قدست عليها.

وقرئ (اثنان) على أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور، والجملة بيانية لاجلها من الإعراب. (٤١: ٨)
الطباطبائي: هما الذكر والأنثى. وقيل: المراد بالاثنتين، في المواضع الأربعة من الآيتين: الأهلي والوحشي. (٣٦٥: ٧)

اِثْنَتَيْنِ

...فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الضُّلْفَانِ يَمَّا تَزَوَّجَا...

النساء: ١٧٦
القاسمي: إن مروان بن سعد المهلبي سأل أبا الحسن الأفش عن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الضُّلْفَانِ يَمَّا تَزَوَّجَا﴾ ما الفائدة في هذا الخبر؟

وأيت القوم منهم قائم وقاعد، كان جائزاً. وإنما أجمل ما فصله في الاثنتين للتقدير على شيء منه، لأنه أشد في التوبيخ من أن يكون دفعة واحدة. (٣٢٤: ٤)
الزمخشري: (اِثْنَتَيْنِ) زوجين اثنين، يريد الذكر والأنثى، كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والتمجة، والتيس والعنز.

والواحد إذا كان وحده فهو فرد، فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منها زوجاً وهما زوجان، بدليل قوله: ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ التجم: ٤٥، والذليل عليه قوله تعالى: ﴿نَسَاءَيْنِ أَرْوَاحٍ﴾ ثم فسرها بقوله: ﴿وَمِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ السَّمُورِ اثْنَيْنِ... وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾، ونحو تسميتهما الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهما الزوجاجة كأشأ، بشرط أن يكون فيها خمر. (٥٦: ٢)

الطبرسي: يعني الذكر والأنثى. (٣٧٧: ٢)
مثله الفخر الرازي (١٣: ٢١٦)، والقرطبي (٧: ١١٣)، والشريبي (١: ٤٥٤).

القرطبي: قرأ أبان بن عثمان (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَانِ وَمِنَ السَّمُورِ اثْنَانِ) رضا بالابتداء. وفي حرف أبي (وَمِنَ السَّمُورِ اثْنَانِ) وهي قراءة الأكثر. (١١٤: ٧)
أبوحيان: يعني به (اِثْنَتَيْنِ) ذكرًا وأنثى، أي كبشًا ونعجةً، وتيسًا وعنزًا. (٢٣٩: ٤)

نحوه القاسمي (٦: ٢٥٣٠)، ومحمد رشيد رضا (٨: ١٤١).

أبو السعود: بدل من ﴿فَمَائِنَةُ أَرْوَاحٍ﴾ منه رب

فقال: أفاد العدد المجرّد من الصّفة.

وأراد مروان بسؤاله أَنْ الألف في (كَانَتْ) تنفيد
الائتين، فَلَئِنْ معنى فَسّر ضمير المتّى بالائتين ونعم
نعلم أَنّه لا يجوز أن يقال: فَإِنْ كانتا ثلاثاً ولأنّ يقال:
فإِنْ كانتا خمساً.

وأراد الأخفش بقوله: أَنْ الخبر أفاد العدد المجرّد من
الصّفة، أي قد كان يجوز أن يقال: فَإِنْ كانتا صغيرتين
فلهما كذا أو كبيرتين فلهما كذا أو صالحتين فلهما كذا أو
طالحتين فلهما كذا. فَلَئِنْ قال: ﴿كَانَتْ ائْتَيْنِ فَلَهُمَا
اَلثَّلَاثَانِ﴾ أفاد الخبر أَنْ فرض الثّنتين للأختين تملّقى
بمجرّد كونها ائتين، على أيّ صفة كانتا عليه من كِبَرٍ أو
صغر أو صلاح أو طلاح أو غنى أو فقر. فقد تحصل من
الخبر فائدة لم تحصل من ضمير المتّى.

ولعمري لقد أبدع مروان في استنباط سؤاله،
وأحسن أبو الحسن في كشف إشكاله. (الحريري: ٢٩)
عبد الجبار: وربما قيل في قوله تعالى: ﴿فَبِأَنِّ
كَانَتْ ائْتَيْنِ﴾ ما لفائدة في (ائْتَيْنِ) وقد عرف ذلك
بقوله: (كَانَتْ)؟

وجوابنا: أَنّه كان يجوز أن يقال: بعد قوله: (كَانَتْ)
صغيرتين أو صالحتين إلى غير ذلك من الصفات، فأفاد
بقوله: (ائْتَيْنِ) أَنْ المراد العدد، وذلك فائدة صحيحة.
(١٠٨)

أبو البركات: إمّا قال: (ائْتَيْنِ) ولم يقتصر على
قوله: (كَانَتْ) لَأَنّها تنفيّد التّنية لوجهين:

أحدهما: أَنّه لو اقتصر على قوله: (كَانَتْ) ولم يقل:
ائتين لاحتمل أن يريد بهما الصّغيرتين أو الكبيرتين،

فلما قال: (ائْتَيْنِ) أفاد العدد مجرّداً عن الصّغر
والكبر، فكانتْه قال: فَإِنْ كانتا صغيرتين أو كبيرتين.
فقام «ائتان» مقام هذين الوصفين، وأفاد فائدتهما في
رفع هذا الوهم، والاحتمال في أَنْ الصّغرى بخلاف
الكبرى.

فأروي عن النبي ﷺ أَنّه قال: «لَا تُكْخِ الْمَرْأَةُ عَلَى
عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَاتِهَا، لَا الصّغرى على الكبرى ولا
الكبرى على الصّغرى» رفعا لهذا الوهم، والاحتمال من
اختلاف الحكم بين الصّغرى والكبرى. (١: ٢٨٠)
أبو حنّان: قالوا: الصّغير في (كَانَتْ) ضمير
«أختين» دلّ على ذلك قوله: ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ وقد تقرّر في
علم الرّبيّة أَنْ الخبر يفيد ما يفيد الاسم. وقد منع
أبو عليّ وغيره: سيّد الجارية مالكتها. لأنّ الخبر أفاد
ما أفاده المبتدأ، والألف في (كَانَتْ) تنفيّد التّنية، كما أفاده
الخبر وهو قوله: (ائْتَيْنِ).

وأجاب الأخفش وغيره بأنّ قوله: (ائْتَيْنِ) يدلّ
على عدم التّقييد بالصّغر أو الكبر أو غيرهما من
الأوصاف، فاستحقّ (اَلثَّلَاثَانِ) بالائتينيّة بمجرّد صغ
القيود، فلهذا كان مفيداً.

وهذا الذي قالوه ليس بشيء. لأنّ الألف في
الصّغير لـ (ائْتَيْنِ) يدلّ أيضاً على مجرّد الائتينيّة من غير
اعتبار قيد، فصار مدلول الألف ومدلول (ائْتَيْنِ)
سواء، وصار المعنى فَإِنْ كانتا الأختان ائتين، ومعلوم أنّ
(٣: ٤٠٧)

الأختين ائتان.

اثنتا

البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفرق
أسباط، ولم يجعل العدد على أسباط.

وكان بعضهم يستحكي على هذا التأويل، ويقول:
لا يخرج العدد على عين الثاني، ولكن الفرق قبل الانتي
عشرة، حتى تكون الانتا عشرة مؤنثة على ما قبلها،
ويكون الكلام: وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة أسباطا،
فيصح التأنيث لما تقدم.

وقال بعض نحوي الكوفة: إنما قال: (اثنتي عشرة)
بالتأنيث والتبسط مذكر، لأن الكلام ذهب إلى «الأمم»
فتلّب التأنيث، وإن كان التبسط ذكرا. [ثم استشهد بشعر]
وكان آخرون من نحوي الكوفة يقولون: إنما أنتت
الانتا عشرة، والتبسط ذكر، لذكر الأمم.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن «الاثنتي
عشرة» أنتت لتأنيث القطعة. ومعنى الكلام: وقطعناهم
قطعا اثنتي عشرة، ثم ترجم عن القطع بالأسباط.

وغير جائز أن تكون (الأسباط) مفسرة عن
«الاثنتي عشرة» وهي جمع، لأن الشفير فيها فوق
العشر إلى العشرين بالتوحيد لا بالجمع، و«الأسباط»
جمع لا واحد، وذلك كقولهم: عندي اثنتا عشرة امرأة،
ولا يقال: عندي اثنتا عشرة نسوة، ففي ذلك أن
«الأسباط» ليست بتفسير للثنتي عشرة، وأن القول في
ذلك على ما قلنا.

الطوسي: إنما أنتت قوله: «اثنتي عشرة أسباطا»
لأن اليئة التقديم والتأخير، والتقدير: وقطعناهم أمما
اثنتي عشرة أسباطا.

أبو السعود: وقوله تعالى: «اثنتي عشرة» ناني

وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَبِيًّا. البقرة: ٦٠
ابن عطية: (اثنتا) مربة دون أخواتها، لصحة
معنى التثنية. وإنما يُبنى واحد مع واحد، وهذه إنما هي
اثتان مع واحد، فلو بُنيت لُزْد ثلاثة واحدا، وجاز
اجتماع علامتي التأنيث في قوله: «اثنتا عشرة» بعد
العلامة من العلامة، ولأنها في شيئين، وإنما منع ذلك في
شيء واحد، نحو مسلمات وغيره.

القرطبي: (اثنتا) في موضع رفع بلا انفجرت
وعلامة الرفع فيها الألف، وأعربت دون نظائرها، لأن
التثنية مربة أبدا لصحة معناها.

أبو حيان: التاء في (اثنتا) للتأنيث، وفي «ثنتا»
للإلحاق، وهذه ظهير ابنة بنت.

نحو الأكوستي.
راجع «ع ي ن»، «ع ي ن».

اثنتن

وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما...

الأخرف: ١٦٠

الفراء: فقال: «اثنتي عشرة» والتبسط ذكر، لأن
بعده «أمم» فذهب التأنيث إلى الأمم. ولو كان «اثنتي
عشر» لتذكير «التبسط» كان جائزا.

الطبري: واختلف أهل العربية في وجه تأنيث:
الاثنتي عشرة، والأسباط جمع مذكر، فقال بعض نحوي

ومن جعلها نكرة وذهب بها إلى الأسماء أجزاها،
والعرب تقول: ادخلوا ثَلَاثَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثًا ثَلَاثًا. [ثم
استشهد بشعر]

فوجه الكلام ألاَّ تُجْرَى وأنَّ تُجْعَل معرفة، لأنَّها
مصروفة، والمصروف خلقته أن يُترك على هيئته،
مثل: كُفِعَ وَلَكَاعٍ، وكذلك قوله: ﴿أَوَّلِي أَجْنِيحَهُ مَغْنًى
وَوَلْتُ وَزُبَاعَ﴾ فاطر: ١، والواحد يقال فيه: مَوْنَد
وأحاد وواحداً، ومَنَى وثناً. (١: ٢٥٤)

أَبُو عُبَيْدَةَ: أَيُّ ثَنَيْنِ، ولاتونين فيها. [ثم استشهد
بشعر]

قال التحوين: لا يَنَوْن «مَنَى» لأنَّه مصروف عن
حده، والحد أن يقولوا: اثنين، وكذلك ثَلَاثَ وَرُبَاعٍ
لاتونين فيها، لأنَّه ثلاث وأربع في قول التحوين، [ثم
استشهد بأشعار وقال:]

ولأُجَاوِزِ الْعَرَبِ «رباع»، غير أنَّ الْكَيْتَ بن زيد
الأسدي قال:

فلم يستريوك حتى رَمِيت

فوق الرجال خصالاً عشاراً
فجعل «عشار» على مخرج ثلاث ورباع. (١١٤: ١)
الأخفش: وَتَرَكَ الصَّرْفَ فِي «مَغْنًى وَوَلْتُ
وَوَزُبَاعَ» إنه عدل عن «اثنين» و«ثلاث» و«أربع» كما
أنَّه بن عدل «عمر» عن «عاسم» لم يصرف، وقال
تمالي: ﴿أَوَّلِي أَجْنِيحَهُ مَغْنًى وَوَلْتُ وَزُبَاعَ﴾ فاطر: ١،
فنصب. وقال: ﴿أَنْ تَقْوَمُوا لَهُ مَغْنًى وَفَرَاذِي﴾ سبأ:
٤٦، فهو معدول كذلك، ولو سُمِّيت به صرفت، لأنَّه إذا
كان اسماً فليس في معنى «اثنين» و«ثلاثة» و«أربعة»،

مفعولي «قَطَعَ» لتضمينه معنى التَّصْيِيرِ والتَّأْنِيثِ للحمل
على الأُمَّةِ أو القطعة، أي صيّرناهم اثنتي عشرة أُمَّة أو
قطعة متميِّزاً بعضها من بعض، أو حال من مفعوله، أي
فَرَّقْنَاهُمْ معدودين هذا العدد. (٢: ٢٠٣)
مثله الْبُرُوسِيُّ. (٣: ٢٦١)
الآلُوسِيُّ: حَال أو مفعول ثانٍ، أي فَرَّقْنَاهُمْ
معدودين بهذا العدد، أو صيّرناهم اثنتي عشرة أُمَّة،
بتميِّز بعضها عن بعض. (٩: ٨٧)
راجع: «س ب ط» (أَشْبَاهًا).

مَغْنًى

١- وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْلِحُوا فِي الْبَيْتَانِ فَانْكَبُوا
مُطَافٍ لَكُمْ مِنَ الشَّامِ مَغْنًى وَوَلْتُ وَزُبَاعَ... النساء: ٣
ابن عباس: يقول: واحدة أو اثنتين أو ثلثاً أو
أربعاً، لا يزداد على ذلك. (٦٤)

الفراء: وقوله: «مَغْنًى وَوَلْتُ وَزُبَاعَ» فإنَّها
حروف لأجري، وذلك أنَّهنَّ مصروفات عن جهاتهنَّ،
الآتري أنَّهنَّ لِلثَّلَاثِ وَالثَّلَاثَةِ، وأنَّهنَّ لَا يُضَمَّنُ إِلَى
ما يضاف إليهنَّ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُ، فكان لامتناعه من
الإضافة كأنَّ فيه الألف واللام.

وامتنع من الألف واللام، لأنَّ فيه تأويل الإضافة
كما كان بناء الثَّلَاثَةِ أن تضاف إلى جنسها، فيقال: ثلاث
نساء، وثلاثة رجال.

وربما جعلوا مكان ثلاث ورباع: مَثَلْتُ وَمَرَّعَ،
فلا يُجْرَى أيضاً، كما لم يُجْرَ ثَلَاثَ وَرُبَاعٍ، لأنَّه مصروف
فيه من اللَّمَّةِ ما في ثَلَاثَ وَرُبَاعٍ.

قال أصحابنا: إنه اجتمع فيه عِلْتَان: أنه عُدل عن تأنيث، وأنه نكرة، والنكرة أصل للأسماء، بهذا كان ينبغي أن يخففه، لأن النكرة تخفف ولا تُمَدُّ فرحاً.

وقال غيرهم: «هو معرفة». وهذا محال، لأنه صفة للنكرة، قال الله جلّ وعزّ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةَ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَقْشَىٰ وَزُبُرًا﴾ فاطر: ١، فهذا محال أن يكون أولى أجنحة الثلاثة والأربعة، وإنما معناه أولى أجنحة ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة. [تم استشهد بشمر]

(٩: ٢)

الخصاص: قوله تعالى: ﴿مَقْشَىٰ وَزُبُرًا﴾ فإنه إياحة للثنتين إن شاء، وللثلاث إن شاء، وللرباع إن شاء، على أنه غير في أن يجمع في هذه الأعداد، من شاء قال: فإن خاف أن لا يعدل اقتصر من الأربع على الثلاث، فإن خاف أن لا يعدل اقتصر من الثلاث على الاثنين، فإن خاف أن لا يعدل بينها اقتصر على الواحدة. وقيل: إن «الواو» هاهنا بمعنى «أو» كأنه قال: مقشى أو ثلاث أو رباع.

وقيل أيضاً فيه: إن «الواو» على حقيقتها، ولكنه على وجه البدل، كأنه قال: وثلاث بدلاً من مقشى، ورباع بدلاً من ثلاث، لأعلى الجمع بين الأعداد.

ومن قال هذا قال: إنه لو قيل: «أو» لجاز أن لا يكون الثلاث لصاحب المقشى، ولا الرباع لصاحب الثلاث، فأفاد ذكر «الواو» إياحة الأربع لكل أحد من دخل في الخطاب.

وأيضاً فإن المقشى داخل في الثلاث والثلاث في الرباع، إذ لم ينبت إن كل واحد من الأعداد مراد مع

كما قال: «يزال» حين كان في معنى «انزلوله»، وإذا سميت به رفعت. [تم استشهد بشمر] (١: ٤٣١)

الطبري: أما قوله: ﴿مَقْشَىٰ وَزُبُرًا﴾ فإيما ترك إجراؤه، لأنهن مدولات عن اثنين وثلاث وأربع، كما عُدل صر عن عامر وزفر عن زافر، فترك إجراؤه، وكذلك أحاد وثنا، وموحد ومثنى ومثلث وتربع، لا يجرى ذلك كله، للملحة التي ذكرت، من العدول عن وجوهه.

ومما يدل على أن ذلك كذلك، وأن الذكر والأنثى فيه سواء، ما قيل في هذه السورة وسورة فاطر: ﴿مَقْشَىٰ وَزُبُرًا﴾ فاطر: ١، ويراد به الجناح والجناح ذكر، وأنه أيضاً لا يضاف إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث، وأن الألف واللام لا تدخله، فكان في ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة، ولو كان نكرة لدخله الألف واللام، وأضيف كما يضاف الثلاثة والأربعة. [تم استشهد بشمر] ولم يُسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته، لم يسمع منها خماس ولا خمسة، ولا سباع ولا مسمعة، وكذلك ما فوق الرباع، إلا في بيت الكيت. [الذي مر عند أبي عبيدة، وأضاف:]

يقال: إنه لم يُسمع غير ذلك. (٤: ٢٣٧)

الزجاج: وقوله عز وجل: ﴿مَقْشَىٰ وَزُبُرًا﴾ يدل من «مَطَابَ لَكُمْ» ومعناه اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأرباعاً أرباعاً إلا أنه لا ينصرف لجهتين، لأعلم أن أحداً من النحويين ذكرهما، وهي أنه اجتمع فيه عِلْتَان: أنه معدول عن اثنين اثنين، وثلاث وثلاث، وأنه عُدل عن تأنيث.

الأربعة. [ثم استشهد بشعر]

قال: فهذا لا يكون أبداً لانتين فحسب ولواحد فحسب، إنما هو اثنان اثنان وواحد واحد. [إل أن قال:] فأما الاستدلال بهذه الآية على جواز نكاح التسع، فهو مذهب لبعض علماء أهل البيت عليه السلام، إلا أنه يُضَعَّف في نفسي من وجوه:

أحدها: أن (ثنتي) وما بعده لا يصلح في عرف أهل اللغة إلا لانتين اثنين واثنتين اثنتين على التثنية، لا على الجمع والعَمَم، فإذا ثبت ذلك كان تقدير الكلام: فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثنتي، وانكحوا ثلاث في غير الحال الأولى، وانكحوا رابع في غير الحالين.

ومنها: أن كلامه تعالى أفصح الكلام، وأشدّ انحرافاً في سلوك النصيحة، وأبعداً في مراعي البلاغة، وليس من البلاغة أن يقول القائل - إذا أراد أن يعطى ثلثة زيدا تسعة دراهم -: أعطيت زيدا تسعة دراهم وثلاثة وأربعة، فيفرق في مثل هذه الحال، لأن قوله: أعطيته تسعة دراهم، أخصر وأقصر، وهو بمذهب البلغاء أشبه وأليق. [إل أن قال:]

ونود بتوفيق الله تعالى إلى تمام الكلام على معنى: ثنتي وثلاث ورباع، ومما يفسد قول من قال: المراد بذلك نكاح تسع، أن الأمر لو كان على ما ظنّه لم يجر للواحد من أن ينكح اثنتين على الانفراد ولا ثلثاً ولا أربعاً كذلك، ولم يكن يجوز له إلا أن ينكح تسعاً أو واحدة، لأن القائل إذا قال لك - وطاعته واجبة عليك -: خذ عشرة، لم يكن لك أن تأخذ تسعاً ولا ما هو أقل من ذلك إلا عاصياً، فكان قوله تعالى: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ

الأعداد الأخر على وجه الجمع، فتكون تسعاً، وهذا كقوله تعالى: «قُلْ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ» في يَوْمَيْنِ وَيَوْمَيْنِ لَهْ أَتَدَاكَ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيَجْعَلُ فِيهَا زَوَاجِي مِنْ فَوْقِهَا وَتَارِكُ فِيهَا وَقَدْ زَوْجِي فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فصلت: ٩، ١٠، والمعنى في أربعة أيام باليومين المذكورين بدياً، ثم قال: «فَقَضَيْتُ مِنْ شَمَائِلِ يَوْمَيْنِ فِي يَوْمَيْنِ» فصلت: ١٢.

ولولا أن ذلك كذلك لصارت الأيام كلها ثمانية، وقد علم أن ذلك ليس كذلك، لقوله تعالى: «وَجَعَلْتُ الشَّمَائِلَ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» الأعراف: ٥٤. فكذاك المثنى داخل في الثلاث، والثلاث داخل في الرباع، فجميع ما أباحتها الآية من العدد أربع لازمة عليها. (٢: ٥٤) الشَّريفة الرُّضويّة: [نحو ما تقدّم عن الزَّجَّاج وأبي عبيدة وأضاف:]

فأما الكلام على معنى ذلك، فإنَّ محمّد بن يزيد المبرّد قيل له: هل في عدل ذلك عن اثنين وثلاثة وأربعة زيادة معنى لم تكن فيما عدل عنه؟

فأجاب بما ذكرناه، من أن معناه معنى الكثير، أي اثنتين اثنتين وثلاث ثلاث وأربع أربع. قال: وإنما صار معناه على ذلك، لأنّه خطاب للجميع، فكأنّه تعالى قال: لينكح كلّ واحد منكم اثنتين إن شاء أو ثلاثاً إن شاء أو أربعاً، وهذا كقوله تعالى: «فَانكِحُوا مِنْهُم مَّنْ شِئْتُمْ» التور: ٤، أي اجدوا كلّ واحد منهم بهذه العدة. وفسر المبرّد قوله تعالى: «أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ وَتَلَّتْ وَرُبَّاعٌ» فاطر: ١، بأن قال: المراد بذلك أن الاثنين يقابلان الاثنين والثلاثة تقابل الثلاثة والأربعة تقابل

النِّسَاء: النساء: ٣، لا معنى له. لأنَّ (مَاطَابَ) إمَّا هو ما بين الواحد إلى الأربع، فإن طاب اثنتان للواحد نكحهما، وإن طاب ثلاث أو أربع نكحهنَّ، وإن خاف الميل الَّذي هو جور اقتصر على الواحدة أو مُلك اليمين. وهذا أوضح من أن يلتبس على ذي فهم، لأنَّ الكلام لو كان على ما ظنَّه المخالف، لكان جامعا بين عَيِّ اللَّفْظ وفساد المعنى.

وبيان ذلك وتلخيصه: أنَّ المراد لو كان نكاح الاثنين والثلاث والأربع على الاجتماع لم يكن لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَخْتَضِرُوا الْإِفْخَارَ فَوَاحدةٌ﴾ معنى، لأنَّه لا يجب عند المخوف من ترك العدل في نكاح التسع أن يترك إلى واحدة إلا بعد واسطة في العدد، فدلَّ ذلك على أنَّ المراد إمَّا معنى وإمَّا ثلاث وإمَّا رابع، فإن خاف التاكح ألا يعدل في أحد هذه الأعداد اقتصر على واحدة، أو النكاح بملك اليمين.

ولا يليق بالكلام هاهنا إلا ما أشرنا إليه، لأنَّه تعالى شرط ذلك فيما طاب للنكاح، ثم ذكر الأعداد الثلاثة، فنبه بذلك على طريقة التخيير.

وبعد، فإنَّ العلم بأنَّه لا يسوغ نكاح ما فوق الأربع في حال واحدة كالضرورة من فحوى الآية ومن دين الرسول ﷺ، فلا معنى لإطالة الكلام في ذلك، وفي ما ذكرناه منه كاف بتوفيق الله تعالى.

(حقائق التأويل: ٤٢٨)

نحوه أبو الفتح.

القيسي: (متنفي) في موضع نصب بدل من (ما). ولم ينصرف لأنَّه معدول عن: اثنين اثنين، دالَّ على

التكرير، ولأنَّه معدول عن مؤنث، لأنَّ العدد مؤنث. وقيل: لم ينصرف، لأنَّه معدول عن لفظه وعن معناه. وقيل: امتنع من الصَّرف، لأنَّه معدول، ولأنَّه صفة. وقيل: امتنع من الصَّرف لأنَّه معدول، ولأنَّه جمع. وقيل: امتنع لأنَّه معدول، ولأنَّه عدل على غير أصل العدل، لأنَّ أصل العدل إمَّا هو للمعارف، وهذا نكرة بعد العدل. (١: ١٧٩)

الطوسي: قوله: ﴿مَتْنَفَى وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ﴾ بدل من (مَاطَابَ) وموضعه النصب، وتقديره: اثنين اثنين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا، إلَّا أنَّه لا ينصرف لثنتين، إحداهما: أنَّه معدول عن اثنين اثنين وثلاث ثلاث، في قول الزجاج.

وقال غيره: لأنَّه معدول، ولأنَّه نكرة، والنكرة أصل للأشياء.

وقال غيره: هو معرفة، وهذا فاسد عند البصريين، لأنَّه صفة للنكرة في قوله: ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتْنَفَى وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ﴾ فاطر: ١.

والمعنى أُولَى أَجْنَحَةٍ ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة. [ثم نقل قول الفراء وقال مثل ما قاله الطبري] (٣: ١٠٥) البقوي: ﴿مَتْنَفَى وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ﴾ معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، ولذلك لا يُصْرَفُنَّ، و«الواو» بمعنى «أو» للتخيير، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا لَهُ مَتْنَفَى وَفَرَادَى﴾ سبأ: ٤٦، وقوله تعالى: ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتْنَفَى وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ﴾ فاطر: ١، وهذا إجماع أنَّ أحدًا من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نساء، وكانت الزيادة من خصائص النبي ﷺ، لامشاركة معه لأحد من الأمة فيها.

الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظوراً عليهم ماوراء ذلك. (١: ٤٩٦)
نحوه التثنية (١: ٢٠٦)، والتثنية (١: ٢٠٣)، وأبو السعد (١: ٣١٤)، ورشيد رضا (٤: ٣٤٦).

ابن العربي: قد توهم قوم من الجهال أن هذه الآية تبيح للرجل تسع نساء، ولم يعلموا أن «مثنى» عند العرب عبارة عن اثنين مرتين، و«ثلاث» عبارة عن ثلاث مرتين، و«رباع» عبارة عن أربع مرتين، فيخرج من ظاهره على مقتضى اللغة إباحة ثمان عشرة امرأة، لأن مجموع اثنين وثلاثة وأربعة تسعة.

وعضدوا جهالتهم بأن النبي ﷺ كان تحت تسع نساء، وقد كان تحت النبي ﷺ أكثر من تسع، وإنما مات عن تسع، وله في النكاح وفي غيره خصائص ليست لأحد، بيانها في سورة الأحزاب.

ولو قال ربنا تبارك وتعالى: فأنكحوا ما طاب لكم من النساء اثنتين وثلاثاً وأربعاً، لما خرج من ذلك جواز نكاح التسع، لأن مقصود الكلام ونظام المعنى فيه: فلكم نكاح أربع، فإن لم تعدلوا فثلاثة، فإن لم تعدلوا فاثنتين، فإن لم تعدلوا فواحدة. ففعل العاجز عن هذه الرتبة إلى منتهى قدرته، وهي الواحدة من ابتداء الحمل، وهي الأربع، ولو كان المراد تسع نساء لكان تقدير الكلام: فأنكحوا تسع نساء، فإن لم تعدلوا فواحدة.

وهذا من ركيك البيان الذي لا يليق بالقرآن، لاسيما وقد ثبت من رواية أبي داود والدارقطني وغيرهما أن النبي ﷺ قال لفيلان الشقي حين أسلم، وتحتة عشر نساء: اختر منهاً أربعاً، وفارق سائرهن.

(١: ٥٦٤)

الزَّمَخْشَرِيُّ: معدولة عن أعداد مكررة. وإنما سُتعت الصَّرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيها، وعدلها عن تكررها، وهي نكرات يُعرَفْنَ بلام التعريف، تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع، ومثلهنَّ التَّصَبُّ على الحال من (مَاطَابَ)، تقديره: فأنكحوا الطَّيِّبَاتِ لكم معدودات هذا العدد اثنتين اثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً.

فإن قلت: الذي أطلق للتاكح في الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو أربع لما معنى التكرير في «مثنى وَثَلَّثَ وَرُبَاعٌ»؟

قلت: الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كل تآكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له، كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، ولو أفردت لم يكن له معنى.

فإن قلت: فلم جاء المطف «الواو» دون «أو»؟ قلت: كما جاء بالواو في المثال الذي حدوته لك، ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، علمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها، فيجعلوا بعض القسم على ثنتية وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع، وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلَّت عليه الواو.

وتعريبه: أن «الواو» دلَّت على إطلاق أن يأخذ التآكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق

(١: ٣١٢)

ابن عطية: «مثنى وثُلث وزُرباع» موصها من الإعراب نصب على البدل من (مأطاب)، وهي نكرات لاتصرف، لأنها معدولة وصفة، كذا قال أبو علي.

وقال غيره: هي معدولة في اللفظ وفي المعنى، وأيضاً فإنها معدولة مؤنثة.

قال الطبري: هي معارف، لأنها لاتدخلها الألف واللام. وخطأ الزجاج هذا القول، وهي معدولة عن اثنين، وثلاثة، وأربعة، إلا أنها مُضَنَّة تكرر العدد إلى غاية المعداد. [تم استشهد بشره] (٢: ٧)

نحوه أبو البركات.

الطبرسي: قوله: «مثنى وثُلث وزُرباع» بدل مما طاب وموضعه النصب، وتقديره: اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً وأرباً أرباً، إلا أنه لا ينصرف لثنتين: العدد والصفة. [تم ذكر قول الزجاج وأضاف:]

وخطأه أبو علي الفارسي في ذلك، وأورد عليه كلاماً كثيراً يطول بذكره الكتاب، ثم قال: لو جاز أن يقول قائل: إن (مثنى) وبابه معدول عن مؤنث لما جرى على النساء وواحدتهن مؤنثة، لجاز لآخر أن يقول: إن مثنى وبابه معدول عن مذكر، لأنه أجري صفة على (أَجْنِثَة) وواحدتها مذكر، وإنما جرى على النساء من حيث كان تأنيهاً تأنيث الجمع، وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي وإنما هو من أجل اللفظ، فهو مثل النار والدار وما أشبه ذلك، وقد جرت هذه الأسماء على المذكر الحقيقي. [تم استشهد بشره]

وقال أبو علي في «القصريات»: إن «مثنى وثُلث

وزُرباع» حال من قوله: «مأطاب لكم من النساء» فهو كقولك: جئتك ماشياً وراكباً ومنحدرًا وصاعدًا، تريد أنك جئت في كل حال من هذه الأحوال، ولست تريد أنك جئت وهذه الأحوال لك في وقت واحد. ومن قدرها على البدل من (مأ) قال: إنما جاءت (الواو) هنا ولم تأت «أو» لأنه على طريق البدل، كأنه قال: (وثُلث) بدلًا من (مثنى) و(زُرباع) بدلًا من (ثُلث) ولو جاء به «أو» لكان لا يجوز لصاحب المثنى (ثُلث) ولصاحب الثلاث (زُرباع). (٢: ٥)

الفخر الرازي: «مثنى وثُلث وزُرباع» معناه: اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأرباً أرباً، وهو غير منصرف، وفيه وجهان:

الأول: أنه اجتمع فيها أمران: العدل والوصف، أما العدل فلأن العدل عبارة عن أنك تذكر كلمة وتريد بها كلمة أخرى، كما تقول: عمر وُفِر، وتريد به عامراً وزافراً، فكذا هاهنا تريد بقولك: مثنى: ثنتين تنتين، فكان معدولاً.

وأما أنه وصف، فدليلة قوله تعالى: «أُولَى أَجْنِثَةٍ مثنى وثُلث وزُرباع» فاطر: ١، ولا شك أنه وصف.

الوجه الثاني: في بيان أن هذه الأسماء غير منصرفة أن فيها عدلين، لأنها معدولة عن أسوها، كما بيئناه، وأيضاً أنها معدولة عن تكررها، فإنك لاتريد بقولك: مثنى ثنتين فقط بل ثنتين ثنتين، فإذا قلت: جاءني اثنان أو ثلاثة كان غرضك الإخبار عن جمعي هذا العدد فقط. أما إذا قلت: جاءني القوم مثنى، أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين، فثبت أنه حصل في هذه الألفاظ نوهان

بل الحق أنه يفيد ثمانية عشر، لأن قوله: ﴿مَثْنَى﴾ ليس عبارة عن اثنين فقط، بل عن اثنين اثنين، وكذا القول في البقية.

وأما الخبر فن وجهين:

الأول: أنه ثبت بالثواتر أنه ﷺ مات عن تسع، ثم إن الله تعالى أمرنا بأنبأه، فقال: ﴿فَأَنْبِئُوهُ﴾، وأقل مراتب الأمر الإباحة.

الثاني: أن سنة الرّجل طريقتة، وكان التّروّج بالأكثر من الأربع طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام، فكان ذلك سنة له، ثم إنّه ﷺ قال: «لمن رغب عن سنتي فليس مني» فظاهر هذا الحديث يقتضي توجيه اللوم على من ترك التّروّج بأكثر من الأربعة، فلا أقل من أن يثبت أصل الجواز.

واعلم أن متمدن الفقهاء في إثبات المصغر على أمرين: الأول: الخبر، وهو ما روي أن غيلان أسلم وتحتة عشر نوسة، فقال الرسول ﷺ: «أسك أربمًا وفارق باقين». وروي أن نوفل بن معاوية أسلم وتحتة خمس نوسة فقال ﷺ: «أسك أربمًا وفارق واحدة».

واعلم أن هذا الطريق ضعيف لوجهين:

الأول: أن القرآن لما دل على عدم المصغر بهذا الخبر كان ذلك نسخًا للقرآن بخبر الواحد، وإنه غير جائز.

والثاني: وهو أن الخبر واقعة حال، فلملّه عليه الصلاة والسلام إنما أمره بإمساك أربع ومفارقة البواقي، لأن الجمع بين الأربعة وبين البواقي غير جائز؛ إما بسبب النسب أو بسبب الرّضاع، وبالمعملة هذا الاحتمال قائم في

من العدد، فوجب أن يُنح من الصّرف، وذلك لأنّه إذا اجتمع في الاسم سببان أوجب ذلك منع الصّرف، لأنّه يصير لأجل ذلك نائبا من جهتين، فيصير مشابها للفعل فيمتنع صرفه، وكذا إذا حصل فيه العدل من جهتين، فوجب أن يُنح صرفه، والله أعلم.

ذهب قوم سدي^(١) إلى أنه يجوز التّروّج بأي عدد أريد، واحتجوا بالقرآن والخبر.

أما القرآن فقد تمسكوا بهذه الآية من ثلاثة أوجه:

الأول: أن قوله: ﴿فَأَنْبِئُوهُمَا طَاطَبَ لَكُمْ مِنَ النَّشَاءِ﴾ إطلاق في جميع الأعداد بدليل أنه لا عدد إلا ويصح استناؤه منه، وحكم الاستثناء إخراج مالم يلاوه لكان داخلا.

والثاني: أن قوله: ﴿مَثْنَى وَثُلَّةَ وَزُبَاعَ﴾ لا يصلح تخصيصا لذلك العموم، لأنّ تخصيص بعض الأعداد بالذكر لا يني ثبوت الحكم في الباقي، بل نقول: إن ذكر هذه الأعداد يدل على رفع المخرج والمجر مطلقا، فإن الإنسان إذا قال لولده: افعل ما شئت اذهب إلى السوق وإلى المدينة وإلى البستان، كان تخصيصا في تضيض زمام الخيرة إليه مطلقا، ورفع المجر والمخرج عنه مطلقا، ولا يكون ذلك تخصيصا للإذن بتلك الأشياء المذكورة، بل كان إدئا في المذكور وغيره، فكذا هاهنا، وأيضا فذكر جميع الأعداد متصدّر، فإذا ذكر بعض الأعداد بعد قوله: ﴿فَأَنْبِئُوهُمَا طَاطَبَ لَكُمْ مِنَ النَّشَاءِ﴾ كان ذلك تنبيها على حصول الإذن في جميع الأعداد.

والثالث: أن (الواو) للجمع المطلق، فقوله: ﴿مَثْنَى وَثُلَّةَ وَزُبَاعَ﴾ يفيد حل هذا المجموع، وهو يفيد تسمية،

(١) السّدي، الإجماع والنقل، يقال للمفرد والجمع.

«الواو» ما ذكرناه، والله أعلم. (١٧٣: ٩ - ١٧٤)

الْقُرْطُبِيُّ: [نحو الطَّبْرَسِيِّ وَالْفَخْرَازَرِيِّ] (١٧: ٥)
التَّيْسَابُورِيُّ: قوله: «مَغْنَى وَثَلْتُ وَزُبَاعَ» ولم
يوجد في كلام الفصحاء إلا هذه وأحاد وموحد، وجوزوا
إلى عشار ومعشر قياساً على قول الكسيت: [ثم جاء
بشمره]

فاتتفق النحويون على أن فيها عدلاً محققاً، وذلك أن
فائدتها تقسيم أمر ذي أجزاء على عدد معين، ولفظ
المقسوم عليه في غير العدد مكرّر على الأنطراد في كلام
العرب، نحو: قرأت الكتاب جزء جزء، وجاء في القوم
رجلاً رجلاً وجماعة وجماعة، وكان القياس في باب
العدد أيضاً التكرير، عملاً بالاستقراء، والحساقاً للفرد
المتنازع فيه بالأعم الأغلب، فلمّا وجد ثلاث مثلاً غير
مكرّر لفظاً حكم بأن أصله لفظ مكرّر، وليس إلا ثلاثة
ثلاثة.

فمنذ سبويه منع صرف مثل هذا للعدل والوصف
الأصلي، فإن هذا التركيب لم يستعمل إلا وصفاً، بخلاف
المعدول عنه.

وقيل: إن فيه عدلاً مكرّراً من حيث اللفظ، لأنّ
أصله كان ثلاثة ثلاثة ثلاثتين، فعدل إلى واحد ثم إلى لفظ
ثلاث أو مثَلت.

وقيل: إن فيه العدل والتعريف، إذ لا يدخله اللام
خلاً لما في «الكشاف»، وإذا جرى على التكررة فمحمول
على البذل.

وصُفّ بعدم جريانه على المعارف، ولوقوعه حالاً.
فمضى الآية: فانكحوا الطّيّبات لكم معدودات هذا

هذا الخبر، فلا يمكن نسخ القرآن بمثله.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: وهو إجماع فقهاء الأخصار على أنّه
لا يجوز الزيادة على الأربع، وهذا هو المعتد، وفيه
سؤالان:

الأول: أن الإجماع لا يَنْسَخُ ولا يُنْسخ، فكيف يقال:
الإجماع نسخ هذه الآية.

الثاني: أن في الأئمة أقوالاً شاذاً لا يقولون بحسمة
الزيادة على الأربع، والإجماع مع مخالفة الواحد والاثنتين
لا ينعقد.

والجواب عن الأول: الإجماع يكشف عن حصول
التاسخ في زمن الرسول ﷺ، وعن الثاني: أن يخالف هذا
الإجماع من أهل البدعة فلا عبرة بمخالفته.

فإن قيل: فإذا كان الأمر على ما قلتم، فكان الأولى
على هذا التقدير أن يقال: متى أو ثلاث أو رباع، فلم
جاء بدواو «الطف دون «أو»؟

قلنا: لو جاء بكلمة «أو» لكان ذلك يقتضي أنّه
لا يجوز ذلك إلا على أحد هذه الأقسام، وأنّه لا يجوز لهم
أن يجمعوا بين هذه الأقسام، بمعنى أنّ بعضهم يأتي
بالثنية، والبعض الآخر بالتثنية والفرق الثالث
بالترتيب، فلمّا ذكره بحرف «الواو» أفاد ذلك أنّه يجوز
لكل طائفة أن يختاروا قسماً من هذه الأقسام. وظهيره
أن يقول الرجل للجماعة: اقتسموا هذا المال وهو ألف،
درهين درهين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، والمراد
أنّه يجوز لبعضهم أن يأخذ درهين درهين، وبعض
آخرين أن يأخذوا ثلاثة ثلاثة، ولطائفة ثالثة أن يأخذوا
أربعة أربعة، فكانا هاهنا الفائدة في ترك «أو» وذكر

العدد، ننتين ننتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً.

(٤: ١٧٠)

أبو حيان: [نقل قول الزخشي ثم قال:]

وما ذهب إليه من امتناع الصّرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكرّرها، لأعلم أحدكم ذهب إلى ذلك، بل المذهب في علّة منع الصّرف المنقولة أربعة:

أحدها: ما نقلناه عن سيبويه^(١).

والثاني: ما نقلناه عن الرّاء^(٢).

والثالث: ما نقل عن الرّجاج، وهو لأنّها معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، وأنّه عدل عن الثّانيتين.

والرّابع: ما نقله أبو الحسن عن بعض التّحويين: أنّ العلّة المانعة من الصّرف هي تكرار العدل فيه، لأنّه عدل عن لفظ اثنين وعدل عن معناه، وذلك أنّه لا يستعمل في موضع تستعمل فيه الأعداد غير المعدولة، تقول: جاءني اثنان وثلاثة، ولا يجوز جاءني مثنى وثلاث، حتّى يتقدّم قبله جمع، لأنّ هذا الباب يجعل بياناً لترتيب الفعل، فإذا قال: جاءني القوم مثنى، أفاد أنّ ترتيبهم وقع اثنين اثنين، فأما الأعداد غير المعدولة فإنّما الغرض منها الإخبار عن مقدار الممدود دون غيره، فقد بان بما ذكرنا اختلافها في المعنى، فلذلك جاز أن تقوم العلّة مقام العلتين، لإيجابها حكمين مختلفين. انتهى ما قرّر به هذا المذهب.

وقد ردّ النّاس على الرّجاج قوله: «إنّه عدل عن الثّانيتين» بما يوقف عليه في كتب النّحو، والزّخشي لم

يسلك شيئاً من هذه العلل المنقولة، فإن كان تقدّمه سلف من قال ذلك، فيكون قد تبعه وإلا فيكون متا انفراد بمقالته.

وأما قوله [الزّخشي]: «يُعرف بلام التّعريف، يقال: فلان ينكح المثنى والثلاث والرّباع» فهو معترض من وجهين: أحدهما: زعمه أنّها تُعرف بلام التّعريف، وهذا لم يذهب إليه أحد بل لم يستعمل في لسان العرب إلا نكرات، والثاني أنّه مثل بها، وقد وليت العوامل في قوله: فلان ينكح المثنى، ولا يلي العوامل إنّما يستعملها ما يلي العوامل، ولا تقع إلا خيراً كما جاء: صلاة اللّيل مثنى، أو حالاً نحو «عاطابَ لكم من الشّماء مثنى»، أو صفة نحو «أولبِ أجنبيّة مثنى وثلاث ورّباع» فاطر: ١، وقوله:

✽ ذئاب يبنى النّاس مثنى ومؤخّداً ✽

وقد تحيىء مضافة قليلاً نحو قول الآخر:

✽ يبنى الرّفاق المقرعات ويالجزر ✽

وقد ذكر بعضهم أنّها تلي العوامل على قلّة. [ثمّ استشهد بشعر]

ومن أحكام هذا المعدول أنّه لا يؤنّت، فلا تقول: مثناة ولأثلاثة ولأرباعاً بل يجري بغير تاء على المذكّر والمؤنّت. (٣: ١٥١)

الفاضل المقداد: أكثر الفقهاء والمفسّرين على أنّ (الواو) هنا ليست على حالها، وإلاّ لزم الجمع بين تسع نسوة، لكون (الواو) للجمع. ومن النّاس من جعل (الواو) بحاله، وجوّز الجمع بين التسع.

وزاد «السفاسي» في علة المنع خامساً: وهو العدل من غير جهة العدل، لأنَّ باب العدل أن يكون في المعارف وهذا عدل في التكررات، وسادساً: وهو العدل والجمع، لأنَّه يقتضي التكرار، فصار في معنى الجمع. وقال: زاد هذين ابن الصائغ في «شرح الجمل»، وجاء آحاد وموحد وثناء وثنى وثلاث وثلاث وربع وربع، ولم يسمع فيما زاد على ذلك، كما قال أبو عبيدة، إلَّا في قول الكيت. [تم جاء بشره]

ومن الناس من جَوَّز حماس ومحمَّس إلى آخر العقد قياساً، وليس بشيء، واختير التكرار، والعطف به الواو لتفهم الآية أنَّ لكل واحد من الحاظيين أن يختار من هذه الأعداد المذكورة أي عدد شاء، إذ هو المقصود، لأنَّ بعضها لبعض منهم والبعض الآخر لآخر، ولو أفردت الأعداد لفهم من ذلك تجويز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع، ولو ذكرت بكلمة «أو» لفات تجويز الاختلاف في العدد بأن ينكح واحد اثنين، وآخر ثلاثاً أو أربعاً، وما قيل إنَّه لا يلتصق إليه الذهن - لأنَّه لم يذهب إليه أحد - لا جلت في إليه، لأنَّ الكلام في الظاهر الذي هو نكتة العدول.

وادَّعى بعض المحققين أنَّه لو أتى من الأعداد بما لا يدلُّ على التكرار لم يصحَّ جمعه حالاً، مملاً ذلك بأنَّ جميع الطِّبَّات ليس حالها أنَّها اثنان، ولا حالها أنَّها ثلاثة، وكذا لو قيل: اقتسموا هذا المال الذي هو ألف درهم درهماً واثنين وثلاثة وأربعة، لم يصحَّ جعل العدد حالاً من المال الذي هو ألف درهم، لأنَّ حال الألف ليس ذلك، بخلاف ما إذا كرَّر، فإنَّ المقصود حينئذٍ

وكلُّ ذلك جهل وخبط، فإنَّ الجمع في المحكم لا يستلزم الجمع في الزَّمان، لأنَّك تقول: رأيت زيداً اليوم، وعمرًا أمس، ولو قال بلفظ «أو» لتوهم أنَّه لا يجوز لمن يقدر على عدد منها أن ينتقل إلى عدد آخر. وليس كذلك لأنَّ من زاد تمكَّنه، فله أن يزيد ما لم يتجاوز الأربع، ومن نقص تمكَّنه فله أن ينقص بلا حرج، لكون (الواو) للجمع بخلاف «أو» فافهم ذلك. فيجوز للزَّجل أن ينكح الأعداد المذكورة في أزمنة متعاقبة.

المحصر في «الأربع» وعدم جواز الزَّائد في النكاح الدائم إجماعي، ونقول الصادق عليه السلام: «لا يجلُّ ماء الزَّجل أن يمرَّ في أكثر من أربعة أرحام من المهراتر». ومَّا أسلم فيلان وعنده عشر نسوة قال له النبي ﷺ: «أمسك أربعاً وفارق سائرهنَّ» أي باقهنَّ، ونقل عن «القاسميَّة» من الزَّيدية: جواز التسع لمكان (الواو) كما قلنا، بل يلزمهم جواز ثمانية عشر، لأنَّ قوله: (مثنى) معناه اثنين اثنين، وكذا البواقي، كذا نقل عنهم ولكنهم ينكرونه. [إلى أن قال:]

أجمع المسلمون على أنَّ «ملك اليمين» لا ينحصر في عدد، وعموم لفظ الآية يؤيده، فإنَّ (مسا) من ألقاظ العموم، وكذا الحديث المتقدم عن الصادق عليه السلام لتقيده بالمهراتر، ولا يرد عليه منع جواز الزَّائد في المسعة، لدخولها في الأزواج، وإلَّا لما كانت مباحة، والأزواج لا يجوز فيها تعدِّي التصاب، فلا يجوز في المسعة، لأنَّنا نقول: إنَّه محمول على الدائم لأغلبه.

(٢: ١٤١ و ١٤٢)

الآلوسي: [تمو أبي حيان وأضاف:]

المحجر عنه، ولا يكون ذلك تخصيصاً للإذن بتلك الأشياء المذكورة بل كان إذناً في المذكور وغيره، فكذا هنا.

وأيضاً ذكر جميع الأعداد متصّراً - فإذا ذكر بعض الأعداد بعد «فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» كان ذلك تنبيهاً على حصول الإذن في جميع الأعداد - كلام ليس في محله، وفرق ظاهر بين ما نحن فيه، والمثال الحادث. [ثم نقل قول الفخر الرازي وقال:]

وأما الاحتجاج بـ«الخبر» فليس بشيء أيضاً، لأن الإجماع وقد وقع على أن الزيادة على «الأربع» من خصوصياته صلى الله تعالى عليه وسلم، ونحن مأمورون باتباعه والرغبة في سنته عليه الصلاة والسلام في غير ما علم أنه من الخصوصيات، أما فيما علم أنه منها، فلا، وأما الأمران اللذان اعتمد عليهما الفقهاء في هذا المقام ففي غاية الإحكام.

والوجه الأول في تضعيف الأمر الأول منها يُردّ عليه أن قول الإمام فيه: «إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَدُلْ عَلَى عَدَمِ الْحَصْرِ... إلخ» ممنوع، كيف وقد تقدّم ما يفهم منه دلالة على المحصر؟ ويتقدير عدم دلالة على المحصر لا يدلّ على عدم المحصر، بل غاية الأمر أنه يحتتمل الأمرين المحصر وعدمه، فيكون حيثن جازئاً، وبين الجمل بخبر الواحد جازئ، كما بين في الأصول.

وما ذكر في الوجه الثاني من وجهي التضعيف - بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لمعه إنّما أمر بإسائه أربع ومفارقة البواقي، لأن الجمع غير جازئ إنّما بسبب النسب أو بسبب الرّضاع - مما لا يكاد يقبل مع تنكير أربعاً وثبوت «اختر منهنّ أربعاً» كما في بعض الروايات

التفصيل في حكم الانقسام، كأنه قيل: فانكحوا الطّيّات لكم مفصلة ومقسمة إلى اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، واقتسموا هذا المال الذي هو ألف درهم مفصلاً ومقسماً إلى درهم درهم، واثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة.

وهذا يظهر فساد ما قيل: من أنه لا فرق بين اثنين ومثنى في «صحة الحالية» لأنّ اتهام الانقسام ظاهر من الثاني دون الأول كما لا يخفى، وأنه إنّما أتى به (الواو) دون «أو» ليفيد الكلام أن تكون الأقسام على هذه الأنواع غير متجاوز إياها إلى ما فوقها، لأن تكون على أحد هذه الأنواع غير مجموع بين اثنين منها، وذلك بناء على أنّ «الحال» بيان لكيفية الفعل، والتقدير في الكلام نسي لما يقابله، و(الواو) ليست لأحد الأسرين أو الأمور كـ«أو» وبهذا يتدفع ما ذهب إليه البعض من جواز التسع، فتسكاً بأنّ (الواو) للجمع، فيجوز الثنتان والثلاث والأربع وهي تسع.

وذلك لأنّ من نكح الخمس أو ما فوقها لم يحافظ على التقيد، أعني كيفية النكاح، وهي كونه على هذا التقدير والتفصيل، بل جاوزه إلى ما فوقه. ولعلّ هذا مراد «القطب» بقوله: إنه تعالى لما ختم الأعداد على الأربعة لم يكن لهم الزيادة عليها، وإلا لكان نكاحهم حشاً حشاً.

فقول بعضهم: الزّوم ممنوع؛ لعدم دلالة الكلام على المحصر، فإنّ الإنسان إذا قال لولده: افعل ما شئت، اذهب إلى السوق وإلى المدرسة وإلى البستان، كان هذا تخصيصاً في تفويض زمام الاختيار إليه مطلقاً، ورفع

عندهم. (٤: ١٩٠)
القاسمي: [نحو الرُّعْشَرِيّ والفَخْر الرّازي
 وأضاف:]

وقال الإمام الشُّوكاني رحمه الله تعالى في «وبل
 النّمام»: الَّذِي نقله إلينا أَقْبَى اللّغة والإعراب وصار
 كالجمع عليه عندهم، أَنَّ العدل في الأعداد يفيّد أَنَّ
 المحدود لما كان متكرراً يحتاج استيفاءه إلى أعداد كثيرة،
 كانت صيغة العدل المفردة في قوّة تلك الأعداد.

فإن كان مجيء القوم مثلاً اثنين اثنين، أو ثلاثة
 ثلاثة، أو أربعة أربعة، وكانوا أَوْفَاقاً مؤلّفة، فقلت: جاءني
 القوم مثني، أفادت هذه الصّيغة أَنَّهُم جاءوا اثنين اثنين،
 حتّى تكاملوا. فإن قلت: مثني وثلاث ورباع، أفاد ذلك
 أَنَّ القوم جاءوا ثارة اثنين اثنين، وثارة ثلاثة ثلاثة،
 وثارة أربعة أربعة. فهذه الصّيغة بيّنت مقدار عدد دفعات
 المجيء لامقدار عدد جميع القوم، فإنّه لا يستفاد منها
 أصلاً، بل غاية ما يستفاد منها أَنَّ عددهم متكرّر تكثرّاً
 تشقّ الإحاطة به.

ومثل هذا إذا قلت: نكحت النّساء مثني، فإنّ معناه
 نكحتنّ اثنتين اثنتين، وليس فيه دليل على أَنَّ كلّ دفعة
 من هذه الدّفعات لم يدخل في نكاحه إلّا بعد خروج
 الأولى، كما أنّه لا دليل في قولك: جاءني القوم مثني، أنّه
 لم يصل الاثنان الآخران إليك إلّا وقد فارقك الاثنان
 الأوّلان.

إذا تقرّر هذا فقولته تعالى: ﴿عَفَى وَلَئِكَ وَرِثَافٌ﴾
 يستفاد منه جواز نكاح النّساء اثنتين اثنتين وثلاثاً ثلاثاً
 وأربعاً أربعاً، والمراد جواز تزوّج كلّ دفعة من هذه

الصّحيحة في حديث غيلان، وكذا في الحديث الَّذِي
 أخرجه ابن أبي شيبة. والثّخاس عن قيس بن الحرث
 الأسديّ أنّه قال: أسلمت وكان تحتي ثمان نسوة
 فأخبرت النبي ﷺ فقال: «اختر منهنّ أربعاً وخلّ
 سائرهنّ» ففعلت، فإنّ ذلك يدلّ دلالة لا مريّة فيها أَنَّ
 المقصود إبقاء أيّ أربع، لأربع مميّزات، فلاحتمال الَّذِي
 ذكره الإمام قاعد لاقام، ولو اعتبر مثله - قادحاً في
 الدّليل - لم يبق دليل على وجه الأرض.

نعم الحديث مشكل على ماذهب إليه الإمام
 الأعظم، على ما نقل ابن هبيرة: فيمن أسلم وتحتّه أكثر
 من أربع نسوة، من أنّه إن كان العقد وقع عليهنّ في حالة
 واحدة فهو باطل، وإن كان في عقود صحّ النّكاح في
 الأربع الأوائل، فإنّه حينئذ لا اختيار، وخالفه في ذلك
 الأئمّة الثلاثة، وهو بحث آخر لستنا بصدد.

وأقوى الأمرين المتمدّد عليها في المصنّف: الإجماع،
 فإنّه قد وقع وانقضى عصر الجهميين قبل ظهور الخالف،
 ولا يشترط في الإجماع اتّفاق كلّ الأئمّة من لدن بعثته
 عليه الصّلاة والسلام إلى قيام السّاعة، كما يوهبه كلام
 الإمام الغزاليّ، وإلّا لا يوجد إجماع أصلاً. وهذا يستفنى
 عباً ذكره الإمام الرّازي - وهو أحد المذاهب في المسألة -
 من أنّ مخالف هذا الإجماع من أهل البدعة فلا اعتبار
 بمخالفته.

فالحقّ الَّذِي لا مغيص عنه أنّه يحرم الزّيادة على
 الأربع، وبه قال الإمامية، ورووا عن الصادق رضي الله
 تعالى عنه: «لا يخلّ لماء الرّجل أن يجري في أكثر من
 أربعة أرحام» وشاع عنهم خلاف ذلك، ولعلّه قول شاذّ

على أَنَّ الصَّوْرَةَ قاضية أَنَّ الإسلام لا ينفذ الجمع بين أزيد من أربع نساء، أو اشتراك أزيد من رجل في زوجة واحدة.

وكذا يدفع بذلك احتمال أن يكون (الواو) للجمع، فيكون في الكلام تمييز الجمع بين تسع نساء، لأنَّ جموع الاثنين والثلاث والأربع تسع. [ثم نقل كلام الطَّبْرَسِيِّ، فلاحظ] (١٦٧: ٤)

نحوه مكارم الشيرازي. (٨٤: ٣)
فضل الله: [له بحث مستوفى في تعدد الزوجات فلاحظ] (٦٠: ٧ - ٤٢: ٧)

٢- قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُولُوا لَهُ مَعْنَى فَرَادَى ثُمَّ تَتَكَبَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ. سبأ: ٤٦
ابن عباس: (مثنى): اثنين اثنين (فَرَادَى): واحداً واحداً. (٣٦٣)

نحوه البغوي (٣: ٦٨٥)، والزَّهْرِيُّ (٣: ٢٩٤)، والبيضاوي (٢: ٢٦٤).

مُجاهد: واحداً واثنين. (الطَّبْرَسِيِّ ٢٢: ١٠٤)

قَتَادَةُ: رجلاً ورجلين. (الطَّبْرَسِيِّ ٢٢: ١٠٤)

السُّدِّي: وحداناً وجمعيين. (٣٩١)

أبو هُبَيْرَةَ: اثنين اثنين وفرداً فرداً، ولا يسون في (مثنى)، زعم الثوريون، لأنَّه صُرف عن وجهه.

(٢: ١٥٠)

ابن قُتَيْبَةَ: مُناظرًا مع غيره ومُفَكِّرًا في نفسه.

(الماوردي ٤: ٤٥٦)

الطَّبْرَسِيُّ: يقول: وتلك الواحدة التي أعطاكم بها

الدَّمْعَات في وقت من الأوقات، وليس في هذا تَمَرُّض لمقدار عددهن، بل يستفاد من الصَّيغ الكثيرة من غير تعيين، كما قدَّمنا في جمیع القوم. وليس فيه أيضًا دليل على أَنَّ الدَّمْعَةَ الثَّانِيَةَ كانت بعد مفارقة الدَّمْعَةِ الْأُولَى.

ومن زعم أَنَّهُ نقل إلينا أُمَّة اللَّفَّة والإعراب ما عطف هذا، فهذا مقام الاستفادة منه، فليستصَلَّ بها علينا. وابن عباس، إن صحَّ عنه في الآية أَنَّهُ قصَّر الرجال على أربع، فهو لرد من أفراد الأُمَّة، وأُمَّة التَّمَعُّة بدعوى «الإجماع» فما أوهونها وأيسر خطبها عند من لم تفرعه هذه الجلبية. [ثم أدام البحث مستوفى، فلاحظ] (١١٠٧: ٥)

الطَّبَّااطِبَائِي: قوله تعالى: ﴿مَعْنَى وَثَلْتُ وَزَوَّيْتُ﴾ بناءً مُنْقَلٍ ومُضَالٍ في الأعداد تدلُّان على تكرار المادَّة، فعنى ﴿مَعْنَى وَثَلْتُ وَزَوَّيْتُ﴾ اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً، ولما كان الخطاب متوجِّهاً إلى أفراد الناس، وقد جمیء بدواو التَّفْصِيل بين ﴿مَعْنَى وَثَلْتُ وَزَوَّيْتُ﴾ الدَّالَّ على التَّخْيِير، أفاد الكلام أَنَّ لكل واحد من المؤمنين أن يَتَّخِذَ لنفسه زوجتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فيصيرن بالإضافة إلى الجميع مثنى وثلاث ورباع.

وبذلك وبقرينة قوله بعده: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقَدِّرُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وكذا آية المصنات بجميع ذلك يدفع أن يكون المراد بالآية أَنَّ تُكْنَحَ الاثنتان بعقد واحد، أو الثلاث بعقد واحد مثلاً، أو يكون المراد أَنَّ تُكْنَحَ الاثنتان معاً ثم الاثنتان معاً وهكذا، وكذا في الثلاث والأربع، أو يكون المراد اشتراك أزيد من رجل واحد في الزوجة الواحدة مثلاً، فهذه محتملات لاحتتملها الآية.

هي أن تقوموا الله اثنين اثنين وفرادى فرادى. (مثنى) يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر، فيصادقان على المناظرة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنونا قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به؟ فتملأوا حينئذ أنه نذير لكم. (٢٢: ١٠٤) الزَّجَّاج: أي أعظمكم بطاعة الله، لأن تقوموا الله منفردين ومجتمعين. (٤: ٢٥٧) الماؤزدي: في قوله: ﴿مثنى وفُرادى﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: [قول السدي المتقدم] الثاني: منفردا برأيه ومشاورا لغيره، وهذا قول مأثور.

الثالث: [قول ابن قتيبة المتقدم] ويحتمل رابعا: أن المثنى: عمل النهار، والفرادى: عمل الليل، لأنه في النهار نمان وفي الليل وحيد.

(٤: ٤٥٦) الطوسي: معناه: أن تقوموا اثنين اثنين، وواحدا واحدا لئلا ذكر أحدهما صاحبه، فيستعين برأيه على هذا الأمر، ثم يحول بفكرته حتى يكثره حتى يتبين له الحق من الباطل.

ومثني (مثنى) وإن لم يكن صفة، لأنه مما يصلح أن يؤخذ، كما قال تعالى: ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرِثَاةٌ فَأَطَرٌ ١﴾، وهو هاهنا في موضع حال. (٨: ٤٠٥) التميمي: (مثنى) يعني اثنين اثنين مُتَنَازِلِينَ، و(فُرادى) يعني واحدا واحدا مُتَفَكِّرِينَ. (٨: ١٥٠) ابن عطية: قدّم «المثنى» لأن الحقائق من متنين

في النظر أجدى من فكرة واحدة، فإذا انتقد الحق بين الاثنين فكّر كل واحد منها بعد ذلك، فيزيد بصيرة. (٤: ٤٢٥) الفخر الرازي: ﴿مثنى وفُرادى﴾ إشارة إلى جميع الأحوال، فإن الإنسان إما أن يكون مع غيره، أو يكون وحده، فإذا كان مع غيره دخل في قوله: (مثنى)، وإذا كان وحده دخل في قوله: (فُرادى) فكأنه يقول: تقوموا الله مجتمعين ومنفردين، لاتباعكم الجمعية من ذكر الله، ولا يوجبكم الانفراد إلى معين يعينكم على ذكر الله.

(٢٥: ٢٦٨) نحوه: التيسابوري. (٢٢: ٦٠) القوطي: [نقل قول الماؤزدي ثم قال:]

وقيل: إنما قال: ﴿مثنى وفُرادى﴾ لأنّ الذهن حجة الله على العباد وهو العقل، فأوفرهم عقلا أوفرهم حظا من الله، فإذا كانوا (فُرادى) كانت فكرة واحدة، وإذا كانوا (مثنى) تقابل الذهنان فتراءى من العلم لها ما أضعف على الانفراد، والله أعلم. (١٤: ٣١١) أبو حنيفة: إنما قال: ﴿مثنى وفُرادى﴾ لأنّ الجماعة يكون مع اجتماعهم تشويش الخاطر والمنع من التفكر وتخليط الكلام والتعصب للمذاهب وقلة الإنصاف، كما هو مشاهد في الدروس التي يجتمع فيها الجساعة، فلا يوقف فيها على تحقيق. وأما الاثنان إذا نظرا نظر إنصاف، وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له، فلا يكاد الحق أن يدومها. وأما الواحد إذا كان جسيده الفكر صحيح النظر عاريا عن التعصب طائلا للحق، فبعد أن يدوم، وانتصب ﴿مثنى وفُرادى﴾ على الحال.

الجمعيّ» الَّذِي بَيْنَهُ، ووصفه الفيلسوف الاجتماعيّ «جوستاف لوبون» حيث قال: «إنّه مها كانت منزلة الأفراد الَّذين يَكُونون مجتمعا من المجتمعات، ومها بلغوا من تشابه بعضهم بعض، ومها اختلفوا من حيث الميول ومقدار الذكاء والمهنة ونظام الحياة، فإنّ اجتماعهم ممّا يمنحهم عقلا جمعيّا، يجعلهم يفكّرون ويشعرون ويعملون بطريقة مخالفة لطريقة تفكيرهم وشعورهم وعملهم، لو كان بعضهم بعزل عن بعض».

ولئنْ هناك عوامل ثلاثة أساسية، تعمل على ظهور هذه الرّوح الجمعيّة، أو العقل الجمعيّ، هي:
أوّلاً: ما يسمّى بالشّعور بعدم المسؤولية، فالفرد في الحشد يلقي المسؤولية على الجمع نفسه، ويتحرّر - عادةً - من التعبير عن ميوله ورغباته وغرائزه، فهو يحتجّ وراء الجمع ويطلق العنان لما يَكُنْه في نفسه من الرّغبات. والجمع بكثرة عدده مشجّع للأفراد على التعبير عن إحساساتهم في حماسة، ويولّد عندهم قوّة تدفعهم في اتّجاه معيّن.

ثانياً: ما يسمّى بالدّوى النفسيّة، ويقصد بهذه الدّوى تلك الظّاهرة النفسيّة الّتي تسري من فرد إلى فرد، فتجعلهم يردّدون الشيء نفسه، وبشكل آليّ. ولهذا هو يصفها بأنّها عامل من عوامل «التّحذير الاجتماعيّ»، به ينسى الفرد نفسه في سبيل غاية جمعيّة يعمل ويتحرّك لتحقيقها. فالمعتقدات سياسيّة كانت أو دينيّة تسري بين الجماعات بالدّوى على الخصوص، وعلى نسبة أفراد الجماعة يكون تأثير الدّوى شديداً، ولا يلبث المتقدّد الضعيف أن يصبح قوياً بعد أن يكتسب

[وَأدام مثل ابن عَطِيّة] (٧: ٢٩٠)
المُشْرِبِيْنِي: أي اثنين اثنين. قال البقاعي: وقَدّمه إشارة إلى أنّ أغلب النّاس ناقص العقل. (٣: ٣٠٦)
أبو الشّعود: أي متفرّقين اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، فإنّ الازدحام يشوّش الأفهام، ويغلط الأفكار بالأوهام. وفي تقديم (متنفّي) إيذان بأنّه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان. (٥: ٢٦٦)
نحوه الأكوّسيّ (٢٢: ١٥٤)، والمرافعيّ (٢٢: ٩٦).

البزّوسويّ: [عَوّأبي حَيّان وأضاف]
وفي «الفتوحات المكيّة» قدّس الله سرّ صاحبها (الواحدة) أن يقوم الواعظ من أجل الله إمّا غيرَةً وإمّا تعظيماً، وقوله: (متنفّي) أي بالله ورسوله، فإنّه من أطاع الرّسول فقد أطاع الله، فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنّة رسوله، لاعتقاده هوى نفسه ولا تعظيم كوفيّ ولا غيرة نفسيّة. وقوله: (وَفَرَادِي) أي بالله خاصّة، أو برسوله خاصّة.

التّاسميّ: أي قيامًا خالصًا لله بلاعباية ولامرآة، اثنين اثنين وواحدًا واحدًا. (١٤: ٤٩٦٥)
الطّبّايبائيّ: «متنفّي وَفَرَادِي» أي اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، كناية عن التّفَرّق وتجنّب التّجمّع والنّوغاء، فإنّ النّوغاء لاشعور لها ولافكر، وكثيرًا ما تبيت الحقّ وتحمي الباطل. (١٦: ٣٨٨)
نحوه مكارم التّيزازيّ. (١٣: ٤٣٩)

فضل الله: لماذا حاولت الآية الكريمة أن تفرّقهم «متنفّي وَفَرَادِي» وتصلّهم عن الجوّ المموم؟ فيجيب بعض الكتّاب المعاصرين أن يرجعه إلى فكرة «العقل

الأفراد الذين يمتلكونه صفة الجماعة.

والمعتقد بعد أن ينتشر بالمدى، لا يلتصق إلى قيمته العقلية، لأنه لما كانت المدى تؤثر في دائرة اللا شعور، فإنه لا شأن للعقل فيها. وفي الغالب تكون المدى ذات تأثير فيمن هم أرفع من في الجماعة، ولذلك يجب أن لا تنجب من وجود علماء يدافعون عن أكثر المعتقدات شئنا ومخالفة للصواب.

ثالثاً: وهناك أخيراً عامل الإجماع وهو حالة يغفد فيها الفرد الإحساس بوجوده الشخصي، بحيث يضعف وجوده الذاتي ويصبح تابعا لاسيّد، يستحرك حسب ما يميل عليه - ويطيع طاعة عمياء - الزعيم المسيطر على الجمع الماشد، ويصبح أعمى في يده. ولهذا تطلق الروح الجمعية عند الفرد على شخصيته الواعية، وعلى إرادته وأحكامه وأفعاله وتصرفاته.

ويقابل هذه العوامل صفات لا بد منها، هي من الشخصيات الضرورية للروح الجمعية والعقل الجمعي، وهي:

أولاً: الاندفاع والانسحاق بدون تردد.

ثانياً: المبالغة في فهم الحقائق.

ثالثاً: عدم الثبات وسرعة التحول من رأي لرأي ومن فعل لفعل.

ثم يتابع هذا الكاتب كلامه فيقول: «بعد كل هذا الشرح النفسي للعقل الجمعي، قد بان لنا المسكة في اشتراط الآية أن يكون التفكير بين اثنين اثنين، أو واحداً واحداً، خوف القضاء على الحقيقة في الزحام، وخفاء وجه صواب الرأي في الاجتماع». (٦٧: ١٩)

مَقَابِلُ

١- وَلَقَدْ أَنشَأْنَاكَ سَبْطًا مِنَ السَّبْطَيْنِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ.

المجر: ٨٧

النبي ﷺ هي [الحمد] السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت. (الطبري ١٤: ٥٨)

والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلاً، يعني أم القرآن، وثانيها هي السبع المثاني التي أتاني الله تعالى.

(الطبري ١٤: ٥٩)

إن الله تعالى قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ أَنشَأْنَاكَ سَبْطًا مِنَ السَّبْطَيْنِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم. (الترغوسي ٣: ٢٩) أبي بن كعب: السبع المثاني: الحمد لله رب العالمين.

(الطبري ١٤: ٥٥)

مثله ابن عباس وعبيد بن عمير وابن عباس (الطبري ١٤: ٥٦)، وهو المروي عن الإمام علي عليه السلام. (الطبري ١٤: ٥٥)

ابن مسعود: السبع الطول. (الطبري ١٤: ٥١)

مثله ابن عمر وابن عباس (الطبري ١٤: ٥٢)، والضحّاك (الطبري ١٤: ٥٤)، وعمرو سعيد بن جبيرة ومجاهد (الطبري ١٤: ٥٢).

فاتحة الكتاب. (الطبري ١٤: ٥٥)

وهو المروي عن الإمام علي عليه السلام (الطبري ١٤: ٥٤)، ومثله ابن عباس (الطبري ١٤: ٥٥)، وسعيد بن جبيرة والنخعي وعبيد بن عمير وشهر بن حوشب

- والحسن (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٦).
 ابن عباس: هي الأثال والخبر والعبر.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٤).
 هُنَّ السَّبْعُ الطُّوْلُ ولم يُطَهَّنْ أَحَدٌ إِلَّا النَّسِيَّ ﷺ
 وَأَعْطِيَ مُوسَى مِنْهُنَّ اثْنَتَيْنِ. (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٢)
 أَوْفَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطُّوْلُ، وَأَوْفَى مُوسَى
 سَبْعًا، فَلَمَّا أُلْقِيَ الْأَلْوَابُ رُفِعَتْ اثْنَتَانِ، وَبَقِيََتْ أَرْبَعٌ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٢)
 نحوه سعيد بن جبّار.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٤)
 أبو العالِيَة: فاتحة الكتاب سبع آيات، قلت
 للزَّيْع: إنَّهم يقولون: السَّبْعُ الطُّوْلُ، فقال: لقد أنزلت
 هذه، وما أنزل من الطُّوْلُ شيء. (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٥)
 فاتحة الكتاب، وإِنَّمَا سَمِّيَتْ الْمَثَانِي، لِأَنَّهُ يُمْنِي بِهَا،
 كَلَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ قَرَأَهَا. (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٥)
 سعيد بن جبّار: «سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» البقرة،
 وآل عمران، والتَّوْبَةُ، والمائدة، والأنعام، والأعراف،
 ويونس، يُمْنِي فِيهِنَّ الْقَضَاءُ وَالْقَصَصُ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٢)
 [وفي رواية] تُثْنِي فِيهَا الْأَحْكَامُ وَالْفَرَائِضُ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٣)
 [وفي رواية أخرى] فِيهِنَّ الْفَرَائِضُ وَالْمَحْدُودُ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٢)
 مُجَاهِدٌ: مِنَ الْقُرْآنِ السَّبْعُ الطُّوْلُ، السَّبْعُ الْأَوَّلُ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٣)
 الضَّحَّاكُ: الْمَثَانِي: الْقُرْآنُ، يَذْكُرُ اللَّهُ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ
 مَرَّاتًا. (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٧)
- إِنَّ الْمَثَانِي الْقُرْآنَ كُلَّهُ. (الْمَاوَزْدِيّ: ٣: ١٧١)
 نحوه أبو مالك.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٧)
 الحسن: هي فاتحة الكتاب، تُثْنِي فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٦)
 قَتَادَةُ: ذَكَرْنَا لَنَا أَتَمُّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَأَتَمُّ يُمْنَيْنِ
 فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ. (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٦)
 فاتحة الكتاب تُثْنِي فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَعَطْوَعٍ.
 (الطَّبْرِيّ: ١٤: ٥٦)
 الإمام العَصَادِقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هي سورة الحمد، وهو سبع
 آيات منها (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَإِنَّمَا سَمِّيَتْ
 الْمَثَانِي، لِأَنَّمَا تُثْنِي فِي الرَّكْعَتَيْنِ. (الْقُرْطُوبِيُّ: ٣: ٢٧)
 أَنَّمَا سَبْعُ كَرَامَاتٍ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا، أَوَّلُهَا الْهُدَى ثُمَّ
 التَّوْبَةُ ثُمَّ الرَّحْمَةُ ثُمَّ السَّعْفَةُ ثُمَّ الْمَوَدَّةُ ثُمَّ الْإِثْمَةُ ثُمَّ الشَّكَاةُ،
 وَضَمُّ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. (الْمَاوَزْدِيّ: ٣: ١٧١)
 الثَّوْرِيُّ: الْمَثَانِي: الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالتَّوْبَةُ،
 وَالمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال وبراءة سورة
 واحدة. (ابن كثير: ٤: ١٧٢)
 الْفَرَّاءُ: يَعْنِي فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ فِي
 قَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ. أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَحَدِّثُونَ
 «أَنْتَضَعُ عَلَيْنَا» آيَةً... ابن عباس قال: (بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) آيَةٌ مِنَ الْحَمْدِ، وَكَانَ حَمْدُهَا آيَةً
 وَاثْنَتَا ثَلَاثِينَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمُ. (٢: ٩١)
 نحوه الْبَرْسُوِيُّ. (٤: ٤٨٦)
 وَسَمِّيَتْ (الْمَثَانِي) لِأَنَّمَا تُعَادُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.
 (الْأَزْهَرِيُّ: ١٥: ١٣٨)
 أَبُو هُبَيْرَةَ: (الْمَثَانِي) مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشِرُ مِنْهُ ... الزمر: ٢٣.
وقد يجوز أن يكون معناها، كما قال ابن عباس
والصَّحَاحُ ومن قال ذلك: أن القرآن إنما قيل له: مثاني،
لأن القصص والأخبار كُتِرَتْ فيه مرّة بعد أخرى.
(١٤: ٥٧ - ٦٠)

الرَّجَاح: [نقل الأقوال المتقدمة ثم قال:]

ويجوز - والله أعلم - أن يكون من المثاني، أي بما
أُنْثِيَ به على الله، لأن فيها حمد الله، وتوحيده، وذكر
ملائكته، وملكه يوم الدين.

وروي في التفسير أنه ما أعطيت أمّة كما أعطيت أمّة
محمد ﷺ من سورة الحمد. فأما دخول (من) فهي هاهنا
تكون على ضربين: تكون للتبعية من القرآن، أي
ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات التي يُنْثَى بها
على الله عز وجل، وآتيناك القرآن العظيم. ويجوز أن
يكون «السبع» هي المثاني وتكون (من) الصفة، كما قال
عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرُّجُومَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الحج: ٣٠،
المعنى اجتنبوا الأوثان، لأن بعضها رجس.

ويجوز أن يكون المعنى سبأ مثاني على هذا القياس،
ويدل على القول الأول قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ الزمر: ٢٣.

وقيل: سبأ من المثاني: السبع الطوال، من البقرة إلى
الأعراف ست، واختلغا في السابعة، فقال بعضهم:
سورة يونس، وقيل: الأنفال وبراءة. وإنما سميت مثاني
لذكر الأقايس فيها مثناة. (٣: ١٨٥)

الماوردي: فيه خمسة أقاويل:

أحدها: [قول الزبيع والمسن وأبي العالية المتقدم]

سمى الله عز وجل القرآن كله مثاني في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ الزمر: ٢٣، وسمى
فاتحة الكتاب مثاني في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ
الْمَثَانِي﴾، وسمى القرآن مثاني لأن الأنباء والقصص
كُنِيَتْ فيه. (الأزهرى: ١٥: ١٣٨)

شعر: إن المثاني ست وعشرون سورة، وهي:
سورة الحج، والقصص، والشمل، والتور، والأنفال،
ومريم، والمعنكوت، ويس، والفرقان، والحجر،
والزهد، وسبأ، والملائكة، وإبراهيم، وص، ومحمد،
ولقيان، والعنكبوت، والمؤمن، والزخرف، والسجدة،
والأحقاف، والجمانية، والدخان. (الأزهرى: ١٥: ١٣٨)
أبو الهيثم: المثاني من سور القرآن، كل سورة دون
الطول ودون الثنين، وفوق المفصل. (الأزهرى: ١٥: ١٣٩)
الطبري: [بعد نقل أقوال المفسرين قال:]

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي
بالسبع المثاني: السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب،
لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ. [ثم ذكر الروايات
المتقدمة بعضها، عن رسول الله ﷺ] وأضاف:

فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا، للذي
به استشهدنا، فالواجب أن تكون (الْمَثَانِي) مراداً بها
القرآن كله، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع
آيات، مما يُنْثَى بعض آيه بعضاً، وإذا كان ذلك كذلك
كانت المثاني: جمع مثناة، وتكون أي القرآن موصوفة
بذلك، لأن بعضها يُنْثَى بعضاً، وبعضها يتلو بعضاً،
بفصول متصل بينها، فيعرف انقضاء الآية وإبداء التي
تليها، كما وصفها به تعالى ذكره، فقال: ﴿وَاللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ

وقيل: المراد به أَنَّ معاني القرآن سبعة. [وقد تقدّم
عن الماوردّي]

وقيل: المراد به رفع سبع عقوبات في الدنيا وسبع
عقوبات في الآخرة، لأجل التَّيْبَةِ ﷻ عن آتته، فآلِي فِي
الدُّنْيَا فَالْخُسْفِ وَالْمَسْخِ وَالطَّمَسِ وَالْقَذْفِ وَالطَّاهُونَ
وَالْفِرْقِ وَالْمَوْتِ الدَّرْعِ، وَأَمَّا آلِي فِي الْآخِرَةِ فِسَوَادِ
الْوَجْهِ وَزُرْقَةُ الْعَيْنِ وَالْأَغْلَالِ وَالسَّلَاسِلِ وَالْأَنْكَالِ
وَعَطَامِ الرِّقَومِ وَشَرَابِ الْحَمِيمِ. (٣٢٧: ٥ - ٣٢٤)

الرَّمَعُفْرِي: (المثنائي) من التَّشْبِيهِ، وهي التكرير،
لأنَّ الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصَّلَاةِ وغيرها، أو من
«الشَّاء» لاشتغالها على ماهو شاء على الله، الواحد: تَنَاءة
أو تَشْبِيهِ، صفة للآية. وَأَمَّا السُّورُ أو الأَسْبَاعُ فلما وقع
فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد
وغير ذلك، ولما فيها من الشَّاء كَأَنَّهَا تُشْبِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
بأفعاله العظمى وصفاته الحُسنى.

(وَمِنْ) إِنَّمَا لِلْيَانِ أو للتَّجْيِيسِ، إذا أردت بالتَّسْبِيحِ:
الفاتحة أو الطُّوَالِ. وللبيان إذا أردت الأَسْبَاعِ. ويجوز أن
يكون كُتِبَ اللَّهُ كُلُّهَا مثنائي، لأنَّها تُشْبِي عَلَيْهِ، ولما فيها من
المواضع المكررة، ويكون القرآن بعضها. (٣٩٧: ٢)
الطَّبْرَسِي: اختلفوا في سبب تسميتها مثنائي... قيل:
لأنَّها مقسومة بين الله وعبيده، على ماوردى في الخبر.

وقيل: لأنَّ نصفها تناء ونصفها دعاء.
وقيل: لأنَّ حروفها كلّها مُتَنَاءة نحو: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
إِيَّاكَ وَإِيَّاكَ، وَالصَّارِطِ وَصَارِطِ.

وقيل: لأنَّها تُشْبِي أَهْلَ الْفَسَقِ عَنِ الْفَسَقِ.
ومن قال: المراد به (المثنائي) القرآن كلّهُ، فإنَّ

الثَّانِي: [قول ابن تَسْعُودِ وابن عَبَّاسٍ ومُجَاهِدٍ
الْمُتَقَدِّم]

الثَّالِث: [قول الضَّحَّاكِ الْمُتَقَدِّم]
الرَّابِع: إِنَّ (المثنائي) معاني القرآن السبعة: أَسْمَرُ،
وَنَهْيِي، وَتَشْبِيرُ، وَإِنْذَارُ، وَخُرْبُ أَمْثَالِ، وَتَعْدِيدُ نَعَمِ،
وَأَنْبَاءُ قُرُونِ، قاله زياد بن مريم.

الخامس: [قول الإمام الصادق عليه السلام الْمُتَقَدِّم]
(٣: ١٧٠)

السَّيِّئِي: [نقل الأقوال وأضاف:]
وقيل: سميت مثنائي، لأنَّها نزلت مرَّتين: مرَّةً بِمَكَّةَ
من أوائل ما نزل القرآن، ومرَّةً بالمدينة.
وإنَّما سميت مثنائي، لأنَّ أكثر القصص فيها مثنى،
والحكمة في تكرارها: الإيهام، وتأكيدها المحبَّة، وإتمام
التَّصْبِيحِ، وإظهار عجز الكفرة، حتَّى لم يقدرُوا عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، فَآتَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمِثْلِهِ فِي الْقُرْآنِ.

وقيل: المراد به كُلُّ الْقُرْآنِ، كما قال في مكان آخر:
«يَكُنَّاتَا مُتَشَابِهَاتَا مَثَانِي» الزمر: ٢٣، والمراد بالتَّسْبِيحِ:
سبعة أسباع القرآن، وإنَّما سَمَّاهُ مثنائي، لوجوده في
المصاحف وفي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، وبيانه في قوله عزَّوجلَّ:
«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» الأنبياء: ١٠٥،
أي من بعد اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

وقيل: إنَّما سَمَّاهُ مثنائي، لأنَّ أكثره يَتَنَوَّعُ نوعين: أَسْمَرُ
وَنَهْيِي، وعدو وعيدٌ، محكم ومتشابه، مجمل ومفسر،
ناسخ ومنسوخ، تنزيل وتأويل، عامٌ وخاصٌ.

وقيل: يُعْنِي صاحبه عن ارتكاب الحارم، بما فيه من
أنواع الوعيد.

وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴿البقرة: ٩٨﴾

وللخصم أن يجيب: بأنه لا يبعد أن يذكر الكل، ثم يُعْطَفُ عليه ذكر بعض أجزائه وأقسامه، لكونه أشرف الأقسام. أما إذا ذكر شيء ثم عطف عليه شيء آخر كان المذكور أولاً مغايراً للمذكور ثانياً. وهاتان ذكر السبع المتاني. ثم عطف عليه القرآن العظيم، فوجب حصول المغايرة.

والجواب الصحيح: أن بعض الشيء مغاير لمجموعه، فلم لا يكتفي هذا القدر من المغايرة في حسن العطف، والله أعلم.

الحكم الثاني: أنه لما كان المراد بقوله: ﴿سَبْعًا مِنْ أَلْسِنَاتِي﴾ هو الفاتحة، دلّ على أن هذه السورة أفضل سور القرآن من وجهين: أحدهما: أن أفرادها بالذكر مع كونها جزءاً من أجزاء القرآن، لا بد وأن يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة. والثاني: أنه تعالى لما أنزلها مرتين دلّ ذلك على زيادة فضلها وشرفها.

وإذا ثبت هذا فنقول: لما رأينا أن رسول الله ﷺ واطب على قراءتها في جميع الصلوات طول عمره، وما أقام سورة أخرى مقامها في شيء من الصلوات، دلّ ذلك على أنه يجب على المكلف أن يقرأها في صلاته وأن لا يقيم سائر آيات القرآن مقامها، وأن يحترز عن هذا الإبدال، فإن فيه خطراً عظيماً، والله أعلم.

القول الثاني: في تفسير قوله: ﴿سَبْعًا مِنْ أَلْسِنَاتِي﴾ إنها «السبع الطوال» وهذا قول ابن عمر وسعيد بن جبّير في بعض الروايات ومجاهد، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال،

(من) في قوله يكون للتبعض، ومن قال: إنها الحمد كان (من) للتبيين. [ثم استشهد بشعر] (٣: ٣٤٥) الفخرازي: أعلم أن قوله: ﴿أَنْتِنَاكَ سَبْعًا﴾ يحتمل أن يكون سبعا من الآيات، وأن يكون سبعا من السور، وأن يكون سبعا من القوائد. وليس في اللفظ ما يدل على التبيين.

وأما المتاني: فهو صيغة جمع، واحدة: مُتَنَاءة، والمُتَنَاءَةُ: كل شيء يمتد، أي يجعل اثنين، من قولك: ثنيت الشيء، إذا عطفته أو ضمنت إليه آخر، ومنه يقال لركبتي الدابة ومرفقيها: متاني، لأنها تُشْفِي بالانخذ والعضد، ومتاني الوادي: معاطفه.

إذا عرفت هذا فنقول: ﴿سَبْعًا مِنْ أَلْسِنَاتِي﴾ مفهومه سبعة أشياء من جنس الأشياء التي تُشْفِي. ولا شك أن هذا القدر يجمل ولا سبيل إلى تعيينه إلا بدليل منفصل. [ثم ذكر الأقوال المتقدمة من المفسرين وقال:] وإعلم أنا إذا حملنا قوله: ﴿سَبْعًا مِنْ أَلْسِنَاتِي﴾ على سورة الفاتحة فها هنا أحكام:

الحكم الأول: نقل القاضي عن أبي بكر الأصبهاني أنه قال: كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه «فاتحة الكتاب» رأى أنها ليست من القرآن.

وأقول: لعل حجته فيه أن «السبع المتاني» لما ثبت أنه هو الفاتحة، ثم إنه تعالى عطف السبع المتاني على القرآن، والمخطوف مغاير للمخطوف عليه، وجب أن يكون السبع المتاني غير القرآن، إلا أن هذا يشكل بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ الأحزاب: ٧، وكذلك قوله: ﴿وَعَلَيْكَ وَعِزُّهُ

فلا غبار عليه، وإن لم يصح هذا القول مشكل، لأننا بينا أن المسمى به «السبع المثاني» يجب أن يكون أفضل من سائر السور، وأجمعوا على أن هذه السور التي سموها بالمثاني ليست أفضل من غيرها، فيمتنع حمل السبع المثاني على تلك السور.

والقول الرابع: أن «السبع المثاني» هو القرآن كله، وهو منقول عن ابن عباس في بعض الروايات، وقول طاووس، قالوا: ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَذَابِرَ﴾ فوصف كل القرآن بكونه مثاني، ثم اختلف القائلون بهذا القول في أنه ما المراد بالسبع، وما المراد بالمثاني؟

أما السبع فذكر فيها وجوهاً: أحدها: أن القرآن سبعة أسباع، وثانيها: أن القرآن مشتمل على سبعة أنواع من العلوم: التوحيد، والنبوة، والمعاد، والقضاء، والقدر، وأحوال العالم، والقصص، والتكاليف، وثالثها: أنه مشتمل على الأمر والنهي، والخير والاستخبار، والثناء والقسم، والأمثال.

وأما وصف كل القرآن بالمثاني، فلا أنه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف، وهذا القول ضعيف أيضاً، لأنه لو كان المراد بالسبع المثاني القرآن، لكان قوله ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ حطفاً للشيء على نفسه، وذلك غير جائز.

وأجيب عنه بأنه إنما حسن إدخال حرف العطف فيه لاختلاف اللفظين. [ثم استشهد بشعر وقال: إنهم أجمعوا على أن الأصل خلافة]

والقول الخامس: يجوز أن يكون المراد بالسبع:

والثبته مما قالوا: وسميت هذه السور مثاني، لأن الفرائض والمحدود والأمثال والغير تئمت فيها، وأنكر الزبيح هذا القول. وقال: هذه الآية مكتبة، وأكثر هذه السور السبعة مدنية، ومازل شيء منها في مكة، فكيف يمكن حمل هذه الآية عليها؟

وأجاب قوم عن هذا الإشكال: بأن الله تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم أنزله على نبيه منها نجوماً، فلما أنزله إلى السماء الدنيا، وحكم بإزاله عليه، فهو من جملة ما أتاه، وإن لم ينزل عليه بعد.

ولقائل أن يقول: إنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ أَنشَأْنَاكَ سَبْعًا مِنَ السُّمُوفِ﴾ وهذا الكلام إنما يصدق إذا وصل ذلك الشيء إلى محمد ﷺ. فأما الذي أنزله إلى السماء الدنيا وهو لم يصل بعد إلى محمد ﷺ، فهذا الكلام لا يصدق فيه. وأما قوله: بأنه لما حكم الله تعالى بإزاله على محمد ﷺ كان ذلك جارياً مجرى ما أنزل عليه، فهذا أيضاً ضعيف، لأن إقامة ما لم ينزل عليه مقام النازل عليه، مخالف للظاهر.

والقول الثالث: في تفسير «السبع المثاني» أنها هي السور التي هي دون الطوال والمئين، وفوق المفصل. واختار هذا القول قوم واحتجوا عليه بما روى ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني المثاني مكان الزبور، وفضلني ربي بالمفصل.

قال الواحدي: والقول في تسمية هذه السور مثاني كالقول في تسمية الطوال مثاني.

وأقول: إن صح هذا التفسير عن رسول الله ﷺ

على ما فسر في عدة من الزوايات المأثورة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام، فلا يصحى إلى ما ذكره بعضهم: أنها السبع الطوال، وما ذكره بعض آخر أنها المواسم السبع، وما قيل: إنها سبع صحف من الصحف النازلة على الأنبياء، فلا دليل على شيء منها من لفظ الكتاب، ولا من جهة السنة.

وقد كثر اختلافهم في قوله: (مِنَ السَّعَاتِ) من جهة كون (مِنَ) للتبويض أو للتبيين، وفي كيفية اشتقاق لفظه الثاني، ووجه تسميتها بالمثاني.

والذي ينبغي أن يقال - والله أعلم - إن (مِنَ) للتبويض، فإنه سبحانه سمى جميع آيات كتابه مثاني، إذ قال: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَنْفَعُ مَن يُجْلِدُ ۚ لِّذِينَ يُخَشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الزمر: ٢٣، وآيات سورة الحمد من جللتها، فهي بعض المثاني لأكملها.

والظاهر أن (السَّعَاتِ) جمع مثنية، اسم مفعول من «الثني» بمعنى اللوي والطف والإعادة، قال تعالى: ﴿يَكُونُ صُدُورُهُمْ﴾ هود: ٥، وسميت الآيات القرآنية: مثاني، لأن بعضها يوضح حال البعض ويلوي وينطف عليه، كما يشعر به قوله: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي﴾، حيث جمع بين كون الكتاب متشابهاً يشبه بعض آياته بعضاً، وبين كون آياته مثاني.

وفي كلام النبي ﷺ في صفه القرآن: «يصدق بعضه بعضاً». وعن علي عليه السلام فيه: «يطلق بعضه بعض» ويشهد بعضه على بعض.

أو هي جمع «مثنى» بمعنى التكرير والإعادة كناية عن بيان بعض الآيات ببعض.

القائمة، لأنها سبع آيات، ويكون المراد بالمثاني: كل القرآن، ويكون التقدير: ولقد أتيناك سبع آيات هي القائمة، وهي من جملة المثاني الذي هو القرآن. وهذا القول عين الأول، والتفاوت ليس إلا بقليل، والله أعلم. (١٩: ٢٠٧)

نحوه أبوحيان (٥: ٤٦٥)، والأكوسي (١٤: ٧٨) القُرطبي: اختلف العلماء في السبع المثاني، فقيل: القائمة. [ثم ذكر أقوال المفسرين وأضاف:]

والصحيح الأول، لأنه نص. وقد قدمنا في «القائمة» أنه ليس في تسميتها بالمثاني مانع من تسمية غيرها بذلك، إلا أنه إذا ورد عن النبي ﷺ وثبت عنه نص في شيء لا يحتمل التأويل، كان الوثوق عنده. (١٠: ٥٥)

البيضاوي: (سبباً): سبع آيات وهي القائمة، وقيل: سبع سور وهي الطوال وسابعتها الأنفال والتوبة، فإنها في حكم سورة، ولذلك لم يفصل بينها بالتسمية. وقيل: التوبة، وقيل: يونس أو المواسم السبع، وقيل: سبع صحائف وهي الأسباع.

(مِنَ السَّعَاتِ) بيان للسبع، والمثاني من التثنية أو التثاء، فإن كل ذلك مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه ومواقفه أو مثنى عليه بالبالغة والإعجاز، أو مثنى على الله بما هو أهله، من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى.

ويجوز أن يراد به (السَّعَاتِ): القرآن أو كتب الله كلها، فتكون (مِنَ) للتبويض. (١: ٥٤٦)

الطُّبَّاطِبَانِي: «السبع المثاني» هي سورة الحمد،

تقرأ مرتين في كل صلاة.

واحتمل بعض المفسرين أن «السبع» إشارة إلى السور السبع الطوال التي ابتدأ بها القرآن، والسناني كناية عن نفس القرآن، لأنه نزل مرتين على النبي ﷺ مرة بصورة كاملة، وأخرى نزل نزولاً تدريجياً، حسب الاحتياج إليه في أزمنة مختلفة.

وعلى هذا يكون معنى «سَبْعًا مِنَ السَّنَانِي» سبع سور مهيات من القرآن، دليلهم في ذلك الآية الثالثة والعشرون من سورة الزمر، حيث يقول تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَعَانِي» أي مرتين على النبي ﷺ.

ولكن التفسير الأول يبدو أكثر صواباً، خصوصاً وأن روايات أهل البيت عليه السلام تشير إلى أن «السبع» الثاني هي سورة الحمد.

واعتبر الزاغب في «مفرداته» أن كلمة (السَّنَانِي) أطلقت على القرآن لما يتكرر من قراءة آياته، وهذا التكرار هو الذي يحفظه من التلاعب والتحريف، إضافة إلى أن حقيقة القرآن لها تجلٍ جديد في كل زمان، عما ينبغي له أن يوصف بالمثاني.

وعلى أية حال، فذكر عبارة «الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» بعد ذكر سورة الحمد، بالزعم من أنها جزء منه، دليل آخر على شرف وأهمية هذه السورة المباركة، وكثيراً ما يذكر الجزء مقابل الكل لأهميته، وهو كثير الاستعمال في الأدب العربي وغيره.

وخلاصة المطاف أن الله تعالى قد صرح لبيته الكريم ﷺ بأنك قد ملكت سنداً عظيماً «القرآن»

ولعل في ذلك كفاية وغنى عما ذكره من مختلف المعاني، كما في «الكشاف» و«حواشيه» و«الجمع» و«روح المعاني» وغيرها، كقولهم: إنها من التثنية أو التني، بمعنى التكرير والإعادة، سميت آيات القرآن مثاني لتكرر المعاني فيها.

وكقولهم: سميت الفاتحة مثاني لوجوب قراءتها في كل صلاة مرتين، أو لأنها تُتلى في كل ركعة بما يقرأ بعدها من القرآن، أو لأن كثيراً من كلماتها مكررة كالرحمان والرحيم وإناك والصراط وعليهم، أو لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، أو لما فيها من الثناء على الله، أو لأن الله استأنها وأدخرها هذه الأمة ولم ينزلها على الأمم الماضية، كما في الرواية، إلى غير ذلك من الوجوه المذكورة في التفاسير. (١٢: ١١٠)

مكارم الشيرازي: يواسي الله تعالى نبيه الكريم ﷺ، أن لا تنقلب من وحشية الأعداء وكفرتهم، وما يملكون من إمكانات مادية واسعة، لأن الله أعطاك ما لا يقف أمامه شيء. «وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ سَبْعًا مِنَ السَّنَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» المجر: ٨٧

وكما هو معلوم، فإن «السبع» هو العدد سبعة (الثاني) هو العدد اثنان، ولذا اعتبر أكثر المفسرين أن (سَبْعًا مِنَ السَّنَانِي) كناية عن سورة الحمد، والروايات كذلك تشير لهذا المعنى.

والداعي لذلك كونها تتألف من سبع آيات، لأهميتها وعظمة محتواها، فقد نزلت مرتين على النبي محمد ﷺ، أو لأنها تتكون من قسمين: فنصفها حمد وثناء لله عز وجل، والنصف الآخر دعاء عبادة، أو لأنها

ولاستطيع أي قوة في عالم الوجود أن تصرعه.

(٨: ٩٩)

فضل الله: [نقل أقوال المفسرين عموماً ونقل قول
الطباطبائي خصوصاً ثم قال:]

وقد لا يستطيع الإنسان الجزم بوجه معين من هذه
الوجوه المحتملة، مما يجعل من الكلمة كلمة محتملة،
لا سيما إذا أردنا تطبيقها على سورة الفاتحة أو على
السور السبع الطوال، فلنترك أمرها ههنا. (١٣: ١٧٦)
٢- الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا
تَنْشِيرُهُ مِنْهُ يُجُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ... الزمر: ٢٣
ابن عباس: متى متى، آية الرحمة والعذاب،
والوعد والوعيد، والأمر والنهي، والتاسخ والمنسوخ،
وغير ذلك.

(٣٨٧)

كتاب الله مثاني، نثي فيه الأمر مرازا.

مثله السدي: (الطبري ٢٣: ٢١٠)

القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه على بعض.

(ابن كثير ٦: ٨٧)

يفسر بعضه بعضاً. (الماوردي ٥: ١٢٣)

مُجَاهِد: في القرآن كَلَه. (الطبري ٢٣: ٢١٠)

الصَّعْكَاءُ: ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك

وتعالى. (ابن كثير ٦: ٨٧)

الحسن: نثي الله فيه القضاء، تكون السورة فيها

الآية في سورة أخرى آية تشبهها. (الطبري ٢٣: ٢١٠)

مثله عكرمة. (ابن كثير ٦: ٨٧)

قَتَادَةُ: نثي الله فيه الفرائض، والقضاء، والحدود.

(الطبري ٢٣: ٢١٠)

السُّدِّي: نثي فيه الأمر مرازا، ونثي في غير مكان.

(٤١٧)

الكَلْبِيُّ: لَأَنَّ الْآيَةَ تُنْثَى بَعْدَ الْآيَةِ، وَالسُّورَةُ بَعْدَ

السُّورَةِ. (الماوردي ٥: ١٢٣)

الثَّوْرِيُّ: نثي الله فيه ذكر الجنة والتَّار.

(الماوردي ٥: ١٢٣)

ابن زَيْد: مردد، رُدَّدَ موسى في القرآن وصالح

وهود والأنبياء، في أمكنة كثيرة. (الطبري ٢٣: ٢١٠)

نثي الله فيه قصص الأنبياء. (الماوردي ٥: ١٢٣)

الفَوَّاء: أي مكرَّر يكرَّر فيه ذكر الثواب والعقاب.

(٢: ٤١٨)

ابن قُتَيْبَةَ: أي نثي فيه الأنبياء والقصص وذكر

الثواب والعقاب. (٣٨٣)

الطَّبْرِيُّ: يقول: نثي فيه الأنبياء والأخبار والقضاء

والأحكام والحجج. (٢٣: ٢١٠)

الرُّجَّاح: قوله: (مثنائي) من نعت قوله: (كِتَابًا)

منصوب على التثنية، ولم ينصرف (مثنائي) لما فسرناه من

أنه جمع، ليس على مثال واحد. (٤: ٣٥١)

أَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِي: إن المثنائي اسم لأواخر

الآي، فالقرآن اسم لجميعه، والسورة اسم لقطعة منه،

والآية اسم لكل فصل من السورة، والمثنائي: اسم لآخر

كل آية منه. (الماوردي ٥: ١٢٣)

لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ مَخَالِفًا لِنِظْمِ الْبَشَرِ وَنَثَرَهُمْ جُعِلَ

أَسْمَاؤُهُ بِخِلَافِ مَا سَمَوْا بِهِ كَلَامَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ.

فسمي جملة قرآنًا، كما سموه ديوانًا، وكما قالوا: قصيدة

وخطبة ورسالة، قال: سورة، وكما قالوا: بيت قال: آية.

الرَّمْزُخَصْرِي: يجوز أن يكون (مثنائي) بياناً لكونه متشابهاً، لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة.

والمثنائي: جمع مثنى، بمعنى مردّد ومكرّر لما نُقِيَ من قصصه وأنبائه وأحكامه، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده ومواعظه. وقيل: لأنه يُقَيّ في التلاوة فلا يُجَلّ كما جاء في وصفه لا يظه ولا يتشأن، ولا يخلق على كثرة الردّ.

ويجوز أن يكون جمع مثنى «مَثَل» من التثنية بمعنى التكرير والإعادة، كما كان قوله تعالى: «ثُمَّ أَزْجِعُ الْبَصَرَ كَوَتَيْنِ» الملك: ٤، بمعنى كَرَّة بعد كَرَّة، وكذلك بَيْك وسديك وحنانيك.

فإن قلت: كيف وصف الواحد بالجمع؟

قلت: إنّما صحّ ذلك، لأنّ «الكتاب» جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هي جملة لاغير، ألا تراك تقول: القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات، وكذلك تقول: أفاصيص وأحكام ومواعظ مكررات. ونظيره قولك: الإنسان عظام وعروق وأعصاب، إلّا أنّك تركت الموصوف إلى الصفة، وأصله: كتاباً متشابهاً فصولاً مثنائي.

ويجوز أن يكون كقولك: بُرْزَمَة أعشار وثوب أخلاق. ويجوز أن لا يكون «مثنائي» صفة ويكون منتصباً على التمييز (مُتَشَابِهاً) كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شهاباً، والمعنى: متشابهة مثنائية.

فإن قلت: ما فائدة التثنية والتكرير؟

قلت: الثغوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والتصيحة، فالأمر يكرّر عليها هوداً من بدء لم يرسخ فيها

وكما سميت الأبيات لالتحاق أواخرها: قوافي، سمى الله القرآن لالتحاق خواتيم الآتي فيه: مثنائي.

(المثبيدي: ٨: ٣-٤)

الرَّمْزُخَصْرِي: يُقَيّ في التلاوة، فلا يُجَلّ لحسن مسموعه. (الماوردي: ٥: ١٢٢)

الطُّوسِي: أي يُقَيّ فيه الحكم والوعد والوعيد بتصرّفها في ضروب البيان، ويُقَيّ أيضاً في التلاوة، فلا يُجَلّ لحسن مسموعه في القرآن. (٩: ٢١)

نحوه الطُّوسِي (٤: ٤٩٥)، والقرطبي (١٥: ٢٤٩).

القُشَيْرِي: يُقَيّ فيها الحكم ولا يُجَلّ بتكرار القراءة، ويشتمل على نوعين:

الثناء عليه بذكر سلطانه وإحسانه، وصفات الجنتّة والآثار والوعد والوعيد. (٥: ٢٧٨)

البغوي: يُقَيّ فيه ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأخبار والأحكام. (٤: ٨٥)

مثله الخازن. (٦: ٦٦)

المثبيدي: في «المثنائي» وجهان من المعنى:

أحدهما: أن يكون مثنى قصصها وأحكامها وأمثالها في مواضع منه، كقوله: «وَلَقَدْ أَنشَأْنَا لَكَ سَبْعًا مِّنَ السَّعْتَانِ» الحجر: ٨٧، فالقرآن كلّه مثنائي.

الوجه الثاني: أن تكون (المثنائي) جمع مثنى، وهو أن يكون الكتاب مزدوجاً، فيه ذكر الوعد والوعيد، وذكر الدُّنْيَا والآخرة، وذكر الجنتّة والآثار، والثواب والعقاب.

مثنى «مَثَل» من ثَبَّتْ وثَبَّتْ مَثَلٌ ومَثَلٌ بمعنى واحد وهو أن تضيف إلى الشيء مثله. وقيل: سُمِّي (مثنائي) لأنّ فيه السبع المثنائي وهي الفاتحة. (٨: ٣-٤)

أَبُو حَيَّان: وقرأ الجمهور (مَتَانِي) بفتح الياء، وهشام وابن عامر وأبو بشر بسكون الياء. فاحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف، واحتمل أن يكون منصوباً. وسُكِّن الياء على قول من يسكن الياء في كل الأحوال، لانكسار ما قبلها استقلاً للحركة عليها.

و«مَتَانِي» يظهر أنه جمع مَتْنٍ، ومعناه موضع تثنية القصص والأحكام والعقائد والوعد والوعيد. [ثم قال نحو ما تقدم الزَّخْرِيّ] (٤٢٣: ٧)

ابن كثير: قال بعض العلماء: ويروى عن سفيان ابن عُيَيْنَةَ معنى قوله تعالى: ﴿مُتَشَابِهًا مَّثَانِي﴾ إِنَّ سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من التشابه، وتارة تكون بذكر الشيء وضده، كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار ومأثنيه هذا، فهذا من المثاني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾ المطففين: ٢٢، ﴿وَرَأَى الْفُجَّارَ لَفِي سَجْمٍ﴾ الانطار: ١٤، وكقوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ المطففين: ٧، إلى أن قال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطففين: ١٨، ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ص: ٤٩، إلى أن قال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ ص: ٥٥، ونحو هذا من السياقات، فهذا كله من المثاني، أي في معنيين اثنين.

وأما إذا كان السبقي كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو المتشابه، وليس هذا من التشابه المذكور في قوله تعالى: ﴿يَمُنُّ أَتَاتٌ مُنْعَكَتٌ هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران: ٧، ذلك معنى آخر.

ولم يمتثل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يحظ به وينصح ثلاث مرّات وسبقاً، ليركّزه في قلوبهم، ويغرسه في صدورهم. (٣: ٣٩٥) نحوه التَّنْسِي (٤: ٥٥)، والشَّرْبِيي (٣: ٤٤٣)، وأبو السُّود (٥: ٣٨٩).

ابن عَطِيَّة: (مَتَانِي) معناه موضع تثنية للمقاصص والأفضية، والمواظ شئ فيه، ولا تَمَلُّ مع ذلك، ولا يمرضها ما يمرض الحديث المعاد... ولا ينصرف «مَتَانِي» لآته جمع، لاظهار له في الواحد. (٤: ٥٢٧) الفَخْرُ الرَّازِي: من صفات القرآن كونه (مَتَانِي)، وقد بالتا في تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْتَبَذْنَاكَ مِنْ آلِ الْفُقَارَةِ﴾ الحجر: ٨٧، وبالجمله فأكثر الأشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين، مثل: الأمر والنهي، والعام والخاص، والجمل والمفصل، وأحوال السماوات والأرض، والجنة والنار، والظلمة والضوء، واللوح والقلم، والملائكة والشياطين، والعرش والكروسي، والوعد والوعيد، والزجاء والخسوف، والمقصود منه بيان أن كل ماسوى الحق زوج، ويدل على أن كل شيء مبتلى بضده ونقيضه، وأن الفرد الأحد الحق هو الله سبحانه. (٢٦: ٢٧٢)

نحوه التَّيسَابُورِي. (٢٣: ١٢٤) التَّيَضَاوِي: جمع مَتْنٍ، أو مَتْنِي على ماسم في «المجرة» وصف به كتاباً باعتبار تفاصيله، كقولك: القرآن سور وآيات والإنسان عظام وعروق وأعصاب. أو جعل تمييزاً من (مُتَشَابِهًا) كقولك: رأيت رجلاً حسناً شهناله. (٢: ٣٢١)

البُرُوصِيّ: [نحو الزَّعْتَرِيّ وَأَصَاف:]

ويصح أن يقال للقرآن: مثاني لما يثنى ويتجدد حالاً فحالاً من فوائده، كما جاء في نمته، ولا تنقضي عجائبه. ويجوز أن يكون ذلك من «التناء» تنبيهاً على أنه أبداً يظهر منه ما يدعو إلى التناء عليه وعلى من يتلوه ويعلمه ويعمل به، وعلى هذا الوجه وصفه بالكرم في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة: ٧٧، وبالجد في قوله: ﴿يَبْلُغُ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ البروج: ٢١.

أو هو جمع «مثنى» بفتح الميم وإسكان التاء «مثنى» من التثنية، بمعنى التكرير والإعادة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسِلْ فِي الْبَصَرِ كُوتُبِينَ﴾ الملك: ٤، أي كُتُبَةً بعد كُتُبَةٍ. أو جمع «مثنى» بضم الميم وسكون التاء وفتح التون، أي مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز، حتى قال بعضهم لبعض: ألا سجدت لفصاحته؟

ويجوز أن يكون بكسر التون، أي مثنى عليّ بما هو أهله من صفاته العظمى. [إلى أن قال:]

وفي «الأنوار» التجميعية القرآن كتاب متشابه في اللفظ، مثاني في المعنى من وجهين:

أحدهما: أن لكل لفظ منه معاني مختلفة، بعضها يتعلق بلغة العرب، وبعضها يتعلق بإشارات الحق، وبعضها يتعلق بأحكام الشرع، كمثّل الصلاة؛ فإن معناها في اللغة: الدّعاء، وفي أحكام الشرع عبارة عن هيآت وأركان وشرائط وحركات مخصوصة بها، وفي إشارة الحق تعالى هي الرجوع إلى الله، كما جاء روحه من الحضرة بالشفعة الخاصة إلى القالب، فإنه عبر على القيام الذي يتعلق بالسموات، ثم على الركوع الذي

يتعلق بالحيوانات، ثم على السجود الذي يتعلق بالنباتات، ثم على التشهد الذي يتعلق بالمعادن. فبالصلاة يشير الله عز وجل إلى رجوع الروح إلى حضرة ربه على طريق جاء منها، ولهذا قال النبي ﷺ: «الصلاة معراج المؤمنين».

والوجه الثاني: أن لكل آية تشبيهاً بآية أخرى، من حيث صورة الألفاظ، ولكن المعاني والإشارات والأسرار والمفاتيح مثاني فيها إلى ما لا ينتهي، وإلى هذا يشير بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا﴾ الكهف: ١٠٩. (٨: ٩٧)

الشُّوكَانِي: صفة أخرى لا (كتاباً) أي تُثْنَى فيه القصص، وتكثر في المواضع، والأحكام. وقيل: يُثْنَى في التلاوة، فلا يملّ ساعده ولا يسأم قارنه.

قرأ الجمهور (مثنائي) بفتح الياء، وقرأ هشام عن ابن عامر، وبشر بسكونها تخفيفاً، واستقلاً لتحريكها، أو على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي هو مثاني. [ونقل كلام القُضْرَاوَزِيّ ثم قال:]

ولا يعني ما في كلامه هذا من التكلف، والبدع عن مقصود التنزيل. (٤: ٥٧٥)

الأُتُوسِيّ: (مثنائي) صفة أخرى لا (كتاباً) أو حال أخرى منه، وهو جمع «مثنى» بضم الميم وفتح التون المشددة، على خلاف القياس، إذ قياسه «مثنيات» بمعنى مرّد ومكرّر لما كُثِرَ وتُنِيَ من أحكامه ومواعظه وقصصه. وقيل: لأنه يُثْنَى في التلاوة.

ويجوز أن يكون جمع «مثنى» بالفتح مخففاً، من التثنية، بمعنى التكرير والإعادة، كما كان قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَزِجَ انْبَصَرَ كَوْنَيْنِ﴾ الملك: ٤، بمعنى كَرَّة بعد كَرَّة، وكذلك ليبيك وسمديك.

والمراد أنه جمع لمعنى التكرار والإعادة، كما نثني ماذكر لذلك.

لكن استعمال «المثنى» في هذا المعنى أكثر، لأنه أول مراتب التكرار. ويحتمل أن يراد أن «مثنى» بمعنى التكرار والإعادة، كما أن صريح «المثنى» كذلك في نحو كَرْتين، ثم جُمع للمبالغة.

وقيل: جمع «مثنى» لاستتال آياته على الثناء على الله تعالى، أو لأنها تُثني بيلاعتها وإعجازها على المتكلم بها، ولا يخفى أن رعاية المناسبة مع (مُتَشَابِهًا) تجعل ذلك مرجوحًا، وأنه حسن إذا حُل على «الثناء» باعتبار الإعجاز.

وفي «الكشف»: الأقيس بحسب اللفظ أن (مثنائي) اشتقت من «الثناء» أو «الثنى» جمع مثنى «مَفْعَل» منها، إبتا بمعنى المصدر جُمع لما صيّر صفة، أو بمعنى المكان في الأصل، نقل إلى الوصف مبالغة، نحو: أرض مأسدة، لأنَّ محلَّ الثناء يقع على سبيل المجاز على الثاني والمثنى عليه، وكذلك محلَّ الثنى، انتهى. [ثم أدام نحو الثنن]

(٢٥٨: ٢٣)

عِزَّة دَرَوَرَة: (مثنائي): جمع مثنى، وهي إيتا أن تكون من «الثنية» بمعنى التكرار والتّردّد مرّة بعد مرّة، وإيتا من «الثناء» وكلاهما مما يتحمّله مفهوم الآية.

فالمعنى الأول يعني ما جاء الأسلوب القرآني به من تكرار الوعظ والقصص والأمثال وترديدها. والمعنى الثاني يعني ما احتواه القرآن من صفات الله

وأسمائه، ومشاهد قدرته، وتقرير استحقاقه للثناء والحمد.

الطَّبَّاطِبَائِي: (مثنائي): جمع مثنى، بمعنى المطوف لانطاف بعض آياته على بعض، ورجوعه إليه بشتين بعضها ببعض، وتفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها، بحيث يدفع بعضه بعضًا، ويناقضه كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢. (١٧: ٢٥٦)

عبد الكريم الغطيب: والمثنائي: جمع مثنى، وذلك بما فيه من بيان للأمور وأضدادها كالإيمان والكفر، والحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشر، والحسنات والسيئات، والجنة والنار. والقرآن الكريم في الحالين، هو حل مستواه العالي من الكمال والمجلال، فالحديث عن الكفر مثلاً، معجز إعجاز الحديث عن الإيمان، لأنَّ هذا وذاك من كلام الله. (١٢: ١١٤٤) فضل الله: (مثنائي): جمع مثنى أو مثنى، قيل: إنه بمعنى المطوف، لانطاف بعضه على بعض، ورجوعه إليها بشتين بعضها ببعض، وتفسير بعضها ببعض.

وقيل: إنه عبارة عن المعاني الثنائية، كالأمر والنهي، والوعد والوعيد، فلا تفتق مفاهيمه ولا تتجعد في جانب واحد، بل تتحرك في الأمثال والأضداد، لتحتوي كلّ مواقع القضايا العاتية في الكون والإنسان والحياة، لتأمر بما يحقّق المصلحة، وتنهى عما يشتمل على مفسدة.

وقيل: إنَّ المراد بالمثنائي هنا: إيراد المعنى بأكثر من أسلوب. (١٦: ٣٢٤)

مكارم الشيرازي: هذه الكلمة تشير إلى تكرار
بجوده المختلفة وقصصه ومواظبه، التكرار الذي لا يمل منه
الإنسان، وإنما على العكس من ذلك، إذ يشقّ لتلاوته
أكثر.
وهذا أحد أسس الفصاحة، إذ يعتمد الإنسان أحياناً
إلى التكرار وبصور مختلفة وأساليب متنوعة، وذلك إذا
أراد التأكيد على أمر ما، وجلب الانتباه إليه والتأثير به،
كي لا يمل السامع أو يضر منه.
إضافة إلى أن مواضع القرآن المكررة تفسر إحداها
الأخرى، وتحمل الكثير من ألقاها عن هذا الطريق.
بعضهم اعتبرها إشارة إلى تكرار تلاوة القرآن
وبقائه غصّاً طويلاً، من جزاء تكرار تلاوته.
والبعض الآخر اعتبرها إشارة إلى تكرار نزول
القرآن، فترة نزل دفعة واحدة على صدر الرسول
الأكرم ﷺ، وذلك في ليلة القدر، ومرة أخرى بصورة
تدرجية استمرت لفترة (٢٣) عامًا.
ومن المحتمل أن يكون المراد من «التكرار» هو
ملامحة القرآن لكل زمان، وانكشاف بعض الأمور
الغيبية فيه بمرور السنوات.
والتفسير الأول أنسب من بقية التفسير، رغم عدم
وجود أي تناقض بين الجميع، بل من الممكن أن تكون
جميعها صحيحة. (١٥: ٦٦)

يَسْتَفْتُونَ

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ • وَلَا يَسْتَفْتُونَ. القلم: ١٧، ١٨

ابن هيثم: لم يقولوا: إن شاء الله. (٤٨١)
مثله تاجد (ابن عطية: ٥: ٣٤٩)، والقشيري: (٦)
(١٨٧)، والواحدي: (٤: ٣٣٧)، والبغوي: (٥: ١٣٨)،
والمبيني: (١٠: ١٩٣)، والقرطبي: (١٨: ٢٤٠)، ونحوه
القراء (٣: ١٧٥)، والطبري: (٢٩: ٢٩)، والزجاج: (٥)
(٢٠٧).

عجربة: أي لا يستنون حق المساكين.

(القرطبي: ١٨: ٢٤١)

الماوردي: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: [قول عجرة المتقدم]

الثاني: استناؤهم قول: سبحان ربنا، قاله أبو صالح.
الثالث: قول: إن شاء الله. (٦: ٦٧)

الطوسي: معناه لم يقولوا: إن شاء الله. فقول
القاتل: «لأصلنّ كذا إلا أن يشاء الله» استثناء، ومعناه:
إن شاء الله مني، أو تمكن مني. (١٠: ٧٩)
نحوه الطبرسي: (٥: ٣٣٦)

الزمخشري: ولا يقولون: إن شاء الله.

فإن قلت: لم سمي استثناء وإنما هو شرط؟

قلت: لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء، من حيث إن
معنى قولك: لأخرجنّ إن شاء الله، ولأخرجنّ إلا أن يشاء
الله، واحد. (٦: ٢٨٧)

نحوه التنسي: (٤: ٢٨١)، وأبو السعد: (٥: ١٨٥)،
والزراي: (٣٥٢)، والشربيني: (٤: ٣٥٨).

ابن عطية: ولا يتوقفون في ذلك، أو ولا يستنون

عن رأي منع المساكين. (٥: ٣٤٩)

نحوه أبو حيان. (٨: ٣١٢)

والأظهر أَنَّ المعنى: ولا يستنون حصّة المساكين، أي لا يميزونها ولا يخرجونها، كما كان يفعل أبوهم.
قال في «تاج المصادر»: الاستثناء قول: إن شاء الله، والباب يدلّ على تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين، والاستثناء من قياس الساب؛ وذلك أَنَّ ذكره يُثبِتُ مرّة في الجملة ومرّة في التفصيل، لأنك إذا قلت: خرج الناس، في الناس زيد وعمر، فإذا قلت: إلّا زيدًا فقد ذكرت زيدًا مرّة أخرى ذكرًا ظاهرًا، انتهى.

قال الزاغب: الاستثناء: إيراد لفظ يقتضي رفع بعض ما يوجهه عموم لفظ متقدّم، أو يقتضي رفع حكم اللَّفْظ كما هو، فن الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ الْأَنْثَامِ: ١٤٥﴾، ومن الثاني قوله^(١): لأفعلن كذا إن شاء الله، وعبد عتيق وأسرته طالق إن شاء الله.

(١٠: ١١٥)

الآلوسي: [نقل كلام الطوسي والفخر الرازي وأضاف:]

وقيل: أي ولا يننون عما هو به من منع المساكين، والظاهر على القولين عطفه على (أَقْسَرُوا) فقتضى الظاهر «وما استثنوا». وكأنّه إمّا عدل عنه إليه استحضارًا للصورة لما فيها نوع غرابة، لأنّ الآتي في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء. [ثم قال نحو ما تقدّم عن البروسوي] (٢٩: ٣٠)

القاسمي: قال المهامي: أي ولا يخرجون شيئًا من

الفخر الرازي: يعني ولم يقولوا: إن شاء الله، هذا قول جماعة المفسرين، يقال: حلف فلان يمينًا ليس فيها تُنْيَا ولا تُنْوَى ولا تُنْتَى ولا مُنْتَوِيَّة ولا استثناء، كلّهُ واحد. وأصل هذا كلّهُ من «التّني» وهو الكفّ والزّد؛ وذلك أَنَّ المحالف إذا قال: «والله لأفعلن كذا إلّا أن يشاء الله غيره»، فقد ردّ انعقاد ذلك اليمين.

واختلفوا في قوله: (وَلَا يَسْتَنُونَ) فالأكثرون أنّهم إمّا لم يستنوا بمشيئة الله تعالى، لأنّهم كانوا كالواقفين بأنّهم يتمكّنون من ذلك لامحالة.

وقال آخرون: بل المراد أنّهم يصرون كلّ ذلك ولا يستنون للمساكين، من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم إلى المساكين.

(٣٠: ٨٧)

نحوه التيساري: الاستثناء لما فيه من الإخراج، غير أنّ الفرج به خلاف المذكور والفرج بالاستثناء عينه، أو لأنّ معنى: لا أخرج إن شاء الله، ولا أخرج إلّا أن يشاء الله، واحد. أو ولا يستنون حصّة المساكين، كما كان يخرج أبوهم.

(٢: ٤٩٥)

البروسوي: [نحو الطوسي وأضاف:] والجملة مستأنفة أو حال بعد حال، لعلّ إيراده بعد إيراد إقسامهم على فعل مضر لمقصودهم، مستنكر عند أرباب المروّة وأصحاب الفتوة، لتبجح شأنهم بذكر السبيين لحرمانهم وإن كان أحدها كافيًا فيه. لكن ذكر الإقسام على أمر مستنكر أولًا وجعل ترك الاستثناء حالًا منه، يفيد إصالحه وقوّته في انقضاء الحرمان.

يستطيع أن يترك للفقراء شيئاً مما أعطاه الله.
ويقول بعضهم: إنَّ المقصود من عدم الاستثناء هو عدم قولهم: «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، حيث كان الضرور مسيطراً عليهم، مما حدا بهم إلى أن يقولوا: غداً سذهب ونفعل ذلك، معتبرين الأمر مختصاً بهم، وغافلين عن مشيئة الله، ولذا لم يقولوا: إن شاء الله. «إِلَّا أَنْ الرَّأْيَ الْأَوَّلُ أَصَحُّ» (١٨: ٤٩١)

الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الدَّامِغَانِي: «الثَّانِي» على أربعة أوجه: الكبير والإعراض، ثاني العدد، الثاني، الإخفاء والكتان. فوجه منها: ثاني، قوله: «ثَانِي عَطْفِيهِ» الحج: ٩، يعني يلوي عنقه.

والوجه الثاني: الثاني هو الثاني من العدد، قوله: «ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَا فِي الْفَارِ» التوبة: ٤٠. والوجه الثالث: ثاني مما يُقْنَى، قال الله عز وجل: «تَنْبَغِي مِنَ السَّمَاءِ» الحجر: ٨٧، أي مما يُقْنَى في كلِّ ركعة.

والوجه الرابع: الكتان والإخفاء، قوله: «وَلَا إِلَهُمْ يَكْتُونُ صُدُورُهُمْ يَنْشَقُّونَ مِنْهُ» هود: ٥، يعني ينفون العدواة في صدورهم. (٢٠٧)

الأصول اللُّغَوِيَّةُ

١- الأصل في هذه المادة الثَّانِي، أي الضَّمْف والانتطاف، والجمع: أثناء، يقال: ثَنَى الشيء يشنيه ثَنِيًّا، أي ردَّ بعضه على بعض وعطفه، وقد ثَنَى وانتقى، وثَنَى

حقَّ المساكين، واقتصر عليه. وحكاه الزَّازِي والقاضي قولاً ثانيًا. والأوَّل أنَّ معناه: ولا يقولون: إن شاء الله. واقتصر عليه ابن جرير، والأوَّل أظهر. والاستثناء بمعنى الإخراج الحَسَنِي، والجملة معطوفة على «لَيُصْرِفُهُنَّ» ومُقسم عليها. (١٦: ٥٨٩٧)
العُطْبَانِي: لم يقولوا: «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، اعتيادًا على أنفسهم، وأثكاءً على ظاهر الأسباب. أو المعنى قالوا: وهم لا يعزلون نصيبًا من ثمارهم للفقراء والمساكين. (١٩: ٣٧٤)

فضل الله: (وَلَا يَسْتَشْتُونَ) في ما قد يحدث من بعض الطَّوَارِئِ الَّتِي تَمْنَعُهُمْ من ذلك، كما يفعل بعض الناس عند ما يتحدثون عن أي عمل يريدون القيام به في المستقبل، فيقولون: سنفعل ذلك إن شاء الله، أو «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ خلافه.

وربما كان المعنى أنهم لم يعتبروا في اتِّفَاقِهِمْ نصيبًا للفقراء والمساكين ليعزلوه لهم، ليكون استثناء من حصَّتِهِمْ. وهكذا عاشوا التَّحَمُّلَاتِ الصَّاحِبَةِ في إيلهم الأسود، في نفقٍ كبيرة بأنهم سوف ييلفون ما يريدونه، فيقطفون ثمار هذه الجَنَّةِ، ليحصلوا منها على المال الوفير. (٢٣: ٤٩)

مكارم القسرازي: أي لا يتركون منها شيئاً للمحتاجين.

وعند التدقيق في قرارهم هذا، يتضح لنا أنَّ تصميمهم هذا لم يكن بلعاط الحاجة أو الفاقة، بل إنَّه ناشئ من البخل وضعف الإيمان، واهتزاز الثقة بالله سبحانه، لأنَّ الإنسان مهما كانت حاجته شديدة، فإنَّه

رجله عن دابته: ضَمَّهَا إِلَى فَخْذِهِ فَغَزَلَ، وجاء الفارس
ثانيَ الْيَنَانِ: ثَقِيَ عُنُقُ دَابَّتِهِ عِنْدَ شِدَّةِ حُضْرِهِ، وجاء
الفرس سَابِقًا ثَانِيًا: جاء وقد ثَقِيَ عُنُقُهُ نَشَاطًا.
وَشَاةٌ ثَانِيَةُ بَيْتَةِ الثُّنْيِ: ثَنِي عُنُقُهَا لِغَيْرِ عِلَّةٍ، ومثاني
الدَّابَّةِ: رِكَابُهَا ومِرْفَقَاهَا، وَثْنِي الْحَيَّةَ: ائْتَاوْهَا، وهو
ماتَعَوَّجٌ مِنْهَا إِذَا تَحَنَّتْ، وَثْنِي الثَّوْبَ: مَآكَفٌ مِنْ أَطْرَافِهِ،
وَثْنِي الْجِبِلَّ: مَاتَتْنِي، وَثْنِي الْوَادِي: مَنْطَفَهُ وَمَنْجَرَجَهُ،
وَالثَّنِيَّةُ فِي الْجِبِلِّ: الْعُقْبَةُ بِهِ، والجمع: ثَنَايَا، يُقَالُ: فَلَانٌ
طَلَّاعُ الثَّنَايَا، إِذَا كَانَ سَامِيًا لِمَعَالِي الْأُمُورِ، وَأَتْنَاءُ
الْوَشَاحِ: مَا تَنَنِي مِنْهُ، وَثْنِي الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ وَطَاقْتُهُ، وهو
مُتَنَاءٌ وَمِثْنَاءٌ أَيْضًا.

وَالثَّنِي: الْاِتْنَاءُ وَالْاِطْوَاءُ، يُقَالُ: ثَنَى صَدْرُهُ عَلَى
كَذَا، أَيْ طَوَاهُ عَلَيْهِ وَسَتَرَهُ، وَاسْتَوَى (الْفَوْعَلُ) صَدْرُهُ
عَلَى الْبَغْضَاءِ، أَيْ ائْتَمَى وَاطْوَى.

وَالثَّنِي: ضَمَّ وَاحِدًا إِلَى وَاحِدٍ، يُقَالُ: ثَنَى الرَّجُلُ
بِالْأَمْرِ الثَّانِي يُمْنِي ثَنِيَّةً، أَيْ فَعَلَ أَمْرًا ثَمَّ ضَمَّ إِلَيْهِ أَمْرًا
آخَرَ، وَشَرِبْتُ الثَّنِي هَذَا الْقَدَحِ، أَيْ ائْتَيْنِ مِثْلَهُ.

وَالاِتْنَانُ: ضَعْفُ الْوَاحِدِ، وَالْمُوْتُنُ الْاِتْنَانُ وَالثَّنَانُ،
يُقَالُ: فَلَانٌ ثَانِي ائْتَيْنِ، أَيْ هُوَ أَحَدُهُمَا، وَثَانِي وَاحِدٍ
وَتَانٍ وَاحِدًا، أَيْ ثَنَى وَاحِدًا، وَثَالَتُ ائْتَيْنِ وَثَالَتُ ائْتَيْنِ،
وَتَنِيَّتُهُ: صَعِرَتْ لَهُ ثَانِيًا، وَتَنَى الشَّيْءَ: جَعَلَهُ ائْتَيْنِ،
وَفَلَانٌ لَا يَتْنِي وَلَا يَتْنَلُ، أَيْ هُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ، فَبِذَا أَرَادَ
التَّهَوُّضَ لَمْ يَقْدِرْ فِي مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا فِي الثَّالِثَةِ.

وَالاِتْنَانُ: اسْمُ الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ،
وَالْجَمْعُ: الْاِتْنَاءُ وَالثَّنِي، يُقَالُ: إِنَّ فَلَانًا لَيَصُومُ الْاِتْنَاءَ،
وَلَيَصُومُ الثَّنِي، وَلَا تَكُنْ ائْتَوْنِيَّ، أَيْ مَن يَصُومُ الْاِتْنَيْنِ

وَحَدَهُ.

وَالْمُثْنِي: الْاِتْنَانُ، يُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ مِثْنِي مِثْنِي،
وَالْجَمْعُ: الْمُثْنَانِ، وَالثَّانِي مِنَ الْقُرْآنِ: مَا ثَنِيَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ،
وَمِثْنِي الْإِيَادِي: أَنْ يَعِيدَ الرَّجُلُ مَعْرُوفَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.
وَالثَّنَى مِنَ الثَّقَى: الَّتِي وَلَدَتْ ائْتَيْنِ، وَلَوْلَاهَا الثَّانِي
ثَنِيَّهَا، وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ، وَالْجَمْعُ: ثَنَاءٌ.

وَالثَّنَى مِنَ الرِّجَالِ: بَعْدَ السَّيِّدِ، وَهُوَ الثَّنَى وَالثَّنِي
وَالثَّنِيَّانِ، وَالْجَمْعُ: ثَنِيَّةٌ.
وَالثَّنَى أَيْضًا: الْأَمْرُ يَعَادُ مَرَّتَيْنِ، وَالثَّنَى فِي الصَّدَقَةِ:
أَخَذَهَا فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ.

وَالْمُثْنَى وَالْمُثْنَاءُ وَالْمِثْنَاءُ: حِيلٌ مِنْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرٍ،
وَهُوَ الثَّنَاءُ وَالثَّنَاءُ.

وَالثَّنِيَّةُ: وَاحِدَةُ الثَّنَايَا مِنَ السَّنَةِ، وَهِيَ أَرْبَعٌ فِي مَقَدَّمِ
الْقَمَرِ: ثَنَانٌ مِنْ فَوْقٍ، وَثَنَانٌ مِنْ أَسْفَلٍ.

وَالثَّنِي مِنَ الْإِبِلِ: الَّذِي يَلْقَى ثَنِيَّتَهُ، وَذَلِكَ فِي
السَّادَةِ، يُقَالُ: أَنْتَنِي الْعَيْرُ، أَيْ حَارَ ثَنِيًّا، وَمَنْ ذِي
الظَّلْفِ وَالْحَاظِرِ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، وَالْجَمْعُ: ثَنَاءٌ وَثَنَاءُ
وَتْنِيَّانٍ.

وَالثَّنَاءُ: وَصْفُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ، وَخَصَّصَ
بَعْضُهُمْ بِهِ الْمَدْحَ وَهُوَ يَكْزُرُ وَيُثْنِي غَالِبًا، يُقَالُ: أَتَنَيْتُ
عَلَيْهِ، وَقَدْ طَارَ ثَنَاءُ فَلَانٍ: ذَهَبَ فِي النَّاسِ، وَفَلَانٌ بِهِ
تُثْنَى الْمَخَاصِرُ، أَيْ تُحْمَدُ فِي أَوَّلِ مَنْ يَمْدُ وَيُذَكَّرُ.

وَالثَّنَى: الصَّرْفُ، يُقَالُ: تَنَيْتُهُ عَنْ حَاجَتِهِ، أَيْ
صَرَفْتُهُ عَنْهَا، وَفَلَانٌ لَا يَتْنِي عَنْ قَرْنِهِ وَلَا عَنْ وَجْهِهِ، أَيْ
لَا يَصْرِفُ عَنْ وَجْهِهِ.

وَالاِسْتِنَاءُ: إِخْرَاجُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، فَيُذَكَّرُ فِي

١١- ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَجَدَّدُوا الْمَهِينَ اثْنَيْنِ إِسْمَا هُوَ إِلَهُ

وَاحِدٌ قَائِمٌ لَا يَزْهَوِيْنَ﴾ التحل: ٥١

١٢- ﴿يُوسِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي يَمْلِكُ حَظَّ

الْأُنثَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ

كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ...﴾ النساء: ١١

١٣- ﴿يَسْتَعْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ

امْرَأَتُكَ أُولَىٰ لَكَ وَلَدٌ فَهُوَ أَوْلَىٰ لَكَ بِمَا تَرَكَ وَلَهُ أَصْحَابُ مَا تَرَكَ وَهُوَ

يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا

الثُلُثَانِ بِمَا تَرَكَ...﴾ النساء: ١٢٦

١٤- ﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخِيسَتَا اثْنَتَيْنِ

فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾

المؤمن: ١١

١٥- ﴿إِنْ عِدَّةُ النِّسَاءِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا فِي

كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ...﴾ التوبة: ٣٦

١٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ

اثْنِي عَشَرَ نَبِيًّا...﴾ المائدة: ١٢

١٧- ﴿وَقَطَعْنَا مِنْهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَسْمَا

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضُرِبَ

بِغَضَاكُمُ الْحَجَرِ فَإِنْ بَسَسْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا...﴾

الأعراف: ١٦٠

١٨- ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ

بِغَضَاكُمُ الْحَجَرِ فَإِنَّهُ كَانَ اثْنًا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ

أَنَاسٍ مَنَاصِبَهُمْ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي

الْأَرْضِ مَقْبُوحِينَ﴾ البقرة: ٦٠

١٩- ﴿وَإِنْ جِفَّتْ أَلَا تُكْسِفُوا فِي التَّبَاتِ فَأَنْبِكُوا

مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَتْنٌ وَتِلْكَ وَزُبَاعٌ فَإِنْ جِفَّتْ أَلَا

تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ سَامَكْتُكُ أَيْسَأَسْأَلُكُمْ ذَلِكَ أَتَىٰ أَلَا

تَسْأَلُوا﴾ النساء: ٣

٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ

السَّاعِيَةِ رَسُولًا أُولَىٰ بِأَخِيحَةٍ مَتْنٌ وَتِلْكَ وَزُبَاعٌ يَزِيدُ فِي

الْحَسَنِ عَائِشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ طاهر: ١

٢١- ﴿قُلْ إِسْمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُولُوا هُوَ مَتْنٌ

وَقَوْلَاى ثُمَّ تَتَكَبَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ هُوَ إِلَّا تَبْدِيرٌ

لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦

٢٢- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَابِ وَالْقُرْآنَ

الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧

٢٣- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَانٍ

تَقْشِرُهُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَحْشُرُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الزمر: ٢٣

يلاحظ أولاً: أَنَّ الفعل منها جاء في (١) من المجرّد

مضارعاً في القراءة المشهورة: ﴿يَقْتُونَ صُدُورُهُمْ﴾،

وفي (٢) من (الاستعمال) مضارعاً أيضاً: ﴿وَلَا يَنْشُرُونَ﴾

بمعنيين مختلفين تماماً. وجاء اسم الفاعل وصفاً، وسائر

الكلمات كلها أعداداً باللفاظ مختلفة، ويقع الكلام هنا في

أربعة محاور:

المحور الأوّل (١): وفيه جهات من البحث:

الأولى: اختلفت القراء في ﴿يَقْتُونَ صُدُورُهُمْ﴾

اختلافاً فاحشاً، قلّ نظيره في القرآن، فقد أنهاها

أبوحيان إلى حشر قراءات، وخرجت بعضها عن مادة

«ث ن ي»، لاحظ التصوص، ولاسيما نصّ أبي حيان،

ونكتني هنا بقراءة واحدة مشهورة، عدّها الطبري

وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ نوح: ٧.

قال قتادة: «كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسموا كتاب الله... وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حسى صدره، واستخسى بثوبه، وأضره في نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه». وقال ابن عطية: «تطامنوا ونسوا صدورهم كالستر، وردوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بياهم، تباعدًا عنه، وكراهة للقاءه، وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله». وظهرها قوله: (ثَانِي عَظِيمٍ)، كما يأتي في المور الثالث.

وعليه فالصبر في (مِنَ) يرجع إلى النبي، والعجب من الطبري! حيث أرجعه إلى الله، ظنًا منه أنه لم يسر لهمد ذكر، رغم أنه ذكر مرتين: «إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ» و«فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ».

وقد فسرنا كثير منهم تجوزًا واستعارة بأنهم يسرون في صدورهم بغضهم للنبي وكفرهم به، أو ينحرفون عن الحق؛ قال الزمخشري: «يزورون عن الحق، وينحرفون عنه، لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدرة، ومن أوزر عنه وانحرف، نعى عنه صدره، وطوى عنه كشحه». وقال ابن عطية: «وقيل: هي استعارة للعلل والمحدد الذي كانوا يطوون عليه، كما تقول: فلان يطوي كشحه على عداوته، وينفي صدره عليها، بمعنى الآية ألا إثم يسرون العداوة، ويتكتمون بها، لتخفى في ظنهم عن الله، وهو تعالى حين تمسّيم نياهم ولإلغائهم في الستر يعلم ما يسرون»، وهذا أحد الوجهين عند الفخر الرازي.

وعندنا أن الوجه الأول أولى بالسياق، وأن سياق

«قراءة الأمصار»، واختارها لإجماع المجبة من القراء عليها، وعبر عنها أبو حيان والعكبري به قراءة الجمهور». وأما هذه القراءة فهي «يَسْتُونُ صُدُورَهُمْ» بفتح الياء من (يَسْتُونُ) ونصب (صُدُورَهُمْ) مفعولًا للفعل.

الثانية: تعني مادة «ث ن ي» في الأصل - كما سبق - العطف والطي، وقد فسروها في الآية تارة حسب ظاهر اللغة، أي طووا صدورهم على بطونهم، وأخرى تجوزًا كناية عن طي وإخفاء بغضهم وكفرهم في قلوبهم.

وتوضيحها أن قبلها «وَالَّذِي كَتَبَ أَخْبَثَ آيَاتَهُ ثُمَّ قُلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ... وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ» إلى الله مزجكم وهو على كل شيء قدير». ثم قال: «وَأَلَا إِنَّهُمْ يَقْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا جِنَّةٌ يَسْتَعْتِفُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ حَائِضُهُمْ وَمَنَافِقُوتُهُمْ إِنَّهُ غَلِيبٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» هود: ٥١-٥٠، هناك ذكر للكتاب لله وللرسول، لأن سياقها أن النبي نذير وبشير لهم من الله، وأنه قال لهم: «وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ...».

وأثم كانوا إذا تلا النبي عليهم الكتاب وأنذروهم وبشروهم، كانوا «يَقْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ»، أي كانوا يطأطون رؤوسهم، ويغطون صدورهم على بطونهم، ليستخفوا من النبي وفي نفس الوقت كانوا يستخفون نياهم إيمانًا في الاستغفاء منه، لتلايهم يستمعون إليه، وإشعارًا بأنهم لا يسمعون كلامه بتاتا. فساقها سياق قول نوح: «وَإِنِّي كَلِمًا مَّذْمُومًا لِيَسْتَفِيزَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

قال الله: ﴿تَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْمَسْجُودِينَ إِن شَاءَ اللَّهُ
أَيُّبِينَ مُحَلِّقِينَ وَزُجُجَتُمْ وَمُحْصَرِّينَ...﴾ الفتح: ٢٧.
وقال إسمايل لأبيه لما اقترح عليه ذبحه: ﴿يَأْتِيَتِ
الْفَلَّحَ مَا تَوْعَدُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾
الصفافات: ١٠٢.

وقال شمعيم لموسى لما أراد أن يستأجره:
﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّابِرِينَ﴾ القصص: ٢٧.

وقال موسى للخضر: لما أراد أن يلازمه: ﴿سَتَجِدُنِي
إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ الكهف: ٦٩.
وقال بنو إسرائيل لموسى: ﴿إِنَّ الْبَهْرَ نَشَابَةٌ عَلَيْنَا
وَأَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُتَّعُونَ﴾ البقرة: ٧٠.
وقال يوسف لإخوته: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ
أَيُّبِينَ﴾ يوسف: ٩٩.

الثاني: اختلفوا في وجه تسمية قول: «إِن شَاءَ اللَّهُ»
استثناء، فقال الطبرسي: أصل الثني العطف، تقول: ثنيته
من كذا، أي عطفته، ومنه: الاتئان، لطف أحدهما على
الآخر في المعنى، ومنه: التئان، لطف المناقب في المدح،
ومنه: الاستئان، لأنه عطف عليه بالإخراج منه.

وقال الطوسي: قول القائل: لأفعلن كذا إلا أن يشاء
الله استثناء، ومعناه إن شاء منعي أو يُمكن مانعي، ومثله
الطبرسي.

وقال الزنجبيري: لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء، من
حيث إن معنى قولك: لأخرجن إن شاء الله، ولأخرج
إلا أن يشاء الله، واحد.

وقال الفخر الرازي: وأصل هذا من الثني، وهو

سياق قول نوح وقد سبق. كما أن حمل الآيات على
ظاهرها ما لم يكن أولى من حملها على الكناية والمجاز،
ويشهد به قوله: ﴿إِلَّا جِئَ يَتَسَفَّهُونَ لِيَأْتِيَهُمْ يَغْلُومٌ
سَائِيرونَ وَصَائِيلونَ﴾، أي إذا طووا صدورهم،
واستفشوا ثيابهم، ليستخفوا من الرسول، فالله يعلم
ما يسيرون في قلوبهم وما يملنون. ونص رشيد رضا أولى
ببيان المراد، فلاحظ.

الثالثة: كل من حمل الآية على ظاهر اللغة فسر
﴿يَتَّقُونَ صُدُورَهُمْ﴾ باعتبارها وعطفها على البطون
قُدماً، وأرجع الضمير في «يئنه» إلى الله أو النبي. واختص
الطباطبائي بقوله: «إنهم يملنون بصدورهم إلى خلف،
ويطأطئون رؤوسهم، ليتخفوا من الكتاب، أي من
استماعه حين تلاوته...» أنهم عكسوا فردوا صدورهم
إلى خلفهم، وهذا لا يوافق قوله: «ويطأطئون
رؤوسهم»، إلا أن يريد يملنون ظهورهم إلى الخلف. ثم
قوله: «ليتخفوا من الكتاب» إرجاع للضمير إلى الأبعد
دون الأقرب، رغم أنه لا معنى للاستخفاء من الكتاب،
إلا بتكلف لا يقبله الذوق السليم.

المورد الثاني (٢): ﴿وَلَا يَتَسَفَّهُونَ﴾، وفيه بحث:
الأول: ذكروا له معنيين: ١- لم يقولوا: «إِن شَاءَ
الله»، ونسبه الرازي إلى جماعة من المفسرين.

٢- لم يستثنوا من غار الجنة شيئاً للفقراء.
وللاستثناء بالمعنى الأول شواهد في القرآن، فقد أمر
الله به في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا يَشَارِكُنِي فِي ذَلِكَ غَدًا﴾
إلا أن ينشأ الله الكهف: ٢٣، ٢٤، فعمل الله به
والأنبياء: في آيات:

بيان للواقع، فإن الأمور كلها بيد الله وموكله إلى مشيئته، وقد دلت عليه الآيات الكثيرة، فلاحظ «شيء أ». هذا رمز التوحيد العملي، فإذا قال العبد: إني فاعل كذا غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فقد اعتمد على نفسه، وانكأ على ظاهر الأسباب، ولم يجعل له دخلاً فيما سيفعله، مع أن الأسباب ليست كلها بيده، بل هي تجري حسب مشيئة الله دائماً، كما قال الشاعر:

● تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ●

فالاستثناء شعار توحيد قائم.

وقال الفخر الرازي: «إنما لم يستثنأ بمشيئة الله، لأنهم كانوا كالواثنين بأنهم يتمكنون من ذلك لاهماله».

الخامس: وأما تفسير «وَلَا يَسْتَشْتُونَ» بأن لا يستنون للفقراء سهماً، فقد حكى عن عكرمة أولاً، ثم تبعه الآخرون، فذكروه وجهاً من الوجوه غير قاطعين به، وإنما رجحه بعض المتأخرين، أما الطبري فاقصر على القول الأول، وذكر الماوردی وجهاً ثالثاً نقلاً عن أبي صالح، وهو قول: «سبحان الله ربنا» وله شاهد من القرآن، فقد جاء في ذيل القصة في سورة القلم (٢٦ - ٢٩): «فَلَمَّا زَاوَعَا قَالُوا إِنَّا لَفَاطُونَ • بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ • قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا مُسَبِّحُونَ • قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ •» كما أن في الآيات (٢٣-٢٥) شاهد على القول الثاني أيضاً: «فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَسْتَفْخِفُونَ • أَنْ لَا يَمْدُ عُنُقُنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ •» وشكيب: «وَعَدُوا عَلَيَّ حَزَقَ قَادِرِينَ •». وكذا تشر به الآيات (١٢ - ١٤) قبلها «سَبَّحُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَمْدٍ • عَتَلُوا نَفْسَهُمْ وَكَرِهُوا الْيُسْرَى •» أن كان ذا مآل وتبين.

الكف والزد، وذلك أن الحالف إذا قال: والله لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله غيره، فقد رد انقضاء ذلك اليمين.

وقال البيضاوي: وإنما سماه استثناء لما فيه من الإخراج، غير أن الفرج به خلاف المذكور، والمخرج بالاستثناء عنه، ثم ذكر مقاله الزمخشري.

والرأي عندنا أن هذه الجملة تأتي غالباً مع «إلا» الاستثنائية، كما أمر الله: «وَلَا تَكُونُوا إِسْنَاءَ إِلَى فَاعِلٍ ذَلِكَ غَدًا • إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ •»، أي أن تقولوا: «إلا أن يشاء الله»، فهذا من قبيل استعمال العام في بعض أفراد، وقد غلب عليه في الشريعة تبعاً لهذه الآية.

الثالث: وأما وجه تسمية «إلا كذا» استثناء فمن الطبرسي: لأنه عطف عليه بالإخراج منه.

وعن «تاج المصادر»: أن الباب يدل على تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متوالين أو متباينين، والاستثناء من قياس الباب، وذلك أن ذكره يثنى مرة في الجملة ومرة في التفصيل، لأنك إذا قلت: خرج الناس، في الناس زيد وعمر، فإذا قلت: إلا زيداً، فقد ذكرت زيداً مرة أخرى ذكراً ظاهرًا.

وعن الزاغب: الاستثناء: إيراد لفظ رفع بعض ما يوجه عموم لفظ متقدم، أو يقتضي رفع حكم اللفظ، كما هو.

فيدور الأمر في تسميته «استثناء» بين كونه عطفًا، أو تكرارًا، أو رفضًا لما قبله، والمناسب لمادة «ث ن ي» هو الأول ثم الثاني، والزاغب إنما فسر معناه الاصطلاحي، ولم يشر إلى وجه تسميته به.

الرابع: تعليق العبد فعله المستقبل على مشيئة الله

السادس: ولعلّ ما يميل المشكلة هو لمحاظ قصة أصحاب الجنة المذكورة في القرآن والتفسير:

أما القرآن فقد جاء في الكهف (٣٢-٤٣) ابتداء من ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا زَجْدَيْنِ جَعَلْنَا لِأَدْرِمَاسَ جَنَّتَيْنِ﴾ وانتهاء بـ ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾. وقد اغترت صاحب الجنتين بها، وأنكر قيام الساعة، فقال له صاحبه وهو يحاوره ردًا عليه كفره وشركه قائلاً له: ﴿وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾، ﴿وَأَجْبِطْ بِقَعْرِهِ فَاُصْبِحْ بِغُلَبٍ كَثِيفٍ غَلَىٰ مَا تَغْفَىٰ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

فيُحتمل أن تكون آيات سورة القلم إشارة إلى مافي هذه الآيات من سورة الكهف، ويؤيده أن ﴿وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾ هو نوع استثناء وتوكيل لأمر الجنة على الله.

وأما التفسير فقد روى الطبرسي (٥: ٣٣٦) عن سعيد بن جبّير أن هذه الجنة - التي في سورة القلم - حقيقة كانت باليمن في قرية يقال لها: «مروان»، بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلاً، وكانت لشيخ كان يملك منها قدر كفايته وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي. فقلّصت مات قال بنوه: نحن أحقّ بها لكثرة عيالنا، ولا يسمن أن نفعل كما فعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين، فصارت عاقبتهم إلى ماقصّ الله في كتابه، وهو قوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ أي حلفوا وتماهدوا فيما بينهم ﴿لَيُصْرِفْنَهَا مُصْطَجِبِينَ﴾ فالآيات في سورة الكهف تؤيد الرأى الأول، وهذه الآيات تؤيد الرأى الثاني.

السابع: وفي إعراب (وَلَا يَسْتَنْتُونَ) خلاف، فعند القاسمي أنّه عطف على (لَيُصْرِفْنَهَا) في قوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيُصْرِفْنَهَا مُصْطَجِبِينَ﴾، وأنّه جزء من القسم عليها، أي أقسموا ليصرفنها ولا يستنون.

وعند البرزنجي أنّ الجملة مستأنفة، أو حال بعد حال، أي هي عطف على (مُصْطَجِبِينَ)، لأنّه حال أيضاً، وقال: «وجعل ترك الاستثناء حالاً منه يفيد أصالته وقوّته في اقتضاء الحرمان».

واستظهر الأكوسي: أنّها - على القولين في معنى الجملة - عطف على (أَقْسَمُوا)، أي أقسموا ولم يستنوا، وأنّه إنّما عدل عن الإقسام إلى ترك الاستثناء استحضاراً للصورة، لما فيها نوع غرابة، لأنّ الالتقي في الحالف على ما يلزم منه ترك طاعة الاستثناء».

فدار الأمر في إعرابه بين أربعة وجوه: عطف على (أَقْسَمُوا) أو على (لَيُصْرِفْنَهَا) أو على (مُصْطَجِبِينَ)، أو استئناف. وعندنا أنّ الاستئناف لوجه له مع ظهور «الواو» في العطف، وأنّه لا معنى للاستئناف في مرد القصة. والأولى عطفه على (أَقْسَمُوا)، لأنّها أوّل القصة، وذيلها تبع لها، وأولى منه كونها حالاً من (أَقْسَمُوا) بكلا معنييه، أي أقسموا تاركين الاستثناء، وهذا أسّ وأنسب بالمعنى الأوّل.

المورد الثالث (٣): ﴿ثَانِي يَعْطِيهِ﴾، وفيه محو:

١- في معناه قولان أيضاً، كما مضى في ﴿يَمْنَعُونَ صُدُّوهُمْ﴾، فعمله بعضهم على ظاهره، أي نهي عنه أو منكره أو جانبه، لاحظ (ع ط ف). وجعله بعضهم استعارة عن كبره وإعراضه عن الحقّ، وقد أرجعها

الطَّبْرِيَّ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ.

قال الرُّضِّيُّ فِي تَوْجِيهِ الاسْتِمَارَةِ: «لَأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لِسَمَاعِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَلَامُهُ فِي الْأَكْثَرِ يَصْرَفُ دُونَهُ بِصَرَفِهِ، وَيُنْتَبِئُ عَنْهُ عَطْفُهُ». وقال الرَّضَوِيُّ: «نُسِيَّ الْيُطْفَ: عبارة عن الْكِبَرِ وَالْخِلَاءِ، كَتَصْمِيرِ الْحَدِّ وَلِيَّ الْجِدَةِ». وقال ابن عَطِيَّةَ: «وذلك أَنَّ صاحبَ الْكِبَرِ يَرُدُّ وَجْهَهُ عَنَّا يَتَكَبَّرُ عَنْهُ، فَهُوَ يَرُدُّ وَجْهَهُ، وَيَصْطَرِّحُ خَدَّهُ، وَيُوَلِّيُّ صَفْحَتَهُ، وَيُوَلِّيُّ عُنْفَهُ، وَيُنْتَبِئُ عَطْفُهُ، وَهَذِهِ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ». وقال الثَّرْطُيُّ: «نَتَى فَلَانٌ عَنِّي عِطْفُهُ، إِذَا أَعْرَضَ عَنْكَ، فَالْمَعْنَى أَيْ هُوَ مَعْرُضٌ عَنِ الْحَقِّ فِي جِدَالِهِ، وَمَوْلٌ عَنِ النَّظَرِ فِي كَلَامِهِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَّيْ مُشْتَكِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ لقاب: ٧. و﴿لَوْوَا رُؤُوسَهُمْ﴾ المسافقون: ٥. و﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ الإسراء: ٨٣. و﴿ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ القيامة: ٣٣. وقال الطَّبَّاطِبَاءِيُّ: «كناية عن الإعراض، كَأَنَّ الْمَرَضَ يَكْثُرُ أَحَدَ جَانِبَيْهِ عَلَى الْآخَرِ». وَيَبْدُو أَنَّ أَنْصَارَ الرَّأْيِ الثَّانِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَقْوَى بَيَانًا وَأَصْلَبَ عَوْدًا.

٢- هناك وجه اشتراك وافتراق بين هذه الآية وآية ﴿يَتَنَبَّهُونَ صُدُورُهُمْ﴾، فكلاهما نزلت بشأن المنكرين للحق من هذه الأمة. وقد مضى أَنَّ تلك الآية جاءت في شأن الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ اسْتِمَاعِ الْكِتَابِ، وَتَنَبَّاهُ صُدُورُهُمْ، لِيَسْتَخْفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وجاءت هذه الآية في الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، فَيَنْتَوِنُ أَصْطِفَاهُمْ، لِيَضْلُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وَلِسَانَهَا أَشَقُّ وَأَعْنَى مِنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِضُونَ عَنْكَ، لِئَلَّا

يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ، وَهَذَا يَعْرِضُونَ لِيَجَادِلُوا الْحَقَّ، وَلِيَضْلُوا الْآخَرِينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. وَلِهَذَا اخْتَلَفْنَا فِي التَّعْبِيرِ، فَتَنَبَّاهُ الصُّدُورُ فِي الْأَوَّلِ ذَرِيعَةٌ لِمَدَمِ السَّمَاعِ، وَتَنَبَّاهُ الْيُطْفَ فِي الثَّانِي ذَرِيعَةٌ لِرَدِّ الْحَقِّ وَإِضْلَالِ الْآخَرِينَ. فَالْأَوَّلُ يَصَوِّرُ حَالَةَ الْإِعْرَاضِ وَالْفِرَارِ، وَالثَّانِي يَصَوِّرُ حَالَةَ الْمُهْجُومِ وَالْمُتَنَصِّمِ.

٣- قالوا في إعراب (ثَانِيَّ عَطْفِيَّ): إِنَّهُ حَالٌ عَنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ فِي (تَنْ يَجَادِلُ)، أَيْ يَجَادِلُ وَهُوَ ثَانٍ عَطْفُهُ، إِعْرَاضًا وَاسْتِكْبَاهًا، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنْ (تَنْ)، لِأَنَّهَا ابْتِدَاءٌ، وَالْإِبْتِدَاءُ إِنَّمَا عَمَلُهُ الرَّفْعُ لَا النَّصْبَ».

٤- قال الرَّجَّازُ: الْإِضَافَةُ مَعْنَاهَا التَّنْوِينُ، أَيْ ثَانِيًا عَطْفُهُ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «إِضَافَةٌ غَيْرُ مُعْتَدَّيْهَا، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْإِتِّصَالِ: إِذْ تَقْدِيرُهَا ثَانِيًا عَطْفُهُ». وَظَهَرَ مِنْهَا أَنَّهَا لَمْ يَرِ فِي هَذِهِ الْإِضَافَةِ وَجْهًا، حَيْثُ لَمْ يُعْتَدَّيْهَا. وَعِنْدَنَا أَنَّ الْإِضَافَةَ تَصَوِّرُ لَنَا اتِّصَالَ إِعْرَاضِهِ بِجِدَالِهِ أَشَدَّ بِمَا لَوْ جَاءَ مُنْفَصِلًا عَنْهُ، فَإِنَّ الْحَالَ يَصَوِّرُ دَائِمًا حَالَةَ الْفَاعِلِ حِينَ صُدُورِ الْفِعْلِ مِنْهُ، وَالْإِضَافَةُ تَشَدَّدُ هَذِهِ الْحَالَةَ، فَلَهَا مَعْنَى لَا يَنْبَغِي إِسْهَالَهُ.

٥- عَدَّ أَبُو السُّمُودِ وَالْأَوَسِيُّ (ثَانِيَّ عَطْفِيَّ) حَالًا بَعْدَ حَالٍ، زَعَمَا مِنْهَا أَنَّ ﴿يَغْتَرِّ عِلْمٌ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ﴾ حَالٌ عَنْ (يَجَادِلُ)، أَيْ أَنَّهُ يَجَادِلُ حَالَ كَوْنِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ... وَحَالَ كَوْنِهِ ثَانِيًا عَطْفُهُ. وَعِنْدَنَا أَنَّ (يَغْتَرِّ عِلْمٌ) لَيْسَ حَالًا عَنْهُ، بَلْ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ تَعَلُّقُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ بِالْفِعْلِ، مِثْلُ: ﴿وَجَادَلُوا بِالنَّاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ الْمُؤْمِن: ٥. و﴿وَجَادَلْتُمْ بِالَّذِي مِنْ أَعْيُنِكُمْ﴾ النحل: ١٢٥.

لا ريب أن مجرد مصاحبتة للنبي في تلك الحالة الخطيرة فضيلة له، إلا أنها واجهت من خلال بحث الخلافة أشياء تعكس الأمر، فُتدَّتْ مَثَلًا:

ظهير القول: إنه كان خائفًا، والخوف بنفسه نقص. وأجاب عنه الشيخ شلتوت في تفسيره بأن الخوف من ضعف النفس، أما الحزن فدليل على أنه كان يرجو الفلاح والتجاة التي تعرض للخطر، وقد قارن بينه وبين قوله لموسى عليه السلام: (لَا تَحْزَنْ). ثم إن قوله: (إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) شاهد على أنها كانا على طريقة واحدة مرضية لله.

وظهير ماحكى الطبرسي في «وَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» «أنه قال في هذه السورة (٢٦): «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ»، وقال في سورة الفتح (٢٦): «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ». وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي صلى الله عليه وآله في هذه الآية بالسكينة كلانا، رأينا الإضراب عن ذكره أخرى، لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء». وقد بحث الطباطبائي (٩: ٢٩٤) في شرح القصة وفي دلالتها على منقبة لأبي بكر أو خلافتها بحثًا طويلًا، لأموجب له برأينا.

٥- لقد أرجع بعضهم الضمير في (سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) إلى أبي بكر، وودَّ بأن جميع الضائير قبله وبعده ترجع إلى النبي، فلا تخلف هذا وحده عنها.

الثاني: (اثنان) في (٥) والمراد بهما الشاهدان حين الوصية.

الثالث: (اثنيتي)، وقد جاء في (٦) و(٧) وصفًا للزوجين من الضأن والمعز والإبل والبقر أربع مرّات،

لعمري «يُجَادِلُ بِفَقْرٍ عِلْمٌ» يبادل بما لا يعلم أنه حق، فلاحظ.

المحور الرابع: العدد: (٤ - ٢٣)، وفيه ثمانية ألفاظ: الأول: (ثَانِي اثْنَيْنِ) في (٤)، وقد جاءت في قصة الفار عند هجرة النبي مع صاحبه إلى يثرب خائفًا، يتوقّب كلّ خطر وضرب ينزل به، ممثلة لمرتبته، وخطورة موقفه، وعتابًا لمن لم ينصره في غزوة تبوك، أو تناقل في ذلك، وحاد عن الحرب، فقال: «إِلَّا تُصْنَعُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...»، وفيه بحث:

١- قالوا في «ثَانِي اثْنَيْنِ» - وفي أمثاله من سائر الأعداد - أي أحد اثنين، أي لم يكن معها أحد والنبي ثانيها، فنصره الله. وسياق الآية يفيد غرضه، إذ أخرجوه ملتجئًا إلى الفار، ولم يكن له ناصر فيه إلا صاحبه الذي غلب عليه الحزن ممّا أصابها، حتّى سلّاه النبي بقوله: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». وأنزل الله في هذه الحال سكينته عليه، وأيده بجنود لم يراها أحد...

٢- «ثَانِي اثْنَيْنِ» منصوب على أنه حال من ضمير المفعول في (أَخْرَجَهُ)، أي نصره الله وهو ثاني اثنين، لم يكن معها ثالث. وقيل: حال من محذوف، أي خرج ثاني اثنين، ولاوجه لهذا التقدير الزائد.

٣- لاختلاف بين المفسرين وأصحاب السيرة أن صاحبه في الفار هو أبو بكر الصحابي المشهور، حتّى اشتهر به «صاحب الفار»، واستشهدوا به في السقيفة كفضيلة له، ولم ينكره أحد.

﴿غَيْرِ الْمَكْشُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

أو لأنها نزلت مرتين: مرة في مكة، ومرة في المدينة، وهذا مردود بأنها حين نزلت في مكة وُصفت بالثاني، وهو المروي عن النبي ﷺ، وعن الإمام علي والإمام الصادق (عليه السلام)، أو هو من الشاء فإنها شاء على الله بالتحديد والتوحيد وملكه يوم الدين.

وقُسر أيضًا بالسبع الطوال، لأنها تُشقى فيها الأحكام والفرائض والحدود، أو تذكر فيها القصة الواحدة مرارًا، وردّه أبو العالية بأن هذه الآية أنزلت قبل أن ينزل من الطوال شيء.

كما فسروها بالقرآن كله، وتؤيده الآية (٢٣): ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾ ويردّه أن بعده في هذه الآية ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، فإنه دلّ على أن (سَبْعًا مِنْ أَلْفَيْنِ) شيء سوى القرآن كله، فهذا من قبيل ذكر البيض قبل الكلّ، وقد اختاره الطبري بحجة أن (أَلْفَيْنِ) جمع مائة، لأن آيات القرآن ينزل بعضها بعضًا.

وقال شير: إن (أَلْفَيْنِ) في كل سورة دون الطوال ودون المثين، وفوق المفصل، وعند بعضهم (أَلْفَيْنِ) سبعمائة وعشرين سورة، فلاحظ. والمعروف أن «السبع الطوال» هي البقرة إلى الأعراف، ست سور

ثم اختلفوا، فعند بعضهم الأنفال والتوبة سورة واحدة، وهي تمام السبع، وعند بعضهم أثنى عشرين. وهناك قول بأن (أَلْفَيْنِ) معاني القرآن السبعة أمور ونهي وتبشير وإنذار وخبر أمثال وتعدد نعم وأنباء القرون، كما جاءت أقوال أخرى في التصوص أيضًا،

تفصيلًا لقائمة أَرْوَاجٍ في صدر الآية. وفي (٨) و(٩) مرتين، وصفًا لزوجين من كل حيوان قد سلكه نوح في السفينة، وفي (١٠) مرة وصفًا لزوجين من كل الثمرات، وفي (١١) وصفًا لإلهين اتخذهما القابلون بهما. الزايع: (الثنين)، وقد جاءت في (١٢) و(١٣) وصفًا للبتين في سهام الإرث مرتين، وفي (١٤) وصفًا لموتين وحياتين مرتين أيضًا.

الخامس: (أَتْنَى عَشَرَ)، وقد جاء في (١٥) وصفًا لعدد شهور السنة مرة، وفي (١٦) و(١٧) وصفًا للأسباط والتعباء من بني إسرائيل مرتين.

السادس: (أَتْنَى عَشْرَةَ)، وقد جاء في (١٧) و(١٨) وصفًا للعين التي انفجرت من الحجر، لما ضربها موسى بعصاه مرتين أيضًا.

السابع: (تَتْنَى)، وقد جاءت مع (تَلَتْ وَزَبَعَ) في (١٩) و(٢٠) وصفًا للنساء والأجنحة مرتين أيضًا، وفي (٢١) مع (فَرَادَى) وصفًا للقائمين لله مرة [وقد يمتناه في «ثلاث». لاحظ: ث ل ث]

الثامن: (أَلْفَيْنِ)، وقد جاءت في (٢٢) و(٢٣) مرتين أيضًا مرة مرفقة، وأخرى نكرة، وكلاهما وصف للقرآن. أمّا (٢٢) فقد جاء فيها ﴿وَلَقَدْ أَنشَأْنَاكَ سَبْعًا مِنْ أَلْفَيْنِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، وفسروا ﴿سَبْعًا مِنْ أَلْفَيْنِ﴾ بدلالة (الفاتحة)، لأنها سبع آيات، تُشقى في الركعتين الأوليين من الصلاة، أو لتكرار ألفاظ فيها:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ﴾.

والقول المشهور هو الأول. و«لام» التعريف في (الْمَنَانِي) للمهد، لأن الفاتحة مبهودة أنها تُقرأ في الصلاة، وأنه لاصلاة إلا بها، ومن أسماها الصلاة. هذا كله راجع إلى (٢٢)، وأما (٢٣) فجاءت (الْمَنَانِي) فيها نكرة وصفًا له (كِتَابًا)، فالمراد به القرآن كله قولًا واحدًا. ووجه وصفه بـ(الْمَنَانِي) أن آياتها يتلو بعضها بعضًا، وهذا معنى القراءة والتلاوة، أو أن قصصه ومعانيه من الأمر والنهي وغيرهما تتكرر وتُتَنَّى. تنبيهان:

١- تسترعي هذه الأعداد الانتباه إلى أنها متناسقة فردًا وزوجًا، حسب المواضيع إلى حد كبير، وهذا ضرب من الإعجاز العددي، وكم من ظهير له في القرآن. ٢- أن عدد المكيّ منها (١١)، وعدد المدني (٨)، لو فضلنا القول بأن سورتي الحج والزّعد مديّتان، وإلا فالمكيّ منها يكاد يكون ضعف المدنيّ، فيبدو أن مكّة باعتبارها دار الأُمّيين كانت تتطلّب الأرقام أكثر من المدينة.

ثوب

١٤ لفظاً، ٢٨ مرة: ١٠ مكيّة، ١٨ مدنيّة

في ١٥ سورة: ٧ مكيّة، ٨ مدنيّة

والمثوبة: الثوب.

وثوب المؤذن، إذا تنحّج للإقامة، ليأتيه الناس.

والثوب: واحد الثياب، والعدد: أثواب، وثلاثة

أثوب بغير همز.

وأما الأسوق والأدور فهوزان، لأنّ أدور على

دار، وأسوق على ساق. والأثوب محلّ الصّرف فيها

على الواو التي في الثوب نفسها، والواو تحتل الصّرف

من غير انهاز.

ولو طرح الهمز من أدور وأشوقي لجاز، على أن تُردّ

تلك الألف إلى أصلها، وكان أصلها الواو، كما قالوا في

جماعة «الثاب» من الإنسان: أثيب بلاهمز، برة الألف

إلى أصله، وأصله الياء.

ولمّا يبين الأصل في اشتقاق الفعل نحو «ثاب»

وتصغيره: ثيب، وجمعه: أثياب. ومن «الباب»: يوثب،

وجمه: أبواب. ولمّا يجوز في جمع الثوب: أثوب، [ثمّ

ثيابهم ٢:٢

ثيابهم ١:١

ثيابك ١:١

ثيابكم ١:١

أثابهم ٢:٢

أثابكم ١:١

ثوب ١:١

مثابة ١:١

ثواب ٦:١

الثواب ١:١

ثواباً ١:٣

مثوبة ٢:٢

ثياب ٢:٢

ثياباً ١:١

النصوص اللغويّة

الخليل: ثاب يثوب ثوباً، أي رجع بعد ذهابه.

وثاب البئر إلى مثابه، أي استفرغ الناس ماءه إلى

موضع وسطه.

والمثابة: الذي يثوب إليه الناس، كالبيت جعله الله

للناس مثابة، أي مجتمعاً بعد التفرق، وإن لم يكونوا

تفرّقوا من هنالك، فقد كانوا متفرّقين.

- استشهد بشر] (٨: ٢٤٦) ابن أبي اليحان: التوب: الذَّهَاء. [تم استشهد
سيميويه: يقال لصاحب الثياب: تَوَاب. [بشر] (١٨٥)
الْمَوْهَرِيّ (١: ٩٤) والمتوبة: من التَّوَاب. (٢٠٠)
الْقُصَيِّي: التَّوَاب: الصَّلَاة بعد الفريضة. الْمُعْبُود: [في حديث] «فَاغْتَسَلَ ثَوَابَ غَيْرِ اللَّهِ». أَمَّا
قوله: تَوَاب، فاشتقاقه من ثَابَ يَثُوبُ، إِذَا رَجَعَ،
وتَأَوَّلَ: مَا يَثُوبُ إِلَيْكَ مِنْ مَكَاةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. (١: ١١)
وَالْمُتَوَبُّ الَّذِي تَصَفَّقَهُ الرِّيحُ لِهَيْزِهِ وَبِجْيِهِ، وَهُوَ
مِنْ ثَابَ يَثُوبُ، إِذَا رَجَعَ. (١: ٩٦)
تَغَلَّبَ: وَثَر ذات ثَيِّبٍ وَغَيِّبٍ، إِذَا اسْتَقْبَلَ مِنْهَا
هَادَ مَكَانَهُ مَاءً آخَرَ.
و«ثَيِّب» كَانَ فِي الْأَصْلِ «تَيَّوب». وَلَا يَكُونُ التَّوَبُ
أَوَّلَ شَيْءٍ حَتَّى يَمُودَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.
[الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥١)
الطَّبَرِيُّ: وَالتَّوْبَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ
الْقَائِلِ: أَثْبَتْنَا إِثَابَةً وَثَوَابًا وَثَوْبَةً، فَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ: ثَابَ
إِلَيْكَ الشَّيْءُ، بِمَعْنَى رَجَعَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَثْبَتْنَا إِلَيْكَ، أَيْ
رَجَعْتَهُ إِلَيْكَ وَرَدَدْتَهُ. فَكَانَ مَعْنَى إِثَابَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ
عَلَى الْهَدْيَةِ وَغَيْرِهَا: إِرْجَاعُهُ إِلَيْهَا سَهْنًا بَدَلًا، وَرَدَّهُ
عَلَيْهِ مِنْهَا حَوْشًا، ثُمَّ جَعَلَ كُلُّ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ مِنْ عَمَلِهِ أَوْ
هَدْيَتِهِ، أَوْ يَدُ لَهُ سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ: مَثِيلًا لَهُ. وَمِنْهُ ثَوَابُ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَى أَصْحَابِهِمْ، بِمَعْنَى إِعْطَايِهِ إِيَّاهُمْ
الْعَوْضَ وَالْجَزَاءَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ بَدَلَ مِنْ عَمَلِهِم
الَّذِي عَمِلُوا لَهُ. (١: ٤٦٨)
الرَّجَّاجُ: وَالتَّائِبُ وَالتَّائِبَةُ وَالتَّائِبَةُ وَاحِدٌ.
وَالْأَصْلُ فِي «تَائِبَةٍ» مَتَّوِيَّةٌ، وَلَكِنْ حَرَكَةُ الْوَاوِ نَقَلَتْ
إِلَى التَّاءِ، وَتَبَعَتْ الْوَاوِ الْحَرَكَةَ، فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا.
- استشهد بشر] (٨: ٢٤٦) ابن أبي اليحان: التوب: الذَّهَاء. [تم استشهد
سيميويه: يقال لصاحب الثياب: تَوَاب. [بشر] (١٨٥)
الْمَوْهَرِيّ (١: ٩٤) والمتوبة: من التَّوَاب. (٢٠٠)
الْقُصَيِّي: التَّوَاب: الصَّلَاة بعد الفريضة. الْمُعْبُود: [في حديث] «فَاغْتَسَلَ ثَوَابَ غَيْرِ اللَّهِ». أَمَّا
قوله: تَوَاب، فاشتقاقه من ثَابَ يَثُوبُ، إِذَا رَجَعَ،
وتَأَوَّلَ: مَا يَثُوبُ إِلَيْكَ مِنْ مَكَاةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. (١: ١١)
وَالْمُتَوَبُّ الَّذِي تَصَفَّقَهُ الرِّيحُ لِهَيْزِهِ وَبِجْيِهِ، وَهُوَ
مِنْ ثَابَ يَثُوبُ، إِذَا رَجَعَ. (١: ٩٦)
تَغَلَّبَ: وَثَر ذات ثَيِّبٍ وَغَيِّبٍ، إِذَا اسْتَقْبَلَ مِنْهَا
هَادَ مَكَانَهُ مَاءً آخَرَ.
و«ثَيِّب» كَانَ فِي الْأَصْلِ «تَيَّوب». وَلَا يَكُونُ التَّوَبُ
أَوَّلَ شَيْءٍ حَتَّى يَمُودَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.
[الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥١)
الطَّبَرِيُّ: وَالتَّوْبَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ
الْقَائِلِ: أَثْبَتْنَا إِثَابَةً وَثَوَابًا وَثَوْبَةً، فَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ: ثَابَ
إِلَيْكَ الشَّيْءُ، بِمَعْنَى رَجَعَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَثْبَتْنَا إِلَيْكَ، أَيْ
رَجَعْتَهُ إِلَيْكَ وَرَدَدْتَهُ. فَكَانَ مَعْنَى إِثَابَةِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ
عَلَى الْهَدْيَةِ وَغَيْرِهَا: إِرْجَاعُهُ إِلَيْهَا سَهْنًا بَدَلًا، وَرَدَّهُ
عَلَيْهِ مِنْهَا حَوْشًا، ثُمَّ جَعَلَ كُلُّ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ مِنْ عَمَلِهِ أَوْ
هَدْيَتِهِ، أَوْ يَدُ لَهُ سَلَفَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ: مَثِيلًا لَهُ. وَمِنْهُ ثَوَابُ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَى أَصْحَابِهِمْ، بِمَعْنَى إِعْطَايِهِ إِيَّاهُمْ
الْعَوْضَ وَالْجَزَاءَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ بَدَلَ مِنْ عَمَلِهِم
الَّذِي عَمِلُوا لَهُ. (١: ٤٦٨)
الرَّجَّاجُ: وَالتَّائِبُ وَالتَّائِبَةُ وَالتَّائِبَةُ وَاحِدٌ.
وَالْأَصْلُ فِي «تَائِبَةٍ» مَتَّوِيَّةٌ، وَلَكِنْ حَرَكَةُ الْوَاوِ نَقَلَتْ
إِلَى التَّاءِ، وَتَبَعَتْ الْوَاوِ الْحَرَكَةَ، فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا.
- استشهد بشر] (٨: ٢٤٦) ابن أبي اليحان: التوب: الذَّهَاء. [تم استشهد
سيميويه: يقال لصاحب الثياب: تَوَاب. [بشر] (١٨٥)
الْمَوْهَرِيّ (١: ٩٤) والمتوبة: من التَّوَاب. (٢٠٠)
الْقُصَيِّي: التَّوَاب: الصَّلَاة بعد الفريضة. الْمُعْبُود: [في حديث] «فَاغْتَسَلَ ثَوَابَ غَيْرِ اللَّهِ». أَمَّا
قوله: تَوَاب، فاشتقاقه من ثَابَ يَثُوبُ، إِذَا رَجَعَ،
وتَأَوَّلَ: مَا يَثُوبُ إِلَيْكَ مِنْ مَكَاةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. (١: ١١)
وَالْمُتَوَبُّ الَّذِي تَصَفَّقَهُ الرِّيحُ لِهَيْزِهِ وَبِجْيِهِ، وَهُوَ
مِنْ ثَابَ يَثُوبُ، إِذَا رَجَعَ. (١: ٩٦)
تَغَلَّبَ: وَثَر ذات ثَيِّبٍ وَغَيِّبٍ، إِذَا اسْتَقْبَلَ مِنْهَا
هَادَ مَكَانَهُ مَاءً آخَرَ.
و«ثَيِّب» كَانَ فِي الْأَصْلِ «تَيَّوب». وَلَا يَكُونُ التَّوَبُ
أَوَّلَ شَيْءٍ حَتَّى يَمُودَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.
[الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥٤)
أَثْبَتَ الثَّوْبَ إِثَابَةً، إِذَا كَفَّتْ عَنَّا جِلْدَهُ، وَمَلَّتْهُ، خِطَّتْهُ
الْحَيَاةُ الْأُولَى بِغَيْرِ كَفٍّ. (الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥٧)
أَبُو هَبَيْدَةَ: الْمَتَابُ: مَقَامُ السَّاقِ، فَوْقَ عُرْوَةِ الْبَيْتِ.
[تم استشهد بشر] (الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥٢)
ابن الأعرابي: الْمَتَابُ: طَبْعُ الْحَسْبَةِ، يَثُوبُ
بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ.
يُقَالُ لِأَسَاسِ الْبَيْتِ: مَتَابَاتُ.
وَتَابَ إِذَا انْتَبَهَ، وَآبَ إِذَا رَجَعَ، وَتَابَ إِذَا أَقْلَعَ.
[الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥٢)
أَبُو نَصْرٍ الْبَاهِلِيُّ: الْمَتَابُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي يَثُوبُ مِنْهُ
الْمَاءُ، وَمِنْهُ: يَثُرُ مَا لَهَا تَائِبٌ. (الْأَزْهَرِيّ ١٥: ١٥٢)
ابن قُتَيْبَةَ: وَتَابَ جِسْمُهُ ثَوَابًا، وَأَتَابَ: أَقْبَلَ.
(ابن سيده ١٠: ٢١٧)

وهذا إعلال بإتباع: تبع «مُتَابَة» باب «ثاب». وأصل تاب: تَوَبَّ، ولكنَّ الواو قلبت أَلِفًا لتحرَّكها وافتتاح ما قبلها، لا اختلاف بين التَّوْبَيْنِ في ذلك.

(الأزهرِي: ١٥: ١٥٦)

يقال: تابَ إلى الرَّجْلِ جسمه، وأتابَ إليه جسمه إتابَة، إذا رجع. يقال: تابَ الماء وغيره، إذا عاد، وكذلك تابَ إليه عقله.

وأتابَ الرَّجْلَ فَلَانًا على فعله، إذا جازاه عليه.

(فعلت وأفعلت: ٧)

ابن دُرَيْد: تابَ يَتُوبُ تَوْبًا وَتَوْبًا، إذا رجع، وكلَّ راجع نائب.

والمُتَابَة لها موضعان، مُتَابَة البئر: مبلغ جوم مائها، يقال: تابَ الماء، إذا بلغ إلى حالته الأولى بعد ما يَسْتَقِي، والمُتَابَة: موقف السَّاقِيَة في أعلى البئر.

وأعطيت فَلَانًا تَوَابَهُ، أي جزاء ما فعل. وأتابَ الله العبادَ يَتِيهِمْ إِتَابَةً وَتَوَابًا، إذا جازاهم بأفعالهم. والمُتَوَبَة: مثل المُخَوَّضَة، تَوَبَّتْ فَلَانًا من كذا وكذا مثل حَوْضَتِهِ.

والتَّوْب: الدَّعَاءُ لِلصَّلَاةِ وغيرها، وأصله: أَنْ الرَّجُلَ كان إذا جاء فزعًا أو مستمرعًا لَوَحٍ بثوبه، فكان ذلك كالدَّعَاءِ والإنذار، ثم كثر ذلك حتى سُمِّي الدَّعَاءُ: تَوْبًا. (٢٠٤: ١)

والتَّوْبُ الملبوس: معروف.

وبنو تَوْبٍ: بطن من العرب.

والتَّوْب: مصدر تابَ يَتُوبُ تَوْبًا وَتَوْبًا، إذا رجع من مكان إلى مكان.

والموضع الَّذِي يُرْجَعُ إليه: التَّابُ والمُتَابَة.

والتَّوَابُ: تَوَابَ ما فعلته من خير أو شرٍّ، وهي من المُتَابَة والمُتَوَبَة والمُتَوَبَة، وأتابه الله يَتِيهِه إِتَابَةً وَتَوَابًا.

(٣: ١٩٩)

تَوْبِيهَا الله الْجَنَّةُ، أي جعلها تَوَابًا.

(ذيل الأمالي: ٢: ٦٣)

الأزهرِي: سمعتُ العرب تقول: «الكلأ موضع كذا وكذا مثل نائب البحر» يعنون أَنَّهُ غَضٌّ رطبٌ، كأنَّه ماء البحر إذا قاض بعد ما جدر.

وتاب، أي عاد ورجع إلى موضعه الَّذِي كان أَقْضَى إليه.

ويقال: تابَ ماء البئر، إذا عادت جُثَّتُها. وما أسرع تَابَتِهَا.

ويقال: تَوَّبَ الدَّاهِي تَتَوَبًا، إذا دعا مَرَّةً بعد أخرى، ومنه: تَتَوَبُ المُوَدَّن، إذا نادى بالأذان النَّاسَ إلى الصَّلَاةِ ثم نادى بعد التَّأَذُّين، فقال: «الصَّلَاةُ رَحِمَكُم اللهُ، الصَّلَاةُ» يدعو إليها عودًا بعد بدء.

والتَّوْبُ في أذان الفجر: أن يقول المُوَدَّن بعد قوله: «حيَّ على الصَّلَاةِ حيَّ على الفلاح»: الصَّلَاةُ خير من النَّوم. يقولها مرتين، كما يَتَوَبُّ بين الأذان: «الصَّلَاةُ رَحِمَكُم اللهُ، الصَّلَاةُ».

وأصل هذا كَلَمَةً من: تَتَوَبُّ الدَّعَاءُ مَرَّةً بعد أخرى. ونحو ذلك روى غير عن ابن الأعرابي.

يقال: تَتَوَبَّتْ، أي تَطَوَّعت بعد المكتوبة. ولا يكون «التَّوْب» إلَّا بعد المكتوبة، وهو السُّود للصَّلَاة بعد الصَّلَاة.

وقال أبو خيرة: ثَابَ الحَوْضُ يُثَوِّبُ ثَوْبًا وَثَوْبًا، إِذَا
امْتَلَأَ، أَوْ كَادَ يَمْتَلِئُ. (١٥: ١٥٢)

الصَّاحِبُ: ثَابَ يُثَوِّبُ ثَوْبًا، هُوَ رَجُوعُ الشَّيْءِ
بَعْدَ ذَهَابِهِ وَفُوتِهِ، ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ وَحِلْمُهُ وَأَصْحَابُهُ،
وَاسْتَابَ: اسْتَرْجَعَ.

وَيُقَالُ لِلجُنُوبِ وَالْعَبَا: مُسْتَابَةٌ، لِأَنَّهَا إِذَا هَبَّتْ
رَجَا النَّاسَ الْمَطْرَ.

وَأَنَابَ الرَّجُلُ: ثَابَ إِلَيْهِ جِسْمُهُ.
وَالْمَثَابَةُ: أَنْ يَكُونَ فِي الْبُئْرِ شَيْءٌ غَلِيظٌ لَا يَقْدَرُ عَلَى
خَفَرِهِ.

وَمَثَابُ الْبُئْرِ، إِذَا اسْتَفْرَغَ مَازُهُ ثَابَ إِلَى وَسْطِ الْبُئْرِ.
وَقِيلَ: هُوَ مَقَامُ الشَّيْءِ عَلَى رَأْسِ الْبُئْرِ.

وَنَابَ الحَوْضُ يُثَوِّبُ ثَوْبًا، إِذَا امْتَلَأَ أَوْ كَادَ يَمْتَلِئُ،
وَهُوَ التَّوَيَّنُ.

وَبُئْرُهَا نَائِبٌ، إِذَا كَانَ مَازُهَا يَنْقَطِعُ أَحْيَانًا ثُمَّ يَمُودُ.
وَعَدَّدَ ثَائِبٌ: كَثِيرٌ. وَالثَّائِبُ: جَمَاعَةٌ بَعْدَ جَمَاعَةٍ،
وَالنَّبَارُ الْكَثِيرُ.

وَنَابَ لَهُ مَالٌ، أَيِ اجْتَمَعَ. وَثَوَّبَ الرَّجُلَ بَعْدَ
خِصَاعَةٍ.

وَتَوَيْتَ مَعْرُوفِي عِنْدَهُ: أَقْبَيْتَهُ.
وَالثَّوَابُ: مَاءٌ يُثَوِّبُ فِي الْوَادِي، أَيِ يَجْتَمِعُ؛ فِي قَوْلِ
سَاعِدَةٍ:

❖ ثَوَابٌ يَزْهَبُ... ❖

وَقِيلَ: مَا يُثَوِّبُ مِنَ الْعَسَلِ دَفْعَةً دَفْعَةً. وَقِيلَ:
التَّحَلُّ، الْوَاحِدَةُ: ثَوَابَةٌ، وَالْجَمْعُ: ثَوَابٌ أَيْضًا.
وَالْمَثَابُ: بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ.

وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لَمَاشَتْ حِينَ أَرَادَتْ
الخُرُوجَ إِلَى الْبَصْرَةِ: إِنَّ عَمُودَ الَّذِينَ لَا يَتَابُ بِالنِّسَاءِ إِنْ
مَالَ، أَيِ لَا يَمَادُ إِلَى اسْتَوَائِهِ.

وَيُسْقَالُ: ذَهَبَ مَالُ فُلَانٍ فَاسْتَابَ مَالًا، أَيِ
اسْتَرْجَعَ مَالًا. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَيُقَالُ: ثَابَ فُلَانٌ إِلَى اللَّهِ، وَتَابَ، بِالتَّاءِ وَالتَّاءِ، أَيِ
عَادَ وَرَجَعَ إِلَى طَاعَتِهِ، وَكَذَلِكَ أَنَابَ، بِمَعْنَاهُ.

وَرَجُلٌ ثَوَّابٌ أَوْ ثَابٌ: ثَوَّابٌ مُنِيبٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.
وَيُقَالُ: ثَابَ إِلَى الْعَلِيلِ جِسْمُهُ، إِذَا حَسَنَتْ حَالُهُ
بَعْدَ تَحَوُّلِهِ، وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ صِحَّتُهُ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَالثَّوَابُ: الْمِزَاءُ.

قَدْ أَنَابَهُ اللَّهُ ثَوْبًا، وَتَوَيْتُهُ ثَوْبًا، مِثْلُهُ. وَقَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿هَلْ تُؤْتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ﴾ الْمُنَافِقِينَ: ٣٦.

وَالْأَسْمُ: الثَّوَابُ، وَالْمُسْتَوِيَّةُ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿لَمْ تُؤْتُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرًا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الْبَقَرَةُ: ١٠٣.

قَالَ التَّحْمِيصِيُّ: هِيَ «الْمُسْتَوِيَّةُ» بَفَتْحِ الْوَاوِ، وَقَدْ أَتَوَيْتُهُ
اللَّهُ مُسْتَوِيَّةً حَسَنَةً، فَأَظْهَرَ الْوَاوَ عَلَى الْأَسْلِ، وَقَالَ
الْكَلَابِيَّةُ: لَا تَعْرِفُ «الْمُسْتَوِيَّةُ» وَلَكِنْ «الْمَثَابَةُ».

وَقِيلَ: الْمُسْتَوِيَّةُ، وَالثَّوَابُ: مَا جُوزِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى
فِعْلِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

يُقَالُ: ثَابَ يُثَوِّبُ، إِذَا رَجَعَ، وَالثَّوَابُ: هُوَ مَا يَرْجِعُ
عَلَى الْحَسَنِ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَعَلَى الْمُسِيءِ مِنْ إِسَاءَتِهِ،
وَمِنْهُ: ﴿وَأَذِجْغَلْنَا أُنْيَيْتَ عَنَابَةً لِلنَّاسِ﴾ الْبَقَرَةُ: ١٢٥،
أَيِ مَعَاذًا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَيَتَوَبُّونَ إِلَيْهِ.

وَأِنْ فَلَانًا لِمَثَابَةٍ، أَيِ يَأْتِيهِ النَّاسُ لِلرَّغْبَةِ، وَيَرْجِعُونَ
إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُمِيتُ العبد على مامات عليه».

والوجه الآخر: أن يراد به «التياب» ما يلبس ويكتسى، يريد أنهم يُمِيتون من قبورهم وعليهم ثيابهم، ثم يحشرون إلى الموقف عُراة، لقوله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حُفَاءَ عُراةً عُرُلًا».

ويروى عن بعض الصحابة أنه لما حضره الموت، قال: «حَسِّنُوا كَفَنِي فَإِنَّ الْمَيِّتَ يُمِيتُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا».

الجَوْهَرِيُّ: الثَّوبُ: واحد الثَّوْبِ والثَّيَابِ، ويجمع في القلَّة على أَثَوْبٍ. وبعض العرب يقول: أَثَوْبٌ، فيهمز، لأنَّ الصَّغَةَ على الواو تُسْتَقَلُّ، والمهزلة أقوى على احتلالها، وكذلك دار وأدور وسائق وأسوق، وجميع ما جاء على هذا المثال. [تم استشهد بشعر]

وثاب الرجل يُثَوِّبُ ثَوْبًا وَثَوْبَانًا: رجع بعد ذهابه. وثاب الناس: اجتمعوا وجاءوا، وكذلك الماء إذا اجتمع في الموضع.

ومتاب الموضع: وسطه الَّذِي يَتَوَّبُ إِلَيْهِ الماء إذا اسْتَفْرَغَ، وهو الثَّيْبَةُ أيضًا، والماء عوض عن الواو الدَّاهِيَةِ من عين الفعل، كما عوضوا في قولهم: أقام إقامةً، وأصله: إقامًا.

والمثابة: الموضع الَّذِي يَتَوَّبُ إِلَيْهِ، أي يُرْجَعُ إِلَيْهِ مرَّةً بعد أخرى، ومنه قوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا النَّبِيَّثَ مَتَابَةً لِلنَّاسِ» البقرة: ١٢٥.

وإثما قيل للنزل: مثابة، لأنَّ أهله يستصغرّون في أمورهم ثم يثوبون إليه، والجمع: المثاب.

وَتَوْبٌ فِي الذَّعَاءِ: دَعَاءٌ بَدْعَاءٍ بَعْدَ دَعَاءٍ، وكذلك الصلاة وفي الأذان والإقامة.

والتَّوْبُ، أيضًا: الجزاء، من قوله عز وجل: ﴿هَلْ تُؤْتِبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المطففين: ٣٦.

والتَّوْبُ: الجزاء، أَنَابَهُ اللهُ بِشَيْءٍ إِنَابَةً. وَالتَّوْبَةُ «مَفْعَلَةٌ»: وهي الْمُعْوَضَةُ، والتَّوْبُ: العوض. ويقولون: أَتَوْبَهُ اللهُ تَوْبَةً حَسَنَةً، فأظهر الواو على الأصل.

والتَّوْبُ: واحد الثَّيَابِ، والعدد: أَثَوْبٌ وَأَثَوْبٌ. وَاتَّبَعْتُ التَّوْبَ إِنَابَةً، إِذَا كَفَفْتَ تَحَايِلَهُ.

وَالْإِنَابَةُ: الإِصْلَاحُ وَالتَّقْوِيمُ، ومنه قول أُمِّ سَلَمَةَ لعائشة: «إِنَّ عَمُودَ الدِّينِ لَا يَتَابُ بِالنِّسَاءِ».

والعرب تكني بالثَّيَابِ عَنِ الْأَيْدِي وَالْأَنْفُسِ، ويقولون: *ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَيْفَةٍ* يريدون: أَيْدَانَهُمْ.

وقيل: في قوله عز وجل: ﴿وَرَبَّائِكَ فَطَهَّرَ﴾ المدثر: ٤، أَرَادَ نَفْسَكَ. وَفُلَانٌ نَقِيَ الثَّوْبَ، أَيِ بَرِيءٌ مِنَ الْعَيْبِ، وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ حُلَّتُي: سُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ.

وقيل: ثِيَابِي: عَهْدِي، وهي أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهُ. ويقولون: لَهُ تَوْبًا فُلَانٍ، أَيِ لَهُ دُرَّةٌ. [تم استشهد بشعر] (١٠٠: ١٨٨)

الْغَطَّابِيُّ، في حديث النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُمِيتُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا». هذا يتأوَّل على وجهين: أحدهما: أن تكون الثَّيَابُ كناية عن العمل الَّذِي يَمُوتُ عَلَيْهِ، وَيُحْتَمَلُ لَهُ بِهِ، وَيُدَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ الْأَعْمَشِ ...

وربما قالوا موضع حباله الصائد: مثابة. [تم استشهد

بشعر]

وأتاب الرجل، أي رجع إليه جسمه وصلح بدنه.

واستأبه: سأله أن يتيبه.

وقولهم في المثل: «أطوع من ثواب» هو اسم رجل

كان يوصف بالطواعية. [تم استشهد بشعر]

والثائب: الزج الشديد يكون في أول المطر.

(١: ٩٤)

ابن فارس: التاء والواو والباء قياس صحيح من

أصل واحد، وهو العود والزجوع، يقال: تاب يُتوب،

إذا رجع. والمثابة: المكان يُتوب إليه الناس. [إلى أن

قال:]

وقال قوم: المثابة: العدد الكبير، فإن كان صحيحًا

فهو من الباب، لأنهم الفنة التي يباب إليها.

ويقال: تابَ المحوض إذا امتلأ، وهكذا كأنه خلا ثم

تاب إليه الماء، أو عاد ممتلئًا بعد أن خلا.

والثواب من الأجر والمجزاء: أمر يباب إليه.

ويقال: إن المثابة حباله الصائد، فإن كان هذا

صحيحًا فلائته مثابة الصيد، على معنى الاستعارة

والتشبيه. [تم استشهد بشعر]

ويقال: إن الثواب: العمل، وهو من الباب، لأنَّ

التحل يُتوب إليه. [تم استشهد بشعر]

قالوا: والواحد: نوبة.

والثوب: الملابس، محتمل أن يكون من هذا

القياس، لأنَّه يلبس ثم يلبس، ويتاب إليه.

وربما عبروا عن النفس بالثوب، فيقال: هو طاهر

التياب.

(١: ٣٩٣)

أبوهلال: الفرق بين الثواب والعوض: أنَّ العوض

يكون على فعل العوض، والثواب لا يكون على فعل

المتيب، وأصله: المرجوع، وهو ما يرجع إليه العامل.

والثواب من الله تعالى نعيم، يقع على وجه

الإجلال، وليس كذلك العوض، لأنَّه يستحق بالأكم

فقط، وهو ثمانية من غير تطهير.

فالثواب يقع على جهة المكافأة على المستحق،

والعوض يقع على جهة الثمارة في البيوع.

الفرق بين الثواب والأجر: أنَّ الأجر يكون قبل

الفعل المأجور عليه، والشاهد أنك تقول: ما عمل حتى

أخذ أجره، ولا تقول: لأعمل حتى أخذ ثوابي، لأنَّ

الثواب لا يكون إلا بعد العمل - على ما ذكرنا هذا - على

أنَّ الأجر لا يستحق له إلا بعد العمل كالثواب، إلا أنَّ

الاستعمال يجري بما ذكرناه.

وأيضًا فإنَّ الثواب قد شمر في الجزاء على

الحسنات، والأجر يقال في هذا المعنى ويقال على معنى

الأجرة التي هي من طريق المثابة بأقوى الأثمان، وفيها

معنى المعاوضة بالانتفاع. (١٩٦)

الهزوي: [نحو ما تقدم عن اللغويين وأضاف:]

وفي الحديث: «أنَّ بلالًا قال: أمرني أن لا أتوب في

شيء من الصلاة إلا في صلاة الفجر».

وقيل: إنما سمي تنويًا، لأنَّه رجوع إلى الأمر

بالمبادأة بالصلاة، والزاجع هو نائب.

يقال: تاب إلى جسمي، أي رجع.

فإذا قال المؤذن: حيَّ على الصلاة، قال: هلأتوا

صوف أو قطن، وما يلبسه الناس من فزو وغيره - وأما
السُّتور ونحوها فليست ثياباً، بل أمتعة - وبما نحه
وصاحبه: نَوَاب. (الإصحاح ١: ٣٦٢)

الطُّوسِي: المثوبة والثواب والأجر ظانراً. ونقيض
المثوبة: العقوبة، يقال: ثَابَ يُثَوِّبُ ثَوْبًا وإِثَابَةً، وأُثَابَهُ
إِثَابَةً، وثَوَّبًا، ومثوَّبَةً، واستثابته، وثَوَّبَ ثَوْبِيًّا.

والثَّوَاب في الأصل منناه. ما رجع إليك من شيء،
تقول: احترت الرجل غشياً، ثم ثابت إليه نفسه، ولذلك
صار حقَّ الثَّوَاب الجزاء، لأنَّه العائد على صاحبه مكافأة
ما فعل.

ومنه التَّوْب في الأذان وغيره، وهو ترجيع
الصَّوت، ولا يقال ذلك للصَّوت مرَّة واحدة، ويقال:
تَوَّبَ الدَّاعِي، إذا كرَّر دعاءه إلى الحُزْب، أو غيرها،
ويقال: انهزم القوم ثم تابوا، أي رجعوا.

والثَّوْب مشتق من هذا، لأنَّه ثاب لباساً بعد أن كان
قُطْنًا، أو غَزَلًا. [إلى أن قال:]

وأصل الباب: الثَّوْب: الرَّجُوع. (١: ٣٨٦)

نحو الطُّبْرَسِي. (١: ١٧٧)

الرَّاهِب: أصل الثَّوْب: رجوع النَّفْس إلى حالته
الأولى التي كان عليها، أو إلى الحالة المقدَّرة المفقودة
بالفكرة، وهي الحالة المشار إليها بقولهم: أوَّل الفكرة
آخر العمل.

فن الرَّجُوع إلى الحالة الأولى قولهم: ثاب فلان إلى
داره وثابت لي نفسي، وسُمِّي مكان المُستَق على فم
البحر متابة.

ومن الرجوع إلى الحالة المقدَّرة المفقودة بالفكرة

إليها، فإذا قال بعده: الصَّلَاة خير من الثَّوْم، فقد رجع إلى
كلام يؤول إلى معنى المبادرة للصَّلَاة أيضاً، فهذا سُمِّي:
تَوْبِيًّا. (١: ٣٠٥)

ابن سيده: ثَابَ النَّفْسُ ثَوْبًا وتَوْبًا: رجع. [ثم
استشهد بـ]

وثَوَّب: كتاب. [ثم استشهد بـ]

والثَّوَاب: التحل؛ لأنَّها تَوَّب. [ثم استشهد بـ]
وأُثَابَ الرَّجُل: ثاب إليه جسَّمه.

وثاب الحوض ثَوْبًا وتَوْبًا: امتلأ، أو قارب.

وثَبَّة الحوض: وسطه، حذفت عنه، وقد تقدَّم في
حذفت لامة.

ومثاب البئر: وسطها.

ومثابها: مقام السَّاقِي من عروشها. [ثم استشهد
بـ]

ومثابها: مبلغ جُحُم ما بها.

ومثابها: ما أنصرف من الحجارة حولها، يقوم عليها
الرَّجُل أحياناً، كيلا تجأجف الذُّكُو أو الغرب.

ومثابة البئر أيضاً: طَبْهَا، عن ابن الأعرابي: لأدري
أَحَقُّ به «طَبْهَا» موضع طَبْهَا؟ أم عن الطَّبِّي الذي هو
بناؤها بالحجارة؟ وقبلها تكون «المُفَعَّلَة» مصدرًا.

وثَابَ الماء: بلغ إلى حاله الأولى بعد ما استق.
ومثابة الناس، ومثابهم: مجتمهم بعد التَّفَرُّق،
والثَّبَّة: الجماعة من هذا.

وثَابَ القوم: أتوا متواترين، ولا يقال للواحد، [ثم
قال نحو ما تقدَّم عن بعض اللُّغَوِيِّين] (١٠: ٢١٧)

الثَّوْب: ما يُسَج من خيوط كَتَان أو حرير أو غَزَّ أو

«التوب» سمي بذلك لرجوع الفُزَل إلى الحالة التي قُدِّرَتْ له، وكذا ثواب العمل.

وجمع التوب: أنوب ونياب، وقوله تعالى: ﴿وَيُنَابِكُ قَطْمُوزٌ الْمَذْتَرُ: ٤﴾، يحمل على تظهير التوب، وقيل: النياب كناية عن النفس لقول الشاعر:

• نِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَفْسِهِ •

وذلك أمر بما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣.

والتوب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أفعاله، فيسمى الجزاء ثواباً تصوراً أنه هو هو، ألا ترى كيف جعل الله تعالى الجزاء نفس الفعل في قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ الزلزال: ٧، ولم يقل: جزاءه.

والتوب يقال في الخير والشر لكن الأكثر المتعارف في الخير، وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران: ١٩٥. ﴿فَأَنْتُمْ لِلَّهِ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ آل عمران: ١٤٨. وكذلك المثوبة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ المائدة: ٦٠.

فإن ذلك استعارة في الشر كاستعارة البشارة فيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَوْا لَمَثُوبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ البقرة: ١٠٣.

والإنباء تستعمل في العيوب، قال تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ يَدَكَ مِنَ السَّيِّئِ فَإِنِ ابْتَغَى وَجْهَكَ لِلدُّنْيَا جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المائدة: ٨٥. وقد قيل ذلك في المكروه، نحو ﴿فَأَقْصِبْ يَدَكَ مِنَ السَّيِّئِ فَإِنِ ابْتَغَى وَجْهَكَ لِلدُّنْيَا جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المائدة: ٨٥، على الاستعارة كما تقدم.

والتوب في القرآن لم يثن إلا في المكروه، نحو ﴿هَلْ ثَوَابٌ لَكُمْ لِكُلِّ صَالَةٍ تَبْتَغُونَ﴾ المائدة: ٣٦، وقوله عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ أَتَيْنَتْ تَبَاتُ﴾ البقرة: ١٢٥، قيل: معناه مكاناً يكتب فيه التواب.

نحو الفيروز آبادي: (بصائر ذوي التمييز ٣: ٣٣٧) الرَّمَحُشَرِيُّ: تفرق عنه أصحابه ثم تابوا إليه، والبيت مثابة للناس، والمطَّاب يرأسونها ويتابونها، أي يعاودونها، وتوب في الدعاء، وتوب بركعتين: تطلع بهما بعد كل صلاة، وأتابه الله وتوبه ﴿هَلْ ثَوَابٌ لَكُمْ لِكُلِّ صَالَةٍ تَبْتَغُونَ﴾ وجزاك الله المثوبة الحسن.

ومن الجاز: تاب إليه عقله وحلمه، وجئت مثابة البئر، وهي مجتمع ماها، وهذه بئر لها نائب، أي ماء يعود بعد الفرج، وقوم لهم نائب، إذا وفدوا جماعة إثر جماعة. [تم استشهد بشعر]

ومنه: تاب له مال، إذا كفر واجتمع، وتاب النبار، إذا سطع وكثر، وتوب فلان بعد خصاصة، وتاب المحوض: امتلأ، وتاب إليه جسمه بعد الهزال، إذا سمن، وأتاب الله جسمه، وقد أتاب فلان، إذا تاب إليه جسمه. وجئت مثابة جهله، إذا استحكم جهله، ونشأت مستتابات الرياح، وهي ذوات الأئمن والبركة التي يرجى خيرها، قال كثير:

إذا مستتابات الرياح تَشَمَّتْ

ومرَّ بَسْفَنَافِ الرِّيحِ عَقِيمُهَا
سمي خير الرياح ثواباً، كما سمي خير الثعل وهو العسل ثواباً، يقال: أحل من الثواب.

وذهب مال فلان فاستتاب سالماً، أي استرجع،

ولا يريد بذلك التَّوْبَتَيْنِ يَلْبَسُ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ كَمَا جَرَتْ عَادَةُ الْعَجَمِ بِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «رُبَّ ذِي طَيْرَيْنِ». أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْتَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْقَسْرِ الْأَعْرَابِيَّ عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَهُوَ ابْنُ ابْنَةِ ذِي الرُّمَّةِ فَقَالَ:

كَانَتْ: الْعَرَبُ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الْمَحَافِلِ كَانَتْ لَهَا جَمَاعَةٌ يَلْبَسُ أَحَدُهُمَا تَوْبَتَيْنِ حَتَّىٰ تَنْتَهِىَ فَإِنْ احتاجوا إِلَى شَهَادَةِ شَهِيدٍ لَهُمْ بَرُّورٍ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ يَقُولُ: أَمْضِ زُورَهُ بِتَوْبَتَيْهِ، يَقُولُونَ: مَا أَحْسَنَ ثِيَابَهُ! مَا أَحْسَنَ حَيْثَهُ! فَيَجِيزُونَ شَهَادَتَهُ، فَيَجْعَلُ الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُطْعَمْ مِثْلَ ذَلِكَ. قُلْتُ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الرَّجُلُ يَجْعَلُ لِقَيْصِهِ كُتُبَيْنِ: أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ، لِيُرَى أَنَّهُ لَا يَسْرِ قَيْصَيْنِ. وَهَاهُنَا يَكُونُ أَحَدُ التَّوْبَتَيْنِ زُورًا، لَا يَكُونُ تَوْبَتَيْنِ زُورًا.

وَقِيلَ اشْتِقَاقُ التَّوْبِ مِنْ قَوْلِهِمْ: نَابَ إِذَا رَجَعَ، لِأَنَّ الْفَزْلَ نَابَ تَوْبًا: أَيَّ عَادَ وَصَارَ، وَيُصْعَرُ بِالتَّوْبِ عَنْ نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَعَنْ قَلْبِهِ أَيْضًا.

فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ لَبَسَ تَوْبَ شُرَيْقٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَ مَذْلُةٍ».

أَيَّ يَسْتَلْهُ بِالمَذْلَةِ حَتَّىٰ يَضْفُو عَلَيْهِ، وَيَلْبَسَ عَلَيْهِ مِنْ جَنَابَاتِهِ، كَمَا يَسْتَلُّ التَّوْبَ بِدَنِّ لَبْسِهِ، وَيُسْتَرْهُ فِي الْقُلُوبِ وَيُسْتَرْهُ فِي الْعْيُونِ.

فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَعَا بِشَابٍ جَدُّدٍ فَلَبِسَهَا. ثُمَّ ذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَمُوتُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا».

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَمَّا أَبُو سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقَدْ رَوَى فِي تَحْسِينِ الْكُفَنِ أَحَادِيثَ.

وَيَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: اسْتَشَيْتُ بِمَالِكَ، أَيَّ ذَهَبَ مَالِي فَاسْتَرَجَعْتَهُ بِمَا أُعْطَيْتَنِي. وَفَلَانٌ نَفَى التَّوْبَ، بَرِيٌّ مِنَ الْعَيْبِ، وَعَكْسُهُ دَنَسَ الثِّيَابَ. وَلَهُ تَوْبَتَا فَلَانٍ، كَمَا يَقُولُ: لَهُ بِلَادُهُ، تَرِيدُ نَفْسَهُ. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَمْر]

وَاسْأَلْ نِيَابَكَ مِنْ ثِيَابِي، أَيَّ اعْتَزَلَنِي وَفَارَقَنِي. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَمْر] (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٩) «إِذَا تَوْبَ بِالصَّلَاةِ فَأَتَوْهَا وَعَلَيْكُمْ الشُّكْيَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتَوْهَا».

الْأَصْلُ فِي التَّشْوِيبِ: أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا جَاءَ مُسْتَصْرَعًا لَوَحٍ بِوَيْهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَعَاءً وَإِنْذَارًا، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّىٰ سَمِيَ الدَّعَاءُ تَوْبِيًّا. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَمْر]

وَقِيلَ: هُوَ تَرْدِيدُ الدَّعَاءِ «تَعْمِيلٌ» مِنْ نَابَ، إِذَا رَجَعَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِقَوْلِ الْمُؤَذِّنِ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ التَّوْبِ: التَّوْبِ. (الْفَائِقُ: ١: ١٨٠)

الْمُنَابَةِ: الْمَوْضِعَ الَّذِي يَتَوْبُ مِنْهُ الْمَاءُ، أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ عَنِ النَّاسِ وَلَا يَتَسَاءَلُهُ عَلَيْهِمْ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ سَفَهَهُ مِنْ أَجْلِ. (الْفَائِقُ: ٢: ١٦٥)

الصَّدِيقِيُّ: فِي الْحَدِيثِ: «كَلَّيْسٍ تَوْبَتَيْنِ زُورًا». الَّذِي يُشْكَلُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ، تَحْيِيَةُ التَّوْبِ. فَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَقَدْ ذَكَرَ فِي بَابِ الزُّورِ وَالتَّشْبِيهِ وَإِنَّمَا نَفَى التَّوْبَ فَمَا نُرَى، لِأَنَّ الْعَرَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ تَلْبَسُ عِنْدَ الْجِدَّةِ إِزَارًا وَرِدَاءً، وَلِهَذَا حِينَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فِي التَّوْبِ الْوَاحِدِ. قَالَ: «أَوْ كُلُّكُمْ يَجِدُ تَوْبَتَيْنِ».

وَقُسِّرَ عَمْرُ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِزَارٍ وَرِدَاءٍ، إِزَارٌ وَقَيْصٌ، رِدَاءٌ وَجُبَانٌ فِي أَنْبَاءِ ذَكَرَهَا فِي كِتَابِ الْبَخَارِيِّ،

وحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: «قيل له في مرضه الذي مات فيه: كيف تجددك؟ قال: أجدني أدوب ولا أثوب» أي أضف ولا أرجع إلى الصحة. وفي حديث ابن التَّيَّهَان: «أتَيُّوا أخاكم» أي جازوه على صنيعه، يقال: أتاه به إثابة، والاسم: الثواب، ويكون في الخير والقر، إلّا أنّه بالخير أخص وأكثر استعمالاً.

وجاء في تفسير قوله تعالى: «وَلِيْسَانَاكَ فَطَمَحُونَ» المدثر: ٤، أي عملك فأصلح. ويقال: فلان دَسَّ الثَّيَابَ، إذا كان خبيث الفعل والمذهب. وهذا كالحديث الآخر: «يُمِيتُ العبد على مامات عليه». قال المَرْوِيُّ: وليس قول من ذهب به إلى الأكفان بشيء، لأنَّ الإنسان إنما يَكْفَنُ بعد الموت.

وفيه: «الْمَشْتَبِعُ بما لم يُحِطْ كلباس ثوبَي زور» المشكل من هذا الحديث تنبيه الثوب، قال الأزْهَرِيُّ: معناه أَنَّ الرَّجُلَ يجعل لقميصه كَتَيْنِ، أحدهما: فوق الآخر لِيُرَى أنَّ عليه قميصين، وهما واحد. وهذا إنما يكون فيه أحد التَّوَيْنِ زُورًا لا الثَّوْبَانِ. [ثمَّ أدام في شرح الحديث نحو ما تقدَّم من المدينيِّ وقال:]

فأما إنَّه يتَّصف بصفات ليست فيه، يريد أنَّ الله منحه إياها، أو يريد أنَّ بعض الناس وصلَّه بشيء خفَّ به، فيكون بهذا القول قد جمع بين كذبتين: أحدهما اتِّصافه بما ليس فيه وأخذ، مالم يأخذه، والآخر: الكذب على المحلِّي وهو الله تعالى أو النَّاس.

وأراد «يُؤْتِي الزُّور» هذين المالين اللذين ارتكبهما

وقد تأوَّله بعض العلماء على خلاف ذلك فقال: معنى الثَّيَاب المثل، كُتِّي بها عنه، يريد أنَّه يُعْتَد على ماماتٍ عليه من عمل صالح أو شيء.

والعرب تقول: فلان طاهر الثَّيَاب، إذا وصفوه بطهارة النَّفْس والبراءة من الصَّيْب، ودَسَّ الثَّيَاب إذا كان بخلافه.

واستدلَّ عليه بقوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «يُحْشَر النَّاسُ حُفَاءً مُرَاءً».

وقال بعضهم: البُتُّ غير المُحْشَر، فقد يمسوز أن يكون البُتُّ مع الثَّيَاب، والمُحْشَر مع العُزِّي والمُتَّعَاء، والله أعلم.

وحديثه الآخر: «إذا ولي أحدكم أخاه فليُخَيِّس كَفْتَهُ».

وحديثه الآخر: «يَتَرَاوَرُونَ في أكفانهم». والآثار والرُّؤْيَا التي وردت فيه تُبَيِّل تأويله، والله تعالى أعلم.

ابن الأثير: ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: «فجعل النَّاس يثوبون إلى النبي» أي يرجعون.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: «لَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا انتَفَضَ من سَبَل النَّاسِ إلى مثاباته شيئًا». المثابات: جمع مثابة وهي المنزل، لأنَّ أهله يثوبون إليه، أي يرجعون، ومنه قوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَحَابَّةً لِّلنَّاسِ» البقرة: ١٢٥، أي مرجئًا ومُحْتَمًّا. وأراد عمر: لَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا اقتطع شيئًا من طرق المسلمين وأدخله داره.

منه حديث عائشة رضي الله عنها، وقولها في الأحنَف: «إِنِّي^(١) كان يَسْتَحِمُّ مثابة سَنَه»

بالوا والثون، وجمع المؤنث نِيَابٌ والمؤنثون يقولون:
يَيْبُ، وهو غير مسموع، وأيضاً «فَيْبِل» لا يجمع على
«فَيْبِل».

وَتَوْبُ الدَّاهِي تَوْبًا رَدَّ صَوْتَهُ، ومنه التَّوْبُ في
الأذان.

وَتَاءَبَ بِالْمَرْءِ تَأَوُّبًا وَزَانَ تَقَاتَلَ تَقَاتُلًا قِيلَ هِيَ
فَتْرَةٌ تَمَرُّ الشَّخْصُ فَيَتَحَقَّقُ عِنْدَهَا قَهْ وَتَأَوَّبَ بِالْوَاوِ
عَاتِي.

الفيروز آبادي: تَابَ تَوْبًا وَتَوُّبًا: رَجَعَ، كَتَوَّبَ
تَوْبًا، وَجَسَمَهُ تَوْبَانًا مَرَكَةً: أَقْبَلَ، وَالْحَوْضُ تَوْبًا
وَتَوُّبًا: امْتَلَأَ أَوْ قَارَبَ، وَأَثْبَتَهُ.

والتَّوَابُ: الْعَسَلُ، وَالتَّحَلُّ، وَالْمَرْءُ كَالْمُتَوِّبَةِ،
وَالْمُتَوِّبَةُ أَتَابَهُ اللَّهُ.

وَأَثْبَتَهُ وَتَوْبَهُ مَتَوِّبَةً: أَعْطَاهُ إِيَّاهَا.
وَمَثَابُ الْبَرِّ: مَقَامُ السَّائِقِ أَوْ وَسْطُهَا، وَمَثَابُهَا: مَبْلَغُ
جُودِهَا، وَمَأْشَرُهَا مِنَ الْمَجَارَةِ حَوْلَهَا، أَوْ مَوْضِعُ
طَبْعِهَا، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ كَالْمَثَابِ.

والتَّوْبُ: التَّوَعُّبُ، وَالدَّعَاءُ إِلَى الصَّلَاةِ، أَوْ تَنْبِيْهُ
الدَّعَاءِ، أَوْ أَنْ يَقُولَ فِي أَذَانِ الْفَجْرِ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ التَّوْمِ
مَرَّتَيْنِ حَوْذًا عَلَى يَدَيْهِ، وَالْإِقَامَةُ وَالصَّلَاةُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ.

وَتَتَوَّبُ: تَنْقَلِبُ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ وَكَسْبُ التَّوَابِ.
والتَّوْبُ: اللَّيَاسُ، جَمْعُهُ: أَسْوَبٌ وَأَسْوَبٌ وَأَسْوَابُ
وَتِيَابُ، وَبِائِثُهُ وَصَاحِبُهُ تَوَابُ.

وَلَهُ تَوْبَاهُ: اللَّهُ دُرُّهُ.
وَتَوْبُ الْمَاءِ: السَّلَى وَالْفَرْسُ.
وَفِي تَوْبِي أَبِي أَنْ أَفِيئَهُ، أَيْ فِي ذِمَّتِي وَذِمَّةِ أَبِي.

وَأَنْصَفَ بِهَا. وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ «التَّوْبَ» يُطْلَقُ عَلَى الصَّفَةِ
الْحَمْدَةِ وَالْمَذْمُومَةِ، وَهَيْبَتُهُ يَصْحُ الْقَسْبِيُّ فِي التَّنْثِيَةِ،
لَأَنَّهُ شَبَّهَ اثْنَيْنِ بَاثْنَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (٢٢٧: ١)

الصَّهْبَانِي: وَأَثْبَتُ التَّوْبِ إِثَابَةٌ، إِذَا كَفَفَتْ عَمَلُهُ.
وَيَقَالُ: ذَهَبَ مَالُ فُلَانٍ فَاسْتَابَ مَالًا، أَيْ اسْتَرْجَعَ
مَالًا.

وَتَابَ الْحَوْضُ: امْتَلَأَ، وَأَثْبَتَهُ أَنَا. [ثم استشهد بشعر]
وَأَمَّا تَوْبٌ يَعْنِي الْمَلْبُوسَ فِي الْأَعْلَامِ كَثِيرٌ، وَقَدْ
سَمِعُوا: تَوْبًا مَصْغَرًّا، وَتَوْبٌ مِثَالُ دُفْرٍ، وَتَوْبَانٌ بِالْفَتْحِ.
[ثم استشهد بشعر]

وَتَوْبُ الْمَاءِ: السَّلَى وَالْفَرْسُ.
وَتَتَوَّبُ: يَلْدُ بِالْيَيْنِ.
والتَّوَابُ: الْعَسَلُ. (٧٩: ١)

الْفَيْيُومِيُّ: التَّوْبُ: مَذْكُورٌ وَجَمْعُهُ: أَسْوَابُ وَتِيَابُ
وَهِيَ مَا يَلْبَسُهُ النَّاسُ مِنْ كَتَّانٍ وَحَرِيرٍ وَخَزٍّ وَصُوفٍ
وَقَزْوٍ وَغَوْدِكٍ وَأَمَّا الشُّتُورُ وَغَوْدُهَا فَلَيْسَتْ بِتِيَابٍ بَلْ
أَمْتَةٌ تَبِيْتُ.

وَالْمَثَابَةُ وَالتَّوَابُ الْمَرْءُ.
وَأَنَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَّ لَهُ ذَلِكَ.
وَتَوْبَانٌ مِثَالُ سَكْرَانٍ مِنْ أَسْمَاءِ الزَّجَالِ.
وَتَابَ يَتَوَّبُ تَوْبًا وَتَوُّبًا: إِذَا رَجَعَ، وَمِنْهُ قِيلَ
لِلْمَكَانِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ: مَثَابَةٌ.

وقيل للإنسان إذا تزوج: يَيْبُ وهو «فَيْبِل» اسم
فاعل من تَابَ وإطلاقه على المرأة أكثر، لأنَّها ترجع إلى
أهلها بوجه غير الأول، ويستوي في التَّيْبِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى
كما يقال أَيْمٌ وَيَكُرُّ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَجَمْعُ الْمَذْكُورِ نَيْبُونَ

بالتياب عن النفس، يقال: فلان طاهر التياب، إذا وصفوه بطهارة النفس والبراءة من اليب. ولم يبيح في القرآن جمع ثوب إلا على ثياب. (١٧٦: ١)

محمود شيت: الثوب: قبض المبتدي، جمعه: ثياب. المثابة: مكان اجتماع الضباط بأسرهم، لإصدار الأوامر إليهم، ومكان اجتماع جماعة الأوامر بالامر، أو القائد لإصدار الأوامر إليهم. (١٣٠: ١)

المُصْطَفَوِي: والظاهر أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو الرجوع بعنوان الجزاء لامطلقاً، وهذا هو الفرق بينها وبين الرجوع والثوب والأوب وغيرها، وهذا القيد منظور في جميع موارد استعمالها.

فالثوب هو الأجر بقيد رجوعه إلى صاحبه. وصلاح البدن هو رجوع الصلحة المسطورة في حال المرض. والمثابة: مكان الرجوع والجزاء، ومحل التوجه إليه لأخذ الأجر.

والثوب هو ما يرجع إلى شخص ويرتبط إلى فرد معين، فإن لباس كل أحد على كيفية مخصوصة، وحدود وخصيصات معينة مناسبة له، وهو كالصورة لجسم الإنسان والزينة له والمعرف لنفسه، فهو كالأجر الذي يتوقع حصوله وتحققه، وتحصيل الأجر بكل العمل.

وليس كذلك سائر أسباب المعاش للإنسان، من الغذاء والطعام والسكن والعلوم والصنائع، فإنها عامة لكل فرد، ولا يختص بشخص مخصوص حتى يرجع إليه. (٣٦: ٢)

وَأَنَّ الْمَيِّتَ لَيَبْتَغِي فِي ثِيَابِهِ، أَي أَعْمَالِهِ.

﴿وَيُنَادِيكَ فَطَّرَ﴾ قيل: قلبك.

وسموا ثوباً وثوباً واثوباً كسحاب، وثوابه كسحابة. ومتوَّب كمقعد: بلدة باليمن.

وثواب: رجل غزا أو سافر فانقطع خبره، فندرت امرأته لأن الله رده لتخرمن أنفه وتجنبن به إلى مكة، فلما قدم أخبرته به، فقال: دونك، فليل: أطوع من ثواب.

والثائب: الرّج السّديدة تكون في أول المطر، ومن البحر: ماؤه الفاض بعد الجزر. (٤٣: ١)

الطُّوَيْحِي: وفي الحديث: «من سمع شيئاً من الثواب...» الثواب: الجزاء، ويكون في الخير والشر، والأوّل أكثر. وفي اصطلاح أهل الكلام هو نفع المستحق المقارن للتّظيم والإجلال.

وسأع الثواب: قيل: يحتمل أن يراد مطلق بلوغه إليه، على سبيل الرواية أو الفتوى أو المذاكرة أو نحو ذلك، كما لو رآه في كتب الفقه مثلاً، وليس ببعيد. [وذكر معنى الثوب كما تقدّم وأضاف:]

وما روي من أن النداء والثوب في الإقامة من الشئ، فقد قيل فيه: يبنى أن يراد به «الثوب» هنا تكرار الشهادتين والتكبير - كما ذكر ابن إدريس - لا الثوب المشهور.

وما روي عنه وقد سئل عن الثوب، فقال: «مانعه». فمناه إنكار مشروعيته لعدم معرفته.

(١٩: ٢)

مَجْتَمَعُ اللُّغَةِ: [نحو ما تقدّم عن اللّوَيْن وأضاف:] الثوب: ما يلبس، جمعه: أثواب وثياب، وقد يكنى

النصوص التفسيرية

مَنَابِتُهُ

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاعْتَدُوا مِن
مَّقَامٍ إِزْهَاهِم مَّثَلٌ... البقرة: ١٢٥
ابن عباس: مناه أنه لا ينصرف عنه أحد، وهو
يرى أنه قد قضى منه وطراً، فهم يعودون إليه.
(الطوسي: ١: ٤٥١)
لا يقضون منه وطراً يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم،
ثم يعودون إليه. (الطبري: ١: ٥٣٣)
معاداً ومرجعاً لا يقضون منه وطراً، كلما أتوه
وانصرفوا اشتاقوا إلى الرجعة إليه. (الواحدي: ١: ٢٠٣)
يثبون إليه. (الطبري: ١: ٥٣٤)
مثله سعيد بن جبّير، والزبيح (الطبري: ١: ٥٣٣) و
(٥٣٤).

سعيد بن جبّير: يحبّون ويثبون.

(الطبري: ١: ٥٣٣)
يحبّون ثم يحبّون، ولا يقضون منه وطراً.
(الطبري: ١: ٥٣٣)
مُجاهد: يثبون إليه، لا يقضون منه وطراً.
(الطبري: ١: ٥٣٣)
وهذا مروى عن الإمام الباقر (عليه السلام). (الطوسي: ١: ٤٥١)، ونحوه العوفي (الطبري: ١: ٥٣٣).

الحسن: يثبون إليه كل عام، أي ليس هو مرة في
الزّمان فقط. (الطوسي: ١: ٤٥١)
عطاء: يثبون إليه من كلّ مكان، ولا يقضون منه

وطراً. (الطبري: ١: ٥٣٣)

نحوه ابن زيد. (الطبري: ١: ٥٣٤)

قَتَادَةُ: جمعاً. (الطبري: ١: ٥٣٣)

السُّدِّي: هو الذي يثبون إليه كلّ سنة، لا يدعه
الإنسان إذا أتاه مرة أن يعود إليه. (الطبري: ١: ٥٣٣)
القَوَّاء: يثبون إليه من المثابة والمثاب، أراد من كلّ
مكان. والمثابة في كلام العرب كالواحد، مثل المقام
والمقامة. (١: ٧٦)

أَبُو عُبَيْدَةَ: (مَنَابِتُهُ): مصدر، يثبون إليه، أي
يصيرون إليه. (١: ٥٤)

نحوه الجبائي. (الطوسي: ١: ٤٥١)
الأفخش: ألحقت الماء في (المثابة) لما كثر من يثوب
إليه، كما تقول: نصابة وسيارة، لمن يكثر ذلك منه.
(١: ٣٣٥)

ابن قُتَيْبَةَ: أي معاداً لهم، من قولك: ثبت إلى كذا
وكذا: عدت إليه، وقاب إليه جسمه بعد العلة، أي عاد.
أراد أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة. (١: ٦٣)
الطبري: وأما المثابة فإن أهل العربية يختلفون في
معناها، والسبب الذي من أجله أُنشئت، فقال بعض
نحوي البصرة: ألحقت الماء في المثابة لما كثر من يثوب
إليه، كما يقال: سيرة، لمن يكثر ذلك، ونسابة.

وقال بعض نحويي الكوفة: بل المثاب والمثابة بمعنى
واحد، ظهير المقام والمقامة، والمقام ذُكر على قوله، لأنّه
يريد به الموضع الذي يقام فيه، وأنت المقامة، لأنّه أريد
بها البقعة.

وأنكر هؤلاء أن تكون «المثابة» كالسيارة

والتَّشَابُه. وقالوا: إِنَّمَا أَدْخَلْتُ الْمَاءَ فِي السَّيَّارَةِ وَالتَّشَابُهَ تَشْبِيهًا لَهَا بِالدَّاعِيَةِ. والمثابة «مَقْعَلَةٌ» من ثَابَ القوم إلى الموضع، إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ، فهم يَتَوَيَّرُونَ إِلَيْهِ مَثَابًا ومثابة وتَوَيَّرًا.

فَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا جَعَلْنَا النَّبِيَّ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ وَإِذَا جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَرْجَمًا لِّلنَّاسِ، وَمَعَادًا يَأْتُونَهُ كُلَّ عَامٍ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا. [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ] وَمِنْهُ قِيلَ: ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ بَعْدَ غُرُوبِهِ عَنْهُ. (٥٣٣: ١)

الرَّجْعُاجُ: يَتَوَيَّرُونَ إِلَيْهِ، وَالمَثَابُ والمَثَابَةُ واحد، وكذلك المقام والمقامَةُ. [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ] والأصل في مَثَابَةٍ: مُتَوَيَّرَةٌ. ولكن حركة الواو نقلت إلى التاء، وتبعت الواو الحركة فانقلبت ألفًا، وهذا إعلال إبتاع، تبع مَثَابَةٍ باب «ثاب» وأصل ثَابَ: تَوَيَّرَ، وَلَكِنْ الواو قلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، لاختلاف بين التحويين في ذلك.

وهذا الباب فيه ضُعُوفٌ إِلَّا أَنْ كُتِبْنَا هَذَا يَتَضَمَّنُ شَرْحَ الإِعْرَابِ وَالْمَعْنَى، فَلَا بَدَّ مِنْ اسْتِقْصَائِهَا عَلَى حَسَبِ مَا يُعْلَمُ. (٢٠٥: ١)

الْمَأْوُودِيُّ: فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: بِمَجْمَعٍ لاجتماع الناس عليه في الحجِّ والمعرة.

وَالثَّانِي: مَرْجَمًا مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ ثَابَتِ الصَّلَاةُ، إِذَا رَجَعْتَ. [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ]

وَفِي رَجوعِهِمْ إِلَيْهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ سُكْنَى الْحَجِّ وَالْمَعَرَةِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ جِلٍّ إِلَى حَرَمٍ، لِأَنَّ الْجَمْعَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ السُّكْنَى بَيْنَ الْجِلِّ وَالْحَرَمِ شَرْطٌ مُسْتَحَقٌّ.

(١٨٦: ١)

الْوَاهِدِيُّ: المَثَابُ والمَثَابَةُ مصدران، ثَابَ يَتَوَيَّرُ، إِذَا رَجَعَ. والمراد بالمثابة هاهنا: الموضع الَّذِي يَثَابُ إِلَيْهِ.

(٢٠٣: ١)

الْبَهَاوِيُّ: مَرْجَمًا لَهُمْ. الرِّجْعُضَرِيُّ: مَبَاءٌ وَمَرْجَمًا لِلْحَبَّاجِ وَالْمَسْتَارِ، يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ ثُمَّ يَتَوَيَّرُونَ إِلَيْهِ، أَيْ يَتَوَيَّرُونَ إِلَيْهِ أَعْيَانُ الَّذِينَ يَزُورُونَهُ، أَوْ أَمْثَلُهُمْ. (٣٠٩: ١)

نَحْوُهُ التَّنْسِي (٧٣: ١)، وَالرُّبُوسِيُّ (٢٢٥: ١). ابْنُ عَطِيَّةٍ: يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مِنْ ثَابَ إِذَا رَجَعَ، لِأَنَّ النَّاسَ يَتَوَيَّرُونَ إِلَيْهَا، أَيْ يَنْصَرِفُونَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الثَّوَابِ، أَيْ يُثَابُونَ هُنَاكَ. [تَمَّ نَقْلُ قَوْلِ الْأَخْفَشِ وَغَيْرِهِ فِي تَأْنِيثِ الْكَلِمَةِ وَأَضَافَ:]

وَقِيلَ: هُوَ عَلَى تَأْنِيثِ الثِّقَّةِ، كَمَا يُقَالُ: مَقَامٌ وَمَقَامَةٌ. وَقُرَأَ الْأَعْمَشُ (مَثَابَاتٌ) عَلَى الْجَمْعِ. [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ] نَحْوُهُ الثَّرْطُطِيُّ. (٢٠٧: ١)

الطَّبْرُسِيُّ: قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ مَنْ رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ يَنْوِي الْحَجَّ مِنْ قَابِلٍ، زِيدَ فِي عَمَرِهِ. وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ لَا يَنْوِي الْعُودَ إِلَيْهَا، فَقَدْ قُربُ أَجَلِهِ. [تَمَّ نَقْلُ بَعْضِ الْأَقْوَالِ] (٢٠٣: ١)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: [نَقَلَ أَقْوَالَ بَعْضِ الْمُسْتَفْسِرِينَ ثُمَّ قَالَ:]

إلى صيرورته، كذلك مما إذا حملناه على التدب، فثبت أن الله تعالى أوجب علينا العود إليه مرة أخرى، وقد توافقنا على أن هذا الوجوب لا يتحقق فيما سوى الطواف، فوجب تحققه في الطواف.

هذا وجه الاستدلال بهذا الآية، وأكثر من تكلم في أحكام القرآن طعن في دلالة هذه الآية على هذا المطلوب، ونحن قد بينا دلائلها عليه من هذا الوجه الذي بيناه.

الْبَيْضَاوِيُّ: مرجعاً يثوب إليه أعيان الزوار وأناملهم، أو موضع ثواب يثابون بحجته واحتماره. وقرئ (منابات) أي لأنه مثابة كل أحد. (٨١: ١)

نحوه أبو السُّعُود (١: ١٩٤)، وشَّيْر (١: ١٤٢)، والمَرَاغِي (١: ٢١١).

الْكَاشَانِيُّ: مرجعاً ومحلّ عود. (١٧٠: ١)
الْقَاسِمِيُّ: مباءة ومرجعاً للحجّاج والمعتمر، يتفرّقون عنه ثم يثوبون إليه. ومثابة «مُفْعَلَةٌ» من التَّوْب، وهو الرجوع، ترمياً إليه بالكليّة. وسرّ هذا التفضيل ظاهر في انجذاب الأفتدة وهوى القلوب وانحطاطها ومحبتها له، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد، فهو الأولى بقول القائل:

محاسنه هبولى كلّ حسن

ومغناطيس أفتدة الرجال

فهم يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأنظار، ولا يقضون منه وطراً بل كلّما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقاً. (٢٤٧: ٢)

فإن قيل: كون البيت مثابة يحصل بمجرد عودهم إليه، وذلك يحصل بفعلهم لا بفعل الله تعالى، فما معنى قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ البقرة: ١٢٥.

قلنا: أننا على قولنا فعل المبد مخلوق لله تعالى، فهذه الآية حجة على قولنا في هذه المسألة. وأنما على قول المعتزلة فعنا أنه تعالى ألقى تخطيطه^(١) في القلوب ليصير ذلك داعياً لهم إلى العود إليه مرة بعد أخرى، وإنما فعل الله تعالى ذلك لما فيه من منافع الدنيا والآخرة.

أنما منافع الدنيا فلأن أهل الشرق والمغرب يجتمعون هناك، فيحصل هناك من التجارات وضروب المكاسب ما يظم به النفع، وأيضاً فيحصل بسبب السفر إلى الحجّ عمارة الطرق والبلاد، ومشاهدة الأحوال المختلفة في الدنيا.

وأنما منافع الدين فلأن من قصد البيت رغبة منه في التَّسَكُّ والتَّزَبُّبِ إلى الله تعالى، وإظهار العبوديّة له، والمواظبة على العمرة والطواف، وإقامة الصلاة في ذلك المسجد المكرّم والاعتكاف فيه، يستوجب بذلك ثواباً عظيماً عند الله تعالى.

تسكّ بعض أصحابنا في وجوب العمرة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ ووجه الاستدلال به أن قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ إخبار عن أنه تعالى جعله موصوفاً بصفة كونه مثابة للناس، لكن لا يمكن إجراء الآية على هذا المعنى، لأن كونه (مَثَابَةً لِّلنَّاسِ) صفة تتعلق باختيار الناس، وما يتعلق باختيار الناس لا يمكن تحصيله بالجبر والإلجام، وإذا ثبت تنذر إجراء الآية على ظاهرها، وجب حمل الآية على الوجوب، لأننا متى حملناه على الوجوب كان ذلك أفضى

كلمة (مَنَابَة) في الآية، وكلمة (لِلنَّاسِ) تُوضح أَنَّهُ قاعدة لأمنٍ عامٍّ لكلِّ العالمين، ولكلِّ الشُّعوب المرومة. (١: ٣٢٨)

تَوَابٌ

١-...وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَخَّرْنَا لِلشَّاكِرِينَ.

آل عمران: ١٤٥

مُعَاتِل: عني بالآية: من ثبت يوم أُحُدٍ ومن طلب الغنيمة. (ابن الجوزي ١: ٤٧٠)

ابن إسحاق: أي من كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة، تَوَتَّه ما قسم له منها من رزق، ولا حظَّ له في الآخرة. ومن يُرد تَوَاب الآخرة نُؤتته منها ما وعده، مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه.

(الطبري ٤: ١١٥)

الجببائي: من أراد بجهاد تَوَاب الدنيا، أي النصيب من الغنيمة. (الطوسي ٣: ٩)

الطبري: أي من ابنتي بعثه من الدنيا من رزق أيام حياته تَوَتَّه، ومن يرد بعثه جزاء منه تَوَاب الآخرة وما عنت الله من الكرامة أعدَّها له. [هذا ملخص كلامه] (٤: ١١٦)

نحوه الرَّجَّاج (١: ٤٧٥)، وابن الجوزي (١: ٤٧٠).

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من أراد بجهاد تَوَاب الدنيا، أي ما يصيبه من الغنيمة، وهذا قول بعض البصريين.

والثاني: [قول ابن إسحاق وقد تقدَّم]

رشيد رضا: يذكِّر الله تعالى العرب بهذه النعمة أو النعم العظيمة، وهي جعل البيت الحرام مرجعاً للناس، يقصدون ثمَّ يثيرون إليه، ومأمناً لهم في تلك البلاد بلاد المخاوف التي يتخطف الناس فيها من كلِّ جانب، وبدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام للبيت وأهله المؤمنين. وفي هذا التذكير ما فيه من الفائدة في تقرير دعوة النبي ﷺ ببيان بنائها على أصول ملَّة إبراهيم، الذي تحترمه قرىش وغيرها من العرب.

وقد اختار «المثابة» على نحو القصد والمزار، لأنَّ لفظ «المثابة» يتضمَّن هذا وزيادة، فإنَّه لا يقال: ثاب المرء إلى الشيء، إلا إذا كان قصده أولاً ثمَّ رجع إليه. ولما كان البيت معبداً وشعاراً عاماً كان الناس الذين يدينون بزيارته والقصد إليه للعبادة يشتاقون الرجوع إليه، فمن سهل عليه أن يثوب إليه فعل، ومن لم يتمكن من الرجوع إليه بمجته، رجع إليه بقلبه ووجدانه، وكونه (مَنَابَة لِلنَّاسِ) أمر معروف في الجاهلية والإسلام، وهو يصدق برجوع بعض زائريه إليه، وحسين غيرهم وتمتَّعهم له، عند حزمه عنه. (١: ٤٦٠)

مكارم الشيرازي: المثابة: من الثوب، أي عودة الشيء إلى حالته الأولى. ولما كانت الكمية مركزاً يتَّجه إليه الموحِّدون كلَّ عام، فهي محلُّ لعودة جسميّة وروحية إلى التوحيد والفترة الأولى، ومن هنا كانت (مَنَابَة).

وكلمة (مَنَابَة) تتضمَّن معنى الراحة والاستقرار، لأنَّ بيت الإنسان وهو محلُّ عودته الدائم مكان للراحة والاستقرار، وهذا المعنى تؤكدُه كلمة (أَسْأَأَ) التي تلي

الغنائم والذكر والقتاء، وهؤلاء لابد وأن ينهزموا،
والذين حضروا للدين، فلا بد وأن لا ينهزموا. ثم أخبر
الله تعالى في هذه الآية أن من طلب الدنيا لابد وأن يصل
إلى بعض مقصوده، ومن طلب الآخرة فذلك، وتقريره
قوله ﷺ: «لِمَا الْأَعْمَالُ بِالنَّيَاتِ» إلى آخر الحديث.

واعلم أن هذه الآية وإن وردت في الجهاد خاصة،
لكنها عامة في جميع الأعمال، وذلك لأن المؤثر في جلب
الثواب والعقاب، المقصود والدواعي لظواهر الأعمال،
فإن من وضع الحسبة على الأرض في صلاة الظهر
والشمس قدما، فإن قصد بذلك السجود عبادة الله
تعالى كان ذلك من أعظم دعائم الإسلام، وإن قصد به
عبادة الشمس كان ذلك من أعظم دعائم الكفر.

وروى أبوهريرة عنه ﷺ أن الله تعالى يقول يوم
القيامة لمقاتل في سبيل الله: «في ماذا قُتلت؟» فيقول:
أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت، فيقول
تعالى: كذبت بل أردت أن يقال: فلان محارب، وقد قيل
ذلك، ثم إن الله تعالى يأمر به إلى التار. (٢٥: ٩)
الْبَيْضَاوِي: تريض لمن شغلته الغنائم يوم أحد،
فإن المسلمين حملوا على المشركين وهزمهم، وأخذوا
ينهبون، فلبس رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب،
وخلوا مكانهم، فانتبه المشركون وحملوا عليهم من
ورائهم، فهزمهم. (١٨٥: ١)

نحوه أَبُو حَيَّان (٧٠: ٣)، والاكوسي (٧٨: ٤).
النَّيْسَابُورِي: أي من عمل شوقا إلى الحق فقد
رأى نعمة وجود المنعم، فتواهبه قد في الدنيا، لأنه حاضر
لا غيبة له وهو معنى قولهم: الصوفي ابن الوقت. [ثم]

والثالث: من أراد ثواب الدنيا بالتبوهض لها بعمل
التواضع مع موازنة الكبائر جوزي عليه في الدنيا دون
الآخرة. (٤٢٧: ١)
الطُّوسِي: قيل في معناه ثلاثة أقوال: [ثم ذكر قول
ابن إسحاق والجُبَّائِي وقال:]

الثالث: من يُرد ثواب الدنيا بالتعرض له بعمل
التواضع مع موازنة الكبائر، جوزي بها في الدنيا من غير
حظ في الآخرة، لإحباط عمله بفسقه، على مذهب من
يقول بالإحباط، ومن يُرد بعمله ثواب الآخرة نؤته
إياها. (وإن) في قوله: (وإنها) تكون زائدة، ويحتمل أن
تكون للتبويض، لأنه يستحق الثواب على قدر عمله.
(٩: ٣)

نحوه الطُّوسِي. (٥١٥: ١)
الواحدِي: أي من يُرد طاعته وعمله زينة الدنيا
وزخرفها، نؤته منها ما شاء مما قدرنا له، كقوله: ﴿مَنْ
كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ الإسماء: ١٨.
وعنى بهذا: الذين تركوا المركز يوم أحد، طلبا
للغنيمة ورغبة في الدنيا، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي
من كان قصده بعمله ثواب الآخرة ﴿فَنُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يعني
الذي يتبوأ يوم أحد حتى قُتلوا. (٥٠٠: ١)
نحوه البَغَوِي (٥١٨: ١)، والقرطبي (٣٢٧: ٤)،
والخازن (٣٦١: ١).

الفَخْرُ الرَّازِي: اعلم أن الذين حضروا يوم أحد
كانوا فريقين: منهم من يريد الدنيا، ومنهم يريد
الآخرة، كما ذكره الله تعالى فيما بعد من هذه السورة.
فالذين حضروا القتال للدنيا، هم الذين حضروا للطلب

استشهد بشر]

تسميته بأنه ثواب، مجازاً.

وحدّ الثَّوَاب هو النِّفْع الخالص المستحقّ الَّذِي يقارنه تطهير وتبجيل، والوفى هو النِّفْع المستحقّ الخالي من التطهير والتبجيل، والتَّفَضُّل هو النِّفْع الَّذِي ليس بمستحقّ ولامعه تطهير وتبجيل.

ولمّا جاز تأخير الثَّوَاب المستحقّ مع ثبوت الاستحقاق له عقيب الطَّاعَة لأمرين:

أحدهما: قال أبو علي: لأنّه يؤرّر عليه ما يفوته في زمان التكليف إلى خير الثَّوَاب. وقال الرُّمَّانِي: لأنّه إذا أُخِّرَ عظم ما يستحقّه بالتأخّر على ما كان لو قدّم، لأنّه إذا استحقّ مثلاً مئة جزء عاجلاً، فإذا أُخِّرَ استحقّ مئة وعشرة أو مئة وجزء.

وقيل في وجه حسن تأخيرهِ: أنّه لو كان عقيب الطَّاعَة لأدّى إلى أن يكون المكلف مسلجاً إلى فعل الطَّاعَة، لأنّ المنافع الكثيرة تلجئ إلى الفعل، كما أنّ دفع المضارّ العظيمة تلجئ إلى مثله، وذلك ينافي التَّكْلِيف.

(١٣: ٣)

نحو الطُّبرسي.

الصَّيِّدِي: يعني النِّصْر على عدوهم، ﴿وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: جنّة الله ورضوانه، فمن فعل ذلك فقد أحسن.

قال المفسرون: ثواب الدُّنْيَا في حقّ هذه الأمّة النِّصْر على العدو والنِّعمة، وفي حقّ الأمم السَّالفة النِّصْر فقط دون النِّعمة، لأنّ النِّعمة لهم حرام، وخصّ هذه النِّعمة للمصطفى ﷺ، وبه قال النِّبِّي ﷺ: «أَحَلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي». (٣٠٢: ٢)

ومن عمل شوقاً إلى الجنّة فظفره على النِّعمة، فثوابه في الآخرة. (٨٧: ٤)

٢- فَأَنْتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. آل عمران: ١٤٨

ابن عبّاس: النِّصْر والنِّعمة. (ابن الجوزي: ١: ٤٧٣) قَسَادَة: أي والله لأتساهم الله الفتح والظهور والتسكين والنصر على عدوهم في الدُّنْيَا ﴿وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ يقول: حُسْن الثَّوَاب في الآخرة: هي الجنّة. (الطُّبرسي: ٤: ١٢٢)

نحو الرِّبِّيع (الطُّبرسي: ٤: ١٢٢)، والرُّطْبِيّ (٤: ٢٣١). ابن جرّيج: «فَأَنْتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا»: النِّصْر والنِّعمة، ﴿وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: الجنّة ومأعدها فيها. (الطُّبرسي: ٤: ١٢٢)

نحو الرِّجَّاج. النِّقَاش: ليس إلّا الظُّفْر والغلبة، لأنّ النِّعمة لم تحلّ إلّا لهذه الأمّة. (أبو حنّان: ٣: ٧٦)

نحو الواحدي (١: ٥٠٢)، والبغويّ (١: ٥٢١).

الطُّوسِي: [نقل أقوال المفسرين ثم قال:]

ويجوز أن يكون ما أتاهم الله في الدُّنْيَا من الظُّفْر والنِّصْر وأخذ النِّعمة ثواباً مستحقّاً لهم على طاعتهم، لأنّ في ذلك تطهيراً لهم وتبجيلاً، ولذلك تقول: إنّ المدح على أفعال الطَّاعَة والتَّسْمِيَة بالأسماء الشَّريفة بعض الثَّوَاب، ويجوز أن يكون الله تعالى أعطاهم ذلك تفَضُّلاً منه تعالى، أو لما لهم فيه من اللُّطف، فتكون

حسن ثواب الآخرة في جنان السماء.

المسألة الثانية: خصّ تعالى ثواب الآخرة بالحسن تنبيهاً على جلالة نوابجهم، وذلك لأنّ ثواب الآخرة كلّها في غاية الحسن، فما خصّه الله بأنّه حسن من هذا الجنس، فإظهار كيف يكون حسنه، ولم يصف ثواب الدنيا بذلك لقلّتها وامتراجها بالمضارّ وكونها منقطعة زائلة.

قال القائل رحمه الله: يحتل أن يكون الحسن هو الحسن كقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣، أي حُسْنًا، والغرض منه المبالغة كأنّ تلك الأشياء المحسنة لكونها عظيمة في الحسن صارت نفس الحسن، كما يقال: فلان جود وكرم، إذا كان في غاية الجود والكرم، والله أعلم.

المسألة الثالثة: قال فيما تقدّم: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ فذكر لفظة (من) الدالة على التبعيض، فقال في هذه الآية: ﴿فَأَنْتَهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ ولم يذكر كلمة (من)، والفرق: أنّ الذين يريدون ثواب الآخرة إنّما اشتغلوا بالعبودية لطلب الثواب، فكانت مرتبتهم في العبودية نازلة. وأمّا المذكورون في هذه الآية فإنّهم لم يذكرُوا في أنفسهم إلّا الذنب والتقصير، وهو المراد من قوله: ﴿اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في آخرنا آل عمران: ١٤٧، ولم يروا التدبير والتحصنة والإعانة إلّا من ربهم، وهو المراد بقوله: ﴿وَتَسُبُّوا أَفْقَادَنَا وَنُصْرَتَنَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فكان مقام هؤلاء في العبودية في غاية الكمال، فلا جرم أولئك فازوا بيمض الثواب، وهؤلاء فازوا بالكلّ، وأيضاً

الرّمخُفَرِيُّ: من التصرة والنعمة والعزّ وطيب الذّكر، وخصّ ثواب الآخرة بالحسن، دلالة على فضله وتقدمه، وأنّه هو المحتد به عنده، ﴿تُسَبِّحُونَ عِزَّهُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الأنفال: ٦٧. (١: ٤٦٩) ابن الجوزي: [ذكر بعض أقوال المفسرين وأضاف:]

وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو.

الفخر الرازي: فيه مسائل: المسألة الأولى: قوله: ﴿فَأَنْتَهُمْ اللَّهُ﴾ يقتضي أنّه تعالى أعطاهم الأمرين، أمّا ثواب الدنيا، فهو التصرة والنعمة، وقهر العدو والتناء الجميل، وانسراح الصدر بنور الإيمان، وزوال ظلمات الشبهات وكفارة المعاصي والتبّات.

وأما ثواب الآخرة، فلا شك أنّه هو الجنة وما فيها من المنافع واللذات، وأنواع السرور والتعظيم، وذلك غير حاصل في الحال. فيكون المراد: أنّه تعالى حكم لهم بمصوبها في الآخرة، فأقام حكم الله بذلك مقام نفس الحصول، كما أنّ الكذب في وعد الله والطلم في عدله محال، أو يحتمل قوله: ﴿فَأَنْتَهُمْ﴾ على أنّه سيؤتيهم، على قياس قوله: ﴿أَنْتَ أَهْلُ اللَّهِ﴾ التحل: ١، أي سيأتي أمر الله.

قال القاضي: ولا يمنع أن تكون هذه الآية مختصة بالشهداء، وقد أخبر الله تعالى عن بعضهم أنّهم أحياء عند ربهم يرزقون، فيكون حال هؤلاء الرّسيتين أيضاً كذلك، فإنّه تعالى في حال إزلال هذه الآية كان قد آتاهم

الْأَوْسَى: قيل: وتسمية ذلك ثواباً، لأنه مترتب على طاعتهم، وفيه إجلال لهم وتظيم، وقيل: تسمية ذلك ثواباً مجاز، لأنه يحاكيه.

واستشكل تفسير ابن جرير بأن الفاسق لم عمل لأحد قبل الإسلام بل كانت الأنبياء إذا غنموا مالا جاءت نار من السماء فأخذته، فكيف تكون النعمة ثواباً دينياً ولم يصل للغانين منها شيء؟! وأجيب بأن المال الذي تأخذه النار غير الحيوان، وأما الحيوان فكان يبيى للغانين دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكان ذلك هو الثواب الدنيوي ﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْأَخِرَةِ﴾ أي وثواب الآخرة الحسن.

ولعلّ تقديم ثواب الدنيا عليه مراعاة للترتيب الوقوعي، أو لأنه أنسب بما قبله من الدعاء بالنصر على الكافرين. (٨٦: ٤)

الطُّبَّاطِبَانِي: وفي الآية معظة واعتبار، مشوب بعتاب وتشويق للمؤمنين أن يأتمروا بهؤلاء الزَّيَّيْن فيؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة كما آتاهم، ويعيهم لإحسانهم كما أحبهم لذلك.

وقد حكى الله من فعلهم وقولهم مالمؤمنين أن يعتبروا به، ويعملوه شعاراً لهم حتى لا يتلوا بما ابتلوا به يوم أحد من الفعل والقول غير المرضيين لله تعالى، وحتى يجمع الله لهم ثواب الدنيا والآخرة، كما جمع لأولئك الزَّيَّيْن.

وقد وصف ثواب الآخرة بالحسن دون الدنيا، إشارة إلى ارتفاع منزلتها وقدرها بالنسبة إليها.

أُولَئِكَ أَرَادُوا الثَّوَابَ، وهؤلاء ماأرادوا الثَّوَابَ. وإنما أرادوا خدمة مولاهم، فلاجرم أُولَئِكَ حُرِّمُوا وهؤلاء أعطوا، ليعلم أن كل من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل مسوى الله. (٢٨: ٩١)

نحوه الحازن (١: ٣٦٢)، والقاسمي (٤: ٩٩١). البَيْضَاوِيُّ: فاتاهم الله بسبب الاستغفار واللَّجْبَا إلى الله: النصر والنعمة والمز وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعم في الآخرة. وخص ثوابها بالحسن إشعاراً بفضلها، وأنه الممتد به عند الله. (١٨٦: ١١)

نحوه التَّسَنُّي (١: ١٨٦)، والشَّربيني (١: ٢٥٣)، والكَاشَانِي (١: ٣٦٠)، والبرُّوسَوِي (٢: ١٠٧)، وشَّيْر (١: ٣٨٣)

أَبُوخَيَّان: قرأ المَجْدَزِي (فَأَنَابَهُمْ) من الإنابة، ولما تقدم في دعائهم مايتضمن الإجابة فيه الثوابين، وهو قولهم: ﴿اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ فهذا يتضمن ثواب الآخرة ﴿وَوَسَّيْتَ أَقْدَامَنَا وَانْهَضْنَا﴾ يتضمن ثواب الدنيا، أخير تعالى أنه منحهم التوابين.

وهناك بدوؤا في الطلب بالأهم عندهم، وهو ماينشأ عنه ثواب الآخرة، وهنا أخير بما أعطاهم مقدماً ذكر ثواب الدنيا، ليكون ذلك إشعاراً لهم بقبول دعائهم وإجابتهم إلى طلبهم، ولأن ذلك في الزمان متقدم على ثواب الآخرة. ﴿تُؤَيِّدُونُ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الأنفال: ٦٧، وترغيباً في طلب مايعصله من العمل الصالح، ومناسبة لآخر الآية. قال علي: «من عمل لدنياه أضمر بآخرته، ومن عمل لآخرته أضمر بدنياه، وقد يجمعها الله تعالى لأقوام». (٧٦: ١)

عنه فيها ما أراد الله، وليس له في الآخرة من ثواب، ومن أراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما أحب.

وجزاء الجنة في الآخرة. (١: ٧١١)

نحوه ابن عطية. (١: ١٢٢)

الرَّصَافِيُّ: كالمجاهد يريد بمجاهده النعمة ﴿فَقَبِلَ

الله ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فإله يطلب أحدهما دون

الآخر؟ والذي يطلبه أحسها، لأن من جاهد الله خالصاً

لم تخطئه النعمة، وله من ثواب الآخرة ما للنعمة إلى

جنبه كلاشيء، والمعنى: فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له

إن أراد، حتى يمتلئ الجزء بالشرط. (١: ٥٧٠)

نحوه الفخر الرازي (١١: ٧١)، والبياضوي (١: ٢٤٩)،

والنسي (١: ٢٥٥)، والحازن (١: ٥٠٦)،

والكاشاني (١: ٤٧١)، والبروسوي (٢: ٣٠٠).

القُرطُبي: أي من عمل بما افترضه الله عليه طلباً

للآخرة آتاه الله ذلك في الآخرة، ومن عمل طلباً للدنيا

أتاه بما كتب له في الدنيا وليس له في الآخرة من ثواب،

لأنه عمل لغير الله، كما قال تعالى: ﴿...وَعَالَهُ فِي الْآخِرَةِ

مِنْ نَصِيبٍ﴾ الشورى: ٢٠، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ هود: ١٦. [ثم قال

نحو ما تقدم عن الزجاج] (٥: ٤١٠)

أبو حنيفة: قال الماتريدي: يحتمل أن يكون المعنى

من عبد الأصنام طلباً للمز لا يحصل له ذلك، ولكن عند

الله عز الدنيا والآخرة، أو للتقرب والشفاعة، أي ليس

له ذلك ولكن عبدوا الله، فعنده ثواب الدنيا والآخرة،

لا عند من يطلبون.

ويحتمل أن تكون في أهل التفاق الذين يُراوون

٣- مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ تَبِيعًا بَصِيرًا. النساء: ١٣٤

ابن عباس: يريد متاع الدنيا. (الواحدي: ٢: ١٢٦)

أبوسليمان الدمشقي: إن هذه الآية نزلت من

أجل المنافقين، كانوا لا يصدقون بالقيامة وإنما يطلبون

عاجل الدنيا. (ابن الجوزي: ٢: ٢٢١)

الجبائي: أي يملك سبحانه الدنيا والآخرة، فيطلب

المجاهد الثوابين عند الله. (الطبرسي: ٢: ١٢٢)

الطبرسي: يعني بذلك جل تناؤه ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾

مَنْ أَظْهَرَ الْإِيمَانَ، لحمد الله من أهل التفاق الذين

يستنبطون الكفر، وهم مع ذلك يظهرون الإيمان.

﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يعني مرض الدنيا، بإظهار ما أظهر من

الإيمان بلسانه، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾ يعني جزاؤه في

الدنيا منها. وثوابه فيها، هو ما يصيب من المنعم، إذا شهد

مع النبي مشهداً، وأمنه على نفسه وذريته وماله وما أشبه

ذلك. وأما ثوابه في الآخرة فنار جهنم. (٥: ٣٢٠)

نحوه الطوسي (٣: ٣٥٢)، والطبرسي (٢: ١٢٢).

الزجاج: كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث،

وكانوا متعزّين بأن الله خالقهم، فكان تقزيمهم إلى الله

عز وجل إنما هو ليطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم

شرها، فأعلم الله عز وجل أن خير الدنيا والآخرة

عنده. (٢: ١١٧)

الماوردي: ثواب الدنيا: النعمة، وثواب الآخرة:

الجنة. (١: ٥٣٤)

البغوي: يريد: من يريد بعمله عرضاً من الدنيا

ولا يريد بها الله عز وجل آتاه الله من عرض الدنيا أو دفع

ماحصل لهم من المغام وغيرها مع المسلمين، وقوله: (وَالْآخِرَةُ) أي وعند الله ثواب الآخرة، وهو مآذخره لهم من العقوبة في نار جهنم، جعلها كقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا﴾ - إلى قوله - ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هود: ١٥، ١٦.

ولاشك أن هذه الآية منهاها ظاهر، وأما تفسيره الآية الأولى بهذا ففيه ظر، فإن قوله: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ظاهر في حصول الخير في الدنيا والآخرة، أي بيده هذا وهذا، فلا يقتصرن قاصر المهمة على السعي للدنيا فقط، بل لتكن همه سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة، فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده العز والنفع، وهو الله الذي لا إله إلا الذي قد قسم السعادة والسقاة بين الناس في الدنيا والآخرة، وعدل بينهم فيما علمه فيهم، ممن يستحق هذا وممن يستحق هذا، ولهذا قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ تَبْهِيقًا بِبَصِيرَةٍ﴾.

نحوه الكوسى (١٦٦: ٥)، والقاسمي (١٦٠٣: ٥).
الشربيني: ﴿عَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾
الخصيسة الفانية، كالمجاهد يجاهد للجنة لقصور نظره على الخسيس الحاضر، مع خسته كالبهائم ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾ الخصيسة الفانية، (وَالْآخِرَةُ) التفة الباقية، لا عند غيره، فإله يطلب الخسيس؟ فليطلبها منه، كمن يقول: ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، أو ليطلب الأشرف منها. فإن من غلب همه فأقبل بقلبه إليه وقصر همه عليه، جمع له سبحانه وتعالى بينها، كمن يجاهد لله خالصاً، يجمع له بين

بأعمالهم الصالحة في الدنيا لتواب الدنيا لاخير.
(ومن) يحتمل أن تكون موصولة، والظاهر أنها شرط وجوابه الجملة المقرونة بقاء الجواب، ولا بد في الجملة الواقعة جواباً لاسم الشرط غير الظرف، من ضمير عائد على اسم الشرط حتى يستلحق الجزاء بالشرط، والتقدير: ثواب الدنيا والآخرة له إن أراد، هكذا قدره الزمخشري وغيره.

والذي يظهر أن جواب الشرط محذوف لدلالة المعنى عليه، والتقدير: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه، وليطلب التوابين، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة. [ثم ذكر قول الراغب المتقدم في اللغة]

(٣: ٣٦٨)

ابن كثير: أي يامن ليس له همه إلا الدنيا، اعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، وإذا سألت من هذه وهذه أعطاك وأضالك وأفانك، كما قال تعالى: ﴿لَمَنِ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢ الآية. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ السُّودَى ۚ ٢٠ الآية. وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ - إلى قوله - ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الإسراء: ١٨ - ٢١ الآية.

وقد زعم ابن جرير: أن المعنى في هذه الآية ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ أي من المنافقين الذين أظهرُوا الإيمان لأجل ذلك. ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾ وهو

الآخرة والمنعم.

(١: ٣٣٨)

شَبَّير: فليطلب الثوابين جميعًا من عند الله، وماله يكتفي بأحدهما، ويدع أحدهما. (٢: ١١١)

رشيد رضا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ منكم بسميه وكده وجهاده في حياته ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ ونعيمها بالمال والمجاهد ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ جميعًا، وقد وهبكم من القوى والجوارح، وهداية الحواس والعقل والوجدان والذين ما يمكنكم به نيل ذلك، فعليكم أن تطلبوا الثوابين جميعًا، ولا تكتفوا بالأدنى الفاني عن الأهلّي الباقي، والجمع بينهما ميسور لكم، ومما تناله قدرتكم، فن سفه النفس، وأفن الرّأي، أن ترغبوا عنه.

والآية تدلّ على أنّ الإسلام يهدي أهله إلى سعادة الدارين، وأن يتذكروا أنّ كلّ من ثواب الدنيا وثواب الآخرة من فضل الله ورحمته، وقد سبق بيان هذا في تفسير ﴿وَرَبُّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَدْ آتَيْنَا فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (٥: ٤٥٤).

الصراغى: أي من يرد منكم بسميه وجهاده في حياته نعيم الدنيا بالمال والمجاهد ونحوها، فعند الله ثواب الدارين ممّا بما أعطاكم من العقل والشّعر وهداية الحواس، فعليكم أن تطلبوها ممّا، ولا تكتفوا بما هو أدناها وهو مايفنى، وتركوا أغلاها وهو مايبقى، مع أنّ الجمع بينهما هيّن ميسور لكم، وهو تحت قدرتكم وسلطانكم، فن خطئ الرّأي أن تتركوا ذلك وترغبوا عنه، بل عليكم أن تقولوا: ﴿وَرَبُّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَا فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

ولي الآية إيحاء إلى أنّ الدّين يهدي أهله إلى السّعادتين، وإلى أنّ ثواب الدنيا والآخرة من فضله تعالى ورحمته. (٥: ١٧٧)

محمد جواد مغنّيه: أي أنّ ثواب الدنيا والآخرة يمكن تحقّقها والحصول عليها، مع الإيمان والتّقوى. ومن ظنّ أنّ ثواب الدنيا لا يجتمع مع التّقوى فهو مخطئ، لأنّ مامن شيء يحقّق للإنسان سعادته وكرامته في هذه الحياة إلّا ويقوه الدّين، بل يأمر به، ويحثّ عليه بشرط واحد، هو أن لا تكون سعادته شقاءً لغيره، وكرامته امتيازاً لسواه. إذن لاتصادم أبدًا بين ثواب الدنيا وثواب الآخرة، وإلّا التضادّ والتصادم بين القلّم وثواب الآخرة، بين الفسّ والهدا، والسلب والتّهب، وبين مرضاة الله ونعيمه وجنّاته. (٢: ٤٥٦)

الطّباطبائي: بيان آخر يوضّح خطأ من يترك تقوى الله ويضع وصيّته، بأنّه إن فعل ذلك ابتغاء ثواب الدنيا ومنمها فقد اشتبه عليه الأمر، فإنّ ثواب الدنيا والآخرة ممّا عند الله ويده، فإله يقصر نظره بأحسن الأمرين، ولا يطلب أحدهما أو إياها جميعًا كذا قيل.

والأظهر أن يكون المراد - والله أعلم - أنّ ثواب الدنيا والآخرة وسعادتها ممّا إنّها هو عند الله سبحانه، فليقترب إليه حقّ من أراد ثواب الدنيا وسعادتها، فإنّ السّعادة لا توجد للإنسان في غير تقوى الله الحاصل بدينه الذي شرّعه له، فليس الدّين إلّا طريق السّعادة الحقيقيّة، فكيف ينال نائل ثوابًا من غير إيتائه تعالى وإفاضته من عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ تَبَهُيًا بَصِيرًا﴾.

(٥: ١٠٤)

كَلَّ شَوْبَ مِنَ التَّقْصَانِ وَالتَّكْدِيرِ. (١: ٥٥٩)

الْفُخْرُ الْوِزَائِيّ: هو تأكيد ليكون ذلك الثواب في غاية الشرف، لأنه تعالى لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى كُلِّ الْمَقْدُورَاتِ، عالمًا بكلِّ المعلومات، غنيًا عن الحاجات، كان لامحالة في غاية الكرم والجود والإحسان، فكان عنده حسن الثواب.

روي عن جعفر الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ فَقَالَ خَمْسَ مَرَّاتٍ: (رَبِّسْنَا) أَنْجَاهُ اللَّهُ مَسَا يَخَافُ وَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ عَنْهُمْ أَنْتَهُمُ قَالُوا خَمْسَ مَرَّاتٍ: (رَبِّسْنَا) ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُمْ. (٩: ١٥١)

الْقُرْطُوبِيُّ: أي حسن الجزاء، وهو ما يرجع على العامل من جزاء عمله، من ثَابَ يَثُوبُ. (٤: ٣١٩)
نحوه الشَّريبيّ.
الْبُيُوتِيُّ: لا يكون عند غيره الثواب المطلق الذي لا ثواب وراءه، ولهذا قال: (وَأَفْهَى) لِأَنَّهُ اسْمُ الذَّاتِ الْجَامِعِ لِمَجْمُوعِ الصِّفَاتِ، فلم يحسن أن يقع غيره من «الرَّحْمَنِ» أو «الرَّحِيمِ» أو سائر الأسماء، موقعه.

(٢: ١٥٣)
نحوه المُرَافِعيّ.
شُبِّرَ: على الأعمال، لا يقدر عليه سواء. (١: ٤١٦)
رشيد رضا: قال الأستاذ الإمام كنفيره: إِنَّ هَذَا تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ، مِنْ كَوْنِ الثَّوَابِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَبَيِّنَ أَنَّ هَذَا الْجِزَاءَ بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ الْإِلَهِيِّ، وَأَنَّهُ يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ جِزَاءً عَلَى عَمَلٍ.

وأقول: إِنَّ كَوْنَ الْجِزَاءِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ لَا يَنْفِي

مَكَارِمِ الشَّيْرَازِيِّ؛ وَالْآيَةُ الْأُخْرَى مِنَ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَاضِيَةِ، وَرَدَ الْحَدِيثُ فِيهَا عَنْ أَنَسٍ يَرْصُمُونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَيُشَارِكُونَ فِي مَيَادِينِ الْجِهَادِ، وَيُطَبِّقُونَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ هَدَفٌ إِلَهِيٌّ بَلْ يَهْدِفُونَ لِئَلَّ يَكْسِبَ مَا دُونَهُ مِثْلَ غَنَائِمِ الْحَرْبِ، فَتَنْبَهَ الْآيَةُ إِلَى أَنَّ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْأَجْرَ الدُّنْيَوِيَّ إِنَّمَا هُمْ يَتَوَهَّمُونَ فِي طَلَبِهِمْ هَذَا، لِأَنَّ اللَّهَ عَنْده ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعًا ﴿مَنْ كَانَ يَرْيُدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

فليذا لا يطلب - ولا يرجو - هؤلاء، الثوابين معًا!! والله يعلم بنوايا الجميع، ويسمع كل صوت، ويرى كل مشهد، ويعرف أفعال المنافقين وأشباههم ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

وتكرر هذه الآية الأخيرة حقيقة أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَنْظُرُ فَقْطاً إِلَى الْجَوَانِبِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ بَلْ أَنَّهُ يَنْشُدُ لَتَبَاعِهِ السَّعَادَتَيْنِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ مَعًا. (٣: ٤٢٦)

الثَّوَابُ

...لَا تَكْفُرُنَّ عَنْهُمْ سَبَابَهُمْ وَلَا تَدْخُلْنَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُوتًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. آل عمران: ١٩٥
الطُّوسِيّ: معناه أَنَّ عنده مِنْ حُسْنِ الْجِزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، مَا لَا يَلْفَهُ وَصْفٌ وَاصِفٌ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

الطُّبَّرِيسِيّ: [نحو الطُّوسِيّ وَأَصَافُ:]
وقيل: ﴿حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ فِي دَوَامِهِ وَسَلَامَتِهِ عَنْ

الطَّبْرِيّ: جزاء لهم على ما عملوا، وأُبلوا في الله وفي سبيله. (٢١٦: ٤)

نحوه الطَّبْرِيّ: (٥٥٩: ١)

الرَّجَاج: مصدر مؤكّد، لأنّ معنى «وَلَاذِخْلَتُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» لأُنْيَتِهِمْ، ومثله

«كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» النساء: ٢٤، لأنّ قوله عزّ وجلّ:

«خُوفَتِ عَلَيْكُمْ أَنْهَارُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...» النساء: ٢٣،

معناه: كتب الله عليكم هذا، فلا كتاب الله مؤكّد،

وكذلك قوله عزّ وجلّ: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً

وَهِيَ تَرْمِيءُ مَرَّةً الشَّعَابِ صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ»

التّمل: ٨٨، وقد علم أنّ ذلك صنع الله. (٥٠٠: ١)

نحوه الطُّوسِيّ (٨٩: ٣)، وابن عطية (٥٥٨: ١)، وابن

الجَوْزِيّ (٥٣٠: ١)، والفخر الرازي (١٥١: ٩)،

والقُرطبيّ (٣١٩: ٤).

النَّسَمِيّ: (تَوَاتَا) في موضع المصدر المؤكّد، يعني

إثابة أو تنويهاً. (٢٠٢: ١)

نحوه أبو السعود (٨٨: ٢)، والقاسميّ (١٠٧٢: ٤).

أَبُو حَيَّان: انتصب (تَوَاتَا) على المصدر المؤكّد، وإن

كان التَّوَاب هو المثنى به، كما كان العطاء هو المحطى.

واستعمل في بعض المواضع بمعنى المصدر الذي هو

الإعطاء، فوضع (تَوَاتَا) موضع إثابة، أو موضع تنويهاً،

لأنّ ما قبله في معنى لأُنْيَتِهِمْ، وظهير «صَنَعَ اللَّهُ» و«وَعَدَ

اللَّهُ» وجوز أن يكون حالاً من (جَنَاتٍ) أي مثاباً بها، أو

من ضمير المفعول في «وَلَاذِخْلَتُهُمْ» أي مثابين. وأن

يكون بدلاً من (جَنَاتٍ) على تضمين (وَلَاذِخْلَتُهُمْ)

معنى ولأُطْيَتِهِمْ. وأن يكون مفعولاً بفعل محذوف يدلّ

ما قبله في معنى الجزاء والتَّوَاب، لأنّ كلّ ما يصيب العباد

من خير في الدُّنْيَا فهو من فضله تعالى ورحمته، وإن كان

قد جعل له أسباباً هو أثر طبيعي لها كالخطر والصّحة وغير

ذلك، والله أكرم وأرحم وأعلم وأحكم. (٣١١: ٤)

٢- وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرِيٍّ

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَغْمُ الْقَوَابُ وَحَسَنَتْ مَرْتَقَا.

الكهف: ٣١

ابن عباس: أي طاب نوابهم وعظم.

(الطَّبْرِيّ: ٤٦٧: ٣)

الطَّبْرِيّ: يقول: نعم القواب جَنَاتٌ عدن،

وما وصف جلّ تناؤه أنّه جعل لهؤلاء الذين آمنوا

وعملوا الصّالحات. (٢٤٣: ١٥)

الطُّوسِيّ: الجزاء على الطّاعات. (٤٠: ٧)

نحوه البُرْهَوَيْيّ. (٢٤٤: ٥)

البَغَوِيّ: نعم الجزاء. (١٩١: ٣)

نحوه الحازن. (١٧٩: ٤)

البَيْضَاوِيّ: الجنة ونعيمها. (١٢: ٢)

نحوه الشَّرِيفِيّ (٣٧٤: ٢)، وشبّر (٧٤: ٤)،

والأغوسيّ (١٥: ٢٧٣)، والقاسميّ (٤٠٥٧: ١١)،

والمراغيّ (١٥: ١٤٥).

تَوَاتَا

١- ...لَا تَكْفُرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَاذِخْلَتُهُمْ جَنَاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَاتَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ

حُسْنُ الْقَوَابِ. آل عمران: ١٩٥

عليه المعنى، أي يعطيهم نوابًا. **الآلوسي** : جزاءً وأجرًا، وقيل : نعمًا. (١٥ : ٢٨٧)

وقيل : انتصب على التمييز.

١- وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا. مريم : ٧٦

الواحدية : جزاءً في الآخرة مما يفتخر به الكفار، من ماله وحسن معاشهم. (٣ : ١٩٤)

الطبرسي : قد مر تفسيره في سورة الكهف، وجملة : أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَبْقَى بِنَاءً ثَوَابًا، وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة، خير ثوابها من مقامات الكفار التي يفتخرون بها كَلِّ الْاِفْتِخَارِ. (٣ : ٥٢٨)

البَيْضَاوِي : (...ثَوَابًا) عائدة مما متَّع به الكفرة من النعم المُدْجِة الغانية التي يفتخرون بها، سيما ومآلها التميم المقيم، ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم، كما أشار إليه بقوله : ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾. (٢ : ٤١)

مثله أبو السعود (٤ : ٢٥٦)، ونحوه شبر (٤ : ١٣٢).

ابن كثير : جزاءً. (٤ : ٤٨٢)

البروسوي : هو الجزاء، لأنه نفع يعود إلى المُجْزَى، وهو اسم من الإثابة أو التثويب، أي الأفعال التي تبقى عائدتها أبدًا خيرٌ عند ربك من مفاخرات الكفار، وحظوظهم العاجلة. (٥ : ٣٥٣)

مُتَوَبَّةٌ

١- وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَسُوهُنَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. البقرة : ١٠٣

ابن عباس : لكان ثوابهم عند الله. (١٥)

نحوه قتادة، والسدي، والربيع. (الطبري ١ : ٤٦٨)

وقال الكسائي : هو منصوب على القطع، ولا يتوجه لي معنى هذين القولين هنا. (٣ : ١٤٦)

نحو البروسوي (٢ : ١٥٦)، والآلوسي (٤ : ١٧).

الشرييني : أي أتيهم بذلك إجابةً. (١ : ٢٧٦)

نحوه شبر. (١ : ٤١٦)

المرآغي : الثواب والثبوة : الجزاء، وقد جعله الذين أثرًا طبيعيًا للعمل، فلأفعال تأثير في نفس العامل بتركيبها، فتكون منعمة في الآخرة، أو تدببها فتكون معذبة فيها. (٤ : ١٦٧)

٢- هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا.

الكهف : ٤٤

راجع «ح ي ر، خَيْرٌ»

٣- السَّالُّ وَالْيَتِيمَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ

الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَعْلًا. الكهف : ٤٦

الزمخشري : أي ما يتعلق بها من الثواب، وما يتعلق بها من الأمل، لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة. (٢ : ٤٨٧)

نحوه السني (٣ : ١٥٠)، والفخر الرازي (٢١ : ١٣٦).

ابن الجوزي : أي أفضل جزاء. (٥ : ١٥٠)

أبو السعود : عائدة تعود إلى صاحبها. (٣ : ٢٥٤)

نحوه شبر (٤ : ٨١)، والكاساني (٣ : ٢٤٤)،

والبروسوي (٥ : ٢٥٦)، والمصدي (٦ : ٦١).

الطَّبْرِيّ؛ وقد زعم بعض نحويّ البصرة أن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَسُوهُنَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ مما اكتنى بدلالة الكلام على معناه عن ذكر جوابه، وأن معناه: ولو أنهم آمنوا واتقوا لأكسبوا. ولكنه استغنى بدلالة الخبر عن «المثوبة» عن قوله: «لَأُثْبِتُوهُ». (١)

وكان بعض نحويّ أهل البصرة ينكر ذلك، ويرى أن جواب قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَسُوهُنَّ﴾ وأن (لَوْ) إنما أُجيبَت بدلالة «المثوبة»، وإن كانت أخبر عنها بالماضي من الفعل، لتقارب معناها من معنى «لَتَن» في أنها جزاء، فإنها جوابان للإيمان، فأدخل جواب كل واحدة منها على صاحبها، فأجيبَت (لَوْ) بجواب «لَتَن»، و«لَتَن» بجواب (لَوْ) لذلك، وإن اختلفت أجوبتها، فكانت (لَوْ) من حكمها وحفظها أن تجاب بالماضي من الفعل، وكانت «لَتَن» من حكمها وحفظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل، لما وصفنا من تقاربها، فكان يتأول معنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ ولئن آمنوا واتقوا للمثوبة من عند الله خير. (١: ٤٦٨)

الرَّجَّاح: (مَثُوبَةٌ) في موضع جواب «لَوْ» لأنها تنهى عن قولك: «لَأُثْبِتُوهُ»، ومعنى الكلام أن ثواب الله خير لهم من كسبهم بالكفر والسحر. (١: ١٨٧) الواحدية: والمثوبة كالثواب، وكذلك المَثُوبَةُ مثل المَثُورَةِ والمَثُورَةِ، ويعني بالآية: أن ثواب الله لهم لو آمنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر. (١: ١٨٦) نحوه النَوْي (١: ١٥٢)، والمَخَازِن (١: ٧٨).

الرَّخْشَرِيّ: وقرئ (لَمَسُوهُنَّ) كَمَسُوهُنَّ، ﴿وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير مما هم فيه، وقد

علموا، لكنه جهلهم لترك العمل بالملم.

فإن قلت: كيف أثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لَوْ)؟

قلت: لما في ذلك من الدلالة على إثبات المثوبة واستقرارها، كما عدل عن التصب إلى الرفع في «سلام عليكم» لذلك.

فإن قلت: فهَلَّا قيل: لمثوبة الله خير.

قلت: لأن المعنى شيء من الثواب خير لهم. ويجوز أن يكون قوله: ولو أنهم آمنوا تمكينا لإيمانهم، على سبيل الجواز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له، كأنه قيل: وليتهم آمنوا، ثم ابتدئ ﴿لَمَسُوهُنَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾. (١: ٣٠٢)

نحوه الفَخْرُ الرَّازِيّ (٣: ٢٢٢)، والتَّسْنِيّ (١: ٦٧)، وشَرِّ (١: ١٣١).

ابن عطية: قرأتاة وأبوالسَّال وابن بريدة (لَمَسُوهُ) يسكون الثاء وفتح الواو، وهو مصدر أيضًا كَمَسُوهُنَّ ومَسُوهُنَّ، و(مَثُوبَةٌ) رُفِعَتْ بالابتداء (وغير) خبره، والجملة خبر (أَنَّ) (١).

والمثوبة عند جمهور الناس بمعنى الثواب والأجر، وهذا هو الصحيح. وقال قوم: معناه لرجعة الله، من ثاب يُؤب، إذا رجع. واللام فيها لام القسم، لأنَّ لام الابتداء مستغنى عنها، وهذه لاغنى عنها. (١: ١٨٩) الطَّبْرَسِيّ: أي لأثبوا، وثواب الله خير. (١: ١٧٧) القُرْطُبِيّ: المثوبة: الثواب، وهي جواب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ عند قوم. وقال الأخفش سعيد: ليس

فيه لآمنوا واتقوا. وقد علموا لكنّه جهلهم لترك العمل بالعلم.

ويموز أن يكون (لَوْ) بمعنى التّسّي كما تقرّر، والله تعالى أعلم. (٣٩٤: ١)

أبوحيان: الّام لام الابتداء لا الواقعة في جواب (لَوْ) وجواب (لَوْ) محذوف لفهم المعنى. أي لأتّبعوا، ثمّ ابتدأ على طريق الإخبار الاستثنائي لأعلى طريق تعليقه بإيمانهم وتقواهم وترتبه عليها. هذا قول الأخفش، أعني أن الجواب محذوف.

وقيل: الّام هي الواقعة في جواب (لَوْ) والجواب هو قوله: (لَتَكُونَنَّ) أي الجملة الاسميّة. والأوّل اختيار الرّاضب، والثاني اختيار الرّخصيّ. [تمّ ذكر كلامه وأضاف:]

ومختاره غير مختار، لأنّه لم يُعهد في لسان العرب وقوع الجملة الابتدائية جواباً لـ(لَوْ) إنّما جاء هذا الاختلاف في تحريره. ولاسيب القواعد الكلّيّة بالاحتمال، وليس مثل «سلام عليكم» لثبوت رفع «سلام عليكم» من لسان العرب. ووجه من أجاز ذلك قوله: بأنّ (مَتُونَة) مصدر يقع للماضي والاستقبال، فصلح لذلك من حيث وقوعه للمضيّ. وقد تكلمنا على هذه المسألة في كتاب «التّكليم» من تأليفنا بأشبع من هذا.

وقرأ الجمهور (لَتُؤْتِي) بضمّ التاء كالمشوّرة، وقرأ قتادة وأبو السّمال وعبد الله بن بريدة بسكون التاء كمشوّرة.

ومعنى قوله: (لَتَكُونَنَّ) أي لشواب، وهو الجزاء والأجر على الإيمان والتقوى بأنواع الإحسان.

لـ(لَوْ) هنا جواب في اللفظ، ولكن في المعنى، والمعنى لأتّبعوا. (٥٦: ٢)

الْبَيْضَاوِيّ: «لَتَكُونَنَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» جواب (لَوْ) وأصله: لأتّبعوا مثوبة من عند الله خيراً ممّا خسروا به أنفسهم، فحذف الفعل وركّب الباقي جملة اسميّة لتدلّ على ثبات المثوبة. والجزم بخبريّتها، وحذف المفضّل عليه إجلالاً للمفضّل من أن يُنسب إليه، وتكثير المثوبة، لأنّ المعنى لشيء من الثواب خير.

وقيل: (لَوْ) للتّمنيّ، والمثوبة كلام مبتدأ. وقرئ (لَتَكُونَنَّ) كمشوّرة. إنّما سمّي الجزاء ثواباً ومثوبة، لأنّ المحسن يثوب إليه. (٧٤: ١)

نحوه أبو السّعود (١: ١٧٦)، والقاسميّ (٢: ٢١٥). الثّيسابوريّ: لشيء من ثوابه خير. ولا بدّ من تقدير فعل يكون (أَنْ) مع ما بعده فاعلاً له، أي لو ثبت أنّهم آمنوا. وجواب (لَوْ) محذوف أيضاً، ويدلّ عليه هذه الجملة الاسميّة المصدّرة بالّام، أي لأتّبعوا. وإنّما تُركت الفعلية إلى هذه، ليدلّ على ثبات المثوبة واستقرارها.

ويموز أن يكون التّسم مقدّراً، وقوله: (لَتَكُونَنَّ) جوابه سادماً مسدّ جواب الشرط، مُغنياً عنه، ودخول الّام الموطنة في الشرط غير واجب في القسم المقدّر وإن كان هو الأكثر، على أنّ دخول الّام الموطنة في (لَوْ) مستقل، فيُشبه أن يكون الأكثر، بل الواجب هاهنا عدم الدّخول.

ويموز أن يكون (لَوْ) للتّمنيّ مجازاً عن إرادة الله لإيمانهم. كأنّه قيل: وليتّهم آمنوا. ثمّ ابتدأ «لَتَكُونَنَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَفْلَحُونَ» أنّ ثواب الله خير ممّا هم

بذلك، لأنَّ الحسن يثوب إليه. والقول بأنَّ المراد بها:
الرجعة إليه تعالى، بعيد. (١: ٣٤٧)

٢- قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...

المائدة: ٦٠
ابن عباس: من له عقوبة عند الله. (٩٧)

السُّدِّيُّ: ثواباً عند الله. (الطَّبْرِيُّ ٦: ٢٩٣)

نحوه ابن الجوزي. (٢: ٣٨٧)

ابن زَيْد: المنوبة: الثواب. مشوبة الخير ومشوبة

الشَّرِّ. (الطَّبْرِيُّ ٦: ٢٩٣)

الفَرَّاء: نصبت (مُنُوبَةً) لأنها مفسرة، كقوله:

﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ عَالاً وَأَعَزُّ نَفْراً﴾ الكهف: ٣٤.

(١: ٣١٤)

أَبُو عُبَيْدَةَ: تقديرها «مُثَمَّلَةٌ» من الثواب، على

تقدير: مُضَيِّدَةٌ، من صِدْتُ، وَمُثَمَّلَةٌ، من شَمَلْتُ.

ومن قرأها (مُنُوبَةً) فجعل تقديرها: مفعولة^(١).

بمضلة مَضُوفَةٌ وَمُثَمَّلَةٌ. [ثم استشهد بشر] (١: ١٧٠)

الزَّجَّاج: أي بشر مما نعلم من إيماننا ثواباً.

و(مُنُوبَةً) منصوب على التمييز. (٢: ١٨٧)

نحوه الواحدي (٢: ٢٠٤)، والبغوي (٢: ٦٦).

والطَّبْرِيُّ (٢: ٢١٥).

الطُّوسِيّ: قوله: (مُنُوبَةً) معناها الثواب الذي هو

الجزء. ووزنها «مُفَعْلَةٌ» مثل مفعلة ومجوزة ومضوفة،

على معنى المصدر. [ثم استشهد بشر] (٣: ٥٧٤)

(١) كذا في الأصل: والطاهر: «مفعلة» بحذف عين الفعل.

كما ذكره الطُّوسِيّ أدناه.

وقيل: (لَمُنُوبَةً) لرجعة إلى الله خير مِنْ عِنْدِ

الله. هذا الجار والمجرور في موضع الصفة، أي كائنة من

عند الله، وهذا الوصف هو المسوِّغ لجواز الابتداء

بالنكرة.

وفي وصف «المنوبة» بكونها من عند الله تفخيم

وتعظيم لها، ولناسبة الإيمان والتقوى لذلك، كأن المعنى:

أَنَّ الَّذِي آمَنَ بِهِ وَاتَّقَيْتُمْ عَمَارَهُ هُوَ الَّذِي ثَوَابُكُمْ مِنْهُ

هَلْ ذَلِكَ، فهو المتكفل بذلك لكم. واكتفى بالتذكير في

ذلك إذ المعنى: لشيء من الثواب «قليلك لا يقال له

قليل». (١: ٣٣٥)

الشُّرَيْبِيُّ: أي ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه

للقسم، وقوله تعالى: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره، أي

خير مما اشترؤا به أنفسهم. (١: ٨٣)

البُزْؤُوسِيُّ: «مُثَمَّلَةٌ» من الثواب، وثاب يثُوب،

أي رجع. وسُمِّيَ الجزاء ثواباً، لأنه عوض عمل الحسن

يرجع إليه. وهو مبتدأ جواب (لَوْ) والتذكير للتقليل، أي

شيء قليل من الثواب كائن. (١: ١٩٦)

الآلُوسِيُّ: والمنوبة «مُثَمَّلَةٌ» بضم العين من

الثواب، فنقلت الصفة إلى ما قبلها، فهو مصدر ميمي،

وقيل «مفعولة» وأصلها: منُوبَةٌ، فنقلت صفة الواو إلى

ما قبلها، وحذفت لالتقاء الساكنين، فهي من المصادر

التي جاءت على «مفعولة» كحصدوقة، كما نقله

الواحدي. ويقال: مُنُوبَةٌ، يسكون الناء وفتح الواو،

وكان من حقها أن تُعْلَمَ، فيقال: مثابة كقمامة، إلا أنهم

صَحَّحُوا كما صحَّحوا في الأعلام: مُكَوَّزَةٌ، وبها قرأ

قَتَادَةُ وأبو السَّهْلِ، والمراد بها: الجزء والأجر، وسُمِّيَ

النَّيْسَابُورِيِّ: (مَثُوبَةٌ) نصب على التمييز من (شَرٌّ) وهي من المصادر التي جاءت على مفعول، كالميسور والجلود، ومنها المَثُورَةُ . وقرئ (مَثُوبَةٌ) كما يقال: مَثُورَةٌ.

والمثوبة: ضد العقوبة، واستعمال أحد الضدين مكان الآخر مجاز، رخصه إرادة التهكم، مثل: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١. (١٢٣: ٦) أبو هيثبان: مَثُوبَةٌ كمثونة، وتقدم توجيه القراءتين في: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ البقرة: ١٠٣.

وانتصب (مَثُوبَةٌ) هنا على التمييز، وجاء التركيب الأكثر الأنصح من تقديم المفضل عليه على التمييز، كقوله: ﴿وَمَنْ أَضْدَقُّ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧، وتقديم التمييز على المفضل أيضاً فصيح، كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ فصلت: ٢٣.

وهذه المثوبة هي في الحشر يوم القيامة، فإن لوحظ أصل الوضع فالمعنى مرجوعاً، ولا يدل إذ ذاك على معنى الإحسان، وإن لوحظ كثرة الاستعمال في الخير والإحسان فوضعت المثوبة هنا موضع العقوبة، على طريقة بينهم في:

﴿تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ﴾

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١. (٥١٨: ٢) الآلوسي: أي جزاء ثابتاً عنده تعالى، وهو مصدر ميمي، بمعنى الثواب، ويقال في الخير والشر، لأنه مارجع إلى إنسان من جزاء أفعاله سمي به، بتصور أن ماعمله يرجع إليه، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

الرَّمَحْشَرِيُّ: قرئ مَثُوبَةٌ ومَثُوبَةٌ، ومنها مشورة ومَثُورَةٌ.

فإن قلت: المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة.

قلت: وضعت المثوبة موضع العقوبة، على طريقة قوله:

﴿تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ﴾

ومنه: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١. (٦٢٥: ١)

نحوه الفَخْرُ الرَّازِيُّ (١٢: ٣٦)، والْبَيْضاوي (١): (٢٨٢)، والشَّرِيبِيُّ (١: ٢٨٣)، وأبو السُّعُود (٢: ٢٩١)، والكَشَافِيُّ (٢: ٤٨)، والْبَرْوسِيُّ (٢: ٤١١)، والقاسمي (٦: ٢٠٥٢)، وفضل الله (٨: ٢٤٢).

ابن عَطِيَّة: وقرأ أكثر الناس (مَثُوبَةٌ) بضم التاء وسكون الواو. وقرأ ابن بُريدة والأعرج ونبيع وابن عمران (مَثُوبَةٌ) بسكون التاء وفتح الواو. وقال أبو الفتح: هذا مما خرج عن أصله، شاذاً عن نظائره، ومثله قول العرب: «الفاكهة مَثُودَةٌ إلى الأذى» بسكون القاف وفتح الواو، والقياس: مثابة ومقادة.

وأما مَثُوبَةٌ بضم التاء فأصلها: مَثُوبَةٌ، ووزنها «مَفْعَلَةٌ» بضم العين، نقلت حركة الواو إلى التاء، وكانت قبل «مَثُوبَةٌ» مثل مَثُودَةٌ، والمعنى في القراءتين: مرجعاً عند الله، أي في الحشر يوم القيامة، تقول العرب: تاب يَتُوبُ، إذا رجع، منه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَوَّلَهُ﴾ البقرة: ١٢٥. (٢٦٠: ٢) نحوه الشَّرْطِيُّ.

(٢٣٤: ٦)

وأمر به، قال تعالى: ﴿وَعَاظَنَّا اللَّهَ تَائِيًا﴾ التحل: ٩٦،
وقال تعالى: ﴿لَا تُسْقِطُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الرعد: ٤١، فهذه
المثوبة مثوبة لازمة، لكونها عند الله سبحانه. (٦: ٢٩)
عبد الكريم الخطيب: في التعبير عن العقاب
الأليم هنا بلفظ المثوبة - أَلَيْ يُمَعَّرُ بِهَا في مقام الجزاء
الحسن - في هذا ما يشير إلى أَنَّ هذا العقاب هو الجزاء
الحسن الَّذِي يَحْمِلُ بِالْهُدَى - إذا هو قيس بما وراءه من
ألوان العقاب والتكال، الرائد لهم. (٣: ١١٢٩)
مكارم الشيرازي: [في الهامش] إِنَّ كلمة
(مَثُوبَةٌ) وكذلك كلمة (ثَوَاب) تعنيان - في الأصل -
الرجوع أو العودة إلى الحالة الأولى، كما تَحُلُّقان - أيضًا -
لتنعيا المصير والجزاء (الأجر أو العقاب) لكتبتها في
الفصل ثَمَانٍ في مجال الجزاء الحسن، وأحيانًا
تستخدمان كلمة «الثواب» بمعنى العقاب، وفي الآية
جاءت بمعنى المصير أو العقاب. (٤: ٦٥)

ثِيَابٌ

١- هَذَانِ خَمْسَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ.
الحج: ١٩
ابن عباس: حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات
التيار، وهي الثياب القصار. (الطبرسي: ٤: ٧٨)
أنس بن مالك: والمراد بالثياب إحاطة النار بهم،
كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾
الأعراف: ٤١. (الفخر الرازي: ٢٣: ٢٢)
سعيد بن جبير: ثياب من نحاس، وليس شيء

يُزَكِّيهِ الزَّلْزَالُ: ٧، ٨، حيث لم يقل سبحانه: يَرْجِئُهُ،
إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَرَ المتعارف استعماله في الخير، ومثله في ذلك
«المثوبة» واستعمالها هنا في الشَّرِّ على طريقة التهكم،
كقوله:

• تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ •

ونصبها على التحيز من (بَشَرٍ).
وقيل: يجوز أن تعمل مفعولاً له لِأَنَّ بَشَرَكُمْ أَي
هَلْ أُنَبِّئُكُمْ لطلب مثوبة عند الله تعالى في هذا الإنباء،
ويعتدل أن يصير سبب مخالفتكم ويفضي إلى هدايتكم،
وعليه فالمثوبة في المتعارف من استعمالها، وهو وإن
كان له وجه لكنه خلاف الظاهر.
وقرئ (مَثُوبَةٌ) بسكون التاء وفتح الواو، ومثلها
مَثُورَةٌ وَمَثُورَةٌ، خلافاً للحريري في إيجابه مَثُورَةٌ
كمعونة. (٦: ١٧٤)
رشيد رضا: المَثُوبَةُ كالمقولة، من ثَابَ الشيء
يُثَوِّبُ وَثَابَ إِلَيْهِ، إذا رجع، فهي الجزاء والثواب،
واستعماله في الجزاء الحسن أكثر، وقيل: استعماله في
الجزاء السيئ تهكم.

والمعنى هل أنبئكم بامعشر المستهزئين بديننا وأذاننا
بما هو شر من عملكم هذا ثواباً وجزاءً عند الله تعالى.

(٦: ٤٤٧)

نحو محمد جواد مغنّيه (٣: ٨٧)، والمراغي (٦: ٤٨)،
الطَّبَّاءُ طَبَّائِي: المراد بالمثوبة: مطلق الجزاء، ولعلها
استعملت للعاقبة والصفة اللازمة، كما يستفاد من تعييد
قوله: ﴿بَشَرٌ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ﴾ بقوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فَإِنَّ
الَّذِي عند الله هو أمر ثابت غير متغير، وقد حكم به الله

المتحقق. (١٧: ٣)

الآلوسي: أي أعد لهم ذلك، وكأنه شبه إصداق النار المحيطة بهم بتقطيع ثياب وتصليلها لهم على قدر جنتهم، في الكلام استمارة تمثيلية تهكّية، وليس هناك تقطيع ولا ثياب حقيقة، وكأن جمع الثياب للإيدان بتراكم النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض.

ووجود أن يكون ذلك لمقابلة الجمع بالجمع، والأول أبلغ. وعبر الماضي لأن الإعداد قد وقع، فليس من التمييز الماضي لتحققه، كما في «سُفِّعَ فِي الصُّورِ» الكهف: ٩٩، [تم نقل قول سعيد بن جبير وقال:]

فليست الثياب من نفس النار بل من شيء يشبهها، وتكون هذه الثياب كسوة لهم، وما أقبحها كسوة. ولذا قال وهب: يَكْسَى أَهْلَ النَّارِ، والثرى خير لهم.

(١٧: ١٣٤)

مكارم التميزازي: تبيين الآية أربعة أنواع من عقاب الكافرين المنكرين لله تعالى برعي منهم، والعقاب الأول حول لباسهم، فتقول الآية: «قَالُوا لَوْلَا كَفَرُوا فَكُنَّا لَكُمْ يَتَابِ مِنْ نَارٍ» ويمكن أن تكون هذه العبارة إشارة إلى لباسهم الذي أعد لهم من قطع من نار، أو كناية عن إحاطة نار جهنم بهم من كل جانب.

(١٠: ٢٧٨)

٢- عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ... الدهر: ٢١

راجع (سندس)

ثِيَابُهُنَّ

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ

مِنَ الْآيَةِ أَحْمَى وَأَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ. (الطبري: ١٧: ١٣٣)

الطبري: يقول تعالى ذكره: فَأَمَّا الْكَافِرُ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ يَنْقَضُ لَهُ قِيسٌ مِنْ نُحَاسٍ مِنْ نَارٍ. (١٧: ١٣٣) الرَّجُلُ: وجاء في التفسير: أَنَّ الثِّيَابَ الَّتِي مِنْ نَارٍ هِيَ نُحَاسٌ قَدْ أُذِيبَ. (٣: ٤١٩)

الماوردي: معناه أَنَّ النَّارَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِمْ كِإِحَاطَةِ الثِّيَابِ الْمَقْطُوعَةِ إِذَا لَبِسُوهَا عَلَيْهِمْ، فصارت من هذا الوجه ثيابًا، لَأَنَّهَا بِالإِحَاطَةِ كَالثِّيَابِ. (٤: ١٤) نحوه الشَّريفي (٢: ٥٤٤)، وأبو السعود (٤: ٣٧٥)، والبرزوسوي (٦: ١٨)، وشَّير (٤: ٢٣٤).

الطوسي: معناه إِنَّ النَّارَ تَحِيطُ بِهِمْ كِإِحَاطَةِ الثِّيَابِ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا. (٧: ٣٠٢)

مثله الطبرسي (٤: ٧٨)، ونحوه البيضاوي (٢: ٨٨). البقوي: [نقل قول سعيد بن جبير وأضاف:] وسَمِّيَ بِاسْمِ الثِّيَابِ لِأَنَّهَا تَحِيطُ بِهِمْ كِإِحَاطَةِ الثِّيَابِ. وقال بعضهم: يلبس أهل النار مقطعات من النار.

(٣: ٣٣٠)

مثله الخازن. (٥: ٨)

ابن عطية: معناه جعلت لهم بتقدير، كما يفصل القوب، وروي أنها من نحاس، وقيل: ليس شيء من الحجارة والفلز أحر منه. (٤: ١١٤)

القرطبي: شَبَّهَتِ النَّارُ بِالثِّيَابِ لِأَنَّهَا لِبَاسٌ لَهُمْ كَالثِّيَابِ. (١٢: ٢٦)

الشَّفي: كَانَ اللَّهُ يَقْدَرُ لَهُمُ نِيرَانًا عَلَى مَقَادِيرِ جَنَّتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِمْ، كَمَا تَقَطُّعُ الثِّيَابُ الْمَلْبُوسَةُ. واختير لفظ الماضي، لَأَنَّهُ كَانَ لِمَعَالَةِ، فهو كَالثَّابِتِ

فوق الخمار، والزَّداء الذي يكون فوق الثَّياب.

(١٨: ١٦٥)

نحوه الواحدِي (٣: ٣٢٨)، وابن الجَوْزِي (٦: ١٢).

الطُّوسِي: قيل: هو القناع الذي فوق الخمار، وهو

الجلباب، والزَّداء الذي يكون فوق الشَّمار. وفي قراءة

أهل البيت عليهم السلام (أَنْ يَضَعْنَ بَيْنَ تَيَابِهِنَّ) وبه قرأ أبي.

(٧: ٤٦١)

نحوه البَغَوِي (٣: ٤٢٩)، والحَازَن (٥: ٧٣)،

والشَّرِينِي (٢: ٦٤٠).

المُيَيْدِي: [نحو الطُّوسِي وأضاف:]

فأما الخمار لا يجوز وضعه. وقيل: الثَّياب في هذه

الآية هي الملاحف، والاستغفار هاهنا: الاستتار

بالملاحف. (٦: ٥٦٥)

الزَّمْعَشَرِي: المراد بالثَّياب: الثَّياب الطَّاهرة

كالملاحف والجلباب الذي فوق الخمار. (٣: ٧٦)

نحوه التَّيْضَاوِي (٢: ١٣٤)، والشَّسَنِي (٣: ١٥٤)،

وأبو السُّعْد (٤: ٤٨٣)، والبَرْزُوسِي (٦: ١٧٨)، وشَبْر

(٤: ٣٣٥)، والأكُوسِي (١٨: ٢١٦).

الطُّبْرَسِي: [نقل قول ابن مسعود وغيره وقال:]

قيل: ما فوق الخمار من المقانع وغيرها، أبيع لمن

التعود بين يدي الأجانب، في ثياب أبدانهم مكشوفة

الوجه واليد، فالمراد بالثَّياب ما ذكرناه لأكُلِّ الثَّياب.

(٤: ١٥٥)

الفَخْرُالْوَازِي: لاصبة أنه تحالى لم يأذن في أن

يضمن ثيابهن أجمع، لما فيه من كشف كلِّ عورة، فلذلك

قال المفسرون: المراد بالثَّياب هاهنا: الجلباب والبُرْد

عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ...

التور: ٦٠

ابن مسعود: الجلباب أو الزَّداء.

(الطُّبْرِي ١٨: ١٦٦)

مثله ابن عمر ومجاهد وأبي السَّخَاء وإبراهيم التَّغِي

والحسن وقَتَادَة والزُّهْرِي والأَوْزَاعِي.

(ابن كثير ٥: ١٢٥)

(الطُّبْرِي ١٨: ١٦٦)

هي الملعقة.

ابن عباس: من ثيابهن: الزَّداء عند الغريب.

(٢٩٩)

المرأة لا جناح أن تجلس في بيتها بدرع وخمار،

وتضع عنها الجلباب. (الطُّبْرِي ١٨: ١٦٥)

جابر بن زَيْد: خمارها وردها. (المأوُزِي ٤: ١٢١)

سعید بن جُبَيْر: هو الزَّداء. (الطُّبْرِي ١٨: ١٦٦)

مثله الفَرَّاء (٢: ٢٦١)، وابن قُتَيْبَة (٣٠٨).

الصَّعْبِي: تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت،

ولم تزوج.

فإن أبي بن كعب قرأ (أَنْ يَضَعْنَ بَيْنَ ثِيَابِهِنَّ).

(الطُّبْرِي ١٨: ١٦٦)

مُجَاهِد: في الدَّار والحجرة. (الطُّبْرِي ١٨: ١٦٧)

الصَّخَّالَة: يعني الجلباب، وهو القِنَاع.

(الطُّبْرِي ١٨: ١٦٥)

الإمام الصَّادِق عليه السلام: الجلباب والخمار، إذا كانت

المرأة مسنة. (الكاشاني ٣: ٤٤٧)

ابن زَيْد: وضع الخمار. (الطُّبْرِي ١٨: ١٦٦)

الطُّبْرِي: يعني جلابيبهن وهي القناع الذي يكون

والفتاع الذي فوق الخبار.

عملهم.

(٧: ٤)

الواحد: الآية إنما علّق الثواب بمجرد القول، لأنه سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيها قالوا، وهو المعرفة في قوله: ﴿رَبَّنَا غَرِّبْنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة: ٨٣، والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص، واستكانة القلب ومعرفة، إذا اقترن به القول، فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب. (٢: ٢١٩)

نحوه البغوي (٢: ٧٦)، والمسيبي (٣: ٢٠٨)، والطبرسي (٢: ٢٣٥)، والخازن (٢: ٦٩).

الزَّمْعَشَرِي: قرأ الحسن ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾: بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان، أي اعتقاده وما يذهب إليه. (١: ٦٣٩)

نحوه أبو السُّدُود. (٢: ٣١٣)

الغَفَرُ الرَّازِي: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ظاهر الآية يدل على أنهم إنما استحقوا ذلك الثواب بمجرد القول، لأنه تعالى قال: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ وذلك غير ممكن، لأن مجرد القول لا يفيد الثواب.

وأجابوا عنه من وجهين:

الأول: أنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيها قالوا، وهو المعرفة؛ وذلك هو قوله: ﴿رَبَّنَا غَرِّبْنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة: ٨٣، فلما حصلت المعرفة والإخلاص وكمال الانقياد ثم انضاف إليه القول، لاجرم كمل الإيمان.

الثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: قوله: ﴿رَبَّنَا قَالُوا﴾ يريد بما سألوا، يعني قولهم: ﴿فَأَكْبَبْنَا نَع

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿أَنْ يَضَعْنَ جَلَابِيبَهُنَّ﴾ وعن السدي عن شيوخه (أن يضعن خمرهن على رؤوسهن) وعن بعضهم أنه قرأ ﴿أَنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيَابِهِنَّ﴾.

نحوه التيسيري (١٨: ١٢٨)، وأبو حيان (٦: ٤٧٣). القاسمي: أي الظاهرة مما لا يكشف العورة، لدى الأجانب. (١٢: ٤٥٥٠)

ثِيَابَكَ

وِثْيَابَكَ فَطَهَّرَ. المدثر: ٤
راجع «ط هـ» (طهر):

أَنَابَهُمْ

١- فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَابَ تَجَرَى مِنْ تَهْجِيئَاتِ الْأَنْبَاءِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ.

المائدة: ٨٥

ابن عباس: أوجب الله لهم. (١٠٠)
الطبري: فجزاهم الله بقولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ الآية، بساتين تجري من تحتها الأنهار.

نحوه رشيد رضا (٧: ١٢)، والمرافي (٧: ٨). الطوسي: جازاهم الله بالتميم على العمل، كما أن العقاب: الجزاء بالعذاب على العمل. وأصل الثواب: الرجوع، ومنه قوله: ﴿هَلْ تُؤْتَوْنَ أَكْفَارًا مَا كَانُوا يُفْقَلُونَ﴾ المطففين: ٣٦، أي هل رجع إليهم جزاء

الشَّاهِدِينَ. المائدة: ٨٣

المسألة الثانية: الآية دالة على أَنَّ المؤمن الفاسق لا يثبت مَعْلَدًا في النار، وبيناه من وجهين:

الأول: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُخْسِفِينَ﴾ وهذا الإحسان لا بد وأن يكون هو الذي تَقَدَّمَ ذكره من المعرفة، وهو قوله: ﴿يَمَّا عَزَوْا مِنَّ الْحَقِّ﴾، ومن الإقرار به، وهو قوله: ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾. وإذا كان كذلك، فهذه الآية دالة على أَنَّ هذه المعرفة، وهذا الإقرار يوجب أن يحصل له هذا الثواب. وصاحب الكبيرة له هذه المعرفة وهذا الإقرار، فوجب أن يحصل له هذا الثواب. فَإِنَّا أَنْ يُنْقَلَ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ، وهو باطل بالإجماع، أو يقال: يعاقب على ذنبه ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْجَنَّةِ، وذلك هو المطلوب.

الثاني: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَهَنَّمَ﴾ المائدة: ٨٦، فقوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَهَنَّمَ﴾ يفيد الحصر، أي أولئك أصحاب الجحيم لا غيرهم، والمصاحب للشيء هو الملازم له الذي لا ينفك عنه، فهذا يقتضي تخصيص هذا الدوام بالكفار، فصارت هذه الآية من هذين الوجهين من أقوى الدلائل، على أَنَّ المخلود في النار لا يحصل للمؤمن الفاسق.

الْقَرْطُبِيُّ: دليل على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم، فأجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم، وهكذا من خلص إيمانه وصدق يقينه، يكون ثوابه الجنة.

(٦: ٢٦٠)

أَبُو حَتَّى: فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجَرَى مِنْ

فَحْشَتِهَا الْآخِرَةُ... ظاهره أَنَّ الإثابة بما ذكر مترتبة على مجرد القول، ولا بد أن يقترب بالقول الاعتقاد، وبين أَنَّهُ مقترب به أَنَّهُ قَالَ: ﴿يَمَّا عَزَوْا مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة: ٨٣، فوصفهم بالمعرفة، فدلَّ على اقتران القول بالعلم. [إلى أن قال:]

وقرأ الحسن (فَأَنَابَهُمُ) من الإيتاء بمعنى الإعطاء، لا من الإثابة. والإثابة أبلغ من الإعطاء، لأنَّه يلزم أن يكون عن عمل، بخلاف الإعطاء فإنه لا يلزم أن يكون عن عمل، ولذلك جاء أخيراً ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُخْسِفِينَ﴾ نَبِّهَ عَلَى أَنَّ تِلْكَ جَزَاءٌ، والجزاء لا يكون إلَّا عن عمل.

(٤: ٨)

نحوه الْآلُوسِيُّ.

(٧: ٦)

الشَّرِيفِيُّ: أي جعل ثوابهم على هذا القول المستند إلى خلوص النية الناشئ من حسن الطوعية.

(١: ٣٩٢)

محمد جواد مَفْنُونِي: فنهاده الله هذه الفتنة من التصارى بالإحسان وجزاؤها بالإنسان دليل قاطع على إسلامها، وأنها هي وحدها المقصودة بوصف الإحسان والثواب عليه.

(٣: ١١٦)

الطَّبْاطِبَائِيُّ: قوله تعالى: ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآيتين، الإثابة: الجزاء، والآية الأولى ذكر جزائهم، والآية الثانية فيها ذكر جزاء من خالفهم على طريق المقابلة، استيفاء للأقسام.

(٦: ٨٢)

نحوه مكارم الشيرازي.

(٤: ١٢٣)

٢- لَقَدْ رَحِمَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

وَأَتَابَهُمْ فَتَحَا قَرْيَتًا.

الفتح: ١٨

[بشر]

الطَّبْرِيّ: وعوضهم في العاجل مما رجوا الظَّهْر به، من غنائم أهل مكّة، بقتالهم أهلها فتَحَا قَرْيَتًا، وذلك فيما قيل: فتح خيبر.

ابن عَطِيَّة: وقرأ النَّاس (وَأَتَابَهُمْ)، قال هارون:

وقد قرئت: (وَأَتَابَهُمْ) بالثاء بتقطعين. (١٣٤: ٥)

التَّسْفِيّ: جازاهم. (١٦٠: ٤)

أَبُو حَيَّان: قرأ الحسن ونوح القارئ (وَأَتَابَهُمْ) أي أعطاهم، والجمهور (وَأَتَابَهُمْ) من الثواب. (٩٦: ٨)

التَّشْرِييْنِيّ: أعطاهم جزاءً لهم على ماؤجيوهم من الطّاعة. (٤٧: ٤)

نحوه المَرَاغِيّ.

البُزْزُوسِيّ: والثّواب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء عمل، يُستعمل في الخير والشرّ، لكن الأكثر

المتعارف في الخير. والإجابة تستعمل في العيوب، وقد قيل ذلك في المكروه، نحو: ﴿فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّكُمْ﴾

آل عمران: ١٥٣، على الاستعارة. (٣٥: ٩)

راجع «ف ت ح، فَتَحَا»

أَتَابَكُمْ

إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوَنَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَدْعُوَكُمْ فِي آخِرِكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَيْسَ لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا آصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

آل عمران: ١٥٣

ابن عباس: زادكم الله غمًّا على غمّ. (٥٨)

الفراء: الإجابة هاهنا في معنى عقاب. [ثمّ أمّ شهد

وقد يقول الرجل الذي قد اجترم إليك: لئن أتيتني لأُتَيْبَنَّكَ ثوابك، معناه: لأعاقبك، وربما أنكره من لا يعرف مذاهب العربية. (٢٣٩: ١)

الطَّبْرِيّ: يعني جازاكمم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم، ومعصيتكم ربكم غمًّا بغمّ،

يقول: غمًّا على غمّ. وسُمّي العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم، حتّى نال منهم مانال: توالها؛ إذ

كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يُرضه منهم، فدلّ بذلك جَلَّ ثأؤه أنّ كلّ عوض كالمعوض من شيء من

العمل - خيرًا كان أو شرًّا - أو العوض الذي بذله رجل لرجل، أو يد سلفت له إليه، فإنّه مستحقّ اسم ثواب،

كان ذلك العوض تكممة أو عقوبة. [ثمّ استشهد بشر] (١٣٤: ٤)

نحوه ابن عَطِيَّة. الطُّوسِيّ: في معناه قولان: أحدهما: أنّه إنّما قيل في القسم ثواب، لأنّ أصله

ما يرجع من الجزاء على الفعل طاعة كان أو معصية، ثمّ كثر في جزاء الطّاعة. [ثمّ استشهد بشر]

فعل هذا يكون القسم عقوبة لهم على فعلهم وهزيتهم.

والثاني: أن يكون وضع الشيء مكان غيره، كما قال: ﴿فَيَقْبِضُ لَهُمْ بِعَذَابِ الْبَإِمْ﴾ آل عمران: ٢١، أي ضمه

موضع البشارة. [ثمّ استشهد بشر] (٢١: ٣)

البَقَوِيّ: ﴿فَأَتَابَكُمْ﴾ فجازاكمم، جعل الإجابة بمعنى العقاب، وأصلها في الحسنات، لأنّه وضعها موضع

الماضي؛ إذ هي ظرف لما مضى، والمعنى إذ سعدتم
ومالوتم على أحد فأتاكم. (٨٤: ٣)

الآلوسي: عطف على (صَرَفَكُمْ)، والضمير
المستتر عائد على الله، والتعبير بالإتيان من باب التَّهَكُّم
على حدِّ قوله:

• تحية بينهم ضرب وجيع •

أو أنها مجاز عن المجازاة، أي فجازاكم الله تعالى بما
عصيت. (٩٢: ٤)

تُوب

هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. المطففين: ٣٦

ابن عباس: هل جوزي الكفار في الآخرة.

(٥٠: ٥)

نحوه مجاهد (الطبري ٣٠: ١١٢)، وأبو عبيدة (٢: ٢٩٠)،
والخازن (٧: ١٨٦).

قَتَادَةَ: معناه هل أُنِيبَ الكفار ما كانوا يعملون في
ال كفر. (المأوردي ٦: ٢٣٢)

نحوه الكاشاني: (٥: ٣٠٣)

الطبري: يقول تعالى ذكره: هل أُنِيبَ الكفار
وجُزُوا نواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين.

(وتُوب) فعل من التوب والمجازة. يقال منه: تُوبَ
فلان فلاناً على صنيعته، وأتابه منه. (٣٠: ١١٢)

الزجاج: أي هل جوزوا بسُخْرِيَّتِهِم بالمؤمنين في
الدنيا، ويقرأ (هتُوب) بإدغام اللام في التاء.

(٥: ٣٠١)

نحوه التنسي (٤: ٣٤٢)، وابن الجوزي (٩: ٦٦)،

الثواب، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، جعل
البشارة في العذاب، ومعناه جعل مكان الثواب الذي
كنتم ترجون ﴿عَذَابًا بِقَمٍّ﴾. (٥٢٣: ١)

المثبدي: أي جازاكم، والثواب يكون خيراً
ويكون شراً، كالبشارة تكون بخير وبشر. (٣١١: ٢)
الزمخشري: عطف على (صَرَفَكُمْ) أي فجازاكم
الله. [إلى أن قال:]

ويجوز أن يكون الضمير في ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ للرسول، أي
فأساكم في الاغتمام. (٤٧١: ١)

نحوه ابن الجوزي (١: ٤٧٧)، والبعضاوي (١: ١٨٧)،
والنسي (١: ١٨٨)، وأبو السعود (٢: ٤٩)،
والبروسوي (٢: ١١١)، وشبر (١: ٣٨٥)، والقاسمي
(٤: ١٠٠).

أبو حيان: [نقل قول الزمخشري ثم قال:] هو
خلاف الظاهر، لأن المسند إليه الأفعال السابقة هو الله
تعالى؛ وذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾
وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا
عَنْكُمْ﴾ آل عمران: ١٥٢، فيكون قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾
مسنداً إلى الله تعالى. وذكر الرسول إنما جاء في جملة
حالية نعى عليهم فرارهم، مع كون من اهتموا على يده
يدعوه، فلم يبيح مقصوداً لأن يحدث عنه، إنما الجملة
التي ذكر فيها في تقدير المنفرد؛ إذ هي حال. وقال
«الزمخشري» ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ عطف على (صَرَفَكُمْ).

وفيه بُعد، لطول الفصل بين المتماطفين، والذي
يظهر أنه مطوف على ﴿تَضِعُونَ وَلَا تَلْتَوُونَ﴾ لأنه
مضارع في معنى الماضي، لأن (إذ) تصرف المضارع إلى

والتيضايي (٢: ٥٤٧).

الماوردي: هذا سؤال المؤمنين في الجنة عن الكفار حين فارقومهم، وفيه تأويلان. [ثم ذكر قول قتادة ومجاهد المتقدم وأضاف:]

فيكون (تُؤَبِّ) مأخوذاً من إعطاء الثواب.

ويعتدل تأويلًا ثالثًا: أن يكون معناه هل رجع الكفار في الآخرة عن تكذيبهم في الدنيا؟ على وجه التوبيخ، ويكون مأخوذاً من «المناب» الذي هو الرجوع، لامن الثواب الذي هو الجزاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْيَتِيمَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ البقرة: ١٢٥، أي مرجعًا.

ويعتدل تأويلًا رابعًا: هل رجع من عذاب الكفار على ما كانوا يفعلون؟ لأنهم قد علموا أنهم عُذِّبُوا، وجاز أن يظنوا في كرم الله أنهم قد رُحِمُوا. (٦: ٢٣٢)

الطوسي: قيل في معناه قولان: أحدهما: هل جوزي الكفار إذا فُعل بهم هذا الذي ذكر (يَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ)؟

الثاني: يظنون هل جوزي الكفار؟ فيكون موضعه نصبًا بـ (يَفْعَلُونَ) والأوّل استئناف لاموضع له. وإنما قال: ﴿هَلْ تُؤَبِّ﴾ لأن الثواب في أصل اللّغة الجزاء الذي يرجع على العامل بعمله، وإن كان الجزاء بالتعميم على الأعمال. [لأن أن قال:]

وقال قوم: يقول المؤمنون بعضهم لبعض: هل جوزي الكفار ما كانوا يفعلون سرورًا بما ينزل بهم. ويجوز أن يكون ذلك من قول الله أو قول الملائكة للمؤمنين، تنبيهًا لهم أنه جوزي الكفار على كفرهم

وقال قوم: يقول المؤمنون بعضهم لبعض: هل جوزي الكفار ما كانوا يفعلون سرورًا بما ينزل بهم. ويجوز أن يكون ذلك من قول الله أو قول الملائكة للمؤمنين، تنبيهًا لهم أنه جوزي الكفار على كفرهم

وقيل: معناه يتصل بما قبله، ويكون التقدير: أن الذين آمنوا يظنون هل جوزي الكفار بأعمالهم؟

وسخريتهم بالمؤمنين، وهزمهم بأنواع العذاب، ليزدادوا بذلك سرورًا إلى سرورهم. (١٠: ٣٠٦)

الواحدوي: أي هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا؟ ومعنى الاستفهام هاهنا: التقرير. (وتُؤَبِّ) بمعنى أُثِيب. (٤: ٤٥٠)

نحوه الميضي (١٠: ٤٢٠)، والبغوي (٥: ٢٢٧)، والمرآني (٣٠: ٨٦).

الزمخشري: توبه وأصابه، بمعنى إذا جازاء. [ثم استشهد بشعر]

وقرى بإدغام اللام في التاء. (٤: ٢٢٣)

نحوه الفخر الرازي (٣١: ١٠٢)، وأبو السعود (٦: ٣٩٩)، ومجتمّع اللغة (١: ١٧٧).

ابن عطية: تقرير وتوقيف لمستعملها وأنته. ويعتدل أن يريد: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ هل تُؤَبِّ والمعنى هل جوزي، ويعتدل أن يكون المعنى يقول بعضهم لبعض.

وقرأ ابن عبيد وأبو عمرو وحمنة والكسائي: (هتوب) بإدغام اللام في التاء.

قال سيويه: وذلك حسن وإن كان دون إدغام في الزاء، لتقاربها في الفرج. وقرأ الباقون: ﴿هَلْ تُؤَبِّ﴾ لا يدغمون. (٥: ٤٥٥)

الطبرسي: أي هل جوزي الكفار إذا فُعل بهم هذا الذي ذكره، على ما كان يفعلونه من السخرية بالمؤمنين في الدنيا، وهو استفهام يراد به التقرير، (وتُؤَبِّ) بمعنى أُثِيب.

وقيل: معناه يتصل بما قبله، ويكون التقدير: أن الذين آمنوا يظنون هل جوزي الكفار بأعمالهم؟

الآلوسي: والتثويب والإثابة: المجازاة، ويقال:
تؤيبه وأثابه، إذا جازاه. [تم استشهد بشعر]

وظاهر كلامهم إطلاق ذلك على المجازاة بالخير
والشر، واشتهر بالمجازاة بالخير. وجوز حمله عليه هنا
على أن المراد التكميم، كما قيل به في قوله تعالى:
﴿فَنَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١، و﴿ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْكَافِرُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان: ٤٩، كأنه تعالى يقول
للمؤمنين: هل أنبأنا هؤلاء على ما كانوا يفعلون كما
أنبأناكم على ما كنتم تعملون؟ فيكون هذا القول زائداً في
سرورهم، لما فيه من تعظيمهم والاستغفار بأعدائهم.
والجملة الاستفهامية حيثن معموله لقول محذوف
وقع حالاً من ضمير (يَضْحَكُونَ) أو من ضمير
(يَنْظُرُونَ)، أي يضحكون أو ينظرون، مقولاً لهم: هل
تؤيب إلخ، ولم يتعرض لذلك الجمهور.

وفي «البحر» الاستفهام لتقرير المؤمنين، والمعنى قد
جوزي الكفار ما كانوا إلخ. وقيل: (هَلْ تُؤَيَّبُ) متعلق
بـ(يَنْظُرُونَ)، والجملة في موضع نصب به بعد إسقاط
حرف الجزاء الذي هو «إلى» انتهى.

و(ما) مصدرية أو موصولة والعائد محذوف، أي
يفعلونه، والكلام بتقدير مضاف، أي ثواب أو جزاء
ماكانوا إلخ، وقيل: هو بتقدير بآء السببية، أي هل تؤيب
الكفار بما كانوا...

وقرأ التحويتان وحزمة وابن محيصين بإدغام اللام في
الثاء، والله تعالى أعلم. (٧٨: ٣٠)

نحوه القاسمي. (١٧: ٤-٦١)
الطباطبائي: قوله: (هَلْ تُؤَيَّبُ) إلخ متعلق بقوله:

وتكون الجملة متعلقة بـ(يَنْظُرُونَ) وعلى القول الأول
يكون استئناف كلام لاموضع له من الإعراب.

وإنما قيل: هل تؤيب الكفار، فاستعمل لفظ الثواب
في العقوبة، لأن الثواب في أصل اللغة: الجزاء الذي
يرجع إلى العامل بعمله، وإن كان في الثرف اختص إلى
الجزاء بالتعيم على الأعمال الصالحة، فاستعمل هنا على
أصله. وقيل: لأنه جاء في مقابلة ما فعل بالمؤمنين، أي
هل تؤيب الكفار كما تؤيب المؤمنين.

وهذا القول يكون من قبيل الله تعالى أو نقوله
الملائكة للمؤمنين، تنبيهاً لهم على أن الكفار جُوزوا على
كفرهم واستزائهم بالمؤمنين مااستحقوه من أليم
العذاب، ليزدادوا بذلك سروراً إلى سرورهم.

ويحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم
لبعض سروراً بما يزل بالكفار.

وكل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول إذا
كانت الجملة كلاً مستأنفاً، لا متعلقاً به بما قبله.

(٥: ٤٥٧)

نحوه القرطبي (١٩: ٢٦٦)، وأبو حيان (٨: ٤٤٣).

ابن كثير: أي هل جوزي الكفار على ماكانوا
يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتفقيص، أم لا يعني
قد جُوزوا أو فر الجزاء وأثمه وأكملته. (٧: ٢٤٤)

البزوصوي: كلام مستأنف من قبل الله أو من قبل
الملائكة والاستفهام للتقرير، وتؤيب بمعنى يؤوب، عير
عنه بالماضي لتحققه. والتثويب والإثابة: المجازاة،
استعمل في المكافأة بالشر. [تم ذكر قول بعض
النوويين] (١٠: ٣٧٤)

(يَنْظُرُونَ) قائم مقام المفعول.
والمعنى: الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى سُرْرٍ فِي الْمَجَالِ، ينظرون إلى جزاء الكفار بأفعالهم الَّتِي كَانُوا يَفْعَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا.
(٢٠: ٢٤٠)

وما ينبغي أن يكون كنتيجة طبيعية لاستهزاءهم بالمؤمنين وبآيات الله في الحياة الدنيا، ومعاليهم إلا أن يستقبلوا جزاء ما كسبت أيديهم.
(٢٠: ٤٤)

الْوُجُوه وَالنَّظَائِرُ

الْحَيْرِيُّ: الثَّوَابُ عَلَى سِتَّةِ أَوْجِهٍ:

أحدها: الفتح والغنيمة. كقوله: ﴿فَأَنبِئْهُمْ أَنَّ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ آل عمران: ١٤٨، وقوله: ﴿وَأَنبِئْهُمْ فَشَحًّا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨.

والثاني: منفعة الدنيا. كقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ آل عمران: ١٤٥، وقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ النساء: ١٣٤.

والثالث: الزيادة. كقوله: ﴿فَأَنبِئْكُمْ غَسًّا بِغَمٍّ﴾ آل عمران: ١٥٣، يعني فزادكم غمًا على غم.

والرابع: ثواب الآخرة. كقوله: ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران: ١٩٥، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَسُّوهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ البقرة: ١٠٣.

والخامس: العقوبة. كقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَسُّوهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟﴾ المائدة: ٦٠، يعني العقوبة.

والسادس: الجزاء. كقوله: ﴿هَلْ تُؤْتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المطففين: ٣٦. (١٦٤)
نحوه الدامغان. (١٩٨)

فهذا القول سواء كان صدره من الله، أو من الملائكة، أو من المؤمنين، فهو في كل الحالات يمثل طمنا واستهزاءً بأفكار وإدعاءات أولئك المغرورين، الَّذِينَ كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ اللَّهَ سَيُجِيبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْقَسِيحَةِ، وَيَأْتِيهِمُ الدَّاءُ رَدًّا عَلَى خَطْلِ تَكْبِيرِهِمْ ﴿هَلْ تُؤْتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ؟﴾

واعتبر كثير من المفسرين أن الآية جملة مستقلة، في حين اعتبرها آخرون تابعة للآية التي قبلها، أي إنَّ الْمُؤْمِنِينَ سَيَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا يَصِيبُ الْكُفَّارَ مِنْ جَزَاءٍ.

نعم، فإن كانوا يرجون ثواباً فليأخذوه من الشَّيْطَانِ! ولكن، هل بإمكان هذا اللعين المظروء من رحمة الله أن يجيبهم على ما عملوا له؟!

أَوْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى مَا يَصِيبُ الْكُفَّارَ مِنْ عِقَابٍ، فالجزاء يستعمل للثَّوَابِ والعقاب، كما سيأتي.

ثَوْبٌ: من الثَّوْبِ عَلَى وَزْنِ «المخوف»، وهو رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها، والثَّوَابُ: ما يرجع إلى الإنسان جزاء أعماله، ويستعمل للخير والشرِّ أيضاً، ولكن استعماله للخير هو الغالب.

أو كاد. وثاب ماء البئر: عادت مجيئها، ويثر ذات ثيب وغيب، إذا استقي منها عاد مكانه ماء آخر.

وثاب الرجل يُثَوِّب ثوبًا وثوبًا: رجع بعد ذهابه، وثاب فلان إلى الله وأثاب وشوَّب: عادَ ورجع إلى طاعته، فهو ثَوَّاب، أي منيب.

وثاب الشيء ثوبًا وثوبًا: رجع، وذهب مال فلان فاستتاب مالا، أي استرجع مالا.

وثاب إلى العليل جسده وأثاب: حسنت حاله بعد تحوله، ورجعت إليه صحته، وأثاب الرجل: ثاب إليه جسده وصلح بدنه، وثاب إليه عقله: رجع.

ومنه: حديث أم سلمة: أنها قالت لما شاة حين أرادت الخروج إلى البصرة: «إن عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال»، قال ابن الأثير: «أي لا يعاد إلى استوائه، من: ثاب يُثَوِّب، إذا رجع».

والثابة: المرجع والمنزل، لأن أهله يثوبون إليه، أي يرجعون، وهو المثاب أيضًا، وثابة الناس ومثابهم: مجتمعهم بعد التفرق، والمثابة: حباله الصائد، لأنها مثابة الصيد.

والتواب: الثعل، لأنها ثوب، وقيل: العسل، لأن الثعل يُثَوِّب إليه.

والتوب: اللباس، لأنه ثاب لباسًا بعد أن كان قفًا أو غزلًا، أو رجوع الفزل إلى الحالة التي قُدِّرَتْ له، والجمع: أنواب وثياب وأنشوب. والتواب: صاحب الثياب، يقال: أثبت التوب إثابةً، أي كَفَّفَتْ عنخله، ومن المجاز: فلانٌ دَبَسَ الثياب، أي خبث الفعل والمذهب،

الغيزوز آبادي؛ وقد ورد [التوب] في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: توب الفراغ والاستراحة ﴿وَجِئْنَا نَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ التور: ٥٨.

الثاني: لباس التجميل والزينة ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ التور: ٦٠.

الثالث: ثياب الغفلة والجراءة ﴿وَأَسْتَفْهَمُوا ثِيَابَهُمْ﴾ نوح: ٧.

الرابع: لصناديد فريش توب الاطلاع على السر والملاية ﴿أَلَا جِئْنَا نَسْتَفْهَمُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ هود: ٥.

الخامس: للشيء ﴿تُوبُ الصَّلَاةِ وَالطَّهَارَةِ﴾ وَيُثَابُهُ قَطْرُهُ المذتر: ٤.

السادس: للكفار توب العذاب والعقوبة ﴿قَطَطْنَا لَهُمْ ثِيَابًا مِنْ نَارٍ﴾ الحج: ١٩.

السابع: لأهل الإيمان توب العز والكرامة ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَأَشْهُرٌ﴾ الذر: ٢١.

الثامن: للخواص ثياب التصرة والخضرة، في الحضرة (١) ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾ الكهف: ٣١. (بصائر ذوي التمييز: ٢: ٣٣٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التوب، أي الرجوع، وهو توب ماء الموض والبئر، ثم استعمل في ثوب الناس وسائر الأشياء الأخرى؛ يقال: ثاب الماء يُثَوِّب ثوبًا، إذا اجتمع في ثاب الموض، وهو وسطه الذي يُثَوِّب إليه الماء إذا استفرغ. وثاب الموض يُثَوِّب ثوبًا وثوبًا: امتلأ

غيب العرض. فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ مِثْلَةَ أَيْسَابِكُمْ» التحريم: ٢، أي

تحليلها.

والمشهور في الأسماء الثنائية المختومة بالهاء - مثل: الثَّيْبَةُ - إما أن تكون محذوفة «الفاء» مثل: عدة، والأصل «وعدة»، أو محذوفة اللام مثل «سته»، والأصل «سنو»، و«الثَّيْبَةُ» مما حذف لامه، اظر مادة «ث ب ي».

٣- إِنْ بَيْنَ «ثَاب» و«ثَاب» آصرة وثيقة لفظاً ومعنى، إلّا أَنْ «ثَاب» معروف في اللغات السامية قاطبة. اظر «ث و ب».

الاستعمال القرآني

جاءت فعلاً ماضياً معلوماً ٣ مرات وبمجهول مرة، واسم مصدر بلفظين ١٥ مرة، واسم مكان مرة، واسماً ٨ مرات في ٢٣ آية:

١- ﴿وَإِذْ تُضْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَعْدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَسَىٰ بِكُمْ لَكَيْلًا تَهْسَرُوهَا عَلَىٰ عَاقِبَتِكُمْ وَلَا تَأْصَابِكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

آل عمران: ١٥٣

٢- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَقَامَهُمْ فَشَحَا قَرِيبًا﴾

الفتح: ١٨

٣- ﴿فَأَقَامَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾

المائدة: ٨٥

٤- ﴿هَلْ يُؤْتِي النِّكَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

المطففين: ٣٦

والتواب: جزاء الطاعة، وهو المتوبة أيضاً؛ يقال: أتابه الله توابه، وأتوبه وتوبته متوبته، أي أعطاه إيتاها، وأتابه متوبة حسنة، وأتابه يشبه إتاباً وتوباً؛ جازاه على صنيعه، في الخير والشر - وهو في الخير أخص - وتوبته الله من كذا: عوّضه. وكذا أتاب الرجل فلاناً على فعله: جازاه عليه، واستتاب الله: سأله أن يشبهه.

والتتوب: تتبئة الذمّاء، يقال: تَوَبَّ الداعي توتباً، أي عاد مرة بعد أخرى، وتَوَبَّ المؤذن توتباً: نادى بالأذان للناس إلى الصلاة مرة بعد أخرى.

٢- وجعل الزَّجَاج «الثَّيْبَةُ» من: ثاب الماء يُتَوَّب، أي رجع، واستدلّ بتصغيرها على «تَوْبِيَّتِهِ». وبه قال الجوهري أيضاً، إلّا أنّه استدلّ بحذف الواو وتعويس الهاء منها، ومثّل بالفعل أَقَامَ إِقَامَةً، والأصل إِقْوَامًا.

ولارِب أَنْ ما استدلّ به الزَّجَاج شديد، إن ثبت «تَوْبِيَّتِهِ» تصغيراً لثيْبَةٍ، ونحسب ماحكاه في تصغيرها هو من قياس النعامة، وليس من التباع.

وأما ما مثّل به الجوهري فهو مقصور على مصادر الأفعال الجوفاء، مثل: أقام يقيم إقامة، واستعاذ يستعذ استعاذة، والأصل استعوأذ. ومصادر الأفعال الناقصة، مثل: زكى يزكي تزكية، ومصادر الأفعال المهموزة، مثل: خطأ يخطئ تخطئة.

فضلاً عن ذلك فإنّ بعض المصادر التي تتعاقب فيها الواو والهاء - بتعويض الثاني عن الأول - ليست مطردة، كقوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ السُّلُوءَ﴾ الأنبياء: ٧٣، وغيره. وربما تظهر الهاء دون ما ذكر، كقوله تعالى: ﴿قَدْ

٢٣- ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مِّنَ الدَّاعِيْنَ أَدْعُوهُمْ لِيَتَّقِيَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
أَصَابِيَهُمْ فِي أَذْنَانِهِمْ وَاسْتَفْسَحُوا سَبَابَهُمْ وَأَصْحَرُوا
وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾

يلاحظ أنَّ فيها ثلاثة محاور:

المحور الأول: بمعنى التواب، وفيه محوت:

١- جاء الفعل من باب «الإفعال» معلوماً (٣) مرّات
في (١) و(٢) و(٣)، ومن باب «التفعليل» بسهولة مرّة
واحدة في (٤)، والفاعل هو الله في المعلوم، وفي المجهول
أيضاً محذوفاً.

٢- اثنان من هذه الأربع - وهما (١) و(٢) - في
الدنيا، إحداهما عذاب، والأخرى ثواب، واثنان منها -
وهما (٣) و(٤) - في الآخرة: كذلك: إحداهما ثواب
والأخرى عذاب.

٣- يبدو أنَّ صيغة «التفعليل» في (٤) للتشديد
والمبالغة، وقد أكدها الفعل المجهول، لأنَّ المجهول بالفاعل
يشدد معنى الفعل ظهير ﴿وَقَتَّلُوا نَفْسَيْهَا﴾ الأحزاب: ٦١.

٤- اختلفوا في إعراب هذه الآية، وفي معناها، وفي
الاستفهام:

أما إعرابها فقيل: إنَّ محلّها نصب بل يَنْظُرُونَ في
قوله: ﴿عَلَى الْأَرْئِثِكِ يَنْظُرُونَ﴾، أي إنَّ المؤمنين وهم
على أرائكهم في الجنة ينظرون إلى الكفار في النار - هل
جُوزوا بما عملوا في الدنيا من الاستهزاء بالمؤمنين،
ليسرّوا بذلك؟ وقيل: إنَّها مستأنفة - قولاً من الله أو
الرسول أو المؤمنين بعضهم لبعض - هل الكفار جُوزوا بما
عملوا؟ وما على القولين إمّا مصدرية أو موصولة،
والماند محذوف، وكذلك (الباء)، أي بما كانوا يفعلونه.

وأما معناها: هل الكفار جُوزوا العذاب بمسلمهم - لو
أُريد بالتواب مناه الأعم وهو الجزاء، أو أُريد به التواب
تهمكاً وسخرية - أو هل الكفار أنسيوا بأعمالهم بمثل
ما أُتيب المؤمنون بأعمالهم؟ وعليه فالثواب بمناء الخاص،
وعندنا أنّها متعلّقة بل يَنْظُرُونَ، وليست مستأنفة،
وإلا يبيح (يَنْظُرُونَ) بلا متعلّق، ومعناها - كما قال
الطباطبائيّ - المؤمنون على سرر في الجبال، ينظرون إلى
جزاء الكفار بأعمالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وعليه
فمحذوف «إلى» كما حذف مدخولها، أي الكفار، اكتفاءً
بالجملة الاستهزامية التي وضعت موضع متعلّق
(يَنْظُرُونَ).

وسواء كانت (ما) موصولة - وهو الأقرب، لوجود
(كأنوا) - أم مصدرية، فالباء مقدّرة، أي تُؤبوا بما كانوا
يعملون، ولنا أن تفرّق بين الفعل المعلوم والمجهول، أو بين
«تُؤَبِّ» و«أَتَابَ» بلزوم «الباء» في الثاني دون الأول.
ولكن الرّخسريّ قال: «تُؤَبِّه وأَنَابَه، إذا جازاه».

ولنا القول: بأنَّ «تُؤَبِّ» من «المتأبّة» بمعنى الرجوع،
أي هل رجع الكفار عن تكذيبهم، أو من «التوب»، أي
هل ألبس الكفار ثوب العذاب على أعمالهم؟ فبيد جدّاً.
وأما الاستفهام فقيل: إنَّه سؤال المؤمنين الكفار
- بناء على الاستئناف - حقيقة أو توبيخاً لهم، هل
جُوزوا بأعمالهم؟ أو هل رجعوا عن أعمالهم؟ أو هل رجع
الله في عذابهم، ظلماً بكرم الله بهم؟ فكلّ ذلك بعيد عن
السياق، لأنّا فضلنا أنّها متعلّقة بل يَنْظُرُونَ، فلا استفهام
حقيقيّ، وهو حديث نفس للمؤمنين، لينظروا ما يؤول
إليه حال الكفار.

المورد الثالث: بمعنى الثوب، وفيه بحث:

١- أنه جاء (٨) مرّات: (٩) و (١٧ - ٢٢)، وكلّها جمع، لأنّ الإنسان يلبس في أغلب الأحوال ثياباً دون ثوب واحد، أو الجمع فيها لمعاظ المضاف إليه، مثل: ﴿فَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ المائدة: ٦، فلكلّ إنسان وجه واحد، إلّا أنّه جمع لما أُضيف إلى المؤمنين.

٢- جاء ثلاث منها وصف لثياب الآخرة: إحداها عذاب (١٧): ﴿فَقُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾، وانّتان ثواب (١٨): ﴿وَعَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَاسْتَبْرَقٌ﴾ و (٩): ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ﴾، فالثواب والرّاحة فيها غلباً على العذاب والتّعقّب في الآخرة. وهذا هو المرجو من الله الرّحمن الرّحيم.

٣- أريد بالثياب من ناحية الرّاحة والثواب حقيقة، وهي ثياب من سندس خضر وإستبرق.

أما في ناحية العذاب فظاهر ﴿فَقُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ أنّها استعارة تمثيلية تمكّية، حيث شبه إعداد النار المحيطة بهم بتقطع ثياب وتفصيلها لهم على قدر جنتهم. والمراد بها أنّ النار تحيط بهم، وتتصل بأجسادهم إحاطة الثياب وأتصالها بها. وكأنّ جمع الثياب فيها للإيذان بترامك النار المحيطة بهم، وكون بعضها فوق بعض كالثياب تماماً، لاحظ الأكويتي، وراجع «سندس» و«إستبرق».

٤- أما الخمسة الباقية من «الثياب» فهي ثياب الدنيا على الترتيب التالي:

(١٩): ﴿وَيُنَادِيكَ فَطَّرَ﴾ راجع إلى تطهير الثياب للعلاء، أو للتزوّج والطلاق.

٥- جاء «الثواب» اسم مصدر في ثواب الدنيا والآخرة (٣) مرّات: (٥ - ٧)، وفي ثواب الآخرة (٥) مرّات: (٩ - ١٣).

٦- جاء «مؤبّة» مرّتين: إحداها خير وخاصّ بالآخرة في (١٤)، والأخرى شرّ وخاصّ بالدنيا في (١٥).

المورد الثاني: بمعنى الرجوع مرّة واحدة بلفظ (مثابة) في (١٦): ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، لأنّ الناس يرجعون إلى هذا البيت مرّة بعد أخرى. قيل: إنّ الثاء في (مثابة) مثلها في «نسيابة» و«سيتارة» للكثير، وقيل: إنّهُ للوحدة، مثل: المقام والمقامة، وعن أبي عبيدة: أنّه مصدر ثابّ يُؤبّ جاء بمعنى اسم المكان - أي يرجعون إليه، وهو الأقرب، لاحظ الطّبري وغيره، وفيها بحث:

١- طرح الفخر الرّازي في هذه الآية سؤالاً، وهو أنّ الرجوع إلى البيت يحصل بفعلهم، فلم ينسب إلى الله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾؟ وأجاب عنه وفق قول الأضاعرة والمعتزلة في أفعال العباد، ولا ربط لها بذلك، فلاحظ.

٢- وذكر أنّ بعضهم تمسك بالآية على وجوب السّرة، وأطال البحث فيه، ولادلالة فيها على ذلك.

٣- قيل: إنّ (المثابة) تستضمن معنى الرّاحة والاستقرار، لأنّ بيت الإنسان - وهو محلّ عودته الدائم - مكان للرّاحة والاستقرار، وتؤكد هذا المعنى كلمة (أثناً)، وتوضّح كلمة (لِّلنَّاسِ) أنّه قاعدة لأمن عامّ للناس وللشعوب، لاسيّما المرومين، لاحظ «أم ن».

(٢٠): ﴿وَجِينَ تَصْحُونِ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾

راجع إلى أوقات دخول الذين لم يبلغوا المحلّم على صاحب البيت.

(٢١): ﴿أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ راجع إلى القواعد من

النساء اللّاتي لا يرجون نكاحاً، وقد خَصَّوا ثيابهنّ بالجلباب والخمار دون ماسواها من الثياب، لاحظ التصوص، فهذه الثلاثة تشريع.

(٢٢): ﴿يَسْتَقْبِلُونِ ثِيَابَهُمْ﴾ و(٢٣): ﴿وَاسْتَغْفِرُوا

ثِيَابَهُمْ﴾ راجع إلى استغشاء الكفار ثيابهم، أي وضعوها على رؤوسهم استكباراً واحتراراً من سماع الآيات، فالأولى راجعة إلى مشركي مكّة، والثانية إلى قوم نوح، لاحظ «ث ن ي».

تنبيهات:

الأول: (١٥) آية منها مدنيّة، بناء على كون سورة الحجّ مدنيّة، و(٩) آيات مكّيّة، فالمدنيّة منها غالب على المكّي نسبة $\frac{9}{10}$ ، وهو يحكي شيوع هذه اللّغة في البلدين، واختلاف العدد يرجع إلى المواضيع دون عادة البلدين.

الثاني: أن الآيات بجميع معانيها مشتركة بين الدّنيا والآخرة، إلّا أن جانب الدّنيا راجع على الآخرة، لأنّ أكثرها مدنيّة، وهو إمّا تشريع، أو أجر على جهاد، وكلاهما من شؤون المدينة.

الثالث: أن جانب الرّحمة فيها غلب جانب العذاب، فقد غلبت رحمته عذابه دائماً.

ثور

٣ الألفاظ، ٥ مرات : ٤ مكيّة، ١ مدنيّة

في ٣ سور : ٢ مكيّة، ١ مدنيّة

موضعها.

أَنْزَلَ ١: ١

أَنَارُوا ١: ١

تُبِير ١- ٢: ٣

ونار الدّم في وجهه: تَقَشَّى فيه، وظهر..والمَغْرِب
مالم يَسْقُط ثَوْر الشَّمْس. والثَّوْر: الحُمْرة التي بعد سقوط
الشَّمْس لانتها ثَوْر، أي تنتشر.

النُّصوص اللُّغويّة

الغَلِيل : الثَّوْر: الذَّكَر من البقر، والقطعة من
الأُطْب، ويُرْج من بروج السَّماء، وبه سَمِيَ السَّيِّد، وبه كُنِيَ
عمرو بن تغديكَرِب: أَبَاثَوْر.

ومنه من يقول بالثَّاء، وبالثَّاء أعرف وأحسن.

والمَنْزَل الَّذِي ذَكَرَهُ ذُو الرُّمَّة بِمُرْقَةِ الثَّوْر.

وَالثَّوْر: الثَّوْرَاش. [ثم استشهد بشعر]

وَتَوْر: جَبَلٌ: جَبَلٌ بِمَكَّة.

وَالثَّوْر: التَّرْمُضُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَغَه. [ثم استشهد

بشعر]

وَتَوْر: حَيٍّ، وَهُمْ إِخْوَةُ حَبَّة.

وَالثَّوْر: مَصْدَرٌ تَارَ يَتَوْر الثُّبَار وَالظُّلَا، إِذَا تَهَضَّتْ مِنْ

وَتَوْرَتْ كدُورَةِ الْمَاءِ فَتَارَ، وَكَذَلِكَ: تَوْرَتْ الْأَمْر.

وَاسْتَوْرَتْ الْعَيْدُ، إِذَا أَوْرَثَهُ. [ثم استشهد بشعر]

أَنَارَهُ، أَيْ حَبَّجَهُ. (٨: ٢٣٢)

أَبَوْرَيْدُ: ثَوْرٌ أَطْعَلَ: جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْحِجَازِ.

وَالثَّوْر: الْقِطْعَةُ مِنَ الْأُطْب.

وَالثَّوْر: ثَوْرَانُ الْحَبَّةِ.

وَكُلٌّ مَا ظَهَرَ فَقَدْ تَارَ يَتَوْر تَوْرًا وَتَوْرَانًا.

وَالثَّوْر: الْأَحْمَقُ. (الأَزْهَرِيّ ١٥: ١١١)

الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ فَلَانًا تَارَ الرَّأْسِ، إِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ

أَشْعَانَ شَعْرَهُ، أَيْ انْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ.

وَيُقَالُ: تَارَتْ نَفْسُهُ، إِذَا جَشَأَتْ، أَيْ ارْتَفَعَتْ

وجاشت، أي غارت. المبرّد: إنما قالوا: «يبرّد» ليفرّقوا بينه وبين يوزة.

ويقال: مررت بأرانب فأترّثتها. الأقط، وبنو، على «فِئْلَةٍ» تمّ حرّكوه.

(الجنوري ٢: ٦٠٦)

ابن دُرَيْد: والثور: ذكر البقر الوحشية والأهليّة. والثور: ثور الحَصْبَةِ، نارت الحَصْبَةِ ثور تَوْزًا وتَوْرَانًا وثار الجراد تَوْرَانًا وتَوْزًا، وثار الماء تَوْزًا، وثار السحاب وغير ذلك.

وجمع الثور من البقر: ثيران ويَزّة وأثوار. وقالوا:

يَزّة وهو الكلام الأعلى. [تمّ استشهد بشعر]

والثور: القطعة العظيمة من الأقط، والجمع: أثوار ويوزة، ولأدري ماصحته إلا أنهم قالوا: جاءنا يوزة ضخام، أي قطع عظيمة من الأقط.

والثور: الطحلب، فيقال: يُضرب الطحلب حتى ينكشف الماء فتشرب البقر.

وتور: جبل معروف يسمى ثور أطحل، قريب من مكة.

وينو تور. بطن من الزباب منهم سفيان التوري.

ويقال: مررت بالأرنب فاستغرمتها. [تمّ استشهد

بشعر]

ويقال: أثار الثور القرب، إذا بحثه بقوائمه. (٢: ٤٢)

الأزهرّي: ويقال: مررت يَزّة: لمجاعة الثور.

ويقال: هذه يَزّة مئيرة، أي تثير الأرض.

أرض مُثارة: إذا أُثيرت بالسنّ، وهي الحديدية التي عُثرت بها الأرض.

وكلّ ماظهر، فقد: ثار يثور تَوْزًا وتَوْرَانًا.

ويقال: تَوَزَ فلان عليهم شرًّا، أي هيجه.

وأثار القرب إثارة، إذا بحثه بقوائمه. [تمّ استشهد

(الأزهرّي ١٥: ١١٠)

اللحياني: ثاوره ثاوره وثورًا: وابنه.

(ابن سيدة ١٠: ٢٠٥)

ثار الرجل تَوْرَانًا: ظهرت فيه الحَصْبَةُ.

وكلّ مااستخرجته أو هجته، فقد أثرته إثارة وإثارًا.

(ابن سيدة ١٠: ٢٠٦)

ابن الأعرابي: الثائر: الضبان، يقال: ثار ثائرُه،

وفارّ ثائرُه، إذا غضب. (الأزهرّي ١٥: ١١٠)

يقال: ثورة من رجال وثروة، يعني عددًا كثيرًا.

(الأزهرّي ١٥: ١١٣)

أبو عبيد: في حديث النبي ﷺ: «توضّؤوا بما

غيّرت الثار ولو من ثور أقط»: الثور: القطعة من الأقط،

وجمعه: أثوار. [إلى أن قال:]

وأما حديث عبد الله بن عمر حين ذكر مواقيت

الصلاة، فقال: «صلاة المشاء إذا سقط ثور الشفق»

فليس من هذا، ولكنّه انتشار الشفق وثورانه، يقال منه:

قد ثار يثور تَوْزًا وتَوْرَانًا، إذا انتشر في الأفق، فإذا غاب

ذلك حلّت صلاة المشاء. (١: ٢٧٦)

ابن السكيت: يقال: تَوَزّة من رجال وتَوَزّة من

مال، للكثير. (الأزهرّي ١٥: ١١٣)

شَمِير: في حديث: «من أراد العلم فليثور القرآن»

توير القرآن: قراءته ومفاتحة العلماء به، في

تفسيره ومعانيه. (الأزهرّي ١٥: ١١١)

ويقال للبقرة: مُثِيرَة، لأنها تُثِيرُ الأرضَ تغليباً

للزراعة.

ونازت نَفْسَه، إذا جاشت.

والتَّوَارِثان: الخَرْقَانِ الثَّاقِدَانِ في أوساط الوَرَكَيْنِ.

والتَّوَارَة: الخَوَارِث.

وفلان في تَوَارٍ شَرٍّ، وهو الكثير.

وتَوَارَهم وتَوَارَهم، أي نَارَ شَرِّهم. وكذلك نَوَارَهم

ونَوَارَهم، إذا كَفَرُوا وزَادُوا وَضَعُهم أَمْرَهم.

والتَّوَرَة: العدد الكثير.

والتَّوَار: الثَّار. (١٠: ١٦٢)

الْجَوْهَرِيّ: نَارُ الْفَبَارِ يَتَوَرَّ تَوَرًا وَتَوَرَانًا، أي طمع،
وأَنَارَه غيره.

ونارت بفلان المَهْضِيَّة.

ونَارَ به النَّاسَ، أي ونبوا عليه.

والمَنَارُوة: المَوَاتِيَّة، يقال: انظر حَتَّى تَسْكُنَ هَذِهِ

التَّوَرَة، وهي المَهْيِج.

وتَوَرَّ القرآن، أي بحث عن علمه.

وتَوَرَّ الْبَرَّةُ^(١) واستتارها، أي أزعجها وأنهضها.

ونَارَ نَائِرُهُ، أي هاج غضبه.

وتَوَرَّ: جبل بِمَكَّةَ، وفيه الغار المذكور في القرآن،

ويقال له: نور أَطْحَل. وقال بعضهم: اسم الجبل:

أَطْحَل، نسب إليه نور بن عبد مناة، لأنه نزل.

(٢: ٦٠٦)

ابن فارس: التَّاء والواو والزَّاء أصلان، قد يمكن

الجمع بينهما بأدنى ظَرْفٍ فالأَوَّل: انبعاث النَّفْسِ، والثَّانِي:

ونَاوَرُ فُلَانٌ فُلَانًا، إذا سَاوَرَهُ ووَائِه.

ويقال: كيف الدُّنْيَى؟ فيقال: نَائِرٌ ونَائِرٌ. فالتَّائِر:

ساعة ما يخرج من التَّراب. والتَّائِر، حين ينفر، أي يسب
من الأرض.

ويقال: أعطاه يَوَرَة من الأخط: جمع يَوَر.

والتَّوَر: الطُّحْلُبُ وما أشبهه على رأس الماء. [تم]

استشهد بشر]

وأثرت التَّيْمِرُ أَثِيرَهُ، إثَارَةٌ، فَثَارَ يَتَوَرُّ، وتَتَوَرُّ تَتَوَرًا،

إذا كان بارِكًا وبِيعته فانبعث.

ويقال للرجل البليد القليل الفهم: ما هو إِلَّا تَوَر.

ونَارَ الْفَبَارَ، ونَارَ به الدَّم، ونَارَ الطَّعَا مِنْ بَحْمَتِهِ،

ونَارَ الدَّخَانَ.

ويقال: تَوَرَّتْ كُدُورَةُ الْمَاءِ، فَتَار.

وأثَرْتُ السَّيِّعَ وَالصَّيِّدَ، إذا هَيَّجْتَهُ، وَأَثَرْتُ فُلَانًا، إذا

هَيَّجْتَهُ لِأَمْرٍ. واستثَرْتُ الصَّيِّدَ، إذا أَثَرْتَهُ أَيضًا. وأثرت

البحير، إذا كان بارِكًا فبِيعته. (١٥: ١١٠ - ١١٢)

الصَّاحِب: [بحو التحليل وأضاف:]

ومصدر [التَّوَر] نَارَ يَتَوَرُّ تَوَرًا وَتَوَرَانًا.

ونَارَ الدَّخَانَ وَالْفَبَارَ والدَّم، إذا تَمَشَّقَ فِيهِ وَظَهَرَ.

ونَارَ الشَّمْرَ: قام، وهو نَائِرُ الرَّاسِ.

ونَارَ فَرِيصَ رَقَبَتِهِ، إذا انْتَفَخَ مِنَ النُّضْبِ.

وتَوَرَّ الشَّقَقُ: مَانَا مِنْهُ.

والبقرة: التَّوَرَة، ويقال في جمع التَّوَر: يَوَرَةٌ وَيَوَرَةٌ

وَأَوَرًا وَيَوَرَانًا وَيَوَرَةً.

وَأَسْثَرْتُ صَيْدًا: أَثَرْتُهُ. وَأَثَرْتُ الْأَسَدَ وَالرَّجُلَ.

ونَاوَرْتُ فُلَانًا: أَي سَاوَرْتَهُ.

جنس من الحيوان.

وَتَوَزَّهَ، واشتَرَفَه، كما تستير الأسد والصَّيد.

وَتَوَزَّتِ الأُمُر: بحت.

وتَوَزَّ القرآن: بحث عن معانيه.

وقالوا: تَوَزَّ رجال: كَفَزَوْه رجال. [ثم استشهد

بشعر]

والثَّور: القطعة العظيمة من الأُفْط، والجمع: أنوار،

وَتَوَزَّهَ على القياس.

والثَّور: الذكر من البقر. [إلى أن قال:]

والجمع: أنوار، ونيار، ونيارة، ويُوَزَّة، ويُوَزَّة، و

ييران وييرة.

على أن أبا علي قال في «ييرة»: إنه محذوف من

ييارَة، فتركوا الإعلال في العين، أسارة لما تَوَزَّوا من

الألف، كما جملوا تصحيح نحو «اجتَوَزَّوا» و«اعتَوَزَّوا»

دليلاً على أنه في معنى ما لا بد من صعته، وهو تجاوزوا،

وتعاوَزَّوا.

وقال بعضهم: هو شاذ، وكأنهم لم يزلوا بالقلب بين

جمع «تَوَزَّ» من الحيوان، وبين جمع تَوَزَّ من الأُفْط، لأنهم

يقولون في تَوَزَّ الأُفْط: يُوَزَّة فقط

والأُنثى تَوَزَّة. [ثم استشهد بشعر]

والثَّور: من يُرْج السَّاء على التشبيه.

والثَّور: البياض الذي في أصل ظفر الإنسان.

وأُتار الأرض: قلبها على الحب. بعد ما فتحت مرة.

[وفي خلاصها تكرار بعض ما تقدّم عن الحليل]

(١٠: ٢٠٥-٢٠٨)

الرَّاعِب: نار الغبار والسحاب ونحوها يُتَوَزَّ تَوَزًّا

وَتَوَزَّنا: انتشر ساطعاً، وقد أَتَزَّه، قال تعالى: ﴿فَتَشِيرُ

فالأُول: قولهم: نار الشَّيْءِ يَتَوَزَّ تَوَزًّا وتَوَزُّوا

وتَوَزَّنا. ونارت الحَصْبَةُ تَتَوَز. وتاوَزَ فلانٌ فلاناً، إذا

وابته، كأن كلَّ واحد منهما تار إلى صاحبه. وتَوَزَ فلانٌ

على فلان شراً، إذا أظهره. ومحمّل أن يكون الثَّور فيمن

يقول: إنه الطُّحْلُب من هذا، لأنّه شيء قد تارَ على متن

الماء.

والثَّاني: الثَّور من الثيران، وجمع على الأنوار أيضاً.

فأما قولهم للشَّيْءِ: تَوَزَّ، فهو على معنى التشبيه إن كانت

العرب تستعمله، على أنّي لم أرَ به رواية صحيحة.

(١: ٣٩٥)

ابن سيده: نار الشَّيْءِ تَوَزَّ، وتَوَزُّوا، وتَوَزَّنا،

وتَتَوَزَّ: هاج.

وأَتَزَّه، وهَتَزَّه على البذل، وتَوَزَّهَ.

وتَوَزَّ الغضب: جَدَّته. ويقال للغضبان - أهيج

ما يكون - : قد تارَ تارَته.

ونار إليه تَوَزَّ، وتَوَزُّوا، وتَوَزَّنا: وتَب.

وأُتار هو. [ثم استشهد بشعر]

ونار القَطَا والمِرْدَاد تَوَزَّ وتَوَزَّنا: نهض من أماكنه.

ونار الدَّم في وجهه تَوَزَّ، وانتار: ظهر.

والثَّور: حُمْرة الشَّقَقِ النَّائِرة فيه.

ونارت الحَصْبَةُ بفلان تَوَزَّ، وتَوَزُّوا، وتَوَزَّوا،

وتَوَزَّنا: انتشرت، وكذلك كلُّ ما ظهر.

والثَّور: ساعلا الماء من الطُّحْلُب، والعِرْيَض،

والفَلَق، ونحوه.

وقد تار الطُّحْلُب تَوَزَّ، وتَوَزَّنا، وتَوَزَّه، وأَتَزَّه.

ابن السَّجَرِيّ: وَتَوَزَّتْ بَعْدَ الْأَمَانِ: أَرَادَ أَظْهَرَتْ
الْقَرَّةَ. يُقَالُ: تَوَزَّ فُلَانٌ بِفُلَانٍ وَعَلَى فُلَانٍ، إِذَا أَظْهَرَ لَهُ
شَرًّا. (٢: ١٨٢)

الْمَدِينِيّ: فِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ غَيْرِهِ إِلَى تَوَزِّهِ».

قَالَ مُصَنِّبُ بَنِ الرَّبِيعِ: لَا يَطْلُمُ بِالْمَدِينَةِ غَيْرَ وَلَا تَوَزَّ،
وَأَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا بِالْمَدِينَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَحْلَمُ بِمَعْنَاهُ.
قُلْتُ: تَوَزَّ أَطْعَلَ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ، فِيهِ غَارُ النَّبِيِّ ﷺ
الَّذِي بَاتَ فِيهِ حِينَ هَاجَرَ.

وَعَبْرَ عَدَوِي أَيْضًا: جَبَلٌ بِمَكَّةَ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي تَوَزِّ:
وَمُسْرَى جِرَاءِ وَالْأَبَاطِحِ كُلِّهَا

وَحَيْثُ انْتَفَتِ أَصْلَامُ نَوَازٍ وَلَوْ بِهَا
وَكَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ وَمَعْنَى، وَهُوَ كَانَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَعْلَمُ بِجِبَالِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَمَعَالِمِهَا.
فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ حَرَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَدْرَ مَا بَيْنَ غَيْرِهِ
وَتَوَزَّ مِنْ مَكَّةَ، أَوْ يَكُونَ قَدْ شَبَّهَ جَبَلَيْنِ مِنَ جِبَالِ الْمَدِينَةِ
بِجَبَلَيْ مَكَّةَ هَذَيْنِ، فَحَرَّمَ مَا بَيْنَهُمَا، لِأَنَّ تَوَزَّ الْجَبَلِ سَمِي
بِهِ، لِاجْتِمَاعِهِ وَتَقَارُبِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ، تَشْبِيْهًُا بِتَوَزَّ
الْأُظْطِ، أَوْ لِحُضْبِهِ، أَوْ بِتَوَزَّ الْوُحْشِ لَا مَتَاعَهُ.

وَكَذَلِكَ «عَبْرَ» سَمِي لَتَوَاسُطِهِ وَتَشْوِيزِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى
أَعْلَمُ.

وَفِي رَوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ
قَالَ: «مَا بَيْنَ غَيْرٍ وَأَحَدٍ» غَيْرُ أَنَّ الْأَوَّلَ اسْتَنْوَ إِسْنَادًا
وَأَكْثَرُ.

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: غَيْرُ: جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ.

سَخَابًا الزَّوْمُ: ٤٨، يُقَالُ: أَتَزَّتْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ وَغَمَزْنَاهَا﴾ الزَّوْمُ: ٩.

وَنَارَتْ الْحَصْبَةَ تَوَزًّا: تَشْبِيْهًُا بِانْتِشَارِ الْغُبَارِ، وَتَوَزَّ
شَرًّا كَذَلِكَ.

وَنَارَ نَارُهُ: كُنَايَةٌ عَنْ انْتِشَارِ غَضَبِهِ، وَنَاوَزَهُ: وَابَّهَ.
وَالتَّوَزَّ: الْبَرُّ الَّذِي يُنَارُ بِهِ الْأَرْضُ، فَكَأَنَّهُ فِي
الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ جُمْلًا فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ، نَحْوُ ضَيْفٍ وَطَيْفٍ
فِي مَعْنَى صَائِفٍ وَطَائِفٍ.

وَقَوْلُهُمْ: سَقَطَ تَوَزَّ التَّفْعِ، أَيْ النَّارُ الْمُنْتَشِرُ.
وَالنَّارُ هُوَ طَلَبُ الدَّمِ، أَصْلُهُ الْهَمْزُ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَا
الْبَابِ. (٨٤)

الزَّمْعَشْرِيّ: نَارُ الْعَسْكَرِ مِنْ مَرْكَزِهِ، وَنَارُ الْفِطَا
مِنْ بَحَائِثِهِ، وَالتَّقْوَا نَارَ هَوْلَاءٍ فِي وَجْهِ هَوْلَاءٍ.
وَيُقَالُ: كَيْفَ الدُّنْيَى؟ فَتَقُولُ: نَارٌ وَنَافِرٌ^(١).
وَأَتَزَّتْ الْعَيْدُ وَالْأَسَدُ، وَاسْتَرْثَتْ: هَبَّجَتْهُ. [تَمْ
اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وَأَنَارَ الْأَرْضَ، وَتَوَزَّ الشَّجَرُ. وَنَاوَزَهُ وَسَاوَزَهُ: وَابَّهَ.
وَهُوَ تَوَزَّ الْقَوْمِ: لِسَيِّدِهِمْ، وَبِهِ كُنِيَ عَمْرُو بْنُ
مُعْدِيكَرِبٍ.

وَمِنْ الْجَازِ: نَارَتْ بَيْنَهُمُ الْفِتْنَةُ وَالشَّرُّ، وَنَارَتْ بِهِ
الْحَصْبَةُ، وَتَوَزَّ عَلَيْهِ شَرًّا، وَسَقَطَ تَوَزَّ الشَّقَقِ، وَهُوَ
مَظْهَرٌ مِنْهُ وَانْتِشَرَ. وَنَارَ بِالْمَعْمُومِ التَّوَزَّ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ
بِفِيهِ مِنَ الْبَغْرِ، وَرَأَيْتُهُ نَائِرَ الرَّأْسِ: شَيْعًا.

وَنَارَتْ نَفْسَهُ: جَاسَتْ. وَنَارَ نَارَهُ، وَغَارَ فَائِرَهُ، إِذَا
اسْتَمْتَلَ غَضَبًا. وَنَارَ الدَّمُ فِي وَجْهِهِ. وَرَأَيْتُهُ نَائِرًا فَرِيصَ
رَقَبَتِهِ. وَنَارَ الدَّخَانَ وَالْغُبَارَ. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٩)

الفيروز ابادي: الثور: الهيجان، والوثب،
والسطوع، ونهوض القطا والجراد، وظهور الدم كالثور
والثوران والثور في الكل، وأثاره وأثره وهجره وتوزر
واستأثره غيره.

والقطعة العظيمة من الأقط، الجمع: أنوار ونورة.
وذكر البقر، الجمع: أنوار وثيار ونورة وثيرة وثيرة
وثيران كجيرة وجيران.

وأرض مسنورة: كثيرته، والسيد، والطحلب،
والبياض في أصل الطفر، وكل ما علا الماء، والجنون،
وحسرة الشفق التائرة فيه، والأحق، وبرج في السماء،
وفرس العاص بن سعيد.

وتوزر: أبوقيلة من مضر منهم شفيان بن سعيد،
وواد يلاذ مزيقة، وجبل بمكة، وفيه النار المذكورة في
التنزيل، ويقال له: توزر أطحل، واسم الجبل أطحل،
نزه توزر بن عبد مائة فتسبب إليه.

وجبل بالمدينة، ومنه الحديث الصحيح: «المدينة
حرم ما بين غيري إلى توزر».

وأما قول أبي عبيد بن سلام وغيره من الأكابر
الأعلام: إن هذا تصحيث، والصواب: «إلى أحد» لأن
توزرا إنما هو بمكة، فغير جيد، لما أخبرني الشجاع البجلي
الشيخ الزاهد عن المحافظ أبي محمد عبد السلام
البصري: أن جذاة أحد جابجا إلى ورائه جبلا صغيرا
يقال له: توزر، وتكرر سؤالي عنه طوائف من العرب
العارفين بترك الأرض، فكل أخبرني أن اسمه توزر، ولما
كتب إلي الشيخ عفيف الدين المطري عن والده المحافظ
الثقة، قال: إن خلف أحد من عماليه جبلا صغيرا مدورا

وفي الحديث: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل
تجد نائر الرأس، يسأله عن الإيمان» أي منتشر شتر
الرأس قائمه. حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه،
وانتصب على الحال.

وفي حديث آخر: «يقوم إلى أخيه نائرا فريسته
يضر به» أي قائما ومتصفا غضبا، وتوزر الشفق: مانار
منه.

في حديث غفرو بن مندي كرب: أتاني خالد بن قيس
وكعب وتوزر الكعب: القطعة من الشئ، والقوس: بعية
التشر في أسفل الجملة، والتوزر: قطعة من الأقط، وسمي
توزرا، لأن الشيء إذا قطع ناز عن المقطوع منه وزال.

(١: ٢٨٤)

الصغاني: الثور: السيد. والثور: الجنون. والثور:
الأحق، والبلد النهم، والثور: فرس العاص بن سعيد
القرشي.

والاستارة، والإثارة، والتوزر: الانبعاث. [إلى أن
قال:]

الثورة: المخوران.

وفلان في ثوار شر، وهو الكثير.

وتوزر: واد في بلاد مزيقة.

والثوير: ماء بالجزيرة، من منازل تغلب.

وتوزر، وقد يمدح: نهر بدمشق.

والثير: غطاء العين. (٢: ٤٣٩)

القيومي: نار النهار يتوزر وتوزرا وتوزرا - على قول -

وتوزرنا: حاج، ومنه قيل للفتنة: تارت، وأثارها العدو.

(١: ٨٧)

وهناك جملة: تَوَزَّ عليهم الشَّرَّ، التي تعني هَيَّجَهُ وأظْهَرَهُ، كما جاء في الصَّحاح، والأساس، واللَّسان، ومستدرَك التَّاج.

ولكنَّ بعض الأفعال في الرِّبَّة لها حروف جرٍّ خاصَّة بها، وليس لنا حقٌّ في أن نستبدل الاسم «ضدَّ» بحرف الجرِّ «الباء» هنا، وإن كان ابن جنِّي أجاز لنا في «الخصائص» إبدال حرف جرٍّ بآخر، إذا كان معنى الفعل لا يتغير (راجع مادة «لا يمتنع على القراء» في هذا المعجم)، بحيث نستطيع أن نقول: نازَ عليه بدلاً من نازَ به، وإن كانت الجملة الثانية هي الأعلى.

أما فعله فهو: نازَ يُنَوِّزُ نَوْزًا، وتَوَوَّزًا، وتَوَرَّانًا. ومن معاني نازَ:

١- ناز به الدَّم: ظهر الدَّم على وجهه.

٢- ناز إليه: وقَبَّ «اللَّسان».

٣- ناز الماء من بين كذا: تبع بقوة وشدة.

٤- ناز الدَّخان والغيار: هاجبا وانتشرا.

نازَ فلانٌ، وفلانٌ، وفلانٌ على المستعمرين

نازَ فلانٌ، فلانٌ، فلانٌ على المستعمرين. [ثم بحث حول حذف حرف العطف في مثل ذلك] (١١٠)

المُضْطَفَّوْنَ: ويظهر من التحقيق في موارد استعمال هذه المادة: أنَّ الأصل الواحد فيها هو انبعاث شيء، بحيث يكون أسفله أعلاه، كما يترامى ذلك المعنى في عمل إثارة الثور للأرض، وإثارة الرِّيح للسحاب، فإنَّ الرِّيح هي حركة الهواء إلى جهة وإلى طبقة عالية، فتسوق السحاب وتجعل أسفله أعلاه، ولا يقال في الموردين: إنَّ الثور هيَّج الأرض وإنَّ الرِّيح هيَّجت السحاب، فإنَّ

يسمى تَوَزَّا يعرفه أهل المدينة خلقًا عن سلف.

وتَوَزَّ الشَّباك وبُرْقَةُ الثور موضعان.

وتَوَزَّى وقد يُمْنَد: تَهَرَّ بِدُمُشَقٍّ.

وتَوَزَّةٌ من مال ورجال: كثير.

والقَوارة: الخَوَزان:

والثَّائر: الغَضَب.

والثَّير بالكسر: غطاء العين.

والثَّيرة: البقرة تُحْمِر الأرض.

وتاوَّزَه مُتَاوَّزَةً وثَوَّارًا: واتَّبه.

وتَوَزَّ القرآن: بحث عن علمه.

والثَّويز: ماء بالجزيرة من منازل تَغْلِبَ وأَبْرَقَ لجعفر

ابن كلاب قُرْبَ جبال ضَرِيَّة. (٣٩٨: ١)

الطَّرِيحي: وفي الخبر: «ثارت قريش بالنَّبي ﷺ»

فخرج هاربًا، أي هَيَّجوه من مكانه، من قولهم: ناز الغبار يُنَوِّزُ تَوَرَّانًا: هاج.

وتَوَزَّ بالفتح فالسكون: جَبَلَ بِمَكَّةَ، وفيه الغار الذي

بات فيه النَّبي ﷺ لما هاجر. (٢٣٨: ٣)

محمَّد إسماعيل إبراهيم: أثار الأرض: شَقَّها وحرَّثها وقلَّها للزَّراعة، أو استنباط المياه أو استخراج

المعادن، أو غير ذلك. (٩٩)

العَدَناني: نازَ بفلان.

ويقولون: نازَ الناسُ ضدَّ فلان، فيخطئون قولهم

هذا بخطأ آخر، هو: ثاروا على فلان. والصواب: ثاروا

بفلان، أي وتَبَّوا عليه، كما يقول الصَّحاح، واللَّسان،

والتَّاج، والمَدِّ، ومحيط المحيط. وأقرب الموارد، والمتن،

والوسيط.

التَّهْيِيجَ مطلق البث والتَّحْرِيكَ الشَّدِيدَ.

وقال في الصَّحاح (٢: ٧٨٣): «فور»: فارت القِدْر تنور فَوْزًا وفَوْزَاتًا: جاشت.

وفازَ فائزُه: لغة في نازَ نائره، إذا جاش غضبه.

فظهر أَنَّ إطلاق «التور» على البقر باعتبار إشارته الأرض في الفلاحة. والاستعمال في معاني آخر، باعتبار الإظهار لما في الباطن، «وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا» الزُّوم: ٩، سواء كانت الإشارة للزراعة أو للبنيان والعمارة، والعمارة أيضًا تتم المفهومين. (٣٨: ٢)

النصوص التفسيرية

أَنَارُوا

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ...

الزُّوم: ٩

ابن عباس: يقال: أَنَارُوا الْأَرْضَ: حَرَنُوهَا وقلبوها للزراعة والفرس أكثر مما حرت أهل مكة.

(الطَّبْرَبِيُّ ٢٦: ٢٤)

نحوه ابن قُتَيْبَةَ (٣٤٠)، والشَّجْستَانِي (١٤٦)، والبَغَوِيُّ (٥: ١٦٩)، والقُرْطُبِيُّ (١٤: ٩)، والطَّبَّاطِبَائِي (١٦: ١٥٨)، فضل الله (١٨: ١٠٤).

ملكوا الأرض وعمروها. (الطَّبْرَبِيُّ ٢٦: ٢٥)

مُجَاهِد: حَرَنُوهَا. (الطَّبْرَبِيُّ ٢٦: ٢٥)

نحوه الزَّخَّسَرِيُّ (٣: ٢١٦)، والفَخْرُ الرَّازِي (٢٥: ١٠٠).

الإمام العَصَادِقِيُّ رحمته: وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وقلبوها

وجهاها، لاستنباط المياه، واستخراج المعادن، وزرع البذور وغيرها. (الكاشاني ٤: ١٢٧)

نحوه المَيْبُدي (٧: ٤٣١)، والبَيْهَاقِيُّ (٢: ٢١٧)، والشَّريبي (٣: ١٥٩)، وأبو السُّعُود (٥: ١٦٦)، وشَبْر (٥: ٧٩)، والبُرُوسِيُّ (٧: ١٠).

أَبُو عُبَيْدَةَ: أَي استخرجوها، ومنه قولهم: أَنَارَ مَاعِنْدِي، أَي استخرجه، وَأَنَارَ الْقَوْمَ، أَي استخرجهم. (٢: ١١٩)

نحوه الطَّبْرَبِيُّ. (٢٦: ٢٤)

الزَّجَّاج: يعني أَنَّ الَّذِينَ أَهْلَكُوا مِنَ الْأُمَمِ الخالية، كانوا أكثر حُرثًا وعبارة من أهل مكة، لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ حَرث. (٤: ١٧٩)

نحوه التَّعَّاس. (٥: ٢٤٦)

ابن عَطِيَّة: يريد بالمباني والحِثْر والحروب، وسائر الحوادث الَّتِي أَحْدَثَهَا هِيَ كُلُّهَا إِثَارَةً لِلأَرْضِ، بعضها حقيقة وبعضها تمجُّز، لِأَنَّ إِثَارَةَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالْحَيَوَانَ وَالْمَتَاعِ إِثَارَةٌ لِلأَرْضِ.

وقرأ أبو جعفر (وَأَنَارُوا) بِمَدِّ الهمزة. وقال ابن مُجَاهِد: ليس هذا بشيء، قال أبو الفتح: وجهها أَنَّهُ أَشْبَحَ فَتَحَةُ الهمزة فَشَأَتْ أَلْفٌ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَر]

قال: وهذا من ضرورة الشَّر لا يبيح في القرآن.

وقرأ أبو حَيَّوَةَ (وَأَنَارُوا الْأَرْضَ) بِالْمَدِّ بغير ألف بعد الثَّاء من الأثر. (٤: ٣٣٠)

النَّيْسَابُورِيُّ: حَرَنُوهَا، وهو إِشَارَةٌ إِلَى الْقُوَّةِ المَالِيَّةِ. (٢٦: ٢٥)

البَقْوِيّ: أي هَيَّجَ بِمَكَانٍ سِيرَهَا، كناية عن غير مذكور، لِأَنَّ الْمَعْنَى مَفْهُومٌ. (٢٩٦: ٥)

نَحْوَهُ الْمَيْبُتِيّ (١٠: ٥٨٥)، وَالطَّيْرِيّ (٥: ٥٢٩)، وَالْحَازِنُ (٧: ٢٣٥).

الرَّمَحُفَرِيّ: فَهَيَّجَ بِذَلِكَ الْوَقْتُ غُبَارًا. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقَرَأَ أَبُو حَيَّزَةَ (فَأَتَرْنَ) بِالْتَشْدِيدِ، بِمَعْنَى فَأُظْهِرْنَ بِهِ غُبَارًا، لِأَنَّ التَّأْنِيثَ فِيهِ مَعْنَى الْإِظْهَارِ، أَوْ قَلِبَ تَوَرَّنَ إِلَى وَتَرَّنَ وَقَلِبَ الْوَاوَ هَمْزَةً. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عَطْفٍ (فَأَتَرْنَ)؟

قُلْتَ: عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي وَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ مَوْضِعَهُ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَاللَّاتِي عَدَوْنَ فَأَوْرَيْنَ فَأَغْرَنَ فَأَتَرْنَ.

(٢٧٨: ٤)

نَحْوَهُ التَّنَسِّيّ (٤: ٣٧٣)، وَأَبُو الشُّمُودِ (٥: ٢٨٠).

الْفَخْرُ الْوَاوِيّ: وَأَتَرْنَ النِّبَارَ، أَي هَيَّجَنَّهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْخَيْلَ أَتَرْنَ النِّبَارَ، لَشِدَّةِ الْعَدُوِّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَغْرَنَ فِيهِ.

(٣٢: ٣٦)

نَحْوَهُ الطَّبَاطِبَانِيّ.

الْبَيْضَاوِيّ: هَيَّجَنَ (يَهْ) بِمَكَانٍ عَدُوَّهُنَّ، أَوْ بِذَلِكَ الْوَقْتُ.

(٢: ٥٧٢)

أَبُو حَيَّانَ: (فَأَتَرْنَ) مَطْلُوفٌ عَلَى اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي هُوَ صِلَةٌ «أَل» لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْفِعْلِ، إِذْ تَقْدِيرُهُ: فَاللَّاتِي عَدَوْنَ فَأَغْرَنَ فَأَتَرْنَ... يَقُولُ أَصْحَابُنَا: هُوَ مَطْلُوفٌ عَلَى الْاسْمِ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْفِعْلِ.

(٨: ٥٠٤)

نَحْوَهُ الْبُرُوسِيّ (١٠: ٤٩٦)، وَالْأَكُوسِيّ (٣٠: ٢١٦).

أَبُو حَيَّانَ: وَفَرَى (وَأَتَرُوا الْأَرْضَ) أَي أَبْقَا عَنْهَا آثَارًا. (٧: ١٦٤)

عِزَّةُ دَوْرَةَ: حَرَّثُوهَا وَاسْتَمْلُوهَا. (٦: ٢٨٧)

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْعَطِيبُ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ قَلَبُوا وَجُوهَهَا وَاسْتَغْرَجُوا غُبَاهَا. (١١: ٤٨٧)

مَكَارِمُ الشَّيْرَازِيِّ: يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً «أَتَاوُوا الْأَرْضَ» إِشَارَةً إِلَى حَرَثِ الْأَرْضِ لِلزَّرْعَةِ وَالتَّشْجِيرِ، أَوْ حَفْرِ الْأَنْهَارِ، أَوْ تَأْسِيسِ الْعِمَارَاتِ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، لِأَنَّ جُمْلَةً «أَتَاوُوا الْأَرْضَ» لَهَا مَفْهُومٌ وَاسِعٌ يَشْمَلُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ مُقَدِّمَةٌ لِلْعِمَارَةِ وَالْبِنَاءِ.

وَحَيْثُ كَانَتْ أَكْبَرُ قُدْرَةٍ - فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ - بِأَيْدِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ تَقَدُّمٌ فِي الزَّرْعَةِ، وَكَانَ لَهُمْ رُفْقٌ مَلْعُوظٌ مِنْ حَيْثُ الْبِنَاءُ وَالْعِمَارَاتُ، فَإِنَّهُ يَنْضَحُ رُغْمَةً هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَعُلُوَّهُمْ عَلَى مُشْرِكِي مَكَّةَ الَّذِينَ كَانَتْ قُدْرَتُهُمْ مَعْدُودَةً جَدًّا. (١٢: ٤٣٧)

أَتَرْنَ

فَأَتَرْنَ يَهْ تَفْعَلًا.

المعاديات: ٤

ابن عَبَّاسٍ: هَيَّجَنَ بِمَوَاقِرَ غُبَارًا ثَرَابًا. (٥١٧)

أَبُو عَبِيْدَةَ: فَرَفَعْنَ بِهِ غُبَارًا. (٣: ٣٠٧)

الطَّيْرِيّ: فَرَفَعْنَ بِالْوَادِي غُبَارًا. (٣٠: ٢٧٥)

الْقُصَيّ: تَوَرَّنَ الْمُقْبِرَةُ مِنْ رُكُضِ الْخَيْلِ. (٢: ٤٣٩)

نَحْوَهُ الْكَاشَافِيّ.

الطُّوسِيّ: إِخْبَارٌ مِنْهُ تَعَالَى أَنَّ هَذِهِ الْخَيْلَ تُشِيرُ النِّبَارَ بِعَدُوِّهَا. (١٠: ٣٩٦)

السَّجِسْتَانِي: يعني أنها قد ذُلَّت للمرث. (١٣)
 الماوردي: والإثارة: تفريق الشيء، مما ينير
 الأرض للزَّرع، ولا يَسْقِي عليها الزَّرع. وقيل: (يُثِيرُ)
 فعل مستأنف، والمعنى إيجاب المرث لها، وأنها كانت
 تحرث ولا تسقي.

وليس هذا الوجه بشيء بل نُفي عنها جميع ذلك.

(١٤١: ١)

الرَّامِسْخَرِي: يعني لم تذُلَّ للكرب وإثارة
 الأرض. (٢٨٨: ١)

نحوه التَّسْقِي. ابن عطية: مناه بالمرانة، وهي عند قوم جملة في
 موضع رفع على صفة البقرة، أي لادلول مثيرة.

وقال قوم: (تُثِيرُ) فعل مستأنف، والمعنى إيجاب
 المرث، وأنها كانت تحرث ولا تسقي. ولا يجوز أن تكون
 هذه الجملة في موضع الحال، لأنها من نكرة. (١٦٣: ١)
 نحوه القُرْطُبي (١: ٤٥٣)، والبيضاوي (١: ٦٣)،
 والقاسمي (٢: ١٥٥).

القُرْطُبي: (تُثِيرُ) في موضع رفع على الصَّفة للبقرة،
 أي هي بقرة لادلول مثيرة.

قال الحسن: وكانت تلك البقرة وحشية، ولهذا
 وصفها الله تعالى بأنها لا تسقي الأرض ولا تسقي المرث،
 أي لا يَسْقِي بها لسقي الزَّرع ولا يسقي عليها. والوقف
 هاهنا حسن.

وقال قوم: (تُثِيرُ) فعل مستأنف، والمعنى إيجاب
 المرث لها، وأنها كانت تحرث ولا تسقي، والوقف على
 هذا التأويل (لَا ذُلُّوا).

القاسمي: أي فأهجن بذلك الوقت غباراً من
 الإثارة، وهي التَّهْيِج وتحريك التبار ونحوه ليرتفع.

(٦٢٣٨: ١٧)

محمد جواد مغنّيه: (أَتَزَنَ): حَرَكَن. (٧: ٦٠٠)
 مكارم الشيرازي: (أَتَزَنَ) من الإثارة، وهي
 نشر التبار والدخان في الجو. وقد تأتي بمعنى الهياج، أو
 انتشار أمواج الصوت في الفضاء. (٢٠: ٣٥٩)

تُبِيرُ

١- قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُّوا تُبِيرُ الْأَرْضَ
 وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ...

البقرة: ٧١

ابن عباس: تحرث الأرض. (١١)

قَتَادَة: تقلب الأرض للمرث، يقال منه: أثرت
 الأرض أثيرها إثارة، إذا قلبتها للزَّرع. وإنما وصفها جلّ
 ثناؤه بهذه الصَّفة، لأنها كانت - فيما قيل - وحشية.

(الطَّبْرِي: ١: ٣٥١)

الشَّدي: بقرة ليست بذلول، يُزْرَع عليها، وليست
 تسقي المرث. (الطَّبْرِي: ١: ٣٥١)

نحوه مكارم الشيرازي. (٢٣٢: ١)

الزبيح: تبين الأرض بأظلافها. (الطَّبْرِي: ١: ٣٥١)

ابن قُتَيْبَة: أي تقلبها للزراعة. (٥٤)

نحوه البغوي. (٦١: ١)

الطَّبْرِي: أنها بقرة لم تُذَلَّها إثارة الأرض بأظلافها.

(١: ٣٥١)

نحوه الطُّوسي (١: ٢٩٩)، ونحوه الطَّبْرِي (١: ١)

والقول الأول أصح لوجهين:

أحدهما: ما ذكره النحاس عن علي بن سليمان أنه قال: لا يجوز أن يكون (تُشِيرُ) مستأنفاً، لأن بعده (وَلَا تَشْقِي) (الْحَرْثَ)، فلو كان مستأنفاً لما جمع بين الواو و«لا».

الثاني: أنها لو كانت تُشِيرُ الأرض لكانت الإثارة قد ذلتها، والله تعالى قد نفى عنها الذل بقوله: (لَا ذُلُّ لَؤْلُ).

قلت: ويحتمل أن تكون (تُشِيرُ) (الْأَرْضَ) في غير العمل مرحاً ونشاطاً.

فعمل هذا يكون (تُشِيرُ) مستأنفاً، (وَلَا تَشْقِي) مطوف عليه، فتأمله.

وإثارة الأرض: تحريكها وبهجها، ومنه الحديث: «أُثِرُوا القرآن فإنه علم الأولين والآخرين». وفي

رواية أخرى: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثِرِ الْقُرْآنَ» وقد تقدم. وفي التفسير: «وَأَثَارُوا الْأَرْضَ» الزوم: أي

قلبوها للزراعة. والمحرت: ما حُرث وزُرِعَ. (١: ٤٥٣)

أبوحيان: و«تُشِيرُ الْأَرْضَ» صفة لـ (ذُلُّ) وهي صفة داخلة في حيز التي، والمقصود نفي إثارتها الأرض، أي لا تُشِيرُ فتذل. [ثم استشهد بشعر وقال:]

وسعى الكلام أنها لم تُذَلَّ بالعمل لافي حرت ولا في سقي، ولهذا نفى عنها إثارة الأرض وسقيها.

وقال بعض المفسرين: معنى تشير الأرض بغير المحرت بطراً ومرحاً، ومن عادة البقر إذا بطرت تضرب

بقربها وأظلافها فتثير تراب الأرض وينعقد عليها الغبار، فيكون هذا المعنى من تمام قوله: (لَا ذُلُّ لَؤْلُ) لأن

وصفها بالمرح والبطر دليل على أنها لا ذلول.

وقد ذهب قوم إلى أن قوله: «تُشِيرُ الْأَرْضَ» فعل

مثبت لفظاً ومعنى، وأنه أثبت للبقرة أنها تُشِيرُ الأرض وتحرتها، ونفى عنها سقي المحرت. ورَدُّ هذا القول من حيث المعنى، لأن ما كان يحرت لا ينتقى كونها ذلولاً.

(١: ٢٥٥)

نحوه الأوسى: (١: ٢٩٠)

الشريبي: أي قلبها للزراعة. والجملة صفة (ذُلُّ) داخلة في التي. (١: ٧٠)

الكاشاني: لم تُذَلَّ لإثارة الأرض ولم ترض بها.

(١: ٢٧٧)

البروسوي: إشارة إلى غس الطالب الصادق،

وهي التي لا تحمل الذلة، تُشِيرُ بآلة المحرس عُلُوَّ أرض الدنيا لطلب زغارها، وتتبع هوى النفس وشهواتها.

(١: ١٦٦)

٢- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُشِيرُ سُحَابًا فَيَنْشِطُهُ

فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ... الزوم: ٤٨

السُّدِّي: يرسل الله الريح، فتأتي بالسحاب من بين الحافقين طرف السماء حين يلتقيان، فتُخرجه ثم تنشره.

(٣٨٠)

أبو عبيدة: مجاز: تجمع وتنخرج. (٢: ١٢٤)

القُشَي: أي ترفعه. (٢: ١٦٠)

الطوسي: أي تُشِيرُ سُحَابًا. فإنشاء السحاب وإن كان من فعل الله، لكن لما كان السحاب سبباً منه

جاز أن يُسند إليها. (١: ٢٦٦)

البقوي: أي ينشره. (٣: ٥٨٢)

الفَخْر الرَّاظِي: «فَتَجِيرُ سَحَابًا» بصيغة المستقبل. لما أسند فعل الإثارة إلى الريح وهو يؤلف في زمان، فقال: (تَجِيرُ أي على هيئتها. (٧: ٢٦)
نحوه الشَّرِيفِي: (٣: ٣١٤)
الرَّاظِي: كيف جاء (فَتَجِيرُ) مضارعًا دون ماقبله ومابعد؟

قلنا: هو مضارع وضع موضع الماضي، كما في قوله تعالى: «وَأَذِّنْ لِقَوْلِ اللَّذِي أَنْقَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» الأحزاب: ٣٧. (٢٨٧)

الْبَيْضَاوِي: [نحو الرَّغَشَرِي وَأُضَاف:]

ويموز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر.
نحوه أبو السُّعُود. (٢: ٢٦٨)
(٥: ٢٧٤)

الْأَوْسِي: [نحو الْبَيْضَاوِي وَأُضَاف:]

ولأنَّ الإثارة خاصية للرياح، وأثر لا ينفك في الغالب عنها، فلا يوجد إلا بعد إيجادها، فيكون مستقبلًا بالنسبة إلى الإرسال. وعلى هذا يكون استعمال المضارع على ظاهره وحقيقته من غير تأويل، لأنَّ المعبر زمان الحكم لازمان التَّكَلُّم، والفاء دالة على عدم تراخي ذلك، وهو شيء آخر. وجوز أن يكون الإتيان بما يدلُّ على الماضي ثمَّ بما يدلُّ على المستقبل إشارة إلى استمرار الأمر وأَنَّهُ لا يمتنع بزمان دون زمان، إذ لا يصحُّ المضى والاستقبال في شيء واحد إلا إذا قصد ذلك ...

(٢٢: ١٧١)

الطَّبَّاطِبَائِي: «فَتَجِيرُ سَحَابًا» عطف على «أَزْسَلْ» والصِّمْر للرياح، والإتيان بصيغة المضارع

ابن عَطِيَّة: الإثارة: تحريكها من سكونها وتسييرها. (٤: ٣٤١)
نحوه الْأَوْسِي (٢١: ٥٢)، والطَّبَّاطِبَائِي (١٦: ٢٠١)،
ومحمد جواد مُنْتَبِه (٦: ١٥٠).

الطَّبَّرِيسِي: أي فَتَجِيرُ سَحَابًا فَتَرْجعه. (٤: ٣٠٩)
الشَّرِيفِي: أي تَرْجعه وتشره. (٣: ١٧٥)
التَّرَاغِي: أي الله الذي يرسل الرياح فتشتت سحَابًا، فيشره ويجمعه جهة السماء، تارة سائرًا، وأخرى واقفًا، وحيثًا وطفاً. (٢١: ٦٦)

٣- وَالله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَجِيرُ سَحَابًا فَتَسْقَاهُ
إِلَى بَلَدٍ مَبِيتٍ فَأَعْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ.

أبو عُبَيْدَةَ: أي تجمع وتجيء به وتخرجه.

(٢: ١٥٢)

الطُّوسِي: أي تُنشئه وتجمعه وتجيء به وتخرجه.

(٨: ٤١٦)

الرَّمْغَفَرِي: فإن قلت: لم جاء (فَتَجِيرُ) على المضارعة دون ماقبله ومابعد؟

قلت: ليحكمي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهمل المخاطب أو غير ذلك.

(٣: ٣٠١)

الطَّبَّرِيسِي: أي تُهَيِّجُه وتُرْجعه من حيث هو.

(٤: ٤٠٢)

لأنه قد ناز على متن الماء، كما قال ابن فارس، وقد ناز الطحلب نَوْزًا ونَوْرًا، ونَوْرته وأنْوَته واستنْثرته.

والنَّور: السيد، والأحقق، ويرج من بروج السماء، والقطعة العظيمة من الأخط، وكل ذلك على التشبيه.

والنَّور: نَوْران الحَصْبَة؛ يقال: نارت الحَصْبَة بفلان نَوْزًا ونُورًا ونَوْرًا ونَوْرًا، أي انتشرت، ونار الزجل نَوْرًا: ظهرت فيه الحَصْبَة.

والنَّور: حمرة الشَّقَق النائرة فيه؛ يقال: ناز الشَّقَق يتورُّ نَوْزًا ونَوْرًا، أي انتشر في الأفق وارتفع.

والنَّور: الفُهور والسُّطوع؛ يقال: ناز الدَّخان والغبار وغيرهما يتورُّ نَوْزًا ونُورًا ونَوْرًا، أي ظهر وسطع، وأناره هو، وناز النطا من جَنَته: ظهر، وناز الجراد نَوْزًا وانتار: ظهر أيضًا.

والنَّور: الونوب؛ يقال: ناز به الدَّم، أي وثب عليه، وناروا به الناس: وثبوا عليه، وكذا المشاورة؛ يقال: ناوره مشاورًا ونَوْرًا، أي واثبه وساوره.

٢- ونرى أنَّ ما يدل على الجَيْشَان والغَلْيَان هو من «ف و ر» على الأظهر؛ يقال: غاز الماء من العين يَنْفُور فَوْزًا، أي جاش، ومنه الحديث: «فجعل الماء يفور من بين أصابعه»، وروى «يُفُور» بالقاف.

وفُور الحر: شدته، ومنه الحديث: «كلًا، بل هي تُشور أو تُفُور» أي يظهر حرها، والحديث الآخر: «إنَّ شدة الحر من فور جهنم»، أي وهجا وغلباها.

وفُور النضب: حدته، والقائر: النضبان، وناز نائزه: غضب ويروى أيضًا: فاز فائزه، وكل ذلك من قولهم: فاز البرق فَوْزًا، أي هاج ونبغ، أو من: فارت

لمحاكاة الحال الماضية، والإثارة إفعال من نار النبار يتورُّ نَوْرًا إذا انتشر ساطعًا. (١٧: ٢١)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: النَّور، وهو الذَّكر من البقر الذي يثير الأرض عند حرها، وكأنه في الأصل على قول الزاغب: «مصدر جُمَل في موضع القاعل، نحو: ضيف وطيف في معنى ضائف وطائف»، ويُلَمَّح معنى الهياج والانبعاث بوضوح في جميع مشتقات المادة. وتُجمع النور على أنوار وثيار وثيارة وثورة وثيرة وثيرة وثيران؛ يقال: هذه نيرةٌ كثيرة، أي تثير الأرض، وأرضٌ مثورةٌ: كثيرة التيران.

ومنه: نار الشيء يتورُّ نَوْزًا ونُورًا ونَوْرًا وتتورُّ، أي هاج، وأنْوَته ونَوْرته واستنْثرته: هيَّجته؛ يقال: مسررت بأرباب فأنسرتهم، وأنسرت السبع والصيد واستنْثرته: هيَّجته، وأثرت فلانًا: هيَّجته لأمر، وأثرت البعير أثيره إثارةً، فثار يتورُّ وتتورُّ، إذا كان باركًا وبعته فانبعث، وأثار هو الثَّراب بقوامه إثارةً: بحته، وتورُّ البرك - وهي جماعة الإبل الباردة - واستثارها: أزعجها وأنهبها، وأثار الأرض: قلبها على الحب بعدما فتحت مرةً، وأرضٌ مثارةٌ: أثيرت بالسَّن، وهي الحديد التي عُثِرَتْ بها الأرض.

ويقال مجازًا: تورُّ القرآن، أي بحث عن معانيه وعن علمه، وتورُّ فلانٌ عليهم شرًا: هيَّجه وأظهره، وتورُّ الأمر: يبحث.

والنَّور أيضًا: الطحلب وما أشبهه على رأس الماء.

الْقِدْرُ تُقَوِّمُ قُوَّةً وَقُوَّةً: خَلَّتْ وَجَاسَتْ.

والسَّاءُ، وتقابل الماضي والمضارع.

ثالثاً: ترتبط أربع من الخمس بالزَّرع: اثنتان مما في الأرض (١) و(٢)، واثنتان مما في السَّاء (٤) و(٥)، فجاءت في (١): ﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ﴾ وفي (٢): ﴿تُبَيِّرُ الْأَرْضَ﴾ وفي (٤) و(٥): ﴿فَتُبَيِّرُ سَحَابًا﴾. والأصل فيها الاستمرار، فجاء فعلها مضارعاً، إلّا في (١) فجاء ماضياً، لأنّها حكاية للأُمم السابقة، مع أنّ إثارة الأرض فيها تتمّ الزَّرع وغيره.

أما الثلاث الّتي تخصّ الزَّرع فكلّ أفعالها مضارعة، دلالة على الاستمرار، لأنّ إثارة الأرض للزَّرع وإثارة الرياح للسَّحاب، أمر مستمرّ في العالم.

رابعاً: إثارة الأرض للزَّرع شقّها وتقليب ترابها، وإثارة السَّحاب بتقليبها ونقلها من بلد إلى بلد ومن ناحية إلى ناحية بالرياح، لتطر وتسيح المِثْر والزَّرع. خامساً: في (٣): ﴿فَأَنزَلَ بِهِ سُفُكًا﴾ وصف للعاديات، وهي خيل المجاهدين في سبيل الله على أقرب الأحوال، فهي كأنّاتها سبب في سبيل نشر الإسلام، وهو نوع من الزَّرع، كما أنّ إثارة السَّحاب لتسقي الأرض قد تكفّى بها عن نشر رياح الرِّحمة والفيض الإلهي، ليسيقي أرض النفوس المستعدة للكمال.

وإثارتها للأرض إثارة ترابها وغبابها من شدّة هبوبها، فهي تجسّم عدوها السريع في معارك القتال. والسرور مكّيّة، ولم يكن يومئذٍ حرب، وجهاد الأعداء بالسيف والخيل، فهي بشارة ووعد وتفاؤل بما سيتحقّق في المستقبل القريب. أو هي وصف للغيل على العموم، لتسرحي اهتمام المسلمين بها، وأنّها نعمة

الاستعمال القرآنيّ

جاءت خمس مرّات: فضلاً ماضياً مرتين ومضارعاً ثلاث مرّات، في خمس آيات:

١- ﴿أَوَلَمْ تَبْيَرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَنزَلُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا...﴾ الزّوم: ٩
٢- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَعَرَةٌ لَّا تَذْكُلُ تَبْيَرُ الْأَرْضَ وَلَا تَنسِقُ الْهَرْتَ مُتَسَلِّةٌ لَّا يَبِيَّةٌ فِيهَا قَالُوا أَلَيْسَ جِئْتَ بِالْحَقِّ قَدْ بَعَرُوهَا وَنَاكَدُوا يَنْفَعُونَ﴾ البقرة: ٧١

٣- ﴿فَأَنزَلَ بِهِ سُفُكًا﴾ العاديات: ٤
٤- ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُبَيِّرُ سَحَابًا فَيَبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزّوم: ٤٨

٥- ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُبَيِّرُ سَحَابًا فَسُقُتَاءُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْبِتْنَا بِهِ الْأَرْضَ بِعَدَّةٍ مُّوَدَّتْ كَذَلِكَ النَّشُورُ﴾ فاطر: ٩

يلاحظ أولاً: أنّه لم يحدّد منها سوى الفعل الدالّ على الحدوث والتدرّج في العمل، وهذا هو مقتضى المادّة، لأنّها تلازم الحدوث والتدرّج، فقد تناسق وتطابق فيها اللفظ والمعنى تماماً.

ثانياً: جاءت الثلاث الأولى في إثارة الأرض فلان منها ماضيان، والأخيرتان في إثارة السَّحاب في السَّاء، وفعلهما مضارعان، فتقابل السَّفغان: فتقابل الأرض

وفي (٢): ﴿تُجِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَنْشِقُ الْحُوتَ﴾ وفي (٣): ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا فَوَسَّطْنَاهُ بَيْنَهُمَا﴾ ، وفي (٤) و (٥): ﴿أَنْزَلْنَا الرِّيحَ﴾ ، أو ﴿يُزِيلُ الرِّيحَ فَتُجِيرُ السَّحَابَ﴾ ،
فهناك تشابه في سياق الآيات.

ثامناً: كل الآيات مكية إلا واحدة، وهي (٢)، لأنها
حكاية عن بقرة بني إسرائيل في سورة البقرة، فيبدو أن
المادة بأوائل الإسلام ألصق وأنسب، لأنها كانت أوان
الفرس والزروع والسقي لشجرة الإسلام، ولأنها تمثّل
قدرة الله في الطبيعة لتوجيه الناس إلى توحيده، وهذه
كانت مهمة القرآن في سورة المكية.

وذريعة للغلبة على الأعداء، فليستعدوا لها، فهي
كالمقدمة والتهديد والتوطئة، ليأتمروا بما أنزل في المدينة في
أول حرب وقعت بينهم وبين المشركين في بدر
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾
الأفعال: ٦٠، لاحظ «ع د و».

سادساً: سبق أن قدّمنا خلال البحوث أن إرسال
الرياح للسحاب والريظ بين الرياح بصيغة الجمع وبين
السحاب سرّ كشفه العلم الحديث، كسائر ما يرتبط
بالأمطار في الآيات، لاحظ «ر و ح» و «م ط ر».

سابعاً: هناك تنامع وتناسق - بل جناس أحياناً - في
هذه الآيات، في (١): ﴿وَأَنزَلْنَا الْأَرْضَ وَغَشَّوْهَا﴾

ثوي

ه أفاظ ، ١٤ مؤ : ١١ مكيّة ، ٣ مدنيّة

في ١٠ سور : ٨ مكيّة ، ٢ مدنيّة

ثاويًا ١ : ١	مُثَوّاه ١ : ١	وربّ البيت : أبو مثنوي.
مُتَوّى ٩ : ٧ - ٢	مُتَوّاكم ٢ : ١ - ١	وربّة البيت : أمّ مثنوي.
مُتَوّاي ١ : ١		أبو عمرو الشيبانيّ : يقال للخرقة الّتي تُثَبِّلُ ويُجَمِّلُ عليها السقاء إذا نُحِضَ ثَلَا ينقطع : الثَّوَة .

(الأزهرّي ١٥ : ١٦٧)

النصوص اللغويّة

الخَلِيل : الثَّوَاه : طول المقام ، وقد تَوّى يحوي تَوّاه .	أبو عُبَيْدَة : يقال : تَوّى بالمكان وأتَوّى ، إذا أقام
ويقال للمتّوّل : قد تَوّى ، ويقال للخرِب المقيم	به . [ثمّ استشهد بشعر]
ببلدة : هو ثاويها .	أبو زَيْد : والثَّوِيّة : الثَّوَاه ، فتح والواو كسر والياء
والثَّوِيّ : الموضع .	شديدة : مأوى الغنم .
وأَتَوّيته : حبَّسه عندي .	والثَّايّة ، غير مهموز : حجارة تُرْفَع ، تكون علما
والثَّوِيّ : بيت في جوف بيت ، وقيل : هو البيت المهيأ	باللّيل للرّاعي إذا رجع إليها .
للصّيف .	والثَّوِيّة : المنزل الّذي تنزله ، سمّيت به الثَّوِيّة لأنّهم
والثَّوِيّ : الصّيف نفسه .	كانوا يتّوّن بها ، تَوّى فلان ^(١) .
والثَّوَة : خِرَق كهيئة الكَبّة على الوَتِدِ ، يُنْحَض عليها	والثَّوِيّ الّذي يثوي عندك .
السّقاء .	

(١٩٥)

والتَوَيْة: اسم موضع معروف قريب من الكوفة، فيه قبر زياد بن أبيه.

والتَّوَة مثل الصَّوَة: خرقَة تُجَمَل تحت الوُطْب إذا نُحِض، تقيه من الأرض.

والتَّائِيَة: غير مهموز: ظُلَّةٌ يَتَّخِذُهَا الرَّاعِي من أغصان الشجر.

تَوَى بالمكان وأتوى، أجاز ذلك أبو زيد، وأباه الأصمعي ثم أجازاه.

والمثوى: الذي يتوى فيه الرّجل وهو مقصور.

وَأَمْ تَمْنَى الرّجل: صاحبة منزله الذي ينزله.

(١٧٠: ١)

التَّوَاء: المَقَام في الموضع، تَوَى يتوى تَوَاءً. والمثوى: الموضع الذي يتوى فيه.

والتَّوَة مثل الصَّوَة من الأرض: وهو ارتفاع من الأرض وغلظ، وربما نُصبت فوقها الحجارة ليُتَدى بها.

(٢٢٠: ٣)

الأَزْهَرِيّ: يقال: أنزلني فلان، وأنواني تَوَاءً حسنًا.

ومثوى الرّجل: منزله، وجمعه: المثاوي.

والمثوى، مصدر: تَوَيْتُ أُنْوِي تَوَاءً ومثوى.

(الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٦٧)

الصَّاحِب: والتَّوَاء: طول الإقامة، تَوَى يتوى. والمثبور يقال: تَوَى.

والمثوى: الموضع. وأنزلني فأُنْوَانِي تَوَاءً حسنًا. والتَّيْئَة: التَّوَاء - بمنزلة العليّة - وكذلك التَّوَاءِيَة.

وأكرمني منواه، أي مقامه.

اللَّحْيَانِيّ: جمع التَّائِيَة: تَائِي. (ابن سيده ١٠: ٢٢٤)

ابن الأعرابي: التَّوِيّ: الضَّيف.

والتَّوِيّ: الجارة في المرمين.

والتَّسْوِيّ: الصَّوْبَر في المغازي المُجَرَّ^(١)، وهو

المحبوس.

التَّوَى: قُاش البيت، واحدها: تَوَة، مثل صَوَة.

وَصَوَى وهووَ وهَوَى. (الأَزْهَرِيّ ١٥: ١٦٧)

والتَّائِيَة: أن تُجَمَع شجرتان أو ثلاثٌ، فيُلْقَى عليها ثوب، فيُسْتَظَلُّ بها. (ابن سيده ١٠: ٢٢٤)

أبو عُبَيْد: في حديث: «...وأصلحوا متاويكم»

المتاوي: المنازل، يقال: تَوَيْتُ بالمكان، إذا نزلت به

وأقمت به، ولهذا قيل لكل نازل: تَاوَى. (٢: ٦٨)

ابن السكيت: هذه ثابة الغنم وثاية الإبل، أي

مأواها وهي عازية، أو مأواها حول البيوت.

(الجَوْهَرِيّ ٦: ٢٢٩٦)

المُبْتَرَد: يقال: هذا أبو مثاوى، وللأشئ هذه أم

مثاوى.

ومنزل الصَّيَافَة ومأشبهها: المثوى، وكذلك قال

المفسرون في قول الله عز وجل: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾

يوسف: ٢١، أي إضافته.

ويقال بين هذا: تَوَى يتوى تَوَاءً، كقولك: مضى

بمضي مُضِيًّا. ويقال: تَوَاءً ومضًا. [ثم استشهد بشعر]

(٢: ١٢٩)

قُغَلَب: التَّوِيّ: الأسير. (ابن سيده ١٠: ٢٢٤)

ابن دُرَيْد: تَوَى يتوى تَوَاءً، إذا أقام بالمكان؛

والاسم: التَّوَاء ممدود. [ثم استشهد بشعر]

وَرَبَّ الْبَيْتِ: أَبُو مَتَاوِي، وَأُمُّ مَتَاوِي: لِلرَّبَّةِ.

وَالْقُوَّةُ: امْرَأَةُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوِي إِلَيْهَا.

وَالْقُوَّةُ: الْبَيْتُ فِي جَوْفِ الْبَيْتِ، وَقِيلَ: الْبَيْتُ الْمَهَيَّأَ لِلضَّيْفِ، وَقِيلَ: الضَّيْفُ نَفْسُهُ.

وَالْقُوَّةُ: مَوْضِعٌ إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ.

وَقِيلَ: الْمَتْوَى: الْحَبِيثُ، وَمِنْهُ نَائِيَةُ الضَّيِّعِ، وَيَقُولُونَ: قَبِحَ اللَّهُ ثَائِيكَ.

وَلَفْطَانُ نَائِيَةٍ، أَيْ غَنَمٌ صَالِحَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ، وَجَمْعُهَا: نَائِيٌّ.

وَالثَّائِيَةُ أَيْضًا: حِجَارَةٌ قَدْرُ قَنْدَةِ الرَّجُلِ.

وَالثَّوَّةُ: مِثْلُ الثَّوَّةِ، وَهِيَ الْمَلَمُ فِي الْأَرْضِ. وَوَاحِدَةُ الثَّوِيِّ، وَهِيَ يَخْرَقُ تُجْمَعُ كَهَيْئَةِ الْكُتْبَةِ عَلَى الْوَيْدِ، فَيُتَخَفَضُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ، وَيَخْرَقُ الْيَدْرُ أَيْضًا.

(١٠: ١٩٩)

الْغَطَّاءِي: فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَلَا يَتَوِي عِنْدَهُ حَتَّى يُحَرِّجَهُ»

الْتَوَاءُ: الْإِقَامَةُ بِالْمَكَانِ، يَقُولُ: لَا يَقِيمُ عِنْدَهُ [الضَّيْفُ] بَعْدَ الثَّلَاثِ حَتَّى يُصَيِّقَ صَدْرَهُ. (١: ٣٥٣)

فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَتَبَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ حِينَ صَالِحَهُمْ «وَعَلَى نَجْرَانَ مَتَوَى رُسُلِي عَشْرِينَ لَيْلَةً فَادُونَهَا...».

وَقَوْلُهُ: مَتَوَى رُسُلِي، أَيْ نَزَلَهُمْ وَمَا يَتَوِيهِمْ مَدَّةً مُقَامَهُمْ.

وَالْتَوَاءُ: طَوْلُ الْمَكْتِ بِالْمَكَانِ، وَالْمَتْوَى: الْمَزْلُ.

وَيَقَالُ لِصَاحِبِ الْمَزْلِ: أَبُو مَتَوَاءٍ، وَلِرَبِّةِ الْبَيْتِ: أُمُّ مَتَوَاءٍ.

وَالْقُوَّةُ: الضَّيْفُ. (١: ٤٩٨)

نَحْوَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ. (١: ٢٣٠)

فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «تَوَيْتُهُ فَلَمْ أَرِ رَجُلًا أَسَدَ تَشْمِيرًا، وَلَا أَقْرَبَ عَلَيَّ ضَيْفٍ مِنْهُ» قَوْلُهُ: تَوَيْتُهُ، أَيْ تَضَيَّقْتُهُ، وَالْقُوَّةُ: الضَّيْفُ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر]

وَأَصْلُ هَذَا مِنَ التَّوَاءِ، وَهُوَ الْمَكْتُ فِي الْإِقَامَةِ، يَقَالُ: نَوَى الرَّجُلُ وَأَتَوَيْتُهُ، إِذَا أَوَيْتَهُ إِلَى مَزْلِكَ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر] (٢: ٤١٩)

الْجَوْهَرِيُّ: نَوَى بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ، يَتَوِي نَوَاءً وَتَوِيًّا، مِثْلُ مَضَى يَمْضِي مَضَاءً وَتَوِيًّا.

يَقَالُ: تَوَيْتَ الْبَصْرَةَ، وَتَوَيْتَ بِالْبَصْرَةِ، وَأَتَوَيْتَ بِالْمَكَانِ، لَفْعٌ فِي «تَوَيْتَ». [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر]

وَأَتَوَيْتَ غَيْرِي يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وَتَوَيْتَ غَيْرِي تَوِيَّةً.

وَالْقُوَّةُ عَلَى «فَعِيلٍ»: الضَّيْفُ.

وَأَبُو مَتَوَى الرَّجُلُ: صَاحِبُ مَزْلِهِ.

وَالْقُوَّةُ: اسْمُ مَوْضِعٍ. (١٦: ٢٢٩٦)

ابْنُ فَارِسٍ: التَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ، تَدُلُّ عَلَى الْإِقَامَةِ. يَقَالُ: نَوَى يَتَوِي فَهُوَ نَائِيٌّ [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر] وَيَقَالُ: أَتَوَى أَيْضًا، [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْر]. وَالْقُوَّةُ وَالْقَائِيَةُ مَا وَى الْغَنَمِ. وَالْقُوَّةُ: مَكَانٌ. وَأُمُّ مَتَوَى الرَّجُلِ: صَاحِبَةُ مَزْلِهِ، وَالْقِيَاسُ كُلُّهُ وَاحِدٌ.

(١: ٣٩٣)

ابْنُ سَيِّدِهِ: تَوَيْتَ بِالْمَكَانِ وَتَوَيْتُهُ ثَوَاءً وَتَوِيًّا، الْأَخِيرَةُ عَنْ سَيِّبِيوَةٍ.

وَأَتَوَيْتَ بِهِ: أَطْلَعْتُ الْإِقَامَةَ بِهِ.

وَأَنْوَيْتُهُ أَنَا، وَتَوَيْتُهُ، الْأَخِيرَةُ عَنْ كُرَاعٍ: أَلَزَمْتُهُ
التَّوَاءَ فِيهِ.

وَتَوَى بِالْمَكَانِ: نَزَلَ بِهِ، وَبِهِ سَمِيَ الْمَنْزِلُ: تَمَوَّى.

وَأَنْوَانِي الرَّجُلَ: أَضَافِي.

وَأَبُو نَوَالٍ: ضَيْفُكَ الَّذِي تَضِيغُهُ.

وَسُوِي الرَّجُلَ: قُبِّرَ، لِأَنَّ ذَلِكَ سُوءٌ لَا أَطُولُ

مِنَهُ. (١٠: ٢٢٣)

الطُّوسِي: الْمَتَوَى: الْمَنْزِلُ، وَأَصْلُهُ: التَّوَاءُ، وَهُوَ

طَوِيلُ الْإِقَامَةِ.

تَوَى يَتَوَى تَوَاءً، إِذَا طَالَ مُقَامُهُ، وَأَنْوَانِي فَلَانٌ

تَمَوَّى، أَيْ أَتَزَلَّنِي مَزَلًّا.

وَرَبِيتُ الْبَيْتَ: أُمُّ مَوَاءٍ.

وَالْتَوَى: الضَّيْفُ، لِأَنَّهُ مَقِيمٌ مَعَ الْقَوْمِ. (٣: ١٧)

الرَّوَاغِبُ: التَّوَاءُ: الْإِقَامَةُ مَعَ الْإِسْتِرْقَارِ، تَوَى يَتَوَى

تَوَاءً. [ثُمَّ ذَكَرَ آيَاتٍ وَقَالَ:]

وَقِيلَ: مَنْ أُمُّ مَتَوَاكَ؟ كِتَابَةٌ عَمَّنْ نَزَلَ بِهِ ضَيْفٌ.

وَالْتَوَيْتُ مَأْوَى النِّعَمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ. (٨٤)

الزَّمْعُفَرِيُّ: تَوَى بِالْمَكَانِ وَأَتَوَى: أَقَامَ. وَفَلَانٌ

أَكْرَمُ مَتَوَايَ، وَطَالِ بِي التَّوَاءُ، وَهُوَ أَبُو مَتَوَايَ، وَهِيَ أُمُّ

مَتَوَايَ: لِمَنْ أَنْتَ نَازِلٌ بِهِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَأَنْزَلَنِي فَلَانٌ فَأَتَوَانِي إِثْوَاءَ حَسَنًا، وَتَوَانِي تَسْوِيَةً

حَسَنَةً. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرٍ]

وَأَنَا تَوَى فَلَانٌ، أَيْ ضَيْفُهُ. وَهَذِهِ تَوِيَّةُ فَلَانٍ، أَيْ

امْرَأَتُهُ الَّتِي يَتَوَى إِلَيْهَا.

وَأَرَاخَ غَنَمَهُ إِلَى النَّايَةِ وَالتَّوِيَّةِ، وَهِيَ مَأْوَى النِّعَمِ.

وَهَذِهِ نَايَاتُ الْقَوْمِ وَنَاجِمٌ بَغِيرُ هِمَزٍ: حِظَاتُهُمْ،

كَرَايَ وَرَايَاتٍ.

وَيَقَالُ لِلْمَقْبُورِ: قَدْ تَوَى. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٤٩)

الْفَيْيُومِيُّ: تَوَى بِالْمَكَانِ فِيهِ، وَرَبِّيًا تَمَدَّى بِنَفْسِهِ،

مِنْ بَابِ «رَمَى» يَتَوَى تَوَاءً بِالْمَدِّ: أَقَامَ، فَهُوَ تَوَاوَى. وَأَتَوَى

بِالْأَلْفِ لَفَةً وَأَتَوَيْتُهُ، فَيَكُونُ الرَّبَايَةُ لِزَمَانًا وَمَتَعَدِّيًا.

وَالْمَتَوَى يَفْتَحُ الْمِيمَ وَالْعَيْنَ: الْمَنْزِلُ، وَالْجَمْعُ: الْمَتَاوِي

بِكَسْرِ الْوَاوِ. (٨٨)

الْفَيْرُوزُ أَبَادِيٌّ: تَوَى الْمَكَانَ وَبِهِ يَتَوَى تَوَاءً وَتَوَايَا

بِالضَّمِّ، وَأَتَوَى بِهِ: أَطَالَ الْإِقَامَةَ بِهِ أَوْ نَزَلَ.

وَأَتَوَيْتُهُ: أَلَزَمْتُهُ التَّوَاءَ فِيهِ كَمَتَوَيْتُهُ وَأَضَعْتُهُ.

وَالْمَتَوَى: الْمَنْزِلُ. الْجَمْعُ: الْمَتَاوِي.

وَأَبُو الْمَتَوَى: رَبُّ الْمَنْزِلِ وَالضَّيْفِ.

وَالْتَوَى كَفَتِي: الْبَيْتَ الْمُهَيَّأَ لَهُ، وَالضَّيْفَ، وَالْأَسِيرَ.

وَالْجَاهُورُ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ، وَبِهَاءٍ: مَوْضِعٌ، وَالْمَرْأَةُ.

وَالنَّايَةُ وَالتَّوِيَّةُ كَفَتِيَّةٌ: أَخْفَضُ عِلْمٍ يَقْدَرُ فَيَقْدُرُكَ

كَالتَّوِيَّةِ، وَمَأْوَى الْإِبِلِ عَازِبَةٌ أَوْ حَوْلَ الْبَيْتِ كَالنَّاتَوَةِ.

وَتَوَى تَوِيَّةً: مَاتَ، وَكَفَتِي: قُبِرَ.

وَالْتَوَى بِالضَّمِّ: قَامَسَ الْبَيْتَ، الْجَمْعُ: تَوَايَ، أَوْ التَّوِيَّةُ

وَالْتَوَى كَفَتِي: خَرِقَتْ كَالْكَبَّةِ عَلَى التَّوِيَّةِ يُخَضُّ عَلَيْهَا

السَّقَاءُ لَتَلَّ يَتَخَرَّقُ، أَوْ التَّوِيَّةُ بِالضَّمِّ: ارْتِفَاعٌ وَغِلَظٌ وَرَبِّيًا

نُصِبَتْ فَوْقَهَا الْحِجَارَةُ لِتُهْتَدَى بِهَا، أَوْ خِرْقَةٌ تَحْتَ التَّوَطُّبِ

إِذَا تُحِضُّ تَقِيهِ مِنَ الْأَرْضِ.

وَنَاءٌ: مَوْضِعٌ.

وَالنَّاءُ: حَرْفُ هِجَاءٍ، وَقَافِيَةُ نَاوِيَّةٍ.

النَّيَّةُ كَالنَّيَّةِ: مَأْوَى النِّعَمِ. (٤: ٣١١)

مَجْمَعُ اللَّغَةِ: تَوَى الْمَكَانَ وَبِالْمَكَانِ يَتَوَى تَوَاءً

والمرزوقي في شرح الحساسة، والحكم، والأساس،
والفتار، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج،
والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.
ويُحيز لنا أن نقول: ثوى فلاناً: كُراع السمل،
والصّحاح، والحكم، والأساس. الذي استشهد بقول
الشاعر. [ثم ذكر شعره] والفتار، واللسان، والقاموس،
والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن،
والوسيط.

أما معنى ثوى فلاناً بالمكان وتواء فيه، فهو: أنزله
فيه.

وفعله: ثوى بالمكان وفيه يتوي تواء، وثوياً - عن
بيبيويه - وثوى، جاء في الآية (١٢٨) من سورة
الأنعام: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوِيكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. ونقل التاج
في مستدركه عن أبي علي الفارسي أن «ثوى» هنا هي
مصدر لا اسم مكان.

ومن معاني ثوى: هلك. [ثم استشهد بشعر] (١١١)
محمود شيت: المثنى: قاعة نوم الجنود. (١٣١:١)
المُصْطَفَوِيُّ: لا يبنى أن «القي» كما تدل عليه
حرف التاء والياء هو الزّول والالتصاق إلى الأرض،
كما في «الغرى»، فالإقامة هو القيام في محل بقصد السكنى
والإقامة فيها، والتواء هو الزّول والتسقوط والإقامة في
الزّول.

فالثنوى يدل دائماً على التسقوط والهبوط والحقارة
والضعف والابتلاء. [ثم ذكر بعض الآيات وفُسر بعضها
فراجع] (٢: ٣٩)

وثوياً: أقام به على استقرار وطول لبث، فهو ثاوٍ.

والمثنى: مصدر ثوى، أو اسم مكان منه. (١٧٨:١)
العاملِي: المثنوى والمأوى قريان في المعنى. وورد
«المثنوى» كثيراً بالنسبة إلى غير المؤمن، وعكسه المأوى.
(١١٢)

العَدْنَانِي: ثوى بالمكان وفيه وأثوى بالمكان وفيه.
ويظنون من يقول: أثوى بالمكان، أي أقام فيه،
ويقولون: إن الصواب هو: ثوى بالمكان وفيه، معتمدين
على قوله تعالى في الآية (٤٥) من سورة القصص:
﴿...وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَّبِعُوا عَلَيْهَا بَنَاتِنَا
وَلَكِنَّا كُنَّا مُزِيلِينَ﴾. ومعتمدين أيضاً على مجمع
الفاظ القرآن الكريم وحمل قول العَدْنَانِي بن الفرخ
الجبلي. [ثم استشهد بشعره]

وحمل المرزوقي في شرح الحساسة، الذي قال: ثوى
بالمكان، إذا أقام، وأتواء غيره. وحمل مفردات الزاغب
الأصفهاني والمغرب.
ولكن:

أجاز قول جَمَلَتِي: ثوى بالمكان وفيه، وأثوى
بالمكان وفيه كُلٌّ من شَرِي بُنِي مَحْدَوِيه، و«أدب الكاتب»
في باب أبية الأفعال، والأزهرِي، والصّحاح الذي
استشهد ببيت الأعشى. [وقد نقل شعره] والأساس،
والفتار، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج،
والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.
والصّحاح، والحكم، والمصباح، والقاموس مَن
أجازوا لنا أن نقول: ثَوِيْتُ المكان أيضاً.

ونستطيع أن نقول: أَثَوِيْتُ فلاناً أيضاً: الصّحاح.

النصوص التفسيرية

ثاويثا

...وَمَا كُنْتُمْ ثَاوِيثًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَقُولُوا غَنَمُهُمْ أَيَاتُنَا
وَلَكِنَّا كُنَّا مُزِيلِينَ. القصص: ٤٥

ابن زيد: الثاوي: المتيم. (الطبري ٢٠: ٨١)
نحوه أبو عبيدة (٢: ١٠٧)، وابن قتيبة (٣٣٣)،
والطبري (٢٠: ٨١)، والزجاج (٤: ١٤٧)، والطبرسي
(٤: ٢٥٧)، وهكذا أكثر التفسير.

مَثْوَى

...وَمَثْوَاهُمُ النَّارُ وَيَشَى مَثْوَى الظَّالِمِينَ.

آل عمران: ١٥١

الطبرسي: معناه وبش مقام الظالمين النار.

(١: ٥١٩)

الغازن: أي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه. (١: ٣٦٣)

أبو حنبلان: بالغ في ذمّ مشاهم، والمقصود بالذمّ
محذوف، أي وبش مَثْوَى الظالمين النار.

وجعل النار مأواهم ومشاهم، وبدأ بالمأوى وهو
المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولا يلزم منه التواء. لأنّ
التواء دالّ على الإقامة، فجعلها مأوى ومثوى، كما قال
تمال: ﴿وَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ﴾ محمّد: ١٢. (٣: ٧٨)

أبو السّعود: والمقصود بالذمّ محذوف، أي بش
مَثْوَى الظالمين النار. وفي جعلها مشاهم بعد جعلها
مأواهم نوع رمز إلى خلودهم فيها، فإنّ «المثوى» مكان

الإقامة المنبئة عن المكث، وأما «المأوى» فهو المكان
الذي يأوي إليه الإنسان. (٢: ٤٨)

مثل ذلك البرؤوسوي (٢: ١٠٩)، ونحوه الألويسي (٤: ٨٨)،
والمراسي (٤: ٩٧).

طه الدرة: مَثْوَى: مأوى، والفرق بينها أنّ المَثْوَى
مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى فهو المكان
الذي يأوي إليه الإنسان ولو مؤقتاً. وقدم على المَثْوَى،
لأنّه على الترتيب الوجودي يأوي ثم يثوي.
(٢: ٢٤٠)

وبهذا المعنى جاء ﴿فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾
النحل: ٢٩، ﴿...أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِّلْكَافِرِينَ﴾
المنكوت: ٦٨، والزمر: ٣٢، و٦٠، ٧٢، والمؤمن:
٧٦، وفصلت: ٢٤، ومحمد: ١٢.

مَثْوِيكُمْ

...قَالَ النَّارُ مَثْوِيكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا... الأنعام: ١٢٨

ابن عباس: يريد فيها مقامكم. (الواحد: ٢: ٢٢٣)

نحوه البصري. (٢: ١٥١)

الطبري: يعني نار جهنّم مشاهمكم الذي تتوون فيه،
أي تقيمون فيه، والمثوى: هو «المَقْل» من قولهم: ثوى
فلان يمكن كذا، إذا أقام فيه. (٨: ٣٤)

الزجاج: المَثْوَى: المقام، المعنى النار مقامكم في
حال خلود دائم. (٢: ٢٩١)

الفارسي: «المثوى» عندي في الآية: اسم
للمصدر دون المكان، للحصول الحال في الكلام مُعملاً
فيها.

خروج، ولذا أكَّده بقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾. (٣٥٣: ٧)

٢... وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَتَوَلِّيَكُمْ. محمد: ١٩

ابن عباس: مصيركم ومنزلكم في الآخرة. (٤٢٩: ٤)

مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار.

نحوه الضحك. (البقرى: ٤: ٢١٥)

عِزَّتُمْ: متقلِّبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأُمَّهات، (ومتواكم): مقامكم في الأرض.

(البقرى: ٤: ٢١٥)

مُقَاتِل: مأواكم إلى مضاجعكم بالليل.

(البقرى: ٤: ٢١٥)

السُّدِّي: متقلِّبكم في الدنيا، متواكم في قبوركم.

(٤٤١)

ابن قُتَيْبَةَ: أي منزل لهم.

(٤١٠)

مثله السجستاني.

الطَّبْرِيُّ: فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مُتَصَرِّفَكُمْ فِيمَا تَتَصَرَّفُونَ

فيه، في يظننكم من الأعمال، ومتواكم إذا تويت في

مضاجعكم للثوم ليلاً، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو

بمازيكم على جميع ذلك.

(٥٤: ٢٦)

نحوه القاسمي.

(٥٣٨٤: ١٥)

الزَّجَّاج: أي يعلم أين مقامكم في الدنيا والآخرة.

(١٢: ٥)

ابن كيسان: مستقلِّبكم من ظهر إلى بطن،

(وتَوَلِّيَكُمْ): مقامكم في القبور. (البقرى: ٤: ٢١٥)

الماوردي: يحتمل وجهين:

أحدهما: متقلِّبكم في أسفاركم، ومتواكم في أوطانكم.

الآتري أنه لا يخلو من أن يكون موضعاً أو مصدرًا.

فلا يجوز أن يكون موضعاً، لأن اسم الموضع لا يعمل

عمل الفعل، لأنه لا معنى للفعل فيه، فإذا لم يكن موضعاً

ثبت أنه مصدر.

والمعنى الثار ذات إقامتكم، أي الثار ذات إقامتكم

فيها خالدين، أي هم أهل أن يُقيموا فيها ويَتَوَلَّوْا

خالدين. (ابن سيده ١٠: ٢٢٣)

الساوودي: أي منزل إقامتكم، لأن المشوى

الإقامة. (٢: ١٦٨)

نحوه الطبرسي (٢: ٣٦٥)، والبروسوي (٣: ١٠٣).

الطوسي: أي داركم ومقرَّكم. (٤: ٣١٠)

ابن عطية: أي موضع ثوابكم كمقامكم الذي هو

موضع الإقامة. (٢: ٣٤٥)

الفخر الرازي: المشوى: المقام والمقرَّ والمصير، ثم

لا يبعد أن يكون للإنسان مقام ومقرَّ ثم يموت، ويتخلَّص

بالموت عن ذلك المشوى. فبين تعالى أن ذلك المقام

والمشوى مخلَّد مؤبَّد، وهو قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

(١٣: ١٩٢)

أبو حيان: [ذكر قول الزجاج والفارسي ثم أضاف:]

ويصح قول الزجاج على إضمار، يدلُّ عليه

(تَوَلِّيَكُمْ) أي يتولون خالدين فيها. (٤: ٢٢٠)

الآلوسي: أي منزل لكم ومحلَّ إقامتكم أو ذات

ثوابكم، على أن المشوى اسم مكان أو مصدر. (٨: ٢٦)

الطُّبَّاطِبَانِي: والمثوى: اسم مكان، من قولهم:

نوى يتوى نواءً، أي أقام مع استقرَّ، فقوله: ﴿النَّارُ

خَفِيَّكُمْ﴾ أي مقامكم الذي تستقرون فيه من غير

حركات ابن آدم وسكناته، سواء أَلَّتِي فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي
الْآخِرَةِ. فِي فِتْرَةٍ كَوْنُهُ جَنِينًا أَمْ كَوْنُهُ مِنْ سَكَّانِ الْقُبُورِ،
وَلِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسُورِينَ قَدْ ذَكَرَ لَهَا مَعَانِي مَحْدُودَةٌ.
[تَمْ ذَكَرَ أَقْوَالَهُمْ] (٣٣٧: ١٦)
نَحْوُهُ فَضْلُ اللَّهِ. (٦٧: ٢١)

مَثْوَاهُ

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَخَوَاتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
عَسَى أَنْ يَتَغَفَّلَ عَنْهُ فَلْيُكَذِّبْهُ... يوسف: ٢١
ابن عباس: قدره ومنزله. (١٩٥)
نَحْوُهُ فَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ. (الطَّبْرِيُّ ١٢: ١٧٥)
الضَّحَّاكُ: طَبِيبُ مَعَاشِهِ وَلَيْنَ لِبَاسِهِ وَوُطْءُ فِرَاشِهِ.
(التَّسْنِيُّ ٢: ٢١٦)
ابن إسحاق: أَكْرَمِي مَوْضِعَ مَقَامِهِ، وَذَلِكَ حَيْثُ
يُنَوِي وَيَقِيمُ فِيهِ. (الطَّبْرِيُّ ١٢: ١٧٥)
نَحْوُهُ أَبُو عُبَيْدَةَ (١: ٣٠٤)، وَابْنُ قُتَيْبَةَ (٢١٤)،
وَالزَّجَّاجُ (٣: ٩٨)، وَالتَّحَاسُّ (٣: ٤٠٨).

الطُّوسِيُّ: يَمْنِي مَوْضِعَ مَقَامِهِ، وَإِنَّمَا أَمْرُهَا بِإِكْرَامِ
مَثْوَاهُ دُونَ إِكْرَامِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ مَنْ أَكْرَمَ غَيْرَهُ لِأَجَلِهِ
كَانَ أَكْثَرُ مَنْزِلَةً مِمَّنْ يُكْرَمُ فِي نَفْسِهِ فَقَطْ. (٦: ١١٥)
الْبَغَوِيُّ: أَيُّ مَنْزِلَتِهِ وَمَقَامِهِ، وَالْمَثْوَى: مَوْضِعُ
الْإِقَامَةِ. (٢: ٤٨٢)

الزَّمَخْشَرِيُّ: أَجْعَلِي مَنْزِلَهُ وَمَقَامَهُ حَنْدَنَا كَرِيمًا،
أَيُّ حَسَنًا مَرْضِيًّا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ
مَثْوَايَ» يوسف: ٢٣، وَالمَرَادُ تَفْقِيدُهُ بِالإِحْسَانِ
وَتَعْدِيهِ بِحَسَنِ الْمَلَكَةِ، حَتَّى تَكُونَ نَفْسُهُ طَيِّبَةً فِي

الثَّانِي: مُتَقَلِّبُكُمْ فِي أَصَالِكُمْ نَهَارًا، وَمَثْوَاكُمْ فِي لَيْلِكُمْ
نِيَامًا. (٥: ٣٠٠)

الطُّوسِيُّ: أَيُّ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُتَقَلَّبُونَ فِيهِ، وَكَيْفَ
تُتَقَلَّبُونَ، وَمَوْضِعُ اسْتِقْرَارِكُمْ، لِأَنَّهُ عَلَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ
أَصَالِكُمْ طَاعَةٌ كَانَتْ أَوْ مَعْصِيَةٌ. (٩: ٣٠٠)

الزَّمَخْشَرِيُّ: وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَحْوَالَكُمْ وَمُتَصَرِّفَاتِكُمْ
وَمُتَقَلِّبَكُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ وَمُتَاَجِرِكُمْ، وَيَعْلَمُ حَيْثُ
تَسْتَقَرُّونَ فِي مَنَازِلِكُمْ أَوْ مُتَقَلِّبَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ فِي
الْقُبُورِ، أَوْ مُتَقَلِّبَكُمْ فِي أَصَالِكُمْ، وَمَثْوَاكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ.
(٣: ٥٣٥)

نَحْوُهُ التَّسْنِيُّ (٤: ١٥٣)، وَالفَخْرُ الرَّازِيُّ (٢٨: ٦١)،
وَالْبَيْهَقِيُّ (٢: ٣٩٥)، وَالكَاشَانِيُّ (٥: ٢٧)،
وَالشَّرِيفِيُّ (٤: ٣٠)، وَأَبُو السُّمُودِ (٦: ٨٩).

الطَّبَّا طِبَّائِي: وَالظَّاهِرُ أَنَّ «الْمُتَقَلِّبَ» مَعْدَرُ مَبْنِيٍّ
يَمْنِي الْإِنْتِقَالَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَكَذَلِكَ «الْمَثْوَى» يَمْنِي
الْإِسْتِقْرَارَ وَالسُّكُونَ، وَالمَرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ كُلَّ
أَحْوَالِكُمْ مِنْ مُتَغَيِّرٍ وَثَابِتٍ وَحَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، فَانْتَبِهُوا عَلَى
تَوْحِيدِهِ وَاطْلُبُوا مَغْفِرَتَهُ، وَاحْذَرُوا أَنْ يَطْبَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
وَيَتَرَكَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ. (١٨: ٢٣٨)

مُحَمَّدُ جَوَادُ مَغْنِيَّتِهِ: مَقَرَّكُمْ حِينَ تَتَرَكُونَ الْعَمَلَ،
أَوْ مَصِيرَكُمْ فِي الْآخِرَةِ. كَمَا قِيلَ.

عَسَدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبِ: وَالْمَثْوَى: الْمَأْوَى
الَّذِي يُنَوِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَالمَرَادُ بِهِ:
السُّكُونُ. (١٣: ٣٣٩)

مَكَارِمُ الشَّيرَازِيِّ: وَالْمَثْوَى هُوَ مَحَلُّ الْإِسْتِقْرَارِ،
وَالظَّاهِرُ أَنَّ لِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ مَعْنًى وَاسْمًا، يَشْمَلُ كُلُّ

الضيف . (٢٠٧ : ١٢)

الطَّبَّاطِيَّاتِي : أي تصدّي بنفسك أمره واجعلي له
مقامًا كريمًا عندك . (١٠٩ : ١١)

مَقَوَائِي

... قَالَ مَقَادُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَقَوَائِي إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ
الطَّالِمُونَ . يوسف : ٢٣

مُجَاهِد : يريد يوسف سيده زوج المرأة .

(الطَّبَّيَّي : ١٢ : ١٨٢)

ياكرامي وبسط يدي ورفع منزلي .

منله ابن إسحاق ، والسُّدِّي ، والجُبَّائِي .

(الطُّوسِي : ٦ : ١١٩)

السُّدِّي : إنه سيدي فلا أخوته في أهله . (٣١٠)

ابن إسحاق : أنتمي على بيته وأهله .

(الطَّبَّيَّي : ١٢ : ١٨٢)

الْقَوَام : قد أحسن إلي فلا أخوته . (٤٠ : ٢)

الطَّبَّيَّي : أحسن منزلي ، وأكرمني وأنتمني

فلا أخونه . (١٢ : ١٨٢)

الرَّجَّاج : أي تولاني في طول مقامي . (٣ : ١٠١)

الواحدِي : أي أنعم علي ياكرامي فلا أخوته في

حرمتي . إني إن فعلت ذلك كنت ظالمًا . (٢ : ٦٠٧)

الْبَقَوِي : أي أكرم منزلي ، هذا قول أكثر المفسرين .

وقيل : الهاء راجعة إلى الله تعالى ﴿ رَبِّي أَحْسَنَ مَقَوَائِي ﴾

أي آواني ومن بلاء الجُبَّ عافاني .

(٢ : ٤٨٣)

الطَّبَّيَّي : معناه إنَّ العزيز زوجك مالكي أحسن

صحبتنا ساكنة في كنفنا .

ويقال للرجل : كيف أبو مواء وأُم مواء ؟ لمن ينزل

به من رجل أو امرأة ، يُراد هل تطيب نفسك بمواءك عنده

وهل يراعي حق نزولك به ؟ (٢ : ٣١٠)

نحوه البَيْضَاوِي (١ : ٤٩١) ، والنَّسَبِي (٢ : ٢١٦) .

والنَّسَبَاوِي (١٢ : ٩٤) ، وأبو السُّعُود (٣ : ٣٧٦) ،

والْبَرْسَوِي (٤ : ٢٣١) .

الطَّبَّيَّي : أي مقام يوسف وموضع نزوله ، أي

هتي له موضعا كريما شريفاً . (٣ : ٢٢١)

الْفَخْرُ الرَّازِي : [نحو الرَّخْشَرِي ثم قال :

وقال المحققون : أمر العزيز امرأته بإكرام مواء دون

إكرام نفسه ، يدلُّ على أنَّه كان ينظر إليه على سبيل

الإجلال والتَّعْظِيم ، وهو كما يقال : سلام الله على المجلس

العالي . (١٨ : ١٠٩)

نحوه الشَّرِيفِي . (٢ : ٩٩)

الْقَرطَبِي : أي منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس

الحسن . (٩ : ١٥٩)

أَبُو عَيَّان : مكان إقامته ، وهو كناية عن الإحسان

إليه في مأكل ومشرب وملبس . (٥ : ٢٩٢)

الْأَلَوْسِي : أي اجعلي محلَّ نواته وإقامته كريما ، أي

حسنا مرضيا . وهذا كناية عن إكرامه ^{عليه} نفسه على أبلغ

وجه وأتمه ، لأنَّ من أكرم الملَّ بتخليفه وفرشه ونحو ذلك

فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به .

وقيل : المثوى مقحم ، يقال : المجلس العالي ، والمقام

السامي .

والمعنى أحسنني تمهده والنظر فيما يقتضيه إكرام

والمَتَوَى: الموضع الذي يقام به، ومستوى الرّجل: منزله، وجمعه: المتأوي، وأبومتوى الرّجل: صاحب منزله، وأُمّ متوى الرّجل: صاحبة منزله، وأبومتواك: ضيفك الذي تُضيفه.

والتَّوَيَّة والثَّايَّة والثَّيَّة: مأوى الغنم، يقال: هذه ثاية الغنم وثاية الإبل. والتَّوَيَّة: موضع قرب الكوفة، قال ياقوت: «ذكر العلماء أنها كانت سجناً للتحمان بن المنذر، كان يحبس بها من أراد قتله، فكان يقال لمن حُبس بها: تَوَى، أي أقام، فَسَمِيَتِ التَّوَيَّةُ بذلك».

٢- وقد تمازجت المادَّتان «ث و ي» و«ث أي» في بعض مشتقاتها، نحو: التَّوَّة، وهي خرقه توضع على السَّقاء إذا نُحِضَ، لئلا ينقطع، أو تحته لتقيه الأرض، أو تُلفَّ على رأس الوتد لهذه الغاية أيضاً.

وأصلها «تَوَيَّة» من «ث أي»، فَسَهَلَتِ الهَمْزة وصارت «تَوَيَّة»، فَاجْتَمَعَتِ الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فَأُدْغِمَتِ الياء في الواو لضمّة الثاء، ثُمَّ شُدَّدَتَا فَأَصْبَحَتِ «تَوَّة». ووهم ابن سيده فيها؛ إذ جعلها من «ث و»، لأنّه لم يعرف هذا المعنى، كما ذكره في «الحكم».

ونحو: الثَّايَّة، وهي أن يُجْمَعَ بين رؤوس ثلاث شجرات أو شجرتين، ثُمَّ يُلْقَى عليها توب فيُسْتَظَلُّ به. وأصلها «ثَّايَّة» بالهمز من «ث أي»، فَلَمَّا حُذِفَتِ الهَمْزة منها لِلخَفَةِ، اشْتَبَهَ الأمر على من لادرية له على ذلك، فَظَنَّ أَنَّهَا من «ث و».

وأما معنى القتل والمهلاك من قولهم: قد تَوَى، أي هَلَكَ أو قُتِلَ، فهو من «ث و ي» بالثاء.

تربيته وإكرامي، وبسط يدي ورفع منزلي فلا أخونه. (٢٢٣: ٣)

أبوالشَّعُود: أي أحسن تهدي حيث أمرك بإكرامي، فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرّمه، وفيه إرشاد لها إلى رعاية حقّ العزيز بالطف وجه.

وقيل: الضمير لله عزّوجلّ، و(رَبِّي) خبر (إنّ) و«أَحْسَنُ مَتَوَايَ» خبر ثان، أو هو الخبر والأوّل بدل من الضمير، والمعنى أنّ المال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة. (٣٧٩: ٣)

نحوه البرّوسويّ (٤: ٢٢٢)، والأكوسيّ (١٢: ٢١٣)، والقاسميّ (٩: ٣٥٢٦)

رشيد رضا: أي إنّّه تعالى وليّ أمري كلّ، أحسن مقامي عندكم، وسخركم لي بما وقّني له من الأمانة والصيانة، فهو يُعَيِّدني ويصممني من عصيانه وخيانتكم. (١٢: ٢٧٧)

مكارم الشَّيرازي: معناها كما يقول أكثر المفسرين: إنّني أتجنّ إلى الله، فإنّ عزيز مصر صاحبي وسيدي، وهو يُجَنِّني ويحترمني، ويعتمد عليّ فكيف أخونه؟! (٧: ١٧٠)

الأصول اللُّغَوِيَّة

١- الأصل في هذه المادّة: التَّوَاء، وهو طول الإقامة، يقال تَوَيْتُ بالمكان وتَوَيْتُهُ أنوي تَوَاءً وتَوَيْلاً وأنَوَيْتُ به، أي أَطَلْتُ الإقامة به، وأنَوَيْتُهُ أنا وتَوَيْتُهُ: أزمته التَّوَاء فيه، وأنَوَيْتُ الرّجل: أضافني، يقال: أنزلني الرّجل فأَنَوَيْتُ تَوَاءً حسناً.

الاستعمال القرآني

جاءت اسم فاعل مرة، واسم مكان ١١ مرة في ١٢

آية:

١- ﴿وَلِكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلِكِنَّا
كُنَّا مُزِيلِينَ﴾ القصص: ٤٥

٢- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
وُجُوهَهُمْ مُشْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

الزمر: ٦٠

٣- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِالْحَقِّ إِذَا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾

النكبات: ٦٨

٤- ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ
مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الزمر: ٧٢

٥- ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ المؤمن: ٧٦

٦- ﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ بِمَا
أَفْرَكُوا بِأَهْلِ عَالَمٍ يَتَوَلَّوْنَ يَدَ سُلْطَانٍ وَمَا يَكُونُ لَلنَّارِ وَبِئْسَ
مَثْوًى لِّلظَالِمِينَ﴾

٧- ﴿فَإِنْ يَضْرِبُوا قَالُوا فَاتِّرْ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَهْزِئُوا
فَسَاءَ لَهُمْ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ فصلت: ٢٤

٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُعَلِّمُ السَّالِكِينَ
جَنَابٍ مُّجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ
وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾

محمد: ١٢

٩- ﴿...وَقَالَ أُولِيَاءُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَنْتَعْ

بَنَحْنَا بِبَعْضٍ وَبَنَحْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ
مَثْوًى لَّكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾
الأنعام: ١٢٨

١٠- ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ
وَمُتَوَلِّيَكُمْ﴾

١١- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِثْرَآيَهُ أَتُحِبُّ
مَثْوًى عَنِّي أَنْ يَتَّخِذَ أَثَرًا وَيَكْذِبَ مِثْرَكَ
يُوشَعَ فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مِنْ ثَابِيلِ الْأَخَادِيثِ...﴾

يوسف: ٢١

١٢- ﴿وَرَاوَدَتْهُ الْفِيءُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ
وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي
أَحْسَنُ مَثْوًى إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ الظَّالِمُونَ﴾

يلاحظ أولاً: أن اسم الفاعل «ناوذا» في (١) يعني
مقيم عند المفسرين، أي ما كنت مقيماً في أهل مدين:

قوم شعيب، تلو عليهم آياتنا، ولكننا كنا مرسلين شعيباً
إليهم، وقبلها في قصة موسى ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفُرْقَى
إِذْ قُضِيَتْ إِلَى مِثْرَى الْأَمْرِ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾
ولكننا أنشأنا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ القصص:

٤٤، ٤٥، وسدسها: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَأْتِيهِمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٤٦، فساق الآيات
إعلام بأن هذه القصص عن الأمم السالفة وحي من الله
إليك رحمة منه، لتنذر أمتك وما كنت شاهداً لها، وقد
كررها تأكيداً لها ليزيل الريب عنهم.

وظهيرها في قصة مريم: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ

ويمتثل أن يراد بها تقلبهم ومناوهم في الدنيا، وعليه حملها أكثرهم. وكذلك نحن فعلنا ذلك عند الفرق بين «ماوى» و«مئوى» لاحظ «أ و ي». وعمتها الزجاج الدنيا والآخرة، وتبعه بعض المتأخرين، ولك أن تخصص «مُتَقَلِّبُكُمْ» بالدنيا، و«مَتَوَيُّكُمْ» بالآخرة. لأن الدنيا دار التقلب والسعي والعمل، والآخرة دار الجزاء والبقاء إلى الأبد.

رابطاً: أن «المئوى» - كما جاء في حدة نصوص - ليس محل الإقامة فعسب، بل هو محل للضيافة أيضاً، فالمئوى هو بيت الضيافة، أو قل: محل النزول والإقامة والضيافة. وعليه فالإنذار بأن جهنم مئوى لهم فيه تهكم وسخرية لهم، أي أن الله سيضيّفكم في النار! ويؤيده الآيتان (١١) و(١٢)، إذ جاء «مئوى» فيها بمعنى حسن الضيافة والإكرام كما يأتي، فهي نظير: «فَتَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» آل عمران: ٢١.

خامساً: جاء في آيات الإنذار أن جهنم أو النار مئوى لهم، إلا (٢) و(٣)، ففيها: «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّمَنْ يَخْلُقُ» بإضافة «في». ولا ترى تقاوفاً بينهما، سوى أن المفهوم من الأول أن جهنم جُمِلت مئوى لهم. وخُلقت من أجلهم. والمفهوم من الثاني أن مواهم قُرّر في داخل جهنم، وهي محيطة بهم، ففي كل منها تشديد وتهويل غير ما في الآخر، إلا أن الثاني أشد من الأول.

وهناك تشديد آخر فيها، ينبع من سياق الآيتين؛ حيث بدأ بالاستهزاء التقريري مع شيء من الإنكار والتوبيخ، فقال: «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» أو (لِلْمُكَافِرِينَ).

أَقْلَامُهُمْ أَلَهُمْ يَكْفُلُ مَثْوًى وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» آل عمران: ٤٤، وفي قصة يوسف: «وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ اتَّخَذُوا أَمْوَالَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ» يوسف: ١٠٢.

ثانياً: أن «مئوى» جاء في (٨) آيات: (٢-٩) بمعنى موضع إقامة أهل الكفر والعصيان والظلم والاستكبار في النار، وسياها الإقامة الدائمة، ففي حرف القرآن غلب جمعي «مئوى» في الخلود في النار، في (٦): «وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ» وفي (٤) و(٥) و(٩): «خَالِدِينَ فِيهَا».

ثالثاً: جاء في (١٠): «وَاللَّهُ يَسْأَلُكُمْ مِّنْ أَفْعَالِكُمْ» والمراد به محل تقلب المؤمنين ومحل إقامتهم في الآخرة عند بعضهم، وهي ظاهرة في مواهم في الجنة، أو مردّد بينها وبين النار، ففيها وعد ووعد، وتبشير وتحذير معاً. ويساوقها في اختصاصها بالآخرة وفي التردّد بين الجنة والنار ما قبلها: «وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» فالاستغفار يحتمل القبول والغفران وعدمهما في الآخرة، فأبهم الله سيرهم، وتركهم بين الخوف والزجاء، ترغيباً لهم في مزيد من السعي والعمل، وقال: «وَاللَّهُ يَسْأَلُكُمْ مِّنْ أَفْعَالِكُمْ وَعَفْوَيْكُمْ»، وهي نظير: «وَمَا أَزِيدُ مَا تَفْعَلُ بِهِ وَلَا يَكُمُ» الأحقاف: ٩.

ويبدو أن «مُسْتَقَلِّبُكُمْ وَعَفْوَيْكُمْ» فيها نظير: «وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيُسْأَلُ عَفْوَى الظَّالِمِينَ» في (٦)، حيث إن المأوى كالمنقلب: موضع الرجوع، والمئوى: موضع الإقامة. أي أن الله يعلم إلى أي مكان تنقلبون وتعيّمون فيه.

و(٨) مع «لام» الاختصاص: «مَعْفَى لِمُتَكَبِّرِينَ». «مَعْفَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ». «مَعْفَى لَهُمْ». وأربع مَرَّاتٍ أَيْضًا في سائر الآيات بالإضافة: «مَعْفَى الْمُتَكَبِّرِينَ»، «مَعْفَى الظَّالِمِينَ»، (مَتَوَكِّمًا). والإضافة فيها للاختصاص أيضًا، إِلَّا أَنَّ التصريح به بـ «اللام» أبلغ وأبين وأكد في المقصود، وقد رُوِيَ فيها التوازن العددي بين «اللام» والإضافة.

تاسمًا: جاء «مئوى» مع «مأوى» مرة واحدة في (٦): «وَعَاوَيْهِمُ النَّارَ وَيَنْفَسُ مَعْفَى الظَّالِمِينَ» وجاء «مئوى» كما سبق منفردًا عن «مأوى» في الباقي، كما أَنَّ «مأوى» جاء منفردًا عن «مئوى» تسع عشرة مرة كلها في الآخرة - لاحظ «أ و ي» - ثلاث منها لأهل الجنة: (١) و(٢) و(٤)، والباقي لأهل النار، في حال أَنَّ «مئوى» خاصٌّ بأهل النار، إِلَّا في (١٠) فردد بين الجنة والنار، أو أريد به الدنيا، أو الآخرة، أو كلاهما كما سبق.

عاشرًا: جاء «مئوى» - عائة أو غالبًا كما سبق - لأهل النار: (الْمُتَكَبِّرِينَ) ثلاث مَرَّاتٍ: (٢) و(٤) و(٥)، و«الكافرين» والذين لا يؤمنون» ثلاث مَرَّاتٍ أَيْضًا: (٣) و(٦) و(٨)، و«الظَّالِمِينَ» مرة واحدة: ٦، وأبهم عنهم في (٧) و(٩)، فركز القرآن حسب المقام في خصلة رذيلة منهم.

الحادي عشر: جاء «مئوى» بشأن يوسف في (١١): «أَنزَلْنَاهُ مَعْفَى» وفي (١٢): «أَخْسَنُ مَعْفَى»، فعمله بعضهم على الضيافة. قال المبرِّد: «ومنزلة الضيافة وما نسبها: المئوى، وكذلك قال المفسرون في «أَنزَلْنَاهُ مَعْفَى»، أي إضافته». وقد تقدَّم في التوضيح: «التوي:

سادسًا: جاء «مئواهم جهنم» أربع مَرَّاتٍ في (٢ - ٥) و«مئواهم النار» أربع مَرَّاتٍ أَيْضًا في (٦ - ٩)، فَكُنَّتِ الآيات بينها بالتساوي، وهذا نموذج من نظم القرآن وتناسق الآيات، وما يستتونه «الإعجاز العددي». ولك أن تسأل: أَيْ اللَّفْظَيْنِ أبلغ في التحويل والوحيد؟ فيخطر بالبال أَنَّ «مئواهم النار» أبلغ، لأنَّ جهنم ظرف للنار، والنار هي الأصل في العذاب، فالتصريح بها أشدَّ هولًا من ذكر «مافيه النار». إِلَّا أَنَّا لانكسر أَنَّ جهنم - بما لها من الأوصاف في الكتاب والسنة وفي الكتب السابقة، وبما رُكِّزَ منها في الأذهان وتمكَّن في القلوب - هي أشدَّ وأهول من النار.

سابعًا: جاء في (٤) و(٥): «ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَبْلَ مَعْفَى الْمُتَكَبِّرِينَ» بسياق واحد تمامًا، إِلَّا بإضافة «قِيلَ» في (٤): «قِيلَ ادْخُلُوا». وقيل هنا لاتمني تحقير القاتل وأنه لا عبرة بذكره، كأكثر مواردها في القرآن، بل تعني الإيهام، والتضمية مع التحويل، أي أَنَّ القاتل بمثابة من الكبر والعظمة والاهول لا يسع التكلم ذكره أو السامع سماعه، وهي ظنير: «قِيلَ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ» يونس: ٥٢، لاحظ «ق و ل».

وفي «ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» تصريح بأنَّ جهنم مكان واسع، لها أبواب، وهي سبعة: «فَمَا ضَعُفَ أَبْوَابُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْشُورٌ» الحجر: ٤٤، ولها خزنة، لا يدخلها أحد إِلَّا بأذن منهم، وفيها النار التي هي مأوى لأهلها، لاحظ «ب و ب» و«د خ ل».

ثامنًا: جاء «مئوى» أربع مَرَّاتٍ في (٢) و(٣) و(٧)

الضَّيف، والمُسَوَّى: البيت المهيأ للضيْف. وعليه
فهو «مُسَوَّى» اسم مكان، وفقاً لسائر موارد في الآيات، أو
مصدر ميمي، أي الضيافة، ولعلّه أقرب بالسياق.

الثاني عشر: الآيات كلّها مَكِّيّة، سوى (٦) و(٨)
و(١٠) قُدْنِيّة، كما أنّ آيات «مَأْوَى» بعكسها، إذ
(١١) منها مدنيّة، و(٩) مَكِّيّة. فلاحظ.



ث ي ب

ثِيَابَات

لفظ واحد، مؤنّاة واحدة، في سورة مدنيّة

التَّصْوِصُ اللُّغَوِيَّةُ

ابن قُتَيْبَةَ: «رجل ثيّب وامرأة ثيّب» إذا كانا قد

تزوَّجا. (٣٠٤)

ابن أبي اليمان: قال أحد بن عبد الله بن مسلم:

«الثَّيِّب» عندي مأخوذ من ثابَّ إلى كذا، إذا رجع.

والْيَكْر: كأنَّها المنفردة، يقال: ليس هذه بكر الزَّيَارَةِ،

أي لست أزورك هذه الزَّيَارَةَ وحدها.

وكانَ معنى «الثَّيِّب» على هذا - والله أعلم - التي قد

رجعت إلى الرِّجال وقرنت بهنَّ. هذا الَّذي يَتَّبِعُ لي فيه،

ولم أحسمه عن أحد، وإنَّما هو على الاستنباط

والاستخراج، وهو حسن غير مدفوع إن شاء الله.

(١٦٥)

الأزهريّ: جاء في الخبر: «الثَّيِّبان يُرجمان

والْيَكْران يُجْلَدان ويُمْرَبان».

ويقال: ثَيَّبَت المرأة ثَيِّبًا، إذا صارَت ثَيِّبًا.

وجمع الثَّيِّب من النِّساء: الثَّيِّبات، قال الله تعالى:

الْخَلِيل: الثَّيِّب: التي قد تزوجت وبنات بأي وجه

كان بعد أن مسها. ولا يوصف به الرِّجل، إلّا أن يقال:

ولد الثَّيِّبَيْن، وولد الْيَكْرَيْن. (٨: ٢٤٩)

نحوه الخازن (٧: ١٠١)، والشَّريفي (٤: ٣٣٠)،

وابن منظور (١: ٢٢٨)

الأصمعيّ: «امرأة ثيّب ورجل ثيّب» إذا كان قد

دُخِلَ به أو دُخِلَ بها. (ابن سيده ١٠: ٢٠٣)

ابن السَّكَيْت: «رجل ثيّب وامرأة ثيّب» الذَّكر

والأنثى فيه سواء، وذلك إذا كانت المرأة قد دُخِلَ بها، أو

كان الرِّجل قد دُخِلَ بامرأته. (الْبُوْهَرِيّ ١: ٩٥)

أبو الهيثم: امرأة ثيّب: كانت ذا زوج ثم مات عنها

زوجها أو طَلَّقَتْ، ثم رجعت إلى النِّكاح.

(ابن منظور ١: ٢٤٨)

نحوه الواحدي. (٤: ٣٢١)

الْقِيُومِيَّ: قبل للإنسان إذا تزوج: ثيب، وهو «فَيْيِل» اسم فاعل من ثاب. وإطلاقه على المرأة أكثر، لأنّها ترجع إلى أهلها بوجه غير الأوّل.

ويستوي في «الثيب» الذّكر والأنثى، كما يقال: أيم وبرك للذّكر والأنثى.

وجمع المذكر: ثيبون بالواو والثون، وجمع المؤنث:

ثيبات.

والمولودون يقولون: ثيب، وهو غير مسموع، وأيضاً «فَيْيِل» لا يجمع على «فُئِل». (٨٧)

القيروز ابادي: الثيب: المرأة فارقت زوجها، أو دخل بها، والزجل دخل به. أو لا يقال للرجل إلّا في قولك: ولد الثيبين، وهي ثيب كمطم، وقد تنثيت. وذكره في «ث وب» وهم. (١: ٤٤)

محمد إسماعيل إبراهيم: الثيب ضد البكر، أو المفارقة زوجها بموت أو طلاق، لأنّها بصدد الثوبان، وهو الرجوع. (١: ٩٩)

العذنانبي: «فلانة ثيب، فلان ثيب».

ويخطّون من يقول: إنّ الرجل المتزوج هو ثيب، ويقولون: إنّ كلمة «ثيب» تطلق على المرأة غير التّذراء، اعتماداً على معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي اكتفى بذكر الثيب من النساء، وعلى المعجم الوسيط، الذي قال: إنّ الثيب هي غير التّذراء.

ولكن أطلق كلمة «الثيب» على المرأة المتزوجة والرجل المتزوج كليهما، الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين، والكسائي، والأصمعي، وابن السكّيت

«ثِيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا» التحريم: ٥. (١٥: ١٥٢)

و«الثيب» سميت ثيباً، لأنّها شوطاً وطءً بعد وطء. (١٥: ١٥٥)

العصايب: الثيب: التي قد تزوجت ثاباً^(١) بوجه ما كان، والجميع: الثيبات والثيبات، وهي أيضاً التي تاب إليها عقلها.

وثيبت المرأة: صارت ثيباً. (١٠: ١٨٨)

ابن سيده: الثيب: المرأة والزجل إذا كان قد دخل بها أو دخل به، وقد ثيبت فهي ثيب. وقيل: هي ثيب وقد تنثيت. (الإفصاح ١: ٣٣٩)

الزّمخشرّي: في الحديث: «الثيبان يرجعان، والبكران يجلّدان ويقرّبان».

يقال للرجل والمرأة: ثيب، وهو «فَيْيِل» من تاب يثوب، كسب من ساء يسود، لمعادتها التّزوج في غالب الأمر. وقولهم: «تنثيت» مبني على لفظ «ثيب» ويجوز أن يكون «فَيْيِلْتُ»، كما قيل في: تديرت المكان. (الفائق ١: ١٨٢)

ابن الأثير: الثيب بالثيب جلدٌ مني وزجُم بالحجارة.

الثيب: من ليس يكر. ويقع على الذّكر والأنثى. رجل ثيب وامرأة ثيب. وقد يطلق على المرأة البالغة وإن كانت بكراً، مجازاً واتساعاً، والجمع بين المجدد والزّجم منسوخ.

وأصل الكلمة الواو، لأنّه تاب يثوب إذا رجع، كأنّ الثيب بصدد العود والزّجوع. وذكرناه هاهنا حملاً على لفظه. (١: ٢٣١)

ابن عباس: أجمت مثل آسية بنت مزاحم امرأة
فرعون. (٤٧٧)

الطَّبْرِي: وهنَّ اللّواتي قد افترعن وذهبت
عُذرتهنَّ. (٢٨: ١٦٥)

نحوه أبو حنَّان (٨: ٢٩٢)، والأَكْوسِي (٢٨: ١٥٥).
المَاوُزِدِي: الثَّيْبُ فأنما سميت بذلك لأنَّها راجعة
إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقتها. وقيل:
لأنَّها ثابتة إلى بيت أبيها، وهذا أصحُّ لأنَّه ليس كلُّ
ثِيْبٍ تعود إلى زوج. (٦: ٤٢)

الطُّوسِي: وهنَّ الزَّاجعات من عند الأزواج بعد
اختصاصهنَّ، مشتقٌّ من ثابٍ يُثَوِّب إذا رجع. (١٠: ٤٩)
مثله الطَّبْرِي. (٥: ٣١٦)

الفَخْرُ الرَّازِي: ذكر الثَّيِّبات في مقام المدح، وهي
من جملة ما يقلُّ رغبة الرِّجال إلَيْهِنَّ.

نقول: يمكن أن يكون البعض من الثَّيِّب خيراً
بالتسببة إلى البعض من الأبكار عند الرِّسول،
لاختصاصهنَّ بالمال والجهال أو النسب أو المجموع مثلاً.
وإذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثَّيِّب في المدح، لجواز أن
يكون المراد مثل ما ذكرناه من الثَّيِّب. (٣٠: ٤٥)

البُيُوتُوسِي: الثَّيِّب: الرِّجُل الدَّاخِلُ بامرأة والمرأة
المدخول بها، يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث، فيجمع المذكَّر
على ثيِّبين والمؤنَّث على ثيِّبات، من تاب إذا رجع، سميت
به المرأة لأنَّها راجعة إلى زوجها إن أقام بها، وإلى غيره
إن فارقتها، أو إلى حالتها الأولى وهي أنَّه لا زوج لها، فهي
لا تخلو عن التَّوب أي الرَّجوع، وقس عليها الرِّجُل.

(١٠: ٥٦)

والصُّباح، والحكم وابن مَكِّي الصُّغَيْرِي في تنقيف اللِّسان،
والنَّهاية، والمُغرب، والختار، واللِّسان، والمصباح،
والقاموس، والتَّاج، والمدِّ، ومحيط المحيط، وأقرب
الموارد، والمتن.

ومن هؤلاء من استدرك قائلًا: أو لا يقال للرِّجل:
ثيِّب إلَّا في قولك: ولد الثَّيِّبين: الخليل بن أحمد
الفراهيدي، واللِّسان، والقاموس، والتَّاج، والمتن.
وقد تطلق كلمة الثَّيِّب على المرأة البالغة وإن كانت
يكرًا: النِّهاية، واللِّسان، والتَّاج، والمتن. ومن
المستحسن أن نُحمل ذلك.

ذُكرت هذه الكلمة في مادة «توب» لأنَّ أصلها واو،
ولم يذكرها في مادة «ثيِّب» إلَّا القليل من المعاجم
كاللِّسان، والقاموس، والتَّاج. (١١٠)

المُصْطَفَوِي: والقَّاهر أنَّ «الثَّيِّب» من ثابٍ
ورجع عن الزَّوج إلى الانفراد، كما أنَّ «البكر» من لم
يتزوَّج. وإطلاق «الثَّيِّب» على المرأة المتزوَّجة فعلاً
بجاز، فإنَّ استعمال «الثَّيِّب» في مقام التَّزويج وهو
منحصر في الأبكار، أو الثَّيِّبات اللَّاتي رجعن عن
أزواجهنَّ وطلَّقن. (٢: ٤٠)

النُّصوص التفسيرية

ثَيِّبَات

عَنْ رُبِّهِ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا
مِمَّا كُنْتَ تُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ
سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا. (التَّحريم: ٥)

تريضاً للجَوهرِي، لأنه ذكره في المادة المذكورة. ولم يذكره في «ت ي ب» إلا بضمة معاجم، مثل: اللسان والقاموس والتاج، كما ذكره ابن الأثير في هذه المادة أيضاً، إلا أنه استدرك قائلاً: «وذكرناه هنا على لفظه».

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية، وهو (الشَّيْبَات):

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنْ أَن يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُّسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾^١ التحريم: ٥

يلاحظ أولاً: أَنَّ هذه الآية جاءت عقيب التنديد بانهتين من أزواج النبي، كادتتا تتطاهرا عليه. وهي توتحن جيباً بأن النبي إن طلقهن عسى ربه أن يزوجه أزواجاً خيراً منهن، يتصفن بأوصاف منها: ثيبات وأبكاراً، وهذا تهديد عنيف، وتريض صريح لمن جهات:

١- أنه لم يكتف بهاتين الزوجين، بل عتمهن جميعاً بالتنديد والتهديد، مما دل على أنه ربما صدر أو يصدر عنهن ما لايرضاه النبي.

٢- أن التهديد بالطلاق أسوأ شيء للنساء.

٣- أن تبديلهن بأزواج أخرى - لازوجة واحدة - يزيد في التهديد والتنديد.

٤- الإعلام بأن هؤلاء الأزواج سوف يكن خيراً منهن، تعنيف آخر لمن إضافة إلى التريض.

٥- وصف الأزواج بأنهن مسلمات مؤمنات قانتات

المُسْتَطَفَوِي، الآية في مقام تبديل أزواج النبي ﷺ ﴿إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾ وتقدم «الثيبات» لمناسبتها وأولويتها بمقام النبي، ولكونها متصفة في الأغلب بصفات «مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا» بخلاف الأبكار.

(٢: ٤٠)

راجع «ب ك ر»

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثَّيْب، وهي المرأة التي تزوجت وفارقت زوجها بعد أن مسها، والجمع ثيبات، يقال: ثَيبَت المرأة، أي دخل بها، وَثِيبَت ثَيِّبًا: صارت ثيباً فهي ثَيِّبٌ. وقد يطلق الثَّيْب على المرأة البالغة وإن كانت بكراً مجازاً واتساعاً، وكذا على الرجل، ومنه: رجل ثَيِّب، أي دخل بامرأته، ولقد نفاه الخليل فقال: «ولا يوصف به الرجل، إلا أن يقال: ولد الثَّيِّب وولد البكرين».

٢- وذهب أغلب اللغويين إلى أَنَّ الثَّيْب «فَيْعِل» من «ت و ب»، مثل: سَيِّدٌ وَمَيْتٌ، وأصله - على هذا القول - «ثَيِّوب»، فأدغمت الواو في الياء، وشُدَّتْ، فصار «ثَيِّب».

وجعلوه من العود والزَّجْوَع، لأنَّ الثَّيْب ترجع إلى أهلها بوجه، أو ترجع إلى حالتها الأولى (المزوجة)، أو لمعادتها التَّزْوِج، أو توطأ وطء بعد وطء، أو يرجع إليها عقلها وغير ذلك.

وعد القيروز أبادي ذكره في «ت و ب» وهذا،

مناسبة وثيقة واتصال أتيق.

راهباً: جاءت (أَبْكَارًا) جمع بكر بشأن النساء مرتين: مرة في نساء النبي في الدنيا ضمن هذه الآية، وأخرى في نساء أهل الجنة لأصحاب اليمين ﴿إِنَّا أَنْتَقَيْنَاهُمْ إِنِّشَاءً﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَبْكَارًا﴾ ﴿عُرُوبًا أُنْثَوِيًّا﴾ لِأَصْحَابِ النَّجِينِ ﴿الواقعة: (٣٥ - ٣٨)، علمًا بأن القرآن يصفهن بـ ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ مرتين في سورة الرحمن: ٥٦ و٥٧، فقد وَذَعَتْ (أَبْكَار) بين الدنيا والآخرة بالنسائي، في الدنيا بشأن نساء عسى أن يتزوجوهن النبي، وفي الآخرة بشأن نساء أصحاب اليمين، فهي كلمة مباركة في القرآن؛ حيث اختصت بالنبي وأصحاب اليمين.

خامساً: لأرب أن ذكر (النَّسَبَات) هنا مدح لمن، كما صرح به الفخر الرازي، ولكن ماوجه تقديمهن على «الأبكار» مع أنهن أفضل من النسب عند الناس، والرغبة فيهن أكثر وألذ؟

ف قيل: إن النسب أولى بشأن النبي ولا يعلم وجهه، وكان القائل به ظر إلى تقدم سن النبي حينذاك، فلم يكن كفواً لمن، أو لاحظ سيرته في تزوج النسب، ولادخل لهن في تقديم النسب كما لا يخفى، كما أنه لا دخل للزوي فيه، لأن روي الآيات قبلها «فعل» وبعدها «يفعلون».

نعم، (أَبْكَارًا) هنا تُذكر وتتداعى منها (أَبْكَارًا) في «الواقعة» بوحدة الزوي فيها: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَبْكَارًا﴾، فيرتفع به شأنهن، وأنهن سوف يكن أبكاراً كنساء أهل الجنة، موصوفات بصفات كادت أن تجمع لهن «حورًا

عابدات سائحات، تريض لأزواجه بأنهن عاريات عنها أو من بعضها، وهذا تعنيف آخر أشد مما قبله.

٦- إضافة (أَبْكَار) تعنيف آخر بأنه سوف لا يكتفي بالنسب أمثالهن، بل يتجاوز إلى الأبكار، لا بكر واحدة، وتزوج الرجل بكراً أشد بأشأ وأصعب تحملاً على أزواجه من تزوجه نسيباً.

٧- إضافة إلى ما ذكر، فقد أسند الله إيداله أزواجاً غير هن إلى نفسه بوصفه رباً له ﷺ، دلالة على مزيد عنايته به، فكان هو الذي يتصدى لتزويجهن، وفيه فضل كبير لمن أزواجه، فقد جاء في شأن واحدة منهن - وهي زينب بنت جهمش - ﴿فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدُهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ الأحزاب: ٢٧، وكانت تفتخر به على غيرها من نساء النبي ﷺ.

ثانياً: علاوة على التثديد بين والتلويح لمن بالطلاق في هذه الآية، فقد جاء في سورة الأحزاب (٢٦ - ٣٤) إنذار وتهديد لمن بالطلاق أيضاً مع تبشير للمصالحات منهن، ابتداء بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِي إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أَسْتَفْكُنَّ وَأُسْرَعُنَّ سَرَاحًا جَبَلًا﴾، وفيها تهديد لمن بالطلاق أيضاً، وللکلام حول أزواج النبي ﷺ عمل آخر، لاحظ «زوج». و«أمم» (أُمَّهَاتُهُنَّ).

ثالثاً: بدأ تهديدهن في أول سورة التحريم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقْنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾، لأنه ﷺ حرم على تحريم النساء غضباً لمن، وبه سُميت السورة «بالتحريم»، وهي تقع في القرآن عقيب سورة الطلاق الحاوية لأحكام الطلاق على المصوم، فبينها

يُمدَّ فارقًا بينها في مراتب الوصف، فالنِّبَاتِ محجورات
لاصقات بالأرض، لا يكثرُ بهنَّ، والأبكار متأهبات
للعمل والإحتفاء بهنَّ، نائمات على الشرر، ولذلك تكثر
(أَبْكَارًا) في القرآن، وانفردت (نَبَاتٍ).

وبذلك كله اهتمنا بأن تأخير (أَبْكَارًا) عن
(نَبَاتٍ) يحمل أسرارًا ولطائف - يتذوقها من سبر
القرآن وبلاغته - فالتنا في مادة (ب ك ر)، وإن سبقت
هناك نكات لم نذكر هنا، فلاحظ.

وبهذا انتهى حرف «النَّاء» وكان ختامه مسكًا،
والحمد لله رب العالمين.

عينًا، وسيحشرن معهن أزواجًا للنَّبِيِّينَ في الدنيا
والآخرة، بدل أزواجه المهدَّات بالطلاق مرَّتين. ولولا
تأخير (أَبْكَارًا) وجعلها رويًا للآية، لما استدعى بها
(أَبْكَارًا) في تلك الآية.

وهناك نكتة أخرى، وهي أن جعلها رويًا فردًا بين
رويين قبلها وبعدها مختلفين معها يجعلها مَعْلَمًا وَعَلَمًا،
يشخصها ويميزها بين طرفيها، كالأبيض بين أسودين،
وكالتور خلال ظلامين.

ويضاف إلى ما ذكر أن خفض «النِّبَاتِ» وفتح
«أَبْكَارًا» في التَّلَفُّظ - وإن كانا منصوبين في نفس الأمر -

حرف الجيم

.....جمل	جرر	جالوت
.....جمم	جرز	جَار
.....جنب	جرع	جيب
.....جنع	جرف	جبت
.....جند	جرم	جبر
.....جنف	جري	جبريل
.....جنن	جزأ	جبل
.....جني	جزع	جبن
.....جهد	جزى	جبه
.....جهر	جسد	جبي
.....جهز	جسس	جثث
.....جهل	جسم	جثم
.....جهنم	جعل	جثو - ي
.....جوب	جفا	جحد
.....جود	جفن	جحم
.....جور	جفو - ي	جذث
.....جوز	جلب	جدد
.....جوس	جلد	جدر
.....جوع	جلس	جدل
.....جوف	جلل	جذذ
.....جوو	جلو - ي	جذع
.....جيا	جمع	جذو
.....حيب	حمد	جرح
.....جيد	جمع	جرد

جالوت

لفظ واحد، ٣ مَوَات مدنيّة، في سورة مدنيّة

النُّصُوص اللُّغَوِيَّة والتَّفسيرِيَّة

قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ...
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا
مِنْهُ... فَهَزَمُوهُمْ يَاقِظُ اللَّهِ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ...

البقرة: ٤٩، ٢٥١

الإمام الباقري رحمه الله: إِنَّ بني إسرائيل بعد
موسى عليه السلام حملوا بالمعاصي، وغيروا دين الله، وعصوا
عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم
يطيعوه... فسلط الله عليهم جالوت، وهو من القبط،
فأذلمهم وقتل رجالهم، وأخرجهم من ديارهم وأموالهم،
واستبد نساءهم، ففرعوا إلى نبيهم، وقالوا: سل الله أن
يبعث لنا ملكاً... (١)
مقاتل: كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان.

(ابن الجوزي: ١: ٢٩٩)

ابن الأثير: جَلَّتْ: ضربه، مثل جَلَّدَه، لَفَةً أَوْ

(الصَّغَانِي: ١: ٣٠٦)

لَفَتَةً (٢).

ابن دُرَيْد: ...أَنَا طالوت وجالوت وصاهون فليس
بكلام عربي فلاتلصت إليه، وإن كان طالوت وجالوت
في التنزيل، فهما اسمان أعجميان، وكذلك داود.

(٣: ٣٩٠)

الأزهري: يقال: جَلَّتْ عشرين سَوْطًا: أي
ضربته. قلت: أصله جَلَّدَتْهُ، فأدغمت الدال في التاء.

وجالوت: اسم أعجمي لا ينصرف، قال الله:
﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ﴾.

ويقال: اجْتَلَّتْ، واجتَلَّدَتْ، أي شَرِبَتْه أجمع.

(١١: ٥٠)

الصَّاحِب: الخازن: الجَلُوت الأثمة: وهو
الخفيفها، وقد جَلَّتْ أَيْتَهُ في فخذيه.

(٧: ٥٩) ابن سيده: الجَلَكِي: لغة في الجَلَكِي، وهو ما يقع من

(١) الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

(٢) وهي تحريك اللسان من حرف إلى حرف، ذلك،
الفرورزبادي.

السماء.

للمجبة والعلمية، كان ملك المعلقة، ويقال: إِنَّ الْبَرَّيرَ

من نسله. (٢٦٠: ٢)

وجالوت: اسم رجل أعجمي. (٣٥٦: ٧)

الزاهب: ﴿وَلَمَّا بَسَزُوا لِجَالُوتَ وَجُوْدِهِ...﴾

وذلك أعجمي، لأصل له في العريضة. (٩٥)

وَالْجُلُوتُ الْآلِيَةُ الْخَفِيْهُ.

نحو المواليتي. (١٥٢)

وَابْجَلْتُهُ: شَرَّيْتُهُ أَوْ أَكَلْتُهُ أَجْمَعُ.

الزَمَخْشَرِيُّ: وجالوت: جبار من المعلقة من

والجلكيت: الجلكيد. وجالوت أعجمي.

أولاد عَمَلِيْق بن عاد، وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل.

وَجَلَّلْنَا وَنَضَمَ اللَّامُ: قرية بالتهروان. (١٥١: ١)

الطَّرِيْحِي: [في «جَوْل»:]

(٣٨١: ١)

جالوت: جبار من أولاد عمليق بن عاد، وكان معه

ابن قَطِيْعَة: جالوت: اسم أعجمي مررب.

مئة ألف. [ثم ذكر قصّة قتل داوود جالوت، وسيأتي في

(٣٣٦: ١)

«داود»]

الطَّبْرَسِيّ: طالوت وجالوت وداوود لاتنصرف.

نحو شَبْر. (٢٥٤: ١)

لأنها أسماء أعجمية، وفيها سببان: التعريف والجمعة.

رشيد رضا: هو أشهر أبطال أعدائهم

(٣٥١: ١)

الفلسطينيين، وعزبه النصاري الذي ترجعوا سفر

نحو الشَّيْ (١: ١٢٤)، واليَابُورِي (٢: ٣٦٠)،

صموئيل الذي فيه القصة «جليات» ولاعتداد

والشَّريفي (١٦٠: ١).

بشريهم. (٤٨٧: ٢)

الضَّفَانِي: «جَلَّتْ» أهله الجَوْهَرِي. وقال ابن

محمد إسماعيل إبراهيم: جالوت، من أعلام

الأعرابي: جَلَّتْ: ضَرَبَهُ، مِثْلُ جَلَدَهُ، لُغَةً أَوْ لُفَّةً. وكذلك

القرآن. [وقال في قصته:]

اجْتَلَّتْهُ مِثْلُ اجْتَلَدَهُ، وَاجْتَلَّتْ الشَّيْءُ - أَيْ شَرَّيْتُهُ

أَوْ أَكَلْتُهُ أَجْمَعُ. (٣٠٦: ١)

لما قامت الحرب بين الفلسطينيين الفُزارة وبين

الطَّرَبِي: [نحو الطَّبْرَسِيّ وأضاف:]

طالوت ملك بني إسرائيل، كان على رأس الجيش

والجمع: طواليت وجواليت ودواويد، ولو سميت

الفلسطيني طاغية من أكبر الوثنيين هو جالوت

رجلاً بطاووس وراقد، لصرفت وإن كانا أعجميين.

(جليات) المشهور بآسؤه وقوته، وقد وقف في ميدان

والفرق بين هذا والأوّل [طالوت، وجالوت وداوود]

القتال يتعدى أبطال جيش طالوت طائفاً منهم النزال،

أَنَّكَ تَقُولُ: الطَّاوُوسُ، فَتَدْخُلُ الْأَكْفَ وَاللَّامَ فِيمُكِّنَ فِي

والكلّ هابه لبأسه، وكان بين جيش طالوت شاب يملؤه

المرية ولايمكّن هذا في ذاك. (٢٤٥: ٣)

المباس والإيمان، فطلب من طالوت الإذن بمنازلة

أبو حَيَّان: جالوت اسم أعجمي ممنوع الصّرف

جالوت، وذلك الشاب هو داوود نبي الله وملك بني

إسرائيل فيما بعد.

وفي العبري في الجملة السابقة: גִּלְיָת

(جاليت). [تم نقل كلام هاكس عن تسمية

«جاليت» عند العرب وقال:]

فظهر أن كلمة «جالوت» اسم عبري غُرب، وهو

في الأصل: جاليت، كما أن داوود اسم عبري وأصله في

العبرية: (داوود) דָּוִד

وهو مأخوذ من مادة «جالاه» إما بمعنى الظهور،

لظهوره في الناس وتوقفه أو بمعنى التجوّل والهجرة،

ويتناسب المفهومان لغة «المجولان» بالعربية أيضًا، أو لغة

الجللاء والتجلى.

راجع في تفصيل الحارثية: «سموئيل الأول» باب

(١٠٩: ٢)

(١٧).

الأصول اللغوية

١- أجمع من تكلم في هذا العلم على أعجميته، إلا

أنه بقي مجهول الأصل زمانًا طويلًا، ولم ينصح عن أصله

أحد من المتقدمين، حتى تُرجم الكتاب المقدس في

المصور المتأخرة إلى العربية، فظهر أنه عبري المنشأ،

يلفظ بصورة «جاليت» أو «جاليات» أو «جَلِيَّات».

وزعم «المهرشفا» أن مغايرة اللفظ القرآني

«جالوت» للأصل ناجم عن غلط راوي هذه القصة التي

وردت في العهد العتيق^(١)؛ أو ما درى أن الراوي جبريل

والقاتل الربّ الجليل؟ وإن ما أملاه على نبيه الكريم

﴿لِكِتَابٍ غَزِيٍّ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ نَذِيرٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤١، ٤٢؟

وبرز داوود لا يجمع من أدوات الحرب سوى عصاه

ومقلّعه وبعض الأحجار، فاستغف به جالوت،

وعجب من أمر هذا الشاب الذي يُبلي بنفسه إلى

التهلكة، أمام عدوّ جبار عنيد يتدوّج سيفه ورُمحه،

ولكن داوود سدّد إليه حجرًا من مقلّعه فشقّ رأسه، ثم

أُتبعه بآخر، حتى سقط جالوت صريخًا، وانتصر بنو

إسرائيل على عدوّهم. (١٠٩: ١)

هاكس: «جَلِيَّات»: يسمّيه العرب باسم جالوت،

رجل من أهالي جَتّ، وواحد من شجعان الفلسطينيين.

(٢٨٩)

المُصْطَفَوِيُّ: قاموس عربي-عربي: גִּלְיָת

«جالوت» = جَتّ، إيماء، ترحيل، مهجر، اغتراب...

גִּלְיָת - «جالاه» = كَشَفَ، أَظْهَرَ، أَمَاطَ اللّثَامَ، اكتشف،

ظهر.

גִּלְיָת ٢- (جالاه) = جال، تجوّل، ارتحل،

ذهب إلى المنى، هاجر.

سموئيل الأول ١٧: ٢٣، وفيما هو يكلمهم إذا برجل

مبارز اسمه جَلِيَّات الفلسطيني من جَتّ، مساعد من

صفوف الفلسطينيين، وتكلّم بمثل هذا الكلام، فسمع

داوود وجميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه

وخافوا جدًا ٤٨٠٠٠ - وكان لما قام الفلسطيني وذهب

وتقدّم للقاء داوود أن داوود أسرع وركض نحو الصفّ

لللقاء الفلسطيني، ومدّ داوود يده إلى الكنف، وأخذ منه

حجرًا ورمًا بالمقلّاع، وضرب الفلسطيني في جبهته،

وسقط على وجهه إلى الأرض.

(١) المفردات الذخيلة في القرآن الكريم (١٦١) - آرثر

كَبِيرَةٌ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَسْنَا بِمَرْزُوقٍ
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَقِيَ
أَقْدَامُنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَأْذِنُ
اللَّهُ وَتَقَتَّلَ ذَاوُدُ جَالُوتَ وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُسْلِكَ وَالْحِمَكَةَ
وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

البقرة: ٢٤٩ - ٢٥١

يلاحظ أولاً: أنها جاءت في سورة البقرة ترغيباً
وعبرة للمؤمنين، بعد أن كلّفهم بالقتال بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٤٤،
فحكى لهم قصة طالوت وجالوت ابتداء من: ﴿وَلَمَّا تَرَى
إِلَى الْمَلَايِمِ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَغْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ
ابْتَغْ لَنَا عَلِيكُمَا تَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ البقرة: ٢٤٦،
إلى أن انتهى إلى هذه الآيات الثلاث، فأبان للمؤمنين
كيف غلبت فئة قليلة من بني إسرائيل فئة كثيرة من
الكنعانيين بإذن الله، إعلالاً بأن الله مع الصّابرين،
وكانت درساً للمؤمنين في غزوة بدر التي وقعت بعدها
بمدة قليلة، كما بين لهم جُبن فئة منهم وتخلّفهم عن أمر
ملكهم طالوت، وما أشبهت حال المؤمنين في غزوة بدر
بما لهم!

ثانياً: يتبين منها أنّ بني إسرائيل غلبوا الكنعانيين
وهم أسلاف الفلسطينيين اليوم، احتلوا أراضيهم بقوة ثم
أخرجهم الله منها بقوة بعد تخلّفهم عن أمر ربهم، وأنّ
أرض فلسطين للفلسطينيين دون اليهود، «لاحظ
داوود وطالوت».

ثم إنّ العرب - كما هو شائع ومشهور - تتصرف في
الأنفاظ الأعجمية تصرفاً فاحشاً، مثلما تقدّم مراراً في
هذا المعجم، وقد جاء «جالوت» على غرار أنفاظ
أعجمية بهذا الوزن في القرآن، نحو: طالوت وقارون
وهارون وهاروت وماروت وتابوت وياقوت وغيرها،
وكلّما تتأير أصلها في اللفظ.

٢- وقد عزا المؤرخون «جالوت» إلى الفلسطينيين
الذين يستقيم الكتاب المقدس الكنعانيين، نسبة إلى
كنعان بن حام. وذهب المسعودي إلى أنّ «جالوت» لقب
ملوكهم، وكان آخرهم^(١).

ونحن أيضاً نقول بقول المسعودي، لأنّ هذا الاسم -
كما تقدّم - عبري، والكنعانيون لا يستعملون أبناءهم
بأسماء عبرية، فالأصح أن يكون لقباً أطلقه العبريون
على كلّ ملك من ملوك الكنعانيين، كما يفعل العرب
ذلك، فهم يطلقون لقب شمع على ملك اليمن، وقيل على
ملك حمير، وفرعون على ملك مصر، وكسرى على
ملك الفرس، وقبصر على ملك الروم، وخاقان على
ملك الترك، ونجاشي على ملك الحبشة، وبهؤلوز على
ملك الهند.

الاستعمال القرآني

جاء ثلاث مرّات في آيات متواليات:

١، ٢، ٣- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ
اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ
لَمْ يَطْمَئِئْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
قَالُوا لَطَافَةٌ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

ج أ ر

٣ ألفاظ، ٣ مَرَات مَكِّيَّة، في سورتين مَكِّيَّتين

يقال: غيْتُ جَوْزًا، إذا كان غزيرًا كثير المطر.

ويقال: قد جَأَر بالدَّعَاء، إذا رفع به صوته.

تجَارون ١: ١

يجَارون ١: ١

تجَاروا ١: ١

(إصلاح المطلق: ١٧٦)

تَغَلَّبَ: «إِذَا هُمْ يَجْهَرُونَ» المؤمنون: ٦٤، هو

رفع الصوت إليه بالدَّعَاء. (ابن سيده ٧: ٤٨٣)

الرَّجَّاج: وجَأَر يَجَار، إذا ضَجَّ وصاح.

(فعلت وأفعلت: ٥٥)

ابن دُرَيْد: جَأَر الرَّجُل - مقصور مهموز - يَجَار

جَأَرًا وَجَوَارًا، إذا صاح. (٣: ٢٢٣)

الصَّاحِب: [نحو الحَكِيل وابن السَّكَيْت وأضاف:]

والجائر: شبه حُمُوسَةَ في الخلق من أكل دَسَم أو

سَمَن.

وإذا طال نبت الأرض وارتفع قيل: جَأَزَتْ أرض

بني فلان.

والغيث المَجُوز: هو الَّذِي يطول عنه النَّبْتُ.

وَبَنَتْ جَأَرًا وَغُسْبَ جَأَرًا: كثير.

التَّصَوُّص اللَّغَوِيَّة

الخَلِيل: جَأَرَتِ البقرة جَوَارًا: رفعت صوتها.

وجَأَر القوم إلى الله جَوَارًا، وهو أن يرفعوا أصواتهم

إلى الله متضرعين. (٦: ١٧٣)

الأَصَمِّي: غيْتُ جَوْزًا بالتخفيف والمهمز، مثال

نُفِرَ. [ثم استشهد بشعر] (إصلاح المطلق: ١٧٦)

جَأَر التور جَوَارًا، وخار حَوَارًا، بمعنى واحد.

(الأزهرى: ١١: ١٧٧)

الجائر حرٌّ في الخلق.

(الأزهرى: ١١: ١٧٧)

نحوه شير.

الفَرَاء: الجَيْر: السمين. (الصَّغَانِي: ٢: ٤٤٠)

ابن السَّكَيْت: ورجلٌ جَأَرٌ وامرأةٌ جَأَرَةٌ، يعنون

ضَخْمًا غليظًا. وهذا أجَار من هذا. (١٣٢)

الوحشيات كالظباء ونحوها. (١٠٣)

الرَّمَحْضَرِيّ: جَارُ الْعِجَلِ، وَجَارُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ: ضَجَّ وَرَفَعَ صَوْتَهُ. وَبَاتَ لَهُ الْجَوَارُ. وَهُوَ جَارٌ بِاللَّيْلِ. [ثمَّ استشهد بشعر]

ومن الجائر: جَارُ النَّبَاتِ: طَالٍ وَارْتَفَعَ، كَمَا يُقَالُ: صَاحَتِ الشَّجَرَةُ، إِذَا طَالَتْ. وَجَارَتْ أَرْضُ بَنِي فُلَانٍ: ارْتَفَعَتْ نَبَاتُهَا. وَعُشِبَ جَارٌ: غَفِرَ. [ثمَّ استشهد بشعر] وَغَيْثٌ جُورٌ، بوزن جُعْلٍ: غَزِيرٌ يَجَارُ عَنْهُ النَّبَاتُ.

(أساس البلاغة: ٥٠)

الفيروز ابادي: جَارُ كَمَنَعَ جَارًا وَجُورًا: رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْدَّعَاءِ وَتَضَرَّعَ، وَاسْتَنَافَ، وَابْتَقَرَهُ وَالتَّوَرَّعَ. صَاحَا.

والنبات جَارًا: طَال، وَالْأَرْضُ: طَالَتْ نَبَاتُهَا. وَالْجَائِرُ مِنَ الثَّبْتِ: الْفَضُّ وَالكَثِيرُ، وَالرَّجُلُ: الضَّخْمُ كَالْجَمَّارِ كَكْتَانٍ، وَكَتَفَ. وَهُوَ أَجَارُ مَنْهُ: أَضْغَمَ.

والجائر: جَيْشَانُ النَّفْسِ، وَالنَّفْصُصُ، وَحَرُّ الْحَلْقِ، أَوْ شِبْهُ مَحْمُوضَةٍ فِيهِ مِنْ أَكَلِ الدَّسَمِ.

وَغَيْثٌ جَائِرٌ وَجَائِرٌ وَجُورٌ كَصُرْدٍ وَجُورٌ كَهَجَفَةٍ: غَزِيرٌ وَكَثِيرٌ.

وَجَيْرٌ كَسَمْعٍ: غَضَبٌ فِي صَدْرِهِ.

وَالْجَوَارُ كغَرَابٍ: قِيَّةٌ وَسَلَاحٌ يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ.

(٣٩٨: ١)

المُضْطَفَّقِيُّ: الْأَمْلُ الْوَاحِدُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ التَّضَرُّعُ وَالِاسْتِغَاةُ بِصَوْتِ عَالٍ رَفِيعٍ، عِنْدَ الشَّدَّةِ وَالِابْتِلَاءِ. [ثمَّ ذَكَرَ الْآيَاتِ]

(٤١: ٢)

وَالْجَوَارُ: قِيَّةٌ وَسَلَاحٌ يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ.

وَالْجَارُ: كَالْجَائِرِ، وَهُوَ الْفُصَّةُ فِي الصَّدْرِ، جَيْرٌ يَجَارُ جَارًا.

نَحْوُ الصَّغَانِيّ.

الْبَحْرُوهِيُّ: الْجَوَارُ مِثْلُ الْخَوَارِ، يُقَالُ: جَارَ التَّوَرَّعَ يَجَارُ، أَيْ صَاحَ.

وَجَارَ الرَّجُلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيْ تَضَرَّعَ بِالْدَّعَاءِ.

(٦٠٧: ٢)

الْمَهْزُوبِيُّ: الْجَوَارُ: الْإِسْتِغَاةُ وَرَفَعَ الصَّوْتَ بِهَا، وَفِي الْمَدِيثِ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى لَهُ جَوَارٌ إِلَى رَبِّهِ بِالتَّلْبِيَةِ» مَعْنَاهُ رَفَعَ الصَّوْتَ.

نَحْوُ ابْنِ الْأَثِيرِ (٢٣٢: ١)، وَالطَّرِيحِيِّ (٢٣٩: ٣).

ابْنُ سَيِّدِهِ: جَارٌ يَجَارُ جَارًا: رَفَعَ صَوْتَهُ مَعَ تَضَرُّعٍ وَاسْتِغَاةٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ: «إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ» الْمُؤْمِنُونَ: ٦٤.

وَجَارَ التَّوَرَّعَ وَابْتَقَرَهُ جَوَارًا: صَاحَا.

وَغَيْثٌ جُورٌ: مَعْصُومٌ، مِنْ ذَلِكَ. [ثمَّ استشهد بشعر]

وَجَارَ النَّبَاتِ: طَالٍ وَارْتَفَعَ. وَجَارَتْ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ، كَذَلِكَ.

وَالْجَائِرُ مِنَ الثَّبْتِ: الْفَضُّ الرَّيَّانُ. [ثمَّ استشهد

بشعر]

وَرَجُلٌ جَائِرٌ: ضَخْمٌ، وَالْأُنْثَى: جَائِرَةٌ.

وَالْجَائِرُ: جَيْشَانُ النَّفْسِ، وَقَدْ جُيِّرَ. وَالْجَائِرُ أَيْضًا:

النَّفْصُصُ. وَالْجَائِرُ: حَرُّ الْحَلْقِ. (٤٨٣: ٧)

الرَّوَاغِبُ: [ذَكَرَ الْآيَاتِ وَقَالَ:]

جَارٌ، إِذَا أَفْرَطَ فِي الدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، تَنْبِيهًُا بِجَوَارِ

النُّصُوصُ التفسيرية

يَجْعُرُونَ

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَبِّهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعُرُونَ.

المؤمنون: ٦٤

ابن عباس: يتضرعون.

(الطبري: ١٨: ٣٧)

الحسن: يصرخون إلى الله تعالى بالقوة، فلا تقبل

منهم.

(الماوردي: ٤: ٦٠)

مثله الزبيح وابن زيد.

(الطبري: ١٨: ٣٧)

نحوه القتيبي (٢: ٩٢)، والطوسي (٧: ٣٧٩).

أبو عبيدة: أي يرفعون أصواتهم، كما يجار الثور.

[ثم استشهد بشر]

(٢: ٦٠)

نحوه السجستاني.

(١٣١)

ابن قتيبة: أي يضجون ويستغيثون بالله. (٢٩٨)

نحوه القرطبي.

(١٢: ١٣٤)

الطبري: يقول: ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من

عذابنا. ولعل الجوار: رفع الصوت كما يجار الثور. [ثم

استشهد بشر]

(١٨: ٤٨)

نحوه الأرسني.

(١٨: ٤٨)

الواحد: يصيحون إلى الله ويصيحون، ويقال

لهم: ﴿لَا تَجْعُرُوا السُّؤْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْقِرُونَ﴾

المؤمنون: ٦٥.

السيدي: يضجون ويمرحون ويستغيثون. وأصل

الجوار: رفع الصوت بالتضرع.

الطبرسي: أي يضجون لشدة العذاب، ويمرحون.

الفخر الرازي: أي يرتفع صوته بالاستغاثة

والضجيج، لشدة ما هم عليه.

البيضاوي: فاجأوا الصراخ بالاستغاثة.

مثل الكاشاني.

أبو الشعود: أي فاجأوا الصراخ بالاستغاثة من

الله عز وجل. قوله تعالى: ﴿فَأَنبِئِي بِجَعْرَتِهِمْ﴾

٥٣، وهو جواب الشرط. وتخصيص مترفعهم بما ذكر

من الأخذ بالعذاب، ومفاجأة الجوار مع عمومهم لغیرهم

أيضا، لفائدة ظهور امتكاس حالهم وانتكاس أمرهم،

وكون ذلك أشق عليهم، ولائهم مع كونهم محتاجين

محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا مالمثوا

من الحالة الفظيعة، فلأن يلقاها من عذابهم من الحساة

والخدم أولى وأقدم.

نحوه البروسوي.

الطباطبائي: الجوار، بضم الجيم: صوت الوحش

كالنبلأ ونحوها - عند الفزع، كقوله عن رفعهم الصوت

بالاستغاثة والتضرع.

وقيل: المراد به جعرتهم وجزعهم، والآيات التالية

تؤيد المعنى الأول.

(١٥: ٤٤)

تَجْتَرُونَ

وَتَابِكُمْ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ
تَجْتَرُونَ. النحل: ٥٣

شُعَايِد: تَضَرَّعُونَ دُعَاءً. (الطَّبْرِيّ ١٤: ١٢١)
السُّدِّيّ: أَي تَضَجُّونَ بِالْدُعَاءِ. (٣٢٨)
منه ابن قُتَيْبَةَ (٢٤٣)، والقرطبي (١٠: ١١٥).

أَبُو عُبَيْدَةَ: أَي تَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ. (١: ٣٦١)
الطَّبْرِيّ: قَالَ اللهُ تَصْرَخُونَ بِالْدُعَاءِ وَتَسْتَفِينُونَ
بِهِ، لِيَكْتَفِ ذَلِكَ عَنْكُمْ. وأصله: من جَوَّارِ الثَّوَرِ، يُقَالُ
مَنْ جَارَ الثَّوْرَ يَجَارُ جَوَّارًا، وَذَلِكَ إِذَا رَفَعَ صَوْتًا شَدِيدًا،
من جَوْعٍ أَوْ غَيْرِهِ. (١٤: ١٢١)

نَحْوَهُ السَّجِسْتَانِيّ (١٠٤)، وَالتَّحْسَاسُ (٤: ٧٣)،
وَالْوَاهِدِيّ (٣: ٦٦)، وَالبَغَوِيُّ (٤: ٧٨)، وَالزَّعْفَرَانِيُّ
(٢: ٤١٣)، وَابْنُ عَطِيَّةٍ (٣: ٤٠٠)، وَالتَّيْمُوسِيُّ (٣: ٣)،
٣٦٦، وَالتَّيْمُوسِيُّ (١: ٥٥٨)، وَالتَّنْسِيُّ (٢: ٢٨٩)،
وَالنَّيْسَابُورِيُّ (١٤: ٧٧).

الرَّجَّاجُ: أَي إِلَيْهِ تَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ بِالْإِسْتِغَاثَةِ،
يُقَالُ: جَارَ الرَّجْلُ يَجَارُ جَوَّارًا، وَالْأَصْوَاتُ مَبْنِيَةٌ عَلَى
«فُعَالٍ وَفُعِيلٍ»، فَأَمَّا «فُعَالٌ» فَنَحْوُ الصَّخْرَاءِ وَالْمُجُورِ
وَالْجَاءِ، وَأَمَّا «الْفُعِيلُ» فَنَحْوُ الْوَرْدِ وَالزَّيْتِ؛ وَالْفُعَالُ
أَكْثَرُ. (٣: ٢٠٤)

نَحْوَهُ الْمَيْدَنِيُّ. (٥: ٣٩٩)
الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: [نَحْوُ الطَّبْرِيِّ وَأَضَافَ:]

وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ جَمِيعِ النَّعْمِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ
إِذَا اتَّفَقَ لِأَحَدٍ مُضَرَّةٌ تَوْجِبُ زَوَالَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ النَّعْمِ
فَقَالَ اللهُ يَجَارُ، أَي لَا يَسْتَفِيتُ أَحَدًا إِلَّا اللهُ تَعَالَى، لَعَلَّمَهُ

بِأَنَّهُ لَا مَفْزَعَ لِلخَلْقِ، إِلَّا هُوَ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُمْ: فَأَيْنَ
أَنْتُمْ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي حَالِ الرِّخَاءِ وَالسَّلَامَةِ.

(٢٠: ٥١)

مَكَارِمُ الشَّيْزَانِيّ: (تَجْتَرُونَ) مِنْ مَادَّةِ الْمُجُورِ،
عَلَى وَزْنِ «غُبَارٍ» بِمَعْنَى صَوْتِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْوَحُوشِ
الْحَاصِلِ بِالاخْتِيَارِ عِنْدَ الْإِكْمِ، ثُمَّ اسْتَمَلَتْ كِتَابَةً فِي كُلِّ
الْأَهَامِ غَيْرِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ، النَّاتِجَةِ عَنْ ضَيْقٍ أَوْ أَلَمٍ.

إِنَّ اخْتِيَارَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ هُنَا إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى: عِنْدَمَا
تَتَرَاكَمُ عَلَيْكُمْ الْوِلَايَاتُ وَيَعْلَبِكُمُ الْبَلَاءُ الشَّدِيدُ تُطْلَقُونَ
حِينَهَا صَرَخَاتِ الْإِسْتِغَاثَةِ غَيْرِ اخْتِيَارِيَّةٍ، وَأَنْتُمْ بِهَذِهِ
الْحَالِ. (٨: ١٩٥)

لَا تَجْتَرُوا

لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مَيِّتٌ لَا تَنْصَرُونَ. الْمُؤْمِنُونَ:

٦٥

ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَنْصَرَعُوا. (٢٨٨)

الرُّبَيْعُ: لَا تَهْزِعُوا الْآنَ حِينَ نَزَلَ بِكُمْ الْعَذَابُ، إِنَّهُ
لَا يَنْفَعُكُمْ، فَلَوْ كَانَ هَذَا الْجَزَعُ قَبْلُ نَفْعِكُمْ.

(الطَّبْرِيّ ١٨: ٣٨)

الطَّبْرِيّ: لَا تَنْصَرَعُوا وَتَسْتَفِينُوا الْيَوْمَ، وَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ
الْعَذَابُ الَّذِي لَا يَدْفَعُ عَنْ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَإِنَّ
ضَجِيجَكُمْ غَيْرَ نَافِعِكُمْ. (١٨: ٣٧)

نَحْوَهُ الْبَغَوِيُّ. (٣: ٣٦٩)

ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَهَذَا الْقَوْلُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً،
أَي يَقُولُ ذَلِكَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَجَازًا، أَي
لِسَانَ الْحَالِ يَقُولُ ذَلِكَ، وَهَذَا عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يَجَاوِرُونَ هُمْ

المعذبون.

(١٤٩: ٤)

فصيحة.

نحوه أبوحيان.

(٤١٢: ٦)

الطَّبْرَسِي: أي يقال لهم: لا تضرعوا اليوم.

(١١٢: ٤)

الفَخْر الرَازِي: ويقال لهم على وجه التبكيت.

(١١٠: ٢٣)

(لَا تَجْزُرُوا).

الطَّبْاطِبَائِي: المدول عن سياق الفصية إلى

الخطاب لتشديد التوبيخ والتفريع، ولتقطع طمعهم في

التجاة بسبب الاستغاثه وأني رجاء وأمل لهم فيها، فَإِنَّ

إخبار الوسائط أنهم لا ينصرفون لدعاء أو شفاعة

لا يقطع طمعهم في التصر كما يقطع إخبار من إليه التصر

(٤٤: ١٥)

نفسه.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة الجَوَّار، وهو رفع الصوت

والصباح، يقال: جأَر الثور والبقرة جَوَّارًا، أي صالِحًا.

وهذا هو الأصل فيما نرى، ثم استعمل في رفع الصوت

بالدعاء عند التضرع، وكأنه تَهَكُّم واستغفاف بمن

يدعو الله صارخًا عند الضراء، ويجفوه عند الشراء،

فثَبَّه بالثور والبقرة في هذه الحال. وَإِنَّ أَلْفاظ هذه المادة

المستعملة في القرآن لتتبدى المتدبر إلى هذا المعنى.

ويستعمل بعض العرب اليوم - وهم العراقيون -

هذا المعنى في صوت الحميم، إِلَّا أَنَّهُمْ يَضْمِنُونَ «واوًا»

بعد «فاء» الفعل، ويقولون همزة عينا، فيقولون: جَوَّزَرَ

الحمار، أي نَقَى، وجَوَّزَرَ الرَّجُل، إذا رفع صغبرته،

تشبيهاً بالحمار، وهو «فَوَّعَلَ» من «ج ع ر»، لغة خير

ويقال منه: جَأَرَ الرَّجُلُ إِلَى اللَّهِ يِمَارُ جَأْرًا وَجَوَّارًا،

أي تَضَرَّع بالدعاء صارخًا مستغيثًا، وجَأَرَ الْقَوْمُ جَوَّارًا:

رفعوا أصواتهم بالدعاء مستضرعين، وَغِيثَ جَوَّزَر:

مصوَّت، على التشبيه.

ومنه أيضًا: جَأَرَ الثَّبْتُ: طَالَ وَارْتَفَعَ، وجَأَرَتِ

الأَرْضُ بِالثَّبَاتِ، وهو كقولهم: صاحت الشجرة ونحوها،

أي طالت، وكل ذلك على الجاز.

٢- وقد شبَّهت هذه المادة ألفاظ أخرى من «ج و ر»،

نحو قولهم: رَجُلٌ جَأَزٌ، وامرأة جَأَزَةٌ، وهو من الجِوَزَر:

الصلب الشديد، يقال: بَعِزٌ جِوَزَرٌ، أي ضخم، وكذا

عَشْبٌ جَأَزٌ وَغَمَزٌ كثير، وهو من الجَوَّار: الماء الكثير،

يقال: غِيثَ جَوَّزَرٌ وَجَوَّزَرٌ، أي غزير كثير المطر.

ولعلَّ الهمز لغة أخرى هذه المعاني، إذ سادَ على

الصوت والصبح فهو من «ج أ ر»، ومادَلَّ على الضخامة

والغزارة فهو من «ج و ر».

الاستعمال القرآني

جاء منها المضارع ثلاث مرَّات: مرَّتين خبريًا وتوبيخًا

إِثباتًا ومرَّةً نهيًا في آيتين:

١- ﴿وَتَابِعْكُمْ مِنْ بَغْضَىٰ لَّيْنِ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ

فَإِنَّهُ يَجْعَلُكُمْ يُجْزَرُونَ﴾

٢ و ٣- ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَبِّهَ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ

يَجْزَرُونَ﴾ لَا تَجْزَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ سَاءَ لَاتَشْعُرُونَ﴾

المؤمنون: ٦٤، ٦٥

يلاحظ أولًا: أَنَّ الْمَادَّةَ كُلَّهَا ذَمُّ لُغَةٌ وَكَذَلِكَ جَاءَتْ

في الآيتين:

ثانيًا: اختصت فيها بهذاب أهل الكفر والكفران والإتلاف والطغيان.

ثالثًا: الآيتان مكّيتان ثوابان جوّ الشرك والطغيان بمكّة، فاللفظ يعتبر مكّيًا.

رابعًا: جاء في (١) ﴿فَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدِّينَ وَالْآثَارَ﴾ متعديًا بدلًا (إلى) فيفيد التضرع والاتجاء، قال الخليل: «جأر القوم إلى الله جؤارًا: وهو أن يرفعوا أصواتهم إلى الله متضرّعين» ولعله أشرب بمعنى (التجاء) ولفظة (إلى)

شاهدة على هذا الإشراب.

خامسًا: لا يترادف مع (صمق) و(صرخ) في القرآن، لأنّ (صمق) أي هلك بالصيحة كما قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر: ٦٨، أي هلكوا بالصيحة، و(صرخ) أي أغاث، كما قال: ﴿وَلَنْ نَّشَأَ نَفَرَهُمْ فَلَا صَرْخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾ يس: ٤٣، أي لا نفيث لهم ولا ناصر، ومنه الاستفاته.

ج ب ب

لفظ واحد، مؤنثان، في سورة مَكِّيَّة

التَّصْوِصُ اللَّغْوِيَّةُ

الْخَلِيلُ: الْجَنَّةُ: اسْتِصَالَ السَّامِ مِنْ أَصْلِهِ، وَيَعْرِى
أَجَبٌ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ]
وَجَبُّ الْمُخَصَّى: اسْتِصَالَ مَا هُنَاكَ.
وَالْجَبُوبُ: وَجْهُ الْأَرْضِ الصُّلْبَةِ.
وَالْجَبَابُ: كَهَيْئَةِ الزُّبْدِ مِنْ أَلْبَانِ الْإِبِلِ.
وَالْجَنَبُ: الْغَلْبَةُ.
وَالْجَبَابُ: جَمْعُ الْجَنَبَةِ الَّتِي تُثْبَسُ.
وَتَقُولُ: هِيَ جُنْبَةُ السَّنَانِ أَوْ نَحْوُهُ، أَيْ مَدْخَلُهُ.
وَالْجَبِيَّةُ: بَيَاضٌ تَطَأُ فِيهِ الْكَاتِبَةُ بِمَافِرْهَا حَتَّى تَبْلُغَ
الْأَشَاعِرَ، وَالتَّمْتُ: مُجَبَّبٌ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَمْرِ]
وَالْجُنْبُ: بَرٌّ غَيْرُ بَعِيدٍ الْقَرَرِ، وَيَجْمَعُ عَلَى: وَجَبَتْ
وَجَبَابٌ وَأَجَبَابٌ. [ثُمَّ أَدَامَ الْكَلَامَ فِي الْمَجْجَبَةِ إِلَى أَنْ
قَالَ:]

أَيَّ صَرَّوْهَا.

وَالْتَجَبِبُ: الثَّغَارُ وَالذَّهَابُ، يُقَالُ: جَبَبَ فَذَهَبَ.
وَفِي الْحَدِيثِ: «الْمُتَّكِبُ بِطَاعَةِ اللَّهِ إِذَا جَبَبَ عَنْهَا
الْكَارُ بِدِ الْفَارَءِ». (الْمَرْوِيُّ ١: ٢٤)
أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ: الْجَسُوبُ: الْمَدَرُ، وَاحِدَتُهَا:
جَسُوبَةٌ. (الْمَرْوِيُّ ١: ٣١١)
مِثْلُهُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْفَانِيُّ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٠: ٥١١)
أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: الْجَبَابُ: أَنْ تَتَخَايَرَ امْرَأَتَانِ
أَيْتَهُمَا أَحْسَنَ، فَتَقُولُ: قَدْ تَجَايَرَتَا جَبَابًا، فَجَبَبْتُ فَلَانَةَ
فَلَانَةَ، أَيْ قَالُوا هِيَ أَحْسَنُ مِنْهَا. (١: ١٢٠)
إِذَا ارْتَضَعَ الْبَيَاضُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ فَهُوَ مُجَبَّبٌ.
(الْأَزْهَرِيُّ ١٠: ٥١١)
يُقَالُ لِرِعَاءِ الطَّلَعِ: جَبُّ وَجَبٌ، مَثَلًا.
الْجَسُوبُ: الْأَرْضُ. (الْمَرْوِيُّ ١: ٣١٠)
الْقَرَاءُ: وَفِي حَدِيثٍ حَاشِيَةٍ: «أَنَّ دَقِينَ سَحَرَ
النَّحْلَ جَمِيلٌ فِي جَبِّ طَلْمَتِهِ» بِالْبَاءِ.

وَالْجَسُوبُ: الْحَجَارَةُ، الْوَاحِدَةُ بِالْهَاءِ.

وَالْجَبَابُ: زَمَنٌ مِيعَامُ التَّخْلِ، يُقَالُ: جَسَبُوا نَحْلَهُمْ،

(الأزهرى ١٠: ٥١١)

الجَبَاب: القَحْط الشديد.

وروى أحمد بن حنبل عن ابن عباس أنه قال: نهى النبي ﷺ عن الجُبِّ، قلت: وما الجُبُّ؟ فقالت امرأة عنده: هو المَزَادَة يَحْطُّ بعضها إلى بعض. (الأزهرى ١٠: ٥١٣)

ابن حبيب: الجُبُّ: رَكِيَّة مُجَاب في الصفا.

(الأزهرى ١٠: ٥١٢)

شعير: [في حديث عائشة المتقدم]

أراد داخلها إذا أخرج منها الجُفْرَى^(١)، كما يقال لداخل الرَكِيَّة من أسفلها إلى أعلاها: جُبٌّ، يقال: إنَّها لواسعة الجُبِّ، مطوَّيَّة كانت أو غير مطوَّيَّة.

(الأزهرى ١٠: ٥١٢)

ابن قتيبة: «أنَّ رجلاً مرَّ بجَبُوبٍ بدير» هي الأرض المليظة. (الهروى ١: ٣١١)

ابن أبي اليمان: الجُبُّ: البئر. (١٤٣)

ابن دُرَيْد: ونساقة جَبَاءٍ ويعبر أجَبٌ. وجَبُّ الخَصِي يَجِبُهُ جَبَاءٌ، إذا قطع مذاكيره من أصلها، وكلَّ شيء إذا قلعته فقد جَبِيته.

والجُبُّ: البئر العميقة التي لا طي لها، الكثير الماء البعيد القعر، وهو مذكَّر. (٢٤: ١)

والجَبَاب والجَبَاب شبيه بالزَيْد المستطع، يكون على ألبان الإبل، والجَبُوب: ما غلظ من وجه الأرض.

(٣: ١٨٤)

الأزهرى: الجَبُوب: الخَصِي الذي قد استوصل ذكره وخُصِيَّاه، وقد جُبَّ جَبَاءً.

بئرٌ مَجْبِيَّة الجوف، إذا كان وسطها أوسع شيء منها مَجْبِيَّة. (الأزهرى ١٠: ٥١٢)

أبو عُبَيْدَةَ: جَبَّة الفرس: مُلْتَق الوظيف في أعلى الحَوْشَب.

وقال مرة: هو مُلْتَق ساقَيْه ووظيفي رجله، وملتقى كلِّ عَظْمَيْنِ إِلَّا عَظْمَ الظَّهْرِ. (الأزهرى ١٠: ٥١٤)

لا يكون [البئر] جُبًّا حتى يكون مما وُجِدَ مَحْفُورًا لا مما حفره الناس. [ثم استشهد بشعر] (ابن دُرَيْد: ٢٤: ١)

أبو زَيْد: ركب فلان المَجْبَةَ، وهي الجادة.

(الأزهرى ١٠: ٥١٣)

الأصمعي: الجَبُوب: الأرض المليظة.

المَجْبَةُ: مادخل فيه الرُّخ من الشنان.

(الأزهرى ١٠: ٥١٠)

[المَجْبَةُ] هو مَفْرَز الوظيف في الحافر.

(الجوهري ١: ٩٦)

اللساني: المَجُوب: الأرض، والجَبُوب:

التَرَاب. [ثم استشهد بشعر] (ابن سيده ٧: ٢٢٥)

إذا لَعَعَ الناس التَّغِيل قيل: قد جَبَّوا، وقد أَسَانَا

زَمَنَ الجَبَاب. (الأزهرى ١٠: ٥١٤)

أبو عُبَيْدَةَ: جَبَّ الرجلُ جَبِيًّا، فهو جَبْبٌ، إذا فَرَّ

وعَرَد. (الأزهرى ١٠: ٥١١)

أبو نصر: فَرَسٌ لنا في جَبَّة الدَّار، أي في وسطها.

(الأزهرى ١٠: ٥١١)

ابن الأعرابي: الجَبُوب: الأرض المُلْبَة،

والجَبُوب: المَدَر المُنْفُث. (الأزهرى ١٠: ٥١٠)

المَجْبَب: الفرس الذي يبلغ عُجْبِه إلى رُكْبَتِه.

والمَجْبُوب: وجه الأرض.

ويقال: للمدرة النسيطة تُقْلَع من وجه الأرض: جَبُوبَة، وفي الحديث: «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بِجَبُوبٍ يَذِرُ فَإِذَا رَجُلٌ أَيْضُ رَضْرَاضٍ»^(١).

والمَجْبُوب: شبه الزُّبْد يعلو ألبان الإبل إذا غَضض البعير السَّقاء، وهو مُمْلَقٌ عليه فيجتمع عند فَم السَّقاء، وليس لألبان الإبل زَبْدٌ، إنما هو شيء يُشبه الزُّبْد. ويقال: جَبَّت المرأة نِساءها بِحُسْنها، إِذَا غَلَبَتْهُنَّ. [تم استشهد بشعر]

وَجَبَّة العين: حجابها.

وَجَبَّة الرُّخ: مادخل من السَّنان فيه.

والمَجْبُوبَة: التي تُكَلِّس، وجمعها: جَبَاب.

والمَجْبُوبَة: من أسماء الدُّروع، وجمعها: جُبُوبٌ. [تم استشهد بشعر]

وقالت الكِلَابِيَّة: الجُبُّ: القلب الواسعة الشُّعْوَة^(٢).

وقال مشيخُ الجُبِّ: جُبُّ الرِّكْبَة قبل أن تُطَوَّى.

وقال زيد بن كَثُوفَة: جُبُّ الرِّكْبَة: حراها.

وَجُبُّ القَرْن: الَّذِي فِيهِ المِشَاشَة. [تم استشهد بشعر ونقل قول ابن الأَعرابي وأَضاف:]

قلت: كانوا يَتَبَدُّون فِيهَا حَتَّى ضَرَبَتْ. (١٠: ٥١٠)

العَصَاصِم: الجُبُّ: الاستِصْمال في القِطْع، والرَّجُل محبوب.

والمَجْبَب: في السَّنام: بَعِيرٌ أَجَبَ: لاسنام له.

وامرأة جَبَاء: صَغِيرَة التَّدْيِين.

والأَجَبَة: من أسماء القَرْن، كالأَجَمَة.

والمَجْبَاب: كَهَيْئَةِ الزُّبْد من ألبان الإبل.

ويسقال: اسْتَجَبَ سِقَاؤُكَ، أَي غَلَطَ وَضَعِي. وما أَشدَّ مَا يَجِبُ سِقَاؤُكَ.

وَمَرَنَ عَلَى ذَاكَ وَاسْتَجَبَ، أَي أَكْتَبَ.

والمَجْبُوبَة: معروفة، والمَجْبَاب والمَجْبَب جمع.

وَجَبَّة السَّنان والرُّج وما أَشبهها: ما يَدْخُل فِيهِ الرُّج. والِبِاض غَلَا فِيهِ الدَّابَّة بِحَافِرِهَا حَتَّى تَبْلُغ الأَشَاعِر، وَالتَمَت: جُبَّ بِ. وَغِرَقَة تَلْسِبُ المَرَأَة وَتَغِيط طَرَفَهَا فَتُخْفِي بِهَا رَأْسَهَا، وَفِيهَا عَيْنَانِ كَعَيْنِي البُرْقُع.

وَجَبَّة العَيْن: ما وَاوَرَاهَا، وَقِيلَ: غَاوَاهَا.

والمَجْبَب: البئر غير البعيدة، والمَجْمِيع: الأَجَاب والمَجْبَاب والمَجْبِيبَة.

والمَجْبَاب: الرُّكَايَا تُحْفَرُ لِقَرَس الكُرُوم كَمَا تُحْفَرُ لِلْقَسِيَّة، الواحد: جُبٌّ.

والتَجْبِيب: الحَرْب عند القتال والحَرْبَة.

وَرَكِبَ فَلَانٌ المَجْبَبَة، أَي الطَّرِيقَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُذًا مِنْ اسْتِجَابِ الشَّيْءِ وَمُرُونِهِ عَلَى الْعَمَلِ.

وَجَبُّ الرَّجُل: امْتَلَأَ قَرْحًا.

وَضَرَبَتْ الإِبِلَ حَتَّى جَبَّتْ، أَي امْتَلَأَتْ رِيًا.

والمُجَابَّة: أَنْ يَصْنَعَ الْقَوْمُ طَعَامًا فَيَصْنَعُ غَيْرَهُمْ مِثْلَهُ.

والتَّجَابُ أَيْضًا: أَنْ يَتَنَاجَحَ الرَّجُلَانِ أُخْتَهُمَا، تَكُونُ أُخْتُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا تَحْتَ صَاحِبِهِ. وَيَكُونُ التَّجَابُ فِي التَّكْلَاحِي وَالتَّنَاسُخِ. وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الْمُتَابَةِ، يَقَالُ:

(١) كثير الأعم.

(٢) المشعرة: النعم.

جَبَّاءَ.

الأصل الثاني: الجُبَّةُ مرفوفة، لأنَّها تشمل الجسم وتجمعه فيها. والمَجْبُتَةُ: مادخل فيه تَطْلُبُ الرُّخْمَ من السَّنان. [تم استشهد بشر]

وَجَبَّ النَّاسُ التَّخَلُّ، إِذَا أَلْقَوْهُ، وَذَا زَمَنُ الْجِيَابِ. وَالْمَجْسُوبُ: الْأَرْضُ الْفَلِيطَةُ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِجَمْعِهَا. الْجَبَّةُ: جَادَةُ الطَّرِيقِ وَمُجْتَمَعُهُ. وَالْمَجْبُ: الْبَر.

ويقال جَبَّ تَجَبُّيًّا، إِذَا هَرَّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْمَعُ نَفْسَهُ لِلْفِرَارِ وَيَتَشَمَّرُ.

ومن الباب الجُبَابُ: شَيْءٌ يَجْمَعُ مِنْ أَلْبَانِ الْإِبِلِ كَالزُّبْدِ. وَلَيْسَ لِلْإِبِلِ زُبْدٌ. [تم استشهد بشر] (٤٢٣: ١)

الهُزُوءُ: وَفِي حَدِيثٍ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: «وَسُئِلَ عَنْ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَ بِهَا: كَيْفَ وَجَدْتَهَا؟ فَقَالَ: كَالْخَيْرِ مِنْ امْرَأَةٍ قَبْلَهَا جَبَّاءَ. وَقَالُوا: أَوْ لَيْسَ خَيْرًا؟ قَالَ: مَا ذَاكَ بِأَدْفَأَ لِلضَّجِيعِ وَلَا أَرَوَى لِلزَّضِيعِ».

الْمَجْبَاءُ: يَدُلُّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهَا الصَّغِيرَةُ الشَّدِيدِينَ، وَهُوَ فِي الرِّمِيَةِ أَشْبَهُ بِاللَّيِّ لَعَجَزَ لَهَا، كَالْبَعِيرِ الْأَجَبِّ الَّذِي لَا سَنَامَ لَهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْمُسْتَمْسِكُ طَاعَةَ اللَّهِ إِذَا جَبَّ النَّاسُ عَنْهَا كَالْكَارِ بَعْدَ الْغَارَةِ» يَعْنِي إِذَا تَرَكَ النَّاسُ الطَّاعَاتِ، وَرَغِبُوا عَنْهَا. يُقَالُ: جَبَّ الرَّجُلُ، إِذَا مَضَى مُسْرِعًا فَارًّا مِنَ الشَّيْءِ. (٣١١: ١)

ابن سيدة: جَبَّهَ يَجْبِيهِ جَبًّا، وَجَبًّا، وَاجْتَبَهَ. وَالْمَجْسَبُ: قَطْعٌ فِي السَّنَامِ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَأْكُلَهُ الرَّجُلُ أَوْ الْقَتَبُ فَلَا يَكْبُرُ.

جَبَّ فَلَانٌ فَلَانًا، أَيَّ غَلَبَهُ. وَمَنْ الْجَبَّ الَّذِي هُوَ الْفُضْلُ قَوْلُهُ: اجْتَمَعَتِ النِّسَاءُ فَجَبَّهِنَّ فَلَانَةً مُجَبَّهِنَّ.

وَجَبَّ اللَّهَارُ: تَنَحَّى عَنْ مَوْضِعِهِ، وَهُوَ رُقْعَةٌ تُوضَعُ فِي قَبِّ الْبَكْرَةِ، يُضَيَّقُ بِهَا مَا تَسَعُ مِنْ خَرْقِهَا. (٤١٥: ٦) الْخَطَّابِيُّ: وَقَوْلُهُ: تَجَبَّ أَهْلُ الْكِبَةِ، مَعْنَاهُ تَطْلُبُهُمْ بِحَسَنَاتِهَا، يُقَالُ: جَاءَتْ فَلَانَةُ نِسَاءِ بَنِي فَلَانَ، فَجَبَّهِنَّ، أَيَّ غَلَبَتْهُنَّ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ. (٤١٣: ٢)

الْجَوَهَرِيُّ: الْجَبَّةُ: الْقَطْعُ. وَخَصِيٌّ مَجْسُوبٌ بَيْنَ الْجِيَابِ. وَبَعِيرٌ أَجَبَّ بَيْنَ الْجَبِ، أَيَّ مَطْلُوعُ السَّنَامِ.

وَفَلَانٌ جَبَّ الْقَوْمَ، إِذَا غَلَبَهُمْ. [تم استشهد بشر] وَالْجِيَابُ: الَّتِي تُلْبَسُ. وَالْجِيَابُ أَيْضًا: تَلْقِيعُ التَّخَلِّ، يُقَالُ: جَاءَ زَمَنُ الْجِيَابِ. وَقَدْ جَبَّ النَّاسُ التَّخَلَّ. وَالْمَجْبَةُ: مَادْخِلُ فِيهِ الرُّخْمُ مِنَ السَّنان.

وَالْمَجْبَةُ: مَوْصِلُ الْوُظُفِ فِي الذَّرَاعِ. وَالتَّجْبِيبُ: أَنْ يَبْلُغَ التَّحْجِيلُ رُكْبَةَ الْيَدِ وَغَرَقُوبَ الرَّجُلِ. وَالْفَرَسُ مَجْبُوبٌ، وَفِيهِ تَجْبِيبٌ، وَالْأَسْمُ: الْمَجْبَبُ. [تم استشهد بشر]

وَالْتَّجْبِيبُ أَيْضًا: الثَّغَارُ، يُقَالُ: جَبَّ فَلَانٌ فَذَهَبَ. وَالْمَجْبَةُ: جَادَةُ الطَّرِيقِ. (٩٦: ١)

ابن فارس: الْجِيمُ وَالْيَاءُ فِي الْمَضَافِ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْقَطْعُ، وَالثَّانِي: تَجْمَعُ الشَّيْءُ.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْمَجْبَةُ: الْقَطْعُ، يُقَالُ: جَبَّيْتُهُ أَجْبُهُ جَبًّا، وَخَصِيٌّ مَجْسُوبٌ بَيْنَ الْجِيَابِ.

ويقال: جَبَّهَ، إِذَا غَلَبَهُ بِحُسْنِهِ أَوْ غَيْرِهِ، كَأَنَّهُ قَطَعَهُ عَنْ سُمَامَاتِهِ وَمَفَاخِرَتِهِ. [تم استشهد بشر] وَالْمَجْبُ: أَنْ يَطْلُعَ سَنَامُ الْبَعِيرِ، وَهُوَ أَجَبٌ وَنَاقَةٌ

والمُجَبَّة: ضرب من مقطعات الثياب. وجهها:

والمُجَبَّة: الحُجَّة.

جَبَب، وجَبَاب.

وجَبَّه، والمُجَبَّة: موضع. [ثم استشهد بشر]

(٧: ٢٢٤)

والمُجَبَّة من الشَّان: الذي دخل فيه الرُّخ.

والمُجَبَّة: حَشْوُ الحافر. وقيل: قُرْنُه.

وقيل: هي من الفرس: ملتق الوظيف على

المُؤَسَّب من الرُّشغ.

وقيل: هي موصل ما بين الساق والفخذ.

وفرس مُجَبَّب: ارتفع البياض منه إلى المُجَبَّب فما

فوق ذلك، ما لم يبلغ الرُّكبتين.

وقيل: هو الذي بلغ البياض أشاعره.

وقيل: هو الذي بلغ البياض منه ركة اليد ومُرقُوب

الرَّجل، أو ركتي اليمين ومُرقُوبي الرِّجلين.

والمُجَبَّة: البئر، مذكَّر.

وقيل: هي البئر لم تُقَوَّ.

وقيل: هي الجبَّة الموضع من الكلاء.

وقيل: هي البئر الكثيرة الماء البعيدة القُر. [ثم

استشهد بشر]

وقيل: لا تكون جبًّا حتى تكون ممَّا وُجِد، لا ممَّا

حفره الناس. والجمع: أَجْبَاب وجَبَاب، وجَبَّية.

وفي بعض الحديث: «جَبُّ طَلْعَةٍ مكان «جُفِّ

طَلْعَةٍ» حكاه أبو مُيَيْد في تفسير غريب الحديث». قال:

وليس بمعروف، إمَّا المعروف: جُفِّ طَلْعَةٍ.

وقيل: المُجَبَّب للإبل كالزُّيد للتمن والبقر. وقد أَجَبَّ

الذَّئب.

والمُجَبَّب: الهدر الساطع الذي لا يُحْطَب.

وجَبَّه الرَّجل: فَرَّ.

الرَّاجِب: «وَأَلْقَوْهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ» يوسف:

١٠، أي بئر لم تُقَوَّ. وتسميته بذلك إمَّا لكونه محفورًا في

جُبُوب، أي في أرض غليظة. وإمَّا لأنَّه قد جُبَّ.

والمُجَبَّة: قطع الشيء من أصله كجَبَّ الثَّغْل.

وقيل: زمن الجَبَاب: نحو: زمن الصَّرام.

وبعيرٌ أَجَبَّ: مقطوع الشَّان، وناقَةٌ جَبَّاء. وذلك

نحو أقطع وقطَّاء للمقطوع اليد، ومعنى مجبوب: مقطوع

الذَّكر من أصله.

والمُجَبَّة التي هي اللباس منه، وبه تُبَّه ما دخل فيه

الرُّخ من الشَّان.

والجَبَاب: شيء يعلو ألبان الإبل.

وجَبَّت المرأة النساء حُشْنًا، إذا غلبتهن، استمارة

من «الجَبَّة» الذي هو القطع؛ وذلك كقولهم: قطعته في

المُنَاطرة والمُنَازعة.

وأما المُجَبَّية فليست من ذلك، بل سُمِّيت به لصوتها

المسموع منها. (٨٥)

الرَّمَقُفَرِيُّ: جُبُّ الرَّجل، فهو مجبوب، بين

الجَبَاب بالكسر، إذا استوصلت مذكائره. وجَبُّوا

الثَّغْل: أَرَبَوْه، وهو زمن الجَبَاب بالفتح. وبعير أَجَبَّ:

لاستنام له، وناقَةٌ جَبَّاء. [ثم استشهد بشر]

ويقال: «سمع المستب، فركب الجَبَّه» وهي لَقَمُ

الطَّرِيق. وعن بعض العلماء: من رضي بما سمع ممَّا، وإلَّا

فليتنجس الجَبَّة «وَأَلْقَوْهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ» ولبسوا جباب

فيه.

والتَّجْبِيَةُ: الرُّكُوع. (الفاقي ٢: ٤٣٣)

عمر: سأله رجل، فقال: عَنَّتْ لِي عِكْرِيْشَةٌ، فَسَنَقَتْهَا بِجَبِيَّةٍ، فَسَكَتَتْ نَفْسَهَا، وَسَكَتَ نَفْسِهَا، فَقَالَ: فِيهَا جَبْرَةٌ.

الْجَبُوبَةُ: الْمَذْرَةُ، يُقَالُ: أَخَذَ جَبُوبَةً مِنَ الْأَرْضِ، لَعَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ. (الفاقي ٣: ١٩)

الْمَدِينِيُّ: فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ: «نَاوِلَنِي جَبِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الْجَبِيَّةُ: ثَوْبَانِ يُطَارِقَانِ، وَيُجَمَلُ بَيْنَهُمَا قُطْنٌ، فَإِنْ كَانَتْ مِنْ صُوفٍ جَازَ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا غَيْرَ مَحْشُورٍ. فِي حَدِيثِ زَيْنَاعَ: «أَنَّهُ جَبَّ غُلَامًا لَهُ» أَيِ قَطَعَ ذَكَرَهُ، وَالْمَزَادَةُ الْجَبُوبَةُ: الَّتِي تُقْلَعُ رَأْسُهَا، وَالْجَبُّ: الْقَطْعُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ مَابُورِ النَّخَعِيِّ: «الَّذِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ لَمَّا أَتَاهُمُ بِالزَّنَى، فَإِذَا هُوَ مُجَبُوبٌ».

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «أَتَاهُمْ كَانُوا يَجْبِيُونَ أَسْنِمَةَ الْإِبِلِ حَبِيَّةً».

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَاقِبَلُهُ»، يَعْنِي يَسْتَأْصِلُ مَاعِيلَ قَبْلَهُ مِنَ الْكُفْرِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَيَطْلَعُهُ.

أَبْنُ الْأَثِيرِ: وَحْدِيَّةُ الْإِنْتِزَادِ: «فِي الْمَزَادَةِ الْمَجْبُوبَةُ» وَهِيَ الَّتِي تُقْلَعُ رَأْسُهَا، وَلَيْسَ لَهَا غَزْلَاءٌ مِنْ أَسْفَلِهَا يَنْتَفِشُ مِنْهَا الشَّرَابُ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَاقِبَلُهُ، وَالْقُوَّةُ تَجِبُ مَاقِبَلُهَا» أَيِ يَطْلَعَانِ وَيَتَحَوَّانِ مَا كَانَ قَبْلَهُمَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ.

الْحَزَرُ. وَانْدَسَ فِي جُبَّتِهِ كَمَا يَنْدَسُ الثَّلَبُ فِي جُبَّتِهِ.

وَأَمْرًا جَبَاءً: صَغِيرَةً التَّدِينِ، اسْتِمَارَةً مِنَ النَّاقَةِ الْجَبَاءِ: وَمِنْهُ حَدِيثُ الْأَشْجَرِ: أَنَّهُ قَالَ لِمَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَبِيحَةَ بَنَاتِهِ بِالنَّهْشَلِيَّةِ: «كَيْفَ وَجَدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَهُ؟ فَقَالَ: كَالْخَلِيرِ مِنْ أَمْرَةٍ قَبَاءَ جَبَاءً».

وَجَبَّتْ فَلَانَةُ النَّسَاءِ حُسْنًا: بَذَنَتْ حَتَّى قَطَعَتْهُنَّ عَنِ الْمَخَافَةِ، يُقَالُ: جَابَتْهُنَّ فَجَبَّتُهُنَّ، وَجَابَهُ فِي الْفَرَى فَجَبَّهُ، إِذَا كَانَ أَحْسَنَ قَرَى مِنْهُ، وَقَدْ تَجَابَوُا.

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٥٠)

قَالَ لَهُ [عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] رَجُلٌ: إِنِّي مَرَرْتُ بِجَبُوبٍ يَذُرُّ... الْجَبُوبُ: مَا غُلِظَ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ لِلْمَذْرَةِ: جَبُوبَةٌ، لِأَنَّهَا قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبُوبِ.

وَمِنْهَا حَدِيثُهُ: إِنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ يَغْفِرُ مِثْلًا: ضَعْ تِلْكَ الْجَبُوبَةَ مَوْضِعَ كَذَا. (الفاقي ١: ١٨٦)

ابْنُ تَمِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَذَكَرَ التَّمَعُّقَ فِي الصُّورِ فَيَقْعَمُونَ فَيَجْبِيُونَ تَجْبِيَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، قِيَامًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

قِيلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّاكِعِ وَالسَّاجِدِ: جَبٌّ^(١)، لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَاخِنَانَهُ بَيْنَ أَسْفَلِ طَلْعِهِ وَأَعَالِي فَيْخَذِهِ.

(الفاقي ١: ١٨٧)

حِينَ سَحَرَ [النَّبِيُّ] جُمْلَ سَحَرُهُ فِي جَفَّتْ طَلْعُهُ، وَذُكِّنَ تَحْتَ رَأْسِ وَفَةِ الْبَرِّ، وَرَوِي: فِي جُبِّ طَلْعَةٍ... جُسْبَهَا: جَوْفُهَا، وَمِنْهُ جُبُّ الْبَرِّ وَهُوَ جِرَابُهَا. (الفاقي ١: ٢١٩)

وَعَنْهُ: أَنَّ وَدَّ تَقِيفَ اشْتَرَطُوا عَلَيْهِ الْآيُحْشَرُوا وَلَا يُحْشَرُوا وَلَا يُجَبُّوا، فَقَالَ: لَا خَيْرَ فِي دِينٍ رُكُوعَ

(١) مِنْ جَبَّ: بِمَعْنَى جَبَّتْ.

والْقَلْبَةِ.

والجَبِّ عَمْرَكَة : قطع الشَّام ، أو أن يأكله الرَّحْل
فلا يكبر.

بِعِرْ أَجَبٌ وناقَة جَبَاء ، وهي المرأة لَا آتَيْنِ لها ، أو
التي لم يظلم صدرها وتديها ، أو التي لَا فَعْدِي لها .

والجَبَّة : تَوْبٌ معروف ، جمعها : جُبَبٌ ، وجِبَابٌ ،
وموضعٌ وجِباجُ التَّيْنِ ، والدَّرْعُ ، وحشوا المسافر أو
قَرْئُهُ ، أو مؤصل مابين السَّاقِ والفَخِذِ ، ومن السَّنانِ :
مادخل فيه الرُّخْمُ ...

وَفَرَسٌ مُجَبَّبٌ كُتَطَّمُ : ارتفع البياض منه إلى
الجُبِّبِ .

والجُبُّ بِالضَّمِّ : البُرُّ ، أو الكثير الماء البعيدة القعر ،
أو الجَيِّدَةُ الموضع من الكَلَأِ ، أو التي لم تُطَوَّ ، أو مما وُجِدَ
لأَمَّا حَقَرَهُ النَّاسُ ، الجمع : أَجْبَابٌ وجِبَابٌ وجَبَّةٌ ،
والمُرَادَةُ يُحْبِطُ بعضها إلى بعض ... وتُضاف إلى الكلبِ
إذا شرب منها المَكْلُوبُ قبل أربعين يوماً بَرَأ .

وَجُبٌّ يَوْسَفٌ على إثني عشر ميلاً من طَبْرِية ، أو
بين سَنْجَلٍ ونَابِلُسَ ، ودَيْرُ الجُبِّ بالموصل .

وَجُبُّ الطَّلَعَةِ : داخلها .

والتَّجْيِيبُ : ارتفاع التَّعْجِيلِ إلى الجُبِّبِ ، والتَّفَارُ
والفرار وإرواء المال .

والجِبَابُ كَسحاب : القسط الشَّدِيد ، وبالكسر :
المُعَالِيَةُ في الحسن وغيره ، وبالضَّمِّ : القسط ، والمَدَرُ
السَّاقِطُ الَّذِي لَا يُحْتَلَبُ ، وما اجتمع من ألبان الإبل كَأَنَّهُ
زَبْدٌ وَلَا زَبْدٌ للإبل . وقد أَجَبَ اللَّبَنُ .

والمَجْسُوبُ : الأرض ، أو وجهها ، أو غليظها ،

وفيه : «أَنَّ رجلاً مَرَّ بِمَجْسُوبٍ بَذَرَهُ المَجْسُوبُ بالفتح :
الأرض الغليظة . وقيل : هو المَدَرُ ، واحدها : جَبْيُوة .

ومنه حديث علي رضي الله عنه : «رَأَيْتُ المَصْطَقَ ﷺ
يُصَلِّيُ ويسجد على المَجْسُوبِ» .

ومنه حديث دُفِنَ أُمُّ كَلُومٍ : طَلُفٌ التِّيَّ ﷺ يُلْقِي
إليهم بالمَجْسُوبِ ، ويقول : سُدُّوا الْفَرْجَ» .

والمحدث الآخر : «أَنَّهُ تناول جَبْيُوةً فَتَلَّ فيها» .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها : «إِنَّ يسْعَرَ
التِّيَّ ﷺ جُمِلَ في جُبِّ طَلَعَةٍ» أي في داخلها ، ويُروى
بالفاء ، وهما مَاءٌ ، وعاء طَلَعَ التَّخِيلُ . (١ : ٢٢٣)

الضَّفَانِي : وامرأة جَبَاء ، إذا لم يُنْظَمَ صدرها .
وَجَبَّةُ العَيْنِ : ججاجها .

والجَبِّيَّة : من أسماء الدَّرْعِ ، والجمع : جُبَبٌ ، [ثمَّ
استشهد بشعر]

وجاءت المرأة : صاحبها إذا فاخرتها في الحسن .
(١ : ٨١)

الْفَيَّومِي : جَبِيئُهُ جَبًّا من باب «قَتَلَ» : قطعه ،
ومنه جَبِيئُهُ فهو مجسوبٌ بَيْنَ الجِبَابِ بالكسر ، إذا
اسْتُوجِلَتْ مذاكيره .

وَجَبَّ القومُ نَحْلَهُمُ : لَقَعُوها ، وهو زمن الجِبَابِ
بالفتح والكسر .

والجَبَّةُ من الملابس : معروفة ، والجمع : جُبَبٌ ، مثل
فُرْفَةٍ وفُرْفَةٍ . والجُبُّ : بُزٌّ لم تُطَوَّ ، وهو مذكَّر .

(١ : ٨٩)

الْفَيروز اِبَادِي : الجَبَّةُ : القطع كالجِبَابِ بالكسر
والاجتناب ، واستئصال الحُصْنَةِ ، والتَّسْلِيحُ لِلتَّحَلُّ .

الْجُبُّ يَنْتَعِلُهُ بَعْضُ الشَّيَاطِينِ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ.

يوسف: ١٠

ابن عباس: (الْجُبُّ): بئر بالسَّامِ.

(الطَّبْرِيّ: ١٢: ١٥٧)

يعني: الرَكْبَةُ.

(الطَّبْرِيّ: ١٢: ١٥٧)

الصَّخَاكُ: البئر.

(١٥٧: ١٢)

مثله الطَّبْرِيّ.

قَتَادَةُ: بئر بيت المقدس.

(الطَّبْرِيّ: ١٢: ١٥٦)

البئر غير المطوَّبة.

مُقَاتِل: هو في الأردن على ثلاثة فراسخ من منزل

(الخازن: ٣: ٢١٧)

يعقوب.

أَبُو عُبَيْدَةَ: الرَكْبَةُ أَلَيَّ لَمْ تُطَوَّ. [تم استشهد بشعر]

(٣٠٢: ١)

الرَّجَّاج: البئر أَلَيَّ ليست بطوَّبة، وسميت جُبًّا من

[أجل] أَلَّتْهَا حُمَلْتُ حَقْلًا، ولم يحدث فيها غير القطع، من

(٩٤: ٣)

طَيٍّ وماأنشبه.

(١٩٢: ١٢)

نحوه الألوَّسي.

الماوردي: في الجُبِّ قولان: أحدهما: [قول قَتَادَةُ

وقد تقدّم]

الثاني: أنّه بئر غير معيّنة، وإنّما يختصّ بنوع من

الآبار. [تم استشهد بشعر]

وفيما يسمّى من الآبار جُبًّا قولان: أحدهما: أنّه

ماعظم من الآبار سواء كان فيه ماء أو لم يكن. الثاني:

(١٢: ٣)

[قول الرَّجَّاج وقد تقدّم]

الطُّوسِي: البئر أَلَيَّ لَمْ تُطَوَّ. لأنّه قُطِعَ عنها ترابها

حقّ طفي الماء من غير طَيٍّ، ومنه الجيوب. [تم استشهد

(١٠٣: ٦)

بشعر]

والتراب، وبها: المدرة.

والأجَب: الرُّج. والهابّة: المخالّة، والمُفَاخِرَة في

الحسن وفي القلَام.

والتَّجَابُّ: أن يتناكح الرَّجُلَانِ أختيهما. (١١: ٤٤)

محمّد إسماعيل إبراهيم: الجُبُّ: البئر الواسعة

المظلمة أَلَيَّ لَمْ تُبْنَ بالحجارة. (١٠: ١)

المُصْطَفَوِيّ: والتحقيق أن الأصل الواحد في هذه

المادّة: هو التَّجَمُّع. وهذا الاعتبار يطلق على البئر

المتجمّع فيها الماء من جوانبها، في مقابل النهر الجاري

فيه الماء، وأما كونها غير مطوَّبة، فلصدق التَّجَمُّع فيها

طبعًا.

وأما مفهوم القطع: فباختبار حذف الزوائد

والأطراف، والجمع في موضوع محدود وحدّ معيّن، ففيد

التَّجَمُّع لازم أن يكون ملحوظًا، وإن كان التَّجَمُّع من

جهة القُدرة والقوّة، وفي الحفظ والضبط كما في الجيوب.

والغلبة: باعتبار محدوديّة المغلوب حُسْنًا وفقرًا

ونفوذًا.

والجُبّة باعتبار حفظه للبدن وتحميده وإحاطته.

وفي قاموس عربيّ - [] جِب = الثقب

المائيّ، ثقب طبيعيّ تتجمّع فيه مياه الأمطار، حفرة

حوض.

فظهر أنّ الحفرة أَلَيَّ أَلَيَّ يوسف فيها كانت جُبًّا

(٤٢: ٢)

لا يترّ.

التَّصَوُّصُ التَّفْسِيرِيَّة

قَالَ قَاتِلٌ مِنْهُمْ لَا تَفْكُلُوا يُوْسُفَ وَأَقْوَمُ فِي غِيَابَتِ

كان يحتمل أن يُلْقَى في موضع من الجُبِّ لايحول بينه وبين الناظرين.

المسألة الثالثة: الألف واللام في (الجُبِّ) تقتضي المجهود السابق...

وإنما عَيَّنَا ذلك الجُبَّ للملّة الّتي ذكروها، وهي قولهم: ﴿يَنْتَقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ وذلك لأنّ تلك البئر كانت مرفوعة، وكانوا يردون عليها كثيراً، وكان يعلم أنّه إذا طُرِحَ فيها يكون إلى السّلامة أقرب، لأنّ السّيّارة إذا جازوا وردوها، وإذا وردوها شاهدوا ذلك الإنسان فيها، وإذا شاهدوه أخرجوه وذهبوا به، فكان إلقاءه فيها أبعد عن الهلاك.

نحوه القُرطبيّ (٩: ١٣٢)، والخصازن (٣: ٢١٧)، والشّريبيّ (٢: ٩٣).

النّيسابوريّ: قيل: هو بئر بين مصر ومدين.

رشيد رضا: البئر غير المطوَّية، أي غير المبنية من داخلها بالحجارة وهو مذكّر، والبئر مؤنثة، وتسمّى المطوَّية منها طويّاً.

القاسميّ: البئر الّتي لأحجارة فيها. (٩: ٣٥١٥) نحوه المُرآضيّ (١٢: ١١٩)، وحسنين مخلوف (١: ٣٨٠).

الطّباطبائيّ: وذكر بعضهم: أنّ تعريف (الجُبِّ) باللام يدلّ على أنّه كان جيّاً مهورداً فيها بينهم، وهو حسن لو لم يكن اللّام للجنس.

وقد اختلفوا أيضاً في أنّ هذا (الجُبِّ) أين كان هو؟ على أقوال مختلفة، لا يسترئّب على شيء منها فائدة

نحوه البغويّ. (٢: ٤٧٨)
الرّمّحشيريّ: البئر لم تُطَوَّ، لأنّ الأرض تجبّ جيّاً لا غير.
نحوه أبوالشّعود (٣: ٣٦٩)، والبزؤوسويّ (٤: ٢١٩).

ابن عطية: أنّه بئر بيت المقدس، وقيل: غيره. وقيل: لم يكن حيث طرحوه ماء، ولكن أخرجاه الله فيه حتّى قصده النّاس للاستقاء.

وقيل: بل كان فيه ماء كثير يخرق يوسف، فشتر حجر من أسفل الجُبِّ حتّى ثبت عليه يوسف.

وروي أنّهم رموه بمجل في الجُبِّ فتأسك يديه، حتّى رطوا يديه ونزعوا قيصه ورموه حيثنّذ، وهما يرضخه بالمجارة، فتمهم أخوهم المشير طرحه من ذلك.

(٣: ٢٢٣)
الطّبرسيّ: الرّكيّة الّتي لم تُطَوَّ، فمن أفرّد فالوجه فيه: أنّ الجُبَّ لا يخلو من أن يكون له غيابة واحدة أو غيابات، وغيابة المفرد يجوز أن يعنى به الجمع، كما يعنى به الواحد.

ومن جمع فإنّه يجوز له غيابة واحدة، فجعل كلّ جزء منها غيابة، كتقولهم: شابت مفارقة، وسرّ ذو غيابين. ويجوز أن يكون للبئر عدّة غيابات، فجمع لذلك.

الفخر الرازيّ: [نحو الزّجاج وأضاف:]
المسألة الثانية:.... وإنّما ذكرت النّياية مع الجُبِّ، دلالة على أنّ المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجُبِّ، لا يلحقه نظر الناظرين، فأفاد ذكر النّياية هذا المعنى، إذ

طائفة.

(٩٧: ١١)

والجُبَّة: ضرب من مقطعات الثياب تُلبس،
والجمع: جُبَب وجَبَاب، وتُطلق على الدَّرع اتساعاً.
وجَبَّة الرُّمَح: مادلخ فيه الرُّمَح، فهو يقطعه من
سائر.

مكارم الصِّيرَازِي: (الْجُبَّ) معناه البَرُّ الّتي
لم تُشَدَّ بالطَّابِق والصَّخُور، ولَمَّا أَغْلَبَ آهَارُ الصَّحراء
على هذه الشَّكلة. (١٢٧: ٧)

وجَبَّة الفرس: مَوِيل ما بين السَّاق والْفَخِذ، أو
ملتق كلَّ عَظْمَيْنِ إلَّا عَظْم الظَّهْر.

الأصول اللُّغويَّة

والفرس الجُبَّب: الّذي يبلغ تحجيله إلى ركبتيه، فهو
مقطوع من سائر يديه أو رجله.
ومن الجَاز: جَبَّ القوم: غلبهم، وجَاتي بمحبته،
وجَبَّت فلانة السَّاءَ تَجَبَّيْن جَبًّا: غلبتهن من حسنها.
وجَبَّب الرِّجْل: مضى مسرعاً فارّاً من الشيء.
والْمَجَبَّة: الْمَحْجَّة وجادة الطَّرِيق، يقال: رَكِبَ فلان
الْمَحْبَّة، وهي الجادة.

١- الأصل في هذه المادَّة الجَبَّ والجِبَاب، أي التَّطْع،
يقال: جَبَّ خصيتيه يُجَبِّها جَبًّا وجِبَابًا واجتنبها
أيضاً، أي قطعها واستأصلها، وقد جَبَّ جَبًّا، وخصيَّ
بمِوَبَّ بَيْنَ الجِبَاب. وجَبَّ السَّنام: قطعه، يقال: بعيرٌ
أَجَبَّ بَيْنَ الجَبَب: مقطوع السَّنام، فهو بعيرٌ أَجَبَّ وناقٌ
جَبَّاء، وامرأةٌ جَبَّاء. رَسَحاء، أي قليلة لحم العجز
والفخذين، وهو على التَّوَسُّع.

والجِبَاب: تَلْقِيع التَّخْل، يقال: جَبَّ التَّخْل،
أي لَقَّحها، وقد أَتانا زمن الجِبَاب، وكأَنَّهُ قَطَعَ سِباتها.
والجِبَاب: زمن صرام التَّخْل. يقال: جَبَّتُوا نَحْلَهُم،
أي صرموها.
والجِبَاب: شبه الرِّيد يحلو ألبان الإبل، ولازبد
لألبانها، وقد أَجَبَّ اللَّبَن. وهو من هذا الباب أيضاً، لأنَّه
مقطوع ومفصول عن اللَّبَن.

والجَبُوب: الأرض الصَّلبة، لأنَّها مقطوعة من
سائر الأراضِي، ومنه حديث عليٍّ عليه السلام: «رَأَيْتُ
المُصْطَفَى صلى الله عليه وآله يَصْلي وَيَسْجُدُ على الجَبُوب». والمصطفى
والجَبُّ: البئر، لأنَّها قُطِعَتْ قَطْعاً، يقال: بئرٌ جَبِيَّةٌ
الجوف، أي وسطها أوسع شيء منها مُجَبَّةً، والجمع:
أَجْبَاب وجَبَاب وجَبِيَّة.

ولَمَّا لُفِّظَ الْمَعِينِي هو فارسيّ المنشأ؛ إذ ورد في
الفارسيَّة بلفظ «جُو» و«جُوب» بمعنى السَّاقية، وهو
قريب من معنى الجَبَّة. كما جاء هذا اللفظ بصورة «جُوبا»
في السَّريانيَّة، و«جُوبُو» في الآشوريَّة، أي النار فيها.

والجَبُوب: الأرض الصَّلبة، لأنَّها مقطوعة من
سائر الأراضِي، ومنه حديث عليٍّ عليه السلام: «رَأَيْتُ
المُصْطَفَى صلى الله عليه وآله يَصْلي وَيَسْجُدُ على الجَبُوب».

والجَبُّ: البئر، لأنَّها قُطِعَتْ قَطْعاً، يقال: بئرٌ جَبِيَّةٌ
الجوف، أي وسطها أوسع شيء منها مُجَبَّةً، والجمع:
أَجْبَاب وجَبَاب وجَبِيَّة.

الاستعمال القرآنيّ

جاء منها «الجُبُّ» مرّتين بشأن يوسف عليه السلام في

آيتين من سورة مكية:

١- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَخْشَوْا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ يَنْقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾

يوسف: ١٠

٢- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

يوسف: ١٥

ويلاحظ أولاً: أنه جاء في الآيتين بـ «ي» واحد: ﴿غِيَابَاتِ الْجُبِّ﴾ وقد اختلفوا في معنى «الغاية» هنا - بعد اتفاقهم على أنها كل موضع ستر شيئاً، وعلى أنه إنما افترحه القائل ليستر يوسف عن أعين الناس - صل وجهين:

١- قمر البئر، فإنه بظلمته يستر يوسف عن النظر.
٢- حفرة أو طاق بجانب البئر فوق سطح الماء، يدخلها من يدلي فيه لإخراج شيء وضع فيه، أو إصلاح خلل عرض له، فإذا دخله يوسف لا يراه الناظرون.

ويؤيد الأول لفظ (أَلْقَوْهُ) فَإِنَّ الإلقاء ترك الشيء من جانب العلو إلى السفلى، فإذا ألقوا يوسف فسقط في قمر البئر لافي حفرة بجانبه، فلا يقال فيه: (أُلْقِيَ) بل (صُنِعَ) فيه، ويؤيد الثاني قراءة (غِيَابَاتِ) فربما يكون

بجوانب البئر شعب وحفرات وطاقات. وأنكر هذه القراءة أبو عبيد، وأقر بها النحاس، لاحظ «غ ي ب: غيابة».

وعندنا أن السَّيَّارِ يساعد التحقير والإهانة بيوسف بدل قتله بإلقائه في الجُبِّ، فالأول هو الأقرب.

ثانياً: اختلفوا في الجُبِّ هل هو جَبَّ خاص، فاختلفوا في موضعه أنه «بيت المقدس» أو «الشام» أو موضع بين مصر ومدّين، فتكون اللآل للمهد إشارة إلى جَبَّ معروف في الطريق، يردون عليها كثيراً، ولهذا قال: ﴿يَنْقِطُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾، أو جَبَّ غير معيّن من الآبار التي في الطريق.

وعليه فاللآل للجنس ولعله الأقرب، لأنَّ القائل قاله قبل أن يعزمو على يوسف بشيء، وربما قبل أن يطرُقوا الطريق، فبعد أن يريد جُبّاً معيّنًا، كان في طريق السَّيَّارَةِ وفيه الماء. فلا يُعْبَأُ بقول من صته إلى ما فيه ماء وما ليس فيه ماء، فهذا غريب عن المراد.

ثالثاً: جاءت في التفسير قصص عن إلقاء يوسف في الجُبِّ لأصل لها، ككثير من القصص الإسرائيلية العجيبة ولا سيما في تفسير سورة يوسف، لاحظ «يوسف».

ج ب ت

الجبت

لفظ واحد، مزة واحدة، في سورة مدنية

النصوص اللغوية

ابن سيده: الجبت: كل ما عبد من دون الله.

والجبت: السحر. (٣٥٧: ٧)

الأزغب: الجبت والجبت: النسل الذي لاخير

فيه. وقيل: التاء بدل من السين، تنبيها على مبالغة في

الفسولة. [ثم استشهد بشعر] (٨٥)

الفيروز ابادي: الجبت بالكسر: الصنم والكاهن

والساحر والسحر، والذي لاخير فيه، وكل ما عُد من

دون الله تعالى. (١٥١: ١)

المُضْطَفَوِي: التحقيق أن هذه الكلمة مأخوذة من

كلمة «جابه» العبرية، ثم قُلبت الهاء في العربية تاء مع

تغيير في الهيئة. ومنه المتكبر الذي ضعف عقله،

والذي لا يبالى ما يقول، وهو المتعرج.

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنْ آلِكَاتِبِ

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ...» النساء: ٥١، فالجبت

كالطاغوت ليس علما ولا اسما للصنم ولا يدل على

الخليل: الجبت يمشر الكاهن، ويمش الساحر.

(٩٣: ٦)

قُطْرِب: أصل الجبت: الجبتس وهو الذي لاخير

فيه، فأبدلت التاء من السين. (القرطبي ٥: ٢٤٩)

الحزبي: من النبي ﷺ: «العبادة والطرق من

الجبت» الجبت: السحر، وهو أيضا الكاهن، وهو الصنم،

وهو حُبي بن أخطب. (١١٧٧: ٣)

الصاحب: الجبت والطاغوت في القرآن: فُسّر

على الكاهن. (٦٠: ٧)

الجوهري: الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن

والساحر، ونحو ذلك. وفي الحديث: «الطيرة والسيافة

والطرق من الجبت».

وهذا ليس من معض العربية، لاجتماع الجيم والتاء

في كلمة واحدة من غير حرف ذولي. (٢٤٥: ١)

قَتَادَةُ : شَيْطَانٌ ، وَالطَّاعُوتُ : الْكَاهِنُ .

نَحْوُ السَّذِيِّ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣٢)

زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : الْجَبِتُ : السَّاحِرُ ، وَالطَّاعُوتُ :

الشَّيْطَانُ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣١)

نَحْوُ أَبِي الْعَالِيَةِ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣٢)

أَبُو حَبِيْبَةَ : كُلُّ مَبْعُودٍ مِنْ حَجَرٍ أَوْ مَدْرٍ أَوْ صُورَةٍ أَوْ

شَيْطَانٍ فَهُوَ جَبْتٌ وَطَاعُوتٌ . (١ : ١٢٨)

نَحْوُ ابْنِ قُتَيْبَةَ . (١٢٩)

ابْنُ هِشَامٍ : الْجَبْتُ عِنْدَ الْعَرَبِ : مَاعِبِدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى . (٢ : ٢١١)

الطَّبْرِي : [نَقَلَ أَقْوَالَ الْمَفْسَّرِينَ ثُمَّ قَالَ:]

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ ﴿يُؤْمِنُونَ بِأَلْجَبِيتِ

وَالطَّاعُوتِ﴾ أَنْ يَقَالُ : يَهْدِقُونَ بِمَعْبُودِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،

يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَيَتَخَذُونَهَا إِلَهِينَ .

وَذَلِكَ أَنَّ (الْجَبِيَّتِ وَالطَّاعُوتِ) اسْمَانِ لِكُلِّ مَعْظَمٍ

بِعِبَادَةِ مَنْ دُونِ اللَّهِ ، أَوْ طَاعَةٍ أَوْ خُضُوعٍ لَهُ ، كَأَنَّا مَا كَانَ

ذَلِكَ الْمَعْظَمُ ، مِنْ حَجَرٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ شَيْطَانٍ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَكَانَتِ الْأَصْنَامُ الَّتِي كَانَتِ

الْجَاهِلِيَّةُ تَعْبُدُهَا كَانَتِ مَعْظَمَةً بِالْعِبَادَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَقَدْ

كَانَتِ جَبِيَّتًا وَطَاعُوتًا .

وَكَذَلِكَ الشَّيَاطِينُ الَّتِي كَانَتِ الْكَفَّارُ تُطِيعُهَا فِي

مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ السَّاحِرُ وَالْكَاهِنُ اللَّذَانِ كَانَ مَقْبُولًا

مِنْهَا مَا قَالَا فِي أَهْلِ الشَّرِكِ بِأَلِّهِ ، وَكَذَلِكَ حُتَيْيٌّ بْنُ

أَخْطَبٍ ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَسْرَفِ ، لِأَنَّهَا كَانَا مُطَاعَيْنِ فِي أَهْلِ

مِلَّتِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالْكَفَرِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ ، فَكَانَا

جَبِيَّتَيْنِ وَطَاعُوتَيْنِ . (٥ : ١٣٣)

السَّاحِرُ أَوْ الْكَاهِنُ . بَلْ يَدُلُّ عَلَى مَطْلَقٍ مَنْ كَانَ مُتَكَبِّرًا

لَا يَبَالِي وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْكِبَرِيَاءِ إِلَّا

التَّظَاهَرُ ، فَهُوَ يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ ، وَيَقُولُ مِنْ دُونِ عَمَلٍ ،

وَيُظَاهِرُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ .

فَلَفْظُ الْجَبِتِ يَشْمَلُ مَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، مِنْ مُدَّعِي

عِلْمٍ وَسُورَةٍ ، وَمَنْ صَاحِبُ مَالٍ وَمُلْكٍ ، وَمَنْ أَمِيرٍ

وَسُلْطَانٍ وَحَاكِمٍ ، وَمَنْ لَهُ عُنْوَانٌ وَشَهْرَةٌ ، وَمَنْ يَدَّعِي

النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ وَبِرَهَانٍ .

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَقْهُومَ مَادَّةُ جَبٍّ بِمَعْنَى التَّجَمُّعِ ، وَالْجَبِيخِ

وَالْتَجَبَّرَ وَالتَّجَبَّسَ : بِمَعْنَى التَّكَبَّرِ . (٢ : ٤٣)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ

بِالْجَبِيَّتِ وَالطَّاعُوتِ . النِّسَاءُ : ٥١

ابْنُ عَبَّاسٍ : الْجَبِيَّتُ : الْأَصْنَامُ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣١)

حُتَيْيٌّ بْنُ أَخْطَبٍ .

مِثْلُهُ الصَّحَّاحُ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣٢)

مِثْلُهُ الْفَرَّاءُ . (١١ : ٢٧٣)

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْتٍ : السَّاحِرُ بِلِسَانِ الْمُبَشَّةِ ،

وَالطَّاعُوتُ : الْكَاهِنُ .

الْكَاهِنُ ، وَالطَّاعُوتُ : السَّاحِرُ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣٢)

الشَّعْبِيُّ : الْجَبِتُ : السَّحَرُ ، وَالطَّاعُوتُ : الشَّيْطَانُ .

(الطَّبْرِي ٥ : ١٣١)

مِثْلُهُ مُجَاهِدٌ .

مُسْجَاهِدٌ : كَعْبُ بْنُ الْأَسْرَفِ ، وَالطَّاعُوتُ :

الشَّيْطَانُ ، كَانَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ . (الطَّبْرِي ٥ : ١٣٣)

الرَّجَاجُ: قال أهل اللغة: كل معبود من دون الله فهو
جِيت وطاغوت.

وقيل: الجِيت والَطَاغُوت: الكهنة والشياطين.

وقيل: في بعض التفسير: الجِيت والَطَاغُوت هاهنا:
حُتَي بن أخطب، وكعب بن الأشرف اليهوديان. وهذا
غير خارج عما قال أهل اللغة، لأنه إذا اتَّبَعُوا أمرها
فقد أطاعوها من دون الله عز وجل. (٢: ٦٦)

عبد الجِيتار: وربما قيل في الآية: النساء: ٥١
ليس في اليهود من يعبد الصنم ويؤمن به، فكيف يصح
ذلك؟

وجوابنا: أنه ليس المراد بالجِيت والَطَاغُوت:
الأصنام بل المراد به الشيطان والسحرة، على ما روي
عن الحسن وغيره.

والمروي عن ابن عباس أن كعب بن الأشرف قال
لقريش: أنتم خير من محمد، ووعدهم بمعونة عليه،
فقالوا له: أنتم أهل الكتاب ولا تأمن أن يكون ذلك
خديعة، فإن أردت أن ننق بقولك فاسجد لهذين
الصنمين وآمن بهما، ففعل فزلت هذه الآية.

وقد قيل: إن المراد به الكهنة والسحرة، كقوله:
﴿يَهْدُونَكَ إِلَى السَّحَابِ كَمَا هَدَى الْفَارُوسُ﴾ النساء: ٦٠.

وبعد، فليس في قوله: ﴿أَوْتُوا نَبِيَّكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾
أنهم أهل الكتاب، لأن كثيرا ممن بُعث إليه موسى
وعيسى عليه السلام يدخلون في هذا الوصف وإن لم يؤمنوا،
فلا يدل على ما ذكره. وقد يقال لمن تبع طريقة من
يعبدون الأصنام: إنه يؤمن بها، كقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرُؤَسَاءَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣١، لما

أطاعوهم. وكل ذلك يُسقط هذه الشبهة. (٩٨)
الواحدِي: كل معبود من دون الله فهو جِيت.

(٢: ٦٦)

الرَّمَحُوسِي: الأصنام وكل ما عُد من دون الله.

(١: ٥٣٣)

نحوه النَّسِي: نعوذ بالله.

ابن عَطِيَّة: هو كل ما عُد وأطيع من دون الله
تعالى. (٢: ٦٦)

الطَّبْرُسِي: يعني بهما الصنمين اللذين كانا
لقريش، وسجد لها كعب بن الأشرف. (٢: ٥٩)

الْفَخْرُ الرَّازِي: [نقل الأقوال وأضاف:]

وهما كلمتان وضعتا علمين، على من كان غاية في
الشَّرِّ والفساد. (١٠: ١٢٩)

الْقُرْطُبي: [نقل الأقوال ثم قال:]

وقيل: (الجِيت): كل ما حرم الله، (والطَّاغُوت):
كل ما يظني الإنسان. (٥: ٢٤٩)

نحوه الجزائري.

البَيْضَاوِي: والجِيت في الأصل اسم صنم،
فاستعمل في كل ما عُد من دون الله. وقيل: أصله
الجِيس، وهو الذي لا خير فيه، فقلبت سينه تاء.

(١: ٢٢٤)

نحوه أبو حيان (٣: ٢٦٦)، وأبو السُّعْد (١: ٣٥٠)،
والكاشاني (١: ٤٢٥)، والبرُّوسوي (٢: ٢٢١)،
والأكوسي (٥: ٥٥)، وفريد وجدي (٩: ١٠٩)، والطَّبَّاطبائي
(٤: ٣٧٤).

الشيوطي: الشرك. (٢: ١٠)

فأبدلت «التاء» من «السين»، وزاد الزاغب في معناه، فقال: «الغسل الذي لاخير فيه». وقيل: «التاء» بدل من «السين»، تنبيها على مبالغته في القسوة.

وقال الجوهري: «وهذا ليس من محض العربية، لاجتماع «الجيم» و«التاء» في كلمة واحدة من غير حرف ذولي». ولاشك أنه يريد بقوله: «حرف ذولي» حروف طرف اللسان، وهي: الزاء واللام والتون، وليست حروف طرف الشفة، وهي: الفاء والباء والميم، وإن كانت من الحروف الذلق، وإلا فإن لفظ «الجبت» يحتوي على «الباء» أيضًا.

٢- ولقد حذا اللغويون حذو المفسرين في بيان معنى «الجبت»، فقالوا: كل ما عبد من دون الله، أو هو السحر والساحر، أو الطيرة والعيافة والطرق. وزاد المفسرون معاني أخرى أيضًا، فقالوا: الشيطان، أو كعب بن الأشرف، أو حتمي بن أخطب وغير ذلك.

وهذه بعضهم مذهبًا بعيدًا؛ إذ نقل الشيوطي في الإتيان (٢: ١٣٢) عن ابن عباس أنه قال: «الجبت: اسم الشيطان بالجبهة»، وعن سعيد بن جبتر، قال: «الجبت: الساحر بلسان الحبشة». فهي عينا منشأه أيضًا، وهذا ما أغرى «دوراك» و«تولدك» من المستشرقين بأن يقولوا بقولها، بل استدرج ظهيرها «آرثر جفري» إلى لفظ «الطاغوت» - قرين «الجبت» - فعده حبشيًا أيضًا!

٣- ونحن نقول: بأن من قال بأعجمية هذا اللفظ قوله فتد، لأنه لا يركن إلى ركن شديد، فهو إما ارتجال، وإما احتمال. وقول الجوهري حسن، إلا أنه ليس قياسًا.

القاسمي: (الجبت) يطلق لغة على الصنم والكاهن والساحر والسحر، والذي لاخير فيه، وكل ما عبد من دون الله تعالى. (١٣٢٤: ٥)

رشيد رضا: [نقل الأقوال وأضاف:] فالمرنى الجامع للفظ (الجبت) هو الذجل والأوهام والمخرفات. (١٥٧: ٥)

القراغي: الجبت: أصله: الجبئس، وهو الزديء الذي لاخير فيه، ويراد به هنا الأوهام والمخرفات والذجل. (٦٢: ٥)

عبد الكريم الغطيب: الجبت هو الهوى الذي يفيض من عقل مُظلم ووجدان سقيم. (٨١٤: ٣) مكارم الشيرازي: [نقل قول بعض اللغويين والمفسرين وأضاف:]

أما المراد منها في الآية المسبوبة الآن، فذهب المفسرون فيه مذاهب شتى؛ فقال البض: بأنها اسم لصنمين سجد لها اليهود.

وقال آخرون: (الجبت) هنا هو الصنم، (والطاغوت) هم عبدة الأصنام أو حُماتها، الذين كانوا يمثلون تراجمه الأصنام، الذين كانوا يتكلمون بالكذب عنها ليخدعوا الناس. وهذا المعنى أوفق لما جاء في سبب النزول وتفسير الآية، لأن اليهود سجدوا للأصنام، كما خضعوا أمام عبدها الوثنيين أيضًا. (٢٣٩: ٣)

الأصول اللغوية

١- لم يقطع أحد من اللغويين بأصل «الجبت» إلا «قُرب»، فقال: أصله الجبئس، وهو الذي لاخير فيه.

تنديداً بالإيمان به، مثل: ﴿فَسَنَ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِإِلَهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ البقرة: ٢٥٦. أو تنديداً بالقتال في سبيله مرة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُسْقَاتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ النساء: ٧٦. أو على التحاكم إليه مرة أيضاً: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُشْحَقُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ النساء: ٦٠.

ومن هنا نستظهر أن الجبوت والطاغوت ليسا شخصين، أو صنفين من الناس كالتاجر والكاهن، أو صنفين، بل يعلمان كل فاسد لاخير فيه، كما جاء في النصوص اللغوية، وفي كل موضع يعمل على مايناسبه مما ذكر، إلا أن الطاغوت في القرآن جاء في مصاديق كثيرة، منها الجبوت في خصوص الأصنام، فاللأم فيها للجنس دون العهد، كما قيل.

ثانياً: أن (الطاغوت) جاء (٦) مرّات في المدنيات، ومرتين في مكّين، لاحظ (الطاغوت). أما الجبوت فمرة واحدة في سورة مدنية، فالمدني غلب فيها على المكّي مع اختصاص (الجبوت) بالمدنية. ويخطر بالبال أن شيوعها في المدينة نشأ من ناحية اليهود، أو ركز القرآن بها فيها، لاختلاط المؤمنين باليهود بها إلا أن (الطاغوت) كان أكثر شيوعاً وأقبح سمّة من (الجبوت) فكّر دون (الجبوت) وإن اشتركا في المعنى.

لأنّ «الجبوت» و«النساء» وما بينهما - حتى من الحروف الذوقية - نادر في العربية، ولم يأت منها إلا ثلاث مواد، وهي: «ت ج ر» و«ر ت ج» و«ن ت ج». كما أنه ليس لتقاليب المادتين: «ت ج ر» و«ر ت ج» إلا هذان الاشتقاقان، وليس لمادة «ن ت ج» تقاليب بتاتاً. ولم يرد في اللغة مع «الجبوت» و«النساء» من الحروف الشفوية إلا «الباء» في «ج ب ت» وليس لهذه المادة تقاليب أيضاً.

فأنت ترى أن ما تدرّج به الجوهري لا يتقوى على جعل «الجبوت» أعجمياً، بل أن ما ذكره يطرّد في الكلمات الرباعية أو الخماسية، كما صرح به ابن جني، لاحظ مادة «ذل ق» من لسان العرب.

الاستعمال القرآني

جاء منها لفظ واحد مرة واحدة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ النساء: ٥١
ويلاحظ أولاً: أن (الجبوت) مرّتين باللأم جاء مرة واحدة مع (الطاغوت) تنديداً بالإيمان بها، و«الطاغوت» جاء (٨) مرّات ترغيباً في الكفر به والإيمان بالله، أو

ج ب ر

٤ ألفاظ ١٠ مَرَات: ٨ مَكِّيَّة، ٢ مَدَنِيَّتَان
في ٩ سُور: ٧ مَكِّيَّة، ٢ مَدَنِيَّتَان

لها.

جَبَّارًا ٣: ٣

جَبَّار ٤: ٤

والجَبَّار: الخَشْبَةُ تُوضَعُ عَلَى الْكَسْرِ حَتَّى يَنْجَبِرَ
الْعَظْمُ، وَالْمَجْمُوعُ: الْجَبَّارُ.

جَبَّارَيْنِ ١- ٢: ١

الْجَبَّار ١- ١

والجَبَّار: ذَشِيقَةُ الْمَرْأَةِ مِنَ الْحُلِيِّ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ
بِشْر]

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْعَلِيلُ: الْجَبَرُ: الْأَسْمُ، وَهُوَ أَنْ تَجْبُرَ إِنْسَانًا عَلَى

مَا لَا يُرِيدُ، وَتَكْرَهُهُ جَبْرِيَّةٌ عَلَى كَذَا.

وَأَجْبَرَ الْقَاضِي عَلَى تَسْلِيمِ مَاقِضِي عَلَيْهِ.

وَالْجَبَرُ: أَنْ تَجْبُرَ كَسْرًا، وَتَقُولُ: جَبْرْتُهُ فَجَبَرْتُ. [تَمَّ

اسْتَشْهَدَ بِشْر]

وَالْجَبَّارُ: اسْمُ يَوْمِ الثَّلَاثَةِ فِي الْمَاجَهَلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ.
وَالْجَبَّارُ مِنَ الْأُزْسِ: مَا لَا يَنْهَضُ، وَالْأُزْسُ: الذَّيْبَةُ،
وَفِي الْحَدِيثِ: «الْعَجَبَاءُ جَبَّارَةٌ أَيْ مَا أَصَابَ الذَّاهِبَةَ فَهُوَ
هَذَرٌ».

وَجَبَرْتُ فَلَانًا فَاجْتَبَرْتُ، أَيْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَّةٌ فَأَحْسَنْتُ
إِلَيْهِ.

وَأَسْتَجْبِرْتُهُ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْكَ بِتَعَاهِدٍ حَتَّى تَبْلُغَ

غَايَةَ الْجَبْرِ، كَقَوْلِكَ: لَا أَتَصَبَّرُكَ تَمَّ لِأَجْبِرْتُكَ، أَيْ

لَأَدِينَنَّكَ تَمَّ لِأَجْبِرْتُكَ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشْر]

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْجَبَّارُ الْعَزِيزُ، أَيْ قَهَرَ خَلْقَهُ،
فَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ أَمْرًا، وَلَهُ التَّجَبُّرُ، وَهُوَ التَّكْثُّفُ.
وَاللَّهُ الْجَبَّارُ الْعَزِيزُ وَالْجَبْرُوتُ. وَالْجَبْرُوتُ: لَفْظٌ فِي
الْجَبْرُوتِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا كَانَتْ نُفُوتُهُ إِلَّا تَنَاسَخَهَا مَلِكٌ
جَبْرِيَّةٌ أَيْ إِلَّا تَجَبَّرَتْ الْمُلُوكُ».

وَتَقُولُ: أَصَابَتْ فَلَانًا مَصِيبَةً لَا يَجْتَبِرُهَا، أَيْ لَا يَجْبُرُ

على الحكم، إذا أكرمه عليه. (الأزهرى ١١: ٥٩)

وتأثر إيجير، غير معروف: نار المباحب.

(ابن سيده ٧: ٤٠٧)

الفؤاء: والعرب لا تقول: «فقال» من أفعلت، لا يقولون: هذا خراج ولا دخال، يُريدون مُدخل ومُخرج من أدخلت وأخرجت. إنما يقولون: دخال من «دخلت» وفقال من «فعلت». وقد قالت العرب: ذراك من «أدركت» وهو شاذ، فإن حملت الجبار على هذا المعنى فهو وجه.

وقد سمعت بعض العرب يقول: جبره على الأمر، يريد: أجبره، فالجبار من هذه اللغة صحيح، يراد به: يهزمهم ويخربهم.

(٣: ٨١)

لم أسمع «فقالاً» من «أفعل» إلا في حرفين، وهما: جبار من أجبرت، وذراك من أدركت.

(الأزهرى ١١: ٥٨)

يقال: جبره، وأجبره، إذا قهره.

(المزوي ١: ٣١٢)

الأخفش: الجبار: التخل الصغار، والذي تحفظه أن الجبار: ما تجاوز في الطول، ومنه قيل للرجل: جبار ومتجبر، أي مطاول.

(أبو زيد: ٦٥)

الطحياني: يقال: أجبرت فلاناً على كذا، أجبره إجباراً، فهو مجبر، وهو كلام عامة العرب، أي أكرهته عليه.

وجبرت اليتيم والفقير أجبره جبراً وجبوراً، فجبر يجبر جبوراً، وتَجَبَّرَ اتجباراً، واجتَبَر اجتباراً، بمعنى واحد.

(الأزهرى ١١: ٦٠)

الجبار: العاقى على ربه، القتال لرعيته.

والجبار من الناس: العظيم في نفسه، الذي لا يقبل

موعظة أحد.

وقد كانوا يُعابنون امرأة فكانت تأبى إلا أن تستمعي عليهم، ويُجيبهم بغير ما يريدون، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها جبارة»، وَقَلْبُ الْجَبَّارِ الَّذِي قَدْ دَخَلَهُ الْكِبَرُ لَا يَقْبَلُ مَوْعِظَةً.

والجبار من التخل: الذي قد بلغ غاية الطول في الفناء، وحمل عليه كله، وهو دون الشحوق من طول النخلة. [ثم استشهد بشعر]

(٦: ١١٥)

الضبي: الجبار: يوم الثلاثاء، والجبارة بفتح الجيم: فناء الجبان. والجبار: الملوك، واحدهم: جبر.

(الأزهرى ١١: ٦١)

الأحمر: فيه جبرية وجبروة، وجبروت وجبروة وجبروة. [ثم استشهد بشعر]

(الأزهرى ١١: ٥٨)

القاسمي: جبره السلطان، بغير ألف، وهو حجازي فصيح.

(الأزهرى ١١: ٦٠)

أبو عمرو الشيباني: قال المدوني: نقول للعلام: هو الجبر، وللعود: جبر.

(١: ١٢٠)

الجبر: أن تُثني الرجل من فقر، أو تُصلح عظمته من كسر.

(الجهوري ٢: ٦٠٧)

يقال للملك: جبر، والجبر: التجاج وإن لم يكن تليكاً، والجبر: تثبيت وقوع القضاء والقدر، والجبر: الرجل.

والإجبار في الحكم، يقال: أجبر القاضي الرجل

مصلحة. ولكنه قد علم بالعباد عاملون وماسهم إليه
صائرون. (الأزهري ١١: ٥٩)

الذي يورث: الجبار: الذي قد ارثني ولم يستط
كزيه، وهو أفعى الثعلب وأكرمه. (ابن سيده ٧: ٤٠٧)
ابن أبي اليمان: الجبار: الثعلب الذي قد طال
وفات اليد. (٣٨١)

العزيمي: [في حديث عن النبي ﷺ] «التجباء
جرحها جبار».

الجبار: كل جرح لا عقل له ولا قود^(١). [تم استشهد
بشرا] (٢٤٣: ١)

قوله: «الرجل جبار» يعني ما أصابت الذأبنة برجلها
وصاحبها راكب عليها أو يقودها، فلا عقل فيه ولا قود.
فإن كان يسوقها فما أصابت برجلها فمل السائق دون
القائد والراكب. (٤٢٢: ٢)

تغلب: وقد أجبرت الرجل على الشيء يفعله
بالألف فهو مجبر. إذا أكرهته عليه. (فصيح تغلب: ٢٣)
كرواع النسل: والمجبر: العبد. (ابن سيده ٧: ٤٠٧)
الزجاج: جبرت الرجل على الأمر وأجبرته:
أكرهته عليه. (لمعت وأفعلت: ٨)

ابن دُرَيْد: جبر العظم جبراً وجبره الله جبراً،
وهذا من أحد ما جاء على: فطنته فضل.
والمصدر: الجبروت.

والمجبرة: الذملوج^(٢)، وكذلك المجبرة، وبه سميت

وقدّر أجبار: ضد قولهم: قدّر أكسار، كأنهم جعلوا
كل جزء منه جابراً في نفسه، أو أرادوا: جمع قدّر جبر،
وإن لم يصمحووا بذلك، كما قالوا: قدّر كسر.

(ابن سيده ٧: ٤٠٥)
وجبر الله الذين جبراً فجبر جبراً. [تم استشهد
بشرا]

جبره: لغة تميم وحدها، وعامة العرب تقول:
أجبره.

والمجبار: العظيم القوي الطويل. (ابن سيده ٧: ٤٠٦)
أبو عبيد: في حديث النبي ﷺ: «التجباء جبار
والبر جبار والمعين جبار، وفي الزكاز^(٣) الخشن».

وأما الجبار فهو المذّر. [تم أدام البحث في جعل جرح
المجباء هدراً فلاحظ] (١٧٠: ١)
المجائر: الأسيرة، واحدها: جبارة وجيرة.

(الأزهري ١١: ٦١)
ابن السكيت: [في باب الكسر].. فإن برأ الكسر
قيل: قد جبر وجبرته. (١٢٨)

ودخل فيه جبرية وجبروة وجبروت وجبروة.
[تم استشهد بشرا] (١٥٥)

والمجيرة، وجمعها: جبار، وهي الميدان مجبرها
النظام. (إصلاح المطلق: ٣٥٣)

المجبر: المليك والمبد. (الأضداد: ٢٢٦)
أبو الهيثم: جبرت فاقة الرجل أجبرها، إذا
أغنيته.

والمجبرية: الذين يقولون: أجبر الله العباد على
الذنوب، أي أكرههم، ومعاذ الله أن يكرههم على

(١) قيل: الزكاز: المعادن كلها. وقيل: المال السديون قبل
الإسلام.

(٢) المثل: الذبة، القود: التقاص.

(٣) حلي يلبس في البنفس.

المرأة: جبيرة. [ثم استشهد بشعر]

والجبارة أيضاً: واحدة الجبائر، وهو الخشب الذي يشد على العضو المكسور. وقد سمت العرب: جبيرة. واشتقاقها من الدملوج.

والجبَّار: الذي لأرض له. وفي الحديث: «الغنيمة جبَّار».

وجبار: اسم يوم الثلاثاء عند العرب.

وأجبرت الرجل على كذا وكذا فهو مجبور، إذا أكرهته عليه.

والجبَّار: الملك. [ثم استشهد بشعر]

وقد سمت العرب: جبَّاراً وجبَّيراً وجباراً.

والجبَّار من النخل: الذي قد فات البد. [ثم

استشهد بشعر] (٢٠٧: ٢٠٨)

ابن الأنباري: الجبار في صفة الله: الذي لا يئال،

ومنه قيل للنخلة إذا قامت يد المتناول: جبَّارة، مأخوذ

من جبَّار النخل. (الأزهري: ١١: ٥٨)

السِّيرافي: نخلة جبَّار، بنير هاء.

(ابن سيده: ٧: ٤٠٧)

الأزهري: يقال: رجل جبَّار، إذا كان طويلاً

عظيماً قويّاً، تشبيهاً بالجبار من التحيل. [ثم حكى قول

الفراء المتقدم وقال:]

جَمَلُ [الفراء] جبَّاراً في صفة اليباد من الإجمار،

وهو القهر والإكراه لامن جبَّار. [ثم ذكر حديث المرأة

الذي مرَّ عند الحكييل، وبعد نقل قول أبي الهيثم قال:]

وهذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر، إنما هو علم الله

السابق في خلقه، وقد كتبه عليهم، فهم صائرون إلى

ما علمه، وكلُّ مُسَيَّر لما خُلِقَ له. (١١: ٥٨، ٥٩)

وتميم تقول: جبَّرت على الأمر أجبره جبَّراً وجبَّيراً،

بغير ألف. قلت: وهي لغة مرفوعة، وكثير من المجازيين

يقولونها. وكان الشافعي يقول: جبره السلطان، بغير

ألف، وهو حجازي فصيح.

وقيل للجبَّرية: جبَّرية، لأنهم نُسوا إلى القول

بالجبَّار، فهما لغتان جيدتان: جبَّرتَه وأجبرته، غير أنَّ

التحويين استحبوا أن يجعلوا «جبَّرت» لجبر الظلم بعد

كسره، وجَبَّرَ الفقير بعد فاقتة. وأن يكون «الإجمار»

مقصوراً على الإكراه، ولذلك جعل الفراء «الجبار» من

أجبرت، لامن جبرت، وجائز أن يكون «الجبار» في

صفة الله، من جَبَّرَ الفقير باللفي، وهو تبارك وتعالى

جابر كلِّ كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه. [ثم

استشهد بشعر]

ويقال: جبَّرت الكسير أجبره تجبيراً، وجبرته

جبَّراً. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: تجبَّر فلان، إذا عاد إليه من ماله بعض ما كان

ذهب. وتجبَّر الثَّبت والشَّجر، إذا ثبت في يابسه الرُّطْب.

ويقال: قد تجبَّر فلان مالا، أي أصاب. [ثم استشهد

بشعر]

وقال النبي ﷺ: «الغنيمة جُزْأها جُبار». الجُّبار:

الهدر، ومعناه أن تَنَقَّلَت البهيمة المجنَّاة فتصيب في

انفلاتها إنساناً أو شيئاً فجبَّزَها هَدَر، وكذلك البئر

العادية يسقط فيها الإنسان فيهلك قدمه هَدَر، والمَعِين

إذا انهار على حافره فقتله، قدمه هَدَر.

وفي الحديث: أَنَّ النبي ﷺ ذكر الكافر في النار،

دينكم نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك أغفر، ثم ملك وجبروت يستحل فيها الفرج والمرير.

والجبروت: مصدر، يقال: جبار بين الجبروتية. والجبروتية والجبروت والجبروت، وهو الجبروت أيضاً، كقولهم: رحمتنا ورهبتنا. والعرب تقول: «رهبتنا خير من رحمتنا» معناه لأنّ رُحْبَ خير من أن تُرحَم.

(١: ٢٤٩)

قيل: يا رسول الله، أليس الطريق قد تجمع التاجر، وابن السبيل، والمستنصر، والجبور، قال: يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى.

والجبور: من جبروه كرهاً على الخروج معهم، يقال: جبره، وأجبره، لنتان، وأعلامها بالأنثى. [ثم استشهد بشعر]

جاء في الحديث: «السائمة جبار» يريد السوائم المرسلة في مراعيها إذا أصابت إنساناً كانت جنايتها هذراً. (٣: ٢١٥)

الجوهري: يقال: جبرئ العظم جبراً، وجبر العظم بنفسه ججوراً، أي تجبر. وقد جمع العجاج بين المتعدي والأزمن. [ثم استشهد بشعر]

واجتبر العظم، مثل التجبر، يقال: جبر الله فلاناً فاجتبر، أي سدّ مفارقة. [ثم استشهد بشعر]

والعرب تستعي المتجر جابراً، ويقولون: هو جابر بن حبة، وكنيته أيضاً: أبو جابر. وأجبرته على الأمر: أكرهته عليه، وأجبرته أيضاً: نسبته إلى المتجر، كما تقول: أكرهته، إذا نسبته إلى الكفر.

فقال: «خيرسه مثل أحد، وكثافة جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار». قيل: الجبار هاهنا الملك، والجبارة: الملوك. وهذا كما يقال: هو كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك، وأحسبه تلياً من ملوك المعجم، نُسب إليه هذا الذراع، والله أعلم. (١١: ٩٠، ٩١)

الفارسي: جبره: أغناه بعد فقر، وهذه أليق العبارتين. (ابن سيده ٧: ٤٠٥)

الصاحب: [نحو الخليل وأضاف:] وتجبر الرجل: عاد من ماله بعض ماذهب منه. والجبور: الانحيار. والجبر: خلاف العدل، وقوم جبرية: خلاف العدالة.

والجبارة [ثم ذكر مثل التحليل] والجبار من الملوك: العاتي والعظيم في نفسه، الذي لا يقبل موعظة أحد. والقلب الجبار: المتكبر.

وفي الحديث: «ما كانت نبوة قط إلا تناسخها سلك»^(١) جبرية أي إلا تجبرت الملوك بعدها، والجسورة والجبروت. وفيه جبرياء، أي تجبر. والجبر: الملك. والجوزاء: جبار.

والجبار من النخل: الفتي قد بلغ غاية الطول، وكذلك الجبار، بضم الجيم. وذراع الجبار: منسوب إلى ملك من ملوك الأعاجم، وكان تام الذراع. (٧: ٩٧)

الخطابي: في حديث النبي ﷺ أنه قال: «أول

ومما شذَّ عن الباب «الجُبَّار» وهو المُقَدَّر. [ثم ذكر حديث النبي «البرُّ جُبَّار» كما تقدَّم]

ويقال: أُجِبِّرْتُ فلاناً على الأمر، ولا يكون ذلك إلا بالتهور وجنس من التَّظَنُّم عليه. (١: ٥٠١)

أبو هلال: الفرق بين الكِبَر والجَبَرِيَّة والجَبَرُوت: أنَّ الجَبَرِيَّة أبلغ من الكِبَر وكذلك الجَبَرُوت، ويدلُّ على هذا فخامة لفظها، وفخامة اللَّفْظ تدلُّ على فخامة المعنى فيها يجري هذا المجرى. ولهذا قال أهل الرِّبَّة: الملكوت أبلغ من الملك لفخامة لفظه، وكذلك الطَّاغُوت أبلغ من الطَّاغِي لفخامة لفظه. [إلى أن قال:]

وتجبرَّ أبلغ من تكبَّر، وقال بعض العلماء: تجبرَّ الرجل، إذا تظنَّ بالتهور. وهذا يؤيد ما قلناه: من أنَّه أبلغ من تكبَّر، لأنَّ التكبَّر لا يتضمَّن معنى التهور.

والجُبَّار: التَّهَار، والجُبَّار: العظيم في قوله تعالى: ﴿إِنْ فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ﴾ المائدة: ٢٢، والجُبَّار: المسلَّط في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ ق: ٤٥، وقال: الجُبَّار: القتال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشَّراء: ١٣٠، قالوا: قتالين.

والإجبار: الإكراه.

وجبر التَّقص: إقامه، وجبر المصيبة: رفعها بالتَّعمة. والمجبرة: خُشِب المجير.

واجترَجَ وتجبرَّ: تظنَّ بالتهور. والجُبَّار: الَّذي لأرْش فيه.

وقيل: الجُبَّار في صفات الله تعالى بمعنى أَنَّهُ لَا يُثَالِي بالآدِي، وأصله في التَّخلة الَّتِي فانت اليد.

وجِبَّارٌ أيضاً: اسم يوم الثلاثاء من أسبائهم القديمة.

والجُبَّار من التَّخَل: ما طال وفانت اليد. [ثم استشهد بشعر]

يقال: نخلة جبَّارة، وناقلة جبَّارة، أي عظيمة سمينة. والجُبَّار: الَّذي يقتل على الغضب.

والجُبَّار: الَّذي يَجْبِرُ العظام المكسورة.

وتجبرُّ الرِّجل: تكبَّر. وتجبرُّ الثَّبت، أي ثَبَّت بعد

الأكل. [ثم استشهد بشعر]

والجُبَّار: خلاف القَدَر. قال أبو عُبَيْد: هو كلام مولد.

والجَبَرِيَّة بالتحريك: خلاف القَدَرِيَّة.

ويقال أيضاً: فيه جَبَرِيَّة، وجَبَرُوت، وجَبُرُوت

وجَبُورَة، مثل فُرُوجة، أي كِبَر. [ثم استشهد بشعر]

والجُبَّار، مثال القِسْقِ: الشَّدِيد التَّجَبُّر.

والجِبارة والجيرة: اليأَرُ^(١).

والجِبارة والجيرة أيضاً: العيدان الَّتِي تُجَبَّر بها

العظام. (٢: ٦٠٧)

ابن فارس: الجيم والياء والرَّاء أصل واحد، وهو

جنس من العظمة والظُلُ والاسقامة. فالجُبَّار: الَّذي

طال وفانت اليد، يقال: فرس جبَّار، ونخلة جبَّارة.

وذو الجُبُورَة وذو الجَبُرُوت: الله جلَّ ثناؤه. [ثم استشهد

بشعر]

ويسقال فيه: جَبَرِيَّة وجَبُرُوت، وجَبُرُوت

وجَبُورَة. وجَبُرْتُ العظمَ فَجَبُرَ. [ثم استشهد بشعر]

ويقال للخشب الَّذي يُخَشَّب به التَّظَنُّم الكسير:

جِبارة، والمجع: جبانر. وخَبَّ السَّوار فقتل له: جِبارة.

[ثم استشهد بشعر]

ويقال لمرضى: يوماً تراه متجبراً ويوماً تنأس منه. معنى قوله: متجبراً، أي صالح الحال.

وتجبر الرجل مالاً: عاد إليه ما ذهب منه. وحكى اللحياني: تجبر الرجل، في هذا المعنى فلم يمد. وجابر بن حبة: اسم اللخبر، معرفة، وكل ذلك من «الجبر» الذي هو ضد الكسر.

وجابرة: اسم مدينة التي كانت جبرت الإيمان. وجبر الرجل على الأمر يجبره جبراً، وجبوراً، وأجبره، أكرهه، والأخيرة أعلى.

والجبر: خلاف القدرة^(١)، وهو كلام مولد. والجبرية: والجبرية، والجبروت، والجبروت، والجبروت، والجبروت، كنه: الكبر.

ورجل جبار: متكبر، والمتكبر: المتكبر. والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً؛

يقال: جبار بين الجبرية والجبرية، بكسر الجيم والياء، والجبرية والجبروت، والجبروت، والجبروت، والجبروت، والجبروت، والتجبار.

والجبار: الله عز وجل لتكبره، أي يجبر عباده على حكمه.

والجبار من الملوك: العاتي. وقيل: كل عاتٍ جبار، جبير.

وقلب جبار: لا تدخله الرحمة. ورجل جبار: مُسلط قاهر.

والجبار: المتكبر عن عبادة الله. والجبار: القتال في غير حق.

ويقال: تجبر الرجل مالاً، إذا أصاب مالاً. وتجبر الثبت، إذا ثبت في يسه الرطب. وقال ابن عطاء: الجبار في أسماء الله تعالى جل اسمه بمعنى أنه يجبر الكسر.

والجبرية: مصدر منسوب إلى الجبروت، بحذف الواو والثاء. والجبروت أيضاً يجري مجرى المصادر، ومعناه المبالغة في التجبر. (٢٠٤)

الغزوي: التخله الجبارة، وهي العظيمة التي فاتت يد المتناول، وقال بعضهم: يقال: تخله جبارة بالهاء، ونافقه جبار، بلا هاء، وهي السمنية العظيمة.

وفي الحديث: «ثم ملك وجبروت» يقال: جبار بين الجبرية، والجبروت، والجبروت.

وفي الحديث: «أربعون ذراعاً بذراع الجبار» قيل: الجبار: الملك، هاهنا، كما يقال: بذراع الملك. ويقال: إنه ملك من ملوك العجم.

وفي دعائه عليه السلام: «واجبرني واغني» هو من قولهم: جبر الله مصيبتك، أي زد عليك ما ذهب منك وعوضك. (٣١٢: ١)

ابن سيده: الجبر: خلاف الكسر. وجبره فجبر يجبر جبراً، وجبوراً، وانجبر، واجتبر، وتجبر. والجبان: العبدان التي تشدها على العظم لتجبره بها، واحدهما: جبارة وجبرية.

وجبر الرجل: أحسن إليه. وقد استجبر، واجتبر. وأصابته مصيبة لا يجتبرها، أي لا يجبر منها.

وتجبر الثبت والشجر: اخضر وأورق، وظهرت فيه المشرة وهو يابس. [ثم استشهد بشعر]

وتجبر الكلاً: أكل ثم صلح قليلاً بعد الأكل، قال

﴿قَدْ جَبَّرَ الدِّينَ إِلَهُهُ فَجَبَّرَ﴾

هذا قول أكثر أهل اللغة. وقال بعضهم: ليس قوله: «فَجَبَّرَ» مذكورًا على سبيل الانفعال بل ذلك على سبيل الفعل، وكثره ونبّه بالأول على الابتداء بإصلاحه، وبالتالي على تسميته، فكانه قال: قصد جَبَّرَ الدِّينَ وأبناه فتمم جَبَّرَهُ، وذلك أن «فعلًا» تارة يقال لمن ابتداء بفعل وتارة لمن فرغ منه.

و«عَجَّرَ» يقال: إنما تصوّر معنى الاجتهاد والمبالغة أو لمعنى التكلف. [ثم استشهد بشر] وقد يقال: الجَبْرُ تارةً في الإصلاح الجَرْد، نحو قول علي رضي الله عنه: يا جابر كلّ كبير، ويأتمسك كلّ صغير. ومنه قولهم: للخبز جابر بن حَبّة. وتارةً في القهر الجَرْد، نحو قوله ﷺ: «لَجَبْرٌ ولانقويض». والجبر في الحساب: إلحاق شيء به إصلاحًا لما يريد إصلاحه.

وسمّي السلطان جَبْرًا. لقهره الناس على ما يريد، أو لإصلاح أمورهم. والإجبار في الأصل: حمل الغير على أن يجبر الآخر. لكن تُحور في الإكراه الجَرْد، فقيل: أجبرته على كذا، كقولك: أكرهته.

وسمّي الذين يدعون أن الله تعالى يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين: مُجَبَّرَةً، وفي قول المتقدمين: جَبْرِيَّةٌ وجَبْرِيَّةٌ.

والمجبار في صفة الإنسان، يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التّعالى لا يستحقّها. وهذا لا يقال إلّا على طريق الدّم. [ثم ذكر الآيات إلى أن قال:]

ونخلة جَبَّارة: فتيّة قد بلغت غاية الطول وحملت، وقيل: هي التي فاتت اليد. والجمع: جَبَّار. [ثم استشهد بشر]

والمَجْبَرُ: الملك، ولا أعرف ممّ اشتقّ، إلّا أن ابن جنّي قال: سمّي بذلك لأنّه يجبر بمجوده، وليس بقوي. [ثم استشهد بشر]

والمَجْبَرُ: الرّجل.

وحزب جَبَّار: لا قوّة فيها ولادية.

والمَجْبَرُ من الدّم: المهدّر، وفي الحديث: «المعدين جَبَّار، والعجباء جُبَّار». [ثم استشهد بشر] والمَجْبِرَةُ، والمَجْبَرُ: السّوار من الذهب والفضّة. [ثم استشهد بشر]

وَجُبَّار: اسم ليوم الثّلثاء في الجاهليّة. [ثم استشهد بشر]

وَجَبْرٌ، وجابر، وجَبْرٌ، وجَبْرِيَّةٌ وجَبْرِيَّةٌ: أساء. وحكى ابن الأعرابي: جَبَّار من المَجْبَر. هذا نصّ لفظه، ولا أدري من أيّ جَبْر عني، أمّن المَجْبَر الَّذِي هو ضدّ الكسر وما في طريقه؟ أم من المَجْبَر الَّذِي هو خلاف القُدْر؟ وكذلك لأدري ما «جَبَّار» أَوْضَف أم علّم أم نوع أم شخص؟ ولولا أنّه قال: جَبَّار، من المَجْبَر؟ لألحقته بالرّياضي، ولقلت: إنّها لغة في المَجْبَر الَّذِي هو فرخ المَبْأَرى، أو مخفّف عنه، ولكن قوله: من المَجْبَر، تصريح بأنّه عنده ثلاثي. (٧: ٤٠٤)

الرّاغِب: أصل المَجْبَر: إصلاح الشيء بضرب من القهر، يقال: جَبَرْتُهُ فاجتبر، واجتَبَر، وقد قيل: جَبَرْتُهُ فَجَبَّرَ.

ويقال للقاهر غيره: جَبَّار، نحو: ﴿وَعَاثَتْ عَلَيْهِمْ يَجْبَارٍ﴾ ق: ٤٥، ولتصور القهر بالثقل على الأقران قيل: نخلة جبارة وناقعة جبارة.

وماروي في الخبر: جَبَّارٌ الكافر في النار مثل أخذ، وكثافة جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار. فقد قال ابن قُتَيْبَةَ: هو الذراع المنسوب إلى الملك الذي يقال له: ذراع الشاه.

فأما في وصفه تعالى نحو: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ المحشر: ٢٣، فقد قيل: سمي بذلك من قومه: جَبَّزَتِ الْفَقِيرَ، لأنه هو الذي يَجْبِرُ النَّاسَ بغاوض نعمه. وقيل: لأنه يَجْبِرُ النَّاسَ، أي يفهمهم على ما يريد.

ودفع بعض أهل اللغة ذلك من حيث اللفظ، فقال: لا يقال من أَضْلَعْتَ فَقَالَ: فَجَبَّارٌ لِأَنَّهُ سَمِيَّ بِذَلِكَ من فأجيب عنه بأن ذلك من لفظ «جَبَّرَ» المروي في قوله: «لَا جَبْرَ وَلَا تَوْعِضَ»، لامن لفظ: الإِجْبَار.

وأكرر جماعة من المعتزلة ذلك من حيث المعنى، فقالوا: يتعالى الله عن ذلك. وليس ذلك بِمُكْرَرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تعالى قد أَعْبَرَ النَّاسَ على أنبياء لا تفكالك لهم منها، حَسْبًا بتنظيم الحكمة الإلهية، لأعلى ماتوهمه القوة الجبلية، وذلك كإكراههم على المرض والموت والبعث، وسخر كلَّهم لصناعة يتعاطاها وطريقة من الأخلاق والأعمال يتعزَّرها. وجعله مُجَبَّرًا في صورة مخير فإيتا راض بصنعه لا يريد منها جَوْلًا، ولما كاره لما يكابدها مع كراهيته لها، كأنه لا يريد عنها بدلًا، ولذلك قال تعالى: ﴿فَسَقَطُوا عَنْهُمْ يَتِيمٌ زُبْرًا كُلُّ حَرْبٍ بِمَا

لَتَيْتِهِمْ فَرَحُونَ﴾ المؤمنون: ٥٣، وقال عز وجل: ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بِيَتِيمِهِمْ يَكْفِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الزُّمَرُف: ٣٢، وعلى هذا الحدُّ وصف بالقاهر، وهو لا يتعزَّز إلا على ماتنضي الحكمة أن يفهم عليه.

وقد روي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه: يا هارِي المسوكات وجبار القلوب على فطرتها شغيتها وسيدها.

فإنه جَبَّرَ القلوب على فطرتها من المعرفة، فذكر لبعض مادخل في عموم ماتنظم. وجَبَّرُوت «فعلُول» من التَّجَبُّرُ، واستَجَبَّرْتُ حاله: تعاهدت أن أجبرها، وأصابته مُصِيبَةٌ لا يَتَجَبَّرُهَا، أي لا يتعزَّى لجبرها من عظمها.

واشتقَّ من لفظ جَبَّرَ التَّظْمُ: الجبيرة: الخِزْفَةُ التي تشدُّ على الجبور. والجبارة: للخشبة التي تشدُّ عليه، وجمعها: جبار. وسمي الدملوج: جبارة تشبيها بها في الهيئة. والجبار: لما يسقط من الأرض. (٨٥) الرَّصَافُ شَرِي: جَبَّرَ الجبَرُ يده فَجَبَّرَتْ. [تم استشهد بشعر]

ومسح على الجبار، وليس الجبار، وهي الأسورة، وقيل: الدماليج، والواحدة فيها: جبارة وجبيرة. وذهب دمه جُبَّارًا، و«جرح المعجاء جُبَّار»، وهو جبار من الجبارة، وقد تجبَّر، وويل لجبار الأرض من جبار السماء. وفيه جَبَرِيَّة، وقوم جَبَرِيَّة، وفيهم جَبَرِيَّة، وهو كذا ذراعًا بذراع الجبار، أي بذراع الملك.

وفي الحديث: «دعوها فإنها جبارة» وما كانت نبوة إلا تأسخها ملك جَبَرِيَّة، أي إلا تجبر الملوك بعدها.

(الفائق ١: ٤٦٥)

ابن الأثير: في أسماء الله تعالى «الجبار» ومعناه الذي يقهر العباد على ماأراد من أمر ونهي. يقال: جَبَر الخلق وأجبرهم. وأجبر: أكثر.

وقيل: هو العالي فوق خلقه، و«فَعَال» من أبنية المبالغة، ومنه قولهم: نخلة جبارة، وهي العظيمة التي تنبت يد المتناول.

ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يأتمه الجبار» إنما أضافها إلى الجبار دون باقي أسماء الله تعالى، لاختصاص الحال التي كانت عليها من إظهار العظم والبخور، والتباهي به، والتبخّر في المشي.

ومنه الحديث في ذكر النار: «حتى يضع الجبار فيها قدمه» المشهور في تأويله: أن المراد بالجبار: الله تعالى، ويشهد له قوله في الحديث الآخر: «حتى يضع رب العزة فيها قدمه» والمراد بالقدم: أهل النار الذين قدمهم الله تعالى لها من شرار خلقه، كما أن المؤمنين قدمه الذين قدمهم للجنة.

وقيل أراد بالجبار هاهنا: المتمرد العاتي، ويشهد له قوله في الحديث الآخر: «إن النار قالت: وكُلتُ بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمُصَوّرِينَ».

وفي حديث علي رضي الله عنه: «وجبار القلوب على فطراتها» هو من جَبَرَ العظم المكسور، كأنه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به، شقيها وسعيدها.

قال القُتَيْبِيُّ: لم أجعله من «أَجْبَرَ» لأن أفعل لا يقال

ومن الجاز: نخلة جبارة: طويلة تنبت اليد، وهي دون السحوق. وناقة جبار: عظيمة، بغير تاء. وقد فسر قوله تعالى: «قَوْمًا جَبَّارِينَ» السائدة: ٢٢، بـجَظَام الأجرام، وقلب جَبَّار: لا يقبل موعظة. وطلع الجبار، أي الجوزاء، لأنها في صورة تلك متوج على كرسي. وقلبي إلى جابر بن حَبَّة، وهو الخبز. [ثم استشهد بشر]

وجبر الله يُمْنَه، وجبرت الفقير: أغنيته، شبه فقره بانكسار عظميه. وفي الدعاء: اللَّهُمَّ اجْبُرْنَا. وجبرت فلاناً فاجتبر، أي نمشته فانتمش. [ثم استشهد بشر] واستجبرته، إذا بالنت في تمهده. وفلان جابر لي مستجير، أي عثر فتكسر حتى احتاج إلى المجبر، وهو من الجاز الحسن.

[في حديث خسف جيش البيداء] أليس الطريق يجمع التاجر وابن السبيل والمستجير والمجور؟

المجور: المجبر على الخروج، يقال: جبره على الأمر وأجبره، ومعناه أن قوماً يقصدون بيت الله ليلحدوا في الحرم فيخسف بهم الله. فقيل له: إن تلك الرفقة قد تجمع من ليس قصده قصدهم. فقال: «يملكون جميعاً، ثم يذهبون مذاهب شتى في الجزاء». (الفائق ١: ١١٤)

عن سلامة الكندي: كان علي عليه السلام يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ: «اللهم داحي المدحوات، وبارئ المشؤكات، وجبار القلوب على فطراتها...».

الجبار: من المجبر الذي هو ضد الكسر، أي أثبتنا وأقامها على ما فطرها عليه من معرفته. ويموز أن يكون من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه، أي ألزمها وحتم عليها الفطرة على وحدانيته، والاعتراف ببروبيته.

وقوعه منهم، لأنّه تعالى يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه ما يشاء.

ويُنسب إليه على لفظه، فيقال: جَبَرِي، وقوم جَبَرِيَّة، بسكون الباء. وإذا قيل: جَبَرِيَّة وقَدَرِيَّة، جاز التحريك لللازم واج.

وفيه جَبَرُوت يفتح الباء، أي كَبُرَ. وجُزَح المجهاء جَبَارٌ بالقَسم، أي هَدَرَ. قال الأزهرِي: منناه أن البيضة المجهاء تَنْقَلِت فتُثَلِف شيئا فهو هَدَرَ. وكذلك المَعْدَن إذا انهار على أحد قدمه جُبَارٌ، أي هَدَرَ. وأَجَبَرْتُهُ على كذا بالانكف: حملته عليه قهراً وغلبةً، فهو مُجَبَّرٌ.

هذه لغة عامة العرب، وفي لغة لبني تميم وكثير من أهل الحجاز يتكلم بها: جَبَرْتُهُ جَبَرًا، من باب «قتل» وجَبُورًا، حكاة الأزهرِي، ولفظه: وهي لغة معروفة. ولفظ ابن القطّاع: وجَبَرْتُكَ، لغة بني تميم، وحكاها جماعة أيضًا، ثم قال الأزهرِي: فجَبَرْتُهُ وأَجَبَرْتُهُ لغتان جيدتان.

وقال ابن دُرَيْد، في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة: ممّا تكلّمت به العرب من «فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ»: جَبَرْتُ الرّجل على الشيء وأَجَبَرْتُهُ. وقال الخطّابي: الجَبَار: الَّذِي جَبَرَ خلقه على ما أراد من أمره ونهيّه، يقال: جَبَرَهُ السُّلْطَانُ وأَجَبَرَهُ، بمعنى.

ورأيت في بعض التّفسيرات عند قوله تعالى: «وَمَا آتَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ جَبَّارٍ» أن الثلاث لثمة حكاها الفراء وغيره، واستشهد لصحتها بما مناه أنّه لا يثني «فقال»

فيه فقال. قلت: يكون من اللّغة الأخرى، يقال: جَبَرْتُ وأَجَبَرْتُ، بمعنى قَهَرْتُ. (١: ٢٣٥)

الصّغاني: الجَبَرُ بالفتح: الملك، والجمع: جَبَار. والجَبَرُ أيضًا: الشّجاع، وإن لم يكن تَلَكُّاً. والجَبَرُ: الرّجل. [ثم استشهد بشعر] وينو تميم يقولون: جَبَرْتُ الرّجل على الأمر أَجَبَرُهُ، بالقَسم جَبَرًا، وهي لغة معروفة.

وكان الشّافعي، رحمه الله، يقول: جَبَرُ السُّلْطَانِ، وهو حجازي فصيح، والمَجْبُورَةُ، بالقَسم والتّشديد: المَجْبُورُوت، والتّجَبَرُ: الأُسْد.

وجَوْبَرَةٌ، مثل كَوْثَرَةٍ: قرية. وجَوْبَرَةٌ: من محال أصنعان.

المجوزاء: جَبَارٌ. (٢: ٤٤) الفُيُومِيّ: جَبَرْتُ النّظْمَ جَبَرًا من باب «قتل»: أصْلَحْتُهُ، فجَبَرُ هو جَبَرًا أيضًا وجَبُورًا: صلَحَ، يستعمل لازماً ومتعدّياً.

وجَبَرْتُ اليَتم: أعطيتُهُ، وجَبَرْتُ اليَدَ: وضَعْتُ عليها الجَبِيرَةَ. والجَبِيرَةُ: عظام توضع على الموضع العليل من الجسد يَنْجَبِرُ بها، والجَبِيرَةُ بالكسر مثله، والجمع: الجَبَائِرُ.

وجَبَرْتُ نصاب الزّكاة بكذا: عادلتُهُ به، واسم ذلك الشّيء: الجَبْران، واسم الفاعل: جَابِرٌ، وبه سُمي.

والجَبَرُ وزان فُلْس: خلاف القَدَر، وهو القول: بأنّ الله يَجْبِرُ عباده على فعل المعاصي. وهو فاسد، وتُعرف أدلته من علم الكلام، بل هو قضاء الله على عباده بما أراد

محركات، والجبرية والمبرورة والتجبر والمبرورة مفتوحات، والمبرورة والمبروت مضمومتين.

الجبار كسحاب: فناء الجبارين، وبالعظم: الهدر والباطل، ومن المبرور: الماتقود فيها، والتبيل، وكل مأفد وأهلك، والبري من الشيء، يقال: أنا منه خلاوة وجبار.

وجبار كغراب: يوم الثلاثاء، وكسر.

وجابر بن حبة: اسم الخبز، وكنته أبو جابر أيضًا. والجابة بالكسر والمجبرة: اليازق، والعيان التي تجبر بها العظام.

وجؤيبار بضم الجيم وسكون الواو والمثناة غم، ويقال: جؤبار بلقاء، وكلاهما صحيح. ومعناه مسيل النهر الصغير.

وجبرة وجبارة وجؤيرة: أسماء، وجابر: اثنان وعشرون صاعيًا، وجبر خسة، وجبر ثمانية، وجبارة بالكسر واحد.

والجبر: الذي يجر العظام.

وأجبره: نسبته إلى الجبر.

والجبورة وجابرة: اسنان لطيفة المشرفة.

والاجبار: نبات فناع يتخذ منه شراب. الجبر: كحيدر: الرجل القصير. (١: ٣٩٩)

الطريحي: وفي الحديث: «لا تكونوا علماء جبارين» أي متكبرين.

والتجبر: التكبر، ولا فرق بينهما لغة.

وقيل: التكبر: المتكبر بما ليس فيه، والتجبر: الذي لا يكثر لأمر.

إلا من فعل ثلاثي، نحو الفتاح والصلام، ولم يمس من «أفعل» بالألف إلا ذاك. فإن حمل «جبار» على هذا المعنى فهو وجه. قال الفراء: وقد سمعت العرب تقول: جبرته على الأمر وأجبرته. وإذا ثبت ذلك فلا يحول على قول من ضطها. (١: ٨٩)

الفيروز آبادي: الجبر: خلاف الكسر، والمكسر والمبد صد، والرجل والشجاع، وعلاف القدر، والعلام، والورد، ومجاهدين جبر محمد.

وجبر العظم والتغير جبرًا وجبوزًا وجبارة، وجبره فجبر جبرًا وجبوزًا، وانجبر وتجبر.

واجتبره فتجبر: أحسن إليه، أو أغناه بعد فقر فاستجبر واجتبر، وعلى الأمر: أكثره كأجبره.

وتجبر: تكبر، والشجر: اخضر وأوزق، والكلأ: أكل ثم صلح قليلًا، والمريض: صلح حاله، وفلان مالا: أصابه، والرجل: عاد إليه ما ذهب عنه. والجبرية بالتحريك: خلاف القدرية، والتسكين لحسن أو هو الصواب، والتحريك لازدواج.

والجبار: الله تعالى لتكبره، وكل عات كالجبر كيكت، واسم الجوزاء، وقلب لتدخله الرحمة، والقتال في غير حق، والعظم القوي الطويل جبار، وابن الحكم وابن سلمى وابن صخر وابن الحرث صحيان، والآخر ساء عبد الجبار، وجبار الطائي محدث، والتخللة الطويلة الفتية وتضم، والمتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقًا.

فهو بين الجبرية والمجربة مكسورتين، والجبرية بكسرات، والجبرية والمبرورة والمبروت والمبروت

المحادثات بقدرة الله تعالى وقضائه، وزعموا أَنَّ العبد قبل أن يقع منه الفعل مستطيع تام، يعني لا يتوقف فعله على تجدد فعل من أفضاله تعالى، وهذا معنى «التفويض» يعني أَنَّ الله تعالى فَوَّضَ إليهم أفعالهم.

وقال علي بن إبراهيم: المجبرة: الَّذِينَ قالوا: ليس لنا صنع ونحن مجبرون، يحدث الله لنا الفعل عند الفعل، وإنما الأفعال منسوبة إلى الناس على الجواز لأصل الحقيقة. وتأولوا في ذلك بآيات من كتاب الله لم يعرفوا معناها، مثل قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. الذَّهَرُ: ٣٠، والتكوير: ٢٩، وقوله: ﴿فَسَتَن يُرْدِ اللَّهُ أَنْ تَبْذِرَهُ يَسْرُخَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرْذَأَنَّ يَحْمِلُهُ يَحْمِلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَزَنًا﴾ الأنعام: ١٢٥، وغير ذلك من الآيات الَّتِي تأولوها على خلاف معانيها، وفيما قالوه إبطال الثواب والعقاب، وإذا قالوا ذلك ثم أقرُّوا بالثواب والعقاب نسبوا إلى الله «المجورة» وأنه يُعَذِّبُ على غير اكتساب وفعل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً أن يعاقب أحداً على غير فعل وبغير حجة واضحة عليه. والقرآن كله رد عليهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَحْكُمُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة: ٢٨٦، فقولوه: ﴿لَهَا وَعَلَيْهَا﴾ هو الحقيقة لفعلها، وقوله: ﴿فَسَتَن يُرْدِ اللَّهُ أَنْ تَبْذِرَهُ يَحْمِلُهُ يَحْمِلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَزَنًا﴾ الزُّلْزَالُ: ٧، ٨، «ثم ذكر آيات عديدة في الرد عليهم»

وفي الحديث: «لا يحرم من الرضاع إلا المجبور» قلت: وما المجبور؟ قال: «أُمُّ تَرْبِيٍّ أَوْ ظَنُرٌ تُسْتَأْجَرُ أَوْ أُنْثَى تُشْتَرَى».

وفي حديث الشيعة: «إِيَّاكُمْ وَالتَّجَبُّرَ عَلَى اللَّهِ» كأنَّه أراد بالتَّجَبُّرَ عَلَى اللَّهِ: التَّكَبُّرَ عَلَى النَّاسِ مَتَّكِلًا مَعْتَمِدًا عَلَى قُرْبِهِ عِنْدَ اللَّهِ.

وفي الحديث: «إِنَّ عَبْدًا لَمْ يَتَجَبَّرْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا تَجَبَّرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

والمَجْبُورُوتُ فهو «مَقْلُوتٌ» من الجبر والقهر. ومن كلامه ﷺ في وصف والي الأئمة «هو الَّذِي لَمْ يُتْلَقْ بِابِهِ دُونِهِمْ، فَيَأْكُلُ قَوْصَمَ ضَعِيفِهِمْ وَلَمْ يَجْبِرْهُمْ فِي بَوَائِهِمْ، فَيَقْطَعُ نَسْلَ أُمَّتِي». قيل: هو من الجبر على الشيء: القهر والغلبة عليه.

وقد اضطربت النسخ في ذلك، والأصح ما ذكرناه، والمعنى حينئذ لم يقهر كل جماعة من المسلمين على الجهاد فيجبروا إلى قطع النسل.

والمَجْبُورُ وزن «فُلْس»: خلاف القَدَر، وهو القول: بَأَنَّ اللَّهَ يَجْبِرُ عِبَادَهُ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي، ومنه الحديث: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

سئل ما الأمر بين الأمرين؟

قال: مثل ذلك، رجل رأيته على مصيبة فنبهته فلم يبت، فتركته، ففعل تلك المصيبة، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، كنت أنت الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ.

والمَجْبُورِيَّةُ بإسكان الباء: خلاف القَدَرِيَّةِ، وفي عرف أهل الكلام يستون المجبرة والمرجئة، لأنهم يؤخرون أمر الله، ويرتكبون الكبائر.

والمفهوم من كلام الأئمة ﷺ أَنَّ المراد من المَجْبُورِيَّةِ: الأشاعرة، ومن القَدَرِيَّةِ: المعتزلة، لأنهم شهروا أنفسهم بإنكار ركن عظيم من الدين، وهو كون

والجبرية المتوسطة: التي تُثبت للمبد قدرة غير مؤثرة. فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا مافي العقل وسُي ذلك كسبا فليس بجبري. والمعتزلة يستون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالًا جبريًا، وقد عدوا التجارية والعنصرية والكلامية من الصفاتية والأعنصرية جبرية. انتهى من كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني.

الجبار: الميدان مجبر بها العظام، جمعها: جبار، ومثلها: الجبيرة.

الجبروت والجبروت: صيغة مبالغة، بمعنى العظمة والسلطة.

الجبار: المغي والقهار، وهو صفة من صفات الخالق جل وعز. (٢٤: ٣)

العدناني: جبر التظم والتظم ويظنون من يقول: جبر التظم، ويقولون: إن الصواب هو: جبر التظم، لأن تذيب الأزهرري، والألفاظ الكتابية للهمداني لا يذكران سواها. ولكن:

جمع العجاج بين المتعدي والأززم، فقال:

«قد جبر الدين الإله فعبّر»

وأجاز الجملتين: جبر التظم وجبر التظم كليهما أيضًا كل من ابن السكيت باب الكسر، والصحاح، والزاعب الأصفهاني، والمُغرب، والنصار، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

أما فعله فهو: جبر التظم يجبر جبرًا، وجبوزًا،

قال في شرح الشرائع: «الجبر» وجدتها مضبوطة بخط الصدوق بالجيم والباء في كتابه «المقنع» فإنه عندي بخطه، انتهى. (٣: ٢٣٩)

الجباري: الجبار والقهار. الجبار في صفة الله صفة تنظيم، لأنه يفيد الاقتدار، وهو سبحانه لم يزل جبارًا، بمعنى أن ذاته تدعو العوارف بها إلى تنظيمها.

والقهار هو الغالب لمن ناواه أو كان في حكم المناوى، بمصيته إياه، ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بأنه قهار.

والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم، لأنه يتظم بما ليس له، فإن الظلمة لله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَرُدًّا يَغْشَى غُيُوبَهُمْ﴾ (١٣٠)، وقال حكاية عن عيسى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ جَبَّارًا شَيْئًا﴾ مريم: ٣٢.

(٧٧) فريد وجدي: الجبر: خلاف الكسر، والقضاء، والقدر، وعلم الجبر فرع من العلوم الرياضية، فائدته اختصار العمليات الحسابية بواسطة الرمز إلى المقادير المعلومة والمجهولة بحروف، والإشارة إلى ماتستلزم من جمع أو ضرب أو قسمة بعلامات. وهذا العلم قد اخترعه العرب في عصر الخلافة العباسية في القرن السادس، وضعه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي. الجبرية: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب.

والجبرية أصناف، فالجبرية الخاصة: التي لا تُثبت للعبد فعلاً ولا قدرةً على الفعل أصلاً.

وجِبَارَةٌ. وَجِبْرَةٌ تَجْبِيرًا.

ويجوز أن نقول أيضًا: انجبرَ الظلمُ، واجتبرَ، وتَجَبَّرَ.

أَجْبَرَهُ عَلَى التَّسَرُّعِ، جَبَرَهُ عَلَيْهِ

وَيَعْطِفُونَ مَنْ يَقُولُ: جَبَرَهُ عَلَى التَّسَرُّعِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ

الصَّوَابَ هُوَ: أَجْبَرَهُ عَلَى التَّسَرُّعِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَنْشَاطِ

الْكِتَابِيَّةِ لِلْهَذَانِي، وَشَرَحَ الْفَصِيحُ لَابِنَ دُرُوسْتَوِيهِ،

وَالصَّاحِبُ، وَالْمُتَخَارِجُ.

وَلَكِنْ:

أَجَازَ اسْتِمَالُ الْمُجْمَلَيْنِ: أَجْبَرَهُ عَلَى التَّسَرُّعِ وَجَبَرَهُ

عَلَيْهِ كِلَاهُمَا كُلٌّ مِنَ الْفَرَاءِ، وَاللَّحْيَانِي (جَبَرَهُ لَفَةً تَمِيمٌ

وَحَدَّاهَا، وَعَامَّةُ الْعَرَبِ يَقُولُونَ: أَجْبَرَهُ)، وَأَبِي زَيْدٍ

الْأَنْصَارِيُّ، وَأَبِي حُسَيْنٍ الْبَكْرِيُّ، وَابْنُ دُرُوسٍ،

وَالْأَزْهَرِيُّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ، وَالزَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ،

وَابْنُ الْأَثِيرِ (أَجْبَرُ أَكْثَرُ)، وَالْمُغْرِبُ (لَفَةً ضَعِيفَةً)

وَاللَّسَانُ، وَالْمَصْبَاحُ، وَالْقَامُوسُ، وَالتَّاجُ (أَجْبَرُ أَعْلَى)،

وَالْمَذْ، وَمَحِيطُ الْهَيْطِ (جَبَرَهُ لَفَةً ضَعِيفَةً)، وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ،

وَالْمَتْنُ، وَالْوَسِيطُ.

وَلَا يَذْكُرُ مَعْجَمُ الْأَفْظَانِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ إِلَّا: جَبَرَهُ عَلَى

الْأَمْرِ. أَمَّا فَعْلُهُ فَهُوَ: جَبَرَهُ يَجْبِرُهُ جَبْرًا وَجِبْرًا، فَهُوَ

مُجْبُورٌ.

وَهِيَ لَيْسَتْ لَفَةً تَمِيمٌ وَحَدَّاهَا، كَمَا قَالَ اللَّحْيَانِيُّ، بَلْ

إِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ يَسْتَمْلُونَهَا، كَمَا قَالَ الْأَزْهَرِيُّ

وَالزَّيْدِيُّ، وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَسْتَمْلُهَا، وَهُوَ حِجَازِيٌّ

فَصِيحٌ.

وَيَرَى الْأَزْهَرِيُّ أَنَّ جَبَرْتَهُ وَأَجْبَرْتَهُ لَفَتَانِ

جَيِّدَتَانِ، غَيْرَ أَنَّ التَّحْوِيلَيْنِ اسْتَحْبَبَا أَنْ يَمْلُوكَا «جَبَرْتَ»

لِجَبَرِ الْعَظَمِ بَعْدَ كَسَرِهِ، وَجَبَرِ الْفَقِيرِ بَعْدَ فَاتِحَتِهِ، وَأَنْ

يَكُونَ «الْإِجْبَارُ» مَقْصُورًا عَلَى الْإِكْرَاهِ.

أَمَّا مُجَبَّرٌ فَهِيَ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ الْفَعْلِ «أَجْبَرَهُ».

(١١٣)

الْمُضْطَفَّقِيُّ: وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ

الْمَادَّةِ: هُوَ ظُهُورُ الْعَظَمَةِ، وَتَفُؤُذُ الْقُدْرَةِ وَالتَّسَلُّطِ عَلَى

أَمْرٍ، بِمِثِّهِ يَجْمَلُ الطَّرْفُ تَحْتَ تَفُؤُذِهِ وَحُكْمِهِ وَسُلْطَانِهِ.

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى: مَفْهُومُ الْبَرَجِ، وَالزَّجَبِ،

وَالْجَبَسِ، وَالْجَبْحِ، وَبَيْنَهُمَا اشْتِقَاقٌ أَكْبَرُ.

فَالْجَبَارُ: مَظْهَرُ تَفُؤُذِهِ وَغَلْبِ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ

وَحُكْمِهِ وَعِلَاقَتِهِ، مِنْ فَرَسٍ أَوْ نَحْلَةٍ أَوْ إِنْسَانٍ.

وَالْجَبِيرَةُ: مَا يَوْضَعُ عَلَى كَسِيرٍ أَوْ عَضْوٍ عَلِيلٍ حَتَّى يَنْقَلِبَ

تَفُؤُذُهُ وَعَظَمَتُهُ وَقُوَّتُهُ وَيَنْجِبُ الْكَسَرَ بِهِ.

وَجَبَرِ الْيَتِيمِ: مَا يَنْقَلِبُ عَلَى ضَعْفِهِ وَيَحْلُو عَلَى

انْكَسَارِهِ وَمَقْهُورِيَّتِهِ.

وَالْجَبَّارُ: كُشْجَاعٌ، هُوَ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ الشَّافِذُ، بِمِثِّهِ

يَقْهَرُ فِي الطَّرْفِ وَيَسْلُبُ الْإِخْتِيَارَ عَنْهُ، وَيَجْعَلُهُ مَمْلُوكًا

مَنْقُولًا.

وَالْجَبَرُ: هُوَ أَنْ يَقْهَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ، وَيُظْهِرُ سُلْطَانَهُ فِيهِ،

وَيَنْقَلِبُ حُكْمُهُ فِي أُمُورِهِ وَأَعْيَالِهِ: بِمِثِّهِ يَكُونُ الْعَبْدُ

مَقْهُورًا تَحْتَ إِرَادَتِهِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا تَوَجَّهَتْ إِلَى مَعْنَاهَا: يَقْبَحُ إِطْلَاقُهَا

عَلَى الْعَبْدِ وَأَنْصَافِ الْعَبْدِ بِهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ هُوَ الْمَقْهُورُ

الْمُحْكَمُ تَحْتَ سُلْطَانِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

سَائِرِ الْعَبِيدِ، نَعَمْ يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَ الرَّبُّ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ

مَالًا أَوْ عِنْدَانًا أَوْ عُلُوشًا أَوْ قُدْرَةً أَوْ حُكْمًا، فَالْإِزْمُ لَهُ

- أن يصرفها حيث يشاء الله تعالى. أيضاً. (٤: ٤٠٣)
- وقد سلب الله تعالى هذه الصفة عن رسوله الكريم، فكيف حال سائر الخلق ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْؤُلُونَ وَمَا نُنْتِ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ ق: ٤٥.
- وذكرها في عداد صفات الله العزيز ﴿السَّمِيعُ الْغَفُورُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ...﴾ المحشر: ٢٣. فهذه الصفة كالتكبر لا يجوز إطلاقه على غيره تعالى. (٤٥: ٢)
- ومثله الشريفي (٢: ٦٥)، ونحوه الآلوسي (١١: ٨٦). رشيد رضا: الجبار: القاهر الذي يجبر غيره على اتباعه بالقهر والإذلال، أو من يجبر نفسه بالكبر ودعوى العظمة. (١٢: ١٢٠)

النصوص التفسيرية

جَبَّارٌ

- ١- وَلَئِكَ غَادَ يَجْعِدُوا بَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ وَنَحَضُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَفْرَ كُلِّ جَبَّارٍ غَبِيْدٍ. هود: ٥٩
- ابن عباس: قول كل قتال على النضب. (١٨٧) الكلبي: الجبار هو الذي يقتل على النضب ويعاقب على المصبة. (أبو حنبلان ٥: ٢٣٥)
- الزجاج: هو الذي يجبر الناس على ما يريد. (أبو حنبلان ٥: ٢٣٥)
- ابن الأثير: إنه العظيم في نفسه المتكبر على العباد. (أبو حنبلان ٥: ٢٣٥)
- نحوه البروسوي. (٤: ١٥١)
- السيدي: متكبر كافر قهار، يجبر غيره على ما يريد. وياب «فقال» «فقتل» وقد جاء من «أفقتل» أجبر فهو جبار وأدرك فهو ذاك. والجبار في حق الله من «الجبر» وهو الإصلاح، ويجوز أن يكون من «أجبر»
- مكارم الشيرازي: والجبار يطلق على من يضرب ويقتل ويدمر من مطلق النضب، ولا يتبع أمر العقل. ويتعبر آخر هو من يُجبر سواء على اتباعه، ويريد أن ينطلي نفسه بأدعاء العظمة والتكبر الظاهري. والعنيد هو من يخالف الحق والحقيقة أكثر مما ينبغي، ولا يرضخ للحق أبداً.
- هاتان الصفتان صفتان بارزتان في الطواغيت والمستكبرين في كل عصر وزمان، الذين لا تكون آذانهم صاغية للكلام الحق أبداً، وأبداً خالفوه عذوبه وعاملوه بقساوة وشدة وبلا راحة، ودمروهم وأبادوه.
- هنا يرد سؤال وهو أنه إذا كان الجبار معناه كذلك فلماذا ذكرت هذه الصفة لله، كما في سورة المحشر الآية (٢٣) وسائر المصادر الإسلامية؟
- والجواب: هو أن «الجبار» جذره اللغوي في الأصل

من يرى نفسه أكبر من غيره، وهذا التعبير يدل على أن المعنى المراد هنا من (الْجَبَّارُ) هو المعنى الثاني.

ولكن حيث إنَّ البعض فسَّروا (الْجَبَّارُ) ببعض معانيه دون الالتفات إلى معانيه المتعددة في اللغة، تصوَّروا أنَّ استعمال هذا اللَّفْظ غير صحيح في شأن الله، وكذلك في ما يخصَّ لفظ (الْمُسْتَكْبِرُ) ولكن بالرجوع إلى جذورها اللغوية الأصلية يرتفع الإشكال. (٥٣٣: ٦)

٢- وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ. إبراهيم: ١٥
ابن عباس: كلُّ متكبرٍ ختال. (٣١٢)
قَتَادَةُ: الجَبَّارُ العنيد: الَّذِي أبى أن يقول: لا إله إلا الله. (الطَّبْرِيُّ ١٣: ١٩٤)

ابن زَيْد: الجَبَّارُ هو المتكبر. (الطَّبْرِيُّ ١٣: ١٩٤)
الطَّبْرِيُّ: كلُّ متكبرٍ جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له. (الطَّبْرِيُّ ١٣: ١٩٣)
الزُّجَّاج: الجَبَّارُ الَّذِي لا يرى لأحد عليه حقًا.

(١٥٦: ٣)
الماوردي: وفي (جَبَّارٍ) وجهان: أحدهما: أَنَّهُ المنتقم، الثاني: المتكبر بطراً. (١٢٧: ٣)

الطُّوسِي: والجبرية: طلب علوَّ المنزل بما ليس وراءه غاية في الوصف، فإذا وصف البد بآته جبار كان ذمًّا، وإذا وصف الله به كان مدحًا، لأنَّ له علوَّ المنزل بما ليس وراءه غاية في الصَّفة. (٢٨٢: ٦)

الواحدِي: متكبرٌ عن طاعة الله. (٢٧: ٣)
البغوي: الجَبَّارُ الَّذِي لا يرى فوقه أحدًا، والجبرية: طلب العلوِّ بما لا غاية وراءه. وهذا الوصف

كما أشرنا آنفًا - مشتقٌّ من «الجبر» ومعناه إزالة النقص، ولكن «الجَبَّار» سواء كان بالمعنى الأوَّل أو الثاني فهو يستعمل بشكائيه، وقد يراد به الذمُّ إذا كان الإنسان يحاول تجاوز النقص الَّذِي فيه، باستعلائه على الغير وتكبره، وبالإلعاءات الخاطئة، أو أَنَّهُ يحاول أن يعبر غيره على أن يكون تحت طاعته ورغبته، فيكون الأخير ذليلاً لأمره.

هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم، وأحيانًا تقرن معه صفات ذميمة أخرى، كالأية المتقدمة الَّتِي اقترنت مع كلمة عنيد، وفي الآية (٣٢) من سورة مريم نقرأ على لسان عيسى بن مريم رسول الله: ﴿وَلَسُمَّ بِجَبَّارٍ فَسَيُكَلِّمُ كَمَا نَقَرَأُ عَلَى لِسَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي خَطَابِهِمْ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي شَأْنِ السَّاكِنِينَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ مِنَ الظَّالِمِينَ، حَيْثُ وَرَدَ فِي الْآيَةِ (٢٢) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

ولكن قد تأتي كلمة «الجَبَّار» من هذين الجذرين: الجبر والجبران، وهي بمعنى المدح، وتطلق على من يذلُّ حجاجات الناس ويرفع نقصانهم ويربط العظام المتكسرة، أو أن تكون له قدرة وافرة بحيث يكون الغير خاضعًا لقدرته، دون أن يظلم أحدًا أو يستغلَّ قدرته ليسيء الاستفادة منها، ولذلك حين تكون كلمة «الجَبَّار» هذا المعنى فقد تقرن بصفات مدح أخرى، كما نقرأ في سورة المشر الآية ٢٣: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ السُّلَامُ وَوَضَحَّ أَنْ صِفَاتِ كَالْقُدُّوسِ وَالسَّلَامِ الْمُؤْمِنِ لَا تَنْسَجُمُ مَعَ الْجَبَّارِ بِمَعْنَى الظَّالِمِ أَوْ (الْمُتَكَبِّرِ) بِمَعْنَى

لا يكون إلاّ الله عزّ وجلّ.

وقيل: الجبار: الذي يعبّر الخلق على مراده.

(٣٣: ٣)

الْمُتَبَيِّنُ: الجبار: العالي المتكبر على الله، وهو صفة ذمّ في المخلوقين، وهو الذي لا يرى لأحد عليه حقاً، تقول: أجبر فهو جبار، ومثله: أدرك فهو درّاك، وهو قليل، والله عزّ وجلّ جبار: جَبَر العباد، على ما أرى، وقد سبق شرحه. (٢٢٨: ٥)

ابن عطية: الجبار: المتعظم في نفسه، الذي لا يرى لأحد عليه حقاً. وقيل: معناه الذي يعبّر الناس على ما يكرهون. وهذا هو المفهوم من اللفظ. (٣٣٠: ٣)

الْفَخْرُ الرَّازِيّ: الجبار هاهنا: المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عِيبًا﴾ مريم: ١٤. [إلى أن قال:]

إذا عرفت هذا فنقول: كونه جباراً متكبّراً إشارة إلى الخلق الثفاني، وكونه عنيذاً إشارة إلى الأمر الصادر عن ذلك الخلق، وهو كونه مجاباً عن الحقّ مستحقاً عنه. ولا شك أنّ الإنسان الذي يكون خلقه هو التجبر والتكبر، وضله هو العنود وهو الانحراف عن الحقّ والصدق، كان خائباً عن كلّ الخيرات، خاسراً عن جميع أقسام السعادات. (١٩: ١٠٢)

الغازن: والجبار في صفة الإنسان يقال لمن تجبر بنفسه بأدعاء منزلة عالية لا يستحقّها، وهو صفة في حقّ الإنسان. (٤: ٣٠)

نحوه الآكوسي. (١٣: ٢٠١)

محمّد جواد مغنّيه: الجبار إذا وُصف به تعالى

فمعناه العالي الذي لا ياله شيء. (٤: ٤٣١)

مكارم الشيرازي: و(جبار) بمعنى التكبر هنا، ورد في الحديث أنّ امرأة جاءت النبي ﷺ فأمرها بشيء، فلم تطلعه، فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنيها جبارة».

وتُطلق هذه الكلمة أحياناً على الله جلّ وعلا، وهي بمعنى آخر، أي الإصلاح لمن هو بحاجة إلى الإصلاح، أو المتسلط على كلّ شيء. (٧: ٤٢٣)

هستين مخلوف: متعظم في نفسه، متكبر على أقرانه، يعبّر نقيضه بأدعاء منزلة من التّحالي لا يستحقّها. (١: ٤١١)

٣- الَّذِينَ يُكَادُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبَرٌ مِّثْلًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا كَذَلِكَ يَطْلُبُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ. المؤمن: ٣٥

راجع «ك ب ر».

٤- تَحْنُ أَقْلَمَ مِمَّا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذُكِّرُوا بِالْقُرْآنِ عَن يَخَافٍ وَجَبِيدٍ. ق: ٤٥

ابن عباس: بسلط أن تجبرهم على الإيمان، ثم أمره بعد ذلك بقتالهم. (٤٤٠)

نحوه الطبري (٢٦: ١٨٤)، والقاسمي (١٥: ٥٥١٨)، والطباطبائي (١٨: ٣٦١).

مشجيد: متجبر عليهم متسلط.

(الماوردي: ٥: ٣٥٩)

(الطبري: ٢٦: ١٨٤) لا تتجبر عليهم.

أجبرته، وهي لغة كنانة، وهما لنتان. (٢٩٦: ٩)
 الرَّعْصَرِيُّ: (بجبار) كقوله تعالى: (يُصْطَفِرُ) حَقٌّ
 تقصرهم على الإيمان إنما أنت داع وياعث، وقيل: أريد
 التحلّم عنهم وترك اللفظة عليهم.

ويجوز أن يكون من جبره على الأمر، بمعنى أجبره
 عليه، أي ماأنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان،
 و(علني) بمنزلة في قولك: هو عليهم إذا كان والجسم
 ومالك أمرهم. (١٢: ٤)

نحوه التّسقيّ.

ابن عطية: قال قتادة: نهى الله عن التجبر وتقدّم
 فيه، فعناه: وماأنت عليهم بمعظم من الجبروت. وقال
 الطّبريّ وغيره: معناه: وماأنت عليهم بمسلّط تجبرهم
 على الإيمان، ويقال: جبرته على كذا، أي قسّره
 فـ(جبار) بناءً مبالغة من جبر. [تم استشهد بشعر]

(١٧٠: ٥)

الفخر الرازي: فيه وجوه:

أحدها: أنّه للتسليّة أيضاً، وذلك لأنّه لما منّ عليه
 بالإقبال على الشغل الأخرى وهو العبادة، أخبر بأنّه لم
 يُصرّف عن الشغل الآخر وهو البيت. كما أنّ الملك إذا
 أمر بعض عبيده بشغلين فظهر عجزه في أحدهما يقول
 له: أقبل على الشغل الآخر منها، ونحن نثبت من يقدر
 على الذي عجزت عنه منها، فقال: «اصبر، وسيّح،
 وماأنت بجباره أي فا كان امتناعهم بسبب تجبر منك أو
 تكبر، فاشمأزوا من سوء خلقك بل كنت بهم رؤوفاً
 وعليهم عطفواً، وبالث وبلمت وامتنعوا. فأقبل على
 الصبر والتّسبيح غير معروف عن الشغل الأوّل بسبب

مثله الطّوسيّ.

هو الملك العظيم.

الصّحاح: يعني برّب.

(المأورديّ: ٥: ٣٥٩)

نحوه الحسن.

قتادة: إنّ الله عزّ وجلّ كره الجبريّة. ونهى عنها.

وقدّم فيها.

(الطّبريّ: ٢٦: ١٨٤)

الكَلْبِيُّ: إنّك لا تجبرهم على الإسلام، من قولهم:

قد جبرته على الأمر، إذا قهرته على أمر.

(المأورديّ: ٥: ٣٥٩)

مقاتيل: لتقتلهم.

(ابن الجوزيّ: ٨: ٢٦)

اليزيديّ: لست بمسلّط فتقهرهم على

الإسلام.

(ابن الجوزيّ: ٨: ٢٦)

الغزاة: يقول: لست عليهم بمسلّط، جعل الجبار في

موضع السلطان من الجبريّة. [تم استشهد بشعر]

وقال الكَلْبِيُّ بإسناده: لست عليهم بجبار، يقول: لم

نُبت لتجبرهم على الإسلام والهدى، إنّما بعثت مذكراً

فذكر، وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم. [إلى آخر ما تقدّم عنه

في النصوص اللّغويّة]

العلليّ: بمسلّط قهار يجبرهم على الإسلام، إنّما

بعثت مذكراً مجدداً.

(١٠٨: ٩)

نحوه البَوَيّ.

(٢٨٠: ٤)

التّبيديّ: هذا عذر للرّسول ﷺ، كقوله:

«لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِصَافِرٍ» العاشية: ٢٢، والمعنى: ماأنت

عليّهم بمسلّط تجبرهم على الإسلام، إنّما بعثت مذكراً

معدّراً، يقال: أجبر فهو جبار كأدرك فهو ذراك.

وقيل: الجبار من قولهم: جبرته على الأمر، بمعنى

والأول أولى بدليل قوله: (فَذَكَّرْنَا إِلَى آخِرِهِ، أَيِ
اترك هؤلاء وأقبل على دعوة من ينتفع بتذكيرك، والله
أعلم. (٢٦: ٨٥)

الآلوسي، أي مانت مسلط عليهم تقصرهم على
الإيمان أو تفعل بهم ما تريد، وإنما أنت منذر، غالباء زائدة
في الخبر (عَلَيْهِمْ) متعلق به. [إلى أن قال:]
وإن (عَلَيْهِمْ) متعلق بمحذوف وقع حالاً، أي مانت
جبار تجبرهم على الإيمان واليا عليهم، وهو محتمل
للتضمن وعدمه فلا تغفل.

وقيل: أريد التحلّم عنهم وترك الضلطة عليهم،
وعليه قيل: الآية منسوخة، وقيل: هي منسوخة على
غيره أيضاً بآية السيف. (٢٦: ١٩٥)

القراحي، أي ومانت بمسلط عليهم تقصرهم على
الإيمان وتسيرهم على ما تهوى وتريد، إنما أنت نذير،
وما عليك إلا التبليغ، وعلينا الحساب. (٢٦: ١٧١)

الْجَبَّارُ

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْخَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْغَزِيْرُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. الحشر: ٢٣

ابن عباس: الغالب على عباده. (٤٦٦)

الجبّار: هو الملك العظيم. (الفخر الرازي ٢٩: ٢٩٤)
قَتَادَةُ: جَبَر خلقه على ما يشاء من أمره.

(الطبري ٢٨: ٥٥)

نحوه الزّجّاج.

الشّدّي: قيل: هو الذي يفهر الناس ويجبرهم على

جبروتك. وهذا في معنى قوله تعالى: (وَمَا أَنتَ بِسَمِيعٍ
رَبِّكَ يَخْلُوكَ الْقَلَمُ: ٢ إلى أن قال: (وَأَنَّكَ لَفِي خَلْقٍ
عَظِيمٍ) القلم: ٤.

نانها: هو بيان أن النبي ﷺ أتى بما عليه من الهداية،
وذلك لأنه أرسله منذراً وهادياً لاشلجاً ومجبراً. وهذا
كما في قوله تعالى: (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَفِيفًا)
الشورى: ٤٨، أي تحفظهم من الكفر والنار، وقوله:
(وَمَا أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ) ق: ٤٥، في معنى قول القائل: اليوم
فلان علينا، في جواب من يقول: من عليكم اليوم؟ أي
من الوالي عليكم.

نالها: هو بيان لعدم وقت نزول العذاب بعد، وذلك
لأن النبي ﷺ لما أُنذر وأُهدر وأظهر ولم يؤمنوا، كان
يقول: إن هذا وقت العذاب، فقال: نحن أعلم بما يقولون
ومانت عليهم بمسلط، فذكر بعداين إن لم يؤمنوا من بقي
منهم ممن تعلم أنه يؤمن ثم تسلط، ويؤيد هذا قول
المفسرين: أن الآية نزلت قبل نزول آية القتال.

(٢٨: ١٩١)

الْقَرُطُبي: أي بمسلط تجبرهم على الإسلام،
فتكون الآية منسوخة بالأمر بالقتال. (١٧: ٢٨)
نحوه الشّريفي (٤: ٩٣)، وأبو السعود (٥: ١٠٠)،
والبروسوي (٩: ١٤٤)

القيسابوري: أي بمسلط حتى تقصرهم على
الإيمان، وإنما أنت داع. ولعل في تقديم الظرف إشارة إلى
أنه كالمسلط على المؤمنين ولهذا وقع إيمانهم، وهذا مما
يقوي طرف الهجرة.

وقيل: أراد إلك رؤوف رحيم لست ظناً منظلاً.

ماأراد.

(الطبرسي ٥: ٢٦٧)

مشبه أحد.

(١٠: ٥٧)

نحوه الرّخسري.

(٤: ٨٧)

ابن عطية: (النجار) هو الذي لا يدانيه شيء

ابن عطاء: قيل: هو الذي يجبر الفقير من قومه:

ولا يلحق ربه، ومنه نخلة جبارة، إذا لم تُلحق. [تم]

جبر الكبير، إذا أصلحه. (الطبرسي ٥: ٢٦٧)

استشهد بشعر [٥: ٢٩٢]

الطبرسي: يعني المصلح أمور خلقه، المصروفهم فيما

الطبرسي: [نحو الطوسي ثم أضاف]

فيه صلاحهم. (٢٨: ٥٥)

وقيل: هو الذي يذلّ له من دونه ولا تناله يد.

ابن الأثيري: الجبار في صفة الله: الذي لا ينال.

وقيل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ماأراد.

ومنه قيل للنخلة التي فانت يد المتناول: جبارة.

عن السدي ومقاتيل، وهو اختيار الزجاج، فيكون من

(الفخر الرازي ٢٩: ٢٩٤)

جبره على كذا، إذا أكرهه. (٥: ٢٦٧)

الطوسي: (النجار): العظيم الشأن في الملك

ابن شهر آشوب: معنى (النجار): عزيز لا ينال

والسلطان، ولا يستحق أن يوصف به على هذا الإطلاق

باهتضام، و(النجار) مدح الباري، كما قال، وذمّ

إلا الله تعالى، فإن وصف بها العبد، فإنما هو على وضع

للخلق قوله: «وَلَمْ يَجْعَلْ يَجَارًا شَيْئًا» مريم: ٣٢.

لفظة في غير موضعها، فهو ذمّ على هذا المعنى.

وأما قوله في صفة النبي ﷺ: «وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ

(٩: ٥٧٤)

بِجَارٍ» قال القراء: أي لا يجبرهم على الإسلام.

الواحدي: (الجبار): العظيم، وجبروت الله: عظمته،

والصحيح أي لا تتجبر عليهم، لأنّه لم يُسَمَّ «فقال» من

والرب تسمي الملك الجبار: العظيم، ويجوز أن يكون

أفصلت. (١: ٨٥)

«فقال» من جبر، إذا أغنى الفقير وأصلح الكبير يجوز

أفصلت. (١: ٨٥)

أن يكون من جبره على كذا، إذا أكرهه على ماأراد.

أفصلت. (١: ٨٥)

(٤: ٢٧٩)

وأصلح الكبير. قال الأزهري: وهو لعمرى جابر كلّ

نحوه البغي.

كسر وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه، قال

الشيبيدي: (النجار) هو العظيم، وجبروت الله:

المعجّاج

عظمته، أي هو العظيم الشأن في الملك والسلطان.

* قد جبر الدين الإله فجبر *

وقيل: هو من «الجبر» وهو الإصلاح، فهو يُغني

والثاني: أن يكون (النجار) من جبره على كذا، إذا

الفقير ويصلح الكبير.

أكرهه على ماأراد. قال السدي: إنّه الذي يقهر الناس

وقيل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ماأراد.

ويجبرهم على ماأراد. قال الأزهري: هي لغة تميم.

ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كلّ أحد، ولا ينفذ فيه

وكثير من المجازيين يقولونها. وكان الشافعي يقول:

جبره السلطان على كذا بغير ألف. [ثم حكى قول القراء المتقدم إنه من (أجبر) وقال:]

وعلى هذا القول: الجبار هو القهار.

الثالث: قال ابن الأثيري: (الجبار) في صفة الله: الذي لا ينال، ومنه قيل للخلعة التي فانت يد المتناول جتارة.

الرابع: قال ابن عباس: (الجبار) هو الملك العظيم، قال الواحدي: هذا الذي ذكرناه من معاني (الجبار) في صفة الله، وللجبار معان في صفة المخلوق:

أحدها: المسلط، كقوله: ﴿وَعَاثَتْ عَلَيْهِمْ يَجْبَارُ﴾ ق: ٤٥.

والثاني: العظيم الجسم، كقوله: ﴿إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ المائدة: ٢٢.

والثالث: المتمرد عن عبادة الله، كقوله: ﴿وَلَسُمَّ بِجَبَلِي جَبَّارًا﴾ مريم: ٣٢.

والرابع: القتال، كقوله: ﴿يَغْشَى جَبَّارِينَ﴾ الشعراء: ١٣٠، وقوله: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ القصص: ١٩. (٢٩٣: ٢٩١)

نحوه الحازن. (٧: ٦١)

القرطبي: قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله: عظمته. وهو على هذا القول صفة ذات، من قوهم: نخلة جتارة. [ثم استشهد بشعر]

فكان هذا الاسم يدل على عظمة الله وتقديسه من أن تناله التناقض وصفات المحدث.

وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الظم فجبر، إذا أصلحته بعد الكسر، فهو «قتال» من

جبر، إذا أصلح الكسير وأغنى الفقير.

وقيل: الجبار: الذي لا تطاق سطوته. (١٨: ٤٧)

نحوه أبو عتيان. (٨: ٢٥١)

التنفيذ: (الجبار): العالي العظيم الذي يدل له من دونه، أو العظيم الشأن في القدرة والسلطان، أو القهار ذو الجبروت. (٤: ٢٤٥)

أبو الشعود: (الجبار): الذي جبر خلقه على ما أراد، أو جبر أحوالهم، أي أصلحها. (٦: ٢٣٢) البروسوي: (نحو أبي الشعود وأضاف):

فعل هذا يكون (الجبار) من الثلاثي لاسن «الإفعال» وجبر بمعنى أجبر لغة تميم وكثير من المحازيين، واستدل بورود (الجبار) من يقول: إن أمثلة مبالغة تأتي من المريد عن الثلاثي، فإنه من أجبره على كذا، أي قهره. [ثم ذكر قول القراء والزائج إلى أن قال:]

وهو لا يقهر إلا على ما تقتضي الحكمة أن يقهر عليه، فد (الجبار) المطلق هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإيجاب في كل أحد ولا ينفذ فيه مشيئة أحد.

روي أن في بعض الكتب الإلهية: «عبيدي تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد، فإن رضيت بما أريد كفيتك مأثريد، وإن لم ترض بما أريد أبقيتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد».

وعبد الجبار هو الذي يجبر كسر كل شيء ونقصه، لأن الحق جبر حاله، وجعله بتجلي هذا الاسم جابراً لمحال كل شيء مستعلياً عليه.

ومن علم أنه الجبار دق في عينه كل جبار، وكان

الأوسى: (الْجَبَّارُ) الَّذِي جَبَر خَلْقَهُ عَلَى مَا أَرَادَ وقسره عليهم عليه. ويقال في فعله: أجبر، وأمثله المبالغة تصاع من غير التلاني لكن بقلّة. [إلى أن قال:]

وقيل: هو الَّذِي لَا يَنَافَسُ فِي فَعْلِهِ وَلَا يُطَالَبُ بِمَعْلَةٍ وَلَا يُجَبَّرُ عَلَيْهِ فِي مَقْدُورِهِ. (٢٨: ٦٣)

القاسمي: (الْجَبَّارُ) أَي الَّذِي تَفْذُ مَشِيئَتُهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْبَارِ فِي كُلِّ أَحَدٍ، وَلَا تَفْذُ فِيهِ مَشِيئَةُ أَحَدٍ، وَالَّذِي لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ عَنْ قَبْضَتِهِ، قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى».

الطَّنطاوي: أَي الْغَالِبُ الَّذِي جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا أَرَادَهُ، أَوْ جَبَرِ حَالَهُ، أَي أَصْلَحَهُ. وَرَبَّمَا دَخَلَ الْمَعْنَى الثَّانِي فِي عُمُومِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَا يَرِيدُ، وَمِنْ ذَلِكَ إِصْلَاحُ حَالِهِمْ. (٢٤: ١٥٠)

هو مَنْ تَفْذُ مَشِيئَتُهُ فِي كُلِّ أَحَدٍ، وَلَا تَفْذُ فِيهِ مَشِيئَةُ أَحَدٍ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ قَبْضَتِهِ أَحَدٌ. وَتَقْصُرُ الْأَيْدِي دُونَ حِمَى حَضْرَتِهِ. [ثم ذكر نحو الغزالي:] (٢٤: ١٥٧)

الطَّبَّاطِبَائِي: (الْجَبَّارُ) مُبَالِغَةٌ مِنْ جَبَرَ الْكَسْرَ، أَوِ الَّذِي تَفْذُ إِرَادَتَهُ وَيَجْبِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ. (١٩: ٢٢٢) عبد الكريم الخطيب: (الْجَبَّارُ) هُوَ الْقَوِيُّ، الَّذِي يَخْضَعُ لِحَبْرَتِهِ كُلِّ جَبَّارٍ. (١٤: ٨٨٣)

مكارم الشيرازي: (الْجَبَّارُ) هَذَا الْمَصْطَلَحُ الْمَأْخُوذُ مِنْ «جَبَرَ» يَأْتِي أحياناً بِمَعْنَى الْقَهْرِ وَالْفُضْلَةِ وَتَأْثِيرِ الْإِرَادَةِ، وَأحياناً بِمَعْنَى الْإِصْلَاحِ وَالتَّقْوِيضِ. وَمَزَجَ الرَّاغِبُ فِي «الْمَفْرَدَاتِ» كِلَا الْمَعْنَيْنِ، حَيْثُ

رَاجِعًا إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَوْصَفُ الْإِفْتِقَارَ بِجَبَرَ الْمَكْسُورِ مِنْ أَعْمَالِهِ وَتَرْكَ النَّاقِصِ مِنْ أَمَالِهِ، فَتَمَّ لَهُ الْإِسْلَامُ وَالِاسْتِسْلَامُ، وَارْتَفَعَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الْأَكْوَانِ، فَيَكُونُ جَبَّارًا عَلَى نَفْسِهِ جَابِرًا لِكَسْرِ عِبَادِهِ.

وقال بعضهم: حَفَظَ الْعَارِفُ مِنْ هَذَا الْأِسْمِ أَنْ يَقْبَلَ عَلَى النَّفْسِ وَيَجْبِرُ نَفَاتِصَهَا بِاسْتِكْثَالِ الْفَضَائِلِ، وَيَحْمِلُهَا عَلَى مِلَازِمَةِ التَّقْوَى وَالْمَوَاطَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَكْسِرُ مِنْهَا الْهَوَى وَالتَّشْهُوَاتِ بِأَنْوَاعِ الرِّيَاضَاتِ. وَيَتَرَفَّعُ عَمَّا سِوَى الْحَقِّ غَيْرَ مُلْغِظٍ إِلَى الْخَلْقِ، فَيَتَحَلَّى بِحُلَى السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ بَحِثْ لَا يَزِلُّهُ تَمَاورُ الْحَوَادِثِ، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ تَعَاقِبُ التَّوَاقُلِ بَلْ يَقْوَى عَلَى التَّأْثِيرِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفْئِدَةِ بِالْإِرْشَادِ وَالْإِصْلَاحِ.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الْجَبَّارُ مِنَ الْعِبَادِ: مَنْ ارْتَفَعَ عَنِ الْإِتْبَاعِ وَنَالَ دَرَجَةَ الْاسْتِيعَابِ وَتَفَرَّدَ بِعُلُوِّ رُبَّتِهِ، بَحِثْ يَجْبِرُ الْخَلْقَ بِهَيْئَتِهِ وَصُورَتِهِ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ، وَيَتَابَعَتِهِ فِي سَمْتِهِ وَسِيرَتِهِ، فَيُعِيدُ الْخَلْقَ وَلَا يَسْتَعِيدُ، وَيُؤَثِّرُ وَلَا يَتَأَثَّرُ، وَيَسْتَبِيعُ وَلَا يَتَّبِعُ، وَلَا يَشَاهِدُهُ أَحَدٌ إِلَّا وَيَفْنَى^(١) عَنْ مِلَاحِظَةِ نَفْسِهِ، وَيَهْصِرُ مُسْتَوْفِي الْهَمِّ غَيْرَ مُلْغِظٍ إِلَى ذَاتِهِ، وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي اسْتِدْرَاجِهِ وَاسْتِيعَابِهِ. وَأَمَّا حِفْظِي بِهَذَا الْوَصْفِ سَيِّدَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَالَ: لَوْ كَانَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فُخْرَ، وَخَاصَّةً هَذَا الْأِسْمَ الْخَفِيزَ مِنْ ظُلْمِ الْجَبَّارَةِ وَالْمُعْتَدِينَ فِي السُّفْرِ وَالْإِقَامَةِ، يَذْكَرُ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْمَسْبُوحَاتِ الْعَشْرِ^(٢) صَبَاحًا وَمَسَاءً إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَرَّةً، ذَكَرَهُ الزَّرُّوقِيُّ فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى. (٩: ٤٦٣)

(١) يَأْتِي عَنِ الطَّنْطَاوِيِّ: «يَفْنَى».

(٢) فِي الْأَصْلِ: السَّبَّحَاتُ عَشْرًا

وبعد: «وَلَمْ يَجْعَلْهُ جَبَّارًا شَقِيًّا» مريم: ٣٢. لأن الأول في حق يحيى، وجاء في الخبر عن النبي ﷺ: «ما من أحد من بني آدم إلا أذنّب أو همّ بذنب إلا يحيى ابن زكريّا ﷺ» فتى عنه العصيان. والثاني: في عيسى ﷺ فتى عنه الشقاوة، وأثبت له السعادة. والأنبياء عندنا معصومون عن الكبائر، غير معصومين عن الصغائر. (١٢٤)

الميتدّي: الجبار: الذاهب في نفسه، الماتي في فعله، التليظ على غيره. (٦: ١٤)

الطبرسي: أي متكبرًا متطاولًا على الخلق.

(٣: ٥٠٦)

نحوه الآكوسي: (١٦: ٧٣)

الفخر الرازي: الصفة السابعة [لإحسنى ﷺ] في الآية «وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا» والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب، وذلك من صفات المؤمنين، كقوله تعالى: «وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» الحجر: ٨٨. وقال تعالى: «وَلَوْ كُنْتَ ظَفَرًا غَلِيظًا لَفُشِقْنَا مِنْ حَوْلِكَ» آل عمران: ١٥٩، ولأن رأس العبادات معرفة الإنسان نفسه بالذّلّ ومعرفة ربه بالطمعة والكمال. ومن عرف نفسه بالذّلّ وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتعجب! ولذلك فإنّ إبليس لما تجبر وتمرد صار مُبْعَدًا عن رحمة الله تعالى وعن الدين.

وقيل: (الجبار) هو الذي لا يرى لأحد على نفسه حقًا، وهو من العظم والذهاب بنفسه عن أن يلزمه قضاء حق أحد.

وقال سفيان في قوله: «جَبَّارًا غَصِيًّا» إنه الذي

يقول: وأصل جبر: إصلاح شيء بالقوة والغلبة. وعندما يستعمل هذا المصطلح حول الله تعالى، فإنه يبيّن أحد صفاته الكبيرة: حيث تأثير إرادته، وكمال قدرته يُصلح كلّ فساد. وإذا استعملت في غير الله أعطت معنى المذمة، وكما يقول الراغب: فإنها تُطلق على الشخص الذي يريد تعريض نفسه بإظهاره لأمر غير لائقة.

وقد ورد هذا المصطلح عشر مرّات في القرآن الكريم: تسع مرّات حول الأشخاص الظالمين والمستكبرين المتسلطين على رقاب الأمة والمفسدين في الأرض، ومرّة واحدة فقط حول الله القادر المستعال؛ حيث ورد بهذا المعنى في الآية مورد البحث.

(١٨: ٢٠٩)

جَبَّارًا

١- وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا غَصِيًّا. مريم: ١٤
ابن عباس: في دينه قتالًا في الغضب. (٢٥٤)

قيل: الجبار: الذي يقتل ويضرب على الغضب.

(الطبرسي ٣: ٥٠٦)

نحوه الثوري (اليسابوري ١٦: ٤١)، والبغوي (٣: ٢٢٧)، والحازن (٤: ١٩٥).

الطبرسي: يقول جلّ تناؤه: ولم يكن مستكبرًا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان له ولوالديه متواضعًا متذللاً، يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهى عنه، لا يعصى ربه، ولا والديه. (١٦: ٥٨)

الطوسي: متكبرًا. (٧: ١١٢)

الكزّمانّي: قوله: «وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا غَصِيًّا».

المستكبر المستعلي الذي يحتمل الناس ماأراد ولا يتحمل
عنهم. (١٤: ٢٠)

وبهذا المعنى جاءت آية (٣٢) من سورة مريم.

٢... قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا قُلْتَ نَفْسًا
بِالْأَفْئِسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ
أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضْلِعِينَ. القصص: ١٩

ابن عباس: (جَبَّارًا): قَتَلًا. (٣٢٤)

مثله السُّدِّيُّ (المأزدي ٤: ٢٤٤)، والقرطبي (١٣):

(٢٦٥).

الشَّعْبِيُّ: من قتل رجلين فهو جَبَّار.

(ابن صليته ٤: ٢٨١)

عِكْرَمَة: لا يكون الإنسان جَبَّارًا حتى يقتل نفسين

بغير حق. (المأزدي ٤: ٢٤٤)

قَتَادَة: إن الجبابة هكذا، تقتل النفس بغير النفس.

(الطبري ٢٠: ٥٠)

مثله ابن جُرَيْج (الطبري ٢٠: ٥٠)، ونحوه

أبو عمران الجوني (المأزدي ٤: ٢٤٤).

الطبري: وكان من فعل الجبابة: قتل النفوس

ظلمًا، بغير حق. وقيل: إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلي،

لأنه كان عندهم من قتل نفسين، من الجبابة.

(٢٠: ٥٠)

نحوه ابن عطية (٤: ٢٨١)، وأبو حيان (٧: ١١٠).

الرَّجَاج: أفشى على موسى عليه السلام. ويقال: إن من

قتل اثنين فهو جَبَّار، والجَبَّار في اللغة: المستظَّم الذي

لا يتواضع لأمر الله، فالقاتل مؤمنًا جَبَّار. وكل قاتل فهو

يُقبل على الغضب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ
أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَفْئِسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ القصص: ١٩.

وقيل: كل من عاقب على غضب نفسه من غير حق

فهو جَبَّار، لقوله تعالى: ﴿وَأَذًا لِمَقْصُومٍ بِمَقْصُومٍ جَبَّارِينَ﴾

الشعراء: ١٣٠. (٢١: ١٩٣)

القرطبي: (جَبَّارًا) مستكبرًا، وهذا وصف

ليحيى عليه السلام بدين الجباب وخفض الجناح. (١١: ٨٨)

الشرييني: أي متكبرًا، والمراد وصفه بالتواضع

ولبن الجباب، وذلك من صفات المؤمنين، قال تعالى

لنبيه عليه السلام: ﴿وَاخْضَعْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨،

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩، ولأن رأس العادة معرفة

الإنسان نفسه بالذلل ومعرفة ربه بالظمة والكمال، ومن

عرف نفسه بالذلل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به

التجبر والترفع، ولذلك لما تجبر إبليس وتمرد صار مُبْعَدًا

عن رحمة الله تعالى وعن المؤمنين.

وقيل: الجَبَّار هو الذي لا يرى لأحد على نفسه

حقًا، وهو من التظيم والذهاب بنفسه، من أنه لا يلزمه

قضاء حق لأحد، وقيل: هو كل من عاقب على غضب

نفسه. (٢: ٤٦٦)

نحوه المراهي. (١٦: ٣٩)

أبو السعود: متكبرًا حاقًا لها. (٤: ٢٣٤)

نحوه البروسوي. (٥: ٣٢٠)

عزة دُرُوزَة: طاغيا قاسيا. (٣: ٣٧)

الطباطبائي: يؤول معنى (جَبَّارًا) إلى أنه

مثله مُقَاتِل. (ابن الجوزي ٢: ٣٢٤)

أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين، فسار موسى بن معه، حتى نزل قريبا من المدينة وهي أريحاء، فبعث إليهم اثني عشر عينا، من كل سبط منهم عينا، ليأتوه بخبر القوم. قال: فدخلوا المدينة، فرأوا أمرا عظيما، ومن هيبتهم وجبتهم وعظمتهم، فدخلوا حائطا لمضهم، فجاء صاحب الحائط ليجتني التيسار من حائطه، فجعل يجتني التيسار، ويظهر إلى آثارهم وتبتهم، فكلها أصاب واحدا منهم أخذه، فجعله في كتفه مع الفاكهة، وذهب إلى ملكهم، فنثرهم بين يديه، فقال الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم، قال: فرجعوا إلى موسى، فأخبروه بما عاينوا من أمرهم.

(الطبري ٦: ١٧٤)

إتهم كانوا ذوي قوة. (ابن الجوزي ٢: ٣٢٤)

قَتَادَة: هم أطول منا أجساما وأشد قوة.

(الذر المنثور ٢: ٢٧٠)

إتهم كانوا عظام الخلق والأجسام.

(ابن الجوزي ٢: ٣٢٤)

الشَّدِي: ثم أمرهم بالسير إلى أريحاء، وهي أرض بيت المقدس، فساروا حتى إذا كانوا قريبا منهم، بعث موسى اثني عشر نقيبا، من جميع أسباط بني إسرائيل، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين، فلحقهم رجل من الجبارين يقال له: عُوج، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجْرَتِهِ، وعلى رأسه حَمَلَة حطب، واطلق بهم إلى أمرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء القوم، الذي يزعمون أنهم يريدون أن يقتلونا، فطرحهم بين يديها،

جَبَّار، قتل واحدا أو جماعة ظلما. (٤: ١٣٧)

الواحدِي: أي تريد إلا أن تكون قتالا بالظلم.

(٣: ٣٩٤)

الْمُتَبَجِّدِي: قتالا يقتل الناس على الفضل. (٧: ٢٨٢)

نَحْوُ النَّسِي: الجبار: الذي يفعل ما يريد من

الضرب والقتل وظلم، لا ينظر في العواقب، ولا يدفع بالتي هي أحسن. (٣: ١٦٩)

نَحْوُ الْفَخْرِ الرَّازِي (٢٣٧: ٢٤)، وَالْأَكْسَوِي (٢٠: ٥٨).

الطَّبِيرِي: أي سائر إلا أن تكون عاليا في الأرض بالقتل والظلم. (٤: ٢٤٥)

الْبَيْضَاوِي: يتناول على الناس، ولا تنظر العواقب.

(٢: ١٩٠)

الْحَاظِن: أي بالقتل ظلما. وقيل: الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب، وقيل: هو الذي يتعاطم ولا يتواضع لأمر الله تعالى. (٥: ١٣٩)

نَحْوُ أَبُو السُّعُود (٤: ١٥٠)، وَالْبَرْزُوسِي (٦: ٣٩٢).

الشَّرِييْنِي: أي قاهرا عاليا، فلا يليق ذلك إلا بقول الكافر، أو أن الإسرائيلي لما ظن قتله قال ذلك، وقد قيل في الإسرائيلي: إنه كان كافرا. (٣: ٨٩)

جَبَّارِينَ

١- قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنزِلُكَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا فَاعِلُونَ.

المائدة: ٢٢

ابن عباس: قتالين. (٩١)

طلب الإصلاح لها، حتى قيل للمتدي إلى مائيس له
بنياً على الناس، وقهرها لهم، وعتوا على ربّه: جبار، وإنّما
هو «فقال» من قوهم: جبر فلان هذا الكسر، إذا أصلحه
ولأتمه. [ثم استشهد بشعر]

ومن أساء الله تعالى ذكره: الجبار، لأنّه المصلح أمر
عباده، القاهر لهم بقدرته. (٦: ١٧٤)

الرّجّاج: تأويل الجبار من الآدميين: العاتي الذي
يجبر الناس على ما يريد، والله عزّ وجلّ الجبار العزيز،
وهو الممتنع من أن يؤلّ، والله عزّ وجلّ يأمر بما أراد،
لأراد لأمره، ولا تمقّب لحكمه. وإنّما وصفوه بالقدره
والتكبر، والمنعة. (٢: ١٦٣)

الطّوسي: هذه حكاية من الله عن قوم موسى لما
أمرهم بدخول الأرض المقدّسة، أنتم قالوا: إنّ في
الأرض قسوماً جبارين، ونصب (جبارين) بلان
(وفيها) خبر (إنّ) فتم على الاسم. والجبار هو الذي
لا يئنا بالقهر، وأصله في النخل مافات اليد طولا.
والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد. [ثمّ]

نقل بعض أقوال المتقدمين، وبعض ما تقدّم في اللّغة
(٣: ٤٨٤)

الواحدّي: قال المفسّرون: هم العاقلة فرقة من
عاد، وأراد بل الجبارين الطّوال الأخوياء العظام، من
قوهم: رجل جبار، إذا كان طويلاً عظيماً، تنسباً
بالجبار من النخل، وهو الذي فات الأيدي بطوله.

(٢: ١٧٣)

نحوه البوّي (٢: ٣٤)، والهازان (٢: ٢٦).
الرّمّشقيّ: الجبار «فقال» من جبره على الأمر،

فقال: ألا أطعنهم برجلي؟ فقالت امرأته: لا، بل خلّ
صنهم، حتى يُخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك.

(الطّبريّ: ٦: ١٧٤)

الرّبييع: إنّ موسى عليه السلام قال لقومه: إنّني سأبعث
رجالاً يأتيوني بخبرهم، وإنّه أخذ من كلّ سبط رجلاً،
فكانوا اثني عشر نقيباً، فقال: سيروا إليهم، وحدّثوني
حديثهم، وما أمرهم ولا تخافوا، إنّ الله معكم، ما أقمت
الصلاة، وآتيت الزكاة، وآمنت برسله، وعزّرت قوهم،
وأقرضت الله قرضاً حسناً، ثمّ إنّ القوم ساروا حتى
هجموا عليهم، فرأوا أقواماً لهم أجسام صعب، عظيماً
وقوّة، وأنّه - فيما ذكر - أبصرهم أحد الجبارين، وهم
لا يأتون أن يُنفوا أنفسهم حين رأوا العجب، فأخذ ذلك
الجبار منهم رجلاً، فألقى رئيسهم، فألقاهم قداسه،
فصبجوا وضحكوا منهم، فقال قائل منهم: إنّ هؤلاء
زعموا أنّهم أرادوا غزوكم، وأنّه لولا ما دفع الله عنهم
لقتلوا، وأنهم رجعوا إلى موسى عليه السلام فحدّثوه العجب.

(الطّبريّ: ٦: ١٧٤)

الطّبريّ: وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب
قوم موسى عليه السلام، إذ أمرهم بدخول الأرض المقدّسة:
أنّهم أبوا عليه إجابة إلى ما أمرهم به من ذلك، واعتلّوا
عليه في ذلك، بأن قالوا: إنّ في الأرض المقدّسة التي
تأمرنا بدخولها قوماً جبارين، لا طاقة لنا بهم، ولا قوّة
لنا بهم، وسخّوهم جبارين، لأنّهم كانوا بشدّة بطشهم،
وعظيم خلقهم - فيما ذكر لنا - قد قهروا سائر الأمم
غيرهم، وأصل الجبار: المصلح أمر نفسه، وأمر غيره، ثمّ
استعمل في كلّ من اجترأ فعلاً إلى نفسه بحق أو باطل.

ويكرههم كائناً من كان، على ما يريد كائناً ما كان، ومعناه في التخل: مافات اليد طولاً.

وكان هؤلاء القوم من العالقة بقايا قوم عاد، وكانت لهم أجسام ليست لتغيرهم. [تم ذكر وصفهم] (١٠٦: ١) رشيد رضا: الجبار يطلق في اللغة على الطويل القوي والمتكبر، والقتال بنير حق، والعاقي المسترد، والذي يجبر غيره على ما يريد، والقاهر المستلط، والمملك العاقي. وكله مأخوذ من قولهم: نخلة جبارة، أي طويلة لا ينال ثمرها بالأيدي، وإن عدّ الزنخسري هذا من الجاز في أساسه، لأن الصيغة من صبح المبالغة لاسم الفاعل من جبره على الشيء كأجبره.

والصواب أن الأصل في الألفاظ أن تكون موضوعة للأجسام ولما يدرك بالحواس، ويترفع عنها ما وضع للمعاني وما يدرك بالعقل والاستنباط. وقد رجعت بعد جزمي بما ذكرت إلى «لسان العرب» فإذا هو ينقل مثله وما يؤيده. [تم نقل أقوال أهل اللغة وأصاف:]

أما ماروي في التفسير المأثور من وصف هؤلاء الجبارين، فأكثره من الإسرائيليات الخرافية التي كان يثبتها اليهود في المسلمين، فرووها من غير عزو إليهم. [إلى أن قال:]

وأمثل ماروي في ذلك وأصدق قول قتادة عند عبد الرزاق وعبد بن حميد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال: هم أطول من أجسامنا وأشد قوة.

(٢٣٠: ٦)

المصراغي: الجبار لغة: الطويل القوي المستكبر العاقي المسترد، الذي يجبر غيره على ما يريد، من قولهم:

بمعى أجبره عليه، وهو العاقي الذي يجبر الناس على ما يريد. (١: ٦٠٤)

الفخر الرازي: وفي تفسير الجبارين وجهان:

الأول: [ذكر قول القراء والزجاج]

والثاني: أنه مأخوذ من قولهم: نخلة جبارة، إذا كانت طويلة مرتفعة، لاتصل الأيدي إليها، ويقال: رجل جبار، إذا كان طويلاً عظيماً قوياً، تشبيهاً بالجبار من التخل، والقوم كانوا في غاية القوة وعظم الأجسام بحيث كانت أيدي قوم موسى ما كانت تصل إليهم، فسموهم جبارين لهذا المعنى. (١١: ١٩٨)

القرطبي: أي عظام الأجسام طولاً، يقال: نخلة جبارة، أي طويلة. والجبار: المتظم المستع من الذل والفقر. [إلى أن قال:]

تم قيل: كان هؤلاء من بقايا عاد، وقيل: هم من ولد عيصون إسحق، وكانوا من الزوم. (٦: ١٢٦) البنيضاي: متخيلين لا يتأتى مقاومتهم. والجبار «فعال» من جبره على الأمر بمعنى أجبره، وهو الذي يجبر الناس على ما يريد. (١: ٢٦٩)

نحوه التتلي (١: ٢٧٨)، وأبو السعود (٢: ٢٥٦)، والبروسوي (٢: ٣٧٦)، والقاسمي (٦: ١٩٣٤).

الشرييني: أي عتاة قاهرين لتغيرهم، مكرهين لتغيرهم على ما يريدون. (١: ٣٦٧)

الأوسي: شديدي البطش متخيلين، لاتتأتى مقاومتهم ولا تجز لهم ناصية، والجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثي على القياس، لامن أجبره صلى خلافه كالحساس من الإحساس، وهو الذي يقهر الناس

نخلة جبارة ، أي طويلة لا يُنَال مَرُّهَا بالأيدي .

إِنَّ سَكَّانَ تلك البلاد في ذلك المَحين هم بني عناق ، وكانوا أولي قُوَّة وبأس ، طوال القامة ضخام الأجسام ، وقد ورد في وصفهم في الإسرائيليات من المخرافات التي كان يَبْتُهَا اليهود في المسلمين ما لا يصدق العقل ، ولا يطبق على ما عُرِف من سنن الله في خلقه ، كقولهم : إِنَّ العيون «الجواسيس» الاتني عشر الذين بعثهم موسى إلى ماوراء الأَرْدُن لِيَتَجَسَّسُوا ، ويعبروه بحال تلك الأرض ومن فيها قبل أن يدخلها قومهم ، رآهم أحد الجبارين فوضعهم كُلِّهم في كسائه .

وفي رواية أخرى : إِنَّ أحدَهم كان يجني الفاكهة فكان كَلْباً أصاب واحداً من هؤلاء الميون وضعه في كُتْمه مع الفاكهة ، إلى نحو أولئك من روايات بعيدة عن الصدق ، فالصَّحْرَوِيُّونَ هم هم ، ونسل الكنعانيين مشاهد معروف لا يمكن أن تكون أصوله على ما وُصِّفوا .

وهذه القصة مبسطة في السَّفر الرَّابِع من أسفار التَّوراة ففيها : إِنَّ الجواسيس تجسَّسوا أرض كنعان كما أَمروا ، وأَتَهم قطعوا في عودتهم زَرْجُونَةً فيها عتقود عنب واحد ، حملوه بِثَمَلَةٍ بين اثنين منهم مع شيء من الزَّمان والتَّين ، وقالوا لموسى وهو في ملا بني إسرائيل : قد صرنا إلى الأرض التي بعتنا إليها فإذا هي بالحقيقة تَذِرُ لَبْناً وعسلًا وهذا ثمرها ، غير أَنَّ الثَّعْب السَّاكنين فيها أقوياء ، والمدن حصينة عظيمة جداً ، ورأينا نَمَّ أيضاً بني عناق .. إل . أن قال : وقد رأينا نَمَّ من الجبابرة ، جبابرة بني عناق ، فصرنا في عيوننا كالجراد ، وكذلك كُنَّا في ميونهم . وذكر في فصل آخر : تَذَمَّرَ بني إسرائيل من أمر

موسى لهم بدخول تلك الأرض ، وأَتَهم بِكُتْمٍ وَتَمَّسُّوا لَوْ أَتَهم ماتوا في أرض مصر أو في البرية ، وقالوا : لماذا أَتَى الرَّبُّ إلى هذه الأرض حتَّى نَسْقُ تحت السَّيف ، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر ؟ إلخ .

والخلاصة : إِنَّ موسى لما قرب بقومه من حدود الأرض المقدَّسة العامرة والآهلة ، أسَّره بدخولها مع الاستعداد لقتال من يقاثلهم من أهلها ، وإَتَهم لما غلب عليهم من الضَّعف والذَّل واضطهاد المصريين لهم وظلمهم إِيَّاهم ، أبوا وتمزَّدوا واعتذروا بضعفهم وقوَّة أهل تلك البلاد وحاولوا الرَّجوع إلى مصر ، وقالوا لموسى : إِنَّا لَن ندخل هذه الأرض مادام هؤلاء الجبارون فيها ، وقولهم : «فَإِنْ يَخْزُونَا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ» المائدة : ٢٢ ، تأكيد لما فهم بما قبله مشرباً بآله لا علة لامتناعهم إلَّا ما ذكروه .

وفي إيجابتهم هذه دليل على منتهى الضَّعف وَخَوَرِ المَزيَّة ، وعلى أَتَهم لا يريدون أن يأخذوا شيئاً باستعمال قواهم البدنية ولا العقلية ، ولأن يدفوا الشَّرَّ عن أنفسهم ولا أن يجلبوا لها الخير ، بل يريدون أن يعيشوا بالخوارق والآيات ماداموا في هذه الحياة .

ولاشكَّ أَنَّ أُمَّة كهذه لا تستحقُّ أن تستمتع بنعيم الاستقلال ، وتحيا حياة المَرِّ والكرامة ، وتكون ذات تصرُّف مطلق في شؤونها ، ومن ثمَّ لم تقم لها دولة بِهَذِهِ «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» الكهف : ٤٩ . (٦ : ٩١)

الطُّبَّاطِبَانِي : [ذكر الآية ، ثمَّ حكى بعض كلام الرَّاغِب المُتَمَدِّد وقال :

الخرافات، وقد دخلت الإسرائيليات الخرافة - في هذا الموضوع - في الكتب الإسلامية، وقد ذكر المؤرخون في الحديث عنهم، فقالوا: «كان العالفقة قومًا من العنصر السامي يعيشون في شمال جزيرة العرب بالقرب من صحراء سيناء، وقد هاجموا مصر واستولوا عليها لفترات طويلة، ودامت حكومتهم حوالي (٥٠٠) عام منذ عام ٢٢١٣ قبل الميلاد حتى عام ١٧٠٣ قبل الميلاد» كما جاء في دائرة المعارف لفريد وجدي.

ويبدو أن قوم موسى كانوا يعيشون الإحساس بالقوة القاهرة هؤلاء، مما يجعلهم يرتجفون رعبًا من التفكير، بأنهم سوف يواجهونهم في ساحة الحرب. وربما كانوا يعملون بعض الإشاعات الأسطورية عنهم، مما اعتاد الناس أن يتحدثوا به عن أرباب القوة بطريقة المبالغة، ولهذا كان موقفهم حاسمًا في رفض الدخول إلى الأرض المقدسة التي يسيطر هؤلاء عليها، من دون التفكير بما يملكونه - هم - من عناصر القوة في مقابل ما يعيش فيه العالفقة من عناصر الضعف، لاسيما أن هؤلاء قد لا يملكون حرية الحركة في داخل المدينة، كنتيجة للتقييدات التي تفرضها ضخامة أجسامهم، كما أن الهجوم المفاجئ قد يهزمهم من ناحية نفسية.

وتلك هي مشكلة الذين لا يعيشون الإيمان الواعي بالله والثقة برسله، هذا الإيمان الذي من شأنه أن يوحى بالثقة بالنفس، بما يفرضه من امتلاء العقل والقلب والحركة بالله، وتغريغ الذات من الإحساس بقوة الآخرين، ولهذا رأينا الرجلين اللذين يخافان الله، والذين أنعم الله عليهما بنعمة الإيمان القوي، يشجعان

فظهر أن المراد بالجبارين: هم أولوا الخطوة والقوة من الذين يجبرون الناس على ما يريدون. (٥: ٢٩٠) مكارم الشيرازي: أما المراد من عبارة «قوتنا جبارين» فهم كما تدل عليه التواريخ قوم «العالفة» الذين كانوا يتلون أجسامًا ضخمة، وكانت لهم أطوال خارقة، بحيث ذهب الكثير إلى المبالغة في طول أجسام هؤلاء، وصنعوا الأساطير الخرافية من ذلك، وكتبوا فيهم مواضيع تثير التخربة، لا يستندوا أي دليل علمي، وبالأخص فيما كتبوا، عن المدعى به «عوج» في التواريخ المصطنعة، المشوبة بالخرافات والأساطير.

ويبدو أن مثل هذه الخرافات التي تسربت حتى إلى بعض الكتب الإسلامية، وإنما هي من صنع بني إسرائيل، والتي تسمى عادة بدالإسرائيليات» والدليل على هذا القول هو ماورد نصًا في التوراة المتداولة من أساطير خرافية تشبه أساطير العالفقة، نقرأ في سفر الأعداد في أواخر الفصل الثالث عشر «إن الأرض التي ذهب بنو إسرائيل إليها لاستقصاء أخبارها هي أرض تبيد ساكنيها، وإن جميع من فيها هم أناس طوال، وفهم العالفقة من أبناء «عناق» بشكل كان بنو إسرائيل الذين ذهبوا للتجسس هناك أنصبه بالجراد قياسًا بأحجام العالفقة الموجودين في تلك الأرض!».

(٣: ٥٩٤)

فضل الله: ما المقصود من «جبارين» في الآية؟ قيل: إنهم العالفقة الذين يتميزون بضخامة الأجسام، وطولها غير العادي، حتى وضعت الأساطير في الحديث عن أحجامهم في العرض والطول ما يشبه

ويروي ابن جرير بسنده، عن مجاهد، نحواً مما قدّمنا، ثم يذكر أن عتقود عنهم لا يحمله إلا خمسة أنفس، بينهم في خشية، ويدخل في شطر الزمّانة إذا نزع حبّها خمسة أنفس أو أربعة، إلى غير ذلك من الإسرائيليات الباطلة.

خرافة عوج بن عُوق

ومن الإسرائيليات الظّاهرة البطلان، التي ولع بذكرها بعض المفسّرين والأخباريين، عند ذكر الجبارين: قصّة عوج بن عُوق، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وأنه كان يسك الحوت، فيشويه في عين الشمس، وأن طوفان نوح لم يصل إلى ركبته، وأنه امتنع عن ركوب السفينة مع نوح، وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع، ووثب في الهواء عشرة أذرع، فأصاب كعب عوج فقتله، فكان جسراً لأهل النّيل سنة، إلى نحو ذلك من الخرافات، والأباطيل التي تصادم العقل والنقل، وتخالف سنن الله في الخليقة. ولأدري كيف يتفق هذا الباطل، هو، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَقَرٍّ يَابِئُشٍ أَزْكَبَ مَعَنَّا وَلاَ تَسْكُنُ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قال سائى إلى جبريل يتعصّمني من الماء قال لا غاصم اليّوم من أمر الله إلا من رجمه وخالف بينهما العوج فكان من المستغربين» هود: ٤٢، ٤٣.

اللّهم! إلا إذا كان عوج أطول من جبال الأرض!!

فن تلك الروايات الباطلة الفترعة مارواه ابن جرير بسنده عن أسباط، عن السّديّ [وذكر روايته المتقدمة عنه وأضاف:]

تلك الجماعات على الهجوم المباغت متوكّلين على الله، ومفتحين على عناصر التصرّ، من خلال الإيمان به، ويرسله، وبصره، وأن يكون لديهم بالتالي، ثقة كبيرة بالقلبة عليهم، لأنّ المسألة هي في استلاكهم لإرادة التصرّ والإيمان، كي ينصرهم الله تعالى على الآخرين، ولو بعد حين. (٨: ١١٩)

محمد هادي معرفة: ومن الإسرائيليات التي اشتملت عليها كتب التفسير، ما يذكره بعض المفسّرين، عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنْ بِهَا قُوَّةٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا﴾.

فقد ذكر الجلال السيوطي في «الدّرّة كثيرًا من الزّوايات في صفة هؤلاء القوم، وعظم أجسادهم، ممّا لا يتفق سنّة الله في خلقه، ويخالف ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وذلك مثل ما أخرجه ابن عبد الحكم عن أبي ضمرة قال: استظلّ سبعون رجلاً من قوم موسى في خفّ رجل من العالقي!! ومثل ما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن يزيد بن أسلم قال: بلغني أنه روي ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل من العالقي!! ومثل مارواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس. [ثم ذكر قوله المتقدم من الطّبري وأضاف:]

اكتنوا عتاً، فجعل الرجل يضرب أخاه وصديقه، ويقول: اكنتم عتي، فأشيع في عسكرهم، ولم يكت منهم إلا رجلاً: يوشع بن نون، وكالب بن يوحنا، وهما اللذان أنزل الله فيهما: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ المائدة: ٢٣.

«وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث، وكذب على الله، وإنما العجب ممن يدخل هذا في كتب العلم من التفسير وغيره، فكل ذلك من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء، والسخرية بالرسول وأتباعهم».

قال أبوشهبه: وسواء أكان عُوج بن عُتْق شخصية وجدت حقيقة، أو شخصية خيالية، فالذي ننكره هو: ما أضفوه عليه من صفات ومحاكوه حوله من أثواب الزور والكذب والتجروؤ، على أن يفسر كتاب الله بهذا الهراء. وليس في نص القرآن ما يشير إلى محاكوه وذكره، ولو من بعد، أو وجه الاحتمال، ثم أين زمن نوح من زمن موسى ﷺ وما يدل عليه آية: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ تَذٰخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، كان في زمن موسى قطعاً، ولا يبرية في هذا، فهل طالت الحياة بوجع حتى زمن موسى؟! بل قالوا: إن موسى هو الذي قتله، ألا لمن الله اليهود، فكم من علم أفسدوا وكم من خرافات وأباطيل وضعوا.

(٢: ١٧١)

الأشياء والنظائر

مقاتيل: تفسير الجبار على أربعة وجوه:

فوجه منها الجبار: يعني القهار الخالق، وهو الله تبارك وتعالى، فذلك قوله في الحشر: ٢٣ ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾، يعني القاهر لخلق لما أراد. وقال الله للنبي ﷺ: ﴿وَمَا آتَيْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَآرٍ﴾ ٤٥، يعني بمسيطر فتقهرهم على الإسلام.

وكذلك ذكر مثل هذا وأُشنع منه غير ابن جرير والسيوطي وبعض المفسرين والتقيصين، وهي كما قال ابن قتيبة: أحاديث خرافة، كانت مشهورة في الجاهلية، ألصقت بالحديث بقصد الإفساد.

والإك ما ذكره الإمام الحافظ الشافعي ابن كثير في تفسيره، قال: وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخباراً من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأن منهم عُوج بن عُتْق بنت آدم ﷺ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً، وثلاث ذراع، تحرير الحساب، وهذا شيء يُستحي من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم، وطوله ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، ثم ذكروا: أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زينة، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته. وهذا كذب واقتراء، فإن الله تعالى ذكر: أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ يَسِّرْ لِلْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾ نوح: ٢٦، وقال تعالى: ﴿فَأَلْحَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ثم أعزفنا بقدر الباقين السمر: ١١٩، ١٢٠، وقال تعالى: ﴿لَا غَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ﴾ هود: ٤٣، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبق عُوج بن عُتْق، وهو كافر، وولد زينة؟! هذا لا يسوغ في عقل، ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له: عُوج بن عُتْق، ظر، والله أعلم.

وقال ابن قيم الجوزية، بعد أن ذكر حديث عُوج

والتَّالِثُ: القتال، كقوله: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ الشَّراء: ١٣٠، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ القصص: ١٩، وقوله: ﴿كُلُّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾ المؤمن: ٣٥.
والزَّابِعُ: السَّط، كقوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ ق: ٤٥.

والخامس: القسَّار، كقوله: ﴿الْفَزِيرُ الْجَسَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ المحرر: ٢٣. (١٧٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة الجَبَر، أي الملك، فهو يقهر الناس على ما يريد، ومنه: الجبار في صفة الله تعالى، لأنه عالٍ فوق خلقه لا ينال، والجبار من الثعل: ما طال وفات اليد، والجبار من الناس: المسلط والقاهر، والطويل العظيم القوي، تشبيهاً بالثعل الجبارة، وهرس جبار: عظيم قوي، وناقعة جبارة: عظيمة مهيبة. والجَبَر: الشَّدِيد التَّجَبُّر، يقال: تجبر الرجل واجتبر، أي تحظم بالقهر وتكبر.

والجَبَر: إصلاح الشيء بضرب من القهر، يقال: جَبَرْتُ العظم جَبَرًا، أي أصلحته، وجَبَرْتُ الكسر أجبره تجبيرًا: أصلحته أيضًا، فأنا مجبر، وجبرَ العظم بنفسه جَبُورًا، وانجبر واجتبر: صلح. ويقال للريض: يومًا تراه متجبرًا ويومًا تياس منه، أي صالح الحال، وأصاب فلانًا مصيبةً لا يمتنعها، أي لا يجبر منها.

والجبارة والجَبيرة: التود الذي يجبر به العظم، وتطلق أيضًا على الأشورة من الذهب والفضة، للتشبيه

والوجه الثاني: الجَبَر من المخلوقين: يعني القتال في غير حق، فذلك قوله في الشراء: ١٣٠ ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾، يقول: إذا أخذتم أخذتم فقتلتم في غير حق كعمل الجبارة، كقوله لموسى في القصص: ١٩ ﴿...إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني قتالًا، وكقوله في حم المؤمن: ٣٥ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، عن عبادة الله (جَبَّارًا) يعني قتالًا في غير حق.

والوجه الثالث: الجَبَر: يعني المتكبر عن عبادة الله، فذلك قوله في سورة مريم ليحيى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ) ولم يجعله (جَبَّارًا) يعني متكبرًا عن عبادة الله (عَصِيًّا) مريم: ١٤، عاصيًا له.

وقال عيسى أيضًا: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ يعني متكبرًا عن عبادة الله (شَقِيًّا) مريم: ٣٢.

والوجه الرابع: الجَبَر: يعني في الطول والعظم والقوة، فذلك قوله في المائدة: ٢٢ ﴿إِنْ فِيهَا قُوَّةٌ جَبَّارِينَ﴾، يعني في الطول والعظم والقوة. (١٧٠)

نحوه هارون الأعور (١٦٧)، والدَّامَنَانِي (٢١٩)، والفيروزيادي (بصائر ذوي التمييز ٢: ٣٦٠).

العيبري: الجَبَر على خمسة أوجه: أحدها: القوي، كقوله: ﴿قَالُوا يَأْمُرُنِي أَنْ فِيهَا قُوَّةٌ جَبَّارِينَ﴾ المائدة: ٢٢.

والثاني: المتكبر، كقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ غَنِيْدٍ﴾ هود: ٥٩، وقوله: ﴿وَوَخَّابَ كُلِّ جَبَّارٍ غَنِيْدٍ﴾ إبراهيم: ١٥، وقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا حَقِيْقًا﴾ مريم: ٣٢.

بها في الهيئة، والمعجم: الجبانة.

ومنه أيضاً: تجبّر التّيت والشجر: اخضرّ وأورق وهو يابس، وتجبّر الكلاء: نبت بعد الأكل، وكأنّه يظهر قهره وعظمته.

ويقال: جبّر الله فلاناً فاجتبر، أي سدّ مفارقته، وجبّر الله الذين جبّراً فجبر جُبُوراً، وجبّرت فاقة الرجل: أغنيته، وجبّرتُه أيضاً: أحسنتُ إليه، وتجبّر الرجل مالاً: عاد إليه مذهب منه، واستجبّرتُه: بالنسبة في تهذه.

ويقال للخبز: جابر، وأبو جابر، وجابر بن حبة، لأنّه يقهر الموع ويصلح حال من يأكله.

وجابرة: مدينة الرسول ﷺ، ويقال لها: مجبورة أيضاً، وكأنّها جبرت الإيمان.

والجبّز: خلاف القدر، يقال: جبّز فلانُ الرجل على الأمر يَجْبِزُه جبّزاً وجبُوراً، وأجبره إيجاباً، أكرهه فهو مجبّر، وأجبر القاضي الرجل على الحكم: أكرهه عليه. والجبّزية: خلاف القدرية، وهم الذين يقولون: أجبر الله العباد على الذنوب، أي أكرههم، يقال: أجبرته، أي نسبته إلى الجبّز.

والجبّار من الذم: الهذر، وفيه معنى القهر أيضاً، يقال: ذهب دمه جبّاراً، ومثله: حرب جبّار، أي لا قوّة فيها ولادية، ولعلّ جبّاراً، وهو اسم يوم الثلاثاء في الجاهلية، من هذا.

٢- واستعمل العرب لفظ «جبّزوت» على (فُتِلُوت) من هذه المادّة، وأجروه بجرى المصادر، وضمنوه معنى المبالغة في القهر والتجبّر، وفي الحديث: «سبحان ذي

الجبّروت والملّكوت»، وفيه أيضاً: «ثمّ يكون مُلك وجبّروت».

وقد ألقوا ألفاً ممدودة أو مقصورة بآخره، فقالوا: جبّروتنا، وهو نظير اللفظ السرياني لفظاً ومعنى، وجاءت على غرار هذا الوزن ألفاظ أخرى في الرمية، وهي: مُلْكُوتِي وَرَحْمُوتِي وَرَهْبُوتِي وَرَحْمُوتِي وَرَهْبُوتِي وَرَحْمُوتِي وَرَهْبُوتِي.

كما حصر بعض اللّغويين ما جاء على وزن (فُتِلُوت) في أحد عشر لفظاً، وهي: جبّروت وملّكوت ورَحْمُوت وَرَهْبُوت وَعَظْمُوت وَسَلْبُوت وَتَرْبُوت وَخَلْبُوت وَرَكْبُوت وَتَلْبُوت.

ويبدو أنّ إلحاق «الواو» و«الثاء» بهذه الكلمات استعمال ذو أصالة في الرمية، فقد ورد بعضها في كلام العرب القدامى، سواء المنشور منه أم المظوم، فن المنشور قولهم: رَهْبُوتنا خيرٌ من رَحْمُوتنا، أي لأنّ ترهب خيرٌ من أن تُرحم، ومن المظوم قول لبيد:

بأجزة الثّلُوبِ يَزِنُنا فوقها

فَقَرَّ المُرَاقِبِ خَوْفُها أَرَأَيْها

وقال آخر:

مَلَكْتُمُ فَمَلَكْنا أَنْ مَلَكْتُمُ خَلْبَتُمُ

وَشَرَّ المُلُوكِ الصّادِرُ المَحْصُوتُ

وستأتي تنمّة الكلام حول القول في أصعبيّة هذه الألفاظ في «ملّكوت» من مادّة «م ل ك» إن شاء الله تعالى.

الاستعمال القرآني

فَاعْلَوْنَ

المائدة: ٢٢

١٠- ﴿وَإِذَا بَخُلُفْتُمْ بِمَقْعَتِمْ جِبَارِينَ﴾

الشعراء: ١٣٠

يلاحظ أولاً: أنه لم يأت منها سوى صيغة المبالغة مفرداً وجملاً: (جبار وجبارين) وكان مفهوماً - وهو السيطرة على الغير - لا يحدّ بحد ولا يتوقف عند موقف، بل يمتدّ مدًى وكلّها ذمّ للناس المتصّفين به، إلّا في (١) فباء مدحاً له خلال جملة من صفاته العليا وأسمائه المحسنة.

ثانياً: جاء كلّها نكرة تحقيراً لشأنهم، سوى ما تصف به الله فعرّف بالألم كغيره من الصفات فيها مدحاً وتعظيماً له تعالى، والتعريف فيها وإن كان لازماً تبعاً للموصوف - لو كانت صفات ولم تكن أسماء - إلّا أنّه لا يمنع إفادته المهدّ الذهني، أو الكمال:

فالأول: إشعار بأنّه تعالى معروف ومفرد ومتحقّق بهذه الصفات بين الخلائق في السماوات والأرض وعند أولى الأكباب بل لدى الأشياء كلّها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ الإسراء: ٤٤.

والثاني: إعلام بأنّه بلغ ذروة الكمال في اتّصافه بهذه الصفات وهذا هو الأقرب، ولا مانع من الجمع بين الأمرين، لأنّه إذا كان كاملاً فيها لكان معروفاً ومشخصاً بها.

ثالثاً: جاءت في هذه الآية وآيتين قبلها وبعدها في سورة الحشر: ١٧ صفةً واسماً له، وهي في صدر الأسماء المحسنة، كما قال في خلالها: ﴿لَهُ الْآسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قبلها ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشر: ٢٢، وفيها أربع صفات،

جاء منها الوصف بصيغة المبالغة مفرداً وجملاً عشر مرّات: مرّة مدحاً له وتسع مرّات ذمّاً للعباد في ثمان آيات مكيّة، وآيتين مدنيّتين:

١- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَمَيِّنُ الْقَزِيزُ الْبَكَّارُ الْمُسْتَكْبِرُ شَهَادَاتُ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر: ٢٣

٢- ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَعَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هود: ٥٩

٣- ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

إبراهيم: ١٥

٤- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتِهِمْ كَبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكِ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾ المؤمن: ٣٥

٥- ﴿فَمَنْ أَغْلَمَ مِمَّا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَيَعْبُدُ﴾ ق: ٤٥

٦- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾

مريم: ١٤

٧- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْهُمَا جَبَّارًا شَيْئًا﴾

مريم: ٣٢

٨- ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهَا

قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِآلِهَتِي إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُغْلِبِينَ﴾ القصص: ١٩

٩- ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا

عطف، فليست عطف نسق، بل هي إما عطف بيان، لكونها أسماء وإن كان أصلها صفات. وقد جاء في الحديث النبوي الذي رواه الزجاج (٥: ١٥١): «أَنَّ لَهُ مِثْلَ اسم غير واحد» أو هي عطف نسق حذف منها حرف العطف رمزاً إلى الاتصال الوثيق والعلاقة الشديدة بينها، حتى كأنها جميعاً صفة واحدة لله تعالى، وهي كذلك عقلاً، لأنها ليست زائدة على ذاته، وقد جمعها اسم (الله) كما قالوا: «إِنَّمَا اسْمٌ لِلذَّاتِ الْمُسْتَجْمَعَةِ بِمَعْنَى صِفَاتِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ» ولهذا بدأت كل واحدة منها بصفة التوحيد فكان مابعدا تفسير وبيان لها، ولها ظائر في القرآن، أولها البسلة، والفاصلة. ولم تر من درس وبحت حولها.

خامساً: الجبار في (١) جاء في عداد صفات الجلال الدالة على عظمته وسلطانه «أَلَسَّكَ الْغَزِيرُ الْجَبَّارُ أَلَسَّكَ كَبُورُ». فلا ينبغي حمله إلا على ما ساقها مثل: (الغالب على عباد، الملك العظيم، العظيم الشأن، والسلطان) أخذاً من «الجبروت» أو الذي لا يئمال أخذاً من الجبارة، وهي الثقلة التي تقوت يد المتناول، إلى أمثالها مما جاء في النصوص. فلا ينبغي حمله على معنى الجبر والإصلاح، بمعنى أنه تعالى يُعْزِي الفقير ويُصْلِح الكبير - كما قال بعضهم - حذراً عن توصيفه بوصف قبيح، فقد علمت أن جباريته وعزته وكذلك تكبره ملائمة لحكمته، فلا قبح فيها ولا نقص.

وهناك وجه ثالث في معنى (الْجَبَّار) فسره به بعضهم، ولاسيما الأشاعرة القائلين بالجبر في أفعال العباد، وأنها فعل الله، وهو أنه يقهر الناس ويُجبرهم

إحداها صفة التوحيد، وهي الأساس لجميع صفاته تعالى، وقد كُثِرَتْ في صدر هذه الآيات ثلاث مرّات إعلاناً بذلك. ويصدها: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْآتِمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وفيها سوى صيغة التوحيد (هُوَ اللَّهُ) سبع صفات، انتان منها جاءت بصورة جملتين اسمية وفعلية. أمّا آيتنا هذه ففيها سوى صفة التوحيد ثمان صفات: أولها (الْمَلِكُ) وسبع بعدها، بحثنا حولها في لفظ «المؤمن» لاحظ «أمن».

وقد كُثِرَتْ فيها صفة (الْعَزِيزُ) مرتين. إحداها (الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ) والأخرى (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) نصفه الحكيم في الثانية تبين أن وصف (الْجَبَّار) في الأولى حكمة وليس ظلمًا، وأن عزته البالغة غير محدودة تماشي دائماً مع حكمته الكاملة، ومن هنا نستطرق إلى معنى الجبار الآتي. وكُثِرَتْ صفة التوحيد فيها ثلاث مرّات، لأنها الأساس لها كما سبق. قال سيد قطب ٦: ٣٥٣٢

«إِنَّمَا تَسْبِيحةٌ مديدة بهذه الصفات الجيدة ذات ثلاثة مقاطع، يبدأ كل مقطع منها بصفة التوحيد... ولكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر في هذا الكون ملحوظ، وأثر في حياة البشر ملموس، فهي توحى إلى القلب بفاعلية هذه الأسماء والصفات، فاعلية ذات أثر وعلاقة بالثبات والأحياء، وليست هي صفات سلبية، أو منزلة عن كيان هذا الوجود وأحواله وظواهره المصاحبة لوجوده...»

ربما: جاءت هذه الصفات متواليّة بلا سرف

خمس، وفي الباقي منصوبًا خمس مرات: ثلاث منها أفرادًا ونفيًا، واثنان جمعًا وإثباتًا، وليس بينها مرفوع.

تاسمًا: الآيات أكثرها مكيّة متناسقة مع جو مكيّة، المليء بالشرك والشقاق، واثنان مدنيّة: إحداهما (١) وصف الله تعالى في سياق صفاته العليا وأسمائه الحسن، وثانيها (٩) في قصّة بني إسرائيل المليئة بالكفر والشقاق، وأكثرها جاءت في سورة البقرة المدنيّة خطابًا لليهود القاطنين بها.

عاشرا: - وتلك عشرة كاملة -: هذه الآيات من سورة المحشر تليق بأن نجعل أصلًا لبیان صفاته وتفسيرها، كما أنّها الأساس والقاعدة لها في نفس الأمر. وقد تقدّم في (المؤمن) أنّ ما يتبادر منه القهر والظلم في صفاته مثل (الملك)، والجبار، والمتكبر قد انجبر بأوصاف «القدّوس السلام المؤمن» كما انجبر بوصف (الحكيم).

وهذه هي معيار صفاته العليا وأسمائه الحسن، كما أنّها معيار التوحيد، ولهذا جاء خلال تلك الصفات في (١): «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» إعلانًا بأنّ إنكارها شرك، وأنّ من لا يعتقد ولا يعترف باختصاص هذه الأوصاف بالله تعالى فهو مشرك. وقد بدأ بها في ثلاثة مقاطع بما يفيد المحصر في توحيده: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» مرتين، و(هُوَ اللَّهُ) مرة.

على ما أراد. وهذا مبنيّ على كونه من الإيجاب، وليس كذلك مع أنّه لا يتماشى مع حكمته الكاملة التي وصف بها مع (الْعَجَبُ) في هذه الآية، لاحظ «ح ك م: الحكيم».

سادسا: قلنا إنّ (جبار) في غير (١) جاء دُما منفردًا وجمعًا ونفيًا وإثباتًا. ولهذا جاء في (٣ و ٢) (جبار عنيدي) وفي (٤) (متكبر جبار) وفي (٥) خطابًا للنبي ﷺ: «وَعَاثَتْ عَلَيْهِمْ يَاسَارٌ» وفي (٦) وصفًا لـ (عيسى): «وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا»، وفي (٧) وصفًا لـ (عيسى): «وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَيْئًا»، وفي (٨) نقلًا من أراد موسى أن يطش به إدانة لموسى: «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَعَاثُرِيْدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضِلِّينَ»، وفي (٩) نقلًا عن بني إسرائيل بشأن الأرض المقدسة: «يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ»، وفي (١٠) بشأن قوم عاد: «وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ».

فجاء (جبارًا) فيها مقارنًا بأوصاف مذمومة مثل: عنيدي، متكبر، عصي، شقي، غير مصلح، بطش ونحوها. سابعًا: جاء (جبار) عقيب (كل) في (٢ و ٣ و ٤) تشديدًا بالمبالغة في ذمّه: «كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيْدٌ» و«كُلُّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ».

ثامنًا: جاء (جبار) مرّة واحدة في (١) مرفوعًا. وصفًا له ترفيعًا لشأنه، ومناسقًا لتعريفه بـ (ال)، وفي (٥-٢) أربع مرّات مجرورًا، تخفيفًا لشأنه، والجمع

جَبْرِيل

لفظ واحد، ٣ مرّات مدنيّة، في سورتين مدنيّتين

النصوص اللغويّة

ابن عباس: جبريل وميكائيل: كقولك: عبد الله وعبد الرحمن. (الأزهرّي: ١١: ٥٩)
الأخفش الأوسط: في «جبريل» ست لغات: جبرائيل، وجبرئيل وجبرال، وجبريل، وجبرال، وجبريل. (الطوسي: ١: ٣٦٢)
الأصمعيّ: جبرئيل وميكائيل: معنى «إيل» الزبويّة، فأضيف جبروميكا، إليه. (الأزهرّي: ١١: ٥٩)
أبو عبيد: كان معنى جبرئيل: عبد إيل، رجل إيل. فهذا تأويل قوله: عبد الله، وعبد الرحمن، وكان يحيى بن يغمر يقرؤها (جبرئيل)، ويقول: جبر: عبد، وإلّ هو الله. (الأزهرّي: ١١: ٥٩)
الزجاج: «جبرين» بالتون أيضاً بدل اللّام، وهي لغة بني أسد، وتشديد اللّام. (الطوسي: ١: ٣٦٢)
ابن الأنباري: في «جبرئيل» سبع لغات: جبريل وجبريل وجبرئيل، بكسر الهجمة وتشديد اللّام،

وجبرائيل همزة بعدها ياء مع الألف، وجبرائيل بياء بعد الألف، وجبرئيل همزة بعد الزاء وياء، وجبرئيل بكسر الهجمة وتخفيف اللّام. وجبرين وجبرين. [تم استشهد بشعر] (الجمالي: ١٦١)
ابن جنيّ: وزن جبرئيل: فُعْلَيْل، والهجمة فيه زائدة، لقولهم: جبريل. (ابن سيده: ٧: ٥٩٧)
الجهوريّ: وجبرائيل: اسم، يقال: هو جبرئ أضيف إلى «إيل». وفيه لغات: جبرئيل مثال جبرئيل، يُحْمَز ولا يُحْمَز. [تم استشهد بشعر]
ويقال: جبريل بالكسر. [تم استشهد بشعر]
وجبرئيل مقصور مثال جبريل، وجبرين بالتون. (٢: ٦٠٨)
ابن سيده: وجبريل، وجبرين، وجبرئيل، كلّه: اسم روح القدس ﷺ. (٧: ٥٩٧)
أبو البركات: «جبريل» فيه لغتان، ولا ينصرف للمعجمة، والتّمرّيف. (١: ١١١)

اسم ملك الوحي، وهو أقرب ملائكة الله المُرْسَلِينَ لديه، وهو روح القدس الَّذِي يرسله سبحانه إلى رسله لتبليغ رسالاتهم، ويسمى: بالزَّوْجِ الْأَمِينِ، وروح القدس، لظهارته وتزوّجه عن مخالفة أمر ربه. وربما سمي روحاً لمشايمته الزَّوْجِ الْحَقِيقِيِّ فِي أَنْ كَلَامُهَا مَادَّةُ الْحَيَاةِ للبشر؛ فجبريل روح من حيث ما يحمل من الرّسالات الإلهية الَّتِي يَلْتَمِسُ لِرْسَالِ اللَّهِ، يحمي بها القلوب كما تحمي الرّوح الأجسام. (١٠١: ١)

المُصْطَفَوِيُّ: [في القاموس العربي: جابر] «جابر»: [قَدَّرَ، اقْتَدَرَ، اشْتَدَّ، تَجَبَّرَ، زَادَ، سَادَ، تَقَوَّى، تَغَلَّبَ، تَقَوَّى، أَخْضَعَ، هَذِهِ الْمَعَانِي كَمَا تَرَى تَوْثِيقَ مَا قُلْنَا فِي حَقِيقَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي «جَبَر»] فَحَقِيقَةُ مَعْنَى (جبريل) هُوَ مَظْهَرُ تَوْذِيقِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، وَسُلْطَانِهِ الْفَالِقِ الْمَهِكِّ، وَسَائِرِ الْمَعَانِي لَيْسَ لَهَا أَسَاسٌ صَحِيحٌ. (٤٦: ٢)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

١- مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَسَلْبِيًّا لِرُسُلِهِ وَجَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ. البقرة: ٩٨
الطَّبَرِيُّ: وَأَمَّا (جبريل) فَإِنَّهُ لِلْعَرَبِ فِي لُغَاتِهِ، فَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَأَتَمُّهُ يَقُولُونَ: جبريل وميكائيل بخير هم، بكسر الميم والزَّاء من (جبريل) وبالتخفيف، وعلى القراءة بذلك عَامَّةُ قُرَاءَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ.

أَمَّا تَمِيمٌ وَقَيْسٌ وَبَعْضُ نَجْدٍ فَيَقُولُونَ: جبرئيل وميكائيل، عَلَى مِثَالِ جَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ، بفتح الميم والزَّاء وبهمز وزيادة ياء بعد الهمزة، وعلى القراءة بذلك

التَّدْيِينِي: قَالَ الْجَبَّتَانِ: أَوَّلُ جَبْرِئِيلَ: كَفَرْتِيلَ، وَمَعْنَاهُ: عَبْدُ اللَّهِ الْقَادِرِ، وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ الْأَوَّلِ. وقيل: معناه رجل الله. (٢٩٢: ١)

الصَّغَانِي: فِي «جَبْرِئِيلَ» لُغَاتٌ، ذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ مِنْهَا حَسْبًا، عَلَى أَنَّهُ قَالَ فِي الْخَامِثَةِ: جَبْرَيْنَ، وَلَمْ يَقْبَدْ «الجميم»، وَيُقَالُ فِيهَا: يَفْتَحُ الْجَمِيمَ وَكُسْرُهَا، فَهَذِهِ سِتُّ لُغَاتٍ.

وبقي «جَبْرِئِيلَ»، مِثْلُ: «سَحْوِيلَ» اسْمُ طَائِرٍ، وَجَبْرِئِيلَ، بِسُكُونِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَجَبْرِئِيلَ، بِفَتْحِ الْيَاءِ، وَجَبْرَائِيلَ، مِثْلُ «جَبْرَائِيلَ»، وَجَبْرَائِيلَ، مِثْلُ «جَبْرَاصِيلَ»، بِالْهَمْزِ وَتَرْكِهِ، وَجَبْرِئِيلَ، مِثْلُ «جَبْرِئِيلَ»، بِشَدِيدِ الدَّامِ، وَجَبْرِئِيلَ، مِثْلُ «خَزْعَالِ»، وَجَبْرِئِيلَ، مِثْلُ «يَبَالِ».

هَذِهِ ثَمَانِي لُغَاتٍ أُخَرُ، فَصَارَ فِي «جَبْرَائِيلَ» أَرْبَعُ حَقَرَةٍ لُغَةً. (٤٤٠: ٢)

نَحْوُ الْفَيَّومِيِّ. (٩٠: ١)

الْفَيْرُوزُ أَبَادِي: وَجَبْرَائِيلَ، أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ، فِيهِ لُغَاتٌ: كَجَبْرِئِيلَ وَجَزْقِيلَ وَجَبْرِئِيلَ وَسَحْوِيلَ وَجَبْرَائِيلَ وَجَبْرَاصِيلَ وَخَزْعَالِ وَطَبْرَئِيلَ، وَيُسَكِّنُ الْيَاءَ بِلَاهِزٍ جَبْرِئِيلَ، وَيَفْتَحُ الْيَاءَ جَبْرِئِيلَ، وَيَبَانِيْنَ جَبْرِئِيلَ، وَجَبْرَيْنَ بِالتَّوْنِ وَكُسْرٍ. (٣٩٩: ١)

الطَّبَرِيُّ: [ذَكَرَ بَعْضُ اللُّغَاتِ وَقَالَ:]
قُلُ أَنْهُ ﷺ نَزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسِينَ مَرَّةً، وَعَلَى مُوسَى أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَعَلَى عِيسَى عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَعَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةً. (٢٤٠: ٣)
مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ: جَبْرِئِيلَ أَوْ جَبْرَائِيلَ:

نحوه القارسي (٢: ١٦٣)، والزخشرى (١: ٢٩٩).

الزجاج: (جبريل) في اسمه لغات، قرئ بعضها ومنها ما لم يقرأ به، فأجود اللغات (جبريل) بفتح الجيم، والهمز، لأن الذي يروى عن النبي ﷺ في صاحب الصور: «جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث.

ويقال: (جبريل) بفتح الجيم وكسر ها، ويقال أيضاً (جبرأل) بحذف الياء وإثبات الهزة وتشديد اللام، ويقال: (جبرين) بالنون. وهذا لا يجوز في القرآن، أهي إثبات النون، لأنه خلاف المصحف، [ثم استشهد بشعر] وهذا البيت على لفظ ما في الحديث وما عليه كثير من القراء، وقد جاء في الشعر «جبريل» قال الشاعر:

وجبريلُ رسولُ الله منّا

وروح القدس ليس له كفاء

(١: ١٧٩)

الماوردي: قد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلم خصها بالذكر تشريفاً لها وتمييزاً.

أحدهما: أنها خصاً بالذكر تشريفاً لها وتمييزاً. والثاني: أن اليهود لما قالوا: جبريل عدونا، وميكائيل ولينا خصاً بالذكر، لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء لله وملائكته، لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة، فنص عليها لإبطال ما يتأولونه من التخصيص، ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَئِكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٩٨، ولم يقل: لهم، لأنه قد

عامة قراء أهل الكوفة. [ثم استشهد بشعر]

وقد ذكر عن الحسن البصري وعبد الله بن كثير أنها كانا يقرآن (جبريل) بفتح الجيم وترك الهمز وهي قراءة غير جائزة القراءة لأن «قليل»^(١) في كلام العرب غير موجود، وقد اختار ذلك بعضهم، وزعم أنه اسم أعجمي. [ثم استشهد بشعر]

وأما بنو أسد فأتوها تقول: جبرين بالنون. وقد حكى عن بعض العرب أنها تزيد في (جبريل) ألفاً فتقول: جبرائيل وميكائيل. وقد حكى عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ (جبرأل) بفتح الجيم والهمز وترك المد وتشديد اللام، فأما جبروميك فأتوها هما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى عبد والآخر بمعنى عبيد، وأما «إيل» فهو الله تعالى ذكره. [إلى أن قال:]

فهذا تأويل من قرأ (جبرائيل) بالفتح والهمز والمد، وهو إن شاء الله معنى من قرأ بالكسر وترك الهمز.

وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز، وترك المد وتشديد اللام، فإنه قصد بقوله ذلك كذلك، إلى إضافة جبروميكا إلى اسم الله الذي يسمى به بلسان العرب دون السرياني والعبراني، وذلك أن «الإل»^(٢) بلسان العرب: الله، كما قال: ﴿لَا يُدْعَوْنَ فِي تَرْبِئِهِ إِلَّا وَلَادَةً﴾ القوة: ١٠، فقال جماعة من أهل العلم: «الإل» هو الله، ومنه قول أبي بكر الصديق لوفد بني حنيفة حين سألهم عما كان مسيلة يقول، فأخبروه، فقال لهم: ويحكم أين ذهب بكم، والله إن هذا الكلام ما خرج من إل ولا بر، يعني من إل: من الله.

(١: ٤٣٧)

(١) في الأصل، قيل

(٢) في الأصل في الموردين: الأل

والواو في (جبريل وميكال) قيل: واو المطف، وقيل: بمعنى أو يعني من كان عدوًّا لأحد من هؤلاء، فإنَّ الله عدوٌّ لجميع الكافرين. (١: ١٩٤)

أبو حَيَّان: وخصَّ جبريل وميكال بالذكر تشريعاً لهما وتفضيلاً. وقد ذكرنا عن أستاذنا أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير قدس الله روحه أنه كان يستعي لنا هذا النوع بالتجريد، وهو أن يكون الشيء مستدرجاً تحت عموم، ثم تفرده بالذكر، وذلك لمعنى مختص به دون أفراد ذلك العام. فجبريل وميكال مجملان كأنهما من جنس آخر، ونزل التنابير في الوصف كالتنابير في الجنس فطُف، وهذا النوع من العطف، أعني عطف الخاص على العام على سبيل التفضيل، هو من الأحكام التي انفردت بها الواو، فلا يجوز ذلك في غيرها من حروف العطف. [إلى أن قال:]

وجاء هذا الترتيب في غاية الحسن فابتدئ بذكر الله، ثم يذكر الوسائط التي بينه وبين الرسل، ثم بذكر الوسائط التي بين الملائكة وبين المرسل إليهم، فهذا ترتيب بحسب الوحي، ولا يدلّ تقديم الملائكة في الذكر على تفضيلهم على رسل بني آدم، لأنَّ الترتيب الذي ذكرناه هو ترتيب بالنسبة إلى الوسائط لا بالنسبة إلى التفضيل. [ثم ذكر كلام الزمخشري المشار إليه ذيل: نصّ الطبري] (١: ٣٢٢)

الألوسي: وأفرده الملكان بالذكر تشريعاً لهما وتفضيلاً، كأنهما من جنس آخر تنزيراً للتنابير في الوصف منزلة التنابير في الذات. [ثم استشهد بشعر] وقيل: لأنَّ اليهود ذكروها ونزلت الآية بسببها،

يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان. (١: ١٦٣)
نحوه الطوسي (١: ٣٦٤)، والطبرسي (١: ١٦٧).
الفخر الرازي: لما ذكر الملائكة فليَم أصاد ذكر جبريل وميكائيل مع اندراجها في الملائكة؟ الجواب لوجهين:

الأول: أفردهما بالذكر لفضلهما، كأنهما لكسالة فضلها صاراً جنساً آخر سوى جنس الملائكة.

الثاني: أن الذي جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما، والآية إنما نزلت بسببها، فلا جرم نصّ على اسميهما، واعلم أنَّ هذا يقتضي كونها أشرف من جميع الملائكة وإلا لم يصحّ هذا التأويل.

وإذا ثبت هذا فنقول: يجب أن يكون جبريل عليه السلام أفضل من ميكائيل لوجوه:

أحدها: أنه تعالى قدّم جبريل عليه السلام في الذكر، وتقديم المفضل على الفاضل في الذكر مستقيم عرفاً، فوجب أن يكون مستقيماً شرعاً، لقوله عليه السلام: «مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن».

وثانيها: أن جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن والوحي والعلم وهو مادة بقاء الأرواح، وميكائيل ينزل بالمغصب والأمطار وهي مادة بقاء الأبدان، ولما كان العلم أشرف من الأغذية وجب أن يكون جبريل أفضل من ميكائيل.

وثالثها: قوله تعالى في صفة جبريل: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ﴾ التكويد: ٢١، ذكره بوصف المطاع على الإطلاق، وظاهره يقتضي كونه مطاعاً بالنسبة إلى ميكائيل، فوجب أن يكون أفضل منه.

(١: ٣٣٤)

السَّاءِ.

مكارم الشَّيرَازِيّ: ورد اسم (جبريل) ثلاث مرّات واسم (ميكائيل) مرّة واحدة في القرآن الكريم، ويستفاد من الآيات أنّها لمكان مقربان من ملائكة الله تعالى. قيل: إنّ اسم جبريل عبري، يعني «رجل الله» أو «قوة الله» جَبَر تعني الرجل أو القوة، وثيل بمعنى الله.

هذه الآيات الكريمة تعرّف جبريل أنّه رسول الوحي الإلهي إلى النبيّ، ومنزّل القرآن على قلبه، ولواسطة الوحي اسم آخر في الآية (١-٢) من سورة التحل هو: ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾. أمّا الآية (١١٣) من سورة الشعراء فتسمّيه ﴿الرُّوحَ الْآبِيْنَ﴾، ويصرّح المفسّرون أنّ المقصود من (رُوحُ الْقُدُسِ)، وال(رُّوحُ الْآبِيْنَ) هو جبرائيل.

وهناك أحاديث تدور حول تشكّل جبرائيل بصور متعدّدة لدى نزوله على النبيّ، وكان في المدينة ينزل على صورة (حية الكليّة) وهو رجل جميل الطلعة.

يستفاد من سورة التّجيم أنّ النبيّ ﷺ شاهد جبرائيل مرّتين على هيئته الأصليّة.

ذكرت المصادر الإسلاميّة أسماء أربعة من الملائكة المقربين هم: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وأعظمهم مرتبة جبرائيل.

وفي كتب اليهود ورد ذكر جبريل وميكائيل، ومن ذلك ماورد في كتاب دانيال، حيث وصف جبرائيل بأنّه الغالب وأنّه رئيس الشياطين! ووصف ميكائيل بأنّه حامي قوم بني إسرائيل.

ذكر بعض المحقّقين أنّ المصادر اليهوديّة خالية من

وقيل: للتّشبيه على أنّ معاداة الواحد والكلّ سواء في الكفر، واستجلاب العداوة من الله تعالى، وإنّ من عادي أحدهم فكأنّما عاديّ الجميع، لأنّ الموجب لهمبّهم وعداوتهم على الحقيقة واحد وإن اختلف بحسب التّوهّم والاعتقاد، ولهذا أحبّ اليهود ميكائيل وأبغضوا جبريل. واستدلّ بعضهم بتقديم جبريل على ميكائيل على أنّه أفضل منه وهو المشهور، واستدلّوا عليه أيضًا بأنّه ينزل بالوحي والعلم وهو مادة الأرواح، وميكائيل بالخيصب والأطوار وهي مادة الأبدان، وغذاء الأرواح أفضل من غذاء الأشباح.

واعترض بأنّ التّقديم في الذّكر لا يدلّ على التّفضيل؛ إذ يحتمل أن يكون ذلك للترقيّ أو لئكتة أخرى، كما قدّمت الملائكة على الرّسل وليسوا أفضل منهم عندنا، وكذا نزوله بالوحي ليس قطعًا بالأفضليّة؛ إذ قد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فلا بدّ في التّفضيل من نصّ جليّ واضح.

وأنا أقول بالأفضليّة وليس عندي أقوى دليلًا عليها من مزيد صحبته لحبيب الحقّ بالاتّفاق وسيّد الخلق على الإطلاق ﷺ. وكثرة نصرته وحبّه له ولأمّته، ولا أرى شيئًا يقابل ذلك، وقد أتى الله تعالى عليه ﷺ بما لم يأت به على ميكائيل بل ولا على إسرافيل وعزرائيل وسائر الملائكة أجمعين.

وأخرج الطبراني - لكن بسند ضعيف - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها، قال: «قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبرائيل» وأخرج أبو الشّيخ عن موسى بن عائشة، قال: «بلغني أنّ جبريل إمام أهل

بـ(جبريل) وهو أمين وحى الله، واختامه بالملائكة. ويُدعى بـ(جبريل) وأُفرد بالذكر تعظيماً له، وإظهاراً لمكانته عند الله، ويكون قد ذكر مرّتين: مرّةً بالنص، ومرّةً في العموم، واكتنف (صالحُ السُّؤميين) جبريل تشريعاً لهم واعتناء بهم؛ إذ جعلهم بين الذين يستبشرون اللّيل والنهار لا يفترون. فعلى هذا (جبريل) داخل في الظّهراء لاني الولاية، ويختصّ الرّسول بأنّ الله هو مولا. وجوزوا أن يكون (وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ السُّؤميين) صطفاً على اسم (الله) فيدخلان في الولاية ويكون (وَالسَّالِكَةُ) مبتدأ، والخبر (ظهير) فيكون (جبريل) داخلًا في الولاية بالنص، وفي الظّهراء بالعموم.

(٨: ٢٩١)

نحوه البرّوسويّ. (١٠: ٥٣)

الأصول اللّغويّة

١- انكفاً من تكلم في «جبريل» من اللّغويين والمفسّرين على بيان معناه أو منشئه أو لغاته، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، حتّى أحصوا من لغاته عشرين لغة تقريباً، ومن معانيه حوالي عشرة. بيد أنّهم توافقوا جميعاً في كونه أعجمياً، فيعضهم قال: هو عبري، وآخر قال: سرياني.

ولم يشذّ أحد من علماء الأديان السّابويّة في أنّه اسم للملك الذي أرسله الله إلى الأنبياء، إذ جاء في العهد العتيق: «سمعت صوت إنسان بين أولاي، وقال: يا جبرائيل فمّم هذا الرّجل «الرّؤيا» دانيال (٨: ١٦)، وفي العهد الجديد: «أنا جبرائيل الواقف قدّام الله،

الدّلالة على خصومة جبرائيل لهؤلاء القوم، وهذا يؤيد أنّ ادّعاءات اليهود بشأن موقفهم من جبرائيل، لم يكن إلّا ذريعة للتّنفّص من الإسلام؛ إذ لا يوجد في مصادرهم الدّينيّة ما يشير إلى وجود مثل هذه العداوة بينهم وبين جبرائيل.

نحوه فضل الله. (٢: ١٣٢)

٢- إِنْ تَشْرَبُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ السُّؤميين وَالسَّالِكَةُ بِهَذَا ذَلِكَ ظَهِيرٌ. التحريم: ٤ الطُّوسِيّ: [ذكر القراءات كما تقدّم في سورة البقرة من الطّبري] (١٠: ٤٤)

نحوه الطّبرسيّ. (٥: ٣١٣)

الرّمّغسريّ: رأس الكرويّين، وقُرّن ذكره بذكره مفرداً له من بين الملائكة، تعظيماً له وإظهاراً لمكانته عنده. (٤: ١٢٧)

نحوه الفخر الرّازيّ (٣٠: ٤٤)، والبَيْضاويّ (٢: ٤٨٦)، وأبو الشّود (٦: ٢٦٨)، والأكوسيّ (٢٨: ٥٣).

ابن عطية: «وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ السُّؤميين» يحتمل أن يكون عطفًا على اسم الله تعالى في قوله: (هُوَ) فيكون «وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ السُّؤميين» في الولاية، ويحتمل أن يكون (جبريل) رفعاً بالابتداء، وسابده عطف عليه. (٥: ٣٣٢)

مثله القرطبيّ. (١٨: ١٩٢)

أبو حنّان: ويكون (وَجِبْرِيلُ) مبتدأ وسابده معطوف عليه، والخبر (ظهير)، فيكون ابتداء الجملة

السابق، إلا أنه تحذف منه الياء، وبها قرأ عكرمة وقياض بن غزوان ويحيى بن يعمر، أو «جَبْرِيل» مثل: سَلْسِيل، وهو ظير «جَبْرِتِيل» بتسهيل الهجزة، أو «جَبْرِائِيل» نظير «جَبْرِائِيل»، بتسهيل الهجزة أيضاً، وهي قراءة الأعشى.

أو أخذه من الفعل المتعدي «جَبَر»، ويصير بعد التركيب والتعريب «جَبْرِيل» على القراءة المشهورة، بتبديل موضعي السكون والفتحة للياء والراء، وحذف الهجزة، ثم قلب فتحة الراء كسرة لجماعة الياء.

الاستعمال القرآني

جاء جبريل ثلاث مرات اسماً للملك الوحي:

١- «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» مَنْ كَانَ عَدُوًّا لَهُ وَعَلَيْهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَجِبْرَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ» البقرة: ٩٧، ٩٨.

٢- «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» التحریم: ٤.

يلاحظ أولاً: أن الآيات كلها مدنية فتتقوى بذلك علاقتها باليهود القاطنين بالمدينة؛ حيث كانوا أصدقاء لجبريل الذي أنزل القرآن على النبي ﷺ، وكانت عداوتهم له ناشئة من ذلك تنقيصاً للوحي القرآني، وإلا فقد سبق في التصور أنه لا يوجد في كتبهم المقدسة ما يشر بها. ويشهد بذلك (١): «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ».

وأرسلت لأكملكم وأبشركم بهذا» إنجيل لوقا (١: ١٩). كما سمي به اليهود والنصارى ذكورهم قديماً وحديثاً، وأشهر من سمي به «جبرائيل بن مثنى» الطبيب المسيحي المعروف في صدر الدولة العباسية، و«جبرائيل الثامن» بطريرك الأقباط، و«جبرائيل الموصلي» وهو راهب موصلي وغيرهم.

٢- ولفظ «جبريل» مركب من «جير» و«إيل» كما اتفق المحققون قاطبة، وكلاهما عبري حسبما ذهب إليه المتأخرون والمشرقون. ورغم أنهم على خلاف في معنى لفظ «إيل» يعني الله، إلا أنهم على خلاف في معنى «جير»، فبعض قال: رجل، وهو في العبرية «جير»، وقال بعض: قوة.

فن قال بالمعنى الأول - أي الرجل - يصير الاسم بعد التركيب «جِبْرِتِيل» وبعد التعريب «جَبْرِيل»، بتبديل موضعي السكون والكسرة للياء والراء، وحذف هجزة «إيل»، لأنه ليس في كلام العرب «فَيْئِيل» أو «فَيْئِيل»، وبها قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وغيرهم، وهي لغة الحجاز، وتعد أشهر اللغات وأفضلها، أو «جَبْرِئِيل» بحذف الياء، وهي قراءة عاصم.

ومن قال بالمعنى الثاني - أي القوة - أخذه من الفعل الأزعم «جابر»، ويصير بعد التركيب والتعريب «جَبْرِتِيل» بحذف الألف وتبديل موضعي السكون والفتحة للياء والراء، وبها قرأ حمزة والكسائي، وهي لغة قيس وعيم. أو «جَبْرِائِيل» بنقل الألف إلى ما بعد الراء، والتبديل بين السكون والفتحة كما تقدم. أو «جَبْرَائِيل»، وهو كاللفظ

تجريدًا، وفيه إشعار بتقديهما على سائر الملائكة عند الله، كما أن تقديم جبريل على ميكايل مشيرٌ بأنه أفضل من ميكايل عند الله، ويشهد به موقعه ومنصبه في سلسلة المناصب الإلهية، فقد فُوض إليه أمر الوحي كما تشهد به الآيات، وفُوض إلى ميكايل أمر الأرزاق، كما تنطق به الروايات، والوحي أفضل وأرق من الأرزاق، فإنه غذاء الأرواح، والأرزاق غذاء الأجسام، وبينهما بون بعيد، فالإنسان إنسان بروحه لا بجسمه.

خامسًا: جاء التعبير عن جبريل ملك الوحي بـ (رُوحُ الْقُدُسِ): ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالنَّحْوِ لِیُشْفِیَ الَّذِينَ أُسْلُوا﴾ التحل: ١٠٢، و (الروح الأمين): ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٢، فقد قسمها الله بين النبي والمؤمنين، فخص النبي بـ (الروح الأمين) بصورة الصفة، وخص المؤمنين بـ (رُوحُ الْقُدُسِ) بصورة الإضافة، و (شَهِيدُ الْقَوَى): ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقَوَى﴾ التجم: ٥، و (رسول كريم) وبجملته من الصفات: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ذى قُودَة عند ذی الْقَوَیْسِ مَكِينٍ، مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ التکویر: ١٩-٢١.

كما وصف الله ملائكته بقوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ كِرَامٌ بَرْزَقَةٍ عِيسَى: ١٦، ١٥. لاحظ «روح، ق، د س، أ م ن، ق و ی، ل، ر، م، ل، ك» وغيرها.

ثانيًا: كما يتقوى بذلك أيضًا ما كادوا أن يتفقوا عليه من أن الكلمة عبرية، جاءت مع كلمات أخرى أسماء للملائكة المقربين في تلك الكتب، ويؤيدها اختلاف العرب في التلفظ بها لأنها كانت أجنبية عن لسانها، فاضطربوا في أدائها، أو لم يحتثوا بها جرأً على سنتهم «إنها كلمة أعجمية فألقب بها مانشث» وأدى ذلك إلى اختلاف القراءات، كما جاءت في النصوص. وهذا شاهدٌ على أن كثيرًا من القراءات نشأت من اللهجات، وهو الحق عندنا.

ثالثًا: جاء جبريل في (١) منفردًا تنديدًا وتعنيفًا لهم على عداوتهم له، وفي (٢) عقيب الله وملائكته ورسله، وبعده ميكايل، وفي (٣) مع الله وملائكته وصالح المؤمنين إعلانًا بأن عداوة جبريل هي بمثابة عداوة الله ورسله وملائكته جميعًا وعداوة ميكايل خاصة، وأن الذين لا يتبعون، فمن أنكر شيئًا منه كان بمنزلة من أنكر الجميع، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآلِهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ النساء: ١٥٠، ١٥١، وقال: ﴿لَا تَقْفُ بَيْنَ أَخَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة: ٢٨٥، وظهيرها آيات أخرى، لاحظ «ف ر ق».

رابعًا: تسمية جبريل وميكايل بـ (مَلَكَيْنِ) في (٢) من قبيل ذكر الخاص بعد العام - وقد سماه بعضهم

ج ب ل

٦ ألفاظ، ٤١ مرة: ٣٥ مَكِّيَّة، ٦ مدنيَّة
في ٣٣ سورة: ٢٧ مَكِّيَّة، ٦ مدنيَّة

ورجل جَبَل الرَّأس: غليظ جلدُ الرَّأس والعظام.
[ثم استشهد بشعر]
والجَبَلُ: الخلق، جَبَلَهُمُ الله، فهم يَجُولُونَ. [ثم
استشهد بشعر]

وكلُّ أُمَّةٍ مَضَتْ فِي جَبَلَةٍ عَلَى حِدَةٍ، وقال تعالى:
﴿وَالْجِبَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ الشعراء: ١٨٤.
وأما الجَبَلُ، فَن خَفَّفَ اللَّامَ جَعَلَهُ مَثَلُ قَبِيلٍ وَقَبِيلٍ.
وَجَبِيلٌ وَجَبِيلٌ، وهو الخلقُ أيضاً.
ومن قرأ: (جَبَلًا) فهو على ثقل الجَبَلَةِ ومعناها
واحد.

وَجَبَلُ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، أَي طَبَعَ عَلَيْهِ.
وَأَجَبَلُ الْقَوْمِ، أَي صَارُوا فِي الْمَسَالِ، وَتَجَبَّلُوا أَي
دَخَلُوا.

جَبَل ١: ٣ - ٢٨: ٣١ الجبال
جَبَلًا ١: ١
جَبَل ١: ١ - ١ الجبل
جَبَل ١: ١ - ١ الجبل

النصوص اللغوية

الْخَلِيلُ: الجَبَلُ: اسم لكلِّ وَتَيْدٍ مِنْ أَوْتَادِ الْأَرْضِ
إِذَا عَظُمَ وَطَالَ، مِنْ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْوَارِ وَالشَّخَابِيبِ
وَالْأَنْضَادِ. فَإِذَا صَفُرَ فَهُوَ مِنَ الْآكَامِ وَالْقَيْرَانِ.
وَجَبَلَةُ الْجَبَلِ: تَأْسِيسُ خِلْقَتِهِ الَّتِي جَبَلَ عَلَيْهَا.
وَجَبَلَةُ الْأَرْضِ: صِلَاهَا.

وَجَبَلَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ: تَوَسُّهُ ^(١) الَّذِي طَبَعَ عَلَيْهِ.
وَيُقَالُ لِلثُّوبِ الْجَيِّدِ النَّشِجِ وَالْفَزَلِ وَالْفَتْلِ: إِنَّهُ لَجَسِيدُ
الْجَبَلَةِ.

وَجَبَلَةُ الْوَجْهِ: بَشَرَتُهُ.

ورجل جَبَلُ الْوَجْهِ، أَي غليظ بَشَرَةُ الْوَجْهِ.

(١) عَرَسَ - بِالْفَتْحِ، وَفِي مَوَادِّ أُخْرَى بِالضَّمِّ -، الطَّبِيعَةُ
وَالْمَخْلُقُ.

والبُجَيْلُ: الفَدَحُ العظيم. (ابن سيده ٧: ٤٤٢)
تَغْلَبُ: الجَبَلَةُ: الخِلْفَةُ، وجمعها: جبال، والعرب
تقول: «أَجَنَ الله جباله» أي جمعه كالجنون.

(ابن سيده ٧: ٤٤١)
أَبُو الهَيْثَمِ: جُبَيْلٌ وَجُبَيْلٌ، وَجُبَيْلٌ وَجُبَيْلٌ، وَلَمْ
يُعرف جُبَيْلاً بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَجُبَيْلٌ وَجُبَيْلَةٌ،
لغات كلها. (الأزهري ١١: ٩٦)

الرَّجَاجُ: جَبَلٌ الله عزَّ وجلَّ المخلوق جَبَلًا.
وَأَجْبَلُ الرَّجُلُ فِي الْخَفَرِ، إِذَا بَلَغَ إِلَى الْمَجَارَةِ فِي حَفْرِ
الْبُيْرِ.

ابن دُرَيْدٍ: والجَبَلُ معروف، ورجل ذو جَبَلَةٍ، إِذَا
كَانَ غَلِيظَ الْجِسْمِ، وَكَذَلِكَ رَجُلٌ مَجْبُولٌ، إِذَا كَانَ غَلِيظًا.
وَالْمَجْبُولَةُ: الْأَمَةُ مِنَ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ الْمَجْبُوتَةُ.
وَأَجْبَلُ الْخَافِرِ، إِذَا أَفْضَى إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَمْكُنُ الْخَفَرُ
فِيهِ. وَأَجْبَلُ الشَّاعِرِ، إِذَا صَعِبَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ.

وَالْمَجْبُوتَةُ: الْفَطْرَةُ، جَبَلٌ الله عزَّ وجلَّ المخلوق يَجْبِلُهُمْ
وَيَجْبِلُهُمْ. وَهَذِهِ جَبَلَةٌ فَلان، أَي خَلِيقَتُهُ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهَا.
وَقَدْ سَمَتِ الْعَرَبُ جَبَلًا وَجُبَيْلاً وَجَبَلَةً.

وَيَوْمَ جَبَلَةٍ: يَوْمٌ مَعْرُوفٌ. وَجَبَلَةٌ: مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ
بَنَجْدٍ.

وَقَدْ جَمَعُوا جَبَلًا: جَبَالًا وَأَجْبَالًا.
وَيَقَالُ: جَاءَ بِمَالٍ جَبِيلٌ، أَي كَثِيرٌ. وَالْجَبِيلُ مِنَ
النَّاسِ: الْجَمَاعَةُ. [ثم استشهد بشعر]

وَكَذَلِكَ الْمَجْبِلُ، وَكَذَلِكَ الْمَجْبِلُ وَالْمَجْلِبُ. (٢١٢: ١)
نَحْوُ الطُّوسِيِّ (٢: ٣٣١)، وَالطُّوسِيِّ (١: ٣٧٢).
ابن بُرْزُجٍ: قَالُوا: لَا حَيَاةَ لِهَذَا جَبَلَتُهُ؛ وَجَبَلَتُهُ:

وَيَقَالُ: وَالْمَجْبِلُ: الشَّجَرُ الْيَابِسُ. (١٣٦: ٦)
الْكِسَانِيُّ: الْمَجْلَةُ وَالْمَجْلَةُ تُكْسَرُ وَتُرْفَعُ، مُشَدَّدَةٌ
كُسِرَتْ أَوْ رَفَعَتْ، فَإِذَا أُرِدَتْ جَمَاعُ الْجَبِيلِ قُلْتُ: جَبَلًا،
مِثْلَ قَبِيلٍ وَقَبِيلٍ.
(الأزهري ١١: ٩٦)
الْفَرَّاءُ: الْجَبَلُ: سَيِّدُ الْقَوْمِ وَعَالِمُهُمْ.

لَمَعْنَى «أَجَنَ الله جباله» أَي سَادَاتُ قَوْمِهِ. يُقَالُ:
هَؤُلَاءِ جِبَالُ بَنِي فَلانٍ، وَهَؤُلَاءِ أَنْيَابُ بَنِي فَلانٍ، أَي
سَادَتِهِمْ. (الأزهري ١١: ٩٦)

الْأَصْمَعِيُّ: الْجَبِيلُ: النَّاسُ الْكَثِيرُ، وَالْعَبْرُ مِثْلُهُ.
(الأزهري ١١: ٩٥)
قَوْلُهُ: «أَجَنَ الله جباله» مَعْنَاهُ أَجَنَ اللهُ جَبَلَتَهُ، أَي
خَلَقَتَهُ. (الأزهري ١١: ٩٦)

الْمَجْبِلُ وَالْمَجْبِلُ: الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ. (الشمالي: ٧٠)
ابن الْأَعْرَابِيِّ: أَجْبَلٌ، إِذَا صَادَفَ جَبَلًا مِنْ
الزَّلْمِ، وَهُوَ الرِّضْ الطَّوِيلُ. وَأَجْبَلٌ، إِذَا صَادَفَ حَبَلًا
مِنَ الزَّلْمِ، وَهُوَ الدَّقِيقُ الطَّوِيلُ. (الأزهري ١١: ٩٧)
سَأَلَنِي فَأَجْبَلُ، أَي وَجَدْتُهُ جَبَلًا. (ابن سيده ٧: ٤٤٠)
وَابْنَةُ الْجَبَلِ: الْحَيَّةُ، لِأَنَّ الْجَبَلَ مَأْوَاهَا.

(ابن سيده ٧: ٤٤١)
وَفِيهِ جَبَلَةٌ، أَي عَيْبٌ. (ابن سيده ٧: ٤٤٢)
ابن السَّكَيْتِ: يُقَالُ: مَالٌ جَبِيلٌ، أَي كَثِيرٌ. [ثم
استشهد بشعر]

أَجْبَلُ الْقَوْمِ، أَي صَارُوا إِلَى الْجَبَلِ.
(الجهوري ٤: ١٦٥٠)
الدِّينُورِيُّ: وَالْجَبَلُ مِنَ السَّهَامِ: الْجَانِبُ الْبَرِّيُّ.
(ابن سيده ٧: ٤٤١)

وإذا وقع حافر البئر على جبل قيل: أجبل.
والجبل من التّصال: الذي ليس بمديد، ولا يتعدّ في
الشيء، وفأس جبلة. وأجبل القوم، أي جيل حديثهم.
ومالٌ جبل وجبل، أي كثير. وكذلك الجبل من
النّاس، والجبل مثله.
والجبلة: القبيلة، عظيمة كانت أو صغيرة.

(١١٧: ٧)

الخطابي: في حديث جكرمة: «أنّ خالدًا هذا»
كان يسأله فسكت خالد فقال له عكرمة: مالك
أجبلت؟ معناه انقطعت، وأصله: أن يحفر الرّجل في
الأرض حتى إذا بلغ صخرة لا يحيك فيها المقول، قيل: قد
أجبل، أي أفضى إلى جبل، كما يقال: أكدى، إذا كان
يحفر فأفضى إلى كذبة، وهي القطعة الصّلبة من الأرض.
(٧٧: ٣)

الجوهري: الجبل: واحد الجبال. والجبلان: جبلا
طين: أجا وسلمى.
وجبله الله، أي خلقه.

وأجبل القوم، إذا حفروا فلبوا المكان الصّلب.
والجبلة بالكسر: الخيلة، يقال للرّجل إذا كان
غليظاً: إنه لدو جبلة. [ثم استشهد بشعر]
ويقال أيضاً: حيّ جبل، أي كثير.
وأمرأة بمبال، أي غليظة الخلق.
وشيء جبل بكسر الباء، أي غليظ جاف.
والجبلة بالضمّ: السّنام. والجبل: الجماعة من
النّاس. (١٦٥: ٤)

أبو هلال: الفرق بين النّاس والمييلة: أنّ المييلة اسم

غرته. (الأزهرى: ١١: ٩٧)
الأزهرى: قيل: «أجنّ الله جبالة» أي الجبال التي
يسكنها، أي أكثر الله فيها الجنّ. [ثم استشهد بشعر]
(١١: ٩٦)
وفي التّوادر: أجبلت فلاناً على أمر وجبلته، أي
أجبرته. (١١: ٩٧)

القاصح: وأجبل القوم: صاروا في الجبال.
وتجبلوا: دخلوها.

وجبلة الزّوج: بشرته.
وجبلة الخلق: نوسه الذي طبع عليه.
وقوب جبلة المييلة، أي القزّل والقنل.
وجبل الرأس: قليل الملاوة.
ويقال: لاحيا الله جبلة، أي وجهه النّظيف.
وأحسن الله جبالة: بمعنى جسده وخلقه الميسر
وجباله.

والجبلة: السّنام في قول الأعشى. [وقد جاء بشعره
في الهامش] وقيل: هو اسم جبل.

والجبل: الخلق، جبلهم الله فهم مجبولون. وجبلهم
- للتّكثير - فهم مجبولون. والخلق: المييلة، وكلّ أمة
تمتّ فهي جبلة. وكذلك الجبل والجبل مخفف. وجبل
الإنسان على كذا: طبع عليه.

والتعجيل: التّطعيم، جبلت الشّجر: طعنته.
وتجبلت ماعنده: استنظفته.
وأصاب بني فلان جبلة بوزن سائلة، أي سنة
صبة.

والإجبال: المنع، سألتهم فأجبلوا.

يقع على الجماعات المجتمعة من الناس حتى يكون لهم
مظم وسواد، وذلك أن أصل الكلمة: الغلظ والعِظَم،
ومنه قيل: الجبيل، لغلظه وعِظَمه. ورجل جبيل وامرأة
جبيلة: غليظة الخلق، وفي القرآن: ﴿وَأَتَقُوا الذِّبْيَ
خَلَقَكُمْ وَالْجِسْلَةَ الْآوَلِينَ﴾ الشعراء: ١٨٤، وقال
تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلُّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ يس: ٦٢، أي
جماعات مختلفة مجتمعمة أمثالكم.

والجبيل: أول الخلق، جبلة، إذا خلقه الخلق الأول،
وهو أن يخلق قطعة واحدة قبل أن يميز صورته، ولهذا
قال النبي ﷺ: «جِبِلَّتِ الْقُلُوبُ عَلَى حَبٍّ مِنْ أَحْسَنَ
إِلَيْهَا» وذلك أن القلب قطعة من اللحم، وذلك يرجع إلى
معنى الغلظ. (٢٢٩)

الهُزَوِيُّ: رجل مجبول: عظيم، على التشبيه
بالجبيل، وفي حديث ابن مسعود: «وكان رجلاً مجبولاً».
(ابن سيده ٧: ٤٤١)

ابن سيده: الجبيل: كلّ وَتَد من أوتاد الأرض إذا
عَظُم وطال، وأما ماصَرُّ وانفرد فهو من التبان والقُور
والأَكُم. والجمع: أجبيل وأجبال وجبال. وأجبيل القوم:
صاروا إلى الجبيل، وتجبّلوا: دخلوا في الجبيل، واستعاره
أبو النجم للمجد والشرف. [ثم استشهد بشعر]

وجبيلة الجبيل، وجبيلته: خلقت التي خلقت عليها.
وأجبيل الحافر: انتهى إلى جبيل.
وسألته فأجبيل، أي وجدته جبيلًا، عن ابن
الأعرابي: هكذا حكاه، وإنما المعروف في هذا أن يقال
فيه: فأجبيلته.

وأجبيل الشاعر: صلب عليه القول، كأنما انتهى إلى

جبيل منه، وهو منه.

وابنة الجبيل: الداهية، لأنها تثقل فكأنها جبيل.

وابنة الجبل: القوس إذا كانت من الشئ الذي يكون
هناك.

وجبيلة الأرض: صلابتها.

والجبيلة: السام.

والجبيل: الساحة، [ثم استشهد بشعر]

والجمع: أجبيل، وجبيل.

وجبيل الله الخلق يجبيلهم، ويجبيلهم: خلقهم.

وجبيلة على الشيء: طبعه.

وجبيلة الشيء: طبعته وأصله، وما يني عليه.

وجبيلته، وجبيلته، بالفتح عن كراع: خلقه.

والجبيلة، والجبيلة، والجبيل، والجبيلة والجبيل،

والجبيل، والجبيل، كل ذلك: الأمة من الخلق، والجماعة

من الناس. [ثم استشهد بشعر]

ومسال جبيل: كثير. والجبيلة: الوجه، وقيل:

ما استقبلك منه.

وقيل: جبيلة الوجه: بشرته.

ورجل جبيل الوجه: قبيحه، وهو أيضًا: الغليظ

جلدة الرأس والعظام.

وامرأة جبيلة: غليظة.

وجبيل، وجبيل، وجبيلة: أساء.

ويوم جبلة: معروف. وجبيلة: موضع يتجدد.

(٧: ٤٤٠)

الطوسي: والجبيل: جسم عظيم الغلظ شاخص

من الأرض، هوها كالوَيْد في عظمه، وجمعه: أجبال

وجبال.

(٥: ٥٦٠)

وَالْجِبِلَّ: الجمع الَّذِينَ جُبِلُوا عَلَى خَلِيقَةٍ، وَجُبِلُوا.
أَي طُبِعُوا.

وَأَصْلُ الْجِبَلِ: الطَّيْعُ، وَمِنْهُ جَبَلَتْ التَّرَابُ بِالماءِ،
إِذَا صَيَّرَتْهُ طِينًا يَصْلَحُ أَنْ يُطْبَعُ فِيهِ، وَمِنْهُ الْجِبَلُ، لِأَنَّهُ
مَطْبُوعٌ عَلَى الثَّبَاتِ. (٨: ٤٧٠)

نَحْوَهُ الطُّبْرُسِيُّ. (٤: ٢٠١)

الرَّوَاهِبُ: الْجِبَلُ: جَمْعُ أَجْبَالٍ وَجِبَالٍ. [نَمَّ ذَكَرَ
الآيَاتِ وَقَالَ:]

واعتبر معانيه فاستعير، واشتق منه بحسبه، فقيل:
فلان جبل لا يترشح، تصوّرًا لمعنى الثبات فيه. وجبله
الله على كذا: إشارة إلى ماركب فيه من الطيع الذي يأبى
على التأقل نقله. وفلان ذوجيلة، أي غليظ الجسم،
وثوب جيد الجيلة. وتصور منه معنى العظم ف قيل
للجماعة العظيمة: جبل. (٨٧)

الرَّمَعُشَرِيُّ: جبله الله على الكرم: خلقه، وهو
مجبول عليه. «وأجن الله جباله» أي قبر خلقه من الجن.
وجيلة فلان على كذا، وهو من الجيلة الأولين. «وَلَقَدْ
أَهْلُ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا» ينس: ٦٢، وأجبل التوم
وتجبلوا: صاروا في الجبال.

ومن المجاز: امرأة جبيلة: عظيمة الخلق. وناقدة جبيلة
السنام: تايكته، ورجل جبيل الوجه وجبيل الرأس:
غليظهما، وسيف جبيل ومجبال: لم يرقق. قال:

«صافي الحديد لانا ب ولا جبيل»

وامرأة جبال: غليظة الخلق، ويقال للثوب الحكم:
إنه لجيد الجيلة.

وأجبل الحافر: بلغ الصلابة وإن لم تكن جبلاً.

وأجبل الشاعر: أفجم، وسألناه فاجبلوا، إذا لم يؤثروا.

وطلب حاجة فاجبل، أي أخفق. وأجبل القوم:

لم ينقذ حديدتهم. (أساس البلاغة: ٥١)

المديني: في حديث الدعاء للخادم والمرأة:

«أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه» أي خلقت

وطبعت عليه.

وفي صفة عبد الله بن مسعود: «أنه كان رجلاً مجبولاً
ضخمًا».

المجبول: المجتمع الخلق، وامرأة جبيلة ومجبولة: عظيمة
الخلق.

وقيل: يحتمل أن يريد به مطبوعاً، أي حسن الشئال
مع كونه ضخماً، كأنه جمع إلى الضخامة في الجسم
والخلق اللطافة في الطبع والخلق وقل ما يمتعان.

(١: ٢٩٣)

ابن يسري: «ابنة الجبل» تطلق على عدة معان:
أحدها: أن يراد بها الصدى، ويكون مدحاً لسرعة
إجابته. [نم استشهد بشر]

ثانيها: وقد يضرب ابنة الجبل الذي هو الصدى
مثلاً للرجل الإثمّة المتابع الذي لا رأي له، وفي بعض
الأمثال: كنت الجبل منها يقل ثقل.

ثالثها: وابنة الجبل: الداهية، لأنها تنقل كآتها جبل.
[نم استشهد بشر]

رابعها: وابنة الجبل: القوس إذا كانت من التبع الذي
يكون هناك، لأنها من شجر الجبل. [نم استشهد بشر]
(ابن منظور ١١: ٩٧)

وَالْجَبَلَةُ وَيُكْسَرُ: الوجه أو بشرته، أو ما استقبلك منه، والمرأة القليظة، والعيب، والقوة، وصلابة الأرض، وبالكسر وبالضَمِّ وكطيرة: الأُمة والجماعة، وكحُرْقَة وطيرة: الكثرة من كل شيء.

وَالْجَبَلَةُ بالكسر وكحُرْقَة: الأصل. ونوب جيد الجبلَة بالكسر، أي الغزل. والجَبَلَةُ مثْلَةٌ ومَحْرَكَةٌ وكطيرة: الخِلْقَةُ والطَّيْعَةُ، وبالضَمِّ: السَّامُ ويفتح، وكتاب: الجسد والبدن. وجبلهم الله تعالى يَجْبُلُ وَيَجْبُلُ: خلقهم، وعلى الشيء: طبعه، وجبره كأجبله.

الْجَبَلَةُ كَالْأَبْلَةِ: السَّنة الْمُجْدِيَّةُ. والتَّجْبِيلُ: التَّقْطِيعُ، وتَجْبِيلُ مَاعِنه: استظفاه. وامرأة جَبَلَةٌ وجَبَالٌ: غليظة. ورجل جبيل الوجه كأمر: قبيح.

ورجل جَبَلُ الرَّأْسِ: قليل الحلاوة، وذو جبَلَةٍ بالكسر: غليظ، وكَتَوْر: قرية قرب حلب، وكَفَقْد: قدح غليظ من خشب. (٣: ٣٥٥)

الْمُضْطَفَّقِيُّ: والتَّحْقِيقُ: أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ هُوَ مَا يَكُونُ ظَرْفًا وَعَظِيمًا، وَمِنْ مَصَادِقِ هَذَا الْمَفْهُومِ الْمُنْظَارُ فِي الطَّيْبَةِ: الْجِبَالُ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْفَرِدًا أَوْ مَجْتَمَعًا مَا يَكُونُ بِالطَّيْبَةِ كَبِيرًا أَوْ كَثِيرًا أَوْ عَظِيمًا كَالرَّجُلِ الْجَبُولِ، وَامْرَأَةٌ جَبَلَةٌ أَوْ جَبَالٌ، وَحَيَّ جَبَلٌ، وَالْجَبَلُ فِي الْجَسَاعَةِ، وَالْجَبَلَةُ فِي الْأُمَّةِ، وَمِنْ الْأَشْيَاءِ مَا جَبُلَ فِي الطَّيْبَةِ عَظِيمًا.

فَالْقِدَانُ: الْفَطْرَةُ وَالْمَعْظَمَةُ، مَاخُذَانِ فِي جَمِيعِ مَشَقَّاتِهَا. [تم ذكر الآيات] (٢: ٤٨)

الْفَيْئُومِيُّ: الْجَبَلُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ: جِبَالٌ، وَأَجْبَلُ عَلَى قَلَّةٍ. قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَا يَكُونُ جَبَلًا إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَطِيلًا. وَالْجَبَلَةُ بِكَسَرَتَيْنِ وَتَثْقِيلِ الْأَمِّ: الطَّيْبَةُ وَالْخَلِيقَةُ وَالْفَرِيزَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

وَجَبَلَهُ اللهُ عَلَى كَذَا مِنْ بَابِ «قَتَلَ»: فَطَرَهُ عَلَيْهِ، وَشَيْءٌ جَبَلِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى الْجَبَلَةِ، كَمَا يُقَالُ: طَبِيبِي، أَيْ ذَاتِي، مَنْفَعْلٌ عَنْ تَدْيِيرِ الْجَبَلَةِ فِي الْبَدَنِ بِصَنْعِ بَارِعِهَا. ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْفَرِيزِ الْعَلِيِّ﴾: يَسْ: ٣٨. (٩٠) الْفَيْرُوزُ أَبَادِيٌّ: الْجَبَلُ مَحْرَكَةٌ: كُلٌّ وَرَدَ لِلْأَرْضِ عَظْمٌ وَطَالَ، فَإِنْ انْقَرَدَ فَأَكْتَهَ أَوْ قُتِنَ، الْجَمْعُ: أَجْبَلُ وَجِبَالٌ وَأَجْبَالٌ، وَسَيَدُ الْقَوْمِ وَعَالِمُهُم.

وَالْجِبْلَانُ: سَلَمَتِي وَأَجَأٌ. وَجَبَلُ بْنُ جَبَّالٍ: صَحَابِيٌّ. وَبِلَادُ الْجَبَلِ: مَدُنٌ بَيْنَ أَذْرَبِجَانِ وَعِرَاقِ الْمَرْبِ وَخَوْزِسْتَانِ وَفَارَسِ وَبِلَادِ الذَّيْلِمِ، تُسَبِّحُ إِلَيْهَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَبَلِيُّ.

وَأَجْبَلُوا: صَارُوا إِلَى الْجَبَلِ، وَتَجَبَّلُوا: دَخَلُوا فِيهِ. وَأَجْبَلَهُ: وَجَدَهُ جَبَلًا، أَيْ بَحِيلًا، وَالشَّاعِرُ: ضَعَبٌ عَلَيْهِ الْقَوْلُ، وَالْحَافِرُ: بَلَغَ الْمَكَانَ الضَّلْبَ.

وَابْنَةُ الْجَبَلِ: الْحَيَّةُ، وَالذَّاهِيَةُ، وَالْقَوْسُ مِنَ النَّعْبِ. وَالْجَبُولُ: الرَّجُلُ الْعَظِيمُ. وَالْجَبَلُ: السَّاحَةُ، وَبِالْكَسْرِ: الْكَثِيرُ وَيَضُمُّ، وَبِالضَّمِّ: الشَّجَرُ الْيَابِسُ، وَالْجَمَاعَةُ مَنَّا كَالْجَبَلِ كَعَنْقٍ وَعِيدَلٍ وَعُتْلٍ وَطِيرٍ وَطِيرَةٍ وَأَمِيرٍ.

وَالْجَبَلُ كَكَيْفٍ: السَّهْمُ الْجَائِي الْبَرِّي، أَوْ كُلُّ غَلِيظٍ جَافٍ، وَالْأَثِيثُ مِنَ التَّصَالِ. وَأَجْبَلُوا: جَبَلُ حُدَيْدِهِمْ.

النصوص التفسيرية

مُجَاهِد: ﴿وَإِذْ تَسْتَغْنَا الْجَبَلَ﴾ كما تنق الزبد.

(الطَّبَرِيُّ ٩: ١٠٩)

سبب رفع الجبل عليهم أَنَّهُمْ أَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا فَرَائِضَ التَّوْرَةِ لَمَّا فِيهَا مِنَ الشَّقَةِ، فَوَعظَهُمْ مُوسَى فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَرُفِعَ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ، وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ أَخَذْتُمُوهُ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، وَإِلَّا أَتَى عَلَيْكُمْ.

(الْمَاوَزْدِيُّ ٢: ٢٧٦) الْحَسَنُ: لَمَّا نَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ غَزَّ كُلُّ رَجُلٍ سَاجِدًا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، وَنَظَرَ بَيْنَهُ الْيَمْنَى إِلَى الْجَبَلِ، فَرَفَا مِنْ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ يَسْجُدُ إِلَّا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ، يَقُولُونَ: هَذِهِ السَّجْدَةُ الَّتِي رَفَعْتَ عَنَّا بِهَا الْعُقُوبَةَ. (الطَّبَرِيُّ ٩: ١٠٩) قَتَادَةُ: جَبَلُ نَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَصْلِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، فَقَالَ: لِنَأْخُذَنَّ أَمْرِي، أَوْ لَا رَمِيْنَكُمْ بِهِ.

(الطَّبَرِيُّ ٩: ١٠٩)

الإمام الصادق عليه السلام: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ التَّوْرَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَقْبَلُوهُ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبَلًا طَوْرَ سَيْنَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عليه السلام: إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهُ وَقَعَ عَلَيْكُمْ الْجَبَلُ، فَقَبِلُوهُ وَطَاطَأُوا رُؤُوسَهُمْ. (الْقَتَّانِيُّ ١: ٢٤٦) الْفَرَّاءُ: رُفِعَ الْجَبَلُ عَلَى عَسْكَرِهِمْ فَرَسَخًا فِي فَرَسَخٍ.

(١: ٣٩٩)

نَحْوَهُ أَبُو حَنِيفَةَ. ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيُّ زَعْرَعْنَاهُ. وَيُقَالُ: تَنَثَّتِ السَّقَاءُ، إِذَا نَفَضَتْهُ لَتَقْتُلِعَ الزَّبَدَ مِنْهُ. وَكَانَ نَقَّ الْجَبَلُ أَنَّهُ قُلْعٌ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى قَدَرِ عَسْكَرِ مُوسَى، فَأَظْلَمَ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّمَا أَنْ تَقْبَلُوا التَّوْرَةَ وَإِنَّمَا أَنْ يَسْقُطَ عَلَيْكُمْ.

(١٧٤)

جَبَل

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ... (الحشر: ٢١) رَاجِعْ «ق» رَأَى (القرآن).

الجَبَل

١- ٢... قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَتَنُفِّسْ فِيهِ فَنَزَلَ عَلَى رَبِّهِ لَيْلٌ مُجَبَّلٌ زُبَّةً لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا... (الأعراف: ١٤٣)

رَاجِعْ «ر أ ي».

٣- وَإِذْ تَسْتَغْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ. (الأعراف: ١٧١) ابْنُ عَبَّاسٍ: قَلَعْنَا وَرَفَعْنَا وَجَبْنَا الْجَبَلَ (فَوْقَهُمْ) فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ. (١٤١)

فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ، يَقُولُ: مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ، وَإِلَّا خَرَّ عَلَيْكُمْ الْجَبَلُ، فَأَهْلَكَكُمْ، فَقَالَتْ: بَلْ نَأْخُذُ مَا آتَانَا اللَّهُ بِقُوَّةٍ، ثُمَّ نَكُونُ أَيْدِيَهُمْ ذَلِكَ.

نَحْوَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ. (الطَّبَرِيُّ ٩: ١٠٨)

إِنِّي لِأَعْلَمُ خَلْقَ اللَّهِ، لِأَنِّي شَيْءٌ سَجَدَتْ الْيَهُودُ عَلَى حَرْفِ وَجْهِهِمْ، لَمَّا رُفِعَ الْجَبَلُ فَوْقَهُمْ، سَجَدُوا وَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ، خَافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ سَجْدَةً رِضْيَا اللَّهُ، فَأَخَذَهَا سَنَةً. (الطَّبَرِيُّ ٩: ١٠٨)

ليقطع الزبدة منه.

وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لتساخطها ونقلها، فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ. [ثم قال نحو ما تقدم عن مجاهد والحسن] (١٢٩: ٢)

نحوه ابن عطية (٤٧٣: ٢)، والفخر الرازي (١٥: ٤٥)، والسي (٢: ٨٤).

البَيْضَاوِي: أي قلناه ورفناه فوقهم، وأصل التثني: الجذب. (١: ٣٧٦)

مثله الكشاف (٢٣: ٢٥٠)، ونحوه أبو السعود (٣: ٤٨)، التيساري: فيه أن الإنسان لو وكل إلى طبعه ونفسه لا يقبل شيئاً من الأمور الدينية، وإنما يمان على القبول بأمر ظاهر أو باطن.

وفيه أن على رؤوس أهل الطلب جبل أمر الحق، وهو أمر التحويل، فيحولهم بالقدرة إلى أن يأخذوا ما آتاهم الله تعالى بقوة منه، لا بقوتهم وإرادتهم.

(٩: ٧٨)

أبو حيان: أي جذبنا الجبل بشدة. (وقوتهم) حال مقدرة، والعامل فيها محذوف، تقديره: كائناً فوقهم؛ إذ كانت حالة التثني لم تقارن الفوقية لكنه صار فوقهم. [إلى أن قال:]

فالمنى - والله أعلم - كأنه حالة ارتفاعه عليهم ظلّة من النعام، وهي الظلّة التي ليست تحتها عند بل إمساكها بالقدرة الإلهية وإن كانت أجراماً، بخلاف الظلّة الأرضية فإنها لا تكون إلا على عمد، فلما دانت هذه الظلّة الأرضية فوقهم بلا عمد، شبهت بظلّة النعام التي ليست

الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد إذا اقتلنا الجبل، فرفناه فوق بني إسرائيل، كأنه ظلّة غمام من الظلال. (٩: ١٠٨)
نحوه السجستاني (٧١)، والطوسي (٥: ٢٨)، والطبرسي (٢: ٤٩٦)، والحازن (٢: ٢٥٢).
الماوردي: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: [قول ابن قتيبة المتقدم]

والثاني: بمعنى جذبناه، والثني: الجذب، ومنه قيل للمرأة الولود: ناتق. [ثم استشهد بشر]

والثالث: منناه ورفناه عليهم من أصله. [ثم نقل كلام مجاهد والفراء المتقدم وقال:]

واختلف في سبب رفع الجبل عليهم، هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم.

الثاني: كان إنعاماً لإقلاصهم به عن المعصية.

(٢: ٢٧٦)

الواحد: أي رفناه باقتلاع له من أصله، يقال:

نتفه ينتفه نتفاً، إذا قلعه من أصله. (٢: ٤٢٣)

نحوه الطباطبائي: (٨: ٣٠١)

البغوي: أي قلنا.

المبيدي: التثني في اللغة يكون قلماً، ويكون

رفماً، ويكون بطلاً، وكل ذلك قد كان من الله عز وجل

يومئذ بذلك الجبل، قلعه جبرئيل ورفعه، وبسطه في

المواء فوقهم. (٣: ٧٧٧)

والمخشي: قلناه ورفناه، كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا لِقَوْمِكُمُ الطُّورَ﴾ البقرة: ٦٣، ومنه تنق السماء، إذا نفذه

بلا عند.

(٤: ٤١٩)

مكارم الشيرازي: (نَشَفْنَا) من مادة «نشق» على وزن «قلع» تعني في الأصل: قَلَعَ وانتراع شيء من مكانه، وإلقاءه في جانب آخر. ويطلق على النساء اللواتي يلدن كثيرًا أيضًا «ناقق» لأنهن يفصلن الأولاد من أرحامهن ويخرجنهم بسهولة.

إن هذه الآية آخر آية في هذه السورة تحدثت حول حياة بني إسرائيل، وهي تتضمن تذكير قصة أخرى لليهود عصر النبي ﷺ قصة فيها عبرة، كما أنها دليل على إعطاء ميثاق وعهد؛ إذ يقول: واذكروا إذ قلنا للجبل من مكانه، وجعلناه فوق رؤوسهم كأنه منقلة ﴿وَإِذْ نَشَفْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾.

وقد قلنا أنه سيقط على رؤوسهم، فانتابهم اضطراب شديد وفرح: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾. وفي تلك الحال قلنا لهم: خذوا ما أطيناكم من الأحكام بقوة وجديّة ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. واذكروا ما جاء فيه حتى تَشْفُوا، وخافوا من العقاب الإلهي، واصلوا بما أخذناه في منكم من المواعظ ﴿وَإِذْ كُفِرُوا خَابِيَهُ لَقَلَّكُمْ تَشْفُونَ﴾.

إن هذه الآية نفسها جاءت - طبعًا بفارق بسيط - في الآية (٦٣) من سورة البقرة، وكما قلنا هناك، فإن هذه القصّة وقعت - حسب ما قال المفسر المعروف العلامة الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن زَيْد - عندما صاد موسى ﷺ من جبل الطور، واصطحب معه أحكام التوراة، فمتدا عرض على قومه الواجبات والوظائف وأحكام الحلال والحرام، تصوّروا أنّ العمل بكلّ هذه الوظائف أمر مشكل، ولهذا بنوا على الخالفة والعصيان.

البزومبوي: الشق: قلع الشيء من موضع. والجبل: هو الطور الذي سمع موسى كلام الله وأعطى الألواح وهو عليه، أو جبل من جبال فلسطين، أو الجبل الذي كان عند بيت المقدس، و(فَوْقَهُمْ) منصوب بـ(نَشَفْنَا) باعتبار تضمينه لمعنى رفعنا، كأنه قيل: رفعنا الجبل فوق بني إسرائيل بنشقّه وقَلَعه من مكانه. فالتق من مقدمات الرفع، وسبب لمصولة. (٣: ٢٧١) نحوه الألويسي.

رشيد رضا: لمّا حكمة ختم قصّة بني إسرائيل بهذه الآية هنا، للتذكير بيده حالهم في إنزال الكتاب عليهم، في إثبات عاقبة أمرهم، في مخالفتهم والخروج عنه. فإنّ في تلك الفاتحة إشارة إلى هذه الحادثة، وذلك عند ما أخذ عليهم الميثاق ليأخذنّ بالشريعة بقوة وعزم، فإنّه رفع فوقهم الطور، وأوقع في قلوبهم الرعب من خوف وقوعه بهم، فلا غرو إذا آل أمرهم إلى ترك العمل به بعد طول الأمد، وقساوة القلوب، والأنس بالذنوب. [ثم قال نحو ما تقدّم عن ابن عباس] (٩: ٣٨٥)

نحو المراغي. عبد الكريم الخطيب: هذا من نعم الله التي يتلى بها عباده، وقد ابتلى الله هؤلاء القوم بأن جعل لهم من الجبل وقاية من الشمس والمطر والعواصف وغيرها، فهو سكن لم يعملوا له، ولم يجهدوا أنفسهم فيه، بل أقامه الله لهم، لقد تنقه الله فوقهم، أي شقّه، ورفعهم. ومن قدرة الله أن رفع هذا الجبل فوقهم كأنه سقف، ولكن بنير عند حتى لقد قلنا أنه واقع بهم. (٥: ٥١٣)

من مكانه بأمر الله، واستقر فوق رؤوسهم كَمَظَلَّةٍ.
 وذهب آخرون إلى أنه اهتزّ الجبل اهتزازاً شديداً
 بفعل زلزال شديد؛ بحيث شاهد الناس الذين كانوا
 يسكنون في سفح الجبل ظلّ قسم منه فوق رؤوسهم.
 ويحتمل أيضاً أن قطعة من الجبل انتزعت من مكانها
 واستقرت فوق رؤوسهم لحظة واحدة، ثم مرّت
 وسقطت في جانب آخر.
 ولاشك في أن هذا الأمر كان أمراً خارقاً للعادة،
 وليس حدثاً طبيعياً عادياً.

والموضوع الآخر الذي يجيب الانتباه إليه هو أنه
 لا يقول: إن الجبل صار مَظَلَّةً فوق رؤوسهم بل قال:
 ﴿كَأَنَّهُ مَظَلَّةٌ﴾.

وهذا التعبير إنّما هو لأجل أن المَظَلَّةَ تُصَبَّ على
 رؤوس الأشخاص لإظهار الحب، وال حال أنّ هذه
 العملية - المذكورة في الآية الحاضرة - كانت من باب
 التهديد. أو لأجل أن المَظَلَّةَ شيء مستقر وثابت، ولكن
 استقرار الجبل فوق رؤوسهم كان أمراً يتسم بعدم
 الثبات والدوام.

قلنا: مع هذه الآية نَحْمُ الآيات المتعلقة بقصة بني
 إسرائيل والحوادث المختلفة، والذكرات المحكوة والمُتَرَّة
 التي وقعت في حياتهم في هذه السورة.
 وهذه القصة هي آخر قصص الأنبياء التي جاءت في
 هذه السورة.

وذكر هذه القصة في نهاية قصصهم في هذه السورة
 - مع أنها ليست آخر حدث من الحوادث المرتبطة بهذه
 الجماعة - لعله لأجل أن الهدف من جميع هذه القصص

في هذا الوقت نفسه، رُفِعَت قطعة عظيمة من الجبل
 فوق رؤوسهم؛ بحيث وقعوا في اضطراب ووحشة
 كبيرة، فالتجأوا إلى موسى عليه السلام وطلبوا منه رفع هذا
 الخطر والخوف عنهم، فقال لهم موسى عليه السلام في تلك
 الحالة: لو كنتم تمشيرون بأن تكونوا أوفياء هذه الأحكام
 لزال عنكم هذا الخطر، فسلموا وتهدوا وسجدوا لله
 تعالى، فزال عنهم الخطر، وأزاحت الصخرة من فوق
 رؤوسهم.

أسئلة وأجوبة:

وهنا سؤالان يطرحان نفسيهما، وقد أشرنا إليهما في
 سورة البقرة وإلى جوابيهما، ونذكر مختصراً عنها هنا
 بالمناسبة.

السؤال الأول: ألم يكن لأخذ الميثاق في هذه الحالة
 صفة الإيجاب؟

والجواب: لا شك أنه كانت تحكم في ذلك الظرف
 حالة من الإيجاب والاضطرار، ولكن من المسلّم أنه لما
 ارتفع وزال الخطر فيما بعد، كان بإمكانهم مواصلة هذا
 السلوك باختيارهم.

هذا مضافاً إلى أنه لا معنى للإيجاب في مجال
 الاعتقاد، ولكن لا مانع من أن يُجبرَ الناس في مجال
 البرامج العملية الضامنة لحيرهم وسعادتهم وصلاحهم.
 فهل من العيب لو أننا أجبرنا شخصاً على ترك عادة
 شريرة، أو سلوك طريق آمن من الخطر، وعدم سلوك
 طريق مخوف بالأخطار.

السؤال الثاني: كيف رُفِعَ الجبل فوق رؤوسهم؟
 الجواب: ذهب بعض المفسرين إلى أن الجبل قُلِعَ

الزجاج: يروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا بيوتاً في الجبال، لأن السقوف والأبنية كانت تُبلى قبل فناء أعمارهم. (٢: ٣٥٠)

الماوردي: لتكون مساكنهم في الشتاء، لأنها أحسن وأبقى وأدفاً، فكانوا طوال الأمان طوال الأعمار. (٢: ٢٣٦)

الطوسي: فالجبل جسم عظيم بعيد الأقطار عال في السماء. ويقال: جبل الإنسان على كذا، أي طبع عليه، لأنه ثبت عليه لصوق الجبل. والمعنى أنهم كانوا ينحتون في الجبال سُقُوفاً كالأبنية، فلا ينهدم ولا يخرب. (٤: ٤٨١)

الواحدي: كانوا يُشَقِّقون بيوتاً في الجبال يسكنونها شتاءً، ويسكنون القصور بالصيف. (٢: ٣٨٣)

نحوه البكري (٢: ٢٠٧)، والشريبي (١: ٤٨٩).

أبو الشعور: أي الصخور. (٢: ٥١١)

مثله البروسوي. (٣: ١٩١)

القاسمي: أي لتسكنوها أيام الشتاء. و(الجبال) إما مفعول ثانٍ بتضمين «نَحَت» معنى «اتخذ»، أو منصوب بزع الحافض، على ما جاء في الآية الأخرى. (٤٧: ٢٧٨)

مكارم الشيرازي: إن الذي يبدو للنظر من هذا التعبير، هو أنهم كانوا يغيرون مكان سكناهم في الصيف والشتاء، ففي فصل الربيع والصيف كانوا يعمدون إلى الزراعة والرعي في السهول الواسعة والمحيصة. ولهذا كانت عندهم قصور جميلة في السهول، وعند حلول فصل البرد والانهاء من الحصاد يسكنون في بيوت قوية منحوتة في قلب الصخور، وفي أماكن آمنة تحفظهم

هو التمسك بآيات الله والعمل بالمواثيق، ولأجل الوصول إلى التقوى الذي جاء بيانه في هذه الآية والآية السابقة.

يعني أن رسالة موسى ﷺ وسائر الأنبياء وأعمالهم ومواجهاتهم المستمرة والصعبة، وما لقوا من مصاب ومتاعب وشدائد مضيئة، كانت لأجل أن يطلبوا أوامر الله، وينفذوا مبادئ الحق والعدالة والظهر والتقوى، في المجتمعات البشرية بشكل كامل. (٥: ٢٥٩)

[لاحظ «ن ت ق»]

جِبَالُ

وَلَقَدْ أَنشَأْنَا دَاوُدَ مِثًا فَضَلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِ مَعَهُ وَالطُّيْرَ
وَأَنشَأْ لَهُ الْهَدْيَةَ. (سبأ: ١٠)

لاحظ «أوب» (أوي).

الجِبَالِ

١- وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ تَحْتِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخِفُّونَ مِنْ سُبُوحِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بَيُوتًا...

الأعراف: ٧٤

ابن عباس: كانوا يبنون القصور بكل موضع، وينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها شتاءً، لتكون مساكنهم في الشتاء أحسن وأدفاً. (الطبرسي ٢: ٤٤٠)

الشدي: يتقون بيوتهم في الجبال. (٢٦٦)

الطبرسي: ذكر أنهم كانوا يتقون الصخر مساكن. (٨: ٢٣١)

من خطر السيول والظوفان والحوادث. (٥: ٩٢)

الجبال في الدنيا

١- أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا.

التبأ: ٦، ٧

الطَّبْرِيُّ: والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم.

(٣: ٣٠)

نحو: التَّسْنِي (٤: ٣٢٥)، والطَّبْرِي (٥: ٤٢١).

الطُّوسِي: أي وجعلنا الجبال أوتاداً للأرض لئلا

تميد بهم.

فالجبال جمع جبل، وهو بظله وثقله يبلغ أن يكون

ممسكاً للأرض عن أن تميد بثقله، فعلى ذلك دبره الله،

وذكر العباد به وما فيه من العبرة بظلمة من يقدر عليه.

والوند: المسار إلا أنه أغلظ منه، لذلك يقال:

مسامير العناء إذا دقت كالمسار من الحديد في القوة

والدقة، ولو غلظت صارت أوتاداً، فكذلك وُصفت

الجبال بأنها أوتاد للأرض، إذ جعلت بظلفها ممسكة لها

عن أن تميد بأهلها. (١٠: ٢٣٩)

المُتَيْبِدِي: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ﴾ للأرض لولاها

ارتجبت بالزلزال والرياح. (١٠: ٣٥١)

ابن عَطِيَّة: وشبه (الجبال) بالأوتاد) لأنها

تسلك وتنقل، وتمنع الأرض أن تميد. (٥: ٤٢٤)

القُـسْرُطُبِيُّ: أي لنسكن ولا نتكفأ ولا تميل

بأهلها. (١٦: ١٧١)

أَبُو حَتَّان: أي تبثنا الأرض بالجبال كما تبث البيت

بالأوتاد. (٨: ٤١١)

ابن كثير: أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها، وبثها
وقررها، حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها.

(٧: ١٩٦)

الشَّرِيبِيُّ: أي أَلَسِي تعرفون شدتها وعظمتها

﴿أَوْتَادًا﴾ أي تُسبِت بها الأرض كما تُسبِت الخيام

بالأوتاد. والاستفهام للتقرير، فيستدل بذلك على

قدرته على جميع الممكنات. (٤: ٤٦٩)

البُرُوسِيُّ: المراد بجعلها أوتاداً لها: إرساؤها بها

لنسكن ولا تميد بأهلها، إذ كانت تميد على الماء، كما يُرسى

البيت بالأوتاد. فهو من باب التشبيه البليغ، جمع وَتَد،

وهو ما يوتد ويحكم به المستزلزल المستحرك من اللوح

وغيره.

فإن قيل: أليست إرادة الله وقدرته كافيتين في

التثبيت؟ أجب بأنه نعم إلا أنه مسبب الأسباب، وذلك

من كمال القدرة.

قال بعضهم: الأوتاد على الحقيقة: سادات الأولياء

وخواص الأصفياء، فإنهم جبال ثابتة، وبهم ثبتت أرض

الوجود. (١٠: ٢٩٤)

الآلُوسِيُّ: [نحو ما تقدم عن البُرُوسِيِّ في جمل

الجبال أوتاداً، ثم أدام الكلام لبيان خلق الجبال في

الروايات وفي الفلسفة]

القاسمي: أي للأرض، أي أرسيناها بالجبال كما

يُرسى البيت بالأوتاد، حتى لا تميد بأهلها، فيكفل كون

الأرض مهاداً بسبب ذلك. قال الإمام مفتي مصر: وإنما

كانت الجبال أوتاداً، لأنَّ بيرونها في الأرض كبروز

الأوتاد المغروزة فيها، ولأنَّها في تثبيت الأرض ومنعها

تشكّل الجبال آية ربّانية زاخرة بالعلماء، وتؤدّي وظائف كثيرة، منها: تحفظ القشرة الأرضيّة من الانهيار، أمام الضّغط الحاصل من الموادّ المذابة داخلها؛ وذلك لعمق تجذّرها الجبّاط داخل الأرض. وتحافظ عليها من تأثيرات جاذبيّة القمر، في عمليّة المدّ والجزر. تشكّل جدران الجبال سدّاً منيعاً للتّقليل من آثار الرّياح الشّديدة والعواصف المدمّرة. تهيّئ للإنسان الملاجئ الهادئة في مغاراتها وبين تعرّجاتها، لتأمنه من ضربات العواصف المهلّكة. تقوم بخزن المياه وادّخار أنواع المعادن الثّمينة.

بالإضافة لكلّ ما ذكر، فتوزّع الجبال على الأرض بالشّكل الموجود، وتعامل مع حركة الأرض يعمل على تنظيم حركة الهواء المحيط بالكرة الأرضيّة بالشّكل الّذي يؤثّر بإيجاب على الحياة فوق الأرض. وفي هذا المجال، يقول العلماء: لو كان سطح الكرة الأرضيّة مستويّاً كلّهُ، لتولّدت عواصف شديدة لا يمكن التّسيّطرة عليها، جرّاء حركة الأرض وسكون الغلاف الجوّي، ولفقدت الأرض صلاحيتها بتوفير مستلزمات السكن للإنسان، لأنّ استمرار الاحتكاك الحاصل من حركة الأرض الدّافئة وسكون الغلاف الجوّي، سيؤدّي بلاشكّ إلى زيادة حرارة القشرة الأرضيّة، ممّا يجعل الأرض غير صالحة لسكنى الإنسان. (١٩: ٢٨٨)

فضل الله: لأنّها تثبّت الأرض في الميّدان، تماماً، كما تثبّت الأوتاد النّخيمه وتحفظ توازنها. وتحول بالتّالي دون سقوطها متهاكّة على الأرض.

ولكن كيف يتمّ ذلك؟ فهل أنّها - كما يقال - تعادل

من الميّدان والاضطراب، كالأوتاد في حفظ النّخيمه من مثل ذلك، كأنّ أقطار الأرض قد شدّت إليها. ولولا الجبال لكانت الأرض دائماً الاضطراب، بما في جوفها من الموادّ الدّافئة الحيّشان. (١٧: ٢٣)

نحوه المرافعي. وجعل سبحانه الجبال كالأوتاد تثبيتاً لها، فهي في الأرض كالعظام لجسم الإنسان، وهي الّتي تحفظ الماء في باطنها وتخزنه، فيجري يتابع، وهي الّتي تصدّ الرّياح لحمايات السّحاب فتحجزّه، فيعطر على تلك البطاح الّتي أمام الجبال. (٨: ٢٥)

الطّباطباتي: الأوتاد: جمع وتدّ، وهو المسار إلّا أنّه أغلظ منه، كما في «الجمع». ولعلّ عدّ الجبال أوتاداً مينيّ على أنّ عدّة جبال الأرض من عمل البركانات يشقّ الأرض، فتخرج منه موادّ أرضيّة مذابة تستصب على فم الثّقّة، متراكمة كهنيّة الوثد المنسوب على الأرض، تسكن به فورة البركان الّذي تحته، فيرتفع به ما في الأرض من الاضطراب والميّدان.

وعن بعضهم: أنّ المراد بجعل الجبال أوتاداً انتظام معاش أهل الأرض بما أودع فيها من المنافع، ولولاها لمادت الأرض بهم، أي لما تهيّأت لانتفاعهم. وفيه أنّه صُرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة موجبة.

(٢٠: ١٦٢)

مكارم التّفسيرانيّ: ولكي لا ينسي الاستغراق في الحديث عن استواء الأرض وسهولتها، فقد جاءت الآية التّالية لتبيّن أهميّة الجبال ودورها المهمّ في حياة الإنسان «والجبال أوتاداً».

بين نسب الأغوار في البحار ونسب المرتفعات في الجبال؟
أو أنها تعادل بين التقلّصات الجوفية للأرض
والتقلّصات السطحية؟ أو أنها تنقل الأرض في نقاط
معينة فلاتميد بفعل الزلازل والبراكين والاهتزازات
الجوفية؟ أو لشيء آخر مما غاب عنا علمه؟

وقد يكون التعبير من جهة الصورة الظاهرة التي
توحي بها صورة الجبال في ثقلها البارز، الذي يحفظ
التوازن في طبيعته الشكلية، كما يعبر عن الشمس بأنها
سراج، وعن القمر بأنه نور.

٢- وَالْجِبَالُ أَرْسِيَّتَا. التازعات: ٣٢
قَتَادَةُ: أي أنبتها، لامتداد أهلها. (الطبري: ٤٧: ٣٠)
الطبري: والجبال أنبتها فيها. وفي الكلام متروك
استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فيها؛ وذلك
أن معنى الكلام: والجبال أرساها فيها. (٤٧: ٣٠)
الطوسي: أي وأنبت الجبال في الأرض.
والإرساء: الإنبات بالقتل، فالتسقية ترسو، أي تنبت
بتقلها فلا تنزل عن مكانها، وربما أرسى البحر بما يطرح
لها. فأما الجبال فأنبت أوتاد الأرض، وأرسيت بتقلها.
وفي جعلها على الصفة التي هي عليها أعظم المعبرة.

(١٠: ٢٦١)
الرَّسَاقِي: وإرساء الجبال وإنباتها أوتادًا لها
حتى تستقر ويستقر عليها. (٤: ٢١٥)
الطبري: أي أنبتها في أوساط الأرض.
(٥: ٤٣٤)

الْقَرْطَبِي: قراءة العاتة (وَالْجِبَالُ) بالنصب، أي

وأرسي الجبال، (أَرْسِيَّتَا) يعني أنبتها فيها أوتادًا لها.
وقرأ الحسن وعمر بن ميمون وعمر بن عُبيد
ونصر بن عاصم (وَالْجِبَالُ) بالرفع على الابتداء.

ويقال: هَذَا دَخَلَ حَرْفَ الْمَطْفِ عَلَى (أَخْرَجَ)
فيقال: إِنَّهُ هَالِكٌ بِإِضْهَارٍ قَدْ، كقوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ
شُدُورُهُمْ﴾ النساء: ٩٠. (١٩: ٢٠٣)

الْبَيْضَاوِيُّ: أنبتها، وقرئ (وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ)
بالرفع على الابتداء، وهو مرجوح لأن المطف على
فعلية ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِتَنْقَابَكُمْ﴾ عبس: ٣٢.

(٢: ٥٣٨)

التفسير: أنبتها، وانصباب «الأرض والجبال»
بإضمار «دحا» و«أرسي» على شريطة التفسير.

(٤: ٣٣١)

ابن كثير: أي قررها وأنبتها وأكدها في أماكنها،
وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقه الرحيم. (٧: ٢٠٩)
الشريبي: أي أنبتها على وجه الأرض لتسكن.
وظهير قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾. (٤: ٤٨١)
أبو السعود: (وَالْجِبَالُ) منصوب بمضمر يفسره
(أَرْسِيَّتَا) أي أنبتها وأنبت بها الأرض أن تميد بأهلها.
وهذا تحقيق للحق وتبنيه على أن الرُسُو المنسوب إليها
في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالزواشي
ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بإرسائه عز وجل،
ولولاه لما ثبت في أنفسها فضلاً عن إنباتها للأرض،
وقرئ (وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) بالرفع على الابتداء.

(٦: ٣٧١)

نحوه الْبُرُوسِيُّ (١٠: ٣٢٥)، والاكوسي (٣٠: ٣٤).

مثله الطَّبْرَسِيّ. (٤٨:٥)

الوَاحِدِيّ: على الأرض مرساة لاتزول. (٤٧٦:٤)

مثله الْبَيْوِيّ. (٢٤٦:٥)

الْمَيْدِيّ: على تفاوت خلقتها ومثانة أركانها، كيف نصبها الله على هذه الأرض لينها بها عن الحركة والاضطراب. (٤٧٢:١٠)

الْمُتَخَشَّرِيّ: نصباً ثابتاً، فهي راسخة لاثبات ولا تزول. (٢٤٧:٤)

مثله الْفَخْرُ الرَّازِيّ (١٥٨:٣٦)، وَالنَّسِيّ (٤:٣٥٢)، وَالْحَازِن (٢٠٠:٧).

ابن عَطِيَّة: مناه: أُثْبِتَ قَائِمَةً فِي الْمَوَاءِ لَا تَنْطَح. (٤٧٥:٥)

الْقُرْطُبِيّ: أي كيف نصبت على الأرض، بحيث لاتزول، وذلك أَنَّ الْأَرْضَ لَمَّا دُمِجَتْ مَادَتِ، فَأَرَسَاهَا بِالْجِبَالِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ زَوَاجِينَ أَنْ تَجِدَهُمْ﴾ الْآيَةُ: ٣١. (٣٦:٢٠)

ابن كثير: أي جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لتلاّ تيمد الأرض بأهلها، وجعل فيها ما جمل من المنافع والمعادن. (٢٧٧:٧)

أَبُو الشُّعُودِ: (وَالْإِلَ الْسَّجَالِ) الَّتِي يَنْزِلُونَ فِي أَقْطَارِهَا وَيَسْتَفْعُونَ بِبَآئِهَا وَأَسْجَارِهَا، ﴿كَتَبَ نَبِيٌّ﴾ نَصَبًا رَصِيًّا، فِي رَاسِخَةٍ لَا تَمِيلُ وَلَا تَمِيدُ. (٤٢١:٦) نَحْوُهُ الْبُرُوسِيّ (١٠:٤١٧)، وَالْأَكُوسِيّ (٣٠:١١٧).

الْقُنْطَاوِيّ: لطيفة في عجائب الجبال

الْقَرَاغِيّ: أي وثبتت الجبال في أماكنها وجعلها كالأوتاد، لتلاّ تيمد بأهلها وتضطرب بهم. (٣٢:٣٠)

نَحْوُهُ مُحَمَّدُ جَوَادُ مَنَشِيهِ. (٥١٠:٧)

الْعُطْبَانِيّ: أي أثبتنا على الأرض لتلاّ تيمد بكم، وادخر فيها المياه والمعادن كما يُنْهَى عَنْهُ سَائِرُ كَلَامِهِ تَعَالَى. (١٩١:٢٠)

مَكَارِمُ الشَّيْوَازِيّ: ثُمَّ يَنْتَقِلُ الْبَيَانُ الْقَرَّائِي إِلَى (الْجِبَالِ)، حَيْثُ ثَمَّةُ عَوَامِلَ تَلْبَسُ الدَّوْرَ الْمُؤَثِّرَ فِي اسْتِقْرَارِ وَسُكُونِ الْأَرْضِ، مِثْلُ: الْفِيضَانَاتِ، الْعَوَاصِفِ الْعَاتِيَةِ، الْمَدِّ وَالْمِزْرِ، الزَّلَازِلِ... فَكُلُّ هَذِهِ الْعَوَامِلِ تَعْمَلُ عَلَى خُلُغَةِ اسْتِقْرَارِ الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (الْجِبَالِ) تَنْبِيْثًا لِلْأَرْضِ، وَلِهَذَا يَقُولُ الْآيَةُ: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَابًا﴾.

(٣٤٧:١٩)

٣- وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. النَّاسِيَّةُ: ١٩ قَتَادَةُ: تَصَاعَدُ إِلَى الْجِبَالِ الصَّيْخُودِ عَامَةً يَوْمَكَ، فَإِذَا أَفْضَيْتَ إِلَى أَعْلَاهُ، أَفْضَيْتَ إِلَى عَيُونِ مُضْجِرَةٍ، وَمَغَارٍ مَتَهَذَّةٍ، ثُمَّ لَمْ تَحْرَمْهُ الْأَيْدِي وَلَمْ تَعْمَلْهُ، نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّهُ الْأَجَلِ. (الطَّبْرَسِيّ ٣٠:١٦٥)

الطَّبْرَسِيّ: وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ أُقِيمَتْ مُنْتَصِبَةً لَا تَنْسَقُ، فَتَسْبُطُ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهَا جَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ مُنْتَصِبَةً جَامِدَةً، لَا تَبْرَحُ مَكَانَهَا، وَلَا تَزُولُ عَنْ مَوْضِعِهَا. (١٦٥:٣٠)

الطُّوسِيّ: أي ويُنْكَرُونَ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى الْجِبَالِ أَوْتَادَ الْأَرْضِ وَمَسَكَةً لَهَا، وَلَوْلَاهَا لَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَلِمَاصَحَ مِنَ الْخَلْقِ التَّصَرَّفَ عَلَيْهَا. (٣٣٧:١٠)

أوصاف الجبال

إنَّ الجبال على اختلاف أشكالها.. وتباين ضروبها، وتتنوع أوصافها، وتفتن أحجارها تنقسم إلى أربعة أقسام: صخرية لا تنبت شيئاً، وجبال ذات نبات، وجبال نارية، وجبال لطيفة الهواء. وهالك بيانها:

١- فأما الجبال الصخرية فتل جبال تهامة، فما هي إلاَّ صخور صلبة. وأحجار صلبة. لا ينبت عليها إلاَّ يسير.

٢- وأما الجبال ذات النبات، فهي صخور رخوة. وطين لين، وتراب ورمل، وحصىات ملس متلبّدت، ساف فوق ساف، متماسك الأجزاء، كثيرة النبات والأشجار والمحشائش مثل جبال فلسطين وجبال لكاه وطبرستان وما أشبهها.

٣- وأما جبال النار، فإنه يرى في أعاليها ليلاً ونهاراً دخان معتكر ساطع في الهواء، مرتفع في الجو وذلك من النار التي في باطن الأرض، وما الأرض إلاَّ كرة نارية لها قشرة مثل قشرة البيض بالنسبة للبيضة، وتقدّم تحقيق هذا في «آل عمران» وفي غيرها فارجع إليه إن شئت.

٤- وأما الجبال ذات الهواء اللطيف فهي قسبان: قسم تهبّ فيه الرياح اللينة في بعض الأوقات. وقسم تهبّ فيه تلك الرياح في جميع الأوقات. فأما الذي تهبّ فيه الرّيح اللينة في بعض الأوقات فتل جبل الثلج الذي بدمشق. والذي ببلاد (داور) من جبال «غور» وجبل «دماوند» فهذه لما كان الثلج فوقها فإنه عند ذوبانه يتحلل إلى أجزاء بخارية لطيفة فيرتفع في الجو ويلطف الهواء فتهبّ نهباً لطيفة تشرح الصدور، ويدفع ذلك

البخار الهواء إلى الجهات الخمس. فتلك الرياح لا تكون إلاَّ عند ذوبان الثلج، فإذا لم يكن ذلك كانت رياحها على حسب حال جوها ومناخها، فالرياح متقلّبات ليست دائماً معتدلات. وأما القسم الذي تهبّ فيه الرياح اللينة في جميع الأوقات فتل جبال [إباميان] في بلاد الشرق ولا حاجة إلى إطالة الأسباب في ذلك.

هذا ولأذكر لك آراء العلماء في هذا الزمان في أمر الجبال لينشرح صدرك وتقرّ عينك بمناظر الجبال وبمحاسن الجبال، ولأجعل لك ذلك في خمسة فصول: الأول: كيف كان تكوين الجبال. الثاني: كيف يكون زواها. الثالث: وصف الجبال ذات الأشجار والثلج. والرابع: وصف جبال النار. الخامس: اعتبار العقلاء بعجائب الجبال. وهالك بيانها:

الفصل الأول: في تكوين الجبال عند علماء

المصر المحاضر

يقولون: إنَّ الأرض أشبه بتفاحة تجعدت قشرتها لتقارب أجزائها الداخلية، والأرض لما كانت كرة متقعدة الداخل ازدادات برودة قشرتها على توالي الأزمان، ويتوالي البرودة تنزل القشرة فيحصل خسف وزلزلة وأهوال فيرتفع بعض الأماكن وتنخفض أماكن أخرى. ففي الجبال الآن ما هو في دور الطفولة، ومنها ما بلغ أشده، ومنها ما أصبح كشيخ، ومنها ما أخذ في الفناء.

فالأول كجبال «الاندیس» بأوروبا، فهي حديثة العهد، فهي لا تزال ترتفع وتعلو كأنها جسم حيوان، وهكذا جبال الأناب.

والثاني كجبال «البرنيس» بأوروبا.

التين حتى تصير جبال سويسرا إلى ماصارت إليه جبال ولس، وذلك بسبب هذه العوامل على حسب ما يقوله «اللورد أفيري» انتهى الفصل الثاني.

الفصل الثالث: وصف الجبال ذات التبات

والأشجار والتلج

هناك وصفها من مقال «اللورد أفيري» إذ وصف جبال الألب بما معناه: إنها متدفقة الأنهار، زاحية الثلوج، بأتلف ذراها والسحاب، ومن أجل مناظرها بهجة، وأحسنها شكلاً، وأبهها رونقاً، وأبدعها حسناً، وأضرعها للصدر، وأحلاها للصدى، وأكثرها تشويقاً للحكمة، الجلد الأزرق، والآريس الأخضر، والصخر الأغبر والأحمر، والصنوبر المتعاقب الأعصان، وبهجة جمال الزان، والأنهار الجارية، والمروج الزاهية، والأشجار الباسقة، والحيوانات السانحة، والأعشاب الكاسية، والأزهار الجميلة المختلفة الألوان البديعة الأشكال، المدهشة الألباب، المرقية الأذهان، التأسجة للجلج ثوباً كوكبياً، وهناك البراة والصقور فوق رؤوس الألب طائرات والتنجاب الجبلي يجري حذراً خائفاً، ذلك بعض أوصاف جبال الألب.

وصف جبال سويسرا

إن حذ ارتقاء الثلج في «سويسرا» على ارتفاع ٨٥٠٠ قدم أو ٩٠٠٠ قدم، ثم يجتمع الثلج فوق ذلك ويتراكم، فتراه في مبدأ أمره أنهاراً عظيمة هائلة تنحدر على الصخور من جوانب الجبال في كل ناحية، فما أسرع أن تجمد في أماكنها وتقف حيث هي إذا ضربها البرد فخرت صريعة، وما أجملها للناظرين، وما أبدعها ذكرى

والثالث كجبل المقطم بمصر، فهو الآن في دور الشيخوخة، فلقد دلت الآثار على أنه كان شامخ الذرى. فيه الحيوانات والتباتات التي بقيت آثارها متحجرة، ثم هو الآن شيخ كبرت سنه، ومثل جبال «الفوزجيش».

والرابع كجبال «وايس» بأوروبا، فالجبال إذن كالحيون وكالتبات تبرز وتكبر ثم يبروها البلا.

ثم إن من الجبال ما كان في قديم الزمان جزراً مرجانية بارزة في البحار ثم أخذ ينمو، كما أن منها ماصار نسياً منسياً كما في سلسلة جبال كانت قبل جبال الألب الحديثة العهد. انتهى الفصل الأول.

الفصل الثاني: كيف تزول الجبال

قد تبين لك السبب في زوال الجبال من هذا المقال، ونريد عليه أن الجبال إذا شغخت بأنسها واستكبرت وأظهرت الخيلاء أخذت العوامل الطبيعية تحصد من شوكتها وتلين من حذتها والحوادث الظاهرية تحط من عظمتها، فالشمس تحرقها والصقيع والمطر والبرد والماء والهواء والتلج والمجليد، وكل نبات نبت وكل دودة دبّت، وحيوان شبّ، كل هذه عوامل متحدرات على تحطيم أحجارها، وتكسير صخورها، وإذلال عظمتها. وما أعظم قوة الماء، وما أشدها على الجبال، فهي التي تذيب الثلوج، وتحملها إلى سيول جارفات ناقشات للجبال نقش الصانع للحلي، وناحات الصخور كما ينحت الصانع التماثيل.

وأن جبال «وايس» التي مر ذكرها وأصلها قد أفتتها العوامل الطبيعية، ولم يبق منها إلا أطلالها البالية، وآثارها القليلة، ولن تمضي عشرات الألوف من

من جوانبها أنهار نارية وفي تلك الأنهار النارية تنحدر الحمم هناك من القوهة بسرعة عظيمة. وذلك لأنها مواد مصهورة ذائبة ثم بعد ذلك تجمد قليلاً قليلاً فتتكون قشرة جامدة والحمم الجديدة تجري من تحتها. وقد تنفجر القشرة ويسيل منها فروع بحار صغيرة. وأنهار الحمم قد تبلغ سبعين ميلاً.

فهذا وصف وجيز لجبال النار لتطالع به على عجائب هذه الدنيا وبهجتها، وكيف جعل الله قم الجبال جامعة بين النار الحامية والحمم المستعدة والأنهار النارية المسرعة، وأن من أنهارها ما يجري تحت ما تجمد من الحمم، كما ترى الماء في النهر ينطيه الثلج وهو لا يزال جارياً تحته، وكيف جرى من الجبال ماء ونار وعلت عليها الأعشاب والأشجار والطّيور والحايوان. أو أصبحت جرداء لا تثبت ولا تزدهي.

هذا مبادئ لما يقصد الله في قوله: ﴿وَالْيَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ومن العار على الأمة الإسلامية ألا يكون فيها لكل علم من هذه العلوم جماعة يفيضون على الأمة من علومهم أحاديث لأمر ربهم. انتهى الفصل الرابع.

الفصل الخامس: اعتبار العقلاء بالجبال

هذا بعض وصف الجبال في العالم الإنساني، نار وتلج وتجر وحيوان وهواء وماء ونعيم وعذاب وحمم مصهورات. وأنهار جاريات. وعجائب مدهشات. ذلك مظهر الجبال. وكما فيها من كنوز ذهبية ومواد معدنية وبدائع حكيمة تبهج الناظرين وتسر المفكرين. هذه هي الجبال التي نصبها الله في الأرض مرقاة

للمفكرين، إن الناظر ليدحض إذ يراها ثابتة في أماكنها، جامدة في مجاريها فوق الصخور، وفي داخل الأخاديد، وعلى الزواوي، وفي كل مكان، انتهى الفصل الثالث.

الفصل الرابع: في وصف جبال النار

البراكين تبلغ ما بين ٢٢٣ جبلاً وثلثائة جبل، فمنها دائمة التوران، وهذه قليلة، والتي تنور بين آونة وأخرى، والتي هي جامدة ساكنة دائماً، ومن شاهد فوهة جبل النار «البركان» المسمى «فزوف» وهو نائر فإنه يشاهد الحمم تسيل على جوانبه، والمجارية الضخمة تغدق في جوفه. وهناك جبل نار يسمى «كوتويا كسي» فقد نار عام ١٨٧٧ فكانت الحمم ترتفع تدريجياً وتتجمع في فوهته حتى إذا ملأها سالت من جميع جوانبها، فكان الناظر لها يرى مشهداً رهيباً رائئاً مهولاً. قالوا: وأكبر فوهة لبركان فوهة بركان «كيلويا» فقطرها ميلان، ومحيطها نحو سبعة أميال، وهي على ارتفاع أربعة آلاف قدم، وفي داخلها بحيرة هائلة فيها حمم ومواد مصهورة كثيرة، وهذه البحيرة تكون على عمق ٨٠٠ قدم عن شفة القوهة غالباً، وعمق البحيرة نحو ١٤٠٠ قدم، فإذا أظلم الليل انمكست تلك الأشعة المتطايرة من حمم تلك البحيرة العظيمة على القيوم فكسبتها لوناً قرمزيّاً قانيّاً بديع الجبال، حسن الأشكال قليل المثال. بعيد المثال، والحمم لاتزال تجتمع وترتفع في جوف الفوهة حتى تصل إلى الشفة. وهناك الهول المهول فتفوق تلك الحمم وتنحدر انحدار السيول الجارفات، أو تنفجر من الجوانب، فاظفر كيف تنفجر الأنهار من الجبال. ولكن إذا كانت الجبال نارية كما هنا، فإنها تنفجر

المقولنا. وسَلَّمْنَا لأَظْهَارَنَا. وعلَّمْنَا لارتقائنا. فلمعمرى
أَيْستوي الجاهل والحكيم. والآكسي والبليد. وهل
يستوي من وقف عقله في جمود. ونفسه في خمود.
ودهنه في لحدود. فأصبح لا يرى نور الجبال. ولا بهجة
الجبال. ولا عظمة الله الَّتِي تَحِلَّتْ لِلتَّاطَرِينَ. فإذا لم تتسع
بعلوم الجبال وعجائبها. والأرض وغرائبها. فمن أين
تتسع العقول. وكيف يعثر المسلمون على كنوز الأرض
إن لم يدرسوها. أم كيف يقرءونها وهم لم يروها؟ وكيف
يكون للمسلمين بعد اليوم بقاء والأرض وجبالها
مسخرات بأيدي أَسْمِ الفريجة. سَخَّرُوها بالعلم.
وأغضوها بالفهم. فإذا بقي المسلمون في الجهالة العمياء
مكتنفين بالمسائل الفقهية فليودعوا العالم راحلين.
وليشدوا الزكائب إلى ساحة الفناء. ولكِنِّي أقول: قد
اقترب الزمان وسيقوم في الأمة من يوقظونها ويذيعون
العلوم.

أفليس من العجب أن يذكر الله الجبال ويوتِّع الناس
قائلًا: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وَالْإِبْرَةُ
السَّاءُ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ وَالْإِبْرَةُ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾
الفاشية: ١٧، ١٩. فإليت شعري كيف يكتفي المسلمون
بنظر الجهلاء؟ إذن أي فرق بين العالم والجاهل. وإذا كان
النظر التطعني كافياً فحينئذ يكون نظر الخليل ﷺ في
التجم والقمر والشمس كنظر الجهلاء. فأين رفعت إذن.
كلًا. كلًا. فالتنظر في الجبال. والتنظر في السماء. والتنظر في
الأرض. والتنظر في الحيوان نظر حكمة وعلم لأمرين:
اتِّسَاعَ العقول حتَّى تعرف الخالق معرفة أتمَّ والانتفاع
بتلك المخلوقات. وكلَّمَا قَلَّ العلم بهذه الأشياء قلَّ

ظرة في الجبال أيضًا

قال بعض العلماء في عصرنا: الأرض كانت في رأي
العلماء قطعة متصلة بالشمس أو جزء منها. يدرك على
ذلك أنَّ جميع العناصر الموجودة بالشمس موجودة كلها
بالأرض. وهذا يمكن اثباته بتحليل الطيف الشمسي
لضوء الشمس. فإنَّ أكثر موادَّ الشمس في حالة غازية:
فإذا قطعنا هذا الضوء «أي شاعته منه» بنشور من البلور
تحلل الضوء إلى جملة ألوان. ولكلِّ غاز طيف خاص،
وقد أمكن بذلك أن نعرف الموادَّ المكوِّنة منها الشمس،
ونتحقق من أنَّها نفس الموادَّ المكوِّنة منها الأرض.
والمتحق عليه أيضًا بين معظم العلماء أنَّ الأرض كانت
كتلة ملتهبة ثمَّ بردت بالتدريج فصارت غازاتها سوائل
ثمَّ جمد بعضها.

ومن المقول في هذه الحالة أن تتجه أُنْتَلِ الموادَّ إلى
المركز ويبقى أخفُّها على السطح، وإذا كان بخار الماء قد
برد حتَّى صار سائلًا وملاً محيطات العالم كما نراها الآن
فإنَّما يكون قد حدث هذا بالتدريج. وكانت البحار في
البدء عذبة لأنَّها تكوَّنت من الأمطار. ولكن لما تقادم
الهد وصارت الأمطار تقع على اليابسة ثمَّ تتعذر منها
أنهارًا إلى البحر أخذت هذه الأنهار تكتسح أسلاك

غوره يدفع باطن اليابسة إلى التثوء على نحو ما يحدث إذا صعدنا كرة من المعجين إذا ضغطنا على جزء منها فنغار تنأ جزء آخر يجاوره.

والجبال الماضرة يدلّ بعضها على أنها كانت يوماً ما مغمورة بماء البحر بدليل ما يوجد فيها من متحجرات الأصداف التي لا تعيش إلّا في المياه المملحة، فالأنهار هي أصل الجبال، والجبال هي أصل المصور الجليدية واختلاف مناخ البلدان في الأزمنة القديمة، وكيفيّة ذلك أنّ الجبل إذا ارتفع بلغ طبقة رقيقة من الهواء فتشتمّع منه حرارة الشمس، ولهذا نجد الحرّ في السهول، ونجد البرد بل الثلج أحياناً في الجبال، لأنّ الهواء إذا تكاثف في السهول، صار بمثابة الغطاء واللّحاف فيحفظ بذلك الحرارة. أمّا إذا رقيّ على الجبال فليس هناك إذن ما يمسك الحرارة، فإذا امتلأت البحار بما تحمله إليها الأنهار غارت قصورها فتتأثّر عندئذ الجبال، فإذا سقطت عليها الأمطار جمدت وصارت ثلجاً، ثمّ يأخذ الثلج في الانحدار على الجبال ويذهب أيضاً إلى البحر حاملاً معه شيئاً كثيراً من اليابسة، والجبال تتآكل وتتحات بانحدار الثلج حتّى تذهب قممها فلاحمد الأمطار عليها لأنها غير مرتفعة، وهنا تأخذ السيول في جرف الجبال فيزيد تحاسنها ويسرع هذا في إنتقال قعر البحار، وارتفاع الجبال وتحاسنها كلاهما يؤدي إلى تغيّر المناخ وإلى زيادة مياه البحر أو نقصها، فإذا كانت الجبال مرتفعة حدث ما يسمى «عصرًا جليديًا» فتشتدّ البرودة وتنقص مياه البحار لأنّ المطر الذي تتكوّن سحبه من بخار مياه المحيطات يقع على هذه الجبال فيجمد ولا ينزل إلى البحر

اليابسة وتنزل بها إلى البحار، ثمّ تعود مياه البحار إلى التبخر فيبقى الملح بها، وتزداد كمّيته بذلك عامًا وراء عام.

ومما يدلّ على ذلك أنّ البحيرات المنقطعة والتي يقلّ نزول المطر فيها مثل البحر الميت في فلسطين، والبحر الأحمر أكثر ملوحة من المحيطات الكبيرة، فالماء يتبخّر من هذين البحرين كثيرًا لوقوعهما في منطقة دافئة ويقلّ نزول المطر فيها فتقلّ عذوبتهما، وليست أرضنا مستوية السطح، إذ فيها تنوءات نسمّيها جبالاً في بعض الأمكنة وفيها غؤورات في أمكنة أخرى نسمّيها محيطات، ولكن الجبال والبحار إذا قسناها إلى حجم الأرض لم تكونا إلّا بمثابة خدوش بسيطة لا يحسب لها حساب.

وأهمّ عامل في انحدار المياه إلى المحيطات وسبب ملوحتها هو الجبال، فما هو أصل الجبال؟ في الأرض الآن عذّة براكين خامدة تدلّ على أنّ حرارة باطن الأرض كانت في الزّمن القديم أشدّ سخاها الآن، وديهيّ أنّ مثل هذه الحرارة كانت كثيرًا ما تحدث نتوء أو اغوازا في قشرة الأرض، ولكن السبب الأهمّ الذي يعزى إليه الآن ارتفاع الجبال وتكوّنها هو الأنهار، وهي أيضاً سبب المصور الجليدية التي تناوبت العالم جملة مرار، وكيفيّة ذلك أنّ الأمطار إذا وقعت على اليابسة حملت معها ما تذيبه من جوامد اليابسة، وشقّت لها طريقاً فيها حتّى تصل إلى البحر فتصبّ فيه، فإذا توالى هذا جملة آلاف من السنين نقل قعر البحر الذي انصبّت فيه هذه المياه، فإذا لم يستطع قعر البحر أن يحمل ما عليه من تراكم هذه المواد التي حملتها إليه الأنهار غار إلى أسفل، وهو في

الأحد ١٠ شوال سنة ١٢٥١هـ الموافق شهر يناير سنة ١٩٣٣م شرقي بلدة المعادي المصرية التي في طريق «حلوان» فإذا ظهر ظهر أن هذه السياحة لتحقيق تفسير هذه الآية، «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ الَّتِي كُنَتْ تُجْرِي فِي مَنَاجِلِهِمْ عَلَى الْوَادِيَةِ مُنْتَزِةً لَا يَمَسُّهُ فِيهَا شَيْءٌ وَلَا يَذَرُهَا لِجِالِئِهِمْ نَبَاتًا وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْيَوْمَ حَسْبَهُمْ» (سورة النحل: ٦٨) ظهر في الكشف الحديث أن الجبال إنما تخلق أولاً في البحر، وكأن هذه الأرض امرأة والبحر زوجها، وهذا الرحم فيه مبدأ خلق كل شيء، فنه مبدأ حياة هذه الأحياء الأرضية، ومنه مبدأ تكوين الجبال، ثم تكون هناك تغيرات حاتمة فيصبح البرّ بحرًا والبحر برًا. الله أكبر! هذا الذي كنا نقرأه في الكتب، ونرى أنهم يقولون: إنهم رأوا في الجبال مواقع ومخازن ونحوها مما هو خاصّ بالبحار. رأيت أنا في ذلك اليوم رأي العين على شاطئ واد من أودية جبالنا المصرية البعيدة عن بلدة المعادي نحو ٧ كيلو مترات، وهناك واديان أكبرهما يسمى «وادي التيه» الذي حلت فيه عساكر نابليون لما هجم على مصر فهلك كثير منهم، ولقد رأيت بعيني رأسي القواقع محجرة وأنواع الحمار والصدف وعظام السمك، وأنواعاً من السمك المسمى «نجم السمك» الذي تقدم في هذا التفسير كثيراً وكلها محجرة. وهكذا رأيت قطعة من الخشب محجرة، فدل ذلك على أن هذه كلها كانت في بحر لمجيّ عظيم فانقلب أودية وصحارى وجبالاً، فالبر كان بحرًا، والبحر كان برًا، والذي أدهشني أن «ليون» الألماني وزوجته كانا يعرفان هذه الأودية وصفاتها وخواصها وهما يتوجهان للرياضة فيها برًا، ويقولان: لم نر أحدًا من المصريين قط في هذه الأماكن وإنما يؤتها الأوروبيون، وقد قالت زوجة ليون:

إلا بيضاء، في العصر الجليدي الأخير مثلاً كانت مياه البحر المتوسط قليلة حتى إن أوروبا كانت متصلة بأفريقيا في عدّه أماكن، وكانت متصلة بأوروبا، وكانت آسيا متصلة بشمال أمريكا، وكان مناخ مصر أبرد مما هو الآن، لأنّ عصر الجليد في أوروبا كان عصر الأمطار في مصر، وكان جبل المقطم وهو قاحل الآن حافلاً بالحيوان والنبات مما لا تزال نجد متحجراتها الآن.

وقد انتاب العالم حسب تحقيق العلماء الآن خمسة عصور جليدية كانت سبباً في زيادة أنواع عديدة من الحيوان والنبات وتنوّع أنواع أخرى.

ومن ذلك يتبين للقارئ أن جبالنا الزاهية لن تعيش إلى الأبد فإنها ستتحط من سيلان الماء عليها، ثم ينقل قعر البحر فيسيح ويغور، وتظهر جبال جديدة في أماكن أخرى، وكذلك شكل قارّات العالم لم يكن كما هو الآن وظاهر من غربي أوروبا وأفريقيا ومطابقتها لشرقي أمريكا الشمالية والجنوبية، أن أمريكا كانت جزءاً متصلاً بأوروبا وإفريقيا.

تذكرة في قوله تعالى:

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» (الفاتحة: ١٧-٢٠).

رباه! أحمدك على نعمة العلم، وأشكرك على جيل صنمك وإبداعك، وعلى رأفتك بنا ورحمتك، أنت تعلم أن تفسير هذه السورة آن زمان طبعه، فأوحزت إلى أحد رجال ألمانيا اسمه «ليون» وزوجته أن يدعوا ناشر هذا التفسير وأنا معه لسياحة في بعض جبال مصر يوم

جذورها في باطن الأرض ، وتحيط بالأرض على شكل حلقات ، لتقلل من شدة الزلازل الناشئة من ذوبان المواد المعدنية في باطن الأرض ، وكذا ماها من دور في عملية المد والجزر الناشئة من تأثيرات الشمس والقمر .

الجبال التي لولا وجودها بهذه الهيئة لما توقرت ظروف عيش الإنسان على سطح الأرض ، لما تمثله من سد منيع أمام قوة أثر العواصف . وأخيراً ، الجبال التي تحفظ الماء في داخلها لتخرجه لنا على صورة عيون فيأخذ تجمعات المياه ، ليخسر بساطها بأنواع المزارع والغابات .

ولعل ذلك كله كان وراء وصفها (أوتاداً) في القرآن الكريم . فهي - عموماً - مظهر الأبهة والصلابة والشموخ ، وهي مصدر خير وبركة مطاء ، ولعل ذلك من علل تمتع ذهنية الإنسان عندها ، كما وليس من المبعث أن يتخذ رسول الله ﷺ جبل التور وغار حراء محلاً لعبادته قبل البعثة المباركة . (٢٠ : ١٤٨)

فضل الله : على الأرض لتمتد قواعدنا في الأعصاب السحيقة السحيقة من الأرض ، ولترتفع شائعة في أعالي الفضاء ، مع هذه الضخامة والصلابة اللتين توحيان بالمهابة والجلال ، ليعطى النظر في دراسة العناصر المكونة لها ، والظروف المحيطة بأوضاعها ، والقوانين المستحكة فيها ، والأسرار المدونة فيها ، والمنافع التي تخرج منها ، ليتعرف - من خلال ذلك كله - إلى مواقع قدرة الله في ذلك ، ويكتشف أنها لا بد من أن تكون مخلوقة له ، ولو تأمل في انتصابها المرتفع فوق الأرض ، لتكون رواسي فيها ، حذراً من أن تميد بأهلها بفعل بعض الاهتزازات

إننا كثيراً ما نتوجه إلى الغابة المتحجرة ونمر في «وادي التيه» هذا الذي أماننا الآن ، ونسافر أربعين كيلو متراً من هذا المكان ونرى هناك جذوع أشجار الواحد منها عرضه متراً وطوله ٢٠ متراً كلها متحجرة ، ولكننا لا نتفكر أن نتوجه اليوم لأن السيارة «الأتوموبيل» إذا انكسرت لا نجد غيرها فنموت جوعاً ، وقصص قصص شبان من الألمان جاءوها وضلوا الطريق وأشرفوا على الهلاك لولا أن الطيارات أنقذتهم ، وعاشوا بعد مرض طويل ، فإذا كان هناك أتوموبيل آخر فإن الإنسان إذ ذاك يكون عنده طمأنينة على حياته بحسب العادة ، ولقد حملت معي من كل أنواع المواد المتحجرة ، وهي الآن تحت يدي ، وهي تشبه ما رسمه العلماء في عصرنا الحاضر في كتبهم من المواد العجزة المذكورة . (٢٥ : ١٤٧)

الترابي : أي وإلى الجبال كيف وضعت وضماً ثابتاً لا مبدان فيه ولا اضطراب ، فيستقر ارتقاؤها في كل حين ، وتعمل أمارة للسالكين في تلك الفيا في القفار ، وتنزل عليها المياه التي ينتفع بها في سقي الثبات وري الحيوان . (٣٠ : ١٣٧)

الطباطباتي : وهي أوتاد الأرض المانعة من مورها ، ومخازن الماء التي تتفجر منها العيون والأنهار ، ومحافظ للمعادن . (٢٠ : ٢٧٥)

محمّد جواد مغنّيه : أوتاداً للأرض ، فسكنت على حركتها ، ولولا الجبال لمادت بأهلها ، وزالت عن مواضعها . (٧ : ٥٥٧)

مكارم الشيرازي : الجبال التي تستنحج بجمع

في الأرض. (١٥٢: ٣)

البَقُوعِيّ: تسيير الجبال: نقلها من مكان إلى مكان.

(١٩٥: ٣)

الصَّيْدِيّ: أي واذكر يوم تُسَيِّر الجبال عن وجه الأرض، فنقلها قلعا ونسرها كما نَسِر السحاب في الدنيا.

(٧٠١: ٥)

الطُّبْرِيّ: قيل: إنه يتعلّق بما قبله، وتقديره: والباقيات الصالحات خير ثوابا في هذا اليوم.

وقيل: إنه ابتداء كلام، وتقديره: واذكر يوم نَسِر الجبال يعني يوم القيامة. وتسيير الجبال: نقلها عن أماكنها، فإن الله سبحانه يقلعها ويجعلها هباء منثورا.

وقيل: نَسَرها على وجه الأرض، كما نَسِر السحاب في السماء. ثم يجعلها كتيبا مهيلًا، كما قال: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ الْمَزْزَلُ: ١٤، ثم يصيرها كالمهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثًا في الهواء، كما قال: «وَيُسَبِّطُ الْجِبَالُ بِشَاهُ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا» الواقعة: ٦٠٥

ثم يصيرها بمنزلة السراب، كما قال: «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» النبأ: ٢٠. (٤٧٤: ٣)

نحوه التَّبْضَاوِيّ (١٥: ٢)، وأبو السُّدُود (١٩٤: ٤)، والْبُرُوسَوِيّ (٢٥٢: ٥)، والقاسميّ (٤٠٦٧: ١١).

الفَخْرَاوَزِيّ: ليس في لفظ الآية ما يدلّ على أنّها إلى أين تسيّر، فيحتمل أن يقال: إنه تعالى يسيرها إلى الموضع الذي يريد، ولم يبيّن ذلك الموضع لخلقه.

والحقّ أنّ المراد أنّه تعالى يسيرها إلى العدم، لقوله

والتَّغْيِيرَاتِ وَالْمُؤَثَّرَاتِ، ليعرف أنّ ذلك كلّ من تديير الإله القادر الحكيم.

وربما كان الحديث عن الجبال، في خصوصيّتها الوجوديّة، لما تمثّل من ملاذ وملجأ ومرتع ومنبع ومهابط وجلالٍ وروعةٍ وجمال؛ بحيث تثير انتباه الإنسان الذي قد يُشغل بالنظرة الساذجة إليها، في غفلة الوعي الذي يبعث عن المواقع الخفيّة للأسرار في ظواهر الكون، فكانت الانفاسات القرآنيّة لتعمّق النظرة فتكون نافذة على المعرفة، لاملهأة للنفس. (٢٢٨: ٢٤)

الجبال في القيامة

١- وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً...

الكهف: ٤٧

الطُّبْرِيّ: عن الأرض، فنبسها بشا، ونجعلها هباء منبثًا. (٢٥٧: ١٥)

الساوُزديّ: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: يُسَيِّرها من السير حتّى تنتقل عن مكانها، لما فيه من ظهور الآيّة وعظم الاعتبار.

الثاني: يُسَيِّرها، أي يقلّعها حتّى يصير كثيرها قليلا يسيرا.

الثالث: بأن يجعلها هباء منثورا. (٣١١: ٣)

الطُّوسِيّ: أي ظاهرة فلا يتسّر منها شيء، لأنّ الجبال إذا سيّرت عنها وصارت دكا ملساء، ظهرت وبرزت. (٥٣: ٧)

الواحدِيّ: أي واذكر يوم تسيّر الجبال من وجه الأرض كما يسير السحاب في الدنيا، ثمّ يُكسّر، فيعود

تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَبْقَىٰ فِيهَا جَبَلًا وَلَا مَبْنًى ۚ طه: ١٠٥ - ١٠٧، ولقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ الْجِبَالُ بِحَمْدِ رَبِّكَ ۖ وَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ الواقعة: ٥ - ٦. (٢١: ١٣٢)

الحازن: أي تذهب بها، وذلك أن يُجَمَل هباءً منتثرًا كما يسير السحاب. (٤: ١٧٤)

الشَّريبي: أي واذكر لهم يوم (نُسِرَ) بأيسر أمر (الجِبَالِ) عن وجه الأرض بعواصف القدرة، كما نُسِرَ نبات الأرض بعد أن صار هشيماً بالرياح، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ كَالْعُشِّ مَرَّةً السَّحَابِ﴾ التمل: ٨٨. [تم نقل كلام الصخر الرازي المتقدم] (٢: ٣٨١)

الكاشاني: نسيرها في الجو، ونجعلها هباءً منبثاً. (٣: ٢٤٥)

الفراعي: [نحو الكاشاني وأضاف:] أي تذهب الجبال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض سطحاً مستوياً لا عوج فيه ولا وادي ولا جبل. (١٥: ١٥٦)

الطباطبائي: الضَّرَف متعلّق بمقدّر، والتقدير: واذكر يوم نُسِرَ، وتسير الجبال بزوالها عن مستقرّها وقد عبّر سبحانه عنه بتعابير مختلفة، كقوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيَابِ مُهِيلٍ﴾ المزمل: ١٤، وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ القارعة: ٥، وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ الواقعة: ٦، وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ النبأ: ٢٠.

(١٣: ٣٢١)

[وقد تقدّم بعض الكلام في «برز» فلاحظ]

مكارم الشيرازي: الآية تذكر الإنسان بمقدمات البعث والقيامة، فتقول: إِنَّ انبهار معالم الشكل الزاهر للعالم هي أول مقدمات البعث، وسيتمّ هذا التغيير لشكل العالم الزاهر من خلال مجموعة مظاهر في الطليعة، منها تسير الجبال الرواسي، وكلّ ما يسك الأرض ويبرز عليها، حتّى تبدو الأرض خالية من أيّ من المظاهر السابقة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ وتُرى الأرض بآرزة.

إِنَّ في القرآن تأكيداً على المظاهر التي تطرأ على العالم، وتؤدي إلى تغيير صورته. والملاحظة أَنَّ السور القصار تؤكد على هذه المعاني بشكل بارز، في إطار حديثها عن مآلات يُعرف اصطلاحاً بـ«أشراط الساعة». إِنَّ الاستفادة من مجموعة تلك السور أَنَّ وجه العالم الزاهر يتغير بشكل كلّّي: حيث تتلاشى الجبال، وتنتهي الأبنية والأشجار، ثمّ تضرب الأرض سلسلة من الزلازل، وتطفى الشمس، ويخمد نور القمر، وتظلم النجوم، وعلى حطام كلّ ذلك تظهر إلى الوجود سماء جديدة وأرض جديدة، ليبدأ الإنسان على أساس ذلك حياته الأخرى، في مرحلة البعث والحساب.

سرّ انهدام الجبال:

قلنا: إنّ في يوم الحشر والتشور سيتغيّر نظام العالم المادّي، وقد وردت صيغ تعبيرية مختلفة حول انهدام الجبال في القرآن الكريم، يمكن أن نقف عليها من خلال مايلي:

في الآيات التي نبحثها قرأنا تعبير (نُسِرَ الْجِبَالِ) وإنّ

إن دلالة الأمر كله هو أن حالة البحث والتشور تكون في ثورة عظيمة في عالم المادة الميتة، وأيضاً في تجديد حياة الناس، حيث تكون كل هذه المظاهر هي بداية عالم جديد يكون في مستوى أعلى وأفضل؛ إذ بالرغم من أن الزوج والجسم هما اللذان يمكن طبيعة هذا العالم، إلا أن جميع الأمور ستكون أكمل وأوسع وأفضل.

إن في التعبير القرآني دلالة تنبيه من خلاها إلى أن عملية غناء هيون الماء ودمار البستان هي أمور سهلة، في مقابل الحدث الأعظم الذي ستلاشى عنده الجبال الزاسيات، ويشمل الغناء كل الوجود بما فيه الجبال التي تعتبر أعظم أوتاده. (٢٥٦: ٩)

٢- تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرُونَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. (مريم: ٩٠)
راجع «خ ر ر» (تخبر).

٣- وَيَنْشَقُّونَكَ مِنَ الْجِبَالِ فُكْلًا يَنْشَقُّهَا رَبِّي نَشْفًا.

طه: ١٠٥

النبي ﷺ: [في حديث] قيل إن رجلاً من نقيف سأل النبي ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها؟ فقال: «إن الله يسوقها بأن يجعلها كالزمالك، ثم يرسل عليها الرياح فتفترقها». (الطبرسي: ٤: ٢٩)
أبو عبيدة: مجازها: يطيرها فيستأصلها. (٢٩: ٢)
ابن الأعرابي: يقلعها قلماً من أصولها، ثم يصيرها رملاً يسيل سيلاً، ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها

نفس هذه الصيغة التعبيرية يمكن ملاحظتها في الآية (٢٠) من سورة النبأ، والآية (٣) من سورة التكوين.

ولكننا نقرأ في الآية (١٠) من سورة المرسلات قوله تعالى: «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ».

في حين أننا نقرأ في الآية (١٤) من سورة الحاقة قوله تعالى: «وَحُلِبَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً».

وفي الآية (١٤) من سورة المزمل قوله تعالى: «يَوْمَ تَزُجُّفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كُبُيَّاتٍ مُهْبَلًا»

وفي الآية (٥) من سورة الواقعة قوله تعالى: «وَيُسَبِّحُ الْجِبَالُ بِحَمْدِهِ فَكَانَتْ حَبَاءً مُنْبَثًا»

أخيراً نقرأ قوله تعالى في الآية (٥) من سورة القارة: «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ».

ومن الواضح أن ليس هناك تناف أو تضاد بين مجموع الآيات أعلاه، بل هي صيغ لمراحل مختلفة لزوال جبال العالم ودمارها، هذه الجبال التي تعتبر أكثر أجزاء الأرض ثباتاً واستقراراً؛ حيث تبدأ حركة زوال وانهدام الجبال من نقطة حركة الجبال حتى نقطة تحولها إلى غبار وتراب؛ بحيث لا يرى في الفضاء سوى لونها التي ترى ماهي أسباب هذه الحركة العظيمة الخفية؟

إنها غير معلومة لدينا، إذ قد يكون السبب في ذلك هو الزوال المؤقت لظاهرة الجاذبية؛ حيث تكون الحركة الدورانية للأرض سبباً في أن تصادم الجبال فيما بينها، ثم حركتها باتجاه الفضاء، وقد يكون السبب هو الانفجارات الذرية العظيمة في التواء المركزية للأرض؛ حيث يسببها تحدث هذه الحركة العظيمة والموحشة.

الْفَخْرَازِيّ: اعلم أنّه تعالى لما وصف أمر يوم
القيامة، حكى سؤال من لم يؤمن بالهشر، فقال:
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾، وفي تقرير هذا السؤال
وجوه:

أحدها: أنّ قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ ط: ١٠٣،
وصف من الله تعالى لكلّ الجرمين بذلك، فكأنّهم قالوا:
كيف يصحّ ذلك والجبال حائلة ومانعة من هذا
التخالف؟!

وثانيها: قال الضّاحك: نزلت في مشركي مكّة،
قالوا: يا محمّد كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ وكان
سؤالهم على سبيل الاستهزاء.

وثالثها: لعلّ قومه قالوا: يا محمّد إنك تدّعي أنّ الدّنيا
ستتقضي، فلو صحّ ماقلته لوجب أن تبثدئ أوّلًا
بالتقصان ثمّ تنتهي إلى البطلان. لكنّ أحوال العالم باقية
كما كانت في أوّل الأمر، فكيف يصحّ ماقلته من خراب
الدّنيا؟ وهذه شبهة تمسّك بها جالينوس في أنّ السماوات
لا تنفث، قال: لأنّها لو غثيت لابتدأت في التقصان أوّلًا
حتّى ينتهي نقصانها إلى البطلان، فلما لم يظهر فيها
التقصان علمنا أنّ القول بالبطلان باطل، ثمّ أمر الله تعالى
رسوله بالجواب عن هذا السؤال، وضمّ إلى الجواب
أمرًا آخر في شرح أحوال القيامة وأهوالها.

الصّفة الأولى: قوله: ﴿فَقُلْ يَسْئَلُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾
وفيه مسائل:

المسألة الأولى: إنّما قال: (قُلْ) مع فاء التّعقيب، لأنّ
مقصودهم من هذا السؤال الطّعن في الهشر والتشتر،
فلا جرم أمره بالجواب مفروغًا بفاء التّعقيب، لأنّ تأخير

الرياح هكذا وهكذا. ولا يكون الجهن من الصّوف إلّا
المصبوغ، ثمّ كالهباء المثور. (القرطبي: ١١: ٢٤٥)
الطّبري: ويسألك يا محمّد قومك عن الجبال، فقل
لهم: يذريها ربّي تذرية، ويطيرها: يقلعها، واستصالحها
من أصولها، ودكّ بعضها على بعض، وتصيرها إياها
هباءً منبثًا. (١٦: ٢١١)

الرّجاج: النّسف: التّذرية، تصير الجبال كالهباء
المثور، تُذرى تذريرةً. (٣: ٣٧٦)

الطّوسي: قيل: إنّّه يجعلها بمنزلة الرّمّل، ثمّ يرسل
عليها الرياح فتذريها كذرية الطّعام من القشور
والتراب. وقيل: إنّ الجبال تصير كالهباء. (٧: ٢٠٨)
نحو الرّزقشريّ (٢: ٥٥٣)، والبيضاويّ (٢: ٦١)،
وأبو العرود (٤: ٣٠٩)، والكاشانيّ (٣: ٣٢١).

الواحدّي: قال المفسّرون: يصيرها الله رسائلًا
تسيل، ثمّ يصيرها كالصّوف المنفوش، يطيرها الرياح.
(٣: ٢٢١)

ابن عطية: [أشار إلى حديث النّبيّ المتقدّم ثمّ
قال:]

وروي أنّ الله تعالى يرسل على الجبال ريحًا
فتدككها حتّى تكون ﴿كَأَلْبُهْنٍ الْمُنْفُوشِ﴾ الفارعة:
٥. ثمّ يتوالى عليها حتّى يعيدها كالهباء المنبث، فذلك هو
النّسف. (٤: ٦٤)

نحو أبو حنّان. (٦: ٢٧٩)
البغويّ: والنّف هو القلع، يعني يقلعها من
أصلها، ويجعلها هباءً منثورًا. (٣: ٢٧٥)
منه الحازن. (٤: ٢٢٧)

الْقُرْطُبِيُّ: أي عن حال الجبال يوم القيامة.

(٢٤٥: ١١)

ابن كثير: أي هل تبق يوم القيامة أو تزول؟
﴿قُلْ يَنْشِئُهَا رَبِّي نَشْأًا﴾ أي يذهبها عن أماكنها
ويعيدها ويُسِرُّها تَسِيرًا. (٥٣٨: ٤)
نحوه القاسمي (١١: ٤٢١١)، والمراغبي (١٦: ١٥٢).

الْبُزْوسِيُّ: والجبال: جمع جبل، وهو كَلٌّ وتَد
للأرض عظم وطل، فإن انفرد فأَكَنَتْ أو فَتَتْ، واعتُبر
معانيه فاستعير واشتق منه مجسها، فقيل: فلان جبل
لا يتزحزح، تصورًا لمعنى الثبات فيه، وجبله الله على
كذا، إشارة إلى ماركب فيه من الطبع الذي يأبى على
الثقل نقله، وتصور منه العظم. (٤٢٧: ٥)

الْأَلَوْسِيُّ: السائلون منكرو البعث من
قريش... وقيل: جماعة من ثقيف، وقيل: أناس من
المؤمنين، ﴿قُلْ يَنْشِئُهَا رَبِّي نَشْأًا﴾ يجعلها سبحانه
كالرمل، ثم يُرسل عليها الرياح فتفرقها.

والقاء للمسارعة إلى إزالة ما في ذهن السائل من
بقاء الجبال، بناء على ظن أن ذلك من توابع عدم المحسر،
ألا ترى أن منكري المحسر يقولون: بدم تبدل هذا النظام
المشاهد في الأرض والسموات، أو للمسارعة إلى تحقيق
الحق حفظًا من أن يتوهم ما يقضي بفساد الاعتقاد.

(٢٦١: ١٦)

محمد جواد مغنيث: سأل سائل رسول الله ﷺ
كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فقال سبحانه لنبيه
الكريم: «قل مجيئًا عن هذا السؤال: إن الله يقتلها من

البيان في مثل هذه المسألة الأصولية غير جائز، أما في
المسائل الفروعية فجائزة، لذلك ذكر هناك (قُلْ) من
غير حرف التعقيب.

المسألة الثانية: الضمير في قوله: ﴿يَنْشِئُهَا﴾ عائد إلى
الجبال، والنسف: التذرية، أي تصير الجبال كاهباء
المنثور تُذَرَى تَذِيرًا، فإذا زالت الجبال زالت الهوائيل،
فيعلم صدق قوله: ﴿يَنْشِئُهَا قَوْمًا﴾.

قال الحكيل: ﴿يَنْشِئُهَا﴾ أي يذهبها ويطررها. أما
الضمير في قوله: ﴿يَنْشِئُهَا﴾ فهو عائد إلى الأرض،
فاستغني عن تقديم ذكرها، كما في عادة الناس من
الإخبار عنها بالإخبار، كقولهم: ما عليها أكرم من فلان،
وقال تعالى: ﴿مَنْزِلَةً عَلَى ظَهْرٍ مِّنْ دَابَّةٍ﴾ فاطر: ٤٥.
وإنما قال: ﴿يَنْشِئُهَا قَوْمًا صَفْصَفًا﴾ طه: ١٠٦،
ليبين أن ذلك «النسف» لايزيل الاستواء لتلا يقدر أنها
لما زالت من موضع إلى موضع آخر صارت هناك حائلة،
هذا كله إذا كان المقصود من سؤالي الاعتراض على
كيفية المخافة.

أما لو كان الفرض من السؤال ما ذكرنا: من أنه
لانتصان فيها في الحال، فوجب أن لاينتهي أمرها إلى
البطلان، كان تقرير الجواب أن بطلان الشيء قد يكون
بطلاً يقع توليداً، فحينئذ يجب تقديم النصان على
البطلان، وقد يكون بطلاً يقع دفعة واحدة، وهاتان
لا يجب تقديم النصان على البطلان، فبين الله تعالى أنه
يفرق تركيبات هذا العالم الجسماني دفعة بقدرته
ومشيئته، فلاحاجة هاتان إلى تقديم النصان على
البطلان. (١١٦: ٢٢)

السحاب... التل: ٨٨

ابن عباس: (جريدة): قافه. (الطبري: ٢٠: ٢١)

أي تسير سيراً حثيثاً مثل السحاب.

(الطبري: ٤: ٢٣٦)

ابن قتيبة: أي واقفة ﴿وَهِيَ تَسِيرُ﴾ تسير

سير (السحاب). هذا إذا نفع في الصور، يريد: أنها تجمع

وتسير، فهي لكثرتها كأنها جامدة، وهي تسير.

(٣٢٧)

الطبري: وترى الجبال ياعتمد، تحسبها قافه وهي

تمر.

وإنما قيل: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَوَّ السَّحَابِ﴾ لأنها تجمع ثم

تسير، فيحسب رايها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير

سيراً حثيثاً. [ثم استشهد بشر]

(٢٠: ٢١)

الماوردي: أي لا يرى سيرها لبعدها أطرافها، كما

لا يرى سير السحاب إذا انبسط لبعدها أطرافه. وهذا مثل،

وفيها ضرب له ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للدنيا، يظن الناظر

إليها أنها واقفة كالجبال، وهي أخذه بحظها من الزوال

كالسحاب، قاله سهل بن عبد الله.

الثاني: أنه مثل ضربه الله للإيمان، تحسبه ثابتاً في

القلب وعمله ساعداً إلى السماء.

الثالث: أنه مثل للنفس عند خروج الروح، والروح

تسير إلى القدس.

القشيري: وهذا يوم القيامة، أي هي لكثرتها

كأنها جامدة، أي واقفة في مرأى العين وإن كانت في

أنفسه تسير سير السحاب، والسحاب المتراكم يظن

أصولها، ويصيرها غباراً منتشرًا في الفضاء، ويدع

أماكنها من الأرض ملساء، لاصية فيها، ولا ارتفاع،

ولا انخفاض.

(٥: ٢٤٤)

نحوه فضل الله.

مكارم الفيضاني: إن الناس كانوا قد سألو

النبي ﷺ عن مصير الجبال عند انتهاء الدنيا، وربما كان

ذلك لأنهم لم يكونوا يصدقون أن يكون من الممكن أن

تتزلزل وتتصدع أمثال هذه الجبال العظيمة، التي امتدت

جذورها في أعماق الأرض، وشمخت رؤوسها إلى

السماء، وإذا كان بالإمكان قلبها من مكانها، فأين هواء

أو طوفان له مثل هذه القدرة؟ ولذلك يقول:

﴿وَنَسْفَعُكَ مِنَ الْجِبَالِ﴾ والجواب: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا

رَبِّي نَسْفَعًا طُه: ١٠٥.

يستفاد من مجموع آيات القرآن حول مصير الجبال

أنها تمر عند حلول القيامة بمراحل مختلفة:

فهي ترجف وتهتز أولاً: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ

وَالْجِبَالُ﴾ المزمل: ١٤.

ثم تتحرك: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ الطور: ١٠.

وفي المرحلة الثالثة تتلاشى وتتحول إلى كيان من

الزمل: ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهْلًا﴾ المزمل: ١٤.

وفي المرحلة الأخيرة سيخرجها الهواء والطوفان

من مكانها، ويُبغمُرها في الهواء، وتبدو كالصوف

المنفوش ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْفُوفِ﴾

القارة: ٥.

٤- وَتَرَى الْجِبَالُ تَهْتَبُهَا جَائِدَةً وَهِيَ تُغَرِّمُ

الطَّيْرُ سَيَّ: أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك
في رأى العين. (٢٣٦: ٤)

الفَخْرُ الرَّازِي: اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام
القيامة، وهي تسير الجبال. والوجه في حسابهم أنها
جامدة، فلأن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة
على نهج واحد في السموات والكيفية، ظن الناظر إليها
أنها واقفة، مع أنها تمر مرًا حثيثًا. (٢٤٠: ٢٤)
نحوه البَيضَاوِي. (١٨٥: ٢)

الْقُرْطُمِي: [نقل كلام ابن قُتَيْبَةَ والقُشَيْرِي ثم
قال:]

ويقال: إنَّ الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة،
ترجع كلها إلى تفرغ الأرض منها، وإبراز ما كانت
تواريه، فأول الصفات: الاندكالك، وذلك قبل الزلزلة، ثم
تصير كاللِهْنِ المنفوش؛ وذلك إذا صارت السماء كالمُهْل،
وقد جمع الله بينها، فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ﴾ وتكونُ الجِبَالُ كَاللِّهْنِ المارج: ٨، ٩.
والمالة الثالثة: أن تصير كالحباء، وذلك أن تنقطع
بعد أن كانت كاللِهْنِ.

والمالة الرابعة: أن تُنْسَفَ لأنها مع الأحوال
المتقدمة قارّة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة،
فُتْسَف عنها لتبرز، فإذا نُسِفَ فبارسال الرياح عليها.
والمالة الخامسة: أن الرياح ترفها على وجه
الأرض فظهرها شعاعًا في الهواء كأنها غبار، فمن نظر
إليها من بُعد حسبها لتكافئها أجسادًا جامدة، وهي
بالحقيقة مازّة، إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها
مدنّة منقّنة.

أنها واقفة وهي تسير، أي تمر مرّ السحاب، حتى لا يبق
منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا﴾ النِّبَا: ٢٠. (الْقُرْطُمِي: ١٣: ٢٤٢)

البَغَوِي: قائمة واقفة ﴿وَهِيَ تَسُورُ مَرَّ السَّحَابِ﴾
أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي
بها، وذلك أن كل شيء عظيم وكلّ جمع كثير يقصر عنه
البصر لكثرة بُعد ما بين أطرافه، فهو في حبان الناظر
واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة
لظلمها، كما أن سير السحاب لا يرى لظلمه وهو سائر.
(٥١٩: ٣)

نحوه المَرَاغِي. (٢٤: ٢٠)
السَّيِّدِي: وترى الجبال باعتمد تحسبها جامدة
قائمة واقفة مستقرة مكانها. ﴿وَهِيَ تَسُورُ مَرَّ
السَّحَابِ﴾ حتى تقع على الأرض فتستوي بها.

(٢٦٢: ٧)
الرَّمْغَشَرِي: تجتمع الجبال فُتْسِرُ، كما تُسِرُّ الرِّيح
السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في
مكان واحد ﴿وَهِيَ تَسُورُ مَرَّ حَنِيتًا كَمَا يَرَى السَّحَابُ،
وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لاتكاد
تتبيّن حركتها. [ثم استشهد بشعر] (١٦٢: ٣)

نحوه البرُوسَوِي (٦: ٣٧٥)، والشَّرِيبِي (٣: ٧٧).
ابن عَطِيَّة: هذا وصف حال الأشياء يوم القيامة
عقب التشنج في الصور، والزّويدة هي بالعين. وهذه الحال
للجبال هي في أول الأمر تسير وتموج وأمر الله تعالى
ينسفها ويفتتها خلال ذلك فتصير كاللِهْنِ، ثم تصير في
آخر الأمر هباءً منبّأ. (٢٧٣: ٤)

(السحاب) في تخلخل الأجزاء وانفاسها. كما في ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُسْتَفْشِشِ﴾ القارة: ٥. وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يُبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض، يغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها، على ما ذكر من الهيئة الهائلة. ليشاهدها أهل الحشر، وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية، كما نطق به ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ... الْآيَاتِ، وَ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلْإِوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم: ٤٨. فَإِنَّ اتِّبَاعَ الدَّاعِي الَّذِي هُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبُرُوزَ الْخَلْقِ لَهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ.

وقد قالوا في تفسير ﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بِمَازِرَةٍ وَحَشَرَنَاهُمْ﴾ إن صيغة الماضي في المطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والزوية، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك.

هذا وقد قيل: إن المراد هي النفخة الأولى، والفرع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول، كما في ﴿فَضَعِ عَنَّا فِي السَّمَوَاتِ وَتَنُ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر: ٦٨، فيخص أثرها بمن كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم.

وجوز أن يراد بالإتيان داخرين: رجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له. ولاريب في أن ذلك مما ينبغي أن نُزَّهَ ساحة التنزيل عن أمثاله.

وأبعد من هذا ما قيل: إن المراد بهذه النفخة: نفخة الفرع التي تكون قبل نفخة الصعق، وهي التي أرادت

والحالة السادسة: أن تكون سراباً، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً منها كالسراب. (١٣: ٢٤٢) أبو حنيفة: ﴿وَتَرَى الْجِبَالُ﴾ هو من رؤية العين، (تَحْسَبُهَا) حال من هائل (تَرَى) أو من (الجبال)، (جَائِدَةً) من جمد مكانه، إذا لم يبرح منه، وهذه الحال للجيال عقيب الفتح في الصور، وهي أول أحوال الجبال تخرج وتسير، ثم يسفها الله تصغير كاليهن، ثم تكون هباءً منبثاً في آخر الأمر، ﴿وَهِيَ تَمُورُ مَرَّةً الشَّحَابِ﴾ جملة حالية، أي تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها وهي سائرة [ثم قال نحو الزمخشري وأضاف:] وقيل: شبه مرورها بمر السحاب في كونها تسير سيراً وسطاً. [ثم استشهد بشعر]

وحسان الزائي الجبال جامدة مع مرورها، قيل: لول ذلك اليوم، فليس له ثبوت ذهن في الفكر في ذلك، حتى يتحقق كونها ليست بجامدة. [ثم نقل كلام الفخر والقرطبي] (٧: ١٠٠)

أبو الشعود: ﴿وَتَرَى الْجِبَالُ﴾ عطف على (يُنْفَخُ) داخل في حكم التذكير، وقوله عز وجل: ﴿تَحْسَبُهَا جَائِدَةً﴾ أي ثابتة في أماكنها، إما بدل منه أو حال من ضمير (تَرَى) أو من مفعوله. وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُورُ مَرَّةً الشَّحَابِ﴾ حال من ضمير (الجبال) في (تَحْسَبُهَا) أو في (جَائِدَةً) أي تراها رأي العين ساكنة والمال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً، وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحو سميت لاتكاد تتبين حركتها. [ثم استشهد بشعر]

وقد أُدج في هذا التشبيه تشبيه حال (الجبال) بحال

كَأَنَّ مَشْيَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا

مَرَّ السَّحَابُ لَارِثَ وَلَا عَجَلَ
وَالْمَشْهُورُ فِي وَجْهِ الشَّيْبَةِ السَّرْعَةِ، وَإِنْ مَشَتْ
الْحَسْبَانُ الْمَذْكُورَ مَا سَمِعَتْ. وَقِيلَ: إِنَّ حَسْبَانَ الرَّافِي إِثَارَهَا
جَامِدَةً مَعَ مَرُورِهَا، لِهَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَيْسَ لَهُ نُبُوتٌ
ذَهْنٌ فِي الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَتَحَقَّقَ كَوْنُهَا جَامِدَةً. وَلَيْسَ
بِذَلِكَ وَقَدْ أُدْجِيَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَذْكُورِ تَشْبِيهِ حَالِ (الْجِبَالِ)
بِحَالِ (السَّحَابِ) فِي تَخْلُغْلِ الْأَجْزَاءِ وَانْتِشَاشِهَا. كَمَا فِي
﴿وَتَسْكُنُ الْجِبَالُ كَالْفِهْرِ الْمَقْنُوشِ﴾ الْقَارِعَةِ: ٥،
وَاخْتَلَفَ فِي وَقْتِ هَذَا. [تَمَّ ذِكْرُ كَلَامِ أَبِي السَّعُودِ
وَأُضَافَ:]

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ مِمَّا يَقَعُ عِنْدَ الثَّقَفَةِ الْأُولَى وَذَلِكَ
أَنَّهُ تَرْجِفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ثُمَّ تَنْفُصِلُ الْجِبَالُ عَنْ
الْأَرْضِ وَتَسِيرُ فِي الْجَوِّ ثُمَّ تَسْقُطُ فَتَصِيرُ كَنَيْبٍ مَهْلًا ثُمَّ
هَبَاءً مَبْنِيًّا، وَيُرْشَدُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الصَّرِيرَةُ مِمَّا لَا يَتَرَقَّبُ
عَلَى الرَّجْفَةِ وَلَا تَمْتَقِبُهَا بِلَا مَهْلَةٍ: الْعُطْفُ بِالْوَاوِ دُونَ الْفَاءِ
فِي ﴿يَوْمَ تَرْجِفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغَيْثًا
مَهْلًا﴾ الْمَرْثَلُ: ١٤، وَالتَّجْمِيرُ الْمَاضِي فِي ﴿وَتَسْرَى
الْأَرْضُ بِسَارِزَةٍ وَخَشَرْنَا نَاهُمْ﴾ الْكَهْفِ: ٤٧ لِتَحَقُّقِ
الْوُقُوعِ كَمَا مَرَّ أَمَّا، وَالْيَوْمُ فِي ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾
الْآيَةِ. وَ﴿يَوْمَ يُجَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ إلخ يَبْهَرُ أَنْ يَجْعَلَ اسْمًا
لِلْحَيْنِ الْوَاسِعِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الثَّقَفَةِ الْأُولَى
مِنَ النَّسْفِ وَالتَّبْدِيلِ، وَمَا يَكُونُ عِنْدَ الثَّقَفَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ
اتِّبَاعِ الدَّاعِي وَالْبُرُوزِ لَهُ تَعَالَى الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَقَدْ حَمَلَ
الْيَوْمُ عَلَى مَا يَسَعُ مَا يَكُونُ عِنْدَ الثَّقَفَتَيْنِ فِي ﴿قَادًا نَفْعًا فِي
الضُّوْرِ نَفْعَةً وَاحِدَةً﴾ وَجَلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ قَدْ نَشَتْ

بِـ ﴿وَعَائِنَظُوهُ لَا إِلَهَ إِلَّا صَنِيعُهُ وَاحِدَةً مَالًا مِنْ قَوَائِي﴾
ص: ١٥، فَيَسِيرُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهَا الْجِبَالُ فَتَمَرُّ مَرَّ
السَّحَابِ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا،
فَتَكُونُ كَالسَّفِينَةِ الْمُونَةِ فِي الْبَحْرِ، أَوْ كَالْقَنْدِيلِ الْمَعْلُوقِ
تَرْجِفُهُ الْأُرُوحُ، فَإِنَّهُ مِمَّا لَا يَرْتَابُ لَهُ بِالْمَقَامِ قَطْعًا،
وَالْحَقُّ الَّذِي لَا يَحْمَدُ عَنْهُ مَا قَدَّمَ، وَمِمَّا هُوَ نَصٌّ فِي الْبَابِ
مَا سَبَقَ فِي مِنْ ﴿وَهُمْ مِنْ قَرْعٍ يَذُنُّونَ﴾ الشُّعْلُ: ٨٩
(١٠٦: ٥)

الْأَلُوسِيُّ: ﴿وَتَسْرَى الْجِبَالُ﴾ عَطَفَ عَلَى (يُسْفَعُ)
دَاخِلٌ فِي حُكْمِ التَّذْكِيرِ، (وَتَرَى) مِنْ رُؤْيَا الْعَيْنِ، وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أَيُّ ثَابِتَةٍ فِي أَمَاكِنِهَا لَا تَتَحَرَّكُ
حَالًا مِنْ فَاعِلٍ (تَرَى) أَوْ مِنْ مَفْعُولِهِ، وَجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ
بَدَلًا مِنْ سَابِقِهِ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهِيَ تَسْرَى مَرًّا
السَّحَابِ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ (الْجِبَالِ) فِي (تَحْسَبُهَا)،
وَجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِهَا فِي (جَامِدَةً)، وَمَنْعُهُ
أَبُو الْبَقَاءِ لِاسْتِلْزَامِهِ أَنْ تَكُونَ جَامِدَةً وَمَسَارَةً فِي وَقْتٍ
وَاحِدٍ، أَيْ وَتَرَى الْجِبَالُ رَأْيَ الْعَيْنِ سَاكِنَةً وَالْحَالُ أَنَّهَا
تَمَرُّ فِي الْجَوِّ مَرَّ السَّحَابِ الَّتِي تَسِيرُهَا الرِّيحُ سِيرًا حَيثُهَا،
وَذَلِكَ أَنَّ الْأَجْرَامَ الْمُجْتَمِعَةَ الْمُتَكَاثِرَةَ الْعِدَدَ عَلَى وَجْهِ
الِاتِّصَاقِ إِذَا تَحَرَّكَتْ نَحْوُ حَمَلَتْ لِاتِّكَادِ تَبَيَّنَ حَرَكَتُهَا،
وَعَلَيْهِ قَوْلُ الثَّابِتَةِ الْمُجْعَدِيِّ فِي وَصْفِ جَيْشٍ:

بَارَ مِنْ مِثْلِ الطُّودِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ

وَقُوفُ لِحَاجِ وَالرَّكَابِ يُهْتَلِجُ

وَقِيلَ: شَبَّ مَرَّهَا بِمَرَّ السَّحَابِ فِي كَوْنِهَا تَسِيرَ سِيرًا

وَسَطًا، كَمَا قَالَ الْأَعْمَشُ:

﴿تَنْبِيهِ: ل﴾

ما ذكرناه في تفسير هذه الآية هو ما ذهب إليه كثير.
قالوا: المراد بهذه الآية تسير الجبال الذي يحصل يوم
القيامة، حينما يبدي الله تعالى العوالم، كما قال: ﴿وَسِيرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ التّبا: ٢٠. وكما قال: ﴿وَأَذًا
الْجِبَالُ تُسْفَتُ﴾، وقال: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمُسْفُوشِ﴾.

وقال بعض علماء الفلك: لا يمكن أن يكون المراد
بهذه ما قالوه؛ لعدة وجوه:

الأول: أن ﴿وَتَسِرُ الْجِبَالُ تَحْسَبًا جَامِدَةً﴾،
لا يناسب مقام التّحويل والتّخويف إذا أُريد بها ما يحصل
يوم القيامة، وكذلك قوله ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْبَدَى أَنْفَقَ كُلُّ
شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإهلاك والإبادة، على أن محلّ
هذه الآية على المستقبل، مع أنّها صريحة في إرادة
الحال، شيء لا موجب له، وهو خلاف الظاهر منها.

الثاني: أن سير الجبال للقاء يوم القيامة، يحصل عند
خراب العالم وإهلاك جميع الخلائق. وهذا شيء لا يراه
أحد من البشر، كما قال: ﴿وَتُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَيِقَ مَنْ
فِي السُّمُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ الرَّسَرُ:
٦٨، أي من الملائكة. فامعنى قوله إذن: ﴿وَتَسِرُ الْجِبَالُ
تَحْسَبًا جَامِدَةً﴾ التّمل: ٨٨

الثالث: أن تسير الجبال الذي يحصل يوم القيامة،
إذا رآه أحد شعر به، لأنّه مادام وضعا يتغيّر بالتّسبة
للإنسان، فيحسّ بمسركتها. وهذا يناقض قوله تعالى:
﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي ثابتة. أمّا في الدنيا فلانشر

ذِكْرُ وَاحِدَةٍ • فَيُؤْتِيهِ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ • ... يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ • الحاقّة: ١٣-١٨. وهذا كما تقول: جنته عام
كذا، وإنّا يجيئك في وقت من أوقاته. وقد ذهب غير
واحد إلى أن تبديل الأرض كالبروز بعد النّفخة الثانية،
لما في صحيح مسلم عن عائشة «قلت يارسول الله أرايت
قول الله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» فأين
يكون النّاس؟ قال على الصّراط، وجاء في غير خبر
ما يدلّ على أنّه قبل النّفخة الأولى، وجمع صاحب
«الإفصاح» بين الأخبار بأنّ التّبديل يقع مرّتين مرّة قبل
النّفخة الأولى وأخرى بعد النّفخة الثانية، وحكى في
«البحر» أن أوّل الصّفات ارتجاجها، ثمّ صيرورتها كاللهن
المسفوش، ثمّ كالهابة بأن تنقطع بعد أن كانت كاللهن، ثمّ
نسفها بإرسال الرّياح عليها، ثمّ تطيرها بالترّج في الجوّ
كأثنا غبار، ثمّ كونها سرابا، وهذا كلّ على ما يقتضيه
كلام التّفاريقيّ قبل النّفخة الثانية، ومن تتبّع الأخبار
وجدها ظاهرة في ذلك، والآية هنا تحتمل كون الرّؤية
المذكورة فيها قبل النّفخة الثانية وكونها قبلها^(١)، فتأمل.

القاسمي: ﴿وَتَسِرُ الْجِبَالُ﴾ عطف على (تُنْفَخُ)
داخل في حكم التّذكير ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي ثابتة في
أماكنها ﴿وَهِيَ تَسُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي في تحلّل
أجزائها وانفاسها، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمُسْفُوشِ﴾ القارعة: ٥. ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْبَدَى
أَنْفَقَ كُلُّ شَيْءٍ، إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ التّمل: ٨٨، أي
فيجازهم عليه.

ومراتها على مكانها، مع كونها متحركة في الواقع بحركة الأرض، ودوام مرورها من السحاب في سرعة السير والحركة. [إلى أن قال:]

فهذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الأرض ومرار الجبال معها في هذه التثنية، وليس يمكن حملها على أن ذلك يقع في التثنية الآخرة أو عند قيام الساعة وفساد العالم، وغروجه عن متعاهد النظام. وأن حساباتها جامدة لعدم تبين حركة كبار الأجرام إذا كانت في سمت واحد، فإن ذلك لا يلائم المقصود من التحويل على ذلك التقدير. على أن ذلك نقض وإهدام، وليس من صنع وإحكام.

قال: والعجب من خدائق العلماء المفسرين، عدم تعرضهم لهذا المعنى مع ظهوره، واشتغال الكتب المحكية على قول بعض القدماء، مع أنه أولى وأحق من تنزيل محتملات كتاب الله على القصص الواهية الإسرائيلية، على ماشحنوا بها كتبهم. وليس هذا بخارج عن قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكمته. ولا القول به بمصادم للشرعية والعقيدة الحقّة، بعد أن نتقد أن كل شيء حادث بقدرة الله تعالى، وإرادته وخلقه بالاختيار كأنه ما كان، وهو العليّ الكبير، وعلى ما يشاء قدير. (١٣: ٤٦٨٩)

الطُّبَّاطِبَائِي: الآية بما أنها واقعة في سياق آيات القيامة مبنية عليها، تصف بعض ما يقع يومئذ من الآيات وهو سير الجبال. وقد قال تعالى في هذا المعنى أيضاً: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ التّٰٓ: ٢٠، إلى غير ذلك. فتقوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْتَ حِجَابٍ﴾. المراد به تمثيل الواقعة، كما في قوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ

بمركتها، لأننا نتحرك معها ولا يتغير وضعنا بالنسبة لها، وهذا بخلاف ما يحصل يوم القيامة، فإن الجبال تنفصل عن الأرض وتُسَفَّ نسفاً، وهذا شيء يراه كل واقف عندها.

الزَّابِع: ورود هذه الآية في سياق الكلام على يوم القيامة، لورود آية ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنْهُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ نَبْصِرًا﴾ النمل: ٨٦، المذكورة قبلها في نفس هذا السياق، والمراد بها ذكر شيء من دلائل قدرة الله تعالى، المشاهدة آثارها في هذا العالم الآن، من حركة الأرض وحدوث الليل والنهار، ليكون ذلك دليلاً على قدرته، على البعث والنشور يوم القيامة. فإن القادر على ضبط حركات هذه الأجرام العظيمة، لا يصعب عليه أن يعيد الإنسان، وأن يضبط حركاته وأعماله ويحسبها عليه. ولذلك ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ فذكر هذه الأشياء في هذا السياق، هو كذكر الدليل مع المدلول، أو المحسنة مع الدعوى، وهي سنة القرآن الكريم. فإنك تجد الدلائل مبنية بين دعاويه دائماً، حتى لا يحتاج الإنسان لدليل آخر خارج عنها، وذلك شيء مشاهد في القرآن من أوله إلى آخره، انتهى كلامه.

وقال العلامة المرجاني في مقدّمة كتابه: «وفية الأسلاف، وتحيّة الأخلاف» في بحث علم الهيئة، ماثله: ويدل على حركة الأرض: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْتَ حِجَابٍ جَامِدَةٍ وَهِيَ تَمُورُ مِنَ السَّحَابِ﴾ الآية، فإنه خطاب لجناب الرسول ﷺ، وإيذان الأمر له بالأصالة مع اشتراك غيره في هذه الرؤية. وحسبان جمود الجبال

شَكَازِي» المحج: ٢، أي هذا حالها المشهودة في هذا اليوم تشاهدها لو كنت مشاهداً، وقوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي تظنها الآن ولم تقم القيامة بعد جامدة غير متحركة، والجملة معترضة أو حالية. [إلى أن قال:]

وفي الآية... قولان آخران:

أحدهما: حملها على الحركة الجوهرية، وأن الأشياء كالجبال تتحرك بجوهرها إلى غاية وجودها، وهي حشرها ورجوعها إلى الله سبحانه.

وهذا المعنى أنسب بالنظر إلى ما في قوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ من التلويح إلى أنها اليوم متحركة ولما تقم القيامة، وأما جعل يوم القيامة ظرفاً لحسبان الممود وللمرور كالسحاب جميعاً، فمما لا يلتفت إليه.

وثانيها: حملها على حركة الأرض الانتقالية، وهو بالنظر إلى الآية في نفسها معنى جيد إلا أنه أولاً: يوجب انقطاع الآية عما قبلها وما بعدها من آيات القيامة، وثانياً: ينقطع بذلك اتصال قوله: ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَقُولُونَ﴾ بما قبله.

(٤٠١: ١٥)

محمد جواد مغنّيه: موضوع هذه الآية والتي قبلها واحد، وهو الحديث عن يوم القيامة وأحواله؛ وعليه يكون المعنى أن الله سبحانه يقتلع الجبال من أماكنها ويسيرها في الفضاء تماماً كما تسير السحاب، ولكن يزيل للرأي أنها ثابتة، ذلك أن الجرم الكبير إذا سار في سمّت واحد وخط مستقيم فلا تترك الأبصار حركاته لضخامته وبُعد أطرافه، وبالمخصوص إذا كان الرأي بعيداً عنه.

وهذا يبين معنى خطأ من استدلّ بهذه الآية على أن القرآن قد أشار إلى حركة الأرض، وهناك آيات كثيرة تؤكد أن المراد بمرور الجبال في هذه الآية هو تسيرها في الفضاء يوم القيامة، من تلك الآيات قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَخَشَرْنَا لَهَا﴾ الكهف: ٤٧، وقوله: ﴿وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ النبا: ٢٠، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ - أَيْ تضطرب - مُورًا﴾ وتسيرُ الجبالُ سيرًا الطور: ٩، ١٠، وكلام القرآن واحد يشهد بعضه على بعض، وينطق بعضه ببعض.

(٤٣: ٦)

عبد الكريم الغطيب: هو استعراض لبعض مظاهر قدرة الله، وحكته وتديبره في خلقه.

فهذه الجبال التي يراها الزاني فيحسبها هامة جامدة لا حراك بها، هي في الواقع على غير هذا الظاهر الذي يبدو للعين منها، إنها تتحرك حركة حرة مطلقة، في يسر وفي انتظام، كما يتر السحاب. فإتراء العين منها شيء، وما هو واقعا شيء آخر.

وإذن في الجبال حقيقة لأثرى بالعين، ولا تحس بالظن والملاحظة وتلك الحقيقة أنها متحركة، وأنها تمر مر السحاب.

وهنا سؤال:

إذا كنا نحن في هذا العصر نرى بعين العلم أن الجبال تمر مر السحاب، وأنها متحركة بحركة الأرض، وأن الذي ينظر إليها من الجو، يرى أنها تسير كما يسير السحاب فعلاً، فكيف كان مفهوم العرب الذين خوطبوا بهذه الآية، وهم لم يكونوا قد عرفوا أن الأرض متحركة

وفي هذا دعوة إلى البحث عن هذه الحقيقة التي أشارت إليها الآية الكريمة من أمر الجبال، وتحركها مع تحرك الأرض في دورتها اليومية. فالذين يؤمنون بالله، ويصدقون بكلماته، يستيقنون أن هنا حقيقة كامنة، تشير إليها الآية الكريمة، ولا تكشف عن وجهها، وأن على المؤمن أن يطلب هذه الحقيقة، وأن يشهد بعض جلال الله منها.

والمفسرون مجمعون على أن ذلك الذي تحدث عنه الآية في شأن الجبال، إنما يقع يوم القيامة، حين تتبدل الأرض غير الأرض والسموات، وكما يقول الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ التبا: ٢٠.

على أن الذي حملنا على مخالفة هذا الإجماع، هو ما جاء في ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْبَدَىٰ أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ فإن ذلك الضات إلى روعة الصنعة وإحكامها، وهذا لا يكون واقفاً في نظر الإنسان يوم القيامة وهو يرى الجبال وقد تانرت أضلأا

وإنما يرى ذلك، وهي قائمة ثابتة، ثم هي في نفس الوقت متحركة تدور مع الأرض في دوراتها دون أن تسقط وتهوى، وفي هذا يتجلى إحكام الصنع وإتقانه. وهنا سؤال أيضاً هو: إذا كان ذلك كذلك، فلم لم تنكشف هذه الحقيقة للمسلمين الأولين؟ ولم لم يطلبها الصعابة، ولم يكتفوا أنفسهم البحث عنها، وهم أعرف الناس بكتاب الله، وأقربهم من مواقع الحق فيه؟

ونقول: إن صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم - كان متعلقهم بآيات الله، هو الجانب الروحي منها، ولم يكن يعينهم من هذا الوجود ظواهره، وإنما كان هتهم

تدور حول نفسها مرة كل يوم؛ ألم يكن في إعلان هذه الحقيقة ما يدخل اللبس على قلوب المؤمنين، فوق ما يترك ألسنة المشركين بالبهت والتكذيب.

والجواب - والله أعلم - أن النظم القرآني، قد جاء على صورة تدفع هذا الاحتمال من جانبيه جميعاً.

فأولاً: يقرر القرآن صراحة أن الجبال ثابتة في مرأى العين. وهذا لا يبادل فيه أحد، وهذا هو السر في ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدًا﴾، وكما يقول سبحانه: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسُهَا﴾ الشارحات: ٣٢، وكما يقول جل شأنه: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ التبا: ٧.

ثانياً: إن هذه الجبال الثابتة في مرأى العين، هي في حقيقتها متحركة، وهذه الحركة حقيقة لا تنكشف إلا بالعلم والبحث، لأنها قائمة وراء هذا الظاهر. فمن كان في استطاعته أن يبحث ويدرس، فليعمل، وسيجد مصداق ذلك، ومن لم يكن عنده هذا الاستعداد، فهو بين رجلين: مؤمن بالله وبآياته، مصدق بكل ما نزل على الرسول من ربه. وهذا لا يباري في هذه الحقيقة، ولا يشك فيها، وإنما هو مؤمن بها، سلم بما تحدثت بها القرآن عنها، ناظراً إلى اليوم الذي يقع له من العلم ما يكشف له عن وجه هذه الحقيقة، ومشارك، أو كافر بالله، فهو مكذب بآيات الله كلها، جليها وخفيها. فلا يدخل عليه من هذه الآية إلا ما متلاً به قلبه من جعود وإنكار.

وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْبَدَىٰ أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ﴾، ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ منصوب على الإغراء بفعل محذوف، تقديره: انظر، أو تأمل، أو نحو هذا.

من كلِّ شرك، وشكّ.

ومن أجل هذا، لم يُلْقَ القرآن الكريم أولئك الذين كانوا يريدون أن يدخلوا معه في ميدان المباحة والجدل، لم يلتمهم مجاباً أو مجادلًا، بل صرف وجهه عنهم، ودعاهم إلى أن يلتسوا الظُّهر لقلوبهم من داء الشُّرك أوَّلًا، فإذا فعلوا ذلك كان كلُّ شيء يقع لهم من علم - وإن قلَّ - مبارك الطاء، طيب التمر. وفي هذا يقول الله تعالى ردًّا على من سألوا هذا السؤال المتعنت عن الأهلة: مَا بَالُهَا تَبْدُو صَغِيرَةً، ثُمَّ تَكْبَرُ، ثُمَّ تَحُودُ فَتَصْغُرُ؟ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاجِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ الْبَقَرَةُ: ١٨٩﴾. ومن أجل هذا أيضًا أسك كثير من صحابة رسول الله، بما كشف لهم الرُّسول - صلوات الله وسلامه عليه - من أسرار هذا الوجود، في العالم الأرضي والسماوي، لأتتها كانت فوق أن يحتملها غيرهم. ولو أنها ذاعت في الناس يومئذ لكانت فتنة لهم، وكذلك فعل كثير من أهل العلم، الذين حلَّقت أرواحهم، في سواوات عالمية، فرأوا بشقافية أرواحهم مالا يراه غيرهم. [ثم استشهد بشعر (١٠: ٢٩٧)]

مكارم الشَّيرازي: والآية التالية تشير إلى إحدى آيات عظمة الله في هذا العالم الواسع، فتقول: ﴿وَنَزَى الْجِبَالَ فَحْصَهَا﴾ الآية، فهذا الذي لديه كلُّ هذا التظيم والإبداع في الخلق، لاريب في علمه ﴿وَأِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

يعتقد كثير من المفسرين أن هذه الآية تشير إلى المواد التي يقع بين يدي القيامة، لأننا نعرف أن في نهاية هذه الدنيا تقع زلازل وانفجارات هائلة، وتتلشى

حقيقته ولبابه، وما ظلوى عليه من علم وحكمة، وتقدير. إنهم كانوا في مستوى روحي رفيع، بحيث يصغر في أعينهم كلُّ ما هو ماديّ، وإن بهر العيون، وخلب الألباب. وإن فلان سأل إذا كان صحابة رسول الله قد اطلَّعوا على هذه الحقيقة من أمر الجبال أم لم يطلَّعوا، لأتتها كانت أقلَّ الحقائق التي اطلَّعوا عليها، وشغلوا بها، من عالم الحق.

ومن جهة أخرى فإن من كان يعرف هذه الحقيقة لم يكن يرى من الحكمة التحديث بها، وإذاعتها في المجتمع، إذ كانت مما لاتصدقه العقول يومئذ، فالحديث به فتنة، تشغل الناس، وتثير دغائنًا كثيرًا من الشكوك والريب، ذلك في الوقت الذي كانت فيه وجهة الدعوة الإسلامية هي محاربة الشُّرك والإلحاد، وتوجيه العقول والقلوب إلى وحدانية الإله الواحد، المنفرد بالخلق والأمر، رب العالمين. فكلُّ ما من شأنه أن يشغل عن هذه الغاية، هو في الواقع حركة مضادة لدعوة الإسلام، وحرب خفية عليها.

ولم هذا هو السرُّ في أن المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية، قد خلت تمامًا من التمرُّض للحقائق العلمية، التي تشغل العقول عن النظر المباشر إلى جلال الله سبحانه وتعالى، في صفحة هذا الوجود، نظرًا بدلاً القلوب روعة وخشوعًا، ورجه لهذا الإبداع الذي يتمثل في كلِّ كائن من تلك الكائنات المبيوتة في الأرض أو في السماء. فإن زهرة واحدة مثلاً، في جمال ألوانها وتناسق أصباغها، وتماثل أجزائها، جديدة بأن تفتح للإنسان طريقًا إلى الله، وإلى الإيمان به، إيمانًا وثيقًا، مبررًا

لأنّها تقول: إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِأَعْمَالِكُمْ أَلَيْ تَتَذَكَّرُونَ؟
والمستقبل. ولو كانت ترتبط بانتها العالم، لكان ينبغي
أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا فَعَلْتُمْ، فَتَأْتَمَرُوا بِدَقَّةٍ.

ويستفاد من مجموع هذه القرائن - بدقّة - أَنَّ هذه
الآية تكشف عن إحدى عجائب الخلق، وهي في الواقع
تشبه ما جاء في الآيتين أُنْفِثَ الذَّكْرُ ﴿وَأَلْسَمُ يَزُوا أَنَا جَعَلْنَا
الْأُنثَىٰ لِيَسْكُنَ فِيهَا﴾ التسل: ٨٧

وبناءً على ذلك فالآيات محلّ البحث قسم منها في
التوحيد، وقسم منها في المعاد.

ومانستتجه من هذا التفسير، هو أَنَّ هذه الجبال
التي تصوّرها ساكنة جامدة هي في سرعة مطّردة في
حركتها. ومن المقطوع به أَنَّهُ لا معنى لحركة الجبال من
دون حركة الأرض المتصلة بها، فيتضح من الآية أَنَّ
الأرض تتحرك كما يَرُ السحاب.

ووفقاً لحسابات علماء اليوم فإنّ سرعة حركة
الأرض حول نفسها تقرب من ٣٠ كيلو متراً في كلّ
دقيقة، وسرعة سيرها في حركتها الانتقالية حول
الشَّمْس أكثر من هذا المقدار.

لكن علام عني بالجبال دون غيرها؟ لعلّ ذلك إمّا
هو لأنّ الجبال يضرّب بها المثل لتقلها وقرارها، وتعدّ
مثلاً حسناً لبيان قدرة الله سبحانه؛ فعيت أَنَّ هذه الجبال
على عظمتها وما فيها من ثقل، تتحرك كالسحاب بأمر
الله مع الأرض، فقدّرت على كلّ شيء بيّنة وثابتة.

وعلى كلّ حال، فالآية تعدّ من معاجز القرآن
العلمية، لأنّها تعلم أَنَّ أوّل العلماء الذين اكتشفوا حركة
كرة الأرض غاليلو الإيطالي وكبرنيك اللّهستاني اللذين

الجبال وتنصل بعضها عن بعض، وهذه اللطيفة مشار
إليها في السور الأخيرة من القرآن كرازاً. ووقوع الآية
في سياق آيات القيامة دليل وشاهد على هذا التفسير.

إلاّ أَنَّ قرائن كثيرة في الآية تؤيّد تفسيراً آخر، وهو
أَنَّ هذه الآية من قبيل آيات التوحيد ودلائل عظمة الله
في هذه الدنيا، وتشير إلى حركة الأرض التي لانحسّ بها.
وتوضيح ذلك:

١- إِنَّ الآية تقول: تحسب الجبال ساكنة وجامدة مع
أنّها تمرّ مرّ السحاب. وهذا التعبير واضح أَنَّهُ لا ينجّم
مع الحوادث التي تقع بين يدي القيامة، لأنّ هذه
الحوادث من الواضح بكان، بحيث يُعبر عنها القرآن
﴿يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تُدَافِعُ كُلُّ مَرْصِعةٍ عَنَّا أَرْضٌ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ
بِسُكَارَىٰ﴾ الحج: ٢.

٢- تشبه حركة الجبال بحركة السحاب يتناسب مع
الحركات المتناسقة المادية، ولا يتناسب والإنفجارات
العظيمة التي تصطبّق منها المسامع.

٣- التعبير الآنف الذكر يدلّ على أَنَّهُ في الوقت الذي
تُرى الجبال بحسب الظاهر جامدة، إلاّ أنها في الواقع
تتحرك بسرعة، على حالتها التي تُرى فيها جامدة، أي
أَنَّ الملاحظين تبيّنان شيئاً واحداً.

٤- والتعبير «بالإبتقان» الذي يعني الإحكام
والتنظيم، يتناسب واستقرار نظام العالم، ولا يتناسب
وزمان انتياره وتلاشيته.

٥ - جملة «إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» مع ملاحظة أَنَّ
(تَفْعَلُونَ) فعل مضارع، تدلّ على أَنَّها تتعلق بهذه الدنيا،

الأرض: فتستوي هي والأرض. (٣: ٩١)

نحوه الطَّبْرَسِيّ. (٥: ١٦٤)

الطَّبْرَسِيّ: وتسير الجبال عن أماكنها من الأرض
سيراً، فتصير هباءً منبثاً. (٢٧: ٢١)

نحوه البَغَوِيّ (٤: ٢٩٠)، والمَسْبُودِيّ (٩: ٣٣٤)،

والبَغَوِيّ (٢: ٤٢٥)، وابن كثير (٦: ٤٣٦)،

وأبو السَّوْد (٦: ١٤٤)، والكَوَسِيّ (٢٧: ٢٩).

الْقُرْطُبِيّ: قيل: تسير كبير السحاب اليوم في
الدنيا. (١٧: ٦٣)

التَّسْفِيّ: في الهواء كالسحاب، لأنها تصير هباءً
منتثراً. (٤: ١٩٠)

الشَّرْبِينِيّ: أي تنتقل من أمكنتها انتقال السحاب،
وحقق معناه بقوله تعالى: (سَيَرًا) فتصير هباءً منتوراً،
وتكون الأرض قاعاً صافياً. (٤: ١١٢)

البُزْوَسيّ: أي تزول عن وجه الأرض فتصير
هباءً. وقال بعضهم: تسير الجبال كما تسير السحاب، ثم
تنشق أثناء السير حتى تصير آخره كالبعث المنفوش،
لهول ذلك اليوم، ومثله وجود السالك عند تجليّ الجلال
بالقضاء، فإنه لا يبق منه أثر. (٩: ١٨٩)

نحوه الرَّاغِيّ. (٢٧: ٢٠)

الطَّبْطَبَانِيّ: إشارة إلى زلزلة الساعة في الأرض
التي يذكرها تعالى في مواضع من كلامه، كقوله: ﴿إِذَا
رُجِّتِ الْأَرْضُ رُجًا﴾ وَنُشِيتِ الْجِبَالُ نُشًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً
مُنْتَفِثًا الواقعة: ٤ - ٦ وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ
فَكَانَتْ سَرَّابًا﴾ الباء: ٢٠. (١٩: ٧)

محمد جواد مغنّيه: ومضى مارت السماء ارتجت

أظهرها هذا الاعتقاد للملأ في أواخر القرن السادس عشر
وأوائل القرن السابع عشر، بالرغم من أن أصحاب
الكنيسة حكموا عليها بشدة، وفرضوا عليها الرقابة!
إلا أن القرآن كشف الستار عن وجه هذه الحقيقة
قبل هذين العالمين بألف عام تقريباً! وبين حركة الأرض
بالأسلوب الآنف الذكر، على أنها بعض أدلة التوحيد.

ويرى بعض فلاسفة الإسلام، في الوقت الذي
يقبلون فيه التفسير الثاني، وهو الإشارة إلى حركة
الجبال في هذا العالم، أن الآية ناظرة إلى «الحركة
الجوهريّة» في الأشياء، واعتقدوا أن الآية منسجمة
والنظرية المعروفة بالحركة الجوهريّة ومؤيدة لها، مع
أنّ تعبيرات الآية لا تتسجم وإياها، لأنّ التشبيه بحركة
السحاب تناسب الحركة بالمكان «الحركة في الأين»
لا الحركة في الجوهر.

فبناء على ذلك فإنّ ظاهر الآية يقبل تفسيراً
واحداً، وهو حركة الأرض الميكانيكيّة حول نفسها،
أو حول الشمس. (١٢: ١٤٠)

٥- وَتَصِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً. الطُّور: ١٠

مُجَاهِد: تدور وتسير الجبال سيراً، هذا في أوّل
الأمر ثمّ تُسَفّ حتى تصير آخرها كالبعث المنفوش.

(أَبُو حَتَّى: ٨: ١٤٧)

مُقَاتِل: تسير عن أماكنها حتى تستوي بالأرض.
(الْقُرْطُبِيّ: ١٧: ٦٣)

نحوه الواحدِيّ. (٤: ١٨٥)

الفَرَّاء: تدور بما فيها وتسير الجبال عن وجه

لأنّ الجبال والأرض كالثّشي الواحد. (٣: ١٨١)

الطّبريّ: فزلزلنا زلزلة واحدة. وقيل: (فَدَكْنَا)
وقد ذكر قبل الجبال والأرض، وهي جماع، ولم يقل:

فَدَكْنًا، لأنّه جعل الجبال كالثّشي الواحد. (ثمّ
استشهد بشعر] (٢٩: ٥٦)

القَمِيّ: وقمت فدكّ بعضها على بعض. (٢: ٣٨٤)
الطُّوسيّ: قيل: معناه بسطنا بسطة واحدة، ومنه
الدُّكَّان. ويقال: اندكّ سنام البعير، إذا انفرس في ظهره.
وقيل: المعنى حُمِلَت الأرض والجبال فصلك بعضها

على بعض حتّى تدكّ.

وإنّما قيل: (فَدَكْنَا) لأنّه جعل الجبال جملة،
والأرض جملة. (١٠: ٩٨)

الواحديّ: رفعت من أماكنها ﴿فَدَكْنَا دَكَّةً
وَاحِدَةً﴾ كسرنا كسرة واحدة لأشقيّ، حتّى يستوي
ما عليها من شيء مثل الأديم الممدود. (٤: ٣٤٥)
نحوه البَغَوِيّ. (٥: ١٤٥)

المُصَيِّدِيّ: أي حُمِلَ ما على الأرض من جبال
وأحجار وأشجار من أماكنها فطُهرت على الأرض.

(١٠: ٢٠٩)

الرّمَحْصَرِيّ: وُرفعت من جهاتها بروج بلغت من
قوّة عصنها أنّها تحمل الأرض والجبال، أو يخلق من
الملائكة، أو بقدرّة الله من غير سبب.

والدّكّ أبلغ من الدّقّ. وقيل فبسطنا بسطة واحدة
فصارنا أرضاً لأثرى فيها عوجاً ولأمتاً، من قولك:
اندكّ السّنام، إذا انفرس، وبعير أدكّ، وثاقه دكّاء، ومنه
الدُّكَّان. (٤: ١٥١)

الأرض وزالت الجبال عن أماكنها. وتشير الآيتان إلى
قيام السّاعة وخراب الكون؛ حيث تُحْضَرُ الخلائق
للحساب والجزاء. (٧: ١٦٢)

مكارم الشّيرازيّ: أجل، الجبال تتقلّع من
أماكنها وتتحرك وتسير، ثمّ تدكّ وتلاشى كما تشهد
بذلك آيات القرآن الآخر، فتدوا ﴿كَأَلَيْهِنَّ الْمُتَفَوِّشُ﴾
القارعة: ٥. ثمّ تكون قاعاً خالية من كلّ شيء، كما يقول
القرآن: ﴿يَبْدُوهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ طه: ١٠٥.

(١٧: ١٤٩)

فضل الله: فتزول عن أماكنها؛ وبذلك يقع الزّلازل
الّذي تنتهي به الحياة الطّبيعيّة على الأرض، ليستمدّ
النّاس للوضع الجديد الّذي يطلقون فيه سراحاً إلى يوم
القيامة. (٢١: ٢٣٤)

٦- وَيُسَبِّتُ الْجِبَالُ نَبْشًا. الواقعة: ٥
تقدّم في «ب س س» فلاحظ.

٧- وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً.

الحاقّة: ١٤

ابن زَيْد: صارت غُبَارًا. (الطّبريّ: ٢٩: ٥٦)
ضُرب بعضها على بعض حتّى صارتا غُبَارًا.
(الطُّوسيّ: ١٠: ٩٨)

القَوّاء: ولم يقل: فَدَكْنًا، لأنّه جعل الجبال
كالواحد، وكما قال: ﴿أَنَّ السَّنَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَأَنَّهُمَا
رَتْقًا﴾ الأنبياء: ٣٠. ولم يقل: كنّ رَتْقًا، ولو قيل في
ذلك: وحملت الأرض والجبال فدكّت، لكان صواباً.

وقيل: تُبَسِّط فتصير أرضًا لأتسرى فيها عوجًا ولأمتًا، وهو من قولهم: بمر أدك وناقدة دكاء. إذا ضعف فلم يرتفع سنامها، واستوت عراجينها مع ظهرها.

(٣٢٣: ٨)

الشَّرِيبَتِي: أي التي بها نباتها، حملتها الرِّيح أو الملائكة أو القدرة من أماكنها، ﴿فَذُكَّتَا﴾ أي مُسحت الجسمتان الأرض وأوتادها، وُسِطت وذُقَّت بعضها بعض ﴿ذُكَّةٌ وَاجِدَةٌ﴾، أي فصارتا كشيء مهيلًا بأيسر أمر، فلم يميز شيء منها عن الآخر بل صارتا في غاية الاستواء، ومنه اندك سنام البعير، إذا انخرس في ظهره.

[تم نقل كلام الفراء]

الآلُوسِي: رفعنا من أحيازهما بمجرّد القدرة الإلهية، من غير واسطة مخلوق أو بتوسط نحو ربح أو ملك، قيل: أو بتوسط الزلزلة، أي بأن يكون لها مدخل في الرفع، لأنّها رافعة لها حاملة إيّاها، يقال: إنّها ليس فيها حمل وإنما هي اضطراب.

وقيل: يجوز أن يخلق الله تعالى من الأجرام العلوية ما فيه قوّة جذب الجبال ورفضها عن أماكنها، أو أن يكون في الأجرام الموجودة اليوم ما فيه قوّة ذلك إلّا أنّ في البين مانعًا من الجذب والرفع، وأنّه يزول بعد فيحصل الرفع، وكذا يجوز أن يعتبر مثل ذلك بالنسبة إلى الأرض، وأن تكون قوّة الجاذبين مختلفتين، فإذا حصل رفع كلّ إلى غاية يريدّها الله تعالى حدث في ذلك الجاذب ما لم يبق معه ذلك الجذب من زوال مسأته ونحوه، وحصل بين الجبال والأرض ما يوجب التصادم.

ويجوز أيضًا أن يحدث في الأرض من القوى

نحوه الفخر الرازي (٣٠: ١٠٧)، والبیضاوي (٢: ٥٠٠)، والثيسايوري (٢٩٩: ٣٦)، وأبوالمشود (٦: ٢٩٥)، والبروسوي (١٠: ١٣٧).

الطَّبْرَسِي: [نحو الواحدي وأضاف:]

قيل: ضُرب بعضها ببعض حتّى تفتت الجبال ونسفتها الرِّياح، وبقيت الأرض شيئًا واحدًا لا جبل فيها ولا رابية، بل تكون قطعة مستوية، وإنما قال: (ذُكَّتَا) لأنّه جعل الأرض جملة واحدة والجبال جملة واحدة.

(٣٤٦: ٥)

أبوحيان: قرأ الجمهور (وَحُمِلَتْ) بتخفيف الميم، وابن أبي عَبدَةَ وابن مُقْسَم والأعشى وابن عامر في رواية يسمي بتشديد ها، فالتخفيف على أن تكون الأرض والجبال حملتها الرِّيح العاصف أو الملائكة أو القدرة من غير واسطة مخلوق. ويعد قول من قال: إنّها الزلزلة، لأنّ الزلزلة ليس فيها حَمَلٌ إنّما هي اضطراب.

والتشديد على أن تكون للتكثير، أو يكون التضمين للتقل، فجاز أن تكون (الأرض وَالْجِبَال) المفعول الأوّل، أقيم مقام الفاعل، والثاني محذوف، أي ربحًا تفتتها أو ملائكة أو قدرة. وجاز أن يكون الثاني أقيم مقام الفاعل والأوّل محذوف، وهو واحد من الثلاثة المقدّرة.

وثنى الضمير في ﴿فَذُكَّتَا﴾ وإن كان قد تقدّمه ما يعود عليه ضمير الجمع، لأنّ المراد جملة الأرض وجملة الجبال، أي ضرب بعضها ببعض حتّى تفتت، وترجع كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا سَهْلًا﴾، والدّلّة فيه تفرّق الأجزاء، لقوله: (هَبَاءٌ) والدّقّ فيه اختلاف الأجزاء.

وحمل الأرض وجبالها، هو ظهورها معلقة في الفضاء، كما هي عليه في حقيقتها، التي هي أشبه بكرة معلقة في فلك الكون. هكذا يراها الإنسان يوم القيامة بما عليها من جبال وبحار، حين يكون معلقاً في سواوات عالية، فوق هذه الأرض.

وذلك الأرض مع الجبال، هو اندماجها في كيان واحد؛ وذلك في مرأى العين التي تنظر إليها من بعيد، كما نظر نحن من عالمنا الأرضي إلى القمر، فزاره سطحاً مستويًا، لا جبال فيه، ولا واد. وهذا يعني أن الناس إذ يُعانون يوم القيامة، يخرجون من العالم الأرضي، إلى عالم آخر. فالأرض هي عالم الناس الدنيوي، ولأنك أن الناس في الآخرة عالمًا غير هذا العالم. وهذا ما يشير إليه ﴿وَيَوْمَ نُسَوِّي الْجِبَالَ ذُرًى وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧، فغروب الأرض لا يبدو إلّا من خرج منها، وظهر إليه من مكان خارج عن فلكها. كما يشير إلى ذلك أيضًا، تلك الحالة التي سيَبَت الناس عليها في ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُورِ﴾ القارعة: ٤، وفي ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ القمر: ٧.

(١١٣٢: ١٥)

فضل الله: فتحوّلنا إلى أجزاء صغيرة مستفتة لاحتك شيئًا من التماسك والصلابة، وذلك كناية عن الجوّ الجديد الذي يحدث في الكون بقدره الله، يوم تُبدّل الأرض غير الأرض لتتلائم مع الحياة الجديدة، في أوضاعها وشؤونها. (٧٣: ٢٣)

ما يوجب قذفها للجبال، ويحدث للأرض نفسها ما يوجب رفعها عن حيّزها، وكون القوى منها ما هو متناثر ومنها ما هو متحابّ ممّا لا يكاد يُنكر.

وقيل: يمكن أن يكون رفعها بمصادمة بعض الأجرام كذوات الأذناب على ما قيل فيها جديدًا للأرض، فتتفصل الجبال وترتفع من شدة المصادمة، ورفع الأرض من حيّزها. ولا يعني أن كلّ هذا على ما فيه لا يحتاج إليه، ويكتفينا القول بأنّ الرفع بالقدرّة الإلهيّة التي لا يتصاها شيء. [ثم قال نحو أبي حيان وأضاف:] وقال بعض الأجلة: أصل الذكّة الضرب على ما ارتفع لينخفض، ويلزمه التسوية غالبًا، فلذا شاع فيها حتّى صار حقيقة، ومنه أرض دكّا، للتسوية المستوية، وبمعير أدكّة وناقّة دكّا، إذا ضعفا فلم يرتفع سنامها، واستوت خدجتها مع ظهرهما. فالمراد هاهنا فُسْطُنا بسطة واحدة، وسوّيتا فصارتا أرضًا لا تُرى فيها عوجًا ولا أمثًا. ولعلّ الثّقَت مَقْدَمَةٌ للتسوية أيضًا. (٤٤: ٢٩) القاسمي: أي رُفَعَتا وضربتا ببعضها من شدة الزلازل. وفي توصيفها بالوحدة تنظيم لها، وإشعار بأنّ المؤثّر لذلك الأرض والجبال وخراب العالم، هي وحدها، غير محتاجة إلى أخرى. (٥٩١٤: ٦٦)

الطُّبَّاءُ طَبَّائِي: الذكّة: أشدّ الدقّ، وهو كسر الشيء وتبديله إلى أجزاء صغار، وحمل الأرض والجبال إحاطة القدرة بها، وتوصيف الذكّة بالوحدة للإشارة إلى سرعة تفكّتها، بحيث لا يفتقر إلى دكّة ثانية. (٣٩٧: ١٩)

عبد الكريم الغطيب: أي رُفَعَت الأرض والجبال،

فكانتا كيانًا واحدًا.

٨- وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ. المارج: ٩

مُجَاهِدٌ: كَالصَّوْفِ.

مثله قَتَادَةُ. (الطَّبْرِيُّ ٢٩: ٧٣)

الحَسَنُ: كَالصَّوْفِ الْأَحْمَرِ. (البَغَوِيُّ ٥: ١٥٢)

نَحْوُ الْمَيْبُذِيِّ. (١٠: ٢٢٦)

وَالجِبَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَسِيرُ بِالزِّيَاحِ، ثُمَّ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ فَتَهْتَدُ، ثُمَّ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ بِهَا فَتَصِيرُ هَبَاءً مَبْثُورًا.

(ابن عَطِيَّة ٥: ٣٦٦)

السُّدِّيُّ: كَالصَّوْفِ الْمَنْفُوشِ. (٤٦١)

مثله مُغَاتِلٌ. (البَغَوِيُّ ٥: ١٥٢)

ابن قُتَيْبَةَ: أَيِ كَالصَّوْفِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تُبَسِّسُ.

(٤٨٥)

الطَّبْرِيُّ: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالصَّوْفِ. (٢٩: ٧٣)

الْمَاوُزِيُّ: يَعْنِي كَالصَّوْفِ الْمَصْبُوغِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا

تَلِينُ بَعْدَ الشَّدَةِ، وَتَتَفَرَّقُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ. (٦: ٩٢)

نَحْوُ الطَّبْرِيِّ (٥: ٣٥٣)، وَالْقُرْطُبِيُّ (١٨: ٢٨٥).

الطُّوسِيُّ: هَذَا الِئْهَنُ: الصَّوْفُ الْمَنْفُوشُ، وَذَلِكَ أَنَّ

الْجِبَالَ تُتَطَعُ حَتَّى تَصِيرَ بِهَذِهِ الصَّفَةِ، كَمَا أَنَّ السَّمَاءَ تُشَقَّقُ

بِالنَّهَامِ وَتَكُونُ كَالْمُهْلِ. (١٠: ١١٦)

الْوَاهِدِيُّ: كَالصَّوْفِ الْأَحْمَرِ فِي خِفَّتِهَا وَسِرِّهَا.

(٤: ٣٥٢)

البَغَوِيُّ: كَالصَّوْفِ الْمَصْبُوغِ، وَلَا يُقَالُ: لِئْهَنٌ إِلَّا

لِلْمَصْبُوغِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَالصَّوْفِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ أَضْفَرُ

الصَّوْفِ. وَأَوَّلُ مَا تَتَغَيَّرُ الْجِبَالُ تَصِيرُ رَمْلًا مَهِيلًا، ثُمَّ هَبَاءً

مَنْفُوشًا، ثُمَّ تَصِيرُ هَبَاءً مَثُورًا. (٥: ١٥٢)

الرَّمَحْشَرِيُّ: كَالصَّوْفِ الْمَصْبُوغِ أَلْوَانًا، لِأَنَّ الْجِبَالَ

جُدَّدَ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ، فَبِإِذَا

بُسَّتْ وَطِيرَتْ فِي الْجَوْأِ أَشْبَهَتْ الِئْهَنَ الْمَنْفُوشَ إِذَا طِيرَتْهُ

الرَّيْحُ. (٤: ١٥٧)

نَحْوُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ (٣٠: ١٢٥)، وَالْبَيْضَاوِيِّ (٢: ٥٠٣)،

وَالْحَسَّانِ (٧: ١٢٥)، وَالتَّسْلِيَّ (٤: ٢٩١)،

وَأَبُو حَتَّىانَ (٨: ٣٢٤)، وَأَبُو السُّعُودِ (٦: ٣٠١)،

وَالْبُرُوسِيُّ (١٠: ١٥٩)، وَالْأَكُوسِيُّ (٣٠: ٥٩)،

وَالطَّبَّاطَبِيُّ (٩: ٢٠).

ابن عَطِيَّةُ: (الِئْهَنُ): الصَّوْفُ دُونَ تَقْيِيدٍ. وَقَدْ قَالَ

بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ: هُوَ الصَّوْفُ الْمَصْبُوغُ أَلْوَانًا، وَقِيلَ:

الْمَصْبُوغُ، أَيِ لَوْنٌ كَانَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْأَحْمَرُ،

وَاسْتَدْلَلَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الْمَصْبُوغُ أَلْوَانًا... وَتَشَبَّهَ الْجِبَالُ بِهِ

عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، لِأَنَّهَا جُدَّدَ بَيضٌ وَحُمْرٌ وَسُودٌ، فَيُجْمَعُ

التَّشْبِيهُ مِنْ وَجْهَيْنِ: فِي الْأَلْوَانِ وَفِي الْإِتِّفَاقِ. وَمَنْ قَالَ

إِنَّ الِئْهَنَ: الصَّوْفُ دُونَ تَقْيِيدٍ، جَعَلَ التَّشْبِيهِ فِي

الْإِتِّفَاقِ، تَحْلِيلُ الْأَجْزَاءِ فَقَطْ. (٥: ٣٦٦)

الشَّرِينِيُّ: أَيِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ الْأَرْضِ وَأَثْقَلُ مَا فِيهَا

(كَالِئْهَنٍ) أَيِ كَالصَّوْفِ فِي الْخِفَّةِ وَالطَّيَرَانِ بِالرَّيْحِ.

(٤: ٣٨٢)

الصَّرَاهِيُّ: أَيِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ هَبَّةً غَيْرَ مُتَلَاخِةٍ،

كَأَنَّهَا الصَّوْفُ الْمَنْفُوشُ إِذَا طِيرَتْهُ الرَّيْحُ. (٢٩: ٦٨)

مَكَارِمُ الشَّيْرَازِيِّ: (الِئْهَنُ): مُطْلَقُ الصَّوْفِ

الْمَصْبُوغِ أَلْوَانًا، نَعَمْ، فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَتَلَاشَى السَّمَاوَاتُ

وَتَذُوبُ، تَتَذَكَّدُ الْجِبَالُ ثُمَّ تَتَنَاطَرُ فِي الْهَوَاءِ، كَالصَّوْفِ

الَّذِي يَكُونُ فِي مَهَبِ الرَّيْحِ. وَيَا أَنَّ الْجِبَالَ ذَاتَ أَلْوَانٍ

مُخْتَلِفَةٍ فَلِئْهَنًا قَدْ شَبَّهَتْ بِالصَّوْفِ الْمَصْبُوغِ بِالْأَلْوَانِ، ثُمَّ

يَتَحَقَّقُ عَالَمٌ جَدِيدٌ وَحَيَاةٌ جَدِيدَةٌ لِلْبَشَرِيَّةِ بَعْدَ كُلِّ هَذَا

الخراب.

ليكون علامة لهيئة القيامة، وأمانة لجريان حكم الله في
مؤاخظة العاصين.

أفرد الجبال بالذكر مع كونها من الأرض، لكونها
أجساماً عظيماً أوتاداً لها، فإذا تزلزلت الأوتاد لم يبق
للأرض قرار. وأيضاً إن زلزلة العلويات أظهر من زلزلة
التفليات، ومن زلزلتها تبلغ القلوب المحتاجر خوفاً من
الوقوع. وكانت الجبال من شدة الزجفة مع صلابتها
وارتفاعها (كثيلاً). (١٠: ٢١٤)

الآلوسي: أي استقر ذلك العذاب لدينا وظهر يوم
تضطرب الأرض والجبال وتزلزل. (٢٩: ١٠-٨)
القاسمي: أي تضطرب وترج بالزلازل.
(١٦: ٥٩٦٦)

عيد الكريم الخطيب: إشارة إلى ما يحدث
للأرض في هذا اليوم من اضطراب؛ حيث تُشقّ القبور
وتخرج ما فيها؛ وحيث توجّه هذه الأمواج المتدافعة من
الخلق الذين يسافون إلى المشرق، ورجفة الأرض
والجبال، هي من رجفة الخلائق يوم البعث، من فزعهم
من أحوال هذا اليوم العظيم، كما يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ
يُنْفَعُ فِي الصُّورِ فَنَرَعُ مَنْ فِي السَّنَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ التمل: ٨٧. (١٥: ١٢٦٣)

١٠- وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً. المزمّل: ١٤
ابن عباس: الكتيب المهيل: اللين الذي إذا مسته
تتابع. (الطبري: ٢٩: ١٣٦)
الزمل السائل. (الطبري: ٢٩: ١٣٦)
منه ابن قتيبة (٤٩٤)، والمسيدي (١٠: ٣٦٩).

عندما يكون يوم القيامة، في ذلك العالم الجديد،
فيكون فيه الحساب عسيراً ومرعباً؛ بحيث يشغل كل
بنفسه، ويستغني الواحد عن الآخر. (١٩: ٢١)

٩- يَوْمَ تَوُجَّفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ. المزمّل: ١٤
الطبري: ورجفان ذلك: اضطرابه بن عليه، وذلك
يوم القيامة. (٢٩: ١٣٥)

الطوسي: أي اعتدنا هذه الأنواع من العذاب في
يوم ترجف الأرض، أي تتحرك باضطراب شديد،
(وَالْجِبَالُ) أي وترجف الجبال معها أيضاً. (١٠: ١٦٦)
نحوه الطبري: (٥: ٣٨٠)

الواحد: تزلزل وتتحرك. (٤: ٣٧٦)
نحوه البكري: (٥: ١٧٠)، والحازن (٧: ١٤٠).

المسيدي: أي تتحرك الأرض حركة شديدة،
وتزول الجبال عن أماكنها. (١٠: ٢٦٩)
نحوه السني: (٤: ٣٥)

الفخر الرازي: الزجفة: الزلزلة والزعرعة
الشديدة. (٣٠: ١٨٢)
القرطبي: أي تتحرك وتضطرب بن عليها.

(١٩: ٤٦)
الطبري: والزجفة: الزلزلة والزعرعة الشديدة،
فتزلزل (الأرض) أي كلها، (وَالْجِبَالُ) أي التي هي
أشدها. (٤: ٤١٩)

البيروني: والزجفة: الزلزلة والزعرعة
الشديدة، أي تضطرب وتزلزل هيبة الله وجلاله،

﴿وَيَوْمَ نُصَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ الكهف: ٤٧، وقال: ﴿وَهِيَ تَشْرُؤُ مَرَّ الشَّخَابِ﴾ النمل: ٨٨، وقال: ﴿وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ﴾ التبا: ٢٠، فمذ ذلك تصير مهيلًا.

فإن قيل: لم يقل: وكانت الجبال كنبأنا مهيلة؟ قلنا: لأنها بأسرها تجمع تصير كنبأنا واحدًا مهيلًا.

(٣٠: ١٨٢)

الشَّرِيبَتِي: أي وتكون (الْجِبَالُ) التي هي مراسي الأرض وأوتادها.

وعبر عن شدة الاختلاط والتلاشي بالتوحيد، فقال تعالى: (كَيْتَابًا) أي رملاً مجتمعا، من كَتَبَ الشيء إذا جمعه، كَأَنَّهُ «فعل» بمعنى «مفعول» في أصله، ومنه الكتبة من اللبن.

(٤١٩: ٤)

نحوه أبو السُّدُود.

الْبُرُوسِي: ... وخص الجبال بالتشبيه بالكتيب المهيل، لأن ذلك خاصة لها، فإن الأرض تكون مقررة في مكانها بعد الزجفة، دل عليه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ط: ١٠٥ - ١٠٧، والحاصل أن الأرض والجبال يذق بعضها ببعض كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة: ١٤، فترجع الجبال ﴿كَيْتَابًا مَهِيلًا﴾ ثم ينسفها الزجج فتصير (هَبَاءً مُنْبَثًا) وتبقى الأرض مكانها ثم تبدل كما مر.

وفي «التأويلات التجميعة»: يوم ترجف أرض البشرية وجبال الأنانية، وكانت جبال أنانية كل واحد، رملاً متورًا مقتتا، شبه التميمات الاعتبارية

مُجَاهِد: ينال. (الطَّبْرِي ٢٩: ١٣٦) الصَّحَاك: المهيل: الذي إذا وطأته القدم زل من تحتها، وإذا أخذت أسفله انهار أعلاه.

(الطَّبْرِي ٥: ٣٨٠)

الْكَلْبِي: هو الزمل الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك آخره. (الواحد ٤: ٣٧٦)

نحوه المازن. (٧: ١٤٠)

الطَّبْرِي: وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثراً.

(٢٩: ١٣٦)

القُتَيْبِي: مثل الزمل ينحدر. (٢: ٣٩٢) الطُّوسِي: [نقل قول ابن عباس ثم قال:]

فالكتيب: الزمل المجتمع الكثير، و«مهيل» مفعول من: هلئت الزمل أهيلة، وذلك إذا حرك أسفله فسال أعلاه. ويقال: مهيل، كما يقال: مكيل ومكيل، وانهار الزمل انهيلاً.

(١٠: ١٦٦)

الواحد ١: (كَيْتَابًا): رملاً (مهيلًا): سائلاً. ويقال لكل شيء أرسلته إرسالاً من رمل أو تراب أو طعام: هلئت أهيلة هيلًا.

(٤: ٣٧٦)

نحوه البَوَيْ.

الطَّبْرِي: والمعنى أن الجبال تنقل من أسوفا فتصير بعد صلاحتها كالزمل السائل. (٥: ٣٨٠)

الفُغَرَاوَزِي: [بين معنى كلمة (كَيْتَابًا) و(مهيلًا) ثم قال:]

إذا حرفت هذا فنقول: إنه تعالى يفرق تركيب أجزاء الجبال وينسفها نسفاً، ويعملها كالمهن المنفوش، فمعد ذلك تصير كالكتيب، ثم إنه تعالى يحررها على ما قال:

١١- وَإِذَا الْجِبَالُ تُسْفَتُ . المرسلات : ١٠

ابن عباس : سَوَتْ بِالأَرْضِ .

مثله الكَلْبِيُّ . (الْقُرْطُبِيُّ : ١٩ : ١٥٧)

المُتَّبِد : قُلْتُ مِنْ مَوْضِعِهَا . (الْقُرْطُبِيُّ : ١٩ : ١٥٧)

نحوه الواحدِيُّ (٤ : ٤٠٧) ، والبغوي (٥ : ١٩٦) .

والخازن (٧ : ١٦٣) ، والطبرسي (٥ : ٤١٥) .

الطَّبْرِيُّ : وَإِذَا الْجِبَالُ تُسْفَتُ مِنْ أَصْلِهَا ، فَكَانَتْ

هَبَاءً مُنْبَأً . (٢٩ : ٢٣٣)

الماوردي : أَيِ ذَهَبَتْ . (٦ : ١٧٧)

الطُّوسِي : تُسْفَتُ الْجِبَالُ : إِذْهَابُهَا حَتَّى لَا يَبْقَ لَهَا فِي

الأَرْضِ أُنْزُ ، وَالتَّسْفُ : تَحْرِيكُ الشَّيْءِ بِمَا يَخْرُجُ تَرَابِهِ

وَمَا اخْتَلَطَ بِهِ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ ، وَمِنْهُ سَمِيَ «التَّسْفُ» وَنَفِ

الْحُبُوبُ كُلُّهَا تَجْرِي عَلَى هَذَا الْوَجْهِ . وَقَوْلُهُ : (تُسْفَتُ) مِنْ

قَوْلِهِ : أُنْسَفَتِ الشَّيْءُ ، إِذَا أَخَذَتْهُ بِسُرْعَةٍ . (١٠ : ٢٢٥)

المُتَّبِدِيُّ : حُرِّكَتْ وَقُلْعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَأُذْهِبَتْ

بِسُرْعَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَ لَهَا أُنْزُ ، يُقَالُ : انْتَسَفَتِ الشَّيْءُ ، إِذَا

أَخَذَتْهُ بِسُرْعَةٍ . (١٠ : ٣٣٧)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ : فِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : تُسْفَتُ كَالْحَبِّ الْمَغْتِ ، إِذَا نُسِفَ بِالْمِئْسَفِ ،

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : «لَنَحْزَنَنَّهْ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهْ» طه : ٩٧ .

وَالْظَّاهِرُ «وَتُسْفَتُ الْجِبَالُ نُسْفًا» الواقعة : ٥ . «وَكُنَّاتِ

الْجِبَالِ كَتَبْنَا تَهْيَلًا» المزمّل : ١٤ ، «فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي

نُسْفًا» طه : ١٠٥ .

وَالثَّانِي : [نحو المُتَّبِدِي] (٣٠ : ٢٦٩)

الْقُرْطُبِيُّ : [نحو المُتَّبِدِي وَأَصَافُ :

قِيلَ : التَّسْفُ : تَفْرِيقُ الْأَجْزَاءِ حَتَّى تَدْرُوهَا الرِّيَّاحُ .

الموهومة بالزّمل ، لسرعة زوالها وانتثارها . (١٠ : ٢١٥)

الآلُوسِيُّ : «وَكُنَّاتِ الْجِبَالِ» مَعَ صَلَاتِهَا

وَارْتِفَاعِهَا (كَتَبْنَا) رَمْلًا مُجْتَمِعًا ، مِنْ كَتَبَ الشَّيْءُ ، إِذَا

جَمَعَهُ ، فَكَانَتْ فِي الْأَصْلِ «فَعِيلٌ» بِمَعْنَى «مَفْعُولٌ» ، ثُمَّ

غَلَبَ حَتَّى صَارَ لَهُ حُكْمُ الْجَوَامِدِ . وَالْكَلَامُ عَلَى التَّشْبِيهِ

الْبَلِيغِ ، وَقِيلَ : لِأَمَانَعٍ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَمْلًا حَقِيقَةً . [ثُمَّ أَدَامَ

الْكَلَامَ فِي مَعْنَى (تَهْيَلًا)] (٢٩ : ١٠٨)

الْفَرَاغِيُّ : أَيِ ذَلِكَ الْعَذَابِ فِي يَوْمٍ تَضْطَرِبُ فِيهِ

الأَرْضُ ، وَتَزَلْزَلُ الْجِبَالُ وَتَتَفَرَّقُ أَجْزَاؤُهَا ، وَتَصِيرُ

كَالْمُهْنِ الْمَفْشُوشِ ، وَكَالْكُتَيْبِ الْمُهِيلِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ حِجَارَةً

صَمَاءً ، ثُمَّ يَنْسِفُهَا رَبِّي نُسْفًا ، فَلَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ .

(٢٩ : ١١٧)

مُحَمَّدُ جَوَادُ مَغْنِيهِ : هَذَا وَصَفَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَأَهْوَالِهِ ، مِنْهَا اهْتِزَازُ الْأَرْضِ بِأَهْلِهَا ، وَتَحْوِيلُ الْجِبَالِ إِلَى

تَلَالٍ مِنْ رَمْلٍ تَهَارُوتُزُولُ لِأَضْعَفِ الْأَسْبَابِ . (٧ : ٤٥٠)

عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطِيبُ : إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى

مَا يَصِيبُ الْجِبَالِ مِنْ أَحْدَاثِ هَذَا الْيَوْمِ وَشِدَّتِهِ ، وَأَنَّهَا

تَتَفَتَّتُ ، وَتَنَارُ ، وَتَبْدُو مِثْلَ كُتَيْبٍ مِنَ الزَّمَلِ الْمُهِيلِ ، أَيِ

غَيْرِ الْمُنَاسِكِ . (١٥ : ١٢٦٣)

مُكَارِمُ الْقَيْرَازِيِّ : وَالْمَعْنَى أَنَّ الْجِبَالِ تَتَلَاثَى :

بِحَيْثُ تَظْهَرُ بَيْتَةُ الزَّمَلِ النَّاعِمِ - وَهُوَ مَا لَا يَسْتَقَرُّ - وَإِذَا

مَادِيَتْ بِالْأَقْدَامِ فَاتَّهَا تَطْلُسُ فِيهَا . وَلِلْفَرَّانِ الْجَبِيدِ

تَمَايِيرُ مُخْتَلِفَةٌ عَنْ مَصَائِرِ الْجِبَالِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَكِنَّهَا

تَحْكِي عَنْ انْدِمَاجِهَا وَتَبْدِيلِهَا بِالْأُتْرَةِ النَّاعِمَةِ .

(١٩ : ١٢٨)

المنفوس، وكما يُعبرُ بعضُ المفسرين فإنَّ هذه الحوادث عظيمةٌ للغاية؛ بحيث عندما يرى الإنسان هذه الزلازل يعيشه يعتبرها كالبولونات الصغيرة التي يفرقها الأطفال للعب بها، مقابل أقوى قبلة دُرِّيَّة.

وعلى أي حال فإنَّ هذه التعابير القرآنية دليل على الاختلاف الكبير بين أنظمة الآخرة وأنظمة الدُّنيا.

(١٩: ٢٥٦)

١٢- وَشِيعَتِ الْجِبَالُ كَآثَتِ سَرَابًا. التِّبَا: ٢٠

ابن عباس: ذلك عند ارتفاع الفزع الأول فأزالها عن أماكنها، فصارت كما قال سبحانه: ﴿تَحْشِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُورُ مَوَّ السَّحَابِ﴾ التَّسَلُّ: ٨٨، ثم يدركها الفزع الثاني فصارت ﴿كَأَلِيهِنَّ السَّعْفُوسُ﴾ القارعة: ٥، ثم يدركها الفزع الثالث فصارت كشيء مهيلًا، ثم يدركها الفزع الرابع فسيَّرت في الأرض وذُهب بها، وذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ تُبْسَفُ﴾ المرسلات: ١٠، أي أزيلت بسرعة، حتى لا يبقى أثر. (المُجِيدِي: ١٠: ٣٥٤) الطَّبْرِي: ونُسفت الجبال فاجتَّت من أصولها، فصيرت هباءً منثورًا، لعين الناظر، كالسراب الذي يظن من يراه من بُعد ماءً، وهو في الحقيقة هباء. (٣٠: ٨)

نحوه البَيَّوْنِي (٥: ٢٠٠)، والمُحَازَن (٧: ١٦٧).

القُصِّي: تسير الجبال مثل السراب الذي يلعب في المفازة.

(٢: ٤٠١)

مثله الكاشاني.

المَاوُزِدِي: فيه وجهان: أحدهما: سيَّرت، أي أزيلت عن مواضعها. الثاني: نُسفت من أصولها.

ومنه نسف العلماء، لأنَّه يُحرَّك حتى يُذهب الريح بعض ما فيه من التَّبن.

أبو حنيفة: أي فرقتها الرياح، وذلك بعد التَّسير، وقبل كونها هباءً.

(٢٩: ١٨٠)

نحوه المِراغِي.

الشَّريبي: أي على صلابتها (نُسِفَتْ) أي ذُهب بها كلها بسرعة، من نسف الشيء، إذا اختطفته، أو نُسِفَ كالحب، إذا نُسِفَ بالمُنسِف.

(٤: ٤٦٣)

نحوه أبو السعود (٦: ٣٤٨)، والآلوسي (٢٩: ١٧٢). البُزْوَسي: جعلت الحب الذي يُنْسَفُ بالمُنسِف، وهو ما يُنفِض به الحب ويُذرى. [إلى أن قال:]

وفيه إشارة إلى تلاشي جبال الخيالات والأوهام الفاسدة الكاسدة، عند بوادي المشاهدات وهوادي المعانيات.

(١٠: ٢٨٣)

الطَّبَّاطِبَائِي: أي قُلِّمت وأزيلت، من قولهم: نسف الريح الشيء، أي اقتلعه وأزالته. (٢٠: ١٤٩) مكارم الشَّيرازي: (نُسِفَتْ) من مادة «نَسَفَ» على وزن حَذَف، وفي الأصل بمعنى وضع حبوب الغذاء في الفريال وتحريكه، لزلزله القشور عن الحبوب، ويعني هنا تقطعت الجبال ثم نسفها في الريح.

ونستفيد من بعض آيات القرآن المجيد أنَّ انقراض

العالم يلازم وقوع حوادث مهولة، بحيث يتلاشى نظام العالم بكامله، وحلول نظام الآخرة الجديدة مكان ذلك

النظام. ولا يمكن وصف تلك الحوادث بأي بيان، لما فيها من الرَّعب والمعجب وهل يوصف حادث يقتلع فيه الجبال وتندك لتتحول إلى غبار وتكون كالصَّوف

والحالة الزاوية: أن تُنْشَفَ لأنَّها مع الأحوال المتقدمة
قارّة في مواضعها، والأرض تحتها غير بارزة فُتْشَفَ
عنها بإرسال الرياح عليها، وهو المراد من قوله: ﴿قُلْ
يُنْشِفُهَا رَبِّي نَشْفًا طه: ١٠٥﴾.

والحالة الخامسة: أن الرياح ترفعها عن وجه
الأرض فطيرها شحاً في الهواء كأنها غبار، فنظر
إليها من بُعد حسباً لتكاثفها أجساماً جامدة، وهي
بالحقيقة مازة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها
صيرها متدكة مفتحة، وهي قوله: ﴿تَمْرُ عَرُ
الشَّحَابِ التَّمْل: ٨٨﴾، ثم بين أن تلك الحركة حصلت
بقهره وتسغيره، فقال: ﴿وَيَوْمَ تُسْفَرُ الْجِبَالُ وَتَرَى
الْأَرْضَ بَارِزَةً الكهف: ٤٧﴾.

الحالة السادسة: أن تصير سراباً بمعنى لاشيء، فن
نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئاً، كما أن من يرى
السرّاب من بُعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم
يجده شيئاً، والله أعلم.

واعلم أن الأحوال المذكورة إلى هاهنا هي أحوال
عامة. (١١: ٣١)

نحوه النيسابوري. (٨: ٣٠)
القرطبي: أي لاشيء كما أن السرّاب كذلك، يظنه
الزّائي ماء وليس بماء. (١٧٤: ١٦)
مثله الشّريفي. (٤: ٧٦)

البيضاوي: مثل سرّاب إذ تُرى على صورة
الجبال ولم تبق على حقيقتها فتفت أجزائها وانباتها.
(٥٢٣: ٢)

أبوحيان: أي تصير شيئاً كلاً شيء، لتنفذ

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ فيه وجهان: أحدهما: فكانت
هباءً. الثاني: كالسرّاب لا يحصل منه شيء، كالذي يرى
السرّاب يظنه ماء وليس بماء. (١٨٥: ٦)
الطوسي: معناه زيلت الجبال عن أماكنها وأذهب
بها حتى صارت كالسرّاب. (٢٤٣: ١٠)
نحوه الميمني (١٠: ٣٥٤)، والطبرسي (٥: ٤٢٣).
الزمخشري: يعني أنها تصير شيئاً كلاً شيء،
لتنفذ أجزائها وانبات جواهرها. (٢٠٩: ٤)
ابن عطية: عبارة عن تلاشيها وفنائها بعد كونها
هباءً منبأً، ولم يرد أن الجبال تعود تشبه الماء على بُعد من
الناظر إليها. (٤٢٥: ٥)

الفخر الرازي: اعلم أن الله تعالى ذكر في مواضع
من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة، ويمكن
الجمع بينها على الوجه الذي نقوله: وهو أن أول
أحوالها: الاندكاك، وهو قوله: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ
وَالْجِبَالُ فَدُكَّتْ دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة: ١٤.

والحالة الثانية لها: أن تصير ﴿كَالْمُهْنِ الْمَتَفُوشِ﴾
وذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمُهْنِ وَالْجِبَالُ كَالْمُهْنِ
الْمَتَفُوشِ﴾ القارة: ٤، ٥، وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ
السَّاءُ كَالْمُهْنِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْمُهْنِ﴾ المارج:
٩، ٨.

والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، وذلك أن تتخلع
وتبدد بعد أن كانت كالهن، وهو قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ
الْأَرْضُ رُجًّا وَبُئِثَ الْجِبَالُ بَيْسًا﴾ فكانت هباءً
منبأً الواقعة: ٤-٦.

أجزائها وانثنت جواهرها. (٨: ٤١٢)

أبوالشعود: أي في الجوّ على هيأتها بعد قلعهما من مقارّها، كما يرب عنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْتَهَا جَازِيَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ التل: ٨٨، أي تراها رأي العين ساكنة في أماكنها والمحال أنها تمرّ مرّ السحاب الذي يسيره الريح سيرًا حثيثًا؛ وذلك أنّ الأجرام العظام إذا تحركت نحوًا من الأنحاء لامتداد يتيّن حركتها، وإن كانت في غاية السرعة لاسمًا من بعيد. [ثم استشهد بشر]

وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ السَّنْفُوشِ﴾ القارة: ٥، بيد الله تعالى الأرض ويغير هيأتها، ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدها، ثم يفرّقها في الهواء، وذلك قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ سَرَّابًا﴾ أي فصارَت بعد تسيرها مثل السراب، كقوله تعالى: ﴿وَبُشِبَتِ الْجِبَالُ بُهًا﴾ فكانت هباءً منثورًا الواقعة: ٥، ٦، أي غبارًا منتشرًا.

وهي وإن اندكّت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسيرها وتسوية الأرض إنّما يكونان بعد النفخة الثانية، كما خلق به قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَانًا صَفَصَفًا﴾ الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٨، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَتَرَوُنَّ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ إبراهيم:

٤٨، فإنّ أتباع الدّاعي الذي هو إسرائيل عليه السلام وسرور الخلق لله تعالى لا يكون إلّا بعد النفخة الثانية. (٦: ٣٥٩) البؤسوي: فيه إشارة إلى إزالة أنانيّة النفوس وتعتباتها، فإنّها عند القيامة الكبرى التي هي عبارة عن الفناء في الله تصير سرابًا، حتّى إذا جنبها لم تجدّها شيئًا. ولكن العوامّ المحجوبون إذا رأوا أهل الفناء يأكلون ممّا يأكلون منه ويشربون ممّا يشربون منه يظنون أنّ نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم، لكنهم يظنون بهم الظنّ السوء؛ إذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعًا وفارق عظيم جدًّا، لأنّهم أزالت رياح النّاية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقارّ أرض البشريّة، وجعلها الله متلاشية، وفتحت سماء أرواحهم فكانت أبوابًا كباب السّر والخفيّ والأخفى، فدخلوا من هذه الأبواب إلى مقام أو أدنى، فكانوا مع الحقّ حيث كان الحقّ معهم.

ثمّ نزلوا من هذه الأبواب العالية الحقيقية النّاطرة إلى عالم الولاية، فدخلوا في أبواب العقل والقلب والمتخيّلة والمفكّرة والمحافظة والذاكرة، فكانوا في مقام قاب قوسين مع الخلق، حيث كان الخلق معهم، فلم يحتجوا بالخلق عن الحقّ الذي هو جانب الولاية، ولا بالحقّ عن الخلق الذي هو جانب النّبوة، فكانوا في الظّاهر مصداق قوله تعالى: (يُوحىٰ إِلَىٰ) فأين المحجوبون عن مقامهم، وأنّى لهم إدراك شأنهم وحقيقة أمرهم. (١٠: ٣٠١)

الآلوسي: أي فصارت بعد تسيرها مثل سراب، فترى بعد تنفّثها وارتفاحها في الهواء كأنّها جبال وليست بجبال بل غبار غليظ متراكم، يرى من بعيد كأنّه جبل

وَالسَّمَوَاتِ وَيَرْزُقُوا لَهُ الْوَاجِدَ الْفَقِيرَ ﴿٤٨﴾ إبراهيم : ٤٨ ،
فَإِنَّ اتِّبَاعَ الدَّاعِي الَّذِي هُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وِبَرُوزِ الْخَلْقِ
لَهُ تَعَالَى لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَمَّا ائْتِدَاكَ
الْجِبَالِ وَانْصَادَاعُهَا عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى .

وقيل : إِنَّ تَسْيِيرَهَا وَصِرُورَتَهَا سِرَابًا عِنْدَ النَّفْخَةِ
الْأُولَى أَيْضًا ، وَأَبَاهُ ظَاهِرُ الْآيَةِ . نَعَمْ لَوْ جَعَلْتَ الْجَمْلَةَ
حَالِيَةً ، أَيْ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَقَدْ شَرِبْتَ الْجِبَالِ فَكَانَتْ
سِرَابًا ، لَكَانَ ذَلِكَ مَعْتَمَلًا ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا تَحْصِرُ سِرَابًا
لِتَسْوِيَةِ الْأَرْضِ ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَكْمٌ آخَرُ .

وقول بعضهم : أَنَّهَا تَجْرِي جَرِيَانِ الْمَاءِ وَتَسِيلُ
سِيلَانَهُ كَالسَّرَابِ فَيَزِيدُ ذَلِكَ فِي اضْطِرَابِ مَطْعَنِي
الْحَشْرِ ، وَغَلْبَةِ شَوْقِهِمْ إِلَى الْمَاءِ ، خِلَافَ الظَّاهِرِ .

(٣٠ : ١٣)

الْقَاسِمِيُّ : أَيْ رُفِعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَذَلِكَ
إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ تَقْسِيمِهَا وَجْعَلِهَا أَجْزَاءً مُتَصَاعِدَةً كَالْهَبَاءِ .

وَفِي الْآيَةِ تَشْبِيهُ بِلَيْلٍ . [ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ الْاَكْوَسِيِّ]

وَالْجَمَاعُ أَنَّ كُلًّا مِنْهَا يُرَى عَلَى شَكْلِ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ
بِهِ ، فَالسَّرَابُ يُرَى كَأَنَّهُ يَجْرِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَالْجِبَالُ إِذَا
فُتَّتْ وَارْتَفَعَتْ فِي الْهَوَاءِ ، تُرَى كَأَنَّهَا جِبَالٌ وَلَيْسَتْ
بِجِبَالٍ بَلْ غُبَارٌ غَلِيظٌ مَقْرَاسِمٌ ، يُرَى مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ
جِبَلٌ . (١٧ : ٦٠-٣٦)

نَحْوُ الْمُرَافِقِيِّ . (٣٠ : ١٢)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ : السَّرَابُ هُوَ الْمَوْهُومُ مِنَ الْمَاءِ الْأَمْعِ
فِي الْمَفَاوِزِ ، وَيُحَلَّقُ عَلَى كُلِّ مَا يَتَوَهَّمُ ذَا حَقِيقَةٍ وَلا حَقِيقَةٍ
لَهُ ، عَلَى طَرِيقِ الاسْتِمَارَةِ .

وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالسَّرَابِ فِي الْآيَةِ هُوَ الْمَعْنَى الثَّانِي .

كَالسَّرَابِ ، يُرَى كَأَنَّهُ يَجْرِي مَثَلًا وَلَيْسَ بِهِ . فَالْكَلَامُ عَلَى
التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ ، وَالْجَمَاعُ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْجِبَالِ وَالسَّرَابِ
يُرَى عَلَى شَكْلِ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ هُوَ بِذَلِكَ الشَّيْءِ . وَجَوْزُ
أَنْ يَكُونَ وَجْهَ الشَّيْءِ التَّخْلُخُلُ ، إِذْ تَكُونُ بَعْدَ تَسْيِيرِهَا
غُبَارًا مُنْتَشِرًا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهَبْتَ الْجِبَالَ مَبْدَأًا ﴾
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا .

وَالْمُسْتَفَادُ مِنَ «الْأَزْهَارِ الْبَدِيعَةِ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ»
لِهَيْدَتِ الْمُرَاوِيِّ : أَنَّ السَّرَابَ هَوَاءٌ تَسْخَنَتْ طَبَقَتُهُ السُّفْلَى
الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ لِتَسْخَنَ الْأَرْضُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ
فَتَخْلُخُلُ ، وَصَعْدَ جِزَاءُ مِنْهَا إِلَى مَا فَوْقَهَا مِنَ الطَّبَقَاتِ ،
فَكَانَ أَكْثَفُ مِمَّا تَحْتَهُ ، وَخَرَجَ بِذَلِكَ التَّسْخُنُ مِنْ مَوْقِعِهِ
الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلَانْعِكَاسِ الْأَشْجَةِ الضُّوئِيَّةِ
وَانْكَسَارِهَا فِيهِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ مَبِينٍ فِي الْكِتَابِ
الْمَذْكُورِ مَعَ انْعِكَاسِ لَوْنِ الشَّيْءِ يُظَنُّ مَاءً ، وَتُرَى فِيهِ
صُورَةُ الشَّيْءِ مُعْكِةً ، وَقَدْ تُرَى فِيهِ صُورُ سَابِجَةٍ كَقُصُورٍ
وَعَمَدٍ وَمَسَاكِنَ جَبَلَةٍ مُسْتَغْرِبَةٍ ، وَأَشْيَاحَ سَائِرَةٍ تَتَغَيَّرُ
هَيْئَتُهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَتَتَنَقَّلُ عَنْ مَحَلِّهَا ثُمَّ تَزُولُ ، وَمَاهِي
إِلَّا صُورٌ حَاصِلَةٌ مِنْ انْعِكَاسِ صُورٍ مَرْتَبَةٍ بَعِيدَةٍ جَدًّا أَوْ
مُتَرَاكِبَةٍ فِي طَبَقَاتِ الْهَوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الْكثَافَةِ ، فَاعْتَبَارُ
التَّخْلُخُلِ فَقَطْ فِي وَجْهِ الشَّيْءِ لَا يَخْلُو عَنْ ظَنَرٍ .

وَأَيُّمَا مَكَانٍ هَذَا بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ عِنْدَ حَشْرِ الْخَلْقِ ،
فَافَهُ عَزَّوَجَلَّ يَسِيرُ الْجِبَالُ وَيَجْعَلُهَا هَبَاءً مُنْبَثًا ، وَيَسُويُ
الْأَرْضَ يَوْمَئِذٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ
يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ لَا تَرَى فِيهَا
عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ طُهُ :
١٠-٨-١٠٥ و ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ

عن حال الجبال في ذلك اليوم الحق ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، وبلاحة كل ما جاء في القرآن الكريم بخصوص سير الجبال ليوم القيامة، تظهر لنا أن الجبال سطلوها مراحل متعاقبة، وتبدأ من حركتها ﴿وَتَبْسِرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ الطور: ١٠.

ثم تحمل وتُدك ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة: ١٤، فتكون ثلاثاً من الزمال المتراكمة ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيَابٍ مُبِينٍ﴾ المزمل: ١٤، فتصبح كأصواف منفوشة ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ القارة: ٥، فتحول غباراً متناثراً في الفضاء ﴿وَيُسَبِّتُ الْجِبَالُ يَسَاءً﴾ فكانت هباءً منثباً ﴿الواقعة: ٥، ٦.

ولا يبق منها أخيراً إلا الأثر، كما أشارت لذلك الآية المبحوثة، وكأنها سراب يلوح في الأفق، ويصبح سطح الأرض مستوياً بعد أن تحنى الجبال من عليه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ طه: ١٠٥، ١٠٦.

التراب: من «الـرب» وهو الذهاب في طريق متعذر، فعندما يسير الإنسان بين المنحدرات في الصحراء، يقرأى له من بعيد تلاكؤاً يظنه ماءً، وما هو إلا انكسار في الأتمة يسمى التراب. ثم أطلقت كلمة «الـراب» على كل ظاهر خال من المحتوى.

وبهذا تكون إشارة الآية إلى بداية حركة الجبال ونهاية أمرها، فيما تعرضت بقية الآيات -التي ذكرناها- إلى المراحل المختلفة ما بين البداية والنهاية. فإذا كانت عاقبة الجبال على ما لها من شموخ وصلابة

بيان ذلك: أن تسير الجبال ودكها ينتهي بالطبع إلى تفرق أجزائها وزوال شكلها، كما وقع في مواضع من كلامه تعالى عند وصف زلزلة الساعة وآثارها؛ إذ قال: ﴿وَتَبْسِرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ الطور: ١٠، وقال: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة: ١٤، وقال: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيَابٍ مُبِينٍ﴾ المزمل: ١٤، وقال: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ القارة: ٥، وقال: ﴿وَيُسَبِّتُ الْجِبَالُ يَسَاءً﴾ الواقعة: ٥، وقال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ تُسِفَّتْ﴾ المراتل: ١٠.

فتسير الجبال ودكها ينتهي بها إلى سبها ونسفها وصيرورتها كغيباً مبيناً، وكالعن المنفوش، كما ذكره الله تعالى. وأما صيرورتها سرباً بمعنى ما يتوهم ماءً لامعاً، فلانسبة بين التسيير وبين التراب بهذا المعنى.

نعم ينتهي تسييرها إلى انعدامها وطلان كينونتها وحقيقتها، بمعنى كونها جبلاً. فالجبال الزاسيات التي كانت ترى حقائق ذوات كينونة قوية لا تحركه العواصف، تبدل بالتسيير سرباً باطلاً لاحقيقة له، وظهير من كلامه تعالى قوله في أقوام أهلكتهم وقطع دابرهم: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ سبأ: ١٩، وقوله: ﴿فَأَتَيْنَاهُ أَنْفُسَهُمْ يَتَصَّاءُونَ﴾ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ المؤمنين: ٤٤، وقوله في الأصنام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ تَمَثَّلُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ التجم: ٢٣.

فالآية بوجه كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَايَذَةً وَهِيَ تَمُورُ مِنَ الشَّعَابِ﴾ النمل: ٨٨، بناء على كونه ناظرًا إلى صفة زلزلة الساعة. (١٦٦: ٢٠) مكارم الشيرازي: وتأتي الآية الأخيرة لثخربنا

سنتهي إلى غبار متناثر في الفضاء وعلى صورة سراب،
فما حال ذلك الإنسان الذي يتصور أنه جبار شديد
البطش عريك القوى، ولكنه لا يستطيع أن يتحدى
الجليل صلبة! إنه يوم القيامة.

ولكن هل أن هذه الحوادث بالنفخة الأولى للصّور
التي تحكي عن نهاية العالم، أم هي متعلقة بالنفخة الثانية،
والتي تقوم القيامة بها؟

بلاشك أن الآية ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا﴾ التّبا: ١٨، تشير إلى نفخة الصّور الثانية، لأنها
تحكي عن إحياء الأموات وجعلهم في عرصة المحشر
أفواجًا، وكذا الحال بالنسبة للحوادث المذكورة فأتتها
متعلقة بنفخة الصّور الثانية، إلا أنه من الممكن حمل
بداية حركة الجبال على النفخة الأولى، ونهاية أمرها
(السّراب) ستكون بعد النفخة الثانية.

ويعتدل أيضًا: إن كل ما تمر به الجبال من مراحل
تتعلق بالنفخة الأولى للصّور، وقد ذكرنا معًا لقرب
الفاصلة الزمنية ما بين النفختين، وجريًا مع سياق بعض
الآيات القرآنية التي تناولت حوادث النفختين معًا، كما
جاء ذلك في سورتي التّكوير والانطار.

ومن جميل التصوير القرآني وصفه للجبال
بـ(الآوتاد) والأرض بـ(المهاد)، وتأتي الآيات لتخبر
عن فناء الأرض التي هي مهد الإنسان بعدما تقتلع
الجبال حينًا يُنفخ في الصّور، ويتناسب هذا التصوير تمامًا
مع معارفنا؛ حيث إننا لو أخرجنا أوتاد أي شيء، فعنى
ذلك أننا حكنا على ذلك الشيء بالتّحطيم. (٢٩٩: ١٩)
فضل الله: فما هي الجبال الضخمة الصلبة الشائعة

التي تنتصب بقوة ومهابة، لتكون أوتادًا للأرض تحفظ
توازنها، وتُرسي قواعدها، تتحوّل بقدرة الله إلى
أجزاء صغيرة متناثرة في الهواء، كمثل الهباء، حتى يُجثّل
إليك أن هذه الحقيقة الهائلة التي كانت تطلّ على الكون
بوجودها الشّاخ، تتحوّل إلى ما يشبه السّراب، الذي قد
يملكك تحدّق بعينيك بالأمعات المائتة من بعيد، ولكنك
عندما تقترب منها تجد نفسك تحدّق بالوهم. وهكذا
تتحوّل الجبال عندما تتطاير ذراتها في الهواء إلى ما يشبه
الوهم. (٢٤: ١٩)

١٣- إذا الجبالُ سُجُوتَ. التّكوير: ٣
مُجاهد: ذهبت. (الطّبري: ٣٠: ٦٦)
مُقاتل: فسوّت بالأرض كما خلقت أول مرّة،
وليس عليها جبل ولا فيها واد. (الماوردي: ٦: ٢١٢)
الطّبري: وإذا الجبال سبّرها الله، فكانت سربًا،
وهباء منبأ. (٣٠: ٦٥)
الماوردي: يعني ذهبت عن أماكنها. (٦: ٢١٢)
الطّوسّي: فعنى تسيير الجبال: تصيرها هباءً
وسربًا. (١٠: ٢٨١)

مثله الطّبرسي. (٥: ٤٤٣)
المبيّدي: أي ذهبت عن أماكنها فصارت هباءً
منبأً، وصارت الأرض كما كانت قبل خلق الجبال.
(١٠: ٣٩٣)
مثله الشّريفي. (٤: ٤٩٠)
الرّمّحسري: أي عن وجه الأرض وأبعدت، أو
سبّرت في الجوّ تسيير السّحاب. (٤: ٢٢١)

الشَّحَابِ التَّحَلُّلُ: ٨٨، وهذا إمَّا يكون بعد التَّفْعَةِ الثانية. (٣٠: ٥١)

نحو القاسمي. (١٧: ٦٠٦٨)

القراعي: أي وإذا الجبال قُلعت عن الأرض وسيّرت في الهواء حين زلزلة الأرض، فَتُطْعَمُ أوصالها وتُقَدَّفُ في الفضاء، وتمرّ على الرّؤوس مرّ السحاب، ونحو الآية قوله: ﴿وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ الثّابّي: ٢٠، وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧. (٣٠: ٥٤)

فضل الله: بقدرة الله، ليكون ذلك موجبًا لتفتت أجزائها، لأنّ طبيعة الحركة تفرض ذلك، فتكون كناية عنه، لتتحول بعد ذلك إلى هباء منبث تذروه الرّياح في الهواء، وربّما كان ذلك - كما يقول البعض - من خلال الزّلال الذي يصيب الأرض، في ماتحت الله عنه بقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾ الزّلال: ١. (٢٤: ٨٨)

١٤- وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.

القارة: ٥

قَتَادَةُ: الصّوف المنفوش. (الطّبري: ٣٠: ٢٨١)

الفراء: وفي قراءة عبد الله (كالصّوف المنفوش)، ذكر أنّ صور الجبال تسير على الأرض، وهي في صور الجبال كالهباء. (٣: ٢٨٦)

أبو عبيدة: الصّوف الألوان. (٢: ٣٠٩)

الطّبري: ويوم تكون الجبال كالصّوف المنفوش، واليهن: هو الألوان من الصّوف. (٣٠: ٢٨١)

الماوردي: لحفته وضففه، فنبّه به الجبال لحفتها،

نحو الفخر الرّازي. (٣١: ٦٧)

القرطبي: يعني قُلعت من الأرض، وسيّرت في الهواء، وهو مثل ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ الكهف: ٤٧.

وقيل: سيرها: تحوّلها عن منزلة المجارة، فتكون كنيثًا مهيلًا، أي رملاً سائلاً، وتكون كاليعن، وتكون هباءً متوزّلاً، وتكون سرابًا، مثل الشّراب الذي ليس بشيء. وعادت الأرض قاعًا صَفَصًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمًا. (١٩: ٢٢٦)

أبو حنّان: وتسير الجبال، أي عن وجه الأرض، أو سيّرت في الجوّ تسير السحاب، كقوله: ﴿وَهِيَ تَسُورُ مَرَّ السَّحَابِ﴾ وهذا قبل نسفها، وذلك في أوّل هول يوم القيامة. (٨: ٤٣٢)

البزوصوي: رُفعت عن وجه الأرض وأبعدت عن أماكنها بالزّجفة الحاصلة لافي الجوّ كالسحاب، فإنّ ذلك بعد التّفعة الثانية، والتّسير: المضي في الأرض، والتّسير ضربان: باختيار وإرادة من السائر نحو ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ يونس: ٢٢، وبفهم وتسخير كتسير الجبال، وفيه إشارة إلى جبال الأعضاء والجوارح الزّاسيات، سيّرت عن أرض تميّنتها، وأيضًا إلى جبال الأنواع والأجناس الواقعة في عالم التّميّينات.

(١٠: ٣٤٤)

الألوسي: أي أزيلت عن أماكنها من الأرض بالزّجفة الحاصلة، على أنّ التّسير مجاز عن ذلك.

وقيل: سيّرت بعد رضاها في الجوّ، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَاوِدَةً وَهِيَ تَمُورُ

الْفَخْرُ الرَّازِي: واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال

مختلفة الألوان، على ما قال: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ
وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ فاطر: ٢٧، ثم إنه
سبحانه يفرق أجزاءها ويُرِثُ التَّأْلِيفَ والتَّركِيبَ عنها،
فيصير ذلك مشابهاً للصفوف الملونة بالألوان المختلفة إذا
جُمِعَ منفوشاً. وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: إنَّما ضَمَّ بين حال النَّاسِ وبين حال
الجبال، كأنه تعالى به على أن تأثير تلك الشَّرعَةِ في
الجبال هو أنَّها صارت كالعين المنفوشة، فكيف يكون
حال الإنسان عند سماعها، فالويل ثمَّ الويل لابن آدم إن
لم تداركه رحمة ربه. ويحتمل أن يكون المراد أن جبال
النَّار تصير كالعين المنفوشة لشدة حررتها.

المسألة الثانية: قد وصف الله تعالى تغيُّر الأحوال
على الجبال من وجوه:

أولها: أن تصير قطعاً، كما قال: ﴿وَجُحِلَتِ الْأَرْضُ
وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحاقة: ١٤.

وثانيها: أن تصير كثيباً مهيلًا، كما قال: ﴿وَوَسَّيَ
الْجِبَالَ قَهْمًا جَايِدَةً وَهِيَ تُفْسِدُ مَرُ السَّحَابِ﴾
التَّحْوِيل: ٨٨، ثمَّ تصير كالعين المنفوشة، وهي أجزاء
كالذَّرِّ، تدخل من كوة البيت لامتصاص الأيدي، ثمَّ قال في
الرَّابع: تصير سربابًا، كما قال: ﴿وَوَسَّيَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا﴾ التَّاب: ٢٠.

المسألة الثالثة: لم يقل: يوم يكون النَّاسُ كالغُرائِ
المبثوث والجبال كالعين المنفوشة، بل قال: ﴿وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ القارعة: ٥، لأنَّ التَّكرير
في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير. (٧٢: ٣٢)

وذهاها بعد شدتها ونباتها.

ويحتمل أن يريد: جبال النَّار تكون كالعين، لحررتها
وشدة لهبها، لأنَّ جبال الأرض تسير ثمَّ تُسَنَفُ حتَّى
يدكها الأرض دكًا. (٣٢٨: ٦)
الواحد: وهو الذي نفش بالندف، والمعنى: أنَّها
تصير خفيفة في السير. (٥٤٦: ٤)

المثبدي: العين: الصَّرف المصبوغ، والمنفوش:
المندوف، واختصاص (العين) لمعين:

أحدهما: أن يكون لألوان الجبال، كقوله: ﴿وَمِنَ
الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾
فاطر: ٢٧.

والآخر: لما يريد الله تعالى في إفنائها، يعيدها بعد
الصلابة رخوة، كقوله: ﴿وَيُسَبِّتُ الْجِبَالَ نَبْشًا﴾ الواقعة: ٥،
وكقوله: ﴿وَوَكَاتِبَ الْجِبَالِ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ المزل: ١٤.

(٥٩١: ١٠)
نحوه الشَّرِيبِي: (٥٧٩: ٤)

الرَّمْعَشَرِي: وشبه الجبال بالعين، وهو الصَّرف
المصبغ ألوانًا لأنَّها ألوان، وبالمنفوش منه، لتفرق
أجزائها. (٢٧٩: ٤)

نحوه الأَكُوسِي: (٢٢١: ٣)
ابن عَطِيَّة: وكون الجبال كالعين إنَّما هو وقت
التَّهْتِيت قبل النَّسف، ومصيرها هباء، وهي درجات،
والنَّفْس: خلخلة الأجزاء وتفريقها عن تراصها.

(٥١٦: ٥)
الطَّبْرَسِي: والمعنى أنَّ الجبال تزول عن أماكنها
وتصير خفيفة في السير. (٥٣٢: ٥)

نَحْوَهُ النَّسْفِي (٤: ٣٧٤)، وَالْإِسَابُورِي (٣٠: ١٦٤)، وَالْحَازِن (٧: ٢٣٧)، وَأَبُوحَيَّان (٨: ٥٠٦).
أَبُو الشُّعُود: أَي كَالصُّوفِ الْمَلُونِ بِالْأَلْوَانِ الْخَتَلَةِ، الْمُنْدُوفِ فِي تَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا وَتَطَايُرِهَا فِي الْجَوِّ، حَسَبًا نَطَقَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ التَّحِل: ٨٨، وَكَلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ أَتَارِ الْقَارِعَةِ بَعْدَ الْفَتْخَةِ الثَّانِيَةِ، عِنْدَ حَشْرِ الْخَلْقِ، يَبْدُلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَيُغَيِّرُ هَيْئَتَهَا، وَيُسَيِّرُ الْجِبَالَ عَنْ مَقَارِزِهَا عَلَى مَا ذَكَرَ مِنَ الْهَيْئَاتِ الْهَائِلَةِ، لِيُشَاهِدَهَا أَهْلُ الْحَشْرِ.

وهي وَإِنْ ائْتَتْ وَتَصَدَّعَتْ عِنْدَ الْفَتْخَةِ الْأُولَى، لَكِنْ تَسِيرُهَا وَتُسَوِّيه الْأَرْضُ إِنَّمَا يَكُونَانِ بَعْدَ الْفَتْخَةِ الثَّانِيَةِ، كَمَا يَنْطَلِقُ بِهِ ﴿وَتَنْشَلُوكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلٌّ يَتَّخِذُهَا رَبًّا نَشًّا﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا خَصْفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ طَه: ١٠٨-١٠٥، ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَتَبَرَّزُوا لِلْأَوَّاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إِبْرَاهِيم: ٤٨، فَإِنَّ أَتْبَاعَ الدَّاعِي الَّذِي هُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبُرُوزُ الْخَلْقِ لَهُ سَبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْبَحْثِ قَطْمًا. (٥: ٢٨٢)
الْبَيْضَاوِيُّ: كَالصُّوفِ ذِي الْأَلْوَانِ (الْمُسْفُوسِ): الْمُنْدُوفِ لِنَفَرَقِ أَجْزَائِهَا وَتَطَايُرِهَا فِي الْجَوِّ. (٢: ٥٧٣)
نَحْوَهُ الْكَشَافِي (٥: ٣٦٦)، وَالْقَاسِمِي (١٧: ٦٢٤٣).
الْقَرَاغِي: أَي إِنَّ الْجِبَالَ لِنَفَتْهَا وَتَفَرَّقِ أَجْزَائِهَا لَمْ يَبْقَ لَهَا إِلَّا صُورَةُ الصُّوفِ الْمُسْفُوسِ، فَلَا تَبْقَى أَنْ تَذْهَبَ وَتَطَايُرَ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ حِينَ حَدُوثِهَا، وَهُوَ ذَلِكَ الْجِسْمُ الضَّعِيفُ السَّرِيعُ الْتَحْمِيلِ. (٣٠: ٢٣)

نَحْوَهُ الطُّبَاطِبَانِي. (٢٠: ٣٤٩)
مَكَارِمُ الشَّيْرَازِيِّ: وَالْجِبْهِي (هُوَ الصُّوفُ الْمَصْبُوعُ، وَالْمُسْفُوسُ) هُوَ الْمُنْشُورُ، وَيَتِمُّ ذَلِكَ عَادَةً بِآلَةِ الْجِلْحِ الْخَاصَّةِ.
سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدَّةٍ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْجِبَالِ عِنْدَ قِيَامِ الْقِيَامَةِ، بِأَنَّهَا تَتَحَرَّكُ أَوَّلًا، ثُمَّ تُدْرِكُ وَتَتَلَاشَى، وَأَخِيرًا تُصْبِحُ بِشَكْلِ غُبَارٍ مَطْطَايِرٍ فِي السَّمَاءِ. وَهَذِهِ الْحَالَةُ الْأَخِيرَةُ تُشَبِّهُهَا آيَةُ بِالصُّوفِ الْمَلُونِ الْجُلُوحِ، الصُّوفِ الْمَطْطَايِرِ فِي مَهَبِ الرِّيحِ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْأَوَانُ، وَهَذِهِ آخِرُ مَرَاكِلِ انْتِهَادِ الْجِبَالِ.

هَذَا التَّعْبِيرُ «الْجِبْهِي الْمُسْفُوسُ» قَدْ يَكُونُ إِشَارَةً إِلَى الْأَلْوَانِ الْخَتَلَةِ لِلْجِبَالِ، فَهَذِهِ الْجِبَالُ عَلَى الْأَرْضِ هِيَ أَلْوَانُ شَيْءٍ.
هَذِهِ الْعِبَارَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ أَعْلَاهُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَرَحِلَةِ الْأُولَى لِلْقِيَامَةِ، وَهِيَ مَرَحِلَةُ انْتِهَادِ الْعَالَمِ وَنَهَائِهِ. (٢٠: ٣٧٢)
نَحْوَهُ فَضْلُ اللَّهِ. (٢٤: ٣٨٤)

جِبَالًا

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَبِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ.
يس: ٦٢
مُجَاهِدٌ: خَلْقًا كَثِيرًا. (الْمَاوُزِي: ٥: ٢٧)
نَحْوَهُ الشَّذِّي (٣٩٦)، وَالْقَسِّي (٢: ٢١٦).
الصَّخَّالَةُ: الْجِبَلُ الْوَاحِدُ: عَشْرَةُ آلَافٍ، وَالْكَثِيرُ مَا لَا يَحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. (الْمَاوُزِي: ٥: ٢٧)
قَتَادَةُ: جَوْعًا كَثِيرًا. (الْمَاوُزِي: ٥: ٢٧)

الكَلْبِيّ: أَمَا كَثِيرَةٌ. (الماوُزِدِيّ ٥: ٢٧)
أَبُو عُبَيْدَةَ: مُثَقِّلٌ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُثَقِّلُ، وَبِضْمِّ الْحَرْفِ
الْأَوَّلِ وَيَثْقُلُ اللَّامُ، وَمَعَانِهِمُ الْخَلْقُ وَالْجِهَادَةُ.

(٢: ١٦٤)

ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيْ خَلْقًا. وَجَبَّلًا بِالضَّمِّ وَالتَّخْفِيفِ،
مِثْلُهُ. وَالْجَبَّلُ أَيْضًا: الْخَلْقُ. [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرْ] (٣٦٧)
الطَّبْرِيّ: وَلَقَدْ صَدَّ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ خَلْقًا كَثِيرًا عَنْ
طَاعَتِي، وَإِفْرَادِي بِالْأَكُوْهَةِ حَتَّى عَبْدُوهُ، وَاتَّخَذُوا مِنْ
دُونِي آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا.

وَاخْتَلَفَ الْقُرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَفَرَّاهُ عَامَّةً قَرَأَهُ
الْمَدِينَةُ وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ (جَبَّلًا) بِكَسْرِ الْجِيمِ، وَتَشْدِيدِ
الْأَلَامِ، وَكَانَ بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ وَعَامَّةُ قُرَاءِ الْكُوفَةِ يَقْرَءُونَهُ
(جَبَّلًا) بِضَمِّ الْجِيمِ وَالْبَاءِ، وَتَخْفِيفِ الْأَلَامِ. وَكَانَ بَعْضُ
قُرَاءِ الْبَصْرَةِ يَقْرَءُوهُ (جَبَّلًا) بِضَمِّ الْجِيمِ، وَتَسْكِينِ الْبَاءِ.
وَكَلَّ هَذِهِ لُغَاتٌ مَعْرُوفَاتٌ، غَيْرَ أَنِّي لِأَحَبُّ الْقِرَاءَةِ
فِي ذَلِكَ إِلَّا بِإِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ اللَّتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: بِكَسْرِ
الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْأَلَامِ، وَالْأُخْرَى: ضَمُّ الْجِيمِ وَالْبَاءِ
وَتَخْفِيفِ الْأَلَامِ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي عَلَيْهَا عَامَّةُ قُرَاءَةِ
الْأُمَمَارِ.

(٢٣: ٢٣)

الرَّوْجَانِيّ: وَيُقْرَأُ (جَبَّلًا) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْبَاءِ، وَيُقْرَأُ
(جَبَّلًا) بِضَمِّ الْجِيمِ وَالْبَاءِ وَيُقْرَأُ (جَبَّلًا) عَلَى إِسْكَانِ الْبَاءِ
وَضَمِّ الْجِيمِ، وَيَعْبُوزُ (جَبَّلًا) بِفَتْحِ الْجِيمِ وَ(جَبَّلًا) بِكَسْرِ
الْجِيمِ، وَيَعْبُوزُ أَيْضًا (جَبَّلًا) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِ الْبَاءِ بِغَيْرِ
تَشْدِيدِ الْأَلَامِ، عَلَى جَمْعِ جَبَلَةٍ. وَجَبَّلٌ. وَالْجَبَلَةُ فِي جَمِيعِ
ذَلِكَ مَعْنَاهُ خَلِيقَةٌ كَثِيرَةٌ وَخَلْقٌ كَثِيرٌ. (٤: ٢٩٢)
نَحْوَهُ الْبَغَوِيُّ. (٤: ١٨)

الْوَاهِدِيُّ: يَعْنِي خَلْقًا كَثِيرًا. وَفِيهِ لُغَاتٌ. جَبَّلًا
وَجَبَّلًا وَجَبَّلًا، وَهَذِهِ الْأَوَجُهُ قُرِئَ بِهَا وَمَعْنَاهَا الْخَلْقُ
وَالْجِهَادَةُ. (٣: ٥١٧)

(٤: ٢٥٨)

مِثْلُهُ الْكَاشَانِيُّ.
الصَّبِيحِيُّ: وَالْجَبَّلُ: جَمْعُ الْجَبَلَةِ. وَالْجَبَلُ جَمْعُ الْجَمْعِ
وَالْجَبَلُ بِالتَّخْفِيفِ جَمْعُ جَبِيلٍ وَكُلُّهَا لُغَاتٌ، مَعْنَاهَا الْخَلْقُ
وَالْجِهَادَةُ، أَيْ خَلْقًا كَثِيرًا، جَبَّلَهُ أَيْ خَلَقَهُ. (٨: ٢٤٢)
ابْنُ عَطِيَّةٍ: الْأَمَةُ الْعَظِيمَةُ. [تَمَّ ذِكْرُ الْقِرَاءَاتِ نَحْوِ
الرَّجَاجِ] (٤: ٦٤)

الطَّبْرِيّ سَيِّ: أَيْ أَضَلَّ الشَّيْطَانُ مِنَ الدِّينِ خَلْقًا
كَثِيرًا مِنْكُمْ، بَأْنَ دَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالِ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى
الضَّلَالِ وَأَغْوَاهُمْ. (٤: ٤٣٠)

الْفَخْرُ الرَّازِيّ: فِي الْآيَةِ مَسَائِلُ:

المَسْأَلَةُ الْأُولَى: فِي «الْجَبَلِ» سِتُّ لُغَاتٍ: كَسَرُ الْجِيمِ
وَالْبَاءِ مَعَ تَشْدِيدِ الْأَلَامِ، وَضَمُّهَا مَعَ التَّشْدِيدِ، وَكَسَرُهَا
مَعَ التَّخْفِيفِ، وَضَمُّهَا مَعَ، وَتَسْكِينُ الْبَاءِ وَتَخْفِيفُ الْأَلَامِ
مَعَ ضَمِّ الْجِيمِ، وَمَعَ كَسَرِهِ.

المَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي مَعْنَى «الْجَبَلِ» الْجِيمِ وَالْبَاءِ وَالْأَلَامِ
لَا تَخْلُو عَنْ مَعْنَى الْاجْتِمَاعِ، وَالْجَبَلُ فِيهِ اجْتِمَاعُ الْأَجْسَامِ
الْكَثِيرَةِ، وَجَبَّلَ الطَّيْنَ فِيهِ اجْتِمَاعَ أَجْزَاءِ الْمَاءِ وَالْقِرَابِ.
[إِلَى أَنْ قَالَ:]

فَالْجَبَلُ: الْجَمْعُ الْعَظِيمُ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ دُونَ الْعَشْرَةِ
آلَافٌ لَا يَكُونُ جَبَّلًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا. (٢٦: ١٠٠)
أَبُو الشَّوْعَدِ: وَالْأَلَامُ فِي «وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا
كَثِيرًا» جَوَابُ قِسْمٍ مَحْذُوفٍ، وَالْجُمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ مَسْوَوقٌ
لِتَشْدِيدِ التَّوْبِيخِ وَتَأْكِيدِ التَّنْزِيهِ، بَيَانٌ أَنَّ جَنَائِيَاتِهِمْ

الكثيرة، والكلام مبني على التوبيخ والعتاب. (١٧: ١٠٣)

الجيلة

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى.

الشعراء: ١٨٤

ابن عباس: خلق الأولين. (الطبري ١٩: ١٠٨)

الجيلة: الجماعة إذا كانت عشرة آلاف.

(الأكوسي ١٩: ١١٩)

مجاهد: الخليفة. (الطبري ١٩: ١٠٩)

نحوه الماوردي. (٤: ١٨٦)

ابن زيد: الخلق الأولين، الجيلة: الخلق.

(الطبري ١٩: ١٠٩)

الفراء: قرأها عاصم والأعمش بكسر الجيم وتشديد الهمزة، ورضها آخرون والهمزة مشددة في القولين (والجيلة).

أبو عبيدة: أي الخلق، وجاء خبرها على المعنى الجيع. وإذا نزع الهاء من آخرها ضمنت أوله، كما هو في آية أخرى ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا﴾. (٦٢: ٢)

(٩٠: ٢)

ابن قتيبة: الخلق، يقال: جُبل فلان على كذا وكذا، أي خلق. [تم استشهد بـ] (٣٢٠)

الطبري: يعني بد الجيلة: الخلق الأولين. وفي «الجيلة» للرب لغتان: كسر الجيم والياء وتشديد الهمزة.

وضم الجيم والياء وتشديد الهمزة، فإذا نزع الهاء من آخرها كان الضم في الجيم والياء أكثر، كما قال جل تناوه ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا﴾. (٦٢: ٢) وربما

ليست بنقض العهد فقط، بل به وعدم الاحتفاظ بما شاهدوا من المعقوبات التازلة على الأمم الحالية بسبب طاعتهم للشيطان.

فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوصاً بزيادة التوبيخ والتفريع لتضاعف جناياتهم. والجيل بكسر الجيم والياء وتشديد الهمزة: الخلق.

وقرئ بضمين وتشديد، وبضمتين وتخفيف، وبضمة وسكون، وبكسرتين وتخفيف، وبكسرة وسكون، والكل لغات. وقرئ (جيلًا) جمع جيلة كقطر وخلق في جمع قطرة وخلقته. وقرئ (جيلًا) بالياء، وهو الصنف من الناس.

أي وبالله لقد أضل منكم كثيرًا أو صنفًا كثيرًا عن ذلك الصراط المستقيم، الذي أمرتكم بالثبات عليه. فأصابعهم لأجل ذلك ما أصابعهم بهم من المعقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها، وفي مدى الدهر آثارها.

(٥: ٣٠٧)

القيساري: وهو في لغاته كلها بمعنى الخلق، من جيلة الله على كذا، أي طبعه عليه. (٢٣: ٢٧)

الشريفي: أي أمما كبارًا عظامًا كانوا كالجبال في قوة العزائم وصعوبة الانقياد، ومع ذلك كان يلعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة، فسيحان من أقدره على ذلك وإلا فهو أضعف كيدًا وأقصر أمرًا. (٣: ٣٥٩)

الزبيدي: والجيل بكسر الجيم وتشديد الهمزة: الخلق، أي المخلوق. ولما تصور من «الجيل» العظم قيل للجماعة العظيمة: تشبيهاً بالجيل في العظم. (٧: ٤٢٣) الطباطبائي: الجيل: الجماعة، وقيل: الجماعة

سَكَنُوا الْبَاءَ مِنْ «الْجِبِلِّ». [تم استشهد بشر]

(١٠٨: ١٩)

الزَّجَاجُ: عطف على الكاف والميم. المعنى اتقوا
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ. [تم آدم نحو
الطَّبْرِي] (٤: ١٠١)

النَّحَّاسُ: الخليفة، يقال: جُبِلَ فلان على كذا، أي
خُلِقَ. وقوله: (جِبِلَّةً) و(جِبِلَّةً) و(جِبِلَّةً). (٥: ١٠٢)
الطُّوسِي: فالجِبِلَّةُ: الخليفة الَّتِي طبع عليها
الشَّيْءُ، بكسر الجيم. وقيل أيضًا: بضمها، ويسقطون
الهاء أيضًا فيخفون، ومنه قوله: «وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ
جِبِلًّا كَبِيرًا» يس: ٦٢. [تم استشهد بشر]

ومعناه: اتقوا خليفة الأولين في عبادة غير الله
والإشراك معه، فهو عطف على (الَّذِي) فيها. ولا يجوز
أن يكون منصوبًا بِ(خَلَقَكُمْ) لَأَنَّ الله تعالى لم يخلق
كفرهم، ولا ضلالتهم، وإن حملته منصوبًا بِ(خَلَقَكُمْ) على
أن يكون المعنى اتقوا الله الَّذِي خَلَقَكُمْ وخلق الخلق
الأوليين، كان جائزًا وأخلصوا العبادة لله. (٨: ٥٨)
الواحدِي: الجِبِلَّةُ: الخليفة، يعني الأمم المتقدمين
قبلهم. (٣: ٣٦٢)

نحوه الطَّبْرِي (٤: ٢٠٢)، والْبَيْضاوي (٢: ١٦٦).
البَغَوِي: والجِبِلَّةُ: الخلق، يقال: جُبِلَ، أي خُلِقَ.
(٥: ١٠٣)

الْمَيْبُودِي: [نحو الطَّبْرِي وأضاف:]

وقيل: (الجِبِلَّةُ): الخلق المتجسد الغليظ، مأخوذ من
«الْجِبِلِّ». ومعنى ذكر (الجِبِلَّةُ): إنذارهم ما أوقع الله بهم
من العقوبات، أي خلقكم وخلق الأولين، وقد رأيت

وقائمه بهم. (٧: ١٤٨)

الزَّمْعَشَرِي: وقرئ (الجِبِلَّةُ) بوزن الإيَّةِ، والجِبِلَّةُ
بوزن الخِلَّةِ، ومعناه واحد، أي ذوي الجِبِلَّةِ. وهو
كقولك: والخلق الأولين. (٣: ١٢٧)
ابن عَسْطِيَّة: القرون، والخلق الماضية. [تم
استشهد بشر] (٤: ٢٤٤)

الفَخْرُ الرَّازِي: [نحو الزَّمْعَشَرِي وأضاف:]
والمراد أَنَّهُ الْمُتَفَضَّلُ بِخَلْقِهِمْ وخلق من تقدّمهم، مَنْ
لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين. (٢٤: ١٦٤)
نحوه النِّسَابُورِي. (١٩: ٧١)

الشَّرِييْنِي: أي الجماعة والأُمَمُ (الأَوَّلِينَ) الَّذِينَ
كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة، كَأَنَّهَا الْجِبَالُ قُوَّةٌ
وصلابة، لاسيما قوم هود الَّذِينَ بَلَّغَتْ بِهِمُ الشَّدَّةُ حَتَّى
قالوا: مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً. (٣: ٣٦)
أَبُو الشُّعُودِ: أي وذوي الجِبِلَّةِ الْأَوَّلِينَ، وهم من
تقدّمهم من الخلائق. (٤: ١١٦)

نحوه الكاشفَانِي (٤: ٤٩)، والقاسِمِي (١٣: ٤٦٤٢).
الْبَرْزَوَسِي: الجِبِلَّةُ: الخِلَّةُ، يقال: جُبِلَ، أي خُلِقَ
ولا يمتلئ بها الخلق، فلا بد من تقدير المضاف، أي
وخلق ذوي الجِبِلَّةِ الْأَوَّلِينَ، يعني من تقدّمهم من
الخلائق. (٦: ٣٠٤)

الْأَلَوَسِي: أي وذوي الجِبِلَّةِ، أي الخِلَّةُ والطَّيِّعَةُ،
أو والمجبولين على أحوالهم الَّتِي بناوا عليها، وسبّهم الَّتِي
قبضوا لسلوكها المتقدمين عليكم من الأمم.

وجاء في رواية عن ابن عباس: أَنَّ الْجِبِلَّةَ: الجماعة
إذا كانت عشرة آلاف، كَأَنَّهَا شَبَّهَتْ - على ما قيل -

الإنسانية التي أقام عليها أمر الخلق، في مأودعه في فطرته من الرغبة في الخير واتقاء الشر. فإذا كان الله هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فيجب عليكم أن تتقوه وتراقبوه في كل أموركم، لتزكو قضايا الرزق والحساسة على أساس رضاء. (١٧: ١٥٥)

الْوُجُوه وَالنَّظَائِر

الحيثي: «الجبل» على أربعة أوجه:

أحدها: الزاسي الذي كان عليه موسى عليه السلام. وكلم الله سبحانه تكليماً، كقوله: ﴿قُلْنَا نَحْنُ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ الْأَعْرَافِ: ١٤٣﴾.

والثاني: جبل من الجبال، كقوله: ﴿سَأُوبَى إِلَى جَبَلٍ يَنْصِفُنِي مِنْ أَلَمِ﴾ هود: ٤٣.

والثالث: جميع الجبال، كقوله: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَاذًا﴾ التبا: ٧، وقوله: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَبًا﴾ التازعات: ٣٢.

والرابع: جبل على طريق المثل، كقوله: ﴿وَهِيَ قَهْرَى يَوْمٍ مِنْ مَوْجِ كَالْجِبَالِ﴾ هود: ٤٢. (١٧٧)

الدماغاني: الجبال على ثلاثة أوجه: البرد، الجبال: أربعة أجبال، الجبال هي الجبال كلها.

فوجه منها، الجبال: البرد، كقوله: ﴿وَيُسَوِّدُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ النور: ٤٣، يعني مجتمع البرد في الهواء كالجبال.

والوجه الثاني: الجبال، أربعة أجبال، قوله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطُّغْيَانِ فَصَرَّهُنَّ إِنَّاكُمُ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ أَرْبَعَةً مِنْ جِبَلٍ﴾ البقرة: ٢٦٠، يعني أربعة أجبال.

والوجه الثالث: الجبال كلها، قوله: ﴿وَالْجِبَالِ

بالقطعة العظيمة من الجبل. وقيل: هي الجباعة الكثيرة مطلقاً، كأنها شبيهت بما ذكر أيضاً. (١٩: ١١٨)

نحو المرائي. (١٩: ٩٩)
الطُّبَّاطِبَانِي: فالمراد به (الجبلية) ذوو الجبلية، أي اتقوا الله الذي خلقكم وآباءكم الأولين الذي فطرهم، وقرّر في جبلتهم تنقيح الفساد والاعتراف بشؤمه.

ولعل هذا الذي أشرنا إليه من المعنى هو الموجب لتخصيص الجبلية بالذكر. (١٥: ٣١٣)

محمّد جواد مَسْنُونِي: و(الجبلية) عطف على الضمير في (خَلَقَكُمْ)، والمعنى خافوا عذاب الله الذي أوجدكم وأوجد الذين من قبلكم. (٥: ٥١٦)

مكارم الشيرازي: فلست أزل قوم أو جماعة خلقتوا على هذه الأرض، فأبائكم والأسم الأخرى جاءوا وذهبوا، فلاتسوا ماضيهم وماقبلون عليه.

والجبلية: مأخوذ من «الجبل» وهو معروف، ما ارتفع من الأرض كثيراً، ويسمى الطود أحياناً. فالجبلية: تطلق على الجباعة الكثيرة التي هي كالجبل في العظمة. قال بعضهم: الجبلية مقدار عددها عشرة آلاف.

كما تطلق الجبلية على الطيبة والفضيلة الإنسانية، لأنها لا تتغير، كما أن الجبل لا يتغير عادةً.

والتصريح المتقدم لعله إشارة إلى أن شعياً يقول: إنما أَدْعُوكُمْ إِلَى تَرْكِ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، وَأَدَاءِ حَقِّكَ النَّاسِ وَرِعَايَةِ الْمَدْلِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي دَاخِلِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْذُ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ، وَأَنَا جَسْتَكُمْ لِحَيَاةِ هَذِهِ الْفِطْرَةِ. (١١: ٤٠٣)

فضل الله: والمراد به (الجبلية) الطيبة والفضيلة

والمِثْلَةُ: الخِلقة أيضا.

والمِثْلَةُ أيضا: السَّنام، تشبيهاً بشكل الجبل

وارتقاعه.

والمِثْلُ: الضَّخم، ورجل جَبَل الوجه: غليظ بشرة

الوجه، ورجل جَبَلِ الرَّأس: غليظ جلدة الرَّأس

والعظام، والمِثْلُ: القُدَح العظيم، ورجل يَحْبُول: عظيم.

وشيء جَبَلٌ: غليظٌ جاف، ويقال للرجل إذا كان

غليظاً: إِنَّهُ لَدُو جَبْنَةٌ، وأنت جَبَلٌ وجَبِل، أي قبيح.

ورجل جبيل الوجه: قبيحه، وهو الغليظ جلدة الرَّأس

والعظام.

ويقال مجازاً: فلانٌ جَبَلٌ من الجبال، أي عزيز، وجَزْ

فلان يَرْحَمُ الجبال، والجَبَلُ: سيّد القوم وعالمهم. وأَجْبَل

الرجل: انقطع، من قولهم: أَجْبَلُ المافر، أي انتهى إلى

الجبل، وأَجْبَلُ الشاعر: صُغِبَ عليه القول، كأنه انتهى

إلى جبل منه.

والمِثْلَةُ والمِثْلَةُ والمِثْلَةُ والمِثْلَةُ والمِثْلَةُ والمِثْلَةُ

والمِثْلُ والمِثْلُ والمِثْلُ: الأُمّة من الخلق والمُباحة من

النّاس، يقال: حَيٌّ جَبَلٌ، ومالٌ جَبَلٌ، أي كثير.

٢- وذكر ابن منظور في اللّسان: «أَجْبَنَتْهُ، أي

أَجَبَرَتْهُ، ونسب صاحب «التّاج» هذا القول إلى ابن

عبّاد، ولكننا لم نثر عليه في «المحيط».

وإن صحّت هذه اللّغة فلامها مبدل من الرّاء؛ إذ هذا

الضّرْب من الإبدال مطّرد في لغات عديدة، منها قولهم:

هَدَمْتُ مَلْدَمٌ ومَرْدَمٌ، أي مرقع، وهذا المصاحم يبدل هديلاً،

وهذَرٌ يهذِرٌ هديراً، أي صوّت.

أَوْتَاكَ النَّبَأَ: ٧، ونحوه: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ» الكهف:

٤٧، ونحوه كثير. (٢١٣)

الأصول اللّغويّة

١- الأصل في هذه المادّة: الجبل المعروف، والجمع

أَجْبَلٌ وأَجبالٌ وجِبَال، يقال: أَجْبَلُ القوم، أي صاروا

إلى الجبل، وتَجَبَلُوا: دخلوا في الجبل، وأَجْبَلُوا: حفرُوا

فبلغوا المكان الصّلب، وأَجْبَلُ الرّجل: صادفَ جبلاً من

الرّمل، وهو المريض الطّويل.

وابنة الجبل: الحسيّة، لأنّ الجبل مأواها، وهي

الصّدى، لسرعة إجابته، ويشبّه به الرّجل الاتّمة، وهو

المتابع الَّذي لا رأي له؛ يقال: كُنْتُ كالجبلِ مها يَثُلُ ثَقُلُ.

وابنة الجبل أيضاً: الدّاهية، لأنّها تنقل كأنّها جبل. وهي

القوس، لأنّها من شجر الجبل.

وَجَبَلَةُ الجبل وجَبَلَتُهُ: تأسّس خلقته الّتي جُسِبل

وَحُلِقَ عليها، وَجَبَلَةُ الأرض: صلابتها.

والمِثْلُ من السّهام: الجافي البرّي.

والمِثْلُ: الشّجر اليابس. وقد لوحظ في جميع

مانقَدَم، ويأتي من هذه المادّة الفلطة والمنشونة، وهما من

أظهر أوصاف الجبل.

والمِثْلَةُ: الخِلقة، والجمع جبال تشبيهاً بظلمة الجبل،

يقال: أَجَبَنَ الله جِبَالَهُ وَجَبَلَتُهُ: خِلقته، أي جعله

كالجنون، وجَبَلُ الله الخلق يَجِبُلُهُمْ وَيَجْبَلُهُمْ: خَلقَهُمْ،

وجَبَلَهُ على الشّيء: طَبَعَهُ، يقال: جَبَلُ الإنسان على هذا

الأمر، أي طَبَعَ عليه. ونوبٌ جيّد المِثْلَةُ: جيّد الفضل

والنّسج والفنل، ورجل يَجْمُول: غليظ المِثْلَةُ.

الاستعمال القرآني

جاء منها «جبل» مفرداً: (٦) مرّات، وجمعا: (٣٣) مرّة، و«الجبلية» مرّتين كلّها في (٣٧) آية، في محاورين:
ألف: جبل وجبال:

١- «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَبْنَاءَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نَنْظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِذَا اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسُوفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَمِعَ بِرِيبِهِ دَلَّجَ لَيْلِيَةً جَعَلَهُ دُكَّاءً وَخَرَّ مُوسَى صُعِقًا فُلَمَّا أَتَاهُ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» الأعراف: ١٤٣

٢- «وَإِذْ نَسَخْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» الأعراف: ١٧١

٣- «قَالَ سَأُوْى إِلَى جَبَلٍ يَخَصِمُ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ لَأَعْلِمَنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا السَّمُوحُ فَكَانَ مِنَ الْمُسْرِقِينَ» هود: ٤٣

٤- «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي مَخْصِي السُّوْفِ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَمْعًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» البقرة: ٢٦٠

٥- «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ هَارِيًا مُمْتَصِدًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» المحرر: ٢١

٦- «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ السُّوْفِ بَلَى لَشِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا...»

الرعد: ٣١

٧- «وَإِذْ كُنَّا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْسُجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَسْخَفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» الأعراف: ٧٤

٨- «وَتَكُونُوا يَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ»

الحجر: ٨٢

٩- «وَتَنْسُجُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ»

الشعراء: ١٤٩

١٠- «وَأَوْخَى رَيْبُكَ إِلَى الشَّخْلِ أَنْ تَحْبِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ» النحل: ٦٨

١١- «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» إبراهيم: ٤٦

١٢- «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَطَفَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا»

١٣- «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...» الحج: ١٨

١٤- «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَلْفَقْنَ بِهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»

١٥- «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي عَنْهُ وَالطَّيْرَ وَآلِئَا لَهُ الْمَدْيِدَ»

١٦- «فَقُلْنَا لَهُمَا سَلِينِ وَكُلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمَا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

سبأ: ١٠

فَاعْلَيْنَ ﴿

الأنبياء: ٧٩

٢٨- ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ وَتُسِيرُ الْجِبَالُ

سِيرًا ﴿

الطُّور: ٩، ١٠

٢٩- ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ وَتُسَبِّحُ الْجِبَالُ

بِشَاءِ ﴿

الرواقعة: ٤، ٥

٣٠- ﴿وَحُلَّتِ الْأَرْضُ حُلًّا مَكَدَةً وَاجِدَةً﴾

الحاقة: ١٤

٣١- ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْبَلِ﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ ﴿

المعارج: ٨، ٩

٣٢- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ

كُتَيْبًا مَهِيلاً﴾

المزمل: ١٤

٣٣- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرْجَتْ﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿

المسرات: ٩، ١٠

٣٤- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَخْلَعُونَ إِذْ يَسْأَلُونَ أَمْطَلُهُمْ

طَرِيقَةً إِنْ لَبِثُوا إِلَّا يَوْمًا﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ

يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿

طه: ١٠٤، ١٠٥

٣٥- ﴿يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿

القارعة: ٤، ٥

ب: جبلة:

٣٦- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَبِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

تَتَّقُونَ﴾

يس: ٦٢

٣٧- ﴿وَاتَّقُوا الْبَدْيَ خَلَقَكُمْ مِنْهُ الْأَوَّلِينَ﴾

النَّحْل: ١٨٤

المحور الأول: جبل وجبال في (١ - ٣٥)

يلاحظ أولاً: أَنَّ (الجبل) مفرداً وجمعاً رمزاً للشدة

والصلابة، وللعلو والرفعة، أو للثقل والظلمة.

ثانياً: أَنَّهُ جاء مفرداً معرباً بالألف ثلاث مرّات بشأن

١٧- ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِأَلْفِئَةٍ

ص: ١٨

١٨- ﴿وَلَا تَقِفْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْضِرَ

الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

الإسراء: ٣٧

١٩- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَخَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ

ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْسَرُّ

مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾

التور: ٤٣

٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا

بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾

فاطر: ٢٧

٢١- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقَ ظِلَالٍ وَجَعَلَ لَكُمْ

مِنَ الْجِبَالِ آكِنَاتًا...﴾

النحل: ٨١

٢٢- ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَقَادًا﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿

التبأ: ٦، ٧

٢٣- ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءًهَا وَسَخَّابًا﴾ وَالْجِبَالَ

أَوْسِيًا﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِتَقَابِكُمْ﴾

التازعات: ٣١، ٣٣

٢٤- ﴿وَالسَّيِّدِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾

الغاشية: ١٩

٢٥- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْتَ حِجَابٍ جَائِدَةٍ وَهِيَ تَسْمُرُ

مَرَّ الشَّعَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا

تَفْعَلُونَ﴾

التسل: ٨٨

٢٦- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾

التكوير: ٣

٢٧- ﴿وَيَوْمَ نُسَبِّحُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً

وَعَشْرَتَانَهُمْ فَلَمْ تُقَاوِرْ مِنْهُمْ أَعْدَاءٌ﴾

الكهف: ٤٧

وقد وُصفوا في عملهم هذا بأوصاف حالّة: مفسدين، آمنين، فاهرين، رمزاً إلى أن اتخذهم الجبال بيوتاً كان يحذف أمنهم ورفاههم وينتهي إلى إفسادهم، لكنهم لم يصلوا إليها إلا قليلاً، فأخذتهم الصيحة مصحين.

سابقاً: قد جاءت في (١٥) آية: (١٠ - ٢٤) منافع مادّية ومعنوية للإنسان والحيوان في الجبال، ويختلف سياقها شدة وصلابة، وعلوّ ورفعة، وتعلّق وعظمة، ويشعر بها أنّها جاءت جملة في الجميع، وإليك البيان:

١- خصّ الله في (١٠) التحلّ بالوحي الطيّريّ إليها أن تتخذ من الجبال بيوتاً من الشجر ومما يرحشون مأماً لها، ليتخذ الإنسان منها شرباً مختلفاً ألوانه، فللجبال نفع مادّي للإنسان والحيوان، وسياقها العلوّ والرفعة، لطف ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَقَرُّونَ﴾ عليها، فلانصل إليها الأيدي.

٢- وفي (١١) و (١٢) ضرب الله لمكر الكفار ولائخاذهم للرحمان ولذا بأنّ الجبال بما لها من الصلابة والشدة والعظمة، تكاد تزول من مكرهم، وتخسر من اتخذهم له ولذا. وهذا تأثر معنويّ بها، مثل تأثرها بالقرآن، وسياقها الصلابة والعظمة ممّا.

٣- وفي (١٣) نبيّه على أنّ الجبال تسجد لله، كالشمس والقمر والتجوم والشجر والدواب وكثير من الناس، بل كلّ من في السماوات والأرض، فتكاد الجبال تعرف الله وتسجد له، وهذا أمر معنويّ، وسياقها التكبير والتّظيم، لكونها عطفاً على الشمس والقمر والتجوم ومسبوقة بـ (السّنوات) و (الأرض).

موسى وبني إسرائيل: مرّتين في (١) حينما سأل موسى ربّه ليظهر إليه، فتجلّى ربّه للجبل وجعله دكاً، وسياقها الصلابة، ومرّة في (٢) إذ رفع الله الجبل فوق بني إسرائيل كأنّه ظلّة، وسياقها العلوّ والرفعة، والتّشريف فيها للهد والتكبير والتّهويل.

ثالثاً: وجاء منكرًا مرّتين في (٣) بشأن ابن نوح، إذ قال لأبيه: ﴿شَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِي مِن السَّمَاءِ﴾ وفي (٤) بشأن إبراهيم، إذ أمر بأن يأخذ أربعة من الطير فيجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً، وسياقها العلوّ، والتّشكير فيها للتسوية والإيهام، دون التّكبير والتّهويل.

رابعاً: جاء مرّتين في (٥) و (٦) مفرداً وجمعاً، ومنكرًا ومعرفًا، بشأن القرآن الكريم، أنّه لو أنزل الله على جبل لكان خاشعًا، ولو سُيّرت به الجبال، أو نُفِطت به الأرض، أو كُلّم به الموق كان القرآن مستعداً لها. وسياقها الصلابة، والتّشريف والتّكبير والإفراد والجمع فيها - وهي خاصّة بالقرآن - للتّعظيم والإطلاق، أي لافرق بينها في تأثرها بالقرآن لو أنزل عليها.

خامساً: هذه الآيات الستّ تحاكي قداسة (الجبل) وعلاقته بالأنبياء إنذاراً وتهديداً، وبالقراءة تعظيماً وتبجيلاً.

سادساً: جاءت (الجبال) في (٧ - ٩) معرفة باللام بشأن قوم نوح الذين كانوا يتخذون من الجبال بيوتاً، والتّشريف للهد أو للتّظيم والتكبير، وسياقها الشدة والصلابة، وكذا الاستمرار والمادة، كما يشعر بها (تَنْجُوتُونَ) و (تَتَّخِذُونَ) و (كَانُوا يَنْجُوتُونَ).

عجيب. لاحظ «ب ي ض: أبيض، لكن: أكنان، وت د: أوتاد، ر س ي: إرساء» وسياقتها جميعاً الصلابة والزفة والعظمة. لاحظ نص الططراوي في عجائب الجبال. ثانياً: قد جاء في (١١) آية: (٢٥ - ٣٥) بسبها، ورسفها، ودكها، وكشها ونفسها، فتكون كالمهن المنفوش. وكالشراب، ونحوها مما يشمر بوهنها وذهاها عن صفحة الوجود.

وقد أشكل اختلافها على المفسرين فتكلفوا الجمع بينها بمحملها على مراحل يتتابع بعضها بعضاً.

وعندنا أنها تتقن في التشبيه تحكي عن وهن الجبال - بما لها من صلابة - يومئذ وتلاشيها وانعدامها. وسأله كثير من أوصاف القيامة في القرآن. [لاحظ التصوص هنا، وراجع هذه المواد في مواضع]

المحور الثاني: جبل وجبل في (٣٦) و(٣٧). يلاحظ أولاً: أنها من مادة «جبل» وهو - كما تقدم - رمز العظمة والصلابة من بين الخلوقات، فأطلق على الجماعة الكثيرة تشبيهاً لإتاهم بالجبل، وقد أنهاها ابن عباس إلى عشرة آلاف، وأصل المعنى المنسلق، ومنه جبل على كذا، أي فطر وخلق عليه.

ثانياً: جاء في (٣٦) (جبلًا) بدون بناء، وفي (٣٧) (جبلًا) ببناء، و(جبلًا) عند بعضهم جمع (جبل)، وهو جماعة أكثر وأكبر من (الجبل)، فالترصيف فيها بكثيراً) للبالغة والتأكيد.

ثالثاً: حذر الله في (٣٦) الناس من الشيطان بأنّه أضلّ جماعات كثيرة، كانوا في العظمة والصلابة كالحمال الراسخات، ومع ذلك أزهّم عن مواقعهم، وأنزلهم من

٥- وفي (١٤) به على أن الأمانة - وهي الذين على الأقرب - عُرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، أي ما كنّ مستعذة لقبولها مع صلابتها وعظمتها، فعرضت على الإنسان... وهذا أثر معنوي للجبال، وعطفها على (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) تحاكي عظمتها. فساقها الثقل والعظمة وربما الصلابة والزفة. ٥- وفي (١٥-١٧) به على أن الجبال كانت يُسبحن مع داوود كالطير، كما كانت تسجد له تعالى في (١٣). وهو أثر معنوي، وسياقتها العظمة بل الزفة من أجل عطف (الطير) عليها.

٦- وفي (١٨) خاطب الإنسان بأن لا يستكبر ولا يمشي في الأرض مرحاً، أي لا يفخر، فإنه مهما بلغ من القدرة والعظمة، فلم يشرق الأرض ولا يبلغ الجبال طولاً، وهذا أثر معنوي وسياقه الملوّ والعظمة.

٧- وفي (١٩) به على أنه ينزل من السماء من جبال فيها - وهي سحب تشبه الجبال - من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه من يشاء، وسياقتها الزفة. وهذا أثر مادي من جهة ومعنوي من جهة أخرى، لإشعارها بالذاب والزفة، وبالإنذار والشارة.

٨- وفي (٢٠ - ٢٤) به على أسرار خلق الجبال، وأوصافها، فإنها في (٢٠) أنصف باختلاف ألوانها (جَدَدُ بَيْضَ وَحُمْرًا)، وفي (٢١) بأنها أكنان، وفي (٢٢) و(٢٣) بأنها أوتاد للأرض وإرساء لها. وتأخير: «مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَقَامَكُمْ» عن «وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا» يومي بأن للجبال دخلًا في إبقاء النباتات، لكونها مخازن للمياه التي تنبع من الميون وتسيل في الأنهار، وفي (٢٤) بأن نصبها

الشَّيْطَانُ كصُعوبة تقوى الله، وأتَّهبا متلازمان، فمن حذر الشَّيْطَانِ يَتَمَكَّنُ من تقوى الله، وأيضًا يتبادر إلى أَّتَّهبا في الصَّعوبة كإزالة الجبال الرَّاسيات من جذورها.

سادسًا: قيل: إِنَّهُ يُشْمَرُ أيضًا بِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا كَانَ مَفْطُورًا عَلَى الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، فَتَقْتَضِي فِطْرَتُهُ الْحَذَرَ مِنَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَصْرِفُهُ عَنْ فِطْرَتِهِ، بِالْإِقْبَالِ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَهْدِيهِ وَيَجَرُّهُ إِلَى فِطْرَتِهِ، وَهُوَ لَطِيفٌ.

الصَّعْرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهُ، وَمَنْ وَسَّوَسَ وَمَكَانَدَ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِهِ، «لَا حَظَّ شَيْطَانٍ وَلَيْلِيسَ».

رابعًا: أَمَرَ اللَّهُ فِي (٣٧) النَّاسَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَخَلَقَ الْأَوَّلِينَ، أَيْ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ، وَهُمْ كَثِيرُونَ. فَلِلْجِيلَةِ عَطْفٌ عَلَى الضَّمِيرِ (كُمُ)، وَلَامَعْنَى لِعَطْفِهِ عَلَى (الَّذِي) كَمَا قِيلَ. وَالْأَوَّلِينَ صِفَةٌ لِلْجِيلَةِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ (كَثِيرًا) فِي الْأَوَّلَى، تَأْكِيدٌ لِلْكَثَرَةِ.

خامسًا: سَيَاقُ الْآيَتَيْنِ يُشْمَرُ بِصُعُوبَةِ الْحَذَرِ مِنْ

فهرس الأعلام المتقول عنهم بلا واسطة و أسماء كتبهم

ابن الشَّجَرِي: هبة الله (٥٤٢) الأنالبي، ط: دار المعرفة، بيروت. ابن شهر آشوب: محمد (٥٨٨) مشابه القرآن، ط: طهران. ابن هاشور: محمد طاهر (١٣٩٣) التحرير و التنوير، ط: مؤسسة التاريخ، بيروت. ابن العربي: عبدالله (٥٤٣) أحكام القرآن، ط: دار المعرفة، بيروت. ابن هريثي: شحي الدين (٦٢٨) تفسير القرآن، ط: دار البيقطة، بيروت. ابن عطية: عبدالحق (٥٤٦) المحرر الوجيز، ط: دار الكتب	زاد المسير، ط: المكتب الإسلامي، بيروت. ابن خالويه: حسين (٣٧٠) إعراب ثلاثين سورة، ط: حيدرآباد دکن. ابن خلدون: عبدالرحمان (٨٠٨) المقدمة، ط: دار الفلم، بيروت. ابن دُرَيْد: محمد (٣٢١) الجمهرة، ط: حيدرآباد دکن. ابن السكيت: يعقوب (٢٤٤) ١- تهذيب الألفاظ، ط: الأمانة الرضوية، مشهد. ٢- إصلاح المنطق، ط: دار المعارف بمصر. ٣- الإبدال، ط: القاهرة. ٤- الأضداد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت. ابن سيده: علي (٤٥٨) المحكم، ط: مصر.	الألوسي: محمود (١٢٧٠)^(١) روح المسماني، ط: دار إحياء التراث، بيروت. ابن أبي الحديد: عبدالحميد (٦٦٥) نسخ نهج البلاغة، ط: إحياء الكتب، بيروت. ابن أبي اليمان: يمان (٢٨٤) التففة، ط: بغداد. ابن الأثير: مبارك (٦٠٦) النهاية، ط: إسماعيليان، قم. ابن الأثير: علي (٦٣٠) الكامل، ط: دار صادر، بيروت. ابن الأثيري: محمد (٣٢٨) غريب اللغة، ط: دار الفردوس، بيروت. ابن باديس: عبدالحميد (١٣٥٩) تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت. ابن الجوزي: عبدالرحمان (٥٩٧)
---	--	---

(١) هذه الأرقام تاريخ الوفيات بالهجريّة.

العلمية، بيروت.	أبو حنّان: محمد (٧٤٥)	المختصر، ط: دار المعرفة، بيروت.
ابن فارس: أحمد (٣٩٥)	البحر المحيط، ط: دار الفكر، بيروت.	أبو هلال: حسن (٣٩٥)
١- المقاييس، ط: طهران.	أبو رزق:...	الفروق اللغوية، ط: بصيرتي، قم.
٢- الصّاحبي، ط: مكتبة اللّغوية، بيروت.	سمجم القرآن، ط: الحجازي، القاهرة.	أحمد بدوي (معاصر)
ابن قُتَيْبَة: عباده (٢٧٦)	أبو زُرعة: عبد الرحمن (٤٠٣)	من بلاغة القرآن، ط: دار النهضة، مصر.
١- غريب القرآن، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة	حجّة القراءات، ط: الرسالة، بيروت.	الأخفش: سعيد (٢١٥)
٢- تأويل مشكل القرآن، ط: المكتبة العلمية، القاهرة.	أبو زهرة: محمد (١٣٩٥)	معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
ابن قَيْم: محمد (٧٥١)	المعجزة الكبرى، ط: دار الفكر، بيروت.	الأزهري: محمد (٣٧٠)
التفسير القيم، ط: لجنة التراث العربي، لبنان.	أبو زيد: سعيد (٢١٥)	تهذيب اللّغة، ط: دار المصر.
ابن كثير: إسماعيل (٧٧٤)	التوارد، ط: الكاثوليكية، بيروت.	الإسكافي: محمد (٤٢٠)
١- تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.	أبو الشعوث: محمد (٩٨٢)	درة التنزيل، ط: دار الآفاق، بيروت.
٢- البسداية والنهاية، ط: المعارف، بيروت.	إرشاد العقل السليم، ط: مصر.	الأصمعي: عبد الملك (٢١٦)
ابن منظور: محمد (٧١١)	أبو سهل الهروي: محمد (٤٣٣)	الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.
لسان العرب، ط: دار صادر، بيروت.	التلويح، ط: الترجيد، مصر.	ايزوتسو: نوشيهيكو (١٣٧١)
ابن ناقي: عباده (٤٨٥)	أبو قتيبة: قاسم (٢٤٤)	خدا و انسان در قرآن، ط: انتشار، طهران.
الجمال، ط: المعارف، الاسكندرية.	غريب الحديث، ط: دار الكتب، بيروت.	البحراني: هاشم (١١٠٧)
ابن هشام: عباده	أبو حنيفة: منعم (٢٠٩)	البرهان، ط: آفتاب، طهران.
سفني اللبيب، ط: المدني، القاهرة.	مجاز القرآن، ط: دار الفكر، مصر.	الزُرغوثي: إسماعيل (١١٢٧)
أبو البركات: عبد الرحمن (٥٧٧)	أبو عمرو الشيباني: اسحاق (٢٠٦)	روح البيان، ط: جمفري، طهران.
البيان، ط: الهجرة، قم.	الجيم، ط: المطابع الأميرية، القاهرة.	البستاني: بطرس (١٣٠٠)
أبو حاتم: سهل	أبو الفتح: حسين (٥٥٤)	دائرة المعارف، ط: دار المعرفة، بيروت.
الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.	روض الجنان، ط: الآستانة الزبونية، مشهد.	البغوي: حسين (٥١٦)
	أبو الفداء: إسماعيل (٧٣٢)	معالم التنزيل، ط: التجارية، مصر.

بنت الشاطئ: عائشة (١٣٧٨)	جمال الدين قتيّاه (معاصر)	مشهد.
١- التفسير البياني: ط: دار المعارف، مصر.	بحوث في تفسير القرآن، ط: المعرفة، القاهرة.	الحازن: علي (٧٤١)
٢- الإيجاز البياني: ط: دار المعارف، مصر.	الجواليقي: تروّوب (٥٤٠)	لباب القاريل، ط: التجارة، مصر.
بهاء الدين العاملي: محمّد (١٠٣١)	المعزب: ط: دار الكتب، مصر.	الخطّاطي: حنّد (٣٨٨)
المروة الرنقي: ط: مهر، قم.	الجوهري: إسماعيل (٣٩٣)	غريب الحديث، ط: دار الفكر، دمشق.
بيان الحق: محمود (نحو ٥٥٥)	صحاح اللغة، ط: دار العلم، بيروت.	الخليل: بن أحمد (١٧٥)
وُفّح البرهان، ط: دار القلم، بيروت.	العائري: سيّد علي (١٣٤٠)	العين، ط: دار الهجرة، قم.
البيضاوي: عبداّله (٦٨٥)	مقتنيات الدرر، ط: الحيدريّة، طهران.	خليل ياسين (معاصر)
أنوار التنزيل، ط: مصر.	الحجازي: محمّد محمود (معاصر)	الأصواء، ط: الأديب الجديدة، بيروت.
التستري: محمّد تقي (١٤١٥)	التفسير الواضح، ط: دار الكتاب، مصر.	الدّامغاني: حسين (٤٧٨)
نهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة، ط: اميركبير، طهران.	العزّيزي: إبراهيم (٢٨٥)	الوجوه والنظائر، ط: جامعة نيوريز.
التفتازاني: مسعود (٧٩٣)	غريب الحديث، ط: دار المديني، جدّة.	الزّازي: محمّد (٦٦٦)
المطوّل، ط: مكتبة الدّاوري، قم.	الحريري: قاسم (٥١٦)	مختار الصحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.
الثعالبي: عبدالملك (٤٢٩)	دُرّة الغزاس، ط: المثني، بغداد.	الزّاضب: حسين (٥٠٢)
فقه اللغة، ط: مصر.	حسّنين مخلوف (معاصر)	المسفرات، ط: دار المعرفة، بيروت.
لقب: أحمد (٢٩١)	صفوة البيان، ط: دار الكتاب، مصر.	الزّاوندي: سيد (٥٧٣)
الفصح، ط: التوحيد، مصر.	جيفتي: محمّد شرف (معاصر)	فقه القرآن، ط: الختّام، قم.
الجرجاني: علي (٨١٦)	إعجاز القرآن البياني، ط: الأهرام، مصر.	رشيد رضا: محمّد (١٣٥٤)
التحريفات، ط: ناصر خسرو، طهران.	الحموي: ياقوت (٦٢٦)	النار، ط: دار المعرفة، بيروت.
الجزائري: نور الدين (١١٥٨)	معجم البلدان، ط: دار صادر، بيروت.	الزّبيدي: محمّد (١٢٠٥)
فروق اللغات، ط: فرهنگ اسلامي، طهران.	الحيري: اسماعيل (٤٣١)	ناج المروس، ط: الخيرية، مصر.
القبصا: أحمد (٣٧٠)	وجوه القرآن، ط: مؤسسة الطّبع للأستانة الزّسوية المقدّسة، بيروت.	الزّجاج: إبراهيم (٣١١)
أحكام القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.		١- مماني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
		٢- وفعلت وأفعلت، ط:

- التوحيد، مصر.
٣. إعراب القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.
- الزركشي: محمّد (٧٩٤)
- البرهان، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.
- الزوكلي: خير الدين (معاصر)
- الأعلام، ط: بيروت.
- الزَمْخَشَرِي: محمود (٥٣٨)
١. الكشف، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢. الفائق، ط: دار المعرفة، بيروت.
٣. أساس البلاغة، ط: دار صادر، بيروت.
- الشَّجْهَانِي: محمّد (٣٣٠)
- غريب القرآن، ط: الفيّة المتحدة، مصر.
- الشَّكَّافِي: يوسف (٦٢٦)
- مفتاح العلوم، ط: دار الكتب، بيروت.
- سليمان حبيب (معاصر)
- فرهنگ عبري، فارسي، ط: إسرائيل.
- الشَّهِيلِي: عبد الزّحمان (٥٨١)
- روض الأنف، ط: الكليات، القاهرة.
- سَيِّدُة: عمرو (١٨٠)
- الكتاب، ط: عالم الكتب، بيروت.
- الشَّيْطِي: عبد الزّحمان (٩١١)
١. الإنفان، ط: رضي، طهران.
٢. الذّر المنثور، ط: بيروت، ٣.
- تفسير الجلالين، ط: مصطفى البابي، مصر (مع أنوار التنزيل).
- سَيِّد قطب (١٣٨٧)
- نسي ظلال القرآن، ط: دار الشّروق، بيروت.
- الشَّجَر: عبّاد (١٣٤٢)
- الجواهر الثّمين، ط: الأفق، الكويت.
- الشَّيْبَانِي: محمّد (٩٧٧)
- الترّاج المنير، ط: دار المعرفة، بيروت.
- الشَّريف الرُّمِّي: محمّد (٤٠٦)
١. تلخيص البيان، ط: بصيرتي، قم.
٢. حقائق التأويل، ط: البعثة، طهران.
- الشَّريف العاملي: محمّد (١١٣٨)
- مرآة الأنوار، ط: آفتاب، طهران.
- الشَّريف المرتضى: عليّ (٤٣٦)
- الأمالي، ط: دار الكتب، بيروت.
- شويغمي: محمّد نفي (١٤٠٧)
- تفسير نوين، ط: فرهنگ اسلامي، طهران.
- شَوْقي صيف (معاصر)
- تفسير سورة الزّحمان، ط: دار المعارف بمصر.
- الصّابوني: محمّد عليّ (معاصر)
- روائع البيان، ط: الغزالي، دمشق.
- الصّاحب: إسماعيل (٣٨٥)
- المحيط في اللغة، ط: عالم الكتب، بيروت.
- الضّقاني: حسن (٦٥٠)
١. التكملة، ط: دار الكتب، القاهرة.
٢. الأصداد، ط: دار الكتب، بيروت.
- صدر المتألّهين: محمّد (١٠٥٩)
- تفسير القرآن، ط: بيدار، قم.
- الصّدوق: محمّد (٣٨١)
- التّوحيد، ط: النّشر الإسلامي، قم.
- طه الدّرة: محمّد عليّ
- تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، ط: دار الحكمة، دمشق.
- الطّباطبائي: محمّد حسين (١٤٠٢)
- الميزان، ط: إسماعيليان، قم.
- الطّبرسي: فضل (٥٤٨)
- مجمع البيان، ط: الإسلامية، طهران.
- الطّبري: محمّد (٣١٠)
١. جامع البيان، ط: المصطفى البابي، مصر.
٢. أخبار الأئمّ والمُلوّك، ط: الاستقامة، القاهرة.
- الطّريحي: فخر الدّين (١٠٨٥)
١. مجمع البحرين، ط: المرتضوية، طهران.
٢. غريب القرآن، ط: النّجف.
- الطّطاوي: جوهري (١٣٥٨)
- الجواهر، ط: مصطفى البابي،

مصر.	هزّة دؤؤزة: محمد (١٤٠٠)	الفيروزآباهدي: محمد (٨١٧)
الطوسي: محمد (٤٦٠)	تفسير الحديث: ط: دار إحياء الكتب القاهرة.	١- القاموس المحيط: ط: دار الجبل، بيروت.
هيدالجاتان: أحمد (٤١٥)	الفكرتي: عبدالله (١١٦)	٢- بصائر ذوي التمييز: ط: دار التحرير، القاهرة.
١- تنزيه القرآن: ط: دار النهضة، بيروت.	الثبيان: ط: دار الجبل، بيروت.	الفيومي: أحمد (٧٧٠)
٢- منشابه للقرآن: ط: دار التراث، القاهرة.	علي اصغر حكمت (معاصر)	مصباح المنير: ط: المكتبة العلمية، بيروت.
هيدالرحمان الهذاني (٣٢٩)	نه گفتار در تاريخ آديان: ط: ادبيات، شيراز.	القاسمي: جمال الدين (١٣٣٢)
الأفاظ الكتابية: ط: دار الكتب، بيروت.	القياسي: محمد (نحو ٣٢٠)	محاسن التأويل: ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.
هيدالزّاق توفل (معاصر)	التفسير: ط: الإسلامية، طهران.	القالي: إسماعيل (٣٥٦)
الإعجاز المدهي: ط: دار الشعب، القاهرة.	الفارسي: حسن (٣٧٧)	الأمالي: ط: دار الكتب، بيروت.
هيدالفتاح طيارة (معاصر)	الحجة: ط: دار المأمون، بيروت.	الفرطبي: محمد (٦٧١)
مع الأنبياء: ط: دار العلم، بيروت.	الفاضل المقداد: عبدالله (٨٢٦)	الجامع لأحكام القرآن: ط: دار إحياء التراث، بيروت.
هيدالكريم الخطيب (معاصر)	كنز العرفان: ط: المرتضوية، طهران.	القشيري: عبدالكريم (٤٦٥)
التفسير القرآني: ط: دار الفكر، بيروت.	الفخر الرازي: محمد (٦٠٦)	لطائف الإنسارات: ط: دار الكتاب، القاهرة.
هيداللطيف بغدادفي (٦٢٩)	التفسير الكبير: ط: عبدالرحمان، القاهرة.	القيقي: علي (٣٢٨)
ذيل الفصح: ط: التوحيد، القاهرة.	فراات الكوفي: ابن إبراهيم	تفسير القرآن: ط: دار الكتاب، قم.
هيدالمنعم الجمل: محمد (معاصر)	تفسير فراات الكوفي، ط: وزارة الشفافة والإرشاد الإسلامي، طهران.	القيسي: مكي (٤٣٧)
التفسير الفريد، ط: ... بإذن مجمع البحوث الإسلامي، الأزهر.	الفراه: يحيى (٢٠٧)	مشكل إعراب القرآن: ط: مجمع اللغة، دمشق.
الفذائني: محمد (١٣٦٠)	معاني القرآن: ط: ناصر خسرو، طهران.	الكاشاني: شمس (١٠٩١)
مجمع الأعلاط: ط: مكتبة لبنان، بيروت.	فريد وجددي: محمد (١٣٣٢)	الضاهي: ط: الأعلمي، بيروت.
العروسي: عبدعلي (١١١٢)	المصحف المفسر: ط: دار مطابع الشعب، بيروت.	الكرماني: محمود (٥٠٥)
نور الثقلين: ط: إسماعيليان، قم.	فضل الله: محمد حسين (معاصر)	أسرار التكرار: ط: المحمدية، القاهرة.
	من وحي القرآن: ط: دار الملاك، بيروت.	الكليني: محمد (٣٢٩)

ط: مشهد.	المدني، جده.	الكسافي: ط: دار الكتب
(٣٣٨) الثَّعْثَان: أحمد	الغرافي: محمد مصطفى (١٣٦٤)	الإسلامية، طهران.
معاني القرآن، ط: مكة المكرمة.	١- تفسير سورة الحجرات، ط:	لويس كوستاز
(٧١٠) الثَّغْنِي: أحمد	الأزهر، مصر.	(معاصر)
مدارك التنزيل، ط: دار الكتاب، بيروت.	٢- تفسير سورة الحديد، ط:	قاموس سرياني - عربي، ط:
	الأزهر، مصر.	الكاثوليكية، بيروت.
(١٣٧٠) الثَّهْاوندِي: محمد	الغرافي: أحمد مصطفى (١٣٧١)	لويس معلوف (١٣٦٦)
نفعات الرحمن، ط: سنكي،	تفسير القرآن، ط: دار إحياء	المنجد في اللغة، ط: دار
علمي [طهران].	الثرات، بيروت.	المشرق، بيروت.
(٧٢٨) الثَّيْساووي: حسن	مشكور: محمد جواد (معاصر)	الماوردي: علي (٤٥٠)
غرائب القرآن، ط: مصطفى	فرهنگ تطبيقي، ط: كازبان،	الثَّكُث والميون، ط: دار الكتب،
البابي، مصر.	طهران.	بيروت.
هارون الأوز: ابن موسى (٢٤٩)	المُصْطَقَوِي: حسن (معاصر)	المبرود: محمد (٢٨٦)
الوجوه والظواهر، ط: دار الحرية،	التحقيق، ط: دار الترجمة،	الكامل، ط: مكتبة المعارف،
بغداد.	طهران.	بيروت.
هائس: الإمبريكي (معاصر)	معرفة: محمد عادي (معاصر)	المجلسي: محمد باقر (١١١١)
قاموس كتاب مقدس، ط:	التفسير و المفسرون، ط:	بحار الأنوار، ط: دار إحياء
مطبعة الإمبريكي، بيروت.	الجامعة الرضوية، مشهد.	الثرات، بيروت.
(٤٠١) الهَزَوِي: أحمد	مُقايل: ابن سليمان (١٥٠)	مجمع اللغة: جماعة (معاصر)
الغريبن، ط: دار إحياء التراث.	الأشباه والظواهر، ط: المكتبة	مجمع الألفاظ، ط: آرمان،
هَوَيْشما: مارتن يُووَر (١٣٦٢)	العربية، مصر.	طهران.
دائرة المعارف الإسلامية، ط:	التقليسي: مُطهر (٣٥٥)	محمد إسماعيل (معاصر)
جهان، طهران.	البده والتاريخ، ط: مكتبة	مجمع الألفاظ والأعلام، ط: دار
(٢٠٢) اليزيدي: يحيى	المثنى، بغداد.	الفكر، القاهرة.
غريب القرآن، ط: عالم الكتب،	مكارم الشيرازي: ناصر (معاصر)	محمد جواد مفتي (١٤٠٠)
بيروت.	الأسئل في تفسير كتاب الله	التفسير الكاشف، ط: دار العلم
(٢٩٢) البعلقوي: أحمد	السَّنزل، ط: مؤسسة البعثة،	للملايين، بيروت.
التاريخ، ط: دار صادر، بيروت.	بيروت.	محمود شيت خطاب
(٢) يوسف خياط	المُتَيْدِي: أحمد (٥٢٠)	المصطلحات العسكرية، ط:
الملحق بلسان العرب، ط: أدب	كشف الأسرار، ط: أمير كبير،	دار الفتح، بيروت.
الحوزة، قم.	طهران.	المتدني: علي (١١٢٠)
	الميلاني: محمد هادي (١٣٨٤)	أنوار الريح، ط: النعمان، نجف.
	تفسير سورتي الجمعة والتغابن،	التدني: محمد (٥٨١)
		المجموع المصنف، ط: دار

فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة

(٢٠٠)	أبان بن عثمان.	(٨٥٢)	ابن حجر: أحمد بن علي.	(٥)	ابن عادل.
(٥)	إبراهيم التيمي.	(٩٧٤)	ابن حجر: أحمد بن محمد.	(١١٨)	ابن عامر: عبدا.
(١٢٩)	ابن أبي إسحاق: عبدا.	(٤٥٦)	ابن حزم: علي.	(٦٨)	ابن عباس: عبدا.
(١٥٣)	ابن أبي حيلة: إبراهيم.	(٥)	ابن جلفرة:.....	(٢٤٤)	ابن عبد الملك: محمد.
(١٣١)	ابن أبي نجیح: يسار.	(٦٠٩)	ابن خروف: علي.	(٥)	ابن صاكر.
(١٥١)	ابن إسحاق: محمد.	(٢٠٢)	ابن ذكوان: عبدالرحمان.	(٦٦٦)	ابن صفور: علي.
(٢٣١)	ابن الأهرابي: محمد.	(٧٩٥)	ابن رجب: عبدالرحمان.	(١٣١)	ابن حطاء: واصل.
(١٧٩)	ابن أنس: مالك.	(٧٣)	ابن الزبير: عبدا.	(٧٦٩)	ابن عقيل: عبدا.
(٥٨٢)	ابن يزي: عبدا.	(١٨٢)	ابن زيد: عبدالرحمان.	(٧٣)	ابن حمير: عبدا.
(٥)	ابن يزدج: عبدالرحمان.	(٥)	ابن سميع: محمد.	(١٩٣)	ابن عياش: محمد.
(٧٠٤)	ابن بنت العراقى.	(١١٠)	ابن سيرين: محمد.	(١٩٨)	ابن حنيفة: شفيان.
(٧٢٨)	ابن تيمية: أحمد.	(٤٢٨)	ابن سينا: علي.	(٤٠٦)	ابن فوفك: محمد.
(١٥٠)	ابن بجرير: عبد الملك.	(٥٤٢)	ابن الشخير: شرف.	(١٢٠)	ابن كثير: عبدا.
(٣٩٢)	ابن جني: عثمان.	(٥)	ابن شريح:.....	(١١٧)	ابن كعب القرظي: محمد.
(٦٤٦)	ابن الحاجب: عثمان.	(٢٠٣)	ابن شمائل: نصر.	(٢٠٤)	ابن الكلبي: هشام.
(٢٤٥)	ابن حبيب: محمد.	(٥)	ابن الشيخ:.....	(١٤٠)	ابن كمال باشا: أحمد.

ابن كَثُوفَة: سعد.	(٦٨٣)	أبو حَقِيقَة: شَرِيع.	(٧٠٣)	أبو الفضل الرُّزَازِي.	(٩)
ابن كيسان: مُحَمَّد.	(٢٩٩)	أبو داود: سليمان.	(٢٧٥)	أبو قِلَابَة:.....	(١٠٤)
ابن ماجه: مُحَمَّد.	(٢٧٣)	أبو الدُّرْدَاء: عُوْنَيْر.	(٣٢)	أبو مالك: عمرو.	(٩)
ابن مالك: مُحَمَّد.	(٦٧٢)	أبو قُيَيش:.....	(٩)	أبو المتوَكِّل: علي.	(٩)
ابن مجاهد: أحمد.	(٣٢٤)	أبو دُرَّ: جُنْدَب.	(٣٢)	أبو مِجْلَز: لاجئ.	(٩)
ابن مَحيصين: مُحَمَّد.	(١٢٣)	أبو روق: عطية.	(٩)	أبو مَحَلَم: مُحَمَّد.	(٢٤٥)
ابن مسعود: عبدالله.	(٣٢)	أبو زياد: عبدالله.	(٩)	أبو مسلم الأصفهاني:	
ابن المسيب: سعيد.	(٩٤)	أبو سعيد الخُدْرِي: سعد.	(٧٤)	مُحَمَّد.	(٣٢٢)
ابن ملك: عبد اللطيف.	(٨٠١)	أبو سعيد البغدادي: أحمد.	(٢٨٥)	أبو مُنْذِر السَّلَام:.....	(٩)
ابن المنير: عبدالواحد.	(٧٣٣)	أبو سعيد الخزاز: أحمد.	(٢٨٥)	أبو موسى الأشعري: عبدالله.	(٤٤)
ابن نَحَّاس: مُحَمَّد.	(٦٩٨)	أبو سليمان الدمشقي:		أبو نصر الباهلي: أحمد.	(٢٣١)
ابن هاني:.....	(٩)	عبد الرَّحمان.	(٢١٥)	أبو هُرَيْرَة: عبد الرَّحمان.	(٥٩)
ابن هُرَيْرَة: عبد الرَّحمان.	(١١٧)	أبو السَّمال: قُتَيْب.	(٩)	أبو الهيثم:.....	(٢٧٦)
ابن الهيثم: داود.	(٣١٦)	أبو شريح الخزاعي.	(٩)	أبو يزيد المدني:.....	(٩)
ابن الوردي: عُمر.	(٧٤٩)	أبو صالح.	(٩)	أبو يعلى: أحمد.	(٣٠٧)
ابن وَهَب: عبدالله.	(١٩٧)	أبو الطَّيِّب اللُّقَوِي.	(٩)	أبو يوسف: يعقوب.	(١٨٢)
ابن يَسْعون: يوسف.	(٥٤٢)	أبو العالية: رُفَيْع.	(٩٠)	أُمِّي بن كعب.	(٢١)
ابن يعيش: علي.	(٦٤٣)	أبو عبد الرَّحمان: عبدالله.	(٧٤)	أحمد بن حنبل.	(٢٤)
أبو يحرقة: عبدالله.	(٨٠)	أبو عبدالله: مُحَمَّد.	(٩)	الأحمر: علي.	(١٩٤)
أبو بكر الإخشيدي: أحمد.	(٣٦٦)	أبو عثمان الجبري: سعيد.	(٢٨٩)	الأخفش الأكبر: عبد الحميد.	(١٧٧)
أبو بكر الأصم:.....	(٢٠١)	أبو العلاء المروزي: أحمد.	(٤٤٩)	إسحاق بن بشير.	(٢٠٦)
أبو الجزال الأهرابي.	(٩)	أبو علي الأهوازي: حسن.	(٤٤٦)	الأسدي.	(٩)
أبو جعفر القارئ: يزيد.	(١٣٢)	أبو علي يشكويه: أحمد.	(٤٢١)	إسماعيل بن قاضي.	(٩)
أبو الحسن الصائغ.	(٩)	أبو عمران الجوني: عبد الملك.	(٩)	الأصم: مُحَمَّد.	(٣٤٦)
أبو حمزة الثمالي: ثابت.	(١٥٠)	أبو عمرو ابن العلاء: زيان.	(١٥٤)	الأعشى: ميمون.	(١٤٨)
أبو حنيفة: ثُممان.	(١٥٠)	أبو عمر الجوزي: صالح.	(٢٢٥)	الأعشى: سليمان.	(١٤٨)

إلياس..... (١)	الحَرَاني: محمّد. (٥٦٠)	الرُّمَيّر: بن بكار. (٢٥٦)
أنس بن مالك. (٩٣)	الحسن بن يسار. (١١٠)	الرُّجَاجي: عبد الزّحمان. (٣٣٧)
الأُمويّ: سعيد. (٢٠٠)	حسن بن حمي. (٢)	الرُّهروايّ: خلف. (٤٢٧)
الأوزاعيّ: عبد الزّحمن. (١٥٧)	حسن بن زياد. (٢٠٤)	الرُّهروايّ: محمّد. (١٢٨)
الأهوازيّ: حسن. (٤٤٦)	حسين بن فضل. (٥٤٨)	زيد بن أسلم. (١٣٦)
الباقليّ: محمّد. (٤٠٣)	حفص: بن عمر. (٢٤٦)	زيد بن ثابت. (٤٥)
البخاريّ: محمّد. (٢٥٦)	حماد بن سلّمة. (١٦٧)	زيد بن عليّ. (١٢٢)
براء بن هازب. (٧١)	حمزة القارئي. (١٥٦)	الشّديّ: إسماعيل. (١٢٨)
البرجيّ: عليّ. (٢)	حُمَيْد: ابن قيس. (٢)	سعد بن أبي وقاص. (٥٥)
البرجميّ: ضابن. (٢)	الحوفاي: عليّ. (٤٣٠)	سعد المقتي. (٢)
البقلّي. (٢)	خصيف..... (١)	سعيد بن جبّير. (٩٥)
البليغيّ: عبدا. (٣١٩)	الخطيب الثّبريزيّ: يحيى. (٥٠٢)	سعيد بن عبدالعزيز. (١٦٧)
البُلوطيّ: منذر. (٣٥٥)	الخفاجي: عبدا. (٤٦٦)	الشّلميّ القارئ: عبدا. (٧٤)
بوست: جورج إدوّرذ. (١٣٢٧)	خلف القارئ. (٢٩٩)	الشّلميّ: محمّد. (٤١٢)
الترمذيّ: محمّد. (٢٧٩)	الخُزَويّ: محمّد. (٦٩٣)	سليمان بن جَمّاز المدنيّ. (١٧٠)
ثابت البنانيّ. (١٢٧)	الخياليّ: أحمد. (٨٦٢)	سليمان بن موسى. (١١٩)
الثّعلبيّ: أحمد. (٤٢٧)	الدّقاق. (٢)	سليمان الثّيميّ. (٢)
الثّوريّ: سفيان. (١٦١)	الدّعامينيّ: محمّد. (٨٢٧)	السّنين: أحمد. (٧٥٦)
جابر بن زيد. (٩٣)	الدّوانيّ. (٩١٨)	سهل الثّستريّ. (٢٨٤)
الجُبّائيّ: محمّد. (٣٠٣)	الذّيّوريّ: أحمد. (٢٨٢)	الثّيرانيّ: حسن. (٣٦٨)
الجخدريّ: كامل. (٢٣١)	الزّبيع بن أنس. (١٣٩)	الثّاذليّ. (٢)
جمال الدّين الأفغانيّ. (١٣١٥)	ربيعة بن سعيد. (٢)	الثّاطبيّ. (٢)
الجُنَيْد البغداديّ: ابن محمّد. (٢٩٧)	الزّضيّ الأستراباديّ. (٦٨٦)	الثّافعيّ: محمّد. (٢٠٤)
جهرم بن صفوان. (١٢٨)	الزّمانيّ: عليّ. (٣٨٤)	الثّبليّ: ذُكف. (٣٣٤)
الحارث بن ظالم. (٢٢٢)	رؤيس: محمّد. (٢٣٨)	الثّشبيّ: حامر. (١٠٣)
الحَدّاديّ..... (٢)	الزّنّانيّ. (٢)	ثُعيب الجبينيّ. (٢)

(٢٠٠)	الفضل الزقاشي.	(٢)	عبدالله بن أبي ليلى.	(١٩٤)	الشقيق بن إبراهيم.
(١١٨)	قنادة بن دهامة.	(٨٦)	عبدالله بن الحارث.	(٦٤٥)	الشلوبيني: عمر.
(٧٣٩)	القزويني: محمد.	(٢)	عبدالله الهبطي.	(٢٥٥)	شور بن حمدويه.
(٢٠٦)	قطرب: محمد.	(١٣٦٠)	عبد الوهاب التجار.	(٨٧٢)	الشُمثني: أحمد.
(٣٢٨)	القفال: محمد.	(٢)	حُبيد بن مُخير.	(١٠٦٩)	الشهاب: أحمد.
(٥٢١)	القلاسي: محمد.	(١٨١)	الشككي: عباد.	(٦٨٤)	شهاب الدين القرافي.
(٣٠٩)	كراع النمل: علي.	(٢)	المَدَوِّي:.....	(١٠٠)	شهر بن حوشب.
(١٨٩)	الجسائي: علي.	(١١٩٣)	عصام الدين: عثمان.	(٢)	شيبان بن عبد الرحمن.
(٣٢)	كعب الأحبار: ابن مانع.	(٢)	عصمة بن هرة.	(٢)	شعبة الشَّيْبِي.
(٣١٩)	الكبي: عبدالله.	(١١٤)	المطاء بن أسلم.	(٤٩٤)	الشَّيْذلة: غزوي.
(٩٠٥)	الكلعمي: إبراهيم.	(١٣٦)	عطاء بن سائب.	(٢)	الشَّيشيني.
(١٤٦)	الكلبي: محمد.	(١٣٥)	عطاء الخراساني: ابن عبدالله.	(٢)	صالح المري.
(٢)	كثيبوي.	(١٠٥)	جُحْرمة بن عبدالله.	(٥٦٥)	الشَّيْبَلِي: محمد.
(٢)	الكياء الطبري.	(٢)	حلام بن سَيَّابة.	(١٨٢)	الشَّيْبِي: يونس.
(٢٠٤)	الكلوثي: حسن.	(١٤٣)	علي بن أبي طلحة.	(١٠٥)	الصَّحَّاح بن مزاحم.
(٢٢٠)	اللعيناني: علي.	(٢)	عمارة بن هائد.	(١٠٦)	طاووس بن كيسان.
(١٨٥)	الليث بن مظفر.	(١٥٣)	عُمر بن قُر.	(١٢١٣)	الطَّبَّيْجَلِي: أحمد.
(٣٣٣)	الماتريدي: محمد.	(١٤٤)	عمرو بن عبيد.	(١١٢)	طلحة بن مُصَرِّف.
(٢٤٩)	المازني: بكر.	(٢)	عمرو بن ميمون.	(٧٤٣)	الطَّيْئِي: حسين.
(١٧٩)	مالك بن أنس.	(١٤٩)	عيسى بن عُمر.	(٥٨)	عائشة: بنت أبي بكر.
(١٣١)	مالك بن دينار.	(١١١)	القوفي: عطية.	(١٢٨)	عاصم الجحدري.
(٢)	المالكبي.	(٨٥٥)	العيني: محمود.	(١٢٧)	عاصم القاري.
(٢)	المَلَوِّي.	(٥٠٥)	الغزالي: محمد.	(٥٥)	حامر بن عبدالله.
(١٠٤)	مُجَاهِد: جبر.	(٥٨٢)	الغزنوي:.....	(١٨٦)	عباس بن الفضل.
(٢٤٣)	المحاسبي: حارث.	(٣٣٩)	الفارابي: محمد.	(٩٦)	عبد الرحمن بن أبي بَكْرَة.
(٢)	محبوب:.....	(٢)	الغاسي.	(٦١٢)	عبد العزيز:.....

محمّد أبي موسى. (١)	مكحول بن شهراب. (١١٢)	الواحدئي: علي. (٤٦٨)
محمّد بن حبيب. (٢٤٥)	المنذري: محمّد. (٣٢٩)	وؤش: عثمان. (١٩٧)
محمّد بن الحسن. (١٨٩)	المهدوي: أحمد. (٤٤٠)	وؤب بن جرير. (٢٠٧)
محمّد بن شريح الأصمّهاني. (٢)	مؤزج الشدوسي: ابن عمر. (١٩٥)	وؤب بن مئبّه. (١١٤)
محمّد عبده: ابن حسن خيرا. (١٣٢٣)	موسى بن همران. (٦٠٤)	يحيى بن جعدة. (١)
محمّد الشيشني. (٢)	ميمون بن مهران. (١١٧)	يحيى بن سعيد. (٢)
مروان بن حكم. (٦٥)	التخمي: إبراهيم. (٩٦)	يحيى بن سلام. (٢٠٠)
الشهر بن عبد الملك. (٢)	نصر بن علي. (١)	يحيى بن وثاب. (١٠٣)
مصلح الدين اللاري: محمّد. (١٧٩)	نقوم بك: بن بشار. (١٢٤٠)	يحيى بن يقطر. (١٢٩)
مطوف بن الشخير. (٨٧)	نفظويه: إبراهيم. (٣٢٣)	يزيد بن أبي حبيب. (١٢٨)
معاذ بن جبل. (١٨)	النقاش: محمّد. (٣٥١)	يزيد بن رومان. (١٣٠)
معتمر بن سليمان. (١٨٧)	الثوري: يحيى. (٦٧٦)	يزيد بن قعقاع. (١٣٢)
المغربي: حسن. (٤١٨)	هارون بن حاتم. (٧٢٨)	يعقوب بن إسحاق. (٢٠٢)
المفضل القسبي: ابن محمّد. (١٨٢)	الهذلي: قاسم. (١٧٥)	اليمني: عمر. (١)
	هثام بن حارث. (١)	

